هذا الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده

على تفسير القاضي البيضاوى

شيخ زاده – محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محي الدين الحنفى المعروف بشيخ زاده المدرس الرومى توفى سنة ٩٥١ احدى و خمسين و تسعمائة له من الكتب الاخلاصية فى تفسير سورة الاخلاص. تعليقة على شرح الهداية لابن مكروم. حاشية على انوار التنزيل للبيضاوى مجلدات مطبوع. حاشية اخرى على انوار التنزيل. شرح فرائض الراجية. شرح قصيدة البردة. شرح المشارق للصغانى. شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى و البيان. شرح الوقاية فى مسائل الهداية. (٩٥١ هـ. [١٥٤٤ م.]

قد طبع فى المطبعة العثمانية

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست

وقف الاخلاص

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول – تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١٥	١٣٧٣	١٩٩٥

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل و منا الشكر الجميل و كذلك جميع كتبنا كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق و التصحيح

هذا الجزؤ الثاني من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله الذى خلق الاشياء فقدرها تقديرا و صور شكل الانسان فاحسنه تصويرا و منحه بالعقل و جعله سميعا بصيرا و شرفه بما عرفه به من العلم و نور قلبه تنويرا و هداه الى معرفته فيالها نعمة و فضلا كبيرا و أطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا و تهليلا و تكبيرا و أرسل محمد صلى الله عليه و سلم الى كافة الخلق بشيرا و نذيرا و أنزل عليه كتابا منيرا و أودعه حكمة و حكما و ترغيبا و تحذيرا و ألهم حفاظه تلاوة له و تحبيرا و علم عباده علومه تفهيما و تبصيرا و ضرب فيه الامثال ليزيل جهالة و تحييرا و جعله برهانا واضحا و صوابا لائحا و وفر فضله توفيرا فى الصدور محفوظا و بالالسنة متلوا و فى الصحف مسطورا يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا و جعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه اجمعين.]

﴿ سورة آل عمران ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *
(الم الله لااله الاهو) انما فتح الميم فى المشهورة وكان حقها ان يوقف عليها

﴿قوله انما فتح الميم﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم واسقاط همزة الجلالة وقرأ ابو بكر عن عاصم بسكون الميم وقطع الف الله وهى قرآءة ضعيفة مخالفة لقرآءة الجمهور ﴿قوله وكان حقها ان يوقف عليها﴾ كما وقف على الف ولام وان يبدأ بما بعدها كما يقال واحد اثنان وهى قرآءة عاصم برواية ابى بكر وانما كان حق هذه الحروف ان يوقف عليها لما مر فى اول سورة البقرة من ان المختار ان اسماء الحروف كالف ولام ونحو هما قبل تركبها مع العامل معربة وان سكونها سكون وقف لاسكون بناء ولهذا اغتفر فيها التقاء الساكنين نحو لام ميم عين

(وكذا)

وكذا اذا عدد اسماء نحو ثلاثه اربعه خمسه فان التاء تصير هاء والتاء انما تصير هاء فى الوقف لا فى البناء ﴿قوله لالقاء حركة الهمزة عليها﴾ متعلق بقوله انما فتح الميم وما بينهما معترض بين العلة ومعلولها واختلفوا فى فتحة الميم هل هى لالتقاء الساكنين وان ايثار الفتح للخفة مع ان الاصل فى تحريك الساكن الكسر او هى فتحة همزة الجلالة نقلت الى الميم عند حذف الهمزة تخفيفا فذهب سيبويه الى الاول والجمهور الى الثانى ووجه قول الجمهور ان فتحة الميم هى فتحة الهمزة نقلت الى الميم مع ان نقل الحركة موقوف على ثبوتها وثبوت الحركة موقوف على ثبوت الهمزة والهمزة لا تثبت فى الدرج فلا يتصور نقل حركتها هو ما اشار اليه المصنف بقوله ليدل على انها فى حكم الثابت وذلك لان سكون الميم لما كان على الوقف لم يكن الحال حال الدرج لان الوقف ينتهى به الكلام ويكون ما بعده ابتداء كلام فلما لم تتصل الميم بلفظ الجلالة لم يكن سقوط همزة الجلالة للدرج وانما حذفت للتخفيف فكانت الهمزة فى حكم الثابت نقلت فتحتها الى الميم كما نقلت حركة الهمزة الى الدال قبلها فى قولك واحد اثنان لتدل عليها * فان قيل تعديد هذه الالفاظ لا يخلو من ان يكون على سبيل الدرج والوصل او على سبيل الوقف والقطع فاما على سبيل الدرج والوصل فلا اثبات للهمزة ولا نقل لحركتها واما على سبيل الوقف وقطع البعض عن البعض فحينئذ تكون الميم موقوفا عليها وتكون هذه الجلالة واقعة فى الابتداء فلا وجه لتخفيفها ونقل حركتها الى ما قبلها لان شرط تخفيف الهمزة ان لا تكون مبتدأ بها * والجواب ان تعديدها على سبيل الوقف والقطع معنى وحقيقة ولذلك اغتفر التقاء الساكنين فيها وثبتت الهمزة فى واحد اثنان وصارت التاء هاء فى ثلاثه اربعه خمسه وعلى سبيل الدرج والوصل لفظا وصورة لعدم السكت لانه انما يكون استراحة بعد التعب ولا تعب ههنا ولهذا ادغمت الميم التى هى آخر لام فى الميم التى هى اول ميم وجاز نقل حركة الهمزة الى ما قبلها للتخفيف سواء كان للوصل كما فى واحد اثنان او للقطع كما فى ثلاثه اربعه على ما حكى سيبويه وهو ثقة ﴿قوله لالتقاء الساكنين﴾ ولا شك ان لزوم التقاء الساكنين مبنى على ان يكون سكون الميم للبناء فان سكونه لو كان للوقف لكان منقطعا عن لفظ الجلالة فلا يتلاقى ساكنان * فان قيل سلمنا ان لا تلاقى بين الميم وبين الجلالة لكن التلاقى بين الميم وبين الياء التى قبلها متحقق * والجواب انهما وان كانا ساكنين لكن مثل التقاء هذين الساكنين لا يوجب تحريك احدهما فان السابق منهما اذا كان حرفا من حروف المد واللين لم يجب التحريك لانه يسهل النطق بمثل هذين الساكنين كقولك هذا ابراهيم واسحق ويعقوب موقوفة الاواخر وانما يجب التحريك اذا لم يكن اسبقهما من حروف المد لانه يتعذر النطق بدون التحريك حينئذ فمن قال فتح الميم هربا من التقاء الساكنين اراد بالساكنين الميم ولام الجلالة واجتماع مثل هذين الساكنين غير مغتفر فى باب الوقف بل يجب تحريك احدهما كما حركت النون فى من الرجل سواء وقفت على كلمة من اولا وقول المصنف فانه غير محذور فى باب الوقف محل بحث ﴿قوله بالعدل﴾ على ان الباء سببية متعلقة بنزل اى نزله بسبب العدل فى العقائد والاخلاق والاعمال وما بعده على ان الباء متعلقة بمحذوف هو حال اما من الفاعل او المفعول وقوله مصدقا حال من الكتاب وانما قال نزل ثم قال وانزل التوراة لان التنزيل للتكثير والقرآن نزل نجوما شيأ بعد شئ والتوراة والانجيل نزلا دفعة واحدة واللام فى قوله لما بين يديه زائدة فى المفعول لتقوية العامل وهو مصدقا فانه لكونه اسم فاعل فرع فى العمل ونظيره قوله تعالى فعال لما يريد وانما قلنا ذلك لان هذه المادة متعدية بنفسها وجعل سائر الكتب الالهية لتقدمها عليه كأنها بين يديه يقال لكل ما تقدم عليك انه بين يديك تشبيها له بما هو بين يديك فى كونه امامك ﴿قوله واشتقاقهما الخ﴾ اشارة الى ان الناس اختلفوا فى هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف او لا يدخلهما لكونهما اسمين اعجميين عبرانيين لهذين الكتابين الشريفين والمصنف اختار الثانى ومن قال باشتقاقهما قال التوراة مشتقة من قولهم ورى الزند اذا قدح فظهر منه نار وورى الزند واوريته انا قال تعالى افرأيتم النار التى تورون فثلاثيه لازم ورباعيه متعدى قال الله تعالى فالموريات قدحا فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به المرء من الضلال الى الهدى كما يخرج من الظلام الى النور سمى هذا الكتاب بالتوراة ويؤيد هذا القول قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وهذا قول الفراء وجمهور الناس وقال وزنها تفعلة بكسر العين فابدلت الكسرة فتحة وهى لغة طائية يقولون فى الناصية ناصاة وفى جارية جاراة وفى ناجية ناجاة وقيل وزنها تفعلة بفتح العين وقيل فى الانجيل انه مشتق من النجل وهو الاصل يقال لعن الله ناجليه اى والديه سمى هذا الكتاب بهذا الاسم لانه الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل فى الانجيل انه مشتق من النجل مأخوذ من قول

لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل (الحى القيوم) روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم (نزل عليك الكتاب) القرآن نجوما (بالحق) بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (وانزل التوراة والانجيل) جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين (من قبل) من قبل تنزيل القرآن

العرب تجلت الشيء اذا استخرجته واظهرته ويقال للماء الذي يخرج من البئر نجل ومنه انجل الولد وسمي الانجيل به لانه مستخرج من اللوح المحفوظ فالنجل من الاضداد حيث يطلق على الولد والوالد والفرع والاصل وقيل انه من النجل الذي هو سعة العين يقال عين نجلاء لسعتها وطعنة نجلاء سمي الانجيل بذلك لان فيه توسعة ليست في التوراة اذ حللت فيه اشياء محرمة في التوراة ﴿قوله متعبدون﴾ بفتح الباء اي مكلفون مأمورون من تعبده اي استعبده واتخذه عبدا وبكسر الباء بمعنى عابدون ملتزمون من التعبد بمعنى التنسك ﴿قوله او الزبور﴾ لقوله وآتينا داود زبورا قيل في حمله على الزبور نظر لان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هي مواعظ فالاولى ان يحمل الفرقان على جميع الكتب السماوية على طريق ذكر العام بعد الخاص او على المعجزات المقررة لانزال هذه الكتب لانهم لما اتوا بهذه الكتب وادعوا انها نزلت عليهم من عند الله افتقروا الى اثبات هذه الدعوى بدليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم ودعوى الكاذبين فلما اظهر الله تلك المعجزات على وفق دعواهم حصلت المفارقة بين دعوى الصادق ودعوى الكاذب فالمعجزة هي الفرقان الظاهر الذي يدل على صدق الرسل في دعوى الرسالة وان ما اظهروه من الكتب منزل عليهم من عند الله ﴿قوله نقم بالفتح والكسر﴾ والفتح هو الافصح والانتقام العقوبة يقال انتقم منه انتقاما اي عاقبه ﴿قوله وهو وعيد﴾ يعني ان قوله ان الذين كفروا الآية وعيد جيء به بعد ما قرر التوحيد بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم وبعد ما اشار الى العمدة في اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا الآية تعظيما لامر النبوة والتوحيد * وسبب نزول هذه الآية من اولها الى آية الملاعنة وهي نيف وثمانون آية انها نزلت في وفد نجران روي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلاثة من اكابر القوم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم يقال له العاقب واسمه المسيح والثاني مشيرهم ووزيرهم كانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وملوك الروم كانوا شرفوه ومولوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا المدينة ودخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم اولئك الثلاثة العاقب والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة ثالث ثلاثة ويحتجون على قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون على قولهم انه ابن الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على قولهم ثالث ثلاثة بقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام * كذبتم يمنعكم من الاسلام دعواكم لله ولدا وعبادتكم الصليب واكلكم الخنزير * وقال * ألستم تعلمون ان الولد يشبه اباه وانتم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء وانتم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيأ من ذلك وألستم تعلمون انه تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيء من ما في العالم غير ما علمه الله تعالى اياه * فاعترفوا بجميع ذلك وقال عليه الصلاة والسلام * فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك * قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام * ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث فكيف هو كما زعمتم * فسكتوا وابوا الا الجحود ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه فقال * بلى * فقالوا حسبنا فانزل الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ثم ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم ان ردوا عليه فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملاعنة فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فانصرفوا ثم قال بعض اولئك لبعض ما ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا نبي مرسل ولقد جاء بفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم انه ما لاعن قط قوم نبيا الا وفني كبيرهم وصغيرهم وانه يحل الاستئصال بكم ان فعلتم وان انتم ابيتم الا دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع نحن على ديننا فابعث رجلا من اصحابك معنا يحكم بيننا في اشياء قد اختلفنا فيها من اموالنا فانك عندنا رضي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح فقال له عليه الصلاة والسلام * اخرج معهم واقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه فلما وصف الله تعالى

(هدى للناس) على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما (وانزل الفرقان) يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات (ان الذين كفروا بايات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (لهم عذاب شديد) بسبب كفرهم (والله عزيز) غالب لا يمنع من التعذيب (ذو انتقام) لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه

(نفسه)

تفسيره بانه الحي القيوم رد قول النصارى ان المسيح اله و ابن اله لان الحي القيوم هو الواجب الوجود لذاته القائم بالحفظ و الترزيق و التربية لجميع ما سواه لانه ولد من الام و كان يأكل و يشرب و يحدث و النصارى زعموا انه قتل و لم يقدر على دفع القتل عن نفسه و لما ثبت ان الاله يكون حيا قيوما و ثبت ان عيسى ما كان حيا قيوما ثبت قطعا انه ليس باله و لا ابن اله و ان النصارى لما ادعوا الوهية عيسى بامور احدها العلم فانه كان يخبر عن الغيوب و يقول لاحدهم انك اكلت في دارك كذا و يقول لآخر انك صنعت في دارك كذا و ثانيها القدرة و هي ان عيسى كان يحيي الموتى و يبرئ الاكمه و الابرص و نحو ذلك و ثالثها من جهة الالزام المعنوي و هو انه ليس له اب من البشر و رابعها من جهة الالزام اللفظي و هو قولهم لنا انتم تقولون انه روح الله و كلمته فالله تعالى استدل على بطلان قولهم بالوهية عيسى و بالتثليث بقوله الحي القيوم فان الاله لما وجب ان يكون حيا قيوما و عيسى لم يكن كذلك وجب القطع بانه لم يكن الها و اجاب عن شبهتهم بعلم الغيوب بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض و لا في السماء و كون عيسى عالما ببعض المغيبات يدل قطعا على انه ليس باله فان الاله هو الخالق لجميع الممكنات فلا بد ان يكون عالما بتفاصيل مخلوقاته و من المعلوم بالضرورة ان عيسى ليس بهذه المنزلة كيف و النصارى يقولون انه قتل فلو كان يعلم الغيب لعلم ان القوم يريدون قتله فكان يفر منهم قبل وصولهم اليه و اما تعللهم بقدرته على احياء الموتى فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء و تقريره ان ما حصل لعيسى من احياء بعض الاموات لا يدل على كونه الها لاحتمال ان الله تعالى اكرمه بذلك اظهارا لمعجزته و عجزه عن احياء باقي الاموات يوجب قطعا عدم الالهية عليه الصلاة و السلام لان الاله هو القادر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب و اما الشبهة الثالثة و هي الالزام المعنوي بانه لم يكن له اب من البشر فاجاب الله تعالى عن ذلك ايضا بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء فان شاء صوره من نطفة الاب و ان شاء صوره ابتداء من غير اب كما خلق آدم من غير اب و لا ام و اما قولهم انتم تقولون انه روح الله و كلمته فهذا الزام لفظي و اللفظي يحتمل الحقيقة و المجاز فاذا ورد لفظ يكون ظاهره مخالفا للدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده بالتأويل الى ما يطابق مقتضى الدليل و ذلك هو المراد بقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب و اخر متشابهات فظهر بما ذكرنا ان قوله الحي القيوم يدل على ان المسيح ليس باله و لا ابن اله و قوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض و لا في السماء جواب عن تعللهم بالعلم و قوله هو الذي يصوركم في الارحام جواب عن تمسكهم بانه ما كان له اب من البشر و قوله هو الذي انزل عليك الكتاب جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن من ان عيسى روح الله و كلمته ﴿ قوله و هو كالدليل على كونه حيا ﴾ لانه كناية عن كونه تعالى مكونا لكل ما في العالم من الممكنات و ذلك يستلزم تفرده بالوجوب الذاتي الذي هو معنى الحياة في حقه تعالى ﴿ قوله كالدليل على القيومية و الاستدلال على انه الخ ﴾ اما الاول فلانه كناية عن كونه قادرا على جميع الممكنات و هو يستلزم كونه قادرا على تحصيل مصالح الخلق و منافعهم فيكون قائما بالقسط قيوما لجميع الكائنات و اما كونه كالدليل العقلي على كمال علمه فظاهر لان اتقان الصنع لا يتصور الا من الفاعل الذي لا يخفى عليه شيء و من كان علمه و قدرته بهذه الغاية يكون قيوما بجميع الممكنات ﴿ قوله اي صوركم لنفسه ﴾ فان تفعل قد يأتي بمعنى فعل كقولهم تأثلت مالا لنفسي بمعنى اثلته اي جمعته اثلة اي اصلا للاستغناء و اشار اولا الى ان قوله تعالى يصوركم من صوره فتصور اي صار ذا صورة و ان كيف يشاء متضمن لمعنى الشرط و قد ذكروا انها جزاء حيث قالوا كيف يصنع اصنع و كيف تكون اكون الا انه لا يجزم بها و جوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه و كذلك مفعول يشاء لما تقدم من انه لا يذكر الا لغرابة و التقدير كيف يشاء تصويركم يصوركم فحذف تصويركم لانه مفعول يشاء و يصوركم لدلالة يصور الاول عليه ثم ذكر ان تصوره بمعنى صوره لنفسه فكأنه من تصورت الشيء بمعنى توهمت صورته فتصور لي ﴿ قوله بان حفظت من الاجمال و الاحتمال ﴾ يلوح من هذا الكلام ان المحكم ما كان له معنى و لا يكون له احتمال معنى آخر و المتشابه ما يكون له معنى و يكون له احتمال معنى آخر فاللفظ المفيد للمعنى ان لم يحتمل معنى آخر فهو المحكم و ان احتمل فهو المتشابه و اتضاح المعنى يراد به ان يظهر عند العقل ان معناه هذا لا غيره و ذلك نهاية جهة ظهور الكلام و المذكور في اصول الحنفية ان اللفظ لا يخلو من ان يكون ظاهر المراد او لا و الاول اما ان يكون مسوقا او لا الثاني هو الظاهر و الاول اما ان يحتمل التخصيص و التأويل او لا الاول هو النص و الثاني اما ان يحتمل النسخ او لا الاول هو المفسر و الثاني هو المحكم و اللفظ الذي لا يكون ظاهر المراد لا يخلو من ان يكون عدم الظهور لنفس

(ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض و لا في السماء) اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء و الارض اذ الحس لا يتجاوزهما و انما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى و لان المقصود بالذكر ما اقترف فيها و هو كالدليل على كونه حيا و قوله (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء) اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية و الاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين و تصويره و قرئ تصوركم اي صوركم لنفسه و عبادته (لا اله الا هو) اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه و لا يقدر على مثل ما يفعله (العزيز الحكيم) اشارة الى كمال قدرته و تناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم نزلت السورة من اولها الى نيف و ثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم و اجاب عن شبههم (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات) احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال و الاحتمال (هن ام الكتاب) اصله يرد اليها غيرها و القياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة

الصيغة او لغيرها الثاني هو الخفي والاول ان امكن دركه بالتأمل فهو المشكل والا فان كان البيان مرجوا فهو المجمل والا فهو المتشابه فهو في غاية الخفاء كما ان المحكم في غاية الظهور فلكل واحد مما يكون ظاهر المراد وما لا يكون ظاهر المراد اربعة اقسام اقسام الاول الظاهر والنص والمفسر والمحكم واقسام الثاني الخفي والمشكل والمجمل والمتشابه هذا ما اصطلح عليه الحنفية فقوله تعالى لا تدركه الابصار محكم على الاصطلاحين في ان معناه لا يدركه شئ من الابصار وقوله تعالى الى ربها ناظرة متشابه بتفسير المصنف اذ يحتمل ان يكون المعنى انها ناظرة الى ذات ربها وانها منتظرة لثوابه ونعمه او نحو ذلك فيرد هذا القول الى قوله الاول ويحمل على غير معنى النظر اليه وكذا قوله لا يأمر بالفحشاء محكم في انه تعالى لا يأمر بالقبيح وقوله امرنا مترفيها ففسقوا فيها متشابه اذ معناه امرناهم بالفسق او بالطاعة فيرد الى الاول ويحمل على انا امرناهم بالطاعة ويحتمل ان يكون التقدير امرناهم بالفسق ويحمل الامر على حقيقته ويحتمل ان يكون مجازا عن التمكين فتكون الآية من قبيل المتشابه على هذا الاحتمال ايضا لاشتباه ان المعنى امرناهم بالفسق حقيقة او بمعنى مكناهم ﴿قوله ليظهر فيها فضل العلماء﴾ قال الامام طعن بعض الملاحدة في القرآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى يوم القيامة ثم انه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب ويستدل على مذهبه فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا والقدري يقول بل هذا مذهب الكفار بدليل انه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف وايضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنافي يتمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يتمسك بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى والنافي يتمسك بقوله ليس كمثله شئ ثم ان كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة وانما يرجع في ترجيح بعضها على بعض الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه الى يوم القيامة هكذا أليس انه لو جعله جليا ظاهرا خاليا عن هذه المتشابهات كان اقرب الى حصول الغرض فذكر العلماء لحكمة كون بعض القرآن محكما وبعضه متشابها وجوها الاول متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب زيادة الثواب الثاني ان القرآن لو كان كله محكما لم يفتقر الانسان الى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ يكون باقيا في الجهل والتقليد والثالث ان القرآن اذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر المكلف الى تعلم طرق التأويل وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تحصيل ذلك الى علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم اصول الفقه ولو لم يكن الامر كذلك لما كان الانسان يحتاج الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة المتضمنة لمعارف الكثيرة والرابع وهو السبب الاقوى في هذا الباب أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام باسرهم وطباع العوام تنبو في اكثر الامر عن ادراك الحقائق فمن سمع من العوام في اول الامر اثبات موجود وليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه يظن ان هذا عدم ونفي ويقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالمخاطبة في اول الامر بما هو من باب المتشابهات وثانيا بما هو من باب المحكمات وهو انما يكون في مخاطبة من انكشف لهم عن حقائق الامور واستنارت بصائرهم بالاشارة بأنوار اليقين ﴿قوله فينالوا بها﴾ اي بالعلوم المتحصلة او بتحصيلها وتأنيث ضمير التحصيل لاكتسابه التأنيث من المضاف اليه وعلى هذا التقدير يلزم تفكيك الضمائر ويحتمل ان يرجع الى المتشابهات ويكون قوله وباتعاب القرائح في استخراج معانيها عطف تفسير لئلا تتشتت الضمائر وقوله معالي الدرجات مفعول فينالوا ﴿قوله واما قوله الر كتاب احكمت آياته﴾ جواب لما يقال كيف يصح قوله منه آيات محكمات واخر متشابهات مع انه تعالى وصف القرآن كله بانه محكم احكمت آياته حيث قال احكمت آياته وقال تلك آيات الكتاب الحكيم ووصفه ايضا بانه متشابه حيث قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها وآيات في قوله تعالى منه آيات محكمات مبتدأ ومنه خبر مقدم عليه وقوله محكمات صفته وقوله واخر معطوف على آيات اي وآيات اخر ومتشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة اخر صفة لمحذوف تقديره وآيات اخر متشابهات * فان قيل واحدة متشابهات متشابهة وواحدة اخر اخرى وواحدة اخر لا يصح ان توصف بواحدة متشابهات فلا يقال اخرى متشابهة الا ان يكون بعض الواحدة يشبه بعضا وليس المعنى على ذلك وانما المعنى ان كل آية تشبه آية اخرى فكيف يصح وصف هذا الجمع بهذا الجمع ولم يصح وصف مفرده بمفرده اجيب

﴿واخر متشابهات﴾ محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ

بان توصيف الجمع بمتشابهات لايستلزم صحة توصيف المفرد بمتشابه لان التشابه لايكون الا بين اثنين فصاعدا
والاشياء المتعددة يجوز ان يشابه كل واحد منها الآخر فتوصف بانها متشابهة بخلاف الشئ الواحد
فانه لاتعدد فيه فكيف يصح ان يوصف بالتشابه ويقال انه متشابه ونظيره قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان
وان لم يجز ان يقال للواحد انه يقتتل ﴿**قوله** واخر جمع اخرى﴾ واخرى مؤنث آخر وهو افعل التفضيل تقول
آخر آخران آخرون وأواخر أخرى أخريان أخريات وأخر نحو الافضل الافضلان الافضلون والافاضل والفضلى
الفضليان الفضليات والفضل ومعنى آخر في الاصل اشد تأخرا فقولك جاءني زيد ورجل آخر معناه في الاصل
ورجل اشد تأخرا من زيد في معنى من المعاني ثم نقل الى معنى غير فمعنى رجل آخر رجل غير زيد وهذا معنى مايقال
من ان آخر كان في الاصل موضوعا للاختلاف في الصفة فنقل الى الاختلاف في الذات فلا يستعمل اخريات
واواخر في اصل معناهما الا مع اللام او الاضافة كما هو حق اسم التفضيل نحو جاء فلان في اخريات الناس
واواخر الناس اي في الجماعات المتأخرة ولما خرج آخر وسائر تصاريفه عن معنى التفضيل استعملت بدون لوازم
افعل التفضيل وهي من والاضافة او اللام وأخر اسم معدول اي مصروف عن اصله لانه خرج عن معنى
التفضيل وعن ان يستعمل على وجه استعمال افعل التفضيل فلابد له من اصل معدول عنه وهو اما افعل
من او الافعل المعرّف باللام فذهب بعض النحاة الى انه معدول عن آخر من وذهب آخرون الى انه معدول عن ذي اللام
استدلالا بمطابقته لموصوفه تقول رجل آخر ورجلان آخران ورجال آخرون وامرأة اخرى وامرأتان
اخريان ونسوة أخريات وأخر وافعل من لايطابق صاحبه بل يلزم في الاحوال صفة المفرد المذكر نحو زيد
او الزيدان او الزيدون او هند او الهندان او الهندات افضل من كذا وذكر المصنف اولا مذهب من يقول انه
معدول عن ذي اللام واجاب عما يقال كيف يكون معدولا عن المعرفة اذ مقتضى القياس ان يكون معرفة
لكونه معدولا عن المعرفة باللام من حيث انه روعي مطابقته لموصوفه وهي من خواص افعل المعرّف باللام لان
افعل من لايطابقه الا ان يعرف الا انه في معنى المعرّف ﴿**قوله** عدول عن الحق﴾ فالزيغ اخص من مطلق
الميل من حيث انه ميل من حق الى باطل وارتفاع زيغ يجوز ان يكون على انه فاعل الجار قبله لاعتماده على الموصول
حيث وقع صلة له ويجوز ان يكون على انه مبتدأ خبره الجار قبله ومنه حال من فاعل تشابه اي تشابه حال
كونه بعضه وابتغاء مصدر مضاف الى مفعوله منصوب على انه مفعول له لفعل الاتباع والتأويل تفعيل من آل
يؤول اولا اي عاد ورجع وفرق الناس بين التأويل والتفسير في الاصطلاح بان التفسير كشف معنى الآية وشأنها
وقصتها والسبب الذي نزلت فيه مما لايعلم الا بالتوقيف فتعلقها بالسماع من الثقات والرواية عنهم والتأويل صرف
الآية عن ظاهر معناها الى مايحتمله النظم اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة ولايجوز الا لمن حصلت
له صفات اهل العلم وادوات يقتدر بها على ان يتكلم فيه من اصول اهل اللغة والاعراب وطريق استعمال
الالفاظ في معانيها حقيقة ومجازا وصراحة وكناية بعد ان نوّر الله تعالى بصيرته بحيث يستعد لان يقف على
اسرار القرآن واستنباط المعاني المكنونة تحت كلماته المتعلقة بالدراية قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله
عنهما «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وقال عليه الصلاة والسلام «من فسر القرآن برأيه فقد كفر» وفي رواية
«من فسر القرآن برأيه واصاب فقد اخطأ» وقد يسمى التفسير تأويلا قال تعالى سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا
وقال واحسن تأويلا وذلك لانه اخبار عما يرجع اليه اللفظ من المعنى والمراد منه ههنا انهم يطلبون التأويل
الذي ليس في كتاب الله تعالى دليل عليه مثل طلبهم ان الساعة متى تقوم وان مقدار الثواب والعقاب لكل
مطيع وعاص كم يكون وفسر صاحب الكشاف قوله تعالى ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بقوله طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم ويضلوهم وطلب ان يؤولوه التأويل الذي يشتهونه فسر الفتنة بالضلال عن الدين اذ لا فتنة
ولاضلال اعظم من الفتنة في الدين وذلك يقتضي فساده وقال الاصم في تفسير الفتنة انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات
في الدين صار بعضهم مخالفا لبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج وذلك هو الفتنة وتقييد الفتنة
بالفتنة في الدين والتأويل بالتأويل على مايشتهون مستفاد من المقام ﴿**قوله** ومن وقف على الا الله﴾
اختلف الناس فيه فقال قوم الواو في قوله والراسخون في العلم عاطفة على الجلالة فعلى هذا لايعلم المتشابه الا الله
ويجوز ان يكون لبعض الناس تأويل شئ من القرآن سوى مااستأثر الله بعلمه ويكون قوله يقولون آمنا به حالا

وأخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولايلزم منه تعرّفه لان معناه ان القياس ان يعرّف الا انه في معنى المعرّف او عن آخر من (فاما الذين في قلوبهم زيغ) عدول عن الحق كالمبتدعة (فيتبعون ماتشابه منه) فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل (ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه (وابتغاء تأويله) وطلب ان يؤولوه على مايشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل (ومايعلم تأويله) الذي يجب ان يحمل عليه (الا الله والراسخون في العلم) اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه

من الراسخون اي يعلمون التأويل حال كونهم قائلين ذلك واما استئنافا كما اشار اليه المصنف وذهب الاكثرون الى ان الواو في قوله والراسخون واو الابتداء والاستئناف فيكون مبتدأ والجملة بعده خبره فعلى هذا لم يطلع عليه احد من خلقه كما استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونحوه روى عن عمر بن عبد العزيز في هذه الآية انه قال انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا به كل من عند ربنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تفسير القرآن على اوجه تفسير لا يسع احدا جهله وتفسير تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه الفقهاء وتفسير لا يعلمه الا الله وسئل مالك ابن انس رضي الله عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ويؤيد هذا القول وجوه احدها انه تعالى ذم طلب المتشابه بقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وثانيها انه مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من عرف شيأ على سبيل التفصيل لابد ان يؤمن به وثالثها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علمنا ان مراد الله تعالى بعض من معانيه المجازية ومعلوم ان المعاني المجازية كثيرة وترجيح بعضها على بعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية لا بالقطع فكيف يحكم في تأويل القرآن بالدلائل الظنية

قوله بما استأثر الله تعالى بعلمه وتكون الحكمة في انزاله ابتلاء الراسخين بحملهم على التوقيف وكبح عنان التصرف * وان اريد به ما لا يتضح المراد منه بحيث يتناول المجمل والمؤول فالحق العطف

قوله مدح للراسخين حيث قال اولوا الالباب واللب العقل والجمع الباب وخالص كل شئ لبه وجودة الذهن مستفادة من التعبير عن العقل باللب الذي هو الخالص

قوله واتصال الآية بما قبلها اي اتصال قوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب الآية بما قبلها وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقدم انه كالدليل على القيومية وكالاستدلال على انه لا يخفى عليه شئ ووجه كونه كالدليل على القيومية ان القائم بمصالح الخلق لابد ان تكون مصالحهم الجسمانية والروحانية بيده وقد بين الله استيلاءه على اشرف مصالحهم الجسمانية وهو تعديل بنيتهم على احسن الاشكال والهيئات بقوله هو الذي يصوركم في الارحام وبين بهذه الآية قيوميته باشرف مصالحهم الروحانية وهي تصوير الروح بالصور العلمية وتربيته بها

قوله او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وتقرير كونه جوابا عنه ان ظاهره لما كان مخالفا للدليل العقلي كان من قبيل المتشابهات فوجب تأويله برده الى ام الكتاب

قوله من مقال الراسخين واعترض قوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب بين مقالتهم مدحا لهم اي ويقول الراسخون ربنا لا تمل قلوبنا عن الهدى والعدل كما ازغت قلوب الزائغين وحذف يقولون لدلالة الاول عليه فلما آمن الراسخون بكل ما انزل الله تعالى من المحكمات والمتشابهات تضرعوا اليه تعالى في ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الباطل بعد ان جعلها مائلة الى الحق فان القلب صالح لان يميل الى كل واحد من الايمان والكفر ولا يميل الى شئ منهما الا عند حدوث داعية احدثها الله تعالى فان كانت تلك الداعية داعية الكفر فهي الخذلان والازاغة والختم والطبع والرين والقسوة والوقر والكنان واحد الاكنة ونحو ذلك من الالفاظ الواردة في القرآن وان كانت تلك الداعية داعية الايمان فهي التوفيق والارشاد والهداية والتسديد والتثبيت والعصمة ونحو ذلك من الالفاظ الواردة في القرآن وكان عليه الصلاة والسلام يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن * والمراد من هذين الاصبعين داعية الخير والشر شبههما بالاصبعين تشبيها لهما باصبعي الانسان في كونهما وسيلتين وواسطتين في امر التقليب

قوله وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا كل واحد من الزيغ والهداية مخلوق لله تعالى عند اهل السنة والمعتزلة لما ابوا عن اسناد زيغ القلب وضلاله الى الله تعالى لكونه فعلا قبيحا فسروا الازاغة بالابتلاء والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ فانهم لما ذهبوا الى ان كل ما هو اصلح في قدرة الله تعالى ان يفعله في حقهم لطفا وجب عليه ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الالهية فلما امتنع ان يسند اليه ازاغة القلوب عندهم لم يبق فائدة في دعاء الامتناع عنها

قوله واذ في موضع الجر لانها خرجت عن الظرف

بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ (كل من عند ربنا) اي كل من المتشابه والمحكم من عنده (وما يذكر الا اولوا الالباب) مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور (ربنا لا تزغ قلوبنا) من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرفية واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان

(وهب لنا من لدنك رحمة) تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب (انك انت الوهاب) لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شيء (ربنا انك جامع الناس ليوم) لحساب يوم او جزائه (لا ريب فيه) في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل (ان الله لا يخلف الميعاد) فان الالهية تنافيه والاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا (ان الذين كفروا) عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب (لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ) اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه (واولئك هم وقود النار) حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها (كدأب آل فرعون) متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن (والذين من قبلهم) عطف على آل فرعون وقيل استئناف (كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم) حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم (والله شديد العقاب) تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم) اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه (وبئس المهاد) تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم (قد كان لكم آية)

بالاضافة اليها لما كان تطهير القلوب عما لا ينبغي مقدما على تنورها بما ينبغي سأل الراسخون في العلم ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم اتبعوا ذلك بان طلبوا من ربهم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويجعل جوارحهم واعضاءهم مزينة بزينة الطاعة وانما قالوا رحمة ليكون ذلك شاملا لجميع انواع الفضل والاحسان ولما ثبت بالبرهان القاطع ان لا رحيم الا هو اكد ذلك بقوله من لدنك تنبيها للعاقل على ان المقصود لا يحصل الا منه ﴿قوله انت الوهاب﴾ بمنزلة قول العبد الهي هذا الذي طلبته منك عظيم بالنسبة الى حقير بالنسبة الى كمال كرمك وغاية جودك ورحمتك فانك انت الوهاب * واللام في قوله ليوم لام العلة اي لاجل حساب يوم ولا ريب صفة ليوم وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يجوز ان يكون من تمام حكاية قول الراسخين فيكون التفاتا من خطابهم الباري تعالى بضمير الخطاب الى الاتيان بالاسم الظاهر دالا على تعظيمه بالاسم الجامع فان المقام لما كان مقام الاعتراف بان الالهية تقتضي الحشر والنشر لينتقم للمظلومين من الظالمين كان المقام مقام الهيبة والعظمة والجلال فاقتضى ذلك ان يذكر تعالى باجل اسمائه بخلاف قوله في آخر السورة انك لا تخلف الميعاد فان ذلك المقام مقام طلب العبد من ربه ان ينعم عليه من فضله وان يتجاوز عن سيئاته فكان المقام مقام التعطف والالتجاء لا مقام الهيبة والجلال فلذلك قال هنالك انك لا تخلف الميعاد وهو مصدر بمعنى الوعد وياؤه منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها كميقات ﴿قوله واستدل به الوعيدية﴾ احتج الجبائي بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق قال لان الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى فقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقد اخبر في هذه الآية بانه لا يخلف الميعاد والجواب لا نسلم انه تعالى توعد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط عندنا بشرط عدم العفو بدليل منفصل ﴿قوله عام في الكفرة﴾ لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ وقيل المراد به وفد نجران لانه تعالى ذكر في قصتهم ان حبرهم واسقفهم ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه كرز بن علقمة حين عثرت بغلة ابي حارثة فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال ولم يا اخي فقال والله انه النبي الذي ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك ان تؤمن به وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاخذوا منا كل هذه الاشياء فبين تعالى ان اموالهم لا تدفع عنهم عذاب الله وقال ابن عباس يعني بالذين كفروا يهود قريظة والنضير ومن في قوله من الله بمعنى بدل ولا بد من حذف مضاف اي بدل رحمته او طاعته ومعنى اغنى عنه اجزأ عنه وكفاه وشيأ نصب على المصدر فان الاموال والاولاد لا تغني شيأ من الاشياء بدل رحمة الله تعالى وطاعته ﴿قوله وقرئ بالضم﴾ وهو مصدر بمعنى الايقاد اول مراتب العذاب حصول اليأس والحرمان من الانتفاع بما يرجو نفعه كالاموال والاولاد فان المرء يفزع اليهما في دفع النوائب فاذا تعذر عليه الانتفاع بهما في ذلك اليوم فاعدهما بالتعذر اول ونهاية مراتب العذاب ان يجمع عليه الاسباب المؤلمة بعد حرمانه من الانتفاع بما يرجو نفعه وهو المراد بقوله اولئك هم وقود النار فانه لا عذاب اعظم من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ﴿قوله متصل بما قبله﴾ يريد ان كدأب آل فرعون في محل النصب بعامل مقدر مدلول عليه بقوله وقود النار ﴿قوله حال باضمار قد﴾ يعني اذا كان قوله والذين من قبلهم مجرور المحل بالعطف على آل فرعون تكون الجملة المنصوبة حالا من المشبه بهم او استئنافا واقعا في جواب من قال ما حال آل فرعون ومن قبلهم فيما فعلوا او فعل بهم حتى يشبه هؤلاء الكفرة بحالهم وكونها استئنافا لبيان حالهم انما هو على تقدير كونه خبر مبتدأ محذوف واما على تقدير كون الكاف فيه منصوب المحل تكون هذه الجملة استئنافا لبيان السبب ﴿قوله على ان الامر بان يحكي﴾ قوله بان يحكي خبر ان اي على تقدير القراءة بالياء فيهما يكون المأمور به ان يحكي عليه السلام ما اخبره الله به من وعيدهم بلفظه كانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام اذا لقيتهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون وعلى تقدير القراءة بالتاء يكون المأمور به ان يخبرهم بما سيجري من كونهم مغلوبين ومحشورين الى جهنم فيكون عليه السلام مأمورا بان يخبرهم بمعنى انهم سيغلبون ويحشرون ﴿قوله تعالى قد كان لكم آية﴾ جواب قسم محذوف وآية اسم كان ولم يؤنث الفعل لان تأنيث الآية غير حقيقي او لوجود الفصل بلكم فان الفاصل يقوم مقام علامة التأنيث ولكم خبر كان قدم على اسمه وقوله في فئتين في محل الرفع نعتا لآية ولا وجه لكون فئتين خبر كان لان حكم اسم كان حكم المبتدأ فلا يجوز ان يكون اسما لها الا ما جاز الابتداء به وههنا لو جعلت آية مبتدأ وما بعدها خبرا لم يجز اذ لا مسوغ للابتداء بهذه

النكرة بخلاف ما اذا جعلت لكم الخبر فانه جائز لوجود المسوغ وهو تقديم الخبر المجرور بحرف الجر ﴿قوله الخطاب لقريش او لليهود﴾ لف على ترتيب قوله اولا لمشركى مكة او اليهود لما او عد احد الفريقين بانهم سيغلبون ويحشرون الى جهنم اتبع ذلك بذكر ما يكون آية لصحة ذلك والفئة الجماعة وكانت الفئة التى تقاتل فى سبيل الله وطاعته ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعين رجلا من المهاجرين ومائتين وستة وثلاثين من الانصار وصاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا بين كل اربعة منهم بعير وفرس للمقداد بن عمرو وفرس لزيد بن ابى مرثد واكثرهم رجالة وكانت الفئة الكافرة الذين هم مشركوا مكة مائة وخمسين رجلا من المقاتلة وفيهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم كانوا دارعين وهم مائة نفر وكان فى الرجال دروع سوى ذلك وكان حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر العلماء فى كون هذه الوقعة آية وجوها احدها ان المسلمين قد كان اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها قلة السلاح والخيل اذ كان معهم من الدروع ست ومن السيوف ثمانية ومنها ان ذلك كان اول غزواتهم وقد حصل للمشركين اضداد هذه المعانى من كثرة العدد وانهم قد خرجوا متأهبين للمحاربة وانهم كانوا معتادين بالحروب فى الازمنة الماضية ولا شك ان غلبة هؤلاء الضعفاء عليهم امر خارج عن العادة فيكون آية عظيمة ومعجزة باهرة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام كان اخبر قومه بان الله ينصره على قريش بقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم يعنى جمع قريش وكان عليه السلام قد اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فلما وجد مخبر خبره فى المستقبل على وفق خبره كان ذلك اخبارا عن الغيب فكان ذلك معجزا وثالثها قوله تعالى يرونهم مثليهم رأى العين والاصح فى تفسير هذه الآية ان الرائين هم المشركون والمرئيين هم المؤمنون والمعنى ان المشركين كانوا يرون المؤمنين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين او مثلى عدد المؤمنين ستمائة وبضعا وعشرين وذلك معجز ووجه رؤية المشركين وظنهم اياهم كثيرا ان من اشتد خوفه قد يظن فى الجمع القليل انهم فى غاية الكثرة وقيل فى وجهه ان الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين بهم كثيرا وفيه ان الكلام مقتصر على الفئتين ولم يدخل فيه قصة الملائكة ورابعها ما قال الحسن ان الله تعالى امد رسوله فى تلك الغزوة بخمسة آلاف من الملائكة لقوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى ممدكم بألف من الملائكة وقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكانت سيماهم انه كان على اذناب خيولهم ونواصيها صوف ابيض وهو المراد من قوله والله يؤيد بنصره من يشاء ﴿قوله وذلك﴾ اى ورؤية المشركين اياهم اضعاف ما كانوا عليه لهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا للمسلمين من الله تعالى كامدهم بالملائكة وهو جواب عما يقال من ان معنى ويرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين او مثلى عدد المسلمين مناقض لقوله تعالى فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم ﴿قوله ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء﴾ هذا على تقدير ان يكون الخطاب فى قوله قد كان لكم آية فى فئتين لليهود فانه حينئذ يكون خطاب ترونهم ايضا لليهود والمعنى ترون يا معشر اليهود اهل مكة مثلى عدد المسلمين والنصرة مع ذلك للمؤمنين وكان ذلك معجزة وآية فلما كان المشركون هم المرئيون مثلى عدد المسلمين على تقدير ان يكون فاعل ترونهم اليهود قال محيى السنة وذلك ان جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدائرة فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين فكذا الحال على تقدير ان يكون الفاعل المؤمنين * قال الامام فمن قرأ بالتاء فلان ما قبله خطاب لليهود والمعنى ترون ايها اليهود المسلمين مثلى ما كان عليه الفئة المسلمة او مثلى الفئة الكافرة او تكون الآية خطابا مع مشركى قريش والمعنى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة ومن قرأ بالياء فبعد الخطاب وهو قوله فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم جعله اخبارا عن احدى الطائفتين ﴿قوله رؤية ظاهرة معاينة﴾ اشارة الى ان رأى العين منصوب على انه مفعول مطلق لقوله يرونهم يقال رأيت رأيا ورؤية ورأيته فى المنام رؤيا حسنة فالرؤيا تختص بالمنام وفسره صاحب الكشاف بقوله رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات ﴿قوله لعظة﴾ يتعظ به ذووا البصائر ويعلمون ان النصر والظفر انما يحصلان بتأييد الله تعالى ونصره لا بكثرة العدد والشوكة والسلاح والمعتبر هو الذى يعبر من منزلة الجهل الى أوج العلم فان اصل العبرة من العبور وهو النفوذ من احد الجانبين الى الآخر او من العبارة وهى الكلام الذى يعبر به المعنى الى المخاطب وقوله وكون الوقعة آية ايضا اى كما انها عبرة يحتمل الامرين اى يحتمل ان يكون كونها

الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين (فى فئتين التقتا) يوم بدر (فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم) يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا من ألف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله ان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا (رأى العين) رؤية ظاهرة معاينة (والله يؤيد بنصره من يشاء) نصره كما أيد اهل بدر (ان فى ذلك) اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم (لعبرة لاولى الابصار) اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم

آية لما فيها من التقليل و التكثير او من غلبة الضعفاء على الاقوياء فعلى هذا التقدير تكون كلمة في في الموضعين للظرفية واما قوله وكون الوقعة آية ايضا يشعر كونها للتجريد فيها كما في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد فان الجنة نفسها دار الخلد لان فيها دار الخلد للداخلين فلاجرم جعلت كلمة في على التجريد فكذا الحال اذا كان نفس الوقعة آية وعبرة تكون في للتجريد ايضا ﴿قوله المشتهيات﴾ يعني ان الشهوات جمع شهوة بسكون العين فحركت في الجمع والشهوة مصدر معناه ميل النفس و توقانها الى الشئ يقال اشتهى يشتهي شهوة والمراد ههنا بالشهوات المشتهيات اذ لو اريد بها المعنى المصدري لما جمع ويدل عليه ايضا بيانها بالمشتهيات حيث قيل من النساء والبنين الآية وسميت شهوات للمبالغة في نزوع النفس اليها بحيث كأنها صارت عين النزوع و الميلان كما يقال رجل عدل للمبالغة في عدالته ايماء الى كمال محبتهم اياها فان الانسان قد يحب شيأ لكنه يحب ان لا يحبه كمسلم يميل طبعه الى بعض المحرمات لكنه يحب ان لا يحبه واما من احب شيأ واحب ان يحبه فذلك كمال المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه الصلاة والسلام اني احببت حب الخير عن ذكر ربي ومعناه احب الخير واحب ان اكون محبا للخير قرأ العامة زين على بناء المفعول فالفاعل المحذوف هو الله تعالى عند اهل السنة بناء على ان الخالق لجميع الافعال والدواعي هو الله تعالى وايضا لو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر و البدعة للشيطان فان كان ذلك شيطانا آخر لزم التسلسل وان وقع ذلك من نفس ذلك الشيطان فليكن في الانسان كذلك وان كان من الله فهو الحق فليكن في حق الانسان كذلك ويؤيده قوله تعالى في سورة القصص هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا يعني ان اعتقد احد انا اغويناهم فمن الذي اغوانا ثم التزيين من الله تعالى تزيين في الطباع بان ركب في طباع البشر حب المستلذات والميل اليها والطبع يرغب فيما يتلذذ به ويشتهي وان لم يكن حسنا في نفسه وتلك الرغبة والميلان بخلق الله تعالى لقوله تعالى كذلك زينا لكل امة عملهم وتزيين في العقول ولا يتزين الشئ في العقل ولا يحسن الا اذا كان حسنا في نفسه او حمدت عاقبته او تعلق به امر الهي ونحو ذلك قال تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكذلك التكريه اينما يقع على وجهين احدهما في الطباع وهو تنفيرها عن الشئ وذلك بخلق النفرة والكراهة فيها وثانيهما في العقول وان كانت الطباع تميل اليها كما قال تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان فالطبع يميل ويرغب الى ما هو ألذ واشهى واخف عليه وينفر عما يضره ويثقل عليه والعقل لا ينفر عما سوى القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وقوله عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ليس محمولا على كراهة العقل وشهوة العقل بل هو محمول على كراهة الطبع وشهوته فكل واحد مما في الطباع والعقول من التزيين والتكريه فهو من الله تعالى عندنا وقولهم ان الشيطان هو الذي زين المشتهيات لهم ان عنوا بذلك انه يرغبهم فيها ويدعوهم اليها ويريهم زينتها وهو حسن ظاهرها فنعم الامر كذلك وان عنوا ان الشيطان له قدرة انشاء التزيين واحداث الحسن فلا اذ الافعال مخلوقة لله وهو يدعوهم الى ما خلق الله حسنه في الطباع ويريهم ما جعله الله حراما عندهم فكان فعله هو الدعاء لا الاحداث ولكن مع هذا يجب الحذر من دعوته غاية الحذر اذ هو يرانا ولا نراه ولا يتحقق الحذر من مثل هذا العدو الا بالفزع الى الله تعالى والاستعاذة به منه ﴿قوله ولعله زينه ابتلاء﴾ بيان للحكم الداعية الى تزيين المشتهيات الحكمة الاولى انه تعالى زينه ليظهر انه هل يتبع لشهوته رعاية لهواه او ينقاد لامر ربه فيما امره ونهاه ويجازى على حسب تشهد حاله ﴿قوله فان الآية في معرض الذم﴾ اي للشهوات الفانية روي عن الحسن البصري انه قال والله ما زينها الا الشيطان اذ لا احد اذم لها ولاهلها من الله تعالى فانه تعالى ذم الدنيا واهلها في القرآن في غير موضع فأنى يستقيم اضافة التزيين اليه انما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وما كان واجبا او مندوبا فالتزيين فيه من الله تعالى وبقي قسم ثالث وهو المباح الذي ليس في فعله ثواب ولا في تركه عقاب فلم يذكره وكان من حقه ان يذكره ويبين ان التزيين فيه على هو من الله او من الشيطان كذا في التفسير الكبير ونقل المصنف عنه انه فرق بين المباح والمحرم فذكر المباح بدل الواجب والمندوب والله اعلم ﴿قوله بيان للشهوات﴾ قدم النساء على الكل لكثرة تشوق النفس اليهن لانهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال قال عليه الصلاة والسلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء ثم ثنى بالولد الذكر لان حبهم اقوى من حب الانثى وفي تزيين حب الانثى والولد في قلب الانسان حكمة عظيمة لولا هذا الحب لما حصل التوالد والتناسل ومحبة الولد اقوى في جميع

﴿زين للناس حب الشهوات﴾ اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم ﴿من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث﴾ بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فعال

طباع الحيوانات * والقناطير جمع قنطار وفي نونه قولان احدهما انها اصلية و وزنه فعلال وثانيهما انها زائدة و وزنه فنعال واشتقاقه من قطر يقطر اذا سال لان الذهب والفضة يشبهان الماء في سرعة الانقلاب وكثرة التقلب وقال الزجاج هو مأخوذ من قنطرت الشيء اذا عقدته واحكمته ومنه القنطرة لاحكام عقدها وتوثيق طاقتها والقنطار وهو المال الكثير يتوثق اصناف الانسان به في دفع النوائب والصحيح ان وزنه وقدره لا يحد ومنهم من حاول تحديده وفيه روايات فروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار اثنا عشر الف اوقية * وروي عنه ايضا ان القنطار الف دينار وروى ابي بن كعب انه عليه الصلاة والسلام قال القنطار الف ومائتا اوقية * وقال ابن عباس رضي الله عنه القنطار الف دينار او عشرة آلاف درهم وهو مقدار الدية وقال الكلبي القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب او فضة ﴿قوله والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد﴾ فان شأن العرب ان يشتقوا من لفظ الشيء الذي يريدون المبالغة في وصفه ما يتبعونه تأكيدا او تنبيها على تناهيه في وصفه ومن ذلك قولهم ظل ظليل وداهية دهياء وشعر شاعر والف مؤلفة ودراهم مدرهمة اي تامة كاملة في شأنها زين للناس حب كثرة الذهب والفضة لانهما جعلا ثمنا يتوصل بهما الى جميع الاشياء المطلوبة فمالكهما كالمالك لجميع المطالب وصفة المالكية هي القدرة والقدرة صفة كمال والكمال محبوب لذاته ولما كان الذهب والفضة اكمل الوسائل الى نيل الذي هو المحبوب لذاته لاجرم كانا محبوبين * قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وقيل واحده خائل مثل راكب وركب وطائر وطير وهو مشتق من الاختيال وهو مشية الانسان على سبيل الخيلاء المنبيء عن الاستكبار فسميت الافراس خيلا لاختيالها وجولانها في مشيها بطول اذنابها واعناقها ويسمى الخيال خيالا والتخييل تخييلا لجولان هذه القوة في استحضار تلك الصورة واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال الاول من السومة وهي العلامة وقال ابو مسلم مأخوذ من السيما بالمد والقصر ومعناهما واحد وهي الهيئة الحسنة قال تعالى سيماهم في وجوههم ثم اختلفوا في تلك العلامة فقال ابو مسلم هي الاوضاح والغرة التي تكون في الخيل بان تكون غرا محجلة وقيل البلق وقال قتادة الشية وقول ابي مسلم احسن الاقوال لان الاشارة في الآية الى احسن احوالها وذلك ان يكون الفرس اغر محجلا وسائر الاحوال التي ذكروها لا تفيد شرفا للفرس والقول الثاني ان المسومة بمعنى الراعية من سوم الماشية يقال اسمت الماشية وسومتها اذا ارسلتها في مراحها او مرعاها للرعي والمقصود من توصيف الانعام بها انها اذا رعت مرسلة ازدادت حسنا ونماء والقول الثالث وهو قول مجاهد وعكرمة ان المسومة هي الخيل المطهمة الحسان قال المفضل المطهمة المرأة المليحة وقيل هي التامة الخلقة ولم يبين اشتقاقها بهذا المعنى فكأنه من السوم في البيع لان الخيل المطهمة تسام كثيرا لكثرة الراغبين فيها او من السومة بمعنى العلامة كأنها علم في الحسن والقوة ﴿قوله والانعام الابل والبقر والغنم﴾ يعني ان الانعام جمع نعم والنعم هي هذه الاجناس ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانه غلب عليها قال العلماء ذكر الله تعالى اربعة اصناف من المال كل نوع يتمول به صنف من الناس فاما الذهب والفضة فيتمول بهما التجار واما الخيل المسومة فيتمول بها الملوك واما الانعام فيتمول بها اهل البادية واما الحرث فيتمول به اهل البساتين فيكون فتنة كل صنف في النوع الذي يتمول به واما النساء والبنون ففتنة للجميع ﴿قوله بالشهوات المخدجة﴾ اي الناقصة المعيبة هذه المشتهيات انما تكون مخدجة اذا انتفع بها في الوجود المباحة من غير ان يتوسل بها الى مصالح الآخرة واما اذا انتفع بها تقويا على طاعة الله تعالى وتجنبا عن مساخطه فلا تكون مخدجة ويبقى اثرها ونفعها ابد الآباد والظاهر ان حسن المآب من قبيل جرد قطيفة واخلاق ثياب ومرجع حسن من قبيل رجل عدل ﴿قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ التفات من الغيبة في قوله للناس الى الخطاب تشريفا لهم اي هل اخبركم بما هو خير خالص من الكدورة باق من ذلك المذكور الذي هو مشتهيات الدنيا ويجوز ان يتم الكلام عند قوله من ذلكم ويستأنف بالجملة التي بعده لبيان أن يكون جنات مرفوعا على الابتداء والجار والمجرور قبله خبرا مقدما عليه فيكون عند ربهم متعلقا بما تعلق به الذين من الاستقرار ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذين اتقوا بان يتعلق الجار بخير ويرتفع جنات على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو جنات اي ذلك الذي هو خير جنات والجملة بيان لما هو خير وعند ربهم متعلق بخير كما تعلق به الذين فيكون عند ربهم متعلقا بما تعلق به الذين من الاستقرار ويؤيد هذا الوجه قراءة من قرأ جنات على البدلية من خير لان اللام

والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم (ذلك متاع الحياة الدنيا) اشارة الى ما ذكر (والله عنده حسن المآب) اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا (للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قرآءة من جرها بدلا من خير (وازواج مطهرة) مما يستقذر من النساء (ورضوان من الله) قرأ عاصم بضم الراء وهما لغتان

فى قوله للذين يجوز ان يكون متعلقا بخير وتضمن معنى البدلية مع معنى كون جنات خبر محذوف ولا اختلاف بينهما الا فى وجه الاعراب ﴿قوله فأدناها متاع الحياة الدنيا﴾ فان الدنيا طيب واوسع واجمع للخير بالنسبة الى بطن الام والجنة اطيب واوسع واجمع للخير بالنسبة الى الدنيا ورضوان الله تعالى اجل واعزها روى عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك الخير كله فى يديك فيقول الله تعالى هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول أحل بكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده ابدا وهو اعلى مراتب الجنة الروحانية التى هى عبارة عن تجلى نور الله تعالى فى روح العبد واستغراق العبد فى معرفته فالعبد يصير اولا بهذه المقامات راضيا من الله تعالى ويصير فى آخرها مرضيا عند الله واليه الاشارة فى قوله تعالى راضية مرضية ﴿قوله صفة للمتقين﴾ اى لقوله الذين اتقوا واستضعف ابو البقاء جعله صفة للعباد قال لان فيه تخصيصا لعلم الله تعالى ولا محذور فيه لان علمه تعالى باتيانهم الى الله تعالى ومقدار مشقتهم فى العبادة والطاعة كناية عن مجازاتهم عليها على حسب ما وعده ﴿قوله او مدح منصوب﴾ اى باضمار اعنى او امدح او مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هؤلاء المتقون فقيل هم الذين يقولون كيت وكيت ﴿قوله وفى ترتيب السؤال﴾ يعنى ان قولهم ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا يدل على انهم توسلوا بمجرد الايمان الى رحمة الله تعالى ومغفرته ويؤيد هذا قوله تعالى فى آخر السورة ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار والآية حجة على من جعل الطاعات جزأ من الايمان لان الايمان لو كان اسما لجميع الطاعات لما مدحهم الله تعالى بمجرد قولهم بمجرد قولهم اننا آمنا فان قيل أليس انه تعالى اعتبر جملة الطاعات فى حصول المغفرة حيث اتبع هذه الآية بقوله الصابرين والصادقين الآية والجواب ان هذه الآية تؤكد ما قلنا لانه تعالى جعل مجرد الايمان وسيلة الى طلب المغفرة والمذكور بعده وهى الصفات التى ارتقى بها المؤمنون الى درجة المتقين المذكورين بقوله الذين اتقوا لو كانت شرطا لحصول المغفرة لوجب ذكرها قبل طلب المغفرة ﴿قوله والصبر يشملهما﴾ لان الصبر حبس النفس على ما يعسر عليها تحمله فيدخل فيه الصبر على أداء الواجبات والمندوبات وفى ترك المحظورات من المشتهيات وفى كل ما ينزل من المحن والشدائد بان لا يخرج عن شئ من ذلك بل يكون راضيا بقلبه من الله تعالى ﴿قوله وتوسيط الواو﴾ اى العاطف المنبئ عن تغاير المعطوف والمعطوف عليه ولا تغاير ههنا لان الصفات المذكورة كأنها لموصوف واحد فينبغى ان لا يعطف بعضها على بعض كما فى قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور واجاب عنه اولا بانه قد يتخلل العاطف بين صفات موصوف واحد كما فى قوله

✲ الى الملك القرم وابن الهمام ✲ وليث الكتيبة فى المزدحم ✲

تنزيلا لكل واحدة من الصفات المعلومة منزلة الذوات المتباينة على ان كل واحدة منها لما بلغت من الكمال مبلغا خرجت به عن عداد امثالها صارت كأنها لا يجمعها ذات الموصوف فلا تكون من الصفات القائمة فنزلت منزلة ذوات مستقلة عن الموصوف غير قائمة به واجاب ثانيا بمنع اتحاد الموصوف ههنا بناء على جواز كونه من قبيل عطف الذوات المتغايرة حقيقة بناء على ان كل من كان معه واحدة من هذه الخصال استحق هذا المدح العظيم والثواب الجزيل فكيف اذا كان معه جميع تلك الخصال والباء فى قوله بالاسحار بمعنى فى ﴿قوله شبه ذلك﴾ يعنى ان قوله تعالى شهد الله الخ من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية شبهت دلالته على الوحدانية بما نصبه من الادلة العقلية وانزله من الادلة السمعية بشهادة الشاهد فى كشف الحق وبيانه وكذلك الاقرار والاحتجاج من الملائكة واولى العلم من الثقلين ﴿قوله مقيما العدل﴾ اشارة الى ان الباء للتعدية كالهمزة ولعل اقامة العدل عبارة عن الجرى فى تدبير ملكه على وجه الاستقامة ورعاية مقتضى الحكمة وان اردت معرفة ذلك فانظر اولا فى كيفية خلقه تعالى اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله تعالى فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق فى الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والآلام واعلم ان ذلك من الله تعالى عدل وحكمة وصواب ثم انظر فى كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك وتقدير كل واحد منها بقدر معتبر وخاصة معينة واقطع بان كل ذلك صواب متعلق بامور الدنيا ومصالحها واما عدله المتعلق بامر الدين فانظر الى اختلاف الخلق فى العلم والجهل

(والله بصير بالعباد) اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيئ او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفى ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار) حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون بالاسحار ويدعون (شهد الله انه لا اله الا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالاقرار (واولوا العلم) بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه

وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج ١٤ في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير

وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف (لا اله الا هو) كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى في فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضيّ عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما (وما اختلف الذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءهم العلم) اى بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج (بغيا بينهم) حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) وعيد لمن كفر منهم (فان حاجوك) في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج (فقل اسلمت وجهي لله) اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس (ومن اتبعن) عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه

والفطانة والبلادة والهداية والغواية واعلم بان ذلك عدل وقسط فقدر المصنف في قسمه وحكمه اى قسمه الارزاق والاعمار وسائر الاحوال المتعلقة بالمعاش وحكمه اى خطابه بأعمال المكلفين بما يحل ويحرم ويصح ويفسد وكل ذلك عدل وصواب والحال قسمان مؤكدة وهي التي تكون لازمة لذي الحال ومنتقلة ويقال متحولة وهي التي تزول عنه مرة وتثبت له اخرى وقائما على تقدير كونه حالا من فاعل شهد تكون حالا مؤكدة لان القيام بالعدل لازم لله تعالى لا ينفك عنه ﴿قوله وانما جاز افراده بها﴾ مع ان النحاة لم يجوزوا اختصاص احد الامور المتعاطفة بانتصاب الحال منه دون الباقين بناء على انهم منعوا ذلك في موضع الالتباس كما جاز ذلك لعدم الالتباس في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فان نافلة انتصب حالا من يعقوب كذلك وقوله او من هو اى يجوز ان يكون قائما حالا من هو في قوله لا اله الا هو * ولما ورد ان يقال ما العامل في الحال المذكورة على تقدير كونها حالا من هو * اجاب عنه بقوله والعامل فيها معنى الجملة يعني ان الحال المؤكدة لا يكون عاملها شيئا من اجزاء الجملة المتقدمة وانما تنتصب بعامل مضمون مستفاد من معنى تلك الجملة كما في الآية او من بعض اجزائها كما في زيد ابوك عطوفا اى ثبتت ابوته لك عطوفا قاله صاحب الكشاف وهو اوجه من انتصابه من فاعل شهد اى انتصابه حالا من هو اوجه من انتصابه حالا من فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح من هو اوجه من انتصابه على المدح من فاعل شهد اما اولا فلانه اقرب واما ثانيا فلدخول القيام بالقسط في حكم شهادة الله تعالى والملائكة واولي العلم انه قائم بالقسط وفي جعله حالا من هو رعاية لما اشتهر بين النحاة من ان الحال المؤكدة تكون بعد الجملة الاسمية حتى ان صاحب الكشاف شرط ذلك في المفصل ومعناه ان ذلك هو الغالب فيها ﴿قوله او الصفة للمنفي﴾ اى ويجوز ان يكون انتصاب قائما على انه صفة للمنفي بلا كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو واغتفر الفصل بين الصفة والموصوف بالاجنبي بناء على اتساعهم في ذلك كما في قوله تعالى حكاية لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴿قوله وهو﴾ اى قيامه بالعدل مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة للمنفي او حالا من الضمير وقد ذكرنا وجه الاندراج على التقدير الثاني ويعلم منه الحال على التقدير الاول ﴿قوله ومزيد الاعتناء﴾ اى ولمزيد اعتناء الامة بذكر هذه الكلمة بسبب معرفتهم اولا وحدانيته تعالى فانه تعالى لما اخبر ان الله تعالى شهد انه لا اله الا هو وشهدت الملائكة واولوا العلم بذلك صار التقدير كأنه قيل يا امة محمد قولوا انتم على وفق شهادتي وشهادة الملائكة واولي العلم لا اله الا هو فكان الغرض من الاعادة ذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادة ﴿قوله والحكم به بعد اقامة الحجة﴾ فانه تعالى لما اقام حجة الوحدانية باخباره بتلك الشهادات كرره بعدها للحكم بما ثبتت الحجة ﴿قوله فيعلم انه الموصوف بهما﴾ اى كمال العلم فان الالوهية والقيام بالقسط لا يتم الا اذا كان عالما بمقادير الحاجات وكان قادرا على تحصيل المهمات ﴿قوله وهو التوحيد والتدرع بالشرع﴾ بناء على ان الاسلام هو الاستسلام والانقياد ظاهرا وباطنا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال نزل قوله ان الدين عند الله الاسلام حين افتخر المشركون باديانهم وقال كل فريق منهم لا دين الا ديننا وهو دين الله تعالى منذ بعث آدم عليه الصلاة والسلام فكذبهم الله تعالى وقال ان الدين عند الله الاسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام وهو الدين الحق منذ بعث الله تعالى آدم وما سواه من الاديان فكله باطل والاسلام هو الاستسلام كذا في التيسير ﴿قوله او اجراء شهد مجرى قال تارة﴾ فيكسر انه لذلك ويجرى علم اخرى فتفتح ان الثانية الا ان ما جرى مجرى علم لا بد ان يكون مقدرا لان الفعل المذكور لا يجري مجراهما لامتناع استعمال اللفظ الواحد في معنيين حقيقيين او مجازيين او مختلفين ﴿قوله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده﴾ قال الربيع ان موسى عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من بني اسرائيل فاستودعهم التوراة واستخلف عليهم يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اولئك السبعين حتى فرقت بينهم الدنيا ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة بغيا بينهم اى طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر نزلت في نصارى نجران فان اهل الانجيل اختلفوا في امر عيسى عليه الصلاة والسلام وفرقوا القول فيه بعد ما جاءهم العلم بان الله واحد وان عيسى عبده ورسوله ﴿قوله عطف على التاء﴾ وحسن لوجود الفصل بالمفعول او مفعول معه كل واحد من الوجهين يوهم خلاف المراد لان المراد اسلمت وجهي لله واسلموا وجوههم لله وكل واحد من الوجهين المذكورين يوهم ان يكون المعنى انه عليه الصلاة والسلام اشترك معهم في اسلام وجهه لله كما اذا قلت اكلت رغيفا وزيد

(ز م)

لزم ان يكون المتكلم وزيد شريكين فى اكل الرغيف او قلت اكلت الرغيف وعمرا يعنى مع عمرو فانه يدل ايضا
على ان عمرا مشارك لك فى اكل الرغيف ولا معنى ههنا لمشاركة الاتباع اياه عليه الصلاة والسلام فى اسلام وجهه
فلا بد من حمل الكلام على خلاف الظاهر اعتمادا على ظهور المراد ﴿**قوله** لما وضحت لكم الحجة﴾ يعنى ان
اقامتها وايضاحها يقتضى العمل بمقتضاها فاسلموا فان المقصود من الاستفهام فى مثل هذا المقام الامر
قال النحويون انما جاء الامر فى صورة الاستفهام لكون الاستفهام بمنزلة الامر فى الدلالة على طلب الفعل
واستدعائه الا ان فى التعبير عن معنى الامر بلفظ فى صورة الاستفهام فائدة زائدة وهى تعيير المخاطب بكونه
معاندا بعيدا عن الانصاف لان المنصف لا يتوقف فى قبول الحجة بعد قيامها ونظيره قولك لمن لخصت له المسئلة
غاية التلخيص والكشف والبيان هل فهمتها فان فيه اشارة الى كون المخاطب بليدا قليل الفهم وقال تعالى
فى الخمر فهل انتم منتهون وفيه اشارة الى تباعدهم عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطى المنهى عنه
﴿**قوله** فقد نفعوا انفسهم﴾ يعنى ان اهتدوا كناية عن هذا المعنى والا فلا فائدة فى الشرطية وكذا الكلام
فى قوله انما عليك البلاغ روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال اهل الكتاب اسلمنا فقال
عليه الصلاة والسلام لليهود * أتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله * فقالوا معاذ الله وقال للنصارى
أتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله * فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فقال الله عز وجل فان تولوا
فانما عليك البلاغ اى تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية اى انت الذى ليس عليه الا ابلاغ الادلة واظهار الحجة
﴿**قوله** هم اهل الكتاب الذين فى عصره عليه الصلاة والسلام﴾ بقرينة قوله تعالى فبشرهم اذ لا يتصور ان يخبر
عليه الصلاة والسلام الاسلاف المنقرضين بان مصيرهم الى العذاب الاليم * واعلم انه تعالى لما ذكر حال من
يعرض ويتولى وصفهم وبين طريق اعراضهم بثلاثة اوصاف الكفر وقتل الانبياء والآمرين بالقسط
ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يوصف من يعرض ويتولى فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بقتل الانبياء
والآمرين بالمعروف ولم يقع منهم شئ من ذلك اجاب عنه بقوله قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم يعنى ان هذه الطريقة
لما كانت طريق اسلافهم صحت هذه الاضافة اليهم اذ كانوا مصوبين لاسلافهم راضين بطريقتهم فان صنع
الاب قد يضاف الى الابن اذا كان راضيا به وجاريا على طريقته ولان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقتل المؤمنين الا انه تعالى عصمهم منهم فلما كانوا فى غاية الرغبة فى ذلك صح ان يوصفوا به مجازا على
مثال النار محرقة والسم قاتل اى ذلك من شأنهما اذا وجدا محلا قابلا يفعلان فعلهما * فان قيل قتل الانبياء
لا يكون الا بغير حق فما فائدة التقييد بذلك * والجواب ان المقصود بيان عظم ذنبهم من حيث انهم انما باشروا
قتل هؤلاء السادات ميلا منهم الى الظلم المحض لا لاجل حق ثابت فى نفس الامر ولا فى زعمهم الباطل يدعوهم
الى القتل ﴿**قوله** ومنع سيبويه ادخال الفاء فى خبر انّ﴾ اى كما يمنع دخولها فى خبر ليت ولعل بالاتفاق
اى ان المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط سواء كان اسما موصولا او نكرة موصوفة يكون بمنزلة كلمة الشرط ومشابها
لها وتكون الصلة والصفة بمنزلة فعل الشرط ويكون الخبر بمنزلة جزاء الشرط فتدخله الفاء الا ان الخبر
لما لم يكن جزاء حقيقة جاز تجريده من الفاء ايضا واذا دخلت على المبتدأ المذكور نواسخ الابتداء زالت
مشابهته لكلمة الشرط لان كلمة الشرط يلزمها الصدارة فلا يدخلها نواسخ الابتداء لان تلك النواسخ تؤثر معنى
فى الجملة وقد تقرر ان ما يؤثر فى الجملة لا يدخل على جملة مصدرة بما يلزمه الصدارة فلما زالت مشابهة المبتدأ المذكور
لكلمة الشرط بدخول نواسخ الابتداء قال الجمهور ان كان الناسخ انّ لا يمتنع دخول الفاء فى خبرها بخلاف
سائر النواسخ بناء على ان انّ لكونها لتحقيق مضمون ما دخلت هى عليه لا تغير معنى الابتداء ولا تؤثر معنى فى الجملة
ونقل عن الاخفش انه يجيز زيادة الفاء فى خبر المبتدأ مطلقا نحو زيد فوجيه وانشد
وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وسيبويه يؤول مثله بنحو هذه خولان فانكح ﴿**قوله** ولذلك قيل الخبر اولئك
الذين حبطت اعمالهم﴾ وعلى هذا فى الآية تقديم وتأخير ومحل فبشرهم بعد قوله أولئك الذين حبطت اعمالهم
اى بطلت والمراد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراة واقامة شريعة موسى عليه الصلاة والسلام
والمراد ببطلانها فى الدنيا تبدل مدحهم بالذم وثنائهم بالعيب وانهم لم تحقن دماؤهم واموالهم وفى الآخرة انهم
لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كأن لم تكن ﴿**قوله** اى التوراة﴾ على ان يكون تعريف الكتاب للعهد ومن للتبعيض

﴿ وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ﴾
الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب ﴿ءأسلمتم﴾
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على
كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه
تعيير لهم بالبلادة او المعاندة ﴿فان اسلموا فقد
اهتدوا﴾ فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال ﴿وان تولوا فانما عليك البلاغ﴾
اى فلم يضروك اذ ما عليك الا التبليغ وقد
بلغت ﴿والله بصير بالعباد﴾ وعد ووعيد
﴿ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم﴾
هم اهل الكتاب الذين فى عصره صلى الله
عليه وسلم قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم
وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم
وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة
ويقاتلون الذين ومنع سيبويه ادخال الفاء
فى خبر انّ كليت ولعل ولذلك قيل الخبر
﴿اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا
والآخرة﴾ لان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا
والعذاب فى الآخرة ﴿وما لهم من ناصرين﴾
يدفعون عنهم العذاب ﴿ألم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب﴾ اى التوراة

او للبيان فعلى الاول يكون النصيب من ذلك الجنس هو ما فهموا من معانيه وكدحوا في تحصيله منه وهو وان كان نصيبا عظيما في نفسه الا انه بعض من معاني التوراة لتعذر احاطة البشر بجميع معاني كلام الله تعالى وعلى الثاني يكون ما اوتوه نفس التوراة ومعنى ايتائها اياهم انزالها عليهم ﴿قوله او جنس الكتب﴾ على ان يكون تعريف الكتاب للجنس ومن للتبعيض والنصيب هو التوراة التي هو بعض من جنس الكتب وايتاؤه انزاله ﴿قوله يحتمل التعظيم﴾ هو على تقدير ان تكون من للبيان والتحقير على ان تكون من للتبعيض ما اوتوه وما فهموه من التوراة والمدراس بيت العلم والدراسة ﴿قوله تعالى يدعون﴾ حال من الذين اوتوا وقال ابن عباس في رواية الضحاك المراد بكتاب الله القرآن وهو قول قتادة دعوا الى القرآن بعد ان ثبت انه كتاب الله حيث لم يقدر بشر على معارضته ليحكم القرآن بين اليهود وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم القرآن عليهم بالضلالة فاعرضوا عن حكم القرآن ولم يؤمن به فريق من رؤساء اليهود وقيل المراد بكتاب الله التوراة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا وامرأة من اليهود زنيا وكانا ذوي شرف وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجعوا في امرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم على رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم فحكم عليه الصلاة والسلام بالرجم فانكروا ذلك وقالوا جرت علينا يا محمد ليس علينا الرجم فقال صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فان فيها الرجم فمن اعلمكم قالوا ابن صوريا وكان رجلا اعور من احبار اليهود في القدس فارسلوا اليه فقدم المدينة وجبريل عليه الصلاة والسلام قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام ورفع كفه ثم قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك غضبا شديدا وانصرفوا فانزل الله تعالى هذه الآية وروي ايضا انه عليه الصلاة والسلام دخل مدرسة اليهود وكان فيها جماعة منهم فدعاهم الى الاسلام فقالوا على اي دين انت فقال عليه الصلاة والسلام على ملة ابراهيم فقالوا ان ابراهيم كان يهوديا فقال عليه الصلاة والسلام فهلموا الى التوراة فأبوا ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فكل واحدة من هاتين الروايتين المذكورتين في سبب نزول هذه الآية دليل واضح على ان المراد بكتاب الله هو التوراة فكأنه قيل انهم اذا أبوا ان يجيبوا الى التحاكم الى كتابهم فلا تعجب من مخالفتهم كتابك ﴿قوله فيكون الاختلاف فيما بينهم﴾ تفريع على نقل القراءتين يعني ان نظم الآية سواء قرئ يحكم على بناء الفاعل او المفعول يقتضي ان يقع الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبار اهل الكتاب وبين من لم يسلم منهم ثم يدعو المحقون منهم مخالفيهم الى كتاب علموا كونه كتاب الله ليحكم بينهم وبين مخالفيهم بالحق وما ذكر في سبب النزول وان اقتضى ان يكون الاختلاف فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدعوهم الى كتاب الله ليحكم بينهم وبينه الا انه خلاف ما يدل عليه النظم وظاهر عبارة المصنف يوهم ان يكون قوله فيكون متفرعا على قراءة البناء للمفعول ولا وجه له لان كون الاختلاف بينهم فقط لا بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم انما فهم من رجوع ضمير بينهم الى الذين اوتوا نصيبا وهو مشترك بين القراءتين فينبغي ان يكون التفريع على مجموع القراءتين لا على الثانية فقط ﴿قوله وفيه﴾ اي في اطلاق قوله ليحكم بينهم حيث لم يقل ليحكم فيما اختلفوا فيه من فروع الايمان وثمراته دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاعتقاديات ﴿قوله استبعاد لتوليهم﴾ يعني ان كلمة ثم للتراخي الرتبي اذ لا تراخي في الزمان ﴿قوله وانما ساغ﴾ اي جاز تأخر ما انتصب حالا من النكرة مع ان الواجب ان يتقدم عليها كما في قوله لعزة موحشا طلل قديم تخصصها بالصفة فان قوله منهم في محل الرفع على انه صفة لفريق ولو جعله حالا من الضمير المستتر في يتولى لم يحتج الى هذا الاعتذار ﴿قوله بسبب تسهيلهم﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والجار بعده خبره اي ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم المبني على اقوالهم الباطلة فان تسهيل امر العقاب وتقليل مدته سواء كان موجب العقاب كفرا او فسقا غير الكفر يوجب التولي والعدول روي عنهم انهم كانوا يقولون مدة عذابنا سبعة ايام وهي عدد ايام الدنيا ومنهم من قال اربعين ليلة على قدر مدة عبادة العجل وقال ابن عباس رضي الله عنهما زعمت اليهود انهم وجدوا في التوراة ان ما بين طرفي جهنم اربعين ليلة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وقالوا انما نعذب الى ان ننتهي الى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك

او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة (ذلك) اشارة الى التولي والاعراض (بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات) بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم

قال ابن عباس رضى الله عنهما اصل الجحيم سقر وفيها شجرة الزقوم فاذا اقتحموا جهنم تبادروا فى العذاب حتى انتهوا الى شجرة الزقوم وملأوا بطونهم منها فيقول لهم خازن سقر زعمتم ان النار لن تمسكم الا اياما معدودات وقد خلت اربعون سنة وانتم فى النار وما فى قوله ما كانوا يفترون اما مصدرية اى غرّهم افتراؤهم على الله بمثل قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا يعذبنا بذنوبنا الامدة يسيرة وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقولهم نحن على الحق وانت على الباطل واما موصولة اى الذى كانوا يفترونه والافتراء اختلاف الكذب ثم انه تعالى لما حكى عنهم اغترارهم بالجهل بين انه سيجئ يوم يزول فيه ذلك الجهل وذلك الغرور فقال فكيف اذا جمعناهم وهو منصوب بفعل مضمر تقديره فكيف يصنعون او كيف يكون حالهم واذا جمعناهم ظرف محض غير متضمن لمعنى الشرط والعامل فيه العامل فى كيف وقوله ليوم متعلق بجمعناهم اى لقضاء يوم او لجزاء يوم او لحسابه وقال الكسائى اللام بمعنى فى والاول اظهر وابلغ لان اليوم لا فائدة فيه الا ما يوجد فيه من الافعال كالحساب والجزاء ولاريب فيه صفة للظرف ﴿قوله استعظام﴾ يعنى ان كيف سؤال عن الحال وهذا الاستفهام المقصود منه استعظام ما يلحق بهم من الحال كأنه قيل على اى حال يكون من اغترّ بالدعاوى الباطلة اذا جمعوا ليوم الجزاء ﴿قوله جزاء ما كسبت﴾ الاحتياج الى التقدير انما هو على تقدير ان يحمل ما كسبت على عمل العبد واما ان حمل على الثواب والعقاب فلا حاجة الى الحذف ﴿قوله وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط﴾ لان احباطها ينافى توفية جزائها * قال الامام قوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت يستدل به القائلون ان صاحب الكبيرة من اهل الصلاة لا يخلد فى النار اما الاولون فقالوا الاشك ان صاحب الكبيرة يستحق العقاب بتلك الكبيرة والآية دلت على ان كل نفس توفى ما كسبت وذلك يقتضى وصول العذاب الى صاحب الكبيرة وجوابنا ان هذا من العمومات المخصصة بادلة منفصلة كان المعتزلة خصصوها بمن لم يتب من معصيته وشرطوا فى توفية عقاب العاصى عدم توبته بدليل منفصل واما اصحابنا فانهم يقولون ان المؤمن يستحق ثواب الايمان فلابد وان يوفى ثواب ذلك الايمان لقوله تعالى ووفيت كل نفس ما كسبت فاما ان يقال يثاب فى الجنة اولا ثم ينقل الى دار العقاب وذلك باطل بالاجماع واما ان يقال يعاقب اولا ثم ينقل الى دار الثواب فيثاب فيها ابدا مخلدا وهو المطلوب * فان قيل يجوز ان يقال ان ثواب ايمانه حبط بعقاب معصيته * قلنا هذا باطل لما تقدم فى سورة البقرة من ان القول بالمساقطة محال وايضا فانا نعلم بالضرورة ان ثواب توحيد ستين سنة ازيد من عقاب شرب جرعة من الخمر والمنازع فيه مكابر وبتقدير القول بصحة المساقطة يمتنع سقوط كل ثواب الايمان بعقاب شربة من الخمر وكان يحيى بن معاذ رضى الله عنه يقول ثواب ايمان لحظة يسقط كفر ستين سنة فكيف يعقل ان ثواب ستين سنة يحبط بعقاب دون لحظة الى هنا كلام الامام ﴿قوله الميم عوض عن يا﴾ فان اصل اللهم عند البصريين يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه هذه الميم المشددة لكونها عوضا عن حرفين ولذلك لا يجتمعان فلا يقال يا اللهم وتعويض الميم المشددة عن حرف النداء من خصائص هذا الاسم الشريف فلا يجوز التعويض المذكور فى غيره فلا يقال زيدم عمروم كما ان دخول يا عليه مع كونه معرّفا بلام التعريف من خصائصه وكاختصاصه بالتاء حال القسم وبقطع همزته فى يا الله وقال الكوفيون اصله يا الله أمّنا بخير اى اقصدنا بخير من قولك أممت زيدا اى قصدته ومنه ولا آمّين البيت الحرام اى قاصديه وقيل عليه لو كانت الميم المشددة بقية فعل محذوف لما صح ان يقال اللهم اغفرلنا الا بحرف العطف لان التقدير يا الله أمّنا بخير واغفرلنا وارحمنا ولم نجد احدا يذكر هذا الحرف العاطف واجاب عنه الكوفيون بان العاطف ترك بين الفعلين بناء على ان الفعل الثانى ليس مطلوبا مغايرا للفعل الاول بل الثانى تفسير الاول فكأنه قيل يا الله أمّنا بخير بان تغفر لنا فجعل الثانى عطف بيان الاول ﴿قوله وهو نداء ثان﴾ بحذف حرف النداء اى يا مالك الملك وكذا قوله قل اللهم فاطر السموات والارض ولا يجوز ان يكون نعتا لقوله اللهم لان قولنا اللهم مجموع الحرف والاسم وهذا المجموع لم يكن له صفة وقال المبرد والزجاج ان مالك وصف للمنادى المفرد لان هذا الاسم ومعه الميم بمنزلته ومعه يا النداء فلا تمتنع الصفة مع الميم كما لا تمتنع مع يا ﴿قوله تعالى تؤتى الملك﴾ قال الامام الملك هو القدرة والمعنى ان قدرة الخلق على كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى فهو الذى يقدر على كل قادر ومقدوره وعلى كل مالك ومملوكه وقيل الملك ضبط الشئ المتصرف فيه بالحكم والملك كالجنس له فكل مالك ملك من غير عكس والملكوت يختص بملك الله تعالى وقيل المراد بالملك النبوة قال مجاهد وسعيد بن جبير

(فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه) استعظام لما يحيق بهم فى الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت) جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذا هى بعد الخلاص منها (وهم لا يظلمون) الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان (قل اللهم) الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله أمّنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) تعطى منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم

﴿ وتعز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان ﴿ بيدك الخير انك على كل شيء قدير ﴾ ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون ظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بها فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل بان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال الكافرون الا تعجبون ينبئكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شيء قدير ﴿ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء ﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية

والذي تؤتي الملك يعني النبوة والرسالة * فان قيل قوله تعالى وتنزع الملك ممن تشاء يأبى عن حمله على النبوة لانه تعالى اذا اكرم عبدا بالنبوة لا ينزعها منه لان عزل النبي عن النبوة اذلال والانبياء عباد مكرمون * والجواب عنه من وجهين الاول انه تعالى اذا جعلها في نسل رجل ثم نزعها من نسله وشرف بها انسانا آخر من غير ذلك النسل صح ان يقال انه تعالى نزعها منهم واليهود كانوا يعتقدون ان النبوة لا تكون الا في بني اسرائيل فلما شرف الله تعالى بها محمدا صلى الله عليه وسلم صح ان يقال انه تعالى نزع ملك بني اسرائيل الى العرب والثاني ان يكون المراد من نزع الملك ممن يشاء ان لا يعطيه ابتداء لا ان يسلبه من بعد اعطائه ونظيره قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور مع ان هذا الكلام يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط وما حكاه عن الكفار من قولهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام لتعودن في ملتنا وقول الانبياء وما يكون لنا ان نعود فيها مع انهم لم يكونوا فيها قط وعلى هذا القول تكون الآية ردا على اربع فرق احداها الذين استبعدوا ان يجعل الله بشرا رسولا والثانية الذين جوزوا ان يكون الرسول من البشر الا انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والثالثة اليهود حيث قالوا ان النبوة في اسلافنا واما قريش فليسوا اهلا للكتاب والنبوة والرابعة المنافقون فانهم كانوا يحسدون على النبوة على ما حكى عنهم في قوله ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴿ قوله اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا ﴾ كما صرح صاحب التجريد بقوله الوجود خير محض فان وجود النفس مثلا يتضمن قدرة القادر عليه وكون الآلة قاطعة صالحة لان توصل بها اليه وكذا الزمان يتضمن امورا وجودية كلها خيرات والشر في امثالها امور عدمية تابعة لهذه الامور الوجودية ﴿ قوله او لان الكلام وقع فيه ﴾ من حيث ان الآية نزلت تصديقا له عليه الصلاة والسلام فيما اخبر به امته من الخير الموعود لهم وتفسير الآية على وفق ما روي في سبب نزولها اللهم مالك الملك مصرفه ومدبره كما يشاء تؤتي الملك من تشاء محمدا واصحابه وتنزع الملك ممن تشاء الروم والعجم وتعز من تشاء قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد المهاجرين والانصار وتذل من تشاء يريد الروم وفارس بيدك الخير في الدنيا والآخرة والمستكن في صدعتها للضربة والبارز للصخرة والصدع الشق يقال صدعته فانصدع اي شققته فانشق والتصديع التفريق وتصدع القوم اي تفرقوا والضمير المجرور في لابتيها للمدينة في الصحاح اللوبة واللابة والحرة والجمع لاب ولابات والمدينة حرتان يكتنفانها والحرة ارض ذات حجارة سود محرقة كأنها احرقت بالنار واللام في لكأن جواب قسم محذوف اي والله لكأن ومصباحا منصوب على انه اسم كأن وفي جوف بيت مظلم صفة مصباحا وخبر كأن محذوف اي ظهر والحيرة بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة وفي الكشاف وصف قصور الحيرة بقوله كأنها انياب الكلاب ووجه تشبيهها بها صغرها وانضمام بعضها الى البعض وصنعاء بالمد قصبة اليمن روى الامام الواحدي في الوسيط عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو وقل اللهم مالك الملك تؤتي الملك الى قوله وترزق من تشاء بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب * لما اراد الله ان ينزلهن تعلقن بالعرش وقلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك فقال الله تعالى انه لا يقرأكن احد من عبادي دبر كل صلاة مكتوبة الا جعلت الجنة مأواه والا اسكنته حظيرة قدسي والا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة * اللهم اجعلني ممن يعمل بهذا الحديث فانه سعادة الفضائل التي وعدت للعاملين ﴿ قوله وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الآخر بالتعقيب او بالزيادة والنقص ﴾ فان احدهما اذا اتصل بالآخر وجاء عقيبه بلا فصل صار كأنه دخل فيه والقول بان معنى الايلاج الزيادة والنقص اقرب الى اللفظ لانه اذا كان الليل طويلا بان بلغ خمس عشرة ساعة وقصر النهار فصار تسع ساعات يكون ما نقص من النهار زيادة في الليل وداخلا فيه والآية نظير قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل فان قيل ايلاج الشيء في الشيء يقتضي اجتماع حقيقتهما بعد الايلاج كايلاج الخيط في الابرة والاصبع في الخاتم ونحوهما وحقيقتا الليل والنهار لا يجتمعان * قلنا الايلاج انما يقتضي اجتماع ذات الداخل مع ذات المدخول فيه سواء كان ذلك الاجتماع مع بقاء وصفهما كما في ايلاج الماء في الكوز او مع زوال وصف احدهما ومغلوبيته كما في ادخال شيء يسير من الليل في النهار فايلاج النهار في الليل وعكسه من قبيل الثاني لان ساعات احدهما تدخل في ساعات الآخر وتجتمع معها وتبدل اوصافها ويلبس الداخل لباس ما دخل فيه من ضوء وظلمة وجلاء وخفاء ﴿ قوله نهوا عن موالاتهم ﴾ اشارة الى ان لا يتخذ نهي مجزوم بكسر الذال لالتقاء الساكنين والموالاة ضد المعاداة وكون المؤمن مواليا للكافر

يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره و يواليه لاجله والمؤمن يكفر بهذا الوجه من الموالاة لان الرضى بالكفر وتصويبه كفر والكفر ينافى الايمان وثانيها المعاشرة الجميلة فى الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه وثالثها وهو الوجه المتوسط بين الوجهين الاولين وهو ان يوالى الكفار على وجه الركون اليهم والمعاونة والمظاهرة والنصرة على الوجه الذى يتوالى به المتوادون من اهل القرابات بالتعظيم والمحبة والاستشارة فى مهم مع اعتقاد ان دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهى عنه لان الموالاة بهذا الوجه قد تجره الى استحسان طريقته والرضى بدينه وذلك يخرجه عن الاسلام فلذلك هدد الله تعالى فيه فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ اى من ولاية الله فى شئ يقع عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من ولاية الله تعالى رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه ضدان قالوا

☼ تود عدوى ثم تزعم اننى ☼ صديقك ليس النوك عنك بعازب ☼

ليس الحق عنك ببعيد وكتب بعضهم الى صديق له فى جملة ما كتبه اليه انه من والى عدوك فقد عاداك * ومن عادى عدوك فقد والاك ﴿قوله من دون المؤمنين﴾ معناه من غير المؤمنين لان لفظة دون اسم لمكان هو اسفل من مكان آخر تقول زيد يجلس دون عمرو اى فى مكان اسفل من مكانه ومن كان مباينا لغيره فى المكان فهو مغاير له فجعل لفظة دون مستعملة فى معنى غير والمعنى ان لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ﴿قوله الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه﴾ والاحتراز منه اشارة الى ان تقاة منصوبة على انها مفعول به وذلك على ان يكون تتقوا بمعنى تخافوا وان يكون تقاة مصدرا واقعا موقع المفعول به حيث وضع قوله ما يجب اتقاؤه موضع تقاة ووضع قوله من جهتهم موضع منهم اشارة الى ان من ابتدائية متعلقة بالفعل قبلها ويحتمل ان يكون منهم حالا من تقاة قدمت عليها والمعنى لا تفعلوا ذلك الا لاجل تخوفكم امرا يجب الاحتراز عنه كائنا من جهتهم بان يغلب الكفار او بان يكون المؤمن بينهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان وهذا رخصة من الله تعالى حتى لو ثبت على الحق ظاهرا وباطنا وقتل كان اجره عظيما ﴿قوله او اتقاء﴾ اشارة الى ان تقاة منصوبة على انها مفعول مطلق واقعة موقع الاتقاء والعرب تضع بعض المصادر موضع بعض كما فى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وضع موضع تبتلا وقوله وأنبتها نباتا حسنا ويحتمل ان يكون تقاة مصدر اتقى على الندرة والشذوذ قال فى الصحاح اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة ومجئ المصدر على فعل او فعلة قليل نحو التهمة والتخمة والتؤدة ﴿قوله عليه الصلاة والسلام كن وسطا وامش جانبا﴾ اى كن فيما بين الناس ظاهرا وامش جانبا من موافقتهم فيما يأتون ويذرون وقيل معناه لا تجانب معاشرتهم ولكن جانب الخوض فى امورهم وقيل ليكن جسدك مع الناس وقلبك مع الله عز وجل ﴿قوله يوم تجد صحائف اعمالها او جزآء اعمالها﴾ اشارة الى ان احضار العمل عبارة عن احضار جزآئه او عن احضار ما يدل عليه من الصحائف التى كتب هو فيها فان نفس العمل عرض فلا يمكن اعادته واحضاره * والامد الغاية التى ينتهى اليها مكانا كان او زمانا قال السدى مكانا بعيدا وقال مقاتل كما بين المشرق والمغرب وقال الحسن تمنى احدهم ان لا يلقى عمله ابدا وقيل يود انه لم يعمله والمقصود تمنى فقده سوآء حمل لفظ الامد على الزمان او على المكان واشار بقوله من الخير والشر الى ان قوله وما عملت من سوء معطوف على قوله ما عملت من خير ﴿قوله من الضمير فى عملت﴾ الظاهر ان يجعل حالا من ضمير تجد مقيدا بتعلقه بما عملت من سوء والتقدير تجد ما عملت من سوء محضرا حال ما تود بعده عنها ويحتمل ان يكون صفة للسوء والتقدير وما عملت من السوء تود ان يبعد ما بينها وبينه ﴿قوله او خبر لما عملت﴾ اى ويحتمل ان تكون الواو فى وما عملت للابتدآء لا للعطف ويكون ما عملت من سوء مبتدأ وتود خبره فلما لم يكن معطوفا على مفعول تجد اقتصر مفعول تجد على قوله ما عملت من خير ﴿قوله ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود﴾ ولو كانت شرطية لزم بقاء الشرط بلا جواب او انجزام الفعل ولم يرو الجزم فتعين الاول قال النحرير التفتازانى رحمه الله وعليه اعتراض مشهور وهو انه اذا كان الشرط ماضيا والجزآء مضارعا جاز فيه الرفع والجزم من غير تفرقة بين ان الشرطية واسماء الشرط ولا يتعذر انطباق القرآءة على احد الجائزين وان كان مرجوحا وقد سمع الرفع والجزم فى لسان العرب ومنه بيت زهير

☼ وان اتاه خليل يوم مسغبة ☼ يقول لا غائب مالى ولا حرم ☼

(من دون المؤمنين) اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) اى اتخاذهم اولياء (فليس من الله فى شئ) من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعادين لا يجتمعان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى *
* صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا أن تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله) اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) فيعلم سركم وعلنكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) يوم منصوب بتود اى تمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزآء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود

وقد يجاب بان رفع المضارع في الجزآء شاذ كرفعه في الشرط نص عليه المبرد وشهد به الاستعمال حيث لم يوجد الا في ذلك البيت وقد جاء الجزم في القرآن كثيرا كما في قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها فلا وجه لحمل القرآن العظيم مع كونه في نهاية الفصاحة على الوجه الشاذ النادر ﴿قوله وقرئ ودت﴾ بلفظ الماضي وعلى هذه القرآءة تكون كلمة ما شرطية وفي محلها حينئذ احتمالان الاول النصب بالفعل بعدها والتقدير اى شئ عملت من سوء ودت فودت جواب الشرط والاحتمال الثاني الرفع على الابتدآء والعائد على هذا المعنى محذوف تقديره وما عملته ويجوز ان تكون موصولة مرفوعة المحل بالابتدآء وودت خبرها والمعنى الذي عملته من سوء ودت لو ان بينها وبينه امدا وهو مختار المصنف حيث قال ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن اى في ذلك اليوم فينبغي ان يحمل الكلام على ما يفيد الكينونة والوقوع في ذلك اليوم وما الشرطية لا تفيد الوقوع فان معنى ما صنعت صنعت ان صنعت هذا صنعت هذا ﴿قوله او انه لذو مغفرة وذو عقاب﴾ فقوله تعالى والله رؤف بالعباد على الوجه الاول تذييل لما قبله وبيان للحكمة في تحذيره عن عقاب نفسه حيث بين انه يمهل ولا يهمل فلا تغتروا بامهاله وتأهبوا ليوم حسابه وجزآئه وعلى الوجه الثاني انه من قبيل اتباع الوعيد بالوعد ليكون المكلف بين الخوف والرجاء ولو اقتصر على الاول لغلب عليه الخوف قيل لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوعيد على وفد نجران قالوا هذا الوعيد لا يكون لنا نحن ابناء الله واحباؤه فبين الله تعالى انه لا يحب الا من يتبع حبيبه فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اذ كل من فرق العقلاء يدعي انه يحب الله ويطلب مرضاته وطاعته فقال لرسوله قل ان كنتم صادقين في ادعاء محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومتحذرين من مخالفته وما يوجب سخطه وهو تعالى لما ارسل رسوله لدعوة عباده الى سبيل مرضاته وايده بالمعجزات القاطعة ظهر وثبت ان مرضاته في متابعة رسوله وسخطه في مخالفته فمن ادعى محبة الله تعالى وخالف سنة رسوله فهو كذاب في دعواه لان من احب آخر يحب خواصه والمتصلين به واكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها وقالوا لا معنى لها الا امتثال اوامره وارادة طاعته فيما احبه وكرهه فيكون قوله تعالى تحبون الله استعارة تبعية شبهت ارادة نفوسهم طاعته وامتثال اوامره واحكامه بميل قلب المحب الى المحب ميلا لا يلتفت معه الى الغير وانما قالوا ذلك لانه تعالى لا يشبه شيأ ولا يناسب طباعنا فكيف نحبه وانما يتصور منا الحب لمن هو من جنسنا فانا لا نحب شيأ الا لاجل ان نلتذ به والوصول اليه او ندفع الالم به ومالم يمكن الوصول اليه فكيف نحبه وانما قالوا ذلك بناء على ان المحبوب لذاته هو اللذة ودفع الالم لان كل شئ لو كان محبوبا لشئ آخر لزم الدور او التسلسل فلا بد ان ينتهي الى ما هو محبوب لذاته وهو اللذة ودفع الالم فاذا قيل العبد يحب الله فمعناه يحب طاعته وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما محبة الله للعبد فهي عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع اليه في الدين والدنيا وهذا القول ضعيف لانا لا نسلم ان المحبة لا تتعلق بما لا يمكن الوصول الى ذاته والالتذاذ بها ويكون الكمال الذي ادرك فيه محبوبا لذاته دفعا للدور او التسلسل ولما فسرت المحبة بميل النفس الى الشئ وكان ذلك في حقه تعالى محالا كانت المحبة المسندة اليه تعالى بقوله يحببكم الله من باب الاستعارة التبعية او من باب المشاكلة قال صاحب الكشاف من يطلب محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا شك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته الا لانه صور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشوقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا بالدموع اردانهم لما رأوا من حاله ه وقال الامام طاعني صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن على اولياء الله وكتب ههنا ما لا يليق بالعاقل ان يكتب مثله في كتب الفحش فهب انه اجترأ على الطعن في اولياء الله فكيف اجترأ على كتبه مثل ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله نسأل الله العصمة والهداية ﴿قوله يحتمل المضي﴾ على معنى فان اعرضوا عنها او عن اطاعتها ويحتمل ان يكون مضارعا ويكون اصله تتولوا فحذف احدى التائين فعلى هذا يكون الكلام جاريا على نسق واحد وهو الخطاب ﴿قوله وانما لم يقل فلا يحبهم﴾ يعني ان مقتضى الظاهر اضمار مفعول يحب لتقدم ذكره مضمرا على انه فاعل تولوا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر لعموم اما او لا فليتناول اللفظ جميع الكفرة فلو اضمر

وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقرآءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) كرره للتأكيد والتذكير (والله رؤوف بالعباد) اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) جواب الامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة (والله غفور رحيم) لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا) يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل فلا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين

لم يتناول اللفظ الا لمن كفر بسبب التولى عن اطاعتهما واما ثانيا فلانه لو وضع الكافرين موضع المتولين دل الكلام على ان التولى كفر وعلى ان التولى انما كان علة لانتفاء محبة الله عن المعرضين من حيث كونه كفرا وعلى اختصاص محبته تعالى بالمؤمنين والاضمار لايفيد هذا المعنى لعدم كونه متعرضا له ﴿ قوله بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ﴾ متعلق بقوله تعالى اصطفى وهو وان كان يتعدى بالباء كما فى قوله تعالى اصطفيتك على الناس برسالاتى الا انه ضمن معنى فضل فلذلك عدى بعلى حيث قيل اصطفاهم على العالمين وعداه المصنف بالباء على الاصل والاصطفاء فى اللغة الاختيار فمعنى اصطفاهم اى صفاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة وجعلهم صفوة خلقه تمثيلا بما يشاهد من الشئ الذى يصفى وينقى من الكدورة ويجوز فى صاد صفوة الحركات الثلاث وقيل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لابد وان يكونوا مخالفين لغيرهم فى القوى الجسمانية والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهى اما مدركة واما محركة اما المدركة فهى اما الحواس الظاهرة واما الحواس الباطنة اما الحواس الظاهرة فهى خمس احداها القوة الباصرة وكان عليه الصلاة والسلام مخصوصا بكمال هذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام «زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها» ولقوله عليه الصلاة والسلام «اقيموا صفوفكم وتراصوا فانى اراكم من وراء ظهرى» ونظير هذه القوة حصل لابراهيم عليه الصلاة والسلام قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وذكر فى تفسيرها انه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الاعلى والاسفل وليس هذا بمستبعد لان البصراء يتفاوتون فيروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة ايام فلا يبعد ان يكون بصر الانبياء عليهم الصلاة والسلام اقوى من بصرها وثانيتها القوة السامعة وكان عليه الصلاة والسلام اقوى الناس فى هذه القوة لقوله عليه الصلاة والسلام «اطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد لله تعالى فسمع اطيط السماء» وروى انه عليه الصلاة والسلام سمع دويا وذكر انه هوى صخرة قذفت فى جهنم فلم تبلغ قعرها الى الآن قيل لاسبيل للفلاسفة الى استبعاد هذا فانهم زعموا ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك ونظير هذه القوة حصل لسليمان عليه الصلاة والسلام فى قصة النملة حين قالت ياايها النمل ادخلوا مساكنكم فالله تعالى اسمع سليمان كلام النملة واوقفه على معناه وحصل ذلك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين تكلم مع الذئب والبعير والضب وثالثتها قوة الشم كما فى حق يعقوب عليه الصلاة والسلام حين قال انى لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون فأحس بها من مسيرة ثلاثة ايام ورابعتها قوة الذوق كما كان فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام حين قال «ان هذا الذراع يخبرنى انه مسموم» وخامستها قوة اللمس كما فى حق الخليل عليه الصلاة والسلام حيث جعلت له النار بردا وسلاما وكذا قوة الذكاء قال على رضى الله عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم استنبطت من كل باب ألف باب فاذا كان حال الولى هكذا فكيف حال النبى عليه الصلاة والسلام واما القوى المحركة فمثل عروجه عليه الصلاة والسلام الى المعراج وعروج عيسى عليه الصلاة والسلام حيا الى السماء ورفع ادريس والياس على ماوردت به السنة والاخبار قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واما القوى الروحانية العقلية فلابد وان تكون فى غاية الكمال ونهاية الصفاء والحاصل ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس ومن لوازم تلك النفس الكمال فى الذكاء والفطنة والترفع عن الكدورات الجسمانية والشهوانية فاذا كان الروح فى غاية الصفاء والشرف كان البدن فى غاية النقاء والطهارة فكانت هذه القوة المحركة والمدركة فى غاية الكمال لانها جارية مجرى انوار فائضة من جوهر الروح واصلة الى البدن ومتى كان الفاعل كذلك كان القابل فى غاية الشرف والصفاء ﴿ قوله وبه استدل على فضلهم على الملائكة ﴾ وجه الاستدلال ان الاصطفاء يدل على مزيد الكرامة وعلو الدرجة ولما بين الله تعالى انه اصطفى آدم واولاده من الانبياء على كل العالمين ادى ذلك الى التناقض لان الجمع الكثير اذا وصفوا بان كل واحد منهم افضل من كل العالمين يلزم كون كل واحد منهم افضل من الآخر وذلك محال ولو حملناه على كونه افضل عالمى بلده او عالمى زمانه او عالمى جنسه لم يلزم التناقض فوجب حمله على هذا المعنى دفعا للتناقض وايضا قال تعالى فى صفة بنى اسرائيل وانى فضلتكم على العالمين ولايلزم كونهم افضل من محمد صلى الله عليه وسلم بل قلنا المراد به عالمى زمان كل واحد منهم فكذا هنا فالجواب ان ظاهر قوله اصطفى آدم على العالمين يتناول كل من يصح اطلاق لفظ العالم عليه فيندرج فيه الملك غاية

﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازار بن ابى يود بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشا ابن اموذن بن منشكن بن حازقا بن احاذ بن يوثام بن عزريا ابن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود ابن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذ ابن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة

ماقى الباب انه ترك بعمومه فى بعض الصور لدليل قام عليه فيجوز ان يترك فى سائر الصور من غير دليل

﴿ قوله حال ﴾ اى اصطفاهم فى حال كون بعضهم من بعض وقوله بعضها من بعض فى موضع النصب على انه صفة ذرية وفسره المصنف بقوله متشعبة بعضها من بعض بجعل من بعض متعلقا بمتشعبة المحذوفة الواقعة صفة لقوله ذرية واحدة فان ابراهيم اعقب اسماعيل واسحق فهما متشعبان من ابراهيم المتشعب من نوح المتشعب من آدم وأولادهما كذلك الى آخر انبياء بنى اسرائيل والى خاتم الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام متشعبون منهما ومن ابراهيم ونوح وآدم وآل عمران موسى وهرون من ذرية ابراهيم وآدم وكذا عيسى وامه مريم

﴿ قوله فعلية من الذر ﴾ بفتح الذال وهو البثّ والتفريق يقال ذررت الحب والملح والدواء اذرّه ذرّا اذا فرقته والذرّ ايضا جمع ذرة وهى اصغر النمل ومنه سمى الرجل ذرّا وكنى بابى ذرّ وسمى نسل الثقلين ذرية لان الله تعالى فرقهم فى الارض او لان الله اخرج نسل آدم عليه الصلاة والسلام من صلبه كهيئة الذرّ ﴿ قوله او فعولة من الذرء ﴾ وهو الخلق يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ واصل ذرية ذرّوءة ليفت الهمزة فصارت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء ثم كسر ماقبل الساكنة لتسلم الياء فصارت ذرية وسمى الاولاد ذرية لانه تعالى قال ذرياتهم والآباء ذرية لانه تعالى ذرأ الاولاد منهم قال تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم اى آباءهم

﴿ قوله فينتصب به ﴾ فان قيل ان الله تعالى سميع عليم قبل ان قالت امرأة هذا القول فامعنى تقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت ❊ اجيب بان سمعه تعالى لذلك الكلام مقيد بوجود ذلك الكلام وعلمه تعالى بان تذكر ذلك مقيد بذكرها لذلك والتوقيت فى العلم وفى السمع انما يقع فى النسبة والتعلقات وذلك لاينافى ازلية ذاته تعالى وصفاته باسرها

﴿ قوله وهذه حنة ﴾ يريد ان المراد بامرأة عمران فى هذه الآية حنة بالحاء المهملة والنون بنت فاقوذا أم مريم البتول جدة عيسى عليه الصلاة والسلام امام امه الا انه وقع الاشتباه فى ان عمران زوج حنة هل هو عمران بن ماثان او هو عمران ابن يصهر ابو موسى وهرون وقد مرّ ان بين العمرانين ألفا وثمانمائة سنة ❊ قال صاحب الكشاف فان قلت كان لعمران ابن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابى مريم التى هى اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن وعمران بن ماثان كانا فى عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابنى خالة روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينما هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها وتمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل ثم قال بعد مقدار صحيفة روى ان حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فجعل يتنازع فى كفالتها رؤس بنى اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندى خالتها الى هنا كلام الكشاف فقد صرح اولا بان ايشاع اخت مريم ثم قال ان ايشاع خالة لمريم ووافقه المصنف ايضا بعد صحيفة والاخت لاتكون خالة فبين كلاميه تدافع وقيل فى التوفيق بينهما كان عمران تزوج ام حنة فولدت ايشاع وكانت حنة ربيبة ثم تزوج حنة بعد ذلك بناء على انه كان جائزا فى شرعهم فولدت مريم فتكون ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها ايضا وهذا توفيق جيد الا انه احتمال عقلى لاتؤيده الرواية ﴿ قوله وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم ﴾ وذلك لانه كان الامر فى دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك الحكم ثم يخير بين الذهاب والمقام فاذا اراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فليس له بعد ذلك خيار ثم ان حنة حررت مافى بطنها مطلقا مع ان الاناث لاتصلح لذلك لما يصيبها من الحيض والاذى اما لانها بنت الامر على تقدير الذكورة او لانها جعلت ذلك النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما اى نذرت لك الذى فى بطنى محررا ﴿ قوله وتأنيثه ﴾ اى تأنيث الضمير الذى فى قوله فلما وضعتها وهو راجع الى ما ولفظه مذكر الا انه انث نظرا الى جانب المعنى فان المتكلم لما علم ان مدلول ما مؤنث جاز له تأنيث الضمير الراجع اليه ❊ واورد على هذا الجواب ان يقال على تقدير ان يكون تأنيث الضمير مبنيا على علم المتكلم بكون المعبر به عنه مؤنثا لزم ان يكون قولها رب انى وضعتها انثى بمنزلة ان يقال وضعت الانثى انثى ❊ اجاب عنه بقوله وجاز انتصاب انثى حالا منه الخ وتقريره ان تأنيث الضمير ليس باعتبار علم المتكلم بكون المعبر عنه مؤنثا كما فى قوله فلما وضعتها ليلزم

{ ذرية بعضها من بعض } حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذرّ او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت { والله سميع عليم } باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها { اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى } فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علىّ نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا { محررا } معتقا لخدمته لااشغله بشئ او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال { فتقبل منى } مانذرته { انك انت السميع العليم } لقولى ونيتى { فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى } الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد

(كون)

كون التقييد بالحال لغوا بل باعتبار قاعدة اخرى وهى ان كل ضمير وقع بين اسمين مذكر ومؤنث وهما عبارتان
عن مدلول واحد جاز فيه التذكير والتأنيث كما فى قولنا الكلام يسمى جملة وما نحن فيه من هذا القبيل فان ضمير انى
وضعتها وقع بين قوله ما فى بطنى وبين قوله انثى فان لفظ انثى حال بمنزلة الخبر فأنث الضمير العائد الى ما نظرا الى ما بعده
من الحال من غير ان يعتبر فيه معنى الانوثة ليلزم اللغو وهذا المعنى هو المراد بقوله لان تأنيثها علم منه ﴿قوله
او على تأويل مؤنث﴾ عطف على قوله لانه كان انثى ولا يلزم حينئذ ان يكون التقييد بالحال لغوا اذلا اعتبار فى ان
يقال رب انى وضعت النفس او النسمة او الجبلة انثى ﴿قوله وانما قالته﴾ جواب عما يقال اى فائدة فى هذا
الاخبار وقد علم المخاطب فائدة الخبر اعنى الحكم ولازمها اعنى كون المخبر عالما بالحكم وتقرير الجواب ان ما ذكر من
انحصار المقصود من القاء الكلام الخبرى فيما ذكر من الامرين انما هو فيما اذا كان المتكلم بصدد الاخبار والاعلام
والافقد يلقى الكلام الخبرى لاظهار التحزن والتحسر ﴿قوله وهو استئناف من الله تعالى﴾ لما تحسرت
منه وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب
وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم شيأ منه فلذلك تحسرت وتحزنت
﴿قوله وقرأ ابن عامر وضعت﴾ اى بناء المتكلم على ان تكون الجملة من تمام حكاية مقالة ام مريم لما تحزنت
بولادتها انثى شرعت فى تسلية نفسها بان قالت ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وفيه
التفات من الخطاب الى الغيبة لان مقتضى قولها السابق ان تقول وانت تعلم بما وضعت وقوله وقرئ وضعت
اى بكسر تاء المخاطبة على خطاب الله تعالى اياها بان يقول لها انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو المنفرد بعلم ما فيه
من الفضائل والآيات ﴿قوله وما بينهما اعتراض﴾ على تقدير ان يكون كل واحد من قوله والله اعلم
بما وضعت وقوله وليس الذكر كالانثى من كلام الله تعالى واما اذا كان جميع ما قبله من كلام ام مريم فلا اعتراض
حينئذ بل يكون التقدير قالت انى وضعتها وقالت والله اعلم بما وضعت وقالت وليس الذكر كالانثى وقالت وانى
سميتها مريم ﴿قوله وفيه دليل﴾ اى فى قولها وانى سميتها مريم فان معناه جعلت هذا اللفظ اسما
فالذات الموضوع لها مسمى ولفظ مريم اسمها وجعله اسما لها تسمية وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران
كان قد مات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الأم تسمية المولود لان العادة ان التسمية يتولاها الآباء ولما
فاتها ان يكون ما فى بطنها رجلا خادما للمسجد تضرعت الى الله تعالى فى ان يحفظها من الشيطان وان يجعلها
من الصالحات ﴿قوله فرضى بها﴾ اشارة الى ان تقبل بمعنى الثلاثى المجرد نحو تعجب وعجب من كذا وتبرأ
وبرئ منه والقبول مصدر قولهم قبل فلان الشئ اذا رضيه الا انه عبر عن معنى القبول بلفظ التقبل لدلالته على
المبالغة فى اظهار القبول لان باب التفعل يدل على شدة اعتناء الفاعل باظهار ذلك الفعل كالتصبر والتجلد ونحوهما
فانهما يفيد ان المبالغة فى اظهار الصبر والجلادة فكذا التقبل يفيد المبالغة فى اظهار القبول * فان قيل فلم لم يقل فتقبلها
ربها بتقبل حسن حتى تكمل المبالغة * فالجواب ان لفظ التقبل وان افاد ما ذكرنا الا انه يفيد نوع تكلف على
خلاف الطبع واما القبول فانه يفيد معنى القبول على وفق الطبع فذكر التقبل اولا ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر
القبول ليفيد ان ذلك القبول ليس على خلاف الطبع بل على وفق الطبع واحسن الوجوه والباء فى قوله بقبول
حسن يحتمل ان تكون زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكفى بالله وهذا على تقدير ان يكون
القبول مصدر قبل يقبل فانه حينئذ لا يكون للباء معنى بل لا بد ان يقال فتقبلها قبولا حسنا ويحتمل ان تكون
للآلة وهذا على تقدير ان يكون القبول اسما لما يتقبل به الشئ كالسعوط واللدود فان الاول اسم لما يسعط به
والثانى لما يلد اى الدواء الذى يصب فى احد شقى الفم ولديدا الفم جانباه والسعوط الدواء الذى يصب فى الانف
والمسعط الاناء الذى يجعل فيه السعوط واختار المصنف هذا الوجه حيث قدم قوله بوجه حسن يقبل به النذائر
وذلك الوجه قبول تلك الانثى مع انوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يجوز التحرير الا فى حق غلام
قادر على خدمة المسجد وههنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد
﴿قوله روى ان حنة﴾ بيان لتسلمها عقيب ولادتها والسدانة مصدر بمعنى خدمة المسجد وفى الصحاح السادن
خادم الكعبة وبيت الاصنام والجمع السدنة يقال سدن يسدن سدنا وسدانة ﴿قوله دونكم هذه النذيرة﴾
اى خذوها والتنافس الرغبة فى الشئ النفيس والتخاصم فيه والقربان بالضم ما يتقرب به الى الله وهو فى الاصل

او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما
قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت
ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
(والله اعلم بما وضعت) اى بالشئ الذى
وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن
عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله
فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت
على خطاب الله تعالى لها (وليس الذكر
كالانثى) بيان لقوله والله اعلم اى وليس
الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام
فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى
وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون
اللام للجنس (وانى سميتها مريم) عطف على
ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما
ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان
مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على
ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة
(وانى اعيذها بك) اجيرها بحفظك
(وذريتها من الشيطان الرجيم) المطرود
واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى
الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم
وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل
مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان
الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
(فتقبلها ربها) فرضى بها فى النذر مكان
الذكر (بقبول حسن) بوجه حسن يقبل به
النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها
عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت
دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان
كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم

مصدر قرب يقرب ثم جعل اسما لذلك وهذه الامة يتقربون الى الله تعالى بان يذبحوا ذبيحة لله تعالى ويقسموها بين الفقراء وقربان تلك الامة شئ يضعونه فى بيت لتنزل نار سماوية وتأكله كما قال تعالى حتى تأتينا بقربان تأكله النار وصاحب القربان من يتولى امر القرابين من المتقربين فى البيت الذى تنزل فيه النار من السماء ﴿ قوله فطفا ﴾ اى ارتفع يقال طفا الشئ فوق الماء يطفو طفوا وطفوا اذا علا ولم يرسب اى ولم ينزل فى قعر الماء فقال زكريا انا احق بها فقالوا لاحتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح ثم القوا اقلامهم ثلاث مرات ففى كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء وترسب اقلامهم فاخذها زكريا ﴿ قوله ويجوز ان يكون مصدرا ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بوجه حسن فالباء على هذا ايضا للآلة والمعنى فتقبلها بامر ذى قبول حسن وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها فالوجهان متحدان فى حاصل المعنى ﴿ قوله وان يكون تقبل بمعنى استقبل ﴾ قسيم لقوله فرضى بها فى النذر مكان الذكر وتفعل بمعنى استفعل كثير فى كلامهم يقال تعجله بمعنى استعجله وتقصه بمعنى استقصه والحاصل ان القبول يحتمل ان يكون بمعنى مايقبل به الشئ وان يكون مصدرا فكذا تقبل يحتمل ان يكون بمعنى رضى بها فى النذر وان يكون بمعنى استقبل وتلقى اى فاخذها فى اوّل امرها حين ولدت يقال استقبل الامر اذا اخذه فى اوّله وعنفوانه وعنفوان الشئ والقوانه اوّله وعين العنفوان بدل من الهمزة ﴿ قوله مجاز عن تربيتها ﴾ اى استعارة تمثيلية فانه تعالى شبه حاله فى حسن تربيتها وتعهدها بمايصلحها فى جميع الاوقات بحال الزراع مع زرعه فانه لايزال يتعهد زرعه ويسقيه ويحميه من الآفات ويقلع عنه ماعسى ينبت فيه ممايضر صلاحه وكماله فاطلق اسم المشبه به على المشبه ثم اشتق منه ﴿ قوله وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش ﴾ فان ابن عياش روى عنه عاصم مد زكرياء منصوبا على انه مفعول ثان لكفل فانه تعدى بالتضعيف الى اثنين اى ضمنها الله زكرياء وضمها اليه بالقرعة قال الامام محيى السنة وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم زكريا مقصورا والآخرون يمدون يقال كفل يكفل كفالة وكفلا فهو كافل وهو الذى ينفق على انسان ويهتم باصلاح مصالحه وفى الحديث «انا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين» وقال تعالى اكفلنيها ﴿ قوله اى الغرفة التى بنيت لها ﴾ قيل لما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطه لايرقى اليه الا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم قال الاصمعى المحراب الغرفة استدلالا بقوله تعالى اذتسوروا المحراب والتسوّر لايكون الامن علو يقال تسوّر الحائط اذا استعلاه وقال الزجاج المحراب اشرف المجالس ومقدمها وقيل كانت المساجد عندهم تسمى المحاريب والمحراب مفعال من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان وهو فى اللغة اسم للموضع العالى الشريف وقال الحسن حين ولدت مريم لم تلتقم ثديا قط وكان يأتيها رزقها من الجنة فقال لها زكريا أنى لك هذا قالت هو من عند الله فتكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى عليه الصلاة والسلام حال صغره ﴿ قوله من اين لك هذا الرزق ﴾ قوله هذا الرزق مبتدأ ومن اين لك خبر قدم عليه وجملة قال يامريم استئناف وقيل معناه من اى جهة لك هذا لان أنى سؤال عن الجهة واين للسؤال عن المكان ﴿ قوله وهو دليل جواز الكرامة للاولياء ﴾ لان حصول الرزق عندها على الوجه المذكور لاشك انه امر خارق للعادة ظهر على يد من لا يدعى النبوّة وليس معجزة لبعض الانبياء لان النبى الموجود فى ذلك الزمان هو زكريا عليه الصلاة والسلام ولو كان ذلك معجزة له لكان عالما بحاله ولم يشتبه امره عليه ولم يقل لمريم أنى لك هذا وايضا قوله تعالى بعد هذه الآية هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة مشعر بانه لما سألها عن امر تلك الاشياء وذكرت له ان ذلك من عند الله هنالك طمع فى انخراق العادة بحصول الولد من المرأة الشيخة العقيمة العاقرة بناء على انه قد كان آيسا من الولد بسبب شيخوخته وشيخوخة زوجته فلو لم يعتقد ان مارآه فى حق مريم من الخوارق وان ذلك العلم لم يحصل له الا باخبار مريم لما كانت رؤية تلك الخوارق فى حق مريم سببا لطمعه فى انخراق العادة بولادة العاقر والشيخ الكبير واذا كان كذلك ثبت ان تلك الخوارق ماكانت معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام ولا لنبى غيره لانعدامه فتعين انها كرامة لمريم عليها السلام مع كونها ارهاصا لعيسى عليه الصلاة والسلام فثبت المطلوب واما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوّة لايوجد مع غير النبى

فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فأخذها فى اوّل امرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها نباتا حسنا) مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها (وكفلها زكريا) شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا (كلما دخل عليها زكريا المحراب) اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس (وجد عندها رزقا) جواب كلما وناصبه روى انه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس (قال يامريم أنى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الآتى فى غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى

كان العقل المحكم لما كان دليلا على العلم لا جرم لا يوجد في حق غير العالم ﴿قوله وبضعة لحم﴾ البضعة بفتح الباء القطعة من اللحم والباء في قوله فرجع بها للمصاحبة اي فرجع النبي صلى الله عليه وسلم مصاحبا تلك الهدية الى فاطمة رضي الله عنها وقال هلم اي تعالى ويستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة اهل الحجاز قال تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا واهل نجد يصرفونها فيقولون هلم هلما هلموا هلمي هلمن والاول افصح ﴿قوله في ذلك المكان﴾ يعني ان هنا ظرف مكان واللام للبعد والكاف حرف خطاب وهو وزان ذلك والمعنى ان زكريا عليه السلام لما رأى خوارق العادة عند مريم طمع في خرق العادة في حقه بان يرزقه الله الولد من الشيخة العاقرة فدعا في ذلك المكان الذي رأى فيه ما رأى من امر مريم بان قال رب هب لي الآية ثم ان كون ما رآه من امر مريم حاملا للدعاء المذكور له وجهان الاول انه استدل بما رآه من امرها على كرامتها على الله تعالى ومنزلتها عنده فرغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى واذا كانت عجوزا عاقرا فقد كانت اختها كذلك والثاني انه تنبه لما رأى من امرها على جواز ولادة العاقر لان ظهور الفواكه في غير اوانها بمنزلة ولادة العاقر من الشيخ فاي واحد من الامرين خطر بباله حمله ذلك على ان يدعو بذلك ولم يرض المصنف بالاحتمال الثاني استبعادا لكون مشاهدة وقوع الخوارق كرامة لولي سببا لتنبيه النبي لجواز وقوعها معجزة لنبي ﴿قوله او يستعار هنا وثم وحيث للزمان﴾ جوّز حمله على الزمان وهو معنى مجازي لهنالك مع جواز حمله على معناه الحقيقي الذي هو المكان تكثيرا للفائدة لان دعاءه في زمان رؤية ما رآه من امر مريم عليها السلام يستلزم دعاءه في مكان تلك الرؤية بخلاف الدعاء في ذلك المكان فانه لا يستلزم الدعاء في ذلك الزمان ﴿قوله اي من جنسهم﴾ اي وصل اليه النداء من جنس الملائكة دون غيرهم من الاجناس فان حكم الواحد من الجنس قد ينسب الى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وانما يركب واحدا من افراده والخيل والابل ونحوهما من اسماء الجموع ويقال بنوا فلان قتلوا زيدا والقاتل واحد منهم ومثله في القرآن الذين قال لهم الناس وهم نعيم بن مسعود ان الناس يعني اباسفيان والعطف بالفاء في قوله فنادته الملائكة يؤذن بان التبشير وقع عقيب الدعاء ولفظ الملائكة لما كان جمعا مكسرا جاز في الفعل المسند اليه التذكير باعتبار الجمع والتأنيث باعتبار الجماعة ﴿قوله تعالى وهو قائم﴾ جملة حالية من مفعول نادى وذكر لقوله يصلي اربعة اوجه احدها ان يكون صفة لقائم وثانيها ان يكون خبرا بعد خبر على رأي من يرى تعدد الخبر مطلقا نحو زيد شاعر فقيه وثالثها انه حال ثانية من مفعول نادى على رأي من يجوّز تعدد الحال ورابعها كونه حالا من المستتر في قائم على التداخل ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي يبشرك﴾ بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين وفي الصحاح بشرت الرجل ابشره بالضم بشرا وبشورا من البشرى وكذلك الابشار والتبشير ثلاث لغات والاسم البشارة والبشارة بالكسر والضم ﴿قوله تعالى مصدقا﴾ حال مقدرة من يحيى قال الجمهور المراد بالكلمة هو عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يحيى اول من صدق بعيسى وآمن به وقرئ بآية كلمة الله وروحه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهذه حاملة بعيسى وتلك بيحيى فقالت يا مريم شعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله قال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من آمن وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام ٭ واعلم ان كلمة الله تعالى هو كلامه وكلامه على قول اهل السنة صفة قديمة قائمة بذاته وعلى قول المعتزلة صفة يخلقها الله تعالى في جسم مخصوص دالة بالوضع على معاني مخصوصة ومن المعلوم بالضرورة ان ذات عيسى كما انها ليست من قبيل الاصوات والحروف ليست ايضا صفة قائمة بذات الله تعالى فوجب تأويل قوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته وقوله تعالى في هذه الآية مصدقا بكلمة من الله فقيل في تأويله انه عليه الصلاة والسلام لما تكوّن بكلمة كن من غير توسط شيء من الاسباب المعهودة سمي كلمة لانه بها تكوّن وسمي روحا ايضا لانه تعالى احيى به من الضلالة كما يحيى الانسان بالروح وقد سمى الله تعالى القرآن روحا لذلك فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ﴿قوله او بكتاب الله﴾ اي ويحتمل ان يراد بالكلمة كتاب الله تعالى وآياته كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله تعالى المنزلة فعبر عن الجمع ببعضه كما تقول العرب انشدني كلمة فلان اي قصيدته التي قالها وان طالت قال عليه الصلاة والسلام اصدق كلمة قالها لبيد ٭ الا كل شيء ما خلا الله باطل ٭ وذكر حسان رضي الله عنه الحويدرة الشاعر فقال لعن الله كلمته يعني

روي ان فاطمة رضي الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلم يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها (هنالك دعا زكريا ربه) في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى (قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة (انك سميع الدعاء) مجيبه (فنادته الملائكة) اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرائيل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير (وهو قائم يصلي في المحراب) اي قائما في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال من الضمير في قائم (ان الله يبشرك بيحيى) اي بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل (مصدقا بكلمة من الله) اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيدا) يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية (وحصورا) مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (ونبيا من الصالحين) ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة

﴿قال رب أنى يكون لى غلام﴾ استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه ﴿وقد بلغنى الكبر﴾ اى ادركنى كبر السن واثر فىّ وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ﴿وامرأتى عاقر﴾ لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد ﴿قال كذلك الله يفعل مايشاء﴾ اى يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له ﴿قال رب اجعل لى آية﴾ علامة اعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ﴿قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام﴾ ان لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الاعن الشكر واحسن الجواب ما اشتق عن السؤال ﴿الارمزا﴾ اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ماتلقنى فردين ترجف ٭ روانف أليتيك وتستطارا ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ فى ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لايفيد التكرار ﴿وسبح بالعشى﴾ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل ﴿والابكار﴾ من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار

قصيدته وقوله من الله فى محل جر على انه صفة لكلمة فيتعلق بمحذوف اى كلمة كائنة من الله وسيدا وحصورا ونبيا احوال ايضا كمصدقا ومن الصالحين صفة لقوله نبيا اى نبيا كائنا من اولاد الصالحين اوكائنا من عدادهم فان مراتب الصلاح لكونها متفاوتة جاز ان يمدح به الانبياء وان كانت النبوة اشرف احوال نوع الانسان حتى ان سليمان عليه السلام مع كونه من جملة الانبياء قال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين طلبا لأعلى مراتبه والظاهر ان يكون فى قوله أنى يكون لى غلام تامة وان الجار والظرف كلاهما متعلقان بيكون والمعنى من اين يحدث او كيف يحدث لى غلام فان زكريا عليه الصلاة والسلام لما ناداه الملائكة وبشروه بيحيى تعجب من مجئ الولد من الشيخين الكبيرين فراجع فى استكشاف وجهه وكيفية ظهوره الله تعالى فقال ذلك وقيل انه خطاب مع الملائكة والرب اشارة الى المربى ويجوز وصف المخلوق به فانه يقال فلان ربنى ويحسن الى فان قيل لما تيقن زكريا بقدرة الله تعالى على كل ممكن فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة فاجاب الله تعالى دعاءه وبشره بيحيى فلم تعجب منه ولم استبعده والشك فى قدرة الله تعالى لايقوم بشأنه اذلا يخفى على مثله انه لايلزم ان يكون كل انسان مخلوقا من نطفة سابقة عليه وان تكون تلك النطفة مخلوقة من انسان سابق عليها والا لزم التسلسل وقدم الحوادث المتولدة بالنوع فلابد من الانتهاء الى مخلوق خلقه الله تعالى لامن نطفة او من نطفة خلقها الله تعالى لامن انسان اشار المصنف الى جوابه بقوله استبعادا من حيث العادة الخ يعنى ان زكريا عليه الصلاة والسلام لم يقل هذا الكلام بناء على شكه فى قدرة الله تعالى وانكاره لماقال الملائكة وانما قاله استبعادا لتمييزه عن غير الوجوه المعتادة والاسباب المعهودة او استعظاما لقدرة الله تعالى لان الحادثة الواقعة على خلاف العادة ادل على عظم قدرة المحدث او تعجبا من وقوعه من حيث خفاء سببه وهذه الوجوه الثلاثة مبنية على ان يكون قوله انى يكون لى ولد بمعنى من اين يكون أبأن يعطيه الله تعالى حال شيخوخته وشيخوخة زوجته ام بان يجعلهما شابين ام بان يرزقه الله تعالى ذلك الولد من امرأة اخرى واستفهامه عن كيفية الحدوث مبنى على ان يكون انى بمعنى كيف لايدل على كونه شاكا فى قدرة الله تعالى والكبر مصدر كبر الرجل يكبر كبرا اى ايس وبابه علم وقوله وامرأتى عاقر جملة حالية اما من الياء فى قوله لى فيتعدد الحال على قول من يراه واما من الياء فى بلغنى والعاقر من لا يولد له رجلا كان او امرأة واكثر استعماله فى المرأة التى لاتحبل واشار المصنف بقوله لانها ذات عقر الى ان بناء عاقر للنسبة مثل تامر ولابن او هو بمعنى مفعول اى معقورة ﴿قوله تعالى قال كذلك﴾ هذا القائل هو الرب المذكور فى قوله تعالى رب أنى يكون لى غلام وقدمنا انه يحتمل ان يكون المراد به هو الله تعالى وان يراد جبريل عليه السلام لان الرب اذا استعمل مضافا يجوز اطلاقه على غيره تعالى واشار المصنف اولا الى ان الكاف فى كذلك فى محل النصب على انها صفة مصدر محذوف والتقدير ماذكره بقوله يفعل مايشاء من العجائب فعلا مثل ذلك الفعل وثانيا الى انها فى محل النصب ايضا على انها حال من الابوين المدلول عليهما بقوله يفعل مايشاء والتقدير يفعل مايشاء من خلق الولد من ابوين كائنين مثل ما انت عليه وزوجك ﴿قوله بيان له﴾ اى بيان للابهام فى اسم الاشارة ﴿قوله علامة اعرف بها الحبل﴾ اى حصول العلوق وذلك لان العلوق لايظهر فى اول الامر وذكر لمعرفته ثلاث فوائد المسرة والبشاشة بوصول العطية المبشر بها وازدياد العبادة شكرا لله تعالى على النعمة وزوال مشقة الانتظار الى ظهور امارات العلوق وعلاماته ﴿قوله واحسن الجواب﴾ اى اوفقه واكثره حسنا مايقتضيه السؤال ويتفرع هو من السؤال طلب السائل معرفة وقت العلوق ليزيد فى العبادة شكرا فاجيب بما يعينه على العبادة والشكر وهو احتباس لسانه الاعن الشكر ويدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لان الرمز ليس من جنس الكلام اذ الرمز هو الاشارة بالعين او الحاجب او نحوهما ثم انه لما ادى ماهو المقصود من الكلام من الدلالة على مافى الضمير سمى كلاما وفسر الكلام بما يعمه ومايتركب من الحروف المسموعة قال الشاعر

٭ اذا كلمتنى بالعيون الفواتر ٭ رددت عليها بالدموع البوادر ٭

فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ﴿قوله وقرئ رمزا﴾ بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وقرئ رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وعلى القراءتين يكون حالا من ضمير زكريا المستكن فى تكلم ومن مفعوله معا كفردين فى البيت المذكور فانه حال من المنوى فى تلقنى ومن ضمير المتكلم وترجف اى تضطرب بشدة وهو مجزوم لانه جواب

الشرط والروانف جمع رانفة وهى طرف الالية التى يلى الارض من الانسان اذا كان قائما والروانف بمعنى الرانفتين وجمع لأمن اللبس اذلايكون للانسان اكثر من رانفتين وتستطار اصله تستطاران سقط النون للجزم وقيل اصله تستطارن فقلبت النون الفا للوقف ومعناه تتحرك وترتعش من شدة الخوف والباء فى بالعشى بمعنى فى والعشى جمع عشية وهى آخر النهار والعامة قرأوا والابكار بكسر الهمزة وهو مصدر ابكر يبكر ابكارا اى خرج بكرة او صار فى وقت البكرة ثم سمى مابين طلوع الفجر الى الضحى ابكارا كما يسمى اصباحا وقرئ شاذا والابكار بفتح الهمزة وهو جمع بكر بفتح الفاء والعين كسحر واسحار ﴿قوله تعالى واذقالت الملائكة﴾ ان شئت جعلته معطوفا على الظرف قبله وهو قوله اذقالت امرأة عمران وان شئت جعلته منصوبا بمقدر ﴿قوله كلموها شفاها﴾ قال اهل التفسير المراد بالملائكة ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام وذلك لايعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والافلا ولم ينقل من قال ذلك من الملائكة من هو مقال الامام والقول بان القائل هو جبريل وان كان عدولا عن الظاهر الا انه يجب المصير اليه لان سورة مريم دلت على ان المتكلم مع مريم عليها السلام هو جبريل وهو قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا اى سوى الخلق لتستأنس بكلامه ثم قال واعلم ان مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم واذا كان كذلك كان ارسال جبريل اليها اما ان يكون لكرامة لها وهو مذهب من يجوز كرامات اولياء الله تعالى او ارهاصا لعيسى عليه الصلاة والسلام وذلك جائز عند الكعبى من المعتزلة او معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث فى الروع والالهام والالقاء فى القلب كما فى حق ام موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله واوحينا الى ام موسى والارهاص من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الجدار وهو فى الاصطلاح تقدم مايشبه المعجزة على دعوى النبوة كاظلال الغمام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم الحجر والمدر وغير ذلك ﴿قوله واغناؤها برزق الجنة عن الكسب﴾ فكان يأتيها رزقها من عند الله تعالى على ماقال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله قال الحسن ان امها لما وضعتها ماغذتها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا فكان رزقها يأتيها من الجنة ﴿قوله وتطهيرها﴾ اى بان طهرها الله تعالى من الكفر والمعصية ومن الافعال الذميمة والصفات القبيحة وعن مسيس الرجال ومن الحيض والنفاس قالوا وكانت مريم لاتحيض وعن تهمة اليهود وكذبهم ﴿قوله والثانى﴾ وهو اصطفاؤها على نساء العالمين فان جميع ماذكر لم يتفق لغيرها من الاناث روى موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية * وهو حديث حسن يوافق الآية فى الدلالة على ان مريم افضل من جميع نساء العالمين وعن انس قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية امرأة فرعون وهو يدل على ان هؤلاء الاربع افضل النساء ﴿قوله فى الجماعة﴾ مستفاد من قوله مع الراكعين وقوله بذكر اركانها فان كل واحد من القنوت وهو طول القيام والسجود والركوع من اركان الصلاة وتسمية الشئ باسم اشرف اجزائه مجاز مشهور فتكون الاجزاء الثلاثة وهى القيام والسجود والركوع مجازا من الصلاة ويكون مع الراكعين مجازا عن المصلين وعبر عنها باركانها الثلاثة وفى جعل الركن مجازا عن الكل مبالغة فى المحافظة على اركانها ﴿قوله اوليقترن اركعى بالراكعين﴾ يعنى ان كون فواصل الآية هى النون يستدعى ان يكون مع الراكعين آخر الآية فلو اخر قوله واسجدى عن قوله واركعى لزم ان ينفصل واركعى عن قوله مع الراكعين وفى الكشاف ويحتمل ان يكون فى زمانها من يقوم ويسجد فى صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولاتكون مع من لايركع وهو قول المصنف للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين ﴿قوله ماذكرنا من القصص﴾ اى من حديث حنة وزكريا ويحيى ومريم وعيسى وانها من اخبار الغيب فلا يمكنك ان تعلمه الا بالوحى فقوله ذلك مبتدأ ومن انباء الغيب خبره وجملة نوحيه اليك مستأنفة او صفة للغيب المعرف بلام العهد الذهنى على طريق قوله * ولقد امر على اللئيم يسبنى * وهو الظاهر لقوله التى لم تعرفها الا بالوحى ﴿قوله والمراد تقرير كونه وحيا﴾ جواب عما يقال لاشك ان المقصود من الآية بيان ان اخباره عليه الصلاة والسلام بنبأ الغيب على الوجه المطابق للواقع من دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام فى دعوى النبوة بناء على ان الاخبار بالشئ على الوجه المطابق للواقع يتوقف على العلم به وطريق العلم منحصر فى المشاهدة والاستماع من اهل العلم

﴿واذقالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها تطهيرها عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامة السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ﴿يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾ امرت بالصلاة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لاتوجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ﴿ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك﴾ اى ماذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى ﴿وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم﴾ اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل

وقرآءة اسفارهم والوحى وان ماعدا الوحى من طرق العلم منتف فتعين انه عليه الصلاة والسلام انما اخبر بتلك الانباء بالوحى وانه نبى حقا ثم انه تعالى لم ينف من طرق العلم الا المشاهدة ولا حاجة الى نفيه لكون انتفائها معلوما قطعا لان مشاهدة ماسبق على المشاهد سبقا زمانيا واستحالتها معلومة لكل احد بخلاف الاستماع من الاساتذة واصحاب التواريخ فانه وان كان منفيا فى نفس الامر ايضا كالمشاهدة الا انه متوهم لبس استحالته كاستحالة المشاهدة فالتصريح بنفى مالا حاجة الى نفيه وترك التعرض لنفى ماينبغى التعرض لنفيه خلاف مقتضى الظاهر فما الوجه فى ذلك * وتقرير الجواب ان ذلك انما وقع لنكتة وهى التهكم باليهود المنكرين لنبوته عليه الصلاة والسلام وان يوحى اليه وطريق التهكم منحصر فى الثلاثة المذكورة لامحالة وانهم ينكرون الوحى ويعترفون ايضا بانه عليه الصلاة والسلام ليس من اهل السماع والقرآءة لقطع بانه عليه الصلاة والسلام لم يخالط الكتاب ولم يصاحب احدا من اهل الكتاب فلم يبق من طرق علمه الا المشاهدة مااخبر به من الوقائع فاذا نفيت مع كون انتفائها معلوما قطعا ويقينا عند كل احد كان المقصود من نفيها التهكم بمنكرى الوحى كأنه قيل ايها المنكرون لان اوحى اليه والمتهمون فى دعوى نبوته ليس لكم فى سبب الاتهام سوى احتمال المشاهدة والعيان وانه غاية السفاهة ونهاية الحمق لان ومن اضل ممن عدل عن الاحتمال الثابت بالمعجزات الساطعة والبراهين القاطعة الى احتمال لايذهب اليه وهم احد واى حالة ادعى الى الضحك والاستهزآء والسخرية من حال هؤلاء ﴿قوله متعلق بمحذوف﴾ منصوب المحل به فان ايهم لايصح ان يكون ابتدآء استفهام لفساد المعنى ولا يجوز تعليقه بيلقون لان التعليق بالاستفهام من خصائص افعال القلوب ويلقون ليس منها ولا مما يحكى بعده الجمل فلابد من ان يقدر فعل له تعلق بيلقون لئلا ينقطع النظم فان قولهم ايهم يكفل مرتبط من جهة المعنى بيلقون فلما لم يصح تعليقه بالاستفهام وجب ان يتعلق بفعل مقدر ليبقى الارتباط المعنوى ووجب ان يكون الفعل المقدر مما يصح تعليقه بالاستفهام ويتعلق بيلقون بان يكون فى موضع المفعول له وذلك قوله اى يلقونها ليعلموا وان لم يكن مما يصح تعليقه بالاستفهام فلابد ان يكون مما يحكى بعده الجمل ويكون فى موضع الحال من فاعل يلقون اى يلقون قائلين ايهم يكفل مريم والظاهر فى عبارة المصنف او يقولوا ان تكون نون الاعراب اذلا وجه لكون يقولوا علة لالقاء الاقلام ولم يقدر ينظرون كما قدره الزمخشرى لان التعليق من خواص افعال القلوب كما هو المشهور وهو ليس منها واما الزمخشرى فقد اعتمد على ماذكره الشيخ ابن الحاجب من ان النظر فعل ادراكى يصح تعليقه بالاستفهام خاصة ﴿قوله بدل من اذ قالت الاول﴾ فيه بعد لكثرة الفاصل بين البدل والمبدل منه ﴿قوله او من اذ يختصمون﴾ والظاهر ان المراد بالبدل هو بدل الكل من الكل وذلك يستلزم اتحاد زمان الاختصام بزمان قول الملائكة وليس كذلك لان الاختصام وقع فى زمن صغر مريم جدا وقول الملائكة وقع بعد ذلك بزمان مديد فكيف يصح الابدال من اذ يختصمون بدل الكل فالمصنف اشار الى جوابه باعتبار كون زمان الاختصام والبشارة زمانا ممتدا متسعا يقع الاختصام فى بعض اجزآئه والبشارة فى بعض آخر فيكون قوله اذ يختصمون اشارة الى جميع ذلك الزمان وكذا قوله واذ قالت الملائكة يكون اشارة الى جميع ذلك الزمان فيكون الثانى عين الاول بهذا الاعتبار فيجوز ان يكون بدلا منه بدل الكل وقد شاع بينهم ان يعبر عن الزمان الواقع ظرفا للفعل بزمان ممتد يتسع فيه افعال كثيرة نحو لقيته سنة كذا وفارقته فى تلك السنة والحال ان الملاقاة وقعت فى اول السنة والمفارقة فى آخرها ومنه فى قوله تعالى بكلمة منه فى محل الجر على انه صفة لكلمة ومن لابتدآء الغاية لان سبب ظهور عيسى عليه الصلاة والسلام وحدوثه هو الكلمة الصادرة منه تعالى اطلق عليه لفظ الكلمة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وحدوث كل مخلوق وان كان بسبب هذه الكلمة الا ان السبب المتعارف للحدوث لما كان مفقودا فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام كان اسناد حدوثه الى الكلمة اتم واكمل فجعل عيسى عليه الصلاة والسلام بهذا الاعتبار كأنه نفس الكلمة كما يقال لمن غلب عليه الجود والكرم انه نفس الجود ومحض الكرم على سبيل المبالغة فكذا هنا ﴿قوله من الالقاب المشرفة﴾ بكسر الرآء المشددة ﴿قوله واشتقاقهما﴾ اى والقول باشتقاق المسيح من المسح وباشتقاق عيسى من العيس بفتحتين تكلف اذ لا معنى لاشتقاق الاسماء الاعجمية من الالفاظ العربية ﴿قوله او بما طهره من الذنوب﴾ قيل كان ممسوحا بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا وهذا الدهن من مسح به وقت الولادة فانه يكون نبيا وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن ﴿قوله او مسح الارض﴾ اى

(ايهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل مريم (وما كنت لديهم اذ يختصمون) تنافسا فى كفالتها (اذ قالت الملائكة) بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا (يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم فى موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته

(قطعها)

قطعها كما سمي الدجال مسيحا من حيث انه يمسح الارض اى يقطعها فى المدة القليلة او من حيث ان احدى عينيه ممسوحة وقوله تعالى اسمه مبتدأ والمسيح خبر وعيسى بدل منه او عطف بيان او خبر بعد خبر على رأى من يجوز تعدد الخبر لمبتدأ واحد وابن مريم يجوز ان يكون صفة لعيسى ويؤيده كتب الناس اياه بدون ألف ويجوز ان يكون خبرا ثالثا وقد صرح المصنف بان المسيح لقب عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون عيسى اسمه العلم قدم اللقب على الاسم العلم لشهرة اللقب بالنسبة الى الاسم لان المسيح قلما يقع على مسمى يشتبه به وعيسى قد يقع على عدد كثير فيميز المراد من غيره بوصفه الموضح وهو ابن مريم ﴿قوله وابن مريم﴾ لما اختار ان المسيح وعيسى وابن مريم اخبار مترادفة اخبر بها عن قوله اسمه اجاب عما يرد من انها صفات وليست باسماء * وتقرير الجواب انه ليس المراد بالاسم ما يرادف اللقب والعلم او ما يعمهما فقط بل المراد به كل لفظ يكون علامة مميزة للمسمى عما سواه ولما كان ابن مريم أيضا بهذا المعنى نظم فى سلك الاسماء واخبر بكل واحد من الالفاظ الثلاثة عن قوله اسمه ﴿قوله ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ﴾ لما ذهب الى ان هذه الالفاظ الثلاثة اخبار متعاقبة يستقل كل واحد منها بالخبرية عن شئ واحد وهو اسمه ورد عليه انه لا يجوز عند بعض اهل العربية فالقول فى توجيهه اجاب عنه اولا بان المبتدأ ايضا متعدد بحسب المعنى وثانيا بان المراد بالاسم ما يكون علامة للمسمى بحيث يعرف ويتميز بها المسمى عن غيره ومجموع هذه الالفاظ الثلاثة اسم واحد بهذا المعنى فلذلك وقعت خبرا عن شئ واحد وليس كل واحد منها مستقلا بالخبرية بل هو من باب حلو حامض * قال الامام فان قيل لم قال اسمه المسيح بن مريم والاسم ليس الا عيسى واما المسيح فهو لقبه واما ابن مريم فهو صفته * والجواب ان الاسم علم المسمى ومعرف له فكأنه قيل الذى يعرف به اسم تلك الكلمة هو مجموع هذه الثلاثة والمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به الخ وثالثا بان الخبر هو المسيح وعيسى خبر مبتدأ محذوف * فان قيل لم ذكر ضمير اسمه مع كونه راجعا الى الكلمة * اجيب بانه ذكر اعتبارا لجانب المعنى فان المراد بها مذكر ﴿قوله وانما قيل ابن مريم﴾ يعنى ان حال توجه الخطاب الى مريم يقتضى ان يقال عيسى ابنك الا انه قيل عيسى بن مريم تنبيها لها على انها انما تلده من غير اب فلا ينسب ولدها الا الى امه فيقال فى مقام تسميته وتعبيره عن غيره ابن مريم فلو قيل ابنك لم يلزم هذا المعنى ﴿قوله وتذكيرها﴾ يعنى ذكر الحال مع ان ذا الحال مؤنث نظرا الى جانب المعنى لان المراد بالكلمة الولد المكون بالكلمة كما ذكر ضمير اسمه لذلك ومعنى الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر يقال وجه الرجل يوجه وجاهة فهو وجيه اذا صارت له منزلة رفيعة عند الناس والسلطان وقال بعض اهل اللغة الوجيه الكريم لان اشرف اعضاء الانسان وجهه فجعل الوجه استعارة عن المكرم والكمال ﴿قوله والوجاهة فى الدنيا النبوة﴾ فلا يرد ان يقال كيف كان وجيها فى الدنيا مع ان اليهود عاملوه بما عاملوه كما انه تعالى سمى موسى وجيها حيث قال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها فان طعن بنى اسرائيل فيه وايذاءهم اياه لم يقدح فى وجاهته وبناء التفعيل فى المقربين ليس للتكثير والمبالغة بل هو للتعدية لان التضعيف الواقع للمبالغة لا يكسب الفعل مفعولا وهذا البناء قد عداه الى المفعول حيث بنى منه اسم المفعول بخلاف موتت البهائم ﴿قوله تعالى ويكلم الناس﴾ معطوف على قوله وجيها اى وجيها ومكلما فان الجملة الفعلية الحالية مقدرة بالاسم فجاز عطفها على الاسمية والكهل الذى اجتمع قوته وتم شبابه واول سن الكهولة ثلاثون وقيل اثنان وثلاثون وقيل اربعون وآخرها خمسون وقيل ستون ويدخل فى سن الشيخوخة ﴿قوله فى المهد﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير فى يكلم اى يكلم صغيرا وكهلا لان المراد انه يكلم الناس فى الحالة التى يكون الصبى فيها فى المهد لا انه يكلمهم حال كونه مضطجعا فى المهد حقيقة ﴿قوله اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء﴾ اشارة الى جواب ما يقال تكلمه حال كونه فى المهد من المعجزات واما تكلمه فى حال الكهولة فليس من المعجزات فما الفائدة فى ذكره * وتقريره ان تكلمه فى حال الطفولية والكهولة على حد واحد وصفة واحدة من غير تفاوت بان يكون كلامه فى حال الطفولية مثل كلام الانبياء والحكماء لا شك انه من اعظم المعجزات ﴿قوله والمهد مصدر﴾ يقال مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته وتمهيد العذر بسطه وكلام عيسى فى المهد هو قوله فى تبرئة امه انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الى قوله ويوم ابعث حيا وحكى عن مجاهد قال قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان يسبح فى بطنى وانا اسمع قال ابن قتيبة لما بلغ عيسى بن مريم ثلاثين سنة ارسله الله الى بنى اسرائيل فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى وقال وهب

وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت فى سلكها ولا ينافى تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذى يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له عمن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب (وجيها فى الدنيا والآخرة) حال مقدرة من كلمة وهى وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة وفى الآخرة الشفاعة (ومن المقربين) من الله وقيل اشارة الى علو درجته فى الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة (ويكلم الناس فى المهد وكهلا) اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله

ابن منبه جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين واشهرا ثم رفعه الله وعلى التقدير بن صح ان يقال انه بلغ زمن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع الى السماء على بعض تفاسير من اول الكهولة واما قول من يقول ان اول سن الكهولة اربعون سنة فلابد ان يقول انه رفع شابا ولا يكلم الناس كهلا الا بعد اى بنزل من السماء في آخر الزمان فانه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال ﴿قوله وذكر احواله المختلفة﴾ من الصبي الى الكهولة رد على وفد نجران في قولهم ان عيسى كان آلها لانه من المعلوم عند كل احد ان التغير مستحيل في حق الاله ﴿قوله ومن الصالحين حال ثالث﴾ والظاهر انه حال رابع فان قوله وجيها حال وكذلك قوله ومن المقربين وقوله ويكلم الناس وقوله ومن الصالحين فهذه اربع احوال انتصبت من قوله بكلمة والمعنى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات والاحوال وجعل قوله يكلم الناس معطوفا على قوله بكلمة منه اسمه المسيح وجعل ايثار الاسمية في جانب المعطوف عليه لقصد الاستمرار والثبات وفي جانب المعطوف اوثر الفعلية المضارعية لقصد التجدد والحدوث دليل على انه لا رتبة اعظم من كون المرء صالحا لان المرء لا يكون كذلك الا بان يكون في جميع الافعال والتروك مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل ومعلوم ان ذلك يتناول جميع المقامات في الدين والدنيا من افعال القلوب وافعال الجوارح ﴿قوله تعجب او استبعاد عادى﴾ على ان يكون انى يكون بمعنى من اين يكون فان التبشير به يقتضى التعجب مما يقع على خلاف العادة اذ لم تجر عادة بان يولد ولد بلا اب وقوله او استفهام على ان انى يكون بمعنى كيف يكون هذا الولد أبتزوج يقع في المستقبل ام يخلق الله تعالى اياه ابتداء اى من غير مسيس ﴿قوله كلام مبتدأ﴾ اى مستأنف لا محل له من الاعراب سواء كان استئناف اخبار من الله او عن الله تعالى على اختلاف القراءتين ولا يلزم ان تكون الواو عاطفة البتة لان النحويين نصوا على ان الواو قد تكون للاستئناف بدليل ان الشعراء يأتون بها في اوائل اشعارهم من غير تقدم شئ يكون ما بعدها معطوفا عليه ويسمونها واو الاستئناف ومن ذهب الى ان الواو لا تكون غير عاطفة البتة قدر ان الشاعر عطف كلامه على شئ هو في نفسه ولكن الاول اشهر القولين ﴿قوله او عطف على يبشرك﴾ اى ان الله يبشرك بكلمة ويعلم ذلك المولود المعبر عنه بكلمة وهذا الوجه ظاهر على القراءة بياء الغيبة واما على القراءة بنون العظمة ففيه اشكال لان يبشرك خبر ان الله فلو كان نعلمه عطفا عليه يصير التقدير ان الله نعلمه وقيل في تأويله انه من قبيل الالتفات من ضمير الغيبة الى ضمير التكلم ايذانا بالفخامة والتعظيم ورده النحرير التفتازاني رحمه الله بقوله واما حديث الالتفات فمما لا ينبغى ان يلتفت اليه لان التكلم في الحكاية لا يكون الا من الحاكي الا ترى انك لو قلت قال عليه الصلاة والسلام * ان الله ارسل رياحا فتثير السحاب لم يكن كلام الله * وقيل في دفع الاشكال اصل الكلام ان الله يبشرك ولما بلغ الملائكة ذلك الكلام الى مريم قالوا بطريق الغيبة ان الله يبشرك فلوحظ في العطف ما هو اصل الكلام ونقل عن ابى حيان انه استبعد عطفه على يبشرك جدا لاستلزامه طول الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿قوله او وجيها﴾ لانه قد مر انه حال مقدرة فيجوز ان يعطف عليه جملة حالية يجعل فعلها مضارعا للتجدد والحدوث ﴿قوله والكتاب الكتبة﴾ يعنى انه مصدر بمعنى الخط والكتابة * والحكمة العلوم العقلية والشرعية وتهذيب الاخلاق وأخر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة لان التوراة كتاب الهى فيه اسرار عظيمة والانسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه ان يخوض في البحث عن اسرار الكتب الالهية ثم ذكر بعده تعليم الانجيل لان من تعلم الخط ثم تعلم العلوم ثم احاط باسرار الكتاب الذي انزله الله على من قبله من الانبياء فقد عظمت درجته في العلم فاذا انزل الله عليه بعد ذلك كتابا آخر ووقف على اسراره واطلع على حكمه وحقائقه لبلوغه الى ارفع مراتب الاستعداد وقوله منصوب بمضمر على ارادة القول اى على ان يكون ذلك الفعل المضمر معمولا لقول مضمر ايضا ووجه الاحتياج الى الاضمار انه لا يصح عطفه على شئ من المنصوبات المذكورة قبله وهى وجيها ومن المقربين ويكلم وفي المهد ومن الصالحين وذلك لان الضمائر المتقدمة غيب وضمير قوله ومصدقا ورسولا في حكم التكلم لتعلق قوله انى قد جئتكم ولما بين يدى بهما فاحتيج الى ذلك التقدير ليناسب الضمائر ثم جوز كونه منصوبا بالعطف على الاحوال المتقدمة لتضمن الرسول معنى النطق وكذا مصدقا فيه ايضا معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى ﴿قوله وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم﴾ فان هذه الآية تدل على انه عليه الصلاة والسلام كان رسولا الى كل بنى اسرائيل وانه لم يبعث الا اليهم وكان اول انبياء بنى اسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام وقال بعض

وذكر احواله المختلفة المنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية (ومن الصالحين) حال ثالث من كلمة او ضميرها الذى في يكلم (قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) تعجب او استبعاد عادى او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك (ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ونعلمه بالياء (ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم) منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم

اليهود انه عليه السلام كان مبعوثا الى قوم مخصوصين من بني اسرائيل او من غيرهم وعلى التقديرين تكون الآية
راد لهم ﴿قوله نصب بدل أني قد جئتكم﴾ فانه منصوب بنزع الخافض اذ الاصل بأني فلذلك قرأ العامة
أني قد جئتكم بفتح الهمزة واما قوله اني اخلق فقرأة نافع بكسر الهمزة اما على اضمار القول او على الاستئناف وقرأ
الباقون بفتح الهمزة اما على انها بدل من اني قد جئتكم او على انها بدل من آية فعلى هذا يكون محلها الجر اي وجئتكم
بأني اخلق وهذا نفسه آية من الآيات وهذا البدل يحتمل ان يكون بدل كل من كل ان اريد بالآية شيء خاص وان
يكون بدل بعض من كل ان اريد بالآية الجنس فانه قال بآية مع انه قد اتى بآيات اما لان المراد بالآية الجنس واما
لان الكل آية واحدة من حيث انه يدل على شيء واحد وهو صدقه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة
او على انها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي اني اخلق اي الآية التي جئت بها اني اخلق وهذه الجملة في الحقيقة
جواب لسؤال مقدر كان قائلا قال وما الآية فقال ذلك ﴿قوله والمعنى اقدر لكم﴾ فان الخلق في الاصل هو
التقدير كما في قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين اي المقدرين وقد ثبت ان العبد لا يكون خالقا بمعنى التكوين
والابداع فوجب ان يكون بمعنى التقدير والتسوية وقوله لكم متعلق باخلق واللام للعلة اي لاجلكم بمعنى تحصيل
ايمانكم ودفع تكذيبكم اي أن الكاف في قوله كهيئة الطير في محل النصب على انه صفة مفعول محذوف اي اخلق
لكم هيئة مثل هيئة الطير والهيئة اما مصدر في الاصل ثم اطلقت على المفعول اي المهيأ فالخلق بمعنى المخلوق واما
اسم لحال الشيء وليست بمصدر ولما كان الكاف اسما بمعنى المثل صح ان يرجع اليه ضمير فيه والمعنى فأنفخ في مثل
هيئة الطير روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فاخذ
طينا فصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب
عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله تعالى قيل انما طلبوا منه خلق الخفاش لانه اعجب من سائر الخلق
ومن عجائبه انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ويكون له الضرع
ويخرج منه اللبن ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد غروب الشمس وساعة بعد
طلوع الفجر قبل ان يسفر جدا ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة ثم اختلف الناس فقال بعض
انه لم يخلق غير الخفاش ويؤيده قرأة نافع فيكون طائرا بالالف على التوحيد وقال آخرون انه خلق انواعا من الطير
ويؤيده قرأة الباقين طيرا على الجمع فان الطير اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع ولما دل القرآن على انه عليه
الصلاة والسلام انما تولد من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في مريم وجبريل عليه السلام روح محض وروحاني
محض فلا جرم كانت نفخة عيسى سببا للحياة والروح ﴿قوله وابرئ الاكمه﴾ عطف على اخلق والبرأة التفصي
من الشيء المكروه وملابسته وكذلك التبري والاكمه الذي هو اعمى وقيل الذي هو ممسوح العين وابرأوه جعله
بصيرا بعد الكمه قال الزمخشري لم يوجد في هذه الامة اكمه غير قتادة وعاية السدوسي صاحب التفسير قال الراغب
وقد يقال لمن ذهبت عينه اكمه وانشد * كمهت عيناه حتى ابيضتا * خص عليه الصلاة والسلام هذين المرضين
بالذكر لانهما اعيا الاطباء وكان الغالب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فأراهم الله تعالى الامر المعجز
من جنس ذلك قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه الصلاة والسلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفا
من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى وكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان روي ان عيسى لما
قال لهم ابرئ الاكمه والابرص قالوا ان لنا اطباء يفعلون ذلك فذهبوا الى جالينوس واخبروه بذلك فقال اذا ولد
اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص اذا كان بحال اذا غرزت الابرة لا يخرج منه الدم لا يبرأ بالعلاج فان كان هو يحيي
الموتى فهو نبي ليس بطبيب فرجعوا الى عيسى وجاؤا بالاكمه والابرص فمسح بيده فأبصر الاعمى وبرئ الابرص
فآمن به بعضهم وجحد بعضهم وقالوا هذا سحر ثم قال عيسى عليه الصلاة والسلام واحيي الموتى باذن الله فاخبروا
بذلك جالينوس قال الميت لا يعيش ولا يحيى بالعلاج فان كان هو يحيي الموتى فهو نبي ليس بطبيب فطلبوا منه ان
يحيي الموتى فأحيى اربعة انفس عازر وكان صديقا له فارسل اخته الى عيسى عليه الصلاة والسلام فقالت ان اخاك
عازر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة ايام فأتاهم واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لامه
انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عليه الصلاة والسلام اللهم رب السموات
السبع والارضين السبع انك ارسلتني الى بني اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم اني احيي الموتى فأحيي

﴿أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾
نصب بدل أني قد جئتكم او جر بدل آية
او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى
اقدر لكم واصور شيأ مثل صورة الطير
وقرأ نافع اني بالكسر ﴿فانفخ فيه﴾ الضمير
للكاف اي في ذلك المماثل ﴿فيكون طيرا
باذن الله﴾ فيصير حيا طائرا باذن الله نبه به
على ان احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع
هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة
﴿وابرئ الاكمه والابرص﴾ الاكمه الذي
ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما
كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من اطاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه
السلام وما يداوي الا بالدعاء ﴿واحيي
الموتى باذن الله﴾ كرر باذن الله دفع توهم
الالوهية فان الاحياء ليس من جنس
الافعال البشرية

عازر فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقى وولد له من العجوز * ومر بميت على عيسى محمول على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقى وولد له * وابنة العاشر الذي يأخذ العشور قيل له تحييها وقد ماتت امس فدعا الله تعالى فاحياها وعاشت وبقيت وولد لها وسام بن نوح دعا الله تعالى بالاسم الاعظم فخرج من قبره * روى ان القوم قالوا انت تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا واصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فقال عيسى عليه السلام دلوني على قبره فخرج القوم معه حتى انتهى الى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال له عيسى كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانك شيب فقال له يا روح الله انك لما دعوتني سمعت من يقول اجب روح الله فظننت ان القيامة قد قامت فمن هول ذلك شاب رأسي فسأله عن النزع فقال يا روح الله ان مرارة النزع لم تذهب من وقت موتي وكان قد مر من وقت موته اكثر من اربعة آلاف سنة فقال للقوم صدقوني فانى نبي فآمن به بعضهم وكذب به آخرون وقالوا هذا سحر فارنا آية اخرى نعلم بها انك صادق فاخبرنا بما نأكله في بيوتنا وما ندخره فاخبرهم وقال يا فلان انك اكلت كذا وكذا وادخرت كذا وكذا فذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فالله تعالى حكى ههنا خمسة انواع من معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام النوع الاول ذكره بقوله انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير الآية والنوع الثانى والثالث والرابع ذكرها بقوله تعالى وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله تعالى والنوع الخامس ذكره بقوله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴿قوله تعالى ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ اشارة الى جميع ما تقدم من الخوارق واشير اليها بلفظ الافراد وان كانت جمعا في المعنى بتأويل ما ذكر وما تقدم والظاهر ان هذه الالفاظ من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام ختم بها كلامه وان احتمل ان تكون من كلام الله تعالى وجواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف اى ان كنتم مؤمنين انتفعتم بذلك المذكور ﴿قوله عطف على رسولا على الوجهين﴾ اى سواء كان تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم او حال كونه ناطقا بانى قد جئتكم وبانى اصدق ما بين يدى قال الفراء والزجاج نصب مصدقا على الحال والمعنى وجئتكم مصدقا لما بين يدى وجاز اضمار جئتكم لدلالة اول الكلام عليه وهو قوله انى قد جئتكم بآية ويجوز ان يكون منصوبا بالعطف على محل بآية لان بآية في محل النصب على الحال اذ التقدير وجئتكم ملتبسا بآية ومصدقا ﴿قوله مقدر باضماره﴾ اى متعلق بفعل مضمر لدلالة ما تقدم عليه اى وجئتكم لاحل ﴿قوله او مردود على قوله انى قد جئتكم بآية﴾ اى منتظم معه في كونه من متعلقات قوله رسولا ومعطوفا عليه عطف احد المفعولين على الآخر كأنه قيل ارسلت رسولا بانى قد جئتكم وارسلت رسولا لاحل لكم الا ان عطف المفعول له على المفعول به يمانعه النحاة ويمكن ان يقال ان قوله انى قد جئتكم بآية وان كان مفعولا به غير صريح لقوله رسولا الا انه يستفاد منه معنى العلية فيصح عطف قوله ولاحل لكم عليه كأنه قيل ارسلت رسولا لاجل ان اظهر لكم ما ايدني الله تعالى به من المعجزات ولاحل قال النحرير المحقق ولك ان تجعل الكل حالا فيستقيم العطف اى انى قد جئتكم ملتبسا بآية وكائنا لاحل ومصدقا لما بين يدى ومعنى قوله لاحل لابين لكم ما احل الله لكم وما حرم لانه ليس لاحد تحليل الحرام ولا عكسه ﴿قوله او معطوف على معنى مصدقا﴾ اذ المعنى جئتكم لاصدق ما بين يدى ولاحل لكم * والثروب جمع ثرب وهو شحم غشاء الكرش والامعاء ﴿قوله ولا يخل ذلك﴾ اى لا يناقض كونه محللا بعض الذى كان محرما عليهم في التوراة كونه مصدقا للتوراة لان التصديق بالتوراة لا معنى له الا ان يصدق ان كل ما فيها حق وصواب حكم تعالى به لاقتضاء الحكمة ذلك الى ان يزل ما ينسخه وانما يكون حكمه مناقضا لكونه مصدقا للتوراة ان لو كانت الاحكام المذكورة مقيدة بقيد التأبيد فاذا لم يكن التأبيد مذكورا في التوراة لم يكن حكم عيسى بتحليل ما كان محرما فيها مناقضا لكونه مصدقا بالتوراة كما ان ورود النسخ في الشريعة الواحدة يستلزم كون بعض احكامها مناقضا فان كل واحد من الناسخ والمنسوخ حق وصواب في وقته ﴿قوله وهي قوله ان الله ربى وربكم﴾ لما ذكر ان قوله تعالى وجئتكم بآية من ربكم ليس تأكيدا للجملة المتقدمة عليها المطابقة لها لفظا ومعنى بل هو تأسيس لبيان مجيئه اياهم بآية اخرى وهي قوله ان الله ربى وربكم اشار الى ان الوجه في قراءة العامة ان الله بكسر الهمزة هو كون الجملة محكية بعد قول مضمر هو خبر مبتدأ محذوف والتقدير وهي قوله ان الله ربى وربكم ثم بين وجه كونه آية مع انه قد يصدر عن بعض العوام بقوله فانه دعوة الحق وحاصله انه ليس المراد بالآية المعجزة حتى يقال مثل هذا

﴿وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ﴿ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ﴿ومصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدقا ﴿ولاحل لكم﴾ مقدر باضماره او مردود على قوله انى قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك ﴿بعض الذى حرم عليكم﴾ اى في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان ﴿وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ اى جئتكم بآية اخرى ألهمنيها ربكم وهي قوله ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر

القول قد يصدر عن بعض العوام فكيف يكون معجزة بل المراد بعد ما ثبتت نبوته بالمعجزة كان ذلك القول منه لكونه طريق الانبياء ودليل الاهتداء علامة لنبوته يفيد المسترشد زيادة الاهتداء **﴿قوله او جئتكم بآية على ان الله ربي﴾** وجه ثان لكونه تأسيسا مبني على قراءة من فتح همزة ان الله واسقط الخافض وهو كلمة على المتعلقة بآية **﴿قوله بما ذكرت لكم﴾** اي من خلق الطين كهيئة الطير وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والانباء بالغيوب الخفية على وجهها وغيرها من ولادته بغير اب ومن كلامه في المهد بكلام الانبياء والحكماء الى غير ذلك **﴿قوله تحقق كفرهم عنده﴾** قال بعض المفسرين الاحساس ههنا على حقيقته وهي ادراك الشيء بعض الحواس الخمس التي هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس والقوم تكلموا بكلمة الكفر فاحس عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك باذنه التي هي حاسة السمع ولم يلتفت المصنف الى هذا القول لان فعل الاحساس قد جعله في القرآن متعلقا بالكفر وهو امر معنوي لا يحس بالسمع فجعله من قبيل الاستعارة التبعية حيث شبه العلم الجلي عن الشبهة بالعلم الحاصل بالاحساس فجعله احساسا واشتق منه لفظ احس فسرت الاستعارة اليه تبعا والظاهر ان قوله تعالى منهم متعلق بمحذوف على انه حال من الكفر اي احس الكفر حال كونه صادرا منهم واختلفوا في السبب الذي ظهر به كفرهم قال السدي انه تعالى لما بعثه رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم الى دين الله تعالى فتمردوا وعصوا فاختفى عنهم وخرج مع امه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل في قرية على رجل فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك القرية ملك جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عليه الصلاة والسلام عن السبب فقال ملك هذه المدينة رجل جبار ومن عادته ان جعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه الخمر مع جنوده وهذا اليوم يوم نوبتي والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا نبي الله ادع الله له ليكفيه ذلك فقال يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن الينا واكرمنا فقال عليه الصلاة والسلام قولي له اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله تعالى فتحول ما في القدور طبيخا وما في الخوابي خمرا فلما جاءه الملك فأكل وشرب سأله من اين هذا الخمر فتلعثم الرجل في الجواب فلم يزل الملك يطالبه الواقعة حتى اخبره حقيقة الحال فقال الملك ان من دعا الله فأجاب دعاءه وحول الماء القراح طبيخا وخمرا اذا دعا الله ان يحيي الله ولدي لابد وان يجاب وكان ابنه قد مات قبل ذلك بأيام فدعا عيسى وطلب منه ذلك فقال عيسى لا افعل فانه ان عاش وقع الشر فقال ما ابالي اذا رأيته وكان احب الخلق اليه وكان يريد ان يستخلفه ابوه قال عيسى عليه الصلاة والسلام ان احييته تتركوني وامي نذهب حيث شئنا قال نعم تتركك فدعا الله تعالى فاحيى الله الغلام فلما رآه اهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما اكلنا ابوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه عليهما السلام فمروا بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال افلا تمشون معي حتى تصطادوا الناس قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله من انصاري الى الله فآمنوا به وانطلقوا معه وصار امر عيسى مشهورا في الخلق وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه والكفر به وقيل كان اليهود يظنون انه هو المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا من اول الامر طاعنين فيه طالبين قتله فلما اظهر الدعوة اشتد غضبهم فاخذوا في ايذائه وايحاشه وطلب قتله فعند ذلك احس بأن من سوى الحواريين كافرون مصرون على انكار دينه وطلب قتله **﴿قوله ملتجئا الى الله او ذاهبا اليه﴾** يريد ان كلمة الى متعلقة بمحذوف على انه حال من الياء في انصاري اي من انصاري ذاهبا الى الله او ملتجئا اليه او ضاما نصرته اياي الى نصرة الله تعالى اياي فيكون المحذوف حالا من المنوي في انصاري كقوله تعالى لا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي لا تأكلوا اموالهم مضمومة الى اموالكم وكقوله عليه الصلاة والسلام الذود الى الذود ابل معناه الذود مضموما الى الذود الجوهري قيل الى فيه بمعنى مع اي اذا اجتمع القليل مع القليل صار كثيرا قال الزجاج كلمة الى ليست بمعنى كلمة مع وانك لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان تقول ذهب زيد مع عمرو لان الى تفيد الغاية ومع تفيد ضم الشيء الى الشيء بل المراد من قولنا ان الى ههنا بمعنى مع هو انها تفيد فائدتها من حيث ان المراد من يضيف نصرته اياي الى نصرة الله تعالى اياي **﴿قوله من الذين يضيفون انفسهم الى الله﴾** المراد باضافة انفسهم اليه تعالى اضافة نصرتهم الى نصرته تعالى **﴿قوله خالصته﴾** ومنه يقال الدقيق حواري لانه هو الخالص منه وقال عليه السلام ان لكل نبي حواريا وحواريي من امتي الزبير فعلى هذا الحواريون هم صفوة الانبياء الذين خلصوا

او جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم ﴿فلما احس عيسى منهم الكفر﴾ تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس ﴿قال من انصاري الى الله﴾ ملتجئا الى الله او ذاهبا اليه او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام ﴿قال الحواريون﴾ حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها

واخلصوا فى التصديق بهم فى نصرتهم قال مجاهد والسدى كان الحواريون صيادين يصطادون السمك وسموا
حواريين لبياض ثيابهم وذلك ان عيسى عليه الصلاة والسلام لما خرج سائحا مر بجماعة يصطادون السمك
وكان فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا وهو من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال لهم عيسى انتم تصيدون
السمك فان اتبعتمونى صرتم بحيث تصيدون الناس لحياة الابد قالوا ومن انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله
فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيأ فامره عيسى عليه الصلاة والسلام
بالقاء شبكته فى الماء مرة اخرى فاجتمع فى تلك الشبكة من السمك ما كادت تمزق به واستعانوا باهل سفينة
اخرى فملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام فهم الحواريون وقيل كانوا ملوكا وذلك
ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة منها فكانت
لا تنقص فذكروا الواقعة لذلك الملك فقال لهم أتعرفونه قالوا نعم فذهبوا وجاؤا بعيسى عليه الصلاة والسلام
اليه فقال من انت قال عيسى بن مريم فقال له انى اترك ملكى واتبعك فتبعه ذلك الملك مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل ان امه كانت سلمته الى صباغ ليعلمه وكان الصباغ اذا اراد ان يعلمه شيأ كان هو اعلم به فاراد
الصباغ ان يغيب يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد جعلت على كل واحد علامة معينة فاصبغها
بتلك الالوان بحيث يتم المقصود عند رجوعى ثم غاب فصنع عيسى عليه الصلاة والسلام حبا واحدا وجعل الجميع
فيه وقال كونى باذن الله تعالى كما اريد فرجع الصباغ وسأله فأخبره بما فعله فقال قد افسدت على الثياب
قم فاخرجها فاخرجها فكانت ثوبا احمر وثوبا اصفر كما كان يريد الى ان اخرج الجميع على الالوان التى ارادوها
فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به وهم الحواريون وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون
الثياب اى يبيضونها قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى عشر من الملوك وبعضهم
من صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار
عيسى عليه الصلاة والسلام واعوانه والخاصين فى محبته وطاعته ﴿قوله اى انصار دين الله﴾ اى انصار انبيائه
قدر المضاف لان نصرة الله تعالى فى الحقيقة محال وقولهم آمنا بالله استئناف يجرى مجرى التعليل لقولهم
نحن انصار الله والمعنى انه يجب علينا ان نكون من انصار الله لاجل انا آمنا بالله فان الايمان بالله يوجب نصرة
دين الله والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه ثم أشهدوا عيسى على اسلامهم وكان انقيادهم له فى جميع
ما اراد منهم ليشهد لهم يوم القيامة لان كل نبى شاهد امته فقالوا واشهد بانا مسلمون وبعد ما أشهدوه على انفسهم
واسلامهم تضرعوا الى الله تعالى وقالوا ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين الذين شهدوا لك
بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق واذا شهدوا عيسى عليه الصلاة والسلام على اسلام انفسهم حيث قالوا واشهد
بانا مسلمون فقد اشهدوا الله تعالى على ذلك تأكيدا للامر وتقوية له وطلبا من الله تعالى مثل ثواب كل مؤمن
شهد لله تعالى بالتوحيد وللانبياء بالتصديق وهذا معنى قول المصنف اى مع الشاهدين بوحدانيتك واما قوله
او مع الانبياء او امة محمد صلى الله عليه وسلم فمعناه ان القوم آمنوا بالله حيث قالوا فى الآية المتقدمة آمنا بالله وآمنوا
بكتبه حيث قالوا آمنا بما انزلت وآمنوا برسله حيث قالوا واتبعنا الرسول فوجب ان يكون مطلوبهم بقولهم
فاكتبنا مع الشاهدين امرا زآئدا على ما استفاد من كلامهم السابق وهو طلب درجة الشاهدين وثوابهم فضلا
زآئدا على فضل من هو فى درجة الحواريين فعند ذلك ذكر المفسرون وجوها الاول ما روى عن ابن عباس انه قال
مع الشاهدين اى مع محمد وامته فانهم هم المخصوصون باداء الشهادة قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والثانى هو المروى عن ابن عباس ايضا اكتبنا
مع الشاهدين اى اكتبنا فى زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه وقد اجاب الله تعالى دعاءهم وجعلهم انبياء
ورسلا فاحيوا الموتى وصنعوا كما صنع عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله من يقتله غيلة﴾ الغيلة بالكسر
الاغتيال يقال قتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك ان عيسى عليه الصلاة
والسلام لما خرج من قومه هو وامه وعاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة هموا بقتله قال ابن عباس
المكر الكيد فى خفية ومداراة واكثر ما يستعمل فيه المكر مضافا الى الله تعالى هو استدراج العبد واخذه بغتة
من حيث لا يعلم كما قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال الزجاج مكر الله مجازاته على مكرهم فسمى الجزاء

(نحن انصار الله) اى انصار دين الله
(آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) لتشهد لنا
يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم
(ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين) اى من الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم شهدآء على الناس (ومكروا) اى
الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا
عليه من يقتله غيلة (ومكر الله) حين رفع
عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله
حتى قتل

باسم الابتداء لانه فى مقابلته قيل المراد بمكر الله تعالى بهم فى هذه الآية انه رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء وما مكنهم من ايصال الشر اليه وذلك ان يهودا ملك اليهود اراد قتل عيسى عليه الصلاة والسلام وكان جبريل عليه الصلاة والسلام لا يفارقه ساعة وهو معنى قوله تعالى وايدناه بروح القدس فلما ارادوا ذلك امره جبريل ان يدخل بيتا فيه روزنة فى سقف البيت فلما دخل البيت اخرجه جبريل من تلك الروزنة وكان قد القى شبهه على غيره فاخذ وصلب وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما دخل امر ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل البيت ويقتله فدخل فلم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيه فالقى الله عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه يظنون انه عيسى وهو يصيح انا ططيانوس فلم يلتفتوا اليه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم فذلك مكر الله بهم قيل لما صلب شبيه عيسى بن مريم جعلت ام عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فابرأها الله تعالى من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما على م تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعنى ولم يصبنى الا خير وان هذا شخص شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى الارض الى مريم الحزينة فى جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها ثم تجمع لك الحواريين فبثهم اى فاجعلهم متفرقين فى الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله تعالى عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا ثم جمعت له الحواريين فامرهم فكان كل واحد منهم يتكلم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قيل عاشت ام مريم بعد رفعه ست سنين ﴿قوله والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة﴾ اى احتيال فى ايصال الشر والاحتيال محال فى حقه تعالى فسمى جزاء المكر مكرا كما سمى جزاء المخادعة بالمخادعة وجزاء الاستهزاء بالاستهزاء او ان معاملة الله تعالى معهم كانت شبيهة بالمكر فسميت مكرا على سبيل الاستعارة ﴿قوله اى مستوفى اجلك﴾ الجوهرى استوفى حقه وتوفاه بمعنى وتوفاه الله اى قبض روحه والوفاة الموت قال صاحب الكشاف قوله انى متوفيك اى مستوفى اجلك وذكر فيه اربعة اوجه الاول انى بنفسى مستوفى اجلك لا اسلط عليك من يقتلك والثانى قابضك عن وجه الارض الى السماء فالمستوفى على الاول الاجل وعلى الثانى الشخص والثالث مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء كأنه قيل ساتوفاك واما الآن فلا ولا اتركهم الى ان يقتلوك فيما بعد او يموت حتف انفه والرابع انى مستوفى نفسك بالنوم والاول اظهر انتهى كلامه بعبارته فجعل استيفاء الاجل عبارة عن كونه متوليا بنفسه لاخذ اجله الذى هو مدة حياته ﴿قوله الى محل كرامتى﴾ جعل رفعه الى ذلك المحل رفعا اليه للتفخيم والتعظيم ﴿قوله وان ينتصب بمضمر﴾ اى ويجوز ان ينتصب ذلك بفعل مضمر يفسره ما بعده فالمسألة حينئذ من باب الاشتغال واسند تلاوته الى نفسه كما اسند القصص الى نفسه فى قوله نحن نقص عليك احسن القصص مع ان التالى والقاص هو الملك المأمور بهما على طريق اسناد الفعل الى سببه الآمر وفيه تعظيم بليغ وتشريف عظيم لذلك وانما حسن ذلك لان تلاوة جبريل عليه الصلاة والسلام لما كانت بامره تعالى من غير تفاوت اصلا اضيف ذلك اليه تعالى والظاهر ان الآيات بمعنى العلامات الدالة على ثبوت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب الله او من يوحى اليه وظاهر انه عليه الصلاة والسلام ليس ممن يكتب ويقرأ فثبت انه عليه الصلاة والسلام انما اخبر بها بان اوحى اليه ويحتمل ان يكون المراد ان ذلك من آيات القرآن فيكون عطف قوله والذكر الحكيم عليها من قبيل عطف الصفات كقوله

❁ الى الملك القرم وابن الهمام ❁ وليث الكتيبة فى المزدحم ❁

الذكر الحكيم فيه قولان الاول ان المراد منه القرآن وكونه حكيما اما لكونه حاكما كالقدير والعليم بمعنى القادر العالم والقرآن حاكم بمعنى ان الاحكام تستفاد منه ويجوز ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكمة فى تأليفه ونظمه وكثرة علومه وجوز أن يكون بمعنى محكم لقوله تعالى كتاب احكمت آياته ثم فصلت الا ان الفعيل بمعنى المفعل قليل جدا نحو عقدت العسل فهو عقيد ومعقد وحبست الفرس فى سبيل الله فهو حبيس ومحبس والقول الثانى ان المراد بالذكر الحكيم ههنا اللوح المحفوظ الذى منه نقلت جميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اخبر تعالى انه انزل هذه القصص مما كتب هنالك ﴿قوله تعالى ان مثل عيسى﴾ اجمع المفسرون على ان قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم نزل عند حضور وفد نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا

والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب (اذ قال الله) ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك (يا عيسى انى متوفيك) اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى (ورافعك الىّ) الى محل كرامتى ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم او قصدهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يغلبونهم بالحجة او السيف فى غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة (ثم الىّ مرجعكم) الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين (فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم) تفسير الحكم وتفصيله وقرأ حفص فيوفيهم بالياء (والله لا يحب الظالمين) تقرير لذلك (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) وقوله (من الآيات) حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) ان شأنه الغريب كشأن آدم

(خلقه من تراب) جملة مفسرة للتمثيل مبينة لماله الشبه وهو انه خلقه بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب (ثم قال له كن) اى انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كوّنه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا الخبر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق المذكور من الله تعالى (فلا تكن من الممترين) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع (فمن حاجك) من النصارى (فيه) فى عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) اى من البينات الموجبة للعلم (فقل تعالوا) هلموا بالرأى والعزم (ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم (ثم نبتهل) اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم ابهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله تعالى عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من اهل بيته

رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل وهو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى السيدة البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير اب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم كأنهم قالوا يا محمد لما سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله تعالى فقال ان آدم ما كان له اب ولا ام ولم يلزم ان يكون ابوه هو الله وان يكون ابنا لله فكذا القول فى عيسى ومعنى المثل لغة الشبه ومعناه العرفى القول السائر المشبه مضربه بمورده ولا يضرب الا ماله غرابة فلذلك يستعار لفظ المثل لكل حالة غريبة او صفة عجيبة وشأن بديع تشبيها لها بمعناه العرفى فلذلك قال ان شأنه الغريب الخ **قوله والمعنى خلق قالبه من التراب** جواب عما يقال ظاهر نظم الآية يقتضى ان يكون خلق آدم وتكوينه مقدما على قول الله له كن ولا وجه له وتقرير الجواب الاول ان المعنى كوّن قالبه ثم احياه والجواب الثانى ان الخلق ليس بمعنى التكوين والانشاء بل بمعنى التقدير والتسوية ويرجع معناه الى علم الله تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص وكل ذلك مقدم على قوله كن والجواب الثالث ان المحذور انما يلزم ان لو كانت كلمة ثم لتراخى الخبر عن الخبر وليست كذلك بل هو متقدم على وجود آدم تقدم الازل على الحدث فان قوله كن عبارة عن ادخاله فى الوجود فصح ان خلق آدم متقدم عليه لتراخى الخبر فالله تعالى اخبرنا اولا انه خلق آدم لا من ذكر ولا انثى ثم ابتدأ خبرا آخر فقال انى مخبركم ايضا بعد خبرى الاول انى انما خلقته بان قلت له كن كما تقول اعطيت زيدا اليوم ألفا ثم اعطيته امس ألفين ومرادك ان تقول اعطيته ألفا ثم انا اخبركم انى قد اعطيته امس ألفين فكذا الحال فى قوله خلقه من تراب اى صيره خلقا سويا ثم قال انى اخبركم انى خلقته بان قلت له كن فالتراخى فى الخبر على هذا الوجه لا فى الخبر **قوله حكاية حال ماضية** يعنى ان المناسب لقوله خلقه ثم قال له كن ان يقال فكان اى فكان كما امر الله تعالى الا انه لم يقل كذلك بل قال كن فيكون حكاية للحال التى كان عليها آدم عليه السلام وقيل معناه اعلم يا محمد ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **قوله خبر مبتدأ محذوف** اى ما قصصنا عليك من خبر عيسى هو الحق والخطاب حينئذ لا على ارادة حقيقة النهى لان النهى عن الشئ حقيقة يقتضى ان يتصور صدور المنهى عنه من المنهى ولا يتصور كونه عليه السلام شاكا فى صحة ما نزل عليه والمعنى دم على يقينك وما انت عليه من الاطمئنان الى الحق والتنزه عن الشك فيه والامتراء افتعال من المرية وهو الشك **قوله اى من البينات الموجبة للعلم** فسر العلم بما يوجبه من الدلائل العقلية والدلائل الواصلة اليه بالوحى والتنزيل لان العلم الذى فى قلبه عليه الصلاة والسلام لا يوجب افحامهم وانقطاع جدالهم وسبابهم والظاهر ان كلمة من فى قوله من العلم لبيان الجنس **قوله بالرأى والعزم** لا بالابدان لانهم مقبلون وحاضرون عنده بأجسادهم **قوله تعالوا** العامة على فتح اللام منه لانه امر من الله تعالى من التعالى نحو تراأى بترائى اصله تعاليوا على وزن تفاعلوا من العلو استثقلت الضمة على الياء فسكنت ثم حذفت لاجتماع الساكنين فاذا امرت به الواحد قلت تعال يا زيد بحذف الالف للجزم وكذا اذا امرت الجمع قلت تعالوا لانك لما حذفت اول الساكنين تركت الفتحة على حالها وقرئ تعالوا بضم اللام بناء على انه لما استثقلت الضمة على الياء نقلت الى اللام بعد سلب حركتها فبقى تعالوا بضم اللام ومعناه طلب العلو أى الارتفاع من المخاطب فاذا قلت تعال كان معناه ارتفع الا انه كثر فى الاستعمال كونه لطلب كل مجئ سواء كان على سبيل التسفل او التصاعد وصار بمنزلة هلم واقبل ومعنى المباهلة الدعاء على الظالم من الفريقين والابتهال افتعال من البهلة والبهلة بفتح الباء وضمها هى اللعنة **قوله نتباهل** اى بان نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم والابتهال يطلق بمعنى الاجتهاد فى الدعاء وان لم يكن بالدعاء ولا يقال ابتهل بالدعاء الا اذا كان هناك اجتهاد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال نبتهل اى نتضرع فى الدعاء وعن الكلبى نجتهد ونبالغ فى الدعاء قيل اصل الابهال كون الشئ غير مراعى والباهل البعير المخلى عن قيده او عن سمته والباهلة الناقة المخلى ضرعها عن صرار يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته تشبيها له بالبعير الباهل والمسترسل فى الدعاء والتضرع يقال له مبتهل لانخلاعه عن جميع ما يشغله عن التوجه التام الى جناب عزته تعالى واختار جعل الافتعال ههنا بمعنى التفاعل لان المعنى لا يجئ الا على ذلك وتفاعل وافتعل اخوان فى مواضع نحو اجتوروا وتجاوروا واشتوروا وتشاوروا واقتتلوا وتقاتلوا **قوله فلما تخالوا** اى خلا بعضهم ببعض **قوله محتضنا الحسين** اى آخذا اياه فى حضنه وهو ما دون الابط **قوله وعلى خلفها** قيل هو المراد بقوله وانفسنا قال الواحدى اراد بالانفس بنى العم والعرب تخبر عن ابن العم بانه نفس ابن عمه وقد قال تعالى ولا تلمزوا

انفسكم اراد اخوانكم من المؤمنين وقيل اراد بالانفس الازواج وقيل اراد بها القرابة القريبة انتهى كلامه والذى حملهم على هذا التوجيه الاحتراز عن ان يدعو الانسان نفسه فان الداعى اتحاده وغيره ولم يرض المصنف بشئ من هذه التوجيهات بل قال يدع كل منا ومنكم نفسه الى المباهلة ويحمل عليها ولا بعد فى ان يحمل الانسان نفسه على الامر وقوله اسقفهم اى اعلمهم بامور دينهم وهو بضم الهمزة وسكون السين وضم القاف وتشديد الفاء اسم لرئيس من رؤساء النصارى فى الدين وهو ابو حارثة وكان من كبار علمائهم وصاحب مدراسهم والعاقب كان اميرهم * قال الامام فان قيل الاولاد اذا كانوا صغارا لم يجز نزول العذاب بهم وقد ورد فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام ادخل فى المباهلة الحسن والحسين رضى الله عنهما فما الفائدة فيه والجواب ان عادة الله تعالى جارية بان عقوبة الاستئصال اذا نزلت بقوم هلك معهم الاولاد والنساء فيكون ذلك فى حق البالغين عقابا وفى حق الصبيان والنساء لايكون عقابا بل يكون جاريا مجرى اماتتهم وايصال الايلام اليهم ومعلوم ان شفقة الانسان على اولاده شديدة جدا وربما جعل الانسان نفسه فداء لهم واذا كان كذلك فهو عليه الصلاة والسلام اخذ صبيانه ونساءه معه وامرهم بان يفعلوا مثل ذلك ليكون ادعى للخصم الى قبول الحق وابلغ فى الزجر عن المخالفة واقوى فى تخويفهم وادل على وثوقه عليه الصلاة والسلام بان الحق معه والمصنف اشار الى هذا التفصيل بقوله وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم اى يجعلها خطرا ﴿قوله بجملتها خبران﴾ يعنى ان هو مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر ان هذا مذهب بعض العرب وعليه قرآءة من قرأ فى غير السبعة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون وان ترنى انا اقل برفع الظالمين واقل على ان كل واحد منهما خبر ضمير الفصل الذى هو فى محل الرفع على الابتداء واما الخليل فانه ذهب الى ان ضمير الفصل لامحل له من الاعراب والقصص مصدر قولهم قص فلان الحديث يقصه قصا وقصصا واصله تتبع الاثر يقال فلان خرج يقص اثر فلان اى يتبعه ليعرف اين ذهب ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اى اتبعى اثره وكذلك القاص فى الكلام لانه يتبع خبرا بعد خبر ﴿قوله وتفسيرها مابعدها﴾ اطلق لفظ الكلمة على كلام كثير الاجزاء على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل ووجه كون مابعدها تفسيرا لها ان قوله ان لانعبد اما بدل من كلمة بدل كل من كل او انه خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف جواب لسؤال مقدر كأنه لما قيل تعالوا الى كلمة قال قائل ماهى فقيل هى ان لانعبد وعلى التقديرين يكون مفسرا لما قبله اعلم انه عليه الصلاة والسلام لما اورد على نصارى نجران انواع الدلائل انقطعوا ولم يهتدوا ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا وفزعوا منها وقبلوا الصغار باداء الجزية وقد كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمانهم فامره الله تعالى بان يعدل عن طريق المجادلة والاحتجاج الى نهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبنى على الانصاف وترك الالحاد اى لاميل فيه الى جانب حتى يكون فيه شائبة التعصب فهو كلام ثابت فى المركز نسبته الينا واليكم على سوآء واعتدال فقال قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم اى هلموا الى كلمة فيها انصاف من بعضنا لبعض ولاميل فيها لاحد على صاحبه وهى ان لانعبد الا الله قال الزجاج سوآء نعت الكلمة اى كلمة ذات سوآء وعدل والمعنى الى كلمة عادلة مستقيمة مستوية اذا أتينا بها نحن وانتم كنا على السوآء والاستقامة ﴿قوله اى لزمتكم الحجة﴾ حيث لم تقدروا على دفعها وهذا المعنى مستفاد من قوله اشهدوا بانا مسلمون حيث اوجب عليهم ان يعترفوا بانا مسلمون مهتدون الى دار الحق منقادون للحق دونكم وهذا الاعتراف انما وجب عليهم من حيث كونهم محجوجين اى مغلوبين بالحجة والحصر المدلول عليه بقوله دونكم مستفاد من المقام والمعنى فان تولوا واعرضوا عن الاجابة لما دعوتهم اليه فليس اعراضهم ذلك لاجل مساعدة الحجة اياهم فقل لهم قد اسفر الصبح وتبين الحق لذى عينين فاعترفوا بانا مسلمون منقادون للحق دونكم ونظيره قول الغالب فى جدال او صراع او نحوهما اعترف بانى انا الغالب وسلم الىّ الغلبة ولم يذكر الامام فى هذا المقام الا قوله والمعنى ان أبوا الا الاصرار فقولوا انا مسلمون يعنى اظهروا انكم على هذا الدين ولاتكونوا بصدد ان تحملوا غيركم عليه وسلك فيه مسلك الامام الواحدى ﴿قوله او اعترفوا بانكم كافرون الخ﴾ على ان يكون قوله انا مسلمون تعريضا بكفرهم من حيث انهم اعرضوا عن الحق بعد ظهوره ﴿قوله بين اولا احوال عيسى عليه الصلاة والسلام﴾ اى بقوله ويكلم الناس فى المهد وكهلا ونحوه مايدل على انه وجد بعد ان كان معدوما واستقر مدة فى مضيق الرحم ثم كان طفلا ثم صار مترعرعا ثم صار شابا يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ ﴿قوله ثم ذكر ما يحل عقدتهم﴾ اى بقوله ان مثل

﴿ان هذا﴾ اى ماقص من نبأ عيسى ومريم ﴿لهو القصص الحق﴾ بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد أن ماذكره فى شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ ﴿وما من اله الا الله﴾ صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم ﴿وان الله لهو العزيز الحكيم﴾ لااحد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية ﴿فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين﴾ وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل الى فساد العالم ﴿قل ياهل الكتاب﴾ يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة ﴿تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم﴾ لايختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها مابعدها ﴿ان لانعبد الا الله﴾ اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ﴿ولانشرك به شيأ﴾ ولانجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولانراه اهلا لان يعبد ﴿ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله﴾ ولانقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولانطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقولوا اشهدوا بانا مسلمون﴾ اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم او اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ماراعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى وماتعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر مايحل عقدتهم ويزيح شبهتهم

عيسى عند الله كمثل آدم الآية ﴿قوله بنوع من الاعجاز﴾ وهو تقديم ذكر من يخاطر المرء بنفسه لاجلهم ويحارب دونهم على ذكر نفسه وانفسهم ﴿قوله تعالى لم تحاجون﴾ هي ما الاستفهامية دخل عليها حرف الجر فحذفت ألفها كما في عم وفيم واللام متعلقة بما بعدها وتقديمها على عاملها واجب لدخولها على ماله صدر الكلام ولا بد من مضاف محذوف في قوله في ابراهيم اي في دين ابراهيم وشريعته لان الذوات لا مجادلة فيها ﴿قوله والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى﴾ فكيف يتصور ان يكون ابراهيم على دين حدث بعد زمانه بمدة مديدة * فان قيل هذا لازم متوجه عليكم ايضا لانكم تقرأون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وتقولون انه كان على دين الاسلام والاسلام انما حدث بعده بزمان طويل * فان قلتم ان ابراهيم كان في اصول الدين على المذهب الذي عليه المسلمون الآن * فنقول لم لا يجوز ايضا ان تقول اليهود ان ابراهيم كان يهوديا بمعنى انه كان على الدين الذي عليه اليهود وتقول النصارى ان ابراهيم كان نصرانيا بمعنى انه كان على الدين الذي عليه النصارى وكون التوراة والانجيل نازلين بعد ابراهيم لا ينافي كونه مسلما كذلك لا ينافي كونه يهوديا او نصرانيا * والجواب ان المراد بقولنا ان ابراهيم كان مسلما انه كان قائلا بجميع ما نقول به من اصول الدين وليس للنصارى واليهود ان يقولوا مثل ذلك لان النصارى يقولون بالنصرانية المحرفة كقولهم بعبودية عيسى عليه الصلاة والسلام واليهود يقولون باليهودية المحرفة كقولهم بعدم جواز النسخ ولا شك ان ابراهيم ما كان قائلا بشيء منهما اما عدم كونه قائلا بالاول فظاهر واما عدم كونه قائلا بالثاني فلان اصحاب الشرائع من الانبياء لا شك انهم جاؤا بشرع سوى شرع من قبلهم وذلك يستلزم القول بالنسخ فلا بد وان يكون في دين كل واحد من الانبياء جواز القول بالنسخ وان النسخ حق واليهود ينكرون ذلك فثبت ان اليهود ليسوا على ملة ابراهيم ﴿قوله الحمقى﴾ مستفاد من جعل هؤلاء خبرا عن قوله انتم فانهم قد يقصدون بالاشارة نحو ذلك وهؤلاء تحقيرا للمشار اليه واستبعادا لمقامه تنزيلا لبعده عن ساحة الحضور والخطاب منزلة بعد المسافة ﴿قوله وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل﴾ روى قتادة والسدي والربيع وجماعة كثيرة ان الذي لهم به علم هو دينهم الذي وجدوه في كتبهم وثبتت صحته لديهم والذي ليس لهم به علم هو شريعة ابراهيم وما كان عليه مما ليس في كتبهم ولا جاءت به اليهم رسلهم ومن المعلوم انهم ليسوا معاصرين له حتى يعلموا دينه بالسماع منه فجدالهم فيه مجرد حماقة ومحض مكابرة وعناد وقيل الذي لهم به علم امر نبينا صلى الله عليه وسلم لان امر بعثته وبيان نعوته مذكور في كتبهم وهم يجادلون في امره مع علمهم به وما ليس لهم به علم هو امر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وما هو عليه من الدين واختار المصنف القول الاول وجعل ما لهم به علم عبارة عن دينهم الذي نطق به كتابهم وهو التوراة والانجيل فانهم يجادلون نبينا صلى الله عليه وسلم في ان دينهم هو دين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ويزعمون ان شريعة التوراة والانجيل مخالفة لشريعة القرآن ويجادلون ايضا في حق ابراهيم ويزعمون انه كان يهوديا او نصرانيا او ان شريعته كانت مخالفة لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ﴿قوله عنادا﴾ مفعول له لقوله جادلتم وقوله او تدعون وروده فيه معطوف على قوله وجدتموه واشار بعطفه عليه الى انه يحتمل ان لا يراد بالعلم في قوله به علم العلم حقيقة بل ما يعم العلم حقيقة او ادعاء والمعنى هبوا انكم تستجيزون محاجته فيما تدعون علمه فكيف تحاجونه فيما لا علم لكم به البتة ولا نطق به كتابكم من امر ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿قوله اصله ءأنتم﴾ بتوسط الالف بين همزة الاستفهام وهمزة انتم لتفصل بينهما كما هو مذهب قالون وهشام وابي عمرو في الهمزتين المفتوحتين اذا التقتا في كلمة واحدة ﴿قوله منقادا لله﴾ قال الامام فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام اتريدون به الموافقة في الاصول ام في الفروع فان كان الاول لم يكن مختصا بدين الاسلام بل نقطع بان ابراهيم كان على دين اليهود اعني ذلك الدين الذي جاء به موسى او كان على دين النصارى اعني ملة النصرانية التي جاء بها عيسى فان اديان الانبياء لا يجوز ان تكون مختلفة في الاصول وان اردتم به الموافقة في الفروع يلزم منه ان لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب شرع البتة بل كان مقررا لدين غيره وايضا فمن المعلوم بالضرورة ان التعبد بالقرآن ما كان موجودا في زمان ابراهيم وتلاوة القرآن مشروعة في صلاتنا وغير مشروعة في صلاتهم فالجواب يجوز ان يكون المراد به الموافقة في الاصول والغرض منه بيان انه ما كان موافقا في اصول الدين لمذهب هؤلاء الذين هم اليهود والنصارى في زماننا هذا ويجوز ايضا ان يقال المراد به الموافقة في الفروع وذلك

فلما رأى عنادهم وحاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بانا مسلمون (يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده) تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما (افلا تعقلون) فتدعون المحال (ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي يقصر المد على اصله (والله يعلم) ما حاججتم فيه (وانتم لا تعلمون) وانتم جاهلون به (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا) تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان (ولكن كان حنيفا) مائلا عن العقائد الزائغة (مسلما) منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام (وما كان من المشركين) تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم

لان الله تعالى نسخ تلك بشرع موسى عليه الصلاة والسلام ثم انه تعالى نسخ فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام شرع موسى عليه الصلاة والسلام تلك الشريعة التى كانت ثابتة فى زمان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فعلى هذا التقرير نبينا صلى الله عليه وسلم لما كان غالب شرعه موافقا لشرع ابراهيم جاز ان يقال ان شرعه موافق لشرع ابراهيم ولو وقعت المخالفة فى الفروع القليلة لم يقدح ذلك فى حصول الموافقة الى هنا كلام الامام وبه يخرج الجواب عن قول المصنف وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام بان يقال لنا كيف تقولون ان ابراهيم كان على ملة الاسلام وقد حدث الاسلام بعده بزمان طويل ﴿قوله تعالى للذين اتبعوه﴾ خبر ان ودخلت لام الابتداء على الخبر مع ان اصلها ان تدخل على المبتدأ كراهة توالى حرفى تأكيد ﴿قوله تعالى وهذا النبى﴾ مرفوع بالعطف على اسم الموصول وكذلك قوله والذين آمنوا والنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون رضى الله عنهم كانوا داخلين فيمن اتبع ابراهيم الا انهم خصوا بالذكر تشريفا لهم وتكريما فهو من باب وملائكته ورسله وجبريل وميكال كذا قيل الا ان المصنف اشار بقوله من امته الى ان المعنى للذين اتبعوه فيما مضى وهم امته وعطف عليهم هذا النبى والذين آمنوا فلا يكون من عطف الخاص على العام وعلى قراءة نصب النبى يكون والذين آمنوا معطوفا على قوله للذين اتبعوه ويكون المعنى للذين اتبعوه واتبعوا هذا النبى والذين آمنوا وفيه نظر لانه حينئذ كان ينبغى ان يثنى الضمير فى اتبعوه فيقال اتبعوهما والذين آمنوا حينئذ يحتمل ان يكون معطوفا على النبى او على قوله للذين والثانى اوجه ﴿قوله لايمانهم﴾ مستفاد من تعليق الحكم بالمشتق والولى الناصر والمعين ﴿قوله ولو بمعنى أن﴾ فان لو قد تكون مصدرية كما فى قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة والمعنى ان يضلوكم لان لو أوقع للتمنى فان قوله ودت بمعنى تمنت وقولك لو كان كذا يفيد معنى التمنى ﴿قوله بما نطقت به التوراة والانجيل﴾ يعنى ان المراد بآيات الله الكتابان المعهودان وان الكفر بهما عبارة عن الكفر بما دلا عليه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الوشارة ببعثه عليه الصلاة والسلام وبيان نعوته ويحتمل ان يكون المراد بالكفر بهما الكفر بما فيهما من ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان حنيفا مسلما اطلق الآيات على ما فيها من مدلولها على طريق اطلاق اسم الدليل على المدلول على سبيل المجاز ويجوز ان يكون المراد بآيات الله القرآن الدال على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام وعلى تقدير ان يفسر آيات الله بالتوراة والانجيل يكون المناسب ان يجعل قوله وانتم تشهدون من الشهادة بمعنى الاعتراف والاقرار وان فسرت بالقرآن يحتمل ان يكون تشهدون من الشهود والمشاهدة والمعنى وانتم تشاهدون نعت القرآن فى الكتابين ويحتمل ان يكون من الشهادة اى وانتم تشهدون وتعرفون بانه كلام الله حقا لما دل عليه من المعجزات ولما كان بين العلم وبين كل واحد من الشهادة والشهود علاقة اللزوم فان الشهود ملزوم للعلم والشهادة مفرعة عليه كان قوله تشهدون بمعنى تعلمون مجازا فان الشاهد انما يشهد عن علم والشهود يفيد العلم ويستلزمه واليه اشار المصنف بقوله او تعلمون بالمعجزات انه حق ويحتمل ان يكون المراد بآيات الله جملة المعجزات التى ظهرت منه عليه الصلاة والسلام ويكون قوله وانتم تشهدون من الشهادة اى وانتم تشهدون بقلوبكم وعقولكم انها معجزات خلقها الله تعالى فى يده عليه الصلاة والسلام تصديقا له فى دعوى نبوته وانكم تجحدون عند العوام كونها معجزات بادعاء انها سحر وافك وشعر واساطير ونحو ذلك ﴿قوله بالتحريف﴾ يعنى ان المراد بالحق كتاب الله الذى انزله على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وبالباطل ما حرفوه وكتبوه بايديهم وخلطوه بالآخر ابرازا لاباطيلهم فى صورة الحق بان يقولوا الكل من عند الله ﴿قوله او بالتقصير فى التمييز بينهما﴾ على ان يكون المعنى لم تلبسون اى تخلطون الاسلام وهو الحق بالباطل الذى هو اليهودية والنصرانية وتقولون انها حق كالاسلام وانتم تعلمون ان الدين عند الله الاسلام وتعلمون ايضا ما جزاء من لبس الحق بالباطل * قرأ العامة تلبسون بكسر الباء من لبسه يلبسه اى خلطه وقرئ تلبسون بضم التاء وكسر الباء وتشديدها لتكثير اللبس وقرئ تلبسون بفتح الباء اى لم تلبسون الحق متلبسا مع الباطل يقال لبس الثوب لبسا من باب علم ولبس الشئ بالشئ لبسا من باب ضرب اى خلطه وشئ من الحق والباطل لا يلبس كلبس الثوب فاراد بلبسهما الاتصاف بهما ونظيره فى استعمال اللبس فى معنى الاتصاف بالشئ قوله عليه الصلاة والسلام المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبى زور * وهذا مثل يضرب لمن يظهر من نفسه شيأ وليس كذلك والمتشبع الذى يرى انه شبعان وليس به وثنى الثوب لان اقل ما يلبس ثوبان وقال الفرزدق

(ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) من امته (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم (والله ولى المؤمنين) ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم (ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم) نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن (وما يضلون الا انفسهم) وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم (وما يشعرون) وزره واختصاص ضرره بهم (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وانتم تشهدون) انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور (وتكتمون الحق) نبوة محمد عليه السلام ونعته (وانتم تعلمون) عالمين بما تكتمونه

* فلاب وانا مثل مر وان وابنه * اذا هو بالجدار تعدى وتأزرا *

﴿ قوله اول النهار ﴾ اشارة الى ان وجه النهار منصوب على الظرفية لكونه بمعنى اول تشبيها لاول الشئ بوجه الحيوان من حيث ان كلا منهما اول ما يواجه منه ﴿ قوله فتقولوا لكم رجعتم لخلل ظهر لكم ﴾ لا لاجل حسد وعداوة بينكم وبينه اسند الانابة والإيمان به في اول الامر وهذا الطريق منهم حيلة في تشكيك ضعفة المسلمين في صحة نبوته عليه الصلاة والسلام وصحة ما ظهره من دين الاسلام فانهم زعموا ان هذا الطريق يؤدي الى ان يقول المسلمون ان رجوعهم الى الكفر لو كان مبنيا على الحسد لما آمنوا به اول النهار فاذا لم يكن حسدا وجب ان يكون لاجل انهم اهل كتاب وهم اعلمنا وقد تفكروا في امره واستقصوا في البحث عن دلائل نبوته فلاح لهم بعد ذلك التأمل التام والبحث المستوفى انه كذاب في دعوى النبوة فظهر ان مقصودهم من هذا الطريق تشكيكهم في حقية الاسلام عن ابن عباس ان وجه النهار اوله وهو الصلاة الصبح وآخره صلاة الظهر وتقريره انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي الى بيت المقدس بعد ان قدم المدينة ففرح اليهود بذلك وطمعوا ان يكون منهم فلما حوله تعالى الى الكعبة وكان ذلك عند صلاة الظهر قال لهم كعب بن الاشرف وغيره آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار يعني آمنوا بالقبلة التي صلى اليها صلاة الصبح فهو الحق واكفروا بالقبلة الى الكعبة لعلهم يقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلمنا فيرجعون الى قبلتنا فلعله الامام او لا ثم قال لما حولت القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم فقال بعضهم لبعض صلوا الى الكعبة اول النهار واكفروا بهذه القبلة في آخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون ان اهل الكتاب اصحاب العلم فلولا انهم عرفوا بطلان هذه القبلة لما تركوها فحينئذ يرجعون عن هذه القبلة والمصنف اختار هذا الوجه لكونه اظهر الوجهين ﴿ قوله ولا تقروا عن تصديق قلب ﴾ اشارة الى ان فعل الايمان عدي باللام على ان آمن ضمن معنى اقر واعترف فعدي باللام لذلك ونظيره قوله تعالى فما آمن لموسى وما انت بمؤمن لنا وآمنتم له اي قالت الطائفة المتقدمة لاتباعهم اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار ان كان من بقية كلامهم اي اظهروا انكم تصدقون بحقية الاسلام والقرآن بقلوبكم لكن لا تظهروه للمسلمين ولا تقروا به الا لاهل دينكم وقيل ان هذه اللام صلة زيدت للتأكيد كما في قوله تعالى ردف لكم او ردفكم فقال الامام ما الفائدة في اخبار الله تعالى عن تواقفهم على هذه الحيلة وجوابه من وجهين احدهما ان هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم وما اطلعوا عليها احدا من الاجانب فلما اخبر النبي عليه الصلاة والسلام عنها كان ذلك اخبارا عن الغيب فيكون معجزا والثاني انه تعالى لما اطلع المؤمنين على تواقفهم على هذه الحيلة لم يحصل بهذه الحيلة اثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الاعلام لربما اثرت هذه الحيلة في قلب بعض المؤمنين ولما قالت تلك الطائفة لاتباعهم ما قالوا حكى الله تعالى تلك المقالة لنبيه عليه الصلاة والسلام وامره بان يقول لهم ان الدين دين الله وان وجوب الاتباع له انما هو لثبوته من جهة الله تعالى فتارة يأمر باتباع موسى واخرى باتباع نبي آخر عليهم الصلاة والسلام وتارة يأمر بالتوجه الى الصخرة واخرى الى الكعبة وكل ما امر به وأرشد اليه فهو الحق الواجب متابعته ومن عاند واستكبر فلا يضر الا نفسه ﴿ قوله تعالى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ﴾ من جملة كلام الله تعالى فيتعلق بمحذوف والمعنى استكبرتم عن الدخول في الاسلام ودبرتم تلك الحيلة في تمشية غرضكم الفاسد من اجل ان يؤتى احد شريعة مؤيدة بكتاب رباني مثل ما اوتيتم فحملكم الحسد على الامتناع من قبوله ﴿ قوله وقرأ ابن كثير آن يؤتى ﴾ فانه قرأ بمد الالف على الاستفهام والباقون قرأوا بفتح الالف من غير مد ولا استفهام ومعنى او يحاجوكم على هذا دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولان يتصل به عند كفركم في محاجتهم لكم عند ربكم فان من آتاه الله الوحي لابد ان يحاج مخالفيه عند ربه ﴿ قوله وقرئ ان ﴾ اي بكسر الهمزة فيكون قوله قل ان الهدى هدى الله كلاما امر الله تعالى نبيه ان يقوله حين انتهاء الحكاية عند اليهود الى هذا الموضع لانه تعالى لما حكى عنهم قولا باطلا ادب رسوله عليه الصلاة والسلام بان يقابله بقول حق ثم عاد الى حكاية تمام كلامهم فحكى عنهم قولهم لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما تؤتون مثله فلا يحاجوكم ﴿ قوله على الوجهين الاولين ﴾ احدهما ان يكون قوله أن يؤتى احد متعلقا بمحذوف وثانيهما ان يتعلق بلا تؤمنوا والمعنى على الاول ان الحسد حملكم على الحيلة مع ان الايتاء والمحاجة المذكورين المورثين للغيظ والحسد كائنان البتة واوثر او على الواو اشعارا بان كلا من امرين يكون سبب الغيظ والحسد وعلى الثاني ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وبان يحاجوكم اي ويغلبوكم بالحجة الا لاشياعكم

﴿ وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار ﴿ واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ﴾ متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام التقريع تؤيد الوجه الاول اي أألآن يؤتى احد دبرتم وقرئ إن على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم ﴿ او يحاجوكم عند ربكم ﴾ عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم

(وانما عطف)

وانما عطف باو دون الواو ليفيد العموم كقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا او على الثالث وهو ان يكون ان يؤتى خبر ان فحينئذ لا يكون او يحاجوكم معطوفا على ان يؤتى وداخلا في خبر ان بل يكون او بمعنى حتى ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيغلبوكم ويدحضوا حجتكم عند الله والفضل في اللغة الزيادة والمراد به ههنا الرسالة عبر عنها بالفضل للدلالة على انها لا تحصل الا بتفضل الهى لا بالاستحقاق ﴿قوله تعالى بيد الله﴾ معناه انه مالك له يؤتيه من يشاء والواسع الكامل القدرة والعليم الكامل العلم فلكمال قدرته يصح ان يتفضل على اى عبد شاء بأى تفضل شاء وبكمال علمه لا يكون شئ من افعاله الا على وجه الحكمة والصواب ﴿قوله تعالى يختص برحمته من يشاء﴾ كالتأكيد لما قبله ﴿قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تأمنه﴾ من مبتدأ ومن اهل الكتاب خبر مقدم عليه ومن اما موصولة والجملة الشرطية بعدها صلتها ولا محل لها من الاعراب واما نكرة موصوفة بما بعدها فتكون في محل الرفع ويقال امنته بكذا او على كذا فالباء للالصاق بالامانة وعلى للدلالة على استعلاء المودع على الامانة فان من ائتمن على شئ صار ذلك الشئ في معنى الملصق به لقربه منه واتصاله بحفظه وايضا صار المودع كالمستعلى على ذلك الشئ والمستولى عليه فلذلك حسن التعبير عن هذا المعنى بكلتا العبارتين وقيل قولك امنتك بدينار معناه وثقت بك فيه وامنتك عليه معناه جعلتك امينا عليه وحافظا له والمراد بالقنطار والدينار ههنا القدر الكثير والقدر القليل يعنى ان فيهم من هو في غاية الامانة حتى لو ائتمن على المال الكثير ادى الامانة وفيهم من هو في غاية الخيانة حتى لو ائتمن على الشئ القليل يخونون فيه ولا حاجة الى ذكر مقدار القنطار ههنا الا انهم اختلفوا في تفسيره فقيل الف ومائتا اوقية قالوا لان الآية نزلت في عبد الله بن سلام حين استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى اوقية من الذهب فرده الى صاحبه ولم يخن فيه فدل هذا على ان القنطار هو ذلك المقدار وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ملء جلد ثور من المال وقيل ألف ألف دينار او ألف ألف درهم والاوقية في الحديث اربعون درهما وكذلك كان فيما مضى والذى تعارفه الناس وانعقد عليه الاطباق ان الاوقية وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم ﴿قوله الا مدة دوامك قائما﴾ اشارة الى انه استثناء مفرغ من الظرف العام والتقدير لا يؤده اليك في جميع المدد والازمنة الا في مدة دوامك قائما عليه وقوله عليه متعلق بقائم والظاهر ان المراد من هذا القيام معناه المجازى وهو الالحاح والخصومة والتقاضى والمبالغة في المطالبة بما يأتى من طريقها عبر عنه بالقيام لان المطالب بالشئ يقوم فيه والتارك له يقعد عنه وقيل المراد القيام على غريمه حقيقة بالاجتماع معه والملازمة له والمعنى انه انما يكون معترفا بما دفعت اليه مادمت قائما على رأسه فان أنظرته وأخرته انكر فان مواجهة الغريم تورثه المهابة والاستحياء من صاحب الحق فان الحياء في العينين الا ترى الى قول ابن عباس رضى الله عنهما لا تطلبوا من الاعمى حاجة فان الحياء في العينين واذا طلبت من اخيك حاجة فانظر اليه بوجهك حتى يستحيى فيقضيها والظاهر ان سبيل اسم ليس وفي الاميين صفته وعلينا خبره اى ليس سبيل كائن في الاميين ثابتا علينا والامى منسوب الى الام ومعنى النبى عليه الصلاة والسلام اميا قيل لانه كان لا يكتب وذلك لان الام اصل الشئ فمن لا يكتب فقد بقى على اصل حاله في ان لا يكتب وقيل لانه نسب الى مكة وهى ام القرى وقوله ويقولون على الله الكذب حيث قالوا ان العرب ليسوا اهل ديننا فحل لنا ان نظلمهم لانه تعالى لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا واياما كان فهم يقولون على الله كذبا لان ما قالوه ليس مذكورا في التوراة وليسوا منتسبين اليه تعالى بما ذكروه من النسبة ولما حكى الله عنهم قولهم ليس علينا في الاميين سبيل رد عليهم واجاب بقوله بلى عليهم في شأن الاميين سبيل فيتم الوقف على قوله بلى وما بعده استئناف اى بلى الله سبيل عليكم في شأن هؤلاء يذمكم ويعاقبكم على ظلمكم اياهم واكل اموالهم بغير حق فقد ظهر بهذا التقرير وجه كون هذا الكلام مقررا للجملة التى سدت بلى مسدها واوفى بمعنى وفى الا ان لغة اهل الحجاز اوفى ولغة اهل نجد وفى والضمير المجرور في بعهده يجوز ان يرجع الى من الشرطية بطريق اضافة المصدر الى فاعله ويجوز ان يرجع الى اسم الله تعالى في قوله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون على اضافة المصدر الى مفعوله فان اليهود قد عاهدوا الله في ضمن اعانهم بالتوراة ان يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاء به وهو المراد بالعهد في هذه الآية فان قلت فاين الضمير الراجع من جملة الجزاء الى من الشرطية اجيب بان عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وملاك الامر ما يقوم به ويقال القلب ملاك الجسد والتقوى ملاك الامر ﴿قوله وهو يعم الوفاء﴾

(قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة (ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك) كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى اوقية ذهبا فأداه اليه (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة (الا ما دمت عليه قائما) الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة (ذلك) اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده (بانهم قالوا) بسبب قولهم (ليس علينا في الاميين سبيل) اى ليس علينا في شأن من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر (بلى) اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل (من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب من المناهى

اى القوى بم وفاء ما عاهدوا الله عليه من الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام و بما جاء به مما يتعلق بتكميل القوة النظرية والعملية فعطف قوله واتقى على ما قبله من عطف العام على الخاص تكميلا للفائدة ﴿قوله تعالى لا خلاق لهم﴾ اى من اختار الارتشاء على الوفاء برعاية الله تعالى ورعاية ايمانه واستبدله به فاولئك لا نصيب لهم فى الآخرة ونعيمها «قال الامام هذا العموم مشروط بالاجماع الامة بعدم التوبة فانه ان تاب عنها سقط الوعيد بالاجماع وعلى مذهبنا مشروط ايضا بعدم العفو فانه تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» ﴿قوله ولا يكلمهم الله﴾ اى بكلام ينفعهم ويسرهم قيده دفعا لما يتوهم من التدافع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين واجاب عنه ثانيا بقوله او بشئ اصلا فانه لا يبعد ان يخص اوليائه بكلامه بغير سفير وواسطة تشريفا لهم ولا يكلم الكفرة والفساق كذلك وتكون المحاسبة معهم بكلام الملائكة وثالثا بانه من قبيل نفى الشئ بنفى ان لا ينتفع به ورابعا بان نفى تكليمه اياهم كناية عن سخطه وغضبه لان ترك التكلم لازم للسخط فانتقل منه الى الملزوم واستشهد على كونه كناية عن غضبه عليهم بقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته والنظر بهذا المعنى محال فى حق البارى تعالى فلا يمكن حمله على معناه الحقيقى ولا جعله كناية عن السخط والاستهانة بخلاف عدم التكلم فانه يصح كونه كناية عن السخط لجواز ارادة معناه الحقيقى واذا كان المراد باحد اللفظين السخط والاستهانة كان ذلك شاهدا على ان المراد باللفظ الآخر ايضا ذلك ﴿قوله ولا يثنى عليهم﴾ كما يثنى على اوليائه مثل ثناء المزكى للشاهد والتزكية من الله تعالى قد تكون على ألسنة الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وقد تكون بغير واسطة اما فى الدنيا فكقوله تعالى التائبون العابدون واما فى الآخرة فكقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم ثم انه تعالى لما بين حرمانهم من الثواب بين كونهم فى العذاب الشديد المؤلم حيث قال ولهم عذاب اليم قال عكرمة نزلت الآية فى احبار اليهود كتموا ما عهد الله اليهم فى التوراة من امر محمد صلى الله عليه وسلم وكتبوا بأيديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم الرشى التى كانت لهم من اتباعهم وقالوا ايضا بان جواز الخيانة فى امانة من خالفهم فى الدين مذكور فى التوراة وكانوا كاذبين فى ذلك القول وعالمين انهم كاذبون فيه وقال مجاهد نزلت فى رجل حلف يمينا فاجرة فى تنفيق سلعته روى الامام الواحدى عن الاشعث انه قال كان بينى وبين رجل من اليهود ارض فجحدنى فقدمته الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال «ألك بينة» قلت لا فقال لليهودى «احلف» فقلت يا رسول الله اذا يحلف فيذهب بمالى فانزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اى يستبدلون ويأخذون بما عهد اليهم من اداء الامانات وايمانهم الكاذبة عرضا يسيرا من الدنيا اولئك لا نصيب لهم من الخير ﴿قوله يفتلونها بقراءته﴾ يعنى من لوى الشئ اذا فتله اى صرفه عن وجهه واستقامته «قال الامام اللى عبارة عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج يقال فتله عن وجهه فانفتل اى صرفه فانصرف ولوى لسانه عن كذا اذا غيره ولوى فلان فلانا عن رأيه اذا أماله عنه» وقوله بقراءته اشارة الى اعتبار حذف المضاف بين الباء والكتاب وهو القراءة والباء للاستعانة او الظرفية كما فى قولك نزلت بالمكان اى فيه قال القفال فى تأويل الآية قوله تعالى يلوون ألسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها عن حركاتها الاعرابية تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية فيحتمل ان يراد بلى الالسنة بقراءة الكتاب صرفه عن الصحيح المنزل الى المحرف الباطل فيقرأ ذلك الباطل بدل المنزل وقيل ان جماعة من احبار اليهود اتوا كعب بن الاشرف فى زمن قحط يطلبون منه طعاما فقال ما تقولون فى هذا الرجل الذى يقول انا رسول الله فقالوا هو عبد الله ورسوله الى خلقه فقال كعب لو قلتم غير هذا لكان لكم عندى طعام وعطاء فقالوا نرجع ونتأمل فرجعوا وعادوا وقد بدلوا نعته بنعت الدجال فقالوا وجدنا فى التوراة كذا فخلفهم لا يرجعون عن هذا واعطى كل واحد منهم ثمانية اذرع من كرباس وصاعا من شعير كذا فى التيسير والظاهر ما رواه صاحب الكشاف عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الفريق الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب هم الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة النبى صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم ﴿قوله او يعطفونها بشبه الكتاب﴾ اى ويحتمل ان يكون ما قدر مضافا الى الكتاب هو الشبه الذى اتوا به من عند انفسهم ثم قالوا

(ان الذين يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا (اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة اولا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله (ولا ينظر اليهم يوم القيامة) فان من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه (ولا يزكيهم) ولا يثنى عليهم بالجميل (ولهم عذاب اليم) على ما فعلوه قيل انها نزلت فى احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل فى ترافع كان بين الاشعث ابن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودى (وان منهم لفريقا) يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيى بن اخطب (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها

(هذا)

هذا من عند الله و الظاهر ان تقدير القرآءة مبنى على تأويل القفال و تقدير الشبه مبنى على ماروى ابن عباس
و العامة قرأوا يلوون بفتح الياء و سكون اللام بعدها واو مضمومة اخرى ساكنة مضارع لوى اى فتل وقرئ
يلوّون بفتح اللام وتشديد الواو الاولى من لوّى مضعفا و التضعيف للتكثير و المبالغة لا للتعدية اذ لو كان لها لتعدّى
الى مفعول آخر لانه بدون التضعيف متعدّ الى واحد وقرئ يلون بفتح الياء وضم اللام بعدها واو مفردة ساكنة
و اصلها يلوون كقرآءة العامة ثم ابدلت الواو المضمومة همزة و هو بدل قياسى فى أجوه وأقتت ثم خففت الهمزة
بالقاء حركتها على الساكن قبلها و هو اللام و حذفت الهمزة فبقى يلون بوزن يفون حيث حذفت عين الفعل
و لامه معا و ذلك لأن اصله يلويون كيضربون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء و واو الضمير
فحذفت الياء لالتقائهما ثم حذفت الواو التى هى لام الكلمة لما ذكرنا قال الامام كيف يمكن ادخال التحريف
فى التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ثم قال و الجواب لعل هذا الفعل صدر عن نفر قليل يجوز عليهم التواطئ
على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرّف على بعض العوام و على هذا التقدير يكون هذا التحريف ممكنا ثم قال
و الاصوب عندى فى تفسير الآية وجه آخر و هو ان الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان يحتاج فيها
الى تدقيق النظر و تأمل القلب و القوم كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوشة و الاعتراضات المظلمة فكانت تصير
تلك الدلائل مشتبهة على السامعين و اليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ماذكرناه لا ماذكرتم فكان
هذا هو المراد بالتحريف و بلىّ الالسنة كان المحق فى زماننا اذا استدل بآية فالمبطل يورد عليه الاسئلة و الشبهات
و يقول ليس مراد الله ماذكرت فكذلك فى هذه الصورة والله اعلم بمراده **قوله تأكيد لقوله و ماهو من الكتاب**
قال الامام و اعلم ان من الناس من قال انه لافرق بين قوله لتحسبوه من الكتاب و ماهو من الكتاب و بين قوله هو
من عند الله و ماهو من عند الله و كرر هذا الكلام بلفظين مختلفين لاجل التأكيد اما المحققون فقالوا المغايرة حاصلة
و ذلك لانه ليس كل مالم يكن فى الكتاب لم يكن من عند الله فان الحكم الشرعى قد يثبت تارة بالكتاب و تارة بالسنة
و تارة بالاجماع و تارة بالقياس و الكل من عند الله فقوله لتحسبوه من الكتاب و ماهو من الكتاب نفى خاص
ثم عطف عليه النفى العام فقال و يقولون هو من عند الله و ماهو من عند الله فلا يكون تكرارا و ايضا يجوز
ان يكون المراد من الكتاب التوراة و يكون المراد من قولهم هو من عند الله انه موجود فى كتب سائر الانبياء
عليهم الصلاة و السلام مثل شعياء و ارمياء و ذلك لان القوم فى نسبة ذلك التحريف الى الله تعالى كانوا متحيرين
فان وجدوا قوما من الاغمار و البله الجاهلين بالتوراة نسبوا ذلك المحرّف الى التوراة و يقولون انه موجود فيها
و ان وجدوا عقلاء اذكياء زعموا انه موجود فى كتب سائر الانبياء الذين جاؤا بعد موسى عليه الصلاة و السلام
و لم يرض المصنف بهذا التحقيق لظهور ان مرادهم بقولهم هو من عند الله ان مالووا به ألسنتهم من جملة التوراة
و انه تعالى انزل التوراة على موسى هكذا فهو تصريح و تقرير لما رمز اليه بقوله لتحسبوه من الكتاب لان الكتاب
لا يكون الا منزلا من عند الله فيكون قوله و ماهو من عند الله نفيا لما ارادوا بقولهم هو من عند الله و هو ان المحرّف
من كتاب الله المنزل من عنده **قوله و بيان لأنهم الخ** عطف تفسير لقوله تشنيع فان التصريح بان ماأتوا به
من عند انفسهم منزل من عند الله اشنع من الرمز اليه و التعريض به **قوله و هذا لا يقتضى ان لا يكون فعل
العبد فعل الله تعالى** لما توهم ان قوله تعالى و ماهو من عند الله يصلح ان يكون دليلا على المعتزلة فيما زعموا
من ان العبد مستقل فى افعاله و ان افعاله ليست من عند الله تعالى اى ليست بخلقه و ايجاده اجاب عنه بانه لا يدل
على صحة مذهبهم لان قولهم هو من عند الله ليس معناه ان ماصدر منهم من لىّ الالسنة و تحريف الكتاب
على وجهه من فعل الله تعالى و كائن بخلقه حتى يكون قوله تعالى و ماهو من عند الله نفيا لهذا المعنى فلا دلالة
فيه على صحة مذهبهم **قوله القرظى** بضم القاف و فتح الراء و كسر الظاء المعجمة اى يهودى من بنى قريظة
و السيد اسم رئيس وفد بنى نجران من النصارى **قوله و ان نأمر بغير عبادة الله** اى بعبادة غير عبادة الله
بحذف الموصوف و اقامة الصفة مقامه و يؤيده عبارة محيى السنة و هى قوله فقال معاذ الله ان آمر بعبادة غير الله
و المعنى ماكان لبشر ان يجمع بين هذين بين النبوة و بين دعاء الخلق الى عبادة غير الله لان من آتاه الله الكتاب و الحكم
و النبوة يكون اعلم الناس و افضلهم فيمنعه ذلك عن ادعاء الالوهية فانه تعالى لا يؤتى الوحى و الكتاب الا نفوسا
طاهرة و ارواحا طيبة و ايتاء الكتاب تستلزم ايتاء النبوة و هو الحكمة المعبر عنها باتقان العلم و العمل فلذلك

﴿ لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ﴾
الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله
يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء و الضمير
ايضا للمسلمين ﴿ و يقولون هو من عند الله
وماهو من عند الله ﴾ تأكيد لقوله و ماهو
من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم
يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى
ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى
ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى
﴿ و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون ﴾
تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله
والتعمد فيه ﴿ ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس
كونوا عبادا لى من دون الله ﴾ تكذيب ورد
على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى
و السيد النجرانى قالا يا محمد أتريد أن نعبدك
ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله
و ان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا
بذلك امرنى فنزلت و قيل قال رجل
يارسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد
لاحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله

قدم الكتاب على الحكم لان المراد بالحكم هو العلم بالشريعة وفهم مقاصد الكتاب واحكامه فان اهل اللغة والتفسير اتفقوا على ان هذا الحكم هو العلم قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا يعنى العلم والفهم فالكتاب السماوى ينزل اولا ثم يحصل فى عقل النبي فهم ذلك الكتاب واسراره وبعدما يحصل فهم الكتاب يبلغ النبي ذلك المفهوم الى الخلق وهو النبوة والاخبار فاحسن هذا الترتيب ﴿قوله ولكن يقول﴾ اضمر القول على ما تقرر عند العرب من جواز الاضمار اذا كان فى الكلام ما يدل عليه ونظيره قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم اى فيقال لهم ذلك ﴿قوله منسوب الى الرب﴾ يعنى كونه عالما مواظبا على طاعته كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلا على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون للدلالة على الكمال فى هذه الصفة كما قالوا شعرانى ولحيانى ورقبانى اذا وصف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وهذه الزيادة لابد منها فى النسبة عند قصد المبالغة فحينئذ لا يقال رقى وشعرى ولحوى وهذا قول سيبويه وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم ربانى منسوب الى ربان والربان هو الذى يربى العلم ويربى الناس ويعلمهم ويصلحهم ويقوم بامرهم والالف والنون فيه للمبالغة كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وعريان ثم ضمت اليه ياء النسبة كما قالوا لحيانى ورقبانى قال الواحدى فعلى قول سيبويه الربانى منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد الربانى مأخوذ من التربية ﴿قوله الاعتقاد والعمل﴾ وهو معنى كونه ربانيا فان الآية دلت على ان التعلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب امله وكان مثله مثل من غرس شجرة تؤنق بمنظرها ولا منفعة بثمرها ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون﴾ بفتح التاء وسكون العين وفتح اللام اى تعرفون فيتعدى الى مفعول واحد وباقى السبعة بضم التاء وفتح العين وتشديد اللام المكسورة فيتعدى الى اثنين اولهما محذوف تقديره تعلمون الطالبين الكتاب والعامة على تدرسون بفتح التاء وضم الراء والمعنى بما كنتم تعلمون غيركم ثم تدرسون ودرّس بالتشديد يحتمل ان يكون التضعيف فيه للتكثير فيكون موافقا لقراءة تعلمون بالتخفيف وان يكون للتعدية ويكون المفعولان محذوفين لدلالة المقام والفهم المرام والتقدير تدرّسون غيركم العلم اى تحملونهم على الدرس وقرئ تدرسون من باب الافعال كتكرمون من اكرم على ان ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم وانزل ونزّل ﴿قوله عطفا على ثم يقول﴾ والمعنى ولا له ان يأمركم باضمار ان بعد لا وان تكون لا مؤكدة لمعنى النفى السابق كما تقول ما كان من زيد اتيان ولا قيام تريد انتفاء كل واحد منهما عن زيد وتفصيل المعنى ما صح وما استقام لبشر ان يؤتيه الله الكتاب ثم يترتب عليه ان يقول للناس كونوا عبادا لى ولا ان يأمركم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وان لم تكن لا مزيدة بل كانت نافية كان هذا المعنى معطوفا على قوله ثم يقول قصدا الى ترتب هذا المجموع على الايتاء بمعنى ما كان لبشر ان يؤتى النبوة ثم يترتب على ذلك امره بعبادة نفسه ونهيه عن عبادة الملائكة والنبيين مع استواء الكل فى عدم استحقاق العبادة وهو معنى قول المصنف وهو ادنى من العبادة اى والحال ان اتخاذ اكفائه اربابا اقرب من عبادة القوم نفسه فى كونه عبادة لان لا استحقاق لها وقراءة الرفع على الاستئناف اظهر لوقوعه بعد انقضاء الآية وتمام الكلام فلا يحتاج الى جعل لا مزيدة ولا الى توجيه النفى على مجموع الامرين وهما امر الناس بعبادة نفسه والنهى عن عبادة الملائكة والانبياء ويدل على انقطاعه عن الاول ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قرأ ان يأمركم فان ان يأمركم لا يمكن كونه معطوفا على يقول لامتناع دخول ان الناصبة على ان وفاعل يأمركم فيه اقوال قال الزجاج ولا يأمركم الله وقال ابن جريج لا يأمركم محمد وقيل لا يأمركم عيسى وقيل لا يأمركم الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا فى المسيح وعزير ما قالوا ﴿قوله تعالى بعد اذ انتم﴾ متعلق بيأمركم وهو ظرف زمان اضيف الى ظرف زمان ماض نحو حينئذ ويومئذ ﴿قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين﴾ العامل فى اذ وجوه احدها اذكر ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم الثانى اذكروا ان كان الخطاب لاهل الكتاب الثالث قال فى قوله قال ءأقررتم والمقصود من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام قطعا لعذرهم واظهارا لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله تعالى فى هذه الآية وهو انه تعالى اخذ الميثاق من الانبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بانه كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه واخبرانهم

﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ﴿ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم ﴿أيأمركم بالكفر﴾ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله ﴿بعد اذ انتم مسلمون﴾ دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له ﴿واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾

(قبلوا)

قبلوا ذلك وحكم بان من رجع عن ذلك وتولى فاولئك هم الفاسقون فحاصل الكلام انه تعالى اوجب على جميع الانبياء الايمان بكل رسول جاء مصدقا لما معهم ومن المعلوم بالمعجزات القاطعة ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء مصدقا لما معهم قال ابن جرير الطبري قوله تعالى واذ أخذ الله معناه اذكروا يا اهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين وقال الزجاج معناه اذكر يا محمد اذ أخذ الله ميثاق النبيين ثم الميثاق يحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويكون المعنى ان الله تعالى أخذ الميثاق منهم في ان يصدق بعضهم بعضا بمعنى ان يوصي قومه ان ينصروا ذلك النبي الذي بعده ولا يخذلوه وان يكون مضافا الى مفعوله ويكون الميثاق مأخوذا للانبياء من غيرهم بان يكون الانبياء يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد عليه الصلاة والسلام فانه يجب عليهم ان يؤمنوا به وينصروه **قوله قيل انه على ظاهره** وهو ان الله عز وجل اخذ الميثاق من النبيين خاصة ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بالايمان به وبنصرته ان ادركوه فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وعليهم وجعل هذا المعنى ظاهرا لان نظم الآية يدل على ان الآخذ للميثاق هو الله تعالى والمأخوذ منهم هم النبيون فليس في الآية ذكر الامة فامر الامة انما يفهم من الآية بطريق الاولوية لا بصريح الآية **قوله وما يحتمل الشرطية** فتكون في محله النصب على المفعول به للفعل بعدها وهو آتيتكم وهذا الفعل مستقبل معنى لكونه في حيز الشرط ومحل الجزم والتقدير والله لاي شيء آتيتكم من كذا ليكونن كذا **قوله ويحتمل الخبرية** اي ويحتمل ان تكون مبتدأة موصولة وآتيتكم صلتها والعائد محذوف تقديره للذي آتيتكموه ومن كتاب حال اما من الموصول واما من عائده وقوله ثم جاءكم رسول عطف على الصلة وحينئذ فلا بد من رابط يربط هذه الجملة بما قبلها لان المعطوف على الصلة صلة ثم قيل الرابط محذوف تقديره ثم جاءكم رسول به فحذف به لطول الكلام ولدلالة المعنى عليه وقيل حصل الربط بالظاهر لان الظاهر وهو قوله لما معكم صادق على قوله لما آتيتكم فهو نظير قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لم يقل لا يضيع اجرهم بل اكتفى بربط الظاهر وتناوله لرجع الى الضمير ولتؤمنن به جواب قسم مقدر وهذا القسم المقدر وجوابه خبر للمبتدأ وهو لما آتيتكم ويجوز ان تكون ما في لما آتيتكم موصولة في محل النصب على انها مفعول فعل محذوف وذلك الفعل هو جواب للقسم المقدر والتقدير والله ليبلغن ما آتيتكم من كتاب قرأ العامة بفتح اللام في قوله لما آتيتكم وتخفيف الميم وقرأ حمزة وحده بكسر اللام وقرأ سعيد بن جبير بالفتح وتشديد الميم * اما قراءة العامة فقد ذكر وجهها وهو ان اللام موطئة للقسم اي باسطة طريقا لتفهم جواب القسم ومسهلة لتفهمه كانها وطأت طريقا يؤدي اليه وفيه بحث لان لام التوطئة على ما ذكر في النحو هي اللام الداخلة على أداة الشرط في نحو لئن بسطت ولئن اشركت ولم يسمع أن تكون اللام الداخلة على الموصول موطئة * ووجه قراءة حمزة بكسر اللام ان تكون اللام للتعليل وان تكون ما مصدرية واللام متعلقة بأخذ وتعليل له قال صاحب الكشاف ومعنى قراءة حمزة لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلين معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقكم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الكتاب والحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان لا تكون ما مصدرية بل تكون موصولة بمعنى الذي وعائدها محذوف وثم جاء عطف على الصلة والذي رابطه بالموصول اما محذوف وتقديره ثم جاءكم رسول مصدق له واما قيام الظاهر مقام المضمر * ووجه قراءة التشديد ان يكون لما ههنا ظرفية بمعنى حين وذهب الزمخشري الى ان جوابها مقدر من جنس جواب القسم حيث قال وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اي حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول وجب عليكم الايمان به ونصرته ويجوز ان يكون اصل لما لمن ما فادغمت النون في الميم لتقاربهما والادغام ههنا واجب ولما اجتمع ثلاث ميمات ميم من وميم ما والميم الذي انقلبت من النون لاجل الادغام حذف احدى الميمات دفعا لثقل المكرر **قوله كسر** وهي الناقة القوية على السفر قرأ العامة اصري بكسر الهمزة وهي اللغة الفصحى وقرأ ابو بكر عن عاصم في رواية اخرى بضم الهمزة والظاهر انه لغة في المكسور ويحتمل ان يكون جمع اصار كازر في جمع ازار والاصر الثقل الذي يلحق الانسان لاجل ما يلزمه من العمل والاصر هنا العهد الثقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد ومنه

قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن سادة مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا (قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري) اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به (قالوا اقررنا قال فاشهدوا) اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة (وانا معكم من الشاهدين) وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم (فمن تولى بعد ذلك) بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة (فاولئك هم الفاسقون) المتمردون من الكفرة

الاصار وهو الذى يعقد به وقوله أقررتم اى بالايمان به والنصر له والظاهر ان ضمير قال فى قوله قال أأقررتم راجع الى الله فى قوله واذ أخذ الله فيكون الاستفهام للتقرير والتأكيد عليهم لاستحالة حقيقة الاستفهام فى حق الله تعالى والاقرار افعال من قرّ الشئ يقرّ اذا ثبت ولزم مكانه واقرّه غيره اى اثبته واخذ الاصر معناه قبول العهد ومتعلق اقررنا محذوف ولابد من تقدير جملة محذوفة لدلالة ماتقدم عليها والتقدير قالوا اقررنا بالايمان وبنصرته والامتناع عن خذلانه واخذنا اصرك على ذلك كله والفاء فى قوله فاشهدوا عاطفة على جملة مقدرة والتقدير قال أأقررتم واخذتم اصرى فاشهدوا بالاقرار ايها الانبياء وقال سعيد بن المسيب الخطاب للملائكة أمرهم بان يشهدوا عليهم وقوله من الشاهدين خبر المبتدأ ومعكم حال اى وانا من الشاهدين مصاحبا لكم والمقصود منه التأكيد والتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض ﴿قوله عطف على الجملة المتقدمة﴾ يعنى ان الفاء ههنا عاطفة جملة على جملة والجملة المعطوف عليها اما الجملة المذكورة المتقدمة او الجملة المقدرة وتقدير الكلام على الاول فاولئك الذين يتولون ويعرضون عن الايمان بهذا الرسول وبنصرته وعن الاقرار بذلك كله هم الفاسقون الخارجون عن الايمان فغير دين الله يبغون بعد اخذ هذا الميثاق المؤكد بهذه التأكيدات البليغة فلما قصد انكار مضمون هذه الجملة المعطوفة وسطت همزة الانكار بينهما انكارا لابتغائهم دينا غير ما اختاره الله تعالى لهم لاسيما بعد اتضاح الحق واخذ المواثيق والعهود والشواهد * فان قلت جعلها معطوفة على الجملة المتقدمة يستلزم عطف جملة فعلية على اسمية وليس بفصيح * فالجواب انه ان تضمن نكتة كان فصيحا وهى بيان انهم يبغون ذلك فى الحالة الثابتة وموضع الهمزة هو الفاء يبغون لافعل غير اذ المعنى ايبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون عن الافعال والحوادث التى تتعلق بالذوات وكذا الانكار لايتوجه الى نفس الذوات بل الى عوارضها الاانه قدّم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود الباطل * واعلم ان هذه الجملة لو عطفت بالواو وقيل او غير دين الله يبغون جاز الا ان الفاء فائدة جليلة وهى التوبيخ البليغ فان الفاء تدل على انهم يبغون ذلك عقيب اخذ الميثاق المذكور المقرر ﴿قوله تعالى وله أسلم﴾ جملة حالية اى كيف يبغون غير دينه والحال هذه وقوله طوعا وكرها مصدران فى موضع الحال والتقدير طائعين وكارهين * قال الامام الاسلام هو الاستسلام والانقياد والخضوع اذا عرفت هذا ففى خضوع كل من فى السموات والارض لله تعالى وجوه الاول وهو الاصح عندى ان كل ماسوى الله فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فانه لايوجد الا بايجاده ولايعدم الا باعدامه فاذا كل ماسوى الله فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى فى طرفى وجوده وعدمه وهو نهاية الانقياد والخضوع ثم هذا الوجه فيه لطيفة اخرى وهى ان قوله وله أسلم يفيد الحصر اى وله اسلم جميع ماسواه لا لغيره فهذه الآية تفيد ان واجب الوجود واحد وان كل ماسواه لايوجد الا بتكوينه ولايفنى الا بافنائه والوجه الثانى فى تفسير الآية انه لاسبيل لاحد الى الامتناع عليه فى مراده وكلهم كائنون على مراده طوعا او كرها فالمسلمون والصالحون ينقادون له طوعا فيما يتعلق بالدين وينقادون له كرها فيما يخالف طباعهم من المرض والفقر والموت واشباه ذلك واما الكافرون فهم منقادون لله كرها على كل حال لانهم منقادون لله فيما يتعلق بالدين وفى غير ذلك مستسلمون له سبحانه كرها لايمكنهم دفع قضائه وقدره وقال الحسن اسلم من فى السموات طوعا ومن فى الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبى وقال قتادة المؤمن اسلم طوعا فنفعه ايمانه والكافر اسلم كرها فى وقت البأس فلم ينفعه قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل كل الخلق منقادون لالهيته طوعا بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ومنقادون لتكاليفه وايجاده الالام كرها فقول المصنف اى طائعين بالنظر فى الادلة الخ هو الوجه الثانى والفرق بين ماذكره من الوجهين لايخلو عن خفاء ونهاية ماادركه الفكر الفاتر ان الكره بالمعنى الاول هو مباشرة مالا يرضاه تجنبا عما شاهده من اشد الضرر وافظعه والكره بالمعنى الثانى هو مجرد كونه مسخرا اى مذللا لارادة الفاعل المختار مطاوعا لقدرته من غير ان يشاهد شيأ مما يكرهه على الفعل والمسخر لااختيار له فى الفعل لان الاختيار ترجيح ماهو الخير من الامرين وذلك يستدعى تمكن الفاعل من كل واحد من الامرين والمسخر لايتمكن من ترك الفعل ذكر فى التيسير ان اخذ الميثاق كان على ثلاثة اوجه ميثاق الذرية وهو فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية

(أفغير دين الله يبغون) عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم (وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها) اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم

(وميثاق)

وميثاق الانبياء بمحمد عليه الصلاة والسلام على النبيين وهو في هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين انتهى فقد اختار قول من ذهب الى انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين على امر محمد عليه الصلاة والسلام بان اخذ منهم الميثاق على ان يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ويصدقوه وينصروه ان ادركوه او بان اخذ الميثاق على النبيين واممهم جميعا في امر محمد عليه الصلاة والسلام واكتفى بامر الانبياء لان العهد من المتبوع عهد على الاتباع روى عن على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال لم يبعث الله نبيا من آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد في امر محمد عليه الصلاة والسلام واخذ العهد على قومه ليؤمنن به ولينصرنه ان بعث وهم احياء فالمراد بالرسول في قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم هو محمد عليه الصلاة والسلام وقد ذكر قول من ذهب الى انه تعالى اخذ الميثاق من الانبياء خاصة ان يبلغوا كتاب الله ورسالته الى عباده وان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه وهذا على تقدير ان يكون تقدير الآية واذ اخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة الا انه حذف تبلغن لدلالة اللام عليه لان لام القسم انما تقع على الفعل فلما دلت هذه اللام على هذا الفعل لاجرم حذف الفعل اختصارا والاضمار اعتمادا على دلالة القرينة باب متسع لاسيما اذا اتضح المرام واستغنى به عن ارتكاب التعسفات في تصحيح الكلام * فان قيل قوله لما آتيتكم ان كان خطابا لجميع الانبياء فجميعهم ما اوتوا الكتاب وانما اوتى بعض منهم وان كان للامم فالاشكال اظهر * والجواب من وجهين الاول ان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوتوا الكتاب بمعنى ان كل واحد منهم مهتد به داع الى العمل به وان لم ينزل عليه والثاني ان اشرف الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد اوتوا الكتاب فوصف الكل بوصف اشرف النوع * فان قيل ما وجه قوله تعالى ثم جاءكم رسول والرسول لا يجيء الى النبيين وانما يجيء الى الامم * فالجواب ان حملنا قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين على اخذ ميثاق اممهم فقد اندفع الاشكال وان حملناه على اخذ ميثاق النبيين انفسهم كان معنى قوله ثم جاءكم اي جاء في زمانكم * فان قيل محصل الآية انه تعالى اخذ الميثاق على جميع الانبياء بان يؤمنوا بكل رسول يجيء مصدقا لما معهم فما معنى ذلك الميثاق واخذه * والجواب انه لاشك انه نصب دلائل دالة على ان الانقياد لامر الله تعالى واجب وقرر تلك الدلائل في عقولهم فكلما بعث الله رسولا يدعى انه تعالى امر الخلق بالايمان به وانه تعالى صدقه وايده بالمعجزات فتلك الدلائل توجب عليهم ان يصدقوه ويؤمنوا به فكأنه تعالى بتقرير تلك الدلائل في عقولهم اخذ ميثاقهم وعهدهم بذلك ويحتمل ان يكون المراد من اخذ الميثاق انه تعالى شرح صفاته عليه الصلاة والسلام في كتب الانبياء المتقدمين فكان ايمانهم بكتابهم ايمانا بصاحب تلك الصفات فلما بعث عليه الصلاة والسلام بتلك الاوصاف والاحوال المذكورة في كتبهم كان نفس مجيئه مصدقا لما معهم وقد عاهدوا الله تعالى في ضمن الايمان بكتابهم ان يؤمنوا به وينصروه فهذا معنى اخذ الميثاق عليهم ﴿قوله تعالى واليه ترجعون﴾ يحتمل ان يكون جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك تضمنها معنى التهديد العظيم والوعيد الشديد والمعنى ان من خالفه في العاجل فسيكون مرجعه الى حيث لايملك الضر والنفع سواه ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله وله اسلم فيكون حالا مثله ﴿قوله امر للرسول﴾ اشارة الى وجه توحيد الضمير في قل وجمعه في آمنا وعلينا فلما ورد ان يقال كيف يجوز ان يكون ضمير علينا عبارة عن نفسه عليه الصلاة والسلام ومتابعيه مع ان القرآن انما انزل عليه لا على اتباعه * اجاب عنه بقوله والقرآن الخ ﴿قوله او بان يتكلم﴾ عطف على قوله بان يخبر وقوله اجلالا علة لامره تعالى اياه بان يتكلم بذلك الطريق اي امره بذلك اجلالا من الله تعالى لقدر نبيه * ولما ورد ان يقال كيف عدى الانزال في هذه الآية بحرف الاستعلاء وعدى في قوله قولوا آمنا بالله وما انزل الينا بكلمة الى * اجاب بان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فتارة يراعى احد الاعتبارين واخرى الآخر فقدم ذكر الايمان بالله على ذكر سائر مايجب الايمان به لان الايمان بالله اصل يتوقف عليه سائر مايجب الايمان به وقدم ذكر الايمان بما انزل على محمد عليه الصلاة والسلام على ذكر كتب سائر الانبياء لان سائر الكتب قد حرفها اهلها فلاسبيل الى معرفة احوالها الا بما انزل الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام فكان ما انزل عليه كالاصل لما انزل على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قدمه عليه واختلف العلماء في كيفية الايمان بالانبياء المتقدمين من الذين نسخت شرائعهم وحقيقة الخلاف ان شريعته لما صارت منسوخة فهل تصير نبوته منسوخة اولا فمن قال انها تصير منسوخة قال نؤمن بانهم كانوا انبياء ورسلا

(واليه ترجعون) وقرئ بالياء على ان الضمير ان (قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم) امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه

لا في الحال ومن قال ان نسخ الشريعة لا يقتضي نسخ النبوة قالوا نؤمن بانهم انبياء ورسل في الحال فتنبه لهذا الموضع كذا في تفسير الامام الكبير ﴿ قوله منقادون ﴾ على ان يكون الاسلام بمعنى الاستسلام وهو الانقياد وقوله او مخلصون على ان يكون من السلامة وتكون ثمرة الاقبال للتعدية وحذف المفعول لتعزيه اى مخلصون انفسنا له في عبادته لا نجعل له شريكا في عبادتنا وقيل قوله او مخلصون اشارة الى ان تقديم الظرف للاختصاص واما على الاول فللاهتمام ورعاية الفاصلة ولا يخفى ما فيه * قال الامام قوله تعالى ونحن له مسلمون فيه وجوه الاول ان اقرارنا بنبوة هؤلاء الانبياء انما كان لاجل كوننا منقادين لله تعالى مستسلمين لحكمه وفيه تنبيه على ان حالهم على خلاف حال من قال تعالى في حقهم أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض والثاني ان قوله ونحن له مسلمون اى مستسلمون لامره بالرضى وترك المخالفة وتلك صفة المؤمنين بالله وهم اهل السلم والكافرون اهل الحرب لقوله تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله والثالث ان قوله ونحن له مسلمون يفيد الحصر والتقدير له اسلمنا لا لغرض آخر من سمعة ورياء وطلب مال وهذا تنبيه على ان حالهم بالضد من ذلك فانهم لا يعملون ولا يقولون الا للسمعة والرياء وطلب الاموال ولذا قال في آخر الآية ونحن له مسلمون وبين ان الدين هو الاسلام وان كل دين سوى الاسلام غير مقبول عند الله وان صاحبه من الخاسرين في الآخرة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقوله تعالى دينا مفعول يبتغ وغير الاسلام حال منه لانه في الاصل صفة فلما قدم انتصب حالا ويحتمل ان يكون تمييز الغير لابهامها فيرتشكا ميزت مثل وشبه واخواتهما وان يكون بدلا فغير الاسلام هو المفعول به ليبتغ وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بادغام احد المتجانسين في الآخر الا ان قرآءة العامة الاظهار بناء على ان المثلين لم يجتمعا لوجود الفاصل بينهما بالياء المحذوفة للجزم ﴿ قوله واستدل به على ان الايمان هو الاسلام ﴾ مع ان ظاهر قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا يقتضي ان الايمان مغاير للاسلام وان الايمان هو التصديق المجرد او مع الاقرار والاسلام هو الاعمال ووجه الاستدلال انه لا شك ان الايمان مقبول عند الله تعالى فلو كان غير الاسلام لزم ان لا يقبل بحكم هذه الآية فثبت انهما متحدان * وتقرير الجواب انا لا نسلم ان كون الايمان غير الاسلام يستلزم عدم قبوله وانما يستلزم ان لو كان الايمان دينا ولا نسلم ذلك فان منطوق الآية ان لا يقبل دين مغاير لدين الاسلام ولا يلزم منه عدم قبول الايمان على تقدير كونه غير الاسلام الا اذا ثبت كونه دينا مستقلا ولم يثبت لان الدين هو الطاعة والايمان ليس بطاعة بل هو مبدأ الطاعة * ثم انه تعالى لما عظم امر الاسلام والايمان بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا قال كيف يهدى الله الآية قاله استبعادا لان يهدي قوما هم معاندون للحق مكابرون فيه غير خاضعين له بان يخلق فيهم الاهتدآء ويوفقهم لاكتساب الاهتدآء وانما يخلق الاهتدآء ويوفق لكسب ذلك ويقدرهم عليه اذا كانوا خاضعين متواضعين للحق راغبين فيه فان الهداية من الله تعالى قد تكون بخلق الاهتدآء واعطاء القدرة والتوفيق على كسب الاهتداء وتحصيله وقد تكون ببيان الطريق والارشاد الى الحق بنصب الدلائل فالهداية على الوجه الاخير تعم جميع الخلق من المطيع والعاصي والمؤمن والكافر وهي بهذا الوجه ليست بمرادة في هذا الموضع والا لكان الكافر والضال معذورا في ضلاله بل المراد من الهداية خلق الاهتدآء وقد جرت سنة الله تعالى في دار التكليف على ان كل فعل يقصد العبد تحصيله فان الله تعالى يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق فيهم المعرفة والاهتدآء وقد قصدوا تحصيل الكفر وارادوه ﴿ قوله وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد ﴾ بيان لفساد القول المذكور باستلزامه بطلان ما اجمعوا عليه من قبول توبة المرتد ﴿ قوله عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ﴾ والتقدير بعد ان آمنوا او بعد ان شهدوا ولا يجوز كونه معطوفا على كفروا لانهم ليسوا جامعين بين الكفر والشهادة وكذا لا يجوز عطفه على ايمانهم من حيث لفظه لان عطف الفعل على الاسم غير جائز بل من حيث المعنى فانه من قبيل عطف الفعل على الفعل نظرا الى المعنى ونظيره قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فأصدق واكن فقد عطف اكن وهو مجزوم على قوله فأصدق وهو منصوب باضمار ان بعد الفاء فيكون في تقدير المصدر وعطف الفعل على المصدر لا يجوز الا انه من قبيل عطف الفعل على الفعل من حيث المعنى روي ان سيبويه سأل الخليل عن قوله فاصدق واكن من الصالحين فقال الخليل جزم واكن لان المعنى الاول يكون مجزوما حين لا فاء فيه وهو من قبيل العطف على المعنى كأنه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب اصدق واكن قال الشاعر

لا نفرق بين احد منهم ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ منقادون او مخلصون في عبادته ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا ﴾ اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله ﴿ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات ﴾ استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد من الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق واكن

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ✲ ولا ناعب الا بين غرابها ✲

عشيرة الرجل بنوا ابنه الادنون ونعب الغراب صاح يقول هم مشائيم لايصلحون حال قبيلة ولا ينعب غراب فيهم الا بالبين والفراق وحق ناعب ان يكون منصوبا فيكون معطوفا على مصلحين لكنه انجر عطفا على محله لان الباء تدخل في خبر ليس كثيرا لتوهم وجود الباء فيه كأنه قيل ليسوا بمصلحين ولا ناعب ﴿قوله او حال﴾ اى ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد والتقدير كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقد شهدوا ان الرسول حق اى حال ماشهدوا ﴿قوله وهو على الوجهين﴾ اى سوآء جعل وشهدوا عطفا او حالا يكون الاقرار باللسان خارجا عن حقيقة الايمان اما على الاول فظاهر واما على الثانى فلان تقدير الآية كيف يهدى الله قوما كفروا بعد الايمان حال ماشهدوا بان الرسول حق بتقييد كفرهم الواقع بعد الايمان بكونه مقرونا بالاقرار باللسان فكما ان الكفر الواقع بعد الايمان مغاير للايمان فكذا ماهو قيد فيه مغاير له ايضا فصارت الآية دليلا على مذهبنا من ان الايمان هو التصديق بالقلب ولا شك ان المعنى القائم بالقلب مغاير للاقرار باللسان ﴿قوله الذين ظلموا انفسهم﴾ اشارة الى ان قوله والله لايهدى القوم الظالمين ليس تكريرا لقوله كيف يهدى الله قوما كفروا بناء على ان قوله كيف يهدى الله مختص بالمرتدين والله لايهدى القوم الظالمين عام يتناول المرتد والكافر لكنه مختص بالكافر الاصلى اورد تعليلا لما ذكر فى حق المرتدمن استبعاد هداية الله تعالى اياه • فان قيل ظاهر الآية يقتضى ان من كفر بعد اسلامه لايهديه الله وقد رأينا كثيرا من المرتدين اسلموا وهداهم الله وكثيرا من الظالمين تابوا عن الظلم • فالجواب ان معناه لايهديهم الله مادامو مقيمين على الرغبة فى الكفر وفى الثبات عليه ولا يقبلون على الاسلام واما اذا تحرّوا اصابة الحق والاهتدآء بالادلة المنصوبة فحينئذ يهديهم الله بخلق الاهتدآء فيهم ﴿قوله ويفهومه على نفى جواز لعن غيرهم﴾ لان تقديم خبر ان وهو عليهم على اسمها يفيد الحصر المشتمل على حكمين احدهما منطوق وهو ثبوت لعن الله تعالى ولعن الملائكة والناس عليهم وثانيهما مفهوم وهو عدم ثبوته لغيرهم وقوله اولئك مبتدأ وجزآؤهم يحتمل ان يكون مبتدأ ثانيا وان عليهم الخ خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر لاولئك ويحتمل ان يكون جزآؤهم بدلا من اولئك بدل اشتمال وان عليهم الخ خبر اولئك • واعلم ان لعنة الله مخالفة للعنة الملائكة لان لعنة الله بالابعاد من الجنة وانزال العقوبة والعذاب واللعنة من الملائكة هى بالقول وكذلك لعنة الناس وكل ذلك يستحقونه بسبب ظلمهم وكفرهم ويصح ان يكون جزآء لذلك ﴿قوله والمراد بالناس المؤمنون﴾ لانه لو اريد به جميع الناس لزم ان يلعن كل واحد منهم جميع من يوافقه ويخالفه ولا وجه لان يلعن الانسان من يوافقه ويحتمل انه يراد به الجميع بناء على ان جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر والكافر يعتقد فى نفسه انه ليس بمبطل ولا كافر فاذا لعن الكافر وكان فى علم الله كافرا فقد لعن نفسه وان كان لايعلم ﴿قوله تعالى خالدين﴾ حال من الضمير فى عليهم والعامل فيها الاستقرار ومعنى الخلود فى اللعنة انهم يوم القيامة لاتزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون ومن معهم فى النار ولا يخلو شئ من احوالهم من اللعنة ويجوز ان يكون المراد بالخلود فى اللعن الخلود فى اثر اللعن لان اللعن يوجب العقاب الخالد فعبر عن خلود اثر اللعن بخلود اللعن ومعنى الانظار فى قوله ولاهم ينظرون التأخير كما فى قوله تعالى فنظرة الى ميسرة والمعنى لايخفف عنهم العذاب ولا يؤخر من وقت الى وقت فان العذاب الملحق بالكفار مضرة خالصة من شوآئب المنافع دائمة غير منقطعة نعوذ بالله من ذلك ومايؤدى اليه وعطف قوله واصلحوا على قوله الا الذين تابوا يدل على ان التوبة وحدها وهى الندم على مامضى من الارتداد والعزم على تركه فى المستقبل لاتكفى حتى ينضاف اليها العمل الصالح اى واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات ومع الخلق بالعبادات والحاصل ان الآية فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن اسلت وعبادة بن الصامت ثم ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم وارسل الى قومه ان اسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة فانزل الله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فارسل اليه اخوه مع رجل من قومه هذه الآية وقرأها عليه فقال الحارث والله انك فيما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصدق منك وان الله عز وجل لاصدق الثلاثة فرجع الحارث الى المدينة وتاب واسلم وحسن اسلامه ﴿قوله لانهم لايتوبون﴾ جواب عما يقال قد يراد بقوله تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك ان المرتد تقبل توبته وان ازداد كفرا فما معنى قوله لن تقبل توبتهم • وتقرير الجواب ان قوله لن تقبل توبتهم كناية عن عدم توبتهم اصلا الى ان يموتوا على الكفر لان الموت على الكفر ملزوم لعدم قبول التوبة فاطلق اللازم

او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان (والله لايهدى القوم الظالمين) اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه (اولئك جزآؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) يدل بمنطوقه على جواز لعنهم ومفهومه على نفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لايعرف الحق بعينه (خالدين فيها) فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما (لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك) اى من بعد الارتداد (واصلحوا) ماافسدوا ويجوز ان لايقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح (فان الله غفور) يقبل توبته (رحيم) يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان اسألوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرءآن او كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره (لن تقبل توبتهم) لانهم لايتوبون او لايتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك

واريد به اللزوم بمعنى اشرافهم على الموت اذا اشرف عليه والتوبة الواقعة عند الاشراف على الموت غير مقبولة لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ﴿ قوله تغليظا في شأنهم ﴾ علة لقوله كنى وبيان لفائدة انه كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة فان عدم قبول التوبة يأس من رحمة الله تعالى فالتعبير عن عدم كونهم موفقين للتوبة بعدم قبول التوبة ابراز لحالهم في صورة الآيس من الرحمة ولا حال اشد واقطع منه وليست هذه الفائدة في قوله يموتون على الكفر فلذلك عدل عنه الى طريق الكناية وقوله ولذلك اي ولكون قوله لن تقبل واردا على سبيل الكناية لم تدخل الفاء فيه فانه لو دخلت الفاء عليه وهو كناية عن عدم توبتهم اصلا او عن عدمها في وقتها لافاد ان كفرهم وازديادهم في الكفر سببا لعدم التوبة والموت على الكفر وليس كذلك لانه كم من مرتد ازداد في الكفر ثم رجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر بخلاف قوله تعالى فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا فان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية فدخلت الفاء هناك ايذانا بسببية المبتدأ لخبره ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مجموع الوجهين او الى الوجه الاخير فقط لان الكفر وازدياده كما لا يكون سببا للموت على الكفر لا يكون ايضا سببا للتوبة اتفاقا ولا لعدم التوبة لان السبب لا بد ان يكون مفضيا الى المسبب والكفر وازدياده لا يفضي الى شيء منهما ﴿ قوله تعالى واولئك هم الضالون ﴾ يجوز ان يكون في محل الرفع عطفا على خبر ان اي ان الذين كفروا لن تقبل توبتهم وانهم اولئك الضالون وان يكون معطوفا على الجملة المؤكدة بان فلا محل لها من الاعراب لعطفها على ما لا محل له وقوله هم الضالون من قبيل حصر الكمال والا فكل كافر ضال سواء كفر بعد الايمان او كان كافرا في الاصل ومن جهات كمالهم في الضلال ثباتهم عليه وعدم كون الاهتداء متوقعا منهم قال الامام اعلم ان الكافر على ثلاثة اقسام احدها الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله الا الذين تابوا واصلحوا فان الله غفور رحيم وثانيها الذي يتوب من ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره الله تعالى في الآية المتقدمة وقال لن تقبل توبتهم وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور في هذه الآية ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية واخبر عن القسم الاخير بثلاثة اشياء الاول قوله لن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ الارض من الذهب والثاني قوله ولهم عذاب اليم اي مؤلم والثالث قوله وما لهم من ناصرين اي كما لا خلاص لهم من هذا العذاب الاليم بسبب الفدية لا خلاص لهم منه بسبب النصرة والاعانة والشفاعة وقرئ ذهب بالرفع على انه بدل من ملء الارض وذكر في النحو ان النكرة اذا ابدلت من المعرفة بدل الكل من الكل يجب نعت تلك النكرة كما في قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة الا ان الفاضل الاستراباذي نقل عن ابي علي الفارسي واستحسنه انه قال يجوز وصف تلك النكرة المبدلة من المعرفة اذا استفيد من البدل ما ليس في المبدل منه فان لم تفد النكرة الا ما افاده الاول لم يجز لانه يكون ابهاما بعد التفسير نحو مررت بزيد رجل ولا فائدة فيه ﴿ قوله محمول على المعنى ﴾ جواب عما يقال ظاهر النظم يوهم ان الغرض المسوق له الكلام عدم قبول ملء الارض ذهبا افتدى به او لم يفتد ومعلوم ان الغرض عدم قبول الفدية وان كانت ملء الارض ذهبا وتوضيحه ان مثل هذه الواو اعني الوصلية يراد بها تحقق الحكم السابق على تقدير الشرط وعدمه حتى ذهب بعضهم الى انها للعطف على محذوف هو نقيض الشرط المذكور اي لو لم يفتد به ولو افتدى به وههنا المقصود عدم قبول الفدية سواء كانت ملء الارض او لم تكن فمقتضى الظاهر ان يقال لا تقبل فديته ولو كانت ملء الارض او لا يقبل ملء الارض لو افتدى به بدون الواو والجواب من وجوه تقرير الاول ان عدم قبول ملء الارض ذهبا كناية عن عدم قبول فديتها وعدل عن التصريح به الى الكناية تصويرا للتكثير لان ملء الارض غاية الكثرة في العرف وعبر به عبارة عن حقيقة ملء الارض فيصير المعنى لن يقبل منه فدية ما ولو افتدى بملء الارض ذهبا فلفظ ملء الارض قائم مقام فدية ما والمنظور اليه فيه مجرد العموم والتناول لجميع مراتب الفدية لا حقيقة ملء الارض والمنظور في الضمير الراجع اليه حقيقته وتقرير الجواب الثاني ان قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ليس المراد منه انه لو فدى نفسه به يوم القيامة لن يقبل منه بل المراد ان من مات على الكفر اذا كان تصدق في الدنيا بملء الارض ذهبا لن يقبل الله تعالى ذلك منه لان الطاعة مع الكفر لا تكون مقبولة وانما يتقبل الله من المتقين وقوله ولو افتدى به ليس من قبيل الشرط الذي يقصد به تأكيد الحكم السابق بل هو شرط معطوف على شرط محذوف قبله والتقدير ما ذكره المصنف قال الواحدي نقلا عن الزجاج المعنى لو تقرب بملء الارض ذهبا لتقرب به

فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه (واولئك هم الضالون) الثابتون على الضلال (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا) لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف (ولو افتدى به) محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا او افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد

الى الله لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى من عذاب الله تعالى بملء الارض ذهبا لم يقبل منه * وتقرير الجواب الثالث ان النظم انما يوهم خلاف المقصود ان لو حمل على ظاهره وليس بواجب لجواز ان يقدر ولو افتدى بمثله معه فهذا الشرط أكد الحكم السابق على وجه لم يفد خلاف المقصود وقد شاع حذف لفظ المثل فى الكلام وزيادته اما حذفه ففى نحو قولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وقضية ولا اباحسن لها اى ولا مثل ابى حسن لها واما زيادته ففى نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا والمراد انت لا تفعله * فان قيل نفى قبول الافتدآء يوهم ان الكافر يملك يوم القيامة من الذهب ما يفتدى به وهو لا يملك فيه نقيرا ولا قطميرا فضلا عن ان يملك ملء الارض ذهبا ولو سلم ان يملك ذلك فأى نفع له فى الآخرة حتى يخلص نفسه ببذله فما فائدة قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا * والجواب ان الكلام وارد على سبيل الفرض والتقدير تصويرا لهول يوم الحساب وتحقيقا للوعيد وامر المجازاة فالذهب كناية عن اعز الاشياء وكونه ملء الارض كناية عن كونه فى غاية الكثرة والتقدير لو أن الكافر يوم القيامة قدرة على اعز الاشياء بالغا الى غاية الكثرة وقدر على بذله لنيل اعز المطالب لا يقدر على ان يتوسل بذلك الى تخليص نفسه من عذاب الله تعالى والمقصود بيان انهم آيسون من تخليص انفسهم من العقاب ثم انه تعالى لما بين ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذى ينفعهم فى الآخرة فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فبين به ان من انفق ما احب كان من جملة الابرار ﴿قوله اى لن تبلغوا حقيقة البر﴾ على ان تكون اللام للجنس والحقيقة ومعنى نيل جنس البر الوصول اليه والاتصاف به ﴿قوله او لن تنالوا بر الله﴾ على ان تكون اللام عوضا عن تعريف الاضافة فيراد نوع من الجنس ومعنى نيله اصابته ووجدانه فالبر على الاول ما يصير به المكلف من الابرار وذلك ما يحصل منه من الاعمال الصالحة الخالصة لوجه الله وعلى الثانى يراد به بر الله تعالى اولياءه واكرامه اياهم وتفضله فهو من قول الناس برّنى فلان وبرّ فلان لا ينقطع عنى ﴿قوله او من المال او ما يعمه﴾ اشارة الى ان المفسرين اختلفوا فى قوله تعالى مما تحبون فمنهم من قال انه نفس المال فان الانسان مجبول على حبه قال الله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقال آخرون كل ما يحتاج اليه مما هو عند المنفق محبوب كأنه قيل لا وصول الى المطلوب الا بانفاق المحبوب ﴿قوله بيرحى﴾ اختلف الفاظ المحدثين فيها فيروونها بفتح الباء وكسرها وبفتح الرآء وضمها والمد فيها والقصر روى ان الزمخشرى قال فى الفائق كأنها فيعلى من البراح وهى الارض المنكشفة الظاهرة وقال شيوخ مكة يروونها بئرحاء بكسر الباء فان صح فهو مضاف الى حاء وهى قبيلة وقال الصغانى فى التكملة انه فيعلى وقد صحفها اصحاب الحديث فقالوا ابئرحاء وليست ببئر مضافة الى حاء كبئر ذروان وبئر بضاعة وقال فى المغرب انها بستان لابى طلحة بالمدينة مستقبل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه ويشرب من ماء طيب وقوله بخ بخ كلمة مدح ورضى مبنية على السكون وقد يكسر وينون فيقال بخ بخ وكررت للمبالغة ﴿قوله مال رابح﴾ اى ذو ربح ونفع او رائح اى يروح نفعه لقربه من البلد او رائح اى يروح ويعود اليك نفعه وثوابه او يروح خيره الى صاحبه ويجيء اليه ويذهب منى وقسمها ابو طلحة فى اقاربه وبنى عمه وروى انه جعلها بين حسان بن ثابت وابى بن كعب ﴿قوله اسامة بن زيد﴾ وزيد هذا هو زيد بن حارثة صاحب الفرس فلما وهب صلى الله عليه وسلم ذلك الفرس لابنه اسامة شق ذلك على زيد وظن ان صدقته لم تقبل فقال اردت ان اتصدق بها فقال عليه الصلاة والسلام * ان الله عز وجل قد قبلها منك * وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى جارية فلما رآها اعجبته فأعتقها فقيل له لم اعتقتها ولم تصب منها فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وبالجملة كان السلف اذا احبوا شيأ جعلوه لله تعالى ذخيرة ليوم يحتاجون اليه والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا ايقن انه يتوسل بذلك الى وجدان محبوب اشرف من الاول والانسان لا ينفق محبوبه الا اذا تيقن بوجود الصانع العالم القادر ويتيقن بالبعث والحساب والجزآء وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولزم منه ان الانسان لا يمكنه انفاق محبوبه فى الدنيا الا اذا كان مستجمع الخصال المحمودة فى الدين واختلف المفسرون فى ان المراد من الانفاق مما تحبون هل هو اخراج الزكاة او الانفاق المستحب فذهب الضحاك الى الاول وقال المعنى حتى تخرجوا زكاة اموالكم وقال الحسن كل شئ انفقه المسلم من ماله يبتغى به وجه الله تعالى فانه الذى عناه الله بقوله حتى تنفقوا مما تحبون حتى التمرة وما نقله المصنف من الروايات يؤيد القول الثانى * قال الامام وانا اقول لو خصصنا الآية بغير الزكاة لكان اولى لان الآية مخصوصة بانفاق الاحب والزكاة الواجبة ليس فيها

﴿اولئك لهم عذاب اليم﴾ مبالغة فى التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفدآء ربما يعفى عنه تكرما ﴿وما لهم من ناصرين﴾ فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق ﴿لن تنالوا البر﴾ اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ اى من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الىّ بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب

بناء الاصحاب فانه لا يجب على المزكى ان يخرج احسن امواله واكرمها بل الصحيح ان هذه الآية مخصوصة بأثناء
المال على سبيل الندب ونقل الواحدى عن مجاهد والكلبى ان هذه الآية منسوخة بآية الزكاة وهذا فى غاية البعد
لان ايجاب الزكاة كيف ينافى الترغيب فى بذل المحبوب لوجه الله تعالى ﴿قوله وهو يدل على ان من للتبعيض﴾
لم يشترط انفاق الكل تيسيرا على العباد قال القشيرى من اراد البرّ فلينفق بعض ما يحبه ومن اراد البارّ فلينفق
جميع ما يحبه وقيل اذا كنت لا تصل الى البرّ الا بانفاق محبوبك فتى تصل الى البارّ وانت تؤثر عليه حظوظك
روى ان ابن عمر رضى الله عنهما كان مريضا فاشتهى عنبا وذلك فى الشتاء فخرج بنوه واشتروا له عنقودا بدرهم
فلما أتى به اخذه منه حبة فاذا سائل يسأل فأعاد الحبة فى موضعها ثم قال ياسالم ناوله العنقود فانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول « خير الصدقة ما كان على شهوة » فناوله سالم العنقود ثم اشتراه منه بدرهم ثم جاء به اليه
وقال كل شهوتك فعاد السائل فأعادها الى موضعها وفعل كالاول فكان كذلك ثلاث مرات ومات عبد الله
بشهوته رضى الله عنه ﴿قوله ويحتمل التبيين﴾ والمعنى لن تنالوا البر الا ان تنفقوا الشئ الذى تحبونه ودلت
الآية على ان لا بأس بمحبة شئ من الدنيا اذا لم يقدمه على محبة الدين ولم يؤثر العاجل على الآجل ﴿قوله اى
من اى شئ﴾ اشارة الى ان ما شرطية وقوله فان الله به عليم جواب الشرط جعل علمه تعالى بذلك جوابا للشرط
مع ان علمه تعالى غير مشروط بشئ بناء على ان علمه بذلك الانفاق جعل كناية عن اعطاء الثواب ويجوز تعليق
الاثابة بالعمل ﴿قوله اى المطعومات﴾ فى الحواشى السعدية لما كانت كلمة كل عند الاضافة الى المفرد المعرّف
لعموم الاجزاء مثل اكلت كل الخبز وكان القصد هنا الى عموم افراد المطعوم حمل الطعام على المطعومات بدلالة اللام
الاستغراقية او المضاف اذ هو عام بالاضافة فوقعت كلمة كل لتوكيد العموم المستفاد من اللام او الاضافة
﴿قوله والمراد اكلها﴾ اذ لا يوصف بنحو الحل او الحرمة الا افعال المكلف لا الاعيان ﴿قوله وهو مصدر
يقال حل الشئ يحل حلا كما يقال ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا واطلق على الاشخاص فى قوله تعالى لا هنّ حل لهم
للمبالغة ﴿قوله وقيل كان به عرق النسا﴾ روى ان يعقوب نذر ان وهب الله له اثنى عشر ولدا واتى بيت
المقدس صحيحا ان يذبح آخرهم فلقاه ملك من الملائكة فقال له يا يعقوب انك رجل قوى هل لك فى الصراع فعالجه
فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال انى لو شئت ان اصرعك
لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة مخرجا عن ذلك الذبح ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قدم بيت المقدس
اراد ذبح ولده ونسى قول الملك فأتاه الملك وقال له انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك ثم انه
لما ابتلى بذلك المرض نسى ذلك من بلائه وشدته وكان لا ينام الليل من الوجع فحلف لئن شفاه الله لا يأكل احب
الطعام اليه وقيل حلف يعقوب لئن شفاه الله تعالى لا يأكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرّمها على نفسه
فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق يخرجونها من اللحم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يعقوب عليه
الصلاة والسلام لما اصابه عرق النسا وصف له الاطباء ان يجتنب لحم الابل فحرّمه يعقوب على نفسه وقيل حرّمه
على نفسه تعبدا لله تعالى ﴿قوله واحتج به الخ﴾ اى بقوله تعالى الا ما حرّم اسرائيل على نفسه والاجتهاد
كما يجوز من الائمة يجوز من الانبياء ايضا لعموم قوله واعتبروا ولقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولقوله لمحمد عليه
الصلاة والسلام عفا الله عنك لم اذنت لهم فجاز ان يجتهد يعقوب فأداه اجتهاده الى التحريم فقال بتحريمه ﴿قوله
وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه﴾ بأن يقول له عليه الصلاة والسلام افعل ما بدا لك من تحليل وتحريم
نقل الامام عن قوم من المتكلمين انهم قالوا يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب
فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ﴿قوله تعالى من قبل ان تنزل التوراة﴾ يحتمل ان يتعلق بحرّم
اى الا ما حرّم من قبل انزالها وهو وان كان من قبيل تعيين المعلوم بالضرورة اذ كل احد يعلم ان تحريم اسرائيل
ما حرّم على نفسه انما هو قبل انزال التوراة ضرورة تباعد ما بين وجود اسرائيل وانزال التوراة الا انه جيئ به
للاشعار بأن شيأ من الطعام لم يكن حراما على بنى اسرائيل قبل انزال التوراة الا الطعام واحد حرّمه اسرائيل
على نفسه قبل انزالها وان ما حرّم من المطعومات انما حرّم بانزال التوراة وبعد انزالها ويحتمل ان يتعلق بقوله كان
حلا اى كان حلا لبنى اسرائيل من قبل ان تنزل التوراة وفصل بالاستثناء بناء على ما ذهب اليه الكسائى
وابو الحسن من جواز ان يعمل ما قبل الا فيما بعدها اذا كان ما بعدها ظرفا او مجرورا وقرئ تنزل بتخفيف الزاى

وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين (وما تنفقوا من شئ) اى من اى شئ محبوب او غيره ومن لبيان ما (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه (كل الطعام) اى المطعومات والمراد اكلها (كان حلا لبنى اسرآئيل) حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هنّ حل لهم (الا ما حرّم اسرآئيل) يعقوب (على نفسه) كلحوم الابل والبانها وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوّز للنبى ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل ان تنزل التوراة) اى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرّم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك ردّ على اليهود فى دعوى البرآءة مما نعى عليهم فى قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا باوّل من حرّمت عليه وانما كانت محرّمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرّمت علينا كما حرّمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرّم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرّما روى انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوّته

(وتشديدها)

وتشديدها وكلاهما بمعنى واحد وهذا رد قول من قال ان نزل بالتشديد يدل على ان الانزال كان منجما لان التوراة انما انزلت دفعة واحدة باجماع المفسرين يقال نعى عليه هفوته اذا شهره بها وقد شهر الله تعالى اليهود بالظلم والبغي وقبائح الافعال حيث انزل قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فان هاتين الآيتين دلتا على انه تعالى انما حرم على اليهود هذه الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم وقبح فعلهم وانه لم يكن شئ من الطعام حراما غير الطعام الواحد الذى حرمه اسرائيل على نفسه فشق ذلك على اليهود من وجهين احدهما ان ذلك يدل على ان تلك الاشياء حرمت بعد ان كانت مباحة وذلك يقتضى وقوع النسخ وهم ينكرونه والثانى ان ذلك يدل على انهم كانوا موصوفين بقبائح الافعال فلما شق عليهم ذلك من هذين الوجهين انكروا كون حرمة هذه الاشياء متجددة واقعة بعد ان لم تكن وزعموا انها كانت محرمة ابدا فطالبهم النبي عليه الصلاة والسلام بان يأتوا بالتوراة تدل على صحة قولهم فعجزوا وافتضحوا هذا على تقرير الامام والمفهوم من كلام المصنف انه عليه الصلاة والسلام طالبهم باحضار التوراة الزاما لهم بما فى كتابهم من انه تعالى قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما وان كتابهم ناطق بصحة النسخ وباتصافهم بالظلم والبغي والله اعلم والوجه فى ارتباط هذه الآية بما قبلها ان الآيات السابقة كانت فى تحقيق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام والالزامات الواردة على اهل الكتاب وتمامه يتوقف على ابطال شبه الطاعنين فى نبوته ومن جملة شبه اليهود انهم قالوا انك تدعى انك على ملة ابراهيم مع ان هذه الاشياء كانت محرمة عليه فجعلوا ذلك شبهة طاعنة فى صحة دعواه عليه الصلاة والسلام فأجابهم النبي عليه الصلاة والسلام عن هذه الشبهة وقال ان ذلك كان حلا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه لسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة فى اولاده فانكر اليهود ذلك وقالوا كل ما حرمه اليهود كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم النبي باحضار التوراة وامرهم بان يستخرجوا آية منها تدل على ان لحوم الابل والبانها كانت محرمة على ابراهيم فعجزوا وعن ذلك وافتضحوا وظهر كذبهم روى ابن ماجه فى سننه عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * شفاء عرق النسا ألية شاة تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم يشرب على الريق فى كل يوم جزؤ منها * وفى رواية عن انس قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * تؤخذ ألية كبش عربى لا صغير ولا كبير فتقطع صغارا فتخرج اهالتها فتقسم ثلاثة اقسام يشرب فى كل يوم قسم منها على الريق * قال انس فوصفته لاكثر من مائة رجل فبرئوا باذن الله عز وجل وظاهر الآية يدل على ان هذا الذى حرمه اسرائيل على نفسه قد حرمه الله تعالى على بنى اسرائيل لقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل فحكم بحل كل المطعومات لبنى اسرائيل ثم استثنى منها ما حرمه اسرائيل على نفسه فوجب بحكم الاستثناء ان يكون ذلك حراما عليهم ﴿قوله قل صدق الله﴾ يحتمل وجوها احدها قل صدق الله فى ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على اسرائيل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطلت شبهة اليهود وثانيها قل صدق الله فى ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم وانما حرمت على اسرائيل حرمها على نفسه فثبت ان محمدا عليه الصلاة والسلام لما افتى بحل لحوم الابل والبانها كان قد افتى بملة ابراهيم وثالثها صدق الله فى ان سائر الاطعمة كانت محللة لبنى اسرائيل وانما حرمت على اليهود جزاء على قبائح افعالهم ﴿قوله وجعل متعبدا لهم﴾ عطف على ما قبله تفسير المعنى وضع الله اياه للناس لان كونه موضوعا للناس يقتضى ان يشترك فيه جميع الناس وذلك لا يكون الا بكونه موضوعا للطاعات والعبادات قال عليه الصلاة والسلام * لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا * واول هذه المساجد المسجد الحرام فان الاول اسم للفرد السابق ولذلك قيل هذه الآية جواب عن شبهة اخرى من شبه اليهود فى انكار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وذلك انه عليه الصلاة والسلام لما حول الى الكعبة طعن اليهود نبوته وقالوا ان بيت المقدس افضل من الكعبة واحق بالاستقبال لانه وضع قبل الكعبة فاجابهم الله تعالى بقوله ان اول بيت وضع للناس هو الكعبة فكان جعله قبلة اولى وايضا انه تعالى لما قال فى الآية المتقدمة فاتبعوا ملة ابراهيم وكان من اعظم شعائر ملة ابراهيم الحج ذكر فى هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج ﴿قوله تعالى وضع للناس﴾ فى موضع الجر على انه صفة لبيت وقوله الذى ببكة خبر ان اخبر بالمعرفة عن

﴿فمن افترى على الله الكذب﴾ ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بنى اسرائيل ومن قبلهم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما لزمهم الحجة ﴿فاولئك هم الظالمون﴾ الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم ﴿قل صدق الله﴾ تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا﴾ اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه ﴿وما كان من المشركين﴾ فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ﴿ان اول بيت وضع للناس﴾ اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه القراءة على البناء للفاعل

(لذى ببكة) البيت الذى ببكة وهى
لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب
وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع
المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه
اومن بكه اذا دقه فانها تبك اعناق
الجبابرة روى انه عليه السلام سئل
عن اوّل بيت وضع للناس فقال المسجد
الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما
فقال اربعون سنة وقيل اوّل من بناه
ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة
ثم قريش وقيل هو اوّل بيت بناه آدم فانطمس
فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان
فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح
ويطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان
يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان
الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السماء
وهو لايلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه
اوّل بالشرف لابالزمان (مباركا) كثير
الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف
(وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم
ولان فيه آيات عجيبة كما قال (فيه آيات بينات)
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على
مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط
الصيود فى الحرم ولاتتعرّض لها وان كل
جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل
والجملة مفسرة للهدى اوحال اخرى
(مقام ابراهيم) مبتدأ محذوف خبره اى
منها مقام ابراهيم اوبدل من آيات بدل
البعض من الكل وقيل عطف بيان على
ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء
وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون
آثار سائر الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على
التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع
بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن
من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه

النكرة وهى اوّل بيت لتخصص النكرة بالاضافة والوصف والنبيط والنميط اسم موضع بالدهناء وهو مقصور لم يسمع
من العرب الابالقصر فان كل واحد من الباء والميم يعقب الآخر فى استعمالات العرب منها هذا الموضع ومنها قولهم
راتم فى راتب ولازب فى لازم ومكة اسم البلد الحرام ابدلت ميمه باء فقيل بكة والباء فى بكة ظرفية اى فى بكة ﴿ قوله
وقيل هى موضع المسجد ﴾ عطف على قوله وهى لغة فى مكة والبيت كائنه فى البلد فهو فى المسجد ﴿ قوله
من بكه ﴾ خبر ثان لقوله هى اى قيل معنى موضع المسجد بكة لبك الناس وازدحامهم فيه يقال بكه اذا زاحمه وتباك القوم
اذا ازدحموا قال قتادة رأيت محمد بن على الباقر يصلى فمرت امرأة بين يديه فذهبت ادفعها فقال دعها فانها سميت
بكة لان الناس يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدى الرجل وهو يصلى والرجل بين يدى المرأة وهى تصلى لابأس بذلك
روى عن على ابن الحسن ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر
الملائكة الذين هم سكان الارض ان يبنوا فى الارض بيتا على مثاله فبنوه واسمه الضراح وامر من فى الارض ان
يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفى عام فكانوا يحجونه فلما
اهبط آدم الى الارض قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا حوله قبلك بألفى عام فطاف به آدم ومن
بعده الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام فلما اراد الله الطوفان حول الى السماء الرابعة وهو بحيال الكعبة يطوف به
ملائكة السموات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه اوّل بيت بناه آدم فى الارض فنسبة بنائه الى ابراهيم
على هذه الروايات ليس لانه عليه الصلاة والسلام بناه ابتداء بل لرفعه قواعده واظهاره مادرس منه فان موضع
الكعبة اندرس بعد الطوفان وبقى مختفيا الى ان بعث الله جبريل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودله على مكان
البيت وامره بعمارته * وجرهم بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء حى من اليمن وهم اصهار اسمعيل عليه الصلاة
والسلام والعمالقة من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وهم امم تفرقوا فى البلاد ﴿ قوله وهو لايلائم ظاهر
الآية ﴾ لان المقصود من سوق الآية تفضيل الكعبة على بيت المقدس دفعا لشبهة اليهود * والضراح وان
طاف به آدم ومن بعده الى زمن الطوفان الا ان حمل الآية على تعظيمه لايظهر له وجه ﴿ قوله وقيل المراد انه اوّل
بالشرف لابالزمان ﴾ ودلالة الآية على الاوّلية بالفضل والشرف امر لابد منه لان المقصود الاصلى من سوق الآية
ترجيحه على بيت المقدس وهذا انما يتم بالاوّلية بحسب الفضل والشرف وتفاضل بعض الاعيان والمعانى على
بعض ليس لذواتها وانما هو بحسب جعل الله تعالى ولاتأثير للاوّلية فى الوضع والبناء فى هذا المقصود الا ان
الاوّلية بحسب الشرف لاتنافى الاوّلية بحسب الزمان فجاز ان يراد بالاوّلية ما هو بحسب الزمان ويفهم شرف
ما هو الاوّل زمانا من تقييده بكونه مباركا وهدى للعالمين ﴿ قوله والجملة مفسرة ﴾ اى يجوز ان تكون هذه الجملة
مستأنفة لامحل لها من الاعراب والمجيء بها بيانا وتفسيرا لبركته وهداه ويجوز ان تكون حالا اخرى على رأى
من يجوّز تعدد الحال لذى حال واحد ويحتمل ان تكون فى محل النصب على ان تكون وصفا لهدى بعد وصفه بالجار
قبله ذكر فى بيان فضيلة البيت ان اوّل من بناه هو الخليل عليه الصلاة والسلام والتلميذ المبلّه هو اسمعيل عليه
الصلاة والسلام قيل ليس فى العالم بناء اشرف من الكعبة وان الطيور لاتمر فوق الكعبة عند طيرانها فى الهواء بل
تنحرف عنها عند موازاتها ﴿ قوله وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ﴾ اشارة الى ان الضمير فى قوله
فيه آيات وان كان للبيت الا انه اريد به الحرم تجوّزا للعلاقة والمجاورة او بطريق اطلاق الجزء وارادة الكل وقد روى ان
سباع الطيور والوحوش تقصد طيرا فيفر منها فاذا دخل الحرم رجعت عنه وامتنعت عن اصطياده وذلك خاصية
عظيمة ﴿ قوله وان كل جبار قصده بسوء ﴾ اى قصد اصابة السوء بالبيت فلا يرد ان الحجاج حبس عبد الله بن الزبير
رضى الله عنه فى المسجد الحرام وضرب المنجنيق على ابى قبيس ورمى به داخل المسجد وقتل عبد الله وذلك لان
مقصوده اخذ عبد الله لا الاضرار بالبيت ﴿ قوله على ان المراد بالآيات ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان
تبين الآيات بامر واحد وهو مقام ابراهيم او بامرين على ان يكون قوله ومن دخله كان آمنا معطوفا من حيث
المعنى على مقام * وتقريره ان مقام ابراهيم وان كان مفردا بحسب اللفظ الا انه لاشتماله على آيات كثيرة جعل بمنزلة
الآيات فصلح بيانا لها ﴿ قوله ألوف سنة ﴾ قيل كان بين ابراهيم وبين الهجرة الفان وثمانمائة سنة وثلاث
وتسعون سنة وعلى مازعمه اليهود ألفان واربعمائة واثنان واربعون سنة ﴿ قوله وسبب هذا الاثر انه ﴾ اى
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اسكن هاجر وابنه اسمعيل فى وادى مكة وانصرف الى الشام جاء بعد زمان

زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسماعيل انزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فارادت ان ترجله وهو راكب فوضعت حجرا على الجانب الايمن فوضع ابراهيم قدمه عليه حتى غسلت احد جانبي رأسه ثم حولته الى الجانب الايسر حتى غسلت الجانب الآخر و رجلته فاثرت قدمه فيه الا ان ذلك الاثر اندرس من كثرة المسح بالايدي وقيل هو الحجر الذي قام عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند الاذان بالحج حين قال له ربه وأذن في الناس بالحج فقال القفال ويجوز ان يكون ابراهيم قام على ذلك الحجر في هذه المواضع كلها ﴿قوله جملة ابتدائية﴾ على تقدير ان تكون من موصولة لاشرطية وعلى التقديرين لايصح عطف الجملة على المفرد من حيث اللفظ ﴿قوله اى ومنها أمن من دخله﴾ على تقدير ان يكون مقام ابراهيم مبتدأ حذف خبره وما بعده على تقدير كونه بدلا او عطف بيان * ولما ورد ان يقال كيف صح بيان الجماعة بالاثنين * اجاب عنه انه من باب الطي وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض يدعو المتكلم الى ذلك ويسمى طيا وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشيء كأنه تعالى لما ذكر من جملة الآيات هاتين الاثنين قال وكثير سواهما ومن قبيل الطي قوله عليه الصلاة والسلام * حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة * فانه عليه الصلاة والسلام ذكر اثنين وهما الطيب والنساء وطوى ذكر الثالث كأنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر الاولين سقط في يده واعرض عن الالتفات الى امر دنياه فابتدأ بقوله * وقرة عيني في الصلاة * لانها ليست من امور الدنيا وانما هي من الامور الاخروية قال الحسن وقتادة في معنى آمن من دخله كانت العرب في الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم أمن القتل والغارة وهذا قول اكثر المفسرين لقوله تعالى أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقد سأل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربه ان يأمن سكان مكة حيث قال رب اجعل هذا بلدا آمنا فاستجاب الله تعالى دعاءه وقال الضحاك من حجه كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك وقيل معناه من دخل معظما له متقربا الى الله عز وجل كان آمنا يوم القيامة من العذاب واختاره المصنف واستشهد عليه بالحديث وعنه عليه الصلاة والسلام * الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة * وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال * يبعث الله من هذه البقعة ومن الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر * وعنه عليه الصلاة والسلام * من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام * قال ابو بكر الرازي لما كانت الآيات المذكورة عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم ثم قال ومن دخله كان آمنا وجب ان يكون مراده جميع الحرم واجمعوا على ان من قتل في الحرم فانه يستوفى القصاص منه في الحرم وانما الخلاف فيما اذا وجب القصاص عليه خارج الحرم ثم التجأ الى الحرم فهل يستوفى منه في الحرم اولا فقال الامام الشافعي يستوفى فيه واحب البقاع الى الله مايؤدى فيه فرائض الله تعالى وقال ابو حنيفة لايستوفى الا انه لايؤوى ولايطعم ولايسقى ولايبايع له ولايتكلم معه حتى يضطر الى الخروج ثم يستوفى منه القصاص واحتج بهذه الآية فقال ظاهر الآية الاخبار عن كونه آمنا ولايمكن حمله على الخبر اذ قد لايصير آمنا في حق من اتى بالجناية في القصاص فيما دون النفس فوجب حمله على الامر وتركنا العمل به في الجناية التي دون النفس لان الضرر فيها اخف من ضرر القتل في القصاص بالجناية في الحرم لانه هو الذي هتك حرمة الحرم فبقي محل الخلاف على ظاهر الآية ﴿قوله قصد للزيارة على الوجه المخصوص﴾ اشارة الى تعريف الحج في عرف اهل الشرع فان الحج في اللغة القصد ورجل محجوج اى مقصود وفي عرف الشرع هو القصد الى مكة لاداء المناسك المشروعة في مواضعها والحج بفتح الحاء وكسرها لغتان فصيحتان بمعنى واحد والفتح لغة اهل الحجاز والعالية والكسر لغة اهل نجد وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح المصدر وقال سيبويه يجوز ان يكون المكسور ايضا مصدرا كالذكر والعلم وقوله حج البيت مبتدأ ولله خبره وعلى الناس متعلق بما تعلق به الخبر او متعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في الجار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر وسبيلا مفعولا به لان استطاع متعد قال تعالى لايستطيعون نصركم واستطاعة السبيل الى الشيء عبارة عن استطاعة مايكون وصلة الى الشيء وسببا لوصول اليه قال تعالى فهل الى خروج من سبيل وفي نظم الآية مبالغات كثيرة منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب عليهم لله في رقابهم لاينفكون عن ادائه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل منه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد احدهما ان

(ومن دخله كان آمنا) جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله اى ومنها أمن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام * حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج (ولله على الناس حج البيت) قصد للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد

الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان التفصيل بعد الاجمال والايضاح بعد الابهام ايراد له في صورتين مختلفتين والثالث قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج والرابع ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان والخامس قوله عن العالمين ولم يقل عنه لما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان ﴿قوله بدل من الناس﴾ فتكون من موصولة في محل الجر تقديره على من استطاع اى قدر واطاق الى البيت سبيلا اى قدر على الذهاب اليه واراد به قدرة سلامة الآلات والاسباب وهي تتقدم على الفعل والاستطاعة التي هي شرط لوجوب الفعل هي الاستطاعة بهذا المعنى لا الاستطاعة التي هي شرط حصول الفعل وهي لا تكون الا مع الفعل لانها علة وجود الفعل وسببه فلا تكون الا معه فالاستطاعة الاولى شرط للوجوب لا للحصول لانها لو كانت شرطا له لكان لا يجب الحج على من كان في اقصى البلاد من مكة الا بحضورها لانه لا شك في انه لم توجد في حقه القدرة التي تتأدى بها افعال الحج لانها انما تؤدى في مكة فلا يكون قادرا على تلك الافعال الا بالحضور الى تلك الامكنة فيجب ان لا يلزم الحج الا بحضورها فكان له ان لا يحضر حتى لا يجب عليه الحج وايضا كل واحد من الاستطاعة والسبيل مطلق وقد فسر عليه الصلاة والسلام بالزاد والراحلة وكل واحد منهما من قبيل الاسباب لا من قبيل حقيقة القدرة فانه عليه الصلاة والسلام لما سئل ما السبيل قال «الزاد والراحلة» فان السبيل ما يتوصل به الى المطلوب ويتأتى به امكان الوصول اليه ولا شك ان الزاد والراحلة من اسباب الوصول الى الحج وان الحج لا يجب الا عند اجتماع اسباب التوصل نحو صحة البدن بان يطيق ركوب الراحلة والنزول عنها والاستمساك عليها ونحو أمن الطريق وزوال خوف التلف من سبع أو عدو أو فقدان طعام أو شراب ونحو القدرة على المال الذي يشترى به الزاد والراحلة ويقضى به جميع ما عليه من الدين ويضع عند من يجب عليه نفقته من المال ما يكفيه لذهابه ومجيئه وقال الامام الشافعي يكفي لوجوب الحج الاستطاعة بالمال فمن كان عاجزا بنفسه بان يكون زمنا او به مرض لا يرجى زواله وكان له مال يمكنه ان يستأجر به من يحج عنه يجب عليه ان يستأجر من يحج عنه ولو لم يكن له مال لكن كان له ولد او اجنبي يطيعه ان امره بان يحج عنه يلزمه ان يأمره اذا كان يعتقد صدقه لان وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة ويقال في العرف فلان مستطيع لبناء دار وان كان لا يفعله بنفسه وانما يفعله بماله واعوانه وقال الامام مالك الاستطاعة بالبدن فمن صح بدنه وامكنه المشي والاكتساب في الطريق اذا لم يجد ما يشترى به الراحلة يجب عليه الحج لان صحيح البدن القادر على المشي واكتساب ما ينفقه على نفسه في الطريق يصدق عليه انه يستطيع الحج وان لم يجد ما يركبه روى عن الضحاك انه قال اذا كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه ان يؤجر نفسه حتى يقضي حجه فقال له قائل أكلف الله الناس ان يمشوا الى البيت فقال لو كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه قال لا بل ينطلق اليه ولو كان حبوا قال فكذلك يجب عليه حج البيت ﴿قوله لما نزل صدر الآية﴾ وهو قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا جمع عليه الصلاة والسلام اهل الاديان كلهم بناء على ان لفظ الناس مستغرق لجميع افراد المكلفين قيل لما نادى الخليل عليه الصلاة والسلام الخلق دعاهم الى الحج باسم الناس حيث قال ايها الناس ان الله قد بنى لكم بيتا وامركم ان تحجوه فحجوه ذكر الله تعالى امور الحج في آي من القرآن مقرونة باسم الناس فقال واذن في الناس بالحج ولله على الناس ثم أفيضوا من حيث افاض الناس واذ جعلنا البيت مثابة للناس والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس ان اول بيت وضع للناس الى غير ذلك فلذلك احتجوا بهذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام لان قوله تعالى ولله على الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان الذي هو شرط لصحة الاتيان بالفروع لا يمنع كون المرء مكلفا بالمشروط الا ترى ان الدهري مكلف بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام مع ان الايمان بالله شرط لصحة الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الشرط غير حاصل للدهري وايضا المحدث مكلف بالصلاة مع ان الوضوء الذي هو شرط صحة الصلاة غير حاصل واسم الناس وان كان يعم المؤمنين والكفار الا انا نقول المراد بالناس في هذه الآية هم المؤمنون دون الكفار فانهم غير مخاطبين باداء الشرائع عندنا وعند الامام الشافعي هم مخاطبون بها قال الامام ابو منصور قال الامام الشافعي رضي الله عنه في الآية دلالة على ان الحج يجب على جميع الناس لا المؤمنين خاصة فتكون حجة على ان الكفار غير مخاطبين بالشرائع ثم قال ان الله تعالى قال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واسم الناس يقع على المؤمنين والكافرين الا انا نقول المراد بالناس المؤمنون وقد عرفنا ذلك بسياق الآية وهو قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فلو حمل لفظ الناس على

(من استطاع اليه سبيلا) بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضي الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيله (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) وضع كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد أكد امر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الآية

بآيات الله) بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح لان كفرهم بالآيات اقوى وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما (والله شهيد على ما تعملون) والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن) كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بأن كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه (تبغونها عوجا) حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم (وانتم شهداء) انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا (وما الله بغافل عما تعملون) وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم (وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره (فقد هدي الى صراط مستقيم) فقد اهتدى لا محالة (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة اهل الكتاب

الفريقين لم يكن لقوله ومن كفر معنى لانه يصير في التقدير كأنه قال ولله على الكفار حج البيت ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم ان كان اللفظ عاما فقد قام دليل التخصيص من حيث العقل فان شرع الله تعالى منزه عن العبث واللعب تعالى الله عن ذلك فدل على ان خطاب الله تعالى في سائر العبادات للمؤمنين فكذلك في باب الحج حتى تكون الخطابات على سنن واحد في طلب العبادات انتهى كلامه **قوله ارباب الملل** هم ستة مذكورة في قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا فلما آمن بفرضية الحج منهم المسلمون وكفر بها اهل الملل الخمس الباقية وقالوا لا نؤمن بفرضية حج البيت ولا نأتي اليه ولا نحجه فانزل الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين فيكون الكافر من انكر النص ولم يعتقد وجوب الحج **قوله دليل على ان كفرهم اقبح** لان ترتيب التوبيخ على كونهم اهل الكتاب يشير الى كون الوصف مقتضيا للتوبيخ ووجه الاقتضاء ما ذكره من الوجهين **قوله طالبين لها اعوجاجا** جعلها حالا مع احتمال كونها جملة مستأنفة اخبر عنهم بذلك بناء على ان كونها في محل النصب على الحال اظهر لان الجملة الاستفهامية السابقة جيء بعدها بجملة حالية ايضا وهو قوله وانتم تشهدون فعلى تقدير كون هذه الجملة حالا تتفق الجملتان في انتصاب الحال من كل واحد منهما ثم انها كما يجوز كونها حالا من فاعل تصدون يجوز ايضا كونها حالا من سبيل الله لان الجملة اشتملت على ضمير كل واحد منهما فان ضمير يبغونها يعود على سبيل والسبيل يذكر ويؤنث ومن التأنيث هذه الآية وقوله تعالى قل هذه سبيلي وعوجا مفعول به وقدر اللام في قوله طالبين لها لان البغي يتعدى الى مفعول واحد فقط بنفسه يقال بغيت المال والاجر والثواب ولا يتعدى الى مفعول آخر الا بواسطة اللام وههنا لما لم تذكر اللام صريحا وجب تقديرها فلما حذفت اللام عمل الفعل فيما بعدها كما قالوا وهبتك درهما يريدون وهبت لك ومثله صدته ظبيا اي صدت له قال الشاعر

فتولى غلامهم ثم نادى ۞ أظليما اصيدكم ام حمارا

والعوج بكسر العين وفتحها الميل والانحراف لكن العرب فرقوا بينهما فخصوا المكسور بالمعاني والمفتوح بالاعيان تقول في دينه وكلامه عوج بالكسر وفي الجدار والقناة والشجر عوج بالفتح **قوله بان تلبسوا** جواب عما يقال كيف يبغون لسبيل الله عوجا وهي اقوم من كل مستقيم فابتغاء العوج لها طلب المحال واجاب عنه بوجهين حاصل الاول وتطلبون بتلبيسكم ان توهم الناس العوج وتفعلون ما يوهم العوج فيها والاستفهام للانكار والتوبيخ وحاصل الثاني تتعبون انفسكم بطلب المحال والاستفهام للاستبعاد والتوبيخ **قوله انكار وتعجب** لان كيف حقيقة في السؤال عن الحال وليست مرادة وقد تستعمل في التعجب وهو على الله تعالى محال والكفر منكر شرعا وعقلا فصير الى الانكار والتعجب والاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر هي تلاوة آيات الله عليهم حالا بعد حال وكون الرسول فيهم يزيل الشبه ويقرر الحجج فالعدول من الايمان والدخول في الكفر مع تحقق هذه الامور بعيد وعجب **قوله ومن يتمسك بدينه** الاعتصام هو الاستمساك بالشيء واصله من العصمة بمعنى المنع والعاصم المانع واستعصم فلان بالشيء اذا تمسك بالشيء في منع نفسه عن الوقوع في آفة واعتصم الرجل بصاحبه لزمه وتمسك به في الامتناع عما يضر والعصمة المنع يقال عصمه الطعام اي منعه من الجوع وابو عاصم كنية السويق واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية وبالجملة لا بد في الاعتصام من ملاحظة معنى التمسك والتمسك بالله تعالى حقيقة لا يتصور فلا بد ان يقدر مضاف وهو الدين او يجعل الاعتصام بالله تعالى استعارة للالتجاء اليه بان يشبه الالتجاء بالتمسك **قوله تعالى فقد هدي** جواب الشرط وجيء في الجواب بقد دلالة على التحقيق والتوقع فان كلمة قد سواء دخلت على الماضي او المضارع لا بد فيها من معنى التحقيق ثم انه يضاف في بعض المواضع الى هذا المعنى في الماضي التقريب من الحال مع التوقع اي يكون مصدره متوقعا لمن يخاطبه واقعا عن قريب كما تقول لمن يتوقع ركوب الامير قد ركب اي حصل من قريب ما كنت تتوقعه ولا شك ان المعتصم بالله متوقع لهدايته وقوله لا محالة اشارة الى ما في قد من معنى التحقيق **قوله وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى الخ** قال بعض العلماء هذه الآية منسوخة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين لان حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى ولا طاقة للعباد بذلك فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم فنسخ اول هذه الآية ونسخ آخرها وهو قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال جمهور المحققين القول بهذا النسخ باطل لانه لا يجوز ان يأمر الله عباده بشيء ليس في وسعهم فيقال انه كان

منسوخا بالامر بقدر الطاقة والوسع ولكن الاصل فى هذا عندنا ما روى عن معاذ انه عليه الصلاة والسلام قال له هل تدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قال الله ورسوله اعلم قال «حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وحق العباد على الله ان يدخلهم الجنة اذا عبدوه ولم يشركوا به احدا» او كما قال فيكون هذا الحديث تأويلا للآية اى اتقوا الله فلا تكفروه فيكون محصول الآية الامر بالايمان والنهى عن الكفر وهذا لا يجوز ان ينسخ وما يقال من انهم لما قالوا من يقوى على ان يتق الله حق التقوى نزل فاتقوا الله ما استطعتم ليس فيه ان الاول كان امرا بما ليس فى الوسع ثم نزل التخفيف بل فيه بيان ان ذلك الامر كان بما هو فى الوسع واليه اشار المصنف بقوله وهو استفراغ الوسع الى قوله فاتقوا الله ما استطعتم ﴿ قوله كما فى تؤدة ﴾ شبه التقاة بالتؤدة من وجهين الاول فى كونهما مصدرين والثانى ان التاء فيهما بدل من الواو فان اصل تؤدة وؤدة قلبت الواو المضمومة تاء كما فى تراث وتجاه قال الجوهرى مشى متئدا اى على تؤدة اى وئى فى مشيه واتأد وتوأد فى مشيه وهى افتعل وتفعل من الوأد واصل التاء فى اتأد واو يقال اتئد فى امرك اى تثبت ﴿ قوله ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت ﴾ اشارة الى ان الاستثناء مفرغ والمستثنى منه اعم الاحوال اى لا تموتن على حال من الاحوال الا على هذه الحالة فهو نهى عن موتهم على غير هذه الحالة والمراد دوامهم على الاسلام ولما كان الثبات على الاسلام ممكنا صار الموت على الاسلام وعلى غيره بمنزلة ما هو ممكن بالنسبة اليهم فنهى عن الموت على غير الاسلام والمراد الامر بالثبات على الاسلام وذلك لان الموت لا بد منه فاذا داموا على الاسلام يموتون عليه وقريب منه ما حكى عن سيبويه رحمه الله لا ارينك ههنا اى لا تكن بالحضرة فتقع عليك رؤيتى وادخل اداة النهى على فعل الكون وآخر قوله اذا ادركم الموت اشارة الى ان النهى راجع الى القيد وعلل ذلك بقوله فان النهى عن المقيد بحال او بغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة نحو لا تعبث وانت تصلى ونحو القيد اخرى كما فى هذه الآية وفى قولك لا تصل الا خاشعا وقد يتوجه نحو المجموع دون كل واحد منهما كما فى قولك لا تصل محدثا اى لا تجمعهما وان جاز لك ان تلابس كل واحد منهما منفردا عن الآخر وكذا النفى فى جواز توجهه الى تلك الامور الثلاثة ﴿ قوله استعارة الحبل ﴾ يعنى ان لفظ الحبل مستعار لاحد المعنيين دين الاسلام او القرآن فان كل واحد منهما يشبه الحبل فى كونه سببا للنجاة من الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان تزلق رجله فيه اذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق أمن الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب تعالى طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة تزلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع وبآيات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وأمن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم ﴿ قوله والوثوق به ﴾ عطف على قوله له اى واستعار الاعتصام بأحد الامرين للوثوق به والاعتماد عليه ثم سرت الاستعارة الى المشتق وهو اعتصموا والمعنى اجتمعوا واتفقوا على الاعتماد والاتباع لما هو بمنزلة الحبل لكم وهذه الاستعارة باعتبار معناها الاصلى الحقيقى كانت ترشيحا للاستعارة الاولى لكون الاعتصام الحقيقى من ملائمات الحبل المستعار منه ﴿ قوله او لا تفرقوا تفرقكم الجاهلى ﴾ فالنهى حينئذ عن التفرق بطريق التعادى والتضارب وهو محقق باتفاق كلمتهم فى نصرة الدين وتقويته ﴿ قوله او لا تذكروا ما يوجب التفرق ﴾ فالنهى حينئذ عما يكون سببا للتفرق بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب ﴿ قوله مشفين ﴾ اى مشرفين فان الاشفاء على الشئ والاشراف عليه بمعنى وهو الوصول الى طرفه وشفا الشئ طرفه وحرفه وهو مقصور من ذوات الواو يثنى بالواو نحو شفوين ويكتب بالالف ويجمع على اشفاء ويستعمل مضافا الى اعلى الشئ والى اسفله فمن الاول شفا جرف ومن الثانى هذه الآية واشفى على كذا اى قاربه ومنه اشفى المريض على البرء ﴿ قوله فانقذكم منها ﴾ اى خلصكم ونجاكم بدين الاسلام يقال انقذته واستنقذته اى خلصته ﴿ قوله مثل ذلك التبيين ﴾ يعنى ان الكاف فى موضع النصب على انه صفة مصدر محذوف اى يبين الله لكم تبيينا مثل ذلك التبيين ﴿ قوله ارادة ثباتكم على الهدى ﴾ لما امتنع حقيقة الترجى فى حقه تعالى وجب ان يحمل لعل على المعنى المجازى ولما كان بين الارادة والترجى علاقة المشابهة كان حمل اللفظ على معنى الارادة صحيحا فى هذا المقام لان الخطاب للمؤمنين الثابتين على الهدى فيكون ثباتهم على الهدى بخلق الله وارادته فانه قد ذهب اهل الحق الى ان الحوادث باسرها من افعال العباد وغيرها من الطاعة والمعصية والكفر والايمان واقع بخلقه وايجاده وارادته

واصل تقاة وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا (ولا تموتن الا وانتم مسلمون) اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادركم الموت فان النهى عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى (واعتصموا بحبل الله) بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة من التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز (جميعا) مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تفرقوا تفرقكم الجاهلى يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة (واذكروا نعمة الله عليكم) التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل (اذ كنتم اعداء) فى الجاهلية متقاتلين (فألف بين قلوبكم) بالاسلام (فأصبحتم بنعمته اخوانا) متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) مشفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت فى تلك الحال لوقعتم فى النار (فأنقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم آياته) دلائله (لعلكم تهتدون) ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه

ومشيئته ولايجرى فى ملكه الا مايشاء ويريد لا كما زعمت المعتزلة من ان جميع الافعال الصادرة منه تعالى واقعة بارادته واما افعال العباد فانه تعالى يريد منهم ما امرهم به ويكره منهم مانهاهم عنه من الكفر والعصيان فهما عندهم ليسا بارادته تعالى فقد ثبت ان حمل اللفظ على معنى الارادة صحيح فحمل عليه نقل الامام عن الجبائى انه قال الآية تدل على انه تعالى يريد منهم الاهتداء ثم قال اجاب الواحدى عنه فى البسيط فقال بل المعنى لتكونوا على رجاء هدايته ثم قال واقول هذا الجواب ضعيف لانه على هذا التقدير يلزم ان يريد الله تعالى منهم ذلك الرجاء ومن المعلوم انه على مذهبنا قد لايريد الله تعالى منهم ذلك الرجاء ثم قال والجواب الصحيح ان كلمة لعل للترجى والمعنى انا فعلنا فعلا يشبه فعل من يترجى ذلك انتهى كلامه ولايخفى ان هذا البحث ساقط من اصله على تقرير المصنف وعلى ما اوضحنا مراده والله اعلم ﴿قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير الآية﴾ ذكر الامام فى انتظام هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما عاب اهل الكتاب فى الآية المتقدمة بشيئين كفرهم حيث قال يا اهل الكتاب لم تكفرون وسعيهم فى ايقاع الغير فى الكفر حيث قال يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن انتقل الى خطاب المؤمنين فحذرهم من طاعة الكفار ثم امرهم بمجامع الخير واصول البر فأمر اولا بالتقوى والايمان فقال اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا ثم امر ثانيا بالسعى فى اعانة الغير وطاعته فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهذا ترتيب حسن اى ولتوجد منكم على ان كان تامة وامة فاعلها ويدعون جملة فى محل الرفع صفة لامة ومنكم متعلق بتكن على انها تبعيضية ويجوز ان يكون منكم متعلقا بمحذوف على انه حال من امة لانه لو تأخر عنها لكان صفة لها فلما تقدم امتنعت الوصفية فتعين كونه حالا ويجوز ان تكون من للبيان لان التبيين وان تأخر لفظا فهو مقدم رتبة واستدل المصنف على كونها للتبعيض بقوله لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية وهو انما يستلزم الدعوى لو كانت فروض الكفاية واجبة على بعض غير معين من المكلفين فان كونه من فروض الكفاية حينئذ يستلزم كون من تبعيضية وكون الفعل مطلوبا من بعض غير معين واما اذا كانت واجبة على الكل كما صرح به نفسه حيث قال ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا فكونه من فروض الكفاية لايستلزم كونها تبعيضية بل الظاهر انها حينئذ للتبيين كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لم يرد بعض الاوثان بل اراد فاجتنبوا الاوثان وكما فى قولهم لفلان من اولاده جند وللامير من غلمانه عسكر يريدون جميع اولاده وغلمانه لابعضهم وكذا هنا فالمعنى كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع كونه من فروض الكفاية اذا كان مطلوبا من الكل كيف يكون فاستدلال المصنف محل تأمل ويمكن ان يقال مبنى الاستدلال كون ما هو من فروض الكفاية واجبا على بعض غير معين ومبنى آخر كلامه على مذهب آخر وهو المختار قال بعض العلماء كلمة من هنا ليست للتبعيض لوجهين الاول انه تعالى اوجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الامة حيث قال كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وكذا ذم الله تعالى من ترك ذلك بقوله كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروى عن عكرمة ان ابن عباس رضى الله عنهما قال له قد اعيانى ان اعلم ما فعل بمن امسك من الوعظ قلت انا اعلمك ذلك اقرأ قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء فقال اصبت فاستدل ابن عباس بهذه الآية على انه تعالى اهلك من عمل السوء ومن لم ينه عنه وانجى من لم يعمله فجعل والله اعلم الممسكين عن نهى الظالمين مع الظالمين فى العذاب والوجه الثانى ما ورد فى الاحاديث من وجوبه على كل مكلف منها ما روى عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » وعن حذيفة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه « وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم » وقال بعضهم انها للتبعيض والقائلون بهذا القول اختلفوا على قولين احدهما انهم قالوا ان فى القوم من لايقدر على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالمرضى والعاجزين فلا وجه لكون الفعل مطلوبا من الكل والثانى ان هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان الاول ان هذه الآية مشتملة على الامر بثلاثة اشياء الدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومعلوم ان هذه الاشياء مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر فان الجاهل ربما دعا الى الباطل وامر بالمنكر ونهى عن المعروف وربما عرف الحكم

(ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية

الجميع وتقليد فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ماهو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله (واولئك هم المفلحون) المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ماعرفت (من بعد ما جاءهم البينات) الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فأصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد (واولئك لهم عذاب عظيم) وعيد الذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم) على ارادة القول اي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات (فذوقوا العذاب) امر اهانة (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم او جزاء لكفركم (واما)

في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فينهاه من غير وجه وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظ وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا فثبت ان هذا التكليف متوجه الى العلماء ولاشك انهم بعض الامة والثاني انه قد انعقد الاجماع على انه فرض كفاية بمعنى انه متى قام به البعض سقط عن الباقين واذا كان كذلك كان المعنى ليقم بذلك بعضكم وكان هذا في الحقيقة ايجابا على البعض لا على الكل ﴿قوله كالعلم بالاحكام﴾ فان المعروف مااستحسنه الشرع والعقل سواء كان واجبا او مندوبا والمنكر مااستقبحه الشرع والعقل والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان مندوبا فمندوب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب ولابد للمحتسب من العلم بهذه الاحكام وتمييز بعضها من بعض وليس جميع الامة متساوية في العلم بمراتب الاحتساب مثل كونه واجبا عليه او مندوبا ولا في العلم بكيفية اقامة تلك المراتب فانه ينبغي للمحتسب ان يبتدئ بالاسهل الاخف فان لم ينفع ترقى الى الاصعب الاغلظ ولا في نفس التمكن فان منهم من يتمكن من القيام بلسانه فقط ومنهم من يتمكن بلسانه وبيده ومنهم من يتمكن بقلبه فقط ﴿قوله والنهي عن المنكر واجب كله﴾ قال النحرير التفتازاني فيه نظر اذ المكروه منكر يندب تركه ولا يجب والا لكان حراما ﴿قوله كاليهود والنصارى﴾ ظاهر كلامه يشعر بان التفرق والاختلاف بمعنى واحد وانما ذكرا معا تأكيدا لاحدهما بالآخر والمراد تفرقهم في امر الديانة بعدولهم عما نهج الله لهم واوضح لهم الرسل فأبدعوا لانفسهم اديانا مختلفة على حسب اهوائهم فقالت اليهود الدين الحق اليهودية وقالت النصارى بل هو النصرانية وقال كل واحد من الفريقين لن يدخل الجنة الا من كان على ديننا واختلفوا في الانبياء ايضا فكذب اليهود عيسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام وكذب النصارى محمدا صلى الله عليه وسلم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقال بعضهم تفرقوا واختلفوا معناهما مختلف ثم اختلفوا فقيل تفرقوا بالعداوة وعدم الالفة والاجتماع واختلفوا بسبب اختلافهم في الاديان وقيل تفرقوا بسبب استخراج التأويلات الفاسدة من نصوص كتابهم ثم اختلفوا بان حاول كل واحد منهم نصرة قوله ومذهبه وقيل تفرقوا بأبدانهم بأن كان كل واحد من اولئك الاحبار رئيسا في بلد ثم اختلفوا حتى صار كل واحد منهم يدعي انه على الحق وان صاحبه على الباطل ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر هذه الامة بان يكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر وذلك لا يتم الا اذا كان الآمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغلبين ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله من التفرق والاختلاف لكيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف ﴿قوله وبياض الوجه وسواده كنايتان﴾ يعني ان البياض مجاز عن الفرح والسرور وان السواد مجاز عن الكآبة والحزن والغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وقيل لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه ابيض وجهه اي استبشر وتهلل وجهه ويقال لمن وصل اليه مكروه اسود وجهه واغبر لونه وتبدلت صورته فمعنى الآية ان المؤمن يرد يوم القيامة على ماقدمت يداه فان كان ذلك من الحسنات ابيض وجهه بمعنى استبشر بنعم الله تعالى وفضله واذا رأى الكافر اعماله القبيحة اسود وجهه اي اشتد حزنه وغمه وقيل بياض الوجه وسواده حقيقتان فانهما يحصلان في وجوه المؤمنين والكافرين حقيقة لانه متى امكن حمل اللفظ على معناه الحقيقي ولم يوجد دليل يوجب صرفه عنه وجب المصير اليه قيل والحكمة في ظهورهما في الوجه حقيقة ان السعيد يفرح بان يعلم قومه انه من اهل السعادة قال تعالى مخبرا عنهم قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين والشقي بضده بعكس ذلك ﴿قوله اي فيقال لهم﴾ اضمر الفاء مع القول المضمر لانه جواب اما والاستفهام في قوله أكفرتم لاجواب له لانه استفهام على طريق التوبيخ والتعجب وقوله فذوقوا العذاب جواب شرط محذوف اي ان كفرتم بعد ماتبين لكم الحق فذوقوا واختلف المفسرون في الذين كفروا بعد الايمان من هم فقيل هم المرتدون لقوله بعد ايمانهم والظاهر ان المراد بهم اهل الكتاب بناء على ان الآيات انما نزلت في حقهم وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وقيل المراد بهم جميع الكفار وقت استخراج الذرية من صلب آدم وايضا انهم لما تمكنوا من الايمان بالنظر والتفكر فيما نصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة نزلوا منزلة من آمن فجعلوا مؤمنين على طريقة قوله من قتل قتيلا فله سلبه وقال الحسن هم المنافقون آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ﴿قوله او جزاء﴾ على ان الباء للمقابلة وعلى الاول للسببية

وكلمة ما على التقديرين مصدرية لا موصولة لاحتياجها الى العائد وعدم صحة تقديره ﴿قوله وكان حق الترتيب﴾ يعنى انه قدم ذكر الذين ابيضت وجوههم فى التقسيم على الذين اسودت وجوههم وعكس هذا الترتيب فى تفصيل احوالهم ومآلهم وجعل الكلام من اللف والنشر الغير المرتب تنبيها على ان ارادة الرحمة اكثر من ارادة الغضب وايضا قد استحسن الفصحاء والشعراء ان يكون مطلع الكلام ومقطعه شيأ يسر الطبع ويشرح الصدر فلذلك ابتدأ بذكر اهل الثواب وختم بذكرهم ﴿قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك﴾ تلك مبتدأ وآيات الله خبره ونتلوها جملة حالية من قبيل هذا بعلى شيخا وقيل آيات الله بدل من تلك ونتلوها جملة واقعة خبر المبتدأ وبالحق حال من فاعل نتلوها او من مفعوله وهى مؤكدة لانه تعالى لا ينزلها الا على هذه الصفة وتلك اشارة الى الآيات المتقدمة المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم الابرار وقيل ان الله تعالى وعده بان ينزل عليه كتابا مشتملا على ما لابد منه فى الدين فلما انزل عليه هذه الآيات قال تلك الآيات الموعودة آيات الله التى نتلوها عليك واللام فى قوله للعالمين زائدة لا تعلق لها بشئ زيدت فى مفعول المصدر وهو ظلما والفاعل محذوف وهو ضمير البارى تعالى والتقدير وما الله يريد ان يظلم العالمين فزيدت اللام تقوية للعامل لكونه فرعا فى العمل كما فى قوله تعالى فعال لما يريده اعلم ان الله تعالى انما يعذب من يعذبه باستحقاق ولا يعاقبه بلا جرم ولا يزيد فى عقاب المجرم على قدر استحقاقه ولا ينقص من ثواب المحسن شيأ مما وعده بمقابلة عمله وظلما نكرة فى سياق النفى فيعم جميع انواع الظلم والعالمين جمع محلى باللام فيفيد العموم ايضا فالمعنى ما يريد شيأ من الظلم لاحد من خلقه كيف والظلم وضع الشئ فى غير موضعه والتصرف فى ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف فى ملك نفسه ووضع الشئ فى غير موضعه قد يكون بمنع حق المستحق منه وقد يكون بفعل ما يمنع منه ولا ينبغى له ان يفعله وكل ذلك لا يتصور فى حقه تعالى فيستحيل تصور الظلم من الله تعالى فانه لا حق عليه لاحد فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله بل هو المالك على الاطلاق يفعل ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بحكمته فكل ما جاء منه فهو محض حكمة وعدل * لا يقال انه تعالى قد مدح نفسه بعدم كونه مريدا للظلم ولو استحال صدور الظلم منه تعالى لما كان وصفه تعالى بذلك مدحا لنفسه فانه يمدح الملك بانه لا يظلم رعيته ولا يمدح اضعف رعاياه بانه لا يظلم على الملك لانا نقول لا نسلم ان المدح بالشئ يقتضى امكانه فى حق من مدح به الا ترى انه تعالى يمدح بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم وبقوله وهو يطعم ولا يطعم ولم يلزم من ذلك جواز النوم والاكل عليه فكذا هنا ﴿قوله دل على خيريتهم فيما مضى﴾ اى ولم يدل على انهم بقوا الآن عليها * وتقرير الجواب ان كان انما تدل على مجرد وجود الشئ الماضى ولا دلالة لها على الدوام ولا على الانقطاع وتحمل على كل واحد منهما بحسب معاونة المقام بدلالة القرائن فقولك كان زيد قائما محمول على الانقطاع وقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما محمول على الدوام ثم اختلفت عبارات المفسرين فى تصوير كون كان للدلالة على وجود الشئ على صفة فى الزمان الماضى فمنهم من قال فى تصوير المعنى كنتم فى علم الله ومنهم من قال كنتم فى الامم الذين كانوا قبلكم مذكورين بانكم خير امة فالآية حينئذ نظير قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الى قوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل والظاهر ان قوله اخرجت للناس فى محل الجر على انه صفة لامة وان قوله تأمرون يحتمل ان يكون خبرا ثانيا لكنتم ويحتمل ان يكون حالا وان يكون جملة مستأنفة بين بها كونهم خير امة قبل السبب فى كونهم خير الامم هذه الخصال الحميدة والمقصود بيان علة تلك الخيرية كقولك زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم لان ذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب له يشعر بالعلية فههنا لما ذكر عقيب الخيرية امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر علم ان تلك الخيرية معللة بهذا السبب فان قيل هذه الخصال الثلاث وهى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والايمان بالله كيف تكون علة لخيرية هذه الامة على سائر الامم مع كونها حاصلة فى سائر الامم ايضا * فالجواب ما قاله القفال تفضيلهم على الامم الذين كانوا قبلهم انما حصل لاجل انهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال لان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد واقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس فى خطر القتل وآكد المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وانكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد فى الدين تحملا لاعظم المضار لغرض ايصال الغير الى اعظم المنافع وتخليصه من اعظم المضار فوجب ان يكون الجهاد اقوى العبادات ولما كان امر الجهاد فى شرعنا اقوى منه فى سائر الشرائع لا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم ثم قال القفال وفائدة القتال على الدين لا ينكرها منصف لان اكثر الناس يحبون اديانهم بسبب الالفة والعادة

(واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم (هم فيها خالدون) اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون (تلك آيات الله) الواردة فى وعده ووعيده (نتلوها عليك بالحق) ملتبسة بالحق لا شبهة فيها (وما الله يريد ظلما للعالمين) اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال (ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) فيجازى كلا بما وعد له واوعد (كنتم خير امة) دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله او فى اللوح المحفوظ او فيما بين الامم المتقدمين (اخرجت للناس) اى اظهرت لهم (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم

ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا اكره على الدخول في الدين بالتخويف بالقتل دخل فيه ثم لا يزال يضعف في قلبه ما كان من حب الباطل ولا يزال يقوى في قلبه حب الدين الحق الى ان ينتقل من الباطل الى الحق ومن استحقاق العذاب الدائم الى استحقاق الثواب الدائم ﴿ قوله وانما اخره ﴾ اي أخر الايمان بالله في الذكر عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ان حق الايمان بالله ان يقدم على كل الطاعات لان شيأ منها لا يقبل بدون الايمان وتقرير الجواب ان الايمان مع انه اصل الخيرات واساس الطاعات أخر في الذكر اشعارا بانه لا مدخل له في خيرية هذه الامة على سائر الامم لكونه قدرا مشتركا بين الكل وانما ذكر مقرونا باسباب خيريتهم لانه مالم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مؤثرا في صفة الخيرية فثبت ان الموجب لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر وان ايمانهم بالله هو الذي حملهم على ذلك السبب وهو شرط تأثيره ﴿ قوله ايمانا كما ينبغي ﴾ فانهم وان آمنوا بالله وببعض كتبه ورسله الا ان هذا المقدار من الايمان لا يعتد به ولا ينجي من الخلود في النار بل لا بد من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ومن جملته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ قوله وهذه الجملة والتي بعدها ﴾ او لاهما قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون واخراهما لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون والاستطراد ان يكون المتكلم في فن من الكلام فيسنح له فن آخر يناسبه كما اذا كنت في حكاية زيد وبيان انه يفعل كذا او كذا ثم سنح لك ان تقول وعلى ذكره فانه رجل كريم شأنه كذا وكذا فانه لاشك ان قولك وعلى ذكره فانه كيت وكيت مذكور استطرادا عدلت الى ذكر اوصافه وانت في صدد بيان افعاله فكذا الحال في الآية الكريمة فان الكلام مسوق لبيان ان اهل الكتاب لو آمنوا وامروا بالمعروف كما امروا لكان خيرا لهم وهاتان الجملتان لا ارتباط لهما بذلك فلا وجه للعطف ولم يعطف الاستطراد الثاني على الاول لتباعد مابينهما من حيث المعنى اي من حيث ان كل واحد منهما نوع آخر من الكلام ﴿ قوله الا اذى ﴾ استثناء مفرغ من اعم طرق الاضرار كأنه قيل لن يضروكم بشيء من طرق الاضرار الا بمباشرة مالا ترضون به بل تتأذون منه من التكلم بكلام سوء كالطعن في بعض الانبياء وقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله وثالث ثلاثة وكاخفائهم بعض ما في التوراة او الانجيل مما يدل على حقية نبيكم ودينكم وكتخويف ضعفة المسلمين ويحتمل ان يكون الاستثناء منقطعا اي لن يضروكم بان يغلبوا على انفسكم واهاليكم واموالكم لكن بكلمة اذى والاذى مصدر يقال اذي به بالكسر اذى واذاة واذية ويطلق على مايؤذيك وقوله تعالى في الحيض قل هو اذى اي شيء يستقذر كأنه يؤذي من يقربه نفرة وكراهة ﴿ قوله ثم اخبر ﴾ اي بكلمة ثم للتنبيه على ان قوله ثم لا ينصرون ليس معطوفا على جزاء الشرط وداخلا في عداد الجزاء بل هو منفصل ومتباعد عنه غير مقيد بقيده فانه تعالى اخبر ابتداء بانهم بعدما انهزموا وولوا ادبارهم عن حيز المقاتلة لا يجدون النصرة بعد ذلك قط بل يبقون في الذلة والمهانة ابدا دائما ﴿ قوله على ان ثم للتراخي في المرتبة ﴾ اشارة الى ان ثم على قراءة ثم لا ينصرون بنون الرفع للتراخي الزماني كما اشار اليه ايضا بقوله تكون عاقبتهم العجز والخذلان وجعل الامام كلمة ثم لعطف الاخبار على الاخبار وجعل فائدة العطف بثم الدلالة على كون الاخبار الثاني متراخيا عن الاخبار الاول في المرتبة حيث قال الذي عطف عليه ثم لا ينصرون هو جملة الشرط والجزاء كأنه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون وانما ذكر لفظ ثم لافادة معنى التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار انتهى كلامه * والمصنف جعلها لعطف الخبر على الخبر ولاشك ان مضمون الخبر الثاني متراخ بالزمان عن مضمون الخبر الاول واما على قراءة ثم لا ينصروا عطفا على يولوا فلا مجال لحملها على التراخي الزماني لكون كل واحد من تولية الظهر والخذلان واقعا في وقت المقاتلة وقوله الادبار مفعول ثان ليولوكم لانه يتعدى بالتضعيف الى مفعول آخر والمعنى يجعلون ظهورهم لكم ﴿ قوله فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم ﴾ اشارة الى ترجيح قراءة الرفع لان عدم منصوريتهم على قراءة الجزم يكون مقيدا بمقاتلتهم المسلمين لان المعطوف على جواب الشرط يجب ان يكون مقيدا بما قيد به نفس الجواب واما على قراءة الرفع فلا يكون مقيدا بها ولا يخفى انه لا وجه لكونه مقيدا لانهم غير منصورين قاتلوا ام لم يقاتلوا فتكون قراءة الرفع ارجح واوفق بالمقام ﴿ قوله وهذه الآية من المغيبات ﴾ اي المشتملة على الاخبار عن الغيوب المتعددة ووصفت الآية بوصف مدلولها ومن تلك المغيبات كون المؤمنين آمنين من ضررهم ومنها انهم لو قاتلوا المسلمين لانهزموا ومنها انهم لا يحصل لهم

(وتؤمنون بالله) يتضمن الايمان بكل ماامر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك (ولو آمن اهل الكتاب) ايمانا كما ينبغي (لكان خيرا) لكان الايمان خيرا (لهم) مما هم عليه (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد (لن يضروكم الا اذى) ضررا يسيرا كطعن وتهديد (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفي اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر

قوة وشوكة بعد الانهزام وتولية الادبار وكل هذه الاخبار وقعت كما اخبر الله تعالى عنه فان اليهود لم يقاتلوا الا انهزموا وما عزموا على محاربة وطلب رياسة الا خذلوا وكل ذلك اخبار عن الغيب على وجه صدقه الواقع فيكون معجزا فان قيل هب ان ما وقع من امر اليهود موافق لمدلول هذه الآية لكن ما وقع من حال النصارى غير موافق له فما وجه صحة هذه الآية المصدرة بقوله ولو آمن اهل الكتاب * اجيب بان اللام في الكتاب للعهد الخارجي والمعهود اليهود عدوا الى من آمن منهم وهم عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم فآذوهم فنزلت هذه الآية ﴿قوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا﴾ اى في اى مكان واى زمان وجدوا في دار الاسلام الزموا الذل بحيث صار كشيء يضرب على الشيء فيحيط به وقوله اينما اداة شرط وثقفوا في محل الجزم بها وجواب الشرط محذوف اى اينما ثقفوا غلبوا وذلوا بدلالة قوله ضربت عليهم الذلة عليه وعند من يجوز تقديم جواب الشرط عليه يكون نفس ضربت هو الجواب قيل المراد بهذا الذل ان يحاربوا ويقتلوا ويؤسروا وتغنم اموالهم وتسبى ذراريهم وتملك اراضيهم وقيل المراد ضرب الجزية عليهم لانه يوجب الصغار والذلة وقيل المراد به انك لا ترى فيهم ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا وانما تراهم مستضعفين في جميع البلاد ذليلين مهانين وقيل المراد به كونهم اذلاء فيما بين المسلمين المؤمنين بسبب كفرهم وتمسكهم بالدين المنسوخ بل بالطريقة المخترعة الباطلة في نفسها والظاهر ابقاء الذل على عمومه اذ لا وجه لتخصيصه بلا مخصص ﴿قوله استثناء من اعم عام الاحوال﴾ اعلم ان المستثنى المفرغ يصح استثناؤه من جميع مقتضيات الفعل وهي اجناس مختلفة فاعله ومفعوله وما ينتصب حالا من احدهما وما كان غرضا منه ومعنى قولهم مستثنى من اعم العام كونه مستثنى مما لا اعم منه في الجنس الذي وقع منه الاسناد فقولك ما ضرب الا زيد استثناء من اعم عام جنس الفاعل اى ما ضرب احد الا زيد وقولك ما رأيت الا زيدا استثناء من اعم عام المفعول اى ما رأيت شيأ الا زيدا فانه الذي لا اعم منه في جنس المرئي وقولك ما رأيته الا راكبا استثناء من اعم عام الاحوال اى ما رأيته في حال من الاحوال الا في حال كونه راكبا وقولك ما ضربته الا تأديبا مستثنى من اعم عام اغراضه اى ما ضربته لغرض من الاغراض المطلوبة الا لغرض التأديب والاضافة في قولهم من اعم عام الاحوال مثل الاضافة في حب رمان زيد حيث لا رمان له وانما له الحب المختص بالرمان وكذلك الاحوال ليس المقصود ان يكون لها عام يراد من ذلك العام ما هو اعم منه كما في قولك خبز دقيق البر حتى يقصد اضافة العام الى الاحوال فاضافة اعم عام الى الاحوال كاضافة حب الرمان الى زيد من غير ان يقصد اضافة الرمان اليه ومثله ابن قيس الرقيات فان قيس وان اضيف الى الرقيات صورة الا انه ليس بمضاف اليهن حقيقة اذ لا ملابسة بين قيس وبينهن في نفس الامر بل الملابس ليس هو الا ابن المختص بالاضافة الى قيس ورقية اسم امرأة ورقيات جمعها روى ان عبيد الله بن قيس تزوج عدة نسوة اسماؤهن كلهن رقية فنسب اليهن وقيل كانت له عدة جدات اسماؤهن كلهن رقية ويقال انه انما اضيف اليهن لانه كان يشبب بعدة نساء اسمهن رقية وعلى التقادير فلفظ ابن مضاف الى قيس لافادة التقييد والتخصيص وقيس المقيد بالاضافة الى الرقيات ليس ملابسا لهن وكان المقصود فيما نحن فيه ان يقال اعم العام من جنس الاحوال الا انه قيل اعم عام الاحوال ومعنى الاول ما لا اعم منه من جنس الاحوال ومعنى الثاني ما يكون ازيد واكثر عموما من بين مخصوصات الاحوال بالنسبة الى غيره فان المستثنى المفرغ سواء كان فاعلا او مفعولا او غيرهما اذا قيل انه مستثنى من اعم العام ليس المراد منه انه مستثنى من فاعل او مفعول هو اعم من غيره بل المراد انه مستثنى مما هو عام ليتناول جميع ما يندرج تحت جنس الفاعل او المفعول ههنا المراد لما لم يفهم من قولنا انه مستثنى من اعم الاحوال قيد الاعم بالاضافة الى العام واضيف هذا القيد الى الاحوال ليفيد ان يكون المستثنى منه ما يعم الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال اى في جميعها الا في حالة واحدة وهي حالة كونهم ملتبسين بذمة الله تعالى اى بعهده وكون الذمة من الله عبارة عن كونها بامر الله وكونها من المسلمين عبارة عن كونها بمباشرتهم فانهم اذا اخذوا الذمة والامان من المؤمنين بقبولهم الجزية بامر الله تعالى واذنه رفع عنهم بعض ما وضع عليهم من الذلة بحيث تحقن دماؤهم وتمنع اهلوهم واموالهم عن الاغتنام والسبي ﴿قوله بذمة الله او كتابه﴾ استعير الحبل للعهد والكتاب من حيث ان كلا منهما سبب للنجاة والفوز بالامن * قال الامام فان قيل عطف قوله وحبل من الناس على حبل الله يقتضي المغايرة فما وجهها قلنا قال بعضهم حبل الله هو الاسلام وحبل الناس العهد والذمة ثم قال هذا بعيد لانه لو كان المراد

(ضربت عليهم الذلة) هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية (اينما ثقفوا) وجدوا (الا بحبل من الله وحبل من الناس) استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباؤا بغضب من الله) رجعوا به مستوجبين له

ذلك لكان بقتال او بحبل من الناس وقال آخرون المراد بكلا الحبلين الامان وانما ذكر تعالى الحبلين لان الامان المأخوذ من المؤمنين هو الامان المأخوذ باذن الله فالامان المأخوذ من المؤمنين وان وقع بمباشرة المؤمنين اياه وصح بهذا الاعتبار جعله صادرا منهم صح ايضا جعله صادرا من الله تعالى باعتبار وقوعه باذنه تعالى فكان الامان المأخوذ ذا امانين باعتبار تعدد منشأه * قال الامام وهذا ايضا ضعيف عندي ثم قال والذى عندى ان الامان الحاصل لهذى قسمان احدهما الذى نص عليه وهو الامان الحاصل باعطائه الجزية عن يد وقبوله اياها والثانى الامان الذى فوض الى رأى الامام واجتهاده فيعطيهم الامان مجانا تارة وببدل زائد او ناقص اخرى على حسب اجتهاده فالاول هو المسمى بحبل الله والثانى هو المسمى بحبل المؤمنين فالمراد بالذمتين فى قول المصنف بذمة الله وذمة المسلمين الامان المأخوذ من المسلمين او فوض الى رأى الامام فهذان الامانان ايضا واقعان بمباشرة المسلمين الا انهما متغايران بالاعتبار ﴿قوله واليهود فى غالب الامر قرآء﴾ اى اما فى نفس الامر واما انهم يتظاهرون من انفسهم الفقر وان كانوا اغنياء موسرين فى الواقع ﴿قوله بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء﴾ فان قيل كيف يكون قتل الانبياء سببا للذلة اليهود ومسكنتهم مع ان الذلة والمسكنة لم تلحقهم الا بعد ظهور دولة الاسلام والذين قتلوا الانبياء بغير حق قد انقرضوا قبل زمان ظهور الاسلام والذين تحقق فيهم سبب الذلة والمسكنة لم تلحق بهم نفس الذلة والمسكنة والذين لحقت بهم الذلة والمسكنة لم يتحقق فيهم سببهما فكيف يصح ان يجعل قتل الانبياء سببا لهما اجاب الامام عنه بان هؤلاء المتأخرين وان كان لم يصدر عنهم قتل الانبياء لكنهم كانوا راضين بفعل اسلافهم مصوبين لهم فى تلك الافعال القبيحة وطالبين للقتل لو ظفروا به فكانوا بذلك كأنهم فعلوه بانفسهم فتحقق سبب الذلة والمسكنة بهذا الاعتبار فترتب عليه معلوله ﴿قوله فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكبائر﴾ فان من توغل فى المعاصى والذنوب واستمر عليها لا جرم تتزايد ظلمات المعاصى على قلبه حالا فحالا ويضعف نور الايمان فى قلبه حالا فحالا ولم يزل الامر كذلك الى ان يبطل نور الايمان وتحصل ظلمة الكفر نعوذ بالله من ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقوله تعالى ذلك بما عصوا اشارة الى علة العلة ولهذا المعنى قال ارباب المعاملات من ابتلى بترك السنة وقع فى ترك الفريضة ومن ابتلى بترك الفريضة وقع فى استحقار الشريعة ومن ابتلى بذلك وقع فى الكفر ﴿قوله وقيل معناه الخ﴾ اشارة الى ما ذكر فى الكشاف من ان ذلك فى الموضعين اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اى ذلك المذكور كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وكائن ايضا بسبب عصيانهم الله واعتدائهم فى حدوده وليعلم ان الكفر وحده ليس سببا فى استحقاق سخط الله وان سخط الله تعالى يستحق بركوب المعاصى كما يستحق بالكفر ونحوه قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والجمهور على ان الكافر مخاطب بالفروع ﴿قوله والضمير لاهل الكتاب﴾ يعنى ان الضمير الذى هو اسم ليس راجع الى اهل الكتاب المذكورين بقوله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم وسوآء خبره اى ليس اهل الكتاب مستوين متعادلين فى المساوى والقبائح فقوله ليسوا سوآء كلام تام يتم الوقف عليه وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان عدم استوائهم فهو تقرير لما تقدم من قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ولما قال من اهل الكتاب امة قائمة كان الكلام يقتضى ان يقال ومنهم امة مذمومة الا انه اضمر ذكر الامة المذمومة بناء على ان ذكر احد الضدين يغنى عن ذكر الآخر فانك اذا قلت زيد وعمرو ليسا سوآء ثم قلت زيد فاضل فقد استغنيت به عن قولك وعمرو جاهل وقيل المذموم من جرى ذكره قبل هذه الآية فلا حاجة الى اضماره مرة اخرى وقيل ليسوا سوآء كلام غير تام لا يجوز الوقف عليه بناء على ان الواو فى ليسوا علامة جمع وليست ضميرا وان اسم ليس هو امة وقائمة صفتها ويتلون صفة اخرى وسوآء خبر ليس فالتركيب من قبيل اكلونى البراغيث والتقدير الذى يصح به المعنى على هذا القول ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة موصوفة بما ذكر وامة مذمومة كافرة فلا بد من تقدير الامة المذمومة حينئذ ولا يخفى ركاكة هذا القول وآناء الليل ساعاته واحدتها انى بفتح الهمزة والنون على وزن عصا او انى بكسر الهمزة وفتح النون على وزن معى وامعاء او انى بالكسر والسكون مثل نحى وانحاء او انى بالفتح والسكون مثل ظبى قيل كان الثانى مأخوذ منه لانه انتظار الساعات والاوقات ﴿قوله ليكون ابين﴾ اى ليكون التعبير المذكور اشد واتم فى ابانة حقيقة التهجد فان تلاوة آيات الله آناء الليل مع السجود مفصل التهجد ولا شك ان المفصل ابين بالنسبة الى المجمل اما كونه ابلغ فى المدح فلكون التعبير المذكور تصوير التهجد بتلاوة الآيات الالهية فى وقت يكون تخصيصه

﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقرآء ومساكين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ﴿ذلك﴾ اى الكفر والقتل ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ﴿ليسوا سوآء﴾ فى المساوى والضمير لاهل الكتاب ﴿من اهل الكتاب امة قائمة﴾ استئناف لبيان نفى الاستوآء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات﴾ صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون بصفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات ﴿واولئك من الصالحين﴾ اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه

بالعبادة ناشئا من الاخلاص حال كون التلاوة مقرونة بهيئة الخضوع والاستكانة وهى صورة حسنة تجعل
عملها محلا ممدوحا بها فان قوله وهم يسجدون جملة مستأنفة والمعنى انهم يقومون ويتلون تارة ويسجدون تارة
اخرى ولا وجه لجعلها حالا من فاعل يتلون لان الامة المذكورة من المسلمين لقوله وهم الذين اسلموا منهم والتلاوة
فى حال السجود ليست بمشروعة فى شريعتنا قال صلى الله عليه وسلم «الا انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا» وصف الله
تعالى الامة القائمة وبين استقامتهم بقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون واشار به الى كمال حالهم بحسب
القوة العملية ثم وصفهم بانهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وهو افضل المعارف الحاصلة فى قلوبهم واشار به الى
كمال حالهم بحسب القوة النظرية ثم بالغ فى مدحهم حيث وصفهم بانهم لم يقنعوا بالاستكمال بحسب القوتين
العملية والنظرية بل سعوا فى تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغى وهو الامر بالمعروف ومنعهم عما لا ينبغى
وهو النهى عن المنكر ثم ترقى فى مدحهم حيث وصفهم بانهم لا يؤخرون شيأ مما هو خير لهم سوآء تعلق بكمالهم
فى انفسهم او بتكميل غيرهم بل يبادرون اليه خوف الفوت وهو ليس من قبيل العجلة المذمومة فانها عبارة عن
تقديم ما لا ينبغى تقديمه والمسارعة المذكورة هنا عبارة عن الرغبة فيما يتعلق بالدين بناء على ان من رغب فى الآخرة
آثر الفور على التراخى وقيل معنى المسارعة فى الخيرات ان يعملوها غير متثاقلين قرأ حمزة والكسائى وحفص عن
عاصم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بياء الغيبة فيهما مراعاة لقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ويؤمنون
ويسجدون ويأمرون وينهون ويسارعون ولن يضيع لهم اجر ما يعملون والمقصود ان جهال اليهود لما قالوا
لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الايمان قال تعالى بل فازوا بالدرجات العلى بسبب انقيادهم
لحكم ربهم والمقصود مدحهم بما فعلوا ليزول عن قلبهم اثر كلام اولئك الجهال واما الباقون فقد قرأوا بتاء الخطاب
فيهما خطابا لجميع المؤمنين ذكر افعال مؤمنى اهل الكتاب ثم قال وما تفعلوا معاشر المؤمنين الذين من جملتكم
هؤلاء فلن تكفروه عم الخطاب ليكون حكم هذه الآية عاما بحسب اللفظ فى حق جميع المكلفين ونقل عن ابى عمرو
انه كان يقرأ هذه الكلمة بالقراءتين ﴿قوله سمى ذلك كفرانا﴾ اى سمى منع الثواب ونقصه كفرانا مع انه
لا يجوز ان يضاف الكفران الى الله تعالى لانه ليس لأحد عليه تعالى نعمة حتى يكفرها نظرا الى انه تعالى سمى ايصال
الجزآء والثواب شكرا حيث قال فان الله شاكر عليم وقال فاولئك كان سعيهم مشكورا فلما جعل الشكران مجازا عن
توفية الثواب جعل الكفران مجازا عن منعه وقيل لان الكفر فى اللغة هو الستر فسمى منع الجزآء كفرا لانه بمنزلة
الجحد والستر وقيل قوله فلن يكفروه تعريض بكفرانهم نعمته وانه تعالى لا يفعل مثل فعلهم وجيء به على لفظ المبنى
للمفعول لامرين تنزيهه تعالى عن اسناد الكفران اليه كقوله تعالى وانا لا ندرى أشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم
ربهم رشدا وليأتى به على لفظ الكبرياء والعظمة ﴿قوله وتعديته﴾ يعنى عدى فلن تكفروه الى مفعولين اولهما
القائم مقام الفاعل وثانيهما الهاء فى يكفروه مع ان شكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد يقال شكر النعمة وكفرها بناء
على ان كفر ههنا ضمن معنى فعل يتعدى الى مفعولين وهو حرم ومنع يقال حرمه الشيء يحرمه حرما وحرمة وحرمانا من
باب ضرب فكأنه قيل فلن تحرموه ولن تمنعوا جزآءه ﴿قوله بشارة لهم﴾ يعنى انه تعالى عالم بجميع الكائنات
الا انه تعالى قال عليم بالمتقين تخصيصا لعلمه بهم على تقواهم بوضع الظاهر موضع المضمر والبشارة بنيلهم جزيل
ثواب المتقين فان العليم كناية عن المثيب ثم انه تعالى لما وصف المؤمنين بالصفات الحسنة اتبعها بوعيد الكفار ليجمع
بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم نزلت فى
مشركى قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار وقيل نزلت فى ابى سفيان فانه انفق مالا كثيرا على المشركين يوم
بدر واحد فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وقيل انها عامة فى جميع الكفار وذلك لان كلهم كانوا يتعززون بكثرة
الاموال وكانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بالفقر ويقولون لو كان محمد على الحق لما تركه ربه
فى الفقر والشدة وخص الاموال والاولاد بالذكر لان انفع الجمادات هو المال وانفع الحيوانات هو الولد فالكافر اذا
لم ينتفع بهما فى الآخرة البتة دل ذلك على عدم انتفاعه بسائر الاشياء بطريق الاولى ﴿قوله والشائع اطلاقه﴾
اى اطلاق الصر على الريح الباردة كما ان الشائع اطلاق الصرصر عليها فاذا كان الصر بمعنى الريح الباردة يكون
المعنى كمثل ريح فيها ريح وكون الريح الباردة فى الريح لا معنى له فاشار الى توجيه المعنى بقوله فهو فى الاصل مصدر
نعت به بمعنى ان الصر كان فى الاصل مصدرا بمعنى البرد مطلقا ثم غلب استعماله فى الريح الباردة على توصيف الريح

﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان قرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ﴿ ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيأ ﴾ من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا ﴿ واولئك اصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ﴾ ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا ﴿ فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر ﴾ برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد

بالبرد مبالغة في بردها كما استعمل العدل في الرجل العادل لذلك ثم وصفت الريح بقوله فيها صر باعتبار اصل معناه فكان المراد فيها برد ومعنى الشدة مستفاد من تنكير صر واشار الى توجيه ثان بقوله او نعت وصف به البرد اى ويجوز ان يكون نعتا بمعنى البارد فوصف به البرد والموصوف محذوف والتقدير كمثل ريح فيها برد بارد بطريق اسناد المشتق الى المأخذ كما في جد جده وطريق الجمع بين كونه نعتا بمعنى البارد وشيوع اطلاقه لاريح الباردة انه اما ان يكون مشتركا بين الريح الباردة وبين البارد مطلقا فاريد به ههنا المعنى الثاني واما ان يكون موضوعا بالغلبة للريح الباردة كالمرسن لانف مرسون ثم استعمل في البارد مطلقا ريحا كان او غيرها استعمال المرسن في الانف مطلقا ثم وصف به البرد كما ذكر ﴿قوله لان الاهلاك عن سخط اشد﴾ علة لمقدر يفهم من تقييد الحرث بكونه لقوم ظلموا وتقدير الكلام لم يشبه ما انفقوا في ضياعه بمطلق الحرث الذى اهلكه البرد بل قيد الحرث بكونه لقوم ظلموا انفسهم ليدل على المبالغة لان الاهلاك عن سخط يكون اشد وابلغ وقوله وهو من التشبيه المركب وهو ما يكون وجهه منتزعا من متعدد جواب عما يقال قد ذكرت ان المراد تشبيه ما انفقوا بحرث كفار والذى يفهم من الآية تشبيه ما انفقوا بالريح فكيف قيل ان المراد ذلك واجاب عنه بوجهين ﴿قوله وقرئ ولكن﴾ يعنى ان العامة على تخفيف لكن وهى استدراكية وانفسهم مفعول مقدم قدم للاختصاص اى لم يقع وبال ظلمهم الا بانفسهم خاصة لا يتخطاهم وفي التقديم مراعاة للفواصل ايضا وقرأها بعضهم مشددة ووجهها ان يكون انفسهم في قراءة التشديد ايضا مفعول يظلمون * فان قيل يحتمل ان يكون اسم لكن محذوفا على انه ضمير الشأن حذف للعلم به وتكون الجملة الفعلية بعدها خبرا لها * فالجواب ان حذف اسم هذه الكلمة لا يجوز الا في ضرورة الشعر كقول المتنبي

* وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق *

﴿قوله شبه ببطانة الثوب﴾ وهى جانبه الباطن وظهارته هى الجانب الظاهر منه والشعار هو الثوب الداخل سمى به لانه يلى شعر الجسد والدثار ما يلبس فوقه لما شرح الله تعالى احوال المؤمنين والكافرين نهى المؤمنين عن موالاتهم بحيث يظهرون لهم ما في قلوبهم من الاسرار وذكر علة النهى بقوله لا يألونكم خبالا ﴿قوله واصله ان يعدى بالحرف﴾ الا في الامر يألو الوا اذا قصر فيه واصل لا آلوك نصحا اى لا آلو في النصح الا انه عدى الى كلا مفعوليه الغير الصريحين بالذات على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصك والخبال الفساد واصله ما يلحق الحيوان من جنون فيورثه فسادا واضطرابا يقال منه خبله وخبله بالتخفيف والتشديد فهو خابل ومخبول ومخبل وخبل لما كان ناقص العقل قال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اى فسادا وضررا وفي الحديث من شرب الخمر ثلاثا كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال ﴿قوله تمنوا عنتكم﴾ هى علة ثانية للنهى فتكون جملة مستأنفة كالتى قبلها والفرق بينها وبين ما سبق ان معناها انهم لا يقصرون في فساد دينكم ودنياكم فان عجزوا عن ذلك لعيب ذلك وتمنيه غير زائل عن قلوبهم والبغضاء مصدر كالسراء والضراء يقال منه بغض الرجل فهو بغيض كظرف فهو ظريف والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل عليه جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهى وهل وزنه فعل بكسر العين او فعل بفتح العين خلاف للنحويين ثم انهم حذفوا لامه تخفيفا وعينه حرف علة فابدلوها ميما لقربها منها في كونهما من الشفوية والمعنى قد ظهرت علامة العداوة في كلامهم الخارج من افواههم وهى العلة الثالثة للنهى ﴿قوله لان بدوه ليس عن روية واختيار﴾ حتى يستر كاكبر ما في صدورهم بل شأنهم ان يضمروا ما في صدورهم من بغض المؤمنين ومع ذلك لا يملكون ضبط انفسهم وان تحرزوا ان يخرج البغض والعداوة فينفلت ما يعلم به بغضهم للمسلمين فيلزم ان يكون ما جرى على ألسنتهم اقل واصغر وما في صدورهم اكثر واكبر وفيه رمز الى ترجيح ما روى عن مجاهد من ان الآية نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهاهم الله تعالى بقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والجوار والرضاع ونحو ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فعلى هذا معنى قوله قد بدت البغضاء من افواههم هو انهم يظهرون تكذيب نبيكم وكتابكم وينسبونكم الى الجهل والحمق وما في قوله وما تخفى صدورهم موصولة في محل الرفع بالابتداء والعائد محذوف اى تخفيه واكبر خبره والمفضل عليه محذوف اى اكبر من الذى ابدوه بافواههم ثم بين الله تعالى ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من نعم الله تعالى عليهم فقال قد بينا لكم

(اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى (فاهلكته) عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث (وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا فى ضرورة الشعر كقوله

ولكن من يبصر جفونك يعشق (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم (لا يألونكم خبالا) اى لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص (ودوا ما عنتم) تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية (قد بدت البغضاء من افواههم) اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم (وما تخفى صدورهم اكبر) مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين (ان كنتم تعقلون) ما بين لكم

الآيات الآية وقيل المعنى قد بينا آياتهم لتعرفوهم بها ﴿قوله والجمل الاربع﴾ وهي قوله تعالى لا يألونكم خبالا وقوله ودوا ما عنتم وقوله قد بدت البغضاء من افواههم وقوله قد بينا لكم الآيات واما قوله وما تخفي صدورهم فالظاهر انه حال من فاعل بدت وليس من قبيل باقي الجمل ﴿قوله جاءت مستأنفات على التعليل﴾ على ان كل واحدة منها علة مستقلة للنهي عن اتخاذ البطانة وترك العاطف بينها للدلالة على استقلال كل واحدة في قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ويحتمل ان يكون المراد انها جاءت مستأنفات على سبيل الترتيب بان تكون كل واحدة منها علة لما تقدم عليها ولا تكون علة للنهي السابق كأنه قيل لم لا نتخذ بطانة فاجيب بانهم لا يقصرون في افساد امركم فقيل ولم يفعلون ذلك فاجيب بانهم كانوا يودون اضراركم فقيل ولم كانوا يودون ذلك فاجيب بانهم يبغضونكم الا ان هذا الاحتمال يرد عليه ان قوله قد بينا لكم الآيات لا يصلح ان يكون علة لظهور بغضهم من افواههم ولكن يصلح ان يكون علة للنهي عن اتخاذهم بطانة على ان يكون المعنى لا تتخذوا بطانة من دونكم لانا قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعداء الله تعالى ﴿قوله ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة﴾ كأنه قيل بطانة غير آليتكم خبالا وادة عنتكم بادية بغضتكم من افواههم اما الجملة الاخيرة وهي قوله قد بينا فكلام مستأنف لا يصلح صفة وهو ظاهر ﴿قوله اي انتم اولاء الخاطئون﴾ اشير منهم الخطأ في الرأي المستلزم للغرة والغفلة صدر خطابهم بحرف التنبيه واشار اليهم بما يشار به الى المشاهد المحسوس ايقاظا لهم من سهوهم وغفلتهم واشعارا بانه ليس فيهم مما يعتنى بشأنه سوى ما شوهد من الاجساد والتماثيل المجردة عن الفضائل النفسانية والكمالات المعنوية تحقيرا لشأنهم وازدراء بحالهم في موالاة منافق اهل الكتاب الذين بدت البغضاء في كلامهم مع ان ما تخفي في صدورهم من شدة البغض اكبر مما ظهر ودل بألسنتهم وقوله ها حرف تنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره وتحبونهم خبر بعد خبر او اولاء مبتدأ ثان وتحبونهم خبر الثاني والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اولاء بمعنى الذين وتحبونهم صلة له والموصول مع صلته خبر انتم ويجوز ان يكون انتم مبتدأ واولاء خبره وتحبونهم في موضع النصب على انه حال من اسم الاشارة ويجوز ان يكون اولاء تحبونهم من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير على ان يكون تحبونهم مشتغلا عن اولاء بضميره ﴿قوله من اجله﴾ اشارة الى ان من بمعنى لام التعليل كما في قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فتكون متعلقة بعضوا وكذلك عليكم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ يقال فلان يعض انامله على فلان اذا بلغ الغضب منه غايته وعض الانامل لما كثر من الغضبان الذي فاته ما لا يقدر على ان يتداركه ويرى شيأ يكرهه ولا يقدر على ان يغيره صار ذلك كناية عن الغضب وان لم يكن هناك عض فانه اذا خلا بعضهم ببعض كانوا يظهرون اشد العداوة ونهاية الغيظ على المؤمنين من ائتلافهم واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم وجعل الامام الواحدي لفظ عليكم متعلقا بالغيظ حيث فسر الآية بقوله اي عضوا الانامل من الغيظ عليكم وفيه تقديم وتأخير والله اعلم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بان يدوم غيظهم الى ان يموتوا فلو كان المأمور به الدعاء بان يموتوا بالغيظ لماتوا جميعا بدعائه صلى الله عليه وسلم بذلك فان قيل الغيظ على قوة الاسلام وازدياد اهله وائتلافهم واجتماع كلمتهم كفر فالدعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته يكون امرا بالاقامة على الكفر والثبات عليه وذلك غير جائز والجواب ان دوام الغيظ وازدياده كناية عن تضاعف ما يوجب هذا الغيظ وهو نصر الاسلام وعزة اهله فسقط السؤال وايضا انه دعاء عليهم بالموت قبل بلوغ ما يتمنون ﴿قوله يحتمل ان يكون من المقول﴾ اي داخلا في جملة المقول فالمعنى اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقيل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من اسراركم يخفى عليه وذات هنا تأنيث ذي بمعنى صاحب فحذف الموصول واقيمت صفته مقامه اي عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهي الخواطر القائمة بالقلب من الدواعي والصوارف الموجودة وجعلت صاحبة الصدور لملازمتها وحلولها فيها كما قال للبن ذو لبأ ﴿قوله وشمتوا﴾ على وزن علموا والشماتة الفرح ببلية العدو يقال شمت به بالكسر يشمت شماتة قيل المراد بالحسنة هنا النصر والظفر وبالسيئة الهزيمة والظاهر ان المراد جميع ما يسر به من منافع الدنيا على اختلاف انواعها وبالسيئة اضداد ذلك والمس اصله باليد ثم سمي كل ما يصل الى الشيء ماسا على سبيل التشبيه فقيل مسه النصب والتعب قال تعالى وما مسنا من لغوب وقال اذا مسكم الضر في البحر ﴿قوله وضمة الراء للاتباع﴾ فان لا يضركم بضم الضاد والراء المشددة وقرئ لا يضركم بفتح الياء وكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره ضيرا

(ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم) اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا (وتؤمنون بالكتاب كله) بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم (واذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقا وتغريرا (واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به (ان الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة (وان تصبروا) على عداوتهم او على مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم او ما حرم الله جل جلاله عليكم (لا يضركم كيدهم شيأ) بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان الجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه

﴿ واذ غدوت ﴾ اى واذكر اذ غدوت ﴿ من اهلك ﴾ اى من حجرة عائشة رضى الله عنها ﴿ تبوئ المؤمنين ﴾ تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام ﴿ مقاعد للقتال ﴾ مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى فى مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك ﴿ والله سميع ﴾ لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه ودعا عبد الله ابن ابى بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام انى رأيت فى منامى بقرة مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاولته هزيمة ورأيت كانى ادخلت يدى فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا

اذا ضره والكيد المكر والاحتيال فى ايصال الضرر والمكروه وشيأ نصب على المصدر اى شيأ من الضرر وقوله تعالى بما تعملون متعلق بقوله محيط قدم عليه للاهتمام ولانهم يقدمون الاهم الذى هم بشأنه اعنى وليس المقصود منه بيان كونه تعالى عالما بل بيان ان جميع اعمالهم معلومة لله تعالى وهو مجازيهم عليها فلاجرم قدم ذكر العمل ﴿ قوله اى واذكر اذ غدوت ﴾ يعنى ان اذ منصوب انتصاب المفعول به لعامل مضمر وهو اذكر وقال المصنف فى قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة ان محل اذا واذ النصب على الظرفية ابدا واما قوله واذكرا خا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا لحذف الحادث واقيم الظرف مقامه فيكون التقدير هنا اذكر الحادث اذ غدوت فيكون انتصاب اذ على الظرفية والغدو الخروج اول النهار يقال غدا يغدو اى خرج غدوة وفى هذا دليل على جواز صلاة الجمعة قبل الزوال لان المفسرين اجمعوا على انه صلى الله عليه وسلم انما خرج بعد ان صلى الجمعة والمقصود من هذه القصة تقرير قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وان الكفار كانوا يوم احد ثلاثة آلاف والمسلمون كانوا ألفا او اقل ثم رجع عبد الله بن ابى بن سلول فى ثلاثمائة من اصحابه فبقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع سبعمائة فاعانهم الله تعالى حتى هزموا الكفار ثم لما خالفوا الرسول ولم يصبروا على القيام حيث اقامهم فيه ولم يتقوا عاقبة تلك المخالفة واشتغلوا بطلب الغنائم اشتد الامر عليهم وانهزموا ووقع ما وقع فافادت القصة على ان سنة الله تعالى قد جرت على ان ينصرهم ويعينهم ويدفع عنهم ضرر الاعداء واذاهم ان صبروا واتقوا او يفعل خلاف ذلك ان لم يصبروا الظاهر ان المقصود من ايرادها تقرير قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وفى انتظام الآية بما قبلها وجه آخر وهو ان الافك الواقع يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابى بن سلول المنافق وذلك يدل على عدم جواز اتخاذ المنافق بطانة فيكون تقريرا للنهى عنه ﴿ قوله اى تنزلهم ﴾ فيتعدى الى مفعوليه بنفسه من غير اعتبار الحذف والايصال وان كان تبوئ بمعنى تسوى فهو يتعدى الى الثانى بواسطة اللام فيكون ما فى الآية مبنيا على الحذف والايصال ويؤيده قراءة عبد الله تبوئ للمؤمنين باللام الجارة والجملة حال مقدرة من فاعل غدوت اى غدوت قاصدا تبوئة المؤمنين لان وقت الغدو ليس وقتا للتبوئة ويحتمل ان يكون مقارنه لان الزمان متسع ومقاعد جمع مقعد وهو اسم لمكان القعود عبر به عن الاماكن التى عين لكل واحد من الصحابة ان يثبت فيها اما بان يتسع فى استعمال المقعد لمجرد المكان مع قطع النظر عن كونه مكان القعود كما فى قوله فى مقعد صدق واما لان كل مكان انما عين لصاحبه لان يقعد وينظر فيه الى ان يجيئ العدو فيقوم عند الحاجة للمحاربة فسميت تلك الاماكن بالمقاعد لهذا الوجه وقوله للقتال متعلق بتبوئ اى تهيئ لهم مواطن واماكن لاجل مقاتلة الكفار او متعلق بمحذوف هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة ومهيئة للقتال ولا يجوز تعلقه بمقاعد وان كانت مشتقة لانها مكان والامكنة لا تعمل ﴿ قوله انضحوا عنا ﴾ النضح الدفع يقال هو ينضح عن فلان اى يذب عنه ويدفع ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا فى هذا المقام واذا عاينتم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام كيلا تمكنوا من ان يأتونا من ورائنا ثم انخزل عبد الله وبقى المسلمون حتى هزموا المشركين فظنوا ان تكون هذه الواقعة كواقعة بدر وطلبوا المدبرين وتركوا الموضع الذى امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه ثم اشتغلوا بطلب الغنائم فلما خالفوا امره صلى الله عليه وسلم انهزموا ليعلموا ان ما وقع يوم بدر انما حصل ببركة صبرهم وطاعتهم لله ولرسوله فلما لم يصبروا على طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امرهم به ولم يتقوا عاقبة مخالفته تركهم الله تعالى مع عدوهم فلم يقووا لهم حيث نزع الله الرعب من قلوب المشركين فكر عليهم المشركون وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة من الانصار ورجلان من قريش وقصد الكفار النبى صلى الله عليه وسلم فشجوا رأسه وكسروا رباعيته وثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ طلحة ووقاه بيده فشلت اصبعاه وصار مجروحا فى اربعة وعشرين موضعا ولما اصيب صلى الله عليه بما اصابه من الشج وكسر الرباعية وغلب عليه الغشى احتمله ورجع به القهقرى وكلما ادركه واحد من المشركين كان يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاتله حتى اوصله الى مكان فيه جملة من الصحابة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اوجب طلحة فوقعت الصيحة فى العسكر ان محمدا قد قتل وكان فى جملة من معه من الصحابة رجل من الانصار يكنى ابا سفيان فنادى الانصار وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليه المهاجرون والانصار وكان قد قتل منهم سبعون وكثرت فيهم

الجراح فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا ذب عن اخوانه وشد على المشركين بن معد حتى كفهم على القتلى والجرحى وابانهم الله تعالى حتى هزموا الكفار وقوله تعالى والله سميع عليم معناه انه صلى الله عليه وسلم لما شاور اصحابه فى تلك الحرب وقال بعضهم أقم بالمدينة وقال آخرون اخرج اليهم وكان لكل احد غرض فى قوله فمن موافق ومن منافق قال تعالى انا سميع بما يقولون عليم بما يضمرون ﴿قوله فى زهاء ألف رجل﴾ اى قدره والشوط اسم موضع قيل فى سبب اعتزال ابن ابى بن سلول انه صلى الله عليه وسلم لما خالف رأيه شق ذلك عليه وكان من قدماء اهل المدينة وقال اطاع الولدان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد أصحابه ان اعداءه اذا عاينوه انهزموا فاذا رايتم اعداءه انهزموا فتصيروا الامر على خلاف ماقاله محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان اعتزل عبدالله بالمنافقين وكان صلى الله عليه وسلم قد خرج فى ألف رجل وقيل فى تسعمائة وخمسين فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلاثمائة وبقى سبعمائة فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم قال الجوهرى نشدت الضالة انشدها طلبتها وانشدتها اى عرفتها ونشدت فلانا انشده اذا قلت له نشدتك الله اى سألتك فنشداى تذكر اياه ﴿قوله والظاهر انه ما كانت عزيمة﴾ اختلفوا فى المراد من قوله اذ همت طائفتان منكم فمنهم من قال هم كل من الطائفتين عزيمة وقصدا للرجوع عن النبى صلى الله عليه وسلم والاتباع لعبدالله بن ابى وقال المصنف ان همهما ليس بمعنى العزم والقصد المصمم وانما هو خطرة وحديث نفس لانه تعالى يقول والله وليهما وهو تعالى لايكون وليا لمن عزم على خذلان رسوله واتباع عدوه ونصر المنافقين وانما مجرد خطور ذلك بالقلب فانه لاينافى ولاية الله تعالى فان النفس لاتخلو عند الشدة من بعض الهلع والجزع فذكرها ولاية الله تعالى وعصمته ينفى تلك الخطرة عنها ويحملها على الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال

۞ اقول لها اذا جاشت وجاشت ۞ مكانك تحمدى او تستريحى ۞

اى اخاطب نفسى على التجريد واقول لها اذا جاشت اى نهضت وقامت وجاشت اى اضطربت من خوف او غشت من حزن الرعى مكانك تحمدى بالظفر والغلبة او تستريحى بالقتل فعلى هذا يكون قوله والله وليهما معطوفا على جملة همت طائفتان اى انه تعالى اخبرهم بهم الطائفتين وبانه وليهما وعلى قوله ويجوز ان يراد والله ناصرهما يكون جملة حالية من ضمير تفشلا فيفيد التوبيخ بانهما يفشلان فى هذا الحال ولا يتوكلان على الله اى ما كان ينبغى ان يوجد منهما الفشل والجبن والحال انه تعالى ناصرهما • فان قيل كيف يحمل على التوبيخ والاستبعاد وهو يلزم لكون الهم بمعنى العزم والتصميم وهو لايليق بأمثالهم • قلنا لانسلم انه يلزم ذلك لان التوبيخ كما يتوجه على عازم المعصية يتوجه ايضا على من تردد وخطر بباله عدم الثبات على ما امر به وعدم التوكل على الله والاعتماد على وعد رسوله بالنصرة والفتح ان صبروا وعلى متعلق بقوله فليتوكل قدم عليه للاختصاص ولتناسب رؤس الآى وقال ابو البقاء دخلت الفاء لمعنى الشرط والمعنى ان فشلوا فتوكلوا انتم اوان صعب الامر فتوكلوا ﴿قوله تذكير ببعض ماافادهم التوكل﴾ يعنى انه تعالى ذكرهم فى اثناء قصة احد نصرته اياهم فى غزوة بدر مع قلة عددهم وعددهم من الاسلحة والمراكب لانهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ستة وسبعون من المهاجرين وبقيتهم من الانصار وما كان فيهم الافرس واحد لقداد بن الاسود وكان رضى الله عنه اول من قاتل على فرس والكفار معهم الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة وكانت وقعة بدر يوم الاثنين صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنين من الهجرة ومع هذا فقد سلط الله المسلمين على المشركين ببركة صبرهم وتوكلهم على الله تعالى فالآية تقرير لامر التوكل وتحريض عليه وتنبيه على ان العاقل يجب ان لايتوسل لتحصيل مطلوبه الا بالتوكل على الله والاستعانة به والذلة بحسب رثاثة الحال وقلة المال لاتنافى العزة بالجملة وحسن العاقبة فى المآل كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴿قوله لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم﴾ قال صاحب الكشاف فيه وجهان حاصل الوجه الاول ان النصر تقتضى المقابلة بالتقوى شكرا وفيه ان ماعداها منهم كفران لنعمة بدر والثانى ان التقوى تستجلب النعمة المستجدة والنصرة الجديدة فعليكم بها واحذروا الفشل المنافى لها انتهى ﴿قوله فوضع الشكر موضع الانعام﴾ اى جعل الشكر كناية اومجازا عن نيل نعم اخرى توجب الشكر ﴿قوله ظرف لنصركم﴾ فيكون الوعد بالامداد بثلاثة آلاف من الملائكة واقعا فى وقعة بدر وعلى تقدير ان يكون اذ همت بدلا اول من قوله اذ غدوت ويكون تقول بدلا ثانيا منه يكون الامداد المذكور

(اذ همت) متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت (طائفتان منكم) بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحى العسكر (ان تفشلا) ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى زهاء ألف رجل ووعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن ابى فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انه ما كانت عزيمة لقوله تعالى (والله وليهما) اى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى فليتوكلوا عليه ولايتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر (ولقد نصركم الله ببدر) تذكير ببعض ماافادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به (وانتم اذلة) حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح (فاتقوا الله) فى الثبات (لعلكم تشكرون) ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه (اذ تقول للمؤمنين) ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة

موعودا فى قصة احد وقد روى ذلك عن ابن عباس احتجاجا بقوله تعالى فى سورة الانفال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة فهو صريح فى انه تعالى مد الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد بألف من الملائكة * فان قيل كيف يليق ان ما ذكر فيه ثلاثة آلاف من الملائكة كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فات الشرط فات المشروط وهو انزال ثلاثة آلاف من الملائكة * اجيب بجوابين الاول ان وعد الرسول بذلك للمؤمنين الذين بوأهم مقاعد للقتال وامرهم بالسكون والثبات فى تلك المقاعد يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما وعدهم بهذا الوعد بشرط ان يثبتوا فى تلك المقاعد فلما اهملوا هذا الشرط لا جرم لم يحصل المشروط والجواب الثانى لا نسلم ان الملائكة ما نزلت يوم احد فقد روى الواقدى عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم احد ولكنهم لم يقاتلوا وروى ايضا انه صلى الله عليه وسلم اعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك فى صورته فقال صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب * فقال الملك لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم انه ملك امد به * وعن ابن ابى وقاص قال كنت ارمى السهم يومئذ فيرده على رجل ابيض حسن الوجه وما كنت اعرفه فظننت انه ملك فنظم الآية على هذا التأويل انه تعالى ذكر فى قصة احد انه يجب ان يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ثم ايد ذلك بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر على مثل هذه النصرة فى سائر المواضع ثم بعد هذا اعاد الكلام الى قصة احد فقال اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم الآية الا ان اكثر المفسرين ذهبوا الى ان هذا الوعد كان يوم بدر لان قلة العدد والعدد كانت فى ذلك اليوم اكثر فكان الاحتياج الى تقوية القلب فيه اشد وكانت تلك الواقعة اول مصادمة المسلمين مع اعداء الدين وكانت سببا لارتفاع الاسلام الى يوم القيامة وقول الاولين انه صلى الله عليه وسلم امد يوم بدر بألف من الملائكة فالجواب عنه من وجهين الاول انه تعالى امد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بألف وزاد بألفين فصار زهاء ثلاثة آلاف ثم زاد ألفين آخرين فصاروا خمسة آلاف فكأنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بألف من الملائكة فقالوا بلى ثم قال ألن يكفيكم ان يمدكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قال لهم ان تتقوا وتصبروا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة * والوجه الثانى فى الجواب ان اهل بدر انما امدوا بألف فقط كما هو المذكور فى سورة الانفال ثم انه بلغهم ان بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فانا امدكم بثلاثة آلاف او بخمسة آلاف من الملائكة ثم ان ذلك المدد الاول لم يأت قريشا بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف والمصنف اشار الى ضعف الجواب الاول بقوله قيل امدهم الله تعالى اولا يوم بدر بألف اذ يقتضى كون الامداد ثلاثة الاف واقعا فى يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار مع ان الامداد النازل فيه الف من الملائكة كان بأحد بالنص قال الامام اجمع اهل التفسير على ان الله تعالى انزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار قال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة فى المعركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون ولا يضربون وانما يكونون عددا ومددا وكان عددهم ومددهم بتقوية النفوس والقاء الرعب فى قلوب الكفرة واشعارهم المؤمنين بان النصرة لهم وان اتفق لاحد من المؤمنين ان يحتاج فى دفع عدوه واهلاكه الى من يعينه فى ذلك اعانه الملك فى مقصوده فان المكلف بالجهاد هم المؤمنون وان مباشرة القتال انما تصدر منهم ومباشرة الملائكة للقتال انما هى على طريق معاونة المؤمنين والا فالملك الواحد يكفى لاهلاك الناس جميعا وانكر ابو بكر الاصم مقاتلة الملائكة مع الكفار اشد الانكار وقال ان الملك الواحد يكفى فى اهلاك جميع اهل الارض فاى حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار عند حضور واحد منهم وايضا اى حاجة الى ان يبلغ عددهم الفا او ثلاثة آلاف او خمسة آلاف ومثال هذه الشبه لا تليق بمن يقر انه تعالى قادر على جميع الممكنات يفعل ما يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته ويعجز العقل عن ادراك كنه حكمته فالحكم لله العلى الكبير ثم قيل العدد الناقص غير داخل فى الزائد بل كل واحد من الاعداد المذكورة معتبر فى نفسه لا فى ضمن ما هو أزيد منه ومعدود الى الاعداد الباقية فان حملنا الآية على واقعة بدر كان عدد الملائكة تسعة آلاف لانه تعالى ذكر الالف وذكر ثلاثة آلاف وذكر خمسة آلاف فالمجموع تسعة آلاف وان حملناها على واقعة احد فليس فيها ذكر الالف بل ذكر ثلاثة آلاف وذكر خمسة آلاف فالمجموع ثمانية آلاف وقيل الناقص داخل فى الزائد معتبر فى ضمنه فعلى هذا عددهم خمسة آلاف لانهم وعدوا بألف ثم ضم اليه ألفان فصار ثلاثة آلاف ثم ضم ألفان آخران فصاروا خمسة

﴿الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج (بلى) ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم

آلاف والمصنف اشار الى هذا القول بقوله قبل امدهم الله يوم بدر او لا بألف الخ **﴿قوله فاستعير للسرعة﴾** اى استعمل فيها مجازا لان فوران القدر وشدة غليانها يتضمن مسارعة ما فيها الخروج ويمكن اعتبار المشابهة بين المسارعة وغليان القدر استعارة اصطلاحية ثم اطلق على الزمان اليسير الذى يقع فيه الفعل الواقع على سبيل السرعة والعجلة والريث هو الابطاء والتراخى يقال راث علىّ خبرك يريث ريثا اى ابطأ كما يقال خرج من فوره اى من ساعته ومعنى الآية ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة فى حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم اى يعجل نصركم ويسهل فتحكم ان صبرتم واتقيتم ومن فى قوله من فورهم ومن ساعتهم للابتداء اى مبتدئا من الحالة التى لا ابطأ فيها ولا تراخى **﴿قوله معلمين﴾** على ان التسويم من السمة او السومة وكلاهما بمعنى العلامة التى يعرف بها الشئ والمعنى انهم سوّموا انفسهم او سوّموا خيولهم بعلامات مخصوصة او انه تعالى سوّمهم اى جعل عليهم او على خيولهم علامة **﴿قوله او مرسلين﴾** على ان يكون من التسويم وهو ترك الماشية لترعى يقال ابل سائمة اى مرسلة فى المرعى فالملائكة مسوّمون اى مرسلون ارسلهم الله تعالى لنصر نبيه والمؤمنين واهلاك المشركين كما تهلك الماشية النبات والحشيش وان قرئ مسوّمين بكسر الواو يكون المعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار تقتلهم او انهم علموا انفسهم او خيولهم قال ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها فى ظهورهم وقال الحسن كانوا مسوّمين بالصوف فى نواصى الخيل واذنابها وروى انهم كانوا بالعمائم بيض الاجبريل صلى الله عليه وسلم فانه كان بعمامة صفراء وروى انهم كانوا على خيول بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم قال القرطبى ولعل الملائكة نزلوا على الخيل البلق لموافقة فرس المقداد فانه كان ابلق اكراما للمقداد كما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام متعمما بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوّام وروى الواحدى عن عباد بن عبدالله بن الزبير انه قال كانت على الزبير عمامة صفراء فنزلت الملائكة عليه عمائم صفر وفيه دلالة على فضل الخيل البلق **﴿قوله تعالى الا بشرى لكم﴾** مستثنى مفرغ منصوب على انه مفعول للجعل والتقدير وما جعله الله لشئ من الاشياء الا للبشرى وشروط نصبه موجودة وهى اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا سيق للعلة وقوله ولتطمئن معطوف على بشرى وجاء بلام التعليل ولم ينصب لعدم شرط من شروط نصبه وهو اتحاد الفاعل لان فاعل الجعل هو الله تعالى وفاعل الاطمئنان هو القلوب والمعنى وما جعله الله الا بشرى لحصول نصر الله وليدخل السرور فى قلوبكم ولتطمئن به قلوبكم على اعانة الله تعالى ونصرته لكم كيلا تجبنوا عن المحاربة **﴿قوله من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر﴾** يعنى ان كثرة المقاتلة وزيادة عددهم ولحوق المدد بهم لا فائدة لها سوى كونها سببا لطمأنينة قلوب العوام فينبغى للمؤمن ان لا يركن الى شئ من ذلك فان ترتب النصر عليه ليس الا بطريق جرى العادة وما النصر فى الحقيقة الا من عند الله فيجب ان لا يتوكل المؤمن الا على الله الذى هو مسبب الاسباب **﴿قوله متعلق بنصركم﴾** اى على تقدير ان يجعل قوله اذ تقول ظرفا لنصركم لا بدلا ثانيا من اذ غدوت لانه على تقدير كونه بدلا منه يكون القول المذكور واقعا يوم احد منقطعا عن قصة بدر فجعل ليقطع متعلقا بنصركم يستلزم الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى واما على تعلقه بقوله وما النصر الا من عند الله فيصح على التقديرين وهو ظاهر والعامل هو النصر الذى انتقض ما تعلق به من النفى بالا ولما كان المعلل بالقطع والكبت هو النصر المعهود الواقع بواسطة امداد الملائكة حمل اللام فيه على العهد والمراد بالطرف ههنا الجماعة والطائفة وعبر عنها بالطرف للاشعار بان العذاب ليس على طريق الاستئصال بل يكون سبيله الطرف اذ لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف ويوافقه قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقوله اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها والكبت صرع الشئ على وجهه يقال كبته فانكبت ثم انه قد يذكر ويراد به الاخذ والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال وكل ذلك ذكره المفسرون فى تفسير الكبت ويشترك الجميع فى اصابة المكروه **﴿قوله فينهزموا منقطعى الآمال﴾** فان الخيبة لا تكون الا بعد التوقع واليأس يكون بعد التوقع وقبله فنقيض اليأس الرجاء ونقيض الخيبة الظفر ومن حمل الآية على يوم احد وجعل قوله اذ تقول بدلا ثانيا من قوله اذ غدوت وجعل قوله ليقطع متعلقا بقوله وما النصر يقول انه قد قطع طرفا منهم وكبتوا حيث قتل منهم يومئذ ستة عشر وقيل ثمانية عشر وكل صاحب لواء منهم وكانت النصرة للمسلمين الى ان خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **﴿قوله اعتراض﴾** يعنى ان قوله او يتوب

ثم وعدلهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم) اى المشركون (من فورهم هذا) من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) فى حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير (مسوّمين) معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (وما جعله الله) وما جعل امدادكم بالملائكة (الا بشرى لكم) الا بشارة لكم بالنصر (ولتطمئن قلوبكم به) ولتسكن اليه من الخوف (وما النصر الا من عند الله) لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم (العزيز) الذى لا يغالب فى اقضيته (الحكيم) الذى ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم (او يكبتهم) او يخزيهم والكبت شدة الغيظ او وهن يقع فى القلب واو للتنويع دون الترديد (فينقلبوا خائبين) فينهزموا منقطعى الآمال (ليس لك من الامر شئ) اعتراض

منصوب بعطفه على الافعال المنصوبة قبله والتقدير فيقطع او يكبت او يتوب عليهم او يعذبهم وعلى هذا يكون قوله ليس لك من الامر شئ جملة معترضة وقعت بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون او يتوب منصوبا باضمار ان فيكون في تأويل مصدر فيصح عطفه بذلك على الاسم المجرور قبله وهو الامر او على الاسم المرفوع قبله وهو شئ كأنه قيل على الاول ليس لك من الامر او من توبة الله تعالى عليهم او تعذيبه اياهم شئ وعلى الثاني كأنه قيل ليس لك من الامر شئ او توبة الله عليهم او تعذيبهم واياما كان فهو من عطف الخاص على العام ومعنى الآية على التقدير الاول ان امورهم كلها لله وليس لك من امرهم شئ ولا من توبتهم ولا من تعذيبهم وعلى التقدير الثاني ليس لك من امرهم شئ ولا توبتهم ولا تعذيبهم والفرق بين العطف على الامر والعطف على شئ ان الاول سلب توابع التوبة من القبول وتوابع التعذيب بالخلاص منه او عدم النجاة منه والثاني سلب نفس التوبة والتعذيب اى لا تقدر على ان تجبرهم على التوبة او تمنعهم عنها او لان تعذبهم او تعفو عنهم ويرد على هذا الفرق انه كيف يكون المراد على الثاني سلب نفس التوبة بالمعنى المذكور مع ان قوله تعالى او يتوب عليهم معناه ان يتوب عليهم فيكون المعنى ليس لك من امرهم شئ ولا ان يتوب عليهم ولا يعذبهم فكيف يصح قوله بمعنى انك لا تقدر تجبرهم على التوبة او تمنعهم عنها وكأن من قرر الفرق على الوجه المذكور يريد بالتوبة ما هو سبب التوبة عليهم والا فالمذكور في الآية هو ان يتوب الله عليهم لا نفس توبتهم قال الامام ظاهر الآية يدل على انها وردت في منع من امر كان صلى الله عليه وسلم يريد ان يفعله وذلك الفعل ان كان بامر الله تعالى فكيف يمنعه منه وان كان بغير امره فكيف يكون صاحبه معصوما وقد ثبت عصمة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم * والجواب عنه من وجهين الاول ان المنع من الفعل لا يدل ان الممنوع منه كان مشتغلا به فانه تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه صلى الله عليه وسلم ما اشرك قط والفائدة في منع من لم يشتغل بالممنوع منه انه لما حصل ما يوجب الغم الشديد كقتل حمزة وبعض المسلمين رضي الله عنهم اغتم رسول الله والظاهر ان مثل هذا الغم يحمل الانسان على ما لا ينبغي من القول والفعل فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته وتأكيدا لطهارته والثاني انه صلى الله عليه وسلم اعلم ان يفعل لكنه كان ذلك من باب ترك الافضل والاولى فلا جرم ارشده الله تعالى الى اختيار الاولى ووجه ثالث وهو انه صلى الله عليه وسلم لما مال قلبه الى ان يدعو عليهم استأذن ربه فنزلت الآية بالنص على المنع فليس في مثل هذا النهي ما يقدح في عصمته صلى الله عليه وسلم ﴿قوله صريح في نفي وجوب التعذيب﴾ حكم بان الامر كله لله وانه تابع لمشيئته يفعل ما يشاء بحكم الهيئة وقهره وقدرته فله ان يدخل الجنة جميع الكفار وان يدخل النار جميع الابرار لكنه لا يفعل لا لكونه واجبا عليه خلافا للمعتزلة واستشهدوا عليه بما روي عن الحسن انه قال يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واعيوا اهل السنة بانهم يتصامون ويتعامون عن مثل هذه الدلائل فيخبطون خبط عشواء ويظنون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير ومن العجائب انهم يجعلون ما يوافق هواهم من الروايات صحيحا بمنزلة النص القاطع وان لم يعرف لاسناده وجه صحة وما خالفه افتراء وان كان من صحاح الاحاديث والآثار * فان قيل ثبت انه لا يغفر للكفار ولا يعذب الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام * قلنا مدلول الآية انه لو اراد فعله لفعل لانه الغني المطلق الذي لا يسأل عما يفعل ولا اعتراض عليه لاحد وهذا القدر لا يقتضي انه يفعل او لا يفعل ﴿قوله لا تزيدوا زيادات مكررة﴾ كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم مثلا الى اجل ولم يكن المديون واجدا لذلك المال قال زدني في المال حتى ازيدك في الاجل وربما جعله مائتين ثم اذا حل الاجل الثاني فعل ذلك ثم الى آجال كثيرة فيأخذ بسبب تلك المائة اضعافها فهذا هو المراد بقوله تعالى اضعافا مضاعفة واضعافا جمع انتصب على انه حال من الهاء اى متضاعفا ولما كان جمع قلة والمقصود الكثرة وصفه بقوله مضاعفة وهي اسم مفعول لا مصدر ﴿قوله ولعل التخصيص بحسب الواقع﴾ اشارة الى ان الحال ليست لتقييد النهي بها بحيث تنتفي الحرمة عند انتفائها عند من يقول بالمفهوم بل لزيادة التوبيخ والتنبيه على انهم كانوا على هذه الطريقة الشنعاء البعيدة عما يقتضيه الانصاف ﴿قوله راجين الفلاح﴾ لما كانت كلمة لعل للترجي والاشفاق وهما لا يتصوران الا عند الجهل بالعاقبة وذلك على الله تعالى محال جعل الترجي راجعا الى العباد ﴿قوله دليل عزة التوصل﴾ خبر لعل اى من لوازم كونه مرجوا الجوهري عن

﴿او يتوب عليهم او يعذبهم﴾ عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن ﴿فانهم ظالمون﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم ﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملكا فله الامر كله لا لك ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له ﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة﴾ لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين الفلاح ﴿واتقوا النار التي اعدت للكافرين﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة ﴿واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له

(الشئ)

الشيء يعز عزا وعزازة اذا قل حتى لايكاد يوجد فهو عزيز اى قليل الوجود * قال الامام النار التى اعدت للكافرين تكون بقدر كفرهم وذلك ازيد مما يستحقه المسلم بفسقه فكيف قال واتقوا النار التى اعدت للكافرين ثم اجاب بان تقدير الآية اتقوا الجحد وتحريم الربا والاقتصار او كافرين معذبين بعذاب الكفار ومن قرأ وسارعوا بالواو عطفه على ماقبله من الجملة الامرية اى اطيعوا وسارعوا ومن اسقط الواو استأنف الامر بذلك لبيان ان الاطاعة المذكورة تؤدى الى المغفرة وتنكير مغفرة للتعظيم فمرادها ماهو رأس الامور المؤدية اليها واساسها فلذلك قال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة من الربا وسائر الذنوب * وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض لان الامر مطلق فيعم كل المفروضات وقال عثمان بن عفان الى الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وقيل الى الهجرة وقال سعيد ابن جبير انه التكبيرة الاولى وهو مروى عن انس وقيل انه الصلاة وقيل انه جميع الطاعات لان اللفظ عام فيتناول الكل والاولى ان يحمل على اداء جميع الواجبات والتوبة عن جميع المحظورات لانها هى السبب الاول للمغفرة ويحتمل المسارعة الى الجنة اى الى اداء جميع الطاعات المأمور بها المؤدية الى الجنة والثواب فان الغفران معناه ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب فامر بالمسارعة اليها للاشعار بانه لابد للمكلف من تحصيل الامرين ﴿قوله اى عرضها كعرضهما﴾ قدر المضاف لان نفس السموات والارض لايكون عرضا للجنة وذكر فى كون عرضها كعرضهما وجوها الاول ان سبع السموات وسبع الارضين بجمعها او بجعل سطحها واحدا مؤلفا من اجزاء لاتتجزأ لكان ذلك مثل عرض الجنة وهى فى غاية السعة لايعلم قدرها الا الله والثانى ان الجنة التى يكون عرضها كعرضهما انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلابد وان تكون الجنة المملوكة لكل واحد مقدارها هكذا والثالث ماقاله ابو مسلم من ان الجنة لو عرضت بالسموات والارض على سبيل البيع لكانت ثمنا للجنة تقول اذا بعت الشيء بشيء آخر عرضته عليه وعارضته به فصار العرض يوضع موضع المساواة بين الشيئين فى القدر والرابع المبالغة فى وصف سعة الجنة وذلك لانه لاشيء عندنا اعرض منهما ﴿قوله وذكر العرض﴾ جواب عما يقال ان كان المقصود تحديد مقدار الجنة فذلك لايحصل بمجرد تحديد عرضها فلم اقتصر على ذكر عرضها فاجاب بانه ليس المراد تعيين حدها ولا تحديد عرضها بل المقصود من التمثيل المبالغة فى وصفها بالسعة لان الطول يكون اعظم من العرض فالذى يكون عرضه بهذه المثابة يكون طوله على حسب عرضه ونظيره قوله تعالى بطائنها من استبرق فانه تعالى ذكر البطانة ليعلم بان البطانة تكون اقل حالا من الظاهرة فاذا كانت البطانة من استبرق وهو الديباج الثخين فما ظنك بالظهارة ﴿قوله على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم﴾ اما كونها مخلوقة فلقوله اعدت بلفظ الماضى فانه يدل عليه وهذا الدليل يدل ايضا على ان تكون النار مخلوقة واما كون الجنة خارجة عن هذا العالم فلان مايكون عرضه كعرض جميع هذا العالم لايكون داخلا فيه بل يجب كونه خارجا عنه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فأين النار فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله واين الليل اذا جاء النهار * والمعنى والله اعلم اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وسئل انس بن مالك عن الجنة أفى الارض هى ام فى السماء فقال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فأين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش ﴿قوله صفة مادحة﴾ اى من جملة ماسبق من صفات المدح ذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان فى ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين ﴿قوله حالتى الرخاء والشدة﴾ اى حالتى الرخاء والفقر بحيث ينفقون فى كل حالة مايليق بها من قليل او كثير وروى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضى الله عنها انها تصدقت بحبة عنب ﴿قوله او حقه العظيم﴾ هو ان يطاع ولا يعصى وعلى التقادير يكون من باب حذف المضاف وقيل المراد بهذا الذكر ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال لان من اراد ان يسأل الله تعالى فالواجب ان يقدم على تلك المسألة الثناء على الله فههنا لما كان الاستغفار لاجل ذنوبهم وجب عليهم ان يثنوا على الله تعالى ثم يشتغلوا بالاستغفار بان يندموا على مامضى ويعزموا على ترك مثله فى المستقبل واما مجرد الاستغفار باللسان فلا اثر له فى ازالة الذنب وكذا ماهو خطأ اللسان من الاستغفار ﴿قوله استفهام بمعنى النفى﴾ ولذلك وقع بعده الاستثناء والا الله بدل من الضمير المستكن فى يغفر العائد الى من الاستفهامية وقد تقدم فى البقرة انه يختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور مثل مافعلوه الا قليل منهم والتقدير لايغفر الذنوب احد الا الله

(وسارعوا) بادروا واقبلوا (الى مغفرة من ربكم) الى مايستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض (اعدت للمتقين) هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) صفة مادحة للمتقين او بمدح منصوب او مرفوع (فى السراء والضراء) فى حالتى الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لايخلو عن مسرة او مضرة والمعنى لايخلون فى حال ما بانفاق ماقدروا عليه من قليل او كثير (والكاظمين الغيظ) الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا (والعافين عن الناس) التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت (والله يحب المحسنين) يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء او العهد فتكون الاشارة اليهم (والذين اذا فعلوا فاحشة) فعلة بالغة فى القبح كالزنى (او ظلموا انفسهم) بأن اذنبوا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة مايتعدى وظلم النفس ماليس كذلك (ذكروا الله) تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم (فاستغفروا لذنوبهم) بالندم والتوبة (ومن يغفر الذنوب الا الله) استفهام بمعنى النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة

تعالى فان المغفرة لاتطلب الامن الله تعالى القادر على عقاب العبد فى الدنيا والآخرة فكان هو القادر على ازالة ذلك العذاب ﴿قوله ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين﴾ فسر عدم الاصرار على الذنب بعدم الثبات عليه بان يبادر الى الاعتراف به والتوبة والاستغفار منه لما روى عن الحسن ان الثبات على اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب وعن السدى ان الاصرار السكون وترك الاستغفار واصل الاصرار الثبات على الشئ ﴿قوله حال من يصروا﴾ اى من فاعله ومفعول يعلمون محذوف لعلم به اى وهم يعلمون مافعلوه قبيحا مجرما عليهم فان من لايعلم قبح الفعل قد يعذر فى ارتكابه واما العالم بالحرمة فلا عذر له ﴿قوله خبر الذين﴾ اى لقوله والذين اذا فعلوا فاحشة ان ابتدأت به على تقدير ان يكون والذين مرفوعا بالابتداء واولئك مبتدأ ثانيا وجزآؤهم مبتدأ ثالثا ومغفرة خبر الثالث والثالث وخبره خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاول واذا فعلوا شرط جوابه ذكروا وقوله فاستغفروا اعطف على الجواب والجملة الشرطية وجوابها صلة الموصول والمفعول الاول لاستغفروا محذوف اى استغفروا الله لاجل ذنوبهم واما اذا جعل والذين اذا فعلوا معطوفا على قوله والذين ينفقون داخلا فى حكم اعرابه بان يكون صفة مادحة للمتقين او مدحا منصوبا او مرفوعا مثله وكان قوله والله يحب المحسنين جملة معترضة بين المتعاطفين فهذه الجملة حينئذ تكون مستأنفة مبينة لماقبلها والمعنى ان المطلوب بالتوبة امران احدهما العفو عن العقاب والثانى الثواب واليه الاشارة بقوله جنات تجرى من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها حال من الضمير فى جزآؤهم لانه مفعول به فى المعنى لان المعنى يجزيهم الله جنات فى حال خلودهم فيها وهى حال مقدرة ثم بين ان ماحصل لهم من الغفران والجزآء اجر لهم وجزآء عليه حيث قال ونعم اجر العاملين بعد قوله جزآؤهم فانهما مترادفان ﴿قوله ولايلزم من اعداد الجنة الخ﴾ رد على صاحب الكشاف حيث قال وفى هذه الآيات بيان قاطع على ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين دون المصرين ومن خالف ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ﴿قوله وتنكير جنات على الاول﴾ اى على تقدير ان يكون قوله والذين اذا فعلوا فاحشة غير معطوف على ماقبله يكون تنكير جنات لدلالة على ان مالهم من الجنات ليس مثل ماللمتقين الكاظمين العافين بل مالهم ادون بالنسبة الى ماللمتقين واما ان جعل معطوفا على ماقبله يكون تنكيرها للتعظيم ﴿قوله وقائع سنها الله﴾ اى وضعها طريقة مسلكها على صفة الحكمة والمراد ان الله تعالى بين معاملاته فى الامم المكذبة بالهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لما وعد الله تعالى على الطاعة والتوبة بالمغفرة والجنة اعقبه بذكر ما يحملهم على فعل الطاعة والتوبة وهو تأمل احوال القرون الماضية ممن اعرض عن الطاعة والانابة وخالف الانبياء والرسل حرصا على الدنيا وطلب لذاتها فانهم قد انقرضوا جميعا ولم يبق من دنياهم اثر وبقى عليهم اللعن فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فرغب الله تعالى هذه الامة المصدقين فى تأمل احوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم الى الثبات على الطاعة والانابة والاعراض عن الاغترار بالحظوظ الفانية وفيه تسلية للمؤمنين فيما اصابهم يوم احد فان الكفار وان نالوا من المؤمنين بعض النيل لحكمة اقتضته فالعاقبة للمؤمنين قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ان الارض يرثها عبادى الصالحون ولو كانت الغلبة كل مرة للمؤمنين لصار الايمان ضروريا وهو خلاف ماتقتضيه الحكمة الالهية وقال مجاهد بل المراد سنن الله تعالى فى الكافرين والمؤمنين معا لا فى الامم المكذبة فقط فان الدنيا لاتبقى مع المؤمنين ولا مع الكافرين ولكن المؤمن يبقى بعد موته له الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى بخلاف الكافر فانه يبقى عليه اللعن فى الدنيا والعقاب فى العقبى ﴿قوله وقيل امم﴾ اى قيل المراد بالسنن الامم استشهادا بقوله

* ماعاين الناس من فضل كفضلكمو * ولارأوا مثلكم فى سالف السنن *

ولادليل فيه على ذلك لاحتمال ان يكون معناه اهل السنن كما قال الزجاج فى تفسير هذه الآية المعنى اهل سنن فحذف المضاف قال ابو البقاء الفاء فى فسيروا لان المعنى على الشرط اى ان شككتم فسيروا وقوله كيف كان خبر قدم على المبتدأ وهو عاقبة المكذبين وهذا التقديم واجب لتضمنه معنى الاستفهام والجملة فى محل النصب بعد اسقاط الخافض اذ الاصل انظروا فى كذا وليس المراد بقوله فسيروا الامر بالسير لامحالة بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت المعرفة بغير السير فلا سير ولعل اختيار لفظ سيروا مبنى على ان اثر المشاهدة اقوى من اثر السماع كما قيل ليس الخبر كالمعاينة ﴿قوله اشارة الى قوله قد خلت﴾ يعنى ان قوله قد خلت من قبلكم ان لم يكن جملة معترضة بين اسم

﴿ولم يصروا على مافعلوا﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ﴿وهم يعلمون﴾ حال من يصروا اى ولم يصروا على قبح فعلهم عالمين به ﴿اولئك جزآؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها﴾ خبر الذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لماقبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزآء لهم ان لايدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزآء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان مالهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة فى الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ﴿ونعم اجر العاملين﴾ لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزآء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ وقائع سنها الله فى الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل امم قال

ماعاين الناس من فضل كفضلكمو *

ولارأوا مثله فى سالف السنن *

﴿فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ لتعتبروا بماترون من آثار هلاكهم ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اى انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى مالخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن

الاشارة والمشار اليه بل جيء به بعد الفراغ عما لخص من امر المتقين والتائبين لبعث المكذبين على التوبة والتصديق فانه يكون قوله هذا اشارة اما الى قوله قدخلت فانه تعالى بين للمكذبين الحاضرين وقائع التى سبقت فى من سلف من المكذبين على ان يكون المراد بالناس المكذبين الذين خوطبوا بقوله قدخلت من قبلكم على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة ويدل عليه قوله انه مع كونه بيانا للمكذبين الخ واما الى مفهوم قوله فانظروا وهو حثهم على النظر فى سوء عاقبة المكذبين الماضين وهذا الحث بيان للمكذبين الحاضرين سوء عاقبتهم لمشاركتهم الماضين فيه وهذا المشار اليه اى الحث على النظر مع كونه بيانا للمكذبين فهو هدى وموعظة للمتقين وعطف الهدى والوعظ على البيان يشعر بتغاير هذه المفهومات الثلاثة ووجه الفرق بينها ان البيان هو الدلالة على الحق ليتيقن بازالة ما فيه من الشبهة واما الهدى فهو مخصوص بالدلالة والارشاد الى طريق الدين القويم والصراط المستقيم ليدين به ويسلكه والموعظة هو الكلام الذى يفيد الزجر عما لا ينبغى فى الدين وان كان قوله هذا اشارة الى مالخص من امر المتقين والتائبين والمصرّين تكون اللام فى الناس لتعريف الجنس وتكون جملة قوله قدخلت معترضة * واعلم ان قوله تعالى قدخلت من قبلكم سنن وقوله هذا بيان للناس كالمقدمة لقوله تعالى ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن احوال القرون الماضية علمتم ان اهل الباطل وان اتفق لهم الصولة والدولة فمآل امرهم الى الضعف ومآل اهل الحق الى القوّة والعلوّ فلا ينبغى ان تصير صولة الكفار عليكم يوم احد سببا لضعف قلبكم ووهنكم وعجزكم بل يجب ان تقوّوا قلوبكم اعتقادا بان الاعتلاء سيحصل لكم والقوّة والدولة راجعة اليكم ﴿قوله او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم﴾ فانه قدقتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير رضى الله عنه وقدقتل يوم بدر من المشركين سبعون واسر سبعون والمناسب لمايدل عليه ماقبله من انكسار قلوب المؤمنين بسبب مااصابهم فى ذلك اليوم من الوهن والحزن ان يحمل قوله وانتم الاعلون على تبشيرهم بما يقوّى قلوبهم من كون العاقبة لهم وانهم يظفرون بهم ويستولون عليهم آخرا لان الباطل يكون زهوقا وقال ابن عباس رضى الله عنهما انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب فاقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتعل علينا اللهم لاقوّة لنا الابك وتاهب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا حتى هزموهم فذلك قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ﴿قوله متعلق بالنهى﴾ يريد به ان جواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف لدلالة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا عليه لا ان نفس هذا المذكور جواب له لان جواب الشرط لايتقدم عليه عند البصريين ويقولون المذكور مقدما دليل الجواب لانفسه والتقدير والمعنى ان كنتم مؤمنين لاتهنوا ولاتحزنوا بما اصابكم فان الله تعالى وعد نصرة هذا الدين فان كنتم مؤمنين علمتم ان هذه الواقعة لابد من تداولها وان الدولة والاستيلاء على العدوّ للمسلمين وقيل المعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة على المشركين فانتم الاعلون عليهم ﴿قوله فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول﴾ الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل قتل نيف وسبعون رجلا من المشركين وقتل صاحب لوائهم والجراحات كثرت فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم فى اوّل النهار وقتل علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه طلحة بن ابى طلحة وهو كبش الفئة وهو يحمل لواء قريش واخذ اللواء من بعده عثمان بن ابى طلحة فقتله حمزة ثم اخذه ابو سعيد بن ابى طلحة فرماه سعد بن ابى وقاص بسهم فمات مكانه واخذ اللواء من بعده نافع بن طلحة فقتله وقتل منهم رجال آخرون وفرّق الله تعالى شملهم وانزل نصره قال الزبير بن العوّام فرأيت المشركين قدبدت اشرافهم ونساؤهم وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل وعلى مقدمتهم سفيان بن امية وكانت هند امرأة ابى سفيان فى صواحباتها اخذن الدفوف حين حميت الحرب يضربن بها ويقلن

* نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * ان يقبلوا نعانق *

* اويدبروا نفارق * فراق كل وامق *

فلما نظرت الرماة الى القوم ورأوهم قد انكشفوا اقبلوا يريدون النهب والغنائم فطلبت ظهور المسلمين خيول المشركين وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار لما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرّق شملهم وكثر

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم ﴿وانتم الاعلون﴾ وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم فى الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالنهى اى لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوّة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ﴿ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾ قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾ نصرّفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا *

ويوما نساء ويوما نسرّ *

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه

القتل فيهم بعد ذلك ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
الكريم واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة فظن انه قتل
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان فلما
فشا خبر قتله صلى الله عليه وسلم انهزم المسلمون فأصاب منهم القوم قال قتادة قتل من الصحابة سبعون رجلا ستة
وستون من الانصار واربعة من المهاجرين ولما شج ذلك الكافر وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته احتمله
طلحة بن عبيد الله ودافع عنه ابو بكر وعلي ونفر آخرون معهم ثم انه صلى الله عليه وسلم جعل ينادي ويقول الي عباد الله
حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هزيمتهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا خبرنا بقتلك
فاستولى الرعب على قلوبنا فولينا مدبرين فتوجه صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين نحو الجرحى والقتلى منهم
قد دفعوا عنهم الاعداء فانصرف ابو سفيان يقول ان لنا عزى ولا عزى لكم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يجيبوه الله مولانا ولا مولى لكم * وروي ان ابا سفيان صعد الجبل يوم احد وقال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين
ابن الخطاب فقال عمر رضي الله عنه هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول
والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار معذبون فقال ان كان كما تزعمون فقد خبنا اذا وخسرنا
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب وجاءت فاطمة رضي الله عنها ومعها قربة من ماء فسقت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعلت تغسل الدم عن وجهه وكان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغولا بعلي وحمزة
رضي الله عنهما فأتي بعلي وعليه نيف وستون جراحة من ضربة وطعنة ورمية فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كأن لم تكن وجيء بحمزة مقتولا مبعوج البطن مجدوع الانف فبكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال * الشهداء زملوهم بكلومهم ودمائهم وقدموا اكثرهم قرآنا وصلى على حمزة سبعين صلاة وقال ان
حمزة لا بواكي له فبكى نساء المدينة اولا على حمزة ثم على القتلى وصار ذلك عادة الى هذا اليوم قال انس رضي الله
عنه فلم نجد لحمزة كفنا فدفناه بما عليه من الكساء فكلما غطينا رأسه انكشف رجلاه وكلما غطينا رجليه انكشف رأسه
فسترنا رجليه بالاذخر * فان قيل كيف قال قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين * اجيب بان المراد
المماثلة في مجرد الانهزام لا في كيفية عدد القتلى فقد انهزم المشركون يوم بدر كما انهزم المسلمون يوم احد وكذا انهزم
المشركون اولا يوم احد كما انهزم المسلمون بعد ان خالفوا امر الرسول ﴿قوله والايام تحتمل الوصف والخبر﴾
اي يجوز في الايام ان تكون خبر تلك ونداولها جملة حالية والعامل فيها معنى الاشارة اي اشير اليها حال كونها
مداولة ويجوز ان تكون الايام بدلا او عطف بيان او نعتا لاسم الاشارة والخبر هو جملة نداولها
﴿قوله والقصد في امثاله ونقائضه﴾ جواب عما يقال امثال هذه الآية تدل بظواهرها على ان يكون
علمه تعالى معللا بما يتوقف عليه ونقائضها تدل بظواهرها على ان علمه تعالى غير محيط بجميع المعلومات وكلاهما
بين الاستحالة فمن امثالها قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله
ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله لنعلم من يتبع
الرسول وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ومن نقائضها قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقد احتج الحكم بن هشام بهذه الآية على انه لا يعلم حدوث الحوادث الا عند
وقوعها واجاب المتكلمون عنه بان الدلائل العقلية دلت على انه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت ان التغير
في العلم محال الا ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان اي معلومه
وهذه قدرة فلان اي مقدوره وكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم وما يشعر منها بنفي العلم فالمراد
نفي المعلوم على طريقة البرهان لان علمه تعالى بشيء من لوازم تحقق ذلك الشيء ولا شك ان عدم اللازم برهان
عدم الملزوم فان وجه اللازم يكنى به عن تحقق الملزوم فلذلك فسر قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم بقوله
ولما تجاهدوا واشار الى جواب هذا الاشكال اولا بقوله وتميز الثابتون على الايمان ومحصوله ان العلم مجاز
عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فالمعنى تميز الاخلاص من النفاق والمؤمن من الكافر
﴿قوله وقيل معناه﴾ اي قيل في الجواب عن كون الآية مستلزمة لحدوث علمه تعالى وتجدده ان معنى
الآية ليعلم الذين آمنوا موجودين كما علم قبل وجودهم انهم سيوجدون لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم

(الذي)

والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها
يحتمل الخبر والحال والمراد باوقات النصر
والغلبة (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف
على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير
واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح
ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره
وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على
حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات
المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل
معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم
بالشيء موجودا (ويتخذ منكم شهداء)
ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد
او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد

(والله لايحب الظالمين) الذين يضمرون خلاف مايظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين (وليمحص الله الذين آمنوا) ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت عليهم (ويمحق الكافرين) ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة) بل أحسبتم ومعناه الانكار (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون (ويعلم الصابرين) نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) اى الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم احد على الخروج (من قبل ان تلقوه) من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته (فقد رأيتموه وانتم تنظرون) اى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها تمنى غلبة الكفار (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل (أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبدالله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون

الذى لم يوجد ولا يلزم منه تجدد علم الله تعالى وحدوثه ولا كون ذاته تعالى محلا للحوادث لان التغير والحدوث انما هو فى تعلق العلم لا فى نفسه فان صفات البارى تعالى منها اضافات لا وجود لها فى الاعيان كتعلق العلم والقدرة والارادة فان هذه التعلقات اضافات محضة لا وجود لها فى الاعيان وهى متبدلة متغيرة فتغيرها لا يستلزم تغير العلم والقدرة والارادة وقيل فى الجواب ان فى الآية تقدير مضاف اى ليعلم اولياء الله ونسب علمهم الى نفسه تفخيما لشأنهم والظاهر ان من فى قوله تعالى ويتخذ منكم متعلقة بالاتخاذ ويحتمل ان تتعلق بمحذوف على انه حال من شهداء لانه فى الاصل صفة له اى ويتخذ شهداء كائنين منكم يشهدون على الناس بما صدر منهم من الذنوب والمعاصى فان كون الانسان صالحا للشهادة حالة عظيمة لا تثبت له ما لم يكن متنزها عن الرذائل ومتحليا بالفضائل ﴿قوله الذين يضمرون الخ﴾ يعنى ان الظالمين مقابل لقوله الذين آمنوا فيكون المعنى والله لا يحب من ليس ثابتا على الايمان ومن ليس ثابتا يتناول كل واحد من المنافقين والكفار المجاهرين وكلمة او للتنويع ﴿قوله وهو اعتراض﴾ اى بين بعض التعليل وبعض وفائدة الاعتراض التنبيه على انه تعالى انما يديل الكفار على المؤمنين لما ذكر من الفوائد لا لانه يحبهم ﴿قوله بل أحسبتم﴾ اشارة الى ان ام منقطعة اضرب من بيان ماهو السبب الاصلى لمداولة اوقات النصر والغلبة الى خطاب الذين انهزموا يوم احد وانكار حسبانهم اى لا ينبغى لكم ان تحسبوا دخول الجنة كما دخل الذين قتلوا وبذلوا مهجتهم وثبتوا على ألم الجراح والضرب من غير ان تسلكوا طريقتهم وتصبروا صبرهم ﴿قوله ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل﴾ فيدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل جعل نفى العلم كناية عن نفى المعلوم اى أحسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يقع منكم مجاهدة لان كل معلوم يقتضى علما من الله تعالى فاذا نفى العلم نفى المعلوم لاستحالة وقد مر ان القصد فى امثال ذلك من اثبات علمه ونفيه الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان ﴿قوله نصب باضمار ان على ان الواو للجمع﴾ كما فى قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اى لا تجمع بينهما والمعنى ههنا احسبتم ان تدخلوا الجنة وما جمعتم بين المجاهدة والصبر وقيل فتحة الميم هى فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج الى تحريكه واختيرت الفتحة لكونها اخف ﴿قوله على ان الواو للحال﴾ اورد عليه ان واو الحال لا تدخل المضارع فلا يقال جاء زيد ويضحك بل يقال جاء زيد يضحك لان المضارع واقع موقع اسم الفاعل فكما لا يجوز جاء زيد وضاحكا كذلك لا يجوز جاء زيد ويضحك الا ان يؤول بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى وهو يعلم الصابرين فحينئذ يصح جعل الواو حالية واجيب بان قوله لا تدخل على المضارع ليس على اطلاقه بل يقال على المضارع المثبت او المنفى بلا لانها تدخل على المضارع المنفى بلم ولما ومعنى الآية ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد لا يجتمعان ﴿قوله اى فقد رأيتموه معاينين﴾ اشارة الى ان رأيتم بمعنى ابصرتم متعد الى واحد وان جملة قوله وانتم تنظرون حالية مؤكدة جيء بها لدفع ما يحتمل الرؤية من المجاز او الاشتراك بين رؤية البصر ورؤية القلب وقوله فقد رأيتموه يعنى اسبابه من السيوف والاسنة ﴿قوله تعالى وما محمد الا رسول﴾ كلمة ما فيه نافية ولا عمل لها مطلقا اى على لغة الحجازيين والتميميين لان التميميين لا يعملونها البتة والحجازيون يعملونها بشروط منها ان لا ينتقض النفى بالا فانه حينئذ يزول السبب الذى عملت لاجله وهو شبهها بليس فى نفى الحال فيكون مبتدأ ورسول خبره ومحمد هو المستغرق لجميع المحامد لان الحمد لا يستوجبه الا الكامل والتحميد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولى على الكمال اكرم الله تعالى نبيه بوصفين مشتقين من اسمه جل جلاله محمد واحمد وفيه قال حسان بن ثابت رضى الله عنه * ألم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله اعلى وامجد * وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * وصرح صاحب المفتاح بان القصر فيه قصر افراد اخراجا لحالهم لا على مقتضى الظاهر بتنزيل اعظامهم اهلاكه منزلة استبعادهم اياه وانكارهم حتى انهم اعتقدوا فيه وصفين الرسالة والتبرى من الهلاك وقيل بعد من جهة عدم اعتبار الوصف اى قد خلت من قبله الرسل حتى كأنه لم يجعل وصفا بل ابتداء كلام لبيان انه ليس مبرأ من الهلاك فرد عليهم بانه رسول كسائر الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم والفاء فى قوله أفإن مات للسببية فانها تفيد تعليق الجملة الشرطية اعنى مضمون الجزاء مع اعتبار تقييد الشرط بالجملة السابقة وترتبها عليها وتوسط الهمزة لانكار ذلك اى لا ينبغى ان تجعلوا خلو الرسول قبلكم سببا لانقلابكم

بل يجب أن تجعلوا خلوه سببا للتمسك بدينه كما هو حكم سائر الانبياء مع ان انقلابكم على اعقابكم عكس لموجب القضية في الحقيقة وهي كونه رسولا يخلو كما خلت الرسل كذا حققه النحرير المحقق رحمه الله ولم يرض المصنف به بل جعل الفاء لمجرد التعقيب وجعل الهمزة لانكار ارتدادهم بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به فان قوله بعد علمهم معنى الفاء وعبر عما صدر عن الصحابة رضي الله عنهم من الفرار والانهزام واهمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك محافظته ونصرته بالانقلاب على الاعقاب والارتداد على وجه التغليظ بهم واستعظام ذلك منهم اذ من المعلوم ان احدا من المسلمين ما ارتد في ذلك اليوم **قوله بل يضر نفسه** الحصر مستفاد من تقييد الفعل بالمفعول ورجوع النفي الى القيد لا الى اصل الفعل فيكون المعنى انه بارتداده قد صدر عنه ضرر ولكن ذلك الضرر ليس بالنسبة الى الله عز وجل لتعاليه عن الضرر ومعلوم انه ليس بالنسبة الى غير نفسه فتعين انه ليس الا بالنسبة الى نفسه **قوله وما كان لنفس ان تموت** قوله ان تموت في محل الرفع اسما لكان ولنفس خبر مقدم فيتعلق بمحذوف والا باذن الله حال من الضمير لتموت فيتعلق بمحذوف وهو استثناء مفرغ والتقدير وما كان لها ان تموت في حال ما الا في حال كونها مأذونا لها والباء للمصاحبة ولما كان ظاهر الآية يدل على ان الموت فعل اختياري للنفس الا انها انما تفعله اذا اذن لها فيه وليس كذلك لان الموت ليس بمقدور لها عقلا فضلا عن ان يتوقف على الاستئذان والاذن ذكر المصنف في توجيه الآية وجهين الاول انه مجاز عن المشيئة نظرا الى كونه من لوازمها فاذا لم يكن الاذن على حقيقته لم يلزم ان يكون الموت من الافعال الصادرة من النفس واسناد الفعل الى فاعله انما يستلزم قيامه به لا صدوره منه والثاني ان الموت لا يكون الا بقبض ملك الموت الروح وقبضه لا يكون الا باذن الله له فيكون موت الانسان باذن الله له بل لملك الموت وفي الآية حجة على المعتزلة في جعل المقتول مقطوعا عليه اجله لا ميتا بموته لانه تعالى بين ان انقطاع عمر المرء موقت بوقت معلوم لكن الذي قتل فاجله بالقتل والذي مات حتف انفه فأجله ذلك فانما جعل اجل كل احد بما علم انه يكون انقضاء عمره به فان كان موتا فيموت وان كان قتلا فيقتل وما علم الله تعالى انقضاء عمره وموته بالقتل لا يكون موته حتف انفه لانه متحقق قتله ولا يكون المقتول ميتا قبل اجله كما قال المعتزلة فان قالوا يجب على مقتضى قولكم ان من ذبح شاة غيره بغير امره ان لا يضمن قيمتها لانه جعل النفع لصاحبها لانه لو لم يقتلها لكانت تموت وكان في ذلك تلف ماله فكان الذبح احسانا من القاتل في حق المالك وكذلك من قتل غيره يلزم عليه ان لا يجب عليه القصاص ولا يلام على ذلك لانه لو لم يفعل يموت وبسبب قتله ذلك ينال الثواب لكون السيف محاقا للذنوب فنقول هذا تلبيس لان ما علم الله ان يموت بالقتل والذبح لا يكون موته حتف انفه وما كتب في اللوح المحفوظ ان خروج روحه بسبب القتل يكون به لا محالة ولا يكون بدونه كيلا يؤدي الى القول بتغير علم الله وحكمه لكن هو منهي عن ذبح شاة الغير بلا امره وعن قتل الآدمي المعصوم فانه يؤاخذ ويلام بارتكابه مانهي عنه وعلى المكلف مراعاة ظاهر الامر والنهي دون اعتبار حقيقة الحكم والمعلوم الا ترى ان المؤمن يعاقب بارتكاب سائر المعاصي وان علم الله تعالى منه ذلك وكتب في اللوح المحفوظ انه يوجد منه لا محالة ولا يمكن للعاصي الخروج عن ذلك لما فيه من تغيير الحكم لكن لما نهي عن ذلك وكان متمكنا من الانتهاء بالقدرة على ذلك من حيث الاسباب نظرا الى الظاهر دون الباطن يؤاخذ بارتكابه فكذا ما هنا مثله والمراد بالكتاب المؤجل الكتاب المشتمل على الآجال ويقال انه اللوح المحفوظ كما ورد في الاخبار انه تعالى قال للقلم اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة واعلم ان جميع الحوادث لابد وان تكون معلومة لله تعالى وجميع حوادث اهل العالم من الخلق والرزق والسعادة والشقاوة لابد وان تكون مكتوبة في اللوح المحفوظ فلو وقعت بخلاف علم الله تعالى لانقلب علمه جهلا ولانقلب ذلك الكتاب كذبا وكل ذلك محال واذا كان الامر كذلك ثبت ان الكل بقضاء الله تعالى وقدره **قوله وصارت بمعنى كم** اي الخبرية فان اي بعد ان ركب بكاف التشبيه حدث فيه معنى التكثير ونظيره في افادة معنى التكثير بعد التركيب كذا في قولهم عندي كذا درهما والاصل كاف التشبيه وذا الذي هو اسم الاشارة فلما ركبا احدث فيهما معنى التكثير فكم الخبرية وكذا وكائن كلها بمعنى واحد وكان حق الكلمة على هذا ان يوقف عليها بغير نون لان التنوين محذوف حال الوقف الا ان الصحابة رضي الله عنهم كتبوها كأين بالنون فمن ثمة وقف عليها جمهور القراء بالنون اتباعا لرسم المصحف وقرأ ابن كثير وكائن بالف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة بعدها نون ساكنة على وزن كاعن وقرأ الباقون كأين مشددا بوزن كعين وهي لغة قريش ومن اللغة الاولى

وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بارتداده بل يضر نفسه (وسيجزي الله الشاكرين) على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت عليه السلام في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل (كتابا) مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) صفة له اي موقتا لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) اي من ثوابها (وسنجزي الشاكرين) الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد (وكأين) اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي

قول جرير

﴿ وكائن بالاباطح من صديق ﴾ يراني لو اصبت هو المصابا ﴾

قيل هذه اللغة اصلها كأين كقرآءة الجمهور على انها مركبة من كاف التشبيه واي الاستفهامية الا ان الكلمة دخلها القلب بناء على انها صارت بالتركيب كلمة واحدة قدمت الياء المشددة على الهمزة فصار كيأ ن ثم حذفت الياء الثانية لثقلها بالحركة والتضعيف كما قالوا في ايهاتم قلبت الياء الساكنة الاولى الفا فصار كائن ﴿قوله من نبي بيان له﴾ اي تمييز لكأين لانها مثل كم الخبرية الا ان الكثير الغالب في تمييز كأين ان يكون مجرورا بمن ولم يجئ في التنزيل الا كذا نحو وكأين من قرية اهلكناها وكأين من قرية امليت لها واما جر تمييزها فممتنع لان آخرها تنوين ولا يثبت مع الاضافة ﴿قوله علماء اتقياء﴾ سواء كان الربي بفتح الراء او كسرها او ضمها منسوبا الى الرب بالاشتغال الى ما يؤدي الى مرضاته وبالاتقاء عما يجلب سخطه وفتح الراء هو القياس والضم والكسر من تغييرات النسب فان العرب اذا نسبت شيأ الى شيء غيرت حركته كما قالوا بصري في النسبة الى بصرة ودهري في النسبة الى الدهر وقيل لا تغيير فيه لانه منسوب الى الربة وهي الجماعة المتألفة ﴿قوله للمبالغة﴾ الجار فيه متعلق بقوله منسوب فان بناء النسبة قد يكون للمبالغة فالربي بمعنى الجماعة المتكثرة قرأ ابن مسعود وابو رجاء والحسن وعكرمة ربيون بضم الراء وهي لغة تميم والباقون بالكسر وهي اللغة الفاشية العالية وفي الوسيط الربيون الجماعة الكثيرة الواحد ربي وهو قول جمع من المفسرين وفي الصحاح الربي واحد الربيين وهم الالوف من الناس وقيل الربي الفرقة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ان الربي جموع كثيرة وقال ابن مسعود الربيون الالوف وقال الضحاك الربة الواحدة الف وقال الكلبي الربة الواحدة عشرة آلاف وقال الحسن لا اعلم علماء فيها وقيل الاربيون الولاة والائمة والربيون الرعية والاتباع ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو ان يكون القائم مقام فاعل قتل هو ربيون انه قرأ قتل بالتشديد قال ابن جني يتعين ان يسند الفعل في قرآءة التشديد الى الظاهر اعني ربيون لان الواحد لا يقتل اذ التقتيل للتكثير ولا تكثير في الواحد وفي تعيين ما ذكره نظر اذ يجوز ان يكون قتل المشدد مسندا الى ضمير النبي لانه وان كان مفردا بحسب اللفظ فانه في معنى الجماعة حيث وقع تمييزا لكأين الدالة على كثرة تمييزها فلذلك قال النحرير التفتازاني الحق في وجه التأييد لان التكثير مناسب بجمعية الفاعل ويؤيده ايضا ما روي ابن جبير وهو قوله ما سمعنا بنبي قتل في القتال فان قتل على بناء المجهول ان كان مسندا الى ضمير النبي وكان قوله معه ربيون حالا من ذلك الضمير او صفة ثانية لنبي يكون المعنى ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فينبغي ان يكون حالكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم هذا وان كان مسندا الى الظاهر وهو ربيون يكون المعنى وكأين من نبي قتل من كان معه وبقي على دينه ربيون كثيرا فما ضعفوا اي الباقون ولا استكانوا بقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فينبغي لكم ان تكونوا كذلك ويؤيد هذه القرآءة ان المقصود توبيخ المنهزمين الذين انقلبوا على اعقابهم عند سماع ما ارجف به الصارخ بقوله أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فالمناسب لهذا المقصود ان يكون المذكور قتل سائر الانبياء لا اقتالهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه فما بالكم لا تقتدون بهم وتفعلون مثل فعلهم ﴿قوله وهذا تعريض بما اصابهم﴾ اي من الفتور وانكسار الحدة في الحرب والضعف والاستعانة بالكفار حيث ارادوا الاستعانة بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان ويحتمل ان يفسر الوهن باستيلاء الخوف ويفسر الضعف بان يضعف ايمانهم بان تقع الشكوك والشبهات في قلوبهم والاستكانة بالانتقال من دينهم الى دين عدوهم ذكر في استكانوا احتمالين الاول ان يكون اصله استكن على انه افتعل من السكون اشبعت فتحة الكاف فتولد منها الف كقوله ﴿ اعوذ بالله من العقراب ﴾ الشائلات عقد الاذناب ﴾ يريد العقرب الشائلة اي الرافعة ﴿قوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا﴾ الجمهور على نصب قولهم خبرا مقدما والاسم أن وما في حيزها تقديره وما كان قولهم الا قولهم هذا الدعاء اي دأبهم وديدنهم وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه اسم كان والخبر أن وما في حيزها لانه اعرف من المضاف الى المضمر قالوا لانها تشبه المضمر من حيث انها تضمر ولا توصف ولا يوصف بها وقولهم مضاف الى مضمر فهو في رتبة العلم فهو اقل تعريفا وعلله المصنف بقوله لدلالته على جهة النسبة لان الفعل يدل صريحا على انه مسند الى الفاعل ومنسوب اليه بخلاف المضمر المضاف

(من نبي) بيان له (قاتل معه ربيون كثير) ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغيرات النسب كالكسر (فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله) فما فتروا ولم تنكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم (وما ضعفوا) عن العدو او في الدين (وما استكانوا) وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام (والله يحب الصابرين) فينصرهم ويعظم قدرهم (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار منها ثم طلب التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان أن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث

(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم) اي الى الكفر (على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين) نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم (بل الله مولاكم) ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم (وهو خير الناصرين) فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) يريد ماقذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن (بما اشركوا بالله) بسبب اشراكهم به (ما لم ينزل به سلطانا) اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل (ولقد صدقكم الله وعده) اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم (اذ تحسونهم باذنه) تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه

فانه يحتمل ان تكون اضافته ونسبته الى الفاعل او الى المفعول مع قطع النظر من الدلائل الخارجية ومعنى الآية وما كان قولهم عند قتل نبيهم الا هذا الدعاء فقدموا فيه التوبة وطلب مغفرة ذنوبهم الصغائر واسرافهم فيها لانه تعالى لما ضمن النصرة للمؤمنين فلما لم تحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء حملوا ذلك على تقصيرهم في طاعة ربهم بارتكاب الذنوب مطلقا ثم خصوا كبائر الذنوب بالذكر حيث عبروا عن ذنوبهم بقولهم واسرافنا في امرنا ولا شك ان الاسراف في الذنب والافراط فيه كبيرة ويحتمل ان يكون الذنب والافراط واحدا ويكون المقصود من ذكرهما معا المبالغة في الاعتراف بالذنب وفي اضافة سوء الذنب الى انفسهم ثم انهم لما فرغوا من التوبة والاستغفار سألوا ربهم ان يثبت اقدامهم بازالة الخوف عن قلوبهم وازالة الخواطر الفاسدة عن صدورهم ثم سألوا بعد ذلك ان ينصرهم على عدوهم بما يوجب انهزامهم بان يوجد الرعب في قلوبهم او ينزل عليهم امورا سماوية او ارضية او نحو ذلك مدحهم اولا بترك ما لا ينبغي وقت المحاربة وثانيا باتصافهم بما ينبغي ويحسن فيه لتقتدي بهم هذه الامة فيما ﴿قوله وخص ثوابها بالحسن﴾ قال القفال يحتمل ان يكون الحسن بمعنى الحسن كما في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا والغرض في امثاله المبالغة لان الاشياء الحسنة لكونها عظيمة في امر الحسن صارت كأنها نفس الحسن كما يقال فلان عدل وكرم اذا كان في غاية العدل ونهاية الكرم فلذا خصه الله تعالى بانه حسن من جنس الثواب ولم يصف ثواب الدنيا بذلك لكثرة تعلقها وامتزاجها بالمشاق والآلام وكونها منقطعة زائلة ﴿قوله تعالى بل الله مولاكم﴾ مبتدأ وخبر وان نصب لفظ الجلالة بفعل مضمر يدل عليه الشرط الاول يكون مولاكم صفة ولما كان محصول ما قبل كلمة بل النهي عن اطاعة الذين كفروا مع بيان علته وضح مناسبة عطف الجملة الامرية ووجه عطفها عليه وان كان ما بعد بل جملة اسمية تكون معطوفة على قوله يردوكم على اعقابكم لانه في معنى انهم ليسوا انصاركم من حيث انهم لا يعينونكم ويردونكم والمعنى تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا جهل لانهم عاجزون مضطرون فالعاقل انما يطلب النصرة من الله تعالى لانه هو الذي ينصركم على العدو ويدفع عنكم كيده ثم يحكم الله وهو خير الناصرين ولو لم يكن المراد بقوله مولاكم الناصر لم يحسن اتباع هذا القول به ثم وعدهم خذلان اعدائهم بقوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والتفت من الغيبة في قوله وهو خير الناصرين الى التكلم للتنبيه على ما يلقيه تعالى وقدم المجرور على المفعول به اهتماما بذكر المحل بالنسبة الى ذكر الحال والرعب الخوف الذي يحصل قبل هذا الوعد مخصوص بيوم احد لان الآيات المتقدمة انما وردت في تلك الواقعة والقائلون بهذا ذكروا في كيفية القاء الرعب في قلوب المشركين وجهين الاول ان الكفار لما هزموا المسلمين اوقع الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى ان ابا سفيان صعد الجبل وقال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر رضي الله عنه بقوله هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر ودارت بينهم كلمات وما تجاسر ابو سفيان على النزول من الجبل والذهاب اليهم بل اقتصر على قوله يوم بيوم والايام دول والحرب سجال وانصرف الى مكة والثاني ان الكفار لما ذهبوا الى مكة وساروا ما شاء الله ندموا وقالوا ما صنعنا شيأ قتلنا اكثرهم حتى لم يبق منهم الا اليسير تركناهم ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوب الكافرين وهذا انما يقتضي وقوع هذه الخيفة في قلوبهم من بعض الوجوه وذهب جماعة من المفسرين الى انه مخصوص باوائل الواقعة والجمهور على اسكان العين من الرعب وقرئ بضمها فقيل هما لغتان وقيل الاصل الضم وخفف ﴿قوله اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر﴾ يريد ان هذا الوعد هو ما ذكر الله تعالى في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ولما كان النصر الموعود مشروطا بالصبر والتقوى كان تحققه على حسب تحقق شرطه فحين اتوا ببعض ذلك الشرط لا جرم وفى الله بالمشروط واعطاهم النصرة ولما تركوا بعض الشروط لا جرم فاتهم المشروط ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم باحد قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله عز وجل النصر فانزل الله هذه الآية وفعل الصدق يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر بواسطة في وقد تحذف كما في هذه الآية والتقدير صدقكم في وعده يقال صدقته في الحديث وصدقته الحديث واذ تحسونهم معمول لصدقكم والتقدير صدقكم في وعده في ذلك الوقت وهو وقت حسهم اي قتلهم قال الليث الحس القتل فمعنى تحسونهم تقتلونهم قتلا كثيرا قال اصحاب الاشتقاق

فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لانخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله (عصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون) من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم (منكم من يريد الدنيا) وهم التاركون المركز للغنيمة (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الثابتون محافظة على امر الرسول (ثم صرفكم عنهم) ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم (ليبتليكم) على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة (اذ تصعدون) متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكر والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة (ولا تلوون على احد) ولا يقف أحد لأحد ولا ينتظره (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة (في اخراكم) في ساقتكم او جماعتكم الاخرى (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم) عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على مافاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة (والله خبير بما تعملون) عالم باعمالكم وبما قصدتم بها (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو

حسه اذاقتله لان ابطال حسه يكون بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه اذا اصاب رأسه وقوله باذنه اي ملتبسين بمشيئته على انه حال من فاعل تحسونهم ﴿قوله او ملتم الى الغنيمة﴾ قيل الفشل اما مستعمل في اصل معناه وهو الضعف او هو مجاز عن الحرص المسبب عنه ﴿قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون﴾ قيد العصيان بما بعده تنبيها على عظم المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا من المعصية وقوله تعالى ثم صرفكم عطف على ماقبله وهو ولقد صدقكم الله والجملتان من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة اعتراض بين المتعاطفين وقال ابو البقاء ثم صرفكم معطوف على الفعل المحذوف يعني الذي قدره جوابا لقوله اذا فشلتم ولا حاجة اليه ﴿قوله ليبتليكم على المصائب﴾ اشارة الى ان المراد بالبلية المدلول عليها بقوله ليبتليكم هو الصبر والتكليف وفي التيسير قيل هو ابتلاء بلية امر الله بالصبر عليها او وعد الثواب عليه والواو في قوله ويمحص بمعنى او التي لمنع الخلو والمعنى او انه تعالى صرف وجوهكم عنهم بالهزيمة ليظهر من علم انه يصبر عاصيا فان الابتلاء ممن يعلم عواقب الامور هو اظهار ماعلم على ماعلم وممن يجوز عليه الجهل تحصيل العلم لنفسه والظاهر ان الواو على اصل معناها على ان اعمال المشترك في جميع مفهوماته الغير المتضايفة جائز عند الامام الشافعي ﴿قوله تعالى ثم صرفكم﴾ دليل على ان افعال العباد طاعة كانت او معصية انما هي بخلق الله تعالى اضاف الصرف الى نفسه مع ان الانصراف عن العدو فعلهم لكونه فرارا من الزحف وهو من كبائر المعصية وكيف لا والحال انهم خالفوا صريح نص الرسول صلى الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام المسلمين وقتل جمع كثير من اكابرهم ومن المعلوم ان ذلك كله من الكبائر الا انه تعالى عفا عنها تفضلا لان ظاهر الآية يدل على انه تعالى عفا عنهم من غير توبة لان التوبة غير مذكورة فصار هذا دليلا على انه تعالى قد يعفو عن اصحاب الكبائر على غير زعم المعتزلة وقوله والله ذو فضل على المؤمنين يدل على ان صاحب الكبيرة مؤمن وقول المصنف ولما علم من ندمهم ليس المراد به ان التوبة شرط العفو بل لبيان محاذيته لها بدلالة حالهم ﴿قوله متعلق بصرفكم او ليبتليكم﴾ فيكون مابينهما اعتراضا ويحتمل ان يتعلق بعفا نظرا الى قربه اي عفا عنكم اذ تصعدون هاربين لان عفوه تعالى لابد ان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو مابينه بقوله اذ تصعدون وجوز ابو البقاء ان يكون ظرفا لعصيتم او تنازعتم او فشلتم وعلى تقدير كونه ظرفا لمقدر يكون ابتداء كلام لاتعلق له بما قبله وقراءة العامة تصعدون بضم التاء وكسر العين وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء والعين من صعد على الجبل اي رقى والاصعاد مطلق الذهاب في الارض على وجه الابعاد فيها والصعود الانتقال من اسفل الى اعلى وقرئ تصعدون فحذفت احدى التاءين اي ترقون في الجبل قال بعض المفسرين وكلتا القراءتين صواب اذ كان بعض المنهزمين يومئذ مصعدا وبعضهم صاعدا قال ابو معاذ النحوي كل شئ له اعلى واسفل مثل الوادي يقال فيه اصعد اذا انحدر من اعلاه الى اسفله واذا ارتفع كالمراقي على السلم يقال فيه صعد ﴿قوله في اخراكم﴾ اي من ورائكم يقال جئت في آخر الناس وفي اخراهم كما يقال في اولهم وفي اولاهم والمعنى انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى المحاربة مع القوم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من صبر واحتسب فله الجنة ﴿قوله فجازاكم الله﴾ على ان المراد من الثواب معناه اللغوي وهو كل مايعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا الا انه اختص لفظ الثواب بحسب العرف بالخير وقوله غما متصلا بغم اشارة الى انه ليس المراد من قوله غما بغم غمين اثنين وانما المراد مواصلة الغموم وكثرتها قال الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة ماجعلتموهم مغمومين يوم بدر لاجل ان يسهل امر الدنيا في اعينكم فلا تحزنوا بفواتها ولا تفرحوا باقبالها وقوله لتتمرنوا الخ قدره ليصح تعليل المجازاة بالغموم المتضاعفة اذ لا يصح بانتفاء ذلك ﴿قوله فآساكم في الاغتمام﴾ اي اقتدى بكم فيه يقال آسيته مواساة اي جعلته اسوتي وقدوتي والمعنى ان الصحابة رحمهم الله تعالى لما رأوا ان الرسول صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه اغتموا لاجله ثم لما رأى انهم عصوا ربهم بطلب الغنيمة ثم بقوا محرومين منها وقتلت اقاربهم اغتم لاجلهم والترتيب للتعبير والاستقصاء في اللوم ﴿قوله انزل الله عليكم الامن﴾ اعلم ان الذين كانوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الذين كانوا جازمين بانه صلى الله عليه وسلم نبي حق وكانوا قد سمعوا منه صلى الله عليه وسلم ان الله ينصر هذا الدين ويظهره على سائر الاديان فكانوا قاطعين بان هذه الواقعة لاتؤدي الى الاستئصال فلاجرم كانوا آمنين فبلغ ذلك الامن الى حيث غشيهم النعاس لقوة وثوقهم بالله

(يغشى طائفة منكم) اى النعاس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء رداً على الامنة والطائفة المؤمنون حقاً (وطائفة) هم المنافقون (قد اهمتهم انفسهم) اوقعتهم انفسهم فى الهموم اوما يهمهم الاهم انفسهم وطلب خلاصها (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها (يقولون) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون (هل لنا من الامر من شئ) هل لنا مما امر الله ووعده من النصر والظفر نصيب وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا او تصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ اوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ (قل ان الامر كله لله) اى الغلبة الحقيقية لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون اذ القضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء (يخفون فى انفسهم مالا يبدون لك) حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصرة مبطنين الانكار والتكذيب (يقولون) اى فى انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان (لو كان لنا من الامر شئ) كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه اولو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره (ماقتلنا ههنا) ماغلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبره فى سابق قضائه لامعقب لحكمه (وليبتلى الله مافى صدوركم) وليمتحن الله مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا (وليمحص مافى قلوبكم) وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس (والله عليم بذات الصدور) بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على

تعالى وفراغهم من الدنيا فلذلك خلوا من الخوف والاضطراب حتى غشيهم النعاس والفريق الثانى وهم المنافقون الذين كانوا شاكين فى نبوته صلى الله عليه وسلم وماحضروا الا لطلب الغنيمة فهؤلاء اشتد خوفهم وذكر فى اعراب الامنة اربعة اوجه الاول انها مفعول انزل ونعاسا بدل اشتمال لان كلا من الامنة والنعاس يشتمل على الآخر والثانى انها حال من نعاس لانها فى الاصل صفة نعاسا فلما تقدمت انتصبت حالا والثالث انها مفعول له وفيه نظر لاختلال شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان فاعل انزل غير فاعل الامنة والرابع انها حال من المخاطبين فى عليكم وفيه حينئذ تأويلان احدهما حذف المضاف اى ذوى امنة وثانيهما كونه جمع آمن نحو بررة وكفرة فى جمع بار وكافر ﴿قوله تعالى وطائفة﴾ مبتدأ حذف خبره اى ومنكم طائفة وجاز الابتداء بالنكرة لتقدم الحكم وتخصيصها بالوصف والجملة فى محل النصب على انها حال من مفعول يغشى والجملتان بعد طائفة صفتان لها او يكون يظنون حالا من مفعول اهمتهم او صفة اخرى لطائفة ﴿قوله اوقعتهم انفسهم فى الهموم اوما يهمهم الاهم انفسهم﴾ يقال اهمه الشئ اى اقلقه واحزنه واهمه الامر اذا كان مهما معتنى بشأنه فالاول من الاول والثانى من الثانى والحصر مستفاد من المقام لان من كان همه نفسه مشتغلا بشأنه كما فى مثل تلك الحالة الفظيعة لايلتفت الى غيره ﴿قوله على وجه البيان لما قبله﴾ فان من ظن بالله غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به بان يظن كونه عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات مثلا فانه لايثق بقول النبى صلى الله عليه وسلم انه تعالى يقويهم وينصرهم فلا جرم اهمته نفسه ﴿قوله وقيل اخبر ابن ابى﴾ يعنى ان عبد الله بن ابى لما شاوره النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة اشار اليه بان لايخرج من المدينة ثم ان الصحابة رضى الله عنهم الحوا عليه صلى الله عليه وسلم فى ان يخرج اليهم فلم يزالوا يلحون عليه حتى دخل فلبس لامته وتقلد سيفه واخذ رمحه والقى القوس على ظهره فخرج اليهم تام السلاح فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا على ماقالوا فاعتذروا اليه يقولون افعل مابدا لك لاينبغى لك ان تفعل بما قلنا والوحى ينزل عليك فقال لاينبغى لنبى ان يلبس لامته فينزعها قبل ان يقاتل ولما خالف صلى الله عليه وسلم رأى عبد الله بن ابى غضب ابن ابى من ذلك فقال عصانى واطاع الولدان ورجع مع قومه الى المدينة ثم لما بلغه كثرة القتل فى بنى الخزرج قال هل لنا من الامر من شئ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يقبل قولى حين امرته اليه بعدم الخروج من المدينة فليس امرى يطاع ﴿قوله كله بالرفع على الابتداء﴾ ولله خبران كقولك ان مال زيد كله فضة ﴿قوله اولو كان لنا اختيار﴾ يعنون انهم اخرجوا كرها ولو كان الامر بيدهم لم يخرجوا وكان اكثر القتلى يومئذ من الانصار ولم يقتل من المهاجرين الا يسير ﴿قوله اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل﴾ يعنى ان الحذر لايدفع القدر والتدبير لايقاوم التقدير فالذى علم الله منه انه يقتل ويصرع فى هذه المصارع وقدر ذلك فى حقه لابد وان يقتل فيها البتة والا لانقلب علمه جهلا فهؤلاء الذين اهمتهم انفسهم لو قعدوا فى بيوتهم لبرز من بينهم من كتب الله عليه ان يقتل الى مصرعه الذى قتل فيه حتى تحقق قدرة الله وعلمه ﴿قوله وليمتحن الله مافى صدوركم﴾ قدمر مرارا ان الامتحان اذا اسند الى من يعلم العواقب يكون بمعنى اظهار مافى علمه خفيا عنه نقل الامام الواحدى ان الزجاج فسره بقوله اى ليختبر مافى صدوركم وليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة تقع على علمه مشاهدة ثم قال وتقدير الآية وليبتلى الله مافى صدوركم فعل مافعل يوم احد كما قال المصنف وهو علة فعل محذوف ﴿قوله او لمصالح جمة﴾ اشارة الى النكتة فى العطف على علة محذوفة الايماء بان العلة فيه غير واحدة وقوله وليكشفه ويميزه مبنى على مانقله الامام ابو منصور عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الابتلاء والتمحيص واحد وقد فسر الابتلاء بقوله هو الاظهار كقوله يوم تبلى السرائر اى تبدى وتظهر وذلك بوجهين تظهر بالجزاء مرة واخرى بالكتاب فيعلم الخلق من كانت سريرته حسنة بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة ويعلمون كذلك بالكتاب ﴿قوله او يخلصه من الوساوس﴾ قال قتادة اى ليطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واعلان المنافقين وذكر الامام فى تمحيص مافى القلوب وجهين الاول ان هذه الواقعة تمحص قلوبكم عن الوساوس والشبهات والثانى انها تصير كفارة لذنوبكم فتمحصكم عن تبعات المعاصى والسيئات وفسر المصنف مافى الصدور بالسرائر المخفية فيها من الاخلاص والنفاق وهما مختفيان فى القلب الا ان القلوب لما كانت مستقرة فى الصدور لقوله تعالى القلوب التى فى الصدور كانت سرائر القلوب سرائر الصدور بواسطة القلوب وقد عبر عن الاظهار والكشف تارة بالابتلاء وتارة بالتمحيص عبر عن السرائر المخفية فى الانسان تارة بما فى الصدور وتارة

بما فى القلوب تفننا فى العبارة وقصدا لمزيد الكشف والبيان وان اريد بما فى القلوب ما يتناول العقائد والنيات الصحيحة والفاسدة والوسواس والشكوك والشبهات الزائغة يكون اختلاف عبارتى ما فى الصدور وما فى القلوب للتنبيه على اختلاف ما تعلق بهما وان التعلق بما فى الصدور هو الاظهار للخلق والتعلق بما فى القلوب هو تطهير ما فيها من الامور الصحيحة المقبولة عما فيها من الامور الفاسدة كالشكوك والشبهات ونحو ذلك من الضمائر الفاسدة ﴿ قوله انما كان السبب فى انهزامهم الخ ﴾ اختار فى معنى الآية ان يكون المراد بالزلل الذى تضمنه قوله تعالى استزلهم هو الذنوب المفضية الى التولى والانهزام وهى الذنوب التى عبر عنها بقوله تعالى ببعض ما كسبوا فانه اذا قيل استزل بكذا جاز ان يكون الزلل المطلوب مدخول الباء وان يكون غيره والزلل المطلوب ههنا هو مدخول الباء والشيطان لما دعاهم اليه فاطاعوه فيما دعاهم ووقعوا فيه ولم يبق لهم استحقاق التأييد الاهم فمنعوا التأييد المذكور وقوة القلب فتولوا وانهزموا فالجار والمجرور اى ببعض ما كسبوا فى موضع البيان والتقرير لذلك كأنه قيل دعاهم الى الزلل واوقعهم فيه بان اطاعوه واقترفوا الذنوب بمخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فى امره بالثبات فى المركز والحرص على الغنيمة ﴿ قوله وقيل استزلال الشيطان توليهم ﴾ فى العبارة توسع لان الاستزلال هو طلب الزلل والايقاع فيه لا نفس الزلل والمراد ان الزلل الذى تضمنه استزلهم هو نفس توليهم وانهزامهم فرارا من الوصف الذى امر المؤمنون بالثبات عليه والمراد ببعض ما كسبوا الذنوب السابقة وليس معنى كونها سببا للانهزام جرّها اليه بل زعمهم انما تولوا لان الشيطان ازلهم فى حالة القتال بمقارفة الذنوب التى تقدمت لهم فكرهوا لقاء الله تعالى معها واخروا الجهاد لاصلاح حالهم وهذا خاطر خطر ببالهم فكانوا مخطئين فيه ﴿ قوله وكان حقه اذ لقوله قالوا ﴾ يعنى ان اذا ظرف لما يستقبل والعامل فيها قالوا وهو ماض فيلزم ان يكون المستقبل من وقت المسافرة ظرفا للقول الماضى ولا وجه له قال النحرير المحقق حكاية الحال الماضية ان تقدر نفسك كأنك موجود فى ذلك الزمان الماضى او تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن وهذا كقولك قالوا ذلك حين يضربون الآن جئت بلفظ المضارع استحضارا لصورة ضربهم فى الارض ثم قال واعترض بان حكاية الحال انما تكون بعد موتهم فكيف يقيد ذلك بالضرب الواقع حال حياتهم ثم قال واجيب بان اذا ضربوا فى معنى الاستمرار كما فى واذا لقوا الذين آمنوا فيفيد الاستحضار نظرا الى الاستمرار وبان قالوا لاخوانهم فى موضع جزاء الشرط من جهة المعنى اذ التقدير لا تكونوا كالذين كفروا واذا ضرب اخوانهم فى الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فالضرب والقول كلاهما فى معنى الاستقبال وتفريع الموت والقتل انما هو باعتبار الجزء الاخير وهو ماتوا وقتلوا فانه وان لم يذكر لفظا فهو مراد معنى لدلالة قوله ما ماتوا وما قتلوا عليه والمعتبر المقارنة عرفا كما فى قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وكقولك اذا طلع هلال المحرم ابتدئ فى منتصفه ﴿ قوله كعاف وعفى ﴾ من عفا الاثر اذا اندرس قال الشاعر عفاه كل اسحم مستهر ثم لما كان هذا الجمع قليلا سيما فى اسم الفاعل المشتق من الناقص اورد له نظيرا قال الشاعر

❁ ومغبرة الآفاق خافية الصوى ❁ لها قلب عفى الحياض اواجن ❁

الآفاق الجوانب والصوى الاعلام من الحجارة الواحدة صوة والقلب جمع قليب وهى البئر القديمة والعفى الدارسات والاواجن جمع آجنة يصف منازل درست حياضها واجن ماؤها ﴿ قوله وهو يدل الخ ﴾ يعنى ان ذكر اخوانهم بطريق الغيبة حيث لم يقل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم يدل على ذلك وعلى ان قوله لاخوانهم بمعنى لاجلهم وفيهم وليست اللام فيه صلة القول بل هى لام التعليل ﴿ قوله على ان اللام لام العاقبة ﴾ وليست لام العلة والغرض لانهم لم يقولوه لذلك وانما قالوه لتثبيط المؤمنين عن الجهاد والمعنى انهم قالوا ذلك لغرض من اغراضهم فكان عاقبة ذلك القول ومصيره الى الحسرة وهى اشد الندامة قيل فى وجه كون تكلم هذا الكلام حسرة فى قلوبهم انهم يقولون ذلك لغرض من الاغراض الصالحة فيعقبه اقارب ذلك المقتول فتزيد الحسرة فى قلوبهم زاعمين ان من مات او قتل منهم انما مات او قتل بسبب تقصيرهم فى منع هؤلاء من السفر والغزو ومن اعتقد ذلك لاشك انه تزداد حسرته وتلهفه واما المسلم الذى يعتقد ان الموت والحياة لا يكون الا بتقدير الله وقضائه فلا تحصل فى قلبه هذه الحسرة وقيل ان المنافقين اذا القوا مثل هذه الشبهات على اقوياء المسلمين ولم يلتفتوا

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل فى عقوبة المذنب كى يتوب (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى المنافقين (وقالوا لاخوانهم) لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية (او كانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد (والله بما تعملون بصير) تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا

اليهم يضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الحسرة في قلوبهم بذلك وقيل ان هذه الحسرة انما تحصل لهم يوم القيامة حين يرون رفع درجات المسلمين المجاهدين واختصاصهم بمزيد الكرامات واختصاص هؤلاء المنافقين بمزيد الحزن واللعن وسوء العذاب واللام في قوله تعالى ولئن قتلتم هي الموطئة للقسم المحذوف وجوابه قوله لمغفرة وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه ومن ضم الميم في متم يقول انه من مات يموت مت مثل قال يقول قلت ومن كسرها يقول انه من مات يمات مت مثل هاب يهاب هبت وخاف يخاف خفت والاصل موت بكسر العين كخوف واللام في لمغفرة لام الابتداء وتنكيرها الايذان بان اقل شيء مما ذكر خير من الدنيا وما فيها ونظيره قوله تعالى ورضوان من الله اكبر وذكر الرحمة ليس تكريرا للمغفرة لان المغفرة مرتبة على الرحمة فيرحم اهم من يغفر ولان المغفرة هي التجاوز من السيئات والرحمة هي التفضل بالمثوبات ونظم الآية يؤيد هذا الاخير فان قوله لمغفرة اشارة الى من عبده خوفا من عقابه وقوله ورحمة اشارة الى من عبده لطلب ثوابه وقوله لالى الله تحشرون اشارة الى من عبده تحقيقا لعبوديته وعملا بمقتضى الوهيته لا لرغبة في ثوابه ولا لرهبة من عقابه وهذا اعلى المقامات ﴿ قوله وما مزيدة ﴾ كما في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وعما قليل وجند ما هنالك ومما خطيئاتهم فان العرب قد تزيد في الكلام ما يستغنى عنه قال تعالى فلما ان جاء البشير فزادان للتأكيد واللين الرفق والمعنى فبرحمة من الله لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان منهم يوم احد فان القفال حمل بهذه الآية على واقعة احد فكأنه قال فبرحمة من الله لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام وكان ذلك مما اطمع العدو فيك وفيهم ثم ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله تعالى فاما اذا ادى الى ذلك فلا يجوز قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال للمؤمنين في اقامة حد الزنى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فهذه الآية دلت على ان رحمة الله هي المؤثرة في كون رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بالامة فظهر ان لا رحمة الا رحمة الله تعالى ويقرر ذلك وجوه منها انه تعالى لولا ألقى في قلب عبده داعية الخير والرحمة واللطف لم يفعل شيأ من ذلك فاذا ألقى في قلبه هذه الداعية فعل هذه الافعال ومنها ان كل رحيم سوى الله تعالى فانه يستفيد برحمته عوضا اما هربا من العقاب او طلبا للثواب او طلبا للذكر الجميل فان فرضنا صورة خالية من هذه الامور كان السبب في رحمتها الرقة الجنسية فان من رأى حيوانا في الالم رق قلبه وتألم بسبب مشاهدته اياه في الالم فخلصه من ذلك الالم ازالة لرقة قلبه فلو لم يوجد شيء من هذه الاغراض لم يرحم البتة واما الحق تعالى فهو الذي يرحم غيره لا لغرض من هذه الاغراض فلا رحمة الا لله تعالى ﴿ قوله وهو ربطه على جأشه ﴾ اى ربط الله تعالى على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عبارة عن جعله اياه بحيث يتحمل المكروه ولا يتضجر يقال فلان رابط الجأش اى شديد القلب كأنه يربط نفسه عن الفرار بشجاعته وانما جعل الرفق ولين الجانب مسببا عن ربط الجأش لان من ملك نفسه عند الغضب كان كامل الشجاعة حيث يكسر سورة الغضب الموجب لغلظة القلب فلا جرم يحصل الرفق واللين قال الواحدى الفظ الغليظ الجافي يقال فظ يفظ فظاظة فهو فظ واصله فظظ واتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يجز لرسول صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة لانه اذا جاء النص بطل الرأى وقال الكلبي واكثر العلماء على ان المشاورة انما هي في الحروب قال لان الالف واللام في لفظة الامر ليسا للاستغراق بناء على ان ما نزل فيه الوحي لا يجوز فيه المشاورة فوجب ان يكون التعريف للعهد والمعهود السابق في هذه الآية امر الحرب ﴿ قوله تعالى فاذا عزمت ﴾ اى اذا اردت امضاء ما تشاوروا به عليك وقد وطنت نفسك عليه فتوكل على الله لا على مشاورتهم والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد على كفايته قيل من التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله تعالى ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك مشاهدا غيره ٭ قال الامام دلت الآية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقول بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل هو ان يراعى الانسان الاعمال الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق والجمهور على فتح التاء من عزمت خطابا له صلى الله عليه وسلم وقرأ عكرمة وجعفر الصادق وجابر بن زيد بضم التاء على انه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم اذا عزمت انا فتوكل علي ٭ قال الامام وهذا ضعيف من وجهين الاول انه لا يجوز وصفه تعالى بالعزم فيجب ان يقال العزم ههنا بمعنى الايجاب والالزام والمعنى وشاورهم في الامر فاذا عزمت على شيء

(ولئن قتلتم في سبيل الله او متم) اى متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات (لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون) جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء (ولئن متم او قتلتم) على اى وجه اتفق هلاككم (لالى الله تحشرون) لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم (فبما رحمة من الله لنت لهم) اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه (ولو كنت فظا) سيء الخلق جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما لله (وشاورهم في الامر) اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة (فاذا عزمت) فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا (ان الله يحب المتوكلين) فينصرهم ويهديهم الى الصلاح

(ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر (فلا غالب لكم) فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم من بعده) من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به (وما كان لنبى ان يغل) وما صح لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة) يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه (ثم توفى كل نفس ما كسبت) تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى (وهم لا يظلمون) فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم (أفمن اتبع رضوان الله) بالطاعة (كمن باء) رجع (بسخط من الله) بسبب المعاصى (ومأواه جهنم وبئس المصير) الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع (هم درجات عند الله) شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم ذووا درجات (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها

فارشدتك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك احدا والثانى ان القرآءة التى لم يقرأ بها احد من الصحابة لم يجز الحاقها بالقرآن ﴿ قوله او من بعد الله تعالى ﴾ فالضمير على الوجهين لله مع ارتكاب حذف المضاف فى الوجه الاول دون الثانى ﴿ قوله وتحريض على ما يستحق به النصر ﴾ وقد بين الله تعالى فيما تقدم أن من اتقى معاصى الله وصبر على رعاية ما كلف به نصره الله حيث قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فتبين فى هذه الآية أن من نصره الله فلا غالب له فهذا المطلب الذى هو مطمع كل طامع لا شرط بملازمة الطاعة والاتقاء عن المعصية ثبت كون المقصود من هذه الآية التحريض على الطاعة والتحذير من المعصية ﴿ قوله فليخصوه بالتوكل عليه ﴾ هذا الحصر مستفاد من تقديم الجار ووضع المؤمنون موضع الضمير للاشعار بأن صفة الايمان من الصفات المقتضية لتخصيصه تعالى بالتوكل عليه فان الايمان يتضمن التصديق بصفات الله تعالى وآياته وانه هو الذى يتولى امور العباد * واعلم انه تعالى لما بالغ فى الحث على الجهاد اتبعه بذكر ما يتعلق به وهو الغلول الذى هو اخذ شئ من مال الغنيمة خفية وخيانة يقال غل شيأ من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية قال صلى الله عليه وسلم * من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه * وقال صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول والخيانة لكونها سببا للعار فى الدنيا والنار فى العقبى تنافى منصب النبوة التى هى اعلى المناصب الانسانية ﴿ قوله او ظن به الرماة ﴾ قال الكلبى ومقاتل هذه الآية نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم * ظننتم أن اغل فلا اقسم * فنزلت ولم يقسم غنائم بدر فى احدى الروايتين وفى الاخرى انه صلى الله عليه وسلم قسمها بالسوية بعد ان جعلت له صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله بعث طلائع ﴾ طليعة الجيش من يبعث ليطلع طلع العدو اى حقيقة امرهم كالجاسوس فغنم صلى الله عليه وسلم بعد بعث هؤلاء الطلائع اى حصلت غنائم بعد بعثهم فقسمها صلى الله عليه وسلم على من معه ولم يعط الطلائع فنزلت يعنى وما كان لنبى ان يعطى قوما ولا يعطى آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية فهو عليه السلام لم يأخذ لنفسه شيأ من المغنم على وجه الغلول بل لم يقع منه صلى الله عليه وسلم حرمان بعض الغزاة الا انه سمى ذلك غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر فهذه التسمية مبالغة ثانية فى النهى المذكور وقد ثبت اصل المبالغة بقوله تعالى وما كان لنبى فانه ابلغ من ان يقال لا تخص قوما بالاعطاء مع حرمان آخرين ومن قرأ يغل على بناء المفعول جعله من اغل رباعيا وفيه وجهان احدهما ان يكون من اغله اذا نسبه الى الغلول كقولهم اكذبه اذا نسبه الى الكذب فهو نفى فى معنى النهى اى لا ينسبه احد الى الغلول وثانيهما ان يكون من اغله اى وجده غالا كقولهم احمدته وابخلته اى وجدته محمودا وبخيلا فهو راجع الى قرآءة يغل بفتح الياء وبضم الغين لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا ﴿ قوله تعالى يأت بما غل ﴾ يجوز ان يراد انه يأتى بالشئ الذى غله بعينه يحمله على عنقه ويجوز ان يراد انه يأتى بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ﴿ قوله وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب ﴾ على ان يكون معطوفا على قوله يأت بما غل مترتبا عليه فى التحقق مع اشتراك كل واحد منهما فى كونه جواب قوله ومن يغلل الا انه عدل عن هذا الاسلوب وبين ان كل كاسب لا بد ان يجازى سواء كان غالا او غيره لما ذكر من الفائدة ثم انه تعالى لما بين انه لا بد ان يجازى كل كاسب بين ان جزاء المطيع لا يماثل جزاء العاصى فقال أفمن اتبع رضوان الله الآية الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير أمن اتقى فاتبع رضوان الله وقوله تعالى هم درجات عند الله جملة مبينة اما من قبيل التشبيه البليغ فالمعنى هم فى اتباع الرضوان وضده فى تفاوت الجزاء على كسبهم مثل الدرجات فى تفاوتها واما على حذف المضاف اى ذووا درجات واصحاب منازل ورتب فى الثواب والعقاب وقوله عند الله متعلق بدرجات باعتبار تضمنها معنى التفضيل كأنه قيل هم متفاضلون عند الله اى فى حكمه وعلمه وقضائه كما يقال هذه المسئلة عند الامام الشافعى كذا وعند ابى حنيفة كذا وضميرهم راجع الى من فى قوله افمن اتبع رضوان الله لانه فى معنى الجمع ويجوز ان يرجع الى باء فى قوله كمن باء بسخط من الله والى مجموعهما لان كل واحد من اهل الثواب والعقاب وكذا مجموعهما درجات على حسب اعمالهم ولفظ الدرجات يؤيد الاول لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات فى اهل الثواب والدركات فى اهل العقاب ويؤيده ايضا انه اضاف هذه الدرجات الى نفسه وانما يضيف الى نفسه ما كان من قبيل الثواب والرحمة قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ويؤيده ايضا رجوعه الى من باء بسخط كونه

اقرب وذهب اليه الحسن حيث قال المراد به ان اهل النار متفاوتون فى العذاب لقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقال صلى الله عليه وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وانا ارجو ان يكون ابو طالب فى ضحضاحها وقال صلى الله عليه وسلم ان اقل اهل النار عذابا له نعلان من نار يغلى من حرهما دماغه ينادى يارب هل يعذب احد عذابى ويؤيد رجوعه الى الكل ان مراتب الخلق فى المعاصى والطاعات متفاوتة فوجب ان تتفاوت مراتبهم فى درجات العقاب والثواب لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يعنى أن من اتبع رضوانه ومن باء بسخط منه مختلفا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوانه الكرامة ولمن باء بسخطه المهانة والعذاب ومثله روى عن الكلبى وتوفية جزاء كل عامل على حسب عمله لما توقفت على العلم بتفاصيل جميع الاعمال قال تعالى والله بصير بما يعملون تأكيدا لما ذكره من انه تعالى يعطى كل نفس جزاء ما كسبت تاما وافيا ثم انه تعالى لما بين خطأ من نسبه الى الغلول والخيانة بين منته عليهم ببعثته صلى الله عليه وسلم حيث قال لقد من الله على المؤمنين الآية وهو جواب قسم محذوف كانه يقول انا اكتفى فى حقه بان ابين برآءته من الغلول والخيانة لكنى اقول انّ وجوده فيكم من اعظم النعم عليكم فانه يزكيكم من الطريق الباطلة ويعلمكم العلوم النافعة لكم فى دينكم ودنياكم فأى عاقل يخطر بباله ان ينسب مثل هذا الانسان الكريم الى الخيانة فانه نشأ فيابينكم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة والدعوة الى الله تعالى والاعراض عن الدنيا فمن يجوز كونه الآن غالا خائنا والمنان فى صفة الله تعالى المعطى ابتدآء من غير ان يطلب عوضا فقوله تعالى لقد من الله على المؤمنين الآية اى انعم عليهم واحسن اليهم ببعثة هذا الرسول فيهم من حيث انه يدعوهم الى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم الى ثواب عظيم ونعيم مقيم قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لاسيما اذا كان المراد بالمؤمنين من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من قومه لكون بعثته فيهم غاية الاحسان فى حقهم من حيث انه صلى الله عليه وسلم جاء شرفا لهم وفخرا وذلك لان الافتخار بابراهيم كان مشتركا بين اليهود والنصارى والعرب ثم كان لليهود ما يفتخرون به خاصة وهو موسى صلى الله عليه وسلم والتوراة وكان للنصارى ايضا ما يفتخرون به خاصة وهو عيسى صلى الله عليه وسلم والانجيل ولم يكن للعرب ما يقابل مالهم من سبب الافتخار فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب حائزا لجميع الخصال الحميدة والاخلاق المرضية وانزل عليه القرآن العظيم الفائق على جميع الكتب السماوية صار شرف العرب بذلك اتم واكمل بالنسبة الى سائر الامم حتى صار القرآن شرفا له صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك فهذا وجه الفائدة فى قوله من انفسهم وايضا انه صلى الله عليه وسلم لما ولد فيهم ونشأ فيابينهم ولم يشاهدوا منه من اول عمره الى آخره الا الصدق والامانة والعفاف وعدم الميل الى الدنيا والتحلى بمكارم الاخلاق ومحاسن العادات ثم ادعى النبوة والرسالة التى يكون الكذب فيها اقبح وجوه الكذب كان ايمانهم به اسهل بالنسبة الى ايمان من لم يطلع على احواله فكان نعمة بعثته صلى الله عليه وسلم فى حقهم اتم واعظم فلذلك خصهم بكونه منعما عليهم بالنعمة العامة لجميع الامة **قوله وقرئ لمن من الله** بلام الابتدآء الداخلة على من الجارة ومن الله مصدر مجرورها والجار والمجرور فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو منه او بعثه وحذف المبتدأ لوجود القرينة وهى اما قوله لمن من الله او قوله بعث **قوله من نسبهم** روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قوله تعالى من انفسهم يريد به ان نسبه منهم على انه من ولد اسماعيل صلى الله عليه وسلم كما انهم من ولده **قوله والمعنى ان الشأن** ظاهره يدل على ان ان المخففة عاملة واسمها مضمر وهو خلاف ما عليه النحاة من أن ان المخففة انما تعمل فى الظاهر على غير الافصح ولا عمل لها فى المضمر ولا يقدر لها اسم مضمر البتة بل تهمل وتلغى بالتخفيف والظاهر أنّ مراده تفسير المعنى لا توجيه الاعراب حيث لم يصرح بان اسمها محذوف بل قال والمعنى هذه الجملة اما استئنافية لا محل لها من الاعراب او فى محل النصب على انها حال من المفعول فى يعلمهم وهو الاظهر اوردها بيانا لما تكامل به النعم السابقة لان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم وقدرها اجل واعلى **قوله الهمزة للتقرير والتقريع** اى على قولهم لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم احد وادى ذلك الى أن قالوا أنى هذا اى من اين هذه المغلوبية للمشركين فكيف صاروا منصورين علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام وهو استفهام على سبيل الانكار فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل هو من عند

(لقد من الله على المؤمنين) انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) من نسبهم جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم (يتلو عليهم آياته) اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى (ويزكيهم) يطهر من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعنى انّ الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد

انفسكم اى هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم حيث خالفتم الامر بترك الخروج وايضا اخترتم الخروج من المدينة وهو صلى الله عليه وسلم لا يريد الخروج منها وروى عن على رضى الله عنه انه قال جاء جبريل صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ان الله كره ما صنع قومك من اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك أن تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان يأخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكره صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ونرضى بان يستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون رجلا عدد اسارى يوم بدر فهذا معنى قوله قل هو من عند انفسكم اى بأخذكم الفداء واختياركم القتل والواو لعطف ما بعدها من الجملة على الجملة السابقة من قصة احد وهى قوله ولقد صدقكم الله وعده ودخل حرف الاستفهام على واو العطف لان له صدر الكلام ومذهب الزمخشرى فى مثل هذا العطف ان يقدر جملة يعطف ما بعد حرف العطف عليها وهو ما ذكره المصنف بقوله او على محذوف ولما ظرف بمعنى حين منصوب بقلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه وتقدير الكلام أقلتم حين اصابتكم **﴿قوله والحال انكم نلتم ضعفيها يوم بدر﴾** اشارة الى ان قوله قد اصبتم فى موضع الحال من فاعل قلتم فان فعل الجملة الحالية اذا كان ماضيا لفظا او معنى يجوز فيه الواو وتركه كقوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم بدون الواو وفى محل الرفع على انه صفة لمصيبة **﴿قوله فهو كائن بقضائه﴾** روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد من الاذن قضاء الله تعالى بذلك وحكمه وقيل الاذن هنا عبارة عن تخلية الله تعالى الكفار وعدم منعهم عن المسلمين سميت التخلية اذنا لكونها من لوازمه فان الاذن فى الشئ ان تخلى بين المأذون ومراده فلا تمنعه عنه فلما كانت التخلية من لوازم الاذن اطلق لفظ الاذن عليها مجازا وقيل فبأذن الله اى بعلمه كقوله تعالى وأذان من الله اى اعلام وطعن الواحدى فيه فقال الآية تسلية للمؤمنين مما اصابهم ولا تحصل التسلية بكون الانهزام واقعا بعلمه تعالى اذ علمه عام فى جميع المعلومات **﴿قوله ولتميز﴾** اشارة الى ما مر من ان معنى وليعلم الله كذا اى ليتميز ويظهر للناس ما كان فى علمه فذكر فى الآية الاولى ان الذى اصابهم كان من عند انفسهم وذكر فى هذه الآية أن له وجها آخر وهو ان يميز المؤمن من المنافق والظاهر ان قوله وليعلم المؤمنين معطوف على معنى قوله فبأذن الله عطف سبب على مسبب فتعلق اللام بما تعلق به الباء **﴿قوله او كلام مبتدأ﴾** اى جملة مستأنفة اخبر الله تعالى انهم مأمورون اما بالقتال واما بالدفع اى تكثير سواد المسلمين دفعا عن انفسهم واموالهم من غير توقع ثواب الآخرة **﴿قوله تعالى هم الى آخره﴾** هم مبتدأ واقرب خبره وهو افعل التفضيل من القرب الذى هو ضد البعد ويتعدى بثلاثة حروف اللام والى ومن تقول قربت لك واليك ومنك فاذا قلت زيد اقرب من العلم من عمرو فمن الاولى هى المعدية لاصل معنى القرب والثانية هى الجارة للمفضول بعد افعل وقد عدى اقرب ههنا باللام فان كل واحد من قوله للكفر وللايمان متعلق به فان قيل لا يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا اذا كان احدهما معطوفا على الآخر او بدلا منه فكيف تعلقت اللامان هنا بأقرب فالجواب ان هذا خاص بأفعل التفضيل لانه فى قوة عاملين لدلالته على معنيين اصل الفعل وزيادته فيعمل فى كل واحد منهما عملا غير الآخر فتقديره يزيد قربهم الى الكفر على قربهم للايمان وقوله يومئذ متعلق باقرب وكذا منهم ومن هذه الجارة للمفضول بعد افعل وليست المعدية لاصل الفعل ومعنى كون قربهم الى الكفر ازيد يومئذ من قربهم الى الايمان انهم كانوا قبل ذلك الوقت كاتمين للنفاق فكانوا فى الظاهر ابعد من الكفر فلما ظهر منهم ما كانوا يكتمونه صاروا اقرب للكفر فان كل واحد من انخزالهم برجوعهم عن معاونة المسلمين وكلامهم المحكى عنهم يدل على انهم ليسوا من المسلمين **﴿قوله واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير﴾** فان الكلام وان كان يطلق على ما يكون باللسان وغيره الا أن القول لا يطلق الا على ما يكون باللسان والفم فذكر الافواه بعده تأكيد كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه وتصوير لحقيقة القول بصورة فرده الصادر عن آلته التى هى الفم وهذه الجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب واما فى موضع النصب على انها حال من الضمير فى اقرب اى قربوا للكفر قائلين هذه المقالة **﴿قوله فانه يعلمه مفصلا﴾** بيان لوجه كون احد العالمين اعلم من الآخر بالنسبة اليه **﴿قوله على جوده لضن بالماء حاتم﴾** بجر حاتم على انه بدل من الهاء فى جوده وابدال الظاهر من المضمر لا يجوز الا من ضمير الغائب واول البيت

والحال انكم نلتم ضعفيها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين (قلتم) متعجبين (انى) من اين (هذا) الخذلان ولم نزل بنا وقد وعدنا الله النصر (قل هو من عند انفسكم) اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيبكم ويصيب منكم (وما اصابكم يوم التقى الجمعان) جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد (فبأذن الله) فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه (وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدأ (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا) تقسيم الامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين (يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم) يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير (والله اعلم بما يكتمون) من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات (الذين قالوا) رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم

❁ على حالة لو أن فى القوم حاتما ❁ على جوده لضن بالماء حاتم ❁

وقوافى القصيدة مجرورة فلابد من جر حاتم ولا وجه لجره سوى كونه بدلا من الضمير المجرور فى قوله على جوده وقوله على جوده حال من حاتم فيكون ضن مسندا الى ضمير حاتما ﴿قوله من اقاربهم او من جنسهم﴾ يعنى أن المراد من هذه الاخوة اما المشاركة فى النسب او المشاركة فى الدار او فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم او فى الدين والمذهب ﴿قوله مقدر بقد﴾ على انه حال من فاعل قالوا ومجئ الماضى حالا بالواو وقد او بأحدهما او بدونهما كله ثابت فى لسان العرب ﴿قوله تعالى قل فادرأوا عن انفسكم الموت﴾ جواب لقولهم لو اطاعونا ماقتلوا * فان قيل كيف يستدل به على بطلان قولهم مع ظهور الفرق بين الاحتراز من القتل والاحتراز من الموت فان الاول ممكن بخلاف الثانى * فالجواب ان هذا الدليل مبنى على ان جميع ما يجرى فى العالم لايقع الا بقضاء الله تعالى وقدره فانه حينئذ لايبقى فرق بين القتل وبين الموت فيصح الاستدلال والالزام لان من زعم انه يقدر على دفع ما كتب عليه من القتل يلزمه ان يقدر على دفع سائر ما كتب عليه من اسباب الموت واللازم باطل فالملزوم مثله ﴿قوله والمفعول الاول محذوف﴾ اى على تقدير أن يقرأ يحسبن بالياء ولم يسند الى ضمير الرسول ولا الى ضمير من يصلح للحسبان بل اسند الى الذين قتلوا يكون مفعوله الاول محذوفا والتقدير ولايحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله انفسهم امواتا واما اذا اسند الى الضمير فقوله الذين حينئذ يكون مفعولا اولا وامواتا مفعولا ثانيا * فان قيل كيف جاز حذف الاول * فالجواب انه فى الاصل مبتدأ ويجوز حذف المبتدأ عند قيام قرينة تدل عليه كما حذف فى قوله بل احياء اى بل هم احياء ﴿قوله ذووا زلفى منه﴾ يعنى أن العندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على انهم يقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم وقيل عند ربهم اى فى حكمه على منوال قولهم هذه المسألة عند الامام الشافعى كذا وعند غيره كذا وقوله عند ربهم يحتمل ان يكون خبرا ثانيا كقوله احياء وان يكون ظرفا لاحياء لان المعنى يحيون عند ربهم وان يكون صفة لاحياء وان يكون حالا من الضمير المستكن فيه وقوله يرزقون اما خبر ثالث او ثان ان لم يجعل الظرف خبرا واما صفة لاحياء واما حال من الضمير فى احياء اى يحيون مرزوقين واما حال من الضمير المستكن فى الظرف والعامل فيه فى الحقيقة هو العامل فى الظرف فظاهر الآية يدل على ان هؤلاء المقتولين وان فارقت ارواحهم اجسادهم الا انهم احياء فى الحال فانه تعالى حكم عليهم بانهم احياء والمتبادر منه انهم احياء حال نزول الآية فالقول بان المعنى انهم سيصيرون احياء فى الآخرة عدول عن الظاهر بلادليل وايضا انه تعالى قال فى حق اهل العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فدل ذلك على انهم احياء قبل قيام القيامة لاجل التعذيب واذا كان اهل العذاب احياء قبل قيام القيامة لاجل التعذيب فيكون اهل الثواب احياء قبله لاجل الاحسان والاثابة بالاولى لان جانب الرحمة والفضل والاحسان ارجح من جانب العذاب والعقوبة ثم القائلون بان الشهداء احياء فى الحال اختلفوا فمنهم من اثبت الحياة للروح ومنهم من اثبتها للبدن ولابد هنا من تقديم مقدمة ليتضح بها المقام وينكشف ماتطرق من ظلمات الاوهام وهى ان الانسان المخصوص ليس عبارة عن مجموع هذه البنية المخصوصة بل هو شئ مغاير لها لان اجزاء هذه البنية آئلة الى الانحلال والتبدل والتغير والانسان المخصوص شئ واحد باق من اول عمره الى آخره والباقى مغاير للمتبدل فثبت ان الانسان مغاير لهذا البدن المخصوص ثم بعد هذا يحتمل ان يكون جسما مخصوصا ساريا فى هذه الجثة سريان النار فى الفحم والدهن فى السمسم وماء الورد فى الورد ويحتمل ان يكون جوهرا قائما بنفسه ليس بجسم ولاحال فى الجسم وعلى كلا المذهبين لايبعد ان ينفصل ذلك الشئ حيا عند موت البدن فيثاب ويعذب على حسب اعماله والدلائل العقلية والنقلية الدالة على بقاء النفوس بعد موت الاجساد كثيرة متعاضدة فوجب المصير اليها وبها تزول الشبهات الواردة على القول بثبوت العين كما فى هذه الآية وعلى القول بعذاب القبر كما فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا واذا قيل ان النفوس تموت بموت الابدان قلنا انه تعالى اماتها ثم اعاد الحياة فيها كما يدل عليه ما ورد فى بعض الاخبار روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الشهداء ان ارواحهم فى اجواف طيور خضر وانها ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب مطعمهم ومسكنهم ومشربهم قالوا ياليت قومنا يعلمون مانحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا

(لاخوانهم) اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم (وقعدوا) حال مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتال (لو اطاعونا) فى القعود (ما قتلوا) كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بالتشديد فى التاء (قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان اسباب الموت كثيرة وكما أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا) نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل احياء) اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء (عند ربهم) ذووا زلفى منه (يرزقون) من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء

كي يرغبوا في الجهاد فقال الله تعالى انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك فاستبشروا فانزل الله هذه الآية وقال جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه قتل ابي يوم احد وترك لي بنات فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابشرك يا جابر * قلت بلى يا رسول الله قال * ان اباك اصيب باحد فاحياه الله تعالى وكلمه شفاها اي مقابلا ومواجها فقال يا عبد الله سلني ماشئت فقال اسألك ان تعيدني الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال يا عبد الله قد قضيت ان لا اعيد الى الدنيا خليقة قبضتها قال يارب فمن يبلغ قومي ما انا فيه من الكرامة قال الله تعالى انا * فانزل الله تعالى هذه الآية والذين اثبتوا هذه الحياة للاجساد اختلفوا فقال بعضهم ان الله يصعد اجساد هؤلاء الشهداء الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات والكرامات اليها وبعض الناس اورد عليه وطعن فيه فقال انا نرى اجساد هؤلاء الشهداء قد تأكلها السباع ونرى ايضا اجسادهم تبقى ايام الى ان تتفسخ وتنفصل اعضاؤها فعود الحياة اليها مستبعد وان جوزنا كونها حية عاقلة منعمة لزم القول بالسفسطة وقيل القول بانهم احياء ليس المراد به انهم احياء حقيقة بل هو مجاز عن حسن عاقبتهم فان الميت اذا كان عظيم المنزلة في الدين وكانت عاقبته يوم القيامة الى السعادة والكرامة صح ان يقال انه حي وليس بميت كما يقال في الجاهل الذي لا ينفع نفسه ولا غيره انه ميت وكما يقال للبليد انه حمار وللمؤذي انه سبع ﴿قوله ويستبشرون﴾ معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل فرحين ومستبشرين ونظيره قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي وهم يستبشرون فتكون الجملة الاسمية حالا من الضمير المستكن في فرحين او من العائد المحذوف من آتاهم ولا يجوز ان يكون يستبشرون حالا لان المضارع المثبت لا يقع حالا يقع مع الواو ويجوز ان تكون هذه الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الاعراب وبناء استفعل هنا ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو اراحه فاستراح فان البشرى حصلت لهم بتبشير الله تعالى واليه اشار صاحب الكشاف بقوله يبشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والمصنف فسره بقوله يسرون بالبشارة اي يفرحون بأن بشروا بحسن حال من تركوا خلفهم والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل والحزن يكون بسبب فوات المنافع التي كانت موجودة في الماضي فبين الله سبحانه انه لا خوف عليهم فيما يأتيهم من احوال يوم القيامة واهوالها ولا حزن لهم بما فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ينزل على الشهداء صحف مكتوب فيها اسماء من يلحق بهم ممن استشهدوا بعدهم فبذلك يستبشرون اي يفرحون وقيل يستبشرون اي يطلبون البشارة من الله لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم من المؤمنين ولاقربائهم بما نالوا من الكرامة والفضل والنعم التي اعطاهم الله تعالى اياها بسبب الشهادة ليعلوا بكرامتهم عند الله ويطلبوا درجة الشهادة فيبعثهم ذلك على الجهاد الذي هو سبب ذلك والاستبشار يذكر ويراد به الفرح ويذكر ويراد به البشارة وذلك كقوله ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي الآية ﴿قوله وليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف﴾ فان الخوف غم يلحق الانسان مما يتوقعه من المكروه والحزن غم يلحقه من فوات منافع او حصول مضار فذكر النعمة والفضل بيان لقوله ولا هم يحزنون على الواقع ومن كان متقلبا في النعمة والفضل كيف يحزن على ما وقع وقوله وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بيان لنفي الخوف لانه يتعلق بالمتوقع فذكر ان اعمالهم مشكورة لا تضيع اجورها بيان انه لا يلحقهم الغم مما يتوقع فيكون الاستبشار الثاني ايضا بحال اخوانهم حتى يكون ما ذكر من احوالهم ثانيا مغايرا لما ذكر من احوالهم اولا ولا يلزم منه ان يكون يستبشرون المذكور ثانيا تأكيدا لما ذكر اولا ﴿قوله ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم﴾ لما تقرر ان ضمير عليهم ويحزنون راجع الى الذين لم يلحقوا بهم والمعنى يستبشرون بان الذين لم يلحقوا بهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا الاستبشار بحال انفسهم فيكون استئنافا لبيان فرحهم بحال انفسهم بعد بيان فرحهم بحال اخوانهم فلذلك لم يعطف وترك العاطف على الوجه الاول بناء على كونه تأكيدا ليستبشرون الاول حيث قصد به بيان متعلق الاستبشار الاول فان قيل أليس قد ذكر فرحهم باحوال انفسهم بقوله فرحين بما آتاهم الله من فضله والفرح الاستبشار فيلزم التكرار فالجواب منع ان الفرح عين الاستبشار بناء على ان الاستبشار الحاصل بالبشارة يجوز ان يحصل بالفرح للشهداء من وجهين فرح بما آتاهم الله من فضله في الحال وفرح بان يبشروا بما يحصل لهم في الآخرة من السعادة العظمى

﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ﴿ويستبشرون﴾ ويسرون بالبشارة ﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾ اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم ﴿من خلفهم﴾ اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة ﴿ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ﴿يستبشرون﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم ﴿بنعمة من الله﴾ ثوابا لاعمالهم ﴿وفضل﴾ زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم

(وان الله لا يضيع اجر المؤمنين) من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح) صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره (للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم) بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت (الذين قال لهم الناس) يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه (ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله (فزادهم ايمانا) الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج (وقالوا حسبنا الله) محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) عافية وثبات على الايمان وزيادة (بيانا)
فيه (وفضل) ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا (لم يمسسهم سوء) من جراحة وكيد عدو (واتبعوا رضوان الله) الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه

والكرامة العليا ﴿قوله عطف على فضل﴾ والتقدير يستبشرون بنعمة الله وفضله وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين ووضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان الثواب الواصل الى الشهداء ليس مخصوصا بهم بل بكل مؤمن يستحق شيأ من الاجر والثواب وانه تعالى يوصل اليه الثواب الموعود على عمله ولا يضيعه ﴿قوله على انه استئناف معترض﴾ يرد عليه ان الاعتراض هو ان يؤتى في اثناء كلام او بين كلامين متصلين معنى بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب لنكتة سوى دفع الايهام فهو يباين التتميم لانه انما يكون بفضلة والفضلة لا بد لها من اعراب ويباين التكميل لانه انما يكون لدفع ايهام خلاف المقصود وما نحن فيه ليس من هذا القبيل لانه لم يقع في اثناء كلام ولا بين كلامين متصلين معنى فجعله اعتراضا مبني على مذهب من جوز وقوع الاعتراض آخر جملة لا يليها جملة متصلة بها اما بان لا تلي الجملة جملة اخرى اصلا فيكون الاعتراض في آخر الكلام او تليها جملة اخرى غير متصلة بها معنى فالاعتراض على هذا المذهب ان يؤتى في اثناء الكلام او في آخره او بين كلامين متصلين او غير متصلين بجملة او اكثر لا محل لها من الاعراب وقد يجري صاحب الكشاف على هذا المذهب في مواضع منها هذا الموضع ﴿قوله تعالى الذين استجابوا لله﴾ اي اجابوا واطاعوا في الامر والنهي واستجاب بمعناه كما في قوله تعالى فليستجيبوا لي ﴿قوله بجملته﴾ اشارة الى انه جملة اسمية قدم الخبر فيها على المبتدأ وهو اجر عظيم ﴿قوله ومن للبيان﴾ يعني ان كلمة من في قوله تعالى للذين احسنوا منهم ليست للتبعيض لان الذين استجابوا لله والرسول كلهم قد احسنوا لا بعضهم بل هي لبيان الجنس وحصل المعنى للذين استجابوا لله والرسول لهم اجر عظيم الا انهم وصفوا بوصفي الاحسان والتقوى مدحا لهم وتعليلا لعظم اجرهم بحسن افعالهم والاحسان يدخل تحته الاتيان بجميع المأمورات والتقوى يدخل تحتها الانتهاء عن جميع المنهيات والمكلف عند هذين الامرين يستحق الثواب العظيم • قال الامام مدح الله المؤمنين على غزوتين تعرف احداهما بغزوة حمزة والاخرى بغزوة حمراء الاسد وهي المرادة من هذه الآية فهذه الغزوة وقعت عقيب غزوة احد وغزوة بدر الصغرى وقعت بعدها بسنة فانه قد روي عن ابن عباس قال لما عزم ابو سفيان على ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى نلتقي بها ان شئت قال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر الا ان هذا العام عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا ارجع ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فاذهب الى المدينة فثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فجاء نعيم المدينة فوجد المسلمين يتجهزون فقال ما هذا بالرأي اتوكم في دياركم وقتلوا كثيرا منكم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فأثر هذا الكلام في قلوب قوم منهم فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال والذي نفس محمد بيده لاخرجن اليهم وحدي ثم خرج صلى الله عليه وسلم ومعه نحو من سبعين رجلا فذهبوا الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وكانت موضع سوق لبني كنانة يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه هناك احدا من المشركين واتوا السوق وكان معهم نفقات وتجارات فباعوا واشتروا أدما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وهذا وجه اتصال بدر الصغرى بغزوة احد واما اتصال غزوة حمراء الاسد بها فهو ما ذكره المصنف بقوله روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء وهو بالمد موضع بين مكة والمدينة ﴿قوله الا من حضر يومنا﴾ اي وقعتنا والعرب تسمي الوقائع ايام كما قال تعالى وذكرهم بايام الله ﴿قوله فتحاملوا﴾ اي حملوا المشقة على انفسهم ﴿قوله فلم يفلت﴾ اي لم يتخلص يقال افلت الشيء وتفلت وانفلت اذا تخلص فلتة اي فجاءة والشريد الفار النافر البعيد ﴿قوله تعالى وقالوا حسبنا الله﴾ عطف على قوله فزادهم ايمانا وحسب بمعنى اسم الفاعل وهو محسب بمعنى كاف ولذلك كانت اضافته غير محضة لان اضافة اسم الفاعل الى معموله لا تفيد التعريف والفاء في قوله تعالى فانقلبوا فصيحة والمعنى خرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه كقوله تعالى فاضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق وقوله بنعمة متعلق بمحذوف على انه حال من ضمير انقلبوا اي انقلبوا متلبسين بنعمة وملابسين لها وكذا لم يمسسهم سوء حال من فاعل انقلبوا اي سالمين من السوء واتبعوا عطف على انقلبوا ﴿قوله والشيطان خبر ذلكم﴾ لان كلمة انما صارت مكفوفة عن العمل بما الكافة فذلكم مبتدأ والشيطان خبره ويخوف اولياءه جملة مستأنفة جيء بها

بيانا لتشبيه ويحتمل ان يكون الشيطان صفة اسم الاشارة ويخوف هو الخبر حينئذ ويحتمل ان يكون ذلكم الشيطان مبتدأ وخبرا ويخوف اولياءه حال بدليل وقوع الحال الصريحة في مثل هذا التركيب نحو قوله تعالى هذا بعلي شيخا فتلك بيوتهم خاوية وعلى التقادير جعل المثبط شيطانا على التشبيه البليغ وعلى تقدير ان يكون المعنى انما ذلكم القول الصادر من المثبط قول الشيطان حقيقة ويكون المجاز في الاسناد حيث اضيف قول المثبط الى ابليس لكونه سببا حاملا له على ذلك القول ﴿قوله يخوف اولياءه القاعدين﴾ لما اوهم ظاهر النظم انه تعالى جعل المؤمنين اولياءه لان الذين سماهم الله تعالى بالشيطان انما قصدوا تخويف المؤمنين فلما قيل الشيطان يخوف اولياءه توهم ذلك دفع التوهم بتفسير الآية على وجه لا يرد ذلك التوهم ولا بد ان يعلم اولا ان خاف بدون التضعيف يتعدى الى واحد وبالتضعيف يتعدى الى اثنين يقال خاف زيد القتل ويجوز حذف مفعوليه او احدهما اقتصارا واختصارا فالمصنف رحمه الله تعالى اشار اولا الى ان اولياءه هو المفعول الاول ومفعوله الثاني محذوف والتقدير يخوف اولياءه المنافقين غلبة المشركين وقهرهم ليقعدوا عن قتالهم فالمراد باولياء الشيطان حينئذ هم المنافقون ومن في قلوبهم مرض ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج والمعنى ان تخويفه بالكفار انما يتعلق بالمنافقين الذين هم اولياؤه واما انتم فاولياء الله وحزبه الغالبون لا يتعلق بكم تخويفه فالضمير المنصوب في قوله فلا تخافوهم للناس الثاني الذين هم ابو سفيان واصحابه لا للاولياء الذين اثر فيهم تخويف الشيطان فخافوا ولم يخرجوا الى قتال المشركين اذ لا معنى للنهي عن الخوف منهم ثم اشار بقوله او يخوفكم اولياءه الى ان المحذوف هو المفعول الاول كما تقول اعطيت المال تريد اعطيته فلانا المال فالمراد باوليائه على هذا الكفار الذين ذكروا بقوله ان الناس قد جمعوا لكم ولا بد من حذف مضاف اي قهر اوليائه لان الذوات لا يخاف منها فعلى هذا ضمير فلا تخافوهم للاولياء لان الشيطان يخوف المؤمنين منهم فنهى الله تعالى عن ان يخافوا منهم وجواب قوله ان كنتم مؤمنين محذوف وما قبله دليل عليه عند البصريين وهو من باب الهاب الحمية والتهكم على امتثال الامر اذ لا وجه لحمله على الشك والتشكيك ﴿قوله يقعون فيه سريعا﴾ يريد ان يسارعون كان حقه ان يتعدى بالى لكن قيل يسارعون فيه على انه ضمن معنى الوقوع وقرئ يسرعون من اسرع وقراءة الجماعة ابلغ لان الذي يسارع غيره اشد اجتهادا من الذي يسرع وحده وقراءة نافع يحزنك بضم حرف المضارعة من احزن رباعيا والباقون بفتح الياء من حزنه ثلاثيا وفعل وافعل هنا بمعنى يقال حزن الرجل بالكسر فاذا ارادوا تعديته عدوه بالفتحة والمسارعون في الكفر هم المنافقون الذين يسارعون الى ما يعتنوه من الكفر مظاهرة للكفار وقيل ان قوما من الكفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فوقع الغم في قلبه صلى الله عليه وسلم بذلك من حيث انه فات بارتدادهم شيء مما هو المقصود بالبعثة وهو اهتداء الضالين وكثرة سواد المؤمنين وقد انضم اليه خوف انهم بسبب ردتهم يضرونه ويعينون عليه فنهاه الله تعالى عن ان يحزن باحتمال اضرارهم اياه وعرفه صلى الله عليه وسلم ان وجود ايمانهم كعدمه في ان عزة الاسلام والمسلمين لا تتغير بتغير احوالهم ﴿قوله والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك﴾ جواب عما يقال ان الحزن على كفر الكافر ومعصية العاصي من جملة الطاعة فلما كان المنهي عنه حزنه صلى الله عليه وسلم باحتمال اضرارهم اياه صلى الله عليه وسلم بان يزاحموه في اظهار دينه وتقرير شريعته عند القيام بما هو مقتضى نبوته سقط ما توهم من كونه نهيا عن الطاعات ﴿قوله يحتمل المفعول﴾ فيكون منصوبا على اسقاط الخافض اي لن يضروه بشيء ويحتمل المصدر اي لن يضروه شيئا من المضرات والمراد بقوله لن يضروا الله شيئا انهم لن يضروا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عبر عن هذا المعنى باضرار الله للدلالة على منزلتهم عند الله وان الاضرار بهم في حكم الاضرار به تعالى ﴿قوله وهو يدل على تمادي طغيانهم﴾ يعني ان الآية نزلت في قوم مخصوصين علم الله سبحانه وتعالى انهم لا يؤمنون ودلت على ان جميع الحوادث من الخير والشر والكفر والايمان انما هو بخلق الله تعالى بارادته ومشيئته لا كما زعمت المعتزلة من انه تعالى يريد الايمان والطاعة لكل كافر وعاص ففي الآية ابطال لما ذهبوا اليه لانه تعالى اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولو كان اراد لهم الايمان والطاعة لكان اراد لهم الحظ في الآخرة بارادة الايمان والطاعة لان كل واحد منهما ينال به الحظ في الآخرة وقد نص الله تعالى على انه اراد حرمانهم من نصيب الآخرة وذلك يستلزم انه تعالى اراد منهم ان لا يؤمنوا جميعا وانما اراد الايمان ممن علم منهم وجود الايمان وارادته عدم ايمانهم

ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس (يخوف اولياءه) القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه (فلا تخافوهم) الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني (وخافون) من مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله (انهم لن يضروا الله شيئا) اي لن يضروا اولياء الله شيئا بمسارعتهم في الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي حيث وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل (يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة) نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة (ولهم عذاب عظيم) من الحرمان عن الثواب (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم) تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب

مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين لقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون و المفعول الثاني على القراءة محذوف ... ولا تحسبن الذين كفروا
احتساب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط
والكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع مافي حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء ﴿ انما نملي لهم ليزدادوا اثما ﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه مافرط منهم ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له مايدل عليها ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه (اياهم)
عليه السلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت

تابعة ومتفرعة على علمه تعالى بتمادي طغيانهم وسوء اختيارهم ﴿ قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا ﴾ قرأ الجمهور تحسبن بياء الغيبة وحمزة بتاء الخطاب لما ذكر الله تعالى أن من قتل من المؤمنين في سبيل الله احياء يرزقون فرحين مستبشرين واثنى عليهم وعلى من بقي منهم بما هو اللائق بهم ذكر في تسليتهم ايضا ان بقاء من لم يقتل من الكفار يوم احد ليس خيرا لهم وانما امهلوا ليزدادوا اثما في الدنيا والعذاب المذل في الآخرة ﴿ قوله لان التعويل على البدل ﴾ والمبدل منه في حكم الساقط ولما كان المقصود هو البدل صار كأنه لم يقع الاقتصار على احدهما لان البدل كاف في تمام الكلام لكون ان المفتوحة مع الاسم والخبر صالحة لان تقع موقع المفعولين اما باعتبار حصول المقصود اعني تعلق افعال القلوب بالنسبة بين المبتدأ والخبر واما باعتبار الحذف اي لا تحسبن خيرية الاسلام ثابتة واستشهد لكون المفتوحة واقعة موقع المفعول بقوله تعالى ام تحسب أن اكثرهم يسمعون ﴿ قوله او المفعول الثاني ﴾ عطف على قوله بدل منه ولابد على هذا التقدير من حذف مضاف اما من الاول واما من الثاني كما ذكره لان انما نملي لهم في تأويل المصدر يعني من المعاني وقد تقرر ان المفعول الثاني في هذا الباب صادق على الاول متحد معه في المعنى ﴿ قوله وكان حقها ان تفصل في الخط ﴾ لان ما عدا ما الكافة سواء كانت مصدرية او موصولة تكتب منفصلة والمراد بالامام مصحف عثمان رضي الله عنه فانه امام المصاحف يجب اقتداء جميع المصاحف به ﴿ قوله وان مع ما في حيزه مفعول ﴾ اي ساد مسد المفعولين والطول هو الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه ﴿ قوله تعالى انما نملي لهم ﴾ جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء زيادة في الاثم وهي لا تتعلق الا بالارادة فهو مريد لها كما انه مريد لاسبابها المؤدية اليها فصح القول بان اللام في قوله ليزدادوا لام الارادة او ما بالهم ظنوه خيرا فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما وان هنا مكفوفة بما ولذلك كتبت متصلة على الاصل ﴿ قوله واللام لام الارادة ﴾ اي عند اهل السنة القائلين بانه تعالى فاعل الخير والشر فان الاملاء هو اطالة العمر وهي لا شك انها من افعاله تعالى وانها ليست بخير لهم لانهم يتوسلون بها الى ازدياد الاثم والطغيان كما انه خالق لذلك الاثم ايضا وليست لام العلة لان افعاله تعالى ليست معللة بالاغراض والمعتزلة لما قالوا انه تعالى ما يريد بعباده الا ما هو الخير لهم ولا يريد منهم الكفر والمعاصي أبوا ان يجعلوها لام الارادة فقالوا انها لام العاقبة فانه تعالى انما خلقهم واملى لهم ليطيعوه الا انهم لم يجعلوا ذلك وسيلة الى الطاعة بل كان مؤداه الضلالة والغواية فكأنه تعالى فعل ذلك لاجل الضلالة ومثلها يسمى لام العاقبة ﴿ قوله وقرئ انما بالفتح ﴾ اي انما الثانية بفتح الهمزة وانما الاولى بكسرها فيكون قوله الذين فاعل يحسبن بالياء وانما المفتوحة مفعوله ويكون قوله ولهم عذاب مهين حالا من واو ليزدادوا واللام في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين تسمى لام الجحود وينتصب بعدها المضارع باضمار ان ولا يجوز اظهارها والفرق بينها وبين لام كي ان هذه شرطها على المشهور ان تكون بعد كون منفي ومنهم من شرط مضي الكون ومنهم من لا يشترط الكون وخبر كان هنا وفي نظائرها محذوف وهذه اللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف مقوية لتعديته لضعفه والتقدير وما كان الله مريدا لان يذر فان ان يذر مفعول مريدا والمعنى ما كان الله مريدا ان يذر المؤمنين وقال الكوفيون ان اللام زائدة لتأكيد النفي وان الفعل بعدها هو خبر كان واللام عندهم هي العاملة على النصب في الفعل بنفسها لا باضمار ان والتقدير عندهم ما كان الله يذر المؤمنين وهذه الآية لبيان الحكمة فيما وقع من وقعة احد من القتل والهزيمة ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج الى جانب العدو وما كان لهم من الحاجات ثم دعاهم مرة اخرى الى بدر الصغرى فاخبر سبحانه وتعالى ان الحكمة الالهية اقتضت ان يميز الخبيث من الطيب ثم بين ان ذلك التمييز لا يجوز ان يحصل بان يطلعكم الله تعالى على غيبه فيقول ان فلانا منافق وفلانا مؤمن وفلانا من اهل الجنة وفلانا من اهل النار فان سنة الله جارية على ان لا يطلع عوام الناس على غيبه بل لا سبيل لكم الى معرفة ذلك التمييز الا بالامتحانات مثل ما وقع في وقعة احد من المحن والآفات ومعرفة ذلك على سبيل الاطلاع على الغيب انما هي من خواص الانبياء كما قال تعالى ولكن الله يجتبي الآية ثم انه تعالى لما بين انه حكيم لا يفعل ما يفعله من المحن والمضار الا حسبما تقتضيه الحكمة وان ما وقع في وقعة احد ليس لخلل في نبوته صلى الله عليه وسلم كما زعمه المنافقون وطعنوا بذلك في نبوته صلى الله عليه وسلم وقالوا لو كان نبيا لما اصابه هذه الحوادث المكروهة فرع عليه فآمنوا بالله ورسله ولم يقل ورسوله للايماء الى طريق اثبات نبوة جميع الانبياء واحد وهو تصديق الله

اياهم بخلق المعجزات وخوارق العادات فى ايديهم فمن لم يؤمن بواحد منهم لم يؤمن بالجميع ومن اقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة الجميع ولما امرهم بالايمان بالجميع ذكر عقيبه ما وعده من الثواب فقال تعالى وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ﴿قوله ليتطابق مفعولاه﴾ اى فى صدق كل واحد منهما على الآخر وصحة حمله عليه فان خيرية البخل قبل ذكر ما يدل عليه فيه نظر لان الدلالة على المحذوف قد تكون متقدمة وتكون متأخرة وليس هذا من باب الاضمار فى شئ ليشترط فيه تقدم ما يدل على ذلك المضمر ولفظ هو توسط بين مفعولى تحسبن ولا محل له من الاعراب والا لوجب ان يكون اما مبتدأ او بدلا او تأكيدا والاول منتف لنصب ما بعده وهو خيرا وكذلك الثانى لان البدل يجب ان يوافق ما قبله فى الاعراب فكان ينبغى ان يقال اياه لا هو وكذلك الثالث لان المضمر لا يؤكد المظهر والمفعول هنا اسم مظهر ولكنه حذف لما ذكر من ان التقدير لاتحسبن بخل الذين وحذف البخل لدلالة يبخلون عليه هذا على قرآءة حمزة بالتاء الفوقية واما على قرآءة الباقين بالياء التحتية فيجوز ان يكون الفعل وهو يحسبن مسندا الى ضمير غائب ويكون عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن حاسب ما ويجوز ان يكون مسندا الى الذين فان كان مسندا الى الذين فالمفعول الاول محذوف لدلالة يبخلون عليه كأنه قيل ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم وهو فصل كما مر والبخل عبارة عن الامتناع عن اداء الواجب والامتناع عن التطوع لا يكون بخلا ولذلك قرن به الوعيد والذم والواجب كثير كالانفاق على النفس والاقارب الذين تلزمه مؤونتهم والزكاة وعلى الغير حال المخمصة وفى حال الجهاد عند الاحتياج الى التقوية بالمال ووجه مناسبة الآية لما قبلها انه سبحانه وتعالى حرض المؤمنين على بذل النفس فى الجهاد او لانه حرضهم على بذل المال فيه وبين وعيد من يبخل به ﴿قوله بيان لذلك﴾ اى لكون البخل شرا لهم ﴿قوله سيلزمون وبال ما بخلوا به﴾ اشارة الى ان تطويقهم بما بخلوا به ليس على حقيقته اذ لا طوق ثمة بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه لزوم وبال البخل واثمه بهم بلزوم طوق نحو الحمامة بها فى عدم زوال كل واحد منهما عن صاحبه فعبر عن لزوم الوبال بهم بالتطوق واشتق منه يطوقون كما يقال منة فلان طوق فى رقبة فلان وقيل هو على حقيقته وانهم يطوقون حية او طوقا من نار استدلالا بالحديث فانه يدل على ان ما بخلوا به من الاموال يصير حيات يطوقون بها والشجاع ضرب من الحيات ويقال له الاشجع ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون * وفى رواية * الا مثل له يوم القيامة شجاعة اقرع يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه فى عنقه * وفى رواية * يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك * والاقرع الذى لم يبق على رأسه شعر لكبره وطول عمره والنهش بالشين المعجمة لسع الحية وبالمهملة يعم لسع الحية وغيرها من نحو العقرب والكلب والقرن جانب الرأس والزبيبتان النكتتان السودا وان فوق عينيه ﴿قوله تعالى ولله ميراث السموات والارض﴾ ما يتوارثه اهلهما سواء كان فى عرف الشرع مالا او غير مال كالولاية والاحوال التى تنتقل من واحد الى آخر واهل فى اهل السماء ايضا مثل ذلك والمعنى انه يفنى اهلهما ويبقى ما فيهما من الاموال والاملاك ولا مالك له الا الله فاجرى هذا المعنى مجرى الوراثة فى عادة الخلق وليس بميراث فى الحقيقة لان المملوك بالوراثة هو ما ينتقل الى الوارث بعد ما لم يكن ملكا له والله سبحانه وتعالى مالك السموات والارض وما فيهما فكانت الاموال عارية عند اربابها ﴿قوله فنحاص بن عازوراء﴾ كان من علماء اليهود ودخل ابو بكر رضى الله عنه ذات يوم بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود قد اجتمعوا فقال له ابو بكر رضى الله عنه يا فنحاص اتق الله واسلم والله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض من اموالنا على ان يعطى قرضه ايانا مع الفضل والربا وما يستقرض الا الفقير من الغنى ولو كان غنيا لما استقرض منا ولما اعطى الربا ايانا فغضب ابو بكر رضى الله عنه وضرب وجهه ضربة شديدة فآل الامر الى ان ينزل الله تعالى هذه الآية تصديقا لابى بكر رضى الله عنه ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما امر المؤمنين فى الآيات المتقدمة بالجهاد وبذل الانفس والاموال فى سبيل الله وقعت جهلة الكفرة فى شبهة وقالوا انه تعالى لو طلب الانفاق منا فى اظهار دينه ونصر نبيه لكان فى نفسه فقيرا عاجزا فان الاستعانة

﴿ وان تؤمنوا ﴾ حق الايمان ﴿ وتتقوا ﴾ النفاق ﴿ فلكم اجر عظيم ﴾ لا يقادر قدره ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ﴾ القرآءات فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ﴿ بل هو ﴾ اى البخل ﴿ شر لهم ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيامة ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة ﴿ والله بما يعملون ﴾ من المنع والاعطاء ﴿ خبير ﴾ فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ﴾ قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك

فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعدّ لهم العقاب عليه (سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق)
اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول
بالياء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب

المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ من البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال (ذلك) اشارة الى العذاب (بما قدمت ايديكم) من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ماقدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيء (الذين قالوا) هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا (ان الله عهد الينا) امرنا فى التوراة واوصانا (ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرائيل وهو ان يقرّب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك (قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات أخر واجترؤا على قتله (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات (كل نفس ذائقة الموت) وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا (وانما توفون اجوركم) تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا (يوم القيامة) يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار (اى)

بمال غيره تستلزم ذلك ومن المعلوم ان هذا اللازم مستحيل فى حقه تعالى فكذا الملزوم الذى هو ان يطلب المال من عبيده وقصدوا بايراد هذه الشبهة تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسناد هذا الطلب اليه تعالى وذلك يستلزم تكذيبه فى دعوى النبوة فأوعدهم الله تعالى على ايراد هذه الشبهة ولم يذكر جواب شبهتهم لكونه معلوما من مواضع أخر من القرآن من جملتها قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ومنها قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يأمر عباده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء وقادرا على جميع المقدورات لحكمة تعود اليهم ﴿قوله والمعنى انه لم يخف عليه﴾ اى ان معنى سماع الله قولهم علمه تعالى بمقالهم كما ان معنى كونه تعالى بصيرا علمه تعالى بالمبصرات ومعلوم انه تعالى سميع عالم بالمسموعات والمقصود من ذكره بيان انه تعالى اعدّ لهم عذابا يناسبهم على طريق الكناية ﴿قوله اى سنكتبه فى صحائف الكتبة﴾ اى سنأمر الحفظة بالكتابة ليقرؤا ذلك فى جملة اعمالهم القبيحة فعلى هذا تكون الكتبة حقيقة والتجوز انما يكون فى الاسناد وعلى قوله سنحفظه تكون الكتبة استعارة والاسناد على حقيقته وعلى كل تقدير هو تأكيد لما ذكر اولا بطريق الكناية ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى فى ضم انهم قتلوا الانبياء الى وصفهم الله تعالى بالفقر بيان ان جهلهم ليس مقصورا على هذا بل لهم جهالات وجرائم أخر لا تستبعد معها هذه الجريمة ﴿قوله وفيه مبالغات فى الوعيد﴾ حيث ذكره اولا بالكناية ثم اكده بقوله سنكتب معبرا عن نفسه بنون العظمة وامرهم امر الاهانة والتحقير بقوله ذوقوا وعبر عن الاحتراق بالذوق تهكما واستهزاء ووصف العذاب بالحريق الذى هو صيغة المبالغة ﴿قوله عطف على ماقدمت﴾ والمعنى ذلك العذاب بما كسبتم من المعاصى وبان الله ليس بظلام للعبيد فيعاقب بلا جرم ويعذب من لم يستحق العذاب فلما نفى اقصى غاية الظلم ونفاه عن نفسه فنفيه سبب للعذاب باعتبار كونه تسبب عن تعذيبهم العاصى وايضا التسوية بين المحسن والمسيء نهاية الظلم فنفاه عن نفسه فكان انتفاؤه سببا لتعذيب المسيء ﴿قوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا﴾ فى محل الجر اما على انه صفة لقوله الذين قالوا ان الله فقير او بدل منه واما على انه صفة للعبيد اى ليس بظلام للعبيد الذين قالوا كذا وكذا ويحتمل ان يكون فى محل الرفع او النصب على القطع باضمار المبتدأ اى هم الذين او باضمار فعل مناسب للمقام نحو اذم الذين او اعنى الذين ﴿قوله وهو ان يقرب بقربان﴾ اى بما يتقرب به الى الله من اعمال البر وهو فى الاصل مصدر مثل الكفران والرجحان والخسران سمى به نفس المتقرب به قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون القرابين فيضعونها وسط البيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لا دخان لها دوى حين تنزل من السماء فتأكل تلك القرابين وتحرقها فيكون ذلك علامة القبول واذا لم تقبل بقيت على حالها قال السدى هذا الشرط فى التوراة ولكنه مع شرط آخر وذلك انه تعالى قال فى التوراة ان من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار وكانت هذه العادة باقية الى مبعث المسيح فلما بعث الله المسيح ارتفعت والمصنف لم يرض بكون ما ادعاه اليهود مذكورا فى التوراة حتى يحتاج الى ما ذكره السدى من الاستدراك وجعل ذلك من مفترياتهم واباطيلهم ويدل عليه ان ذلك لو كان حقا لكانت معجزات كل الانبياء هذا القربان ومعلوم انه ما كان الامر كذلك فان معجزات موسى كانت اشياء سوى هذا القربان ﴿قوله وعد ووعيد للمصدق والمكذب﴾ من حيث انه كناية عن ان سوى هذه الدار دارا اخرى يميز فيها المحسن من المسيء ويوفى كل واحد ما يليق به فى الجزاء وفيه تأكيد للتسلية المذكورة قبل لانه من ايقن بحسن عاقبة اعوانه وسوء عاقبة اعدائه يزول عنه الهموم والاحزان ويتسلى بذلك قرأ الجمهور ذائقة الموت بالاضافة اللفظية لانها اضافة اسم الفاعل الى مفعوله وقرأ اليزيدى ذائقة الموت بالتنوين ونصب الموت وقرأ الاعمش بعدم التنوين ونصب الموت وذلك على حذف التنوين لالتقاء الساكنين وارادته كقراءة من قرأ قل هو الله احد بحذف التنوين من احد وكقول ابى الاسود الدؤلى

فذكرته ثم عاتبته * عتابا رفيقا وقولا جميلا *
فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا *

(فمن زحزح عن النار) بعد عنها وازحزحه ... في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (و ادخل الجنة فقد فاز) بالجنة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه (وما الحياة الدنيا) اى لذاتها وزخارفها (الا متاع الغرور) شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار (لتبلون) والله لتختبرن (في اموالكم) بتكاليف الانفاق وما يصيبها من الآفات (وانفسكم) بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب (ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا) من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها (وان تصبروا) على ذلك (وتتقوا) مخالفة امر الله (فان ذلك) يعني الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه (واذ اخذ الله) اى اذكر وقت اخذه (ميثاق الذين اوتوا الكتاب) يريد به العلماء (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب (فنبذوه) اى الميثاق (وراء ظهورهم) فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه (واشتروا به) واخذوا بدله (ثمنا قليلا) من حطام الدنيا واعراضها (فبئس ما يشترون) يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله ألجم بلجام من نار وعن علي رضي الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا

اى ذكرته المودة التي كانت بيننا وعاتبته عتابا بالرفق واللين فاوجدته طالب رضاى بان يرجع من قبيح فعله ولا ذاكر بالجر عطفا على مستعتب ولا زائدة وحذف التنوين من ذاكر لانهم يحذفون التنوين عند ملاقاة الساكن اما للخفة واما هربا من التقاء الساكنين ونصب الله دليل على تقدير التنوين ولو كان مضافا لكان مجرورا يقال استعتبته فأعتبني اى استرضيته فأرضاني ﴿قوله صلى الله عليه وسلم ويؤتى الى الناس﴾ اى يفعل بهم يقال آتى اليه اى فعل به ﴿قوله يدلس به على المستام﴾ التدليس في البيع كتمان عيب في السلعة عن المشتري والمدالسة كالمخادعة والدلس بالتحريك الظلمة والمدلس كأنه يأتيك بالسلعة في الظلام والمستام هو الذي يريد الشرى والسوم ارادة الشرى تقول منه سمته سوما واستام على وتساومنا ﴿قوله ويغر﴾ اى يوقع في الغرة وهي الغفلة يقال رجل غر بالكسر وغرير اى غير مجرب ﴿قوله متاع بلاغ﴾ اى تبليغ الى الآخرة وايصال اليها والبلاغ اسم التبليغ كالكلام اسم التكليم ﴿قوله والله لتختبرن﴾ اى ان لتبلون جواب قسم محذوف والواو المضمومة فيه واو الضمير والواو التي هي لام الفعل حذفت لالتقاء الساكنين فان اصله لتبلوونن حذفت النون الاولى التي للرفع لاجل نون التوكيد وقلبت الواو الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فالتقى ساكنان الالف وواو الضمير فحذفت الالف فضمت واو الضمير دلالة على المحذوف ولا يجوز قلب مثل هذه الواو همزة لطروّ حركتها ولذلك لم تقلب ألفا وان تحركت وانفتح واو الضمير للدلالة عليها ومعنى الابتلاء الاختبار وطلب المعرفة اذا اسند اليه تعالى يكون معناه معاملته تعالى مع العبد معاملة المختبر فيكون لتبلون استعارة تبعية ﴿قوله حتى لا يرهقهم نزولها﴾ اى حتى لا يعسر عليهم يقال لا ترهقني لا ارهقك الله اى لا تعسرني لا اعسرك الله ﴿قوله من معزومات الامور﴾ العزم مصدر قولك عزمت على كذا عزما وعزيمة اذا اردت فعله ارادة صادقة وقصدا مصمما فالمصنف اول المصدر بالمفعول وجمعه لاضافته الى الامور اى من الامور المعزوم عليها والعازم اما ان يكون هو العبد اى من الامور التي يجب على العبد عزمها واما ان يكون هو الله اى من الامور التي عزم الله عليها اى فرضه علينا وبالغ في ايجابه قال الواحدي كان هذا قبل نزول آية السيف وقال القفال الذي عندي ان هذا ليس بمنسوخ والظاهر انها نزلت عقيب قصة احد والمعنى انهم امروا بالصبر على ما يؤذون به الرسول صلى الله عليه وسلم من تحريف الاقوال بينهم واستعمال مداراتهم في كثير من الاحوال والامر بالقتال لا ينافي الامر بالمصابرة على هذا الوجه قال الامام واعلم ان قول الواحدي ضعيف والقول ما قاله القفال وهذا على تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصابرة على الابتلاء في النفس والمال والمصابرة على تحمل الاذى وترك المعارضة والمقابلة ويحتمل ان يكون المراد منه الصبر على مجاهدة الكفار ومنابذتهم والانكار عليهم وامروا بالصبر على المشاق والجري على نهج ابي بكر رضي الله عنه في الانكار على اليهود والاتقاء عن المداهنة مع الكفار والسكوت عن اظهار الانكار وعلى كل تقدير فالصبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي وانتظام قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب بما قبله انه تعالى لما حكى عنهم الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم واجاب عن ذلك ذكر في هذه الآية ما يفيد التعجب من حالهم كأنه قيل كيف يليق بكم الطعن في نبوته وكتبكم ناطقة بانه يجب عليكم بيان الدلائل الدالة على صحة دينه وصدق نبوته ورسالته وايضا انه تعالى لما اوجب عليه صلى الله عليه وسلم احتمال الاذى من اهل الكتاب وكان من جملة اذاهم كتمانهم ما في التوراة من الدلائل الدالة على نبوته وكانوا يحرفونها ويذكرون لها تأويلات فاسدة بين الله تعالى ان هذا الكتمان من تلك الجملة التي يجب الصبر عليها ﴿قوله حكاية لمخاطبتهم﴾ يعني من قرأ لتبيننه ولا تكتمونه بتاء الخطاب فقد جعله حكاية للخطاب الواقع في وقت اخذ الميثاق اى وقال لهم لتبيننه ونظير هذه الآية قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله بالتاء والياء فان قيل البيان يضاد الكتمان فلما امر بالبيان كان الامر به نهيا عن الكتمان فما الفائدة في ذكر النهي عن الكتمان فالجواب ان المراد من البيان ذكر الآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم من التوراة والانجيل والمراد من النهي عن الكتمان ان يلقوا فيها التأويلات الفاسدة والشبهات وظاهر الآية وان دل على نزولها في حق اليهود والنصارى الذين كانوا يخفون الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان شيء من الدنيا الا ان حكمها يعم من كتم من المسلمين احكام القرآن الذي هو اشرف الكتب واهله اشرف اهل الكتب واليه اشار المصنف بايراد الحديث والاثر وكان قتادة يقول طوبى لعالم ناطق

(ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تحسب له ولمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى وكتم الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول (ولهم عذاب اليم) بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك امرهم (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة من شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها والخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) اي يذكرون الله دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومئ ايماء فهو حجة للشافعي

... مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه

والمجموع احاطة علم الله به وعذابهم خيرا قوعاه ﴿قوله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ قرأ الكوفيون بتاء الخطاب وفتح الباء في الفعلين معا وقرأ ابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة في الاول وتاء الخطاب في الثاني وفتح الباء فيهما وقرئ شاذا بتاء الخطاب وضم الباء فيهما معا وقرئ ايضا بياء الغيبة فيهما وفتح الباء فيهما ايضا والفعلان على قراءة الكوفيين مسندان الى ضمير المخاطب وهو اما الرسول صلى الله عليه وسلم او كل من يصلح للخطاب وقد ذكر المصنف بيان المفعولين على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويكون الفعل الاول مسندا الى الموصول والثاني مسندا الى ضميره ويكون كلا مفعولي الفعل الاول محذوفين اختصارا لدلالة مفعولي الفعل الثاني عليهما تقديره لا تحسبن الفارحون انفسهم فائزين او يكون المفعول الاول محذوفا والثاني هو نفس بمفازة ويكون قوله فلا تحسبنهم تأكيدا للفعل وفاعله الاول وكون الفاعل والمفعول ضميرين لشيء واحد من خصائص باب ظننت ﴿قوله فهو يملك امرهم﴾ اي تعذيبهم بما فعلوا اشار به الى ان قوله ولله ملك السموات والارض معطوف على ما قبله كأنه قيل لا تظنن الفرحين ينجون من العذاب فان الله تعالى مالك كل شيء فهم في قبضته فلا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء والله على كل شيء قدير فكيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا المالك القادر وقيل ليس هذا معطوفا على ما قبله بل هو احتجاج على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ورد لمقالتهم ﴿قوله لدلائل واضحة على وجود الصانع﴾ اشارة الى ان الآية في معرض الاستدلال على قوله لله ملك السموات * واعلم ان الله تعالى ذكر في سورة البقرة ثمانية انواع من الدلائل حيث قال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون واقتصر في هذه السورة على ثلاثة انواع منها وترك الخمسة الباقية منها وجعل فاصلة هذه الآية قوله لآيات لاولي الالباب وجعل الفاصلة هناك قوله لقوم يعقلون واللب خالص العقل فان العقل له ظاهر وله لب ففي اول الامر يكون عقلا وفي حال كماله ونهاية امره يكون لبا وفي اول امره وان احتاج الى الدلائل وتظاهر بعضها ببعض لكنه في حال كماله لا يحتاج الى تكثير الادلة بل يكتفي بخلاصة الدلائل وزبدتها فان الدلائل مع كثرتها غاية الكثرة منحصرة في ثلاثة انواع لانها اما سماوية او ارضية او مركبة منهما فاشار الى الاول بقوله ان في خلق السموات والى الثاني بقوله والارض والى المركبة بقوله واختلاف الليل والنهار لان تحققهما بسبب دوران الشمس على الارض ووجه دلالتهما على ما ذكر من الوحدانية وكمال العلم والقدرة انه تعالى جعل منافع السماء مع بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا تقوم منافع هذه الا بمنافع الاخرى فصيرهما بحسب اتصال المنافع كالمتصلين مع بعد ما بينهما ولو كان لكل واحدة منهما منافع على حدة لامتنعت كل واحدة منهما بمنافعها منفكة عن الاخرى فدل اتصال المنافع على اتحاد الصانع والمالك لان الاشياء المخلوقة على تضاد من الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لما جمعت مع اختلافها وتضادها كالاشكال والامثال في حق اتصال بعضها ببعض دل ذلك على ان منشئها واحد كامل العلم عظيم القدرة وخلق هذه الاشياء لمجرد الافناء عبث لا يليق بشأن من كان في العلم والقدرة بهذه المثابة فلابد ان يكون خلق السموات والارض لحكمة وتلك الحكمة لا ترجع الى نفسهما اذ لا منفعة لهما في الخلق بكون خلقهما لا نفسهما فتعين ان يكون خلقهما لمنفعة البشر ليستدلوا بهما على وجود الصانع وجلاله وجماله ويستعينوا بهما على مصالح معادهم ومعاشهم ويستكملوا بحسب قوتهم النظرية والعملية ويتوصلوا بتلك الاشكال الى نيل سعادة الآخرة ثم لما فرغ من ذكر آيات الربوبية شرع في بيان العبودية ولما كان الانسان مركبا من النفس والبدن كانت العبودية بحسب النفس وبحسب البدن فأشار الى عبودية البدن بقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فان ذلك لا يتم الا باستعمال الجوارح والاعضاء واشار الى عبودية القلب والروح بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وانما خصص التفكر بالخلق لقوله صلى الله عليه وسلم * تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق * وانما نهى عن التفكر في الخالق لان معرفة حقيقته المخصوصة غير ممكنة للبشر فلا فائدة لهم في التفكر في ذات الخالق ثم شرع في تعليم الدعاء تنبيها على ان الدعاء انما يجدي ويستحق الاجابة اذا كان بعد تقديم الوسيلة وهي اقامة وظائف العبودية من الذكر والفكر فانظر الى هذا الترتيب ما احسنه ﴿قوله مستقبلا بمقاديم بدنه﴾ اي بما كان في جانب امامه من اعضاء بدنه على هيئة استقبال الميت في اللحد وعند ابي حنيفة

(يستلقي)

يستلق المريض على قفاه ورجلاه الى الكعبة واجاب عن الآية بان المراد بقوله وعلى جنوبهم كونهم ساقطين على الارض على اى وجه كان ولا دلالة فيها على الاضطجاع فحمل على الاستلقاء لانه المروى عن ابن عمر حيث قال فان لم تستطع فعلى قفاك وهذا الخلاف فى الوجوب وفى حق من يقدر على كل واحد من الامرين اعنى الاضطجاع والاستلقاء واما اذا لم يقدر الا على احدهما فهو المتعين وفاقا ﴿قوله لانه المخصوص بالقلب﴾ الذى هو افضل ما فى الانسان فيكون ما صدر عنه من العبادة افضل العبادات لان التفكر الذى هو سبب معرفة الله تعالى هو المقصود من الخلق قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون وما سوى التفكر والمعرفة مقصود بالتبع ولا شك ان المقصود الاصلى افضل واشرف مما قصد تبعا وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتجذب للقلب الخشية كما يجذب الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك بالتفكر فى امر الله تعالى الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل ما عمل فيه جميع اهل الارض ﴿قوله على شرف علم الاصول﴾ اى اصول الدين وهو علم الكلام الباحث عن ذات الله تعالى وصفاته الذى هو شأن اهل الاستدلال بالآثار على وجود مؤثرها ومغير احوالها ﴿قوله اى يتفكرون قائلين﴾ اشارة الى ان الجملة القولية حال من فاعل يتفكرون ﴿قوله وهذا اشارة الى المتفكر فيه﴾ يعنى ان هذا بلفظ التذكير يقتضى ان يكون المشار اليه مذكرا فان كان الخلق بمعناه لا يجوز ان يكون هذا اشارة اليه ولا معنى لان يقال ما خلقت الخلق بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض والا لقيل ما خلقت هذه بلفظ التأنيث فينبغى ان يكون اشارة الى المتفكر فيه الذى هو مدلول الكلام اى الذى تفكروا فى خلقه من نفس السموات والارض وما فيهما من العجائب ويجوز ان يكون اشارة الى الخلق على تقدير ان يكون بمعنى المخلوق كانه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض على طريق اضافة العام الى الخاص كما اشار اليه المصنف بقوله على انه اريد به المخلوق من السموات بمن البيانية ويجوز ان يشار به الى السموات والارض باعتبار كونهما فى تأويل المخلوق وقوله باطلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى ما خلقته خلقا باطلا ومعنى بطلانه كونه عبثا ضائعا خاليا عن الحكمة ويحتمل ان يكون حالا من المفعول به وهذا وسبحانك اعتراض للتنزيه عن العبث وان يخلق شيأ من غير حكمة ﴿قوله وفائدة الفاء الخ﴾ يعنى ان الفاء للدلالة على ان ما بعدها وهو الاستعاذة مرتب على ما ذكر قبلها وهو اعترافهم بالعلم بما لاجله خلقت السموات والارض وهو ان نستدل بها على معرفتك بما يليق بشأنك الاعلى معرفة تحثنا على ملازمة طاعتك والاجتناب من معصيتك وبالاخلال بما يجب عليهم من النظر والاستدلال المذكور فان الكلام الخبرى اذا القى لمن هو عالم بفائدة الخبر ولازمها فلا بد ان يكون ذلك الالقاء مقصودا والمقصود المناسب لهذا المقام هو الاعتراف المذكور والاستغفار عما اعترف به من التقصير فى الجرى على مقتضى العلم وكلمة من فى قوله تعالى من تدخل النار شرطية وهى مفعول مقدم واجب التقديم لان لها صدر الكلام وتدخل مجزوم بها وفقد اخزيته جوابها والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر انك يقال خزيته واخزيته ثلاثيا ورباعيا والاكثر الرباعى وخزى الرجل يخزى خزيا اذا افتضح وخزاية اذا استحيى فالفعل واحد وانما تميز بالمصدر والاخزاء يحتمل ان يكون من خزى بمعنى افتضح او من خزى بمعنى استحيى فعلى الاول يكون بمعنى الاهانة والتفضيح وعلى الثانى يكون بمعنى ان يعمل به عملا يخجله ويستحيى منه فخزى المؤمنين استحياؤهم فى دخول النار من سائر اهل الاديان الى ان يخرجوا منها وخزى الكافرين افتضاحهم فيها بما يلحقهم من العذاب الدائم الذى لا يموتون فيها بسببه ولا يبعد ايضا ان يستحيوا ممن كانوا يدعون عندهم انهم على الحق وهم على الباطل والاخزاء باى معنى كان لما كان لزومه وترتبه على ادخال النار واضحا مستغنيا من البيان كان تعليقه عليه خاليا عن الفائدة ما دام محمولا على الاطلاق فلذلك حمله على اخص الخاص ليفيد حيث قال اى فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره فى حمل الجزاء المطلق على اخص الخاص ليفيد قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اى ادرك من المرعى ما ليس مثله مرعى والصمان جبل كثير المرعى ونظيره ايضا قولهم من سبق فلانا فقد سبق اى بالغ فى السبق ﴿قوله وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع﴾ وذلك لان المستفاد منه وهو الادخال فى النار يشتمل على العذاب الجسمانى وهو ظاهر وعلى العذاب الروحانى وهو عذاب الفضاحة والخجالة بين اهل الحشر

(ويتفكرون فى خلق السموات والارض) استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله (ربنا ما خلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما فى معنى المخلوق* والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك (سبحانك) تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض (فقنا عذاب النار) للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته) اى فقد اخزيته غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحانى افظع

ولم يتعرض في مقام تهويل المستعاذ منه الا لما اشتمل عليه من العذاب الروحاني ولولا انه اهول وافظع من الجسماني لما خص بان يتعرض له * قال الامام احتج حكماء الاسلام بهذه الآية على ان العذاب الروحاني اشد واقوى من العذاب الجسماني قالوا لان الآية دالة على تهديد من في النار بالخزي والخزي عبارة عن التخجيل والاهانة وهو عذاب روحاني فلولا ان العذاب الروحاني اقوى من العذاب الجسماني لما حسن تهديد من عذب بالنار بعذاب الخزي والخجالة ﴿قوله للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها﴾ كون الظلم سببا لانقطاع النصرة ظاهر لما اشتهر من ان المعلق بالوصف معلل به واما كونه سببا لادخالهم النار فبنى على ان التعبير عن الذوات بالظالمين يتضمن تعليق ما اثبت لهم من الاحكام بوصف الظلم والنصرة من النار تكون على وجهين الاول النصرة بالمنع من دخولها ابتدآء والثاني النصرة في الخروج منها بعد الدخول لان قوله تعالى وما للظالمين من انصار انما ينفي افراد الناصرين ولا تعرض فيه لشيء من الاوقات فيدل على انتفائهم في عامة الاوقات قبل الدخول للمنع من دخولها وبعد الدخول للخروج منها والمعتزلة تمسكوا في نفي الشفاعة للفساق بهذه الآية قالوا ان الشفاعة نوع نصرة ونفي جنس النصرة يقتضي نفي جميع انواعها واجاب المصنف عنه بمنع كون الشفاعة نوعا من النصرة حتى يكون نفي الناصر مستلزما لنفي الشفيع وذلك لان النصرة هي الدفع بطريق القهر والغلبة والشفاعة هي الدفع بطريق اللين والمسألة فنفي احدهما لا يدل على نفي الآخر ولهذا لم يكن نفيهما معا في نحو قوله تعالى لا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تكرارا فلا تصلح الآية متمسكا لنفاة الشفاعة ﴿قوله اوقع الفعل على المسمع﴾ يعني ان فعل السماع لابد ان يتعلق بالمسموع ولا يتعلق بالذوات الا اذا وصفت بما يدل على المسموع فحينئذ يحذف المسموع اكتفاء بدلالة الصفة عليه * واعلم ان فعل السماع ان ذكر بعده ما يصح ان يسمع نحو سمعت كلامك او قرآنك فهو حينئذ يتعدى الى مفعول واحد بالاتفاق واما ان ذكر بعده ما لا يصح سماعه بان كان من قبيل الذوات والاعيان فحينئذ لا يصح الاقتصار عليه وحده بل لابد من ذكر شيء يسمع نحو سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم بكذا وللنحويين في هذه الصورة قولان احدهما ان يتعدى حينئذ ايضا الى مفعول واحد والجملة الواقعة بعد المنصوب في محل النصب على انها صفة للمنصوب قبلها وعلى قول الفارسي تكون في محل النصب على انها مفعول ثان لسمعنا وفي ايقاع الفعل على المسمع مبالغة في تحقيق السماع لان تعيين القائل وتوصيفه بما يدل على المسموع حالة زآئدة مبنية على ادعاء ان القائل المتعين بكونه قائلا لذلك المسموع كانه نفس ذلك المسموع وليست هذه الحالة في ايقاع الفعل على نفس المسموع فاختار المصنف وصاحب الكشاف قول الجمهور ﴿قوله وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه﴾ كون التنكير مفيدا للتعظيم شائع وكذا كون ابهام الشيء ثم تفسيره مفيدا لتعظيم ذلك الشيء مسلم مقبول لكن كون اطلاق فعل النداء وعدم تقييده بما يتعلق بالمنادي له ثم تقييده بذلك مفيدا لذلك محل بحث لان الاطلاق والتقييد المذكورين تعظيم المنادي له لانه الذي ابهم ثم فسر غاية ما في الباب ان تعظيم المنادي له يستتبع تعظيم المنادي وتعظيم النداء المتعلق به ضرورة ان شرف المتعلق يستلزم شرف ما تعلق به ولعل مراد المصنف بقوله اطلاق المنادي ثم تقييده يفيد تعظيم شأن المنادي انه يفيد ذلك بواسطة كونه مفيدا لتعظيم شأن المنادي له لا انه يفيد ذلك بالذات ﴿قوله والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم﴾ فانه ينادي ويدعو الى الايمان حقيقة قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وداعيا الى الله باذنه وقيل المراد بالمنادي هو القرآن لا الرسول عليه السلام لان كل احد لم يلق الرسول والصفات المذكورة انما هي من صفات اولي الالباب من المؤمنين لا من شاهد الرسول وسمع نداءه فقط بخلاف القرآن فان كل واحد من اولي الالباب من المؤمنين سمعه وفهم مدلوله فان القرآن لاشتماله على بيان ما هو الحق في كل باب بحيث كان من تأمله يصل به الى الحق اذا وفقه الله تعالى لذلك صار كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه واطلاق النداء على الدلالة شائع كثيرو ما اسند اليه من النداء وان كان مجازا عن الدلالة والارشاد الا انه مجاز متعارف ﴿قوله ونحوهما﴾ كالعود والايحاء والهداية قال تعالى ثم يعودون لما نهوا عنه ثم يعودون لما قالوا بان ربك اوحى لها الحمد لله الذي هدانا لهذا عدى الجميع باللام نظرا الى تحقق معنى الاختصاص وان جاز تعديتها بالى نظرا الى تحقق معنى الانتهاء فكل واحد من اللام والى في موضعه ولا حاجة الى جعل احدهما بمعنى الآخر ﴿قوله اي بان آمنوا﴾ على ان تكون ان مصدرية على حذف الباء اي ينادي الى الايمان بايراد لفظ يدل على

(وما للظالمين من انصار) اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان) اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص (ان آمنوا بربكم فآمنا) اي بان آمنوا فامتثلنا (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا) كبائرنا فانها ذات تبعة (وكفر عنا سيئاتنا) صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر

طلب الايمان وهو صيغة الامر فلا يرد ان يقال لو كانت مصدرية كان المعنى للايمان بالايمان وهو تكرار ﴿قوله معدودين فى زمرتهم﴾ بدل من قوله مخصوصين بصحبتهم اتبعه به لبيان ان ليس المراد من التوفى مع الابرار حقيقة المعية فى التوفى لان ذلك محال ضرورة ان توفيهم انما هو على سبيل التعاقب لا المعية بل المراد ان يكونوا معدودين فى جلتهم منخرطين فى سلكهم على سبيل الكناية والحاصل انه ليس المراد من المعية المعية الزمانية بل المراد المعية فى الاتصاف بصفة الابرار حال التوفى ﴿قوله اى ماوعدتنا على تصديق رسلك﴾ بتقدير المضاف وحذفه اعتمادا على القرينة وهى كون الآية مذكورة عقب ذكر المنادى وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق وعلى هذا تكون كلة على متعلقة بقوله وعدتنا كما فى قولك وعدالله الجنة على الطاعة ﴿قوله لما اظهر امتثاله لما امر به﴾ بيان للقرينة الدالة على التقدير المذكور ﴿قوله لاخوفا من اخلاف الوعد﴾ جواب عما يقال الخلف فى وعدالله تعالى محال فكيف طلبوا ماعلموا انه واقع لامحالة وتقرير ماذكر من الاجوبة ظاهر وقولهم ماوعدتنا اشارة الى انهم انما طلبوا منافع الآخرة ومثوباتها بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق وقوله او تعبدا عطف على قوله مخافة ﴿قوله ويجوز ان يعلق على بمحذوف﴾ اى منصوب على انه حال من مفعول آتنا وهو منزلا او محمولا فان الرسل محملون جميع مااوحى اليهم قال تعالى فانما عليه ماحمل ويجوز ان يتعلق على بآتنا على تقدير مضاف محذوف اى آتنا اياه على ألسنة رسلك وهو حسن من حيث المعنى ﴿قوله بان تعصمنا عما يقتضيه﴾ اشارة الى دفع مايتوهم من انه لاحاجة الى قوله ولا تخزنا بعد قوله آتنا ماوعدتنا لانه متى حصل الثواب لزم اندفاع العقاب لامحالة ولو طلب ترك العقاب اولا ثم طلب الثواب لاستقام الكلام وحاصل الدفع ان المطلوب اولا هو ثواب الايمان وتصديق الرسل والمطلوب ثانيا هو العصمة من المعاصى بعد التحلى بحلية الايمان والميعاد اسم مصدر بمعنى الوعد قال جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه مما يخاف واعطاه ما اراد قيل وكيف ذلك قال اقرأوا الذين يذكرون الله قياما وقعودا الى قوله انك لاتخلف الميعاد ﴿قوله وهو اخص من اجاب﴾ فان اجاب معناه اعطى الجواب وهو قد يكون بتحصيل المطلوب وبدونه واستجاب انما يقال عند تحصيل المطلوب ويتعدى بنفسه فيقال استجابه قال الشاعر

* وداع دعايا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

قال الحسن مازالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم ﴿قوله عمل عامل﴾ وهو ماحكى عنهم من المواظبة على ذكر الله تعالى فى جميع حالاتهم والتفكر فى مصنوعاته استدلالا واعتبارا والثناء على الله بالاعتراف بربوبيته وتنزيهه عن العبث وخلق الباطل والاشتغال بالدعاء وجعل هذه الاعمال سببا للاستجابة يدل على ان استجابة الدعاء مشروطة بهذه الامور فلما كان حصول هذه الشرائط عزيزا لاجرم كان الشخص الذى يكون مجاب الدعاء عزيزا ﴿قوله بيان عامل﴾ يعنى ان من لبيان الجنس بين جنس العامل والتقدير الذى هو ذكر او انثى ﴿قوله او لفرط الاتصال﴾ على ان لاتكون من للابتداء كما فى الوجه الاول بل تكون اتصالية قال القفال هذا من قولهم فلان منى اى على خلقى وسيرتى قال تعالى فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى * قال الامام فيه وجوه احسنها ان يقال من بمعنى الكاف اى بعضكم كبعض فى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وحكى قول القفال ﴿قوله وهى جملة معترضة﴾ يعنى ان قوله بعضكم من بعض جملة استئنافية من مبتدأ وخبر جيء بها لبيان شركة النساء مع الرجل فى الثواب الذى وعدالله به عباده العاملين ومعنى كونها معترضة انه جيء بها بين قوله عمل عامل وبين مافصل به عمل العامل من قوله فالذين هاجروا فانه تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم ﴿قوله فنزلت﴾ اى نزل قوله انى لااضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض اى كما انكم من اصل واحد وان بعضكم مأخوذ من بعض فكذلك انتم فى ثواب العمل يثاب النسوان العاملة كما يثاب الرجل العامل وبالعكس وقوله فالذين هاجروا الخ تفصيل وبيان لوجه كونها معترضة ﴿قوله فالذين هاجروا﴾ مبتدأ وقوله لأكفرن جواب قسم محذوف تقديره والله لأكفرن وهذا القسم وجوابه خبر لهذا المبتدأ اخبر به عمن جمع بين الصفات المذكورة التى هى المهاجرة والاخراج من الاوطان والتأذى فى سبيل الله والقتال والمقتولية ﴿قوله بالعكس﴾ يعنى انه قرئ وقتلوا وقاتلوا على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل ولما ورد على هذه القراءة ان يقال اذا قتلوا كيف يتصور ان يقاتلوا وقد تقدم ان قوله لأكفرن خبر عن الذين جمعوا بين الاوصاف الواقعة صلة

﴿ وتوفنا مع الابرار ﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ﴿ ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ﴾ اى ماوعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ماوعد عليه لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لايكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور فى الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف تقديره ماوعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ﴿ ولا تخزنا يوم القيامة ﴾ بان تعصمنا عما يقتضيه ﴿ انك لاتخلف الميعاد ﴾ باثابة المؤمن واجابة الداعى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويتعدى بنفسه وباللام ﴿ انى لااضيع عمل عامل منكم ﴾ اى بانى لااضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿ من ذكر او انثى ﴾ بيان عامل ﴿ بعضكم من بعض ﴾ لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق فى الدين وهى جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روى ان ام سلمة قالت يارسول الله انى اسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ﴿ فالذين هاجروا ﴾ الى آخرها تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين ﴿ واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى ﴾ بسبب ايمانهم بالله ومن اجله ﴿ وقاتلوا ﴾ الكفار ﴿ وقتلوا ﴾ فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا

والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير (لاكفرن عنهم سيئاتهم) لامحونها (ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عندالله) اى لاثيبهم بذلك اثابة من عندالله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد (والله عنده حسن الثواب) على الطاعات قادر عليه (لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او تثبيته على ما كان كقوله ولاتطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لاتنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روى ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما اعدالله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الآخرة الامثل مايجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) اى ما مهدوا لانفسهم (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عندالله) النزل والنزل مايعد للنازل من شراب وطعام وصلة قال ابو السعد الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ❊ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ❊

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا (وما عندالله) لكثرته ودوامه (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى (لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعله المحرفون من احبارهم (اولئك لهم اجرهم عند ربهم) ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين (ان الله سريع الحساب) لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء (ياايها الذين آمنوا اصبروا) على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد (وصابروا) وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب او اعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعدالامر بالصبر مطلقا لشدته (ورابطوا) ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعدالصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الالحاجة (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

(سل)

للموصول اجاب عنه بوجهين الاول ان الواو لاتوجب ترتيبا فيجوز ان يكون المقتول هوالقاتل ﴿قوله والثاني افضل﴾ اى كونهم قاتلين افضل من كونهم مقتولين للكفار لانه صلى الله عليه وسلم قتل كافرا يوم احد ولم يستشهد ففي قراءته رعاية الترقي من الادنى الى الاعلى والثاني ان المراد قتل بعضهم وقتل آخرون ولم يضعفوا بان قتل اصحابهم ﴿قوله لاثيبهم بذلك﴾ اشارة الى ان ثوابا منصوب على انه مصدر مؤكد بمعنى اثابة لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم فوضع ثوابا موضع اثابة فان الثواب في الاصل اسم لما يثاب به كالعطاء اسم لما يعطي الا انه قد يوضع موضع المصدر وقوله من عندالله صفة له قصد بتوصيفه بها تعظيم شأنه فان السلطان العظيم الشأن اذا البس خلعة من عنده دل ذلك على كون الخلعة في غاية الشرف وكذا ذلك الثواب في غاية الشرف لقوله والله عنده حسن الثواب ﴿قوله والمراد امته﴾ قال قتادة رضي الله عنه والله ما غر نبي قط حتى قبضه الله تعالى فالغرور مصدر قولك غررت الرجل بما يستحسنه في الظاهر ثم يجده عند التفتيش على خلاف مايحبه والنهي في معنى المخاطب لان المعنى لاتغتر بتقلبهم لان نفس التقلب لما كان سببا لاغترار المخاطب بناء على ان التقلب لو غره لاغتر به نزل السبب منزلة المسبب فورد النهي عن السبب والمراد النهي عن المسبب وهو الاغترار مجازا او كناية والمقصود المبالغة في النهي عن الاغترار ﴿قوله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة﴾ اى ما تقدير الدنيا واعتبارها في جنب الآخرة وبالاضافة اليها وقوله في الآخرة حال عاملها التقدير المقدر مضافا الى الدنيا وقوله الامثل مايجعل اى مثل جعل شبه تقديرها بجعل الاصبع في اليم والحديث يدل على ان المراد بقلة الدنيا قلتها بالنسبة الى نعيم الآخرة والمتاع اسم لما يتمتع به ﴿قوله وكنا اذا الجبار﴾ الجبار السلطان الممتنع عن قبول النصيحة وضافنا اى نزل بنا ضيفا وفيه تهكم والباء في بالجيش للتعدية او المصاحبة والقنا الرماح والمرهفات السيوف المحددة والمعنى اذا جعل الجيش ضيفنا او اذا صار مع الجيش ضيفا لنا قريناهم بالرماح والسيوف ﴿قوله وانتصابه﴾ اى وانتصاب نزلا على انه حال من جنات لانها تخصصت بوصف قرأ الجمهور بتخفيف لكن فيكون الموصول في محل الرفع بالابتداء ووجه الاستدراك انه سبحانه وتعالى لما وصف الكفار بقلة نفع تقلبهم في البلاد لاجل التجارة جاز ان يتوهم متوهم ان قلة النفع من لوازم التقلب من حيث هو استدرك ان المتقين وان تقلبوا واصابوا ما اصابه الكفار اولم يصيبوا لهم مثوبات لايقادر قدرها ﴿قوله في اصحمة﴾ بالصاد والحاء المهملتين اسم علم لملك من ملوك الحبش وكان نصرانيا اسلم قبل الفتح ومات قبله ايضا والنجاشي بفتح النون وتخفيف الجيم وبالشين المعجمة لقب ملك الحبشة روى انه لما مات نعاه جبريل عليه الصلاة والسلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم بغير ارضكم فقالوا من هو قال النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله تعالى هذه الآية والعلج هو القوي الغليظ من الكفار وقد يستعمل في كل كافر من غير العرب والحنفية لايرون الصلاة على الغائب ويقولون سبب صلاة الجنازة حضور ميت مسلم فان صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصر سرير النجاشي فلا يصلح الحديث حجة للامام الشافعي رحمه الله عليه في تجويزه الصلاة على الغائب لانه لم يكن غائبا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وان لم يصح ذلك تكون الصلاة على النجاشي رحمه الله عليه مكرمة له بخصوصه الا ترى انه لم يصل على غيره من المؤمنين الغيب ﴿قوله وانما دخلت اللام على الاسم﴾ اى على اسم ان في قوله لمن يؤمن مع ان النحاة منعوا دخول لام الابتداء عليه بناء على انتفاء المانع من دخولها عليه وهو توالي حرفي التأكيد ولما توسط الخبر بين ان واسمها انتفى المانع من دخولها عليه فدخلت لذلك ﴿قوله تعالى خاشعين لله﴾ اى لاجل الله وقوله تعالى لايشترون اما حال ثانية من فاعل يؤمن او من الضمير المستكن في قوله خاشعين اى خاشعين غير مشترين ﴿قوله ما خص بهم من الاجر﴾ اختصاص الاجر بهم مستفاد من اضافته اليهم ﴿قوله او اعدى عدوكم﴾ عطف على اعداء الله والمراد به النفس الامارة بالسوء ﴿قوله رحمة الله تعالى عليه وتخصيصه﴾ جواب عما يقال ما معنى الامر بالمصابرة مع انها نوع خاص من الصبر فتكون مأمورا بها ايضا وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام لشدته وصعوبته وكونه اكمل وافضل من الصبر على ماسواه كما عطف جبريل على الملائكة لعظمته والمرابطة من الربط وهو الشد والعدل بالفتح المثل من غير الجنس وبالكسر المثل من الجنس ﴿قوله

صلى الله عليه وسلم الا لحاجة ﴾ متعلق بالفعلين وتعدد الامان بحسب تعدد اجزاء الزمان والمسافة والله اعلم
❁ الى هنا تم ما كتب على سورة آل عمران بحمد الله الملك المنان ❁

قد طبع هذا الجزؤ الاول المنتهى بآخر سورة آل عمران * من حاشية شيخ زاده على القاضى البيضاوى اسكنه الله
فى الجنان * باكمل تصحيح واتم ترتيب فى المطبعة العثمانية * صانها الله تعالى من الآفات والبلية
لثمان خلون من ذى الحجة الشريفة * سنة خمس وثلاثمائة بعد الالف * من
هجرة من له السعادة والشرف * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه
ماهبت الرياح * ولاح الفلاح

من النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

٢	سورة ال عمران الم الله	٦١	ولله ما فى السموات وما فى الارض
٩	ربنا انك جامع الناس	٦٥	مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا
١٣	الذين يقولون ربنا اننا	٦٩	ولقد نصركم الله ببدر وانتم
١٥	الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من	٧٣	وسارعوا الى مغفرة من ربكم
١٩	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير	٧٧	ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
٢٥	هنالك دعا زكريا ربه	٨٠	يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين
٣٠	قال رب انى يكون لى	٨١	ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة
٣٤	ربنا امنا بما انزلت	٨٤	ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
٣٧	ان هذا لهو القصص الحق	٨٧	وما اصابكم يوم التقى الجمعان
٣٩	يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق	٩٠	فانقلبوا بنعمة من الله
٤٢	وان منهم لفريقا	٩٣	لقد سمع الله قول الذين قالوا
٤٧	قل امنا بالله وما انزل	٩٥	واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
٥١	الجزء الرابع لن تنالوا البر	٩٩	فاستجاب لهم ربهم انى
٥٧	وكيف تكفرون وانتم تتلى		تمت المجلد الاول

﴿ طبع فى المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ﴾

١٣٠٥

تكملة الجزء الاول من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قوله تعالى اتقوا ربكم اعلم ان الله تعالى افتتح هذه السورة الكريمة بالامر بتقوى الله الذى هو خلقنا على كيفية بديعة وهى انه تعالى خلق نفسا واحدة من تراب اولا ثم خلق من بعض اضلاعها زوجها ونشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بنين وبنات لاتحصى ثم ذكر سائر التكاليف المذكورة فى هذه السورة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام والرأفة بهم وايصال حقوقهم وحفظ اموالهم وبهذا المعنى ختمت السورة وهو قوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وذكر فى اثناء هذه السورة انواعا اخر من التكاليف وهى الامر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين وغيرها والسر فيه والله اعلم ان هذه التكاليف شاقة تستثقل الطباع لها والنفوس لاتقيد بها مالم يحمل عليها حامل وذلك الحامل هو تقوى الاله القادر على كل شئ فان تقوى الله عز وجل هو الحامل على اتيان كل خير واجتناب كل شر فلذلك افتتح بالامر بالتقوى ورتب عليه سائر التكاليف **قوله** اى خلقكم من شخص واحد لابان جعل ذلك الشخص مادة الخلق كما فى قوله تعالى خلقكم من طين بل المراد بخلقهم منه جعله اصلا يتفرع منه الفروع ويتشعب منه الشعب وليس المراد من الناس مايتناول نوع الانسان وجميع افراده من آدم وحواء وفروعهما لئلا يلزم ان يكون متفرعا من نفسه ويكون خلق الزوج وبث الرجال والنساء داخلين فى قوله خلقكم من نفس واحدة فيكون ذكرهما بعده تكرارا بل المراد منه مايتناول اولاد آدم من الذكور والاناث على سبيل تغليب الموجودين على الماضين والآتين فلا يكون قوله وخلق منها زوجها تكرارا سواء جعل معطوفا على خلقكم او على محذوف بل جئ به دفعا لتوهم من انه كيف يصح ان يحكى عنهم بانهم مخلوقون من نفس واحدة مع كونهم مخلوقين من نفس آدم وحواء وتقريرا لخلقهم من نفس واحدة فان زوجها لما خلق منها صح ان يقال لمن يخرج منهما انهم مخلوقون من نفس واحدة فكان قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيانا لكيفية تولدهم منهما روى ان الله لما خلق آدم القى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما استيقظ مال اليها وألفها لانها مخلوقة من جزء من اجزائه قال عليه الصلاة والسلام ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وبها عوج استمتعت بها وقيل ان حواء لم تخلق من آدم وانما خلقت من طينة فضلت من

(سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الناس) خطاب يعم بنى آدم (اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (وخلق منها زوجها) عطف على خلقكم اى خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة

طينته وان قوله تعالى وخلق منها زوجها فيه تقدير مضاف اى وخلق من جنسها زوجها واختاره ابو مسلم الاصفهانى وجعله كقوله تعالى والله خلق لكم من انفسكم ازواجا وقوله اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم قال القاضى والقول الاول اقوى لقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة اذ لو كانت حوآء مخلوقة لا من آدم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا نفس واحدة واجيب بان كلمة من لابتدآء الغاية فلما كان ابتداء التخليق والايجاد وقع بآدم صح ان يقال خلقكم من نفس واحدة ﴿قوله اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر﴾ اى لم يصرح بتوصيف النساء بالكثرة لكون كثرتهن معلومة باقتضاء الحكمة اياها فانه تعالى خلقهن لتكثير الاولاد وتفريقهم فى اقطار البلاد ومن اراد تكثير الغلة يكثر المزارع ويجعلها اكثر من الحارث واجاب عنه الامام بقوله السبب فيه والله اعلم ان شهرة الرجال اتم وكانت كثرتهم اشهر واعرف فلا جرم خصوا بوصف الكثرة فهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز واللائق بحال النسوان الاختباء والخمول ويمكن حمل عبارة المصنف على ما افاده الامام ﴿قوله وذكر كثيرا﴾ يعنى ان كثيرا صفة لرجالا والجموع تعامل معاملة الاناث ولم يؤنث صفته حملا على المعنى لان رجالا بمعنى عددا وجمعا او جنسا كما ذكر الفعل المسند الى جمع المؤنث فى قوله وقال نسوة ﴿قوله وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة﴾ وهى خلقه تعالى اياهم على تفاوت اشكالهم واخلاقهم من نفس واحدة ومعنى الترتيب مستفاد من تعليق الامر بالتقوى على توصيفه تعالى بالوصف المذكور فانه يشعر علية الوصف لذلك الحكم وهو الامر بالتقوى فلا بد من المناسبة بين الوصف المذكور والحكم وتلك المناسبة ان الوصف المذكور لدلالته على كمال القدرة وتمام النعمة التى هى نعمة الايجاد والتخليق يوجب التقوى اى الاتقاء عما يوجب فعله او تركه وايضا الامر بالتقوى ذكر تمهيدا لما ذكر بعده من الاحسان الى النسوان والايتام ونحوهما وكون الخلق بامرهم مخلوقين من نفس واحدة له اثر عظيم فى هذا المعنى فذكر الوصف المذكور ليصير ذلك سببا لزيادة شفقة الخلق بعضهم على بعض ويتم بذلك امر كون الامر بالتقوى تمهيدا لما بعده فان الخلق باسرهم لما خلقوا من نفس واحدة كان بينهم مواصلة وقرابة توجب مزيد المحبة والملاطفة لا سيما اذا كانت بينهم مشاركة فى المنزل او كان بعضهم عاجزا عن القيام بمصالح نفسه كالايتام والضعفاء قرأ الكوفيون قوله تعالى تساءلون بتخفيف السين على حذف احدى التاءين تخفيفا والاصل تتساءلون وقرأ الباقون بالتشديد على ادغام تاء التفاعل فى السين لتقاربهما فى الهمس ولهذا تبدل من السين فيقال ست والاصل سدس والتساؤل بالله وبالرحم هو مثل ان تقول لمن تلتمس منه قضاء حق لك عليه او نواله او معونته ونصرته استعطافا له فيما تلتمس منه اسألك بالله وبالرحم وقد جرت عادة العرب على انه يستعطف الرجل غيره بالله وبالرحم وربما يفرد الرحم بالذكر فيقال اسألك بالرحم والتساؤل يجوز ان يكون بمعنى المشاركة فى السؤال وان يكون بمعنى فعل ويدل عليه قرآءة عبد الله تسألون من سأل الثلاثى واختاره المصنف حيث قال اى يسأل بعضكم بعضا ودلت الآية على جواز المسئلة بالله وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام * من سألكم بالله فاعطوه * وعن البرآء بن عازب قال امرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام بسبع منها ابرار القسم اى بقضاء حاجة من سألك بالله وقرأ الجمهور والارحام بنصب الميم وفيه وجهان احدهما انه معطوف على محل الجار والمجرور فى به كقولك مررت بزيد وعمرا ويؤيده قرآءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والثانى انه معطوف على لفظ الجلالة اى اتقوا الله والارحام اى لا تقطعوها وقدر بعضهم مضافا اى وقطع الارحام ففى الآية دلالة على تحريم قطيعة الرحم ووجوب صلتها عن عبد الرحمن بن عوف انه سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول * قال الله سبحانه وتعالى انى خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته * وعن ابى هريرة قال قال عليه الصلاة والسلام * ما من شئ اطيع الله فيه اعجل ثوابا من صلة الرحم وما من عمل عصى الله به اعجل عقوبة من البغى واليمين الفاجرة * وعن انس بن مالك قال عليه الصلاة والسلام * ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما المحذور والمكروه * وقال عليه الصلاة والسلام * افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح * قيل الكاشح العدو فثبت بدلالة الكتاب وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها ثم ان اصحاب ابى حنيفة بنوا على هذا الاصل مسألتين احداهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم منه عتق عليه مثل الاخ والاخت والعمة والخالة لانه لو بقى الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش يوجب قطيعة الرحم وذلك حرام بناء على هذا الاصل فوجب ان لا يبقى الملك وثانيتهما ان الهبة لذى الرحم المحرم لا يجوز الرجوع

(وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبنى جنسه على ما دلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث (واتقوا الله الذى تساءلون به) اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها (والارحام) بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها

وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ان الله كان عليكم رقيبا) حافظا مطلعا (وآتوا اليتامى اموالهم) اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كأسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير

فيها لان ذلك الرجوع اليعاش يوجب قطيعة الرحم فوجب ان لا يجوز ﴿قوله وهو ضعيف﴾ لانه عطف الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة الجار وهو لا يجوز عند البصريين فلابد للعطف من اعادة الخافض لانهم لم يستحسنوا عطف الظاهر على الضمير المرفوع من غير تأكيده بمنفصل فلم يقولوا اذهب وزيد بل قالوا اذهب انت وزيد لئلا يلزم العطف على ما هو بمنزلة الجزء من الكلمة وهو الضمير المرفوع المتصل والضمير المجرور اقوى اتصالا بالجار من المرفوع المتصل اذ المرفوع المتصل قد ينفصل والضمير المجرور لا ينفصل البتة فاذا لم يجز العطف على الضمير المرفوع لكونه كبعض الكلمة فلأن لا يجوز العطف على الضمير المجرور مع انه لا ينفصل البتة اولى هو واجيب عنه بانه جرّه احد القراء السبعة والظاهر انه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن النبي عليه الصلاة والسلام وذلك يوجب القطع بصحة هذه القراءة ولا التفات الى اقيسة النحاة عند تحقق السماع وقد ورد ذلك في الشعر وانشد في ذلك سيبويه امام العربية قول الشاعر

فاليوم قد صرت تهجونا وتشتمنا ❊ فاذهب فما بك والايام من عجب

واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما وصى عامة المكلفين بالتقوى المستلزمة الانقياد لتكاليف الله تعالى والاجتناب عن مساخطه شرع بعد ذلك في تفصيل اقسام التكاليف فابتدأ بما يتعلق باموال اليتامى وامر الاوصياء والاولياء بان يعطوهم اموالهم اذا بلغوا واسم اليتيم بحسب اصل اللغة يتناول الصغير والكبير لاستواء معنى الانفراد عن الآباء في الكل الا انه بحسب العرف يختص بالصغير وقول قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يتيم ابي طالب اما على ارادة معناه الاصلي اللغوي واما على حكاية الحال التي كان عليها حين كان صغيرا ناشئا في حجره وقوله عليه الصلاة والسلام لا يتم بعد الحلم تعليم للشريعة لا تعليم اللغة يعني ان اليتيم اذا احتلم فانه لا يجري عليه احكام الصغار ﴿قوله اما على انه لما جرى مجرى الاسماء الخ﴾ جواب عما يقال ان يتيم فعيل وفعيل في الصفة لا يجمع على فعالى عند اهل اللغة بل يجمع على فعال نحو كريم وكرام وفعلاء نحو كريم وكرماء وشهيد وشهداء وفعل نحو نذير ونذر وقبيل وقبل وفعلى نحو مريض ومرضى وجريح وجرحى وافعلة نحو قفيز واقفزة وفعلان نحو قفيز وقفزان وافعلاء نحو نبي وانبياء وافعال نحو شريف واشراف فكيف جمع يتيم على يتامى واجاب عنه بوجهين الاول ان يتيما وان كان فعيلا في الصفة الا انه اجرى مجرى الاسماء كصاحب وفارس ولهذا قلما يذكر معه الموصوف وفعيل اذا كان اسما يجمع على فعائل قياسا مطردا نحو افيل وافائل وفي الصحاح الافائل والافائل صغار الابل بنات المخاض ونحوها وواحدها افيل والانثى افيلة وفعيل في الصفة وان كان يجمع ايضا على فعائل الا انه قليل نادر فلما كان يتيم جاريا مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قدم الميم على الياء فصار يتامى بكسر الميم ثم ابدلت الكسرة فتحة والياء ألفا فصار يتامى ويؤيد هذا الجواب ورود الجمع على الاصل في قول الشاعر

أأطلال حسني بالبراق اليتائم ❊ سلام على احجاركن القدائم

وحسني علم امرأة والبراق جمع برقة وهي المكان الذي فيه حجارة سود وبيض والجواب الثاني ان اليتيم فعيل من باب الآفات والاوجاع وكل فعيل من هذا الباب قياس جمعه ان يجيء على فعلى كمريض ومرضى وجريح وجرحى وقتيل وقتلى وجريب وجربى واسير واسرى فجمع يتيم على يتمى ثم يتمى على يتامى كما جمع اسير على اسرى ثم جمع اسرى على اسارى فيمن فتح الهمزة ﴿قوله والاشتقاق﴾ اى اشتقاق اليتيم من اليتم بمعنى الانفراد يقتضي جواز اطلاقه على الصغار والكبار لعدم الفرق بينهما في معنى الانفراد عن الآباء لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ فورد أن يقال لما كان اسم اليتيم مختصا بالصغير لزم ان يكون الاوصياء والاولياء مأمورين بدفع اموال الايتام اليهم ماداموا ايتاما صغارا وذا لا يجوز في الشرع واذا صار كبيرا بحيث اونس منه الرشد وجاز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى اموالهم فاجاب عنه بوجهين الاول ان المراد باليتامى الذين بلغوا وكبروا وسماهم الله يتامى اما على مقتضى الاشتقاق واصل اللغة واما على الاتساع لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال ذلك عنهم في ذلك الوقت كقوله تعالى فالقى السحرة ساجدين اى الذين كانوا سحرة قبل السجود والنكتة في اختيار طريق التجوز الحث على تعجيل الدفع اول بلوغهم الى حد النكاح بان بلغوا مبلغ الرجال والنساء فان آنستم وابصرتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والوجه الثاني من الجواب ان المراد باليتامى الصغار والمعنى وآتوا اليتامى اى الذين هم يتامى في الحال اموالهم بعد زوال صفة اليتم عنهم فان لفظ آتوا امر والامر يحتمل الحال والاستقبال والمراد هنا الثاني

(قوله)

﴿قوله ولا تستبدلوا الحرام﴾ وهو مال اليتيم بالحلال وهو مالهم الذي ابيح لهم جعله تفعل بمعنى استفعل وهو كثير نحو تعجل بمعنى استعجل وتأخر بمعنى استأخر يقال تبدل الشيء بغيره اذا اخذه مكان غيره فان التبدل يتعدى الى المأخوذ بنفسه والى المتروك بواسطة الباء بخلاف التبديل فانه يتعدى الى المتروك بنفسه والى المأخوذ بواسطة الباء كما اشار اليه المصنف بقوله وهذا تبديل وليس بتبدل بمعنى ان اعطاء المفعول بالذات وتركه واخذ المفعول بالواسطة بدله هو التبديل لا التبدل وذلك لان معنى التبديل التغيير فاذا قيل بدل الشيء بغيره يكون معناه غير الشيء بغيره بان ترك الشيء واخذ غيره فالباء لا تدخل في التبديل الا على المأخوذ واما التبدل والاستبدال جميعا بمعنى اخذ الشيء مكان الغير وبدلا منه فالباء لا تدخل الا على المتروك وذكر للاستبدال ثلاثة اوجه الاول اكل اموالهم الحرام بدل ما ابيح لهم من اموالهم على ان يكون المراد من الخبيث والطيب الاموال والثاني استبدال الامر الخبيث بالامر الطيب على ان يكون الخبيث والطيب من صفات الافعال واختزال الشيء اقتطاعه واقتطاعه لنفسه والثالث اخذ النفيس من اموال اليتيم واعطاء الخسيس مكانه روى ان اولياء اليتامى كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الرديء كاخذ الشاة السمينة من ماله وجعل المهزولة مكانها واخذ الدرهم الجيد وجعل الزيف مكانه ثم يقولون شاة بشاة ودرهم بدرهم فنهوا عن ذلك ولم يرض المصنف رحمه الله بهذا الوجه حيث قال وهذا تبديل وليس بتبدل لان الطيب في هذا الوجه هو المأخوذ وهو مدخول الباء والباء في التبدل لا تدخل الا على المتروك بخلاف التبديل وقيل الاستبدال المنهي عنه هو ان يكرم صديقه بان يعطيه شاة سمينة من مال اليتيم ويأخذ لليتيم شاة عجفاء او بان يكون في ذمة صديقه شاة سمينة لليتيم فيأخذ منه شاة عجفاء مكان السمينة مكارمة له فيتحقق على هذا معنى التبدل ﴿قوله مضمومة الى اموالكم﴾ اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول لا تأكلوا نهى في الآية المتقدمة عن اكل مال اليتيم وحده لما مر من ان المراد بالخبيث اموال اليتامى فانها خبيثة في حق الاولياء فقد نهاهم عن اكل اموال اليتامى بدل اكل اموال انفسهم ثم نهاهم عن ضم مال اليتامى الى اموال انفسهم في الانفاق وان لا يفرقوا بين اموال اليتامى واموالهم قلة مبالاة وتسوية بين المالين في حل الانتفاع بهما ﴿قوله اى لا تنفقوهما معا﴾ اشارة الى ان المراد بالاكل المنهي عنه مطلق التصرف المهلك للمال وعبر عنه بالاكل لكونه معظم ما يقع التصرف لاجله وقرينة المجاز ان منفعة المال غير منحصرة في الاكل وجميع وجوه الانتفاع بمال اليتيم حرام فلذلك حمل اللفظ على ما يتناول الجميع وخص الاموال بما زاد على مقدار اجرة السعي والقيام بمصالح امواله فان للوصي ان يأخذ من مال اليتيم بقدر اجرة عمله كما قال به جماعة تمسكا بما روى انه جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان لي يتيما وان له ابلا أفأشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقرأ الجمهور حوبا بضم الحاء وقرأ الحسن بفتحها نحو قولا وبعضهم حابا بالالف نحو قالا والكل لغات في المصدر والفتح لغة تميم ﴿قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا﴾ قرأ الجمهور بضم التاء من اقسط اذا عدل فتكون لا على هذه القراءة نافية غير زائدة والمعنى ان خفتم عدم الاقساط اى العدل وقرأ ابراهيم النخعي ويحيى بن وثاب بفتح التاء من قسط بمعنى جار فاذا قيل اقسط تكون الهمزة للسلب اى ازال القسط وهو الجور وكلمة لا على هذا تكون زائدة والا يفسد المعنى كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وحكى عن الزجاج ان قسط الثلاثي يستعمل مثل اقسط الرباعي فعلى هذا تكون كلمة لا غير زائدة كما في القراءة المشهورة الا ان التفرقة بين الثلاثي والرباعي هي المعروفة لغة يقال قسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار واقسط اذا عدل قال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين روى ان الحجاج لما احضر سعيد بن جبير قال له ما تقول في قال قاسط عادل فاعجب الحاضرين قال الحجاج ويلكم لم تفهموا منه انه جعلني جائرا كافرا الم تسمعوا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله تعالى وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جزاؤه وذكر لتعلق الجزاء بالشرط المذكور ثلاثة اوجه الاول ان الرجل منهم كان يتزوج اليتيمة التي في ولايته فلما نزلت الآية المتضمنة للوعيد على اكل مال اليتيم تحرجوا من ذلك فقيل لهم ان خفتم من نكاح النساء اليتامى والقيام بحقوقهن فانكحوا ما طاب لكم من غيرهن اى ممن كان لها من يدرأ عنها ويدفع عنها سوء معاملة الزوج معها والوجه الثاني انه لما نزلت الآية المتقدمة

(ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف (انه) الضمير للاكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا

متضمنة ما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء من ان يلحق بهم الحوب الكبير بترك الاقساط
فى حقوق اليتامى فتحرجوا من ولايتهم ومع ذلك كانوا يتزوجون نساء كثيرة وربما كان تحت رجل واحد
منهم عشر من الازواج او اكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل
فى حقوق اليتامى فتحرجتم من ولايتهم فخافوا ايضا من الجور فى حقوق النساء وترك العدل بينهن وقللوا
عدد المنكوحات لان تكثيره يؤدى الى الجور فان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب ذنبا آخر غير
مبال به فكأنه غير متحرج من الذنب الاول اذ لاتنفع التوبة من ذنب مع ارتكاب مثله والوجه الثالث ما ذكر
بقوله وقيل كانوا يتحرجون الخ يعنى انهم كانوا لايتحرجون من الزنى ولما نزلت الآية المتقدمة تحرجوا من
ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم فى حق اليتامى فكونوا خائفين من الزنى فانكحوا ما حل لكم من النساء
ولاتحوموا حول المحرمات قال عكرمة فى كيفية تعلق هذا الجزاء بالشرط المذكور انه كان الرجل عنده
النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله على النسوة وصار محتاجا اخذ فى انفاق اموال اليتامى عليهن
فقال تعالى وان خفتم ان لاتقسطوا فى اموال اليتامى عند كثرة الزوجات فقد حرم عليكم نكاح اكثر من
اربع زوجات ليزول هذا الخوف فان خفتم فى الاربع فثلاث وان خفتم فى الثلاث فاثنتان وان خفتم فيهما
فواحدة فخوف الله تعالى من تكثير المنكوحات لتأديته غالبا الى تعدى اولياء اليتيم فى حفظ ماله لاحتياجهم
الى الانفاق الكثير عند التزوج بالعدد الكثير **قوله وانما عبر عنهن بما** يعنى ان حق ما ان تستعمل فى غير
ذوى العقول كما ان حق من ان يستعمل فى ذوى العقول واستعمل كلمة ما هنا وفى الجوارى المملوكة بناء
على انها لم يرد بها الذوات المملوكة بل اريد الوصف فقوله ماطاب اريد به الطيب بمعنى الملذ او الحلال وهو صادق
على العاقل وغيره وفى شرح الرضى وما فى الغالب لما لم يعلم وتستعمل ايضا فى الغالب فى صفات العالم نحو زيد
ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب عالم او نحو ذلك وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون
سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات والارض ويجوز ان يكون سؤالا عن
الماهية ويكون موسى عليه الصلاة والسلام اجابه ببيان الاوصاف دون بيان الماهية تنبيها لفرعون على انه
تعالى لايعرف الا بالاوصاف ولاتعرف ماهيته البشر وقال بعضهم عبر عنهن بما تنزيلا لهن منزلة غير العقلاء لنقصان
عقلهن كقوله تعالى الا على ازواجهم او ماملكت ايمانهم وقال بعضهم كل واحد من كلتى ما ومن تستعمل موضع
الاخرى قال تعالى والسماء وما بناها وقال ولا انتم عابدون ما اعبد وقال فمنهم من يمشى على بطنه قال الامام الواحدى
وصاحب الكشاف ماطاب لكم اى ما حل لكم من النساء لان منهن من يحرم نكاحها وهى الانواع المذكورة
فى قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الخ واعترض الامام الرازى بان قوله تعالى فانكحوا امر اباحة
فلو كان المراد بماطاب لكم ما حل لكم لكانت الآية بمنزلة ان يقال ابحنا لكم نكاح من يكون نكاحها مباحا لكم وذلك
يخرج الآية من الفائدة وايضا تصير الآية مجملة على ذلك التقدير لان اسباب الحل والاباحة لم تبين فى هذه الآية
فصارت مجملة لامحالة واذا حملنا الطيب على ماتستلذه النفس ويميل اليه القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص
وقد ثبت فى اصول الفقه انه متى وقع التعارض بين الاجمال والتخصيص كان رفع الاجمال اولى لان العام المخصوص
حجة فى غير محل التخصيص والمجمل لايكون حجة اصلا واجيب عنه بان المبين تحريمه فى قوله حرمت عليكم امهاتكم
الآية ان كان مقدم النزول فلا اجمال لان المعنى فانكحوا ما بين لكم حله ولكن مقيدا بالعدد المخصوص فليس
فى قوة ايجاب المباح لافادة الزيادة ولا اجمال ولا تخصيص لان الموصول جار مجرى المعرف باللام والحمل على العهد
فى مثله هو الوجه والا فالاجمال المؤخر بيانه اولى من التخصيص بغير المقارن لان تأخير بيان المجمل جائز عند
الفريقين وتأخير بيان التخصيص غير جائز عند اكثر الحنفية ثم ان الظاهر ان ما فى ماطاب موصولة اسمية منصوبة المحل
على انها مفعول فانكحوا ومن النساء بيان الجنس المبهم فى ما ومثنى منصوب على الحال من فاعل طاب **قوله معدولة
عن اعداد مكررة** فان قولك انكح مثنى بمنزلة قولك انكح ثنتين ثنتين وكذا الباقى وكل واحدة من هذه
الصيغ الثلاث معدولة عن صيغة اخرى من لفظ عدد مكرر ولا يراد بتكرير المعدول عنه التأكيد وانما يراد به تكرير
العدد كقولك علمته الحساب بابا بابا فقد تحقق العدد فى هذه الالفاظ وهى ايضا اوصاف لانها احوال من فاعل طاب
والحال هيئة وصفة لذى الحال فمنعت الصرف للعدل والصفة وهو مذهب سيبويه رحمه الله واختلف فى ان هذه

(وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا
ماطاب لكم من النساء) اى ان خفتم ان
لاتعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن
فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذا كان
الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها
ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولايقدر
على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لاتعدلوا
فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ان لاتعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا
يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب
ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ماروى
انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا
من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير
النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا
يتحرجون من ولاية اليتامى ولايتحرجون
من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لاتعدلوا
فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل
لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة
او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان
عقلهن ونظيره او ماملكت ايمانهم وقرئ
تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى ان
خفتم ان تجوروا (مثنى وثلاث ورباع)
معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة
للعدل والصفة

الالفاظ المعدولة هل يجوز فيها القياس او يقتصر فيها على السماع فذهب البصريون الى انه لا يجوز فيها القياس وذهب الكوفيون وابو اسحق الى جوازه والمسموع من ذلك احد عشر لفظا أحاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ومخمس ولم يسمع خماس وعشار ومعشر ﴿قوله فانها بقيت صفات﴾ جواب عما يقال كيف اعتبر الوصفية مؤثرة في منع صرف هذه الالفاظ المعدولة مع انتفاء شرط تأثير الوصف في منع الصرف وهو كون الوصفية اصلية ووصفية هذه الالفاظ ليست اصلية لان اصولها انما وضعت للعدد ولا وصفية فيها ولهذا صرف اربع في قولك مررت بنسوة اربع لعروض الوصفية والوصفية لما لم تكن معتبرة في المعدول عنه لم تكن الوصفية فيه اصلية فكيف كانت مؤثرة فيه وتقرير الجواب ان الوصفية فيه اصلية بناء على ان المراد بكون وصفية الكلمة اصلية كونها موضوعة للدلالة على الذات باعتبار المعنى القائم بها وهذه الالفاظ كذلك فانها حين ماعدلت عن اصولها لم تبق الا صفة وعدم كون اصولها موضوعة على الوصفية لا يضر كون وصفيتها اصلية ﴿قوله وقيل لتكرير العدل﴾ اى من حيث انها معدولة باعتبارين باعتبار الصيغة بناء على انها اخرجت عن اوزانها الاصلية الى اوزان اخر وباعتبار التكرير بناء على ان التكرير الكائن في اصولها ترك وعدل عنه الى التوحيد فكما انها معدولة عن نفس صيغ اصولها فهي ايضا معدولة عن تكرير تلك الصيغ فتكرر العدل فيها ولعل المصنف رحمه الله تعالى لم يرض بهذا الوجه نظرا الى ان العدل عبارة عن تغيير الصيغة والعدول عن التكرير ليس من قبيل المعتبر في منع الصرف اذ لا تغيير فيه للصيغة ويمكن ان يجاب عنه بان العدول عن التكرار الى التوحد تغيير للصيغة نظرا الى المعدول عنه وهو صيغة المجموع والمعدول هو الصيغة المتوحدة ﴿قوله متفقين فيه ومختلفين﴾ حال من فاعل ان ينكح وهو الضمير الراجع الى ناكح واتفاق الناكحين في الاعداد المذكورة ان ينكحوا ثنتين ثنتين او ثلاثا ثلاثا او اربعا اربعا واختلافهم فيها ان ينكح بعضهم ثنتين ثنتين وبعضهم ثلاثا ثلاثا وبعضهم اربعا اربعا كما اذا خوطب الجمع الكثير وقيل لهم اقتسموا هذه البدرة وهي عشرة آلاف درهم درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة فانه اذن لهم بان يجعلوها اقساما يكون كل قسم منها درهمين او ثلاثة وان يأخذ كل واحد منهم لنفسه قسما منها ﴿قوله ولو افردت﴾ قسيم لقوله ومعناها ما ذكرنا لان معنى هذه الالفاظ المعدولة عن الاعداد المكررة ثم ذكر المعنى على تقدير ان يذكر الاعداد المذكورة غير مكررة بان قيل فانكحوا ما طاب لكم ثنتين وثلاثا واربعا وهو ان يخاطب الجميع ويباح الجمع لهم على سبيل الاجمال لا على سبيل التوزيع والتفصيل بان يجمعوا بين هذه الاعداد المذكورة في اباحة الاخذ بأي واحدة منها وكذا لو قيل اقتسموا هذه البدرة درهمين وثلاثة لصار المعنى تجويز الجمع بان يأخذ من العددين المذكورين ماشاء واصل الاباحة مستفاد من الامر والجمع بين الاعداد المذكورة مستفاد من الواو والفرق بين تكرير العدد وافراده حتى يكون الحكم على الاول ان يباح للجميع ان يجمع بين الاعداد المذكورة على سبيل التوزيع والتفصيل وعلى الثاني ان يباح لهم الجمع بينها بدون التوزيع ان تكرير العدد يستلزم مقابلة الجمع بالجمع دون افراده ﴿قوله ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد﴾ لان او تفيد الاذن في واحدة من هذه الاعداد لا في كل واحدة منها فلو جاء بكلمة او لاقتضى النظم ان لا يجوز النكاح الا على واحدة هذه الاعداد وان لا يجوز لهم ان يجمعوا بين الاعداد المذكورة بمعنى ان ينكح بعضهم ثنتين وبعضهم ثلاثا وبعضهم اربعا فلما ذكر حرف الواو افاد انه يجوز لكل طائفة ان تختار ماشاءت من الاعداد المذكورة وذهب قوم الى انه يجوز للرجل ان يتزوج تسع نسوة استدلالا بهذه الآية وقال ان الواو للجمع المطلق فقوله مثنى وثلاث ورباع يفيد حل المجموع وهو التسع بل الحق انه ثماني عشرة لان قوله مثنى ليس عبارة عن اثنين فقط بل عن اثنين اثنين وكذا القول في بقية الالفاظ المعدولة وبما ثبت بالتواتر من انه عليه الصلاة والسلام مات عن تسع نسوة ثم انه سبحانه قد امرنا بها واقل مراتب الامر الاباحة وقد اجمعت الامة من فقهاء الامصار على انه لا يجوز لاحد ان يتزوج اكثر من اربع نسوة على ان الزيادة على الاربع من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام ويخالف هذا الاجماع من اهل البدعة فلا عبرة بمخالفته ثم ان اكثر الفقهاء ذهبوا الى ان قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم لا يتناول العبيد وذلك لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك بدليل انه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه لقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء فقوله لا يقدر على شيء ينفي كونه مستقلا بالنكاح ولان قوله تعالى بعد هذه الآية فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم مختص بالاحرار فتكون هذه

فانها بقيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد

الآية مختصة بهم بناء على ان الخطابات الواردة في هذه الآية وردت متوالية على نسق واحد واختصاص بعضها بالاحرار يدل على ان الكل كذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو زان فلما حمل الناس على ان الناس المستقلين بالتصرفات كانت الآية مختصة بالاحرار فلا يحل للعبيد ان يتزوجوا بالاربع وقال الامام مالك رحمه الله يحل لهم التزوج بالاربع تمسكا بظاهر هذه الآية ﴿ قوله فاختاروا او فانكحوا واحدة ﴾ الجمهور على نصب فواحدة باضمار فعل ثم ان كان الفعل المقدر فاختاروا تكون كلمة او لعطف ماذكر بعدها على قوله فواحدة وان كان فانكحوا تكون او لعطف فعل مقدر على فاختاروا المقدر ويكون التقدير فانكحوا واحدة وطأوا ماملكت ايمانكم على طريق حذف المعطوف وابقاء العاطف كما في علفتها تبنا وماء باردا اى وسقيتها ماء واحتيج الى تقدير المعطوف حينئذ لان المملوكات بملك اليمين لا يتعلق بهن عقد النكاح الا ان يراد بالنكاح الناصب للمعطوف عليه عقد التزويج وبناصب ماملكت الوطء فيلزم استعمال المشترك في معنييه والجمع بين الحقيقة والمجاز وكلاهما لايخلو عن تكلف ﴿ قوله والعدد من السراري ﴾ هو مبني على ان ماملكت عام يتناول الاماء من غير حصر في مرتبة والسراري جمع سرية وهي الامة التي بوأها مولاها بيتا وهي فعلية منسوبة الى السر وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرمته وضمت سين السر في النسبة اليه لان الابنية قد تغير في النسبة خاصة كما قالوا في النسبة الى الدهر دهري والى الارض السهلة سهلي والتسري اتخاذ الامة سرية وقوله تعالى ذلك مبتدأ وادنى خبره وهو افعل تفضيل من دنا يدنو بمعنى قرب واصل التفضيل يجري مجرى فعله في التعدية فالذي يتعدى به فعله يتعدى به هو ايضا ودنا يتعدى بالى واللام ومن تقول دنوت اليه وله ومنه فيجوز ان يتعدى ادنى ايضا باحد هذه الحروف ويقال في تقديره ادنى الى ان لاتعولوا وادنى لان لاتعولوا وادنى من ان لا تعولوا واختار المصنف رحمه الله الثالث حيث فسره بقوله اقرب من ان لاتميلوا فحذف كلمة من لدلالة الكلام عليه فقوله تعالى ان لاتعولوا في محل النصب او الجر على الخلاف المشهور في محل ان بعد حرف الجر قال الامام المختار عند اكثر المفسرين ان قوله سبحانه وتعالى ان لاتعولوا معناه لاتجوروا ولا تميلوا وروى ذلك مرفوعا وروت عائشة رضي الله عنها انه عليه الصلاة والسلام قال في تفسير قوله تعالى ان لاتعولوا ان لاتجوروا وفي رواية اخرى لاتميلوا قال الواحدي كلا اللفظين مروي واصل العول الميل ويدل عليه تتبع موارد استعماله ثم اختص بحسب العرف بالميل الى الجور والظلم قال الفراء عال الرجل عولا اذا مال وجار وفي الوسيط ذلك اى نكاح الاربع على قلة العدد اقرب الى العدل وابعد من الظلم ونقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال ذلك ادنى ان لاتعولوا معناه ذلك ادنى ان لاتكثر عيالكم وطعن ابو بكر الرازي والزجاج والجرجاني صاحب النظم على الامام الشافعي وقالوا ماذكره الامام الشافعي رحمه الله في معنى لاتعيلوا لامعنى لاتعولوا فان مادة عال بمعنى كثر عياله من ذوات الياء يقال عال يعيل واما عال بمعنى جار فهو من ذوات الواو يقال عال يعول فاختلف المادتان فتفسير تعولوا بما هو تفسير تعيلوا خطأ في اللغة ويقال ايضا اعال يعيل اعالة اذا كثر عياله ولا يستعمل عال يعول في هذا المعنى ولم يفرق الامام الشافعي بين عال واعال ووجه المصنف رحمه الله كلام الامام الشافعي بحمله على معنى لايتجه عليه الطعن المذكور وجعله من باب الكناية وهي ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولهم فلان طويل النجاد وكثير الرماد والمراد بيان انه طويل القامة وكثير الضيافة لكن عبر عنهما بما يلزمهما فان طول القامة لاتنفك عن طول النجاد وكذا كثرة الضيافة لاتنفك عن كثرة الرماد وكذا الحال فيما نحن فيه فان المقصود ان يقال ذلك التقليل او اختيار الواحدة او التسري اقرب الى ان لايكثر عيالكم لكن عبر عن كثرة العيال بما يلزمها وهو تحمل مؤنة العيال فان من كثر عياله يلزمه ان يعولهم ويمونهم اى يتحمل مؤنهم ويتعب في القيام بمصالحهم ورعاية حقوقهم يقال عال الرجل عياله اى مانهم ومنه ابدأ بنفسك ثم بمن تعول اى تمونه وتلي عليه فقول الامام الشافعي رحمه الله معناه ان لاتكثر عيالكم ليس المراد ان ذلك معناه المطابقي بل المراد ان ذلك معناه الكنائي المفهوم بعلاقة اللزوم الكائن بينه وبين اللفظ الذي عبر به عنه وهي طريقة مشهورة معتبرة عند علماء البيان والبلغاء من اهل اللسان والكلام الصادر من امثال الامام الشافعي وهو علم من اعلام الدين وائمة الشرع ورؤس المجتهدين وان توجه على ظاهره شيء من المقال لكن يجب ان يوجه بما يندفع به عنه مقالة الجهال فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لاتظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوأ وانت تجد لها في الخير محملا صحيحا وقرأ طاوس

(فان خفتم ان لاتعدلوا) بين هذه الاعداد ايضا (فواحدة) فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف اوخبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة (او ماملكت ايمانكم) سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن (ذلك) اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري (ادنى ان لاتعولوا) اقرب من ان لاتميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لايكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قرأة أن لاتعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله

ان لاتعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القرآءة تعضد تفسير الامام الشافعي من حيث المعنى الذي قصده ﴿قوله ولعل المراد بالعيال﴾ جواب عما يقال على تفسير الامام الشافعي من ان التسري كيف يكون اقرب الى ان لايكثر عيال الرجال وفي السراري ما في الحرآئر من التأدية الى كثرة العيال فكيف يقل عيال من يتسرى بالنسبة الى عيال من يتزوج * واجاب عنه بوجهين الاول ان تفسير الامام الشافعي بذلك يحتمل ان يكون مبنيا على كون لفظ ذلك اشارة الى تقليل عدد المنكوحات وعدم ازديادهن على اربع او الى اختيار الواحدة منهن فيكون المراد بالعيال الازواج دون السراري والاولاد والوجه الثاني هو ان لفظ ذلك اشارة الى التسري وان للتسري ان يجمع من السراري اي عدد شاء بلا خلاف فيه فلا يراد بالعيال الموطوآت بملك اليمين فيتعين ان يراد بها الاولاد الا انا لانسلم ان التسري كالتزوج في ان كلا منهما يكثر معه العيال والاولاد فان المولى يعزل عن امته بغير اذنها فلا يكون التسري كالتزوج في التأدية الى كثرة الاولاد ﴿قوله سبحانه وتعالى صدقاتهن﴾ بفتح الصاد وضم الدال مفعول ثان وهو جمع صدقة بوزن سمرة وهي المهر وهذه هي القرآءة المشهورة وهي لغة الحجاز وقرآءة صدقاتهن بفتح الصاد واسكان الدال تخفيف القرآءة المشهورة كقولهم في عضد عضد وقرأ قتادة صدقاتهن بضم الصاد واسكان الدال جمع صدقة على وزن غرفة وقرأ مجاهد وابن ابي عبلة بضمهما جمع صدقة وهي تثقيل ساكنة الدال للاتباع ولم يذكرها المصنف وقرأ ابن وثاب والنخعي صدقتهن بضمهما مع الافراد والنحلة بكسر النون واصلها بضمها مصدر قولك نحلت المرأة مهرها انحلها اي اعطيتها اياه عن طيب نفس من غير مطالبة والايتاء الاعطاء اما بالالتزام واما بالتسليم ويجوز ان يكونا جميعا مرادين على معنى سلموا ذلك اليهن اذا عقدتم وسلموا ذلك اليهن اذا التزمتم * عن عقبة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان احق الشروط ان يوفى ما استحللتم به الفروج * وعن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصدق امرأة صداقا وهو مجمع على ان لايوفيها اياه ثم مات ولم يعطها اياه لقي الله عز وجل زانيا * كذا في الوسيط اعتبر المصنف في مفهوم النحلة مجموع امرين الاول ان تكون العطية عن طيب انفس الازواج من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة ومحاكمة والثاني ان لا تكون مقرونة بتوقع عوض فما لا يكون كذلك لايكون نحلة ﴿قوله ومن فسرها بالفريضة ونحوها﴾ فان قتادة وابن جريج وابن زيد فسروا النحلة بالفريضة قال الواحدي في الوسيط النحلة معناها في اللغة الديانة والملة والشرعة يقال فلان ينتحل كذا اذا كان يتدين به ونحلته كذا اي دينه ولهذا قال ابن عباس وابن جريج وابن زيد في قوله نحلة اي فريضة وقال ابن عرفة نحلة اي دينا اي تدينوا بذلك فقد شرعه الله كذلك وما هو دين من الله وشريعة يكون فريضة والمصنف انكر كون معنى الفريضة معتبرا في مفهوم النحلة وجعله مستفادا من مفهوم الآية وهو انه سبحانه وتعالى امر الازواج باعطاء مهور النساء من غير مطالبة منهن ولا مخاصمة ولا يخفى انه يستفاد منه ان يكون الاعطاء على الوجه المذكور فريضة ﴿قوله لانها في معنى الايتاء﴾ كأنه قيل آتوهن ايتاء او انحلوهن نحلة وعلى تقدير انتصابها حالا من فاعل آتوا يكون نحلة مصدرا بمعنى الفاعل اي ناحلين طيبين النفوس بالاعطاء وان كان حالا من المفعول الثاني وهو صدقاتهن يكون بمعنى المفعول اي منحولة معطاة عن طيب الانفس فالصدقات على هذا عطية لهن من قبل الازواج لان الزوج لايملك بدل المهر شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح وليس بازآئه بدل وانما الذي يستحقه الزوج منها بعد النكاح هو الاستباحة لا الملك وقيل ان الله جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يوفي مهر المرأة وكان ذلك عطية لها من الله تعالى ابتدآء ﴿قوله وقيل ديانة﴾ عطف على قوله عطية فانتصابها على هذا اما على انها مفعول له او حال من الصدقات اي حال كونها دينا من الله تعالى وشريعة وفريضة ﴿قوله والخطاب للازواج﴾ اختاره لانه لاذكر للاولياء هنا وقيل للاولياء لان العادة كانت في الجاهلية ان لاتعطى النساء من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له بنت هنيئا لك النافجة اي المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه الى مالك فينتفج اي يكثر ويزداد يقال نفج ثدي المرأة قميصها ينفجه اي رفعه ورجل نفاج اذا كان صاحب فخر وكبر قال ابن الاعرابي النافجة ماياخذه الرجل من الحلوان اذا زوج بنته فنهى الله تعالى عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله ﴿قوله الضمير للصداق﴾ يعني ان ضمير منه يعود على الصداق المدلول عليه بقوله صدقاتهن لان الصدقات في معنى الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن كان المقصود حاصلا ولا يختل المعنى ﴿قوله او يجري﴾ عطف

ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة (نحلة) اي عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة * كأنه في الجلد توليع البهق * اذ سئل فقال اردت كان ذلك

على قوله الصداق اى او هو والصدقات الا انه افرد مع تعدد المرجوع اليه اجرآء له مجرى اسم الاشارة فانه قد يشار به مفردا مذكرا الى اشياء متعددة كما فى قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر شهوات متعددة قبله وروى انه لما قال رؤبة ❁ فيها خطوط من سواد وبلق ❁ كأنه فى الجلد توليع البهق ❁ قيل له ان كان الضمير فى قولك كأنه عائدا الى الخطوط كان يجب ان تقول كانها وان عاد الى السواد والبلق كان يجب ان تقول كأنهما فاجاب بانى اردت كان ذلك فجعله راجعا الى الخطوط اجرآء له مجرى اسم الاشارة ﴿قوله وقيل للابتداء﴾ المدلول عليه باتوا فالمعنى فان اعرضن لاجلكم عن شئ من ايتائكم اياهن طيبات النفوس بذلك فان حرفى الجر فى قوله لكم عن شئ متعلقان بالفعل قبلهما مضمنا معنى الاعراض والتجافى وقوله منه فى محل الجر على انه صفة لشئ متعلق بمحذوف اى عن شئ كائن منه ومال المصنف الى ان كلمة من فيه للتبعيض حيث قال وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب وقال ابن عطية ومن لبيان الجنس هنا ولذلك يجوز للمرأة ان تهب المهر كله ولو كانت للتبعيض لما جاز ذلك وفى كلام المصنف اشارة الى ضعف دليله والطيب فعل النفس الا انه لما اسند اليهن احتيج الى ذكر النفس تمييزا وبيانا للجنس المراد منهن ﴿قوله فخذوه وأنفقوه﴾ اشارة الى ان المراد بالاكل ههنا مطلق الانتفاع والانفاق على اى وجه كان تعبيرا عن الشئ باشهر افراده واظهرها والى ان قوله هنيئا مريئا عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة ثم اشار الى انهما صفتان بمعنى واحد وهو السائغ بلا غائلة وان فرق البعض بينهما بان الهنئ ما يلذه الآكل والمرئ ما تحمد عاقبته وذكر لانتصابهما ثلاثة اوجه الاول انهما منصوبان انتصاب المصدر القائم مقام فعله المحذوف كما فى سقيا لك كأنه قيل هناءة ومرآءة على الدعاء بمعنى هنأ ومرأ والثانى انهما منصوبان على انهما صفتا مصدر محذوف للفعل المذكور اى فكلوه هنيئا مريئا على الاسناد المجازى اذ الهنئ حقيقة هو المأكول لا الآكل والثالث انهما حالان من الهاء فى فكلوه والمعنى كلوه وهو هنئ مرئ ﴿قوله وهو الملائم﴾ المختلف فى ان قوله تعالى ولاتؤتوا السفهاء هل هو نهى مختص بالاولياء عن ايتاء من لارشد لهم من اليتامى الذين تحت ولايتهم اموالهم او هو خطاب عام لكل احد بان لايعطى ما اعطاه الله تعالى من اسباب معيشته امرأته وبنيه وان كانوا اصحاب رشد وعقل فيكونون هم الذين يقومون عليه فينظر الى ما فى ايديهم فى معاشه ومصالحه بل ينبغى له ان يمسك ماله ويصلحه ويكون هو الذى ينفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم وسائر مؤنهم رجح القول الاول بانه الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة فانها كلها متعلقة باموال اليتامى وعلى القول الثانى يكون المراد بالسفهاء النساء والاولاد الايتام ومما يرجح القول الاول ان ظاهر النهى التحريم واجمعوا على انه لايحرم عليه ان يهب من اولاده الصغار ومن النسوان ماشاء من ماله واجمعوا على انه يحرم على الولى ان يدفع الى السفهاء اموالهم وانه تعالى قال فى آخر الآية وقولوا لهم قولا معروفا وهذه الوصية بالايتام انسب لان المرء مشفق بطبعه على اولاده فلا يقول لهم الا المعروف وانما يحتاج الى هذه الوصية مع الايتام الاجانب الا ان اضافة الاموال اليهم على القول الثانى تكون حقيقة وعلى القول الاول تكون الاموال للسفهاء لا للاولياء فاضافتها الى الاولياء لا لانهم مالكوها بل من حيث انهم ملكوا التصرف فيها وكونها فى ولايتهم ويكفى فى حسن الاضافة ادنى ملابسة وسبب ﴿قوله وانما سماهم سفهاء﴾ جواب عما يقال السفهاء على القول الثانى عبارة عن النساء والاولاد وان لم يكونوا سفهاء فى نفس الامر فلم سماهم سفهاء ويرجح القول الثانى قوله تعالى التى جعل الله لكم قياما لان قيام كل احد انما هو مال نفسه لامال اليتيم الذى تحت ولايته فتوصيف الاموال بانها قيام المخاطبين يرجح القول الثانى لعموم الخطاب ويكون اضافة الاموال حقيقة وعلى القول الاول يكون المراد بالاموال اموال اليتامى وتلك الاموال لما اتحدت مع الاموال التى جعلها الله تعالى سبب قيام المخاطبين بالجنس صح ان يحكم عليها بانها سبب قيام المخاطبين كما صح ان يقال البقر متحد مع الغنم فى الحيوانية والقيام مصدر قام واصله قوام ابدلت الواو ياء لما ذكر فى الصرف والقيم مصدر بمعنى القيام وليس مقصورا منه عند الكسائى قيل انه مقصور منه حذف الف قيام تخفيفا كما قال صير فى صيار وخيط فى خياط والقوام اما مصدر قاوم وكقولا وذ او اذا صحت الواو فى المصدر كما صحت فى الفعل او انه اسم لما يقوم به الشئ وليس بمصدر كقولهم هذا من ملاك الامر اى ما يملك به واختار المصنف هذا الوجه ﴿قوله واجعلوها مكانا﴾ اشارة الى ان كلمة فى للظرفية لا بمعنى من التبعيضية فليس المعنى امر الاولياء بان يجعلوا بعض اموال اليتامى رزقا لهم بل المعنى امرهم بان يجعلوا تلك الاموال مكان رزقهم بان

وقيل للابتداء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنئ والمرئ صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنئ ما يلذه الانسان والمرئ ما تحمد عاقبته روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت (ولاتؤتوا السفهاء اموالكم) نهى للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها فى تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله (التى جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التى من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمى ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه

يتجروا فيها فيجعلوا رزقهم من الارباح لا من اصول المال لئلا يفنيها الانفاق فلما كانت الاموال ظروفا للارباح كانت ظروفا لرزق الايتام ايضا وفي الوسيط وانما قال فيها ولم يقل منها لانه اراد اجعلوا لهم فيها رزقا كأنه اوجب لهم ذلك في المال وماذكره لايكون وجها للعدول عن كلمة من الا بان يريد به ماذكره المصنف فليتأمل

﴿ قوله عدة جميلة ﴾ مثل ان يقول رجعت في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي هذه جعلت لك حظا او قسمة والقول المعروف ان يعرّف الولي الصبي ان المال ماله وهو خازن له وانه اذا زال صباه وحصل له حسن التدبير في ماله ردّ المال اليه وان يعظه وينصحه ويحثه على اداء الصلوات وتعلم احكام الدين ويرغبه في ترك التبذير والاسراف ويعرّفه ان عاقبة التبذير الاحتياج الى الخلق ونحو ذلك مما حسنه الشرع والعقل من الكلام

﴿ قوله اختبروهم قبل البلوغ ﴾ لان قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح يدل على ان البلوغ غاية الابتلاء فلا بدّ ان يكون الابتلاء مقدما على البلوغ فان حتى هذه حرف غاية دخلت على الجملة الشرطية وجوابها والمعنى ابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد فهي حرف ابتداء دخلت على الجملة الشرطية كالتي دخلت على سائر الجمل كما في قوله

فمازالت القتلى تمج دماءها ❁ بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ❁

اي احمر يقال دم اشكل اذا كان فيه حمرة يخالطها بياض وتمج اي تلقي وتدفع واذا الواقعة بعد حتى متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فالفاء في فان آنستم فاء جواب اذا وفي قوله فادفعوا فاء جواب ان فالله تعالى لما امر قبل هذه الآية بدفع مال اليتيم اليه حيث قال وآتوا اليتامى اموالهم بيّن بهذه الآية متى تؤتوهم اموالهم فشرط في دفع اموالهم اليهم شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد ومعرفته فيهم فان قوله آنستم منهم رشدا اي عرفتم وقيل اي رأيتم واصل الايناس في اللغة الابصار ومنه قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا واما الرشد فمعلوم انه ليس المراد الرشد الذي لاتعلق له بصلاح ماله بل لابدّ وان يكون هذا مرادا وهو ان يعلم انه مصلح لماله حتى لايقع منه اسراف ولايكون بحيث يقدر الغير على خديعته ثم اختلفوا في انه هل يضم اليه الصلاح في الدين فعند الامام الشافعي لابدّ منه وعند ابي حنيفة هو غير معتبر في الرشد الذي هو شرط لدفع المال اليه والصلاح في الدين هو ان يكون مجتنبا عن الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة والصلاح في امر المال ان لايكون مبذرا والتبذير هو ان ينفق ماله فيما لايكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة اخروية ولايحسن التصرف فيغبن في البيوع

﴿ قوله بان يكل اليه مقدمات العقد ﴾ هذا عند الامام الشافعي فان تصرف الصبي العاقل المميز عنده سوآء اذن له الولي في ذلك او لم يأذن لايجوز لانه سبحانه وتعالى امر بدفع المال اليه بعد بلوغه وايناس الرشد منه فلم يجز دفع المال اليه حال صغره وجب ان لايصح تصرفه حال الصغر بل المراد بالابتلاء اختبار عقله وابتلاء حاله في انه هل له فهم وعقل يعرف به المصالح والمفاسد اولا وذلك لايستلزم الاذن في التصرف بل يحصل بان يبيع الولي ويشتري بحضور الصبي ثم يستكشف منه احوال ذلك البيع والشراء ومافيهما من المصالح والمفاسد ويحصل ايضا بان يكل اليه مقدمات البيع والشرآء بان يدفع اليه شيأ ليبيع او يشتري فاذا باعه الصبي او اشترى به يحصل به اختبار عقله وهذا القدر لايدل على صحة ذلك العقد بل يجوز ان يتوقف صحته على ان يتم الولي ذلك العقد وقال ابو حنيفة تصح تصرفاته باذن الولي احتجاجا بهذه الآية فان قوله تعالى وابتلوا اليتامى الآية امر باختبار حالهم قبل بلوغهم وهذا الاختبار لايحصل الا بان يأذن له الولي في البيع والشرآء بعد ان يدفع اليه مايتصرف فيه

﴿ قوله وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد ﴾ قال الامام اتفقوا على انه اذا بلغ غير رشيد فانه لايدفع اليه المال ثم عند ابي حنيفة لايدفع اليه ماله حتى يبلغ خمسا وعشرين سنة فاذا بلغ ذلك دفع اليه ماله على كل حال وانما اعتبر هذا السن لان مدّة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زاد عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه الصلاة والسلام «مروهم بالصلاة لسبع» فعند ذلك تمت المدة التي يمكن فيها حصول تغير الاحوال فعندها يدفع اليه ماله اونس منه الرشد او لم يونس وقال الامام الشافعي لايدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهم الله

﴿ قوله مسرفين ومبادرين كبرهم ﴾ اشارة الى ان اسرافا وبدارا منصوبان على انهما مصدران وقعا موقع الحال والبدار مصدر بادر مبادرة بمعنى سارع مسارعة

(وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه مايتصرف فيه (حتى اذا بلغوا النكاح) حتى اذا بلغوا حدّ البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده (فان آنستم منهم رشدا) فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم (فادفعوا اليهم اموالهم) من غير تأخير عن حدّ البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد (ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم

والمفاعلة يجوز ان تكون من اثنين على الاصل بمعنى ان الولى يبادر اليتيم الى اخذ ماله واليتيم يبادر الى الكبر ويجوز ان تكون من واحد على ان يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافر وطارق وان قوله ان يكبروا فى موضع النصب على انه مفعول به لقوله بدارا كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما اى لا تأكلوها وانتم تبادرون بلوغهم واستحقاقهم لان يأخذوا منكم اموالهم يقال بادرت مجيء زيد اى فعلته قبل مجيئه والمعنى لا تأكلوها قبل بلوغهم واسترداداهم منكم اموالهم وقوله ان يكبروا بفتح الباء من باب علم يقال كبر الرجل يكبر كبرا اى أسن وكبر بالضم يكبر اى عظم وقوله او لاسرافكم ومبادرتكم اشارة الى ان وجه انتصابهما كونهما مفعولا لهما اى لاجل الاسراف والبدار والاكل اسرافا عبارة عن الاكل بغير حق وقوله تعالى ولا تأكلوها ليس معطوفا على قوله فادفعوا بل هو جملة مستأنفة لان قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا جملة شرطية مترتبة على بلوغ اليتامى حد النكاح فيكون دفع اموالهم اليهم متأخرا عن بلوغهم فعطف قوله ولا تأكلوا مبادرين كبرهم يستلزم ان يكون الاكل مترتبا على بلوغهم متأخرا عنه ايضا وقوله وبدارا ان يكبروا يستلزم ان يكون الاكل ايضا سابقا على ما يترتب عليه وهو محال

﴿ قوله فليستعفف من اكلها ﴾ اى فليمتنع عنه والعفة الامتناع عما لا يحل قال الواحدى استعف عن الشيء وعف عنه اذا امتنع عنه وقال الزمخشرى استعف ابلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والآية صريحة فى ان ولى الصبى اذا كان غنيا بماله غير مضطر الى مال اليتيم لا يحل له ان يأكل من مال اليتيم واما من كان فقيرا محتاجا الى ماله فله ان يأكل منه بالمعروف فانه اذا تعهده وسعى فى القيام بمصالحه فله ان يأكل منه قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة فان قوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ايضا قياسا على الساعى فانه يضرب له سهم من الصدقات بقدر عمله فكذا هنا روى عن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب ﴿ قوله غير متأثل مالا ﴾ التأثل اتخاذ اصل المال اى ليس له من ماله الا تناول القوت لا اتخاذ رأس المال وقيل الاكل بالمعروف ان يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا ايسر قضى ما استقرضه روى ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وعبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فانى قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا وانى انزلت نفسى واياكم من مال الله بمنزلة ولى اليتيم فمن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وقيل القول بالاستقراض مختص باصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من ألبان المواشى واستخدام العبيد وركوب الدواب فيباح له اذا كان غير مضر بالمال تمسكا بقوله سبحانه وتعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم فحكم فى الاموال بدفعها اليهم ﴿ قوله فانه انفى للتهمة ﴾ اى عن نفسه اى لئلا يتهم الناس الاولياء والاوصياء انهم خانوا فى اموال اليتامى واضاعوها وازالة التهمة عن نفسه مندوب لكل احد قال عليه الصلاة والسلام * اتقوا مواقع التهم * وقال عليه الصلاة والسلام * من وجد لقطة فليشهد ذوى عدل ولا يكتم * فامره بالاشهاد لتظهر امانته وتزول التهمة عنه والامر بالاشهاد ليس للوجوب بل هو امر ارشاد الى ما هو الاحوط والاولى واختلفوا فى ان الوصى اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه دفع المال اليه هل يصدق اولا وكذلك لو ادعى انه انفق عليه فى صغره هل يصدق اولا قال الامام مالك والامام الشافعى رضى الله عنهما لا يصدق استدلالا بهذه الآية فان الامر بالاشهاد يدل على وجوبه وعلى ان دعواه لا تقبل الا بالبينة وقال ابو حنيفة رضى الله عنه واصحابه يصدق لانه يقبل قوله لامتنع الناس من قبول الوصايا فيقع الخلل فى هذا الامر العظيم الا ان الاستشهاد اولى لانه اذا لم يشهد فادعى عليه يتوجه اليمين اليه فان حلف يتهم بالحلف الكاذب وان نكل يجب الضمان عليه وكلاهما محذور ولو اقام البينة على انه دفع المال اليه تخلص من كل واحد من المحذورين

﴿ قوله تعالى وكفى بالله حسيبا ﴾ كفى فعل والمجرور بالباء فاعله كما فى هذه الآية وفى مضارعه ايضا نحو قوله تعالى اولم يكف بربك وكفى متعد الى واحد وهو محذوف هنا تقديره وكفاكم الله وانتصاب حسيبا اما على انه تمييز او على انه حال نقل عن ابن الانبارى والازهرى رحمهما الله انهما قالا يحتمل ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب وان يكون بمعنى الكافى فمن الاول قولهم للرجل حسيبه الله ومعناه محاسبه الله على ما يفعل من الظلم ومن الثانى قولهم حسيبك الله اى كافيك وهذا وعيد لولى اليتيم واعلام له بان الله تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوى او يعمل

﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ من اكلها ﴿ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى ﴿ فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ﴾ بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق فى دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابى حنيفة ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم

(نصيبا مفروضا) نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله او حال اذا المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى تبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (واذا حضر القسمة اولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين فارزقوهم منه) فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة (وقولوا لهم قولا معروفا) وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم) امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا)

في مال اليتيم ما لا يحل سواء فسرنا الحسيب بالحاسب او بالكافي واختار المصنف كونه بمعنى الحاسب كما لا يخفى ﴿قوله تعالى مما ترك﴾ في محل الرفع على انه صفة للمرفوع قبله اي نصيب كائن او مستقر مما ترك ﴿قوله بدل مما ترك﴾ اي من ما الاخيرة في مما ترك باعادة حرف الجر في البدل والضمير في منه عائد على ما الاخيرة وهذا البدل مراد ايضا في الجملة الاولى حذف لدلالة عليه ﴿قوله نصب على انه مصدر مؤكد﴾ الظاهر انه من قبيل التأكيد لغيره لان الجملة التي كانت كالنائبة عن ناصبه لها محتمل غير مضمون ناصبه ومن حيث دلالتها عليه جعل المصدر مضمونا لتلك الجملة ومؤكدا لها والمراد بقوله انه مصدر مؤكد انه واقع موقع المصدر للفعل المدلول عليه بالجملة المتقدمة اذ التقدير اعطوهم عطاء مفروضا او انهم يستحقونه استحقاقا مفروضا مقطوعا به ﴿قوله اذا المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب﴾ يعني ان العامل في الحال هو معنى الاستقرار او الثبوت الذي تعلق به الجار والمجرور في قوله تعالى للرجال نصيب فقوله نصيب مبتدأ وللرجال خبر والمنوي فيه هو ذو الحال ﴿قوله ان اوس بن الصامت﴾ قيل الصحيح اوس بن ثابت كما ذكره الامام رحمه الله وهو اخو حسان بن ثابت المادح استشهد باحد واما اوس بن الصامت اخو عبادة فانه استشهد في خلافة عثمان رضي الله عنه وام كجة بالجاء المهملة وضم الكاف كنية زوجته وقوله فزوى اي جمع وضم الى نفسه ثم ان الراوي رحمه الله شك في ان ابني عمه هل هما الاولان اعني سويدا وعرفطة او الآخران قتادة وعرفجة وقوله ويذب عن الحوزة اي يدفع عن من هو في ناحيته من اهله وعشائره والنساء والاطفال ليسوا بهذه المثابة فلا نورثهما فشكت بان قالت ان الوصيين ما دفعا شيأ الي ولا الى بنات اوس وانا امرأته وليس عندي ما انفق عليهن وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين فقال عليه الصلاة والسلام ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله تعالى في امرك * فنزلت هذه الآية ودلت على ان للذكور من اولاد الميت واقربائه نصيبا مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء كذلك نصيب لكنه سبحانه وتعالى لم يبين المقدار في هذه الآية فأرسل عليه الصلاة والسلام الى الوصيين وقال لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله سبحانه وتعالى جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين الانه سبحانه وتعالى لم يبين كم هو فاصبرا حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم وانزل فرض الزوجة فارسل عليه الصلاة والسلام اليهما ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى البنات الثلثين ولكما ما بقي من المال ولعل الحكمة في انزال الحكم اولا على الاجمال ثم تفصيل ما اجمل من نصيب الرجال والنساء ان القوم كانت لهم عادة في توريث الكبار دون الصغار ودون النساء فكان فيما انزل تغيير لتلك العادة الجاهلية والنقل عن العادة المألوفة مما يشق على النفس ويثقل على الطبع فلا جرم سلك في تغيير تلك العادة سبيل التدريج اذ لو غيرها دفعة لعظم وقعها على النفوس فذكر الله سبحانه وتعالى هذا المجمل اولا ثم اردفه بالتفصيل ليسهل قبوله ﴿قوله فاعطوهم شيأ من المقسوم﴾ صحح هذا التفسير سواء جعل ضمير منه لما ترك او للمال المقسوم الذي دل عليه القسمة اما لان المراد بالقسمة قسمة المال المتروك بين الورثة ﴿قوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا﴾ فان الذين لا يرثون من الاقارب وكذا الايتام والمساكين من الاجانب اذا حضروا وقت القسمة فان تركوا محرومين بالكلية ثقل عليهم ذلك فلا جرم امر الله سبحانه وتعالى امر ندب بتطييب قلوبهم بان يدفع اليهم شيء من المال المقسوم ويلطف لهم القول ويقال لهم خذوا هذا الحقير القليل بارك الله لكم فيه ويستقل الدافع لهم ما اعطاهم ولا يتبع عطيته المن والاذى بالقول ﴿قوله ولو بما في حيزه﴾ اي بجوابه الذي هو قوله سبحانه وتعالى خافوا عليهم اذ التقدير لو تركوا لخافوا ويجوز حذف اللام في جواب لو ﴿قوله حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا الخ﴾ جعل الترك بمعنى مشارفة ان يخلف ويترك لانه لو ابقي على ظاهره لزم ان يكون الخوف بعد الموت ولا معنى له فان تركهم ذرية خلفهم عبارة عن الموت وقد اجيب عن هذا الشرط بقوله سبحانه وتعالى خافوا عليهم والجواب مترتب على الشرط فيلزم ان يكون خوفهم على من خلفهم بعد موتهم وهو محال فجعل الترك بمعنى مشارفته لئلا يلزم ذلك المحذور ﴿قوله وفي ترتيب الامر عليه﴾ يعني انه سبحانه وتعالى جعل الجملة الشرطية صلة ورتب الامر بالخشية عليها للاشارة الى ان المقصود بالامر الترغيب في الخشية من ضياع اولاد غيرهم والى العلة في ذلك وهي ان كل من كان شأنه ودأبه الخشية على ذرية نفسه من الضياع لضعفها وانفرادها عن من يلي عليها ويكسب لاجلها لابد له من ان يخشى من ضياع اولاد غيره لاجل ضعفهم وانفرادهم عمن يقوم بكفايتهم عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن العبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه * فمن لا يرضى لاولاد نفسه بضياعهم بسبب الجوع والعري

وحسن الادب او لمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما) ظالمين او على وجه الظلم (انما يأكلون فى بطونهم) ملء بطونهم (نارا) ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابى بردة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (وسيصلون سعيرا) سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها (يوصيكم الله) يأمركم ويعهد اليكم (فى اولادكم) فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف لعلمه (فان كن نساء) اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات (فوق اثنتين) خبر ثان او صفة نساء اى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) المتوفى منكم ويدل عليه المعنى (وان كانت واحدة فلها النصف) اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما توهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك (ولابويه) ولابوى الميت (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا (السدس مما ترك ان كان له) اى الميت (ولد) ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة (فان لم يكن له ولد وورثه ابواه) فحسب (فلامه الثلث) وانما ما ترك لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى

(اكثر)

لبقائهم بغير مال ولا كاسب فكيف يرضى بذلك فى حق اولاد غيره ﴿قوله ظالمين او على وجه الظلم﴾ يريد ان انتصاب ظلما يجوز ان يكون على انه حال من يأكلون وان يكون على التمييز وقوله تعالى انما يأكلون هذه الجملة فى محل الرفع على انها خبر ان وجاز وقوع خبر ان جملة مصدرة بان لكونها مكفوفة بما ﴿قوله ملء بطونهم﴾ فسر فى بطونهم على ملء بطونهم اخذا من استعمال العرب فانه يقال اكل فلان فى بطنه اذا اكل ملء بطنه واذا قصدوا الاخبار عن اكلهم فى بعض البطن صرحوا بذكر لفظ البعض وقالوا اكل فى بعض بطنه قال

٭ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ٭ فان زمانكم زمن خميص ٭

واليه ينظر قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة امعاء والبطن اسم لجميع الامعاء وما احتوى عليه وخرج به الجواب عما يقال الاكل لا يكون الا فى البطن فما فائدة قوله يأكلون فى بطونهم ﴿قوله ما يجر الى النار﴾ فيكون النار مجازا على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب ويكون يأكلون محمولا على الحال ﴿قوله وعن ابى بردة الخ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله ما يجر الى النار فان اكل النار على هذه الرواية يكون محمولا على الحقيقة على معنى ان بطونهم اوعية للنار حقيقة بان يخلق الله سبحانه لهم نارا يأكلونها فى بطونهم يوم القيامة ويكون يأكلون محمولا على الاستقبال ٭ وتأجج تلهب النار ﴿قوله وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه﴾ جواب عما يقال ان الآية نازلة لبيان استحقاق الاناث الميراث كالذكور فالمناسب لسبب النزول الاهتمام بشأنهن والتنصيص على بيان حظهن فهلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى مثل نصف حظ الذكر وتقرير الجواب ان الآية لما كانت نازلة لتفصيل قوله سبحانه وتعالى يوصيكم الله فى اولادكم كانت نازلة لتفصيل نصيب كل واحد من ذكور الاولاد واناثهم وايضا لما نزلت انكارا لعادتهم فى توريث الذكر كل التركة وحرمان الاناث بالكلية وكان كل واحد من عدم توريث الاناث وتوريث الذكور كل المال منكرا كان المقصود بيان نصيب كل واحد من الفريقين على وجه يتضمن انكار عادتهم القبيحة فجيء بعبارة تدل على نصيب كل واحد منهما الا انه ذكر حظ الذكر على وجه التنصيص والتصريح به واكتفى فى بيان حظ الانثى بافهامه من سوق الكلام وبدلالة الكلام عليه بالالتزام لامرين الاول القصد الى بيان فضل الذكر على الانثى والثانى التنبيه على انه يكفى لقضاء حق فضله على الانثى تضعيف نصيبه على نصيبها وحرمانها بالكلية افراط فى تفضيله وتفريط فى حقها مع اشتراكهما فى جهة الاتصال بالميت وهى الجزئية والاجتماع فى صلبه والتولد من نطفته ﴿قوله والمعنى للذكر منهم﴾ يعنى ان هذه الجملة لما وقعت تفصيلا لما قبلها وجب اشتمالها على الضمير العائد منها الى قوله اولادكم فقال انه محذوف للعلم به كما فى قوله السمن منوان بدرهم ﴿قوله وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس﴾ لانه لو قيل لابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتسوية وبخلافها ﴿قوله والتفصيل﴾ عطف على قوله التنصيص فانه لو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لحصل التنصيص المذكور فما الفائدة فى ذكر قوله ولابويه اولا ثم ابدال قوله لكل واحد منهما منه ثانيا فاجاب عنه بان الابدال فيه تفصيل بعد الاجمال فيه ذكر الشيء مرتين مرة على الاجمال ومرة على التفصيل فيكون آكد واوقع فى النفس فقوله السدس مبتدأ ولابويه خبر مقدم وقوله لكل واحد منهما بدل من لابويه ﴿قوله ان كان له اى للميت ولد ذكر او انثى﴾ لا يخفى ان اسم الولد يشمل على الذكر والانثى فان كان مع الابوين ولد ذكر واحدا كان او اكثر فيهما لكل واحد من الابوين السدس بالفرض والباقى للولد الذكر بالتعصيب وان كان مع الابوين بنتان او اكثر كان لكل واحد من الابوين ايضا السدس وللبنتين فصاعدا الثلثان بالفرض وان كان مع الابوين بنت واحدة فلها النصف ولكل واحد من الابوين السدس بالفرض فالمسئلة من ستة نصفها ثلاثة فهى للبنت وسدسها واحد فهو للام وسدسها الآخر للاب بالفرض وبقى سدس آخر فهو ايضا للاب بحكم التعصيب ﴿قوله وورثه ابواه فحسب﴾ نفى ان يكون معهما وارث آخر سواهما لان ظاهر قوله وورثه ابواه يشعر بانه لا وارث له سواهما واذا كان كذلك كان مجموع المال لهما واذا كان نصيب الام منه هو الثلث وجب ان يكون الباقى وهو الثلثان للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين كما فى حق الاولاد ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى وعلى تقدير ان يكون المال بينهما اثلاثا ثلثه للام وثلثاه للاب كان ينبغى ان يكون فرض الام فيما اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين ثلث ما بقى من فرض احدهما حتى يكون ما ورثاه اثلاثا بينهما كما ذهب اليه

اكثر الصحابة رضي الله عنهم حيث قالوا ان الزوج يأخذ نصيبه ثم يدفع ثلث مابقي الى الام ويدفع الباقي الى الاب وقال ابن عباس يأخذ الزوج فرضه وتأخذ الام ثلث الكل ويأخذ الاب مابقي وقال لااجد في كتاب الله سبحانه وتعالى ثلث مابقي وعن ابن سيرين انه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين وخالفه في الزوج والابوين لانه يفضي الى ان يكون للانثى اكثر من حظ الذكر واما في الزوجة فلا يفضي الى ذلك ﴿قوله باطلاقه﴾ اى حيث لم يقيد كون الاخوة حاجبة للام بكونهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فدل ذلك على ان حجبهم للام ليس مشروطا بتوريثهم مع الاب بل انهم يحجبونها من الثلث الى السدس وان كانوا لايرثون مع الاب ﴿قوله والجمهور على ان الخ﴾ اى اتفقوا على ان الاخت الواحدة لاتحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا ايضا على ان الاخوة الثلاثة يحجبون واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة رضي الله عنهم على القول باثبات الحجب كما في الثلاثة وقال ابن عباس لايحجبان كما في حق الواحدة حجة ابن عباس ان الآية دالة على ان هذا الحجب مشروط بوجود الاخوة ولفظ الاخوة جمع واقل الجمع ثلاثة كما ثبت في اصول الفقه فاذا لم توجد الثلاثة لم يحصل الشرط فوجب ان لايحصل المشروط وهو الحجب روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لعثمان رضي الله تعالى عنه لم صار اخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال تعالى وان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان لااستطيع ان ارد قضاء قضي به من قبلي وامضى في الامصار وقال الجمهور رأينا ان الله تعالى نزل الاثنين من النساء بمنزلة الثلاث في باب الميراث فوجب ان يكون الاختان حاجبتين للام من الثلث الى السدس واذا كان كذلك وجب ان يحجب الاخوان ايضا فيكون لفظ الاخوة متناولا لكل عدد من له اخوة سواء كانوا ذكورا او اناثا اوبعضهم ذكورا وبعضهم اناثا ويكون هذا من باب التغليب ﴿قوله من بعد ما كان من وصية﴾ اى من تنفيذ وصية الميت وقضاء دينه فهو على تقدير المضاف بدلالة المقام ﴿قوله وانما قال بأو التى للاباحة﴾ اى للتسوية وعدم اختلاف الحكم بتعلقه بالامرين جميعا او باحدهما ولما كان المقصود ههنا بيان التسوية بينهما في الوجوب والتقدم على القسمة بين الورثة اختير كلمة او على الواو * فان قلت جعل او في الخبر للاباحة مخالف لما ذكر من ان او في الخبر للشك وفي الامر للتخيير او للاباحة * اجيب بان الخبر هنا بمعنى الامر المتقدم في قوله يوصيكم الله اى يأمركم ويعهد اليكم فكان من قبيل قولك جالس الحسن او ابن سيرين فان معناه ان كل واحد منهما اهل لان يجالس فان جالست الحسن فانت مصيب او ابن سيرين فانت مصيب وان جمعتهما فانت مصيب بخلاف مالو قيل بالواو فانه يقتضي ان تجالسهما معا فان جالست واحدا منهما دون الآخر فقد خالفت الامر فكذا ههنا لو قال من بعد وصية يوصي بها ودين لوجب في كل مال ان يحصل الامران ومعلوم انه ليس كذلك فذكر بلفظ او ليكون المعنى ان كان احدهما فهو مقدم على الميراث وكذا ان كان كلاهما ﴿قوله وقدم الوصية﴾ اى قدم ذكرها في النظم مع كونها مؤخرة عن قضاء الدين في الحكم بعثا على تنفيذها وترغيبا في اخراج المال الموصى به الى الموصى له فانها لما كانت شبيهة بالميراث في كونها مأخوذة بلا عوض كان تنفيذها شاقا على الورثة فاحتيج الى تحريكهم وترغيبهم في تنفيذها ﴿قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم﴾ مبتدأ ولاتدرون وما في حيزه في محل الرفع خبر له وايهم اسم استفهام مرفوع على الابتداء واقرب خبره والجملة من هذا المبتدأ وخبره في محل نصب بتدرون لانها من افعال القلوب فعلقها اسم الاستفهام من ان تعمل في لفظه لان اسم الاستفهام لايعمل فيه ماقبله فالجملة سادة مسد المفعولين ولاحاجة الى اعتبار الحذف ثم هذه الجملة اعني قوله آباؤكم وابناؤكم لاتدرون لامحل لها من الاعراب لانها جملة اعتراضية لوقوعها بين قسمة المواريث وليس المراد بالاعتراض هنا ماهو المصطلح عند النحويين لانهم لايعنون بالاعتراض في اصطلاحهم الا ما كان بين شيئين متلازمين كالاعتراض الواقع بين المبتدأ وخبره والشرط والجزاء والقسم وجوابه والصلة وموصولها واختار المصنف كونه اعتراضا مؤكدا لامر القسمة او لتنفيذ الوصية وتوجيه الاول انه تعالى بين انصباء الاولاد في قوله يوصيكم الله في اولادكم وانصباء الابوين في قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس فقد عين لكل واحد من الآباء والابناء انصباء مختلفة والعقول لاتهتدي الى كمية تلك التقديرات فان الانسان ربما يخطر بباله ان القسمة لو وقعت على غير هذا الوجه كانت له انفع واصلح كما هو المتعارف عند اهل الجاهلية فانهم كانوا يورثون الرجال الاقوياء ولايورثون النساء والصبيان لضعفهم فانكر الله تعالى عليهم فيما خطر ببالهم من هذا القبيل وقال انكم تعلمون ان عقولكم لاتحيط

كما قاله الجمهور لاثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع (فان كان له اخوة فلامه السدس) باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لايرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لايحجب الام من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها (من بعد وصية يوصي بها او دين) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ماكان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد (آباؤكم وابناؤكم لاتدرون ايهم اقرب لكم نفعا) اى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى منهم عرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية

{فريضة من الله} مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم {ان الله كان عليما} بالمصالح والرتب {حكيما}

فيما قضى وقدر {ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن} اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم {من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين} فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن {وان كان رجل} اى الميت {يورث} اى يورث منه من ورث صفة رجل {كلالة} خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى

فآليت لا ارثى لها من كلالة * ولا من حفى حتى الاقى محمدا *

فاستعيرت لقرابة ليست بالعصبة لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى {او امرأة} عطف على رجل {وله} اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه {اخ او اخت} اى من الام ويدل عليه قراءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها {فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث} سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة

بمصالحكم فاتركوا تقدير المواريث بالمقادير التى تستحسنها عقولكم وكونوا مطيعين لامر الله تعالى فى هذه التقديرات التى قدرها فانه العالم بعواقب الامور وعواقبها ووجه الحكمة فيما دبره وقدره وهو العليم الحكيم وجعل النفع فى قوله اقرب لكم نفعا اعم من نفع الدنيا ونفع الآخرة وانتفاع بعضهم ببعض فى الدنيا كانتفاعه بالانفاق عليه والتربية له والذب عنه وانتفاعهم فى الآخرة هو انتفاع بعضهم بشفاعة البعض كما اشار اليه بقوله روى ان احد المتوالدين الخ وتوجيه كونه اعتراضا مؤكدا لامر تنفيذ الوصية ما اشار اليه بقوله او من مورثيكم عطفا على قوله من تركتم فانه سبحانه لما ذكر امر تنفيذ الوصية ووجوب تقديمه على قسمة المواريث أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اى الذين يموتون قبلكم لا تدرون من انفع لكم منهم امن اوصى منهم ام من لم يوص يعنى ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا لان عرض الدنيا وان كان قريبا عاجلا فى الصورة الا انه فان وثواب الآخرة خير وابقى فهو بالاعتناء بشأنه اولى واحرى وقوله تعالى نفعا منصوب على التمييز من اقرب وهو منقول من الفاعلية فان الاصل ايهم اقرب لكم نفعه وفريضة مصدر مؤكد لفعل محذوف من لفظها اى فرض الله ذلك فريضة او مؤكد لمضمون الجملة السابقة وهى قوله يوصيكم الله الآية لان معناه فرض الله عليكم ذلك فريضة واعلم انه تعالى اورد اقسام الورثة فى هذه الآيات على احسن الترتيبات وذلك ان الوارث اما ان يتصل بالميت بنفسه من غير واسطة او يتصل به بواسطة غيره والاول قسمان لان سبب الاتصال ان كان هو النسب فهو القسم الاول وان كان هو الزوجية فهو القسم الثانى فثبت ان اقسام الورثة ثلاثة اشرفها واعلاها ما اتصل بالميت بغير واسطة من جهة النسب وذلك هو قرابة الولاد ويدخل فيها قرابة الاولاد والوالدين وهو القسم الاول من اقسام الورثة والقسم الثانى منها من اتصل به ابتداء من جهة الزوجية وهذا القسم متأخر فى الشرف عن القسم الاول لان اتصال الاول بالميت ذاتى واتصال الثانى به عرضى والذاتى اشرف من العرضى وهذا القسم هو المراد بقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم الآية والقسم الثالث من اتصل بالميت بواسطة الغير وهو المسمى بالكلالة وهذا القسم متأخر عن القسمين الاولين لانه قد يعرض له السقوط بالكلية بخلاف القسمين الاولين وهم الاولاد والآباء والازواج فانهم لا يسقطون بحال والله تعالى قدم من الورثة من اتصل بنفسه من جهة النسب لانه اعلاهم ثم ثنى بذكر السبب الذى لا يسقط بحال لانه دون الاول وهو الزوجان ثم ذكر القسم الثالث بعدهما لانه دونهما ولما جعل نصيب الذكر مثل حظ الانثيين فى الوارث الذاتى كذلك جعل حظ الرجل ضعف المرأة ﴿قوله اى ولد وارث﴾ احتراز عن الولد المحروم كالكافر والقاتل والرقيق فانه لا يحجب عند غير ابن مسعود لا حجب حرمان ولا حجب نقصان لانه لما جعل فى حكم استحقاق الارث كالميت ينبغى ان يجعل كذلك فى حكم الحجب ايضا والولد المضاف الى الزوجة كما يعم الذكر والانثى يعم ولدها من زوجها الذى يرثها او من غيره يعم ايضا من ولدته بنفسها والولد المولود من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفلوا فيكون كل واحد من هذه الاولاد حاجبا للزوج من النصف الى الربع ﴿قوله اى يورث منه﴾ يريد ان كان ناقصة ورجل اسمها ويورث على بناء المفعول من ورث الثلاثى فى محل الرفع على انه صفة رجل وورث الثلاثى يتعدى الى مفعولين الى الاول منهما بمن يقال ورثت من زيد ماله وقد تحذف كلمة من فيقال ورثت زيدا ماله اى من زيد وما فى الآية الكريمة من هذا القبيل اذ التقدير يورث منه وكلالة خبر كان ويحتمل ان يكون يورث فى محل النصب على انه خبر كان وكلالة حالا من الضمير فيه وكل واحد من الاحتمالين مبنى على ان تكون الكلالة عبارة عن الميت الذى لم يخلف ولدا ولا والدا وهو قول جمهور اهل اللغة وكثير من الصحابة ﴿قوله او مفعول له﴾ عطف على قوله حال وهو مبنى على ان تكون الكلالة اسما للقرابة من غير جهة الولد والوالد والمعنى يورث الرجل لاجل الكلالة ﴿قوله ويجوز ان يكون الرجل الوارث﴾ عطف على قوله اى الميت الخ فيكون يورث المبنى للمفعول من اورث الرباعى المبنى للمفعول وتكون الكلالة عبارة عن الوارث الذى لا يكون ولدا ولا والدا كما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال له عليه الصلاة والسلام يا رسول الله انى رجل لا يرثنى الا كلالة واراد به انه ليس له ولد ولا والد ﴿قوله اى من الام﴾ اجمع المفسرون ههنا على ان المراد من الاخ والاخت الاخ والاخت من الام استدلالا بما قرأ به بعض الصحابة رضى الله عنهم وبانه سبحانه وتعالى قال فى آخر هذه السورة قل الله يفتيكم فى الكلالة فاثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا اثبت للاخوة الثلث ولكل واحد منهما

(السدس)

السدس فوجب ان يكون المراد من الاخوة والاخوات من الام فقط وهناك الاخوة والاخوات من الابوين او من الاب وبان ماقدر ههنا لكل واحد منهما ولاكثر من ذلك وهو السدس والثلث هو فرض الام فالمناسب ان يكون ذلك لاولاد الام لالبنى الاعمام والعمات ﴿قوله ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة﴾ بناء على ان وجود الام والجدة يمنع كون المورث كلالة كما يمنع من ذلك وجود البنت وبنت الابن فيلزم ان لايرث اولاد الام مع وجود الام والجدة كما لايرثون مع وجود البنت وبنت الابن لكنهم يرثون مع الام والجدة بالاتفاق فاقتضى مفهوم الآية بهذه الصورة فوجب ان يقال قد خص عموم مفهوم الآية بما عدا تلك الصورة بالاجماع ﴿قوله تعالى او دين﴾ اى او من بعد دين يوصى به اى يقربه فان الوصية بالدين عبارة عن الاقرار به ثم بين طرق الاضرار بالورثة بسبب الوصية بقوله بالزيادة على الثلث وهو ظاهر والطريق الثانى ان يوصى بالثلث او بما دونه لالوجه الله تعالى بل يكون قصده بذلك تنقيص مايعود الى الورثة فهو ايضا من طرق الاضرار بالورثة بسبب الوصية ومن طرقه ايضا ان يبيع شيئا بثمن رخيص او يشترى شيئا بثمن غال تنقيصا لحظ الورثة ومن طرق الاضرار بهم الاقرار بالدين بان يقر بدين لايلزمه روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال «من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة» ﴿قوله وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة﴾ وهى قرآءة يوصى على بناء الفاعل وفيه ضمير يعود على الرجل فى قوله وان كان رجل فقوله المذكور صفة يوصى وقوله والمدلول عليه عطف على المذكور يعنى ان ذا الحال فى قرآءة من قرأ على بناء المفعول هو ضمير يوصى المبنى للفاعل الذى دل عليه يوصى المبنى للمفعول لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمه موصيا فانتصب غير مضار حالا من فاعل ذلك الفعل المدلول عليه كما ارتفع رجال فى قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قرآءة من قرأ يسبح على بناء المفعول فانه لما قال يسبح علم ان ثمه مسبحا فاضمر يسبح لدلالة المذكور عليه فارتفع رجال على انه فاعل لذلك المضمر المدلول عليه بقوله يسبح ومنه قوله * ليبك يزيد ضارع * اى يبكيه ضارع ﴿قوله وصية من الله مصدر مؤكد﴾ اى يوصيكم الله بذلك وصية او منصوب على انه مفعول به لقوله مضار والمضارة وان كانت لاتتعدى ولاتتعلق بوصية الله حقيقة بل انما تتعلق بالورثة لكنه سبحانه وتعالى لما وصى بامر الورثة على وفق الحكمة والمصلحة كانت المضارة المتعلقة بهم كأنها متعلقة بوصية الله تعالى الواقعة فى حقهم فعديت اليها على سبيل المجاز فى التعلق مبالغة فى الزجر عنها ويؤيده قرآءة الحسن غير مضار وصية باضافة اسم الفاعل اليها مجازا والاصل غير مضار فى وصية واقعة من الله فاتسع فى امر التعدية حيث عدى بنفسه من غير واسطة لما ذكرنا من المبالغة كما قيل ياسارق الليلة باضافة اسم الفاعل الى ظرفه مجازا واتساعا والاصل ياسارقا فى الليلة ﴿قوله اى لاتضار وصية من الله﴾ يعنى ان قوله وصية من الله على تقدير ان يكون مفعول مضار يحتمل ان يكون المعنى غير مضار للوصية التى شرعها الله تعالى وندب عباده اليها وهى الوصية بالثلث او بمادونه لابمازاد عليه ويحتمل ان يكون المعنى غير مضار وصية الله تعالى بالاولاد اى فى شأن الورثة مطلقا بان يعطى كل ذى حق حقه والاضرار بهم اضرار بوصية الله سبحانه وتعالى فى حقهم فالاضرار بوصية الله على المعنى الاول جعل الوصية بالتبرعات على غير الوجه الذى شرعت عليه وعلى المعنى الثانى عدم رعاية ماوصى به الله تعالى فى حق الورثة من ايصال حقوقهم اليهم اما بالاسراف فى الوصية او بالاقرار بدين لايلزمه فالباء فى قوله بالاولاد بمعنى فى والمراد بالاولاد الورثة مطلقا بطريق التعبير عن الكل باشهر افراده كما عبر عن مطلق الانتفاع بالمال باكله والمعنى وصية الله تعالى فى الورثة اى فى شأن ميراثهم فان قيل ماالحكمة فى انه سبحانه وتعالى ختم الآية الاولى بقوله فريضة من الله وختم هذه الآية بقوله وصية من الله فالجواب ان لفظ الفرض اقوى وآكد من لفظ الوصية فختم شرح ميراث الاولاد بذكر الفريضة وختم شرح ميراث الكلالة بالوصية ليدل بذلك على ان الكل وان كان واجب الرعاية الا ان رعاية حال الاولاد اولى واقوى ﴿قوله كالحدود المحدودة﴾ اى كالنهايات المضروبة المعينة التى تنتهى الاشياء عندها ولاتتجاوزعنها الى غيرها حيث شرآئع الله تعالى حدودا تشبيها لها بالحدود المتعارفة من حيث ان المكلف لايجوز له ان يتجاوزها الى غيرها كما لايتجاوز فى الاشياء عن حدودها وتميز كل شئ عما عداه فكذا تميز الحلال والحرام والطاعة والمعصية بالشرآئع المبينة ﴿قوله لانهما جريا على غير من هماله﴾ معنى قولهم جرت الصفة على غير من هى له ان الصفة خبر عن الشئ او صفة له او حال منه وهى ليست فعلا له بل هى فعل الغير كقولك زيد عمرو ضاربه هو وجاءنى

ومفهوم الآية انهم لايرثون ذلك مع الام والجدة كما لايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع ﴿من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار﴾ اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القرابة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قرآءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم ﴿وصية من الله﴾ مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لاتضار وصية من الله وهو الثلث فمادونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب ﴿والله عليم﴾ بالمضار وغيره ﴿حليم﴾ لايعاجل بعقوبته ﴿تلك﴾ اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث ﴿حدود الله﴾ شرآئعه التى هى كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتها ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ ابن عامر ونافع ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله

زيد راكبا غلامه فضارب جرى على المبتدأ الثانى خبرا عنه و هو فعل المبتدأ ثم هنا اصلان احدهما ان تكون الصفة فعلا تابعا لما جرت عليه و الثانى استكنان الضمير فيها لانه اخصر و باب الاضمار الاختصار فاذا قلت زيد عمرو ضاربه فهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون الضرب فعلا لعمرو ويكون زيد هو المضروب و يضاف ضارب الى ضمير زيد و الآخر أن يكون الضرب فعلا لزيد ويكون المضروب هو عمرو و يضاف ضارب الى ضمير عمرو فاذا ارادوا المعنى الاول قالوا زيد عمرو ضاربه من غير ابراز الضمير لان الصفة لما كانت فعلا لما جرت عليه كما هو الاصل فيها اعطيت ماهو الاصل فيها و هو استكنان الضمير وان ارادوا المعنى الثانى قالوا زيد عمرو ضاربه هو لان الصفة لما عدل بها عماهو الاصل فيها حيث لم تكن فعلا لما جرت عليه عدل بها عن حكمها الاصلى وهو الاستكنان وابرز الضمير ليكون امارة للعدول عن اصلها اذا تقرر هذا ظهر لك ان كل واحد من خالدين وخالدا لوكان صفة لجنات لوجب ابراز الضمير بان يقال خالدين هم وخالدا هو فيها ﴿قوله تعالى واللاتى﴾ جمع التى على غير قياس وقيل هى صيغة موضوعة للجمع جعل سبحانه وتعالى مايثبت به الزنى من الشهادة شهادة اربعة من رجال المسلمين تغليظا على المدعى وسترا على العباد وقيل انما كان الشهود فى الزنى خاصة اربعة ليقوم نصاب الشهادة كاملا على كل واحد من الزانيين كسائر الحقوق اذ هو حق يوجد من كل واحد منهما وفيه مالايخفى من الضعف ولعل حكمة حبس الزوانى الى ان يمتن ان المرأة انما تقع فى الزنى بسبب خروجها وبروزها للرجال فاذا حبست فى البيت فقد تحصنت عن السبب الذى ارتكبت الزنى بسببه فلا تقدر على الزنى فتكون العفة عن الزنى عادة مستمرة لها ﴿قوله حتى يستوفى ارواحهن الموت﴾ جواب عما يقال معنى التوفى الاماتة فيكون قوله حتى يتوفاهن الموت بمنزلة ان يقال حتى يميتهن الموت ولا معنى له واجاب عنه اولا بان المراد حتى يأخذهن الموت ويستوفى ارواحهن من قولهم توفيت مالى على فلان اى استوفيته بمعنى قبضته وفى الصحاح استوفيته وتوفيته بمعنى وثانيا بان الكلام على تقدير المضاف اى حتى يتوفاهن ملائكة الموت كما فى قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها اى حتى تضع اصحاب الحرب قال ابومسلم المراد بقوله واللاتى يأتين الفاحشة السحاقات وحدهن الحبس الى الموت والسحاقة هى المرأة التى تستمتع بالمرأة الاخرى والمراد بقوله واللذان يأتيانها منكم اهل اللواطة وحدهما الاذى بالقول والفعل والمراد بما فى سورة النور من قوله تعالى الزانية والزانى الآية ماوقع بين الرجل والمرأة من الزنى وحده فى البكر الجلد وفى المحصن الرجم ويدل على ذلك وجوه احدها ان قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم مخصوص بالنسوان وقوله واللذان يأتيانها منكم مخصوص بالرجال لان قوله واللذان تثنية المذكر فان قيل لم لايجوز ان يكون المراد من قوله واللذان الذكر والانثى الا انه غلب الذكر فالجواب انه لوكان المراد ذلك لما افرد ذكر النساء من قبل فلما افرد ذكرهن اولا ثم ذكر بعده واللذان يأتيانها منكم سقط ذلك الاحتمال وثانيها انه على هذا التقدير لايحتاج الى التزام النسخ فى شئ من الآيات بل يكون حكم كل واحدة منها مقررا على حاله وعلى ماذكرتم يلزم النسخ فى هاتين الآيتين والنسخ خلاف الاصل وثالثها انه لوكان كل واحد من قوله واللاتى يأتين الفاحشة ومن قوله واللذان يأتيانها منكم واردا فى الزنى يلزمه ان يذكر الشئ الواحد فى الموضع الواحد مرتين وانه تكرير لاوجه له وقال ابومسلم ويدل على صحة ماذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام * اذا اتى الرجل الرجل فهما زانيان واذا اتت المرأة المرأة فهما زانيتان * وقال ايضا انه قال بهذا القول مجاهد وهو من اكابر المفسرين ولئن سلمنا انه لم يقل به احد من المفسرين المتقدمين فنقول قد ثبت فى اصول الفقه ان استنباط تأويل جديد فى الآية لم يذكره المتقدمون جائز وروى عن مجاهد انه قال وجه التكرير ان الاولى وردت فى عقوبة النساء وهذه الآية وردت فى عقوبة الرجال وخص الحبس فى البيت بالمرأة وخص الايذاء بالرجال لان المرأة انما تقع فى الزنى بسبب الخروج والبروز للرجال فاذا حبست فى البيت انقطعت عنها مادة هذه المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج الى الخروج لاصلاح معاشه ومهماته وا كتساب قوت عياله فهو قبيح بما يليق بحاله ﴿قوله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله﴾ اشارة الى ان كلمة انما هى ان المكفوفة بما وان التوبة مرفوعة على الابتداء وعلى الله خبره وان كلمة على الدالة على الوجوب مستعارة لتأكيد الوعد وعدم وقوع الخلف فيه تشبيها للتفرد انجاز الموعود بمقتضى فضله وكرمه بوجود عليه فقوله على الله على تقدير كونه خبرا يكون للذين متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير فى الظرف وهو على الله اى هى على الله كائنة للذين لما اخبر الله سبحانه وتعالى فى الآية المتقدمة ان اللذين يأتيان الفاحشة اذا تابا

(واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم) اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن (فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت) فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن (حتى يتوفاهن الموت) حتى يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى (او يجعل الله لهن سبيلا) كتعين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح (واللذان يأتيانها منكم) يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعريب والجلد (فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما) فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) علة الامر بالاعراض او ترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة (انما التوبة على الله) اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته

(واصلحا)

(للذين يعملون السوء بجهالة) ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى يترع عن جهالته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت او تزين السوء (فاولئك يتوب الله عليهم) وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله (وكان الله عليما) فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة (حكيما) والحكيم لايعاقب التائب (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) سوّى بين من سوّف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار (اولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعدّ لهم لايعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدّة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا ايها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لايحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوّجوهنّ كارهات لذلك اومكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح مايكره عليه

واصلها زال عنها الابتداء والخبر انه سبحانه وتعالى تواب رحيم ذكرهنا وعده بقبول التوبة ممن ابتدأ التوبة من زمان قريب من زمان معصيته وبادر بالاستغفار مجانبا عن الاصرار وهذا المعنى على تقدير ان من فى قوله من قريب لابتدآء الغاية فى الزمان ولم يلتفت المصنف اليه وجعلها للتبعيض فان مابين زمان وجود المعصية وزمان حضور الموت لاشك انه زمان قليل فمن تاب فى اى جزء من اجزآء هذا الزمان فهو تائب بعض زمان قريب ومن اخر التوبة الى وقت انقضاء اجزآء هذا الزمان فهو مصر على الذنب غير تائب عندو ان تاب وتم اشد الندامة **قوله ملتبسين بها سفها** اشارة الى ان بجهالة متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل يعملون ومعنى الباء فيه المصاحبة اى ملتبسين بجهالة اى مصاحبين لها والى ان ليس المراد بالجهالة عدم العلم بان ما فعله ذنب لان الذين يعملون السوء من غير ان يعلموا انه ذنب لايستحقون العقاب فلا حاجة لهم الى التوبة لان الخطأ مرفوع عن هذه الامة بل المراد بالجهالة السفه وخفة العقل سمى السفيه الذى يرتكب المعصية مع العلم بانها معصية جاهلا تنزيلا له منزلة الجاهل لانه لو جرى على مقتضى علمه بالحساب والجزآء واثابة المطيع وعقاب العاصى لما اقدم على المعصية فلما ارتكبها لسفهه وخفة عقله صار كأنه لاعلم له فسمى جاهلا عن قتادة انه قال اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ماعصى به الله فهو جهالة وكل من عصى الله فهو جاهل قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام أصب اليهن واكن من الجاهلين وقال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وقال لنوح عليه الصلاة والسلام انى اعظك ان تكون من الجاهلين وقال موسى لبنى اسرآئيل حين قالوا له أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين **قوله او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه** اى حب السوء قال الامام القشيرى قوله تعالى ثم يتوبون من قريب على لسان اهل العلم قبل الموت وعلى لسان اهل المعاملة قبل ان تتعود النفس ذلك فتصير كالطبيعة قال قائلهم

قلت للنفس ان اردت رجوعا ۞ فارجعى قبل ان يسد الطريق

فسر المصنف رحمه الله الزمان القريب بامرين ماقبل ان ينزل بهم سلطان الموت وقهره وماقبل ان يرسخ السوء ويتزين له **قوله وعد بالوفاء بما وعد به** دفع لما يتوهم من كون قوله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم تكريرا لقوله انما التوبة على الله وتقريره انه سبحانه وتعالى كتب على نفسه ووعد بنفس قبول التوبة ثم وعد بهذه الآية الوفاء بما وعد به اولا فالاول انشاء الوعد بنفس القبول والثانى وعد بانجازه فلا تكرار وهو سبحانه وتعالى اذا وعد بشئ لابد ان ينجز وعده لان الخلف فى وعده محال ولما كان ذلك تشبيها بالواجب صح اطلاق كلمة على فان معنى الوجوب ههنا عند اهل السنة ان عادة الله جارية بقبول التوبة بحيث استمرت ولم تقبل التغيير فلهذا صوّر بصورة الوجوب وعبر عنه بعلى **قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت** حتى حرف ابتدآء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اى ليست التوبة لقوم يعملون السيئات وغاية عملهم اذا حضرهم قالوا كيت وكيت ودلت الآية على ان من حضره الموت وشاهد أهواله لاتقبل توبته ونظيرها قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقال المحققون قرب الموت لايمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاهوال التى عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار وقوله تعالى الذين فى قوله ولا الذين يموتون مجرور المحل عطفا على قوله للذين يعملون اى ليست التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء ولما ورد ان يقال من مات على ماعاش عليه من الكفر من غير توبة لم يتحقق منه التوبة اصلا فكيف سوّى بينه وبين من سوّف التوبة الى حضور الموت والتائب لايسوّى بغير التائب اجاب عنه بان معنى التسوية المبالغة فى عدم الاعتداد بتوبة من سوّفها الى حضور الموت لا التسوية بين التوبتين وعدم قبولهما واشار فى اثناء الجواب الى ان المراد بالذين يعملون السيئات مايعم الفريقين من فساق اهل القبلة ومن الكفار وعطف عليها القول المذكور بعده **قوله وقال انا احق بها** اى من اوليائها ومن نفسها فلا يمكنها ان تتزوج غير ذلك العصبة ويكون امر نكاحها اليه ان شاء صيرها لنفسه وان شاء زوجها غيره فعلى هذا القول لا يرث العصبة من الميت عين امرأته وانما يرث ولاية امر نكاحها ودلالة الآية على النهى عن ذلك مبنى على ان يكون تقديرها ان ترثوا امر نكاحها وان تكونوا احق بها من نفسها ومن سائر الناس وعلى القول الثانى لايحل ان يرث العصبة نكاح امرأة الميت فيأخذ عينها على سبيل الارث كما يرث اعيان امواله نقل عن المفسرين ان هذه الآية نزلت فى اهل المدينة لانهم كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من

عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار احق بها من سائر الناس ومن نفسها فان شاء تزوجها من غير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر واخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ وان شاء عضلها وحبسها مع سوء العشرة ومنها من الازواج يضارّها لتفتدى منه بما ورثت من الميت او تموت فيرثها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولىّ زوجها ثوبه فهى احق بنفسها فكانوا على هذا الى ان نزلت هذه الآية ونهوا عن تلك العادة فمقتضى هذه العادة ان يرث ولى الميت نكاح امرأته فنهوا عن ذلك وربما يشعر ان تكون زوجة الرجل عجوزا ولها مال ونفسه تتوق الى الشابة فيكره فراق العجوز لمالها فيمسكها ولا يقربها حتى تفتدى منه بمالها او تموت فيرث منها فنزلت الآية فأمر الزوج ان يطلقها ان كره صحبتها ولا يمسكها كرها حتى تموت فيرث منها مالها وهى كارهة الامساك على الوجه المذكور فالوراثة على هذا القول وراثة اموالهن لا وراثة اعيانهن ونكاحهن فقوله تعالى ان ترثوا النساء فى محل الرفع على انه فاعل يحل اى لا يحل لكم ارث النساء والنساء فيه وجهان احدهما انه المفعول الاول والمفعول الثانى محذوف والتقدير ان ترثوا من النساء المال وكرها مصدر منصوب على انه حال من النساء اى ترثوهن كارهات او مكرهات والباء فى قوله ببعض اما للتعدية المرادفة لهمزتها اى تذهبوا بما آتيتموهن واما للمصاحبة فيكون الجار والمجرور فى محل النصب على الحال ويتعلق بمحذوف اى لتذهبوا مصحوبين ﴿قوله اى اتأخذونه باهتين وآثمين﴾ على ان يكون بهتانا وإثما مصدرين فى موضع الحال من فاعل اتأخذونه وان انتصبا على انهما مفعول لهما يكون المعنى اتأخذونه لبهتانكم اياهن واثمكم فيكون متعلق الانكار فى الحقيقة هو جعلهما علتين للاخذ وان لم يكونا غرضين فان المفعول له لا يجب ان يكون غرضا مطلوبا من الفعل كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا والبهتان الكذب على الغير مواجهة مكابرة على وجه يحيره واصله من بهت الرجل اذا تحير قال تعالى فبهت الذى كفر اى تحير فالبهتان كذب يحير الانسان لعظمه ثم استعمل لفظ البهتان فى كل فعل باطل يتحير من بطلانه وفى الكشاف البهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برئ منه فانه يبهت عند ذلك اى يتحير قال المفسرون دلت الآية على جواز المغالاة فى المهر روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قام خطيبا فقال على المنبر الا لا تغالوا فى مهور نسائكم فلو كانت مكرمة فى الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتى عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل الناس افقه منك يا عمر حتى النساء ورجع عن ذلك ثم قال لاصحابه تسمعوننى اقول مثل هذا فلا تنكرونه علىّ حتى تردّ علىّ امرأة ليست من اعلم النساء ثم قال الامام وعندى ان الآية لا دلالة فيها على جواز المغالاة لان قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ لا يدل على جواز ايتاء القنطار كما ان قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لا يدل على حصول الآلهة والحاصل انه لا يلزم من جعل الشئ شرطا لشئ آخر كون ذلك الشرط فى نفسه جائز الوقوع قال عليه الصلاة والسلام من قتل له قتيل فهو بين خيرتين ولم يلزم جواز القتل وقد يقول الرجل لو كان الاله جسما لكان محدثا وهذا حق لا يلزم منه ان تكون قضية الاله جسم حقا انتهى كلامه وليس المراد من الايتاء فى قوله وآتيتم احداهن الايتاء حسا بل ما يعمه وبعم الايتاء حكما لان من سمى صداقا فى عقد النكاح والتزم ايتاءه اياها فانه قد آتاها ذلك المسمى فى حكم الله تعالى ثم اعلم ان سوء العشرة ان كان من قبل الزوجة حل اخذ بدل الخلع لقوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة وان كان من قبل الزوج كره له ان يأخذ من مهرها شيأ لانه نهى فى هذه الآية عن الاخذ ثم انه ان خالف النهى واخذ شيأ منه ملكه كما ان البيع وقت النداء منهى عنه ثم انه يفيد الملك وكيف فى قوله تعالى وكيف تأخذونه كلمة تعجب كأنه تعالى يقول عجبا منكم من اى وجه ولاى حال تأخذون ذلك وهذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله ﴿قوله والحال انه وصل اليها بالملامسة﴾ الفضاء السعة يقال افضى فلان اذا ذهب الى فضاء اى ناحية سعة قال الليث افضى فلان الى فلان اى وصل اليه واصله انه صار الى فضائه وفرجته وقال غيره اصل الافضاء الوصول الى الشئ من غير واسطة وللمفسرين فى هذا الافضاء المذكور فى هذه الآية قولان احدهما ان الافضاء ههنا كناية عن الجماع فانه سبحانه وتعالى نزه كتابه عن كل ما يستبشع سماعا فسماه سرا فى آية وافضاء فى آية اخرى ومسا فى آية ثالثة قال ابن عباس والسدى ومجاهد وهو اختيار الزجاج وذهب اليه الامام الشافعى وقال الخلوة

(الصحيحة)

(ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوامنهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن (وعاشروهن بالمعروف) بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول (فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم (وان اردتم استبدال زوج مكان زوج) تطليق امرأة وتزوج اخرى (وآتيتم احداهن) اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس (قنطارا) مالا كثيرا (فلا تأخذوا منه شيأ) اى من القنطار (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت من الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ها هنا بالظلم (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض) انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر

الصحيحة لاتؤكد المهر فمن طلق امرأته قبل المسيس فله ان يرجع في نصف المهر وان خلا بها وثانيهما ان المراد بالافضاء المذكور هنا هو الخلوة وان لم يجامعها قال الكلبي الافضاء ان يكون معها في لحاف واحد جامعها اولم يجامعها وهذا اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة فان الخلوة معها في الانكحة الصحيحة تقرر المهر لما روى عن ثوبان انه قال قال عليه الصلاة والسلام « من كشف خمار امرأة ونظر اليها وجب الصداق » وقال عمر وعلى اذا اغلق بابا وارخى سترا وجب عليه الصداق وعليها العدة واختار المصنف الافضاء ههنا بمعنى الوصول والملامسة بالجماع كما هو مذهب الامام الشافعي ﴿ قوله وهو حق الصحبة ﴾ يعني ان المراد باخذهن الميثاق من ازواجهن منهم ما يقتضي العهد بالقيام على مقتضى الالفة والمودة المتفرعتين على افضائهم اليهن والعهد المذكور من حقوق هذا الافضاء وتوابعه فلما اخذن منهم الافضاء والمصاحبة صرن كأنهن اخذن منهم ما يتبع ذلك الافضاء ويستحق بسببه وهو ما ذكر من العهد الوثيق كأنه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا بافضاء بعضكم الى بعض فوصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ﴿ قوله او ما اوثق الله عليهم في شأنهن ﴾ فان الولى لما قال عند العقد انكحتك على ما في الكتاب الله تعالى من امساك بمعروف او تسريح باحسان فقبل الزوج ايجاب الولى على الوجه المذكور فقد اخذ الولى ميثاقا في حقها صارت كأنها اخذت منه الميثاق بنفسها ﴿ قوله لانه اريد به الصفة ﴾ يعني ليس المراد بما نكح آباؤكم خصوصية ذات المرأة حتى يجب ان يعبر عنها بمن بل المراد وصف كونها منكوحة الاب وقد تقرر ان كلمة ما يعبر بها عن صفة من يعقل ﴿ قوله فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف ﴾ اى الا نكاحا قد وقع منكم قبل نزول آية التحريم فعلى هذا المعنى يكون انتظام الآية بما قبلها انه لما نزل قوله تعالى لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قالوا تركنا هذا لا نرثهن كرها لكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فنزلت هذه الآية فنهوا عن ذلك ايضا فقالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قبل فبين الله سبحانه وتعالى انه لا اثم عليهم بما فعلوا قبل ذلك لوقوعه قبل نزول ما يحرمه ﴿ قوله او من اللفظ ﴾ اى هو استثناء متصل من قوله ما نكح آباؤكم ولما ورد ان يقال استثناء ما قد سلف من النساء مما نكح الآباء يدل على جواز نكاح من سلف ومضى ونكاح من مضى محال فما معنى تجويزه اجاب عنه بانه ليس المقصود من الاستثناء تجويز نكاح من سبق من النساء بل المقصود المبالغة في النهي عن نكاح منكوحة الاب فانه اذا انحصر من جاز نكاحه مما نكح الآباء فيمن سلف منهن ولم يجز نكاح غيرهن ومن المعلوم ان نكاحهن غير ممكن فقد ثبت حرمة نكاحهن مطلقا على ابلغ وجه ونظيره استثناء قوله « غير ان سيوفهم بهن فلول » من العيب للمبالغة في النفي فان معنى ان سيوفهم بهن فلول هو الشجاعة واستثناء الشجاعة من العيب لابد ان يكون على تقدير كونها عيبا فيكون وجود العيب فيهم لا يكون الا على تقدير ان تكون الشجاعة عيبا لكن هذا محال وما لا يثبت الا على تقدير محال يكون محالا فوجود العيب فيهم محال فهذا الطريق ابلغ في نفي العيب عنهم من ان يقال لا عيب فيهم بدون الاستثناء ﴿ قوله وقيل الاستثناء منقطع ﴾ لان المستثنى منه هو النكاح الذي يتعلق في المستقبل بمنكوحة الآباء ولا يدخل فيه النكاح الذي تعلق بها في الماضي حتى يكون استثناؤه منه متصلا ومعنى استثناء النكاح الواقع في الماضي من النكاح المنهي عنه انه لا مؤاخذة عليه كما يؤاخذ على النكاح المنهي عنه لانه مقرر لانه عليه الصلاة والسلام ما اقر احدا على نكاح امرأة ابيه وان كان واقعا فيما مضى من زمن الجاهلية ﴿ قوله اى ان نكاحهن ﴾ اشارة الى ان ضميرانه يعود على النكاح المفهوم من قوله ولا تنكحوا وصف الله تعالى هذا النكاح بامور ثلاثة الاول انه فاحشة عند الله اى في حكمه وقضائه وذلك ان زوجة الاب شبه الام فنكاحها يشبه نكاح الام الذي هو من افحش الفواحش فلا جرم كان ما يشبهه فاحشة والثاني انه مقت اى ممقوت مبغض اشد البغض عند ذوي المروآت فان نكاح من اشبه الام ومباشرته يبغضه ويستقبحه كل من له مروءة قيل سئل ابن الاعرابي عن نكاح المقت قال هو ان يتزوج الرجل امرأة ابيه اذا طلقها او مات عنها كان ذلك قبل النهي عنه منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض المقرون بالاستحقار فهو اخص منه وهو من الله سبحانه وتعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار وكانت العرب اذا تزوج الرجل بامرأة ابيه فأولدها يقولون للولد مقتي اى منسوب الى نكاح المقت ويقال له ايضا مقيت لكونه ممقوتا مبغضا مستحقرا والثالث قوله وساء سبيلا وفي ساء ضمير مبهم يفسره ما بعده وهو سبيلا والمخصوص بالذم محذوف فتقديره ساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله لان ما يكون

(واخذن منكم ميثاقا غليظا) عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر (من النساء) بيان ما نكح على الوجهين (الا ما قد سلف) استثناء من المعنى اللازم للنهي فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم *
بهن فلول من قراع الكتائب *

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف الا ما امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر (انه كان فاحشة ومقتا) علة للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي (وساء سبيلا) سبيل من يراه ويفعله

فاحشة عند الله ومقتا عند ذوي المروآت يكون من اقبح السبل ﴿قوله ليس المراد تحريم ذواتهن﴾ لان التحريم لا يتعلق بالعين وانما يتعلق بفعل من افعال المكلف والمراد بذلك الفعل ههنا هو النكاح والقرينة المعينة له كونه اظهر المقاصد المقصودة من النساء فلا وجه لما ذهب اليه الكرخي من ان هذه الآية مجملة لانه سبحانه وتعالى اضاف التحريم فيها الى البنات والامهات والحل والحرمة ونحوهما اذا اضيفت الى الاعيان فالمراد تحليل الفعل المطلوب منها وتحريمه وذلك الفعل غير مذكور في الآية وليس بعض الافعال اولى من بعض لاضافة التحريم اليه فصارت الآية مجملة من هذا الوجه وذلك لان التحريم وان اضيف الى الاعيان ظاهرا الا ان المراد تحريم نكاحهن لما ذكر من الدلائل الثلاث ﴿قوله وامرها﴾ مبتدأ وعلى قياس النسب خبره وباعتبار المرضعة خبر ثان اي وامر الرضاعة كائن على قياس النسب متحقق باعتبار المرضعة وزوجها الذي انزل لبنها بسببه فكما ان الام نسبا هي صاحبة اللبن والاب نسبا هو الذي كان منه لبن الرضاعة كذلك الام والاب من الرضاعة الا ان الحرمة غير مقصورة عليهن لقوله عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانما عرفنا ان الامر كذلك بدلالة هذه الآيات وذلك لانه سبحانه وتعالى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا فقد نبه بذلك على ان الرضاع جار مجرى النسب لانه سبحانه وتعالى حرم بسبب النسب سبعا اثنتان منها هما المنتسبتان بطريق الولادة وهما الامهات والبنات وخمس منها بطريق الاخوة وهي الاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ثم انه سبحانه وتعالى لما شرع بعد ذلك في احوال الرضاع ذكر من كل واحد من هذين القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي فذكر من قسم قرابة الولادة الامهات ومن قسم قرابة الاخوة الاخوات ونبه بذكر هذين المثالين من هذين القسمين على ان الحال في باب الرضاع كما هو في باب النسب ثم انه عليه الصلاة والسلام اكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية فقول المصنف رحمه الله وامرها على قياس النسب اختصار لخلاصة كلام الامام حيث قال ام الانسان من الرضاع هي التي ارضعته وكذلك كل امرأة انتسبت الى تلك المرضعة بالامومة من جهة النسب او من جهة الرضاع وكذا القول في الاب رضاعا فان الحال فيه كما في الام واذا عرفت الام والاب فقد عرفت النسب ايضا بذلك الطريق واما الاخوات فثلاث الاولى اختك لابيك وامك وهي الصغيرة الاجنبية التي ارضعتها امك بلبن ابيك سواء ارضعتها معك او مع ولد قبلك او بعدك والثانية اختك لابيك دون امك وهي التي ارضعتها غير امك بلبن ابيك والثالثة اختك لامك دون ابيك وهي التي ارضعتها امك بلبن رجل آخر واذا عرفت ذلك سهل عليك معرفة العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت ﴿قوله واستثناء اخت ابن الرجل﴾ قال في الكشاف قالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية انه لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطئ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع انتهى كلامه فقوله لان المانع في النسب وطؤه امها لان كون اخت الابن اختا له لام بان تكون الاخت بنت موطوءته من رجل آخر فلا يكون بينه وبين اخت ابنه حرمة النسب بل حرمة المصاهرة فلا يصح الاستثناء فاذا ارتضع ابنه من امرأة لها بنت من اجنبي كانت البنت المذكورة اختا لابنه من الرضاع ولا تحرم عليه تلك البنت اذ لا نسب بينهما ولا مصاهرة وقوله لان المانع في النسب وطئ الاب اياها فان الرجل اذا كان له اخت لاب لا من امه بل من امرأة اخرى تكون تلك المرأة موطوءة اب ذلك الرجل وابنها ربيبة له فلا يجوز للرجل ان يتزوجها لذلك لا لاجل ان بينهما حرمة من جهة النسب واذا ارتضعت اخت الرجل من امرأة كانت تلك المرأة ام اخت ذلك الرجل من الرضاع ولا تحرم هي عليه لفقدان ما هو المحرم في النسب وهي كونها موطوءة الاب ولا يصح استثناؤه ولان الحرمة في النسب للمصاهرة لا بالنسب ﴿قوله تعالى في حجوركم﴾ جمع حجر بفتح الحاء وكسرها وهو مقدم اثواب الانسان ثم استعمل لفظ الحجر في الحفظ والتربية كما في هذه الآية فان المراد بقوله في حجوركم في تربيتكم وحفظكم يقال فلان في حجر فلان اذا كان في حفظه وتربيته والسبب في هذه الاستعارة ان كل من ربى طفلا جعله في حجره فبهذه الملابسة استعمل الحجر في التربية كما يقال فلان في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وقوله تعالى من نسائكم يحتمل ان يكون حالا من ربائبكم اي وربائبكم كائنات من نسائكم وان يكون حالا من الضمير المستكن في قوله في حجوركم لانه لما وقع صلة تحمل

(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكر او لدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى (وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة) نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب (وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج

ضميرا اى اللاتى استقررن فى حجوركم كائنات من نسائكم والمعنى ان الربيبة الكائنة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل وحلال له اذا لم تكن من المدخول بها والللاتى الاول بصلتها صفة لربائبكم ومن تمام صلتها قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكأنه اختار كونه حالا من المستكن فى قوله فى حجوركم المشهور كونه داخلا فى حيز الصلة حينئذ وكون الصفة مقيدة للفظ الموصوف عبارة عن كونها تابعة للفظ من حيث الاعراب مطابقة له فى الاحكام اللفظية وكونها مقيدة لحكمه عبارة عن كون الحكم مشروطا بتحقق مضمون الصفة المقيدة فان حكم الربائب وهو الحرمة مشروط بكونهن بنات النسوة المدخول بهن وان لم يكن مشروطا بكونهن فى حجور الازواج وتربيتهن فان قوله سبحانه وتعالى اللاتى فى حجوركم لا مفهوم له بل هو مذكور بناء على ما هو الغالب من احوالهن ولذكره فائدة ذكرها المصنف رحمه الله بقوله وفائدة قوله فى حجوركم الخ وقوله بالاجماع متعلق بقوله مقيدة فان العلماء رضى الله عنهم قد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مطلق غير مقيد بكونهن فى حجور الازواج وتربيتهم وبكونهن امهات النساء المدخول بهن وعلى ان تحريم الربائب مقيد بكونهن من النساء المدخول بهن كما صرح به فى الكشاف ﴿قوله والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين﴾ لا سيما اذا كانا متنافيين كما فى هذا الموضع فان معنى البيانية يقتضى اتحاد الثانى بالاول والابتدائية توجب حصول الثانى من الاول وبينهما تناف وبالجملة انهما معنيان مختلفان واللفظ المشترك لا يصح ان يستعمل فى معنييه ﴿قوله الا اذا جعلتها للاتصال﴾ فان كلمة من قد استعمل فى معنى اتصال الشئ بالشئ فحينئذ يصح ان يجعل من نسائكم متعلقا بالامهات والربائب جميعا حالا منهما لكون الاتصال بالنساء قدرا مشتركا بين الامهات والربائب فان امهات النساء متصلات بالنساء بكونهن امهاتهن وكذا الربائب متصلات بالنساء اللاتى هن امهاتهن بكونهن بناتهن ﴿قوله لكن الرسول الخ﴾ استدراك من قوله الا اذا جعلتها للاتصال فانه لما كان مظنة ان يتوهم انه يجوز تعليق قوله من نسائكم بالامهات والربائب جميعا بناء على جعل كلمة من للاتصال دفع ذلك الوهم بان جعلها للاتصال وان كان صحيحا بحسب اللغة لكن لا يصح حملها على الاتصال فى هذا المقام وجعل ذلك الحمل ذريعة الى تعليقها بالامهات والربائب جميعا لانه عليه الصلاة والسلام فرق بين الامهات والربائب حيث جعل نكاح البنات محرما لنكاح الامهات ولم يجعل نكاح الامهات محرما لنكاح البنات بل شرط فى حرمة البنات وطئ الامهات ﴿قوله ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى﴾ اى لا يجوز ان يكون قوله اللاتى دخلتم بهن صفة للنساء المجرورة بالاضافة كما انه صفة للنساء المجرورة بمن لان اختلاف عاملى الموصوف يستلزم توارد العاملين على معمول واحد وهو الصفة ﴿قوله روى عن على انه جعله شرطا﴾ اى روى عنه ان كون الربائب فى حجور الازواج شرط لحرمة النكاح وقال سائر العلماء وطئ الام يحرم نكاح البنت سواء كانت فى تربية الزوج ام لا وانما ذكر كونها فى حجر الزوج بناء على كونه اغلب الاحوال لا لكونه شرطا فى التحريم ﴿قوله اى دخلتم معهن الستر﴾ اشارة الى ان الباء للتعدية وقد ذكر صاحب الكشاف فى الفرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة انه اذا عدى بالباء يكون المعنى الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فانه كالازالة ﴿قوله ويؤثر ما ليس بزنى﴾ لما جعل الدخول بالام الذى هو شرط تحريم الربيبة كناية عن جماعها او كان الجماع اسما لمطلق الوطئ سواء كان بطريق النكاح او السفاح دل ذلك على ان الزنى بالام يوجب حرمة البنت وقد ذهب الامام الشافعى الى ان الزنى لا يوجب حرمة المصاهرة فلذلك استثنى المصنف رحمه الله من الدخول المحرم الدخول على وجه الزنى وخص الدخول بما ليس بزنى والزنى عند الحنفية يوجب حرمة المصاهرة فانه تثبت به حرمات اربع تحريم المزنية على آباء الواطئ وان علوا وعلى اولاده وان سفلوا ويحرم على الواطئ امهاتها وان علون وبناتها وان سفلن ﴿قوله دفعا للقياس﴾ اى لقياس الربائب على امهات النساء فى كون الربائب محرمة على الاطلاق مثلهن ﴿قوله حلها﴾ اى لكونها حلالا لا فالحليلة فعيلة مشتقة من لفظ الحلال بمعنى الحالة ﴿قوله او حلولها﴾ فهى فعيلة بمعنى فاعلة من الحلول لانها تحل مع زوجها حيث كان ﴿قوله احتراز عن المتبنى﴾ فان حليلته ليست بحرام على من تبناه لما ثبت انه عليه الصلاة والسلام تزوج زينب بنت جحش وهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب جد النبى عليه الصلاة والسلام فكانت زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام وكان زوجها زيد ابن حارثة وكان زيد تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انه تزوج امرأة ابنه فانزل الله سبحانه وتعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم وقال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج

والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا للنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى * على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تمتا ولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ما ليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعن ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) تصريح بعد اشعار دفعا للقياس (وحلائل ابنائكم) زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج (الذين من اصلابكم) احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد

ادعيائهم وفى الوسيط كان المتبنى فى صدر الاسلام بمنزلة الابن وليس احترازا عن ابناء الولد فان حلائلهم محرمات على
اجدادهم لتناول الابناء اياهم كما يتناول الآباء آباء الآباء وان علوا ﴿قوله فى موضع الرفع عطفا على المحرمات﴾
والتقدير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم والجمع بين الاختين وقدمر ان ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن
فيكون المعنى حرم عليكم نكاحهن والجمع بين الاختين نكاحا واما الجمع بينهما فى ملك اليمين بان يملك كل واحدة
منهما ملك يمين فانه جائز اتفاقا واما الجمع بينهما فى ملك اليمين وطئا واستمتاعا فقد روى صاحب الكشاف اختلاف
اميرى المؤمنين عثمان وعلى فيه بان قالا حرمتهما آية وهى هذه واحلتهما آية وهى قوله سبحانه وتعالى فان خفتم
ان لا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم فانه يقتضى مصاحبة الامة من غير تفرقة بين الواحدة وما فوقها
والاختين وغيرهما فكأنه قيل ان خفتم ذلك فاختاروا الاماء بالغات مابلغن ولزم من ضرورة العموم حل الجمع
بينهما وطئا واستمتاعا فرجح على رضى الله عنه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل روى الامام مالك فى الموطأ
عن قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان رضى الله عنه عن اختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال احلتهما
آية وحرمتهما آية فاما انا فلا احب ان اصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلا من الصحابة رضى الله عنهم فسأله عنه
فقال اما انا فلو كان لى من الامر شئ ثم اجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب اراه على بن ابى طالب
رضى الله عنه جعل المصنف رحمه الله قول من رجح التحريم اظهر لامرين الاول ان حكم آية التحريم مختص
بالاختين وحكم آية التحليل عام لكل مملوكة والاصل عند الشافعية فيما اذا تعارض الخاص والعام ان يحمل
العام على الخاص بان يجعل الخاص مخصصا له مطلقا اى سوآء علم تاريخ نزولهما او لم يعلم فالمخصص ماملكت ايمانكم
بغير الاختين كان حكم الاختين باقيا على الحرمة سالما عن المعارضة وهو قول على رضى الله عنه وقول المصنف
رحمه الله والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح يشعر بان قوله آنفا المراد بتحريم المحرمات المعدودة تحريم
نكاحهن ليس كما ينبغى بل ينبغى ان يجعل المحرم هو الاستمتاع مطلقا اى سوآء كان فى النكاح او فى ملك اليمين وما يعم
النكاح والاستمتاع بملك اليمين ويؤيد ذلك مانقله عن اميرى المؤمنين رضى الله عنهما حيث صرحا بان حرمة الوطئ
بملك اليمين ايضا مدلول الآية والمذهب المشهور عند الفقهاء انه لا يجوز الجمع بين امتين اختين فى ملك اليمين وطئا
حقيقة او حكما فاذا وطئ احدى امتيه حرمت الثانية ولا تزول هذه الحرمة مالم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة
او عتق او كتابة او تزويج وصورة الجمع بينهما وطئا حكما انه اذا ملك اخت منكوحته لم يطأ المملوكة او كان له امة قد
وطئها فتزوج اختها جاز النكاح لصدوره من اهله ولا يطأ الامة لان المنكوحة موطوءة حكما ولا يطأ المنكوحة حتى
يحرم عليه الامة فاذا حرمها وطئ المنكوحة وان لم يكن وطئ المملوكة وطئ المنكوحة وحرمت المملوكة حتى يفارق
المنكوحة ﴿قوله او منقطع﴾ لان المنهى عنه هو الجمع بينهما فى المستقبل وما سلف منه ليس من جنس ما نهى
عنه فلا يدخل تحته فيكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لكن اى لا تجمعوا بين الاختين لكن ما وقع من ذلك
فى زمن الجاهلية معفو بدليل قوله سبحانه وتعالى ان الله كان غفورا رحيما قيل كان اهل الجاهلية يعرفون هذه
المحرمات المذكورة فى هذه الآية كلها الا اثنين منها احداهما نكاح امرأة الاب والثانية الجمع بين الاختين
الا ترى انه سبحانه وتعالى قال ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف وان تجمعوا بين الاختين الا
ماقد سلف ولم يذكر فى سائر المحرمات الا ماقد سلف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه
جمع بين ليا ام يهودا وراحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وكانتا اختين ﴿قوله ذوات الازواج﴾
فسر المحصنات به لان الاحصان ورد فى القرءآن بازآء اربعة معان الاول التزوج كما فى هذه الآية والثانى العفة
كما فى قوله سبحانه وتعالى محصنات غير مسافحات وفى قوله والتى احصنت فرجها اى اعفته والثالث الحرية
كما فى قوله تعالى والذين يرمون المحصنات اى الحرآئر لانه لو قذف غير الحرة لم يجلد ثمانين وفى قوله سبحانه وتعالى
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما فى قوله سبحانه وتعالى فاذا احصن قيل فى تفسيره
اذا اسلمن ولا يليق بهذا المقام غير معنى التزوج لانه عطف المحصنات على المحرمات فلابد ان يكون الاحصان
سببا للحرمة ومعلوم ان الحرية والعفاف والاسلام لا تأثير لها فى الحرمة بخلاف التزوج فان المرأة المزوجة محرمة
على الغير ﴿قوله والنكاح مرتفع بالسبى﴾ وان لم يتحقق بين الزوجين تباين الدارين بان سبيا معا هذا
عند الامام الشافعى رحمه الله واما عند ابى حنيفة رضى الله عنه فلا مدخل للسبى فى ارتفاع النكاح وانما يرتفع

(وان تجمعوا بين الاختين) فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ماملكت ايمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام مااجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام (الا ماقد سلف) استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ماقد سلف مغفور لقوله (ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء) ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرءآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن (الا ماملكت ايمانكم) يريد ماملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله

وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبنى بها لم تطلق *

وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولا تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه

بتباين الدارين لا بالسبي وقد اتفقوا على انه اذا سبي احد الزوجين قبل الآخر واخرج الى دار الاسلام وقعت الفرقة بينهما اما اذا سبيا معا فقال الامام الشافعي ههنا تزول الزوجية وتحل للمالك بعد ان يستبرئها بوضع الحمل ان كانت حاملا من زوجها او بالحيض ان لم تكن حاملا وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لا تزول اذا سبيا معا وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام بعث يوم حنين جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل الله تعالى هذه الآية وقوله تعالى من النساء في محل النصب على انه حال من المحصنات وفائدة قوله تعالى من النساء ان المحصنات قد تقع على الانفس فقوله من النساء يرفع ذلك الاحتمال «قوله مصدر مؤكد» اي لفعل مقدر من لفظه اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا ويحتمل ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة المتقدمة قبله وهي قوله حرمت عليكم الآية وعن الكسائي ومن تابعه انه منصوب بعليكم على الاغراء والتقدير عليكم كتاب الله اي الزموه كقوله عليكم انفسكم واجازوا تقديم المنصوب في باب الاغراء مستدلين بهذه الآية «قوله والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها» قال عليه الصلاة والسلام «لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها» ومن المحرمات المخصوصة من عموم قوله واحل لكم ماوراء ذلكم المطلقة ثلاثا ونكاح المعتدة ومن كان متزوجا بحرة لم يجز له ان يتزوج بامة وتحريم الخامسة وتحريم الملاعنة لقوله عليه الصلاة والسلام «المتلاعنان لا يجتمعان ابدا» «قوله ارادة ان تبتغوا» لما شرط في حذف اللام من المفعول له ان يتحد الفاعل في العامل والمفعول له ولم يتحقق الاتحاد المذكور الا بتقدير الارادة قدرها وذلك لان فاعل الفعل المعلل وهو قوله تعالى واحل لكم هو الله تعالى وفاعل قوله ان تبتغوا هو ضمير المخاطبين وهما مختلفان فلما قدر الارادة اتفقا وقوله محصنين حال من فاعل تبتغوا وغير مسافحين حال ثانية ويجوز ان يكون حالا من الضمير في محصنين ومفعول محصنين ومسافحين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فان الزاني لا غرض له الا قضاء الشهوة وصب الماء وفي الكشاف فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكأنه قيل ان تخرجوا اموالكم انتهى كلامه وانما كان اجود لان القصد حينئذ يتعلق بنفس الفعل وهو الابتغاء بالاموال وصرفها واخراجها في وجوه المطالب وصرف المال فيما يتناول اعطاء مهور الحرائر واثمان السراري والانفاق في كفايتهن وغير ذلك من التصرفات وهذا العموم والتناول لا يحصل على تقدير ان يقصد بيان تعلق الفعل بالمفعول المقدر «قوله او بدل» عطف على قوله مفعول له فان قرئ احل على بناء الفاعل يكون ماوراء ذلك منصوب المحل على المفعولية فكذا ان تبتغوا على انه بدل منه وان قرئ على البناء للمفعول يكون ماوراء ذلك في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل فكذا ان تبتغوا في محل الرفع بدلا منه «قوله واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا» حتى لو تزوجها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها ولو تزوجها على خدمة سنة فان كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة ووجه احتجاجهم بهذه الآية انه سبحانه وتعالى جعل طريق حصول الحل الابتغاء بالمال والمال اسم للاعيان لا للمنافع وايضا قال آتوهن اجورهن والايتاء صفة للاعيان لا للمنافع «قوله ولا حجة فيه» لان محصول الآية بين لكم ما حرم عليكم وما احل لكم من النساء ارادة ان يكون صرفكم لاموالكم في حال كونكم محصنين وهو انما يدل على ان الابتغاء بالمال وصرفه جائز وليس فيه بيان ان الابتغاء بغير المال جائز ام لا «قوله فمن تمتعتم» اشارة الى ان كلمة ما سواء كانت شرطية او موصولة عبارة عن النساء المستمتع بهن بناء على ارادة الوصف او على تنزيلهن منزلة غير ذوي العقول او على انها قد تستعمل في اولي العلم كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما سبح الرعد بحمده وقال سبحانه وتعالى وما ملكت ايمانكم وان كان الغالب فيها ان تكون لما لا يعلم وتستعمل ايضا في الغالب في صفات العالم كما يقال في السؤال عن صفة زيد ما هو وما هذا الرجل وعلى التقديرين هي في محل الرفع بالابتداء وقوله تعالى فآتوهن خبرها والضمير المنصوب فيه هو العائد من هذه الجملة الى المبتدأ فقد روعي لفظ ما تارة فافرد ضميره في قوله به ومعناه اخرى فجمع في قوله منهن وفآتوهن والمعنى اي طائفة من النساء استمتعتم بها فآتوهن او الطائفة التي استمتعتم بها من النساء فآتوهن ومن في منهن على هذا للتبعيض او البيان والجار والمجرور على الاول حال من الهاء في به اي حال كونه بعض النساء المنكوحة والاستمتاع في اللغة الانتفاع

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل (واحل لكم) عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت (ماوراء ذلكم) ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها (ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين) مفعول له والمعنى احل لكم ماوراء ذلك ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا فكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين النفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه

(فما استمتعتم به منهن) من تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن (فآتوهن اجورهن) مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجع عنه (ان الله كان عليما) بالمصالح (حكيما) فيما شرع من الاحكام (ومن لم يستطع منكم طولا) غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة (ان ينكح المحصنات المؤمنات) فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله (فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات) يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج

وكل ما انتفع به فهو متاع يقال استمتع الرجل بولده ويقال لمن مات فى زمن شبابه لم يتمتع بشبابه **﴿قوله﴾** او فما استمتعتم به الخ **﴾** على ان كلمة ما عبارة عن وجه من وجوه التمتع بالمنكوحات وذلك وجهان عند الامام الشافعى الجماع وعقد النكاح عليهن وثلاثة اوجه عند الحنفية فان الخلوة الصحيحة ايضا تقرر المهر عندهم خلافا للامام الشافعى فان استمتع منهن بالجماع فلابد من ايفاء المهر تاما كاملا وكذا ان استمتع بالخلوة الصحيحة على مذهب ابى حنيفة رحمه الله واما العقد فهو ايضا من موجبات المهر لكنه ينصف بالطلاق قبل الدخول وكلمة من فى منهن لابتداء الغاية **﴿قوله﴾** فان المهر فى مقابلة الاستمتاع **﴾** علة تسمية المهر اجرا فان الاجر فى اصطلاح اهل الشرع اسم لما هو بدل المنفعة لا بدل العين فانه يقال لما يقابل منفعة الدار والدابة اجر ولما يقابل الاعيان ثمن والمعقود عليه فى عقد النكاح هو حل الاستمتاع بالمرأة او منفعة بضعها لا عين المرأة فلذلك سمى اجرا لانها **﴿قوله﴾** او مصدر مؤكد **﴾** اى لعامله المحذوف اى فرض الله فريضة **﴿قوله﴾** فيما يزاد على المسمى الخ **﴾** من ذهب الى ان قوله تعالى فما استمتعتم به منهن نزل لبيان حكم النكاح الصحيح وهو قول اكثر العلماء لا لاباحة نكاح المتعة قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به انه اذا كان المهر مقدرا بقدر معلوم معين لا حرج فى ان تحط المرأة عنه شيأ منه او تبرئ ذمة الزوج منه بالكلية ولا فى ان يزيد الزوج على ذلك القدر المسمى برضاه فتلك الزيادة تلتحق بالصداق عند ابى حنيفة رضى الله عنه وتثبت فى ذمة الزوج ان دخل بها او مات عنها واما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة ولا تستحق المرأة الا نصف ما سمى فى العقد وقال الامام الشافعى لا تلتحق الزيادة بالصداق بل هى بمنزلة الهبة فان قبضتها ملكتها بالقبض وان لم تقبضها بطلت ولا يلزم من عدم كون الزيادة ملحقة باصل صداق المرأة عدم جوازها برضى الزوج وان كان حكمها حكم الهبة واما من جعل الآية المتقدمة نازلة لبيان حكم المتعة فانهم قالوا المراد من هذه الآية انه اذا انقضى زمن المتعة لم يبق للرجل على المرأة سبيل البتة فان قال لها زيدى فى الايام وازيدك فى الاجرة تكون بالخيار ان شاءت فعلت وان شاءت لم تفعل فهذا هو المراد من قوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اى من بعد المقدار المذكور اولا من الاجرة والاجل وصورة نكاح المتعة ان يقول الرجل لامرأة متعينى نفسك على عشرة دراهم مثلا فى مدة معلومة فتقول متعتك نفسى ولابد فيه من ذكر لفظ التمتع واتفقوا على ان النكاح بهذه الصورة كان مباحا ثم نسخ وصورة النكاح الموقت ان يتزوج الرجل امرأة بلفظ النكاح او ما يقوم مقامه الى مدة معلومة وهو فى حكم المتعة فى البطلان لان توقيت النكاح لم يثبت فى الشريعة وما لم يكن مشروعا فهو باطل ولذلك لم يفرق المصنف بينهما **﴿قوله﴾** غنى واعتلاء **﴾** اشارة الى ان طولا نصب على انه مفعول يستطع وان ينكح معمول المصدر المنون وهو طولا لانه مصدر طلت الشئ اذا نلته والتقدير ومن لم يستطع ان يعتلى وينال نكاح الحرائر فلينكح مما ملكت ايمانكم ومن فى قوله ومن لم يستطع شرطية وقوله فمما ملكت جواب الشرط وهو الظاهر ويحتمل ان تكون من موصولة اخبر عنها بالجملة المصدرة بالفاء ومنكم فى محل النصب على انه حال من فاعل يستطع **﴿قوله﴾** واول ابو حنيفة **﴾** فالمعنى على تأويله من لم يستطع منكم وطء حرة وعلى هذا التقدير كل من ليس تحته حرة فانه يجوز له التزوج بالامة سواء قدر على التزوج بالحرة او لم يقدر واما اذا كان عنده حرة فلا يجوز له نكاح الامة ولم يرخص فى نكاح الامة مطلقا لان الولد يتبع الام فى الحرية والرق فيصير الولد رقيقا قال عمر رضى الله تعالى عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه يعنى يصير ولده رقيقا وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة الا قريب من الزنى قال سبحانه وتعالى وان تصبروا خير لكم اى وان تصبروا عن نكاح الاماء وايضا ان حق المولى عليها اعظم من حق الزوج فلا تخلص للزوج كخلوص الحرة وربما يحتاج الزوج اليها جدا ولا يجد اليها سبيلا لحبس سيدها اياها وايضا ان الامة قد تعودت الخروج والبروز ومخالطة الرجال فتغلب الوقاحة عليها وربما تعودت الفجور فلا يصان اليمين بلا ضرورة والفرق بين الحرة الفقيرة والامة انه قد جرت العادة على تخفيف مهور الاماء ونفقتهن من مؤنة الحرائر الفقيرات وان الاماء مشغولة بخدمة السيد فلا يخلصن لازواجهن بخلاف الحرائر **﴿قوله﴾** كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات **﴾** فان اكثر العلماء على ان ذكر الايمان فى الحرائر ليس لتقييد جواز نكاح الامة بعدم الاقتدار على طول الحرة المؤمنة بل هو للارشاد الى ما هو افضل واولى ثم ان اصحاب الامام الشافعى اتفقوا على ان صفة الايمان فى قوله تعالى من فتياتكم المؤمنات ذكرت لتقييد جواز نكاح الامة بكونها مؤمنة ولم يجوزوا نكاح الامة الكتابية واختلفوا فيما وقع صفة للمحصنات

فنهم من حمله ايضا على التقييد كما ذكره المصنف وجعله الاكثرون للارشاد الى ما هو الافضل ﴿قوله سبحانه وتعالى والله اعلم بايمانكم﴾ جملة اعتراضية جيء بها بعد قوله من فتياتكم المؤمنات لتفيد ان الايمان الظاهري كاف في نكاح الامة ولا يشترط في ذلك ان يعلم ايمانها حقيقة علما يقينيا فان ذلك لا يطلع عليه احد الا الله سبحانه وتعالى جلت قدرته قال الزجاج اعملوا فيما بينكم بظاهر الايمان والله اعلم بالسرائر وقوله بعضكم من بعض ايضا جملة اعتراضية جيء بها تأنيسا لنكاح الاماء كما تقدم والعرب كانوا يفتخرون بالانساب فاخبر الله سبحانه وتعالى ان ذلك لا يلتفت اليه لان الايمان اعظم الفضائل فاذا حصل الاشتراك فيه فلا يلتفت الى ما وراء ذلك فلا ينبغي لحر ان يترفع عن نكاح الامة عند الحاجة لان بعضهم من جنس بعض في النسب والدين وما احسن قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

الناس من جهة التمثيل اكفاء ❁ ابوهم آدم والام حواء

﴿قوله واعتبار اذنهم مطلقا﴾ فانهم اتفقوا على ان اذن الارباب شرط في جواز نكاح الاماء استدلالا بهذه الآية فان قوله سبحانه وتعالى فانكحوهن باذن اهلهن يقتضي كون الاذن شرطا في جواز النكاح وبان الامة ملك السيد وبعد التزويج يتعطل عليه اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز ذلك باذن السيد ومعنى كون ذلك الاذن مطلقا عدم تقييده بانه لا بد معه من اعتبار شرط آخر وهو ان يكون المولى هو المباشر لعقد النكاح بعبارته كما ذهب اليه الامام الشافعي رضي الله عنه وانه لا عبارة للنساء في عقد النكاح فلا يجوز للمرأة ان تزوج امتها بل لا بد لها من ان توكل غيرها في تزويج امتها وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن احتجاجا بقوله تعالى فانكحوهن فان قوله فانكحوهن صريح في ان عقد النكاح واقع بينهم وبينهن ولما قال بعده باذن اهلهن ولم يقل بعقد اهلهن دل ذلك على ان الشرط هو اذن اهلهن مطلقا وان اذن السيد ورضاه كاف في جواز العقد سواء انضمت عبارة السيد الى اذنه ورضاه او لم تنضم وقول المصنف واعتبار اذنهم مطلقا جواب عن هذا الاحتجاج * وتقريره ان الآية انما تدل على رضى المولى لا بد منه في جواز نكاح الامة واما انه كاف فيه فليس في الآية دليل عليه فكيف يستدل بها على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن مع انه عليه الصلاة والسلام قال العاهر هي التي تنكح نفسها * فقد ثبت بهذا الحديث انه لا عبارة لها في نكاح نفسها فوجب ان لا يكون لها عبارة في نكاح مملوكتها ضرورة انه لا قائل بالفرق ومما ورد على ظاهر قوله تعالى وآتوهن ان المهر عوض عن منفعة البضع وهي مملوكة للسيد كنفس الامة فيكون السيد هو المستحق لقبض المهر لا هي فكيف قيل وآتوهن * اجاب عنه المصنف بوجهين الاول ان التقدير آتوهن باذن اهلهن فحذف من الثاني لدلالة الاول عليه كما في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله الثاني ان التقدير آتوا مواليهن وعن بعض اصحاب الامام مالك رحمهم الله ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها استدلالا بهذه الآية ﴿قوله تعالى بالمعروف﴾ يحتمل ان يتعلق بآتوهن اي آتوهن مهورهن بالمعروف ويحتمل ان يكون حالا من اجورهن اي ملتبسات بالمعروف بان يكون غير ممطولة والمهر سواء كان مهر المثل او المسمى في العقد وان كان امرا معهودا مقدرا لكن يتصور ان يكون ايتاؤه على خلاف العادة الجميلة والوجه الغير المعروف بان يكون ايتاؤه ملتبسا بالمطل والتأخير عن وقت المطالبة فلذلك قيد ايتاءه بقوله بالمعروف وقوله محصنات غير مسافحات حالان من مفعول فآتوهن ومحصنات على هذا بمعنى مزوجات وقيل محصنات حال من مفعول فانكحوهن ومحصنات على هذا بمعنى عفائف او مسلمات والمعنى فانكحوهن حال كونهن محصنات لا حال سفاحهن واتخاذهن الاخدان وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم فاذا احصن بضم الهمزة وكسر الصاد على البناء للمفعول والباقون بفتحهما على البناء للفاعل فمعنى القراءة الاولى فاذا احصن بالتزويج والمحصن لهن هو المولى او الزوج ومعنى الثانية احصن فروجهن او ازواجهن والفاء في فان اتين فاء جواب اذا وفعليهن فاء جواب ان والشرط الثاني وجوابه مرتب على وجود الاول وقوله من العذاب متعلق بمحذوف لانه حال من الضمير المستكن في صلة ما وهي قوله على المحصنات ﴿قوله وانه لا رجم لان الرجم لا يتنصف﴾ ويلزم منه ان يكون المراد بالمحصنات في قوله نصف ما على المحصنات الحرائر الابكار لا الحرائر المزوجات لان الواجب على الحرائر المزوجات على الزنى هو الرجم وقيد المنصف لما كان مانعا عن حمل العذاب على الرجم تعين ان المراد به الجلد وهو انما يجب في زنى الحرائر اذا لم يكن مزوجات فثبت به ان المراد

(والله اعلم بايمانكم) فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده (بعضكم من بعض) انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام (فانكحوهن باذن اهلهن) يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية (وآتوهن اجورهن) اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رضي الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر (بالمعروف) بغير مطل واضرار ونقصان (محصنات) عفائف (غير مسافحات) غير مجاهرات بالسفاح (ولا متخذات اخدان) اخلاء في السر (فاذا احصن) بالتزويج قرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد (فان اتين بفاحشة) زنى (فعليهن نصف ما على المحصنات) يعني الحرائر (من العذاب) من الحد كقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا رجم لان الرجم لا يتنصف

(ذلك) اي نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الوقوع في الزنى وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر
اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء (وان تصبروا خير لكم) اي وصبركم
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرآئر صلاح البيت والاماء هلاكه (والله غفور) لمن لم يصبر (رحيم) بان رخص له (يريد الله ليبين لكم) ماتعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد

اردت لكيما يعلم الناس انه *

سراويل قيس والوفود شهود *

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم (ويتوب عليكم) ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم (والله عليم) بها (حكيم) في وضعها (والله يريد ان يتوب عليكم) كرره للتأكيد والمبالغة (ويريد الذين يتبعون الشهوات) يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت (ان تميلوا) عن الحق (ميلا) بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات (عظيما) بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله لا يغفر ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا يجز به وما يفعل الله بعذابكم (يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار (الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) (عن)

بالمحصنات الحرآئر الابكار الا انه يرد ان يقال نصف ما على الحرآئر الابكار بسبب زناهن خمسون جلدة وهذا القدر من الجلد واجب في زنى الامة سوآء كانت محصنة بالتزويج او لم تكن فانهم اتفقوا على ان حد الامة اذا لم تكن متزوجة نصف حد الحرة وهو خمسون جلدة وظاهر الآية يقتضي ان يكون وجوب القدر المذكور على الامة معلقا على زناها بعد الاحصان والتزويج لا على مجرد صدور الزنى وقد اجمعوا على ان ذلك القدر يجب عليها بمجرد زناها وان لم تتزوج والجواب ان قوله فاذا احصن ليس المراد منه جعل هذه الاحصان شرطا لتنصيف ما على الحرآئر الابكار بل المراد بيان ان حدها لا يغلظ بالاحصان كما يغلظ على الحرآئر وان حدها بعد الاحصان انما هو خمسون جلدة فاذا ثبت تخفيف حدها لمكان الرق عند وجود ما يوجب التغليظ فتخفيفه عند انعدام ما يوجب التغليظ اولى فالمقصود من تعليق التنصيف على الاحصان بيان ان حدها قبل الاحصان لا يزيد على خمسين جلدة كما يزيد عليه حد الحرآئر **قوله وقيل المراد به** اي بالعنت الحد والمعنى ان نكاح الامة يصح لمن عشقها بحيث يخشى ان يواقعها فيحد فيتزوجها وهذا شرط آخر لنكاح الاماء فالشرط الاول عدم القدرة على نكاح الحرة والثاني كون الامة مؤمنة والثالث خوف العنت على تقدير الامتناع عن نكاحها **قوله وليبين مفعول يريد** يعني ان اصل الكلام يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتأكيد اضافة الاب كذا في الكشاف حيث جعل اللام زآئدة وان مضمرة بعدها وجعل التبيين مفعول الارادة وذهب البصريون الى ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تحريم ماحرم وتحليل ما حلل وتشريع ما تقدم لاجل ان يبين لكم ما كلفكم به من الاحكام فالتبيين وما عطف عليه ليس متعلق الارادة لان متعلقها محذوف فلي قوله سبحانه وتعالى ليبين لكم ويهديكم معناهما واحد واشار المصنف الى ما بينهما من الفرق وان قوله ليبين لكم بمعنى ليميز الحلال من الحرام والحسن من القبيح وقوله ويهديكم سنن الذين من قبلكم معناه ان الذي بين لكم تحليله وتحريمه في الآيات المتقدمة من النساء وغيرهن كان حكم مناهج من تقدمكم وشرآئع من قبلكم على معنى ان جميع ما ذكر في الآيات المتقدمة من الشرآئع والاحكام مطابق لجميع الشرآئع والملل المتقدمة وان من قبلكم متعبدون بهذه الاحكام بعينها ويحتمل ان يكون المراد تشبيه هذه الاحكام بتكاليف من قبلنا في كونها على وفق المصلحة فان الشرآئع وان اختلفت في نفسها الا انها متفقة في كونها على وفق المصالح والحكم والتباعد عما يؤدي الى فساد المعاش والمعاد **قوله ويغفر لكم ذنوبكم** اي يريد ان يفعل فيما بينهم ذلك وان لم يكن فعله ذلك على سبيل الاستغراق **قوله او يرشدكم** اي ويجوز ان يكون ارادة التوبة عبارة عن ان يفعل بهم ما يؤدي الى توبتهم وقبولها منهم كأنه قيل ويريد ان يقبل توبتكم بان تعملوا على وفق ما بين لكم من الحلال والحرام بايثار المصالح ومحاسن الاعمال والاجتناب عن المفاسد والقبائح فان قبول التوبة فرع التوبة التي هي الرجوع عن المعصية الى الطاعة كأنه قيل يريد الله ان يبين ذلك فتتوسلوا به الى مغفرة ذنوبكم فهو سبحانه وتعالى اراد قبول توبة عباده بان اراد ان يبين لهم ما يسعدهم مما يشقيهم ولو اراد ان يقبل توبتهم ابتدآء لكان الكل تائبين لان كل ما اراده الله تعالى لابد ان يحصل لا محالة فاذا اراد ان يتوب علينا وجب ان تحصل التوبة لكلنا ومعلوم انه ليس كذلك فوجب ان يفسر قوله سبحانه وتعالى ويتوب عليكم باحد المعنيين **قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا** في معرض التعليل لتخفيف تكليفه فالاقرب حينئذ ان يحمل هذا الضعف على كثرة الدواعي الى اتباع الشهوة واللذة لا على ضعف الخلقة لان من قوى الله تعالى داعيته الى الخير والطاعة فهو في حكم القوي وان كان ضعيف الخلقة ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر ابتغاء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهور والنفقات بين بعد ذلك كيفية التصرف في الاموال فقال لا تأكلوا اموالكم بينكم اكلا ملتبسا بطريق غير مباح في الشرع وخص الاكل بالذكر مع ان جميع التصرفات الملابسة بما لم يبحه الشرع حرام لكون الاكل المقصود الاعظم من الاموال فعبر عن مطلق المقاصد المتعلقة بالاموال باسم اشهر افرادها واهمها **قوله استثناء منقطع** سوآء قرئ بنصب تجارة او برفعها اذ لم يسبق لفظا او تقديرا مفرد يصح استثناء وقوع التجارة منه فان ما سبق ذكره هو الاموال المأكولة بالباطل والتجارة الصادرة عن تراضي ليست مندرجة فيها حتى تستثنى منها ولما كان الا في الاستثناء المنقطع بمعنى لكن ليدل على انه كلام مستأنف منقطع عما قبله وجب ان يكون ما بعد الاستثناء مخالفا لما قبله نفيا واثباتا وما قبل هذا الاستثناء نهي لاجرم قدر ما بعده عدم نهي او امر اما عدم النهي فقوله لكن كون تجارة

تجارة (ولا تقتلوا انفسكم) بالبخع كما تفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تأول له فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه

النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها و يرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان

من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله (ان الله كان بكم رحيما) اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه (ومن يفعل ذلك) اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات (عدوانا وظلما) افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب (فسوف نصليه نارا) ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى (وكان ذلك على الله يسيرا) لا عسر فيه ولا صارف عنه (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس (نكفر عنكم سيئاتكم) نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى

عن تراض غير منهى عنه واما الامر فقوله او اقصدوا كون تجارة عن تراض وكون تجارة عن تراض عبارة عن معاوضة المال بالمال وكل عقد معاوضة تجارة على اى وجه كان العوض وقوله تعالى بالباطل اخرج منها كل عوض لا يباح اخذه شرعا كالربا وسائر العقود الفاسدة والوجوه التى يحل بها تناول مال الغير كثيرة كالهبة والصدقة والارث والوصية والمهر وارش الجنايات واجابة دعوة من دعاك الى طعام والتجارة من بينها اكثر وقوعا واوفق بذوى المروآت فلذلك خصت بالذكر من بينها وان اريد بالتجارة انتقال المال من يد الى يد مطلقا سواء كان انتقاله بطريق المعاوضة ام لا فحينئذ تكون متناولة لجميع الوجوه المذكورة لا مختصة ببعضها حتى يحتاج فى تخصيصها بالذكر الى الاعتذار وقرأ الكوفيون تجارة نصبا على ان تكون ناقصة واسمها مستتر فيها مبهم يفسره الظاهر وهو تجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض كقوله * اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا * اى اذا كان اليوم يوما ويجوز ان يكون اسمها المستتر فيها راجعا الى الجهة المدلول عليها بقوله تعالى بالباطل اى الا ان تكون جهة الاكل تجارة ﴿قوله بالبخع﴾ فى الصحاح بخع نفسه بخعا اى قتلها غما انتهى اى قتل نفسه تأسفا وحزنا على الشئ الفائت كأنه قيل لا تقتلوا انفسكم بالتحزن على ما فات عنكم من فضائل الابرار وان كان ذلك لقصد الرياضة وتقوية جانب الروحانية فان الرياضة انما تنفع وتفيد تقوية جانب الروحانية اذا كانت على قانون الشرع فاما يروى عن جهلة الهند من حبس النفس اياما كثيرة على قصد الرياضة ومخالفة الهوى بحيث يؤدى ذلك الى هلاكهم فما هو الا جهالة محضة يهلكون انفسهم بلا فائدة ﴿قوله ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص﴾ روى عنه رضى الله عنه انه قال احتلمت فى ليلة باردة وانا فى غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابى الصبح فذكرت ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام فقال لى يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذى منعنى من الاغتسال فقلت انى سمعت الله يقول ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيأ ووجه كونه مؤيدا لذلك ان عمرا رضى الله عنه قد حمل هذه الآية على معنى لا تباشروا ما يخاف منه ان يؤدى الى هلاك انفسكم ولم ينكر عليه النبى عليه الصلاة والسلام فى ذلك ﴿قوله او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها﴾ كالزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة بغير حق والردة فان من ارتكب واحدا منها فكأنه قتل نفسه فلما كان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه لتحقق الصارف الشرعى والطبيعى لم يكن للنهى عن قتل نفسه كبير فائدة فلذلك حمل النهى عنه على النهى عن ارتكاب سببه ﴿قوله او باقتراف ما يذللها و يرديها﴾ من المعاصى والركون الى اللذات العاجلة فان اقترافها وان لم يؤد الى القتل الحسى فانه يؤدى الى القتل الحقيقى للنفس ﴿قوله وقيل﴾ ذهب اكثر المفسرين الى ان معنى الآية لا يقتل بعضكم بعضا كما ان قوله سبحانه وتعالى لا تأكلوا اموالكم معناه لا يأكل بعضكم مال بعض وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم معناه لا يعيب بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لقوله عليه الصلاة والسلام * المؤمنون كنفس واحدة * ولان اهل دين واحد كنفس واحدة ﴿قوله استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس﴾ اى ارادة بقائهم واستكمالهم وريث مصدر راث يريث يقال راث على خبرك ريثا اى ابطأ وتأخر ﴿قوله اشارة الى القتل﴾ لانه اقرب المذكورات وقيل انه اشارة الى قتل النفس المحرمة واكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة وقيل انه اشارة الى ما نهى عنه من اول السورة الى هذا الموضع وقوله سبحانه وتعالى عدوانا وظلما حالان من فاعل يفعل اى من يفعله متعديا وظالما وفائدة التقييد به الاحتراز عن قتل البعض بالبعض كالقود واخذ المال بحق كالدية ونحوها وقرأ الجمهور نصليه بضم نون المعظم نفسه من اصلى وقرئ يصليه بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى او الى ضمير عائد الى ما اشير اليه بلفظ ذلك وهو القتل على طريق اسناد الفعل الى السبب ونكر نارا للتعظيم ﴿قوله الجنة﴾ على ان يكون المدخل بضم الميم اسم مكان من ادخل الرباعى منصوبا على انه مفعول به لقوله ندخلكم او ظرف له وقوله او ادخالا على ان يكون مدخلا مصدرا ميميا والمدخل فيه على هذا يكون محذوفا اى وندخلكم الجنة ادخالا ذا كرامة على ان كريما من قبيل تامر ولابن واما قراءة نافع فتحتاج الى تأويل وذلك لان مفتوح الميم انما هو من الثلاثى والفعل السابق رباعى فقيل انه منصوب بفعل مقدر مطاوع لهذا الفعل السابق والتقدير ندخلكم فتدخلون مدخلا بنصب مدخلا على المصدرية او المكانية وقيل هو مصدر على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا على احد القولين ﴿قوله فلعل عدمه خير﴾ يدل على ان الغبطة كالحسد منهى عنها كما ذهب اليه المحققون وقالوا لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطنى دارا مثل دار فلان

وزوجة مثل زوجة فلان بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني مايكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وروي عن الحسن انه قال لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال كما كان في حق ثعلبة وهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى في هذه الآية واسألوا الله من فضله وخص النهي عنه من التمني تمني ما لغيره من الامور الدنيوية لان تمني ماله من الاعمال الصالحة حسن لقوله عليه الصلاة والسلام * وددت ان احيي ثم اقتل * فانه تمني مثل ما كان للشهداء من الشهادة وثوابها ولقوله عليه الصلاة والسلام * لاحسد الا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار * فقوله لاحسد اي لاغبطة اعظم وافضل من الغبطة في هذين الامرين فعلى هذا تقدير الآية لاتتمنوا امثال ما فضل الله به غيركم لان تمني عين ما فضل الله به غيرك ليس ذريعة الى الحسد بل هو الحسد بعينه لان من طلب عين ماحصل لغيره من الفضل الالهي فهو طالب لزواله عن ذلك الغير اذ لايمكن حصوله له الا بعد زواله من الغير وتمني ما للغير قدر مشترك بين الحسد والغبطة والمصنف رحمه الله حمله على الغبطة لان النهي عنها يستلزم النهي عن الحسد من غير عكس والفرق بينهما ان الانسان اذا شاهد غيره مفضلا عليه بفضائل ووجد نفسه خاليا من جملتها او عن اكثرها فحينئذ يتألم قلبه فيعرض له حينئذ حالتان احداهما ان يتمنى زوال تلك الفضائل عنه والاخرى ان يتمنى حصول مثلها لنفسه فالاول هو الحسد المذموم والثاني هو الغبطة ﴿قوله معارضة لحكمة القدر﴾ فان حكمة القدر ان اقتضت عدم حصول ذلك الشيء له وتمنى هو حصوله له فقد ادعى استحقاقه لحصوله له وان ذلك الحصول مما تقتضيه الحكمة وفيه شائبة انكار لحكمة القدر بادعاء مايعارضها وينفيها وان تمنى حصول ماقدر له بكسب من غير ان يباشر طريق اكتسابه فقد آثر طريق البطالة المستلزمة لضياع حظه المقدر له بشرط مباشرة اسباب حصوله وان تمنى حصول ماقدر له بغير كسب مما لامدخل فيه لقدرة العبد واكتسابه نحو الذكاء التام والحدس الكامل واعتدال المزاج وسلامة القوى والاعضاء وتناسبها ونحو ذلك فقد اتى شيأ ضائعا لاطائل تحته وامرا مستحيلا صدوره من العاقل فقد ثبت ان تمني فضائل الغير باقسامه الثلاثة مذموم مستلزم لارتكاب الامر القبيح فلذلك نهى عنه قال الامام القاشاني في تأويلاته الكمالات الانسانية مترتبة على الاستعدادات الازلية فان كل استعداد ازلي يقتضي بهويته كمالا وسعادة تناسبه وحصول ذلك الكمال الخاص بغيره محال ولذلك ذكر طلبه بلفظ التمني الذي هو طلب مايمتنع حصوله لامتناع سببه ﴿قوله بيان لذلك﴾ اي بيان لكون مايقتضي المنع من التمني الذي هو تشهي حصول الشيء له من غير طلب وكسب هو كونه مذموما نهي اولا عن تمني ما فضل الله به احدا من خلقه على حسب طلبه واكتسابه من غير ان يكتسبه ويسعى في حصوله ثم قرر انه سبحانه وتعالى انما فضل من فضل من الرجال والنساء بسببها اكتسابه لابمجرد تشهيه وتمنيه ﴿قوله وقيل المراد نصيب الميراث﴾ وهو تخصيص للعام بقرينة سبب النزول وهو لايصلح قرينة له لان خصوص المورد لاينافي عموم الحكم فلذلك ضعفه بقوله وقيل فعلى هذا القول يكون المعنى لاتقولوا ليتنا كنا رجالا فنتوفر نصيبنا من الغنم والميراث فان لكل صنف من صنفي الرجال والنساء نصيبا مما اكتسبه اي استحقه على حسب حاله من الذكورة والانوثة فلا يورث احد بمازاد على حقه ولاينقص منه شيء من حقه بحسب حاله مكتسبا له تشبيها له بالمكتسب من حيث اقتضاء حاله اياه * فان قيل فعلى هذا يكون معنى الآية للرجال نصيب مما قسم لهم واستحقوه على حسب حالهم والحال ان لهم جميع ماقسم لهم لابعضا منه * فالجواب ان من ههنا ليست للتبعيض بل هي بيانية اي للرجال النصيب المقسوم لهم ﴿قوله بما يقربه ويسوقه اليكم﴾ اي من الاعمال الصالحة ولسان الاستعداد الذي مادعا به احد الا اجاب كما قال سبحانه وتعالى ادعوني استجب لكم فعلى هذا لايكون المنهي هو الحسد وحده ﴿قوله ولكل تركة﴾ اشارة الى ان كلمة كل اذا ذكرت غير مضافة وغير معرفة باللام لابد ان يقدر في الكلام شيء تضاف اليه وهو في الآية لفظ تركة فقوله ولكل متعلق بجعلنا ومماترك صفة مبينة لكل والوالدان فاعل ترك وفيه فصل بين الصفة والموصوف بجملة جعلنا موالي وجاز ذلك لكون الفاصل ليس باجنبي عن الموصوف بل هو عامل فيه كقوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض ففاطر صفة لله وقد فصل بينهما بالعامل في غير المضاف الى الموصوف فهذا اولى لان جملة العامل فيه عامل في نفس الموصوف فعلى هذا يكون جملة قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان جملة فعلية ﴿قوله او ولكل ميت﴾ مع قوله او ولكل قوم الخ مبني على ان يكون ما قدر مضافا اليه لفظ كل من قبيل الانسان لا من قبيل المال المتروك وذلك

والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني مالم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ماقدر له بغير كسب ضائع ومحال (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم الله لكل منهم على حسب ماعرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له (واسألوا الله من فضله) اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لاتنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لاتتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز (ان الله كان بكل شيء عليما) فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يارسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون) اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومماترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كما لايتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر

الانسان على الاوّل ميت وعلى الثانى ورثة الميت وعلى الوجه الاوّل من هذين الوجهين تكون الجملة فعلية ايضا وعلى الثانى تكون اسمية والمعنى على الاوّل وجعلنا لكل ميت ورّاثا مما ترك ذلك الميت وهؤلاء الورّاث هم الوالدان والاقربون على ان موالى مفعول اوّل لجعل بمعنى صيّر ولكل ميت مفعوله الثانى قدّم على عامله ومما ترك متعلق بموالى لما فيه من معنى الوراثة وفى ترك ضمير مستتر يعود على كل وههنا تم الكلام وقوله الوالدان خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف جيئ بها لبيان الموالى كأنه قيل من الموالى الذين يرثون الميت فاجيب بقوله الوالدان اى هم الوالدان والمعنى على الثانى من الوجهين ولكل قوم جعلناهم ورّاثا نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فقوله ولكل قوم جعلنا هم موالى خبر مبتدأ محذوف وقوله جعلنا موالى صفة لكل بحذف العائد الى كل والمبتدأ المحذوف هو متعلق قوله مما ترك ﴿قوله موالى الموالاة﴾ اختار ان المراد بقوله سبحانه وتعالى والذين عاقدت ايمانكم الموالى الذين عقدوا عقد الموالاة ثم ذكر احتمال ان يراد بهم الازواج اى الزوج والزوجة ونظيره انه سبحانه وتعالى لما بين ميراث الولد والوالدين ذكر معهم ميراث الزوج والزوجة والمعاقدة والمحالفة واختار قرآءة عاقدت لدلالة صيغة المفاعلة على جريان العقد والعهد من الجانبين والايمان جمع يمين بمعنى اليد اليمنى او القسم والمعاقدة فى الحقيقة فعل العاقدين والحالفين الا انها اسندت الى الايمان لانهم كانوا عند المعاقدة يأخذ بعضهم بيد بعض على قصد التزام الوفاء والتمسك بالعهد فصار بذلك كأن العقد صدر من الايدى فحسن اسناده اليها وان كان اليمين بمعنى القسم كان على وجه الاسناد المجازى لكون الحلف يؤكد العقد والمعاهدة فصار الحلف كأنه هو العاقد والتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم وحذف العائد الى الموصول لما تقرر ان العائد المفعول يحذف كثيرا ﴿قوله كان الحليف﴾ وهو فعيل بمعنى فاعل نحو اكيل وشريب والآية منسوخة فى حق من له وارث قريب وغير منسوخة فى حق من لا وارث له وصورة الموالاة عند ابى حنيفة ان يسلم رجل من اهل الحرب فيقول للذى اسلم فى يديه واليتك على انى ان مت فميراثى لك وان جنيت فعقلى عليك وعلى عاقلتك فقبل الآخر منه فاذا جنى المولى الاسفل فعقله على عاقلة المولى الاعلى ولا يرث الاسفل منه ويرث الاعلى من الاسفل ان لم يكن للاسفل وارث غيره ﴿قوله او منصوب بمضمر﴾ اى على الاشتغال وهو ارجح من حيث ان ما بعده طلب فلا يصح وقوعه خبرا ﴿قوله او معطوف على الوالدين﴾ فيكون فى محل الرفع على انه فاعل ترك والمعنى وجعلنا لكل مال مما ترك الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم موالى وورثة فآتوهم نصيبهم اى فآتوا الموالى والورثة نصيبهم والمعنى لا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الموالى والورّاث وعلى هذا التقدير فلا نسخ فى الآية اذ لا دلالة فيها على الدفع الى الحليف حينئذ حتى يحكم بالنسخ ﴿قوله بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم﴾ اى احكمتها ايمانكم فحذف المفعول ثم المضاف اليه لان حذفهما معا لم ينقل عن الفصحاء بخلاف الحذف على التدريج فان حذف المفعول وحده شائع وكذا حذف ما يقوم مقامه كما حذف فى القرآءة الاولى فانه قد مرّ ان التقدير فيها والذين عاقدتهم ايمانكم ﴿قوله يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرعية﴾ مستفاد من صيغة القوّام فانه اسم لمن يكون مبالغا فى القيام بالامر مسلطا عليه نافذ الحكم فى حقه ليصير كأنه امير عليه والقوّام والقيم بمعنى واحد والقوّام ابلغ وهو القيم بالمصالح والتدبير والاهتمام بالحفظ ﴿قوله بسبب تفضيله﴾ اشارة الى ان الباء سببية وما مصدرية ﴿قوله والامامة﴾ يعم الامامة الكبرى والصغرى التى هى الامامة فى الصلاة ﴿قوله والولاية﴾ فلا يلى امر النكاح الا العصبات النسبية على ترتيبهم فى الارث يعنى ان الابعد منهم محجوب بالاقرب وان لم يوجد احد ممن هو عصبة نسبية فالولى هو المعتق وان لم يوجد عصبة نسبية ولا سببية كولى العتاقة فولاية التزويج للام ثم للاخت لاب وام ثم لاب ثم للاخ او للاخت لام ثم لاولادهم ثم للعمات ثم للاخوال ثم للخالات ثم لبنات الاعمام وبالجملة فالولاية لا تثبت للاناث الا عند فقدان العصبة ﴿قوله واقامة الشعائر﴾ كالاذان والاقامة والخطبة ﴿قوله والشهادة﴾ فلا شهادة للنساء فى الحدود والقصاص بالاتفاق وفى الانكحة عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى ﴿قوله ونحوها﴾ كصلاة العيدين والخسوف والكسوف وتكبير التشريق عند ابى حنيفة رحمه الله وقوله تعالى على النساء وقوله بما فضل الله وقوله وبما انفقوا متعلق بقوله قوّامون وقوله من اموالهم متعلق بانفقوا او بمحذوف على انه حال من الضمير المحذوف العائد الى ما اى بما انفقوه كائنا من اموالهم على ان تكون ما موصولة لا مصدرية ولا يحسن كونها موصولة فى قوله بما فضل الله لان العائد حينئذ يكون ضميرا مجرورا فلا بدّ بعد حذف المجرور من حذف

﴿والذين عاقدت ايمانكم﴾ موالى الموالاة كان الحليف يرث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القرآءة الاخرى ﴿ان الله كان على كل شئ شهيدا﴾ تهديد على منع نصيبهم ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ يقومون عليهنّ قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبىّ وكسبىّ فقال ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوّة فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوّة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ فى نكاحهنّ كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير

الجار ايضا اذ لا يبقى حرف جار مع حذف المجرور وانما يحسن حذف المجرور اذا كان الجار متعينا كما في قوله سبحانه وتعالى انسجد لما تأمرنا اي لما تأمرنا به وقوله فاصدع بما تؤمر اي تؤمر به اي بالظهاره والجار فيما نحن فيه ليس بمتعين لان فعل التفضيل قد يعدى بغير الباء فلذلك لم يتعرض المصنف لاحتمال كونها موصولة ﴿ قوله تعالى فالصالحات ﴾ مبتدأ وقوله قانتات حافظات خبران له وللغيب متعلق بحافظات واشار المصنف رحمه الله الى انه لابد هنا من تقدير المضاف حيث قال لواجب الغيب والواجب جمع موجب فالمعنى حافظات لما يوجبه غيبة الزوج وهو ان تحفظ نفسها من الزنى لئلا يلحق الزوج الغائب عار الفضيحة بسبب زناها ولئلا يلحق به الولد المتكون من نطفة غيره وتحفظ ماله عن الضياع ﴿ قوله تعالى قانتات اي مطيعات ﴾ والطاعة عام في طاعة الله وطاعة الازواج والصالحات جمع محلى باللام فيحمل على الاستغراق فيدل على ان كل امرأة صالحة لابد ان تكون مطيعة لله تعالى دائما ولزوجها كذلك وان تكون عند غيبة الزوج حافظة لموجب الغيبة وظاهر الآية اخبار والمراد الامر فعلم منه ان المرأة لاتكون صالحة الا اذا كانت مطيعة لله تعالى ولزوجها حال حضوره وحافظة لحق الزوج وحرمته حال غيبته ﴿ قوله وقيل لاسرارهم ﴾ يعني قيل المراد بالغيب الغائب وهو ما غاب عن الناس من اسرار الرجال وهو على الوجه الاول بمعنى الغيبة على ان الغيب خلاف الشهادة كما اشار اليه بقوله في غيبة الازواج ﴿ قوله بحفظ الله اياهن ﴾ اشارة الى ان ما في قوله بما حفظ الله مصدرية وان المفعول محذوف للعلم به وطريق حفظ الله سبحانه وتعالى اياهن ان يوفقهن لحفظ موجب غيبة الزوج وان يرضين بذلك حيث وعدهن بالثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة ﴿ قوله او بالذي ﴾ اشارة الى احتمال ان تكون ما موصولة بمعنى الذي ويكون العائد اليها محذوفا والمعنى ان عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله تعالى حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن وامساكهن بالمعروف واعطائهن اجورهن فالباء في قوله بما حفظ الله بمنزلة الباء في قولك هذا بذلك اي في مقابلة ذلك ﴿ قوله وقرئ ﴾ اي ان الجمهور على رفع الجلالة من حفظ الله والتقدير والمعنى ما ذكر من الوجهين وقرئ بنصب الجلالة فيكون ما بمعنى الذي وفي حفظ ضمير يعود على ما فلابد من حذف مضاف نحو حق الله وطاعة الله او دينه لان الذات المقدسة لايحفظها احد والمعنى حافظات لموجب غيبة الزوج بالامر الذي يحفظ حق الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم فان المرأة لو لم يثبت فيها هذه الخصال لما حفظت موجب الغيب ولما اطاعت زوجها بصيانة عرضه وحفظ مواله وامواله ﴿ قوله عصيانهن ﴾ يعني ان نشوز المرأة عبارة عن عصيانها ومخالفتها زوجها من قولهم نشز الشيء اذا ارتفع يقال نشز الرجل ينشز وينشز اذا كان قاعدا فنهض قائما ومنه قوله تعالى اذا قيل انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا الى حرب او امر من اوامر الله تعالى وقيل النشوز كراهية كل واحد من الزوجين صاحبه فالله تعالى قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات حافظات للغيب ثم ذكر بعده غير الصالحات فقال واللاتي تخافون نشوزهن والخوف عبارة عن حالة تحصل في القلب عند ظن حدوث امر مكروه في المستقبل قال الامام الشافعي رحمه الله دلالة النشوز قد تكون قولا وقد تكون فعلا فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له بالقول اذا خاطبها ثم تغيرت والفعل مثل ان كانت تقوم اليه اذا دخل عليها وكانت تسارع الى امره وتبادر الى فراشه باستبشار اذا التمسها ثم انها تغيرت عن كل ذلك فهذه امارات دالة على نشوزها وعصيانها يظن الزوج بها نشوزها وبمشاهدة مقدمات هذه الاحوال يحصل له خوف نشوزها قال الامام الشافعي رحمه الله يعظهن اي يخوفهن من الله تعالى بان يقول لها اتق الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك ولا يضربها في حالة الوعظ لجواز ان يكون لها في ذلك كفاية فان اصرت على نشوزها فعند ذلك يهجرها في المضجع وفي ضمنه الامتناع عن كلامها قال ابن عباس يهجرها بان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقال غيره يعتزل عنها الى فراش آخر ومنهم من حمل المضاجع على البيوت التي يبيتن فيها اي لاتشاركوهن في البيتوتة في بيوتهن ومنهم من جعل الهجران في المضاجع كناية عن ترك الجماع لان اضافة الهجران الى المضاجع تفيد ذلك قال الامام الشافعي رضي الله عنه لا يزيد في هجره الكلام على ثلاث واذا هجرها في المضجع وفي ضمنه السكوت عنها فان كانت تحب الزوج شق ذلك عليها وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فيكون دليلا على كمال النشوز فعند ذلك يضربها ضربا غير مبرح وغير شائن يورثها شينا وعيبا في بدنها واختار المصنف رحمه الله ان حكم هذه الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ

(فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج (حافظات للغيب) لواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم (بما حفظ الله) بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتي تخافون نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز (فعظوهن واهجروهن في المضاجع) في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لاتبايتوهن (واضربوهن) يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها

وان دل على الجمع الا ان فحوى الآية يدل على الترتيب قال علي رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان ابت هجرها في المضجع وان اصرت على الاباء ضربها وان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقيل هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز واما عند تحقق النشوز فلا بأس في الجمع بين الكل بان يعظها ويهجرها ويضربها قال الامام الشافعي اما الضرب فمباح وتركه افضل روي عنه عليه الصلاة والسلام انه رأى ابا مسعود وقد رفع الصوت على غلام ليضربه به فصاح ابا مسعود الله اقدر عليك منك عليه فرمى السوط واعتق الغلام وروي عن عمر بن الخطاب انه قال كنا معشر قريش تملك رجالنا نساءهم فقدمنا المدينة فوجدنا نساءهم تملك رجالهم فاختلطت نساؤنا بنسائهم فذئرن على ازواجهن اي نشزن واجترأن فاتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت له ذئرت النساء على ازواجهن فأذن في ضربهن فطاف بحجر نساء النبي عليه الصلاة والسلام جمع من النسوان كلهن يشكون ازواجهن فقال عليه الصلاة والسلام * قد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة كلهن يشكون ازواجهن ولا تجدون اولئك خياركم * معناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا فاحتج الامام الشافعي رضي الله عنه بهذا الحديث على ان الاولى ترك الضرب واذا ضربها يجب ان يقتصر فيه على قدر الكفاية ويدل عليه انه سبحانه وتعالى ابتدأ بالوعظ ثم ترقى منه الى الهجران في المضاجع ثم ترقى منه الى الضرب وذلك تنبيه يجري مجرى التصريح في انه متى حصل الغرض بالطريق الاخف وجب الاكتفاء به ولم يجز الاقدام على الطريق الاثقل ﴿قوله﴾ فانه اقدر عليكم ﴿اشارة﴾ الى ان علوه سبحانه وتعالى ليس بعلو الجهة وان كبرياءه ليس بكبر الجثة بل هو علي كبير بكمال قدرته ونفاذ مشيئته في كل الممكنات وان المقصود من ذكر هاتين الصفتين تهديد الازواج على ظلم النسوان والمعنى لا تغتروا بكونكم اعلى يدا وارفع قدرا منهن وكونهن اضعف عن دفع ظلمكم واعجز عن الانتصاف منكم فالله عز شأنه علي قاهر كبير قادر ينتصف لهن منكم فلا تظلموهن او انه تعالى علي كبير من ان يظلم احدا في شيء من احكامه فنبه سبحانه اياكم عن ان تبغوا عليهن سبيلا ليس فيه ظلمكم ونقص شيء من حقكم عليهن ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر ان المرأة ان ظهر منها دلائل نشوزها فللزوج ان يعظها ثم يهجرها ثم يضربها بين انها ان اصرت على النشوز بعد الضرب فلينصب الحكام حكمين عدلين احدهما من اقارب الزوج واهله والآخر من اقارب المرأة واهلها وليبعث حكم الزوج اليه وحكم المرأة اليها ليخلو كل واحد منهما بصاحبه ويستكشف منه حقيقة الحال ويقول قريب الزوج له اخبرني ما في نفسك اتهواها وتريد بقاء مصاحبتك معها حتى اعلم مرادك وان ما وقع بينكما من الخلاف هل جاء من قبلك وبسبب نشوزك او جاء من قبلها وبنشوزها ويقول ولي المرأة لها مثل ذلك اي مثل ما قال ولي الزوج له وايهما قال لا اهوى صاحبي وفرق بينه وبيني فاعطه من مالي ما اراد وما شئت ظهر ان النشوز كان من قبله وايهما قال اني احب صاحبي فأرضه مني باي طريق امكن ظهر ان النشوز ليس من قبله فاي حكم تعين عنده من الناشز والراغب والظالم والمظلوم فانه يعظ الناشز والظالم ويحمله على العدل ورعاية مقتضى المروءة فان قبل فبها والا يخرج من عنده ويجتمع بالحكم الآخر ليتفقا على ان النشوز ممن وقع فاذا ظهر لهما ان النشوز من ايهما وقع يقبلان عليه بالعظة والزجر والنهي فان اصلحا بينهما فبها والا فينبا الحال للحاكم ليفعل ما هو الصواب من ايقاع طلاق او خلع واختلف في انه هل يجوز للحكمين تنفيذ امر يلزم الزوجين بدون اذنهما مثل ان يطلق حكم الرجل او يفتدي حكم المرأة بشيء من مالها قال ابو حنيفة لا يجوز وقال غيره يجوز سمي الخلاف شقاقا لان كل واحد من المخالفين يريد بصاحبه ما يشق عليه او لان كل واحد منهما يصير في شق الآخر بالمخالفة والمباعدة والمعاداة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله وان خفتم اي علمتم شقاق بينهما قال وهذا بخلاف قوله سبحانه وتعالى واللاتي تخافون نشوزهن فان ذلك محمول على الظن والفرق بين الموضعين انه في الابتداء يظهر له امارات النشوز فعند ذلك يحصل الخوف لا العلم واما بعد الوعظ والهجر والضرب لما اصرت على النشوز فقد حصل العلم بكونها ناشزة فوجب ان يحمل الخوف ههنا على العلم وقال الزجاج القول بان خفتم ههنا بمعنى ايقنتم خطأ فانا لو علمنا الشقاق على الحقيقة لم نحتج الى بعث الحكم واجاب سائر المفسرين عن طعن الزجاج بان وجود الشقاق وان كان معلوما الا انا لا نعلم ان ذلك الشقاق صدر عن هذا او عن ذاك فالحاجة الى الحكمين لمعرفة هذا المعنى * قال الامام ويمكن ان يقال وجود الشقاق في الحال معلوم ومثل هذا لا يحصل منه خوف انما الخوف في انه هل يبقى ذلك الشقاق اولا والفائدة في بعث الحكمين ليست ازالة الشقاق الثابت في الحال فان ذلك محال بل الفائدة ازالة الشقاق

(فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه (وان خفتم شقاق بينهما) خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما

واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقوله نهارك صائم (فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها) فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه (ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما) الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه (ان الله كان عليما خبيرا) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ) صنما او غيره او شيأ من الاشراك جليا او خفيا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذي القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذي القربى) الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه (والجار الجنب) البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب (والصاحب بالجنب) الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر او الضيف (وما ملكت ايمانكم) العبيد والاماء

في المستقبل ﴿قوله واضافة الشقاق الى الظرف﴾ فان الشقاق مضاف الى بين ومعناه الظرفية والاصل شقاقا بينهما لكن اتسع فيه فاضيف الحدث الى ظرفه واضافة المصدر الى الظرف جائزة لحصوله فيه والمضاف اليه باق على ظرفيته نحو يعجبني صوم يوم عرفة ومكر الليل ويا سارق الليلة الا انه اجرى مجرى المفعول به فاضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به ويحتمل ان يجري الظرف مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم فيجعل البين شاقا والليل والنهار ماكرين فحينئذ يخرج عن الظرفية ويصير كسائر الاسماء ﴿قوله صنما او غيره﴾ على ان يكون انتصاب شيأ على انه مفعول به لقوله لا تشركوا وما بعده على انه مفعول مطلق لما امر بالعبادة بقوله واعبدوا الله امر بالاخلاص في العبادة بقوله ولا تشركوا به شيأ لان من يعبد مع الله غيره كان مشركا ولا يكون مخلصا ثم الشرك جلي وخفي فالجلي الكفر والخفي الرياء فلذلك قيل من تطهر تبردا او صام اصلاحا لمعدته ونوى مع ذلك التقرب لا يقبل منه ذلك لانه مزج نية التقرب بنية دنيوية وكذا اذا احس الامام بداخل وهو راكع فاطال ركوعه ليدرك الداخل فسدت صلاته لان ركوعه خرج عن كونه خالصا لله تعالى بالتقرب والعبادة عبارة عن كل فعل وترك يؤتى به لمجرد امر الله تعالى بذلك فيدخل فيها جميع اعمال القلوب وجميع اعمال الجوارح فلا معنى لتخصيص ذلك بالتوحيد كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قوله سبحانه وتعالى اعبدوا الله اي وحدوه وقيل العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار وقيل العبودية اربعة اشياء الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضى بالموجود والصبر عن المفقود ﴿قوله واحسنوا بهما احسانا﴾ اشارة الى ان العامل محذوف كما في قوله فضرب الرقاب اي فاضربوها ضربا وفعل الاحسان يتعدى بكلمة الى وبالباء ايضا يقال احسنت بفلان والى فلان والاحسان اليهما هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مطالبهما والانفاق عليهما بقدر القدرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا اراد الجهاد فقال له النبي عليه الصلاة والسلام * ابواك اذنا لك * قال لا قال * فارجع فاستأذنهما فان اذنا لك فجاهد والا فبرهما * ثم انه سبحانه وتعالى لما امر ببر الوالدين امر بعده بصلة من بينهما قرابة الرحم والوالدان وان كانا من الاقارب لكن تميز قرابة الولادة عن قرابة الرحم والفرق بين هذه الآية وبين آية سورة البقرة وهي قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى الآية حيث اعيدت كلمة الباء ههنا دونها ان هذه الآية نزلت لتكليف هذه الامة فكان الاعتناء بها اكثر واعادة الباء تدل على زيادة تأكيد فناسب ذلك ههنا بخلاف آية البقرة فانها نزلت حكاية لاحوال بني اسرائيل ﴿قوله الذي قرب جواره﴾ فيكون الجار الجنب هو الذي بعد جواره ويؤيد هذا التفسير ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ان لي جارين فبايهما ابدأ قال * فباقربهما منك بابا * قال الواحدي الجنب نعت على وزن فعل واصله من الجنابة ضد القرابة وهو البعيد يقال رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا عن اهله ورجل اجنبي وهو البعيد منك في القرابة قال الله تعالى واجنبني اي بعدني عن ابي هريرة رضي الله عنه قيل يا رسول الله فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وفي لسانها شيء يؤذي جيرانها اي هي سليطة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام * لا خير فيها هي في النار * وقال عليه الصلاة والسلام * والذي نفس محمد بيده لا يؤدي حق الجار الا من رحمه الله وقليل ما هم اتدرون ما حق الجار ان افتقر اغنيته وان استقرض اقرضته وان اصابه خير هنأته وان اصابه شر عزيته وان مرض عدته وان مات شيعت جنازته * وقال عليه الصلاة والسلام * ما زال جبريل عليه الصلاة والسلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه * ﴿قوله تعالى بالجنب﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من الصاحب سواء جعلت الباء بمعنى في او على بابها والصاحب الملابس بجنبك هو الذي صحبك ادنى صحبة في امر حسن ولو كان بالقعود الى جنبك في المسجد او في مجلس العلم او غير ذلك يثبت بذلك حق الجوار فعليك ان تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وذلك الحق يتفاوت بتفاوت ما وقع من المصاحبة حتى يكون في حكم حق القرابة كما قالوا صحبة عشرين يوما قرابة ﴿قوله العبيد والاماء﴾ منهم من حمل كلمة ما ملكت ايمانكم على كل حيوان مملوك للانسان وقال الاحسان الى كل بما يليق به طاعة عظيمة ابقاء للفظ على اصل عمومه والمصنف رحمه الله حمله على العبيد والاماء لكونهما المتفهمين منه عرفا قال الامام الاحسان الى المماليك طاعة عظيمة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي عليه الصلاة والسلام قال * من ابتاع شيأ من الخدم فلم يوافق شيمته فليبعه وليشتر من يوافق شيمته فان للناس شيما ولا تعذبوا عباد الله * وروي عن ام سلمة انه كان آخر كلامه في مرض موته

[illegible]

ان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار نصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ﴾ عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ﴾ اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التحضيض ههنا والتعليل ثمة ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ وعيد لهم ﴿ ان الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه ﴿ وان تك حسنة ﴾ وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر ولاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة ﴿ يضاعفها ﴾ يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ﴿ ويؤت من لدنه ﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل ﴿ اجرا عظيما ﴾ ...

عليه الصلاة والسلام الصلاة وما ملكت ايمانكم وروي ان رجلا بالمدينة كان يضرب عبده فيقول العبد اعوذ بالله فنعم الرسول والسيد كان يزيد ضربا فطلع رسول الله فقال اعوذ برسول الله فتركه فقال عليه الصلاة والسلام الله عز وجل احق ان يجار عائذه فقال سيده يا رسول الله انه حر لوجه الله فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو لم تفعلها للفح وجهك سفع النار • واعلم ان الاحسان اليهم من وجوه احدها ان لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به وثانيها ان لا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة ليّنة حسنة وثالثها ان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه ﴿ قوله متكبرا ﴾ فان المختال اسم فاعل من اختال يختال اي تكبر واعجب بنفسه وانفه من ينا فواهم الخيلاء والمخيلة قال عليه الصلاة والسلام لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء والفخور صيغة مبالغة وهو الذي يعد مناقب نفسه ومحاسنه كبرا وتعاظما ﴿ قوله الغني والعز ﴾ لان البخل بما آتاهم الله كما يتناول البخل بالمال يتناول البخل بالعلم ايضا فيمكن ابقاؤه على عمومه لان الكل مذموم ومن نزلت الآية في حقهم موصوفون بالبخل بهما معا فانها نزلت في طائفة من اليهود الذين جمعوا بين الاختيال والتفاخر والبخل بالمال وكتمان ما انزل الله في كتابهم من صفة محمد عليه الصلاة والسلام فوجب ابقاء اللفظ على عمومه وقيل المراد منه البخل بالمال لكونه مذكورا في صدد رعاية الحقوق المالية فان الاحسان الى الوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين وغيرهم مما ذكر انما يكون بالمال فينبغي ان يكون الذم متعلقا بالمعرضين عن بذل الاحسان وهم الباخلون بالاموال وقوله سبحانه وتعالى من فضله يجوز ان يتعلق بآتاهم او بمحذوف على انه حال من كلمة ما او من العائد عليها وقوله رئاء الناس مصدر مضاف الى المفعول منصوب على انه مفعول له او على انه مصدر واقع موقع الحال اي مرائين ﴿ قوله عطف على الذين يبخلون ﴾ وقد مر انه اما في محل النصب على انه بدل من قوله من كان او بتقدير اعني واما في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف فيكون قوله والذين ينفقون تابعا له في هذه الوجوه ﴿ قوله او مبتدأ خبره محذوف ﴾ اي قرينهم الشيطان ﴿ قوله اي وما الذي عليهم ﴾ على ان تكون ما وحدها اسم استفهام انكاري ويكون ذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وقوله او اي تبعة على ان يكون ماذا اسما واحدا بمعنى اي شيء وما بعده خبره وعلى التقديرين الاستفهام بمعنى الانكار ﴿ قوله وانما قدم الايمان ﴾ اي على الانفاق مع انه اخر عن الانفاق في قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لان المقصود بذكر الايمان ههنا التحضيض عليه فينبغي ان يقدم واخر ذكره هناك لان عدم ايمانهم ذكر هناك تعليلا لعدم انفاقهم وحق التعليل ان يؤخر عن الحكم المعلل ﴿ قوله اصغر شيء ﴾ اذ المراد من الآية بيان انه سبحانه وتعالى لا يظلمهم لا قليلا ولا كثيرا وذكر الذرة لكونها اصغر ما تعارفه الناس ﴿ قوله والمثقال مفعال من الثقل ﴾ يقال هذا على مثقال ذاك اي على وزنه ومعنى مثقال ذرة ما يكون وزنه وزن الذرة وهو منصوب على انه صفة مصدر محذوف اي لا يظلم احدا ظلما وزن ذرة فحذف الموصوف والمصدر واقيم نعته مقامه ﴿ قوله وفي ذكره ايماء ﴾ جواب عما يتوهم من ان المقام يأبى عن ذكر المثقال فيه بناء على ان المقصود من تقدير الظلم المنفي بقدر الذرة ووزنها بيان انه سبحانه وتعالى لا يظلم اصلا والنفي رأسا كيف يليق ان يضاف اليه المثقال المأخوذ من الثقل • وتقرير الجواب انه انما ذكر ايماء الى ان الظلم وان صغر قدره عظيم جزاؤه وثقل وباله فان صغر قدر الظلم لا ينافي ثقله عقوبة ﴿ قوله وان يكن مثقال الذرة حسنة ﴾ يريد ان انتصاب حسنة على انها خبر كان الناقصة وان اسمها مستتر فيها عائد على مثقال واصل تك يكون اسكنت النون للجزم فاجتمع ساكنان الواو والنون فسقطت الواو فصار يكن ثم حذفوا النون تخفيفا لكثرة الاستعمال وتشبيها لها بالواو في غنتها وسكونها فكما تحذف الواو المتطرفة للجزم فكذا تحذف نون يكن تخفيفا تشبيها لها بها ﴿ قوله تعالى من لدنه ﴾ متعلق بيؤت ومن للابتداء مجازا وهو متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من اجرا فانه صفة نكرة في الاصل قدم عليها فانتصب حالا ولدن بمعنى عند ﴿ قوله فكيف حال هؤلاء الكفرة ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فكيف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وهو قوله حال هؤلاء واذا ظرف لمضمون هذه الجملة الاسمية كأنه قيل صعب عليهم الامر واشتد الحال اذا جئنا وذكر صاحب الكشاف في تقرير الآية فكيف يصنع هؤلاء الكفرة فيكون كيف في محل النصب بالفعل المحذوف اما على تشبيهه بالحال كما ذهب اليه

سيبويه او على تشبيهه بالظرف كما هو مذهب الاخفش وذلك الفعل هو العامل في الظرف ﴿قوله تعالى وجئنا بك﴾ اى احضرناك الظاهر ان هذه الجملة في محل الجر عطفا على جئنا الاولى اى كيف يصنعون في وقت المجيئين وقوله تعالى على هؤلاء متعلق بشهيدا وشهيدا حال من الكاف في بك واختار المصنف رحمه الله ان يكون هؤلاء اشارة الى الانبياء الذين يشهد كل واحد منهم على امته حيث قال تشهد على صدق هؤلاء الشهداء فيكون على بمعنى اللام وجاء التفسير بها رعاية لصورة النظم ويجوز ان يكون بمعناها ومطلق الشهادة يتعدى بعلى فيقال اشهد به على كذا فشهد عليه اى صار شاهدا عليه ﴿قوله اى يود الذين جمعوا﴾ على ان يكون قوله وعصوا الرسول جملة معطوفة على كفروا داخلة في صلة الموصول المذكور فيجب ان يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر لان العطف يقتضى المغايرة فعلى هذا تكون الآية دالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الاسلام وانهم كما يعاقبون يوم القيامة على الكفر يعاقبون ايضا على تلك المعاصي لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا العصيان في هذا الموضع وجه ﴿قوله او الكفرة والعصاة﴾ على ان يكون وعصوا الرسول صلة لموصول آخر فيكون اهل التمنى فريقين وقيل الواو حالية والجملة في محل النصب على الحال من فاعل كفروا باضمار قد اى كفروا وقد عصوا ﴿قوله ان يدفنوا﴾ اشارة الى ان لو مصدرية فهى مع ما في حيزها في محل النصب على انه مفعول يود وليست بشرطية حتى تستدعى جوابا ذكر في شرح الرضى ان كلمة لو في قوله تعالى يودوا لو انهم بادون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وقيل مفعول يود محذوف مدلول عليه بقوله تعالى لو تسوى بهم الارض اى يود الذين كفروا تسوية الارض بهم وان لو شرطية وجوابها محذوف اى لسروا بذلك وفي تقرير المصنف اشارة الى ان تسوية الارض بهم كناية عن دفنهم والباء للملابسة اى ان تسوى الارض ملابسة بهم وقيل للسببية اى بسبب دفنهم وقيل انها بمعنى على كما في قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار اى على دينار ﴿قوله وقيل الواو للحال﴾ عطف على المفهوم مما سبق حيث فهم منه ان الواو لعطف جملة ولا يكتمون على جملة قوله يود الذين وقصد بالعطف التفصيل عليهم بشدة الامر في ذلك اليوم حيث لم يقدروا على التكتم بشهادة الجوارح ﴿قوله اذ روى﴾ علة الكون التمنى في تلك الحال فانهم لما جحدوا حديث شركهم ادى ذلك الى ان ختم على افواههم وتكلمت جوارحهم بتكذيبهم فافتضحوا بذلك فتمنوا ان تسوى بهم الارض ولم يكذبوا ﴿قوله لا تقوموا اليها﴾ اشارة الى ان قرب الصلاة مجاز عن قصد هذا التوجه اليها لتعذر ارادة حقيقة القرب لان القرب الحقيقى بين الشيئين عبارة عن مجاورة احدهما للآخر وقلة المسافة بينهما وذلك انما يتصور اذا كان كل واحد منهما متحيزا بالذات ولا يتصور فيما بين المكلف وبين نحو الصلاة والزنى والفواحش ونحوها فلا بد من حمله على المعنى المجازى ﴿قوله من نحو نوم او خمر﴾ ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم الى ان المراد من لفظ سكارى في الآية السكر من الخمر وهو نقيض الصحو وقال الضحاك ليس المراد منه سكر الخمر انما المراد منه سكر النوم فان لفظ السكر استعمل في سكر النوم ايضا بناء على ان السكر بالضم ما يحصل من سكر الماء وهو سده يقال سكر يسكر سكرا مثل بطر يبطر بطرا والاسم السكر بالضم والسكر بالفتح مصدر سكرت النهر اسكره سكرا اذا سددته والسكر بالكسر العرم فلما كان السكر في اصل اللغة عبارة عن سد الطريق سمى السكر من الشراب سكرا لما فيه من انسداد طريق المعرفة بغلبة السرور والانسداد مجارى الروح المنبسط الى الحواس الظاهرة بغلبة بخار الشراب عليها وهذا الانسداد موجود في السكر من النوم ايضا فان مجارى الروح الحيوانى تمتلئ عند النوم من الابخرة الغليظة فتنسد تلك المجارى بها فلا ينفذ الروح الباصر والسامع الى ظاهر البدن فلما كان كل واحد من سكر الشراب وسكر النوم من محتملات لفظ السكر ولم يقم دليل يخصصه باحدهما ابقاه المصنف على عمومه ولم يخصصه باحدهما بل عم السكر بكل ما يشغل القلب عن العزم بما يقول في صلاته ولذا جاء به حيث قال من نحو نوم او خمر ﴿قوله صنع مأدبة﴾ وهى اسم لطعام الذى يدعى اليه اكراما يقال ادب القوم يادبهم بالكسر ادبا اذا دعاهم الى الطعام والآدب الداعى اليه ﴿قوله حتى ثملوا﴾ اى سكروا يقال ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا اخذه الشراب فهو ثمل اى نشوان ﴿قوله وقيل اراد بالصلاة مواضعها﴾ عطف على المفهوم من قوله لا تقوموا اليها لانه يفهم منه ان المراد بالصلاة في هذه الآية نفس الصلاة لا مواضعها وان المعنى لا تصلوا اذا كنتم سكارى ثم ان طريق ارادة المسجد من الصلاة ان يحمل الكلام على حذف المضاف اى لا تقربوا موضع الصلاة والحذف اعتمادا على دلالة القرينة على المحذوف شائع

(اذا جئنا من كل امة بشهيد) يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء شهيدا) تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض) بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التاء في السين وحمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد

والقرينة ههنا قوله ولا تقربوا الصلاة فان قرب نفس الصلاة حقيقة لا يتصور فلابد من حمله على المعنى المجازى بخلاف قرب المسجد حقيقة فانه يصح ويتصور والحقيقة اولى من المجاز واما جعل الصلاة من باب اطلاق اسم الحال على المحل * قال الامام بعد ذكر ان المراد بالصلاة اما المسجد او نفس الصلاة واعلم ان الفائدة فى هذا الخلاف تظهر فى حكم شرعى وهو انه على التقدير الاول يكون المعنى لا تقربوا المسجد وانتم سكارى ولا جنبا الا عابرى سبيل وعلى هذا الوجه يكون الاستثناء بالاستثناء بالاتصال على انه لا يجوز للجنب العبور فى المسجد مطلقا كما ذهب اليه الامام الشافعى واما على القول الثانى فيكون المعنى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ولا جنبا الا عابرى سبيل وعلى هذا الوجه يكون المعنى ولا تقربوها حال كونكم جنبا الا مسافرين عاجزين عن الماء فلكم حينئذ ان تصلوا بالتيمم فيكون هذا الاستثناء دليلا على انه يجوز للجنب الاقدام على الصلاة عند العجز عن الماء ﴿ قوله وليس المراد منه نهى السكران ﴾ جواب عن استدلال بعضهم بهذه الآية على جواز التكليف بما لا يطاق حيث قال انه تعالى قال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى وهذه جملة حالية من فاعل لا تقربوا فكانه تعالى قال للسكران لا تصل وانت سكران وهذا تكليف للسكران الذى لا يعلم ما يقول وهو فى حكم المجنون وقد كلف ونهى مع انه لا طاقة له على فهم الخطاب والجواب منع انه خطاب للسكران بل هو خطاب للذين آمنوا ونهى لهم عن الشراب المؤدى الى السكر المخل بالفهم حال وجوب الصلاة عليهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون فهو ليس نهيا عن الموت وانما هو امر بالمداومة على الاسلام حتى يأتيهم الموت وهم فى تلك الحال وكلمة حتى فى قوله حتى تعلموا جارة بمعنى الى متعلقة بفعل النهى والفعل بعدها منصوب باضمار ان ﴿ قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث ﴾ جواب عما يقال كيف يصح عطفه على الحال قبله وعطف المفرد على الجملة لكونها فى تأويل المفرد مع ان ذا الحال ضمير الجمع فى قوله لا تقربوا واعيدت كلمة لا فى قوله ولا جنبا تنبيها على ان الصلاة منهى عنها فى كل واحد من الحالين المذكورين على انفراده وان النهى عنها مع ملابسة الحالين آكد واولى ثم ان النهى ليس عن ملابسة نفس الصلاة فانها عبادة فلا ينهى عنها بل هو نهى عن اكتساب السكر الذى يعجز به المكلف عن اداء الصلاة على الوجه الصحيح وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام * لا صلاة لعبد الآبق ولا لمرأة الناشزة * ليس فيه النهى عن نفس الصلاة بل النهى فيه انما هو عن الاباق والنشوز وذلك لان الاباق والنشوز والسكر ليست بالتى تعمل فى اسقاط الفرض والجنب مشتق من الجنابة وهى البعد وسمى الرجل الذى يجب عليه الغسل جنبا لبعده عن الصلاة والمساجد وتلاوة القرآن ﴿ قوله استثناء من اعم الاحوال ﴾ فهو استثناء مفرغ والمستثنى منصوب على الحالية ثم ان حمل لفظ الصلاة على نفس الصلاة يكون المراد بعابر السبيل المسافر والمعنى لا تقربوا الصلاة فى حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهى حال السفر فحينئذ يجوز لكم ان تصلوا جنبا بشرط ان لا تجدوا الماء وتتيمموا وهذا الشرط يفهم من ذكر التيمم لمن لا يجد الماء ﴿ قوله او صفة لقوله جنبا ﴾ والا بمعنى غير وظهر الاعراب فيما بعدها كأنه قيل لا تقربوها جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين وهذا معنى واضح على تفسير العبور بالسفر لا بالعبور فى المسجد ﴿ قوله وفيه دليل ﴾ اى على تقدير ان يكون الاستثناء مفرغا وان يكون المعنى لا تقربوا الصلاة فى حال الجنابة مطلقا الا فى حال السفر فانه يجوز لكم ان تصلوا جنبا فى حال السفر بالتيمم فهذا المعنى يدل على ان التيمم طهارة ضرورية لا ترفع الحدث السابق وليس طهارة مطلقة كما ذهب اليه الحنفية رضى الله عنهم ولما كان محصول الآية جواز قربان الصلاة للجنب فى حال كونه مسافرا متيمما دل ذلك على ان التيمم لا يرفع الحدث والله اعلم ﴿ قوله الا اذا كان فيه الماء او الطريق ﴾ فان طريق الماء اذا كان فى المسجد ولا يمر الى الماء سوى ذلك الطريق يجوز للجنب المرور فى المسجد كما انه ذلك اذا كان الماء فى المسجد ولا يمر الى الماء سوى ذلك المسجد وعند الشافعى يجوز له عبور المسجد على الاطلاق قيل ان نفرا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة فيريدون الماء ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى انه عليه الصلاة والسلام لم يأذن لاحد ان يجلس فى المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلى رضى الله عنه لان بيته كان فى المسجد وقال عليه الصلاة والسلام * وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لا احل المسجد لحائض ولا جنب * وقوله تعالى او على سفر فى محل النصب عطفا على خبر كان وهو قوله مرضى وكذلك قوله او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء وفيه دليل على جواز ان يكون خبر كان فعلا ماضيا من غير قد وادعاء حذفها تكلف لا حاجة اليه والمسافر اذا عدم الماء فانه يصلى بالتيمم ولا اعادة عليه لقوله عليه الصلاة والسلام * ان الصعيد الطيب وضوء المسلم

وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط فى الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر (الا عابرى سبيل) متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولا تقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق

ما لم يجد الماء فاذا وجد الماء فليمس بشرته » ﴿ قوله وفى الآية تنبيه ﴾ وذلك لانه سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن قربان الصلاة حال السكر و الصلاة لكونها عبادة لا ينهى عنها بل المنهى عنه فى الحقيقة هو السكر المانع عن العلم بما يقوله المصلى فى مناجاة ربه وذلك كما يكون من النوم و الخمر يكون من غيرهما ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله من نحو نوم او خمر فان نوم الغفلة يماثل النوم المتعارف وكذا خمور الهوى و محبة الدنيا تماثل الخمر المشهور فى ان كل واحد منهما يشغل القلب عن فهم ما يقوله المصلى فى صلاته و عن حضور قلبه مع كل ما يفعله من هيئات التذلل والخضوع ونهاهم ايضا عن قربانها فى حال كونهم جنبا و بعداء عن الحق بشدة ميل النفس الى مباشرة لذاتها وشهواتها وحظوظها الاعابرى سبيل اى مارين طريقا من طرق تمتعها بقدر الضرورة و المصلحة كعبور طريق الاغتذاء بالمطعم و المشرب لسد الرمق و حفظ القوة او طريق الاكتساب لدفع الحر و البرد و ستر العورة او طريق المباشرة لحفظ النسل لا منجذبين اليها بالكلية لتجرد الهوى فيتشبع فيكم هيئات يعسر زوالها او يتعذر وكل ما نهى عنه فينبغى للمصلى ان يحترز عنه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه كما قال سبحانه وتعالى حتى تغتسلوا اى حتى تطهروا من تلك الهيئة الحاصلة من الانجذاب الى الامور الطبيعية و الهيئات الدنية بماء التوبة و الاستغفار ﴿ قوله مرضا يخاف معه من استعمال الماء ﴾ اى يخاف التلف او زيادة المرض و قوله فاحدث يريد ان المجئ من الغائط كناية عن الحدث لان نفس المجئ من المطمئن من الارض لا يوجب الطهارة و سمى الحدث غائطا تسمية للشئ باسم مكانه لانهم كانوا قبل اتخاذ الكنف فى البيوت يأتون الغائط اى المطمئن من الارض احتجابا من اعين الناس ﴿ قوله او ماسستم بشرتهن بشرتكم ﴾ اختار ان المراد بالملامسة ههنا التقاء البشرتين سواء كان جماعا او غيره فتجب الطهارة على من افضى بشئ من بدنه الى عضو من اعضاء المرأة وضعف قول من قال انها كناية عن الجماع لان الاصل يكون حقيقة على الاول مجازا على الثانى وحمل الآية على الحقيقة اولى و الفاء فى قوله فلم تجدوا ماء عطفت ما بعدها على الشرط و قوله فتيمموا جواب الشرط و ضمير تيمموا لكل من تقدم من مريض و مسافر و متغوط و ملامس وفيه تغليب الخطاب على الغيبة لان قوله كنتم او لامستم خطاب و قوله او جاء احد غيبة غلب الخطاب فى كنتم و ما بعده على الغيبة فى قوله او جاء احد و ما احسن الاتيان هنا بالغيبة لانه كناية عما يستحيى منه فلم يخاطبهم به و هذا من محاسن الكلام ﴿ قوله ووجه هذا التقسيم ﴾ يعنى ان ظاهر النظم يدل على ان يكون المرض و السفر من الاسباب الموجبة للطهارة كالحدث الواقع بخروج ما خرج من احد السبيلين و بملامسة النساء وليس كذلك بل المرض و السفر من الاسباب المرخصة لا من الاسباب الموجبة للطهارة الا ان ما يوجب الطهارة لما كان منحصرا فى الحدث الاصغر و الجنابة وكان اغلب الاحوال المقتضية لترخص من اتصف بهما بالتيمم منحصرا فى المرض و السفر كان الظاهر ان يقال وان كنتم جنبا مرضى او مسافرين او كنتم محدثين مرضى او مسافرين الا ان الجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله المقتضية لترخصه بالتيمم و المحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات و ما يحدث بالعرض اى ما لا يكون سببا للحدث لذاته بل لكونه مظنة لخروج المذى الذى هو سبب للحدث بالذات وقوله وبيان العذر مجملا عطف على قوله بتفصيل حال الجنب فان عدم وجدان الماء بمعنى عدم التمكن من استعماله عذر يرخص التيمم و عدم التمكن من استعمال الماء مجمل حيث لم يبين ان سببه هو المرض او السفر و استغنى ببيان هذا المجمل من التفصيل ﴿ قوله فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ﴾ يعنى ان التيمم بمعنى القصد و التعمد وان الصعيد هو وجه الارض ترابا او غيره سمى صعيدا لكونه صاعدا ظاهرا وان الطيب بمعنى الطاهر سواء كان منبتا اولا حتى لو فرضنا صخرا لا تراب عليه فضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا لظاهر الآية هذا عند ابى حنيفة وقال الامام الشافعى لابد من تراب يلتصق بيده لان هذه الآية ههنا مطلقة الا ان آية سورة المائدة مقيدة وهى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض ومسح بعض الصعيد لا يتأتى فى الصخر الذى لا تراب عليه فان قلت كلمة من لابتداء الغاية اجيب بان احدا من العرب لا يفهم من قول القائل مسحت برأسه من الدهن او من الماء او من التراب الا معنى التبعيض و الاذعان للحق احق من المراء ولما ذكره الواحدى من انه سبحانه وتعالى اوجب فى هذه الآية كون الصعيد طيبا و الارض الطيبة هى التى تنبت بدليل قوله تعالى و البلد الطيب يخرج نباته الآية فوجب فى التى لا تنبت ان لا تكون طيبة وان لا يجوز التيمم بها بل لا يجوز الا بالتراب فقط ﴿ قوله فلذلك يسر الامر عليكم ﴾ وجه دلالة الآية على هذا المعنى ان من كان عادته ان يعفو عن المذنبين فبان

(حتى تغتسلوا) غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يحترز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه (وان كنتم مرضى) مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه (او على سفر) لا تجدونه فيه (او جاء احد منكم من الغائط) فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض (او لامستم النساء) او ماسستم بشرتهن بشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة (فلم تجدوا ماء) فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا وكأنه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء (فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم) اى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لابد ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق (ان الله كان عفوا غفورا) فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم

ويخص للعاجزين كان اولى ثم انه سبحانه وتعالى لما ذكر انواع التكاليف من اول السورة الى هنا ذكر اقاصيص المتقدمين لان الانتقال من نوع من العلوم الى نوع آخر مما ينشط الخاطر ويقوى القريحة فقال ألم تر الى الذين اى ألم تنظر اليهم اوالم ينته علمك اليهم والعلم اليقيني لما شابه الرؤية والمشاهدة عيانا جاز ان تجعل الرؤية استعارة عن مثل هذا العلم ولفظ ألم تر كلمة تعجيب من امر بلغ المخاطب فتخرج مخرج التذكير او لم يبلغه فتخرج مخرج التعليم وتنكير نصيبا للتقليل والظاهر ان قوله تعالى من الكتاب فى محل النصب على انه صفة نصيبا فيتعلق بمحذوف وان قوله يشترون الضلالة حال من واو اوتوا والمشترى به محذوف اى بالهدى كما صرح به فى مواضع ﴿قوله يختارونها على الهدى او يستبدلونها به﴾ لما كان الاشتراء حقيقة فى بذل الثمن لتحصيل مايطلب من الاعيان وكان كل واحد من العوضين من قبيل الاعيان الا ان المتروك المبذول عين لايطلب لعينه والمأخوذ عين مطلوب لعينه تعذر ان يراد بالاشتراء ههنا معناه الحقيقى فلابد ان يحمل على معنى مجازى وقد شاع استعمال لفظ الاشتراء فى الاعراض عما فى يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى اومن الاعيان كما قيل فى حق جبلة ابن الايهم كما اشترى المسلم اذ تنصرا * فانه كان رجلا نصرانيا فاسلم ثم ارتد الى النصرانية ولحق بالشام مرتدا فقيل له انه اشترى النصرانية بالاسلام الذى حصله ثم اعرض عنه واستبدل النصرانية به وشاع ايضا ان يتسع فى الاشتراء بهذا المعنى المجازى ويستعمل فى الرغبة عن الشئ طمعا فى غيره وان لم يكن الشئ المرغوب عنه حاصلا فى يده والاشتراء بهذا المعنى مجاز فى الدرجة الثانية على طريق استعمال المقيد فى المطلق وقول المصنف يختارونها على الهدى اشارة الى ان الاشتراء مجاز فى الدرجة الثانية وقوله او يستبدلونها به اشارة الى انه مستعار لمايشبه معناه الاصلى فانهم لما تمكنوا من الهدى والاذعان لنبوته عليه الصلاة والسلام كان ذلك كأنه فى ايديهم وكانوا كأنهم على هدى فاذا تركوه الى الضلالة فقد استبدلوها به ويحتمل ان يحصل لهم الهدى ثم يعرضون عنه محصلين للضلالة بدله بان يكونوا ممن قال تعالى فى حقهم فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ﴿قوله تعالى ويريدون﴾ بياء الغيبة عطف على يشترون لبيان انهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولا حالة اسوأ وأقبح منه ولما بين الله تعالى شدة عداوتهم للمسلمين بين انه ولى المسلمين وناصرهم ومن كان الله له وليا وناصرا لم يضره عداوة الخلق * فان قيل ولاية الله تعالى لعبده عبارة عن نصرته له فذكر النصير بعد ذكر الولى تكرار * فالجواب ان الولى هو المتصرف فى شئ والمتصرف فى الشئ لايجب ان يكون ناصرا له فلا تكرار ﴿قوله فانه يحتملهم وغيرهم﴾ يعنى ان الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعم اليهود والنصارى فبين بقوله من الذين هادوا ان المراد بهم ههنا اليهود والجمل الثلاث المتعاطفة وهى قوله والله اعلم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض ﴿قوله او بيان لاعدائكم﴾ فيكون مابينهما ايضا اعتراضا ﴿قوله او صلة لنصيرا﴾ اى متعلق به فان هذه المادة تتعدى بمن قال تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا فمن ينصرنا من بأس الله او بان يحمل من بمعنى على او يضمن النصر معنى المنع اى منعناه من القوم الذين كذبوا وكفى بالله مانعا ينصره من الذين هادوا او يضمن معنى الحفظ ﴿قوله او خبر محذوف﴾ اى ويجوز ان يكون الذين هادوا خبر مبتدأ محذوف وقوله يحرفون جملة فى محل الرفع على انها صفة لذلك المبتدأ المحذوف وحذف الموصوف بعد من التبعيضية جائز وان كانت الصفة فعلا كقولهم منا ظعن ومنا اقام اى منا فريق ظعن ومثله قوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

اى فمنهما تارة اموت فيها وان كان من الذين هادوا بيانا او صلة نصيرا يكون قوله يحرفون الكلم استئنافا لبيان اشترائهم الضلالة كأنه قيل كيف يشترون الضلالة فاجيب بان قيل يحرفون الكلم ويكون مابعده عطفا عليه ﴿قوله بازالته عنها واثبات غيره فيها﴾ فانه كان فى التوراة من صفته عليه الصلاة والسلام اسمر ربعة فغيروه الى آدم طوال وآدم بمعنى اسمر والطوال بالضم مفرد بمعنى الطويل وبالكسر جمع طويل وكذا حرفوا الرجم ووضعوا الجلد بدله وقيل المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى المعنى الباطل بوجه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدع فى زماننا بالآيات المخالفة لمذهبهم وذكر الضمير فى مواضعه حملا على الكلم لانه جنس وقال الواحدى هذا جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره وقال غيره يمكن ان يقال كون هذا الجمع مؤنثا ليس امرا حقيقيا بل هو امر لفظى فكان التذكير والتأنيث فيه جائزا ﴿قوله اى مدعوا عليك بلاسمعت﴾ اى انهم عبروا عنه بقولهم غير مسمع بناء على

(ألم تر الى الذين اوتوا) من رؤية البصر اى ألم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء (نصيبا من الكتاب) حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود (يشترون الضلالة) يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة (ويريدون ان تضلوا) ايها المؤمنون (السبيل) سبيل الحق (والله اعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم (وكفى بالله وليا) يلى امركم (وكفى بالله نصيرا) يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته (يحرفون الكلم عن مواضعه) اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) امرك (واسمع غير مسمع) اى مدعوا عليك بلا سمعت الصم او موت

ان يكون غير مسمع حالا من المخاطب وان يكون المراد بغير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت انهم تصوروا دعاءهم وهو قولهم لا سمعت دعوة مستجابة فزعموا انهم لما قالوا بطريق الدعاء لا سمعت كأنه صار فى الحال غير مسمع فلذلك قالوا غير مسمع بدل ان يقال مدعوا عليك بلا سمعت قال صاحب الكشاف قولهم اسمع غير مسمع قول ذو وجهين يحتمل المدح والذم اما احتمال الذم فى وجوه احدها ان المراد اسمع مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيب دعوتهم عليه لم يسمع فكأنه اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة وثانيها ان المراد اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيأ وثالثها ان المراد اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا الوجه الاخير ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لاتعيه وتنبو عنه فيكون غير مسمع على الوجه الاول جاريا مجرى اللازم وعلى الوجه الثانى والثالث قدرله مفعوله وهو جوابا او كلاما وعلى جميع الوجوه يكون غير مسمع حالا من المنوى فى اسمع الا انه على الوجه الاخير يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول به لقوله اسمع ثم قال ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه والمصنف ذكر هذه الوجوه على الترتيب المذكور فى الكشاف وقوله تعالى ليا وطعنا مفعول له اى يقولون ذلك فتلا بألسنتهم اى مايشبه السب فان قولهم راعنا وان كان امرا من المراعاة التى هى حفظ الغير لمصلحته الا انه يشبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعنا ويجوز ان يكونا مصدرين فى موضع الحال اى يقولون ذلك لاوين وطاعنين والذى يفتلونه بألسنتهم اما الكلام الحق فيفتلونه بها الى الباطل واما مايضمرونه من السب والشتيمة فيفتلونه بها الى مايظهرونه من الدعاء والتوقير نفاقا ﴿قوله ولو ثبت قولهم هذا﴾ اشارة الى ان كلمة ان الواقعة بعد لو مع مافى حيزها فى تأويل المفرد لكونها فاعلا لفعل محذوف تقول لو انك قائم فى تأويل لو وقع قيامك ولذلك يجب فتح ان الواقعة بعدها والى ان اسم كان فى قوله لكان خيرا لهم يرجع الى قوله انهم قالوا لكونه فى تأويل المصدر ﴿قوله الا ايمانا قليلا﴾ يريد ان قليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف فانهم لما آمنوا بالتوحيد وببعض الآيات والرسل وكفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وشريعته كان ايمانهم قليلا لايعتد به ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما فى قوله * قليل التشكى للمهم يصيبه * اى عديم التشكى فاستعمل القليل واريد به العدم فكذا معنى الآية الا ايمانا معدوما فهو استثناء الايمان المعدوم على تقدير الحال وهو ان الايمان المعدوم ايمان وذلك ابلغ فى نفى الايمان منهم والاستثناء على هذا الوجه وعلى الوجه الاول مفرغ من المصدر المحذوف وعلى الوجه الاخير الذى اشار اليه بقوله او الا قليلا منهم فالاستثناء متصل من فاعل يؤمنون فالقلة على هذا صفة لمن آمن منهم لا للايمان ﴿قوله من قبل ان نطمس﴾ فان الطمس المحو يقال طمسته فطمس اى درس يتعدى ولا يتعدى يقال طمس الطريق يطمس وطمسته انا ومحو تخطيطها ونقشها عبارة عن محو مافيها من عين وسمع وشم وفم وانف وحاجب وجعلها كخف البعير او حافر الفرس فان الوجه انما تميز عن سائر الاعضاء بماقيه من المحاسن فاذا ازيلت عنه تلك المحاسن كان ذلك طمسا للوجه فان الوجه اذا جعل على هيئة القفا كان ذلك تشويها قبيحا للخلقة الحسنة ومثلة وفضيحة عظيمة توجب الغم والحسرة الشديدة هذا على تقدير ان يراد برد الوجوه على ادبارها جعلها على هيئة القفا فى كونه عديم المحاسن والحواس ويحتمل ان يراد به رد الوجوه الى ناحية القفا ورد القفا الى ناحية القدام وصاحب الكشاف جعل الفاء فى قوله فنردها على الاحتمال الاول للسببية وعلى الاحتمال الثانى للتعقيب ومعنى السببية على الاول انما يظهر على تقدير ان يراد بالطمس ارادة الطمس لان طمس الوجوه وردها على هيئة الادبار واحد بحسب الوجود وان اختلفا مفهوما فلا سبيل الى السببية الا على ذلك التقدير لان السببية انما هى فيما بين الموجودين لا المفهومين فحينئذ يكون كقوله اهلكناها فجاءها بأسنا كذا قيل والظاهر ان الفاء على الاول للتعقيب فان التعقيب يكون على وجهين الاول ان يكون مضمون مابعد الفاء عقيب مضمون الجملة التى قبلها فى الزمان نحو قام زيد فقعد عمرو والثانى ان يكون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر كما فى قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ او مدحه يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال كقولك اجبته فقلت لبيك قال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا فان تبييت البأس تفصيل للاهلاك المجمل وكذا الحال فيما نحن فيه فان رد الوجوه على

او اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا (وراعنا) انظرنا نكلمك او نفهم كلامك (ليا بألسنتهم) فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او فتلا بها وضما مايظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا (وطعنا فى الدين) استهزاء به وسخرية (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا) ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوه (لكان خيرا لهم واقوم) لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعها موقعه (ولكن لعنهم الله بكفرهم) ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) اى الا ايمانا قليلا لايعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله

* قليل التشكى للمهم يصيبه *

او الا قليلا منهم آمنوا او سيؤمنون (يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها) من قبل ان نمحو منهم تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى الآخرة

بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة (او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت) او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت اي مسخناهم مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة (وكان امر الله) بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه (مفعولا) نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) لانه بتّ الحكم على خلود عذابه او لان الذنب لا يتخفى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره (ويغفر ما دون ذلك) اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا (لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار (ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق (الم تر الى الذين يزكون انفسهم) يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها (بل الله يزكي من يشاء) تنبيه على ان تزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا (ولا يظلمون) بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق (فتيلا) ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل

هيئة الادبار تفصيل للطمس المجمل والفرق بين الاحتمالين انما هو بان العذاب على الاحتمال الاول واحد بالذات وعلى الثاني متعدد وقع احدهما عقيب الآخر بلا مهلة ولا تراخ بان طمست وجوههم اولا وردّت على ادبارها بعده ﴿قوله وذلك قبل معناه من قبل ان نغير وجوها الخ﴾ اشارة الى ما قيل من ان هذا الوعيد قد لحق اليهود ومضى واول ذلك باجلاء بني النضير وقريظة الى الشام فرد الله وجوههم على ادبارهم حتى عادوا الى اذرعات واريحا من ارض الشام كما جاؤا منها قديما وطمس الوجوه على هذا التأويل يحتمل معنيين احدهما تقبيح صورهم يقال طمس الله وجهه اي قبحه والثاني ازالة آثارهم من بلاد العرب ومحو احوالهم عنها باجلائهم الى اذرعات الشام فطمس الوجوه وتغييرها سواء كان ذلك التغيير بتقبيحها او بردها الى حيث جاءت منه مستعمل في معنى مجازي ﴿قوله ويقرب منه قول من قال﴾ لاشتراكهما في ان المراد بالطمس القلب والتغيير والفرق ان الوجوه على هذا القول بمعنى رؤسائهم ووجهائهم والمعنى من قبل ان نغير احوالهم ووجاهتهم بان نعمي ابصارهم عن الاعتبار الخ ﴿قوله او نخزيهم بالمسخ﴾ على ان لا يكون المراد باللعن المتعارف بل يراد به المسخ كما نقل ذلك عن مقاتل وغيره حيث قالوا المراد باللعن مسخهم قردة وخنازير وقال اكثر المحققين الاظهر حمل الآية على اللعن المتعارف الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فجمع الله بين اللعن وبين مسخهم قردة وخنازير ﴿قوله والضمير﴾ اي الضمير في قوله نلعنهم يرجع الى الوجوه ان اريد بها الوجهاء او الرؤساء او الى اصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم والتنوين بدل من الاضافة او الى المنادى وهم الذين اوتوا الكتاب على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة فان الاول خطاب مشافهة والثاني في صورة المغايبة ﴿قوله وعطفه على الطمس﴾ يعني وحق تخويفهم بطمس صورة الوجه يدل على ان اللعن ههنا ليس بمعنى مسخ الصورة والا لم يبق للعطف وجه ﴿قوله ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة قال﴾ اي قال لا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة فهو بعد مترقب فيهم او انه مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم طائفة كعبد الله بن سلام واصحابه رضي الله تعالى عنهم ففات المشروط لفوات الشرط روي انه لما سمع الآية اتى رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتي اهله واسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي ﴿قوله تعالى وكان امر الله﴾ اي ما امر به فان المصدر قد يطلق على المفعول به كما يقال هذا الدرهم ضرب الامير اي مضروبه فلو امر احدا من المدبرات بايقاع شيء كانزال العذاب على احد نزل ذلك العذاب لا محالة فانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿قوله وعلقه المعتزلة بالفعلين﴾ وانما احتاجوا الى ذلك لان كل واحد من الشرك والكبائر يجب ان يغفر بعد التوبة ويجب ان لا يغفر بدون التوبة فلا فرق بينهما بان يغفر احدهما دون الآخر عندهم فاشكل عليهم الفرق بينهما بان قيل في احدهما لا يغفر وفي الآخر يغفر وهذا الاشكال لا يتجه عند اهل السنة فان المعتزلة شرطوا التوبة في غفران الكبائر بخلاف اهل السنة فانهم لم يشترطوا ذلك فصح ان يفرق بينهما بان يقال انه تعالى لا يغفر الشرك بغير توبة ويغفر ما دونه بغير توبة لمن يشاء وتقرير تأويلهم ان قوله تعالى لمن يشاء متعلق بالجملتين فاذا علق بقوله لا يغفر ان يشرك به يكون معناه لمن يشاء ان لا يغفر له لان مفعول المشيئة محذوف لدلالة الكلام السابق عليه ومن يشاء الله ان لا يغفر له هو غير التائب لان من تاب يجب ان يغفر له وقد افادت مشيئته عدم غفرانه انه ما تاب واذا علق بقوله يغفر ما دون ذلك كان معناه لمن يشاء ان يغفر له ومن يشاء ان يغفر له هو التائب فانه ان لم يتب لم يغفر له بناء على ما ذهبوا اليه من ان وعيد اهل الكبائر غير منقطع * روي ان الآية نزلت في وحشي بن حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة رضي الله عنه كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على الذي صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الآية وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرأوا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته تعالى فنزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي عليه الصلاة والسلام فقبل منهم ثم قال

لو حيي اخبرني كيف قلت جوزه قال اخبرهنا و بعث غيب و جهل ببني فلحق بالشام وكان بها الى ان مات ﴿قوله نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام الخ﴾ اعلم انه تعالى حكى عن اليهود نوعا آخر من المكر وهو انهم يفضلون عبادة الاوثان على المؤمنين و لاشك انهم كانوا عالمين بان ذلك باطل وكان اقدامهم على هذا القول محض العناد والتعصب روى ان حيي بن اخطب و كعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة الرسول عليه الصلاة و السلام وكان ذلك بعد واقعة احد وقد جرى قبل ذلك بين اليهود و بينه عليه الصلاة و السلام عهد على انهم ان لم يكونوا فى نصرته عليه الصلاة و السلام و تقوية دينه لايكونوا عليه منضمين الى اعدآئه ومن يحاربه معه و نقضوا العهد بفعلهم هذا فنزل كعب على ابى سفيان فاحسن مثواه ونزل اليهود دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب مثل محمد فانتم اقرب اليه منكم الينا فلا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لآلهتنا وآمنوا بها حتى تطمئن قلوبنا اليكم ففعلوا فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت و الطاغوت وهما الصنمان ثم قال كعب لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب و تعلم ونحن اميون لانعلم فاينا اهدى طريقا انحن ام محمد فقال كعب اعرضوا على دينكم و دينه فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى و نصل الرحم و نعمر بيت ربنا و نطوف به و نحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم و فارق الحرم و ديننا القديم و دين محمد الحديث فقال كعب انتم و الله اهدى سبيلا فنزلت هذه الآية و قوله تعالى يؤمنون حال من الذين او من واو اوتوا و بالجبت متعلق به و يقولون عطف عليه و للذين متعلق بيقولون و يجوز ان يكون قوله يؤمنون مستأنفا كأنه قيل الاتعجب من حال الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فقيل و ما حالهم فقيل يؤمنون و يقولون وكان ينبغى لمن اوتى نصيبا من الكتاب ان لايفعل شيأ من ذلك ﴿قوله ام منقطعة﴾ كأنه لما تم الكلام الاول قال بل ألهم نصيب من الملك كان اليهود يقولون نحن اولى بالملك و النبوة فكيف نتبع العرب و يزعمون ان الملك يعود اليهم فى آخر الزمان و يخرج فيه من يجدد ملكهم و دولتهم و يدعو الناس الى دينهم فكذبهم الله تعالى فى هذه الآية ثم ان الملك على ثلاثة اقسام ملك على الظواهر فقط وهذا هو ملك الملوك و ملك على البواطن فقط و هو ملك العلماء و ملك على الظواهر و البواطن و هو ملك الانبياء عليهم الصلاة و السلام و لانصيب لليهود فى شئ من هذه الاقسام فانه سبحانه و تعالى وصف اليهود فى الآية المتقدمة بالجهل الشديد و هو اعتقادهم ان عبدة الاوثان افضل من عباد الله سبحانه و تعالى و وصفهم فى هذه الآية بالبخل و الحسد و هما يشتركان فى ان صاحبهما يريد منع النعمة عن الغير فالبخيل يمنع نعمة نفسه عن الغير و الحاسد يريد ان يمنع نعمة الله تعالى عن عباده فهما اقبح الاخلاق الذميمة لان مدار الاسلام امران تعظيم امر الله تعالى و الشفقة على عباد الله تعالى وكل واحد من هذين الخلقين ينافى كل واحد منهما فمن اجتمع فيه هذه الخصال الذميمة الجهل و البخل و الحسد لايكون له نصيب من شئ من اقسام الملك فان الجاهل لايكون له ملك على البواطن وهو ظاهر والبخيل و الحاسد لايكون له ملك على الظواهر لان الانقياد للغير امر مكروه لذاته لايفعله الانسان الا اذا تضمن منفعة زآئدة على مافيه من المذلة وتلك المنفعة مايصل اليه من آثار جود الملك و بره و احسانه فكلما كان جود الملك اكثر كان انقياد الناس اتم و اوفر فلذلك قيل «بالبر يستعبد الحر» وقيل «اذا الملك لم يكن ذا هبة • فدعه فدولته ذاهبة» فثبت ان الملك و البخل لايجتمعان ﴿قوله وهو النقرة فى ظهر النواة﴾ تضرب العرب المثل فى القلة و الحقارة بثلاثة اشياء فى النواة وهى الفتيل و النقير و القطمير فالفتيل خيط رقيق فى شق النواة و النقير هى النقرة التى فى ظهر النواة ومنها تنبت النخلة و القطمير هو القشر الرقيق فوقها ﴿قوله ويجوز ان يكون المعنى الخ﴾ ذكر اولا ان معنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك بمعنى انه لانصيب لهم منه لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم حرمانهم بسبب انهم لو اوتوا نصيبا منه لما آتوا الناس اقل قليل منه و من حق من اوتى الملك ان يؤثر الغير بشئ منه وهم ليسوا كذلك وعلى هذا فالفاء فى فاذا سببية و الجزائية لشرط محذوف وهو ان جعل لهم نصيب والمصنف قدر الشرط المحذوف بقوله اى لو كان لهم نصيب من الملك وليس بجيد لان الفاء لاتقع فى جواب لو سيما مع اذا و المضارع ثم جوز ان تكون الفاء عاطفة لدخولها على الجملة التى قبلها و يكون معنى الهمزة انكار مجموع المعطوف و المعطوف عليه بمعنى انه لاينبغى ان يكون هذا وهو انهم قد اوتوا نصيبا منه ووقع منهم عقيبه البخل باقل قليل منه و فائدة اذا زيادة الانكار

(الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل فى حيي بن اخطب و كعب بن الاشرف وجمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ماعبد من دون الله وقيل اصله الجبس و هو الذى لاخير فيه فقلبت سينه تاء و الطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره (ويقولون للذين كفروا) لاجلهم و فيهم (هؤلاء) اشارة اليهم (اهدى من الذين آمنوا سبيلا) اقوم دينا و ارشد طريقا (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يمنع عنه العذاب بشفاعة او غيرها (ام لهم نصيب من الملك) ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم (فاذا لايؤتون الناس نقيرا) اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون احدا مايوازى نقيرا و هو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فماظنك بهم اذا كانوا فقرآء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية

والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب الذي هو سبب الاعطاء سببا للمنع قال ابو بكر الاصم رحمه الله كانوا اصحاب بساتين واموال وقصور مشيدة وكانوا في عزة ومنعة على ما عليه احوال الملك ومع هذا كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت هذه الآية وقوله على الكناية اشارة الى ان كونهم قد اوتوا نصيبا من الملك غير مذكور صريحا بل هو مفهوم من جهة الانكار الى مجموع الجانبين ﴿قوله لانتسريك بمفرد﴾ في محل الجر على انه صفة للواو والفاء وعدم كونهما لعطف المفرد اما لكونهما لعطف الجملة او لكون الفاء جزائية لا عاطفة قال سيبويه اذا في عوامل الافعال بمنزلة ظن في عوامل الاسماء وتقريره ان الظن اذا وقع في اول الكلام نصب لا غير كقولك اظن زيدا قائما وان وقع في الوسط جاز الغاؤه واعماله كقولك زيد اظن قائم وان شئت قلت زيدا اظن قائما وان تأخر فالاحسن الغاؤه تقول زيد منطلق ظننت والسبب فيما ذكرناه ان افعال القلوب ضعيفة في العمل لانها لا تؤثر في مفعولاتها فاذا تقدمت دل تقدمها في الذكر على شدة العناية بها فتقوى على العمل واذا تأخرت دل ذلك على عدم العناية فتلغى وان توسطت فحينئذ لا تكون في محل العناية من كل الوجوه ولا في محل الاهمال فالاعمال والالغاء جائزان وكلمة اذا على هذا الترتيب ايضا فان تقدمت نصبت الفعل تقول اذا اكرمك وان توسطت او تأخرت جاز الالغاء تقول انا اذا اكرمك وانا اكرمك اذا فتلغيها في هاتين الحالتين اذا عرفت هذه المقدمة فنقول كلمة اذا في هذه الآية لما وقعت بين الفاء والفعل جاز ان تقدر متوسطة فتلغى وهكذا سبيلها مع الواو كقوله تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قرآءة العامة ﴿قوله وابناء عمه﴾ فانه سبحانه وتعالى آتى بني اسرآئيل الكتاب والنبوة وكانوا من آل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا اولاد اسحق بن ابراهيم ومحمد عليه الصلاة والسلام وعليهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم فلما كان اسماعيل عليه الصلاة والسلام ابا لنبينا عليه الصلاة والسلام كان اسحق عليه الصلاة والسلام عمه وكان بنوا اسرآئيل ابناء عمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وقال مجاهد الملك العظيم النبوة لان الملك لمن له الامر والطاعة والانبياء عليهم الصلاة والسلام لهم الامر والطاعة ﴿قوله تعالى كلما نضجت جلودهم﴾ ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم والجملة في محل النصب على الحال من الضمير المنصوب في نصليهم روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تبدل جلود الكافر في ساعة مائة مرة كلما اكلتها النار واحرقتها قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وهو سبحانه وتعالى قادر على ان يبقي ابدانهم مصونة عن النضج مع ايصال الالم الشديد اليها من غير تبديل لها بل هو قادر على ان يوصل الى ابدانهم آلاما عظيمة من غير ان يدخلهم النار الا انه تعالى ادخلهم النار واحرقت النار جلودهم وبدلهم الله تعالى جلودا غير الجلود المحرقة لحكمة لا يعلمها الا هو ولا يسأل عما يفعل ﴿قوله لا يمتنع عليه ما يريده﴾ فان العزيز هو القادر الغالب على جميع الممكنات والحكيم هو الذي لا يفعل الا الصواب وما تقتضيه الحكمة ومن هذا شأنه ليس بعجيب منه مع كونه كريما رحيما ان يعذب الشخص الضعيف بالنار الشديدة ابد الآباد لاقتضاء الحكمة اياه فان نظام العالم لا يبقى الا بتهديد العصاة والتهديد لا بد ان يكون مقرونا بالتحقيق صونا للكلام * فان قيل اذا احترقت الجلود العاصية وخلق الله جلودا اخرى وعذبها كان هذا تعذيبا لمن لم يعص وهو غير جائز * فالجواب ان المعاد في كل مرة هو الجلد الاول بعينه وانما قال غيرها لتبدل صفته كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فان الخاتم الثاني هو الاول الا ان الصياغة والصفة قد تبدلت وهو قول المصنف رحمه الله بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى اي غير صورة الجلد المحرقة قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وهناك جواب آخر وهو ان اصل الجلد لا يفنى بالاحتراق بل تتبدل به عوارضه ثم يبدل الله تعالى تلك العوارض التي هي اثر الاحتراق الى الحالة الاولى وجواب ثالث وهو انا سلمنا ان الجلود العاصية قد فنيت بالاحتراق وانه سبحانه وتعالى يخلق مكانها جلودا غيرها ذاتا الا انا لا نسلم انه يلزم منه تعذيب غير العاصي بناء على ان المعذب هو الانسان المستور بالجلد لان الجلد امر زآئد على ذاته آلة لادراكه فلا محذور ﴿قوله فينانا﴾ اي كثير الافنان متصلا منبسطا والجوبة الفرجة والجمع جوب بمعنى الفرج ﴿قوله خطاب يعم المكلفين والامانات﴾ يعني ان نزول الآية في قضية رد المفتاح الى عثمان بن طلحة لا يقتضي ان يكون حكمها مخصوصا بتلك القضية بل يتناول حكمها جميع الامانات فان معاملة الانسان اما ان تكون مع ربه او مع عباده او مع نفسه ولا بد من رعاية الامانة في جميع هذه

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذآئل فكأن بينهما تجاذبا وتلازما (على ما آتاهم الله من فضله) يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز او جعل النبي الموعود منهم (فقد آتينا آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه (الكتاب والحكمة) النبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) فلا يبعد ان يؤتيهم الله مثل ما آتاهم (فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن كفر هؤلاء امرك (وكفى بجهنم سعيرا) نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) كالبيان والتقرير لذلك (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال (ليذوقوا العذاب) اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه ما يريده (حكيما) يعاقب على وفق حكمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض (لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا) فينانا لا جوب فيه ودآئما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدآئمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها) خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة

[illegible]

الاقسام الثلاثة اما رعاية الامانة مع الرب سبحانه وتعالى فهي بان يفعل جميع المأمورات ويترك جميع المنهيات فان جميع ما كلف به الانسان من الله تعالى امانة عند المكلف يجب عليه ان يؤديها الى صاحبها وهذا بحر لا ساحل له واما رعاية الامانة مع عباد الله من اولاده وزوجته وعياله وجيرانه واصحابه وعامة الخلق فبأن يحفظ حقوقهم ولا يخونهم في شيء منها ورعايتها مع نفسه فبأن لا يختار لنفسه الا ما هو الاصلح والانفع لها في الدين والدنيا وبأن يحفظها عما يضرها في العقبى فلهذا قال عليه الصلاة والسلام * كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته * فقوله تعالى يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها يدخل فيها الكل وقد عظم الله سبحانه وتعالى امر الامانة في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال تعالى لا تخونوا اماناتكم وقال عليه الصلاة والسلام * لا ايمان لمن لا امانة له * والامانة في الاصل مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع وقصة عثمان بن طلحة من بني عبد الدار انه كان سادن الكعبة فلما دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة يوم الفتح اغلق عثمان الكعبة وصعد السطح فطلب عليه الصلاة والسلام المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى ركعتين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت هذه فأمر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان اكرهت وآذيت ثم جئت برفق فقال لقد انزل الله تعالى في شأنك قرآنا وقرأ الآية عليه فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة ﴿ قوله اي وان تحكموا بالانصاف ﴾ اشارة الى ان قوله ان تحكموا معطوف على ان تؤدوا اي يأمركم بتأدية الامانات وبالحكم بالعدل فيكون قد فصل بين حرف العطف والمعطوف بالظرف فيكون اذا حكمتم منصوبا بيأمركم على الظرفية اي كما ان تحكموا منصوب به على المفعولية * فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف معمولا لقوله يأمركم والحال ان الامر ليس واقعا وقت الحكم * اجيب بان كونه معمولا ليأمركم لا يستلزم وقوع اصل الامر فيه بل يكفي في كونه معمولا له ان يكون تعلقه بالحكام واقعا فيه ولا يجوز ان يكون الظرف معمولا لان تحكموا وان كان المعنى عليه صحيحا لان ان مع الفعل موصول حرفي وما في حيز الموصول لا يتقدم عليه عند البصريين واما الكوفيون فيجيزون ذلك ومنه هذه الآية عندهم ويجوز ان يقال ان الظرف معمول لفعل محذوف تقديره ويأمركم ان تحكموا اذا حكمتم وان تحكموا المذكور مفسر لذلك المحذوف فلا موضع للمذكور لكونه مفسرا للمحذوف والمحذوف معمول لقوله يأمركم المحذوف فيكون النظم من قبيل علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء باردا من حيث ان كل واحد منهما حذف منه المعطوف مع بقاء العاطف وقوله بالعدل يجوز ان يكون مفعولا به غير صريح لقوله ان تحكموا ومتعلقا به فتكون الباء للتعدية وان يكون حالا من فاعل تحكموا فتكون الباء للمصاحبة متعلقة بمحذوف اي ملتبسين بالعدل مصاحبين له والمعنيان متقاربان ﴿ قوله من ينفذ عليه امركم ﴾ اي مع قطع النظر عن رضى الخصمين بحكمكم وذلك بان يكون الحاكم مولى من قبل السلطان لا بان يكون محكما برضى الخصمين بحكمه فان حكمه وان كان نافذا في حقهما الا انه لا ينفذ الا برضاهما بحكمه ﴿ قوله ولان الحكم الخ ﴾ تعليل لقوله الخطاب لهم قدم عليه ﴿ قوله اي نعم شيأ يعظكم به ﴾ على ان تكون كلمة ما منصوبة موصوفة بيعظكم فان فاعل نعم قد يكون ضميرا مبهما مميزا بنكرة منصوبة نحو نعم رجلا زيد او بما بمعنى شيأ فانها نكرة موصوفة بالجملة التي بعدها وقعت تمييزا للضمير في نعم او هي اسم موصول بمعنى الذي مرفوع المحل على انه فاعل نعم وصلتها قوله يعظكم به * فان قلت قد تقرر ان فاعل نعم اذا كان مظهرا لا بد ان يكون محلى بلام الجنس او مضافا اليه فكيف جاز ان تقع ما الموصولة فاعله * اجيب بانها لما كانت بمعنى الذي كانت بحسب المعنى وصفا للمعرف بلام الجنس واليه اشار بقوله او نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿ قوله وامراء السرية ﴾ السرية طائفة من العسكر يبلغ اقصاها اربعمائة سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم مأخوذ من الشيء السري وهو النفيس ويدل على دخول امراء السرية في اولي الامر قوله عليه الصلاة والسلام * من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني

(واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم (ان الله نعما يعظكم به) اي نعم شيأ يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات (ان الله كان سميعا بصيرا) باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية

(ومن)

ومن يعص اميري فقد عصاني * ﴿قوله امر الناس بطاعتهم﴾ اي بطاعة الولاة بعد ما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وبان يحكموا بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم انما هو ماداموا على الحق ووجه التنبيه ان الحكم اذا تعلق بالموصوف بصفة يكون تعلقه به مقدرا بقدر اتصافه بتلك الصفة ويلزم منه ان يكون وجوب طاعة الولاة مقدرا بقدر كونهم عدولا * روى ان بعض الولاة قال لبعض العلماء أليستم امرتم بطاعتنا في قوله تعالى واولى الامر منكم قال أليست نزع عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي نزعت الولاية عنكم ان خالفتم الحق ووقع التنازع بينكم وبين المؤمنين في الحق كأنه قيل اطيعوا اولى الامر منكم ان لم تنازعوهم في شيء من الحق فان تنازعتم فلا طاعة الا لله ولرسوله قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا ﴿قوله وقيل علماء الشرع﴾ اختار الامام ان المراد باولى الامر اهل الاجماع وهم العلماء الذين يمكنهم استنباط احكام الله من نصوص الكتاب والسنة وهم الذين يسمون باهل العقد والحل في كتب اصول الفقه حيث قال قوله تعالى واولى الامر منكم يدل عندنا على ان اجماع الامة حجة والدليل على ذلك ان الله تعالى امر بطاعة اولى الامر ومن امر الله تعالى بطاعته لابد ان يكون معصوما من الخطأ لانه اذا لم يكن معصوما من الخطأ وامر الله تعالى بمتابعته لكان ذلك امرا بفعل ذلك الخطأ والخطأ منهي عنه فلا يكون مأمورا به فظهر بهذا ان اولى الامر المذكور في هذه الآية لابد ان يكون معصوما من الخطأ وذلك المعصوم اما ان يكون مجموع الامة او بعض الامة لاجائز ان يكون بعض الامة لان الامر بطاعتهم مشروط بمعرفتهم والقدرة على الاستفادة منهم ونحن عاجزون عن معرفتهم وعن الوصول اليهم واستفادة العلم والدين منهم فوجب ان يكون المراد من اولى الامر مجموع الامة اي مجموع اهل الحل والعقد من الولاة وذلك يوجب القطع بان اجماع الامة حجة هذا خلاصة كلامه في تقرير الدليل على ما ادعاه وقوله تعالى منكم في محل النصب على انه حال من اولى الامر متعلق بمحذوف اي واولى الامر كائنين منكم ومن تبعيضية اذ لاشك ان الامراء والسلاطين بعض الامة وكذا العلماء المجتهدون ﴿قوله واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه الخ﴾ قال الامام اعلم ان قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول يدل عندنا على ان القياس حجة والذي يدل على ذلك ان قوله فان تنازعتم اي اختلفتم فيما حكمه منصوص او فيما حكمه غير منصوص فردوه الى احد هذه الثلاثة والاول باطل لان وجوب المراجعة الى احد الثلاثة فيما ثبت حكمه به قد فهم من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فعلى تقدير ان يكون المراد به المعنى الاول يكون قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اعادة لعين ما مضى وهو غير جائز واذا بطل الاحتمال الاول تعين الثاني وهو ان المراد ان تنازعتم في شيء حكمه غير مذكور في الكتاب والسنة والاجماع واذا كان كذلك لم يكن المراد من قوله فردوه الى الله والرسول طلب حكمه من نصوص الكتاب والسنة فوجب ان يكون المراد رد حكمه الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة له وذلك هو القياس فثبت ان الآية دالة على الامر بالقياس كما انها دالة على وجوب المراجعة الى الكتاب والسنة والاجماع وقد تقرر عند الفقهاء ان اصول الشريعة اربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس وهذه الآية مشتملة على تقرير هذه الاصول الاربعة بهذا الترتيب اما الكتاب والسنة فقد وقعت الاشارة اليهما بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والى الاجماع بقوله واولى الامر منكم والى القياس بما بعده ﴿قوله تعالى ان كنتم تؤمنون﴾ شرط حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه وجعل ما قبله جوابا له يبطل صدارة الشرط وهذا الوعيد يحتمل ان يكون مخصوصا بقوله فردوه ويحتمل ان يكون عائدا الى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وظاهر قوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر يقتضي ان من لم يطع الله والرسول لا يكون مؤمنا فيخرج المذنب من الايمان لكنه محمول على التهديد ﴿قوله عاقبة﴾ فان التأويل قد ورد في القرآن بمعنى المآل والعاقبة كما في هذه الآية وفي قوله هل ينظرون الا تأويله اي عاقبته وفي قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله اي عاقبته * قال الامام التأويل عبارة عما اليه مآل الشيء ومرجعه وعاقبته ثم انه تعالى لما اوجب في الآية الاولى وعلى جميع المكلفين ان يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ذكر في هذه الآية ان المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه وانما يريدون حكم غيره فقال الم تر الى الذين يزعمون الآية والزعم بفتح الزاي وضمها مصدر زعم وهو قول يقترن به اعتقاد ظني وزعم يكون بمعنى ظن فيتعدى الى اثنين كما في

امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (في شيء) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات (فردوه) فراجعوا فيه (الى الله) الى كتابه (والرسول) بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يوجب ذلك (ذلك) اي الرد (خير) لكم (واحسن تأويلا) عاقبة واحسن تأويلا من تأويلكم بلا رد (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت)

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال (وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا) وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول) وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير (رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال (فكيف تكون حالهم (اذا اصابتهم مصيبة) كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى (بما قدمت ايديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك (ثم جاؤك) حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض (يحلفون بالله) حال (ان اردنا الا احسانا وتوفيقا) ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه (اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب (فأعرض عنهم) اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم (وعظهم) بلسانك وكفهم عما هم عليه (وقل لهم في انفسهم) اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع (قولا بليغا) يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام

هذه الآية وان مع ما في حيزها سادة مسد مفعوليها او قد يكون بمعنى كفل فيتعدى الى واحد ومنه وانا به زعيم وقوله تعالى يريدون حال من فاعل يزعمون لا من الذين يزعمون وقوله تعالى وقد امروا حال من فاعل يريدون فهما حالان متداخلان **قوله** حتى برد اي مات سمي الموت بردا لان الانسان اذا مات برد **قوله** فسمي بذلك لفرط طغيانه اي سمى الله تعالى كعبا طاغوتا لكمال طغيانه قال الجوهري الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال وهو قد يكون واحدا كما في هذه الآية وقد يكون جمعا كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم فالطاغوت على الوجه الاول حقيقة كانه قيل سمي طاغوتا لكونه رأسا في الضلال وعلى قوله او للتشبيه بالشيطان بالتسمية باسمه تكون مجازا مستعارا من الشيطان وعلى الوجه الثالث يكون الطاغوت مستعملا في اصل معناه والمجاز انما هو في جعله متحاكما اليه فان المتحاكم اليه حقيقة هو كعب بن الاشرف الا انه جعل الشيطان متحاكما اليه لكونه سببا حاملا على التحاكم الى كعب فعلى هذا في قوله فسمي به نوع تسامح ثم انه تعالى لما بين رغبتهم في التحاكم الى الطاغوت بين نفرتهم عن التحاكم الى الرسول فقال واذا قيل لهم تعالوا **قوله** اعتباطا من الغبطة وهي ان تتمنى مثل حال صاحب النعمة من غير ان تريد زوالها عنه يقال غبطته بما نال اغبطه غبطا فاغتبط هو مثل حبسته فاحتبس ومنعته فامتنع والمعنى انهم حذفوا لام الفعل من تعاليت لمجرد تشهيهم الحذف والتخفيف لا لعلة وسبب يدعو اليه فقالوا في تعالي بمعنى تعال تعال محذوفا منه الياء فجرى مجرى الفاظ المضارعة التي لا يكون في آخرها ياء فاذا اخذ منه الامر يكون جمع المذكر بضم ما قبل واو الضمير وامر الواحدة المخاطبة بكسر ما قبل الياء نحو قومي وقوموا **قوله** تعالى يصدون عنك اي يعرضون عنك وذكر المصدر للتأكيد والمبالغة كانه قيل صدودا اي صدود واختلف في لفظ صدود فقال بعضهم انه اسم مصدر والمصدر انما هو الصد وقال آخرون انه مصدر كالصد يقال صد صدا وصدودا وقيل فعل الصد يستعمل لازما ومتعديا يقال صد هو بنفسه وصده غيره قال تعالى فصدوهم عن السبيل وقال بعضهم الصدود مصدر صد اللازم والصد مصدر صد المتعدي والفعل ههنا لازم فلذلك جاء مصدره على فعول لان فعولا غالبا لازم وكونه مصدرا للمتعدي نادر نحو لزمه لزوما وفتنه فتونا هذا وفيه نظر اذ لقائل ان يقول هو هنا متعد غاية ما في الباب انه حذف مفعوله والمعنى يصدون غيرهم او التحاكم عنك صدودا **قوله** ويصدون في موضع الحال مبني على ان يكون رأيت من رؤية البصر لانها ان كانت من رؤية القلب بمعنى علمت يكون قوله يصدون في محل النصب على انه مفعول ثان لرأيت **قوله** فكيف تكون حالهم اشارة الى ان قوله فكيف في محل النصب بفعل مضمر نحو كيف تراهم او كيف يصنعون او يحتالون وقيل انه في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فكيف صنيعهم في وقت اصابة المصيبة اياهم وعلى التقديرين كلمة اذا معمولة لذلك المقدر بعد كيف **قوله** وقيل على يصدون والمعنى انهم في اول الامر يصدون عنك ثم بعد ذلك يجيئونك ويحلفون بالله كذبا انهم ما ارادوا بذلك التحاكم الا الاحسان والتوفيق وما بينهما اعتراض فان شرط الاعتراض ان يكون له تعلق بذلك الكلام من بعض الوجوه كما في قوله

ان الثمانين وبلغتها ... قد احوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها كلام اجنبي وقع في البين لكنه متعلق بذلك الكلام من حيث انه دعاء للمخاطب وتلطف في القول معه وكذلك الآية فان اول الآية وآخرها في شرح قبائح المنافقين وكيدهم ومكرهم فانه تعالى حكى عنهم انهم يتحاكمون الى الطاغوت مع انهم امروا بالكفر به ويصدون عن الرسول مع انهم امروا بطاعته ويحلفون بالله كذبا وذكر في اثناء شرح تلك القبائح ما يدل على شدة الامر عليهم بسبب هذه الاعمال القبيحة في الدنيا والآخرة **قوله** يحلفون بالله حال اي من فاعل جاؤك وان نافية واحسانا مفعول به لانه استثناء مفرغ من المفعول به والمعنى ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول شيئا من الاشياء الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم والعدل والتوفيق بينه وبين خصمه **قوله** او عن قبول معذرتهم فان من لا يقبل عذر غيره ويستمر على سخطه قد يوصف بانه معرض عنه غير ملتفت اليه **قوله** وكفهم عما هم عليه اي ازجرهم عن النفاق والمكر والكذب وخوفهم بعقاب الله تعالى في الآخرة **قوله** اي في معنى انفسهم اي في شأن انفسهم وفي حقها او خاليا بهم ليس معهم غيرهم وعلى التقدير يكون قوله في انفسهم متعلقا بقوله قل لهم **قوله** يبلغ منهم على ان يبلغ من البلوغ او الوصول والقول البليغ اليهم ويؤثر فيهم بان يكون مخوفا لهم من عذاب الله تعالى مثل ان يقال لهم ان ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم

لله تعالى ولا فرق بينكم وبين الكفار المجاهرين فى الاستمرار على الكفر وانما رفع عنكم السيف لانكم اظهرتم الايمان فطهروا انفسكم من هذه الخصائل القبيحة وانقادوا لله تعالى ظاهرا وباطنا واطيعوه فى جميع ما كلفكم به قلبا وقالبا والا فكيف تأمنون من ان ينزل الله بكم ما انزله فى حق من جاهر بالكفر من القتل بالسيف وسبى الاموال والاولاد ﴿قوله وتعليق الظرف﴾ اى الجار والمجرور وهو قوله فى انفسهم بقوله بليغا على معنى قل لهم قولا مؤثرا فى قلوبهم يغتمون منه اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان ظهر منهم النفاق وبدت طلائعه ووجه ضعف هذا الاحتمال ان فيه تقديم معمول الصفة على الموصوف وانه لا يجوز عند البصريين فلا يجوز ان يقال جاء زيدا رجل يضرب لانه لا يتقدم المعمول الاحيث يجوز تقديم معمول الصفة والعامل ههنا لا يجوز تقديمه لان الصفة لا تتقدم على الموصوف والكوفيون يجيزون تقديم معمول الصفة على الموصوف وقول البصريين انه لا يتقدم المعمول الاحيث يتقدم العامل فيه بحث لانا وجدنا هذه القاعدة منخرمة فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فاليتيم معمول لتقهر والسائل معمول لتنهر وقد تقدما على لا الناهية والعامل فيهما لا يجوز تقديمه عليهما اذ المجزوم لا يتقدم على جازمه فقد تقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به سمى بليغا لبلوغه كنه المقصود ودلالته عليه واللام فى قوله تعالى الا ليطاع لام كى والفعل بعدها منصوب باضمار ان والاستثناء مفرغ من المفعول له والتقدير وما ارسلنا من رسول لشئ من الاشياء الا للطاعة وباذن الله متعلق بيطاع والباء للسببية والمراد بالاذن الامر والتكليف فانه تعالى قد امر المبعوث اليهم بان يطيعوه حيث قال اطيعوا الرسول وهذا الامر والتكليف سبب موجب لاطاعتهم اياه ﴿قوله بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت﴾ اختار ان الآية نزلت فيمن تقدم ذكره من المنافقين وهم الذين ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت والفرار من التحاكم الى الرسول وذكر الامام وجها ثانيا فى سبب نزولها وهو ان قوما من المنافقين اتفقوا على كيد فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام ثم دخلوا عليه لاجل ذلك الغرض فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام واخبره بذلك فقال عليه الصلاة والسلام ان قوما دخلوا على يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتى أستغفر لهم فلم يقوموا فقال قوموا فلم يفعلوا فقال عليه الصلاة والسلام قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله عز وجل من ظلم انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت فى بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عنى ﴿قوله لعلموه﴾ يريد ان وجد هنا يحتمل ان يكون بمعنى علم فيتعدى الى مفعولين ثانيهما توابا وان يكون بمعنى صادف فيتعدى الى واحد وتوابا حال واما رحيما فيحتمل ان يكون حالا من ضمير توابا وان يكون بدلا من توابا ﴿قوله لا لتظاهر لا فى قوله لا يؤمنون﴾ المظاهرة المعاونة اى لا يجوز ان تكون كلمة لا فى فلا وربك لتأكيد النفى فى لا يؤمنون وتقويته بل لتأكيد معنى القسم لانها كما جاءت فى النفى جاءت فى الاثبات كما فى قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا الانسان فى كبد اذ هو مثبت وكذا قوله انه لقول رسول كريم فلو كانت لتظاهر لا النفى لما جاءت فى الاثبات وفيه بحث لجواز ان تكون الاولى ردا الكلام تقدمها اى ليس الامر كما يزعمون من انهم آمنوا بما انزل اليك وهم يخالفون حكمك ثم استأنف قسما بعد ذلك فعلى هذا يكون الوقف على لا تاما ﴿قوله فيما اختلف بينهم﴾ فى الصحاح شجر بين القوم اذا اختلف الامر بينهم وتشاجر القوم اى تنازعوا والمشاجرة المنازعة وقال الامام شجر الامر يشجر شجورا اذا اختلف واختلط وشاجره اذا نازعه وذلك لتداخل كلام بعضهم فى بعض عند المنازعة كما يتداخل بعض اغصان الشجر فى بعض ﴿قوله مما حكمت به او من حكمك﴾ الاول على ان تكون ما موصولة بمعنى الذى ويكون العائد محذوفا والثانى على ان تكون مصدرية ﴿قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم الآية﴾ متصل بما تقدم من امر المنافقين وترغيب لهم فى الاخلاص وترك النفاق والمعنى انا لو شددنا التكليف على الناس نحو ان نأمرهم بان يقتلوا انفسهم بطريق التوبة كما امرنا بنى اسرائيل بذلك او بان يخرجوا من ديارهم كما امرنا بنى اسرائيل بالخروج من مصر وكتبنا على المنافقين ان يخرجوا من ديارهم لصعب ذلك عليهم ولما فعله الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم فلم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا وما كتبنا عليهم الا الطاعة للرسول والرضى بحكمه وهو امر سهل فليقبلوه بالاخلاص وليتركوا التمرد والعناد حتى ينالوا خير الدارين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد الضمير فى قوله

وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذى يطابق مدلوله المقصود به ﴿وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله﴾ بسبب اذنه فى طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ﴿ولو انهم اذ ظلموا انفسهم﴾ بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت ﴿جاؤك﴾ بالتوبة تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به ﴿فاستغفروا الله﴾ لذنوبهم بالتوبة والاخلاص ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ واعتذروا اليك حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضى هذا القول جاؤك تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع فى كبائر الذنوب ﴿لوجدوا الله توابا رحيما﴾ لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه ﴿فلا وربك﴾ اى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله ﴿لا يؤمنون﴾ لانها تزاد ايضا فى الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ﴿ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت﴾ ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك فى ضيق من امره ﴿ويسلموا تسليما﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ﴿ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم﴾ تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا ﴿او اخرجوا من دياركم﴾ خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل

بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجرآءً لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ﴿ ما فعلوه الا قليل منهم ﴾ الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لايتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ﴿ ولو انهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ فى عاجلهم وآجلهم ﴿ واشد تثبيتا ﴾ فى دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفى الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت فى شأن المنافق واليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن ابى بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك ﴿ واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزآء ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴿ ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم ﴾ مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا ﴿ من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين ﴾ بيان للذين او حال منه او من ضمير عليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليها ثم الشهدآء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء (مراقة)

واو انا كتبنا عليهم عائد الى المنافقين اى لو كتبنا على هؤلاء المنافقين القتل والخروج عن الوطن ما فعله الا القليل رياء وسمعة وحينئذ يصعب عليهم الامر وينكشف كفرهم فاذا لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم بالاشياء السهلة فليتركوا النفاق وليقبلوا الايمان على سبيل الاخلاص وهذا القول اختيار ابى بكر الاصم وابى بكر القفال وقيل المعنى لو كتب الله على الناس ما ذكر لم يفعل الا قليل منهم وعلى هذا القول يدخل فيه المؤمن والمنافق واما الضمير فى قوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون به فهو مختص بالمنافقين ولا يبعد ان يكون اول الآية عاما وآخرها خاصا وعلى هذا التقدير يجب ان يكون المراد بالقليل المؤمن واختار المصنف هذا القول بدليل قوله الا ناس قليل وهم المخلصون ﴿ قوله والباقون بضمهما ﴾ يعنى ان ابن عامر والكسائى وابن كثير ونافعا قرأوا ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم بضم نون ان وضم واو او بنقل ضمة اقتلوا وضمة اخرجوا اليهما واجرائهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعلين وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما لالتقاء الساكنين وكون الكسرة اصلا فى تحريك الساكن وقرأ ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقال الزجاج لست اعرف لفصل ابى عمرو بين هذين الحرفين خاصية الا ان يكون رواية وقال غيره اما كسر النون فلأن الكسر هو الاصل فى تحريك الساكن لالتقاء الساكنين واما ضم الواو فلأن الضمة فى الواو احسن لانها تشبه واو الضمير فى نحو اشتروا الضلالة ولا تنسوا الفضل ﴿ قوله والضمير ﴾ اى المنصوب فى قوله ما فعلوه للمكتوب المدلول عليه بقوله كتبنا وذلك المكتوب هو احد الامرين وهو القتل او الخروج او لاحد مصدرى الفعلين اى ما فعلوا القتل او ما فعلوا الخروج قال الامام الكناية فى قوله ما فعلوه عائد الى القتل والخروج معا وذلك لان الفعل جنس واحد وان اختلفت ضروبه ﴿ قوله وقرأ ابن عامر بالنصب ﴾ اى قرأ الا قليلا منصوبا وكذا هو فى مصاحف اهل الشام ومصحف انس بن مالك وقرأ الباقون قليل بالرفع فانه قد تقرر فى النحو انه يجوز نصب المستثنى ويختار ابداله من المستثنى منه فيما بعد الا فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا نحو ما جاءنى القوم الا زيد والا زيدا برفعه ونصبه فالرفع على البدل والنصب على الاستثناء لكن البدل اولى من النصب قال ابو على الفارسى الرفع اقيس فان معنى ما جاءنى احد الا زيد وما جاءنى الا زيد واحد فلما اتفقوا فى قولهم ما جاءنى الا زيد على الرفع وجب ان يكون قولهم ما جاءنى احد الا زيد بمنزلته واما من نصب على اصل الاستثناء فقد قاس على الموجب فان قولك ما جاءنى احد كلام تام كما ان قولك جاءنى القوم كلام تام فلما كان المستثنى منصوبا فى الموجب كان كذا فى غيره والجامع كون المستثنى فضلة جاءت بعد تمام الكلام او جعله صفة لمصدر محذوف تقديره الا فعلا قليلا ومن رفعه فقد جعله بدلا من واو فعلوه واسم كان فى قوله تعالى لكان خيرا لهم ضمير راجع الى الفعل المفهوم من قوله ولو انهم فعلوا اى لكان فعل ما يوعظون به خيرا لهم وتثبيتا تمييز لأشد والمعنى ولكان فعله اشد تأكيدا لعزائمهم على الثبات على الدين وترك التذبذب لان الطاعة تدعو الى امثالها والواقع منها فى وقت يدعو الى المواظبة عليه ﴿ قوله فى شراج من الحرة ﴾ الشراج سيل الماء من الحرة الى السهل والحرة ارض ذات حجارة سود وكان ارض زبير ينتهى اليها الماء اولا ثم الى ارض حاطب بن ابى بلتعة والحكم فيه ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادى فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقى فالرسول عليه الصلاة والسلام امر اولا الزبير بان يسقى ارضه على وجه المسامحة والمساهلة وخصمه فلما اساء خصمه الادب ولم يعرف حق ما امر به الرسول من المسامحة لاجله امر النبى عليه الصلاة والسلام ثانيا باستيفاء حقه على التمام والكمال وحمل خصمه على مر الحق والجدر للارض كالجدار للدار ﴿ قوله لان اذا جواب ﴾ علة الاحتياج الى تقدير السؤال فان كونه جوابا يحوج الى تقدير شئ ﴿ قوله يصلون بسلوكه جناب القدس ﴾ اشارة الى ان المراد بالصراط المستقيم هو الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وان الحمل عليه اولى من حمله على الدين الحق كما فى قوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وذلك لانه تعالى ذكره بعد ذكر الثواب والاجر والدين الحق متقدم عليهما والصراط الذى هو الطريق من عرصة القيامة الى الجنة انما يحتاج اليه بعد استحقاق الاجر بسلوك طريق الدين فكان حمل لفظ الصراط فى هذا الموضع على هذا المعنى اولى ﴿ قوله مزيد ترغيب فى الطاعة ﴾ فانه تعالى امر بطاعة الله وطاعة رسول الله بقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول ثم زيف طريقة المنافقين ثم اعاد الامر بطاعة الرسول بقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع ورغب فى تلك الطاعة بايتاء الاجر العظيم وهداية الصراط المستقيم بسببها ثم اكد ذلك الترغيب بان وعد عليها

(وحسن اولئك رفيقا) في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه

مرافقة أكرم الخلائق وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والصديق مبالغة الصادق كالصبير والفسيق وهو الذي لم يدع شيأ اظهره بلسانه ألاحققه بقلبه وعمله وهذه صفة السابقين الى متابعة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم افاضل اصحابهم رضوان الله عليهم اجمعين والشهيد من قام بشهادة الحق والعمل به الى ان قتل في سبيل الله والصالح من خلص من كل فساد وليس المراد بكون من اطاع الله واطاع الرسول مع هؤلاء الكرام ان يكون الكل درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول في الدرجة وهو لايجوز فلابد ان يكون معناه ان الارواح الناقصة اذا استكملت علائقها مع الارواح الكاملة في الدنيا بسبب الحب الشديد ثم فارقت هذا العالم ووصلت الى عالم الآخرة بقيت تلك العلائق الروحانية هناك فيحضرون الجنة ويكونون معهم فيها ويكرمون بنعيمها ويستمتعون فيها برؤية هؤلاء الكرام وزيارتهم والحضور معهم وكون الكرام في اعلى عليين لايمنع من ذلك بل تكون تلك العلاقة المتأكدة سببا لاقتدارهم على التلاقي والزيارة فيهم تكون بهذا الطريق والله اعلم وقوله تعالى من النبيين حال من الموصول او من الضمير المجرور في عليهم وعلى التقديرين يكون بيانا له متعلقا بمحذوف اى كائنين منهم وروى في سبب نزول هذه الآية ان رجلا من الانصار جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال لأنت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي ولولاانى آتيك فأراك لظننت انى سأموت وبكى فقال عليه الصلاة والسلام «ما يبكيك» قال ذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع الانبياء ونحن ان دخلنا الجنة كنا دونك فلم يخبره النبي عليه الصلاة والسلام بشئ فانزل الله تعالى هذه الآية فقال له عليه الصلاة والسلام «أبشر» وقال مقاتل بعد ذكر هذه القصة انه لما توفي النبي عليه الصلاة والسلام أتاه آت وهو في حديقة له فاخبره بموت النبي عليه الصلاة والسلام فقال اللهم أعمني فلا ارى شيأ بعد حبيبي حتى القى حبيبي فعمي مكانه رضي الله عنه **قوله** كالحزم **وهو** ضبط الرجل امره واخذه بالثقة وهو في معنى السلاح من حيث انه سبب للاتقاء والحذر ونحو اخذ حذره على ان يكون الحذر بمعنى التيقظ والاحتراز من الخوف من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه الحذر في النفس بالسلاح وآلة الاحتراز والوقاية وجعل ايقاع الاخذ عليه دليلا وقرينة فيكون استعارة تخييلية كاثبات الاظفار للمنية لما امر الله تعالى بطاعة الله وطاعة رسوله وكان الجهاد اشق الطاعات واعظم ما يحصل به تقوية الدين وظهوره على الاديان كلها خصه بالذكر من بين وجوه الطاعات وامر المؤمنين ان لايقحموا على عدوهم بالغفلة والجهالة من احوالهم حتى يتجسسوا ما عندهم ويعلموا كيف يردون عليهم فان ذلك اقرب الى نيل مقصودهم من الجهاد **قوله** ثبات **منصوب** على انه حال من فاعل انفروا وكذا جميعا والثبات جماعات متفرقة واحدها ثبة واصل ثبة ثبي والهاء عوض عن لام الفعل المحذوفة لالتقاء الساكنين قال ابو علي يقال ثبيت الرجل اى مدحته وجمعت محاسنه ويقال نفر القوم ينفرون نفرا ونفيرا اذا نهضوا لقتال عدوهم وخرجوا للحرب واستنفر الامام الناس لجهاد العدو فنفروا ينفرون اذا حثهم على السفر ودعاهم اليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «اذا استنفرتم فانفروا» والنفر اسم للقوم الذين ينفرون خيرهم الله تعالى بين ان يقاتلوا جميعا وبين ان يقاتل بعضهم دون بعض بان يبعث الامام سرية بعد سرية فدل ذلك على ان الجهاد ليس من فروض الاعيان **قوله** كوكبة واحدة **مصدر** مجتمعين على غير لفظه لكونه بمعنى الجماعة العظيمة وفي الصحاح كوكبة الشئ معظمه ويحتمل ان يكون حالا من ضمير مجتمعين **قوله** من بطأ بمعنى ابطأ **فيكون** التبطئة عن الجهاد بمعنى التأخر عنه تقول العرب ما ابطأبك عنا اى ما اخرك يقال بطؤ بطئا وبطأ تبطئة وابطأ ابطاء بمعنى واحد قال عليه الصلاة والسلام «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» **قوله** للفصل بالخبر **فان** قوله منكم خبر مقدم لان واسمها لمن دخلت اللام على الاسم لان الخبر لما توسط بين ان واسمها لم يلزم توالي حرفين بمعنى واحد واختار المصنف ان تكون من موصولة ويكون ليبطئن جواب قسم محذوف وتكون الجملتان اعني القسم وجوابه صلة لمن ويحتمل ان تكون من موصوفة ويكون القسم مع جوابه صفة لها والتقدير وان منكم للذي او لفريقا والله ليبطئن اى ليتأخرن عن الغزو او ليبطئن غيره عنه **قوله** تعالى اذلم اكن **ظرف** ناصبه انعم الله **قوله** وقرئ بضم اللام **يعني** ان الجمهور على فتح اللام لان الفعل مسند الى ضمير من مبني على الفتح لاجل نون التأكيد ومن قرأ بضمها فقد اسند الفعل الى ضمير من ايضا لكن جمع الضمير حملا على المعنى لان من في معنى الجماعة لظهور ان المعنى منكم الجماعة التي تبطئ لا الفرد فقول المصنف اعادة للضمير اى ارجاعا له الى معنى من **قوله** اعتراض بين الفعل ومفعوله **فان** نظم التنزيل لو كان هكذا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني

اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابي من وجع غير اني اذالم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لااراك ابدا فنزلت (ذلك) مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم (الفضل) صفته (من الله) خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح (فانفروا) فاخرجوا الى الجهاد (ثبات) جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه (او انفروا جميعا) مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات (وان منكم لمن ليبطئن) الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او يبطئون غيرهم كما بطأ ابن ابي اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن (فان اصابتكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) اى المبطئ (قد انعم الله علي اذلم اكن معهم شهيدا) حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني ما اصابهم (ولئن اصابكم فضل من الله) كفتح وغنيمة (ليقولن) اكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على   معنى من (كأن لم يكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل ومفعوله

وهو (ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما) للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال
من الضمير في ليقولن او داخل في القول اي يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضربا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتني
كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى
وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما
لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من
الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس
عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة
والمنادى في ياليتني محذوف اي ياقوم وقيل
يا لمطلق التنبيه على الاتساع فافوز نصب على
جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا
افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت
(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة
الدنيا بالآخرة) اي الذين يبيعونها والمعنى
ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم
المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم
(ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وعده الاجر
العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا
لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد
ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه
بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون
قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق
واعزاز الدين (ومالكم) مبتدأ وخبر
(لا تقاتلون في سبيل الله) حال والعامل فيها
ما في الظرف من معنى الفعل (والمستضعفين)
عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو
او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة
المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
(من الرجال والنساء والولدان) بيان
للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة
بصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة
مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة
في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم
اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد (مستضعفين)

كنت معهم فافوز فوزا عظيما لمكان النظم مستقيما الا انه وقع قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة في البين اعتراضا فلا محل له من الاعراب قال الامام هذا الاعتراض هنا في غاية الحسن لانه تعالى حكى عن هذا المنافق انه اذا وقعت للمسلمين نكبة اظهر السرور الشديد بسبب انه كان متخلفا عنهم ولو فازوا بغنيمة ودولة اظهر الغم الشديد بسبب فوات تلك الغنيمة عنه ومثل هذه المعاملة لا يقدم الانسان عليها الا في حق الاجنبي العدو لان من احب انسانا فرح عند فرحه وحزن عند حزنه واذا قلب هذه القضية فذلك اظهار للعداوة واذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى حكى عن هذا المنافق سروره وقت نكبة المسلمين ثم اراد ان يحكي حزنه عند دولة المسلمين بسبب انه فاتته الغنيمة فقبل ان يذكر هذا الكلام بتمامه القى في البين قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة قصدا للتعجب كأنه قال انظروا الى ما يقول هذا المنافق كأنه ليس بينكم ايها المؤمنون وبينه مودة ولا مخالطة اصلا ادخل هذا الكلام في البين ثم حكى عنه مقوله ﴿ قوله او حال ﴾ اي ليقولن ذلك مشبها بمن لم يكن بينكم وبينه مودة ﴿ قوله او داخل في القول ﴾ بان حكى الله تعالى بقوله ليقولن جملتين جملة التشبيه وجملة التمني فيكون الضمير في بينه لرسول الله عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وقيل انه متصل بالجملة الاولى ﴾ وهي قوله فان اصابتكم مصيبة ووقعت معترضة بين هذه الجملة الشرطية وبين جملة القسم وهي قوله ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن فأخرت الجملة المعترض بها اعني قوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة والبينة التوسط ونقل هذا القول عن الزجاج ورده الراغب الاصفهاني بانه مستقبح لانه لا يفصل بين بعض الجملة وبعض ما يتعلق بها بجملة اخرى وقيل هذا القول من الزجاج كأنه تفسير معنى لا توجيه اعراب ﴿ قوله وكأن مخففة من الثقيلة ﴾ وعملها باق عند البصريين وزعم الكوفيون انها لا تعمل مخففة كما لا تعمل لكن مخففة عند الجمهور واعمالها عند البصريين غالبا في ضمير الشأن وهو واجب الحذف ولا تعمل عندهم في ضمير غيره ولا في اسم ظاهر الا في ضرورة كقوله

وو جه مشرق النحر ❁ كأن ثدييه حقان

والجملة المنفية بعدها في محل الرفع خبرا لها ﴿ قوله وقيل يا لمطلق التنبيه ﴾ قال الفارسي كلمة يا لمجرد التنبيه فلا يقدر منادى محذوف ولذلك باشرت الحرف وقيل انها حرف نداء والمنادى محذوف وهذا الخلاف جار فيها اذا باشرت حرفا او فعلا كقراءة الكسائي الا يا اسجدوا ولا يفعل ذلك الا يا خاصة دون سائر حروف النداء لانها ام الباب وقد كثرت مباشرتها فلا تثبت دون سائر الحروف ﴿ قوله اي الذين يبيعونها ﴾ لما كان الشراء بمعنى الاشتراء وهو بذل الثمن واخذ المبيع والباء فيه انما تدخل على المبذول وقوله الذين يشرون الحياة فاعل لقوله فليقاتل والظاهر ان المأمور بالقتال هم المؤمنون المخلصون وهم لا يبذلون الآخرة اختيارا للحياة فسر الشراء بالبيع وهو يتعدى الى المزول بنفسه والى المأخوذ بالباء والمخلصون يبيعون الحياة ويأخذون الآخرة وقوله فليقاتل جواب شرط محذوف والتقدير ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون وان كان الشراء بمعنى الاشتراء يكون المأمور بالقتال هم المبطئون الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ قوله ومالكم مبتدأ وخبر ﴾ يعني ان ما مبتدأ ولكم خبره اي اي شيء استقر لكم ولا تقاتلون حال اي مالكم غير مقاتلين والعامل في هذه الحال الاستقرار المقدر ﴿ قوله مستذلين ﴾ حال من فاعل بقوا اي بقوا والحال انهم يلقون من كفار مكة اذى شديدا قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان وهو يدل على ان الولدان بمعنى الصبيان على انه جمع ولد وقيل الولدان جمع وليد فيكون المراد بهم العبيد والاماء لان العبد والامة قد يقال لهما الوليد والوليدة وجمعهما الولدان والولائد الا انه ههنا غلب الذكور ويكون المراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر ﴿ قوله وانما ذكر الولدان ﴾ اي مع ان الصبيان لم يبلغوا حدا ان يستذلوا ويمتحنوا مبالغة في الحث على قتال المشركين بالتنبيه على تناهي ظلمهم حيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لآبائهم وامهاتهم ولان المستضعفين كانوا يشركون اولادهم الصغار في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء فقول المصنف وان دعوتهم عطف على قوله مبالغة والتقدير ولان دعوتهم وقوله تعالى الذين يقولون في موضع الجر على انه صفة اما للمستضعفين واما للرجال ومن بعدهم وغلب المذكر على المؤنث حكى الله تعالى عنهم انهم كانوا يدعون ويقولون ربنا اخرجنا الآية فلما شارك الولدان المستضعفين في هذا الدعاء ذكروا معهم وان لم يدخلوا في عدادهم في كونهم

المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر فتح مكة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) فيما يصلون به الى الله (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) فيما يبلغ بهم الى الشيطان (فقاتلوا اولياء الشيطان) لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم) اي عن القتال (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) واشتغلوا بما امرتم به (فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه (او اشد خشية) عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله (وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب) استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم (قل متاع الدنيا قليل) سريع التقضي (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة (اينما تكونوا يدرككم الموت) قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله

مستضعفين ﴿قوله ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة جعل عتابا اميرا لهم وكان شأنه انه ينصف الضعيف من القوي والذليل من العزيز ﴿قوله وتذكيره﴾ يعني ان الظاهر ان يقال الظالمة اهلها لكونه صفة القرية ﴿قوله وقع موقع المصدر﴾ يعني انه صفة مصدر محذوف والتقدير يخشون الناس خشية كخشية الله وان وقع موقع الحال من فاعل يخشون يكون المعنى يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من اهل خشية الله فيكون اشد معطوفا على ما وقع موقع الحال وهو قوله كخشية الله وان جعلته واقعا موقع المصدر لا يكون اشد معطوفا عليه لان عطفه عليه حينئذ يستلزم ان يكون اشد صفة للمصدر ايضا وان يكون المعنى يخشون الناس خشية اشد خشية من خشية الله فيلزم ان يكون للخشية خشية وان يكون افعل التفضيل المنصوب ما بعده من جنس ما بعده وذا لا يجوز بل يجب ان يكون فاعلا لما بعده فيكون اشد خشية عبارة عن الخاشي حالا منه وانما يكون عبارة عن الخشية اذا اضيف الى الخشية وقيل اشد خشية منصوب على التمييز عن اسم التفضيل وهو قد يكون نفس ما انتصب عنه لا متعلقا له كما في قوله تعالى فالله خير حافظا فهو والجر سواء نحو خير حافظ وخير حافظا فالله هو الحافظ في الوجهين فالخشية ههنا تكون نفس الموصوف ولا يلزم ان يكون للخشية خشية ﴿قوله بل هو معطوف على اسم الله﴾ اي على تقدير ان يكون كخشية الله صفة مصدر محذوف يكون اشد معطوفا على اسم الله ويكون المعنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او مثل خشية من هو اشد من جهة كونه مخشيا منه فيكون قول المصنف او كخشية في قوله او كخشية اشد مضافا الى اشد وقوله خشية منه تمييز اشد بمعنى مخشيا منه وان لم يكن ذلك متحققا في الخارج قال على الفرض ﴿قوله اللهم الا ان يجعل الخشية الخ﴾ استثناء من قوله وان جعلته مصدرا فلا اي فلا يكون اشد معطوفا على قوله كخشية الله حينئذ في حال من الاحوال الا في حال ان يجعل الخشية خاشية بل صارت خشية خشيتهم اشد من خشية الله فلا شك ان هذا ابلغ في توصيف خشيتهم بالشدة لانه اذا كان خشية خشيتهم اشد تكون خشيتهم اشد بطريق الاولى ﴿قوله استزادة في مدة الكف﴾ يعني ان قولهم هذا ليس اعتراضا على الله وكراهة لامر الله بالقتال لانه لا يليق بالمؤمن بل لكون البشر مجبولا على حب الحياة والخوف والفزع من الممات قيل انه سؤال طلب حكمة وليس اعتراضا ومعارضة بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل اجيبوا على لسان نبيهم عليه الصلاة والسلام بان التمتع بالحياة في الدنيا قليل سينقضي من قريب بخلاف الحياة في العقبى فان حياة الشهداء ابدية يرزقون بنعيم الجنة فيها ابدا فلا تؤثروا الفاني على الباقي روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * والله ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع * مع ان نعم الدنيا مشوبة بالهموم والمكاره ونعم الآخرة صافية من الكدورات * ثم قال ولا يظلمون فتيلا اي لا ينقصون من ثواب اعمالهم قدر فتيل النواة وهو الخيط الرقيق الذي يكون في شق نواة التمر وقد يقال المراد ههنا ما يفتل بين الاصبعين من الوسخ ثم يلقى لحقارته ﴿قوله قرئ بالرفع﴾ يعني ان الجمهور على جزم يدرك لانه جواب الشرط فان اين اسم شرط يجزم فعلين وما زائدة على سبيل الجواز تأكيد فيلزم ان يكون كل واحد من تكونوا ويدرككم مجزوما على الشرط وجوابه والمعنى اينما تكونوا من الامكنة يدرككم الموت اي لا خلاص لكم من الموت فالموت على الوجه الذي يستعقب السعادة الابدية اولى من الموت الذي لا يكون على هذا الوجه والمقصود من هذا الكلام تبكيت من حكى عنهم انهم يخشون الناس اشد خشية ويقولون لولا اخرتنا الى اجل قريب وقرئ يدرككم بالرفع بناء على انه ليس بجواب لان الشرط والجزاء اذا كانا مضارعين فهما مجزومان لا غير فلما رفع قيل في توجيهه انه حذف الفاء منه على انه جملة اسمية محذوفة المبتدأ فيكون مثل قول القائل الله يشكرها في حذف الفاء من الجملة الاسمية وآخر البيت * والشر بالشر عند الله سيان * وفي رواية مثلان يعني من يفعل خيرا يشكره الله ويجازيه ولو فعل شرا فعل به مثله ﴿قوله او على انه كلام مبتدأ﴾ ذكر الزمخشري هذا الوجه من عند نفسه وقال في تفسيره اي لا تنقصون شيأ مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ بقوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا انتهى كلامه ولا يخفى ان جعل اينما تكونوا متصلا بقوله لا تظلمون لا يخلو عن بعد لان الظلم قد نفي بعد قوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فالمتبادر من هذا الاسلوب ان يكون المراد نفي الظلم في الآخرة بنقص الثواب او زيادة العقاب لا بنقص

(ولو كنتم في بروج مشيدة) في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها (قل كل من عند الله) اى يقبض ويبسط حسب ارادته (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله تعالى (ما اصابك) يا انسان (من حسنة) من نعمة (فمن الله) اى تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا (وما اصابك من سيئة) من بلية (فمن نفسك) لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة

ما كتب من الآجال في الدنيا وايضا جعل ايما متعلقا بقوله ولا تظلمون يبطل صدارة الشرط فان اسماء الشرط لها صدر الكلام فلا يتقدم عاملها فان ورد مثل اضرب زيدا متى جاء قدر له عامل يدل عليه اضرب المتقدم ﴿قوله في قصور او حصون مرتفعة﴾ لما كان البرج مأخوذا من البرج وهو الظهور جاز اطلاقه على كل واحد من القصور والقلاع المرتفعة لتحقق معنى الظهور فيه ويقال شاد بناءه واشاده وشيده اذا رفعه او اذا طلاه وصبغه بالشيد وهو الجص والجمهور على مشيدة بفتح الياء المشددة وقرئ مشيدة بكسرها ومشيدة على وزن مبيعة روى صاحب التيسير عن مجاهد انه قال في هذه الآية كان فيمن قبلكم امرأة وكان لها اجير فولدت جارية فقالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية قال اما ان هذه الجارية لا تموت حتى تزني بمائة ويتزوجها اجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الاجير في نفسه فانا لا اريد هذه بعد ان تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة فدخل فشق بطن الصبية وخرج على عقبه وركب البحر وخيط بطن الصبية فبرئت وشبت فكانت تزني فاتت ساحلا من سواحل البحر فاقامت عليه تزني ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل وله مال كثير فقال لامرأة من اهل الساحل اطلبي لي امرأة من القرية اتزوجها فقالت ههنا امرأة من اجمل النساء ولكنها تفجر فقال ائتيني بها فاتتها فقالت اني قد تركت الفجور ولكن ان اراد تزوجته فتزوجها الرجل فوقعت منه موقعا حسنا فبينما هو يوما عندها اذا اخبرها بامره فقالت انا تلك الجارية فارته الشق الذي في بطنها وقالت قد كنت افجر فما ادرى بمائة او اقل او اكثر قال فان الرجل قال لي يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجا بالصحراء وشيده فبينما هي يوما في ذلك البرج اذا عنكبوت في السقف فقالت هذا يقتلني لا يقتله احد غيري فحركته فسقط فاتت فوضعت ابهام رجلها عليه فشدخته وساح سمه بين ظفرها ولحم الاصبع فاسودت رجلها فماتت وفي ذلك نزلت هذه الآية وهي اينما تكونوا يدرككم الموت ﴿قوله وهما المراد في الآية﴾ لاتفاق المفسرين على ان هذه الآية نزلت في الخصب والجدب روى ان اليهود تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم علينا هو واصحابه فنزلت ردا عليهم وايضا الحسنة التي يراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها اصابني وانما يقال اصبتها وليس في كلام العرب اصابت فلانا حسنة على معنى عمل خيرا وكذلك اصابته سيئة على معنى عمل معصية انما يقولون اصاب فلان سيئة اذا عملها واكتسبها وكذا اصاب حسنة اى عمل خيرا فلو كان المراد بهما الطاعة والمعصية لقيل ان اصبتم حسنة او سيئة ولما دل الدليل على ان كل ما سوى الله تعالى مستند اليه وكان ذلك الدليل في غاية الظهور قال الله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا كلاما بليغا منزلا لتحقيق الحق وابطال الباطل على ان التنكير للتعظيم او حديثا ما على ان التنكير للابهام والتعميم هذا على ان يكون الحديث بمعنى الكلام والخبر ويحتمل ان يكون الحديث بمعنى الحادث من حوادث الزمان * قال النحرير المحقق رحمه الله لما نسبوا النعمة الى الله تعالى والبلية الى النبي عليه الصلاة والسلام رد الله عليهم بان الكل من عند الله لا فاعل لهما سواه ولا واسطة في البلايا سوى انفسهم دون النبي عليه الصلاة والسلام على ما زعموا فتمام الرد عند قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ثم قال وبهذا يندفع ما يقال انهم لم يجعلوا النبي عليه الصلاة والسلام فاعلا للبلايا بل واسطة كما في قوله تعالى يطيروا بموسى ومن معه ولهذا قالوا ان هي الا بشؤمك فلا يكون جعل المبدأ الفاعل هو الله وحده ردا لقالهم ﴿قولها رضي الله عنها وصب﴾ اى مرض ونصب اى تعب والشوكة تطلق على ما يدق ويصلب رأسه من النبات وعلى المرة من شاكه اى اصابه الشوك والمراد ههنا الثاني لانها لو ارادت النبات لقالت يشاك بها ولانها جعلتها غاية للمعاني وعطفت عليها المعنى وهو انقطاع شسع نعله والشسع واحد شسوع النعل التي تشد الى زمامها ﴿قوله لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة﴾ لان النزاع بيننا وبينهم انما هو في افعال العباد وقد تقرر ان الحسنة والسيئة في كل واحد من الآيتين ليستا بمعنى الطاعة والمعصية حتى نستدل باسناد الكل اليه تعالى على مذهبنا وتستدل المعتزلة باسناد السيئة الى العبد على مذهبهم روى الامام عن ابي علي الجبائي انه قال قد ثبت ان لفظ السيئة تارة يقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق بين هاتين الآيتين وازالة التناقض عنهما ولما كانت السيئة بمعنى البلاء مضافة الى الله وجب ان تكون السيئة بمعنى المعصية مضافة الى العبد حتى يزول التناقض * فان قيل

فلم ذا فصل الله بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة وكلتاهما فعل العبد عندكم ٭ قلنا لان الحسنة وان كانت من فعل العبد الا انه انما وصل اليها بتسهيله والطافه فصحت الاضافة اليه واما السيئة التي هي من فعل العبد فهي غير مضافة الى الله تعالى لا بانه تعالى فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه رغب فيها فلا جرم انقطعت اضافة هذه السيئة اليه تعالى من جميع الوجوه ثم قال هذا منتهى كلام الرجل في هذا الموضع ولما حمل المصنف الحسنة والسيئة على النعمة والبلية وهما ليستا من افعال العباد ثبت انه لا حجة في الآيتين لنا ولا للمعتزلة ﴿قوله حال قصد بها التأكيد﴾ يعني ان قوله رسولا حال مؤكدة والحال المؤكدة كما تجيء بعد الجملة الاسمية تجيء بعد الفعلية ايضا كقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين وقوله ثم وليتم مدبرين وقولهم جيء جائيا وقم قائما الا ان كونه حالا مؤكدة موقوف على ان يجعل اللام متعلقا بارسلنا واما ان جعل متعلقا برسولا قدم عليه للاختصاص فالمقصود من الحال حينئذ تعميم رسالته لكافة الناس لان تعريف الناس للاستغراق واشار اليه بقوله اي رسولا للناس جميعا بتقديم متعلق الجار عليه ويجوز ان يكون انتصاب رسولا على انه مصدر مؤكد بمعنى ارسال ومن مجيء رسول مصدرا قوله

٭ لقد كذب الواشون مافهت عندهم ٭ بشر ولا ارسلتهم برسول ٭

اي بارسال بمعنى رسالة وعلى التقادير فالمقصود من الجملة تقرير الحكم السابق وتحقيقه لان معناها ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت وما قصرت ﴿قوله وهو حال من الكاف﴾ يعني ان قوله حفيظا حال من كاف ارسلناك وعليهم متعلق بحفيظا ﴿قوله اي امرنا طاعة﴾ على ان يكون طاعة مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله او منا طاعة﴾ على ان يكون طاعة مبتدأ حذف خبره وعلى التقديرين فهي جملة اسمية وكان اصلها اطعناك طاعة كما يقول المطيع المنقاد سمعا وطاعة ﴿قوله اي زورت﴾ زور الكلام تحسينه وتزيينه وتمويهه وقوله خلاف ما قلت لها وما قالت لك اشارة الى ان الضمير في تقول يحتمل ان يكون ضمير خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام اي غير الذي تقول يا محمد وان يكون ضمير غيبة للطائفة اي تقول هي وعلى كلا التقديرين العائد الى الموصول محذوف قال الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتأملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول واشتقاقه اما من البيتوتة او من البيت سمي الفكر المستقصي مبيتا على اشتقاقه من البيتوتة لان اصلح الاوقات للتفكر ان يجلس الانسان في بيته بالليل اذ هنالك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلما كان غالب الافكار التي يستقصي فيه الانسان واقعا في الليل سمي الفكر المستقصى مبيتا واما تسميته مبيتا على اشتقاقه من البيت فللتشبيه به من حيث انه يسوى ويدبر فان بناء فعل قد يكون للنسبة نحو بدعه اي نسبه الى البدعة وفي التشبيه معنى نسبة المشبه الى المشبه به ﴿قوله او تجاف عنهم﴾ اي لا تهتك سترهم ولا تفضحهم ولا تذكرهم باسمائهم وما امر الله بستر امر المنافقين الا ليستقيم امر الاسلام ﴿قوله يكفيك معرتهم﴾ اي مضرتهم وشدتهم يقال عره اي اساءه ثم انه تعالى لما حكى عن المنافقين ما يتفرع على عدم اعتقادهم لصحة النبوة وصدقه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة امرهم بتدبير ما يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة فان قوله تعالى أفلا يتدبرون استفهام بمعنى الامر كقوله أفلا يتوبون الى الله ثم ان العلماء قالوا القرآن يدل على صدقه عليه الصلاة والسلام من ثلاثة اوجه احدها اطراد ألفاظه في الفصاحة وثانيها اشتماله على الاخبار عن الغيوب والثالث سلامته من الاختلاف وذكروا في سبب سلامته منه ثلاثة اوجه الاول قال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من المكر والكيد والله تعالى كان يطلع الرسول عليه الصلاة والسلام على تلك الاحوال حالا فحالا ويخبره عنها على سبيل التفصيل وما كانوا يجدون في كل ذلك الا الصدق والمطابقة لما كانوا عليه فاطراد صدقه عليه الصلاة والسلام وعدم وجود الاختلاف فيه دليل على انه كلام الله تعالى انزله على رسوله وانه صادق في دعوى الرسالة والثاني هو الذي ذهب اليه اكثر المتكلمين من ان القرآن كتاب كبير مشتمل على انواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله تعالى لوجد فيه انواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك من ذلك ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا انه ليس من عند غير الله ٭ فان قيل أليس قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة كالمناقض لقوله لا تدركه الابصار وآيات الجبر كالمناقضة لآيات القدر وقوله فوربك لنسألنهم اجمعين كالمناقض لقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله فاذا هي

{ وأرسلناك للناس رسولا } حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام { وكفى بالله شهيدا } على رسالتك بنصب المعجزات { من يطع الرسول فقد اطاع الله } لانه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت { ومن تولى } عن طاعته { فما ارسلناك عليهم حفيظا } تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف { ويقولون } اذا امرتهم بامر { طاعة } اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات { فاذا برزوا من عندك } خرجوا { بيت طائفة منهم غير الذي تقول } اي زورت خلاف ما قلت لها وما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج { والله يكتب ما يبيتون } يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم { فاعرض عنهم } قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم { وتوكل على الله } في الامور كلها سيما في شأنهم { وكفى بالله وكيلا } يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم { افلا يتدبرون القرآن } يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء { ولو كان من عند غير الله } اي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار { لوجدوا فيه اختلافا كثيرا } من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية

(واذا جاءهم امر من الامن او الخوف) مما يوجب الامن او الخوف (اذاعوا به) افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث (ولو ردوه) ولو ردوا ذلك الخبر (الى الرسول والى اولي الامر منهم) الى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء (لعلمه) على اي وجه يذكره (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدابيره بتجاربهم وافكارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع اولا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بارسال الرسول وانزال الكتاب (لاتبعتم الشيطان) بالكفر والضلال (الا قليلا) الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور (فقاتل في سبيل الله) ان تثبطوا وتركوك وحدك (لا تكلف الا نفسك) الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله (وحرض المؤمنين) على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) يعني قريشا وقد فعل بان ألقى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا (والله اشد بأسا) من قريش (واشد تنكيلا) تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه

ثم بان مبين كالمناقض لقوله كأنها جان * قلنا لا مناقضة بين شيء منها عند المتدبرين والوجه الثالث في ان القرآن سالم من الاختلاف كما ذكره ابو مسلم الاصفهاني من ان المراد منه الاختلاف في مرتبة الفصاحة فان من تتبع ألفاظ القرآن من اوله الى آخره لا يجد فيه لفظا ركيكا بل يجد امر الفصاحة فيه على نهج واحد ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا لا بد ان يوجد التفاوت في كلامه ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا انه معجز من عند الله ﴿قوله للتنبيه على ان اختلاف ماسبق من الاحكام﴾ اي احكام الآيات الناسخة والمنسوخة ليس لتناقض في الحكم لان كل حكم مختص بزمان غير زمان الحكم الآخر اقتضت الحكمة والمصلحة ذلك الحكم في ذلك الزمان لاختلاف الاحوال بحسب اختلاف الازمنة وذلك كالطبيب اذا عالج في زمان بعلاج ثم خالف ذلك العلاج في زمان آخر الى علاج آخر لاختلاف احوال المريض في الزمانين لا يكون ذلك مناقضة من الطبيب في العلاج وانما يكون مناقضة اذا اختلف علاجه مع اتحاد حال المريض وزمانه ﴿قوله اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ﴾ فسر مجيء الامر اليهم اولا ببلوغ خبر السرايا اليهم وانهم قد غلبوا وفسره ثانيا باطلاعهم على ما بالرسول من الامن او الخوف من قبل الاعداء بان اوحي اليه ذلك ثم فسره ثالثا بسماع اراجيف المنافقين حيث قال وقيل كانوا يسمعون الخ وفسر رد الخبر الذي وصل اليهم من احوال السرايا او الخبر الذي اخبر عليه الصلاة والسلام به بترك التعرض له وجعله بمنزلة غير المسموع وتفويض امره الى رأي الرسول ورأي كبار اصحابه او رأي امراء السرايا او كبار اصحابه او لوا الامر على معنى انهم البصراء بالامور وان لم يكن لهم امر على الناس والامراء او اولو الامر على الناس مع كونهم بصراء بالامور وفسر علم المستنبطين منهم وهم الرسول واولوا الامر بمعرفتهم على اي وجه يذكرونه بسبب كونهم اهل التجربة واصحاب الانظار الصحيحة ومن في قوله يستنبطونه منهم اما تبعيضية واما بيانية تجريدية وفسر رد المسموع من اراجيف المنافقين الى الرسول والى اولي الامر بتركه موقوفا الى السماع منهم والتعرف بانه هل هو مما يذاع اولا وفسر علم الضعفاء الذين يستنبطون علمه من الرسول واولي الامر بمعرفة ما ينبغي في ذلك الامر من الاذاعة وعدمها ومن على هذا ابتدائية فظهر من هذا التقرير ان الذين يستنبطون على الوجهين الاولين المذكورين قبل قوله وقيل هم الرسول واولوا الامر وعلى الوجه المذكور بقوله وقيل هم ضعفة المسلمين * قال الامام الاستنباط في اللغة الاستخراج يقال استنبط الفقيه اذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه واصله من النبط وهو الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر يقال انبط الحافر اذا بلغ الماء وسمي القوم الذين ينزلون بالبطائح بين العراقين نبطا لاستنباطهم الماء من الارض ﴿قوله بارسال الرسول وانزال الكتاب الخ﴾ فسر فضل الله ورحمته بالارسال والانزال لانه لو حمل على اطلاقه يلزم وقوع القليل من الايمان وعدم اتباع الشيطان لا بفضل الله ورحمته لان لولا لانتفاء الشيء لوجود غيره فهو يدل على ان اتباع الشيطان منتف لوجود فضل الله تعالى فاذا استثنى منه القليل من عدم الاتباع يكون ذلك القليل واقعا لا بفضل الله ورحمته ومعلوم انه ليس كذلك ولما فسره بما ذكر كان اللازم ان يكون القليل من اتباع الشيطان منتفيا لا بارسال الرسول وانزال الكتاب وهو كذلك فان من خصه تعالى بعقل راجح وقلب غير منكدر بالانهماك في اتباع الشهوات لا يتبع الشيطان ولا يكفر بالله وان فرض عدم انزال القرآن وبعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو وورقة بن نوفل وغيرهما ممن كان على دين المسيح قبل بعثته عليه الصلاة والسلام ﴿قوله او الا اتباعا قليلا﴾ اشار اولا بقوله الا قليلا منكم الى ان الا قليلا مستثنى من فاعل اتبعتم وان المعنى لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم فانه لا يتبع الشيطان على تقدير عدم الارسال والانزال واشار ههنا الى انه يحتمل ان يكون مستثنى من المصدر المدلول عليه بقوله لاتبعتم والمعنى لوقع منكم يا جماعة بني آدم جميع افراد الاتباع الا قليلا منه لا يشمل كاتباع اصحاب العقول الراجحة ونقل الامام عن ابي مسلم انه قال المراد بفضل الله ورحمته في هذه الآية هو نصرته عليه الصلاة والسلام ومعونته والمعنى انه لولا حصول النصرة والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا القليل منكم وهم اهل البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم المتمكنة من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كون الدين حقا حصول الدولة في الدنيا او لا تواتر الفتح والظفر يدل على كونه حقا ولا تواتر الانهزام يدل على كونه باطلا لكن مدار الامر في كونه حقا وباطلا على الدليل ثم قال وهذا احسن الوجوه واقربها الى التحقيق ﴿قوله ان تثبطوا وتركوك وحدك﴾ اشار الى ان الفاء في قوله تعالى فقاتل جزائية والجملة جواب شرط مقدر

(ويحتمل)

ويحتمل ان تكون عاطفة لهذه الجملة على جملة قوله فليقاتل في سبيل الله للامر بالجهاد في الآيات المتقدمة ورغب فيه وذكر قلة رغبة المنافقين في الجهاد عاد الى الامر بالجهاد فامر نبيه عليه الصلاة والسلام ان يتقدم الى الجهاد بنفسه وان لم يوافقه احد وقوله لاتكلف الانفسك اما حال من فاعل فقاتل اى فقاتل غير مكلف الانفسك وحدها واما مستأنف اخبر تعالى اياه انه لايكلف غير نفسه وتكلف بناء الخطاب ورفع الفعل مبنيا للمفعول ونفسك منصوب على انه المفعول الثاني وقرأ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لاتكلف بضم التاء وفتح اللام والجزم على انه نهى فحينئذ تكون الجملة مستأنفة ولايجوز ان تكون حالا والمعنى لاتدع جهاد العدو ولو وحدك فان الله تعالى وعدك النصر روى انه عليه الصلاة والسلام واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكره بعضهم فانزل الله تعالى فقاتل في سبيل الله الآية فخرج عليه الصلاة والسلام في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال ووجه اتصال قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة الآية بماقبلها ان النبي عليه الصلاة والسلام لما حرض المؤمنين على القتال وكان ربما لايجد بعضهم اهبة فيشفع له غيره الى من يعينه عليه او ربما يشفع بعض المنافقين لواحد له اهبة في التخلف عنه فتلك شفاعة حسنة وهذه سيئة والشفاعة والشفعة مأخوذتان من الشفع خلاف الوتر والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة وصاحب الشفعة يجعل ملك نفسه شفعا بملك المشترى وصاحب الشفاعة يجعل نفسه شفعا بصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها والكفل الحظ والنصيب قاله ابو عبيدة والفرآء وجميع اهل اللغة فان قلت لم قال في الحسنة نصيب وفي السيئة كفل اجيب بان النصيب يقال فيما يقل ويكثر والكفل لايقال الا في المثل فاشير باختيار لفظ الكفل في جانب السيئة الى ماقال من جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها واليه اشار المصنف بقوله مساو لها في القدر ﴿ قوله وكنت على اسائه مقيتا ﴾ اى مقتدرا لان معنى الحفظ غير ملائم ههنا ﴿ قوله فقال وعليك ﴾ اى وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فتكون من رد المثل وقول الرجل تقصتنى اى الفضل الذى حييت به الآخرين فعلى هذا لايتوجه قوله فاين ماقال الله وتلا الآية لان رد المثل عمل بالآية ولو قدر وعليك السلام لم يلائم قوله فرددت عليك مثله الا ان يجعل تقدير الكلام فاين رد الاحسن المذكور في الآية وانتظام الآية بماقبلها والله اعلم انه تعالى لما امر المؤمنين بالجهاد لزمهم المجاوزة الى دار الحرب ومايقاربها فربما يلاقون رجلا يسلم عليهم فلا يلتفتون الى سلامه ويقتلونه وربما ظهر انه كان مسلما فامرهم الله تعالى بان من يسلم عليهم او يكرمهم فانهم يقابلونه بمثل ذلك الاكرام او ازيد فان كان كافرا لم يضر المسلم مقابلة ذلك الكافر بنوع من الاكرام وان كان مسلما فقتله ففيه اعظم المضار والمفاسد فحاصل الكلام ان السلام تحية اهل الاسلام فمن سلم عليكم فعاملوا معه على حسب مايدل عليه ظاهر حاله وهو الاسلام ولاتقتلوه فهذه الآية من قبيل قوله تعالى في هذه السورة بعد آيات ولاتقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والتحية تفعلة من حيى يحيى تحية والاصل تحيية فادغمت الياء في الياء والعرب تؤثر التفعلة على التفعيل في ذوات الاربع من معتل اللام نحو توصية وتسمية وتصلية بجيم وتزكية وتغطية واصل الجمع على وزن تفعيل بياءين ياء التفعيل وياء لام الفعل فحذفت احدى الياءين وعوضت عنها تاء التأنيث والتحية مأخوذة من الحياة يقال حياه اذا دعا له بالحياة ودوامها ثم جعل دعاء تحية لان الدعاء بالخير لايخلو شئ منه عن الدعاء بنفس الحياة او بما هو السبب المؤدى الى قوتها وكمالها او بما هو الغاية المطلوبة منها ثم خص في عرف الشرع بدعاء مخصوص وهو الدعاء بالسلامة من الآفات فاذا قال الانسان لغيره السلام عليك فقد دعا في حقه بالسلامة منها وتضمن الوعد بسلامة ذلك الغير وامانه منه كأنه قال انت سليم مني فاجعلني سليما منك فلهذا كانت العرب اذا سلم بعضهم على بعض فان ردوا عليهم السلام امنوا من شرهم وان لم يردوا عليهم السلام لم يأمنوا شرهم وكانت تحية العرب قبل الاسلام حياك الله اى اطال حياتك ويقول بعضهم الف سنة وقيل تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية العرب قولهم حياك الله وتحية المسلمين ان يقولوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه اشرف واتم من ان يقال حياك الله لان الحي اذا كان سليما كان حيا لامحالة وليس اذا كان حيا كان سليما وقدم السلام على الرحمة لتقدم السلامة من الآفات على المنافع والبركات فقول المصلى التحيات لله معناه السلامة من الآفات لله تعالى وحده لما مر من ان التحية جعلت اسما للسلامة في عرف الشرع ومنتهى الامر في السلام ان يقال السلام عليكم ورحمة وبركاته لكونه مستجمعا للمطالب بامرها ولهذا اقتصر على هذا القدر في التشهد

﴿من يشفع شفاعة حسنة﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك ﴿يكن له نصيب منها﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ﴿ومن يشفع شفاعة سيئة﴾ يريد بها محرما ﴿يكن له كفل منها﴾ نصيب من وزرها مساو لها في القدر ﴿وكان الله على كل شئ مقيتا﴾ مقتدرا من اقات على الشئ اذا قدر قال

وذى ضغن كففت النفس عنه * وكنت على اسائته مقيتا * او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه ﴿واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها﴾ الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فأين ماقال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها

قوله ومنه اى ولاجل كون قوله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تمام التحية والسلام مستجمعا لاقسام المطالب قيل كذا وجعل القول المذكورة تمام السلام وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال * من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة * وقوله تعالى او ردّها اى ردّوا امثالها لان ردّ عينها محال فحذف المضاف نحو واسأل القرية والمبتدئ بالسلام ان شاء يقول السلام عليكم وان شاء يقول سلام عليكم لان كل واحد من التعريف والتنكير ورد فى ألفاظ القرآن قال الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى وسلام على عباده الذين اصطفى لكن التنكير اكثر والكل جائز واما التحليل من الصلاة فلا بدّ فيه من الالف واللام بالاتفاق وقال عليه الصلاة والسلام * السنة ان يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر والقائم على القاعد * والسنة الجهر بالسلام لقوله عليه السلام * افشوا السلام * وعن ابى حنيفة لا يجهر بالردّ يعنى الجهر الكثير وعن النبى عليه الصلاة والسلام * اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم * اى وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهودى بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبى انه قال لنصرانى سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال أليس فى رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعى وعن ابى حنيفة لا تبدأه بسلام فى كتاب ولا غيره وعن ابى يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه فى دنياه كل ذلك من الكشاف وقال ابو يوسف من قال لآخر أقرئ فلانا منى السلام وجب عليه ان يفعل والسنة اذا التقى الرجلان المبادرة بالسلام وان يقول السلام عليكم ويقصد بلفظ الجمع ذلك الرجل والملكين فالهما يردّان السلام ومن سلم عليه الملك فقد سلم من عذاب الله **قوله وهذا الوجوب** اشارة الى ان قوله تعالى فحيوا باحسن منها او ردّوها يدل على وجوب الجواب يعنى ان الردّ على الوجه المذكور فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى للكل ان يجيبوا ثم ان الردّ على الفور واجب فان أخره حتى انقضى الوقت واجاب بعد فوات الوقت كان ابتداء سلام لا جوابا واذا ورد سلام فى كتاب فجوابه واجب بالكتاب للآية **قوله فلا يردّ فى الخطبة** لان الردّ فى تلك الحال يخل بالاستماع الواجب ولا فى حال تلاوة القرآن لان تالى كتاب الله تعالى متوجه اليه مصغى الى كلامه بالتدبر والحضور وردّ السلام يخل بهذا المطلوب وكذا حال رواية الحديث وحال الاذان والاقامة ومن دخل الحمام ورأى الناس متزرين يسلم عليهم وان لم يكونوا متزرين لا يسلم عليهم لانه لا يسلم على المشتغل بمعصية ولا على لاعب النرد ومطير الحمام والمغنى قال القرطبى لا يسلم على النساء الشابات الاجانب خوف الفتنة من مكالمتهن بنزغة شيطان او خائنة اعين واما السلام على المحارم والعجائز فحسن **قوله ثم استعمل للحكم** اشارة الى ما قيل التحية الملك وقول المصلى التحيات لله معناه ان الالفاظ التى تدل على الملك ويكنى بها عنه لله والحكم والملك بمعنى فقولهم حياك الله معناه ملكك الله وجعلك صاحب حكم ونفاذ قول **قوله او يجب الثواب** عطف على المقول الاوّل وهو ان المراد بالتحية العطية والمتهب من يقبل الهبة والاتهاب قبول الهبة والمراد بالمتهب ههنا الموهوب له سواء قبل الهبة اولا **قوله يحاسبكم** اى يجازيكم على ان الحسيب بمعنى المحاسب على العمل كالاكيل والشريب والجليس بمعنى المؤاكل والمشارب والمجالس اى انه تعالى كان على كل شئ من ردّ السلام بمثله او باحسن منه محاسبا مجازيا وقيل الحسيب بمعنى الكافى وقيل بمعنى الحفيظ **قوله اى الله والله** اشارة الى ان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وكل لام بعدها نون مشددة فهى لام القسم وعلى تقدير كون الله لا اله الا هو جملة اسمية يكون القسم المقدر مع جوابه اما فى محل الرفع على انه خبر ثان لقوله الله او هى جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة فى الصحاح حشرت الناس احشرهم بالضم والكسر حشرا اذا جمعتهم ولا شك ان معنى الجمع فى ليجمعنكم أظهر منه فى ليحشرنكم فيكون تفسيره به تفسيرا بالاخفى بحسب الظاهر الا ان مقصود المصنف بيان جواز ان تكون كلمة الى فى قوله الى يوم القيامة لانتهاء الغاية كما هو اصل معناها وذلك بان يجعل الجمع فى حكم الحشر والحشر يعدّى بالى كما فى قوله تعالى الى ربهم يحشرون بخلاف الجمع فانه لا يعدّى بالى الا بتأويل والفرق بين الجمع والحشر ان الحشر جمع فيه معنى السوق والاضطرار

ومنه قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يردّ فى الخطبة وقرآءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية واو يجب الثواب او الردّ على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه (ان الله كان على كل شئ حسيبا) يحاسبكم على التحية وغيرها (الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة

كما تقول حشرت القوم الى موضع كذا وهذا المعنى غير ملحوظ فى الجمع فلذلك عدّى احدهما بالى دون الآخر والمراد بالجمع المذكور ههنا الجمع الذى فيه معنى السوق والاضطرار فعدّى تعديتهما كأنه قيل ليسوقنكم وليضطرنكم الى يوم القيامة والحاصل ان الجمع لتضمنه معنى الحشر عدّى هو ايضا بالى ﴿قوله او مفضين اليه﴾ اشارة الى ان كلمة الى على بابها ايضا والى انه عدّى الجمع بها بناء على تضمنه معنى الافضاء اى ليجمعنكم مفضين الى حساب يوم القيامة ﴿قوله اوفى يوم القيامة﴾ على ان يكون الى بمعنى فى والقيامة بمعنى القيام كالطلابة والطلاب قالوا دخلت التاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة لشدة ما يقع فيه من الهول وسمى بذلك لقيام الناس فيه للحساب وقيل لقيام الناس من قبورهم ولا ريب فيه فى محل النصب اما على انه حال من يوم وضمير فيه حينئذ يرجع اليه او على انه صفة مصدر محذوف دل عليه ليجمعنكم اى جمعا لا ريب فيه وضمير فيه حينئذ يرجع اليه ﴿قوله فما لكم تفرقتم فى امر المنافقين فئتين﴾ يعنى ان ما لكم مبتدأ وخبر وفئتين حال من الضمير المجرور فى لكم والعامل فيها الاستقرار الذى تعلق به لكم وفى المنافقين متعلق بمعنى فئتين فانه فى قوة قولك تفترقون فى امر المنافقين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى اى شئ كائن لكم او مستقر لكم تفرقتم فى امر المنافقين فرقتين او ما لكم مختلفين فى امرهم ﴿قوله لاجتواء المدينة﴾ اى لكراهة هوائها يقال اجتويت البلد اى كرهت الاقامة به لعدم كون هوائه موافقا لى وقوله تعالى والله اركسهم جملة اسمية منصوبة المحل على انها حال من المنافقين اى والحال انه تعالى ردّهم الى الكفر واحكامه من الذل والصغار والسبى والقتل والاركاس الردّ والرجع ومنه الركس للرجيع قال عليه الصلاة والسلام فى الروثة «انها ركس» قال امية بن ابى الصلت فاركسوا فى جحيم النار لانهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزور اى ردّوا يقال ركست الشئ واركسته لغتان اذا رددته وقلبت آخره على اوّله وقال الزجاج تأويل اركسهم نكسهم وردّهم الى حكم الكفار بما كسبوا اى بما اظهروا من الارتداد وقال الراغب الركس والنكس قلب الشئ على رأسه او ردّ اوّله على آخره والمركوس المنكوس ﴿قوله تمنوا ان تكفروا ككفرهم﴾ اشارة الى ان لو فى الآية مصدرية كلمة ما فى قوله كما كفروا فتكون لو وما بعدها فى تأويل المصدر المنصوب على انه مفعول ودّوا فلا جواب والتقدير ودّوا كفركم الكائن مثل كفرهم وقوله تعالى سواء خبر تكونون ولم يجمع لانه فى الاصل مصدر واقع موقع اسم الفاعل بمعنى مستوين وقوله فتكونون سواء عطف على تكفرون والتقدير ودّوا كفركم وكونكم مستوين معهم فى الضلال ﴿قوله ولو نصب على جواب التمنى جاز﴾ قيل عليه الفعل انما ينصب على جواب التمنى اذا كان معنى التمنى مستفادا من الحرف نحو ليت ولم يسمع من العرب النصب فى جواب التمنى المفهوم من لفظ الفعل والتمنى ههنا مفهوم من فعل الودادة فلا ينصب المضارع فى جوابه والجواب عنه ان المصنف لم يرد بالتمنى ما هو المفهوم من فعل الودادة بل المراد به ما هو المفهوم من لفظ لو المشعرة بالتمنى وقد جاء النصب فى جوابها كما فى قوله تعالى لو ان لنا كرة فنكون ﴿قوله فلا توالوهم حتى يؤمنوا﴾ المصرّح به فى نظم الآية ان تكون الهجرة غاية للنهى عن موالاة الكفار الا ان الهجرة فى سبيل الله لما لم تتحقق بدون الايمان جعله المصنف غاية للنهى وجعل المهاجرة من دلائل الايمان وعلاماته ولا عبرة لمجرد الهجرة بدون الايمان ثم ان المحققين قالوا الهجرة فى سبيل الله عبارة عن الهجرة عن ترك منهياته وفعل مأموراته والآية عامة فى الهجرة عن الكل وقيد الهجرة بكونها فى سبيل الله لانها ربما كانت لغرض من اغراض الدنيا فلا تكون معتبرة والهجرة انواع منها الهجرة الى المدينة لنصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى اظهار دينه ونشر شرائعه وفى الغزوات وكانت هذه الهجرة واجبة فى اوّل الاسلام الى ان فتحت مكة حتى قال عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» اى لكن الباقى من الهجرة عن الاوطان مجاهدة الكفار ونصرة الدين صابرا محتسبا من غير ان يشوب هجرته بشئ من اغراض الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام «المهاجر من هاجر ما نهى الله عنه» وهاتان الهجرتان اعنى الهجرة للجهاد والهجرة عن المحرّمات ثابتتان الآن والهجرة المذكورة فى الآية ان اراد بها الهجرة الى المدينة يكون مدلول الآية ان الكفار لا يكون بيننا وبينهم موالاة وان اسلموا الا بعد ان يهاجروا كما قال ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وقال عليه الصلاة والسلام «انا برئ من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين» وهذا الحكم قد نسخ بعد فتح مكة وانما كان ثابتا حين كانت الهجرة واجبة مفروضة وان اريد بها الهجرة لاجل الجهاد والهجرة عن المحرّمات يكون مدلول الآية الانتهاء عن موالاة الفسقة والعصاة والهجرة عنهم ومن

او مفضين اليه او فى يوم القيامة ولانه لا اله الا هو اعترض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب (لا ريب فيه) فى اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر (ومن اصدق من الله حديثا) انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال (فما لكم فى المنافقين) فما لكم تفرقتم فى امر المنافقين (فئتين) اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم متفرقين فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين (والله اركسهم بما كسبوا) ردّهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس ردّ الشئ مقلوبا (أتريدون ان تهدوا من اضل الله) ان تجعلوه من المهتدين (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الهدى (ودّوا لو تكفرون كما كفروا) تمنوا ان تكفروا ككفرهم (فتكونون سواء) فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله) فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هى لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه

راسا ولاتقبلوا منهم ولاية ولانصرة (الا الذين يصلون الى قوم بينكم و بينهم ميثاق) استثناء من قوله فخذوهم و اقتلوهم اى الا الذين يصلون و ينتهون الى قوم عاهدوكم و يفارقون محاربتكم و القوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة و السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لايعينه ولايعين عليه و من لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو ابكر بن زيد مناة (او جاؤكم) عطف على الصلة اى و الذين جاؤكم كافين عن قتالكم و قتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او أتى الرسول و كف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكأنه قال الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم و عليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف (حصرت صدورهم) حال باضمار قد و يدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم و حصرات صدورهم او بيان جاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق و الانقباض (ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم) اى عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم (و لو شاء الله لسلطهم عليكم) بان قوى قلوبهم و بسط صدورهم و ازال الرعب عنهم (فلقاتلوكم) و لم يكفوا عنكم (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (و القوا اليكم السلم) الاستسلام و الانقياد (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم و يأمنوا قومهم) هم اسد وغطفان وقيل بنوا عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا (كلما ردوا الى الفتنة) دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين (اركسوا فيها) عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب (فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم) وينبذوا اليكم العهد (ويكفوا ايديهم) عن قتالكم (فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لايوجب نفى التعرض (و اولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم و وضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم (و ما كان لمؤمن) و ما صح لمؤمن وليس من شأنه (ان يقتل مؤمنا) بغير حق (الا خطأ) فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لايقتله فى شئ من الاحوال الا حال الخطأ او لايقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لايضامه القصد الى الفعل او الشخص او ما لا (اما) يقصد به زهوق الروح غالبا او ما لايقصد به محظور كرمى المسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش ابن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله (و من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة) اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشئ ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمى به لان الكرم فى الاحرار و اللؤم فى العبيد والرقبة عبر بها

مصاحبتهم و المكالمة معهم ان جمعوا عناهم عليه تأديبا لهم كما فعله عليه الصلاة و السلام مع كعب و صاحبيه ﴿قوله اى جانبوهم راسا﴾ المجانبة الكلية مستفادة من تكرير النهى عن الاتخاذ وتنكير المعمول و زيادة ولانصيرا ﴿قوله عطف على الصلة الى قوله او على صفة قوم﴾ اعلم ان قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم جملة فعلية و قد تقدمها جملتان احداهما صفة لقوم و هى قوله بينكم وبينهم ميثاق و الاخرى صلة و هى قوله يصلون الى قوم فتلك الجملة يجوز ان تكون معطوفة على الصلة وان تكون معطوفة على الصفة فلو عطفت على الصفة يكون معنى الاستثناء الا الذين يصلون الى المعاهدين و الا الذين يصلون الى تاركى القتال وان عطفت على الصلة يكون المعنى الا الذين يصلون الى المعاهدين و الا الذين لايقاتلون والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فانه تقرر ان احد سببى حرمة الاخذ و القتل هو الكف عن القتال حيث جعل الكف عن القتال شرطا و جعل قوله فما جعل الله لكم عليهم سبيلا جزاءله والجزاء مسبب عن الشرط فيكون الكف من القتال سببا لعدم التعرض لهم ولما ناسب لهذا المعنى ان يجعل قوله او جاؤكم معطوفا على الصلة لان هذه الجملة على تقدير كونها معطوفة على الصلة يكون احد السببين الاتصال بالمعاهدين و السبب الآخر الكف من القتال بخلاف ما اذا جعلت تلك الجملة معطوفة على الصفة فان احد السببين حينئذ يكون الاتصال بالمعاهدين و السبب الآخر الاتصال بالكافين لانفس الكف عن القتال فينبغى ان تكون معطوفة على الصلة ليكون قوله فان اعتزلوكم الخ تقريرا لكون الكف عن القتال سببا لترك التعرض لهم ﴿قوله وقرئ بغير العاطف﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا او جاؤكم باثبات كلمة او وقرئ جاؤكم بغير العاطف اتباعا لمصحف ابى فيكون بيانا ليصلون او صفة لقوم بعد صفة او استئنافا و ذكر فى الكشاف وجها رابعا وهو ان يكون جاؤكم بدلا من يصلون ولم يتعرض له المصنف لان الثانى ليس عين الاول ولا بعضه ولا مشتملا عليه ﴿قوله وقيل صفة محذوف﴾ اى قيل حصرت صفة حال محذوفة و تقديره او جاؤكم قوما حصرت صدورهم او رجالا حصرت صدورهم فتكون الجملة فى محل النصب على انها صفة لموصوف منصوب على انه حال الا انه حذف الموصوف واقيم صفته مقامه ﴿قوله وهم بنو مدلج﴾ وهم كانوا عاهدوا ان لايقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لايقاتلوهم حينئذ فضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذى بينكم ولانه تعالى قذف الرعب فى قلوبهم وضاقت صدورهم عن قتال قومهم لكونهم على دينهم نهى الله تعالى عن قتل هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد المؤمنين لان من انضم الى قوم ذوى عهد فله حكمهم فى حقن الدم ﴿قوله بان قوى قلوبهم﴾ يعنى ان ضيق صدورهم عن قتالكم انما هو بسبب ان قذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لم يقذفه لكنه تعالى من عليكم بذلك ﴿قوله فما اذن لكم فى اخذهم و قتلهم﴾ اى على انقيادهم لكم و عدم تعرضهم قال بعضهم هذه الآية منسوخة بآية القتال و السيف وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين وقال آخرون انها ليست منسوخة و قال اذا حملنا الآية على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة ﴿قوله فانه على عرضته﴾ اى فان المؤمن مجبول على ان يكون عرضة للخطأ و محلا لان يعرض له الخطأ كثيرا وفى الصحاح يقال جعلت فلانا عرضة لكذا اى نصبته له قوله تعالى ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم اى نصبا وقوله فانه على عرضته بعد قوله وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق اشارة الى ان الاستثناء من النفى اثبات وان المثبت انما هو ان يوجد من المؤمن القتل خطأ لا ان يجوز ذلك منه شرعا و مجرد الوقوع لايستلزم الجواز فان قتل المؤمن ابتداء لايجوز فى الشرع اصلا لانه لو جاز فى حال الخطأ لما وجبت الكفارة ولا الدية ولما وجبت التوبة منه باعطاء الكفارة فان اعطاءها توبة لقوله تعالى توبة من الله و للاشارة الى هذا المعنى لم يكتف المصنف بقوله و ما صح له بل عطف عليه قوله و ليس من شأنه تفسيرا للمراد بقوله ماصح فانه لو اكتفى به وقال ما صح ذلك الا حال الخطأ لاوهم كلامه ان القتل حال الخطأ صحيح مشروع بناء على قاعدة ان الاستثناء من النفى اثبات ولما عطف عليه قوله وليس من شأنه ذلك ظهر ان المراد بقوله ماصح له مالاق بحاله ﴿قوله وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع﴾ عطف على قوله ونصبه على الحال الخ فانه فى قوة ان يقال و الاستثناء متصل من اعم عام الاحوال او العلل او المصادر و من حمله على الانقطاع زعم ان حمله على الاتصال يدل على جواز القتل خطأ وان المؤمن ذلك وليس كذلك ﴿قوله لايضامه﴾ اى لاينضم اليه ﴿قوله فعليه﴾ اى فعليه تحرير الخ على ان يكون تحرير مبتدأ خبره محذوف و قوله او فواجبه تحرير على ان يكون خبر مبتدأ محذوف والفاء فى قوله فتحرير فاء جواب الشرط ثم ان القتل على ثلاثة اقسام عند الامام الشافعى عمد و خطأ و شبه عمد

اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاءه الى الموت سواء كان جارحا كالسلاح ونحوه او لم يكن كالمثقل واما الخطأ فضربان احدهما ان يقصد رمي المشرك او الطائر فيصيب مسلما والثاني ان يقتل مسلما بان يظنه مشركا بان كان عليه شيء من شعار الكفار الاول خطأ في الفعل والثاني خطأ في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه ضربا خفيفا لا يقتل غالبا فيموت منه وهذا خطأ في القتل عمد في الضرب ﴿قوله محكوم باسلامها﴾ بان كان احد ابويها مسلما فان كان المراد بالرقبة المؤمنة عند الفقهاء كل رقبة يحكم باسلامها سواء تحققت فيهما فروع الايمان وثمراته بان صلت وصامت ام لم تتحقق وقال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت لان الايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع والكل فائت من الصبي فلا يكون مؤمنا فوجب ان لا يجزي واحتج الفقهاء بان قوله من قتل مؤمنا خطأ يدخل فيه الصغير والكبير فكذا قوله فتحرير رقبة مؤمنة وجب ان يدخل فيه الصغير ﴿قوله يقتسمونها كسائر المواريث﴾ لا فرق بين هذه الدية وبين سائر التركة في انه يقضى منها الدين وتنفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة كما يقسم سائر التركة ﴿قوله وهي على العاقلة﴾ فان ظاهر قوله تعالى فتحرير رقبة يدل على ان تجب الدية على القاتل لانه هو المذكور قبل هذا الايجاب ولان هذه الجناية انما صدرت من القاتل والمعقول ان يجب الضمان على المتلف ولانه قد انعقد الاجماع على ان التحرير انما يجب على الجاني فكذا الدية يجب ان تكون واجبة عليه ايضا ضرورة انهما واجبان بلفظ واحد الا انه عليه الصلاة والسلام بين ان الدية في الخطأ تكون على العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واصل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد ﴿قوله سمى العفو﴾ يعني ان معنى التصدق ههنا العفو لان ذلك اسقاط الحق واسقاط الحق يسمى عفوا ﴿قوله وهو متعلق بعليه﴾ يعني ان قوله الا ان يصدقوا استثناء متصل من العموم المفهوم من اطلاق كلمة عليه المقدرة عند قوله ودية مسلمة لا عند قوله فتحرير رقبة لان تحرير الرقبة حق الله تعالى فلا يسقط بعفو الاولياء واسقاطهم والمعنى فعليه دية في كل حال او مسلمة الى اهله في كل حال الا في حال تصدقهم بها عليه ﴿قوله او زمانه﴾ على ان يكون الا ان يصدقوا في محل النصب على الظرفية بان تكون ان المصدرية مع ما بعدها قائمة مقام الزمان كما يقوم المصدر الصريح وما المصدرية مقامه فيقال آتيك خفوق النجم وصياح الديك اي زمان خفوقه وصياحه ويقال اجلس ما دام زيد جالسا اي زمان جلوسه فكذا يجوز ان يقوم ان وما بعدها مقام ظرف الزمان اورد عليه ان النحاة نصوا على عدم قيام ان وما بعدها مقام الظرف وقالوا ان ذلك مختص بما المصدرية فلا يقال آتيك ان يصيح الديك اي وقت صياحه ﴿قوله او الاهل﴾ يعني ان كونه دية مسلمة يحتمل وجهين الاول ما اشار اليه بقوله او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم والثاني ان يكون حالا من اهله والمعنى الا متصدقين وقوله او الظرف اي او على الظرف عطف على قوله على الحال ﴿قوله او في تضاعيفهم﴾ عطف على قوله من قوم كفار محاربين والفرق بينهما ان المقتول الكائن من الكفار هو منهم من حيث كونه من سكان دارهم بان اسلم في دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم فلا قصاص فيه ولا دية بل فيه الكفارة لا غير وليس المراد بكون المقتول منهم ان يكون ذا نسب منهم لانعقاد الاجماع على ان المسلم الساكن في دار الاسلام وجميع اقاربه كفار اذا قتله مسلم خطأ وجبت الدية في قتله والمقتول الذي يكون في تضاعيف اهل الحرب هو المسلم الذي اتى قومه وهم مشركون واختلط بهم فرماه احد من جيش المسلمين فقتله خطأ بناء على ظن كونه كافرا منهم فعند الامام الشافعي لا يجب القصاص ولا الدية على عاقلته بناء على ان المقتول اسقط حق نفسه باختلاطه باهل الحرب وعندنا تجب الدية على قاتله لان قوله فان كان من قوم عدو لكم لا يتناوله لان ذلك المقتول لا يقال له انه منهم وانما يقال له انه فيهم ﴿قوله فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله﴾ اي يجب على قاتله تحرير رقبة وليس على عاقلة القاتل ولا عليه شيء من الدية لاهل المقتول لوجهين الاول ان اهل المقتول كفار فلا يرثونه والثاني تباين داري القاتل والمقتول وهو من جملة موانع التوارث وايضا لو اوجبنا الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب لاحتاج من يريد غزو دار الحرب الى ان يبحث عن كل واحد هل هو من المسلمين او لا وذلك مما يصعب ويشق فيفضي ذلك الى احتراز الناس عن الغزو فسقطت الدية عن قاتله لانه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى في دار الحرب واما الكفارة فانها حق الله تعالى الواجب على من قتل مؤمنا مواظبا على عبادته وهذا السبب الموجب للكفارة قد تحقق فمن قتل ذلك المسلم فوجب عليه ان يحرر رقبة مؤمنة لان الرقيق لا يمكنه المواظبة على عبادة الله تعالى

(مؤمنة) محكوم باسلامها وان كانت صغيرة (ودية مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله (الا ان يصدقوا) يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) اي ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون

فاذا اعتقه فقد اقامه مقام ذلك المقتول فى المواظبة على العبادات ﴿قوله فحكمه حكم المسلم﴾ اشارة الى ان
المقتول ههنا هو المعاهد لا المسلم بناء على ان المتبادر من كون المقتول من القوم المعاهدين ان يكون معاهدا مثلهم
كائنا على دينهم ومذهبهم وقال بعض المفسرين المراد من المقتول الكائن من اهل الميثاق هو المسلم الكائن من
سكان دارهم الداخل فيما بينهم لان ترتيب نظم التنزيل يدل على انه تعالى ذكر اولا حال المسلم القاتل خطأ ثم ذكر من
قتل المسلم المقتول خطأ من كان من اهل الحرب على معنى ان يكون من سكان دارهم او داخلا فى تضاعيفهم
ثم ذكر القسم الثانى منه وهو من كان من اهل الميثاق والعهد بمعنى كونه من سكان دارهم ويؤيد هذا القول
ان لفظ كان فى قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق لابد ان يسند الى شئ جرى ذكره فيما تقدم والذى جرى
ذكره مما تقدم هو المؤمن المقتول خطأ فوجب حمل اللفظ عليه ثم اشار المصنف بقوله ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
الى صحة كل واحد من الاحتمالين واعتبر انه يكون للمسلم المقتول وارث مسلم ليصح تسليم ديته الى اهله فان ورثة
المقتول المسلم اذا كانوا كفارا لا تسلم ديته اليهم لامتناع التوارث بين المسلمين والكفار وفيه ما عرفت من البحث الذى
ذكرناه وهو انه لا يلزم من عدم كون اقاربه من اهله ان لا يكون له اهل اصلا فان المسلمين بعضهم اولياء بعض ﴿قوله
ولا ما يتوصل به اليها﴾ وهو ما يصلح ان يكون ثمنا لرقبة فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وسائر حوائجه الضرورية
من المسكن ونحوه وايجاب التتابع من صيام الشهرين يدل على ان المكفر بالصوم لو افطر يوما فى خلال الشهرين
او نوى صوما آخر فعليه الاستئناف الا ان يكون الفطر لحيض او نفاس او نحوهما مما لا يمكن الاحتراز عنه فانه
لا ينقطع التتابع به ﴿قوله اى شرع ذلك له توبة﴾ احتيج الى تقدير العامل لان الصيام لا يصلح ان يكون عاملا فيه
لاختلاف شرط من شروط نصب المفعول له لان فاعل الصيام غير فاعل التوبة والمعنى شرع لمن يقتل خطأ ان يتوب
اليه تعالى بالتحرير او بدله ليقبل الله توبته ويجعل ذنبه كأن لم يكن * فان قيل قتل الخطأ لا يكون معصية فما معنى
قوله توبة من الله * اجيب عنه بوجوه الاول ان فيه نوعا من التقصير فان الظاهر انه لو بالغ فى الاحتياط لما صدر عنه
ذلك فقوله توبة من الله على انه كان مقصرا فى ترك الاحتياط والثانى ان معنى قوله تعالى توبة من الله تخفيفا من
الله بطريق اطلاق اسم الملزوم على اللازم فان التخفيف من لوازم التوبة بناء على انه تعالى اذا تاب على المذنب فقد
خفف عنه وقد خفف الله تعالى عن القاتل الذى عجز عن تحرير الرقبة حين اذن له فى اقامة الصوم مقام الاعتاق
والثالث ان المؤمن اذا اتفق له مثل هذا الخطأ فانه يندم ويتمنى ان لا يقع منه ذلك فسمى الله تعالى ذلك الندم وذلك
التمنى توبة ﴿قوله عليما بحاله﴾ اى بانه لم يقصد القتل ولم يتعمد فيه وحكيما فيما حكم به عليه حيث لم يعاقبه
بعقوبة المتعمد قال اهل السنة افعال الله تعالى غير معللة برعاية المصالح ومعنى كونه حكيما كونه تعالى عالما
بعواقب الامور وقالت المعتزلة هذه الآية تبطل هذا القول لانه تعالى عطف الحكيم على العليم فلو كان الحكيم هو
العليم لكان عطفا للشئ على نفسه وهو محال * والجواب ان كل موضع من القرآن ورد فيه لفظ الحكيم معطوفا
على العليم كان المراد من الحكيم كونه محكما فى افعاله والاحكام والاتقان عائدان الى كيفية الفعل ﴿قوله والجمهور
على انه مخصوص بمن لم يتب﴾ اى بمن قتل ظلما وعدوانا فان القتل عمدا اذا وقع بحق كما فى القصاص او تاب عنه
القاتل لا يتعلق به هذا الوعيد وكلمة من فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا وان كانت للعموم والاستغراق
لوقوعها فى معرض الشرط الا ان هذا العموم لما خص بهاتين الصورتين فمن خصصه بما لم يتعلق به عفو الله
تعالى بفضله ورحمته فان دليل العفو قائم وهو قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومقصود المصنف من هذا
الكلام الجواب عن استدلال الوعيدية بهذه الآية على تخليد عصاة المسلمين فى النار ثم ان جمهور العلماء قالوا
توبة من قتل المسلم عمدا بغير حق مقبولة واستدلوا عليه بثلاثة اوجه الوجه الاول ان الكفر اعظم من هذا القتل فاذا
قبلت توبة الكافر فتوبة هذا القاتل اولى بالقبول والوجه الثانى انه تعالى قال فى آخر سورة الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له
العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا واذا كانت توبة الآتى بالقتل العمد مع
سائر الكبائر المذكورة فى هذه الآية مقبولة فلأن تكون توبة الآتى بالقتل العمد وحده مقبولة اولى والوجه
الثالث انه تعالى قال ويغفر ما دون ذلك فانه وعد بالعفو عن كل ما سوى الكفر بدون التوبة فان يعفو عنه بعد
التوبة اولى ﴿قوله وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار﴾ وكان مسلما فاتى رسول الله عليه الصلاة والسلام

(فذكر)

﴿وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ اى
وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل
الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا
او كان له وارث مسلم ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ فعليه او فالواجب
عليه صيام شهرين ﴿توبة﴾ نصب على
المفعول له اى شرع ذلك له توبة من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى
وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف
اى فعليه صيام شهرين ذا توبة ﴿من الله﴾
صفتها ﴿وكان الله عليما﴾ بحاله ﴿حكيما﴾
فيما امر فى شأنه ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما﴾ لما فيه من التهديد
العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما
لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله اراد به
التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور
على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى
وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا
اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة
وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة
وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر
قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل
على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة
على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم

فذكر له ذلك فارسل عليه الصلاة والسلام معه رسولا من بنى فهر وقال له ائت بنى النجار واقرئهم منى السلام وقل لهم ان رسول الله يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى مقيس بن ضبابة فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا فادفعوا اليه ديته فبلغ الفهرى رسالة رسول الله عليه الصلاة والسلام اليهم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله لا نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فأعطوه مائة من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فبينما هما فى الطريق اذ الشيطان وسوس اليه فالقى اليه حمية الجاهلية وقال لنفسه اى شئ صنعته تقبل دية اخيك فتكون عليك مسبة اى عارا اقتل هذا الفهرى الذى معك فتكون نفس بنفس وتبقى الدية فضلة لى فقتل الفهرى ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزآؤه جهنم خالدا فيها بكفره وارتداده عن الاسلام ولما نزلت الآية فى كافر قتل مؤمنا سقط استدلال الوعيدية بها على خلود العصاة فى النار **قوله سافرتم** من قول العرب ضربت فى الارض اذا سرت لتجارة او غزو او نحوهما **قوله فاطلبوا بيان الامر** اشارة الى ان بناء التفعل فى تبين بمعنى استفعل الدال على الطلب مثل تعطى بمعنى استعطى امر المجاهدين بان لا يستعجلوا فى قتل من لقيهم فى الغزو بل يتأملوا ليعلموا حقيقة الحال قيل نزلت الآية فى مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى قومه فلما وصلت السرية اليهم هربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما وصلوا فدك كبروا وكبر مرداس معهم وكان فى سفح جبل ومعه غنمه فنزل اليهم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد وساق غنمه فاخبروا رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه وقال لاسامة قتلته وهو يقول لا اله الا الله فقال انما قالها تعوذا فقال عليه الصلاة والسلام هلا شققت عن قلبه وامره برد الاغنام وتحرير رقبة مؤمنة فنزلت الآية وقوله تعالى تبتغون فى محل النصب على انه حال من فاعل لا تقولوا اى لا تقولوا ذلك مبتغين عرض الدنيا وهو ما يتمتع به فيها من المال نقدا كان او غيره قليلا كان او كثيرا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وتسميته عرضا تنبيه على كونه سريع الفناء قريب الانقضاء وقوله فعند الله مغانم كثيرة تنبيه على ان ثواب الله تعالى موصوف بالدوام والبقاء **قوله فلا تتهافتوا** اى لا تتساقطوا من قولهم تهافت الفراش اى تساقط وفدك اسم قرية بخيبر والعاقول الغار وقال سعيد بن المسيب خرج المقداد بن الاسود فى سرية فمر برجل فى غنيمة له فقال انى مسلم فقتله المقداد واخذ غنيمته فذكر ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام فقال قتلته وهو مسلم فقال له المقداد ود لو فر باهله وماله فنزلت الآية **قوله وفيه دليل على صحة ايمان المكره** اى فيما ذكر من قوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا وفى عدم قبوله عليه الصلاة والسلام عذر المقداد وتوافقهما فى النهى عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له باخذ ماله واهله وقتل نفسه وفيه ايضا دليل على ان المجتهد قد يخطئ لان كل واحد من اسامة والمقداد قد اخطأ وان خطأه قد كان مغتفرا حيث لم يقتص منه **قوله لانه لم يقصد به قوم باعيانهم** جواب عما يقال كيف جاز كونه صفة للقاعدين والقاعدون معرفة وكلمة غير لا تتعرف بالاضافة ولا يجوز اختلاف الصفة والموصوف تعريفا وتنكيرا وتقرير الجواب انه ليس المراد بالقاعدين حصة معينة من جنس المتقاعد عن الحرب بان يكون اللام فيه لتعريف العهد الخارجى ولا جميع افراد ذلك الجنس بان تكون اللام فيه للاستغراق لان بعض القاعدين يساوى المجاهدين فى الاجر والثواب وهم اصحاب الاعذار الذين ما حبسهم عن الغزو الا العذر روى عنه عليه الصلاة والسلام انه لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة قال ان فى المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم حابس العذر وهؤلاء هم الذين صحت نياتهم وتعلقت قلوبهم بالجهاد وانما منعهم عن الجهاد الضرر وكل عاهة من المرض والعمى والزمانة ونحوها ضرر قال عليه الصلاة والسلام اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدى ما كان يعمله فى الصحة الى ان يبرأ وقال المفسرون فى قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان من صار هرما كتب الله له اجر عمله قبل هرمه غير منقوص وقالوا فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام نية المؤمن خير من عمله ان المؤمن ينوى الايمان والعمل الصالح لو عاش ابدا فيحصل له ثواب تلك النية ابدا وشرط مساواة اجر العامل والمتقاعد عنه ما ذكره الله تعالى فى سورة التوبة وهو قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله فثبت ان اللام فى القاعدين ليست للاستغراق ولا للتعريف

(يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله) سافرتم وذهبتم الى الغزو (فتبينوا) فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام) لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا (لست مؤمنا) وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا له الامان (تبتغون عرض الحياة الدنيا) تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت (فعند الله مغانم) لكم (كثيرة) تغنيكم عن قتل امثاله لماله (كذلك كنتم من قبل) اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم (فمن الله عليكم) بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين (فتبينوا) وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فأراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله اسامة وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر (لا يستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه (غير اولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لايستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر (والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم) اى لامساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير مابينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعا لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لمانفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ماخولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ماجعل لهم فى الآخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى ان يفرط منهم (رحيما) بما وعدلهم

الحقيقة ايضا لان نفس الماهية ليست بمأجورة حتى يقال ان ماهية القاعد لاتساوى ماهية المجاهد فتعين ان اللام فيه لتعريف العهد الذهنى والمعرف بهذا التعريف شبيه النكرة فيوصف كما توصف النكرة الاترى ان اللئيم وصف بالجملة الفعلية فى قوله

﴿ ولقد امر على اللئيم يسبنى ﴾ فمضيت ثمة قلت لايعنينى ﴿

ويمكن ان يقال فى الجواب عنه ان غير قد تتعرف اذا وقعت بين ضدين كما فى قولك عليك بالحركة غير السكون وجعله بدلا لايحوج الى مثل هذا التكليف فيكون اظهر من جعله صفة ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال﴾ اى من القاعدون والمعنى لايستوى القاعدون فى حال كونهم اصحاء غير اولى الضرر او الاستثناء من القاعدون والمعنى لايستوى القاعدون الا اولى الضرر ﴿قوله ان ترضها﴾ اى تكسرها ثم سرى عنه اى كشف وازيل عنه ماعرضه من برحاء الوحى وشدته ﴿قوله موضحة لمانفى الاستواء فيه﴾ يحتمل ان يكون بزيادة درجة احدهما على درجة الآخر وبنقصانها فبين الله تعالى بهذه الجملة ان انتفاء استوائهما انما هو بانه تعالى فضل المجاهدين ﴿قوله ووقع موقع المرة﴾ عطف على قوله تضمن يعنى ان درجة لتضمنه معنى التفضيل ووقوعه موقع المرة من التفضيل كان بمنزلة ان يقال فضلهم تفضيلة وفائدة التنكير فيه التفخيم فصح كونه منصوبا على المصدرية ويجوز كونه منصوبا على انه حال من المجاهدين اى حال كونهم ذوى درجة ﴿قوله تعالى وكلا﴾ مفعول اول لوعد مقدم عليه والحسنى مفعوله الثانى ﴿قوله لحسن عقيدتهم﴾ لان المراد من القاعدين هم الذين قعدوا عن الجهاد حال كونهم مؤمنين غير اولى الضرر استغناء عنهم بغيرهم ومن شأن المؤمن ان يحسن عقيدته ويخلص نيته قال الفقهاء وهذا يدل على ان الجهاد فرض كفاية وليس مفروضا على كل احد بعينه لانه تعالى وعد القاعدين عنه الحسنى كما وعد المجاهدين ولو كان الجهاد واجبا على كل احد على التعيين لما كان القاعد اهلا لوعد الله تعالى اياه الحسنى ﴿قوله تقدمت عليها لانها نكرة﴾ فان ذا الحال اذا كان نكرة صرفة وجب تقدم الحال عليه كما فى قوله *لعزة موحشا طلل قديم* فان قيل هذه القاعدة مخصوصة بموضع تكون الحال المتقدمة بحيث لو اخرت عن ذى الحال كانت صفة له فلما تقدمت عليه امتنع كونها صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتنصب حالا منه وقوله تعالى اجرا لو اخر عن درجات لم يجز ان يكون نعتا لها لعدم المطابقة بينهما لان درجات جمع واجرا مفرد قلنا لانسلم ان اجرا لو اخر عن درجات لم يجز كونه صفة لها وماذكر من وجوب المطابقة بين الصفة والموصوف انما هو اذا لم تكن الصفة مصدرا واجرا هنا مصدر والاصح ان يفرد ويذكر مطلقا ﴿قوله كرر تفضيل المجاهدين الخ﴾ بيان لفائدة ذكر قوله وفضل الله بعد قوله فضل الله ومعنى الآية على هذا انه تعالى حكم اولا بعدم الاستواء بين المجاهدين والقاعدين بغير ضرر ولم يعين صريحا ان الفاضل منهما من هو وان مابه التفاضل ماهو فبين ذلك صريحا على سبيل الاستئناف حيث قال فضل الله المجاهدين بدرجة فيلزم ان يكون القاعدون فى هذه الجملة الاستئنافية مقيدين بماقيدوا به سابقا وهو كونهم من المؤمنين غير اولى الضرر ثم كرر الحكم بتفضيلهم على القاعدين بلا ضرر وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا حيث ذكر جهة تفضيلهم اجمالا بقوله اجرا عظيما ثم فصل بقوله درجات منه ومغفرة ورحمة تعظيما لامر الجهاد وترغيبا فيه ﴿قوله وقيل الاول﴾ يعنى ليس الثانى تكرارا للاول بل هو من تتمة الاول من حيث انه بيان مابه التفاضل وايضاحه انما حصل بالمجموع ثم اختلف فى بيان كونه من تتمة الاول فقال بعضهم ان الدرجة ماخولهم الله فى الدنيا والدرجات ماخولهم الله فى العقبى وقال بعضهم كلاهما ماحصل لهم فى العقبى فالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله والدرجات منازلهم فى الجنة روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال *ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله مابين الدرجتين كما بين السماء والارض* وقيل المجاهدون مفضلون على القاعدين بسبعين درجة مابين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا ﴿قوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء﴾ جمع ضرير كالاصحاء جمع صحيح والمجاهدون فضلوا عليهم بدرجة واحدة وفضلوا على من اذن لهم فى التخلف بدرجات وقيل المذكور اولا من المجاهدين هم الذين جاهدوا باموالهم وانفسهم فقط والمذكور ثانيا منهم المجاهدون على الاطلاق يعنى فى عمل الظاهر وهو الجهاد بالنفس والمال وفى عمل القلب بصرفه عن الالتفات الى غير الله والاستغراق فى طاعة الله ولما كانت هذه المجاهدة اعظم انواع الجهاد واشرفه فضل صاحبها على القاعدين بدرجات

(وفضل)

... (ظالمي انفسهم) في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) اى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) اى في اى شئ كنتم من أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين في الارض) اعتذروا عما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة اوعن اظهار الدين واعلاء كلمته (قالوا) اى الملائكة تكذيبا لهم اوتبكيتا (ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فأولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر انّ والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم اى جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوّامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذلا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل (فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل ...

وفضل المجاهدون الاوّلون عليهم بدرجة والله اعلم ﴿قوله يحتمل الماضي﴾ ولم تلحق علامة التأنيث بفعل فان التأنيث غير حقيقي ويدل على كونه فعلا ماضيا قرآءة توفتهم بتاء التأنيث فيكون اخبارا عن احوال قوم معينين انقرضوا ومضوا ويحتمل ان يكون مضارعا حذفت احدى التاءين منه والاصل تتوفاهم وعلى هذا تكون الآية عامة في حق كل من كان بهذه الصفة والظاهر ان لفظ المضارع ههنا على حكاية الحال الماضية وقصد الاستحضار بشهادة كون خبر انّ فعلا ماضيا وهو قالوا والعائد من جملة الخبر الى الاسم محذوف اى قالوا لهم فقوله ظالمي انفسهم بمعنى الحال والاضافة لفظية فصح وقوعه حالا معمولا للمضارع الوارد على حكاية الحال قال جمهور المفسرين المراد بتوفي الملائكة اياهم قبض ارواحهم عند الموت والملك الذي فوّض اليه هذا العمل هو ملك الموت وله اعوان من الملائكة واسناد التوفي الى الله تعالى في قوله الله يتوفى الانفس وفي قوله هو الذي يحييكم ثم يميتكم مبني على ان خالق الموت هو الله تعالى وضمير انفسهم في قوله ان الله يتوفاهم الملائكة انفسهم راجع الى الذين والمرفوع في فيتوفونهم راجع الى الملائكة والمنصوب الى انفسهم وكانوا ظالمي انفسهم باقامتهم في دار الشرك وترك الهجرة عنها حين كانت الهجرة واجبة فانه تعالى لم يكن يقبل الاسلام باقامتهم بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام الى المدينة الا بالهجرة اليها ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة لقوله عليه الصلاة والسلام «لا هجرة بعد الفتح» قال تعالى فيمن آمن وترك الهجرة الذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وروى ان هؤلاء الذين تركوا الهجرة قعدوا بمكة الى وقعة بدر فاخرجهم المشركون في تلك الوقعة مع انفسهم ليقاتلوا المسلمين اما لانهم لم يعلموا باسلامهم او علموا فأكرهوهم على موافقتهم فاخرجوا معهم ورأوا شوكة الكفار وضعف المسلمين ارتابوا فقالوا غرّ هؤلاء دينهم فارتدوا وقاتلوا اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فانزل الله الملائكة مددا للمسلمين فقتلوا هؤلاء القوم بان ضربوا وجوههم وادبارهم وقالوا لهم فيم كنتم اى في اىّ الفريقين كنتم أفي المسلمين ام في المشركين سؤال توبيخ وتقريع فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وقالوا كنا مستضعفين عاجزين في الارض اى ارض مكة فلم تقبل الملائكة منهم هذا العذر بل ردّوه عليهم بقولهم ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى ارض يمكنكم رعاية شرآئع دينكم فيها فاقمتم بين الكفار مع القدرة على مفارقتهم وقوله تعالى ألم تكن استفهام بمعنى التوبيخ وقوله فتهاجروا منصوب على جواب الاستفهام ﴿قوله مستنتجة منها﴾ اى بما قبلها وهي الجملة الدالة على انه لا عذر لهم في ذلك اصلا وكون جهنم مأواهم نتيجة له عطفت عليه عطف جملة على اخرى ﴿قوله مصيرهم اى جهنم﴾ بيان للمخصوص بالذم المحذوف فانه قد يحذف لعلم به وفاعل ساءت مضمر مفسر بالنكرة التي هي مصيرا ﴿قوله لعدم دخولهم في الموصول وضميره﴾ في قوله مأواهم جهنم فان المتوفين ظالمي انفسهم اما كفار او عصاة بتركهم الهجرة مع القدرة عليها وهؤلاء المستضعفون ليسوا بقادرين عليها فلم يدخلوا فيهم فكان الاستثناء منقطعا ﴿قوله وذكر الولدان﴾ اشارة الى جواب ما يقال المستثنى المنقطع وان لم يكن داخلا في المستثنى منه لكن لابدّ ان يتوهم دخوله في حكم المستثنى منه ومن المعلوم انه لا يتوهم دخول الاطفال في الحكم السابق وهو كون مأواهم جهنم فكيف ذكروا في عداد المستثنى * وتقرير الجواب نعم ان الامر كما قلت الا ان الولدان ذكروا في عداد المستثنى للمبالغة في امر التحذير عن ترك الهجرة والولدان جمع وليد وقد يطلق لفظ الولدان على الذكور والاناث تغليبا ﴿قوله اذ لا توقيت فيه﴾ اعتذار عن وصف المعرّف باللام بالجملة التي هي في حكم النكرة بان التعريف فيه ليس للاشارة الى الحصة المعينة ولا الى نفس الحقيقة من حيث هي ولا من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها بل من حيث تحققها في ضمن بعض الافراد فتكون في حكم النكرة ﴿قوله ذكر بكلمة الاطماع﴾ وان كان الاطماع الوارد منه تعالى بمنزلة الايجاب من حيث ان الكريم اذا اطمع انجز المطموع الا ان اللفظ الدال على الاطماع يؤذن بما ذكره ﴿قوله متحولا﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر مراغما بقوله متحولا يتحول اليه وقال الجوهري المراغم المذهب والمهرب ثم نقل عن الفرّآء انه قال المراغم المضطرب والمذهب في الارض والرغام بالفتح التراب يقال ارغم الله انفه اى ألصقه بالرغام والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم والمراغم موضع المراغمة والمفارقة عن القوم على رغم انوفهم ولما كانت الانف من جملة الاعضاء في غاية العزة والتراب في غاية الذلة جعل قولهم رغم انفه كناية عن الذلة وسميت المفارقة عن القوم بغضا لهم بالمراغمة لان من يهاجر قومه يراغمهم لانه يجد في البلد الذي هاجر اليه من النعمة والخير ما يكون سببا لرغم انف اعدائه الذين كانوا معه في

بلدته الاصلية فانه اذا استقام حاله فى تلك البلدة الاجنبية ووصل خبره الى اهل بلدته خجلوا من سوء معاملتهم معه ورغمت انوفهم بذلك ﴿قوله وقرئ يدركه بالرفع﴾ الجمهور على الجزم عطفا على الشرط قبله ومن رفع الفعل قدر مبتدأ اى ثم هو يدركه الموت فعطف جملة اسمية على فعلية قبلها وهى الجملة الشرطية المركبة من الفعل المجزوم وفاعله وقرأ الحسن البصرى بالنصب بناء على اضمار ان بعد ثم كاضمارها بعد الفاء فى قوله

* سأترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا *

وهو خلاف ما اشتهر بين النحاة من ان النصب باضمار ان انما يقع بعد الاحرف الستة وهى حتى ولام كى ولام الجحود والفاء والواو وأو وكلمة ثم ليست من تلك الاحرف كما ان نصب استريحا فى البيت مخالف له ايضا فانهم صرحوا بان النصب بعد الفاء مشروط بشرطين احدهما السببية والثانى ان يكون قبلها امر او نهى او استفهام او نفى او تمن او عرض وليس قبل الفاء فى البيت المذكور واحد من هذه الاشياء الستة وانما نصب الفعل فى البيت بناء على ضرورة الشعر ﴿قوله نزلت فى جندب بن ضمرة﴾ روى انه لما سمع قوله تعالى الا المستضعفين من الرجال الآية قال والله ما انا فمن استثنى الله عز وجل انى لأجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وابعد منها وانى لأهتدى الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة أخرجونى منها الى المدينة فخرج به بنوه يحملونه على سرير وكان شيخا كبيرا لا يستطيع ان يركب الراحلة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت الخ والتنعيم موضع قريب من مكة فلما بلغ خبره اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام قالوا لو أتى المدينة كان اتم اجرا فأنزل الله فيه هذه الآية ومن هذا قالوا المؤمن اذا قصد طاعة ثم اعجزه العذر عن اتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة ﴿قوله بتنصيف ركعاتها﴾ اى ركعات الصلاة التى تكون فى الحضر اربع ركعات فانها تصلى فى السفر ركعتين فالقصر انما يدخل فى صلاة الظهر والعصر والعشاء واما صلاتا المغرب والصبح فلا يدخلهما القصر وهو احتراز عما روى ابن عباس وطاوس من ان المراد بالقصر ادخال التخفيف فى كيفيات اداء الركعات وهو ان يكتفى فى الصلاة بالايماء والاشارة بدل الركوع والسجود وان يجوز المشى حال الصلاة وان تجوز مع تلطخ الثوب بالدم والتخفيف على الوجه المذكور يجوز فى الصلاة التى يؤتى بها حال شدة التحام القتال وتفسير القصر بهذا المعنى ضعيف ذكر وجه ضعفه فى موضعه ﴿قوله ونفى الحرج فيه يدل على جوازه﴾ اشارة الى ما استدل به الامام الشافعى على مذهبه فانه ذهب الى ان القصر رخصة فان شاء المكلف اتم وان شاء اكتفى على القصر وقال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعا ولم يقعد على رأس الركعتين فسدت صلاته لاتصال النافلة بها قبل كمال اركانها وان قعد فى آخر الركعة الثانية قدر التشهد اجزأته الاخريان نافلة ويصير مسيئا بتأخير السلام واستدل الامام الشافعى على ما ذهب اليه بقوله تعالى لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة فان هذا اللفظ لا يستعمل فى ايجاب الشئ بعينه وانما يستعمل فى رفع التكليف به فان هذا اللفظ لا يذهب منه وهم احد الى ان يكون المراد منه اوجبت عليكم القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسدا للصلاة وبانه عليه الصلاة والسلام اتم فى السفر وبقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة احسنت فى كل واحد مما فعلته ومما استدل به ابو حنيفة رحمه الله ما روى عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب ما بال اقتصار الناس الصلاة اليوم وانما قال الله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا بمعنى يقتلكم كما فى قوله تعالى على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم اى يقتلهم وقد ذهب ذلك الخوف اليوم فقال عمر عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله عليه الصلاة والسلام فقال صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته ومعناه فاعتقدوه واعملوا به قال ابو حنيفة المراد بتصدق الله تعالى بالقصر علينا اسقاط الاتمام عن ذمتنا والاسقاط لا يحتاج الى القبول ولا يرتد بالرد خصوصا من الله تعالى فانه مفترض الطاعات ومشرع الاحكام وليس لنا الا التدين بما شرع والعمل بما حكم ﴿قوله وظاهرهما يخالف الآية﴾ لان قصر الصلاة بمعنى تقليل ركعاتها يقتضى ان يكون اول ما فرضت اكثر من ركعتين وهو مخالف لما روى عن عائشة وعمر رضى الله عنهما ﴿قوله والثانى لا ينفى جواز الزيادة﴾ فان قول عائشة رضى الله عنها انما يدل على ان الزيادة على الركعتين ليست بفرض فى حق المسافر وظاهر انه لا ينفى جوازها فى حقه وقال صاحب الكشاف فى رفع مخالفة الآية لقولهما ليس المراد من قصر الصلاة نقص شئ من اركانها المفروضة حتى يكون القول بان اصل الفرض انما هو ركعتان فقط منافيا فيه بل المراد بقصرها الاتيان باصل الفرض على الوجه الذى يظن

(ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله

وألحق بالحجاز فاستريحا (فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله تعالى كثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم أتم فى السفر وان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم ألفوا الاربع فكانت مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم

القوم انه نقص بناء على الفهم باتيان الاربع فالمصنف عدّ هذا الوجه تكلفا مستغنى عنه بما ذكره

قوله واقل سفر تقصر فيه اربعة برد. هو جمع بريد كل بريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جدّ رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذى قدّر اميال البادية كل ميل اثنى عشر الف قدم وهى اربعة آلاف خطوة فان كل ثلاثة اقدام خطوة * واعلم ان السلف اجمعوا على ان اقل السفر مقدّر ويدل عليه اختلاف الروايات فى تقديره فانه روى عن عمر انه قال يقصر فى كل يوم وعن ابن عباس انه قال اذا زاد السفر على يوم وليلة قصر وقال انس بن مالك يقصر فى خمسة فراسخ وقال الحسن يقصر فى مسيرة ليلتين وقال ابو حنيفة يقصر فى مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن الايام للمشى والليالى للاستراحة وروى الحسن بن زياد عن ابى حنيفة اذا سافر الى موضع يكون مسيرة يومين واكثر اليوم الثالث جاز القصر وهكذا روى عن ابى يوسف ومحمد وقال الامام مالك والامام الشافعى اقل سفر يقصر فيه اربعة برد فاختلاف الناس فى تقدير اقل السفر يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير مربوط بمطلق السفر كما زعمه داود واهل الظاهر بناء على انه تعالى علق قوله فلا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة على قوله واذا ضربتم فى الارض والضرب فى الارض عبارة عن مطلق السفر قليلا كان او كثيرا ومتى حصل مطلق السفر وجب ان يترتب عليه الجزاء وهو القصر

قوله عند سيبويه. فانه لا يقول بجواز زيادة من فى الاثبات ويقول انها فى الآيات تبعيضية خلافا للاخفش فانه لا يشترط فى زيادتها نفيا

قوله شرطية الخ. ردّ لما ذهب اليه داود واهل الظاهر من ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واحتجوا عليه بانه تعالى اثبت هذا الحكم مشروطا بالخوف حيث قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم والمشروط بالشئ عدم عند عدم ذلك الشرط فوجب ان لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز دفع هذا الشرط بخبر من اخبار الآحاد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وهو لا يجوز هذا ما قال اهل الظاهر فى الاحتجاج على ما ذهبوا اليه * وتقرير جواب المصنف عنه ان التقييد بالشرط انما يدل على نفى الحكم عند عدمه اذا لم يكن للتقييد فائدة اخرى وقد وقع التقييد بالخوف فى الآية لوقوعه فى اكثر اسفار النبى عليه الصلاة والسلام فان الغالب فى اسفاره عليه الصلاة والسلام ان لا تخلو عن خوف العدوّ ومتى كان للتقييد فائدة اخرى غير نفى الحكم عند عدم القيد لا يكون التقييد دليلا على انتفاء الحكم عند عدم القيد اتفاقا وهذا الجواب مبنى على القول بالمفهوم واما عندنا فالامر ظاهر لان التقييد بالشرط مثلا لا يدل على نفى الحكم عند عدمه بل على مجرّد ثبوته عند ثبوت الشرط فقوله تعالى ان خفتم انما يدل على جواز القصر حال حصول الخوف فالآية ساكتة عن حال الأمن لا تعرض فيها لحال الأمن نفيا او اثباتا فاثبات جواز القصر حال الأمن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وهو غير ممتنع وانما الممتنع اثبات حكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن ونحن لا نقول به

قوله وقد تظاهرت السنن. منها ما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قصر فى السفر من غير خوف ومنها ما قررنا من انه عليه الصلاة والسلام قرّر لعائشة رضى الله عنها ما فعلت من القصر وقال لها احسنت * ومنها قوله عليه الصلاة والسلام لعمر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته *

قوله تعلق بمفهومه من خص الخ. فان ابا يوسف والحسن بن زياد قالا صلاة الخوف خاصة بالرسول عليه الصلاة والسلام ولا تجوز لغيره احتجاجا بقوله تعالى واذا كنت فيهم فانه يدل على ان اقامة الصلاة على الوجه المذكور مشروطة بكونه عليه الصلاة والسلام فيهم لان كلمة اذا تفيد الاشتراط وقوله لفضل الجماعة متعلق بقوله تعلق يعنى انه اعتبر مفهوم الشرط مع انه لا يقول بان التعليق بالشرط يوجب انتفاء الحكم عند عدم الشرط بناء على ان الجماعة المعهودة وهم الذين يصلون خلفه عليه الصلاة والسلام افضل ثوابا بالنسبة الى الجماعة الذين يصلون خلف غيره ذهب الجمهور الى ان صلاة الخوف ثابتة مشروعة فى حق كل الائمة غايته انه تعالى علم رسوله عليه الصلاة والسلام كيفية اداء الصلاة حال الخوف لتقتدى به الائمة الا ترى ان قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم لم يوجب كونه عليه الصلاة والسلام مخصوصا به دون غيره من الائمة بعده فكذا صلاة الخوف روى عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهم ان المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا على ان لا كانوا اكبوا عليهم وقالوا قد كانوا على حال لو كنا اصبنا منهم غرة فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدّوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآيات بين الاولى والعصر فعلمه كيفية اداء صلاة الخوف

واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الأمن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة) تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نوّاب عنه فيكون حضورهم كحضوره (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الاخرى تجاه العدوّ (وليأخذوا اسلحتهم) اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم (فاذا سجدوا) يعنى المصلين (فليكونوا) اى غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب

(وكانت الطائفة الاخرى لم يصلوا ...) ...

بمنزلة النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان (ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم) رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب (وخذوا حذركم) امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو (ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا) وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله (فاذا قضيتم الصلاة) اديتم وفرغتم منها (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فأدوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين (فاذا اطمأننتم) سكنت قلوبكم من الخوف (فأقيموا الصلاة) فعدلوها واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلى المحارب حتى يطمئن (ولا تهنوا) ولا تضعفوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى (وكان الله عليما) باعمالكم وضمائركم (حكيما) فيما يأمر وينهى (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) نزلت فى طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جار قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل (بما اراك الله) بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم (الرؤية)

قوله ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بان يصلى الامام بالطائفة الاولى ركعتين ويسلم ثم تذهب تلك الطائفة الى وجه العدو وتأتى الطائفة الاخرى فيصلى الامام بهم مرة اخرى ركعتين وهذا قول الحسن البصرى وانما جعل الاداء على هذه الكيفية مدلول ظاهر الآية لان الصلاة المدلول عليها بقوله فليصلوا معك مطلقة فحقها ان تنصرف الى الكامل منها والكيفية التى ذكرها بقوله فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة الخ مذهب الامام الشافعى اليها **قوله** ثم تذهب هذه اى اذا رفع الامام رأسه من السجدة الثانية تذهب الطائفة الاولى وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى مع الامام ويتم الامام صلاته بان يتشهد ويسلم ولا تتم الاخرى صلاتها بل تعود الى وجه العدو وتأتى الاولى وتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة لانهم لاحقون واللاحق فى حكم المقتدى فلا يقرأ وتتم صلاتها بالتسليم بعد التشهد وتأتى الاخرى فتؤدى الركعة الثانية بقراءة لانهم مسبوقون والمسبوق فى قضاء ما فاته منفرد فيقرأ **قوله** جعل الحذر وهو التحذر والتيقظ اشارة الى جواب سؤال مقدر وهو ان الحذر من قبيل المعانى فكيف يتعلق به الاخذ الذى لا يتعلق الا بما هو من قبيل الاعيان كالسلاح وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة بالكناية بان شبه الحذر بآلة يستعملها الغازى وجعل تعلق الاخذ به دليلا على هذا التشبيه المضمر فى النفس فيكون استعارة تخييلية كما شبه الايمان بالمستقر على سبيل الاستعارة بالكناية وجعل تعلق التبوء به دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل التخييل قال الامام الواحدى رحمه الله فى قوله تعالى وليأخذوا حذرهم رخصة للخائف فى الصلاة ان يجعل بعض فكره فى غير الصلاة **قوله** اديتم وفرغتم منها ظاهره ان القضاء يستعمل فيما فعل فى وقته ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم والمصنف حمل الذكر على ما يعم الصلاة وغيرها من العبادات التى لا يكون الحامل عليها الا ذكر الله وطلب مرضاته واشار بقوله مسايفين ومرامين ومثخنين الى ان قوله تعالى قياما وما بعده حال من فاعل اذكروا اى قائمين وقاعدين ومضطجعين على جنوبكم بان يغلب عليكم الضعف من الجراحة يقال اثخنه الجرح اذا اضعفه بسببه وحمل الصلاة قياما على ادائها فى حال المسايفة والمقارعة بالرماح والصلاة قعودا على ادائها فى حال مراماة السهام والصلاة على الجنوب على ادائها فى حال السقوط على الارض مجروحين وذلك مبنى على ما ذهب اليه الامام الشافعى من ايجاب الصلاة على المحارب مسايفا كان او مقارعا او مراميا اذا حضر وقتها ثم ايجاب قضائها حال الاطمئنان ومن حمل الذكر على ما يعم الذكر باللسان والصلاة من الحنفية فله ان يقول فى تفسير الآية فداوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قائمين حال الصحة والقدرة على القيام وقاعدين حال المرض والعجز عن القيام ومضطجعين على الجنوب حال العجز من القعود **قوله** والآية نزلت فى بدر الصغرى قد سبق فى اواخر سورة آل عمران ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله فلما كان القابل ألقى الله الرعب فى قلبه فندم على ما قال فبعث نعيم بن مسعود ليخوف المؤمنين من الخروج الى بدر فلما اتى نعيم المدينة وجد المؤمنين يتجهزون للخروج فقال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فتثبط المؤمنون فقال عليه الصلاة والسلام لأخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا فانزل الله تعالى هذه الآية ارشادا لمن تلا عليهم (قوله فسألوه ان يجادل) اى يجادل اليهودى ليدفع فضيحة البهتان عن صاحبهم طعمة وقالوا له عليه الصلاة والسلام ان لم تفعل برئ اليهودى وهو السارق ولم يظهر له عليه الصلاة والسلام ما يوجب القدح فى شهادتهم بناء على كون كل واحد من الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهرا فلذلك مال طبعه الى نصرة الخائن والذب عنه الا انه لم يحكم بذلك بل توقف وانتظر الوحى فنزلت الآية ناهية عنه ومنبهة على ان طعمة وشهوده كاذبون وان اليهودى برئ من ذلك الجرم ولما صدر عنه عليه الصلاة والسلام الميل اليهم بذلك الحكم الذى لو وقع لكان خطأ فى نفسه امر الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام بان يستغفر لهذا القدر وان كان مغفورا له عند الله بناء على ان حسنات الابرار سيئات المقربين ويحتمل ان يكون المراد واستغفر لاولئك الذين يريدون ان يذبوا عن طعمة ويريدون ان يظهروا براءته من السرقة **قوله** والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولم تعد فى الآية الا الى مفعولين احدهما كاف الخطاب والثانى مقدر تقديره بما اراكه الله وليس منقولا بالهمزة من رأيت التى يراد بها رؤية البصر لان وجه الحكم فى الحادثة لا يرى بالبصر ولما لم يكن منقولا منها ولا من التى تتعدى الى مفعولين تعين انه منقول من رأيت بمعنى الاعتقاد وسميت المعرفة المذكورة رؤية لكونها جارية مجرى

فانهم شاركوه فى الاثم حين شهدوا على برآئه وخاصموا عنه (ان الله لا يحب من كان خوّانا) مبالغا فى الخيانة مصرّا عليها (اثيما) منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتدّ ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله (يستخفون من الناس) يستترون منهم حياء وخوفا (ولا يستخفون من الله) وهو احق بان يستحيي ويخاف منه (وهو معهم) لا يخفى عليه سرّهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه (اذ يبيتون) يدبرون ويزوّرون (ما لا يرضى من القول) من رمى البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿١٦٧﴾ (وكان الله بما يعملون محيطا) لا يفوت عنه شيء (ها انتم هؤلاء) مبتدأ وخبر (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا) محاميا يحميهم من عذاب الله (ومن يعمل سوأ) قبيحا يسوء به غيره (او يظلم نفسه) بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة (يجد الله غفورا) لذنوبه (رحيما) متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فلا يتعداه وباله فليتوقه وان اساء ثم اذنبا (وكان الله عليما حكيما) فهو عالم بفعله حاكم في مجازاته (ومن يكسب خطيئة) صغيرة او مالا عمد فيه (او اثما) كبيرة او ما كان عن عمد (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او (فقد احتمل بهتانا واثما مبينا) بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوّى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الآخر (ولولا فضل الله عليك ورحمته) باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم (لهمّت طائفة منهم) من بني ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه (وما يضلون الا انفسهم) لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم (وما يضرونك من شيء) فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيأ من الضرر (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم) من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام (وكان فضل الله عليك عظيما) اذ لا فضل اعظم من النبوة (لا خير في كثير من نجواهم) من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله (الا من امر بصدقة او معروف) على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به (او اصلاح بين الناس) او اصلاح ذات بين (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء

الرؤية في القوة والظهور والخلو عن وجوه الريب وكان عمر رضي الله عنه يقول لا يقولن احد قضيت بما اراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه عليه الصلاة والسلام واما الواحد منا فرؤيته تكون ظنا لا معرفة بل منزلة منزلة الرؤية ﴿قوله يخونونها﴾ يريد ان الاختيان والخيانة بمعنى يقال خانه واختانه والمراد بالخائنين طعمة وقومه فانه روي ان قومه علموا ان تلك السرقة من طعمة بناء على انه كان سارقا في الجاهلية لكنهم بيتوا القول بليلهم واتفقوا على ان يشهدوا بالسرقة على اليهودي دفعا من طعمة عقوبة السرقة فلذلك وصفهم الله تعالى جميعا بالخيانة حيث قال ولا تكن للخائنين خصيما وقال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ﴿قوله فان وبال خيانتهم يعود عليها﴾ جواب عما يقال لم قال تعالى الطعمة ولمن ذب عنه انهم يختانون انفسهم مع انهم يخونون غيرهم اجاب عنه اولا بان خيانة حق الغير ظاهرا خيانة لنفسه في الحقيقة لان ضرر تلك الخيانة يعود على نفسه ولا شك ان اضرار النفس خيانة لها وتعرض خلفها عبر بخيانة النفس عن خيانة الغير مجازا باعتبار المآل وثانيا بان قوله يختانون انفسهم استعارة تبعية حيث شبهت المعصية بالخيانة للنفس فاستعير لها اسم الخيانة ثم اشتق من الخيانة بمعنى المعصية لفظ يختانون انفسهم فمعنى الآية لا تجادل عن الذين يعصون ﴿قوله روي ان طعمة الخ﴾ جواب عما يقال كل واحد من لفظ خوان واثيم صيغة مبالغة فيدل على تكرر وقوع الفعل من طعمة مع ان الصادر منه خيانة واحدة واثم واحد وتقرير الجواب انه تعالى عبر عنه بالخوان الاثيم بناء على علمه بان ذلك الرجل في طبعه خيانة كثيرة واثم كثير فاطلق عليه لفظ المبالغة لكون طبعه الخبيث مائلا الى تكثير كل واحد من الفعلين ﴿قوله تعالى اذ يبيتون﴾ ظرف منصوب بالعامل في الظرف الواقع خبرا وهو معهم فان طعمة وقومه بيتوا ودبروا قولا لا يرضاه الله وهو قول طعمة أرمي اليهودي بانه سارق الدرع وأحلف اني لم أسرقها فتقبل يميني لاني على دينهم ولا تقبل يمين اليهودي وقول قومه نشهد زورا لندفع شين السرقة وعقوبتها عن من هو واحد منا ﴿قوله مبتدأ وخبر﴾ والهاء في كل واحد منهما للتنبيه والجملة الفعلية التي بعد هذه الجملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك والخطاب مع قوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه بسبب انهم كانوا في الظاهر من المسلمين والمعنى هبوا انكم تخاصمون عن طعمة وعن قومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه ﴿قوله ووحد الضمير﴾ اي ضمير به لرجوعه الى احد المذكورين الدال عليه كلمة او فكأنه قيل ثم يرم باحد المذكورين نحو سمى البريء بهتانا لكون البريء متحيرا عند سماعه عظمه في الكذب يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم والفصيح بهت على بناء ما لم يسم فاعله ويقال بهته بهتا وبهتانا اذا قال عنه ما لم يقله او نسب اليه ما لم يفعله روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الغيبة ذكرك اخاك بما يكره فقيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ﴿قوله ولذلك سوى بينهما﴾ اي ولكون المقصود بيان حكم رمي البريء بما اقترف سوى بين الخطيئة الصغيرة او ما لا عمد فيه والكبيرة ﴿قوله من متناجيهم﴾ على ان يكون النجوى بمعنى القوم الذين يتناجون اطلاقا للمصدر على من وقع منه مدلوله مجازا كقولهم رجل عدل كما في قوله تعالى واذ هم نجوى وقد يكون مصدرا بمعنى التناجي والمناجاة المسارة وهو في الغالب بين اثنين قال الزجاج النجوى ما تفرد به اثنان او اكثر قال مجاهد هذه الآية عامة في حق جميع الناس غير مختصة بقوم طعمة وان نزلت في تناجي قوم السارق لتخليصه ﴿قوله او اصلاح ذات بين﴾ اي ما وقع بين اثنين او اكثر من العداوة والفساد وقد حث عليه الصلاة والسلام على ذلك بقوله لابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ألا ادلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال نعم يا رسول الله قال ان تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا والمعنى لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا ما كان من اعمال الخير ثم انه تعالى ذكر من اعمال الخير ثلاثة انواع الامر بالصدقة والامر بالمعروف والاصلاح بين الناس وتخصيص هذه الثلاثة بالذكر لان عمل الخير في حق الغير منحصر في نوعين الاول ايصال المنفعة اليه والثاني دفع المضرة عنه واشار الى الثاني بقوله او اصلاح بين الناس والى الاول بقوله او معروف الا انه خص من جملة المعروف الصدقة وقدم الامر بها وعطف عليه الامر بالمعروف عطف العام على الخاص اهتماما وتعظيما لشأنها ومما يدل على عموم المعروف لكل ما يستحسن شرعا من الصدقة وغيرها ما روت ام حبيبة رضي الله عنها ان النبي عليه الصلاة والسلام قال كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وهذا الحديث قريب من

الآية اشد القرب * فان قيل كيف يطابق قوله تعالى ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله لقوله الا من امر بصدقة الى آخره مع ان الاول كلام في حق الآمر بالفعل والثاني كلام في حق الفاعل وكان المناسب للاول ان يبين حكم الآمر ويقول ومن يأمر بذلك * فالجواب ان الغرض الاصلي من استثناء الامر التحريض على فعل الخير كأنه قيل لا خير فيما يفعله الانسان الا في هذه الافعال ثم بين وجه كونه خيرا ببيان ثواب فاعلها ويحتمل ان يراد بالفعل الامر بما ذكر من الافعال لان الامر من جهة الافعال والى هذا السؤال والجواب اشار بقوله بني الكلام على الامر الى آخره ﴿ قوله والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع ﴾ روى ان الامام الشافعي رضي الله عنه سئل عن آية من كتاب الله تعالى تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى وجد هذه الآية وتقرير الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين واجبا بيان المقدمة الاولى انه تعالى ألحق من يشاقق الرسول بمن يتبع غير سبيل المؤمنين ومشاقة الرسول وحدها موجبة لهذا الوعيد فلو لم يكن اتباع غير سبيل المؤمنين موجبا لذلك الوعيد لكان ضمه الى المشاقة ضما لما لا اثر له في الوعيد الى ما هو مستقل باقتضاء ذلك الوعيد وانه غير جائز فثبت ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام موجب له واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حراما لزم ان يكون اتباع سبيلهم واجبا وذلك لان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين واذا كان اتباع غير سبيل المؤمنين حراما لزم ان يكون عدم اتباع سبيل المؤمنين حراما واذا كان عدم اتباع سبيلهم حراما كان اتباع سبيلهم واجبا وذلك لانه لا خروج عن طرفي النقيض * فان قيل لا نسلم ان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين فانه لا يمتنع ان لا يتبع سبيل المؤمنين ولا غير سبيل المؤمنين اجيب عن هذا السؤال بان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فاذا كان من شأن غير المؤمنين ان لا يتبع سبيل المؤمنين فكل من لم يتبع سبيل المؤمنين فقد اتى بمثل فعل غير المؤمنين فوجب كونه متبعا لهم وللقائل ان يقول ان الاتباع ليس عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير والا لزم ان يقال الانبياء والملائكة عليهم السلام لا يتبعون لآحاد الخلق مع انهم يوحدون الله تعالى كما ان كل واحد من آحاد الامة يوحد الله ومعلوم ان ذلك لا يقال بل الاتباع عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير لاجل انه فعل لذلك الغير واذا كان كذلك فمن ترك متابعة سبيل المؤمنين لاجل انه لم يجد دليلا على وجوب متابعتهم فلا جرم لم يتبعهم فهذا الشخص لا يكون متبعا لغير سبيل المؤمنين فهذا سؤال قوي على هذا الدليل الى هنا كلام الامام ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما فرغ من قصة الطائفة التي جادلت عن طعمة بين ان تناجيهم في ازلال رسول الله عليه الصلاة والسلام عن القضاء الحق كان لا خير فيه ونبه على ان الخير ليس الا في فعل الخيرات واجرائها على ما هو سبيل المؤمنين ثم رتب الوعيد على مخالفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين ﴿ قوله كرره للتأكيد ﴾ يعني ان هذه الآية قد كررت في هذه السورة مرة والفائدة في تكرارها التأكيد فان هذه الآية لدلالتها على عفو ذنوب المؤمنين ومغفرتها من آيات الوعد فلما اعاده في سورة واحدة بلفظ واحد فقد اكد ما وعده في حقهم ثم انه تعالى ما اعاد آية من آيات الوعيد باللفظ الواحد مرتين وقد اعاد هذه الآية بهذا اللفظ في سورة واحدة فدل ذلك على انه تعالى خص جانبي الوعد والرحمة بمزيد التأكيد وذلك يقتضي ترجيح الوعد على الوعيد والفائدة الثانية في تكرارها ان الآيات المتقدمة انما نزلت في سارق الدرع وقوله ومن يشاقق الرسول الخ الآية انما نزلت في ارتداده لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى لما بين ان سارق الدرع هو طعمة حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة ولحق بالمشركين فنزل قوله تعالى ومن يشاقق الرسول الآية فهذه الآية انما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد ذلك السارق واعلم انه لو لم يرتد عن الاسلام لما صار محروما من رحمة الله وغفرانه لكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروما منها قطعا لموته على الشرك ثم انه تعالى بين الفرق بين الشرك وغيره حتى صار ما سوى الشرك مغفورا سواء حصلت التوبة او لم تحصل ولم يكن الشرك مغفورا الا بالتوبة عنه وبيان ان ضلال المشرك ضلال بعيد بخلاف ضلال غير المشرك فلذلك صار المشرك محروما من المغفرة ولم يصر غير المشرك محروما منها وختم الآية المتقدمة بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وختم هذه الآية بقوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لما ذكر من ان شأن اهل الكتاب وان كان التوحيد الا انهم يشركون بالله تعالى بقولهم المسيح ابن الله وقولهم عزير ابن الله وهذه الآية انما نزلت في شأن

(ومن يشاقق الرسول) يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات (ويتبع غير سبيل المؤمنين) غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه (وساءت مصيرا) جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله عز وجل

(ان يدعون من دونه الا اناثا) يعني اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال

وما ذكر فان يعنى فانثى *
* شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة (وان يدعون) وان يعبدون بعبادتها (الا شيطانا مريدا) لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية للشيطان (وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا من الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادة والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء

(ولأضلنهم) عن الحق (ولأمنينهم) الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب (ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام) يبتكونها لتحريم

قوم مشركين لا كتاب لهم ولا علم عندهم فناسب وصفهم بالضلال ثم انه تعالى بين كون ضلالهم ضلالا بعيدا فقال ان يدعون من دونه الا اناثا الآية وكلمة ان ههنا بمعنى النفي كما في قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويدعون بمعنى يعبدون لان من عبد شيئا فانه يدعوه عند احتياجه اليه قيل المراد بالاناث الاوثان وسميت اصنامهم اناثا لانهم كانوا يصورونها بصورة الاناث ويلبسونها انواع الحلل التي تتزين بها النساء ويسمونها غالبا باسماء المؤنثات نحو اللات والعزى ومنات والشيء قد يسمى انثى لتأنيث اسمه كما في قول الشاعر

* وما ذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس *

والازم الملازمة فانه جعل القراد انثى لتأنيث اسمه وهو حلمة الجوهري الحلمة رأس الثدي والحلمة القراد العظيم ﴿قوله او لانها كانت جمادات﴾ عطف على قوله لتأنيث اسمائها اى سميت الاصنام اناثا لكونها جمادات لا روح لها قال مقاتل وقتادة والضحاك الا اناثا اى امواتا لا روح فيها والجماد يدعى انثى تشبيها له بها من حيث انه منفعل غير فاعل ﴿قوله وقيل المراد الملائكة﴾ عطف على قوله يعني اللات فان من المشركين من يعبد الملائكة ويقول الملائكة بنات الله قال الله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى مع اعترافهم بان الاناث كل شيء اخسه وارذله ﴿قوله كرباب وربى﴾ الربى على فعلى الشاة التي وضعت حديثا وجمعها رباب بالضم والمصدر رباب بالكسر وهو قرب العهد بالولادة تقول شاة ربى واعنز رباب كذا في الصحاح وقول المصنف يدل على ان ربى تجمع على رباب بكسر الراء كما تجمع على رباب بالضم ﴿قوله وانثا﴾ اى بضم الهمزة والنون جمع انيث والانيث من الرجال المخنث الضعيف ﴿قوله ووثنا بالتخفيف والتثقيل﴾ اى بضم الواو ثم الثاء اما ساكن خفيف واما مضموم مثقل وكلاهما جمع وثن نحو اسد واسد ﴿قوله واثنا بهما﴾ اى بضم الهمزة وتخفيف الثاء او تثقيلها اصله وثن قلبت الواو همزة لضمها ضما لازما كما قلبت في اجوه اصله وجوه واقتت اصله وقتت ﴿قوله واصل التركيب للملاسة﴾ وهي ضد الخشونة والصرح الممرد الذي لا يعلوه غبار والذي لا يعلق بخير املس منه فالمريد فعيل من مرد اى تجرد للشر والشجرة المرداء متجردة عن اوراقها والغلام الامرد متجرد الوجه عن الشعر والمارد والمريد بمعنى قيل كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراأى للسدنة والكهنة يكلمهم وقال الزجاج المراد بالشيطان ههنا ابليس بشهادة قوله تعالى بعد هذه الآية لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا وهو قول ابليس ولا يبعد ان الذي يتراأى للسدنة هو ابليس ﴿قوله جامعا بين لعنة الله وهذا القول﴾ فان الواو الواقعة بين الصفات انما تفيد مجرد الجمعية والنصيب المفروض لابليس كل من اطاعه فيما زين له من المعاصي والضلالة ووسوس ودعاه الى الباطل ولو كان له شيء من الضلالة سوى الدعاء اليها لاضل جميع الخلق كما قال عليه الصلاة والسلام في حقه خلق ابليس مزينا وليس له من الضلالة شيء يعني انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة ثم انه يمني الانسان بان يخيل له ادراك ما يتمناه من المال وطول العمر وقيل يمنيه اى يوهمه انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل بان يوهمه انه ينال في الآخرة حظا وافرا من فضل الله ورحمته والبتك القطع والشق يقال بتكه اى قطعه وينقل الى بناء التفعيل للتكثير واجمع المفسرون على ان المراد به ههنا قطع آذان البحائر والسوائب والانعام الابل والبقر والغنم اى لأحملنهم على ان يقطعوا آذان هذه الاشياء ويحرموها على انفسهم بجعلها للاصنام وتسميتها بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا وكان اهل الجاهلية اذا انتجت ناقة احدهم خمسة ابطن وكان آخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها وحلبها وذبحها ولم تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها احد لم يركبها وقيل كانوا يفعلون ذلك بها اذا ولدت سبعة ابطن والسائبة المخلاة تذهب حيث شاءت وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة او يقول ان قدم غائبي من سفر او ان وصلت الى وطني او ان ولدت امرأتي ذكرا او نحو ذلك فناقتي سائبة فكانت كالبحيرة وكذا من كثر ماله سيب واحدة منها شكرا وكانت لا ينتفع منها بشيء ولا تمنع من ماء ومرعى الى ان تموت فيشتركون في اكلها الرجال والنساء والوصيلة هي من الغنم اذا ولدت سبعة ابطن فان كان الولد السابع ذكرا ذبحوه لآلهتهم وكان طعمة للرجال دون النساء وان كان انثى كانوا يستحلونها وكانت بمنزلة سائر الغنم وان كان ذكرا وانثى قالوا ان الاخت وصلت اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها وجرت مجرى السائبة وكانت المنفعة للرجال دون النساء فهي فعيلة بمعنى فاعلة والحامي هو البعير الذي ولد ولده ولد ولده وقيل هو الفحل من الابل اذا ركب ولد ولده قالوا انه قد حمى ظهره فيهمل ولا يركب ولا يمنع من الماء والمرعى واذا مات يأكله الرجال

والنساء وحذف ماتعلق به الامر فى قوله ولآمرنهم والاحسن ان يقدر المحذوف من جنس الملفوظ اى لآمرنهم بالتبتيك ولآمرنهم بالتغيير وهذه اللامات كلها للقسم ﴿ قوله فقء عين الحامى ﴾ كانت العرب اذا بلغت ابل احدهم ألفا عوّروا عين فحلها والفقء القلع والحامى الفحل الذى طال مكثه عندهم والوشم ان يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل او نيلج وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضرّ والوشر ان تحدد المرأة اسنانها وترققها تشبها بالشواب ﴿ قوله ونحو ذلك ﴾ كالتنمص وهو نتف شعر الوجه يقال تنمصت المرأة اذا تزينت بنتف شعر وجهها وحاجبها وجبينها والنامصة المرأة التى تزين النساء بالنمص والمنمص والمنماص المنقاش وقد لعن الله النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة والواصلة هى التى تصل الشعر والمستوصلة هى التى يفعل بها ذلك ويدخل فى التنمص نتف شعر العانة فان السنة حلق العانة ونتف الابط والسحق لكونه عبارة عن تشبيه الانثى بالذكر من قبيل تغيير خلق الله تعالى عن وجهه صفة وكذا التخنث لما فيه من تشبيه الذكر بالانثى وكذا اللواطة لما فيها من اقامة ماخلق لدفع الفضلات مقام موضع الحراثة وكذا عبادة الشمس والقمر والكواكب والحجارة فان عبادتها وان لم تكن تغييرا لصورها الكنها تغيير لصفتها فان شأنها لم يخلق لان يعبد من دون الله وانما خلق لينتفع به العباد على الوجه الذى خلق لاجله وكذا الكفر بالله عز وجل وعصيانه فانه ايضا تغيير خلق الله تعالى عن وجهه صفة فانه تعالى فطر الخلق على استعداد التحلى بحلية الايمان والطاعة ومن كفر بالله وعصاه فقد ابطل ذلك الاستعداد وغير فطرة الله تعالى صفة ويؤيده قوله عليه السلام • كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه • وكذا استعمال الجوارح فى غير ماخلقت هى لاجله تغيير لها عن وجهها صفة ﴿ قوله والجمل الاربع ﴾ وهى قوله لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا وقوله ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم كل واحدة منها مقول للشيطان فلا يخلو من ان قالها بلسانه او فعلها ﴿ قوله مالاينجزه ومالاينالون ﴾ اشارة الى ان المفعول الثانى لوعد والتمنية محذوف للعلم به وهو مالاينجزه نحو طول العمر والعافية ونيل لذآئذ الدنيا من الجاه والمال وقضاء شهوات النفس وما لاينالون نحو لابعث ولاحساب ولاجزآء ونيل المثوبات الاخروية من غير عمل ﴿ قوله وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر ﴾ يعنى ان الغرور مصدر غرّه يغرّه بمعنى خدعه فيكون معناه اظهار مايستحسن ظاهره ويحصل الندم عند انكشاف حقيقة الحال فيه وغرورا فى الآية منصوب على انه مفعول له اى مايعدهم شئ الا لاجل ان يغرّهم او على انه صفة مصدر محذوف اى الا وعدا ذا غرور او على انه مصدر على غير لفظ الفعل لانّ يعدهم فى قوّة يغرّهم بوعده فان الشيطان يزين لهم المعاصى واتباع الشهوات ويوهمهم التمكن من التوبة بناء على طول العمر والعافية فن اغترّ بوعده وفتح باب اتباع الحظوظ العاجلة واللذآئذ الفانية استحكم فيه خصلتان الحرص وطول الامل ومن اشتدّ حرصه على الشئ لم يتأت له ان يصل اليه الا بمعصية الله وابدآء خلق الله ولايبالى بشئ منهما ولا يتركهما طوعا ورغبة ومن اطال امله نسى الآخرة واستغرق فى طلب الدنيا وتحصيل طيباتها فلايكاد يؤثر فيه الزواجر والمواعظ فيصير قلبه كالحجارة او اشدّ قسوة ومن فطره الله تعالى مستعدّا لادراك الحق وقبوله واتباعه فاغترّ بوعد الشيطان واطاعه فقد غير فطرة قلبه واستحق سخط ربه وأليم عذابه فظهر ان ما وعده الشيطان وألقاه اليه وان كان ظاهره مستحسنا لذيذا الا ان عاقبته ضرر عظيم وهذا معنى الغرور • واعلم ان العمدة فى اغوآء الشيطان ان يزين له زخارف الدنيا ويلقى الامانى فى قلب الانسان مثل ان يلقى فى قلبه انه سيطول عمره وينال من الدنيا امله ومقصوده ويستولى على اعدآئه ويحصل له ماتيسر لارباب المناصب والاموال وكل ذلك غرور لانه ربما لا يطول عمره وان طال فربما لاينال امله ومطلوبه وان طال عمره ووجد مطلوبه على احسن الوجوه فلابدّ ان يفارقه بالموت فيقع فى اعظم انواع الغم والحسرة فان تعلق القلب بالمحبوب كلما كان اشدّ واقوى كانت مفارقته اعظم تأثيرا فى حصول الغم والحسرة فنبه سبحانه وتعالى على ان الشيطان انما يعد ويمنى لاجل ان يغرّ الانسان ويخدعه ويفوّت عنه اعز المطالب وانفع المآرب فالعاقل من لايتبع وساوس الشيطان ولا يبتغى الا رضى الرحمن بالتمسك بكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم والعمل بهما ليفوز فوزا عظيما وكفى بذلك نصيحة وقوله اولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان وجهنم خبره والجملة خبر الاوّل وقوله عنها متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من محيصا لانه فى الاصل نكرة فلما قدم عليها انتصب حالا ولايجوز ان يتعلق بيجدون لانه لايتعدّى بعن ولا بقوله محيصا لانه اما اسم مكان وهو لايعمل مطلقا واما مصدر

﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ﴾ بايثاره مايدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته ﴿ فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ اذ ضيع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنة بمكانه من النار ﴿ يعدهم ﴾ مالاينجزه ﴿ ويمنيهم ﴾ مالاينالون ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه ﴿ اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا مال عن حق وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلايعمل ايضا فيما قبله

﴿ والمصدر ﴾

(والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا) اى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر (ومن اصدق من الله قيلا) جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله (ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب) اى ليس ما وعد الله من الثواب ينال بأمانيكم ايها المسلمون ولا بأمانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لاجنة ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال (من يعمل سوأ يجز به) عاجلا وآجلا لما روى انها لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه (ومن يعمل من الصالحات) بعضها او شيأ منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها (من ذكر او انثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات اى كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه [...] (ولا يظلمون نقيرا) [...] من الثواب [...] واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزاد عقاب العاصى

والمصدر لا يتقدم عليه معموله ﴿قوله فالاول مؤكد لنفسه﴾ لان الجملة التى تؤكد بالمصدر ان لم يكن لها محتمل غير المصدر الذى يؤكدها تكون نفس المصدر من حيث المعنى فيقال للمصدر مؤكد لنفسه كقولك له على الف درهم اعترافا فان مضمون له على ألف هو الاعتراف ولا يحتمل له غير الاعتراف فيكون اعترافا تأكيدا لنفسه وكذا مضمون قوله تعالى والذين آمنوا سندخلهم جنات هو الوعد لان الوعد عبارة عن الاخبار بايصال المنفعة قبل وقوعها فيكون وعد الله تأكيدا لمضمون هذه الجملة ومضمونها يحتمل ان يكون حقا وان يكون باطلا لان الخبر من حيث انه خبر يحتمل الصدق والكذب فكان حقا تأكيدا لغيره كما فى قولك زيد قائم حقا يحتمل غير الحق ﴿قوله مؤكدة بليغة﴾ يعنى ان هذه الجملة الاستفهامية تأكيد ثالث بليغ اما انه تأكيد فلدلالته على حقية مقاله وصدقه فى جميع اخباره واما انه بليغ فلأن تصدير الكلام بمن الاستفهامية يدل على انكار ان يكون احد اصدق منه تعالى وانه تعالى اصدق من كل قائل وتنبيه على ان وعد الله تعالى اولى بالقبول وان وعد الشيطان تخييل محض يتبع الوصول وفائدة هذه التأكيدات اظهار الفرق بين الوعدين وقيلا نصب على التمييز والقيل والقال مصدر ان كالقول ﴿قوله ليس ما وعد الله﴾ يريد ان ليس من الافعال الناقصة فلابد له من اسم يسند هو اليه ولما لم يذكر صريحا علم انه ضمير مستتر فيه وذكر فى مرجع ذلك الضمير احتمالين الاول انه الوعد المتقدم ذكره فى قوله وعد الله والثانى انه الايمان المفهوم من قوله والذين آمنوا وقوله ايها المسلمون بيان لكون خطاب امانيكم للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به واهل الكتاب وان كانوا يؤمنون به تعالى الا انهم لما ذكروا بالعطف على من ذكر بضمير الخطاب علم ان المراد بضمير الخطاب غير اهل الكتاب ممن آمن بالله تعالى فتعين انهم هم المسلمون فانهم تمنوا ان يغفر لهم جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر وتمنى اهل الكتاب ان لا يعذبهم الله ولا يدخلهم النار الا اياما معدودة لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فلا يعذبنا وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم ان يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى خاطب الله تعالى المسلمين بان ما وعده الله من الثواب لا ينال بمجرد تمنيه بل هو منوط بالايمان والعمل الصالح وبأن الشأن ان من يعمل سوأ يجز به ﴿قوله ولكن ما وقر﴾ اى ما ثبت واستقر من الوقار وقيل وقر هنا بمعنى أثر من قولهم وقر فى الصخرة اذا أثر فيها ﴿قوله ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوأ يجز به﴾ يعنى انه جملة مستأنفة مؤكدة لحكم الجملة قبلها روى عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية شقت على المؤمنين مشقة عظيمة قالوا يارسول الله وايتا لم يعمل سوأ غيرك فكيف الجزاء فقال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره * وقال الحسن هذه الآية نزلت فى الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغيرة والكبيرة والمؤمن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ثم قرأ ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا الآية ومما يدل على نزولها فى حق الكافر انه تعالى قال بعد هذه الآية ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة والمؤمن الذى اطاع سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر لا يخرج عن كونه مؤمنا للدلائل الدالة على ان صاحب الكبيرة مؤمن فاذا لم يخرج به عن الايمان صدق عليه انه مؤمن قد عمل الصالحات فوجب القطع بانه يدخل الجنة بحكم هذه الآية فلما كان المؤمن الذى يكون صاحب كبيرة من اهل الجنة وجب ان يكون قوله من يعمل سوأ يجز به مخصوصا باهل الكفر على تقدير ان يكون الجزاء المذكور بقوله يجز به واصلا الى المسيء يوم القيامة واما اذا وصل اليه فى دار الدنيا فلا اشكال قرأ الجمهور قوله تعالى ولا يجد له بحزوما بالعطف على جواب الشرط واستدل المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة فاجيبوا بوجهين احدهما ما مر من ان هذه الآية فى حق الكفار والثانى ان شفاعة الانبياء والملائكة انما تكون بأذن الله واذا كان كذلك فلا ولى لاحد ولا نصير الا الله سبحانه وتعالى ﴿قوله لا اعتداد به دونه فيه﴾ اى لا اعتداد بالعمل دون الايمان فى استدعاء الثواب المذكور ﴿قوله واذا لم ينقص ثواب المطيع الخ﴾ جواب عما يقال لم خص عمال الصالحات بانهم لا يظلمون مع ان غيرهم كذلك كما قال وما ربك بظلام للعبيد وما الله يريد ظلما للعباد * وتقرير الجواب انه تعالى اقتصر على ذكر انه لا يظلم الصالحين بنقص استغناء بذكره عن ذكر انه لا يظلم المسيئين بازدياد عقابهم لدلالة الاول عليه فان الثواب فضل والعقاب عدل وكون المجازى ارحم الراحمين اذا كان مانعا من نقص ما هو من قبيل الفضل فبالحرى ان يكون مانعا من ترك العدل بازدياد العقاب ﴿قوله وفى هذا الاستفهام تنبيه على ان

لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم

بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله) اخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية (وهو محسن) آت بالحسنات تارك للسيئات (واتبع ملة ابراهيم) الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها (حنيفا) مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع اومن الملة او ابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر اومن الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة اومن الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا مااصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عزوجل فسماه الله خليلا (ولله مافي السموات ومافي الارض) خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال (وكان الله بكل شيء محيطا) احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها (ويستفتونك في النساء) في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانا كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة (تورث)

ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية ﴾ وذلك لان دين الاسلام مبني على امرين الاعتقاد والعمل فالله تعالى اشار الى الاول بقوله اسلم وجهه لله والوجه لكونه احسن اعضاء الانسان عبر به عن نفسه فكأنه قيل ليس احد احسن دينا ممن عرف ربه واقر بربوبيته واخلص نفسه في عبوديتها لربه بأن لاينقاد ولايخضع لغيره ولايتعلق قلبه بشيء من الاشياء الا ابتغاء لوجه ربه واشار الى الثاني بقوله وهو محسن اي في الانقياد لربه بأن يكون آتيا بجميع مايكلفه به على وجه الاذلال والخشوع كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن تأمل في هذه الجملة الاستفهامية على اختصارها أيقن باحتوائها على منتهى مايبلغ اليه القوة البشرية في جميع المقاصد المتعلقة بالدين فالله سبحانه لما ذكر في الآية المتقدمة ان الفوز بالجنة والسعادة الابدية منوط بالاشتغال بالاعمال الصالحة حال كونه مؤمنا بقلبه أثنى على هذه الطريقة في هذه الآية وشهد بكونها في غاية الحسن والكمال ذكر انها هي الطريقة التي كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام عليها وقد اتفق اهل الاديان جميعا من اهل الكتاب وغيرهم على صحة طريقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان شرع ابراهيم مقبول عند الكل فان العرب لايفتخرون بشيء كافتخارهم بالانتساب الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واما اليهود والنصارى فلاشك في كونهم مفتخرين به واذا ثبت هذا لزم ان يكون شرع محمد عليه الصلاة والسلام مقبولا عند الكل وملة ابراهيم داخلة في ملتنا وفي ملتنا زيادة على ملة ابراهيم فمن اتبع ملة الاسلام فقد اتبع ملة ابراهيم وقد اشتهر ان الملة والدين متحدان بالذات ﴿ قوله روى ﴾ وروى ايضا في سبب كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام ملقبا بهذا اللقب الشريف انه هبط عليه ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذكره مرة اخرى فقال لااذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لااحتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله تعالى لاجرم اتخذه الله خليلا وروى ايضا ان جبريل والملائكة لما دخلوا على ابراهيم في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضيافه فذبح عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل انت خليل الله فنزل هذا الوصف قال بعض النصارى لما جاز اطلاق اسم الخليل على انسان معين على سبيل الاعزاز والتشريف فلم لايجوز اطلاق الابن في حق عيسى على سبيل الاعزاز والتشريف والجواب ان كونه خليلا عبارة عن المحبة المفرطة وذلك لايقتضي الجنسية واما الابن فانه مشعر بالجنسية وجل الاله عن مجانسة الممكنات ومشابهة المحدثات ثم كونه عليه الصلاة والسلام خليل الله لما اوهم الجنسية والمشابهة ازال الله تعالى هذا الوهم بقوله ولله مافي السموات ومافي الارض الآية فان من كان شأنه هذا كيف يعقل ان يجانسه احد ويتخذ خليلا لاحتياجه اليه في شيء من الامور كما تكون خلة الآدميين لذلك وانما اتخذه خليلا بمحض الفضل والاحسان والكرم على حسب تعلق ارادته ومشيئته فالجملة مستأنفة لدفع هذا الوهم الناشيء من قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا والمصنف اشار بقوله يختار منهما من يشاء ومايشاء الى انها مستأنفة متصلة به بوجه آخر وهو كونه جوابا لمايقال لم خص الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة وله عباد مكرمون غيره وعطف عليه قوله وقيل هو متصل بذكر العمال بقوله وعملوا الصالحات وبقوله ومن يعمل من الصالحات الآية وبين ان وجه اتصاله به امران الاول تقرير وجوب طاعته من اهل السموات والارض فان موجد الكائنات باسرها يكون ملكا مطاعا على الاطلاق فيجب على كل عاقل طاعته والثاني تقرير كمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال فان اثابة اهل الطاعة وعقاب العصاة وان توقف على احاطة علمه بتفاصيل الاعمال وكمال قدرته على المجازاة على حسب الاعمال الصالحة والسيئة الاان من قدر على ايجاد جميع الكائنات من الاعيان والاعراض كيف يتوهم في حقه ان لايحيط علما بتفاصيل الاعمال وان لايقدر على المجازاة على حسبها ﴿ قوله احاطة علم وقدرة ﴾ دل بقوله لله مافي السموات ومافي الارض على احاطة قدرته بكل مافي السموات والارض ثم افاد بقوله وكان الله بكل شيء محيطا ان كل واحد من علمه وقدرته محيط بجميع مايكون داخلا فيهما او مايكون خارجا عنهما ومغايرا لهما مما لانهاية له من المقدورات الخارجة عن هذه السموات والارضين ﴿ قوله في ميراثهن ﴾ يريد ان الاستفتاء لايقع عن ذوات النساء وانما يقع عن حالة من احوالهن وتلك الحالة لما لم تكن مذكورة في الآية وجب المصير في تعيين المراد الى اتباع القرينة والقرينة ههنا سبب النزول والمعنى يطلبون منك الفتوى في حق

فيكون الاقتداء مستندا الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اعنانى زيد وعطاؤه

توريث النساء ﴿قوله وساغ الفصل﴾ اي جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير تأكيده بمنفصل لفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول وبالجار والمجرور مع ان الفصل باحدهما كاف كأنه قيل يفتيكم الله وكلامه كما يقال اعجبنى زيد وكرمه واغنانى زيد وعطاؤه فان المسند اليه بالحقيقة شئ واحد في الجميع وهو المعطوف عليه الا انه عطف عليه شئ من الاحوال دلالة على ان الفعل انما قام بذات الفاعل باعتبار اتصافه بتلك الحالة ﴿قوله او استئناف معترض﴾ اي بين البدل والمبدل منه فان قوله في يتامى النساء بدل من فيهن وفائدة الاخبار بان المتلو الذي هو من القرآن مثبت في اللوح تعظيم المتلو ورفع شأنه كقوله تعالى وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴿قوله لاختلاله لفظا ومعنى﴾ اما من حيث اللفظ فلانه عطف على المضمر المجرور من غير اعادة الجار وهو رأي الكوفيين واما من حيث المعنى فلأن قوله فيهن معناه في حقهن فلو كان ما يتلى معطوفا عليه لكان المعنى يفتيكم في حق توريث النساء وفي حق ما يتلى عليكم وليس بسديد ﴿قوله صلة يتلى﴾ كما ان في الكتاب متعلق به ايضا * فان قيل كيف يجوز تعلق حرفي جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد * فالجواب ان معناهما مختلف لان الاولى للظرفية على بابها والثانية بمعنى الباء السببية كما تقول جئتك في يوم الجمعة في امر زيد ﴿قوله والا فبدل﴾ اي وان لم يعطف الموصول على ما قبله بان جعل مبتدأ وفي الكتاب خبره يكون قوله في يتامى النساء بدلا من فيهن بدل البعض من الكل باعادة الخافض على تقدير ان يكون الخافض في الموضعين بمعنى واحد وهو الظرفية او يكون صلة اخرى ليفتيكم على تقدير ان تكون الاولى للظرفية والثانية بمعنى باء السببية كيلا يتعلق حرفا جر بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد ﴿قوله وقرئ ييامى بيائين﴾ اي من تحت والجمهور على ان يتامى جمع يتيمة وان قرئ ييامى يكون اصله ايامى جمع ايم على وزن فيعل فابدلت همزة ايامى ياء فان الهمزة كما تبدل من الباء فيقال قطع الله أده يريدون يده فكذلك تبدل الياء من الهمزة فيقال ييامى في جمع ايم جمع التكسير على ايائم كسيد وسيائد ثم قلبت اللام الى موضع العين والعين الى موضع اللام فصار ايامى ثم ابدلت كسرة الميم فتحة للتخفيف فصار ايامى فقلبت الياء الاخيرة الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار ايامى ﴿قوله في ان تنكحوهن او عن﴾ يعني ان قوله تعالى ان تنكحوهن محمول على حذف حرف الجر فقيل ذلك الحرف هي كلمة في اي ترغبون في نكاحهن لجمالهن ومالهن وقيل هي كلمة عن اي ترغبون عن نكاحهن لقبحهن وفقرهن فان كانت اليتيمة جميلة موسرة رغب وليها في تزوجها والا رغب عنها * فان قيل قد ذكر النحاة ان حرف الجر يجوز حذفه مع ان وان شرطا مطردا بشرط أمن اللبس اي بشرط ان يكون الحرف متعينا نحو عجبت ان تقوم اي من ان تقوم واما اذا التبس المراد بان لا يكون الحرف متعينا فلا يجوز حذفه والآية من هذا القبيل * فالجواب ان كل واحد من المعنيين صالح للارادة ههنا ويدل عليه ما ذكر في سبب النزول فصار كل واحد من الحرفين مرادا على سبيل البدل بحسب اقتضاء المقام وشهادة الحال ﴿قوله والواو يحتمل الحال﴾ اي من فاعل تؤتونهن اي لا تؤتونهن واللاتي ترغبون ان تنكحوهن ويحتمل العطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية اي اللاتي لا تؤتونهن واللاتي ترغبون ان تنكحوهن ويحتمل العطف على الفعل المنفي بلا اي لا تؤتونهن ولا ترغبون ﴿قوله وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة﴾ يعني ان الحنفية احتجوا بهذه الآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ولا حجة لهم فيها لاحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن باذنهن اذا بلغن ولانه ليس في الآية اكثر من ذكر رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة ولا يدل ذلك على الجواز ﴿قوله توقعت منه لما ظهر لها من المخايل﴾ قولية كانت مثل ان يقول الرجل لامرأته انك دميمة او قبيحة وانا اريد ان اتزوج شابة جميلة او فعلية مثل ان يعرض عنها او يعبس في وجهها ويترك قربانها ويسيء عشرتها ﴿قوله وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر﴾ لا بنفس الظاهر لاشتغاله عنها ولا يجوز رفعها بالابتداء لان اداة الشرط لا يليها الا الفعل عند جمهور البصريين والتقدير وان خافت امرأة ونحوه وان احد من المشركين استجارك وان امرؤ هلك وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ونشوز كل واحد من الزوجين كراهته صاحبه وترفعه عليه لعدم رضاه من النشز وهو ما ارتفع من الارض والنشوز لاستلزامه الترفع والتعدي والاطالة يستلزم الاعراض من غير عكس لان الاعراض يتحقق بمجرد تقليل المحادثة والمؤانسة لا لبعض الاسباب كطعن سن ودمامة وتعلق القلب باخرى قال الامام المراد بالنشوز اظهار الخشونة في القول او الفعل او فيهما والمراد بالاعراض السكوت عن الخير والشر والمداناة والايذاء ﴿قوله ان تصالحا﴾ يريد ان يصالحا بتشديد الصاد

او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كأنه قيل اقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى (في يتامى النساء) صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى بيائين على انه ايامى فقلبت همزته ياء (اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن) اي فرض لهن من الميراث (وترغبون ان تنكحوهن) في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء (وان تقوموا لليتامى بالقسط) ايضا عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي يأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم (وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما) وعد لمن آثر الخير في ذلك (وان امرأة خافت من بعلها) توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر (نشوزا) تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها (او اعراضا) بان يقل مجالستها ومحادثتها

(فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا) لا (١٠) ان تصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيأ تستميله به

وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما في القرآءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصلح بمعنى اصطلح (والصلح خير) من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله (وأحضرت الانفس الشح) ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغي اذا كرهها او احب غيرها (وان تحسنوا) في العشرة (وتتقوا) النشوز والاعراض ونقص الحق (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والخصومة (خبيرا) عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء) لان العدل ان لايقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك (ولو حرصتم) على تحري ذلك وبالغتم فيه (فلا تميلوا كل الميل) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالا يدرك كله لايترك كله (فتذروها كالمعلقة) التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل (وان تصلحوا) ما كنتم تفسدون من امورهن (وتتقوا) فيما يستقبل من الزمان (فان الله كان غفورا رحيما) يغفر لكم مامضى من ميلكم

بعدها الف اصله يتصالحا فابدلت التاء صادا وادغمت للتخفيف وهي قرآءة الكوفيين من السبعة قيل نزلت الآية في ام المؤمنين سودة بنت زمعة حين اراد النبي عليه السلام ان يطلقها فالتمست ان يمسكها ويجعل نوبتها لعائشة رضي الله عنها لما عرفت مكان عائشة من قلبه عليه السلام فاجازه النبي عليه السلام ولم يطلقها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي السائب كانت له زوجة له منها اولاد وكانت قبيحة فهم بطلاقها فقالت لاتطلقني دعني حتى اشتغل بمصالح اولادي واقسم لي في كل شهر ليالي قليلة فقال الزوج ان كان الامر كذلك فهو اصلح لي وروى عن عائشة رضي الله عنها انها نزلت في امرأة كانت عند رجل واراد الرجل ان يستبدل بها غيرها فقالت امسكني وتزوج بغيري وانت في حل من النفقة والقسم ﴿قوله وعلى هذا﴾ اي على قرآءة الكوفيين جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به على ان يكون الصلح اسما لشئ الصالح عليه كالعطاء بمعنى المعطى والثبات بمعنى المثبت وعلى قرآءة يصالحا لايجوز كونه مفعولا به لان التصالح لايتعدى الى المفعول به بل يكون منصوبا على المصدرية لكونه مصدرا او اسما موضوع تصالحا على حذف الزوائد وبعضهم يعبر عنه باسم المصدر كالاثبات والعطاء وان جعل صلحا منصوبا على المصدرية في قرآءة الكوفيين ففي المفعول به على هذا وجهان احدهما انه بينهما اتسع في الظرف فجعل مفعولا به وثانيهما انه محذوف وبينهما ظرف او حال من صلحا فانه صفة له في الاصل اي لاجتماع عقيمها ان يصلحا حالهما اصلاحا حال كونه واقعا بينهما ﴿قوله وقرئ يصّلحا﴾ اي بتشديد الصاد من غير الف بعدها اصله يصطلحا على وزن يفتعلا فقلبت تاء الافتعال طاء لما تقرر في الصرف من ان تاء الافتعال يجب قلبها طاء اذا وقعت بعد الاحرف الاربعة ثم ابدلت الطاء صادا لما تقرر في الصرف فادغمت الصاد في الصاد فصار يصّلحا ﴿قوله خير من الفرقة وسوء العشرة﴾ اشارة الى ان تعريف الصلح للاشارة الى المعهود السابق وهو الصلح الواقع بين الزوجين والى ان الخير اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف ويجوز ان لايراد به التفضيل بل يراد انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور ﴿قوله وهو اعتراض وكذا مابعده﴾ عن ابي حيان انه قال لعل وجه الاعتراض ان قوله تعالى وان تفرقا معطوف على قوله فلا جناح فجاءت الجملتان بينهما اعتراضا وفيه نظر فان بعد هاتين الجملتين جملا اخر فكان حق العبارة حينئذ ان يقال ان تلك الجمل باسرها اعتراض وان لا يخص والصلح خير واحضرت الانفس بذلك بل المراد انهما معترضتان بين قوله وان امرأة وقوله وان تحسنوا فانهما شرطان متعاطفان بدليل ماذكر في تفسير الشرط الثاني فانه ذكر كونه معطوفا على الاول ﴿قوله ومعنى احضار الانفس الشح﴾ اشارة الى ان احضر يتعدى الى مفعولين اقيم اولهما وهو الانفس مقام الفاعل وانتصب الآخر فان حضر يتعدى الى مفعول واحد يقال حضر زيد الطعام فيتعدى بالهمزة الى مفعول ثان فيقال احضرته الطعام واحضر الله الانفس الشح فالذي هو المفعول الاول اقيم مقام الفاعل وكان المعنى جبلت الانفس على الشح فكانت بحيث لاتنفك عنه والشح البخل مع حرص فهو اخص من البخل وقيل الشح اقبح البخل تقول شححت بالكسر تشح بالفتح من باب علم وشححت تشح وتشح من باب نصر وضرب نقل عن القرطبي انه قال هذه الآية اخبار بأن الشح حاصل في كل احد وان الانسان لابد وان يشح بحكم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على مايكره والمراد به ههنا حرص كل احد من الزوجين على ماله على صاحبه وحق المرأة على الزوج المهر والنفقة والقسم فانها تقدر على طلب هذه الثلاثة من الزوج شاء او ابى ثم انها تشح بترك شئ من هذه الحقوق زوجها وكذا الشح ولا تسمح بأن يجامعها ويقضي عمره معها بحسن المعاشرة مع دمامة وجهها وكبر سنها وعدم حصول اللذة بمجالستها فقوله وان تحسنوا خطاب للازواج والمعنى وان تحسنوا بالعشرة لهن بالمعروف وحسن المعاشرة مع عدم موافقتهن لطباعكم وتتقوا ظلمهن بالنشوز والاعراض فالله تعالى يثيبكم عليه وقيل انه خطاب لغير الازواج والمعنى وان تحسنوا في الصلح بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما الخ روى ان رجلا من اهل بني آدم كانت له امرأة من اجمل الناس فنظرت اليه يوما فقالت الحمد لله فقال لها زوجها مالك فقالت حمدت الله على اني وانك من اهل الجنة لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله بالجنة الصابرين والشاكرين ﴿قوله تعالى كل الميل﴾ نصب على المصدرية لان لفظ كل في حكم مايضاف اليه ان اضيف الى مصدر كان مصدرا وان اضيف الى ظرف او نحوه كان كذلك وقوله فتذروها اما منصوب باضمار ان في جواب النهي او مجزوم عطفا على الفعل قبله اي فلا تذروها فعلى الوجه الاول يكون النهي عن الجمع بينهما وعلى الثاني يكون عن كل واحد على حدة وهو ابلغ وقوله كالمعلقة حال من هاء فتذروها فيتعلق بمحذوف والمعلقة هي المرأة التي لاتكون

قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او بأوتوا ومساق الآية تأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول (وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض) على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله (وكان الله غنيا) عن الخلق وعبادتهم (حميدا) في ذاته حمد او لم يحمد (ولله ما في السموات وما في الارض) ذكره تاكيدا لدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا (وكفى بالله وكيلا) راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك (ان يشأ يذهبكم ايها الناس) يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب (ويأت بآخرين) ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يجاهد للغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية (وكان الله سميعا بصيرا) عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته (شهداء لله) بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره (او الوالدين والاقربين) ولو كانت على والديكم واقاربكم (ان يكن) اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له (غنيا او فقيرا) فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما (فالله اولى بهما) بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم (فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا) لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل (وان تلووا) ألسنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها (او تعرضوا) عن ادائها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فيجازيكم عليه (يا ايها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب

﴿قوله بدل﴾ ايما فتزوج ولا ذات بعل بحسن عشرتها كالشيء المعلق الذي لا يكون في الارض ولا في السماء ﴿قوله او سلوة﴾ مصدر سلوت عنه اى زالت حرارة محبته بان يغني الله المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة اخرى ﴿قوله بان اتقوا الله﴾ على ان تكون ان مصدرية على حذف حرف الجر عن قلبي وانكشف عني هم عشقه ﴿قوله بان اتقوا الله﴾ على ان تكون ان مصدرية على حذف حرف الجر يقال وصيتك ان افعل كذا كما يقال امرتك ان تأتي زيدا قال الله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم وقال انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة ووجه كونها مفسرة ظاهر او قوعها بعد ما هو في معنى القول ﴿قوله على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم﴾ فيكون الفعل المقدر معطوفا على قوله وصينا كقوله علفتها تبنا وماء باردا في ابقاء العاطف وحذف المعطوف واحتيج الى تقدير القول اذ لا يجوز كون الجملة الشرطية داخلة في حيز الوصية بان تكون معطوفة على قوله اتقوا لان الجملة الشرطية لا يصح ان تقع بعد ان المصدرية ولا المفسرة فلا يصح عطفها على ما وقع بعد احداهما فقول صاحب الكشاف وقوله تعالى وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الخ لا يخلو من تدافع لان تقدير القول مع جعل الشرطية معطوفة على اتقوا مما يأبى فلا بد له من توجيه ﴿قوله ذكره ثالثا الخ﴾ يعني انه وان كان من حيث اللفظ والصورة تكرارا الا ان كل واحد منها له معنى في موقعه غير معنى الآخر فان الاول متصل بقوله وكان الله واسعا حكيما ذكر بعده للتنبيه على كمال سعته وكونه متقنا في افعاله واحكامه والثاني ذكر جزاء للشرط المذكور قبله وهو قوله وان تكفروا لبيان ان ضرر كفرهم لا يعود اليهم وانه تعالى منزه عن ان يتضرر بكفر عباده وان ينتفع بشكرهم والثالث متصل بقوله وكان الله غنيا حميدا مقرر لمضمونه ﴿قوله وما بينهما تقرير لذلك﴾ فان قوله وكان الله واسعا حكيما تقرير له وقوله ولقد وصينا الآية تقرير لكونه حكيما متقنا في افعاله واحكامه فيكون في تتمة ما ذكر تقريرا لمضمون قوله يغني الله كلا من سعته ﴿قوله ويوجد قوما آخرين﴾ اى من الانس بقرينة عطف ما بعده عليه والحاصل ان قوله آخرين صفة لموصوف محذوف وذلك الموصوف من جنس المذكور قبله اى بناس آخرين ان جعل الخطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب او من غير الجنس المذكور قبله ان كان الخطاب والوعيد لجميع بني آدم تثبيتا لاهل الطاعة منهم وتهديد العصاة كأنه قيل ايها الناس الزموا طاعة ربكم فانكم ان عصيتموه فانه قادر على اعدامكم بالكلية وايجاد قوم من غير جنسكم يعبدونه ولا يعصونه قط ﴿قوله عارفا بالاغراض﴾ اى يعرف من كلامهم ما يدل على انهم ما يطلبون من الجهاد سوى الغنيمة ومن افعالهم ما يدل على انهم لا يسعون في الجهاد الا عند توقع الفوز بالغنيمة ﴿قوله او حال﴾ اى من الضمير المستكن في قوامين فان قيل هذا الوجه يستلزم ان يكون الامر بكونهم قوامين بالعدل مقيدا بحال الشهادة وهم مأمورون بذلك مطلقا فالجواب ان المراد بالعدل حال الشهادة العدل في ادائها بان يؤديها سالما من الميل الى احد الخصمين ولا يؤديها الا لمجرد اظهار الحق واحيائه ﴿قوله والا لوحد﴾ اى لو كان ضمير بهما راجعا الى الغني والفقير المذكورين لوجب ان يوحد لان احد الشيئين اذا عطف على الآخر بكلمة او كان حق الضمير الراجع الى المذكور ان يوحد لرجوعه الى احدهما تقول زيد او عمرو اكرمته ولو قلت اكرمتهما لم يجز فلما ثني الضمير في الآية قيل في توجيهه انه ليس براجع الى غنيا او فقيرا المذكورين بل الى جنس الغني وجنس الفقير المدلول عليهما بقوله غنيا او فقيرا اذ لا شك ان غنيا يدل على جنس الغني وفقيرا يدل على جنس الفقير ومعنى ان الله اولى بجنس الغني والفقير انه اولى بجميع الاغنياء والفقراء ويدل عليه قراءة ابي فالله اولى بهم اى بالاغنياء والفقراء ﴿قوله لان تعدلوا﴾ بحذف لام العلة علل اتباع الهوى بالعدول عن الحق تنبيها على ان اتباع الحق لا يجامع اتباع الهوى لانهما متنافيان وان اتباع احدهما لا يتأتى الا بمخالفة الآخر ﴿قوله او كراهة ان تعدلوا﴾ على ان تعدلوا في محل النصب على انه مفعول له للفعل المنهي عنه ﴿قوله تعالى وان تلووا﴾ بلام ساكنة وواوين بعدها اولاهما مضمومة من لوى يلوي ليا وهي قراءة من عدا حمزة وابن عامر فانهما قرآ تلوا بلام مضمومة بعدها واو ساكنة من الولاية اصله تولوا حذفت الواو الاولى كما في تعدوا ثم سلبت ضمة الواو استثقالا لها على الواو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين ثم ضمت اللام لاجل واو الضمير فصار تلوا وولاية الشيء عبارة من الاقبال عليه والاشتغال به وعدم الاعراض عنه والمعنى وان تقبلوا على الشهادة بالحق او تعرضوا عنها فالله تعالى يجازيكم على حسب عملكم ﴿قوله خطاب للمسلمين﴾ لما كان ظاهر الآية مشعرا بكونه امرا بتحصيل الحاصل ولا شك انه محال فسر الآية بوجوه تدفع ذلك الوهم بكل تفسير منها الاول ان الخطاب

للمسلمين لان لفظ الذين آمنوا عند الاطلاق لايتناول غير المسلمين ومعنى امرهم بالايمان ان يدوموا ويثبتوا عليه كأنه قيل ياايها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل ونظيره قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله مع انه كان عالما بذلك والثاني ان الخطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب والثالث ان الخطاب لمؤمني اهل الكتاب ومعنى امرهم بالايمان ان يؤمنوا بجميع مايجب الايمان به من الكتب والرسل ولا يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه قرأ نافع والكوفيون والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل على بناء نزل وانزل للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو على بنائهما للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير الكتاب ﴿قوله والثاني الجنس﴾ اى من حيث تحققه في ضمن جميع افراد الكتب السماوية على طريق التعميم بعد التخصيص كأنه قيل آمنوا بالقرآن وبجميع الكتب الالهية ﴿قوله اى ومن يكفر بشئ من ذلك﴾ لما ذكرت الامور الخمسة الواقعة بعد قوله ومن يكفر متعاطفة بالواو كان لمتوهم ان يقول الضلال البعيد انما هو لمن يكفر بجميع هذه الامور والكفر ببعضها دون بعض لايوجب الضلال اشار المصنف الى دفع هذا الوهم بان جعل كلمة الواو بمعنى او دلالة على احد الشيئين او الاشياء وذلك لان الكفر ضد الايمان فيتحقق عند انتفاء الايمان ولاشك ان الايمان انما يتحقق بالتصديق بجميع مايجب الايمان به ومتى لم يصدق المكلف بشئ من ذلك ينتفى عنه الايمان فيكون كافرا ضالا عن المقصد ضلالا بعيدا ﴿قوله اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر﴾ يعنى ان المراد بقوله لم يكن الله ليغفر لهم استبعاد ان يصدر منهم ماهو شرط المغفرة بناء على ان تكرر الكفر منهم بعد الايمان مرات يدل على انه لاوقع للايمان في قلوبهم اذ لو كان للايمان وقع في قلوبهم لما تركوه بادنى سبب ومن كان كذلك فالظاهر انه لايؤمن ايمانا صحيحا ومعلوم ان ذنب الكفر لايغفر مادام على الكفر كما ان الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع فانه لايكاد يرجى منه الثبات على التوبة والغالب انه يموت على الفسق فكذا من تكرر منه الارتداد واصر على كفره فان الظاهر من حاله انه يموت كافرا فكيف يغفر له ﴿قوله لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم﴾ فان اكثر اهل العلم على قبول توبة الكافر وان تكرر منه الارتداد وروى عن على رضى الله عنه انه لاتقبل توبته بل يجب ان يقتل لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ﴿قوله وخبر كان في امثال ذلك﴾ المراد بامثاله كل منفى وقع بعده لام الجحود وهى لام ينتصب الفعل بعدها باضمار ان فينسبك منها ومن الفعل المنصوب بها مصدر مجرور بهذه اللام المتعلقة بالخبر المحذوف لكان والتقدير لم يكن الله مريدا لمغفرتهم وتقرير قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم وما كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اى عملكم والفرق بين لام كى ولام الجحود ان شرط لام الجحود ان يتقدمها كون منفى وشرط بعضهم مع ذلك ان يكون ذلك الكون المنفى ماضيا وهذا الشرط غير معتبر في لام كى وهذا الذي ذكرناه هو قول البصريين وقال الكوفيون هذه اللام مع مابعدها في محل النصب على انه خبر كان ولا يقدر لكان خبر محذوف والفعل المنصوب بعد هذه اللام منصوب بنفس هذه اللام لاباضمار ان وفائدة اللام تأكيد المنفى خبر كان باتفاقهما والبصريون ايضا يقولون الكلام مع هذه اللام آكد وابلغ منه بدونها فان قولك ماكان زيد ليقوم معناه نفي ارادة القيام بخلاف قولك ماكان زيد يقوم فان معناه نفي نفس القيام مع عدم التعرض لارادته ولاشك ان نفي ارادة الفعل ابلغ في الدلالة على انتفائه من نفي نفس الفعل بدون التعرض لارادته ﴿قوله وقرأ غير عاصم نزل﴾ اى قرأ الجمهور نزل مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل هو ان مع مافي حيزها وقرأ عاصم ويعقوب نزل مبنيا للفاعل وهو الضمير المستتر فيه الراجع الى لفظ الجلالة وان مع مافي حيزها في محل النصب على انه مفعول به لنزل قال المفسرون ان مشركي مكة كانوا يخوضون في ذكر القرآن ويستهزؤن به في مجالسهم فانزل الله تعالى في سورة الانعام وهى مكية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مافعله المشركون بمكة وكان المنافقون يقعدون معهم ويوافقونهم على ذلك الكلام الباطل فقال تعالى مخاطبا لهم وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وان هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن لان ان المخففة لاتعمل في غير ضمير الشأن الا في ضرورة الشعر كقوله

فلو انك في يوم الرخاء سألتني * طلاقك لم ابخل وانت صديق

او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح الهمزة والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اى ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) عن المقصد بحيث لايكاد يعود الى طريقه (ان الذين آمنوا) يعنى اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) حين عبدوا العجل (ثم آمنوا) بعد عوده اليهم (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولا يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم (بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما) يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع أنذرهم تهكما بهم (الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين) في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين (أيبتغون عندهم العزة) أيتعززون بموالاتهم (فان العزة لله جميعا) لايتعزز الا من اعزه فقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولايؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم (وقد نزل عليكم في الكتاب) يعنى القرآن وقرأ غير عاصم نزل والقائم مقام فاعله (ان اذا سمعتم آيات الله) وهى المخففة

(وقوله)

والمعنى انه اذا سمعتم (يكفر بها ويستهزأ بها) حالان من الآيات جيئ بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الذي هو جزآء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها (انكم اذا مثلهم) في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك اولان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون (الذين يتربصون بكم) ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره (فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم) مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم (وان كان للكافرين نصيب) من الحرب فانها سجال (قالوا ألم نستحوذ عليكم) اي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل (ونمنعكم من المؤمنين) بأن خذلناهم بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال (فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة

وقوله يكفر بها في محل النصب على انه حال من الآيات وبها في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وكذلك ما في قوله ويستهزأ بها والاصل يكفر بها احد فلما حذف الفاعل قام الجار والمجرور مقامه وحتى غاية للنهي والمعنى انه يجوز مجالستهم عند خوضهم في غير الكفر والاستهزآء وفعل السماع وان وقع على الآيات ظاهرا الا ان المسموع في الحقيقة هي الحال المتعلقة بها وهي حال كونها مكفورا بها ومستهزأ بها ﴿قوله حالان من الآيات جيئ بهما لتقييد النهي الخ﴾ يعني ان الشرط قيد للحكم المدلول عليه بالجزآء وان ما وقع شرطا في الحقيقة هو كون من يجالسه المنهي عن المجالسة هازئا معاندا غير مرجو اي غير مخوف منه فان الرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف كما في قوله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا اي لاتخافون عظمة الله وقوله غير مرجو اصله غير مرجو منه فحذف صلته كما حذف صلة المشترك فيه والمستتر في من يجالسه ضمير المنهي عنه والبارز ضمير من ﴿قوله ويؤيده الغاية﴾ اي يؤيد كون المجيء بهما لتقييد النهي بذلك قوله حتى يخوضوا في حديث غيره فانه كما مر غاية للنهي فان حرمة المجالسة لو لم تكن مشروطة بكون من يجالسه هازئا معاندا لما كانت منتهية بانتهائه ﴿قوله المدلول عليهم بقوله يكفر بها﴾ فان الفعل وان بني للمفعول الا انه لابد له من فاعل يقوم هو به فكان الفاعل في حكم المذكور فجاز عود الضمير اليه ﴿قوله مثلهم في الاثم﴾ اي ليس المراد بالمماثلة المماثلة من كل وجه فان من قعد مع الخائضين في القرآن لايكفر بمجرد القعود معهم بل يكون مرتكبا للمعصية بخلاف الخائضين فانهم كفروا والمؤمن العاصي لايماثل الكافر في الكفر الا اذا رضي بالكفر وانما يماثله في الاثم ومن رضي بكفر نفسه فهو كافر بالاتفاق واما الراضي بكفر غيره فقد اختلفوا في كفره والصحيح لايكفر فان صاحب الكشاف نقل عن مشايخ ما وراء النهر انهم قالوا الرضى بكفر الغير مع استقباح نفس الكفر لايكون كفرا قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا وانما الرضى بالكفر مع استحسان الكفر كفر وان كان ضمير انكم للمنافقين وضمير مثلهم لاحبار اليهود تكون المماثلة بينهم في الكفر ﴿قوله واذا ملغاة﴾ فانها انما تنصب الفعل الواقع بعدها اذا لم يعتمد مابعدها على ماقبلها اي اذا لم يكن مابعدها من تمام ماقبلها وذلك في ثلاثة مواضع بالاستقرآء الاول ان يكون مابعدها خبرا لما قبلها نحو انا اذا اكرمك والثاني ان يكون مابعدها جزآء للشرط الذي قبل اذا نحو ان تأتني اذا اكرمك والثالث ان يكون مابعدها جوابا للقسم الذي قبل اذا نحو والله اذا لأخرجن وههنا لما وقع مابعد اذا خبرا لما قبلها كانت اذا في موضع الالغاء فلذلك لم يذكر الفعل بعدها ﴿قوله وافراد مثلهم﴾ جواب عما يقال ان المثل قد اخبر به عن الجمع فلم لم يطابقه كما طابق في قوله ثم لايكونوا امثالكم وفي قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ* وتقرير الجواب انه انما افرد لاجل انه قصد المصدر ههنا كأنه قيل ان عصيانكم اذا مثل عصيانهم وهذا الجواب مشكل في قوله تعالى أنؤمن لبشرين مثلنا لان تقدير المصدر فيه عسر وتكلف فيصار فيه الى الجواب الذي ذكره بقوله او للاستغناء بالاضافة الى الجمع ﴿قوله وقرئ بالفتح﴾ فان الجمهور على رفع اللام في مثلهم لكونه خبران وقرئ شاذا بفتح اللام على انه خبر ايضا وانما فتح لاضافته الى غير متمكن كما فتح كذلك في قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون ﴿قوله ينتظرون وقوع امر بكم﴾ فسر التربص بالانتظار وقدر له متعلقا محذوفا ونكر امرا ليتناول الخير والشر ويظهر وجه الفاء التفصيلية في قوله فان كان لكم فتح والمراد بالفتح والنصيب الظفر والغلبة ﴿قوله او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح الخ﴾ وهذا الوجه ضعيف لبعد المعنى عنه ولاستلزامه زيادة الفاء في غير محلها لان هذا الموصول غير ظاهر الشبه باسم الشرط ﴿قوله فأبقينا عليكم﴾ اي رحمنا وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته وفيه ايضا أرعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿قوله تعالى فالله يحكم بينكم﴾ اي بين المؤمنين والمنافقين بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد انه أخر عقاب المنافقين الى الموت ويوم القيامة ووضع عنهم السيف في الدنيا ﴿قوله حينئذ﴾ اي حين اذ قامت القيامة سئل علي رضي الله عنه عن معنى هذه الآية مع ان الكافرين يقاتلون المؤمنين ويظهرون عليهم احيانا فأجاب رضي الله عنه بأن معنى هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين في يوم القيامة على المؤمنين سبيلا قيل في بيانه ان الله تعالى يظهر ثمرة ايمان المؤمن ويصدق موعدهم ولايشاركهم الكفار في شيء من اللذات كما شاركوهم اليوم حتى يعلموا ان الحق معهم دونهم اذ لو شاركوهم في شيء منها لقالوا للمؤمنين ما نفعكم ايمانكم وطاعتكم شيأ لانا اشتركنا واستوينا معكم في ثواب الآخرة وعلى تقدير ان يكون المعنى سبيلا في الدنيا يريد بالسبيل

كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان (يرآؤون الناس) ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه (ولا يذكرون الله الا قليلا) اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لا ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من واو يرآؤون كقوله ولا يذكرون اي يرآؤونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة (لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين) فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم (أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وهي الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة لانهم ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ والتسمية طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك (ولن تجد لهم نصيرا) يخرجهم منه (الا الذين تابوا) عن النفاق (واصلحوا) ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) وثقوا به او تمسكوا بدينه (واخلصوا دينهم لله) لا يريدون بطاعتهم غير وجهه (فاولئك مع المؤمنين) ومن عدادهم في الدارين (والشكر)

الحجة ويكون المعنى حجة المسلمين غالبة على حجة الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة واستدل الامام الشافعي رحمه الله بهذه الآية على مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه بدار الحرب لم يملكه ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي وتمسك فيها بهذه الآية ﴿قوله سبق الكلام فيه﴾ وهو قوله الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه او عما هو بصدده وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية فلا يصلح ان يتعلق به الخدع كانهم لا يقصدون لان يكونوا خادعين لله تعالى بل المراد اما مخادعة رسوله وهم المؤمنون على حذف المضاف فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم او لان صورة صنيعهم مع المؤمنين اظهار الايمان واستبطان الكفر وصورة صنع الله معهم باجراء احكام المسلمين وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله تعالى في اخفاء مقالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع الخادعين وقوله تعالى وهو خادعهم اي يجازيهم على خديعتهم بالعقاب سمى جزاء الخدع خدعا على سبيل المشاكلة وقال ابن عباس انهم يعطون نورا يوم القيامة كالمؤمنين فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين يدل عليه قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وقوله تعالى واذا قاموا عطف على خبر ان اخبر عنهم بهذه الصفات الذميمة وكسالى نصب على الحال من ضمير قاموا الواقع جوابا والجمهور على ضم الكاف وهي لغة اهل الحجاز جمع كسلان كسكارى جمع سكران وقرئ بفتحها وهي لغة تميم واسد ﴿قوله تعالى يرآؤون الناس﴾ اما حال من الضمير المستتر في كسالى او جملة مستأنفة اخبر عنهم بذلك وقال ابو البقاء انه بدل من كسالى فيكون حالا من فاعل قاموا وفيه نظر لان الثاني ليس نفس الاول ولا بعضه ولا مشتملا عليه فكيف يكون بدلا منه ﴿قوله والمرآآة مفاعلة بمعنى التفعيل﴾ يقال رآى الناس بمعنى رأى كما يقال ناعم بمعنى نعم وفانق بمعنى فنق قال الجوهري تفنق الرجل اذا تنعم وفنقه غيره تفنيقا وفانقه بمعنى اي نعمه ﴿قوله او سلطانا يسلط﴾ يعني ان السلطان كما يكون بمعنى الحجة يكون بمعنى الوالي ايضا على ان يكون كل واحد من قوله لله وعليكم حالا من سلطانا لانه صفة له في الاصل قدم عليه او يكون لله هو الحال وعليكم متعلقا بالجعل والمعنى أتريدون ان تجعلوا سلطانا كائنا منكم واليا امر عقابكم مختصا به تعالى فانه منقاد لامره ويحتمل ان يكون السلطان بمعنى الوالي واقعا موقع التسلط والاستيلاء وكل واحد من حجة الله وتسلطه على خلقه وان كان ثابتا له في عموم الاحوال من غير جعل جاعل الا انه تعالى لما نهى عن امر واوعد عليه فاذا فعله العبد فكأنه الزم نفسه حجة الله عليه في ذلك واثبت له تسلطا على قهره وعقابه بناء على انه تعالى اخبر في مواضع من كتابه انه لا يعذب الا من عصاه ﴿قوله واما قوله عليه الصلاة والسلام الخ﴾ جواب عما يقال كل واحد ممن كذب في حديثه واخلف وعده وخان فيما ائتمن عليه منافق بحكم هذا الحديث وليس بكافر فضلا عن ان يكون اخبث الكفرة ومستحقا لاسفل الدرك ﴿قوله لانها متداركة﴾ يعني ان الدرك مأخوذ من المداركة وهي المتابعة وطبقات النار متتابعة فلذلك سميت دركات وفي الصحاح ان دركات النار منازل اهلها والنار دركات والجنة درجات والقعر الآخر درك ودرك والمصنف رجح التحريك لجمعه على ادراك كجمل واجمال وفرس وافراس ولو سكنت الراء لجمع على ادرك نحو كلب واكلب وفلس وافلس ﴿قوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا الآية﴾ شرط في ازالة العقاب عن المنافقين امورا اربعة الاول التوبة عما ارتكبوه من القبائح والثاني اصلاح العمل واتيان ما حسنه الشرع من اعمال القلوب والجوارح والثالث الاعتصام بالله بان يكون الغرض من ترك القبائح وفعل الحسنات طلب مرضاة الله ورحمته والرابع ان تكون تلك الامور المذكورة خالصة لوجه الله اي لا يخطر بباله في شيء من ذلك غرض غير ابتغاء مرضاة الله ولا يكون هذا الغرض ممزوجا بغرض آخر ﴿قوله أيتشفى به غيظا الخ﴾ اشارة الى ان ما استفهامية في محل النصب بيفعل قدمت عليه لاقتضاء الاستفهام صدر الكلام والباء سببية متعلقة بيفعل والاستفهام هنا بمعنى النفي اي لا يفعل بعذاب المؤمن الشاكر شيئا من تشفي الغيظ وجلب النفع ودفع الضر لان كل ذلك محال في حقه تعالى لانه تعالى غني لذاته عن الحاجات منزه عن جلب المنفعة ودفع المضرة والمقصود منه حمل المكلفين على الايمان وفعل الطاعات وترك المنكرات فكأنه قيل اذا اتيتم الحسنات وتركتم المنكرات فكيف يليق بكرمه ان يعذبكم وجوابه ان شكرتم محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان شكرتم وآمنتم فلا يفعل بعذابكم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة

من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله (وكان الله سميعا) لكلام المظلوم (عليما) بالظالم (ان تبدوا خيرا)

طاعة وبرا (او تخفوه) او تفعلوه سرا (او تعفوا عن سوء) لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (اولئك هم الكافرون) هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا (حقا) مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم) اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي (اولئك سوف نؤتيهم اجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله (فقد سألوا موسى اكبر من ذلك) جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك

والشكر اظهارها قدم الشكر على الايمان مع ان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولا بقاء للشكر مع عدم الايمان اما لان الواو لا توجب الترتيب او لان الارتقاء الى درجة الايمان بالله ووحدانيته انما يحصل بمشاهدة ما افاضه من نعمه الحاصلة له والخارجة عنه فان الانسان اذا نظر الى نعمة اصل الوجود وما يتفرع عليه من المواهب والعطايا يعترف بحق من انعم بذلك عليه ويخضع له خضوعا تاما الا انه يلاحظ المنعم في هذه المرتبة على الاجمال ولا يترقى الى تعيين المنعم والايمان به بخصوصه الا بعد امعان النظر في الدلائل الدالة على ثبوت الصانع ووحدانيته فلما كان الشكر المجمل مقدما على الايمان به تعالى في الوجود قدم عليه في الذكر ﴿ قوله مثيبا ﴾ يعني ان الشكر اذا اسند الى الله تعالى يكون بمعنى الاثابة وتضعيف الجزاء الواقع بمقابلة شكر العبد وسمي جزاء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة فان شكر العبد عبارة عن صرف نعمة الله تعالى لما خلقت لاجله واثابة الله تعالى اياه بمقابلة شكره مشابهة للشكر من حيث كونها فعلا واقعا بمقابلة الجميل فسميت باسمه ﴿ قوله الا جهر من ظلم ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى الا من ظلم مستثنى متصل من الجهر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وبالسوء متعلق بالجهر ومن القول حال من السوء كانه قيل لا يحب الله ان يجهر احد في حق غيره بالسوء من القول الا جهر المظلوم فان المظلوم له ان يجهر ويرفع صوته بالدعاء على من ظلمه ويذكره بما فيه من السوء تظلما منه مثل ان يذكر انه سرق متاعي او غصبه مني قال مجاهد الا ان يجهر بظلم ظالمه ولو شتمه احد ابتداء فله ان يرد على شاتمه قيل في وجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما هتك ستر المنافقين وكشف قبائحهم وكان هتك الستر غير لائق بالكريم الرحيم ذكر تعالى ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يعني انه تعالى لا يحب اظهار الفضائح والقبائح الا في حق ظالم عظم ضرره وكثر كيده ومكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس وهؤلاء المنافقون قد كثر كيدهم ومكرهم وظلمهم في حق المسلمين وعظم ضررهم فلذلك ذكر الله فضائحهم وكشف اسرارهم ﴿ قوله روي ان رجلا ضاف قوما ﴾ اي اتاهم ضيفا وقيل نزلت الآية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه فان رجلا شتمه فسكت مرارا ثم رد عليه فقام النبي عليه الصلاة والسلام فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال عليه الصلاة والسلام ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اجلس عند مجيء الشيطان قرأ الجمهور الا من ظلم على بناء المفعول وقرئ على بناء الفاعل ايضا فتكون الجملة في محل النصب على اصل الاستثناء المنقطع وانما قلنا ان الاستثناء منقطع عما قبله لان قولنا لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول كلام تام وقولنا لكن من ظلم فدعوه فانه يجهر بالسوء من القول ظلما واعتداء ويفعل ما لا يحبه الله منقطع عنه ليس فيه اخراج شيء عن حكم المتعدد المذكور قبله وانما سمي مستثنى لكونه مذكورا بعد الا ﴿ قوله تشبيب له ﴾ اي تمهيد وتوطئة لذكر ما قصد بيان انه احب وافضل وتشبيب القصيدة تزيينها بما تقدم على التخلص الى المدح من التغزل والوصف بالحسن والجمال فان الشاعر يزين قصيدته بذكر اوصاف الممدوح ووجوه محاسنه وشمائله ثم يتخلص منه الى ما هو الغرض من المدح ﴿ قوله بعد ما رخص له في الانتصار ﴾ حيث جوز الجهر بالسوء من القول واذن فيه وجعله محبوبا حيث استثناه من قوله لا يحب وانما حث عليه لكونه احب وافضل ثم انه تعالى لما تكلم على طريقة المنافقين اخذ يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى ومناقضاتهم فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله الآية فان اليهود والنصارى قد كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وزاد اليهود الكفر بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل ولزم من ذلك كفرهم بالله اذ لا يصح الايمان به تعالى مع تكذيب احد من رسله وكذا لا يصح الايمان برسول مع الكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام لانه ما من نبي الا وقد امر قومه بالايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام وبجميع الانبياء فمن كفر ببعض منهم فقد كفر بالكل ﴿ قوله مؤكد لغيره ﴾ لان مضمون الجملة التي قبله من حيث كونها خبرا يحتمل غير الحق فيجب اضمار عامل مؤكد وهو غير الجملة المؤكدة به والتقدير حق ذلك حقا وهكذا كل مصدر مؤكد لغيره ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بذكر وعد المؤمنين فقال والذين آمنوا بالله الآية قرأ الجمهور سوف نؤتيهم بنون العظمة على الالتفات من الغيبة الى التكلم ليوافق قوله واعتدنا وقرأ حفص عن عاصم بالياء واعاد الضمير على اسم الله تعالى في قوله والذين آمنوا بالله ﴿ قوله وتصديره بسوف لتأكيد الوعد ﴾ اي الموعود الذي هو الايتاء ووجه كون سوف مفيدا للتأكيد ان صيغة يفعل موضوعة

(فقالوا أرنا الله جهرة) عيانا اي أرناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له (فأخذتهم الصاعقة) نار جاءت من السماء فاهلكتهم (بظلمهم) بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد (فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليقبلوه (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) على لسان موسى والطور مطل عليهم (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين ظلال الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان (واخذنا منهم ميثاقا غليظا) على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا (فبما نقضهم ميثاقهم) اي فخالفوا ونقضوا فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره (وكفرهم بآيات الله) بالقرآن او بما في كتابهم (وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف) اوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا اليه (بل طبع الله عليها بكفرهم) فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام

للاستقبال كالحال فدخول حرف الاستقبال عليها لا يكون الا تأكيدا لثبات مضمونها **﴿قوله عيانا﴾** الجهرة حقيقة في ظهور الصوت لحاسة السمع ثم استعيرت لظهور المرئي لحاسة البصر ونصبها على المصدر لان المعاينة نوع من الرؤية او حال من الفاعل بمعنى مجاهرين او المفعول بمعنى معاينا **﴿قوله بسبب ميثاقهم ليقبلوه﴾** يعني ان الباء سببية متعلقة بالرفع وان القوم لما امتنعوا عن قبول شرائع التوراة رفع الله فوقهم الجبل حتى قبلوها وان المعنى ورفعنا فوقهم الطور لاجل ان يعطوا الميثاق لقبول الدين **﴿قوله والطور مطل عليهم﴾** بالطاء المهملة اي مشرف يقال اطل عليه اي اشرف وطلاله اي شخصه يقال حيى الله طلالك وطلالك بمعنى اي شخصك **﴿قوله وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا﴾** بفتح العين وتشديد الدال اصله لا تعتدوا للاحتجاج بان قوله تعالى اعتدوا منكم في السبت من الاعتداء وهو افتعال من العدوان فلما ادغمت تاء الافتعال في الدال نقلت حركتها الى العين واحترز بورش عن قالون فانه روى عن نافع لا تعدّوا ساكنة العين مشددة الدال من الاعتداء ايضا فان كان المراد من السكون المحض فهو شيء لا يراه النحويون لانه جمع بين ساكنين على غير حدهما وان اريد به الاختلاس واخفاء فتحة العين فهو ايضا لا يخلو عن بعد لان الفتحة الخفيفة ضعيفة في نفسها فلا ينبغي ان تخفى لتزداد ضعفا فلذلك لم يذكر المصنف هذه القراءة قرأ الجمهور لا تعدوا بسكون العين وتخفيف الدال من عدا يعدو مثل غزا يغزو والاصل لا تعدووا بواوين الاولى لام الكلمة والثانية ضمير الفاعل ثم صار بالاعلال على وزن لا تفعوا ومعناه لا تعتدوا ولا تظلموا باصطياد الحيتان يوم السبت يقال عدا يعدو عدوا وعدوانا اي ظلم وجاوز الحد ومنه قوله تعالى فيسبوا الله عدوا بغير علم والميثاق تغليظ العهد المؤكد عليه غاية التأكيد **﴿قوله وما مزيدة﴾** اي بين الجار والمجرور للتأكيد اي تحقيق ما فعل بهم من اللعن والغضب وضرب الذلة والمسكنة عليهم وغير ذلك من وجوه العقاب الذي لم يكن الا بسبب نقضهم العهد وما عطف عليه فالنقض مصدر مضاف الى فاعله وميثاقهم مفعوله **﴿قوله ويجوز ان يتعلق بحرمنا﴾** في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا وعلى هذا يلزم ان يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وذلك لا يجوز الا مع العطف والبدل وذلك لان قوله فبظلم متعلق بحرمنا ايضا والباء فيه وفي قوله فبما نقضهم متحدان لفظا ومعنى واجابوا عنه بان قوله فبظلم متعلق بحرمنا ايضا بدل من قوله فبما نقضهم باعادة الجار فورد عليه فاء العطف لان البدل تابع بنفسه من غير توسط حرف عطف ه واجيب عنه بانه لما طال الكلام بين البدل والمبدل منه اعيد الفاء لطول ولا يخفى ان الوجه الاول اولى لطول الفصل بين البدل والمبدل منه فيكون قوله فبظلم بدلا من قوله فبما نقضهم وهو بعيد غاية البعد وايضا الذنوب المذكورة من كفرهم بالله ونقض الميثاق وقتل الانبياء وانكار التكليف بقولهم قلوبنا غلف ذنوب عظيمة والذنوب العظيمة انما يحسن ان يفرع عليها عقوبة عظيمة وتحريم بعض المأكولات عقوبة خفيفة فلا يحسن تعليقها بتلك الذنوب العظيمة **﴿قوله لانه رد لقولهم قلوبنا غلف﴾** يعني لو تعلقت الباء بمحذوف مدلول عليه بقوله بل طبع الله عليها لكان بل طبع الله متعلقا بذلك المحذوف معطوفا عليه لان بل حرف عطف يستدعي معطوفا عليه ولكان تقدير الكلام ومعناه فبما نقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لا يؤمنون بل طبع الله عليها بنفس كفرهم فكيف اذا انضم اليه النقض والقتل لكن ليس الامر كذلك لانه متعلق بقولهم قلوبنا غلف ردا له وانكارا كما صرح به في سورة البقرة بقوله وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولو كان عطفا على المحذوف الذي تعلق به الباء لم يكن ردا لقولهم فيختل المعنى المقصود من الكلام حيث صرف الكلام عن كونه انكارا لقولهم الى بيان ان سبب الطبع هو نفس كفرهم لا مجموع الامور المذكورة وهذا تفصيل ما اشار اليه المصنف بقوله فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره **﴿قوله اوعية للعلوم﴾** على ان يكون غلف جمع غلاف والاصل غلف بضم الغين واللام مثل كتب وكتاب ثم خففت بتسكين اللام والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلوم فلا حاجة بنا الى علم سوى ما عندنا فكذبوا الانبياء بهذا القول وقوله او في اكنة مبني على ان يكون غلفا جمع اغلف وهو المتغطي بالغلاف وهو الغطاء والمعنى على هذا انهم قالوا قلوبنا في اغطية فهي لا تفقه ما تقولون ونظيره قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب **﴿قوله الا قليلا منهم﴾** على ان يكون الا قليلا استثناء من فاعل لا يؤمنون فلا بد ان يلاحظ الفاعل بمجرد كونه كافرا مع قطع النظر عن كونه مطبوع القلب لان من طبع الله على قلبه وختم لا يقع منه الايمان ابدا لانه لا يعي وعظا ولا يوفق لخير قال الامام في السنة فلا يؤمنون الا قليلا يعني ممن كذب الرسل لا ممن طبع على قلبه لان من طبع على قلبه لا يؤمن ابدا

واراد بالقليل عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم ﴿قوله او ايمانا قليلا﴾ وهو ايمانهم بموسى عليه الصلاة والسلام والتوراة وهو مبني على ان يكون الا قليلا صفة مصدر محذوف ﴿قوله لانه من اسباب الطبع﴾ اي لا يلزم من عطفه عليه عطف الشيء على نفسه لان الكفر المعطوف عليه كفرهم بمحمد عليه الصلاة والسلام والثاني كفرهم بعيسى عليه الصلاة والسلام وكل واحد منهما من اسباب الطبع فعطف بعض كفرهم على بعض وان كان معطوفا على قوله فبما نقضهم يكون كل واحد من الامور المتعاطفة من اسباب الفعل المحذوف لا من اسباب الطبع ويكون قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما يتبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ﴿قوله ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله﴾ فذكر بل حرف الاضراب كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وبجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عليه الصلاة والسلام عاقبناهم او امتناهم وفعلنا ما فعلنا ﴿قوله اي بزعمهم﴾ اشارة الى جواب ما يقال من انهم كيف قالوا في حق عيسى عليه الصلاة والسلام انه رسول الله مع انهم على عداوته وصدد قتله ﴿قوله استئنافا من الله بمدحه﴾ مع قطع النظر عن توصيفه بخلاف ما وصفوه به تنزيها له عما كانوا يذكرونه به ﴿قوله روي ان رهطا من اليهود سبوه﴾ بان قالوا هو الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم فقال اللهم انت ربي وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتني ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم فالعن من سبني وسب امي فاستجاب الله تعالى دعاءه ومسخ الذين سبوه وسبوا امه قردة وخنازير فلما رأى ذلك يهودا رئيس اليهود واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته ايضا فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بانه يرفعه الى السماء الخ ﴿قوله وقيل﴾ اي قيل كان الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسى رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وقال مقاتل ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون رقيبا عليه يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فاخذ بضبعيه ورفعه الى السماء والقى الله عز وجل على الرقيب شبه عيسى فلما رأته اليهود ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه وكان يقول لهم اني لست بعيسى انا فلان ابن فلان فلم يصدقوه وقتلوه ﴿قوله وتبجحهم به﴾ هو تفعل من البجح وهو الفرح يقال بجح بالشيء بكسر الجيم اي فرح به وبجح به بالفتح لغة ضعيفة فيه وبجحته انا تبجيحا فتبجح اي فرحته ففرح ولا شك ان التراضي بمثل هذا المنكر والفرح به في غاية القباحة ومستوجب لنهاية المذمة بخلاف مجرد قولهم قتلنا فلانا بناء على ظنهم ان المقتول هذا الفلان ﴿قوله ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول﴾ على ان المقتول مشبه به والقائلين انا قتلنا المسيح هو المشبه لهم لانهم الذين وقع التشبيه لاجلهم واسناد الفعل المبني للمفعول الى الجار والمجرور كثير شائع في كلامهم نحو خيل اليه ولبس عليه ﴿قوله او في الامر﴾ معطوف على قوله بين عيسى والمقتول وقوله على قول من قال لم يقتل احد اي احد يشبه المسيح وليس المراد انه لم يقتل احد اصلا لان وقوع التشبيه في امر قتل المسيح وان لم يقتض وقوع قتل ما يشبهه لكنه يقتضي وقوع قتل ما يشبه قتله وذلك انما يكون بان يقتل احد فيرجف بانه هو المسيح قال الامام الرازي في تفسيره قال كثير من المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة مع الناس فبهذا الطريق اندفع ما يقال اذا جاز ذلك جاز ان يقال ان الله تعالى يلقي شبه زيد على عمرو وعند ذلك لا يبقى الطلاق والنكاح والملك موثوقا به ثم قال لا يقال ان النصارى ينقلون عن اسلافهم انهم شاهدوه مقتولا لانا نقول ان تواتر النصارى ينتهي الى اقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب انتهى كلامه ﴿قوله فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا﴾ قال السدي ان اليهود حبسوا عيسى مع عشرة من الحواريين في بيت فدخل عليهم رجل من اليهود ليخرجه فيقتله فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى فذلك اختلافهم فيه ﴿قوله وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا﴾ فان اليهود لما قتلوا الشخص المشبه بعيسى كان الشبه قد ألقي على وجهه ولم يلق عليه شبه جسد عيسى فلما قتلوه ونظروا الى بدنه قالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره ﴿قوله وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت﴾ اي قيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فقال قوم منهم انه ما قتل وما صلب بل رفعه الله الى

او ايمانا قليلا اذ لا عبرة به لنقصانه (وبكفرهم) بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتانا عظيما) يعني نسبتها الى الزنى (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) اي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطايوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جرأتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم قتيلا (وان الذين اختلفوا فيه) في شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت

(الا شك منه) الى تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد و على ما يقابل العلم وتثلاث اكده بقوله (مالهم به من علم الا اتباع الظن) استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء (وماقتلوه يقينا) قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين و قيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر

كذاك يخبر عنها العالمات بها *
وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا *

من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه (بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله واثبات لرفعه (وكان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده (حكيما) فيما دبر لعيسى لايموت (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لأحد و يعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى والمعنى مامن اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبدالله ورسوله قبل ان يموت ولوحين ان تزهق روحه و لاينفعه ايمانه و يؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولايبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات و يلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى و يصلى عليه المسلمون ويدفنون (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) فيشهد على اليهود بالتكذيب و على النصارى بانهم دعوه ابن الله (فبظلم من الذين هادوا) اى فبأى ظلم منهم (حرمنا عليهم طيبات احلت لهم) يعنى ماذكره فى قوله و على الذين هادوا حرمنا (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا او صدا كثيرا (واخذهم الربا وقد نهوا عنه) كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى على التحريم (واكلهم اموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما) دون من تاب وآمن

السماء واتفق قوم منهم على ان اليهود قتلوه وهم كبار فرق النصارى ثم انهم افترقوا مع اتفاقهم عليه ثلاث فرق النسطورية والملكانية واليعقوبية اما النسطورية فقد زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته اى جسمه وهيكله المحسوس لامن جهة لاهوته اى نفسه وروحه واكثر الحكماء يختارون مايقرب من هذا القول قالوا لانه ثبت ان الانسان ليس عبارة عن هذا الهيكل بل هو اما جسم لطيف فى هذا البدن او جوهر روحانى مجرد فى ذاته وهو مدبر فى هذا البدن والقتل انما ورد على هذا الهيكل واما النفس التى هى فى الحقيقة عيسى فالقتل ماورد عليها * لايقال كل انسان كذلك فما الوجه فى هذا التخصيص * لانا نقول ان نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالانوار الالهية عظيمة القرب من ارواح الملائكة والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن ثم انها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص الى فسحة السموات وانوار عالم الجلال فتعظم بهجتها وسعادتها وسعادتها هنالك ومعلوم ان هذه الاحوال غير حاصلة لكل الناس وانما تحصل لاشخاص قليلين من مبدأ خلق آدم الى قيام القيامة فهذا هو الفائدة فى تخصيص عيسى عليه الصلاة والسلام بهذه الحالة واما الملكانية فانهم قالوا القتل والصلب وصل الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقال اليعقوبية القتل والصلب وقعا بالمسيح الذى هو جوهر متولد من جوهر فهذا شرح مذاهب النصارى فى هذا الباب وهو المراد بقوله ان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ﴿قوله اى تردد﴾ جواب عما يقال كيف جعلوا شاكين ظانين مع ان الشك والظن لايجتمعان لان ادراك النسبة مع الشك فيما لا يترجح فيه احد الجانبين على الآخر وادراكها بطريق ترجح احدهما الظن ولاشك ان الرجحان وعدمه لايجتمعان والفرق بين التردد الذى هو عدم الجزم وبين ما يقابل العلم ان الثانى اعم لانه كما يتناول الشك المصطلح والظن يتناول الجهل ايضا وهو الاعتقاد الغير المطابق ولايتناوله التردد وجعل الاستثناء منقطعا لان اتباع الظن ليس من جنس العلم ﴿قوله قتلا يقينا﴾ على ان يكون يقينا نعت مصدر محذوف وقوله او متيقنين على ان يكون حالا من فاعل قتلوه ﴿قوله وقيل معناه ماعلموه يقينا﴾ اى ماعلموا امر عيسى عليه الصلاة والسلام على جهة اليقين فيكون انتصاب يقينا فى النظم على انه مصدر من معنى قوله ماقتلوه لان معناه ماتيقنوه وماعلموه يقينا وقد يطلق على العلم بالشئ على وجه اليقين والاحاطة به اسم القتل فيقال قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا بلغ علمك به الى اقصى مايمكن العلم به ووجه المجاز فيه ان قتل الشئ انما يكون بقهره والاستيلاء عليه فشبه العلم بالشئ على الوجه المذكور بقتله لاستلزامه نوع القهر والغلبة عليه وقوله تعالى بل رفعه الله اليه قال الحسن البصرى الى السماء التى هى محل كرامة الله تعالى ومقر ملائكته ولايجرى فيها حكم احد سواه فكان رفعه الى ذلك الموضع رفعا اليه تعالى لانه رفع عن ان يجرى عليه حكم العباد ومن هذا القبيل قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وكانت الهجرة الى المدينة وقوله انى ذاهب الى ربى اى الى موضع لايمنعنى احد من عبادة ربى ﴿قوله لايغلب على مايريده﴾ عزة الله تعالى عبارة عن كمال قدرته فان رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السموات وان كان متعذرا بالنسبة الى قدرة البشر لكنه سهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى لايغلبه احد ﴿قوله ليؤمنن جملة قسمية﴾ فيه مسامحة لانها جواب القسم والجملة القسمية محذوفة والتقدير ليس من اهل الكتاب احد موصوف بصفة الايمان يقال فى حقه والله ليؤمنن به لان الجملة القسمية انشائية والجملة الانشائية لاتقع صفة الا بالتأويل ثم انه تعالى لما ذكر فضائح اليهود وكمال عداوتهم لعيسى عليه الصلاة والسلام بين انه لايخرج احد منهم من الدنيا الا بعدما يؤمن به * فان قلت ان اكثر اليهود يموتون ولايؤمنون بعيسى * والجواب عنه ماروى عن شهر بن حوشب انه قال قال الحجاج بن يوسف ماقرأت هذه الآية الا وفى نفسى منها شئ فانى اضرب عنق اليهودى والنصرانى ولا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا ياعدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبدالله ورسوله وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيقول آمنت انه عبدالله فاهل الكتاب يؤمنون به ولوكان ايمانهم به حين لاينفعهم ذلك الايمان فاستوى الحجاج جالسا وقال عمن نقلت هذا فقلت حدثنى به محمد بن الحنفية فاخذ ينكت فى الارض بقضيب ثم قال لقد اخذتها من عين صافية وان كان كل واحد من ضميرى به وموته لعيسى فلا اشكال لان اهل الكتاب الذين يكونون موجودين فى زمان نزوله عليه الصلاة والسلام لابد ان يؤمنوا به ﴿قوله ناسا كثيرا﴾ على ان كثيرا مفعول به وعلى قوله صدا كثيرا يكون

(لكن الراسخون فى العلم منهم) كعبدالله بن سلام واصحابه (والمؤمنون) اى منهم او من المهاجرين والانصار (يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) خبر المبتدا (والمقيمين الصلاة) نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم (والمؤتون الزكاة) رفعه لاحد الاوجه المذكورة (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية (اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما) على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى كسائر الانبياء (واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان) خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم (وآتينا داود زبورا) قرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور (ورسلا) نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او قصصنا (قد قصصناهم عليك من قبل) اى من قبل هذه السورة او اليوم (ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم (رسلا مبشرين ومنذرين) نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة (وكان الله عزيزا) لا يغلب فيما يريده (حكيما) فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز (لكن الله يشهد) استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره (بما انزل عليك) من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت (انزله بعلمه) انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها

انتصابه على المصدرية ﴿قوله نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك﴾ فان اولئك ان جعل خبرا للراسخين لا يجوز كون المقيمين منصوبا على المدح لان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام لا فى اثنائه واما اذا تم الكلام بقوله يؤمنون بما انزل اليك فحينئذ يجوز نصبه على المدح فانك اذا قلت مررت بزيد الكريم فلك ان تجر الكريم بكونه صفة لزيد ولك ان تنصبه على تقدير اعنى وان شئت رفعته على تقدير هو الكريم ويسمى مثله مرفوعا على المدح فاذا قلت جاءنى قومك المطعمين فى المحل والمغيثون فى الشدائد يكون التقدير جاءنى قومك اعنى المطعمين فى المحل وهم المغيثون فى الشدائد فكذا الآية فان تقديرها اعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ولقائل ان يمنع عدم جواز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ والخبر ويطلب الدليل على امتناعه ﴿قوله او عطف على ما انزل اليك﴾ فلا يكون منصوبا بل يكون مجرورا معطوفا على المجرور قبله وعلى هذا يكون قوله والمؤتون معطوفا على قوله والمؤمنون وعبر عن الانبياء بالمقيمين الصلاة لانه لم يخل شرع احد منهم من الصلاة قال تعالى فى سورة الانبياء بعد ان ذكر عددا منهم واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة ﴿قوله رفعه لاحد الاوجه المذكورة﴾ وهو كونه مرفوعا على المدح او على العطف على الراسخون او على الضمير فى يؤمنون وان لم يؤكد بمنفصل لوجود الفصل بينهما وعلى المقيمين على تقدير كونه مرفوعا بالابتداء ﴿قوله وهو جمع زبر بمعنى مزبور﴾ يعنى ان زبرا فى الاصل مصدر زبره بمعنى كتبه فيكون الزبر بمعنى الكتابة ثم جعل اسما للمفعول كما قالوا نسج اليمن بمعنى منسوجه ثم يجمع على زبور كفلس وفلوس وشهر وشهور كما يطلق الكتاب الذى هو مصدر على المكتوب ثم يجمع على كتب وقيل انه جمع زبور بفتح الزاى لكنه على حذف الزوائد يعنى حذف الواو منه فصار زبرا على وزن فلس فجمع على زبور كفلس وفلوس ولا بأس به فان ترخيم التصغير جائز فكذا فى التكسير ﴿قوله وهو منتهى مراتب الوحى﴾ حيث كان على وجه الخطاب من غير واسطة وتأكيد كلم بالمصدر يدل على انه عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله حقيقة لا كما يقول القدرية من ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك الكلام لان ذلك لا يكون كلام الله القائم به والافعال المجازية لا تؤكد بذكر المصادر فلا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة ﴿قوله ويكون رسلا موطئا﴾ والحال الموطئة ما لا تكون مقصودة لنفسها وانما المقصود صفتها الا ترى ان الرجولية مفهومة من قولك مررت بزيد رجلا صالحا وليست بمقصودة وانما المقصود الصلاحية ﴿قوله والآخر حال﴾ اى حالا يكون خبرا من قوله على الله او للناس يكون حالا فان كان الخبر هو على الله يكون للناس حالا وان كان الخبر للناس يكون على الله حالا ولا يجوز ان يتعلق على الله بحجة وان كان المعنى عليه لان معمول المصدر لا يتقدم عليه ﴿قوله واحتج عليهم الخ﴾ وجه الاحتجاج ان كل واحد من هؤلاء الانبياء والمرسلين واحدهم بكتاب نزل جملة واحدة ولا بكتاب محرر بخط سماوى ولا بكتاب يعلم به اهل ذلك العصر حين ينزل ولا بكتاب نزل الى كل واحد منهم بعينه يدعوه الى تصديق نبيه فعلم بذلك ان ثبوت النبوة لا يتوقف على اتيان الكتاب على الوجه الموصوف وحاصل كلام المصنف ان الجملة الاستدراكية لا يبتدأ بها فلابد من جملة متقدمة تكون هذه الجملة مستدركة عنها وتلك الجملة لم تذكر صريحا فهى ما فهم من سؤالهم على وجه التعنت ان ينزل عليهم ما وصفوه من الكتاب فهو بمنزلة قولهم لا نشهد بان الله تعالى بعثك الينا رسولا حتى ينزل ما سألناه فقال تعالى انهم لا يشهدون بصدقك فى دعوى الرسالة لكن الله يشهد بما انزل اليك ان جحدوه وكذبوه فان انزال هذا القرآن البالغ الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته واتيان ما يدانيه شهادة له عليه بنبوته وصدقه فى دعوى الرسالة وجعل انزال هذا القرآن المعجز شهادة منه تعالى بصدق نبيه لان الشاهد هو المبين لما شهد به والله تعالى قد بين بواسطة انزاله صدق نبيه فقد شهد شهادة مغنية عن شهادة اهل الكتاب بذلك ثم انه تعالى بين صفة ذلك الانزال بقوله انزله ملتبسا بعلم تام وحكمة بالغة والمقصود وصف القرآن بغاية الحسن ونهاية الكمال كما يقال فى الرجل المشهور بكمال الفضل والعلم اذا صنف كتابا واستقصى فى تجويده صنفه بكمال علمه يعنى انه اتخذ جملة علمه وسيلة الى تصنيف هذا الكتاب فيدل ذلك على وصف ذلك التصنيف بغاية الجودة والحسن فكذا هنا وقوله بعلمه حال من الفاعل اى انزله حال كون المنزل ملتبسا بعلمه الذى من جملة متعلقاته تأليف الكتاب المنزل على نظم يعجز عنه كل بليغ ومن جملة معلوماته ايضا حال من يستعد للنبوة فقوله او بحال من يستعد معطوف على قوله بتأليفه او من المفعول اى انزل الكتاب حال كونه ملتبسا بالعلم الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم

قوله وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا لان علمهم ليس مقتضى ذواتهم كما ان وجودهم ليس كذلك بل جميع مالهم من الفضائل انما يحصل لهم بان افاض الله تعالى ذلك عليهم من غير نظر وتأمل فانه تعالى لما بعثه رسولا الى خلقه وايده بالمعجزات تمثل شعاع العلم بذلك فى مرءآتهم المجلوة من الكدورات الطبيعية فشهادة الملائكة بذلك عبارة عن علمهم به بطريق الشهود والعيان الا انه عبر عنه بالشهادة تنبيها على ماذكره ووجه التنبيه ان الشهادة انما تكون فى حق من يتوقف علمه على البيان هذا ماخطر بخاطرى الفاتر والله اعلم قوله اى وكفى بما اقام من الحجج مبنى على ان شهيدا تمييز فى معنى الفاعل وان شهادته تعالى عبارة عن بيانه باقامة الحجة فكانه تعالى قال يا محمد ان كذبك هؤلاء اليهود فلا تبال بهم فان الله تعالى وهو اله العالمين يصدقك فى دعواك وملائكة السموات ايضا يصدقونك فى ذلك ومن صدقه رب العالمين وملائكة العرش والكرسى والسموات السبع اجمعون لا ينبغى له ان يلتفت الى تكذيب اخس الناس وهو هؤلاء اليهود قوله لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال فان اليهود الذين تقدم ذكرهم لم يكتفوا بان كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن بل ضموا اليه صد غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات فى قلوبهم نحو قولهم لو كان رسولا لاتى بكتابه دفعة من السماء كما نزلت التوراة على موسى كذلك وقولهم ان الله تعالى ذكر فى التوراة ان شريعة موسى لاتبدل ولاتنسخ الى يوم القيامة وقولهم ان الانبياء لايكونون الا من ولد هرون وداود وغير ذلك قوله وعليه الآية تدل اى على ان يحمل الظلم على ماهو اعم من ذلك تدل الآية على ان الكفار مخاطبون بما يتفرع صحته على الايمان من العبادات كالصوم والصلاة ونحوهما فان الله تعالى بين اولا ان ضلال من كفر منهم وصد غيره عن سبيل الله ضلال بعيد عن المقصد ثم بين وعيد من كفر وسلك سبيل الظلم مطلقا ومات عليه حيث حكم عليه بانه مخلد فى النار ولما رتب الوعيد المذكور على مجموع الكفر ومطلق الظلم علم ان مطلق الظلم له مدخل فى استحقاق العذاب وهو المراد من كون الكفار مخاطبين بالفروع فان الائمة الشافعية والحنفية قد اتفقوا على ان الكفار ليسوا مكلفين باتيان فروع الايمان كالصوم والصلاة حال كفرهم كما اتفقوا على ان لاقضاء عليهم بعد الايمان وعلى انهم يؤاخذون بترك اعتقاد الوجوب فى حق العبادات وانما الخلاف فى انهم هل يعذبون بترك العبادات كما يعذبون بترك الاصول اولا فاختار الشافعية الاول والحنفية الثانى وقالوا قوله تعالى ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين معناه لم نك ممن يعتقد بوجوبها قوله جارى حكمه السابق مستفاد من قوله لم يكن وقوله من مات على كفره اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا اذا لم يحمل على المعهود السابق بل حمل على الاستغراق فلابد ان يضمر فى الآية الموت على الكفر وعدم التوبة عنه لما تقرر من ان الدلائل الدالة على ان من تاب عن الكفر فانه يغفر له جميع سيئاته السابقة قوله لايصعب عليه اى ليس المراد من كون ايصال الالم ممتدا الى غير النهاية يسيرا عليه فقط التهوين والتحقير بل المراد ان ذلك لايصعب عليه كما يصعب على غيره قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف والباء للحال اى جاءكم الرسول ملتبسا بالحق وهو القرآن المعجز الذى شهد اعجازه على حقيته او بالدعوة الى عبادة الله تعالى وحده والاعراض عما سواه فان العقل السليم يشهد على انه الحق ويجوز ان يتعلق بنفس جاءكم اى جاءكم بسبب اقامة الحق والدعوة اليه دعا الله تعالى كافة الناس الى الايمان به عليه الصلاة والسلام والزم الحجة عليهم بكون مجيئه عليه الصلاة والسلام بالحق ووعد الخير لاهل الاجابة واوعد اهل الرد بان ضررهم لايتعداهم وقوله من ربكم متعلق بمجيئه اى جاء من عند الله وانه مبعوث مرسل غير متقول ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الحق قوله اى ايمانا خيرا لكم على ان خيرا صفة مصدر محذوف وفائدة التقييد بالصفة الاحتراز عن الايمان باللسان او التأكيد او الثناء على الايمان قوله او ائتوا امرا خيرا لكم على انه منصوب بفعل مضمر مدلول عليه بقوله آمنوا فانه تعالى لما امرهم بالايمان فهم منه انه يريد اخراجهم من امر وادخالهم فيما هو خير منه وهذا القول ينسب الى الخليل وسيبويه والقول الاول الى الفراء وذهب الكسائى وابو عبيدة الى ان خيرا منصوب على انه خبر كان المضمرة والتقدير يكن الايمان خيرا لكم ولم يرض به المصنف بناء على ماذهب اليه البصريون من انه لايجوز حذف كان مع اسمها من غير ضرورة وايد ضعفه من هذا الوجه بان كان المقدرة مع اسمها جواب شرط محذوف فيلزم حذف الشرط مع جوابه فان التقدير ان تؤمنوا يكن الايمان خيرا لكم فحذف الشرط وهو ان تؤمنوا وجوابه وهو يكن الايمان وابقى معمول الجواب وهو خيرا ويمكن دفع ماذكره ثانيا بانه

(لاحاجة)

(والملائكة يشهدون) ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها (وكفى بالله شهيدا) اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه (ان الذين كفروا وظلموا) محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه الآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا) لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة (وكان ذلك على الله يسيرا) لايصعب عليه ولا يستعظمه (يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد (فآمنوا خيرا لكم) اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لاتحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه (وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض) يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله مافى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه (وكان الله عليما) باحوالهم (حكيما) فيما دبر لهم

الله وكلمته ألقاها الى مريم) اوصلها اليها وحصلها فيها (وروح منه) وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل
سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة) اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة (انتهوا) عن التثليث (خيرا لكم) نصبه لما سبق (انما الله اله واحد) اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما (سبحانه ان يكون له ولد) اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا (وكفى بالله وكيلا) تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كي لا يرى اثره عليك (ان يكون عبدا لله) من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح من مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان
اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم

لا حاجة لنا في جزم يكن المقدر الى اضمار شرط صناعي وان كان المعنى عليه لانه يكفي في جزمه وقوعه جوابا للامر قبله وهو قوله فآمنوا فانك اذا قلت زرني اكرمك يكون قولك اكرمك مجزوما لوقوعه جوابا للامر من غير ان يقدر شرط صناعي **قوله** تعالى الا الحق استثناء مفرغ وفي نصبه وجهان احدهما انه مفعول به لانه يصح ان يتعلق به القول نحو قلت خطبة وثانيهما انه نعت مصدر محذوف اي الا القول الحق وهو قريب في المعنى من الاول وقوله المسيح مبتدأ بعد ان المكفوفة بما وعيسى بدل منه او عطف بيان وابن مريم صفته ورسول الله خبر المبتدأ وكلمته عطف عليه وألقاها في موضع الحال باضمار قد وعاملها معنى كلمة لانها في معنى المكون بالكلمة من غير أب فكأنه قيل ومكونه ومبدعه قد ألقاه الى مريم وذو الحال هو الضمير المستتر في كلمة الراجع الى عيسى لانه لتضمنه معنى المشتق نحو المكون والمنشأ والمبدع استتر فيه الضمير فانه عليه الصلاة والسلام وجد بكلمة الله وامر من غير واسطة أب ولا نطفة لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن **قوله** وروح عطف على كلمة ومنه صفة روح ومن لابتداء الغاية واشار المصنف اليه بقوله وذو روح صدر بلا واسطة الاب والنطفة وليست تبعيضية لاستحالة التجزي على الله تعالى حكي ان بعض النصارى ناظر بعض اكابر المسلمين وقال في كتاب الله ما يشهد بان عيسى جزء من الله تعالى وتلا وروح منه فعارضه المسلم بقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال يلزم عليه ان تكون تلك الاشياء جزأ من الله تعالى وهو محال بالاتفاق فانقطع كلام النصراني واسلم قيل معنى كونه عليه الصلاة والسلام روحا انه ذو روح صادر منه تعالى كسائر ذوي الارواح الا انه تعالى اضاف روحه الى نفسه تشريفا وقيل المراد بالروح هو الذي نفخه جبريل عليه الصلاة والسلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى من ذلك النفخ سمي النفخ روحا لانه كان ريحا تخرج من الروح واضاف تعالى نفخة جبريل الى نفسه حيث قال وروح منه بناء على ان ذلك النفخ الواقع من جبريل كان باذن الله تعالى وامره فهو منه وعن ابي بن كعب انه قال ان الله تعالى لما اخرج الارواح من ظهر آدم اخذ الميثاق عليها ثم ردها الى ملك عنده روح عيسى الى ان اراد خلقه ثم ارسل ذلك الروح الى مريم فدخل في فيها فكان منه عيسى والنصارى لما قالوا في حق عيسى عليه السلام ان لاهوتيته اي آلهيته من جهة الاب وناسوتيته اي انسانيته من جهة الام قرر تعالى قولهم بناسوتيته من جهة الام حيث وصفه ببنوته لمريم وقصره على الرسالة ردا عليهم قولهم انه ابن الله فهو من باب القصر الافرادي ثم قال فآمنوا بالله ورسله اي فآمنوا به كايمانكم بسائر الرسل ولا تجعلوه آلها **قوله** اي الآلهة ثلاثة الى قوله او الله ثلاثة يعني ان فرق النصارى مع اتفاقهم على القول بالتثليث حكي عنهم مذهبان الاول انهم قالوا آلهتنا ثلاثة الله وصاحبته وابنه ويدل على ذهابهم اليه قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين والثاني ما حكي عنهم انهم يقولون انه تعالى جوهر واحد مركب من ثلاثة اقانيم والاصح ان مذهبهم هو الاول واليه اشار المصنف بقوله ان صح انهم يقولون الخ وما ذهبوا اليه من التثليث باي معنى كان باطل منهي عنه بقوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة **قوله** نصبه لما سبق اي من الوجوه المذكورة في خيرا في قوله فآمنوا خيرا لكم اي ائتوا خيرا لكم او ائتوا خيرا لكم من القول بالتثليث وقيل يكن الانتهاء خيرا لكم **قوله** فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء فان التوالد انما هو لحفظ النوع عن الانقراض فلذلك لم تتوالد الملائكة ولا اهل الجنان فمن كان تشأنه وتكونه للبقاء اذا لم يكن له والدم كونه حادثا ذا امثال فبالاولى ان لا يتخذ الله تعالى ولدا وهو ازلي ابدي منزه عن الامثال والاشباه ثم انه تعالى في كل موضع نزه نفسه عن الولد نبه على ان جميع ما في السموات والارض مختص به خلقا وملكا للاشارة الى ان من زعم المبطلون انه ابن الله وصاحبته مملوك ومخلوق له لكونه من جملة ما في السموات وما في الارض فلا تتصور المجانسة والمماثلة بين الخالق والمخلوق والمالك والمملوك فكيف يعقل مع هذا توهم كونه له ولدا وزوجة ثم قال تعالى وكفى بالله وكيلا اي مفوضا اليه القيام بتدبير ملكه فلا حاجة معه الى القول باثبات اله آخر ولا الى القول باثبات صاحبة له وولد وهو اشارة الى ما ذكره المتكلمون من انه سبحانه لما كان عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات كان كافيا في الالهية فلو فرضنا الها آخر معه لكان معطلا لا فائدة فيه وذلك نقص والناقص لا يكون آلها **قوله** لن يأنف يقال أنف من الشيء يأنف اذا ترفع وتعظم من ان يتصف به فان الاستنكاف استفعال من النكف وهو الانفة والترفع والمعنى ان من يزعمون انه آله لن يأنف من ان يكون عبد الله تعالى ولا ينفي عنه صفة عبودية الله تعالى **قوله** وجوابه ان الآية للرد على عبدة

المسيح و الملائكة﴾ يعنى ان هذا ليس لتفضيل الملائكة على البشر بل هو رد على النصارى قالوا المسيح ابن الله
و مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله فرد الله على الفريقين بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدالله و هذا رد
على النصارى ورد على مشركى العرب بقوله و لا الملائكة المقربون فلا دلالة للآية على تفضيل الملائكة
﴿قوله تفصيل للمجازاة العامة الى قوله او لجزائهم﴾ جواب عما يقال ان هذا التفصيل لايطابق المفصل لان
التفصيل و هو قوله فاما الذين آمنوا واما الذين استنكفوا اشتمل على ذكر فريق المستنكفين و غيرهم و المفصل اى المجمل
الذى فصل و هو المذكور بقوله و من يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا انما اشتمل على ذكر فريق
المستنكفين و التفصيل المذكور لايطابق هذا المجمل واجاب عنه بوجهين الاول انا لانسلم ان هذا المجمل لاتعرض فيه
لغير المستنكفين بل هو متناول عليه بفحوى ذلك المجمل لان حشر المجرمين انما يكون يوم حشر عامة المكلفين
للمجازاة فذكر حشرهم يدل على حشر الجميع لها مجملا ففصل امر مجازاة الجميع بذلك فطابق التفصيل المفصل بهذا
الاعتبار و الثانى ان ماذكرت انما يرد ان لو كان المقصود تفصيل حال الفريقين و ليس كذلك بل المقصود تفصيل
عذاب فريق المستنكفين الى نوعين احدهما التعذيب بنار الجحيم و الآخر بنار الحسرة على عدم الاطلاع على كرامة
اضدادهم و مثوبات اعمالهم ﴿قوله و بالنور القرآن﴾ سمى نورا لكونه سببا لوقوع نور الايمان فى القلب و لانه
يتبين به الاحكام كما يتبين بالنور الاعيان ﴿قوله و قيل البرهان الدين﴾ فان الدين الحق لابتنائه على البراهين
القاطعة صار كأنه هو البرهان و سمى عليه الصلاة و السلام برهانا لان حرفته اقامة البرهان على تحقيق الحق و ابطال
الباطل و سمى القرآن برهانا لكونه من حيث اعجازه برهانا على صدق مبلغه فى دعوى الرسالة و على التقادير يكون
المراد بالنور القرآن ايضا غايته انه سمى برهانا و نورا باعتبارين و قوله من ربكم يجوز ان يتعلق بمحذوف هو
صفة لبرهان اى برهان كائن من ربكم و ان يتعلق بنفس جاء ﴿قوله تعالى و اعتصموا به﴾ اى امتنعوا به عن اتباع
النفس الامارة بالسوء و تسويلات الشيطان ﴿قوله تعالى صراطا مستقيما﴾ مفعول ثان ليهدى لانه يتعدى الى
مفعولين بنفسه كما يتعدى الى الثانى بالى يقال هديته الطريق و هديته الى الطريق و يكون اليه حالا منه متقدما
عليه و لو أخر عنه كان صفة له و المعنى و يهديهم صراط الاسلام و الطاعة فى الدنيا و طريق الجنة فى العقبى مؤديا
و منتهيا اليه تعالى و على تقدير ان يكون ضمير اليه للموعود يكون المعنى و يهديهم صراط الاسلام و الطاعة
فى الدنيا مؤديا الى الموعود ﴿قوله اى فى الكلالة﴾ اشارة الى ان قوله تعالى يستفتونك و يفتيكم تنازعا فى لفظ
الكلالة و اعمل فيه الثانى على ما اختاره البصريون فانهم ذهبوا الى ان التنازع ان كان فى الفاعلية نحو ضربنى و اكرمنى
زيد يعمل الفعل الثانى و يضمر فاعل الاول فيه بناء على ان حذف الفاعل اشنع من الاضمار قبل الذكر و ان كان
التنازع فى المفعولية كما فى هذه الآية و فى قوله تعالى هاؤم اقرأوا كتابيه و قوله آتونى افرغ عليه قطرا اعمل الثانى
ايضا و حذف مفعول الاول لانه فضلة فحذف حذرا من الاضمار قبل الذكر فان ذلك و ان كان مغتفرا فى الفاعل
لكنه غير مغتفر فى المفعول فيصار الى الحذف الا ان يتعذر حذفه بأن يكون احد مفعولى باب علمت مع ذكر مفعوله
الآخر فحينئذ يجب اظهاره لانه لما تعذر الحذف و تعذر الاضمار ايضا لكونه اضمارا قبل الذكر فى المفعول
لا فى الفاعل تعين الاظهار ﴿قوله فقال انى كلالة﴾ اى لايخلفنى ولد و لا والد فان الكلالة عند جمهور اهل اللغة
و كثير من الصحابة عبارة عن من لايخلف ولدا و لا والدا و قد تجعل الكلالة اسما للقرابة من غير جهة للوالد و الولد من
حيث انها لم تكن من جهة احدهما بل كانت حالة ضعيفة و قد تطلق الكلالة ايضا على الوارث الذى لايكون ولدا
و لا والدا كما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال عادنى رسول الله صلى الله عليه و سلم و انا مريض لا اعقل فتوضأ
و صب على من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث و انما يرثنى كلالة فنزلت فعلى هذه الرواية تكون
الكلالة اسما لمن عدا الولد و الوالد من الورثة و على ما رواه المصنف تكون اسما للمورث الذى مات و لا يرثه احد من
الوالدين و لا احد من الاولاد و قيل انزل الله تعالى فى الكلالة آيتين احداهما فى الشتاء و هى التى فى اول هذه
السورة و الاخرى فى الصيف و هى هذه الآية و لهذا تسمى هذه الآية آية الصيف ﴿قوله و هى آخر ما نزل
فى الاحكام﴾ و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آخر آية نزلت آية الربا و آخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله
و الفتح و روى انه بعد ما نزلت سورة النصر عاش رسول الله صلى الله عليه و سلم عاما و نزلت بعدها براءة و هى آخر
سورة نزلت كاملة فعاش النبى بعدها ستة اشهر ثم نزل فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم

(فاما الذين امنوا و عملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم و يزيدهم من فضله و اما الذين
استنكفوا و استكبروا فيعذبهم عذابا اليما
و لايجدون لهم من دون الله وليا و لا نصيرا)
تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها
من فحوى الكلام و كأنه قال فسيحشرهم
اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة
او لجزائهم فمن اثابة مقابليهم و الاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم و الحسرة (يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم
نورا مبينا) عنى بالبرهان المعجزات و بالنور
القرآن اى جاءكم دلائل العقل و شواهد
النقل و لم يبق لكم عذر و لا علة و قيل
البرهان الدين او رسول الله او القرآن
(فاما الذين آمنوا بالله و اعتصموا به
فسيدخلهم فى رحمة منه) فى ثواب قدره بازاء
ايمانه و عمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
(و فضل) احسان زائد عليه (و يهديهم
اليه) الى الله و قيل الى الموعود (صراطا
مستقيما) هو الاسلام و الطاعة فى الدنيا
و طريق الجنة فى الآخرة (يستفتونك) اى
فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه
روى ان جابر بن عبدالله كان مريضا فعاده
رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال انى
كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت و هى
آخر ما نزل فى الاحكام (قل الله يفتيكم
فى الكلالة) سبق تفسيرها فى اول السورة

(فى)

في الكلالة وقيل نزلت وهو عليه الصلاة والسلام يتجهز لحجة الوداع فسميت آية الصيف لانها نزلت في الصيف ثم نزل وهو عليه الصلاة والسلام واقف بعرفات اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما والله اعلم ﴿ قوله لانه جعل اخوها عصبة ﴾ حيث قيل وهو يرثها من غير ان يقدر له سهم فدل ذلك على ان الاخ يستغرق ميراث الاخت ان لم يكن للاخت ولد ذكرا كان او انثى ويحوز مابقي من فرض البنت ان كان للاخت ولد انثى وعلى التقديرين يرث الاخ اخته بطريق العصوبة ولا تعصيب لاولاد الام اذ ليس لهم الا احوال ثلاث السدس للواحد والثلث للاثنين فصاعدا او السقوط بالولد وولد الابن وبالاب والجد ﴿ قوله غير ابن عباس ﴾ فانه يجعل البنت حاجبة للاخت ويحكم فيما اذا اجتمعت بنت واخت بان النصف للبنت ولاشئ للاخت تمسكا بهذه الآية فانها جعلت الولد حاجبا للاخت ولفظ الولد يتناول الذكر والانثى وايضا الآية في توريث الكلالة والمورث الذي خلف بنتا لايكون كلالة فتوريث الاخت مع البنت مخالف لهذه من وجهين ونحن نقول قوله عليه الصلاة والسلام * اجعلوا الاخوات مع البنات عصبة * صريح في استحقاقهن مع البنات فلابد ان يقال انتفاء الولد في الآية مطلقا ليس شرطا لنفس استحقاق الاخت حتى يحكم بسقوطها مع الولد بل هو شرط لاستحقاقها النصف والهامع الابن لاتستحق شيأ ومع البنت لاتستحق النصف بل تستحق مابقي من فرض البنات نصفا كان او ثلثا فثبت ان لفظ الولد باق على ظاهر عمومه فان الانتفاء شرط لاستحقاق الاخت النصف ﴿ قوله ان كان الامر بالعكس ﴾ اي كان الهالك اخت المرء لانفسه ﴿ قوله وكذا مفهوم قوله ﴾ عطف على قوله السنة يعني ان بني الاعمام وبني العمات كما يسقطون بالولد بنص هذه الآية يسقطون ايضا بالاب بالاتفاق وبالجد عند ابي حنيفة استدلالا بالسنة وبدلالة مفهوم هذه الآية على تقدير ان تفسر الكلالة بالوارث فان الفتيا انما وقع في الكلالة من ليس له والد ولا ولد ومن كان له احدهما لايكون كلالة فكان هذا قرينة على ان المراد ليس له والد ولا ولد ﴿ قوله وتثنيته محمولة على المعنى ﴾ جواب عما يقال ضمير كانتا لما كان راجعا الى من يرث بالاخوة المدلول عليه بما سبق من قوله وله اخت فلها نصف ماترك فما وجه تثنيته * ومحصول الجواب ان ضمير من يثنى ليدل على ان مدلوله مثنى كما انث ضمير من في قولهم من كانت امك ليدل على ان مدلوله مؤنث ﴿ قوله وفائدة الاخبار عنه باثنين ﴾ جواب عما يقال ان الخبر لابد ان يفيد مالا يفيده المبتدأ والا لكان الاخبار به عند لغوا فلذلك لايقال سيد الجارية مالكها ولاشك ان الف كانتا تدل على تثنية مرجعها فما الفائدة في الاخبار عنها بانهما اثنان * وتقرير الجواب ان الفائدة فيه التنبيه على ان الحكم المعلق بهذا الشرط مرتب على مجرد العدد من غير اعتبار وصف زائد من اوصاف من يرث بالاخوة وهذا الجواب غير واضح لان الف كانتا تدل على ان الحكم المعلق بهذا الشرط مرتب على مجرد تثنية الذات فيتوجه السؤال بأن الخبر لم يفد غير ما افاده المبتدأ الا انه فرق بين مجرد تثنية الذات وبين كون الحكم مرتبا عليها وفائدة الاخبار التنبيه على الثاني وكذا الكلام في مرجع ضمير كانوا ووجه كونه جمعا مع رجوع الى ضمير من وفائدة الاخبار عنه بالجمع وقوله تعالى فلهما الثلثان مما ترك يدل على ان الاخت المذكورة في هذه الآية ليست هي الاخت لام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الآية التي انزلها الله في سورة النساء لبيان الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لاب وام او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال نزلت في اولي الارحام لبيان ان بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ﴿ قوله يبين لكم ضلالكم ﴾ على ان ان تضلوا مفعول يبين الله لكم وقوله او يبين لكم الحق والصواب اي في امر توريث الكلالة كراهة ان تضلوا في امر توريثها وقوله وقيل لئلا تضلوا فحذف لا بعد ان وحذف اللام الجارة قبل ان ومثله قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وحديث ابن عمر رضي الله عنهما وعولا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق وكونه مفعولا له على حذف المضاف راجح على هذا الوجه لان حذف المضاف اشيع من حذف لا النافية ﴿ قوله واعطي من الاجر ﴾ عطف على قوله فكانما وقوله واعطي من الاجر كمن اشترى اي مثل اجر من اشترى عبدا يؤول الى التحرير اي اشتراه بنية الاعتاق

* سورة المائدة مدنية كلها الا قوله تعالى * اليوم اكملت لكم دينكم * الى قوله غفور رحيم فانها نزلت بعرفات

﴿ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك﴾ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف ﴿وهو يرثها﴾ اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ﴿ان لم يكن لها ولد﴾ ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لاتحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت ﴿فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك﴾ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين﴾ اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر ﴿يبين الله لكم ان تضلوا﴾ اي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين ﴿والله بكل شئ عليم﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

مشية في عام حجة الوداع روي عنه عليه الصلاة والسلام قال «ان سورة المائدة كانت من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها» لما ذكر الله تعالى قبائح اهل الكتاب وذكر منها نقضهم ميثاقهم وعهود الله التي الزمهم اياها في السورة المتقدمة امر المؤمنين في اول هذه السورة بالوفاء بالعهود التي تتناول عهد الله تعالى مع عباده وهي اوامره ونواهيه وعهود العباد مع الله تعالى وهي الايمان والنذور والعهود الجارية بين بعض الناس مع بعضهم في المعاملات الواقعة بينهم فقال يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله (وكذلك الايفاء) يعني ان الوفاء والايفاء بمعنى وهو القيام بمقتضى العهد يقال وفى بالعهد وفاء واوفى به ايفاء اذا اتى بما عهد به ولم يغدر والنقل الى باب الافعال لا يفيد شيأ سوى المبالغة له والعقد هو العهد الموثق اي المحكم فالعقد اوكد العهود واحكمها شبهت العزيمة الموثقة بعقد الحبل بالحبل وشده بحيث يعسر الانفصال فانهم لما شبهوا العهد بالحبل شبهوا الموثق به بالحبل المعقود والمشدود بشئ واطلق اسم المشبه به وهو العقد بمعنى المعقود والمشدود واريد العهد الموثق فهو مستعار من عقد الحبل وشده بشئ واستشهد على كون العقد بمعنى العهد بقول الحطيئة في مدح قومه

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا *

العناج ككتاب في الدلو ما يشد في اسفلها ثم يشد الى العراقي فيكون عونا لها وللاوزام فاذا انقطعت الاوزام امسكها العناج فان للدلو اوزاما توضع على رأسها خشبتان كالصليب ويشد اطرافهما بالسيور فالخشبتان عرقوتان وتلك السيور اوزام ثم يجعل حبل في اسفل الدلو الى العراقي ويشد ذلك حتى لو انقطعت الاوزام قام ذلك الحبل الكبير مقامها وذلك الحبل هو الكرب فالكرب في اعلى الدلو والعناج في اسفلها ثم يجعل في الكرب الحبل الكبير الذي ينزح الماء به ومقصود الشاعر المبالغة في وصف قومه بالوفاء للعهد استعار للعهد عقد الحبل ثم رشحها بشد العناج وشد الكرب لانهما للتوثيق والاحتياط من الطرفين الاسفل والاعلى وبعد البيت قوله

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا *

والقوم الممدوحون بنو أنف الناقة وسموا بأنف الناقة لان اباهم الاكبر وهو جعفر بن قريع قد نحر ابوه جزورا فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرا امه وقد قسمت الجزور ولم يبق الا رأسها فقال له شأنك به فادخل يده في انفها وجعل يجرها فلقب به وكانوا يستنكفون من هذا اللقب ويعدونه لقبا شنيعا غاية الشناعة الى ان ابرزه الحطيئة في صورة المدح وكمال الرياسة فصاروا بعد ذلك يفتخرون به قوله (ولعل المراد بالعقود) لما فسر العقد بالعهد الموثق والالزام المؤكد وكان لفظ العقود جمعا محلى باللام وهو يفيد العموم تناول الانواع الثلاثة لان عقود النوع الاول ما عهد به الله تعالى والزمه على عباده من الايمان والطاعة بامتثال الاوامر والاجتناب عن المعاصي والمنكرات والثاني ما الزمه الانسان على نفسه بالنذر واليمين والثالث عقود الناس ومعاملاتهم الشرعية مثل البيوع والاجارات فلما كان لفظ العقود بعمومه متناولا لجميع بقية الانواع لم يبق وجه لتخصيصه ببعض العهود دون بعض ثم ان الله تعالى امر المؤمنين بأن يوفوا بجميع ما اوجب الله تعالى عليهم من التكليف على سبيل التفصيل فبدأ بذكر ما يحل ويحرم من المطعومات فقال عز من قائل احلت لكم بهيمة الانعام فان تحريم ما حرم الله واحلال ما احله من جملة وجوه الوفاء بعهده المؤكد بالدلائل على وجوب قبول ما وصى به وفيه اشارة الى بطلان تحريم اهل الجاهلية على انفسهم بعض الانعام كالبحيرة والسائبة والحامي والى بطلان قول الثنوية الذين لا يرون ذبح الحيوانات واكلها ويقولون انها ايلام لا تعقل وانما هي من القسوة وقلة الرحمة فاخبر الله تعالى ان الحكم لله خلق كل نوع من الحيوانات لمنفعة راجعة الى عباده كالركوب والحراثة والانتفاع بلحومها وألبانها وأشعارها واصوافها ولا يتحصلون شيأ منها الا بأذن الله تعالى واباحته قال تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا يحرم شئ منه ما لم يقم دليل حرمته قوله (والبهيمة كل حي لا يميز) من قولهم استبهم الامر على فلان اذا اشكل ولم يدر طريق الوصول اليه فسمي الحي الذي لا يعقل بهيمة لاستبهام الامور عليه وكونها مبهمة بالنسبة اليه ثم غلب على ذوات الاربع من حيوانات البر والبحر والانعام هي الابل والبقر والضأن والمعز والذكر من كل واحد من هذه الانواع الاربعة زوج بانثاه وانثاه زوج بذكرها فكان مجموع هذه الانواع ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن

﴿ سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث ﴾
﴿ وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم *
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا *

واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب (احلت لكم بهيمة الانعام) تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية

اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فالبهيمة سواء فسرت بمعنى الاجنة او بذات القوائم الاربع تكون من الانعام لا تتناول غير الانواع الاربعة من ذوات الاربع والعام قد يضاف الى الخاص للتخصيص و البيان نحو ثوب خز فان الثوب اسم جنس يتناول جميع انواع الثياب والخز نوع منه اضيف اليه جنس الثوب لبيان ان المراد منه نوع مخصوص منه واضافة البهيمة الى الانعام من هذا القبيل حيث اضيف العام الى الخاص لتخصيص العام وبيان المراد منه ومثلها تسمى اضافة بيانية مقدرة بمن البيانية فانها قد تكون بيانية كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان اى الذى هو الاوثان ﴿قوله وألحق بها الظباء وبقر الوحش﴾ يعنى انهما ليستا من الازواج الثمانية فلا تتناولهما بهيمة الانعام الا ان حكم الاحلال يتناولهما الحاقا لهما ببهيمة الانعام لمشابهتهما اياها فى الاجترار و عدم الانياب والاجترار ان يجر العلف من جوفه و يخرجه الى حلقه ثم يمضغه فيبلعه ﴿قوله وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما﴾ عطف على قوله وألحق بها الظباء اختار ان المقصود من الآية بيان حل الازواج الثمانية وحل ما يماثلها بطريق القياس ثم نقل ما قيل من ان المراد ببهيمة الانعام ما يماثل الانعام من الحيوانات الوحشية و المقصود بيان حلها واضافتها الى الانعام حل ما يماثلها واذا ثبت حل ما يماثلها بطريق القياس عليها ثبت حل نفسها بطريق الاولى ويؤيد هذا الاحتمال قوله بهيمة الانعام بالاضافة لانه لو كان المراد بالمضاف والمضاف اليه شيأ واحدا وكانت الاضافة بيانية لكفى ان يقال احلت لكم الانعام اذ لا تظهر الفائدة فى سلوك طريق الاضافة الا ان يقال الفائدة كون التفصيل بعد الاجمال و التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس وأدخل فى البيان ﴿قوله الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم تحريمه﴾ لما كان ما يتلى هو الالفاظ القرآنية لم يصح استثناؤه من بهيمة الانعام الا بتقدير المضاف او الفاعل فقدر المضاف اولا حيث قال الا محرم ما يتلى عليكم اى الا الذى حرمه المتلو من القرآن وهو الميتة و الدم الى قوله وما ذبح على النصب ثم قدر الفاعل حيث قال او الا ما يتلى عليكم تحريمه وعلى التقديرين يكون قوله الا ما يتلى استثناء متصلا من قوله بهيمة الانعام منصوب المحل لوقوعه فى كلام موجب كأنه قيل احلت لكم بهيمة الانعام الا الميتة و التاء فيها للنقل اى لتكون علامة لنقلها من الوصفية الى الاسمية وعدم احتياجها الى ذكر الموصوف ويستوى المذكر والمؤنث فى مثلها وقيل التاء فيها للتأنيث لكونها صفة لموصوف مؤنث كالبهيمة ﴿قوله غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم﴾ فيه انه يلزم منه تقييد احلال بهيمة الانعام لهم بحال كونهم غير محلى الصيد وهم حرم اذ يصير المعنى اى احلت لكم بهيمة الانعام فى حال عدم احلالكم الصيد وانتم محرمون ولا تظهر الفائدة فى هذا التقييد اذ الظاهر ان احلال الله لكم اياها غير مقيد بحال عدم احلال الصيد فى حال الاحرام ﴿قوله وقيل من واو أوفوا﴾ والمعنى اوفوا بالعقود فى حال عدم احلالكم الصيد وانتم محرمون ولم يرض به المصنف لاستلزامه الفصل بين الحال وصاحبها بجملة اجنبية وايضا يلزم تقييد الامر بايفاء العقود بهذه الحال واذا اعتبرنا مفهومه يصير المعنى اذا انتفت هذه الحال فلا توفوا بالعقود وليس الامر كذلك فانهم مأمورون بالايفاء على كل حال ﴿قوله وقيل استثناء﴾ اى من بهيمة الانعام والتقدير الا ما يتلى عليكم آية تحريمه الا الصيد وانتم محرمون وهو تعسف لان استعمال غير فى الاستثناء قليل والحمل على القليل النادر مع جواز الوجه الشائع تعسف لا يحمل عليه الكلام البليغ مع ان اداة الاستثناء دخلت على احلال الصيد لا على الصيد الذى صيد حال الاحرام ولا يخفى ان استثناء احلال الصيد من البهيمة تعسف ظاهر * قال الامام واعلم انه تعالى لما ذكر قوله احلت لكم بهيمة الانعام واقتضى احلالها لهم على على جميع الوجوه بين الله تعالى باستثناء ما يتلى علينا آية تحريمه ان البهيمة ان كانت ميتة او موقوذة الى آخره فهى محرمة والنوع الثانى من الاستثناء هو قوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم فانه تعالى لما احل بهيمة الانعام ذكر الفرق بين صيدها و بين غير صيدها و بين لنا ان ما كان منها صيدا فانه حلال فى الاحلال دون الاحرام وما لم يكن صيدا فانه حلال فى الحالين نقل عن القرطبى انه قال هذه الآية على قصر ألفاظها تتضمن خمسة احكام الاول الوفاء بالعقود و الثانى تحليل بهيمة الانعام والثالث استثناء ما يتلى علينا آية تحريمه بعد ذكر الحكم الثالث والرابع استثناء حال الاحرام فيما يصاد والخامس ما تقتضيه الآية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم * وحكى ان اصحاب الكندى من الفلاسفة قالوا له ايها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما ثم خرج فقال والله ما اقدر ولا يطيق هذا احد انى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فاذا هو قد نطق بالزام الوفاء ونهى من النكث و حلل تحليلا عاما ثم استثنى استثناء بعد استثناء ثم اخبر عن قدرته و حكمته

وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام فى الاجترار و عدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه (الا ما يتلى عليكم) الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه (غير محلى الصيد) حال من الضمير فى لكم وقيل من واو أوفوا و قيل استثناء وفيه تعسف

فى سطرين ولا يقدر احد ان يأتى بهذا الا فى اجلاد وكل ذلك يدل على انهم جعلوا قوله غير محلى الصيد وقوله الا ما يتلى عليكم مستثنيين من شئ واحد وهو بهيمة الانعام ﴿قوله والصيد يحتمل المصدر والمفعول﴾ فانه فى الاصل مصدر صاد يصيد يطلق على المصيد من الحيوان الممتنع المتوحش كما يطلق ضرب الامير على مضروبه من الدراهم والدنانير والصيد المذكور فى الآية يحتمل الامرين فان كان باقيا على مصدريته يكون المعنى غير محلى الاصطياد وانتم محرمون وان كان واقعا موقع المفعول يكون المعنى غير محلين الشئ المصيد وانتم محرمون وقوله تعالى حرم جمع حرام بمعنى محرم يقال احرم فلان اذا دخل الحرم او فى الاحرام ﴿قوله وانتم حرم حال﴾ اى من الضمير فى قوله محلى وجعله حالا من نفس محلى يستلزم وقوع الحال من المضاف اليه فى غير المواضع المستثناة ﴿قوله يعنى مناسك الحج﴾ وهى العبادات المتعلقة به ومواقفه يقال نسك لله نسكا ومنسكا اذا ذبح لوجهه وقد تسمى الذبيحة نسكا ثم قيل لكل عبادة نسك ومنه قوله تعالى ان صلاتى ونسكى والشعائر جمع شعيرة بمعنى مشعرة اى معلمة على الفاعلية بمعنى مفعلة من الشعار وهو العلامة واشعار الهدى اعلامه بما يعلم به انه هدى والمسنون فى اشعار الهدايا ان يطعن فى صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل منها الدم فيكون ذلك علامة انها هدى وان صاحبها محرم يريد الحج والعمرة لله فالشعائر على هذا بمعنى الهدايا المشعرة كما فى قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وفى هذه الآية ليست بمعنى الهدايا المشعرة لانه ذكر شعائر الله ثم عطف عليها الهدايا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه بل المراد به مناسك الحج واعماله وقد روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد ﴿قوله لانها علامات الحج﴾ ناظر الى قوله سمى به اعمال الحج وقوله واعلام النسك اى دلائل النسك ومعالمه ناظر الى قوله ومواقفه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون الشعائر وينحرون البدن فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله اى لا تقطعوا اعمال من يحج بيت الله ويقف مواقف الحج باقامة ما شرع فى كل موقف منها فشعائر الله تعالى على هذا شئ خاص من جملة التكاليف الدينية وهو التكاليف المتعلقة بالحج وقيل شعائر الله تعالى عامة فى جميع التكاليف غير مخصوصة بشئ بعينه ويقرب منه قول الحسن شعائر دين الله فمعنى قوله لا تحلوا شعائر الله لا تحلوا شيئا من شرائع الله وفرائضه التى حدها لعباده واوجبها عليهم ﴿قوله تعالى ولا الشهر الحرام﴾ الشهر الحرام اسم جنس يجوز ان يراد به جميع الاشهر الحرم وهى اربعة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ويجوز ان يراد بها رجب وحده لانها كل هذه الاشهر الاربعة فى هذه الصفة ﴿قوله جمع هدية﴾ بسكون الدال كما فى جدية وهى بسكون الدال شئ يحشى تحت دفتى السرج وهما جديتان يقال له بالتركى ... والهدى كل ما اهدى الى بيت الله من ناقة او بقرة او شاة ﴿قوله وعطفها على الهدى للاختصاص﴾ يعنى انه من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على شرف الخاص وفضله كما عطف جبريل على الملائكة لذلك كأنه قيل ولا تحلوا ذوات القلائد منها خصوصا ومن هذا القبيل عطف الهدى على شعائر الله على تقدير ان يراد بها مناسك الحج واعماله ﴿قوله او القلائد انفسها﴾ عطف على قوله ذوات القلائد اى ويجوز ان لا يقدر المضاف بل يراد به نفس القلائد ويكون المقصود من النهى عن التعرض بالقلائد المبالغة فى النهى عن التعرض لنفس الهدى والمعنى لا تحلوا قلائده فضلا عن ان تحلوا نفسه ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن فانه اذا نهى عن اظهار نفس الزينة كان اظهار مواضع الزينة منهيا عنه بطريق الاولى والقلائد جمع قلادة وهى ما يشد فى عنق البعير وغيره ليكون علامة لكونه هديا ﴿قوله قاصدين زيارته﴾ والمعنى ولا تحلوا قوما آمين اى قاصدين زيارة البيت الحرام ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى لا تحلوا قتال قوم آمين او اذى قوم آمين وقوله البيت الحرام منصوب على انه مفعول آمين وقوله يبتغون حال من المنوى فى آمين اى حال كونهم مبتغين فضلا ولا يجوز ان تكون هذه الجملة صفة لآمين لان اسم الفاعل متى وصف بطل عمله على الاصح فلما عمل فى هذه الآية علمنا انه ليس بموصوف وفائدة قوله تعالى ولا آمين البيت تقييد النهى المذكور بحال كون الآمين قصدهم زيارة البيت وتعظيمه ﴿قوله وقيل معناه الى آخره﴾ عطف على ان يثيبهم ويرضى عنهم فسر الفضل والرضوان اولا بان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وانما يليق بالمسلم فكان معنى الآية ولا تحلوا من يقصد بيت الله تعالى من المسلمين ولا تأخذوا الهدى اذا كانوا مسلمين ويدل عليه ايضا اول الآية وهو قوله لا تحلوا شعائر الله فان شعائر الله انما تليق بنسك المسلمين وطاعتهم لا بنسك الكفار ولا شك ان الآية على

والصيد يحتمل المصدر والمفعول (وانتم حرم) حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم (ان الله يحكم ما يريد) من تحليل وتحريم (يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرائضه التى حدها لعباده (ولا الشهر الحرام) بالقتال فيه او بالنسئ (ولا الهدى) ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع جدية السرج (ولا القلائد) اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له (ولا آمين البيت الحرام) قاصدين زيارته (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا) ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين

هذا المعنى غير منسوخة ثم فسر الفضل بما يطلبه الكفار من التجارة الواقعة في ايام الموسم وفسر الرضوان بما يطلبونه من رضوان الله تعالى عنهم وان كانوا لا ينالونه فان الكافر وان كان لا ينال الفضل والرضوان لكنه يظن ان ينال كل واحد منهما ويطلبهما منه ويجوز ان يوصف بابتغائهما بناء على ظنه وزعمه كقوله تعالى وانظر الى آلهك اى مافي ظنك انها آلهة وايد هذا التفسير بما روى من ان الآية نزلت عام القضية اى تمام قضاء العمرة التى احصر عليه الصلاة والسلام عنها في العام السابق في حجاج اليمامة روى ان الحطيم بن ضبيعة اتى النبى صلى الله عليه وسلم من اليمامة الى المدينة فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم يسلم فلما خرج من عنده مر بسرح اهل المدينة فساقها وانتهى الى اليمامة ثم خرج من هناك نحو مكة وقد قلد ما نهب من سرح المدينة واهداه الى الكعبة ومعه تجارة عظيمة فهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا اليه ويغيروا على امواله فنزل قوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا فالمعنى لا تحلوها باباحتها والاغارة عليها فعلى هذا تكون الآية منسوخة لأن قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتال في الشهر الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو قول كثير من المفسرين حتى قال الشعبى لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية ﴿قوله ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا﴾ يعنى ان ظاهر الامر افادة الوجوب سواء وجد بعد الحظر كورود قوله واذا حللتم فاصطادوا بعد قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اوورده ابتداء فكان القياس ان يكون قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا لا يفيد الوجوب بدليل منفصل وهو ان الآية المحرمة للاصطياد انما دلت على حرمته بسبب كون الاحرام مانعا عنه ولما كانت حرمة الاصطياد معللة بالاحرام وجب ان تنتهى الحرمة بانتهاء علتها لان الحكم المبنى على علة يرتفع بارتفاع علته فحل الاصطياد واباحته لمن حل من احرامه لا يستفاد من صيغة الامر بل يستفاد من انتهاء العلة المحرمة وهى الاحرام فالآية ليس فيها دلالة على ان الامر بعد الحظر للاباحة ﴿قوله اى لا يحملنكم ولا يكسبنكم﴾ يعنى ان جرم يستعمل بمعنى حمل يقال جرمه على كذا اى حمله عليه ويستعمل ايضا بمعنى كسب يقال فلان جارم اى كاسب والشنآن بفتح النون الاول وسكونها مصدر شنئ بمعنى ابغض وعادى حكى عن ابى على انه قال من زعم ان فعلان اذا سكنت عينه لم يكن مصدرا فقد اخطأ الا ان فعلان بسكون العين قليل في المصادر كليان وكثير في الصفات نحو سكران وفعلان بالفتح قليل في الصفات نحو عدوان بمعنى شديد العدو وكثير في المصادر نحو غليان ونزوان والمصنف جعل شنآن بالتحريك مصدرا حيث فسره بشدة البغض بناء على ان فعلان بالتحريك قليل في الصفات واضافته الى قوم يحتمل ان يكون من اضافة المصدر الى مفعوله والمعنى لا يحملنكم بغضكم لقوم على الايذاء والانتقام ويحتمل ان يكون من اضافته الى الفاعل على معنى لا يحملنكم بغض قوم اياكم والاول اظهر في المعنى ولهذا قدمه المصنف في الذكر وجوز ان يكون شنآن بالسكون مصدرا كليان اصله لويان يقال لواه بدينه ليانا اى مطله مطلا وقدم هذا الاحتمال لكون معنى المصدر أليق بهذا المقام وان كان فعلان بالسكون قليلا في المصادر وجوز ايضا ان يكون نعتا بمعنى بغيض على معنى لا يجرمنكم بغيض قوم اى مبغضهم على ان يكون البغيض فعيلا بمعنى الفاعل واضافته بيانية اى البغيض من بينهم وليس مضافا الى الفاعل ولا الى المفعول ﴿قوله لان صدوكم﴾ بحذف لام العلة فان صد المشركين اياهم يصلح علة لشنآنهم اياهم ﴿قوله فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب﴾ قال صاحب الكشاف جرم يجرى مجرى كسب في تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا واجرمته ذنبا على نقل المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقوله تعالى ولا يجرمنكم الآية معطوف على قوله لا تحلوا شعائر الله الى قوله ولا آمين البيت الحرام اى ولا يحملنكم عداوتكم لقوم لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام على ان تعتدوا على حجاج اليمامة فتستحلوا منهم محرما بالتعرض لهديهم وتمنعوهم عن المسجد الحرام ﴿قوله ولحم الخنزير﴾ حرم اكله من حيث ان الغذاء يصير جزأ من جوهر المتغذى ولا بد ان يحصل للمتغذى اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المشتهيات فحرم اكله على الانسان

(واذا حللتم فاصطادوا) اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل (ولا يجرمنكم) اى لا يحملنكم او لا يكسبنكم (شنآن قوم) شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر كعطشان وسكران (أن صدوكم عن المسجد الحرام) لأن صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو بكر بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم (أن تعتدوا) بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) للتشفى والانتقام (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فانتقامه اشد (حرمت عليكم الميتة) بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية (والدم) اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها (ولحم الخنزير

لئلا تنكشف بتلك الكيفية ومن جملة خباثة الخنزير انه عديم الغيرة فانه يرى الذكر من الخنازير ينزو على الانثى له ولا يتعرض له لعدم غيرته فأكل لحمه يورث عدم الغيرة والاهلال رفع الصوت ومنه يقال أهل فلان بالحج اذا لبى ومنه استهلال الصبي وهو صراخه اذا ولد وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فحرم الله تعالى ذلك بقوله وما اهل لغير الله به اى وما ذكر عليه غير اسم الله ﴿قوله التي ماتت بالخنق﴾ الخنق والاختناق احتباس النفس بسبب انعصار الحلق وأكل المنخنقة حرام سواء حصل اختناقها بفعل او لا لانها من جنس الميتة من حيث انها ماتت من غير تذكية وكذا الموقوذة وهي التي ضربت الى ان ماتت بسبب الضرب وهي في معنى المنخنقة لانها ماتت ولم يسل دمها فحرم الله تعالى هذه الاشياء كلها على المؤمنين ثم استثنى فقال الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته من هذه الاشياء المحرمة فذبحتموه قبل ان يموت فلا بأس بأكله والمتردية من تردى اى سقط ويطلق على الواقع في الردى وهو الهلاك قال الله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى اى هلك بأن القي في النار ﴿قوله والتاء فيها للنقل﴾ يعني ان التاء في هذه الكلمات الاربع المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لنقلها من الوصفية الى الاسمية فان الصفات اذا لم تذكر موصوفاتها ولم تكن جارية عليها تغلب عليها الاسمية فلحقها التاء لتدل على غلبة الاسمية عليها وعدم احتياجها الى الموصوف وكل ما لحقته هذه التاء يستوي فيه المذكر والمؤنث ويحتمل ان تكون باقية على وصفيتها ويكون لحوق التاء بها لكونها صفات لموصوفات مؤنثة وهي البهيمة كأنه قيل حرمت عليكم البهيمة الميتة والمنخنقة ﴿قوله اى وما اكل منه السبع﴾ اشارة الى ان ما موصولة بمعنى الذي والجملة الفعلية صلتها وأن عائدها محذوف ولو قدر وما اكله السبع لتم امر العائد لكن يبقى معه خلل آخر وهو ان ما اكله السبع قليلا كان او كثيرا لا يتعلق به حكم شرعي من الحل والحرمة ونحوهما وانما الحكم لما بقي منه فلابد ان يجعل التقدير هكذا وما اكل منه السبع او ما اكل بعضه فمات والسبع اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان والدواب ويفترسها كالاسد ويخفف السبع فيقال سبع وسبعة ﴿قوله من ذلك﴾ بيان لقوله تعالى الا ما ذكيتم اى حرمت عليكم هذه المحرمات من البهائم كالمنخنقة وما ذكر بعدها الا ما ادركتم ذكاتها قبل موتها فلا يكون الاستثناء مختصا بقوله وما اكل السبع بل يكون متناولا لجميع ما تقدم من المذكورات وقوله وقيل الاستثناء مخصوص عطف على قوله من ذلك ﴿قوله والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ﴾ فان قطعهما اقل ما يطلق عليه اسم ذكاة في الشرع في الحيوان المقدور عليه وكمال الذكاة ان يقطع معهما الودجان والحلقوم الحلق وهو مجرى النفس والمرئ على وزن الفعيل اسم لما اتصل بالحلقوم وهو الذي يجري فيه الطعام والشراب والودج عرق العنق وهما ودجان في جانبي العنق ﴿قوله النصب واحد الانصاب﴾ يعني ان النصب مفرد ويجمع على انصاب مثل عنق واعناق وهو الشيء المنصوب المغاير للاصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة بخلاف الانصاب فانها احجار كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام ويضعون اللحوم عليها ﴿قوله وقيل هي الاصنام﴾ لم يرض به لان قوله وما ذبح على النصب معطوف على قوله ما اهل لغير الله به وذلك هو ما ذبح على اسم الاصنام ومن احق المعطوف ان يكون مغايرا للمعطوف عليه ﴿قوله ضربوا ثلاثة اقداح﴾ وهو جمع قدح بالكسر وهو السهم قبل ان يراش ويركب نصله ﴿قوله والثالث غفل﴾ اى ليس عليه كتابة يقال ارض غفل اى لا علم بها ولا اثر عمارة ودابة غفل اى لا سمة عليها ورجل غفل اى لم يجرب الامور ﴿قوله اجالوها ثانيا﴾ اى اعادوا العمل المذكور مرة اخرى واجالة الشيء تحريكه والازلام جمع زلم مثل قلم واقلام فالزلم هو القدح والازلام الاقداح فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم من الخير والشر بواسطة ضرب الاقداح وقيل معنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة كيفية قسمة الجزور باقداح الميسر وهي عشرة اقداح الفذ ثم التوأم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى وهذه الاقداح السبعة لها انصباء من جزور ينحرونها ويقسمونها على العادة المعلومة بينهم والثلاثة الاخر لا نصيب لها وهو السفيح والمنيح والوغد كان اهل الجاهلية يجمعون عشرة انفس ويشترون جزورا ويجعلون لحمه ثمانية وعشرين جزأ ويجعلون لكل واحد من صاحب الازلام نصيبا معلوما فالفذ سهم والتوأم سهمان والرقيب ثلاثة اسهم والحلس اربعة اسهم والنافس خمسة والمسبل ستة والمعلى سبعة ويجعلون الازلام في خريطة ويضعونها على يد رجل ثم يجعل ذلك الرجل يخرج كلها يخرج باسم كل رجل قدحا منها ومن خرج له قدح من ارباب الانصباء يجعله الى الفقراء ولا يأكل منه شيأ ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه

و ما اهل لغير الله به ﴾ اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه ﴿ والمنخنقة ﴾ التي ماتت بالخنق ﴿ والموقوذة ﴾ المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته ﴿ والمتردية ﴾ التي تردت من علو او في بئر فماتت ﴿ والنطيحة ﴾ التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل ﴿ وما اكل السبع ﴾ اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل ﴿ الا ما ذكيتم ﴾ الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب ﴿ وان تستقسموا بالازلام ﴾ اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة و واحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد

ويسمونه الميسر يعني القمار ﴿قوله وكونه﴾ اي وكون الاستقسام بمعنى طلب معرفة ماقسم لهم وتميز مالم يقسم لهم بالازلام فسقا من حيث انه توصل الى علم الغيب بغيرالله تعالى والتخمين بخلاف استعلام الخير بالاستخارة بالقرآن وبصلاة الاستخارة ودعائها فانه استعلام بالطريق المشروع فان طلب ماقسم له من الخير ليس منهيا عنه مطلقا بل المنهي عنه هو الاستقسام بالازلام على ان الاستخارة ليست عبارة عن استعلام الغيب بل هي عبارة عن استدعاء الخير ونيله بالتضرع الى علام الغيوب ولايعتقد صاحبها كونها طريقا الى علم الغيب وانما يعتقد كونها طريقا الى نيل الخير واصابته واما كون استقسام الخير بالاقداح فسقا فلكونه محرما منهيا عنه بقوله تعالى ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فان تعليق الملك بالخطر قمار وهو لايوجب الملك اشار المصنف اليه بقوله او الميسر المحرم فانه معطوف على الاستقسام المجرور بكلمة الى اى ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى الميسر واشار بتوصيفه بالمحرم الى وجه كونه فسقا وليس المراد بالاستقسام المجرور الاستقسام بالمعنى الاعم المتناول لطلب ماقسم لهم بالازلام واستقسام الجزور بالاقداح بل المراد الاستقسام بالمعنى الاخص ﴿قوله او الى تناول ماحرم عليهم﴾ مماتلي آية تحريمه من الميتة والدم وماعطف عليهما من المحرمات عطف على قوله الى الاستقسام اى ويحتمل ان يكون قوله ذلكم اشارة الى المحرمات المذكورة جميعا واشار بزيادة لفظ التناول الى ان الاحكام الشرعية انما تتعلق بالافعال دون الاعيان فيكون الفسق في الحقيقة هو تناول هذه المحرمات لاانفسها ﴿قوله من ابطاله﴾ قدر المضاف اذلا معنى لليأس من نفس الدين والظاهر ان الابطال مصدر مضاف الى المفعول اى من ابطالكم اياه بارتدادكم ورجوعكم عنه فان الفاعل المحذوف هم المسلمون وقوله او من ان يغلبوكم عليه على ان يكون فاعل الابطال الكفرة قيل نزلت الآية لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في حجة الوداع فحينئذ يئس اهل مكة من ان يرتد المسلمون راجعين الى دينهم والمعنى انه لاحاجة بكم بعد اليوم الى مداهنة الكفرة لانكم الآن صرتم بحيث لايطمع احد من اعدائكم في تغيير امركم فلا تخشوهم ان يظهروا على دينكم واخشوني في مخالفة امري ﴿قوله واخلصوا الخشية لي﴾ مستفاد من ورود الامر بخشيته تعالى بعد النهي عن خشية الكفار فانه لما نهى عن خشيتهم وامر بخشيته كان خلاصة الكلام الامر باخلاص الخشية لله تعالى وان لايخشى الامنه ﴿قوله وهو ان تناولها فسوق﴾ يعني ان الاعتراض الواقع بينهما بيان ان تناول تلك المحرمات فسق وقوله تعالى اليوم يئس الذين الآية له مدخل في ايجاب التجنب عن تلك المحرمات لانه تحريض على التمسك بما شرع لهم من تحريم تناول بعض مايعتاد الكفرة تناوله كأنه قال لاتخافوا المشركين في مخالفتكم اياهم في الشرائع والاديان فاني انعمت عليكم بالدولة القاهرة والقوة الباهرة وصاروا مقهورين لكم منقادين لامركم ذليلين وحصل لهم اليأس من ان يصيروا قاهرين لكم مستولين عليكم ولما صار الامر كذلك وجب عليكم ان تقبلوا على طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه بتحليل ما احله الله تعالى لكم وتحريم ماحرمه عليكم وان لاتخافوا من مخالفتكم الكفار والجملة اعتراض ثم ذكر بعدها بعض مايتصل بذكر المحرمات فقال فمن اضطر في مخمصة يعني انها وان كانت محرمة الا انها في حالة الاضطرار تباح قدر ماتندفع به الضرورة والمخمصة خلاء البطن من الطعام جوعا والخمص ضمور البطن والتصاق جلده بالظهر فلذلك فسر رحمه الله المخمصة بالمجاعة والمعنى فمن دعته الضرورة من مجاعة الى تناول شيء من هذه المحرمات فليتناوله غيرمائل لاثم بان يتجاوز في اكله من حد الرخصة وهو ان يأكل منه قدر مايسد به الرمق فان اكله الى حد الشبع تلذذا اثم فظهر من هذا التقرير ان جواب من محذوف اى فليتناول مما حرم وقوله غيرمتجانف حال من فاعله اى غيرمائل فان الجنف في اللغة الميل قال تعالى فمن خاف من موص جنفا اى ميلا وقوله تعالى فان الله غفور رحيم تعليل للجواب المقدر ويحتمل ان يكون تقدير الكلام فمن اضطر الى تناول المحرمات فتناول غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ﴿قوله لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة﴾ جواب عما يقال مفعول يسأل لابد ان يكون مفردا يقال سألته المال والطعام فكيف اوقع على الجملة في الآية فان قوله ماذا احل في حيز مفعول يسألونك وهو جملة ، وتقرير الجواب انه اوقع على الجملة لتضمنه معنى القول كأنه قيل يقولون لك ماذا احل لهم كأنهم لما تلي عليهم ماحرم عليهم من الخبائث سألوا عما احل لهم فقيل لهم احل لكم الطيبات من المطاعم والتي لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه اولم يدل نص ولاقياس على تحريمه وتقييد ما احل بكونه من الطيبات يدل بمفهومه على حرمة مستخبثات العرب ﴿قوله وقد سبق الكلام في ماذا﴾ وهو

(ذلكم فسق) اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ماحرم عليهم (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمن الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث اوغيره او من ان يغلبوكم عليه (فلا تخشوهم) ان يظهروا عليكم (واخشون) واخلصوا الخشية لي (اليوم اكملت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (واتممت عليكم نعمتي) بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين الاديان وهو الدين عندالله لاغير (فمن اضطر) متصل بذكر المحرمات ومابينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات (في مخمصة) مجاعة (غيرمتجانف لاثم) غيرمائل له ومنحرف اليه بأن يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله غيرباغ ولاعاد (فان الله غفور رحيم) لايؤاخذه بأكله (يسألونك ماذا احل لهم) لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا

جواز ان تكون كلمة ما للاستفهام ويكون ذا بمعنى الذى وما بعده صلته والمعنى ما الذى احل لهم فما مبتدأ والموصول مع صلته خبره وجواز ان يكون ماذا اسما واحدا بمعنى اى شئ ويحكم على موضعه بحسب ما يقتضيه العامل وههنا فى محل الرفع على الابتداء ﴿قوله وانما قال لهم ولم يقل لنا﴾ لما وجه كون مفعول يسألون جملة بتضمين السؤال معنى القول فكأنه قيل يقولون لك ماذا احل لهم ورد ان يقال ولما كانت الجملة محكية عنهم ومقولا لهم لزم ان تكون الحكاية الواقعة فى القرآن مخالفة للواقع لان هذه العبارة ليست مقولا لهم فان ما يقولونه هو ماذا احل لنا فالحكاية كلامهم تقتضى ان يقال لنا لتطابق الحكاية المحكى * فأجاب عنه بانه انما قال لهم نظرا الى كون يسألونك بلفظ الغيبة فانه لما عبر عن القائلين بضمير الغيبة حيث قيل يسألونك وكانوا غيبا بالنسبة الى المخاطب ناسب ذلك ان يعبر عنهم بضمير الغيبة فى حكاية كلامهم ولو قيل يسألونك ماذا احل لنا لجاز ايضا على ان يكون حكاية لكلامهم بعبارة انفسهم ﴿قوله مالم تستخبثه الطباع السليمة﴾ لان الطيب فى لغة العرب ماهو مستلذ مشتهى والحلال المأذون فيه سمى ايضا طيبا تشبيها له بماهو مستلذ من حيث ان كل واحد منهما خال عن المضرة ولا يمكن ان يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات والا لصار تقدير الآية قل احل لكم المحللات وهذا معنى ركيك خال عن الفائدة فوجب ان يحمل الطيبات على المستلذات المشتهيات وقيد الطباع بالسليمة لان المعتبر فى الاستطابة والاستلذاذ استطابة اهل المروءة والاخلاق الجميلة والطباع السليمة فان اهل البادية واجلاف الناس يستطيبون اكل جميع الحيوانات بل اكل الجيف ﴿قوله اومالم يدل نص ولاقياس على حرمته﴾ عطف على قوله مالم تستخبثه الطباع السليمة اى اومالم يستخبثه الشارع ولا قياس المجتهد بل بقى داخلا فى عموم قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا فعموم الآية قد خص بقوله تعالى حرمت عليكم الخبائث وغيره من الادلة الشرعية القائمة على حرمة بعض مافى الارض وان حل الطيبات فى هذه الآية على المستلذات يجب تخصيصها ايضا بتلك الادلة ﴿قوله عطف على الطيبات﴾ والمعنى واحل لكم صيد ماعلمتموه على حذف المضاف الى الموصول وهو الصيد بمعنى المصيد وان جعلت ما شرطية يكون فى محل الرفع بالابتداء لا بالعطف على الطيبات وخبره محذوف وهو فكلوا فتكون الواو حينئذ لعطف الجملة ومن الجوارح حال امامن الموصول اومن العائد المحذوف وهو جمع جارحة بمعنى كاسبة قال ويعلم ماجرحتم بالنهار وجوارح الانسان اعضاؤه التى يكتسب بها ويحتمل ان يكون من الجرح بمعنى تفريق الاتصال فان الجوارح تجرح الصيد غالبا والمراد بالجوارح فى الآية كل مايكسب الصيد على اهله من سباع البهائم كالفهد والنمر والكلب ومن سباع الطير كالبازى والصقر والشاهين والعقاب ونحوها مما يقبل التعليم فان صيد جميعها حلال ﴿قوله تعالى مكلبين﴾ حال من فاعل علمتم وتعلمونهن حال ثانية اواستئناف والتكليب تعليم الجوارح الاصطياد وتأديبها بحيث لاتأكل ما صادته بل تمسكه لمن ارسلها وهو فى اللغة جعل الشئ كلبا والكلب كالب بنفسه لايجعل المعلم فوجب ان يفسر التكليب بجعل الكلب كلبا كاملا وذلك انما يكون بتأديبه وتضريته على الاصطياد لصاحبه بان يمسكه له ولا يأكله فلذلك فسر المكلب بمؤدب الجوارح ومضريها وهو يحتمل ان يكون من باب الافعال والتفعيل واضراء الجوارح وتضريتها يطلق على تعويدها بالصيد وعلى اغرائها به يقال ضرى الكلب يضرى ضراوة اى تعود واضراه صاحبه اى عوده واضراه به ايضا اى اغراه وكذلك التضرية كذا فى الصحاح الا ان تفسير التكليب بتأديب الجوارح سواء كانت من سباع البهائم اوالطيور مبنى على تغليب الكلب على باقى السباع لكون الكلب اكثر الصيد وكون التأديب اكثر فيه اولان كل سبع يسمى كلبا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حق عتبة بن ابى لهب حين اراد سفر الشام وظهر منه تمرد وطغيان استحق به ان يدعو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» فأكله السبع فى طريق الشام فلما استجاب الله تعالى دعاءه بان سلط عليه الاسد علم ان كل سبع من سباع البهائم يسمى كلبا ﴿قوله وفائدتها المبالغة فى التعليم﴾ اى فائدة هذه الحال مع انه قد استغنى عنها بقوله تعالى علمتم المبالغة فى التعليم لان التعليم اعم من التكليب كأنه قيل علمتم حال كونكم ماهرين حاذقين فى تعليم الجوارح وفيه تنبيه على ان كل من يأخذ علما ينبغى ان يأخذه ممن هو متبحر فى ذلك العلم غواص فى بحار لطائفه وحقائقه وكم من آخذ عن غير متبحر ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله وقوله اومما علمكم ان تعلموه عطف على قوله مما علمكم الله من الحيل وقوله ان تعلموه مفعول ثان لقوله علمكم والضمير المنصوب فى تعلموه عائد الى ما ومفعوله الثانى محذوف والتقدير

وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى امثاله والمسئول ما حل لهم من المطاعم كأنهم لماتلى عليهم ماحرم عليهم سألوا عما احل لهم (قل احل لكم الطيبات) مالم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب اومالم يدل نص ولا قياس على حرمته (وما علمتم من الجوارح) عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ماعلمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير (مكلبين) معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه اثرا اولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم (تعلمونهن) حال ثانية او استئناف (مما علمكم الله) من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه اومما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه

مما علمكم الله ان تعلموه الكلاب وقوله من اتباع الصيد بيان مافى مما علمكم الله ذكر اولا ما يتعلق باحوال المخاطبين من كيفية التعليم للكلب ولطائف الحيل فى ذلك الباب وذلك بالالهام او بتمكينه من القوى التى هى ثمرة ما منحه الله تعالى من العقل ونبه ثانيا بما يتعلق بامور الكلاب فى باب الاصطياد وهى الامور التى علمنا الله تعالى اياها فى تعليم الكلاب من اتباع الصيد وارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساكه الصيد لصاحبه ونحو ذلك من احوال الكلاب التى يتوقف عليها حل الصيد وعلمنا الله تعالى ذلك بنص الشارع وبيانه فعلى الاول تكون الحال الثانية اعنى قوله تعلمونهن بمنزلة التفسير والتفصيل للحال الاولى اعنى قوله مكلبين وعلى الثانى تكون قيدا زائدا والحاصل ان تعليم الكلب يتوقف على العلم بكيفية التكليب ولطائف الحيل وحل صيده والاول يتعلق بالالهام والعقل والثانى يتعلق بالشرع فقوله تعالى مما علمكم الله يمكن ان يحمل على احدهما لان كل واحد من الالهام والشرع من الله تعالى واختار المصنف هذا الاحتمال حيث عطف الثانى على الاول بكلمة او فقال او مما علمكم ان تعلموه الكلاب والحمل عليهما جميعا اولى والكلب المعلم ما وجد فيه ثلاثة اشياء اذا دعى اجاب واذا زجر انزجر واذا اخذ الصيد امسكه لصاحبه ولا يأكل منه فاذا تكرر ذلك منه مرارا واقلها ان يوجد منه ذلك ثلاث مرات كان الكلب معلما يحل قتله اذا جرح بارسال صاحبه قال الامام اذا كان الكلب معلما ثم صاد صيدا وجرحه وقتله وادركه الصائد ميتا فهو حلال لان جرح الجارحة بمنزلة الذبح وكذا الحكم فى سائر الجوارح المعلمة وكذا السهم والرمح واذا صاده كلب بجثم عليه وقتل بالغم من غير جرح قال بعضهم لا يجوز اكله لانه ميتة وقال آخرون يحل لدخوله تحت قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم هذا كله اذا لم يأكل منه فان اكل منه فقد اختلف فيه العلماء قال بعضهم انه لا يحل وهو اظهر قولى الشافعى قالوا لانه امسك الصيد على نفسه والآية دلت على انه انما يحل اذا امسك على صاحبه ويدل ايضا ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لعدى بن حاتم « اذا ارسلت كلبك فاذكر اسم الله تعالى فان ادركته لم يقتل فاذبح واذكر اسم الله عليه وان ادركته وقد قتل ولم يأكل فكل فقد امسك عليك وان وجدته قد اكل فلا تطعم منه شيأ فانما امسك على نفسه » وقال آخرون انه يحل وهو القول الثانى للشافعى واختلفوا فى البازى اذا اكل قال بعض العلماء انه لا فرق بينه وبين الكلب فاذا اكل شيأ من الصيد لم يؤكل ذلك الصيد وقال آخرون ومنهم ابو حنيفة رحمه الله يؤكل ما بقى من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقى من الكلب والفرق انه يمكن ان يؤدب الكلب على الاكل بالضرب ولا يمكن ان يؤدب الطير على الاكل ﴿قوله وهو ما لم تأكل منه﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى مما امسكن عليكم تبعيضية والمراد بعض ما امسكن مالم تأكل الجوارح منه فان ما اكلت منه لا يؤكل لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم « وان وجدته قد اكل فلا تطعم منه شيأ » وعلى فى قوله تعالى مما امسكن عليكم بمعنى اللام اى مما امسكن لكم لا لانفسهن او على اصل معناها فتتعلق بمحذوف اى امسكن حال كونهن مستقرات على شأنكم ومصلحتكم لا على مقتضى طبيعتهن وجبلتهن ﴿قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات﴾ كرر بيان احلال الطيبات للتأكيد وقيل الاول لبيان الحكم والثانى ذكر امتنانا وتذكيرا لمزيد فضله ﴿قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها﴾ لعموم اللفظ للجميع وانتفاء المخصص وقيل المراد به ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها بملة دون ملة فلا حاجة الى بيان حكمها ﴿قوله ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى﴾ فتحل لنا ذبائحهم وان ذبحوا على غير اسم الله تعالى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لو ذبح نصرانى على اسم المسيح لا تحل لنا ذبيحته وذهب اكثر العلماء الى انها تحل مثل الشعبى وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فاجابا بان ذبيحته حلال لنا بناء على انه تعالى قد احل لنا ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون ﴿قوله فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم﴾ لما ورد على ظاهر قوله تعالى وطعامكم حل لهم ان الكفار لا يتدينون بديننا ولا يتمسكون بشريعتنا فما الفائدة فى ان بين الله تعالى لهم كون طعامنا حلالا لهم اشار المصنف الى جوابه بهذا القول * وتقريره ان قوله تعالى وطعامكم حل لهم ليس المقصود منه بيان ما شرع لهم حتى يلزم كونه خاليا عن الفائدة من حيث انهم لا يصدقون نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون حقية كتابنا وحقية ما فيه من الاحكام بل المقصود منه بيان ما شرع لنا فى حقهم من انه لا بأس علينا فى ان نطعمهم ونعاملهم معاملة تفيد لهم ان يملكوا طعامنا فقوله تعالى وطعامكم حل لهم من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللازم فان حل الطعام المختص بنا لهم يستلزم ان يحل لنا تمليك طعامنا اياهم وان نطعمهم ذلك الطعام بالبيع او الهبة او الاباحة فان حل

(فكلوا مما امسكن عليكم) وهو ما لم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا (واذكروا اسم الله عليه) الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن عليكم بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (واتقوا الله) فى محرماته (ان الله سريع الحساب) فيؤاخذكم بما جل ودق (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم) يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان الحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك

طعامنا لهم يستلزم ان يحل لنا ان نملكهم طعامنا بأحد اسباب الملك والمخاطب انما هو المسلمون لا الكفار فسقط السؤال * قال الامام محيي السنة في تفسير قوله تعالى وطعامكم حل لهم فان قيل كيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين الى هنا كلامه بعبارته ﴿ قوله اى الحرآئر العفائف ﴾ فسر المحصنات من النساء سوآء كن من المؤمنات او من الكتابيات بالحرآئر العفائف عن الزنى فان اعتبر مفهوم القيد لزم ان لا يصح نكاح الاماء سوآء كن فاجرات او عفائف وان لا يصح نكاح العفائف سوآء كن حرآئر او اماء مع انه يصح نكاحهن عندنا بخلاف الشافعي فانه لا يصح نكاح الامة الكتابية عنده فوجب ان لا يعتبر مفهوم القيد لان من قال بحجية المفهوم انما يقول بها اذا لم يكن للقيد فائدة اخرى سوى الدلالة على انتفاء الحكم عند انتفاء القيد وله في الآية فائدة سواها وهي البعث على ماهو الاولى ﴿ قوله مسرين به ﴾ قيل الزنى ضربان السفاح وهو الزنى على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن وهو الزنى في السر والله تعالى حرمهما في هذه الآية واباح التمتع بالمرأة بجهة الاحصان وهو التزوج فان اهل الجاهلية كانوا يعيبون من يزنى في العلانية ولا يعيبون من يزنى سرا فحرم الله تعالى كل واحد من زنى السر والعلانية ﴿ قوله يريد بالايمان شرآئع الاسلام ﴾ على ان يكون الايمان بمعنى المؤمن به فان المصدر قد يستعمل بمعنى المفعول به فمن انكر شيأ مما شرعه الله تعالى من الاحكام وامتنع عنه فهو كافر بالاجماع وقد حبط جميع ما تقرب الى الله تعالى به وضاع ثوابه وبهذا قال علماء مذهبنا ان الرجل اذا صلى وارتد والعياذ بالله تعالى ثم اسلم في وقت تلك الصلاة وجب عليه اعادة تلك الصلاة ولو كان حج حجة الاسلام فعليه ان يعيد الحج لانه قد بطل ما فعله قبل ارتداده ﴿ قوله اذا اردتم القيام ﴾ جعل القيام المنتهي الى الصلاة مجازا عن ارادتها على طريق ذكر المسبب وارادة السبب وهو الارادة ههنا اذ لو حمل القيام المذكور على حقيقته لوجب ان يكون القيام المذكور مقدما على الوضوء من حيث انه جعل شرطا لوجوب الوضوء والشرط مقدم على المشروط ولا وجه لتقدمه على الوضوء لاستلزامه اداء الصلاة بغير وضوء لانه لو تخلل الوضوء بين القيام المذكور والصلاة لكان القيام قياما منتهيا الى الوضوء لا الى الصلاة واما اذا جعل القيام مجازا عن سببه الذي هو الارادة كان اللازم تقدم الارادة على الوضوء والامر كذلك مع ان في سلوك طريق المجاز ايجازا وتنبيها على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر بحيث لا ينفك الفعل من الارادة ووجه التنبيه انه لما عبر بالفعل عن ارادته دل ذلك على انهما بشدة اتصال احدهما بالآخر كأنهما كشئ واحد وصح ان يعبر عن كل واحد منهما بما يعبر به عن الآخر ﴿ قوله او اذا قصدتم الصلاة ﴾ عطف على قوله اذا اردتم القيام اى ويحتمل ان يكون القيام الى الصلاة مجازا عن قصد الصلاة وارادتها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان قصد الصلاة من لوازم القيام متوجها الى الصلاة فقيل اذا قمتم متوجهين الى الصلاة واريد اذا قصدتم الصلاة ﴿ قوله وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة ﴾ لان عنوان الذين آمنوا يتناول كل مؤمن محدثا كان او غير محدث وقد جعل قيامهم للصلاة موجبا للوضوء ووجوبه على كل قائم الى الصلاة خلاف الاجماع المؤيد بالحديث فقيل في التوفيق بين النص والاجماع ان قوله تعالى الذين آمنوا مطلق يتناول المحدثين منهم وغير المحدثين لكن المراد منهم المحدثون خاصة بقرينة آية التيمم فان التيمم بدل الوضوء وقد اشترط الحدث في وجوبه على من لم يجد الماء حيث قيل او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا واشتراط الحدث في البدل قرينة دالة على اشتراطه في الاصل لان البدل لا يخالف المبدل منه في الشروط والاسباب ﴿ قوله وقيل الامر فيه للندب ﴾ يعني ان مخالفة الاجماع انما تلزم ان لو كان الامر للوجوب وذلك ليس بلازم لجواز ان يكون للندب بناء على كون الخطاب لغير المحدثين عن قام الى الصلاة فان الوضوء مندوب له لقوله عليه الصلاة والسلام * من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات * وان كان فرضا على من قام الى الصلاة وهو محدث وضعفه المصنف لما فيه من المخالفة لقول الاصوليين من ان الامر المطلق للايجاب واطباق العلماء على أن وجوب الوضوء على من قام الى الصلاة مستفاد من هذه الآية مع ما فيه من تخصيص الخطاب بغير المحدثين من غير دليل ضرورة انه لا ندب بالنسبة الى المحدث فالوجه ان يحمل المطلق على المقيد بقرينة آية التيمم ﴿ قوله لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا ﴾ فانه يدل على ان هذه السورة كلها ثابتة لا نسخ فيها وايضا القرآن لا ينسخ الا بالقرآن او بالسنة المتواترة ولم يوجد شئ

(والمحصنات من المؤمنات) اى الحرآئر العفائف وتخصيصهن بعث على ماهو الاولى (والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات (اذا آتيتموهن اجورهن) مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها (محصنين) اعفاء بالنكاح (غير مسافحين) غير مجاهرين بالزنى (ولا متخذى اخدان) مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) يريد بالايمان شرآئع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة) اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أمروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (وايديكم الى المرافق)

منها فالقول بأن هذه الآية منسوخة ضعيف والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفى الساعد والعضد وسمى مرفقا لانه الذى يرتفق اى يتكأ عليه من اليد وفيه لغتان فتح الميم مع كسر الفاء وعكس ذلك واللغة الفصيحة هى الاولى ﴿قوله او متعلقة بمحذوف﴾ عطف على قوله بمعنى مع فيكون داخلا فى حيز القول وعلى التقديرين يجب غسل المرفق اما على الاول فظاهر واما على الثانى فلأن المعنى حينئذ حال كون الايدى منضمة الى المرافق فى حكم الغسل ولو كان الامر على ما قيل لم يبق لتحديد غسل الايدى بالمرافق مزيد فائدة لان اليد اسم لجملة ما بين الابط ورؤوس الاصابع كما ان الرجل اسم لجملة ما تحت الورك الى رؤوس اصابع الرجل فلم يبق لتحديد غسل اليد بالمرفق مزيد فائدة لكون دخول المرفقين فى المغسول مفهوما بمجرد تعليق الغسل بالايدى وان لم يذكر التحديد وانما قال مزيد فائدة لان ذكره لا يخلو عن الفائدة بالكلية لكون التحديد بالمرافق مفيدا لاخراج ما وراءها عن الحكم وان لم يكن مفيدا لتبليغ الحكم اليها ﴿قوله وقيل الى تفيد الغاية مطلقا﴾ اى تدل على كون مجرورها نهاية للحكم مطلقا اى مع قطع النظر عن دخولها فى الحكم وعن خروجها عنه ولما لم يوجد فى الآية ما يدل على دخولها فى الحكم ولا على خروجها عنه وكانت الايدى متناولة للمرافق الى الابط قلنا بدخولها فى الحكم احتياطا وكانت كلمة الغاية لاسقاط ما وراءها عن الحكم لا لتبليغ حكم الغسل اليها فيجب غسلها خلافا لزفر ومالك فانهما قالا غاية الحكم يجب ان ينتهى الحكم عندها والا لم تكن غاية له فينتهى حكم الغسل عند المرافق ولا يجب غسلها لان الغاية لا تدخل كما ان الليل فى حكم الصوم لا يدخل فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولم يدخل حال اليسار فى حكم الانظار وهو الامهال فى قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فان من له الحق يمهل المديون الى زمان اليسار فاذا وجد فيه اليسار ينتهى الانظار فيعود حق المطالبة والا لكان من عليه الحق منظرا فى حالتى الاعسار واليسار وهو غير جائز فيجب ان ينتهى الانظار بوجود اليسار ولا تدخل الغاية فى حكم الانظار واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب صاحبه بقوله لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها فى حكم الغسل احتياطا وتقريره ان ما ذكراه من ان مقتضى الغاية ان تكون خارجة عن الحكم والا لم تكن غاية له كلام حق لكن القطع بخروج الغاية بمقطع معين محسوس كتميز الليل من النهار واليسار عن الاعسار وفيما نحن فيه ليس الامر كذلك لان ملتقى جانبى الساعد والعضد ليس له مقطع معين حسا حتى يحكم بانتهاء حكم الغسل عنده فان انتهاء الغسل الى جزء ليس اولى من انتهائه الى جزء آخر فوجب القول بايجاب غسل المرفق كله احتياطا ﴿قوله الباء مزيدة﴾ لانها لو اسقطت لم يختل اصل المعنى وان كان اثباتها مفيدا لتأكيد تعلق الفعل بمفعوله فان زيادتها فى المفعول كثير شائع كما فى قوله سبحانه وتعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقولهم نرجو بالخير روى عن سيبويه انه قال مسحت رأسه وبرأسه بمعنى واحد وعن الفراء تقول العرب خذ الخطام وبالخطام ﴿قوله وقيل للتبعيض﴾ عطف على قوله زائدة واستشهد على انها ليست زائدة بل للتبعيض بان العرب يفرقون بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ويقولون الاول يستدعى استيعاب المنديل بالمسح بان تمسحه بجميع اجزائه بخلاف الثانى فانه يصدق بان تمسحه بامرار يدك على بعض اجزائه ولو لم تكن الباء للتبعيض لكانا بمعنى واحد ولم يكن بينهما فرق وبين وجه الفرق بينهما بأن الباء تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق والصاق المسح بالرأس مثلا لا يقتضى الاستيعاب لان ماسح بعض الرأس مثلا يصدق ان يقال له انه ألصق المسح بالرأس كما يصدق ان يقال ذلك لمن استوعب رأسه بالمسح بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه يقتضى استيعابها بالمسح كما يقتضى قوله فاغسلوا وجوهكم استيعاب الوجه بالغسل ويرد عليه قوله تعالى فى آية التيمم فامسحوا بوجوهكم لان التيمم خلف عن الوضوء والخلف لا يخالف الاصل فى الاحكام الا انه تلطف بترك حكم الرأس والرجلين تخفيفا ﴿قوله نصبه نافع﴾ اى ومن وافقه عطفا على وجوهكم وهذا فى المغسولات ولما عطف الارجل عليها لزم ان يكون حكمها حكم الغسل قيل عليه عطف الارجل على الوجوه يستلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة غير اعتراضية وهو قبيح لما اشتهر بين النحاة من ان الفصل بين المتعاطفين قبيح وأقبح ما يكون ذلك ان يكون الفصل بجملة غير اعتراضية الا ان ابا البقاء خالف هذا المشهور حيث قال هو معطوف على الوجوه ثم قال وذلك جائز فى العربية بلا خلاف وجعل السنة الواردة بغسل الرجلين مقوية لنصبه بالعطف على الوجوه ومجرد قراءة النصب لا تستلزم كون الرجل من المغسولات لجواز ان يكون النصب بالعطف على محل المجرور ويكون حكم المسح عليها منسوخا بالسنة وذلك

الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها عنه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن فى الآية وكان الايدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤوسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى قدر الواجب فأوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط (وارجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة

لان الرؤوس فى قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم فى محل النصب على انه مفعول به غير صريح لقوله وامسحوا وان كانت مجرورة بالباء لفظا فالتقدير وامسحوا رؤوسكم واذا عطف الارجل على الرؤوس جاز فيه النصب عطفا على محل الرؤوس والجر عطفا على لفظه فعلى هذا تكون الارجل من الممسوحات الا انه نسخ حكم المسح بالسنة المشهورة وعمل الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال عطاء والله ما علمت احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لان يقطعا احب الى من ان امسح على القدمين ﴿قوله وقول اكثر الائمة والتحديد﴾ كل واحد منهما مرفوع بالعطف على السنة اى ويؤيده ايضا تحديد الرجلين بقوله تعالى الى الكعبين فانه يدل على ان حكم الارجل الغسل دون المسح لان المسح لم يضرب له غاية فى الشريعة وانما جاء التحديد فى المغسول ﴿قوله وجره الباقون على الجوار﴾ لا لبيان كونه من الممسوحات كالرأس وانما جيء بصورة الجر رعاية للتناسب اللفظى كما يصرف غير المنصرف لذلك فى مثل سلاسلا واغلالا والعطف بالجر لا يوجب الاشتراك فى الحكم كما فى قوله تعالى وحور عين بالجر الجوارى بعد قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب واباريق الى قوله وحور عين فانه ليس المعنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بحور عين بل المعنى ويطوف عليهم حور عين الا انه جيء به على صورة العطف على قوله باكواب واباريق ليناسب ما فى جواره ومنه جر أليم فى قوله تعالى عذاب يوم أليم مع ان حقه الرفع بناء على انه صفة عذاب ومنه قولهم هذا جحر ضب خرب بجر خرب مع انه صفة جحر لا ضب وهذا ماء شن بارد بجر بارد مع انه صفة ماء وكان حقهما الرفع لكنهما ذكرا مجرورين للتناسب ﴿قوله وفائدته﴾ اى فائدة جرها بعطفها على الرؤوس مع كونها غير ممسوحة التنبيه على انها وان كانت من المغسولات الا انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها وتغسل غسلا قريبا من المسح ووجه الحاجة الى التنبيه ان الارجل من بين الاعضاء المغسولات مظنة الاسراف فى صب الماء عليها من حيث انها تغسل بصب الماء عليها فعطفت على الممسوح للتنبيه على ذلك حتى يجتنب المتوضىء عن اسراف الماء فانه حرام منهى عنه ﴿قوله وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب﴾ اختلف العلماء فى وجوب الترتيب بين وظائف الوضوء وهو ان يأتى بها على الترتيب فى الآية فذهب مالك والشافعى واحمد رحمهم الله تعالى الى وجوبه وذهب جماعة منهم ابو حنيفة الى انه ليس بواجب فاحتج الشافعى رحمه الله تعالى بهذه الآية على مذهبه من وجوه الاول ان قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم يقتضى وجوب الابتداء بغسل الوجه لان الفاء للتعقيب واذا وجب الترتيب فى هذا المغسول وجب فى غيره اذ لا قائل بالفرق فان قيل فاء التعقيب انما تقتضى ان يقع مجموع هذه الافعال الاربعة عقيب القيام الى الصلاة كأنه قيل اذا قمتم الى الصلاة فأتوا بمجموع هذه الافعال قلنا فاء التعقيب وان اوجبت مجموع المذكورات عقيب القيام اليها الا ان وجوب وقوع هذا المجموع عقيب القيام اليها لا ينافى تقديم وجوب غسل الوجه على سائر الافعال فانها لما دخلت على غسل الوجه اصالة وابتداء ودخلت على سائر الافعال تبعا لدخولها على غسل الوجه كان وقوع هذا المجموع عقيب القيام اليها مقيدا برعاية الترتيب فيما بين الافعال والوجه الثانى من وجوه احتجاج الشافعى بهذه الآية انه تعالى لما بدأ فى ذكر وظائف الوضوء بغسل الوجه وجب علينا الامتثال بامره تعالى وان نبدأ بغسل الوجه لقوله تعالى فاستقم كما امرت ولقوله عليه الصلاة والسلام «ابدأوا بما بدأ الله به» وهذا الخبر وان ورد فى قضية الصفا والمروة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والوجه الثالث منها انه سبحانه وتعالى اورد وظائف الوضوء على ترتيب خاص وهو ذكر الممسوح فى اثناء المغسولات وهذا الترتيب مخالف للترتيب الذى يقتضيه العقل فان المعقول ان يبدأ بذكر وظيفة الرأس نازلا الى القدم او يبدأ بذكر وظيفة القدم صاعدا الى الرأس او يبدأ بذكر وظائف المغسولات ثم بذكر وظيفة المسح وان لا تخلل ذكر وظيفة المسح فى خلال ذكر وظائف المغسولات لان قطع النظير عن النظير غير معقول والترتيب الذى يقتضيه العقل لا يعدل عنه بلا حكمة فلما عدل عنه فى الآية علمنا انه كما تجب النفس تلك الوظائف تجب مراعاة الترتيب بينها على الوجه الذى ورد النص عليه ﴿قوله تعالى فاطهروا﴾ اصله فتطهروا فادغمت تاء التفعل فى الطاء لقرب مخرجهما واجتلبت همزة الوصل ليمكن الابتداء فقيل اطهروا وهذا التطهر عبارة عن الاغتسال قال الله تعالى فى موضع آخر ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا والجنابة لها سببان نزول المنى لقوله عليه الصلاة والسلام «انما الماء من الماء» والتقاء الختانين لقوله عليه الصلاة والسلام «اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» اى وان لم ينزل وختان الرجل هو الموضع

وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب فى ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة ﴿ وان كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فاغتسلوا

الذي يقطع منه القلفة وختان المرأة هو الموضع الذي يقطع منه جلدة رقيقة قائمة في الطرف الاعلى من فرج المرأة مثل عرف الديك وقطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها فيجب الغسل لما ذكر الله تعالى كيفية الطهارة الصغرى من الحدث الاصغر ذكر بعدها كيفية الطهارة الكبرى من الحدث الاكبر وهو الجنابة فقال تعالى فاطهروا فان بناء التفعل للتكلف والاهتمام وهو يكون باستيعاب ظاهر جميع البدن بالغسل **قوله تعالى فلم تجدوا ماء** معطوف على الشرط السابق فقوله فتيمموا جواب والمراد من عدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله لان ما لا يمكن من استعماله كالمفقود والتيمم القصد والصعيد وجه الارض فعيل بمعنى فاعل والطيب الطاهر **قوله اى ما يريد الامر بالطهارة** اى من الاحداث المانعة من الصلاة كالتوضئ والاغتسال والتيمم لاجل التضييق عليكم يعني ان مفعول الارادة محذوف وان لام العلة متعلقة به ثم اشار الى ان المفعول المحذوف اما الامر بمطلق الطهارة سواء كان بالتوضئ او الاغتسال او التيمم واما الامر بالتيمم بخصوصه بشهادة ذكر الارادة متصلا بذكر الامر بالتيمم اى ما يريد بالامر المذكور تضييقا عليكم ولكن يريده لينظفكم وينقيكم من النجاسة الحكمية الحاصلة بخروج النجس من مخرجه فان الحدث والجنابة لا يوجبان نجاسة حقيقية اذا غسل موضع اصابة النجس فالطهارة انما تنظف من النجاسة الحكمية **قوله فان الوضوء تكفير للذنوب** عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب **قوله بعزائمه** العزيمة ما شرع اصالة والرخصة ما شرع بناء على الاعذار **قوله اصل وبدل** الاصل ما يكون بالماء والبدل ما يكون بالصعيد وما يكون بالماء اثنان مستوعب وهو الغسل وغير مستوعب وهو الوضوء ثم الوضوء باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وهو غسل اليدين والرجلين حيث ذكر كل واحد منهما بكلمة الغاية وهي تفيد التحديد وغير محدود وهو غسل الوجه ومسح الرأس فان شيأ منهما لم يذكر بكلمة الغاية وآلة كل واحدة من الطهارتين مائع وهو الماء وجامد وهو الصعيد وموجب تلك الطهارتين حدث اصغر او اكبر **قوله ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره** اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تعالى لما امر بانواع الطهارة على حسب اختلاف الاحوال وعلل الامر بها بقوله انما كان ذلك ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكروا اردف ذلك بما يذكر المنعم ويوجب عليهم شكر نعمه فان عظم النعمة وكمالها يوجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لاوامره ونواهيه ثم عطف على هذا السبب الموجب للشكر والانقياد للتكليف قوله وميثاقه الذي واثقكم به اى عاقدكم عقدا وثيقا * فان قيل قوله اذكروا نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل من المسلم نسيانها مع اشتغاله باقامة وظائف الاسلام على التوالى والدوام * قلنا المواظبة على الشئ تنزله منزلة الامر الطبيعى فلا تكون عباداتهم ذكرا ولذلك احتيج الى الامر بالذكر **قوله اخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم** فانه تعالى اخذ عهد المسلمين بالسمع والطاعة في جميع الاحوال حين بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا جعل الله تعالى المواثقة الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين المسلمين جارية بين نفسه وبين المسلمين حيث اضاف الميثاق الى نفسه وقال وميثاقه الذي واثقكم به اى عاقدكم به عقدا وثيقا بناء على ان من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث انه رسول من الله تعالى فهو في الحقيقة بايع الله تعالى كما قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل ان يكون المراد بالميثاق المذكور ههنا المواثقة الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين الصحابة رضى الله تعالى عنهم في الحديبية وتسمى بيعة الرضوان من حيث انه نزل في حقها قوله سبحانه وتعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة **قوله تعالى كونوا قوامين لله** معنى القيام لله ان يقوم لوجه الله تعالى وطلب مرضاته بالحق في كل ما يلزم القيام به من الامر بالمعروف والعمل به والنهى عن المنكر والتجنب عنه واظهار مقتضى العبودية وتعظيم شأن الربوبية وقوله شهداء خبر بعد خبر او حال من المنوى في قوامين بمعنى شاهدين بالعدل غير عادلين من الحق في شهادتكم طلبا لرضى اقاربكم واهل ودكم او سخطا على من يعاديكم ويخالفكم بان تؤدوا شهادتكم لاحياء حق كل ذى حق من المعادى والصديق ابتغاء لوجه الله تعالى **قوله على ترك العدل فيهم**

﴿ وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ﴾ سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ اى ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة ﴿ وليتم ﴾ ليتم بشرعه ما هو مطهر لابدانكم ومكفر لذنوبكم ﴿ نعمته عليكم ﴾ في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب فالمستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره ﴿ وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ﴾ يعنى الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان ﴿ واتقوا الله ﴾ في انساء نعمه ونقض ميثاقه ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ اى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ﴾ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم

(اعدلوا هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى اذا كان هذا العدل مع الكفار فماظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ماروى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت (اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه (فكف ايديهم عنكم) منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم (واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر (ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقر واعصر امرهم الله بالسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف (وقال الله انى معكم) بالنصرة (لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم) اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير (واقرضتم الله قرضا حسنا) بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول

اشارة الى ان قوله على ان لا تعدلوا اى فيهم فحذف فيهم لعلمه وعدى جرم ههنا بكلمة على لكونه بمعنى حمل كما صرح به الكسائى وثعلب ولم يصرح به فى الآية المتقدمة وهى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا اما لان جرم فيها بمعنى كسب كما ذهب اليه ابو عبيد والفراء واما على اسقاط حرف الخفض وزعمه وهى كلمة على وظهورها فى هذه الآية يرجح تقديرها فى الآية السابقة نهى الشنآن عن حمله المسلمين على ترك العدل فى حق المشركين والمقصود نهى المسلمين عن الجور بسبب بغضهم للمشركين فجعل نهى الشنآن عبارة عن نهى المسلمين ﴿ قوله وبين انه مقتضى الهوى ﴾ معطوف على قوله نهاهم عن الجور وبيان كون الجور مقتضى الهوى مستفاد من التصريح بكون الحامل عليه البغض والشنآن وجعل العدل اقرب للتقوى لانه اذا حصل العدل حصلت التقوى بجميع اجزائها الموجبة لكل كرامة لكونها رأس الخصال الحميدة المستتبعة لكل خير ﴿ قوله وفاء بحق الدعوة ﴾ فان الدعوة الى الحق بالترغيب والترهيب تكون بوعد منجيه ووعيد معانديه والترغيب فى اتباعه والترهيب من الاعراض عنه ﴿ قوله وفيه مزيد وعد وتطييب ﴾ لان الوعيد اللاحق باعدائهم مما يشفى صدورهم ويذهب ما كانوا يجدونه من اذاهم فان الانسان يفرح بان تهدد اعداؤه ﴿ قوله بعسفان ﴾ هو موضع على مرحلتين من مكة قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اصحابه الى صلاة الظهر مجتمعين فى غزوة ذى انمار فلما صلوا ندم المشركون على عدم اكبابهم على المسلمين مرة وهم فى الصلاة وهموا الى آخره ثم انه تعالى لما امر فى الآية المتقدمة بان يذكروا نعمة الله تعالى وميثاقه الذى واثقهم به ذكر بعده اخذ الميثاق من بنى اسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به فقال تعالى فى حقهم فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فكأنه قيل فلا تكونوا مثلهم فى نقض العهد فيصيبكم مثل ما نزل بهم فقال تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴿ قوله تعالى منهم ﴾ يجوز ان يتعلق ببعثنا وان يتعلق بمحذوف على انه حال من اثنى عشر لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله سبحانه وتعالى فنقبوا فى البلاد وسمى بذلك لانه يفتش عن احوال القوم واسرارهم يقال نقب على القوم ينقب نقابة مثل كتب يكتب كتابة اى شاهد القوم وتعرف احوالهم وحملهم على العمل بما امروا به فالنقيب هو الامين الكفيل على قومه امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة للامر عليهم فاختار موسى منهم النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل بان يطيعوهم فيما امروهم به ويكون النقباء امناء بذلك فسار بهم فلما دنا الى ارض كنعان بعث النقباء ليتجسسوا الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم بما رأوا فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله ويروى ان الماء علا على ما فى الارض من جبل فى طوفان نوح عليه الصلاة والسلام وما جاوز ركبتى عوج ابن عنق وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله تعالى على يد موسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه جاء وقور صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان فرسخا فى فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله تعالى الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت فى عنقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله وكانت ام عنق من بنات آدم عليه السلام وكان مجلسها جريبا من الارض فلما لقى عوج النقباء وعلى رأسه حزمة من الحطب اخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فرجع النقباء الى قومهم فكانوا يتحدثون فى الطريق بما يخبرون به قومهم وقال بعضهم يا قوم انكم ان اخبرتم بنى اسرائيل بما رأيتم من حال القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا خبر القوم عنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل كل واحد ينهى عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا رجلين كالب بن يوقنا ويوشع بن نون وكان كالب من سبط افرائيم بن يوسف عليهما السلام وهما اللذان قال الله تعالى حكاية عنهما قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما الآية ﴿ قوله اى نصرتموهم وقويتموهم ﴾ التعزير التوقير والتعزير ايضا النصر باللسان وبالسيف قال عطاء يريد وقرتموهم وقال السدى نصرتموهم بالسيف وقال مقاتل اعنتموهم كذا فى الوسيط ﴿ قوله بالانفاق فى سبيل الخير ﴾ من القربات المندوبة

(المتعلقة)

(لأكفرن عنكم سيئاتكم) جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط (ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم (منكم فقد ضل سوآء السبيل) ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين (يحرفون الكلم عن مواضعه) استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافترآء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روى ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) خيانة منهم او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم (الا قليلا منهم) لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية (فاعف عنهم واصفح) ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف (ان الله يحب المحسنين) تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره

المتعلقة بالمال لان ما كان من قبيل الواجبات ذكره بقوله تعالى وآتيتم الزكاة وهي عبارة عن اخراج القدر الواجب من النصاب المالي وقرضا يحتمل ان يكون منصوبا على المصدرية لانه اسم مصدر بمعنى الاقراض اقيم مقام المصدر كأنه قيل واقرضتم الله اقراضا حسنا ومثله قوله سبحانه وتعالى وانبتها نباتا حسنا اي انباتا وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن اي بتقبل ويحتمل ان يكون منصوبا على انه مفعول به بان يكون القرض اسما للمال المقروض واللام في قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة هي الموطئة للقسم والقسم معها محذوف وقد تقرر انه اذا اجتمع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما لدلالة عليه وقد تم الكلام عند قوله سبحانه وتعالى وقال الله اني معكم اي بالعلم والقدرة فأسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم وهذه مقدمة مفيدة في الترغيب والترهيب ثم ابتدأ بعدها بجملة شرطية محصلها ان امتثلتم امري نصرتكم ﴿قوله بعد ذلك الشرط المؤكد﴾ اي بالقسم فالشرط المذكور قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة والوعد قوله لأكفرن وليس المراد بالشرط الشرط النحوي لظهور ان ليس المعنى من كفر وارتد بعد اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايمان بالرسل بل المعنى من كفر بعد ما شرطت هذا الشرط ووعدت هذا الوعد وانعمت هذا الانعام ولا خفاء في ان الضلال بعد هذا اقبح واشنع ولا حاجة الى حمل الكفر على الارتداد خاصة بل يتناول البقاء على الكفر بعد هذا الاخبار والاعلام بمضمون الشرطية ﴿قوله بخلاف من كفر قبل ذلك﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف قيل ومن كفر بعد ذلك فقد ضل سوآء السبيل مع ان من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سوآء السبيل * وتقرير الجواب ان من كفر قبله بالنسبة اليه كأنه ليس بضال فان الكفر انما يعظم بعظم النعمة المكفورة فاذا زاد الكفر زاد قبح الكفر وما في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم صلة مؤكدة فانها قد تكون زائدة كافة عن العمل كما في قولك انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم ووجه كونها مؤكدة للكلام انه يتمكن معنى الكلام ويقوى في النفس من جهة وجودها قال قتادة انهم كذبوا الرسل بعد موسى وقتلوا الانبياء وغيروا كتاب الله تعالى وضيعوا فرآئضه وقيل انهم كتموا صفة محمد عليه الصلاة والسلام وقيل نقضوه بمجموع هذه الامور ﴿قوله قاسية﴾ من القسوة وهي غلظة القلب وشدته وحجر قاس اي صلب ودرهم قسي اي زيف فضته صلبة رديئة ليست بلينة وجمعه قسيان مثل صبي وصبيان كذا في الصحاح ﴿قوله اما مبالغة قاسية﴾ يعني يجوز ان تكون قسية بمعنى قاسية الا ان القسي ابلغ من القاسي كالقدير ابلغ من القادر والعليم من العالم والشهيد من الشاهد فيكون لفظ قسية لفظا عربيا مشتقا من القسوة وانث لتأويل الجماعة وقال الفارسي انها ليست من ألفاظ العرب في الاصل وان هذه كلمة معربة اعجمية يعني انها مأخوذة من قولهم درهم قسي اي مغشوش شبهت قلوبهم في كونها غير صافية عن الكدر بالدراهم المغشوشة الغير الخالصة الا ان صاحب الكشاف قال القسي مشتق من القسو لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش منهما فيه يبس وصلابة للغش الذي يكون فيه فتكون هذه اللفظة عربية كالعليم والعالم وفي الحواشي السعدية قول الزمخشري وهو من القسو اشارة الى انه ليس بمعرب فارسي وهو الردي من الدراهم على ما نقل عن الاصمعي والمصنف رحمه الله تعالى اختار قول الزمخشري وحاصل الكلام ان كل واحد من قسية وقاسية مشتق من القسو بمعنى الشدة والصلابة وان القاسية الشديدة الصلبة بخلاف القسية فانها يحتمل ان تكون بمعنى القاسية وابلغ منها وان تكون بمعنى الرديئة المكدرة وقوله سبحانه وتعالى يحرفون الكلم اي يغيرون صفة محمد عليه الصلاة والسلام وآية الرجم ﴿قوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من اتباع سيد المرسلين والايمان به ﴿قوله خيانة منهم﴾ على ان الخائنة مصدر كالعافية واللاغية قال الله تعالى لا تسمع فيها لاغية اي لغوا ويؤيد هذا الوجه قرآءة الاعمش على خيانة او فرقة خائنة على انه اسم الفاعل والتاء فيه للتأنيث بان يقدر لها موصوف مؤنث نحو فرقة او طائفة ﴿قوله او خائن﴾ على ان يكون اسم فاعل وتكون التاء للمبالغة كما في رواية وعلامة ونسابة اي على شخص خائن غاية الخيانة وكانت خيانتهم نقضهم الميثاق ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله بالسم وغيره ﴿قوله اي واخذنا من النصارى﴾ يعني ان قوله ومن الذين متعلق بقوله اخذنا ميثاقهم والجملة معطوفة على قوله تعالى اخذ الله ميثاق بني اسرآئيل اشار اليه بقوله كما اخذنا ممن قبلهم وعلى قوله وقيل تقديره ويكون من الذين قالوا انا نصارى خبر مبتدأ محذوف حذف المبتدأ واقيم صفته مقامه ﴿قوله وانما قال قالوا انا نصارى﴾ يعني الظاهر ان يقال ومن النصارى اخذنا ميثاقهم وعدل عنه الى قوله

ومن الذين قالوا انا نصارى ايماء الى انهم ليسوا انصارى بمعنى كونهم انصار الله تعالى وانصار دينه بل انهم نصارى بتسميتهم انفسهم بهذا الاسم وادعائهم نصرة الله تعالى حيث قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله ثم انهم غيروا دين الله تعالى وصاروا فرقا نسطورية ويعقوبية وملكانية زعمت النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى وزعمت اليعقوبية ان الله تعالى هو المسيح بن مريم وزعمت الملكانية ان الله ثالث ثلاثة فكانوا انصار الشياطين ولم يكونوا انصار الله وقد امرهم عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حيث قال لهم كونوا انصار الله وقوله تعالى اخذنا ميثاقهم قال مقاتل اخذ الميثاق على اهل الانجيل كما اخذه على اهل التوراة ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه وهو مكتوب عندهم فى الانجيل فنسوا حظا مما ذكروا به اى مما امروا به من الايمان وبيان نعته وذلك حظ عظيم فانهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا به واتبعوه منهم ﴿قوله تعالى فاغرينا﴾ اى فالصقنا والزمنا العداوة من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره وبينهم ظرف لاغرينا او حال من العداوة فيتعلق بمحذوف قيل الذى ألقى العداوة بين النصارى رجل يقال له بولس كان بينه وبين النصارى قتال كثير قتل منهم خلقا كثيرا فاراد ان يحتال بحيلة تقع بها العداوة والبغضاء بينهم فيتقاتلون ويتحاربون بها الى يوم القيامة فغاب عنهم زمانا طويلا ثم جاءهم وجعل نفسه اعور وقال لهم اتعرفونني قالوا انت الذى قتلت منا وفعلت ما فعلت قال قد فعلت ذلك كله الا ان الله سبحانه وتعالى قد وفقنى للتوبة والندامة والرجوع الى الحق بسبب انى رأيت عيسى عليه الصلاة والسلام فى المنام نزل من السماء فلطم وجهى لطمة فقأها احدى عينى وقال اى شئ تريد من قومى اما تستحيى من الله اما تخاف من عقابه فخررت ساجدا لله تعالى بين يديه وتبت على يديه وعلمنى شرائع دينه وامرنى ان ألحق بكم واكون بين ظهرانيكم واعلمكم شرائع دينكم كما علمنى عيسى فى المنام فقبلوه واتخذوا له غرفة فصعد تلك الغرفة وفتح كوة الى الناس فى الحائط وكان يتعبد فى الغرفة وربما كانوا يجتمعون اليه ويسألونه ويجيبهم من تلك الكوة وربما يقول لهم قولا كان فى الظاهر منكرا فينكرون عليه القول فيفسره تفسيرا يعجبهم فانقادوا له كلهم وكانوا يقبلون قوله فى جميع ما يأمرهم به فقال يوما من الايام اجتمعوا عندى وقد حضرنى علم اريد ان ابثه لكم فاجتمعوا فقال لهم أليس الله تعالى خلق هذه الاشياء فى الدنيا لمنفعة ابن آدم فقالوا نعم فقال فلم تحرمون على انفسكم من بينها الخمر والخنزير وقد خلق لكم ما فى الارض جميعا فاخذوا قوله فاستحلوا الخمر والخنزير فلما مضى على ذلك ايام دعاهم وقال حضرنى علم اسمعوا ذلك منى والتمسوا به قالوا ما هو فقال لهم من اين تطلع الشمس من نواحى الافق قالوا تطلع من قبل المشرق فقال ومن اى ناحية يطلع القمر والنجوم فقالوا من قبل المشرق فقال ومن يرسلهم من قبل المشرق قالوا الله تعالى فقال فاعلموا انه تعالى من قبل المشرق فاذا صليتم له فصلوا اليه فحوّل صلاتهم الى المشرق فلما مضى على ذلك ايام دعا بطائفة منهم وامرهم ان يدخلوا عليه فى الغرفة وقال لهم جاءنى عيسى عليه السلام الليلة فقال لى رضيت عنك لاجل عملك وتعليمك قومى فمسح بيده على عينى فبرئت فاعلموا انى اريد ان اجعل نفسى الليلة قربانا لاجل عيسى وقد حضرنى علم اريد ان اخبركم فى السر تحفظونه عنى وتدعوا الناس اليه ثم قال هل يستطيع احد ان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص الا الله تعالى فقالوا نعم قال ان عيسى فعل هذه الاشياء فاعلموا انه هو الله فخرجوا من عنده ثم دعا بطائفة ثانية فاخبرهم ان عيسى ابنه ثم دعا بطائفة اخرى واخبرهم ان الله ثالث ثلاثة وقال لكل واحدة من تلك الطوائف انى اريد ان اجعل نفسى قربانا لعيسى عليه السلام الليلة ثم خرج فى بعض الليلة وغاب عنهم فاصبحوا ولم يجدوه فى موضعه فقالوا انه قد التحق بعيسى فجعل كل فريق يدعو الناس الى ما سمعه من اللعين وكفر به الآخران فوقع بينهما القتال فاقتتلوا وبقيت العداوة بينهم الى يوم القيامة وهم ثلاث فرق النسطورية قالوا المسيح ابن الله والملكانية قالوا ان الله ثالث ثلاثة المسيح وامه والله الثالث واليعقوبية قالوا ان الله هو المسيح لعنهم الله تعالى ثم انه تعالى لما حكى عن اليهود والنصارى نقضهم العهد وتركهم ما امروا به دعاهم بعد ذلك الى الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ﴿قوله لكم﴾ حال رسولنا وقوله مما متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا وما موصولة وتخفون صلتها والعائد محذوف اى من الذى كنتم تخفونه ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف ويعفو عطف على يبين اى جاءكم من رسولنا حال كونه مبينا ومظهرا كثيرا مما كنتم تخفون وعافيا عن كثير فلا يتعرض له ولا يؤاخذكم به لانه لا حاجة له الى اظهاره من حيث انه لا يتعلق به ومع ذلك لما اخبرهم باسرار ما فى كتابهم كان ذلك اخبارا عن

(فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا) فالزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به (بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) بالجزاء والعقاب (يا اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه

وسلم (يهدي به الله) وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم (من اتبع رضوانه) من اتبع رضاه بالايمان منهم (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب او سبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) من انواع الكفر الى الاسلام (باذنه) بارادته او بتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لامحالة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم (قل فمن يملك من الله شيأ) فمن يمنع من قدرته وارادته شيأ (ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا) احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه) اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق نحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة (بل انتم بشر ممن خلق) ممن خلقه الله تعالى (يغفر لمن يشاء) وهم من آمن به وبرسله (ويعذب من يشاء) وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) كلها سواء في كونه خلقا وملكا له (واليه المصير) فيجازي المحسن باحسانه والمسئ باساءته (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم) اى الدين وحذف لظهوره

الغيب فيكون معجزا ومع ذلك اذا علموا كونه عليه الصلاة والسلام عالما بكل ما يخفونه يصير ذلك داعيا لهم الى ترك الاخفاء لئلا يفتضحوا ﴿قوله يعني القرآن﴾ يعني ان النور والكتاب المبين متحدان بالذات وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف بهما وهو القرآن وصف بالنور تشبيها له بالنور الكاشف للاعيان المحجوبة بالظلمة الحسية وقد وصف بالكتاب المبين لكونه كتابا بين الاعجاز على ان المبين من ابان لا من بان وعلى ما قيل يكون العطف من قبيل عطف الذات على الذات بناء على ان النور المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي نورا تشبيها له بالنور من حيث انه تميز به الهدى عن الضلال والحق عن الباطل وعلى الاول يكون توحيد ضمير به ظاهرا لان المراد بهما واحد وهو القرآن وعلى الثاني وحد نظرا الى اتحادهما حكما من حيث ان المقصود بهما اظهار الحق وتبيينه والدعوة اليه ﴿قوله او سبل الله﴾ على ان يكون السلام من اسماء الله لان السلام هو السالم المنزه عن النقائص وسبيل الله هو دين الاسلام ﴿قوله او بتوفيقه﴾ اى بتيسيره وجعل حالهم موافقا لما يحبه ويرضاه لان الاذن هو الاطلاق ورفع الحرج فيجوز ان يعبر عن التيسير بالتوفيق وتنكير نور وكتاب وصراط للتعظيم ﴿قوله زعموا ان فيه لاهوتا﴾ اى الوهية من حيث انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر العالم ﴿قوله تعالى ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم الخ﴾ عطف امه ومن في الارض على المسيح مع انه يكفي في الاحتجاج على فساد قولهم الاقتصار على ذكر المسيح للدلالة على انه عبد مخلوق من جنسهم للاتفاق بينه وبينهم في البشرية فيجوز عليه ما يجوز عليهم ﴿قوله اشياع ابنيه عزير والمسيح﴾ جواب عما يقال من ان اليهود والنصارى لا يقولون انهم ابناء الله وانما قالوا ذلك في عيسى عليه السلام وعزير فكيف يصح ان يحكى عنهم ذلك * وتقرير الجواب ان اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله ثم زعموا انهم اشياع عزير والمسيح واصحابهما والمختصون بشخص يطلق عليهم ما يطلق على ذلك الشخص ويوصفون بوصفه كما ان اقارب الملك اذا اختلفوا احدا فيقولون نحن ملوك الارض وكما قال مؤمن آل فرعون مخاطبا لهم يا قوم لكم الملك اليوم وكان الملك لفرعون لانهم جعلهم ملوكا لاختصاصهم به وكما قيل لاصحاب ابن خبيب الخبيبون قال الشاعر * قدني من نصر الخبيبين قدي * على رواية الخبيبين بلفظ الجمع وخبيب اسم رجل وهو خبيب بن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم وكان عبد الله يكنى بابي خبيب ومن روى الخبيبين بلفظ التثنية فانه يريد بهما عبد الله بن الزبير وابنه وقيل يريد بهما عبد الله واخاه مصعبا ومن رواه بلفظ الجمع يريد بهم الثلاثة المذكورة وقال ابن السكيت يريد اباخبيب ومن كان على رأيه وقول المصنف كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون مبني على قول ابن السكيت * فان قيل التمثيل به انما يطابق تسمية اشياع ابناء الله ان لو تسمى ابن الزبير خبيبا ثم اطلق على اشياعه ما اطلق عليه وليس كذلك لان ما اطلق على ابن الزبير هو ابو خبيب لا خبيب فاطلاق الخبيبين على اشياع ابن الزبير ليس من قبيل تسمية اشياع شخص بما اطلق على ذلك الشخص * فالجواب عنه ان تسمية اشياع ابي الخبيب بالخبيبين يصلح شاهدا ومؤيدا لصحة تسمية اشياع ابناء الله بابناء الله ثم اشار المصنف رحمه الله الى جواب آخر بقوله او مقربون عنده يعني ان الاشكال انما يتوجه على تقدير ان يريدوا بذلك حقيقة البنوة ولم يريدوا ذلك بل مرادهم بالبنوة ما يلزمها من القربة والعناية ومزيد الرحمة فلما جاز ان يقال الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا بهذا المعنى زعموا جواز ان يقال انه تعالى اتخذ اليهود ابناء والمعنى تخصيصهم بمزيد العناية والشفقة والمحبة فلذلك قالوا نحن ابناء الله على ارادة هذا المعنى وقيل في الجواب ان كلامهم محمول على حذف المضاف والتقدير نحن ابناء رسل الله واضافوا اليه سبحانه وتعالى ما هو مضاف في الحقيقة الى رسله ونظيره قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴿قوله وحذف لظهوره﴾ لدلالة الرسول عليه فان كل احد يعلم ان الرسول انما يرسل لتعليم دين الله وشرائعه ﴿قوله او ما كتمتم﴾ اى عطف على الدين حذف لدلالة ما قبله عليه والاولى ان لا يقدر مفعول يبين وينزل منزلة اللازم اى يبذل لهم البيان ليدل على العموم كما حذف المفعول لذلك في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اى كل احد وزمان الفترة ما يقع بين رسولين وكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وثمان وخمسون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي لكن لم يكونوا مرسلين وبين موسى وعيسى عليهما السلام اربعة آلاف واربعمائة وثلاث وتسعون سنة والف نبي وكانوا على شريعة موسى عليه السلام ومعنى الآية هو الامتنان عليهم بان

الرسول بعث اليهم حين انطماس آثار الوحي وهم احوج مايكون اليه لازالة العذر والزام الحجة فيعدونه نعمة ورحمة
﴿ قوله اويبين ﴾ عطف على قوله جاءكم اى ويحتمل ان يكون قوله على فترة متعلقا بقوله يبين على انه حال من الضمير فيه اى يبين لكم حال كونه على فترة من الرسل اى فتور امرهم ﴿ قوله فيقدر على الارسال تترى ﴾ اى واحدا بعد واحد بان يفصل بعثة احد الرسولين عن انقضاء الآخر بزمان يسير بعد ان كان الارسال على سبيل التتابع والتوالى قال الله سبحانه وتعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى واصلها وترى من الوتر وهو الفرد والمواترة المتابعة مع انفصال التابع من المتبوع بزمان ولاتكون المواترة بين الاشياء الا اذا وقعت بينها فترة والا فهى متداركة ومتواصلة ومتواترة الصوم ان تصوم يوما وتفطر يوما او يومين وتأتى به متواترا من غير مواصلة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قوله تعالى على فترة من الرسل بمعنى على انقطاع من الانبياء يقال فتر الشئ يفتر فتورا اذا سكنت حدته وصارت اقل مما كانت عليه وسميت المدة بين الانبياء فترة لفتور الدواعى فى العمل بتلك الشرائع وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم بعد انقطاع الرسل عليهم الصلاة والسلام اذ كانت بعثتهم متواترة بعضها اثر بعض الى وقت ان رفع الله تعالى عيسى عليه السلام ﴿ قوله تعالى واذقال موسى لقومه ﴾ الواو فيه للعطف وهو متصل بقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل اخبر الله تعالى اولا انه اخذ ميثاق بنى اسرائيل وميثاق الذين قالوا انا نصارى وان كل واحد منهم نقض الميثاق ونسى حظا مما ذكر به وانه تعالى عاقبهم فى الدنيا بما يستحقونه واوعدهم به فى الآخرة ثم عطف على هذه القصة ان موسى عليه السلام ذكر قومه نعم الله تعالى عليهم من حيث انه تعالى جعل الانبياء منهم على عهد موسى بن عمران وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام من قومه وانطلقوا معه الى الجبل وانه تعالى لم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء ورغبهم فى شكر تلك النعم وطاعة المنعم فيما امر به من جهاد الجبارين ومن جملة ما انعم الله تعالى على قوم موسى انه تعالى جعل منهم او فيهم ملوكا وقد ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم وقيل فى تفسير جعلهم ملوكا انه تعالى جعلهم احرارا يملكون انفسهم بعدما كانوا فى ايدى القبط بمنزلة اهل الجزية فينا فلا يغلبهم على انفسهم غالب وقيل من كان مستقلا بامر نفسه ومعيشته ولايحتاج فى مصالحه الى احد فهو ملك وروى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بنوا اسرائيل اذا كان لاحد منهم خادم وامرأة ودابة كتب ملكا وروى ان رجلا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأنت من الاغنياء قال فان لى خادما قال فانت من الملوك ﴿ قوله ونحوها مما آتاهم ﴾ كاهلاك عدوهم من غير ان يكون لهم مدخل فى ذلك وايراثهم املاكهم من الديار والاموال واخراج المياه العذبة الكافية لهم ولدوابهم من الحجر الصغير ﴿ قوله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم ﴾ لما دل ظاهر قوله تعالى مالم يؤت احدا من العالمين على ان قوم موسى يفضلون على كل واحد من آحاد العالمين وليسوا كذلك وجه الكلام اولا بان خصص عموم قوله تعالى مالم يؤت احدا من العالمين بما انعم الله تعالى به عليهم مما اوتوا خاصة من بين العالمين كاهلاك عدوهم بفلق البحر وما افاض الله تعالى عليهم من فنون فضله وصنوف نعمائه الخارجة عن العدد والاحصاء كتظليل الغمام واطعامهم طعام الملوك وسقيهم الماء الزلال الخارج من حجر صغير يابس وغير ذلك ولايلزم من تخصيص تلك النعم المختصة بهم تفضيلهم على سائر طوائف العالم لجواز ان يختص غيرهم بافضل مما اوتوا ووجهه ثانيا بأن خصص عموم العالمين بعالمى زمانهم فلا يلزم تفضيلهم على العالمين جميعا والحاصل ان قوله مالم يؤت احدا من العالمين يتناول جميع مالم يؤته غيرهم كما يتناول بعضه وكذا العالمين عام يتناول جميع العالم كما يتناول من فى زمانهم من العالم والمصنف اختار التخصيص فى جانب مالم يؤت واجرى العالمين على عمومه لان ابقاء عموم مالم يؤت على حاله وتخصيص العالمين يستلزم ان يكون قوم موسى عليه الصلاة والسلام مفضلين على اهل زمانهم بان اوتوا جميع الفضائل التى لم تؤت اهل زمانهم وليس الامر كذلك بل هم مميزون عن غيرهم بان ما اوتوه يختص بهم لم يعطه غيرهم من آحاد العالمين ﴿ قوله سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ﴾ يعنى ان معنى المقدسة المطهرة وتلك الارض طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل الامام هذا المعنى عن المفسرين ثم قال وفيه نظر لان تلك الارض التى امرهم موسى عليه السلام بدخولها ما كانت مقدسة عن الشرك وما كانت مقرا للانبياء عليهم الصلاة والسلام حين قال لهم ادخلوا

(على فترة من الرسل) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى او بيبين حال من الضمير فيه (ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير) كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به (فقد جاءكم بشير ونذير) متعلق بمحذوف اى لاتعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم (والله على كل شئ قدير) فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج مايكون اليه (واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء) فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) اى وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط فأنقذهم وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا (وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم (ياقوم ادخلوا الارض المقدسة) ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام

الارض المقدسة والاقرب ان يقال سميت مقدسة لكونها مطهرة من الآفات ثم قال ويمكن ان يجاب بانها كذلك فيما قيل وعن الكلبي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما صعد جبل لبنان قال الله سبحانه وتعالى له انظر فادركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك ولما وعدها الله تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام ميراثا لولده فسر قوله تعالى كتب الله لكم بأن قال قسمها وسماها لكم * ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا التفسير وقد روى انهم لما لم يجيبوا الى دخول القرية وجهاد الجبارة بقوا فى التيه اربعين سنة قال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض وماتوا فيه فكيف كانت مكتوبة لهم * اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بقوله ولكن ان آمنتم واطعتم يعنى ان هذا الوعد كان مقيدا بشرط الاجابة والاطاعة ولما خالفوا الشرط حرموها واجيب ايضا بان الخطاب كان لبنى اسرآئيل وقد وقع الفتح على ايدى اولاد هؤلاء وانهم دخلوا فتحقق الوعد وكونه حراما لبعضهم لاينافى كونها مكتوبة لهم فانه قد روى ان موسى عليه الصلاة والسلام ويوشع بن نون وكالب بن يوقنا كانوا فى التيه وخرجوا منه باولاد من مات فى التيه وقاتلوا الجبارة وغلبوهم ودخلوا بلادهم ﴿قوله ولاترجعوا مدبرين خوفا من الجبارة﴾ قيل لما دخل النقباء ارض الجبارة يتجسسون احوال تلك الديار واهلها اختلفوا فيها اربعين يوما فرأوا اهلها كالبهم اجسام عظام هائلة حتى كان طول احدهم ثمانين ذراعا وقيل اربعمائة ذراع ثم انصرف اولئك النقباء الى موسى عليه السلام فاخبروه بما رأوا فامرهم موسى بان يكتموا ما رأوه فلم يقبل قوله الارجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فانهما سهلا الامر وقالا هى ارض طيبة كثيرة النعمة والاقوام وان كانوا عظماء الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فقد اوقعوا الجبن فى قلوب الناس حتى اظهروا الامتناع عن غزوهم وقالوا لموسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون فدعا عليهم موسى عليه السلام فعاقبهم الله تعالى بأن ابقاهم فى التيه اربعين سنة وكانت غيبة النقباء اربعين يوما فعوقبوا فى التيه اربعين سنة ومات اولئك العصاة فى التيه واهلك النقباء العشرة بعقوبة عظيمة وقيل ان موسى عليه السلام كان حيا وخرج من التيه ومعه يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقاتل الجبارة وغلبوهم ودخلوا تلك البلاد وقيل لم يخرج من التيه احد ممن دخله بل ماتوا بأسرهم فى هذه الاربعين سنة ولم يبق الاذراريهم ويوشع وكالب ﴿قوله خاسرين ثواب الدارين﴾ اى تخسرون ماوعد لكم فى الدنيا من الاستيلاء على بلادهم وفى العقبى من ثواب الآخرة ﴿قوله الجزم على العطف﴾ اى لاترتدوا على ادباركم فلاتنقلبوا خاسرين ﴿قوله من جبره على الامر بمعنى اجبره﴾ اى اكرهه يقال اجبرته عليه اى اكرهته عليه والجبار الذى يقتل على الغضب كذا فى الصحاح قال الفرآء لم اسمع فعالا من افعل الافى حرفين وهما جبار من اجبر ودراك من أدرك وقيل جبار مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل اليها الايدى ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل والقوم كانوا فى غاية القوة وعظم الاجسام فسموا جبارين بهذا المعنى ﴿قوله اى يخافون الله تعالى﴾ اختار ان المفعول المقدر هو اسم الله تعالى على ماروى ان ابن مسعود قرأ يخافون الله وقوله تعالى من الذين فى محل الرفع على انه صفة لرجلان وصفهما بمخافة الله تعالى لكونهما من قوم موسى نبى الله لامن الجبارة فان يوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف بن يعقوب كان فتى موسى ووصيه بعد موته وكالب بن يوقنا من سبط يهودا بن يعقوب كان ختن موسى على اخته مريم بنت عمران فثبت انهما رجلان من الذين يخافون الله تعالى فى مخالفة امره ﴿قوله وقيل كانا رجلين من الجبارة﴾ اى قيل ليس المراد بالرجلين كالب ويوشع بل هما رجلان كانا من الجبارة فاسلما وتبعا موسى انعم الله تعالى عليهما بان وفقهما للايمان ﴿قوله فعلى هذا﴾ اى فعلى تقدير ان يكون الرجلان من الجبارة فى الاصل يكون الضمير المرفوع فى يخافون راجعا الى الموصول والتقدير وقال رجلان من الذين يخافهم بنوا اسرآئيل وهم الجبارون فان بنى اسرآئيل خافوا منهم وقالوا لاطاقة لنا بالقتال معهم فاذهب انت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون والظاهر انه يجوز ان يكون التقدير على هذا القول قال رجلان من الذين يخافون الله الا ان التقدير الذى ذكره المصنف هو الانسب على هذا القول وايد قول هذا القائل بقرآءة من قرأ من الذين يخافون على بناء المفعول اى قال رجلان من المخوفين الذين يخافهم بنوا اسرآئيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فقالا هذا القول لقوم موسى تشجيعا لهم على قتالهم لما بينهما من العداوة الدينية ﴿قوله وعلى المعنى الاول﴾ اى على ان يكون

﴿التى كتب الله لكم﴾ قسمها لكم اوكتب فى اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرمة عليهم ﴿ولاترتدوا على أدباركم﴾ ولاترجعوا مدبرين خوفا من الجبارة قيل لماسمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر اولاترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾ ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين﴾ متغلبين لاتتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على مايريده ﴿وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون﴾ اذلاطاقة لنا بهم ﴿قال رجلان﴾ كالب ويوشع ﴿من الذين يخافون﴾ اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبارة أسلما وساروا الى موسى فعلى هذا الواو لبنى اسرآئيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنواسرآئيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاوّل يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد

(انعم الله عليهما) بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض (ادخلوا عليهم الباب) باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لاقلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنيعه لموسى فى قهر اعدآئه (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) اى مؤمنين به ومصدقين لوعده (قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا) نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد (ماداموا فيها) بدل من ابدا بدل البعض (فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك (قال رب انى لاأملك الانفسى واخى) قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لاأملك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم

رجلان عبارة عن كالب ويوشع الامرآئيلين يكون يخافون من الاخافة لان بنى اسرآئيل تتعلق بهم الاخافة من الله تعالى بالتذكير والوعظ وبوعيد الله تعالى بعقاب العصاة ولايكون مجهولا بخلاف الثانى والامكان المعنى انهما من المخوفين وليس كذلك للقطع بأن المخوفين هم الجبارون والخائفون هم بنو اسرآئيل والحاصل ان قرآءة الضم انما تؤيد قول هذا القائل وهو ان يكون الرجلان من الجبارين على تقدير ان يكون يخافون بضم اليآء مجهولا بخلاف الثانى واما على تقدير كونه ليس مجهولا من باب الاخافة فلا ترجح هذه القرآءة ان يكون الرجلان من الجبارين للقطع بأن بنى اسرآئيل يخوفون من الله تعالى بالوعظ والتذكير اذ يخوفهم الوعيد الوارد فى حق من عصى وخالف امر الله تعالى ﴿قوله او اعتراض﴾ وقع بين قال ومقوله مدحا لهما ودلالة على صحة قولهما وكونه حقيقا بالقبول ﴿قوله باغتوهم﴾ اى ادخلوا عليهم بغتة اى فجاءة من المباغتة وهى المفاجأة يقال بغته اى فجأه والمضاغطة المزاحمة يقال ضغطه يضغطه ضغطا اى زحمه الى حائط ونحوه ومنه ضغطة القبر • والاصحار الدخول فى الصحرآء يقال اصحر القوم اذا دخلوا فى الصحرآء نحو اصبح القوم • والكر الحملة الواقعة من المحارب حال المحاربة والمكر بالفتح موضع المحاربة قال الامام قوله ادخلوا عليهم الباب مبالغة فى العدة بالنصر والظفر كأنه قال متى دخلتم باب بلدهم انهزموا ولايبقى منهم نافخ نار ولاساكن دار فلاتخافوهم ثم قال انما جزم هذان الرجلان فى قولهما فاذا دخلتموه فانكم غالبون لانهما كانا جازمين بنبوة موسى فلما اخبرهم بأن الله تعالى قال ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم قطعا بأن النصرة لهم وان الغلبة من جانبهم ولذلك ختما بقولهما وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بمعنى لما وعدكم الله تعالى النصر فلاينبغى ان تصيروا خائفين من شدة قوتهم وعظم اجسامهم بل توكلوا عليه فى حصول النصر لكم ان كنتم مؤمنين بوجود الآله القادر ومؤمنين بصحة نبوة موسى عليه السلام ﴿قوله ويجوز ان يكون علمهما بذلك﴾ اى بكونهم غالبين على الجبابرة بدخولهم باب بلدهم وهو عطف من حيث المعنى على قوله لتعسر الكر عليهم كأنه قيل علما ذلك بالفراسة وباخبار موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله بدل من ابدا بدل البعض﴾ لان الابد يعم الزمان المستقبل كله ومدة دوام الجبارين فيها بعض منه ﴿قوله قالوا ذلك استهانة بالله تعالى ورسوله﴾ فان من استعمال فى حقه التحيز والذهاب والمجيء ونحو ذلك من خواص الجسمية لايسند اليه الذهاب والمقاتلة الابطريق الاستهانة به ولهذا لايسند مثل ذلك الى سيد القوم ورئيسهم الا بطريق الطريق ويحتمل ان يقولوا ذلك بناء على كونهم من المجسمة فلذلك جوزوا حقيقة الذهاب والقتال فى حقه تعالى الا ان المصنف لم يلتفت اليه لبعد مثل هذا الجهل ممن آمن بنبى وصاحبه سنين متطاولة ولما كانت الاستهانة بالله تعالى ورسوله جهالة عظيمة ايضا قيل تقدير الكلام اذهب انت وربك يعينك على ان يكون لفظ ربك مبتدأ حذف خبره والواو للحال من فاعل اذهب الا ان المصنف لم يرض به لكونه تعسفا يأبى عنه نظم الكلام ﴿قوله قاله شكوى بثه﴾ اى قال شكاية من حاله الى الله تعالى والشكوى مصدر قولك شكوت فلانا اذا اخبرت عنه بسوء فعله بك والبث وان استعمل بمعنى النشر والاظهار الا انه ههنا بمعنى الحال قال الجوهرى البث الحال والحزن يقال ابثثتك اى اظهرت لك بثى عن الكلبى انه قال لما قالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون غضب موسى عليه السلام وكان رجلا حديدا فقال انى لاأملك الانفسى واخى اى لاأملك الاطاعتهما ولم يعن الاايثماه ولماوردان يقال كيف يصح هذا الحصر مع ان الرجلين المذكورين اطاعاه ولم يظهر منهما مخالفة امره • اجاب عنه بقوله والرجلان المذكوران الى آخره كأنه قال لااثق بطاعة احد غير نفسى واخى ﴿قوله ويحتمل نصبه﴾ ذكر فى اعراب اخى ثلاثة اوجه النصب والرفع والجر اما النصب فعلى وجهين الاول العطف على نفسى اى لاأملك الانفسى والااخى والثانى العطف على اسم انّ ويكون خبره محذوفا لدلالة خبر المعطوف عليه على خبره اى وان اخى لايملك الانفسه واما الرفع فعلى وجهين ايضا الاول عطفه على الضمير المستكن فى لاأملك والتقدير ولايملك اخى الانفسه وجاز ذلك للفصل بقوله الانفسى والثانى عطفه على محل انّ مع اسمها فان انّ المكسورة لما لم تغير معنى الجملة كان اسمها المنصوب فى محل الرفع على الابتدآء لان فائدة المكسورة ليست الا التأكيد فكانت بالنسبة الى اصل المعنى فى حكم المعدوم فجاز العطف على محل اسمها بالرفع كقول الشاعر

❁ ومن يك امسى بالمدينة رحله ❁ فانى وقيار بها لغريب ❁

اى وقيل ايضا غريب وخبران وان كان مؤخرا لفظا لكنه مقدم تقديرا فلذلك جاز العطف على ان مع اسمها فان تقدم الخبر شرط في مثل هذا العطف لئلا يلزم توارد عاملين على معمول واحد فكما يجوز العطف على المبتدأ بالرفع نحو زيد قائم وعمرو فكذا يجوز العطف على محل ان بالرفع تقول ان زيدا قائم وعمرو والمفتوحة لما كانت مع خبرها في تأويل اسم مفرد مرفوع او مجرور او منصوب ولتغير بها معنى الجملة وكان اسمها كبعض حروف الكلمة لم يجز العطف على محل اسمها ويشترط في جواز العطف على محل المكسورة تقدم الخبر لفظا او تقديرا خلافا للكوفيين وقد تقدم الخبر في الآية لفظا فجاز العطف على اسم ان بلا خلاف واختلفت عبارة النحاة في هذا قال بعضهم ومنهم ابن الحاجب جاز العطف على محل اسم المكسورة وقال آخرون جاز العطف على محل ان مع اسمها كما قال المصنف ولعل مبنى العبارة الاولى وهو ان محل الاعراب هو الاسم الذى تعتور عليه المعانى المختلفة وذلك الاسم هو اسم ان وحده لانه هو الذى فى محل الرفع على الابتداء وان كان منصوبا لفظا بتسلط العامل عليه ومبنى العبارة الثانية ان المرفوع على الابتداء لو كان اسم ان وحده لوجب ان يكون مجردا عن العوامل اللفظية وذلك الاسم ليس مجردا عنها فلم يصح ان يقال له انه مرفوع المحل على الابتداء فيكون المرفوع على الابتداء هو ان مع اسمها واما جره فبالعطف على ياء المتكلم فى نفسى فانه مجرور باضافة النفس اليه اى لا املك الا نفسى ونفس اخى والضمير المجرور لا يعطف عليه عند البصريين الا ان اعيد الخافض نحو مررت بكر وبزيد فلذلك قال المصنف وجره عند الكوفيين فانهم يجوزون العطف عليه من غير اعادة الجار وقوله بيننا ظرف لقوله فافرق وكان من حقها ان لا تكرر فى المعطوف فانه يقال المال بين زيد وعمرو ولا يقال وبين عمرو ولكنها كررت فى الآية للاحتياج الى اعادة الخافض فى العطف على الضمير المجرور وهو يؤيد مذهب البصريين ﴿قوله لا يدخلونها﴾ لم يقل لا يدخلوها على صورة النهى اشارة الى ان المراد بالتحريم تحريم المنع لا تحريم التعبد والتكليف ثم ذكر ان اربعين سنة فيه وجهان اظهرهما انه منصوب بمحرمة ظرفا لها ويؤيده ماروى انه بعد انقضاء اربعين دخلوها فيكون التحريم مقيدا بهذه المدة ويكون قوله يتيهون كلاما مستأنفا غير مقيد بمدة او حالا من الضمير فى عليهم والوجه الثانى انه منصوب بقوله يتيهون قيدا له فيكون التحريم مطلقا ويحتمل ان يكون مؤبدا وان يكون منقطعا والتيه الحيرة ومنه ارض تيهاء يتحير فيها سالكها ولا يهتدى فيها الى السبيل واختلفوا فى مقدار ارض التيه فقيل ستة فراسخ وكان القوم ستمائة الف فارس فكان لكل مائة الف منهم فرسخ مسيرة نصف يوم على ان الفرسخ اربعة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع او اربعة آلاف ذراع وقيل كان التيه ستة فراسخ عرضا فى اثنى عشر فرسخا طولا قال الامام فان قيل كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم فى هذا المقدار الصغير من المفازة اربعين سنة بحيث لا يتصور لاحدهم ان يجد طريقا الى الخروج منها ولو انهم وضعوا اعينهم على حركة الفلك لخرجوا منها ولو كانوا فى البحر العظيم فكيف فى المفازة الصغيرة واجاب عنه بوجهين الاول ان انخراق العادة فى زمن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير مستبعد اذ لو فتحنا باب الاستبعاد لزم الطعن فى جميع المعجزات وهو باطل والثانى انا اذا فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد فقد زال السؤال لاحتمال ان الله تعالى حرم عليهم الرجوع الى اوطانهم وامرهم بالمكث فى تلك المفازة اربعين سنة فى المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم من المخالفة والعصيان ﴿قوله وكان الغمام يظلهم الى آخره﴾ ان قيل هذه المذكورات نعم جليلة وكان حبسهم فى التيه عقوبة ومحنة فكيف يجتمعان قلنا عقوبة الدنيا تجامع النعمة ولا تنافيها لجواز ان يكون العبد فى نعمة من وجه وفى محنة من وجه آخر وانما يتنافيان ان لو كانت الدنيا دار الجزاء على الحقيقة وليست كذلك ﴿قوله والاكثر على﴾ يعنى ان الناس اختلفوا فى ان موسى وهرون هل بقيا مع القوم فى التيه اولا فقال بعضهم انهما ما كانا فيه استدلالا بانه عليه السلام دعا ان يفرق بينه وبين اولئك الفاسقين ودعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابة وهى تدل على انهما ما كانا معهم فى التيه وبان فيه عذاب من عصى وتمرد والانبياء معصومون من العصيان صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فلا يعذبون والصحيح انهما كانا فيه مع القوم الا انه تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابراهيم النار بجعلها عليه بردا وسلاما ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فى انهما هل ماتا فيه او خرجا منه فقال بعضهم ان هرون مات فيه ثم موسى بعده بسنة وبقى كالب بن يوقنا ختن موسى ويوشع بن نون فتاه ووصيه بعد موته وهو الذى فتح الارض المقدسة وقيل انه ملك كل الشام بعد ذلك وقال آخرون بل بقى موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبابرة

(قال فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم (اربعين سنة يتيهون فى الارض) عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع

(فلا تأس على القوم الفاسقين) خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم (واتل عليهم نبأ ابنى آدم) قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل (بالحق) صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين (اذ قربا قربانا) ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف اى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كالحلوان اسم ما يعطى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى أخس ما عنده (قال لأقتلنك) توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك (قال انما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه اى انما أوتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لاتقبل الا من مؤمن متق (لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لأقتلك انى اخاف الله رب العالمين) قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء

وفتح اريحاء وكان يوشع على مقدمته فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى واقام فيها ماشاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى اليه ولا يعلم قبره الا الله تعالى قيل هذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء على ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام ﴿ قوله خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم ﴾ فانهم لما ابوا عن جهاد الجبابرة وعصوا نبيهم دعا عليهم فقال رب انى لا املك الا نفسى واخى ولا اثق بطاعة غير نابل أتوهم منهم الفسق والخروج عن الطاعة فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين اى اخرجنا من عدادهم وميز بيننا وبينهم فى امر المجازاة على اعمالنا ودياناتنا وأثبنا بطاعتنا فانا مطيعون لك وعاقبهم على امر مخالفتهم وعصيانهم فعاقبهم الله تعالى بأن حرم عليهم دخول الارض المقدسة وجعلهم متحيرين فى التيه اربعين سنة فلما تطاولت وامتدت مدة احتباسهم فى التيه اربعين سنة بسبب دعائه عليهم ندم موسى عليه السلام على مادعا عليهم فعاتبه الله تعالى بقوله فلا تأس على القوم الفاسقين اى لاتحزن عليهم بما اصابهم لانهم احقاء بذلك بسبب فسقهم وامتناعهم عن جهاد الجبابرة وعصيان نبيهم ويجوز ان يكون الخطاب لسيد المرسلين اى ولا تحزن على قوم شأنهم المعاصى ومخالفة الرسل ثم انه تعالى لما ذكر قبائح المشركين واهل الكتاب المبنية على حسدهم رسولهم صلى الله على نبينا وعليه وسلم من حيث انه خصصه بالرسالة من بينهم وجعله هدى للناس يهديهم الى الحق والى طريق مستقيم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتلو عليهم او على اهل الكتاب او على الناس كافة نبأ ابنى آدم وما وقع من ان احدهما قتل الآخر حسدا على قبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه وبين به ان الحاسد وقع به فى سوء العاقبة والمقصود منه التحذير عن الحسد فقال تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة كالحلوان اسم لما يعطى اى يعطى ﴿ قوله بالحق ﴾ وهو اما صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق والصدق او حال من المفعول اى نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين والغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان اليهود والنصارى كانوا يحسدونه عليه الصلاة والسلام فبين لهم سوء عاقبته او من الفاعل اى اتل عليهم ملتبسا بالصدق وانت محق صادق ﴿ قوله اذ قربا قربانا ظرف لنبأ ﴾ اى اتل عليهم قصتهم فى ذلك الوقت او حال من النبأ اى نبأهما حال وقوعه فى ذلك الوقت او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت روى ان آدم عليه السلام غشى حواء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل وتوأمته اقليما ولم تجد حين ولدتهما ماتجده النساء من الطلق ﴿ قوله وقيل ﴾ عطف على قوله ولذلك لم يثن اى لم يثن لان تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا ﴿ قوله توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ﴾ بيان لارتباط قول قابيل لهابيل لاقتلنك بقوله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر على وجه كون قول هابيل انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقول قابيل لاقتلنك وذلك ان قابيل كأنه قال لاخيه هابيل لاقتلنك حسدا على تقبل قربانك وعدم قبول قربانى فصح لهابيل ان يجيب بأن يقول له انما اوتيت من قبل نفسك حيث تعريت عن لباس التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى ومالك لاتجهد نفسك ولا تحملها على تقوى الله تعالى التى هى السبب لقبول العمل ﴿ قوله قيل كان هابيل اقوى منه ﴾ اى من قابيل واقدر على دفعه عن نفسه الا انه لم يبسط يده ولم يدفعه عن نفسه خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا فى ذلك الوقت فلذلك انقاد لاخيه ولم يدفعه عن نفسه ومقصود المصنف من ايراد هذا القول دفع ما يقال لم لم يدفع المقتول القاتل عن نفسه مع ان الدفع عن النفس واجب وهب انه ليس بواجب فلا اقل من انه ليس بحرام فلم قال انى اخاف الله رب العالمين ﴿ قوله او تحريا لما هو الافضل ﴾ وهو الصبر والاستسلام مع القدرة على الدفع فانه افضل لقوله عليه الصلاة والسلام فمن ابن مسلمة أتى كنت عن وجهك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وهو معطوف على قوله خوفا من الله تعالى فهذا على تقدير ان يكون استسلامه للقاتل وعدم التعرض لدفعه لتحرى ماهو الافضل والاول يعنى الخوف من معصيته ومخالفة حكمه والمراد ببسط اليد مدها والتحرج التأثم وعد مد اليد دفعا عن نفسه ذنبا موجبا للتحرز عنه ﴿ قوله وانما قال ما انا بباسط يدى ﴾ جواب عما يقال لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل حيث قال لئن بسطت ما انا بباسط وتقرير الجواب ان جواب القسم المغنى مسد جواب الشرط او جاء فعلا وقيل لا ابسط يدى اليك لكان المعنى انى لا افعل هذا الفعل الشنيع فى الحال او فيما سيأتى من الزمان وليس هذا المعنى مرادا بل المراد بيان انه

ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسط يدك الي وقوله المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة ﴿ فطوعت له نفسه قتل اخيه ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ﴿ فقتله فاصبح من الخاسرين ﴾ دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه ﴾ روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله تعالى او للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى ﴿ قال يا ويلتا ﴾ كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة ﴿ أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي ﴾ لا اهتدي الى مثل ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا ﴿ فاصبح من النادمين ﴾ على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك

لا يلابس ذلك الفعل على سبيل الاستمرار والدوام فلذلك اوثر لفظ اسم الفاعل على لفظ اسم الفعل فكأنه قيل لست ممن وصف ببسط اليد اليك بالقتل قط وهذا ابلغ من نفي الفعل فيه بل ما نسبه الى نفسه في بعض الازمنة ولهذا اكد نفيه بالقسم اولا وزيادة الباء في جواب القسم ثانيا فان اللام في قوله لئن بسطت موطئة للقسم وقوله ما انا بباسط جواب القسم سادّ مسدّ جواب الشرط ﴿قوله والمعنى انما استسلمت﴾ اي امتنع من معارضتك خوفا من الله تعالى في مخالفة حكم او خوفا من انتقاص اجر بترك الاول وارادة كونك حامل الاثمين جميعا اثم مباشرتك ببسط يدك الي لتقتلني واثم تسببك لان ابسط اليك يدي لتقتلك لو بسطت يدي اليك لتقتلك لا استحالة ان تحمل نفس اثم شخص آخر بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى والحديث المذكور نظير الآية في الدلالة على كون شخص واحد حامل الاثمين اثم المباشرة واثم كونه سببا لاثم شخص آخر فان البادي بالسب حامل لاثم سبه بالمباشرة واثم تسببه لسب صاحبه اياه فان السب من حيث كونه هتكا للعرض اثم سواء وقع ابتداء او على سبيل المكافاة مأذونا فيه معفوا عنه بقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴿قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم﴾ ما في قوله ما لم مصدرية قائمة مقام المدة التي هي ظرف متعلق الجار والمجرور والمعنى انه على البادي مدة عدم تجاوزه عن حد المكافاة والمماثلة والاعتداء التجاوز عن الحد فقد حكم عليه الصلاة والسلام بأن البادي عليه اثم سبه بالمباشرة وسب صاحبه لكون البادي سببا لسبه الا ان ما على البادي بالسب ليس عين اثم صاحبه لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وانما عليه وزر تسببه لما اكتسبه صاحبه ﴿قوله وقيل معنى باثمي الى آخره﴾ عطف على قوله واثمك ببسط يدك الي ﴿قوله ولعله لم يرد﴾ اي هابيل حين قال اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار معصية اخيه قابيل وشقاوته جواب عما يقال كما لا يجوز للانسان ان يريد من نفسه ان يعصي الله تعالى ويستحق عذابه فكذلك لا يجوز ان يريد ذلك من غيره لا سيما من اخيه فكيف جاز له ان يقول اني اريد ان تبوء باثمي واثمك وتقرير الجواب ان هابيل لم يرد معصية اخيه وانما اراد عصمة نفسه منها وذلك لان هابيل لما رأى ان اخاه صمم عزمه على قتله ولاحظ انه لا يخلو اما ان يكون فارغا عن حال اخيه يفعل به ما شاء او يقتل هو اخاه ابتداء بمجرد ظنه ان اخاه على صدد قتله وكل واحد من الامرين معصية كبيرة فلما رأى ان هذه المعصية واقعة لا محالة اما من نفسه او من اخيه قال اني اريد ان تبوء بالاثم المتوقع مني ومنك فالمقصود بالذات ان لا تقع تلك المعصية من نفسه لا ان تقع من اخيه ولو سلم انه ارادها من اخيه فلا نسلم ان ارادة ذلك في هذه الحالة على هذا الشرط معصية وحرام بل هي عين الطاعة ومحض التقوى واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد اني اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عذاب ظالمه ﴿قوله فسهلته له﴾ اي جعلت له نفسه قتل اخيه شيأ سهلا وامرا هينا مع ان قتل النفس بغير حق لا سيما قتل الاخ صعب يكرهه الشرع القويم والعقل السليم والطبع المستقيم يقال طاع له اي صار طائعا منقادا ويعدى بالتضعيف ﴿قوله على انه فاعل بمعنى فعل﴾ ولا يكون للمشاركة او يكون للمشاركة على معنى انه لما اراد قتل اخيه كأنه دعا نفسه الى الاقدام عليه وهي تأبى ذلك وتشمئز منه الى ان غلب على النفس فطاوعته واجابته وله متعلق بطوعت على القراءتين زيدت اللام لتقوية الارتباط وان كان الكلام يتم بدونها ﴿قوله دينا ودنيا﴾ اما دينا فظاهر واما دنيا فلانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيامة روي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم عليه السلام بعده مائة سنة لم يضحك قط ﴿قوله والجملة ثاني مفعولي يرى﴾ اي سادة مسده لان الجملة الاستفهامية معلقة لرؤية البصرية فهي في محل المفعول الثاني سادة مسده لان رأى البصرية قبل تعديتها بالهمزة متعدية الى مفعول واحد وبالهمزة صارت متعدية الى اثنين ﴿قوله والمعنى يا ويلتي﴾ يعني ان يا ويلتا بالالف اصله بياء الاضافة فابدلت الياء الفا وهي شائعة في المنادى المضاف الى ياء المتكلم والنداء وان كان اصله ان يأتي منه الاقبال وهم العقلاء الا ان العرب تتجوز فتنادي ما لا يعقل لاظهار التحسر ومثله يا حسرة على العباد ويا حسرتا على ما فرطت في جنب الله والالف الفصيحة في عجز يعجز كونها من باب ضرب يضرب واستعماله من باب علم شاذ ﴿قوله فاواري﴾ بنصب الياء عطف على اكون المنصوبة بان المصدرية اي اعجزت عن كوني شبيها بالغراب فمواريا وقيل انه منصوب لانه جواب الاستفهام في قوله اعجزت على طريق قوله تعالى فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ورد عليه ان من شرط ما نصب على جواب الاستفهام كون الاول سببا للثاني وليس

وعدم الظفر بما قتله من اجله (من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرآئيل) بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل شرّا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جرّاك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتدآء الكتب والشاؤه من اجل ذلك (انه من قتل نفسا بغير نفس) اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص (او فساد فى الارض) او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق (فكأنما قتل الناس جميعا) من حيث انه هتك حرمة الدماء وسنّ القتل وجرّأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سوآء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم (ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا) اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرّض لها وترغيبا فى المحاماة عليها (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون) اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر (انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله) اى يحاربون اوليائهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر (ويسعون فى الارض فسادا) اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا (ان يقتلوا) اى قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل (او يصلبوا) اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا

الغرب بالهواء اتوا لا معنى لان يقال او عجزت لو اريت وقرئ فاوارى بسكون الياء اما على الرفع اى انا اوارى واما على التسكين فى موضع النصب تخفيفا وهربا من توالى الحركات وهى معيبة ﴿قوله وعدم الظفر بما قتله لاجله﴾ وهو تزوّج اخته اقليما ﴿قوله بسببه قضينا عليهم﴾ اى بسبب ما ذكرنا من قتل قابيل اخاه هابيل وما ترتب على قتله من انواع الشدآئد والمكاره التى اشير اليها بقوله فأصبح من الخاسرين فانه يندرج فى اجمال خسارته جميع الفضائل الدينية والدنيوية وجميع السعادات الاخروية حيث اسودّ وجهه وتبرأ منه آدم وذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن ممن رآه كائنا من كان حتى قتله احد اولاده ولما كانت قصة قابيل وهابيل مشتملة على هذه المكاره مؤدية اليها حسن ان يقال من اجل ذلك اى كون القتل على سبيل العدوان مؤديا الى تلك المفاسد قضينا على بنى اسرآئيل ان قتل نفس واحدة على سبيل العدوان معادل لقتل الناس جميعا واحياءها بأن يكون سببا لبقاء حياتها بالعفو عن الجانين وعدم الاقتصاص منهم او بمنع القاتل ان يقتل من اراد قتله او تخليص من توجه اليه سبب من اسباب الهلاك من غرق او حرق او غير ذلك معادل لاحياء الناس جميعا وقتل النفس وان كان بغير حق حراما فى جميع الاديان الا ان بنى اسرآئيل خصوا بمزيد التشديد والتغليظ حيث جعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعا لبلوغهم فى قساوة القلب والاباء عن طاعة الله تعالى الى اقصى المراتب حتى استحلوا قتل الانبياء كزكريا ويحيى وهموا بقتل عيسى وكلمة من فى قوله تعالى من اجل ذلك لابتدآء الغاية متعلقة بكتبنا اى ابتدآء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك واجل بفتح الهمزة وسكون الجيم فى الاصل مصدر اجل عليهم شرّا يأجل اجلا اى جناه واوجده وانما قالت من اجلك كذا اى جنيت فعله واوجبته فاذا قلت انا اجله فكأنك قلت انا جانيه وكاسبه استعمل فى تعليل الجنايات اى فى تعليل جناية المتكلم وتعديه فى حق المخاطب يقال فعلته من اجلك اى بسبب جنايتك وكسبه كما فى من جرّاك فعلت كذا اى من اجلك من جروت اى جنيت وهى فعلى من جرّ يجرّ وكدعوى من دعا يدعو والمعنى تلك فعلت فعلا وجرّ ذلك الى فعل ما فعلته بأن كان سببا له ﴿قوله وبهذا﴾ اى بقوله تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات الآية اتصلت قصة ابنى آدم بما قبلها من قبائح بنى اسرآئيل ثم انه تعالى لما شدّد الامر على من قتل النفس بغير حق شرع فى بيان جزآء من يحارب المسلمين وان محاربتهم محاربة مع الله تعالى ورسوله تعظيما لهم كما ورد فى الحديث القدسى من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة فكما ان تعظيم حزب الله تعالى واوليائه تعظيم له تعالى حكما فكذا اهانتهم ومحاربتهم فى حكم اهانته تعالى ومحاربته فسر محاربة الله تعالى ومحاربة رسوله صلى الله عليه وسلم بمحاربة اوليائه لتعذر حمل الكلام على ظاهره ضرورة ان محاربة الله تعالى غير متصورة ومحاربة رسوله غير ممكنة فى نفسها الا ان قطاع الطريق لا يحاربونه تقول حربه حربا مثل طلبه طلبا اذا اخذ ماله وتركه بلا شئ وحرب الرجل ماله اى سلبه فهو محروب وحريب ﴿قوله وقيل المكابرة باللصوصية﴾ عطف على قوله قطع الطريق والفرق بينهما ان قطع الطريق انما يكون من قوم يجتمعون ولهم منعة اى قوة وشوكة تمنعهم ممن اراد بهم سوأ بسبب ما يكون بينهم من التناصر والتعاون والاقتدار على دفع من يتصدّى لهم بالسوء ويتعرّضون لدماء المسلمين واموالهم وازواجهم واماءهم وهذه القوة والمنعة غير معتبرة فى اللصوصية التى هى السرقة وان كان اللص مكابرا او مجاهرا فى اخذ المال والنهب والغارة والقوم الموصوفون بهذه القوة والمنعة اذا اجتمعوا فى الصحرآء فهم قطاع الطريق بالاتفاق فيما يفعلون كالقطاع وقوله تعالى انما جزآء الذين مبتدأ وقوله تعالى ان يقتلوا مع ما عطف عليه خبره وقوله تعالى فسادا منصوب اما على انه مفعول له اى يحاربون ويسعون لاجل الفساد واما على انه مصدر وقع موقع الحال اى ويسعون فى الارض مفسدين اى ذوى فساد وجعلوا نفس الفساد مبالغة او على انه مصدر من غير لفظ الفعل لوجود الاتحاد بحسب المعنى بينهما كأن سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا فهو اسم مصدر قائم مقام الافساد واصل السعى المشى السريع ثم غلب فى الاجتهاد فى الامر اى امر كان والتفعيل فى قوله تعالى ان يقتلوا او يصلبوا للتكثير الفعلى نظرا الى كثرة تعلقهما ﴿قوله اى يصلبوا مع القتل﴾ يعنى انهم ان جمعوا بين القتل واخذ المال يقتلوا قصاصا ويصلبوا عليه ثم يصلبوا على وجه النكال والعبرة من غير ان يقطع شئ من ايديهم وارجلهم وهذا هو الظاهر من مذهب الشافعى قال صاحب الكشاف ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا او يطعن حتى يموت وقيل يصلب ثلاثة ايام حيا ثم ينزل فيقتل وقيل يصلب حيا ويترك الى ان يموت صلبوا ﴿قوله وللفقهاء خلاف الى آخره﴾ يعنى ان الائمة الشافعية بعد

(الفقهاء)

اتفاقهم على انه لابد من الجمع بين القتل والصلب فى حق من قتل واخذ المال اختلفوا فى كيفية الصلب فمنهم من ذهب الى انه يقتل ويصلى عليه ثم يصلب ومنهم من ذهب الى انه يصلب حيا ثم يشك برمح حتى يموت ﴿ قوله واو فى الآية على هذا ﴾ اى على ماذكر فى تفسيرها للتفصيل اى لتنويع الجناية الصادرة عن القطاع اى تفصيل لكم كل واحد منها من الاكتفاء بقتلهم ان قتلوا فقط ومن صلبهم مع القتل ان قتلوا واخذوا المال ومن قطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال ولم يقتلوا ومن نفيهم من الارض ان خوفوا ابناء السبيل ولم يقتلوا احدا ولم يأخذوا مالا وهذا التفصيل موافق للقياس لان القتل عمدا بغير حق يوجب القصاص فغلظ ذلك فى قاطع الطريق حيث وجب قتله حدا ولم يسقط ذلك بعفو الولى واخذ المال حكمه القطع اذا وقع من غير قاطع الطريق فغلظ ذلك فى قاطع الطريق حيث وجب قطع طرفيه وان جمعوا بين القتل واخذ المال جمع فى حقهم بين القتل والصلب لان صلبه فى ممر الناس سبب لاشتهار عقوبته فيصير ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل تلك المعصية واما ان اقتصر على مجرد اخافة المار فقد خفف الشرع عقوبته وهى النفى من الارض واختلف فى تفسير النفى فقيل ان الامام يفتش حاله فى ذهابه ومسيره فى اى بلد يوجد ينفيه منه ولا يمكنه من القرار فى بلد وقال ابو حنيفة النفى من الارض هو الحبس لان المحبوس بسبب حبسه ولزومه من الارض بمكان واحد كلزوم الاموات فى قبورهم كأنه منفى من الارض بالكلية * قال بعض من حبس فى مكان ضيق وطال مكثه فيه

* خرجنا عن الدنيا وعن وصل اهلها * فلسنا من الاحيا ولسنا من الموتى *

* اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا *

﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ اشارة الى الجزاء المذكور وهو مبتدأ وخزى خبره ولهم متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من المنوى فى خزى ﴿ قوله استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ﴾ يعنى انه تعالى بين ان جزاء المحاربين هذه الاربعة ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ثم استثنى منهم الذين تابوا قبل القدرة عليهم فوجب ان تسقط العقوبات المذكورة عمن تاب قبل القدرة عليه فلا يطالب بشئ مما اصابه قبل القدرة عليه لامال ولادم الا اذا وجد عنده مال بعينه علم صاحبه فانه يرد على صاحبه هكذا حكم على بن ابى طالب رضى الله عنه فى حارثة بن بدر وقد خرج محاربا ومفسدا فى الارض ثم تاب واصلح قبل ان يقدر عليه فسئل على رضى الله تعالى عنه عن حكمه فقال تقبل توبته ولا نطالبه بشئ من الحقوق وكتب له كتاب الامان الا ان ماسقط بالتوبة قبل القدرة عليه هو مايتعلق بحقوق الله تعالى واما مايتعلق منها بحقوق الادميين فانه لايسقط بهذه التوبة فان قطاع الطريق ان قتلوا انسانا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة وجوب قتلهم حدا وكان ولى الدم على حقه من القصاص والعفو وان اخذوا مالا ثم تابوا قبل القدرة عليهم يسقط بهذه التوبة قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وكان حق صاحب المال باقيا فى ماله يجب عليهم رده واما اذا تاب بعد القدرة عليه فمفهوم الآية ان التوبة لاتنفعه وبقاء الحد عليه فى الدنيا كابعض حقوق العباد وان سقط عنه العذاب الاليم فى الآخرة والمراد بحق الله تعالى مايرجع نفعه الى كافة الخلق على سبيل العموم فانه تعالى منزه عن ان ينتفع او يتضرر وبحق العبد ماينتفع به العبد بنفسه على الخصوص مثال الاول الحدود فان حد الزنى شرع لصيانة انساب الناس جميعا وحد القذف شرع لصيانة اعراض الناس وكذلك حد الشرب والحاصل ان دار العقبى وان كانت هى دار الجزاء لكن الله تعالى شرع بعض الاجزية فى دار الدنيا لخلو العالم عن الفساد وتنتظم مصالح العباد الى يوم التناد ﴿ قوله لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة عليه وبعدها ﴾ فان المشرك المحارب لو آمن بعد القدرة عليه فلا سبيل عليه بشئ من الحدود ولا يطالب بشئ مما اصاب فى حال الكفر من دم او مال كما لو تاب قبل القدرة عليه قال الزجاج جعل الله تعالى التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التى وجبت عليهم فى حال كفرهم ليكون ذلك ادعى الى الدخول فى الايمان واما المسلم المحارب اذا تاب قبل القدرة عليه فقال السدى كالكافر اذا آمن لايطلب بشئ الا اذا وجد عنده مال شخص بعينه فانه يرد الى صاحبه وقدمر ان عليا رضى الله تعالى عنه حكم بذلك فى حارثة بن بدر وكتب له كتاب الامان ولم يطالبه بشئ من الحقوق وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه المسلم المحارب اذا تاب قبل القدرة سقطت عنه العقوبة التى اوجبت حق الله تعالى ولايسقط ما كان من حقوق العباد وان كان قد قتل فى قطع الطريق سقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل وبقى عليه القصاص للولى ان شاء عفا

﴿ او ينفوا من الارض ﴾ او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لايتمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واو فى الآية على هذا التفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ﴿ ذلك لهم خزى فى الدنيا ﴾ ذل وفضيحة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم ﴿ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فاعلموا ان الله غفور رحيم ﴾ اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة } اى ما تتوصلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة { وجاهدوا فى سبيله } بمحاربة اعدآئه الظاهرة والباطنة { لعلكم تفلحون } بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته { ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض } من صنوف الاموال { جميعا ومثله معه ليفتدوا به } ليجعلوه فدية لانفسهم { من عذاب يوم القيامة } واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو فى ومثله بمعنى مع { ما تقبل منهم } جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العقاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه { ولهم عذاب اليم } تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله { يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم } وقرئ يخرجوا من اخرج واعادة وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة { والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما } جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قرآءة ابن عباس ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه

عنه وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال سقط عنه القطع وان كان جمع بينهما سقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شئ من الحقوق ثم انه تعالى لما شرح قبائح اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله امر المؤمنين بأن يكونوا على خلاف ما هم عليه فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله الى آخره اى اتقوا عقابه بطاعته وابتغوا اليه ما تتوسلون به اليه اى ما تتقربون وتتصلون به الى ثوابه وطاعته فى جميع ما امر به ونهى عنه على ان الوسيلة الفعيلة والقربة من وسل الله اذا تقرب اليه ﴿ قوله تعالى اليه ﴾ متعلق بالوسيلة لانها بمعنى المتوسل به وليست بمصدر حتى يمتنع ان يتقدم معمولها عليها او يحتمل ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الوسيلة اى ابتغوا الوسيلة موصلة الى ثوابه ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بلزوم طاعته والاتقاء لعذابه وعقابه بين ان الكافرين لا سبيل لهم الى الخلاص من عذاب يوم القيامة البتة تنشيطا لهم على لزوم الطاعة وترهيبا عن التوانى فيها فقال ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه الآية فانه صريح فى ان الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها يوم القيامة ثم فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفدآء وانهم خالدون فى النار لا يخرجون منها والمقصود تمثيل لزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه واللام فى قوله تعالى ليفتدوا به متعلق بفعل مقدر يستدعيه كلمة لو لان حرف الشرط يستدعى الفعل لفظا او تقديرا والتقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض جميعا وما بعد كلمة لو فاعل لذلك الفعل المحذوف ولذلك فتح همزة ان لو قوعها فى موضع المفرد لوجوب كون الفاعل مفردا وقوله ما فى الارض اسم ان ولهم خبرها قدم على الاسم وجميعا تأكيد له او حال منه ومثله منصوب بالعطف على اسم ان وهو ما الموصولة ومعه ظرف واقع موقع الحال من مثله وكون مثله منصوبا على انه مفعول معه لا يخلو عن بعد لان الواو فى قوله ومثله حينئذ تكون بمعنى مع ويكون نظم الكلام حينئذ فى قوة ان يقال مع مثلى ما فى الارض مع ما فى الارض ولا يخفى ما فى هذا النظم من الركاكة وقوله عوان بين ذلك اى نصف بين البكر والفارض افرد لفظ ذلك مع كونه اشارة الى شيئين فاجرى لفظ به مجراه ووحد ضميره مع رجوعه الى شيئين ﴿ قوله او لان الواو فى ومثله بمعنى مع ﴾ فيكون قوله معه تأكيدا وحينئذ يرجع ضمير به الى شئ واحد وهو ما فى الارض مقارنا بمثله او المجموع ﴿ قوله والجملة تمثيل ﴾ اى تصوير للزوم العذاب لهم بايراد حكم يفهم منه ذلك فان مضمون القضية الشرطية يدل على لزومه لهم وحمل التمثيل على التمثيل الاصطلاحى وهو الاستعارة التمثيلية المبنية على تشبيه حالهم فى امتناع تخلصهم من عذاب الله تعالى بحال من يملك امثال ما فى الارض ويحاول ان يفتدى بها من العذاب فلا يقبل منه ولا يتخلص من العذاب لا يخلو عن التكلف ثم انه تعالى لما ذكر حكم قطاع الطريق شرع فى بيان حكم السارق فقال والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وهما جملتان عند سيبويه الاولى خبرية حذف فيها خبر المبتدأ على ان قوله السارق مبتدأ والسارقة عطف عليه والخبر محذوف اى حكم السارق والسارقة ثابت فيما يتلى عليكم والجملة الثانية امرية وهى قوله فاقطعوا ايديهما جئ بها بيانا لذلك الحكم المقدر وصدرت هذه الجملة بالفاء لتدل على كون تلك الجملة مرتبطة بما قبلها غير اجنبية عنه بل جئ بها بيانا له وجملة واحدة عند المبرد على ان قوله السارق مبتدأ وقوله فاقطعوا ايديهما خبره دخلت الفاء فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط لان الالف واللام فيه موصولة والمعنى الذى سرق والتى سرقت فاقطعوا واختار سيبويه ان يكون الخبر محذوفا هربا من وقوع الجملة الانشائية خبرا فان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل ﴿ قوله اذا كانت من حرز ﴾ وهو الموضع الحصين الذى يمنع من تعرض لما فيه ﴿ قوله وللعلماء خلاف فى ذلك ﴾ اى فى تقدير نصاب السرقة ربع دينار ولا يقطع بسرقة ما هو اقل منه لحديث عائشة وهو قولها رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فلا يقطع الا اذا سرق ربع دينار فصاعدا او ما يبلغ قيمته ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المراد بالايدى الايمان ساغ وضع الجمع موضع المثنى وذلك لان الوضع موضع التثنية لعلم بأنه لا يقطع لكل واحد من السارق والسارقة الا يد واحدة فيكون المقطوع فيهما يدين فقط وقد وضع لفظ الايدى موضع المثنى وقد شرط النحاة فى وضع الجمع موضع المثنى ان يكون الجزء المضاف الى كله جزأ مفردا من الكل نحو قلوبكما ورؤس الكبشين لان الامن من الالتباس انما يتحقق بهذا الشرط فلو قلت فقأت اعينهما وانت تريد عينيهما وغسلت ايديهما وانت تريد يديهما لم يجز للالتباس فلو لم يكن المراد بالايدى الايمان لما جاز وضعه موضع المثنى للالتباس لان اليد ليست جزأ مفردا من الشخص فاذا اضيفت

لفظ الايدى الى ضمير التثنية لم يعلم ان المأمور به ان يقطع من كل واحد منهما يد واحدة او يدان بخلاف ما اذا كان المراد بالايدى الايمان فان يمين الانسان جزء مفرد منه فاذا اضيف الايمان الى ضمير التثنية يعلم ان المأمور به ان يقطع من كل واحد منهما يمينه فيجوز ان يوضع الجمع موضع المثنى فاذا اضيف الجزء المفرد الى المثنى جاز افراد المضاف وتثنيته وجمعه بأن يقال قطعت رأس الكبشين ورأسا الكبشين ورؤس الكبشين وقطعت يمين السارقين ويمينيهما وايمانهما كل ذلك لتعين المراد منه وأمن اللبس ومن اختار افراد المضاف نظر الى خفة المفرد ومن اختار التثنية اعتبر انطباق الدال والمدلول ومن طلب الجمع هرب من ثقل توالى لفظ التثنية وعليه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما بجمع المضاف وتثنية المضاف اليه هربا من توالى لفظ التثنية ﴿قوله او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا﴾ اذ كل واحد منهما مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لتوافقهما من حيث المعنى لان القطع نوع من النكال كانه قيل جازوهما بقطع الايدى ونكلوا بهما نكالا وهو العذاب الذى يكون عبرة لغيره ﴿قوله اما القطع فلا يسقط بها﴾ يعنى ان قوله فان الله غفور رحيم انما يتعلق بحق الله تعالى • اما ما كان من حقوق الآدميين فانه لا يسقط بالتوبة والقطع فيه حق المسروق منه فلا يسقط بالتوبة فقطع قضاء لحق المسروق منه • روى عن مجاهد انه قال قطع يد السارق توبة اذا قطعت فقد حصلت التوبة والصحيح ان القطع جزاء على الجناية لقوله تعالى جزآء بما كسبا نكالا من الله فلابد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه فى المستقبل ﴿قوله اى صنيع الذين﴾ قدر المضاف لان الذوات مع قطع النظر عن العوارض والاوصاف لا تورث الحزن ولا الفرح والمسارعة فى الشئ عبارة عن الوقوع فيه سريعا متى وجد فرصة الوقوع فيه وفسر الوقوع فى الكفر سريعا باظهاره اذا وجدوا منه فرصة لان كفر المنافق ثابت فيه وانما المسارعة الى اظهاره ثم ذلك انما يكون بظهور آثار الكفر منه لا باخباره عن كفره جهارا والا لم يكن منافقا ﴿قوله تعالى من الذين قالوا آمنا﴾ يجوز ان يكون حالا اما من الذين يسارعون او من فاعل يسارعون اى حال كونهم بعض الذين قالوا آمنا وان يكون بيانا لجنس الموصول الاول ومن الذين هادوا عطف عليه فيكون حالا او بيانا مثله ﴿قوله والباء﴾ اى فى قوله بافواههم متعلقة بقالوا لا بآمنا والا لوجب ان يقال بافواهنا لان آمنا منصوب بقالوا او محكى عنهم والحكاية يجب ان تطابق المحكى وانما قال قالوا آمنا بافواههم مع ان القول لا يكون الا بالفم واللسان للاشارة الى ان ألسنتهم ليست معبرة عما فى قلوبهم وان ما يجرون على ألسنتهم لا يجاوز افواههم وانما نطقوا به غير معتقدين بقلوبهم وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية جئ بها للتصريح بما اشار اليه بقوله بافواههم ويحتمل كونها معطوفة على الجملة قبلها فتكون الصلة مجموع الجملتين والواو فيه على الاول حالية وعلى الثانى عاطفة ﴿قوله سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف﴾ فحينئذ يتم الكلام عند قوله ومن الذين هادوا وتقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من المنافقين ومن اليهود ثم بعد ذلك وصف الكل بكونهم سماعين وعلى الثانى يتم الكلام عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال ومن الذين هادوا سماعون للكذب ﴿قوله واللام فى الكذب اما مزيدة للتأكيد﴾ اى لتأكيد تعلق العامل بمعموله وتقوية عمله فان الكذب مفعول سماعون فقوى الفرع فى العمل بزيادة اللام كما فى قوله تعالى فعال لما يريد ﴿قوله او لتضمين السماع معنى القبول﴾ فان السماع قد يستعمل ويراد منه القبول كلا تسمع من فلان والمراد لا تقبل منه ومنه سمع الله لمن حمده اى قبل منه حمده والكذب الذى يقبلونه هو ما يقوله رؤساؤهم من الاكاذيب فى دين الله تعالى وفى تحريف التوراة وفى الطعن فى نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله او للعلة﴾ اى ويجوز ان تكون اللام فى قوله للكذب لام كى لافادة التعليل فيكون مفعول سماعون محذوفا اى يسمعون كلامك لكى يكذبوا عليك بالزيادة والنقص والتبديل فان منهم من يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يخرج من عنده ويقول سمعت منه كذا وكذا ولم يسمع ذلك منه ﴿قوله تعالى سماعون لقوم آخرين﴾ يعنى انهم عيون وجواسيس لقوم آخرين والمعنى انهم يحضرون مجلسك لا ليهتدوا او يتعظوا بكلامك بل لينقلوا كلامك الى قوم لم يحضروا مجلسك ويبلغوا اليهم اخبارك وهم يهود خيبر وبنوا قريظة والنضير ﴿قوله والمعنى على الوجهين﴾ اى معنى قوله تعالى سماعون لقوم آخرين على الوجهين المذكورين وهما ان تكون اللام فى قوله لقوم صلة سماعون ويكون السماع بمعنى القبول وان تكون للعلة على معنى سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم

﴿ جزآء بما كسبا نكالا من الله ﴾ منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ﴿ والله عزيز حكيم فمن تاب ﴾ من السراق ﴿ من بعد ظلمه ﴾ اى سرقته ﴿ وأصلح ﴾ امره بالتفصى من التبعات والعزم على ان لا يعود اليها ﴿ فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ﴾ يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام او لكل احد ﴿ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا ﴿ يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة ﴿ من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنوا والواو يحتمل الحال والعطف ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ عطف على من الذين قالوا ﴿ سماعون للكذب ﴾ خبر محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه ﴿ سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ﴾ اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين

(يحرفون الكلم من بعد مواضعه) اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى للقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك (يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه) اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به (وان لم تؤتوه) بل افتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) اي فاحذروا قبول ما افتاكم به وروي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد (ومن يرد الله فتنته) ضلالته او فضيحته (فلن تملك له من الله شيئا) فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة (لهم في الدنيا خزي) هوان بالجزية والخوف من المؤمنين (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين (سماعون للكذب) كرره للتأكيد (اكالون للسحت) اي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر (فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم) تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) اي بالعدل الذي امر الله به (ان الله يحب المقسطين) فيحفظهم ويعظم شأنهم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة (وصف) (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب (وما اولئك بالمؤمنين) بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه (انا انزلنا التوراة فيها هدى) يهدي الى الحق (ونور) يكشف ما استبهم من الاحكام (يحكم بها النبيون) يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به (الذين اسلموا) صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم

ويجوز ان تكون اللام في قوله للقوم صلة للكذب والمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين لم يأتوك وقوله لم يأتوك في محل الجر على انه صفة لقوم ﴿قوله اما لفظا واما معنى﴾ تفصيل لما في قوله يحرفون الكلم عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها او لما لم فاللفظ يكون على وجهين الاول اهماله واسقاطه من الكتاب كما اهملوا آية الرجم ووضعوا موضعها آية الجلد والتحميم وهو تسويد الوجه بالحممة والثاني تغيير وضعه وكلمة من في قوله ومن يرد الله فتنته شرطية وقوله تعالى فلن تملك جوابه وشيئا مفعول به او مصدر اي شيئا من الملك وقوله من الله متعلق بتملك او حال من شيئا لانه في الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا والمعنى ومن يرد الله تعالى كفره وضلاله فلن يقدر احد على دفع ذلك عنه وكيف يقدر والحال ان الله سبحانه وتعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم لعلمه منهم اختيار الكفر استدل بها اهل السنة والجماعة على ان الله تعالى لا يريد اسلام الكافر منه وتطهير قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من اشد الآيات على اهل القدرية ﴿قوله تعالى لهم في الدنيا خزي﴾ خزي المنافقين هو الفضيحة وهتك الستر باظهار نفاقهم وخوفهم من القتل وخزي اليهود هو ضرب الجزية عليهم وفضيحتهم بظهور كذبهم في كتمان نص الله تعالى بايجاب الرجم على من زنى وهو محصن ﴿قوله كرره للتأكيد﴾ اي ان نزل في حق المنافقين ويحتمل ان يكون مكررا بناء على كونه من اوصاف بني اسرائيل ﴿قوله ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم﴾ لان الله تعالى خير النبي صلى الله عليه وسلم في الحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه ان شاء حكم وان شاء ترك فلو وجب على القاضي ان يحكم بينهم بحكم الاسلام لزم ان يكون هذا التخيير منسوخا بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ﴿قوله بالقسط اي بالعدل﴾ تقول منه اقسط الرجل فهو مقسط والقسوط الجور والعدول عن الحق تقول منه قسط يقسط قسوطا قال تعالى واما القاسطون الآية وقال ههنا يحب المقسطين اي العادلين والواو في قوله تعالى وعندهم التوراة للحال والتوراة مبتدأ والظرف خبره والجملة في محل نصب على انها حال من فاعل يحكمونك كما ان قوله وكيف يحكمونك حال منه ايضا فهما حالان مترادفان وقوله فيها خبر مقدم وحكم الله مبتدأ مؤخر والجملة حال من الضمير المستتر في الخبر لان التوراة ان جعلت مبتدأ لا يجوز انتصاب الحال من المبتدأ واجاز المصنف ارتفاع التوراة على انه فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال لان الظرف وحده حينئذ يكون حالا من فاعل يحكمونك ولما كان التوراة فاعلا للظرف جاز ان يكون فيها حكم الله حالا منه بخلاف ما اذا جعلت مبتدأ لا ينتصب منه الحال بل يكون حالا من الضمير المستكن في الظرف ﴿قوله وتأنيثها﴾ اي تأنيث التوراة حيث انث الضمير الراجع في قوله فيها حكم الله مع ان التوراة ليست من الالفاظ العربية فلا تكون التاء فيها للتأنيث بل هو مبني على كون التوراة على صورة المؤنث بالتاء من الفاظ العربية كموماة ودوداة الموماة المفازة والدوداة الارجوحة للصبيان وهي الخشبة التي يترجح بها الصبيان قال الجوهري ترجحت الارجوحة بالصبي اي مالت ﴿قوله داخل في حكم التعجيب﴾ فان تحكيمهم من لا يؤمنون برسالته والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم وهم يعلمون ذلك كما انه عجيب فكذا تحكيمهم اياه ثم اعراضهم عن حكمه وعدم قبولهم اياه مع علمهم بان ما حكم به هو حكمه تعالى المنصوص عليه في كتابهم طالبين بذلك ان يحكم بما يعلمون انه غير ما حكم الله تعالى به طلبا للرخصة ايضا فانه امر عجيب فقد ظهر بذلك جهلهم وعنادهم من وجوه احدها عدولهم عن حكم كتابهم وثانيها رجوعهم الى حكم كانوا يعتقدون انه باطل مخالف لحكم الله تعالى والثالث اعراضهم عن حكم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما حكموه فبين الله تعالى جهلهم من هذه الوجوه كيلا يغتر في حقهم انهم اهل كتاب الله تعالى ومن المتمسكين به ﴿قوله يعني انبياء بني اسرائيل﴾ تعريف الاضافة فيه ليس للعموم والاستغراق لان عيسى عليه السلام من انبياء بني اسرائيل وهو لا يحكم بالتوراة بل للعهد الخارجي والمعهود موسى عليه السلام ومن جاء بعده الى ان جاء عيسى عليه السلام وبينهما ألف نبي ويقال اربعة آلاف نبي ويقال اكثر من ذلك ﴿قوله صفة اجريت على النبيين مدحا لهم﴾ جواب عما يقال كل نبي لا بد وان يكون مسلما منقادا لامر الله تعالى فما الفائدة في توصيف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله الذين اسلموا وتقرير الجواب ظاهر واعترض عنه بان النبوة اعظم من الاسلام فكيف يمدح نبي بانه رجل مسلم مع الفرق بين ان يقال انه رجل صالح او تقي فمن وصف من عرفه بعنوان النبي بالاسلام تنزل من الاعلى الى الادنى وطريق المدح هو ان يترقى من الادنى الى الاعلى فلا يكون اجراء صفة الاسلام على النبيين مدحا لهم والجواب انها صفة اجريت على طريق المدح لهم دون التخصيص والتوضيح بها

وصف به الانبياء لان صفات الاشراف اشراف الاوصاف فان قوله اجريت على النبيين مدحا لهم وان دل على ان المقصود من اجراء تلك الصفة عليهم مدحهم بها لكن المراد ليس ذلك بل المراد انها اجريت عليهم على طريق مدحهم بها قصدا الى مدح من اتصف بها من المسلمين من حيث اتصافهم بما وصف به الانبياء وهو الاسلام وتعريضا باليهود باشعار انهم ليسوا من دين النبيين فى شئ وانهم بعدوا عن ملة الانبياء كلهم ووجه التعريض انه تعالى لما وصف النبيين بقوله الذين اسلموا وقال فى حقهم انهم يحكمون بالتوراة لاجل الذين هادوا وفيما بينهم قابل اليهود بالذين اسلموا فاشعر ذلك ان اليهود بمعزل عن الاسلام والانقياد لامر الله تعالى فكان قوله الذين اسلموا للذين هادوا كالبيان للتعريض بهم بانهم لا يهتدون بهدى الانبياء ولا يدينون بدينهم ﴿قوله اى يحكمون بها فى تحاكمهم﴾ اى فى ترافع الخصمين اليهم اشار الى ان ليس المراد بحكمهم لليهود انهم يحكمون لهم لا عليهم بل اللام فيه لمجرد الاختصاص اى يحكمون بها فيما بين الخصمين ﴿قوله وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم﴾ ترجيح لكون المراد بالانبياء انبياء بنى اسرائيل الى عيسى عليه السلام لا جميع من بعث قبل عيسى عليه السلام ﴿قوله تعالى والربانيون﴾ عطف على النبيون والربانى المتأله العارف بالله تعالى المخلص وجهه لله تعالى وقيل الربانيون العلماء والحكماء والاحبار فقهاء اليهود وعلماؤهم فقوله زهادهم تفسير للربانيين وقوله وعلماؤهم تفسير للاحبار وهم من اولاد هرون لان الحبورة كانت فيهم خاصة وفى الصحاح الحبر والحبرة واحد احبار اليهود وبالكسر افصح لانه يجمع على افعال دون فعول ويقال للعالم حبر بالكسر باعتبار توسله الى تحصيل العلوم بالحبر الذى يكتب به ويقال حبر بالفتح لكونه عالما بتحبير الكلام وتحسينه كانه مصدر قولك حبرته حبرا اذا حسنته ﴿قوله بسبب امر الله تعالى اياهم بأن يحفظوا كتابه﴾ بين به ان الفاعل الذى اقيم ضمير المرفوع مقامه هو البارى تعالى وان ضمير استحفظوا راجع الى النبيين والربانيين والاحبار اى بما استحفظهم الله تعالى كتابه وكلفهم حفظه وان كلمة ما موصولة اسمية بمعنى الذى والعائد محذوف اى بما استحفظوه وكلمة من لبيان الجنس المبهم بقوله ما وان حفظ كتاب الله تعالى يكون على وجهين الاول ان يحفظ فلا ينسى والثانى ان يحفظ فلا تضيع احكامه بالتحريف والتغيير وان المراد به ههنا الحفظ بالمعنى الثانى الذى يستلزم الحفظ بالمعنى الاول فانه تعالى قد اخذ على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا احدهما ان يحفظوه فى صدورهم ويدرسوه بألسنتهم والثانى ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه والمعنى انهم يحكمون بجميع باحكام التوراة بسبب التوراة المستحفظة عندهم التى كانوا عليها شهداء والمقصود منه ان حكمهم بسبب استحفاظ التوراة وكونهم عليها شهداء والغرض من بيان هذه السببية بيان ان ليس الباء فى قوله تعالى بما استحفظوا امثلها فى قوله يحكم بها ليلزم تعلق حرفى جر بمعنى واحد بفعل واحد بل الاولى صلة يحكم كما فى قولك حكمت بكذا وهذه سببية وان كانتا داخلتين على شئ واحد بالذات وهو كتاب الله تعالى ﴿قوله رقباء﴾ على ان يكون شهداء من الشهود الذى هو الحضور وقوله او شهداء يبينون ما يخفى منه على ان يكون من الشهادة والبيان والمداهنة المصانعة والملاينة وكذا الادهان يقال ادهن فى الامر اى لاين فيه ودارى ثم انه تعالى لما قرر ان النبيين والربانيين والاحبار كانوا قائمين بامضاء احكام التوراة من غير مبالاة ومداهنة مع احد خاطب اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعهم من التحريف والتغيير فقال تعالى فلا تخشوا الناس الآية هكذا قال الامام فى ربطه بما قبله والظاهر ما قاله المصنف من انه نهى للحكام ان يخشوا غير الله تعالى وان الخطاب لهم لا لليهود الحاضرين ثم ان الاقدام على التحريف لما لم يكن الا لدفع ضرر او لجلب نفع وكان دفع الضرر اشد واقوى فى كونه حاملا على الاقدام على التحريف قدم النهى عن التحريف بناء على خشية ظلم الناس واردفه بالنهى عنه بناء على طمع الثمن القليل فقال ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا اى كما نهيتكم عن تغيير احكامى لاجل الخوف من الناس فكذلك انهاكم عن تغييرها لاجل طمع الجاه والمال فان متاع الدنيا قليل ولما منعهم عن الامرين هددهم بالوعيد الشديد فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا تهديد لليهود فى اقدامهم على تحريف حكم الله تعالى فى حد الزانى المحصن فانهم لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه فى التوراة وقالوا انه غير واجب فهم كافرون على الاطلاق بموسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام والقرآن العظيم وبما عليه سائر الانبياء والمرسلين وقالت الخوارج كل من عصى الله تعالى فهو كافر واحتجوا عليه بهذه وقالوا انه نص فى ان كل من حكم بغير ما انزل الله فهو كافر وكل من اذنب وعصى فقد حكم بغير ما انزل الله فوجب ان يكون كافرا والمصنف اشار الى جوابهم بتقييد قوله

(الذين هادوا) متعلق بأنزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم (والربانيون والاحبار) زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون (بما استحفظوا من كتاب الله) بسبب امر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا (فلا تخشوا الناس واخشون) نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير (ولا تشتروا بآياتى) ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها (ثمنا قليلا) هو الرشوة والجاه (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به منكرا له (فاولئك هم الكافرون) لاستهانتهم به وتمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى

ومن لم يحكم بما انزل الله بقوله مستهيناً به منكرا له وظالم باعتبار حال اخرى ملائمة لصفة الظلم وهى القاء نفسه فى العقاب الدائم الشديد بالحكم على خلاف ما انزل الله تعالى وهو ظلم عظيم على النفس وفاسق باعتبار خروجه عن طاعة الله تعالى وهذا كما يقال من اطاع الله فهو البر ومن اطاع الله فهو المؤمن ومن اطاع الله فهو المتقى فان كلا من هذه الصفات الثلاث حاصلة لموصوف واحد باعتبار احوال مختلفة منضمة الى الاطاعة ﴿قوله رفعها الكسائى﴾ اى قرأ قوله تعالى والعين وما عطف عليه بالرفع وقرأ نافع وحمزة وعاصم بنصب الجميع وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر بالنصب ماعدا الجروح واما قوله والجروح فانهم رفعوه لها فقط واما قرآءة الكسائى فالمصنف رحمه الله تعالى ذكر لها ثلاثة اوجه الوجه الاول ان تكون الواو عاطفة جملة اسمية على جملة قوله تعالى ان النفس بالنفس لكن من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فان معنى كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس كتبنا عليهم النفس بالنفس فان الجملة تقع مفعولا للكتابة كما تقع مفعولا للقرآءة والقول فيقال كتبت الحمد لله وقرأت قل هو الله احد فلما كانت الجملة الملفوظة فى معنى النفس بالنفس جاز عطف جملة العين بالعين عليها باعتبار معناها ولم يجعل لفظ العين معطوفا على محل اسم ان لما تقرر فى النحو انه لا يجوز العطف على محل اسم ان المفتوحة والوجه الثانى ان تكون الواو عاطفة جملة اسمية على جملة قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فتكون الجملة المعطوفة ابتدآء تشريع وبيان حكم جديد غير مندرج فيما كتب فى التوراة فالواو على هذا ليست لتشريك مدخولها مع الجملة الواقعة موقع مفعول كتبنا فيها بل لتشريك مضمون مدخولها مع مضمون الجملة الفعلية التى قبلها فى التحقق والوقوع كما هو الاصل فى العطف على الجملة التى لا محل لها من الاعراب وعبر المصنف عن هذا المعنى بكون مدخولها جملة مستأنفة على معنى انها غير معطوفة على الجملة الواقعة فى حيز كتبنا وكونها مستأنفة بهذا المعنى لا ينافى كونها معطوفة على الجملة الفعلية ﴿قوله وانما ساغ﴾ جواب عما يقال كيف العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير فصل بين المتعاطفين ولا تأكيد بمنفصل ولا فصل بينهما بكلمة لا بعد حرف الواو كما فى قوله تعالى ما اشركنا نحن ولا آباؤنا وهو لا يجوز عند البصريين * وتقرير الجواب انه لم يتوسط ما يفصل بين الضمير المرفوع والضمير المستكن لفظا الا انه متوسط بينهما فى الاصل فان الاصل مأخوذة بالنفس والعين الى آخره فقوله والعين معطوف على المستكن فى مأخوذة وقد توسط الظرف اعنى بالنفس بين ذلك المستكن وبين ما عطف عليه والجار والمجرور المتوسط بينهما فى محل النصب على الحال المبينة للمعنى اذ المرفوع ههنا مرفوع بالفاعلية لفظا عطفا على الفاعل المستتر ﴿قوله وقيل للجانى﴾ فان صاحبه اذا تجاوز عنه سقط عنه ما لزمه فى الدنيا والآخرة واما اجر العافى فعلى الله تعالى قال الله تعالى فمن عفا واصلح فأجره على الله وقال صلى الله عليه وسلم «من اصيب فى جسده كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه» اى من عفا عن جراحة من جنى عليه ولم يطلب القصاص بذلك يكفر الله تعالى من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعته ﴿قوله فيه هدى ونور فى موضع النصب بالحال﴾ يجوز ان يكون فيه وحده حالا من الانجيل وهدى فاعل له لان الظرف لما اعتمد على ذى الحال رفع الفاعل ويجوز ان يكون فيه خبرا مقدما وهدى مبتدأ مؤخر او تكون الجملة حالا من الانجيل ويكون قوله ومصدقا لما بين يديه عطفا على محل فيه هدى منصوبا على الحالية ويكون قوله هدى وموعظة منصوبين على الحالية منه بالعطف على الحال قبلهما اى ذا هدى وموعظة او هاديا وواعظا او جعل نفس الهدى والموعظة مبالغة ﴿قوله ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به﴾ الاول على تقدير كونهما معمولين لآتينا المذكور فانه لا بد ان يكونا معطوفين على علة مقدرة تقدير الكلام آتيناه الانجيل حال كونه كذا وكذا ارشادا او هدى وموعظة واحتيج الى تقدير المعطوف عليه حينئذ لئلا يلزم توسط الواو بين الفعل المعلل وعلته فانه لا يجوز ان يقال ضربته حال كونه مفسدا وتأديبا والثانى على تقدير كونهما معمولين لآتينا المحذوف لان كونهما معمولين لآتينا المذكور يستلزم توسط الواو بين المفعول له وعامله وانه غير جائز فلا بد ان يكونا علتين متعلقتين بمقدر ﴿قوله وعطف وليحكم﴾ مرفوع معطوف على قوله نصبهما على المفعول له عطفا على علة محذوفة وعطف قوله تعالى وليحكم على ذلك المحذوف فى قرآءة حمزة فانه بكسر اللام ونصب الفعل بعدها باضمار ان بعد لام كى والمعنى وآتيناه الانجيل للارشاد والهدى والموعظة وليحكم بما فيه وقرأ الجمهور وليحكم بسكون اللام وجزم الفعل بعدها على انها لام الامر اسكنت تشبيها لها بكتف فان الكتف اصلها بالكسر ﴿قوله وعلى الاول﴾ وهو ان يكونا حالين معطوفين

(وكتبنا عليهم) وفرضنا على اليهود (فيها) فى التوراة (ان النفس بالنفس) اى ان النفس تقتل بالنفس (والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن) رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقرآءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور فى فيها حال مبينة للمعنى (والجروح قصاص) اى ذات قصاص وقرأه الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل (فمن تصدق) من المستحقين (به) بالقصاص اى فمن عفا عنه (فهو) فالتصدق (كفارة له) التصدق فيكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ (ومن لم يحكم بما انزل الله) من القصاص وغيره (فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم) اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين (بعيسى ابن مريم) مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء (مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل) وقرئ بفتح الهمزة (فيه هدى ونور) فى موضع النصب بالحال (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) عطف عليه وكذا قوله (وهدى وموعظة للمتقين) ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) عليه فى قرآءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم

عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحمله على و ليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) اي القرآن (مصدقا لما بين يديه من الكتاب) من جنس الكتب المنزلة فان اللام الاولى للعهد والثانية للجنس (ومهيمنا عليه) ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر (فاحكم بينهم بما انزل الله) اي بما انزل الله اليك (ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق) بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك (لكل جعلنا منكم) ايها الناس (شرعة) شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه (ولكن ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم (الى الله مرجعكم جميعا) استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم المنزل وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعني ذنب التولي عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد ٭ او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭ (وان كثيرا من الناس لفاسقون) لمتمردون في الكفر ومعتدون فيه (أفحكم الجاهلية يبغون) الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون.

على مصدقا يكون قوله وليحكم على قراءة حمزة متعلقا بمحذوف دل عليه اللفظ كانه قيل وليحكم آتيناه ذلك ﴿قوله والآية تدل الى آخره﴾ رد لما قيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام متعبد بما في التوراة من الاحكام وليس له شريعة مستقلة ناسخة لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام بناء على ان الانجيل مواعظ وزواجر وليس فيه من الاحكام الا القليل ووجه الرد ظاهر لان قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يدل بظاهره على ان اهل الانجيل مكلفون بما فيه من الاحكام لا بما في التوراة كما يدل عليه قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فيلزم ان تكون التوراة منسوخة ببعث عيسى عليه السلام وان له شريعة مستقلة ومن قال انه مكلف بما في التوراة وليس له شريعة مستقلة ذهب الى ان معنى قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة وذلك تعسف وحمل للآية على خلاف ظاهرها ﴿قوله تعالى بالحق﴾ حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق او صفة مصدر محذوف اي انزالا ملتبسا بالحق لم ننزله عبثا ﴿قوله من جنس الكتب المنزلة﴾ على ان اللام في الكتاب للجنس او بمعنى الاستغراق على ان يكون القرآن مستثنى منه بدليل العقل كما ان ذاته تعالى مستثنى من عموم الشيء في قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير فانه شيء بمعنى شائي كما ان ما سواه شيء بمعنى مشيء الوجود قال

٭ فسم الله شيأ لا كالاشيا ٭ وذاتا عن جهات الست خال ٭

﴿قوله او حال من فاعله﴾ اي عن صلة لمحذوف او هي حال من تتبع ﴿قوله وهي الطريقة الى الماء﴾ سميت شرعة وشريعة لشروع الناس فيها لدى الحاجة سمي ما شرع الله تعالى لعباده من وظائف الدين واحكامه شريعة تشبيها بالطريقة الى الماء الذي هو سبب الحياة الحيوانية والمنهاج الطريق الواضح يقال نهج الامر وانهج لغتان بمعنى وضح ﴿قوله فابتدروها﴾ اي بادروا الى الاعمال الصالحة حيثما امرتم بها انتهازا للفرصة واغتنامها والنهزة الفرصة وانتهزها اي اغتنمها او الحيازة الاحاطة ﴿قوله اي انزلنا اليك الكتاب والحكم﴾ على ان ان المصدرية دخلت على الامر دخولها على سائر الافعال فكانه قيل وانزلنا اليك الامر بالحكم بما انزل الله تعالى قال الامام اعاد ذكر الامر بالحكم بعد ذكره في الآية الاولى وهي قوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله لوجهين احدهما التأكيد والثاني ما اشار اليه المصنف بما رواه في سبب النزول ﴿قوله وان بصلته بدل من هم﴾ اي من مفعول احذرهم كانه قيل احذر فتنتهم باضافة الفتنة الى فاعلها والفتنة ههنا بمعنى الامالة عن الحق والايقاع في الباطل اشار اليه المصنف بقوله ان يضلوك ويصرفوك عنه قال ابو عبيد كل من صرف عن الحق الى الباطل واميل عن القصد فقد فتن فاستدل العلماء بهذه الآية على ان الخطأ والنسيان جائز على الرسل لانه تعالى قال فاحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والتعمد في مثل هذا غير جائز على الرسل فبقي الا الخطأ والنسيان والظاهر ان المراد تقوية همته وعزيمته على الثبات على الحكم بالحق والامتثال لامر الله تعالى من غير ان يكون الميل عنه متوهما في حقه ﴿قوله وفيه دلالة﴾ اي في سلوك طريق الابهام حيث عبر عن ذنب التولي ببعض ذنوبهم دلالة على تعظيم ذلك الذنب كما يدل على تعظيم التعبير عن المعنى المراد بالاسم المنكر كما في قوله ٭ له حاجب عن كل امر يشينه ٭ اي حاجب عظيم ونظيره قوله ٭ او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭ اراد ببعض النفوس نفسه فعظمها بالابهام واول البيت

٭ او لم تكن تدري نوار بانني ٭ وصال عقد حبائل جذامها ٭

٭ تراك امكنة اذا لم ارضها ٭ او يرتبط بعض النفوس حمامها ٭

نوار اسم امرأة حذف منه حرف النداء اي يا نوار والحبائل جمع حبالة وهي ما يصاد به وعقد الحبائل عبارة عن عقد الصحبة يقول لها الم تدري يا نوار اني وصال عقد من اراد صحبتي قطاع من يقطع وصلتي واني جوال البلاد في تراك امكنة اذا لم يكن بمجموع الامرين الرضى بها او الموت فيها جميعا واما اذا حصل احدهما فلا ترك وهذا المعنى يستفاد من كون يرتبط مجزوما معطوفا على المجزوم قبله فينصب حكم النفي على الامرين جميعا والمعنى اذا لم ارضها ولم امت فيها ومعنى الآية فان اعرضوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم ان اعراضهم ذلك لاجل ان الله تعالى يريد ان يعجل لهم العقوبة في الآخرة فدلت الآية على ان جميع افعال العباد من الطاعة والمعصية بارادة الله تعالى لا يريد ان يصيبهم ببعض ذنوبهم الا وقد اراد ذنوبهم ﴿قوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون﴾ قرآءة

او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم ﴿ يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول في تلك الليلة فسُرّ المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي خلافة ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه ﴿ اذلة على المؤمنين ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة ﴿ اعزة على الكافرين ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال ﴿ يجاهدون في سبيل الله ﴾ صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم من الاوصاف ﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يمنحه ويوفق له ﴿ والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو اهله ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم.

فيكون محله النصب على انه مقول قول المؤمنين على انه اخبار منهم بحبط اعمالهم او على الرفع جملة مستأنفة اخبر الله تعالى عنهم بذلك ﴿ قوله وفيه معنى التعجب ﴾ فان كان قوله حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين يكون التعجب على حقيقته وان كان من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم يكون التعجب من سوء حالهم وهي ذهاب ما اظهروه من الايمان وبطلان كل خير عملوه حيث لم يحصل لهم شيء من ثمرته لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ قوله وفي امرة عمر رضي الله تعالى عنه ﴾ عطف على قوله في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وارتد من العرب في زمن امارة عمر رضي الله عنه جبلة بن الايهم وذلك ان جبلة اسلم على يد عمر رضي الله تعالى عنه وكان يطوف ذات يوم وهو يجر رداءه فوطئ رجل طرف ردائه فغضب جبلة فلطمه فتظلم الرجل الى عمر رضي الله تعالى عنه فقضى له بالقصاص عليه الا ان يعفو عنه فقال انا اشتريها بألف فأبى الرجل فلم يزل يزيد في العطاء الى ان بلغ عشرة آلاف فأبى الرجل الا القصاص فاستنظر عمر فهرب الى الروم وارتد والعياذ بالله تعالى وكان من ملوك غسان وروي ان جبلة ندم على ما فعله من غير اقلاع وانشد

تنصرت بعد الحق عارا للطمة	ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر
وادركني فيها لجاج حمية	فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت امي لم تلدني وليتني	صبرت على القول الذي قاله عمر

﴿ قوله عاطفين عليهم متذللين لهم ﴾ يعني ليس المراد من توصيفهم بكونهم اذلة على المؤمنين بيان انهم مهانون محتقرون في اعين المؤمنين بل بيان انهم على علو طبقتهم وفضلهم مخفضون متواضعون للمؤمنين والحنو الانعطاف والتواضع قال الجوهري حنوت العود عطفته وحنيت لغة فيه وحنوت عليه اي عطفت عليه يقال حنت المرأة على اولادها تحنو حنوا اذا عطفت عليهم واقامت ولم تتزوج بعد ابيهم ﴿ قوله واستعماله مع على ﴾ مع ان الاصل ان يستعمل اذلة مع اللام بناء على تضمينه معنى الحنو والعطف والمعنى عاطفين على المؤمنين خافضين لهم اجنحتهم او للمشاكلة فانه لما وقع في صحبة اعزة عدي تعديته وهي تستعمل بعلى دون اللام ﴿ قوله وقرئ بالنصب ﴾ اي قرئ كل واحد من اذلة واعزة بالنصب على انه حال من قوم وجاز ذلك مع كون قوم نكرة لان حق ذي الحال ان يكون معرفة وان كان نكرة وجب تقديم الحال عليه كما في قوله لعزة موحشا طلل قديم لانه ليس نكرة محضة لتخصصه بالوصف وهو قوله يحبهم ويحبونه وعلى قراءة الجر يكون كل واحد منهما صفة لقوم بعد وصفه بقوله يحبهم ويحبونه ﴿ قوله او حال ﴾ اي ويجوز ان يكون قوله ولا يخافون حالا من فاعل يجاهدون سواء جعل صفة لقوم او حالا من فاعل اعزة فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة والمعنى يجاهدون وحالهم في المجاهدة غير حال المنافقين وهي خوفهم ملامة اوليائهم من اليهود وفيه بحث لان النحاة قد نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في انه لا يجوز ان يباشره واو الحال فلا يقال جاءني زيد ويركب وقوله لا يخافون مضارع منفي بلا فكيف جاز وقوعه حالا بالواو الا ان يقال القول بأن المضارع المنفي بلا كالمثبت غير مجمع عليه ﴿ قوله وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ﴾ كأنه قيل لا يخافون شيأ من اللومات الواقعة من اي لائم كان فالمبالغة الاولى انتفاء الخوف من جميع اللومات والثانية انتفاء الخوف من جميع اللوام كل ذلك مبني على ان النكرة في سياق النفي تفيد العموم وقوله ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف وهي التي وصف بها القوم من المحبة والعزة والمجاهدة في سبيل الله تعالى وانتفاء خوف اللومات من كل احد فاسم الاشارة يجوز ان يشار به الى اكثر من واحد وهو على لفظ الافراد كما في قوله تعالى عوان بين ذلك فانه اشير الى البكر والفارض ﴿ قوله وانما قال وليكم ﴾ يعني ان قوله تعالى انما وليكم الله جملة اسمية وقوله ورسوله والذين آمنوا معطوفان على الخبر فقد اخبر عن المبتدأ بالجماعة فالظاهر ان يعبر عن المبتدأ بلفظ اولياؤكم لكونه عبارة عن الجماعة لكن عبر عنه بلفظ وليكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى بطريق الاصالة حيث قال انما وليكم الله ثم نظم في سلك اثبات الولاية له تعالى اثباتها لرسوله وللمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام دلالة على التفاوت بينهم بالاصالة والتبعية وههنا وجه آخر لم يلتفت المصنف اليه لكونه في جنب ما ذكره من الوجه بمنزلة العدم وهو ان الولي لكونه على وزن فعيل يطلق على الواحد وما فوقه مذكرا كان او مؤنثا مفردا واحدا فيقال هو صديق وهم صديق وهي او هن صديق ﴿ قوله فانه جرى مجرى الاسم ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يوصف

او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح (وهم راكعون) متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم
فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وهى نزلت فى على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له
خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل فى الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) ومن يتخذهم اولياء (فان حزب الله هم الغالبون) اى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء) نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزؤا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين (واتقوا الله) بترك المناهى (ان كنتم مؤمنين) لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده (واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزؤا ولعبا) اى اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا
سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها فى البيت

(ومن)

الموصول الاول بالثانى مع ان قولنا الذى وضع وصلة الى وصف المعارف وبالجملة الوصف لا يوصف * وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك الا ان الوصف نزل منزلة الاسم فجاز ان يوصف بالصفة وتوضيح هذا الجواب يتوقف على معرفة الفرق بين الاسم والصفة * واعلم ان المراد بالاسم ههنا ليس ما يقابل الفعل بل المراد ما يقابل الصفة فان الاسم بالمعنى الاول ينقسم الى الاسم والصفة فان الاسم بالمعنى الاول ان كان موضوعا لذات معينة سواء وضع لها من غير اعتبار معنى من المعانى المتعلقة كالفرس والعلم او وضع لها باعتبار معنى كذلك كالرجل الموضوع للانسان مع معنى الذكورة وكالاحمر اذا جعل علما لشخص فيه حمرة وكاسماء الزمان والمكان والآلة والامام والكتاب فهو الاسم المقابل للصفة وان كان موضوعا لذات مبهمة مع معنى معين كالضارب والمضروب والحسن والاحمر الغير العلم فهو الصفة والمراد بالذات ههنا المستقل بالمفهومية سواء كان قائما بنفسه كالفرس او بغيره كالعلم وبالمعنى ما لا يكون كذلك لاشتماله على نسبة ما وبالذات المعينة ما اعتبر فيها تعين ما بحيث لا يصدق على جميع الذوات بل على بعضها وبالمبهمة خلافها فيصدق على الجميع وبهذا ظهر ان الموصولات من قبيل الصفات لكونها موضوعات للذوات مبهمة باعتبار معان معينة وهى مضمون الصلات الا ان الموصول الاول فى الآية نزل منزلة الاسم لذات معينة باعتبار معنى يقوم بها وهو صفة الايمان كالرجل الموضوع للانسان مع الذكورة والاحمر الموضوع لشخص فيه حمرة فلذلك جاز وصفه بالموصول الثانى ﴿قوله متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم﴾ يريد ان قوله تعالى وهم راكعون حال من فاعل يقيمون ويؤتون معا والمراد بالركوع هو الخشوع والخضوع اى يصلون ويزكون اى يجمعون بينهما وهم منقادون خاضعون لجميع اوامر الله تعالى ونواهيه ﴿قوله والظاهر ماذكرناه﴾ اى من كون الركوع بمعنى الخضوع لا بمعنى الركوع الذى هو من اركان الصلاة وان الولى هو المحب حيث قال فى تفسير قوله تعالى لا تتخذوهم اولياء اى لا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ﴿قوله اى فانهم الغالبون﴾ يعنى ان من الشرطية فى محل الرفع بالابتداء وقوله فان حزب الله هم الغالبون جملة واقعة موقع خبر المبتدأ ولم يذكر العائد لان المراد بحزب الله تعالى هو نفس المبتدأ فيكون من باب تكرير المبتدأ وبه يحصل ارتباط الخبر بالمبتدأ لكن وضع الظاهر موضع الضمير لما ذكره من الفوائد ﴿قوله وتنويها﴾ تفعيل من ناه الشيء ينوه اى ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره ولا شك ان اضافة الحزب الى الله تعالى تشريف عظيم لهم كما ان اضافته الى الشيطان نهاية التحقير وحزبه امره اى اصابه ثم انه تعالى لما نهى عن موالاة اليهود والنصارى فى الآية الاولى نهى ايضا عن موالاة الكفار جميعا فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا فقوله الذين اتخذوا دينكم مفعول اول لقوله لا تتخذوا ومفعوله الثانى هو قوله تعالى اولياء ودينكم مفعول اول لقوله اتخذوا ومفعوله الثانى هو هزؤا وقوله من الذين بيان للموصول الاول او حال منه ومن قبلكم متعلق باوتوا وقوله والكفار مجرور عطفا على الموصول المجرور فى قراءة ابى عمرو والكسائى ويعقوب ومنصوب فى قراءة الباقين عطفا على الموصول الاول اى لا تتخذوا المستهزئين ولا الكفار اولياء والمعنى على قراءتهما انه تعالى نهاهم ان يتخذوا المستهزئين اولياء وبين انهم صنفان اهل الكتاب وعبدة الاصنام والاوثان فان اسم الكفار غالب فى عبدة الاوثان كما ان اهل الكتاب غالب فى اليهود والنصارى ﴿قوله والكفار وان عم﴾ جواب عما يقال كيف عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان العطف يقتضى التغاير والتمايز بين المتعاطفين ولا تغاير بين الكفار واهل الكتاب كما صرح به قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولما كان الكفار متناولا لاهل الكتاب وغيرهم كيف صح جعله قسيما لاهل الكتاب وعطفه عليهم * وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك الا ان كفر المشركين لما كان اعظم حسن تخصيصهم بالكفار بسبب توغلهم فى الكفر ﴿قوله وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده﴾ ضعفه لان تقدير متعلق الايمان لا حاجة اليه فى تعليل الامر بالتقوى ﴿قوله او المناداة﴾ على ان يكون ضمير اتخذوها راجعا الى مصدر ناديتم ولا حاجة الى هذا التكلف مع ذكر ما يصح ان يرجع اليه الضمير صريحا بخلاف قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى الا ان المصنف ذكر هذا الاحتمال لكونه مؤيدا بقصة النصرانى ﴿قوله وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة﴾ يعنى ان ثبوت الاذان ليس بالمنام وحده بل هو ثابت بنص هذه الآية فان المعنى اذا دعوتم الناس الى الصلاة بالاذان والنداء هو رفع الصوت قال المفسرون كان المؤذنون اذا اذنوا للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم وتغامزوا سفها وبجاهلية استهزاء بالصلاة وتحقيرا لاهلها وتنفيرا للناس عنها

بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل) الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اى ماتنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا فى الايمان وانتم خارجون منه اوكان الاصل واعتقاد أن اكثركم فاسقون لحذف المضاف او على ما اى وماتنقمون منا الاالايمان بالله وبما انزل وبأن اكثركم فاسقون ﴿ ٢٢١ ﴾ او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الاان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم اونصب باضمار فعل دل عليه تنقمون اى ولاتنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم على الانصاف والآية خطاب اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم دينا شرا من دينكم (قل هل انبئكم بشر من ذلك) اى من ذلك المنقوم (مثوبة عند الله) جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع * ونصبها على من بشر (من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير) بدل من بشر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ عبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وقيل كل من اطاعوه فى معصية الله تعالى (اولئك) اى الملعونون (شر مكانا) جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا (واضل عن سوآء السبيل) قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد لا (١٦) من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لابالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال (واذا جاؤكم قالوا آمنا) نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) اى يخرجون من عندك كما دخلوا لايؤثر فيهم ماسمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لمافيهما من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال (والله اعلم بما كانوا يكتمون) اى من الكفر وفيه وعيد لهم

ومن الدواعى اليها ﴿قوله والآية خطاب﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال عليه الصلاة والسلام * اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون * فلما سمعوا ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا والله لانعلم اهل دين اقل حظا منكم فى الدنيا والآخرة ولادينا شرا من دينكم فانزل الله تعالى هذه الآية قل ياأهل الكتاب هل تنقمون منا الآية ﴿قوله اى من ذلك المنقوم﴾ اى الذى كرهتموه منا وهو ايماننا بماذكر فلماجحد اليهود نبوته عليه الصلاة والسلام وقالوا ماقالوه قال تعالى قل يامحمد لليهود هل انبئكم بشر من ذلك الخ ﴿قوله فوضعت ههنا موضعها﴾ اى وضعت المثوبة ههنا موضع العقوبة على طريق التهكم كما اطلقت التحية على الضرب الوجيع فى قول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريق التهكم وكما اطلق التبشير على الانذار فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم الا ان مافى الآيتين استعارة تهكمية ومافى الشعر ليس استعارة لوجود طرفى التشبيه وقوله من لعنه الله بدل من بشر او خبر من ضميره ولابد من تقدير مضاف قبل قوله ذلك اوقبل قوله من لعنه الله والتقدير على الاول قل هل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين المنقوم من لعنه الله وعلى الثانى هل انبئكم بشر من ذلك الدين دين من لعنه الله اماالاحتياج الى تقدير المضاف على تقدير كونه خبرا عن ضمير بشر فظاهر اذ لولم يقدر المضاف وقيل هو من لعنه الله اى ذلك الدين المنقوم من لعنه الله تعالى لكان معنى فاسدا لاستلزامه حمل الذات على المعنى واما الاحتياج اليه على تقدير كونه بدلا فلئلا يلزم وقوع بدل الغلط فى افصح الكلام وهو معيب فى الكلام الفصيح فكيف يقع فى الافصح لان الملعونين ليسوا نفس ماهو شر من الدين المنقوم ولا بعضا منه ولا اشتمال بينهما فتعين ان يكون بدل غلط ﴿قوله عطفه على القردة﴾ خبر قوله ومن قرأ ثم ذكر قرآءة اخرى وهى عبد الطاغوت بجر عبد واضافته الى الطاغوت ووجه جره كونه معطوفا على قوله من لعنه الله على تقدير كونه بدلا من بشر ولم يجعله بدلا من بشر لان البدل يكون مقصودا بالنسبة ولاوجه له ههنا ﴿قوله والمراد من الطاغوت العجل﴾ فان الطاغوت اسم لكل من يطاع فى معصية الله تعالى فيطلق على الشيطان والكاهن وكل ماعبد من دون الله تعالى ﴿قوله جعل مكانهم شرا﴾ فان قوله اولئك مبتدأ وشر خبره ومكانا منصوب على التمييز وهو فاعل فى المعنى واسند الشر الى مكانهم والمقصود اسناده الى انفسهم ولما كانت شرارة المكان من لوازم شرارة اهله كان اثبات الشرارة لمكان الشئ كناية عن اثباتها لنفس ذلك الشئ بطريق الكناية وهو ابلغ من ذكره صريحا ويجوز ان يكون الاسناد مجازيا على طريق ذكر المحل وارادة الحال كما فى جرى النهر وحينئذ لايكون كناية ﴿قوله والجملتان حالان من فاعل قالوا﴾ اى اذا جاؤكم قالوا آمنا وحالهم انهم ملتبسون بالكفر حال دخولهم وحال خروجهم وقوله وهم مبتدأ وقد خرجوا خبر والجملة حال عطفت على الحال قبلها فالواو فى الاولى حالية وفى الثانية عاطفة وجاءت الاولى فعلية والثانية اسمية تنبيها على فرط تمالكم فى الكفر فانهم كانوا ملتبسين بالكفر حال دخولهم لكونهم منافقين الا انهم لمارأوا من حسن سمته وهيئته وحسن معاملته معهم فى ارشاده اياهم الى ماهو الانفع لهم حالا ومآلا كان مقتضى العقل والانصاف ان يخرجوا مؤمنين لكنهم لم يتأثروا بشئ من ذلك ولم ينتفعوا فأكد الله تعالى كفرهم بان اورد الجملة الثانية اسمية خبرها فعلية ليتكرر الاسناد فيها ويتقوى الحكم بذلك وذكر لقد فائدتين الاولى ان مضمون الجملة الحالية يجب ان يكون مقارنا لمضمون عاملها بحسب الزمان ولذلك اوجبوا فيما اذا كان الفعل فى الجملة الحالية ماضيا لفظا ان تكون الجملة مصدرة بكلمة قد ليقرب مضمونها من زمان وقوع عاملها ظاهرة اومقدرة لان الحال قيد لعاملها فاذا عبر عنها بلفظ الماضى كان مدلول الكلام وقوع مضمونها قبل وقوع مضمون عاملها فيختل المراد والفائدة الثانية الدلالة على انه عليه الصلاة والسلام كان يظن ويتوقع منهم النفاق حالتى الدخول والخروج لكون امارة النفاق لائحة عليهم وينتظر لأن يظهر الله تعالى نفاقهم ويخبر بذلك عنهم تفضيحا لهم فان كلمة قد كما تفيد تقريب الماضى من الحال تفيد ايضا كون المخاطب متوقعا منتظرا لأن يخبر بوقوع مضمون الجملة المتوقعة فانك تقول قد خرج الامير لجماعة يتوقعون وينتظرون خروجه ﴿قوله ولذلك قال﴾ اى ولكونه عليه الصلاة والسلام

كان يظن بهم ذلك قال تعالى والله اعلم بصيغة التفضيل ﴿قوله اى الحرام﴾ يعنى ان الاثم عبارة عن المعصية كذبا كان او غيره فلا وجه لتخصيصه بالكذب لانه تخصيص بلا مخصص الا ان من فسره بالكذب استدل عليه بقوله تعالى عن قولهم الاثم فان لفظ القول فيه مصدر مضاف الى فاعله والاثم مفعول فيكون الاثم مقولا لهم والمقول المقالات المؤثمة وهو قولهم آمنا وليسوا بمؤمنين فانه كذب ﴿قوله الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى﴾ عطف كل واحد منهما على الاثم بمعنى الحرام من قبيل التخصيص بعد التعميم لزيادة التوبيخ ﴿قوله وقيل الاثم ما يختص بهم﴾ ضعفه ولم يرض به لكونه تخصيصا بلا مخصص ﴿قوله لبئس شيأ عملوه﴾ اشار الى ان فاعل بئس الذى شيأ عملوه ﴿قوله ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون﴾ يعنى انه تعالى ذم مرتكب الاثم والمعصية بقوله لبئس ما كانوا يعملون وذم العلماء التاركين للنهى عنه بقوله لبئس ما كانوا يصنعون للدلالة على ان العلماء التاركين للنهى عنه اسوأ حالا واشد ذنبا بالنسبة الى من يرتكبه وذلك لان الصنع اقوى من العمل فان العمل انما يسمى صناعة اذا صار مستقرا راسخا متمكنا فجعل ذنب العاملين ذنبا غير راسخ حيث عبر عنه بالعمل وجعل ذنب العلماء التاركين للنهى عن المنكر ذنبا راسخا متمكنا فيهم حيث عبر عن ذلك الترك بالصنع والامر فى الحقيقة كذلك لان المعصية مرض الروح وعلاجه الذى يدفعه عن المكلف انما هو علمه بكبريائه وعظمة جلاله وعزته ومن حصل له هذا العلم ولم يرتدع عن المعصية ولم ينه العصاة عن ارتكابها كان كالمريض الذى عولج بالادوية المزيلة لآثار المرض ولم يحصل له البرء والشفاء بذلك ولا شك ان مثل هذا المريض يكون شديدا صعبا لا يكاد يزول وكذا العالم بالله وبصفات جلاله وعظمته اذا لم ينفر مما رآه من المنكر ولم ينه عنه كان مرض روحه قويا شديدا حيث لم يزل مرضه بالعلاج ولم ينتفع به فلذلك كان ذم تاركى النهى عن المنكر ابلغ من ذم مرتكبه حيث عبر عن ذنب المرتكب بالعمل وعن ذنب تاركى النهى بالصنع لان العمل للانسان انما يسمى صنعا اذا وقع بعد تدرب وهو الاعتياد وتروى وهو التفكر من الروية وتحرى اجادة اى قصد جعله ذلك العمل جيدا عن الحسن انه قال الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلاهما علماء اليهود وفقهاؤهم لكونهما مذكورين متصلين بذكر احوال اليهود ﴿قوله وقيل معناه انه فقير كقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء﴾ قالوا ذلك حين نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا لولا انه فقير لما استقرض من عباده ﴿قوله دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة﴾ جواب عما قيل قد مر ان قول اليهود مغلولة مجاز اما عن البخل والامساك واما عن الفقر وقلة ذات اليد فاوجه الطباق بينه وبين قوله تعالى فى قولهم غلت ايديهم ولعنوا ولا بد من تحقق الطباق بينهما والا تنافر الكلام وزال عن سننه والطباق من الصنائع البديعية والمحسنات المعنوية وهى عبارة عن الجمع بين المتضادين اى المعنيين المتقابلين فى الجملة كما فى قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود وقوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وقوله او من كان ميتا فاحييناه وللطباق ضروب ووجوه كثيرة فصلت فى علم البديع * وتقرير الجواب ان الطباق بينهما متحقق سواء جعلوا غل اليد مجازا عن البخل او عن الفقر والعدم وذلك لانهم لما قالوا يد الله مغلولة بأحد المعنيين دعا الله تعالى عليهم بقوله غلت ايديهم ولعنوا ولذلك كانوا ابخل الناس من خلق الله وانكدهم فانهم وان جمعوا اموالا عظيمة تراهم بخلاء لانما خلوا عن الكرم والمروءة لشدة حرصهم على الدنيا فان الغنى لا يكون بكثرة العرض وانما الغنى غنى القلب عذا الله ان تدعو عليهم بهذا وتقول فى حقهم امسكت ايديهم عن الخيرات او صاروا والفقراء اذلاء ملعونين بان مسخهم الله قردة وخنازير وضرب عليهم الذلة والمسكنة فى الدنيا وجعلهم مخلدين فى نار جهنم فى العقبى فتحققت المطابقة بينه وبين قولهم يد الله مغلولة من حيث اللفظ والمعنى لا من حيث اللفظ فقط سواء جعل غل اليد مجازا عن البخل او عن الفقر والعدم وذلك بخلاف قول الشاعر * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا فان المطابقة فيه ليست الا من حيث اللفظ اذ لا مطابقة بين الطبخ والخياطة من حيث المعنى وان كان قوله تعالى غلت ايديهم معناه شدت ايديهم الى اعناقهم حقيقة بان يغلوا اسارى فى الدنيا ويسحبوا فى العقبى الى النار تكون المطابقة بينهما من حيث اللفظ فالمطابقة بين الغل الحقيقى المذكور فى قولهم يد الله مغلولة لفظا وهو ظاهر ومن حيث ملاحظة المعنى الاصلى اى اصل المجاز وهو الحقيقة فان الغل المذكور فى الدعاء وان كان محمولا على الغل الحقيقى ولا مطابقة بينه وبين الغل المجازى المذكور فى قول اليهود الا ان بينهما مطابقة من حيث كون المعنى الحقيقى ملحوظا فى قولهم يد الله مغلولة غاية ما فى الباب

﴿وترى كثيرا منهم﴾ اى من اليهود او المنافقين ﴿يسارعون فى الاثم﴾ اى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم ﴿والعدوان﴾ الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم ﴿واكلهم السحت﴾ اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ لبئس شيأ عملوه ﴿لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت﴾ تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ اى هو ممسك مقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ﴿غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ويسحبون الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره

ان لا يكون بناء على تحقيق الصارف عن ارادته وتقريره قولك سبني سب الله دابره فان السب المذكور في الدعاء هو السب الحقيقي وهو القطع والسب المذكور قبله سب مجازي وهو الشتم فانه بمعنى سبب لقطع المودة فحصل المطابقة بين السب الحقيقي المذكور في الدعاء والسب المجازي المذكور قبله من حيث اللفظ ومن حيث كون المعنى الاصلي ملحوظا في السب المجازي لا تنافر بين الكلامين بل هما متطابقان ثم ان اليهود لما وصفوا الله بالبخل حيث قالوا يد الله مغلولة اجيبوا بان قيل بل يداه مبسوطتان على معنى انه ليس الامر على ما وصفتم من البخل بل هو جار على سبيل الكمال فان من اعطى بيد واحدة يوصف بالجواد فكيف من اعطى باليدين ﴿قوله وتنبيها على منح الدنيا والآخرة﴾ اى تنبيها على ان يكون المراد بيد الله نعمته فانه ورد في القرآن آيات دالة على ثبوت اليد لله تعالى ذكر اليد في بعضها بلا عدد كما في قوله تعالى يد الله فوق ايديهم وفي بعضها ذكر اليدين كما في هذه الآية وفي قوله تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وفي بعضها ذكر الايدي بلفظ الجمع كما في قوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهي من المتشابهات والمؤمنون فريقان الفريق الاول ذهبوا الى ان القرآن لما دل على ثبوت اليد لله تعالى آمنا به على مراد الله تعالى ولم نقطع ان المراد باليد ماهو بل نفوض معرفة المراد منهما الى الله تعالى مع القطع بأن يد الله ليست عبارة عن العضو الجسماني لقيام البراهين القاطعة على استحالة ذلك في حقه تعالى وهذه طريقة السلف فانهم يقفون على قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله ثم يبتدئون بقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا والفريق الثاني وهم المتكلمون قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة الجسمانية وثانيها النعمة تقول فلان له على يد اشكره عليها وثالثها القوة قال الله تعالى اولى الايدي والابصار فسروه باولى القوة والعقول ورابعها الملك يقال هذا الامر في يد فلان اى في ملكه قال الله تعالى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك وخامسها العناية والاختصاص قال الله تعالى لما خلقت بيدي والمراد تخصيص آدم عليه السلام بهذا التشريف فانه تعالى هو الخالق لجميع المخلوقات الا انه خلق آدم على الوجه الخارق لعادة الله تعالى دلالة على كمال قدرته وحكمته ثم قالوا اليد في حقه تعالى يمتنع ان تكون عبارة عن العضو الجسماني فيقطع بأن ليس المراد به ذلك بخلاف المعاني الباقية فان كل واحد منها يصح ان يراد بلفظ اليد في حقه تعالى على حسب اقتضاء المقام ومناسبته ﴿قوله ولا يجوز جعله﴾ اى لا يجوز جعل قوله تعالى ينفق كيف يشاء حالا من الهاء في يداه لوجهين احدهما انه فصل بينه وبين الهاء بقوله مبسوطتان وثانيهما ان الهاء مضاف اليه ولا ينصب الحال من المضاف اليه ويرد على الاول ان توسط الخبر بين الحال وذي الحال لا يمنع ان يكون ما بعد الخبر حالا مما قبله كما في قوله تعالى هذا بعلي شيخا اذا قلنا ان شيخا حال من اسم الاشارة وقد توسط الخبر بينهما وعلى الثاني ان مجيء الحال من المضاف اليه جائز بل واقع كما في قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا فان حنيفا حال من المضاف اليه ولا يجوز ان يكون حالا من اليدين اذ ليس فيه ضمير يعود اليهما ويرد عليه ان عدم كون الضمير مذكورا صريحا لا يمنع ان يكون حالا منهما لجواز ان يكون مقدرا ويكون تقدير الكلام ينفق بهما كيف يشاء ثم مجيء الحال من المبتدأ مختلف فيه بين العلماء والمشهور عدم جوازه ﴿قوله ولا من ضميرهما﴾ اى لا يجوز جعله حالا من الضمير المستكن في قوله مبسوطتان لعدم ما يعود اليه فيه ويرد عليه ايضا ان العائد وان لم يكن مذكورا صريحا لكن جاز تقديره اى ينفق بهما غاية ما في الباب ان يكون حذف العائد في مثله قليلا والمصنف لم يجوز هذه الاحتمالات فظهر ان المختار عنده ان يكون قوله ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ﴿قوله واشرك فيه الآخرون﴾ جواب عما يرد من ان قائل تلك المقالة الخبيثة هو فنحاص وهو ان قال المقالة اذا كان قائلها فنحاص اليهودي كيف يصح قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة باسنادها الى اليهود جميعا ونظيره قوله تعالى فعقروا الناقة اسند عقرها الى الجميع مع ان العاقر واحد منهم لكون الآخرين راضين بفعله ﴿قوله تعالى كثيرا﴾ مفعول اول ليزيدن وما في قوله ما انزل موصولة اسمية في محل الرفع على انه فاعل قوله ليزيدن وقوله منهم صفة لكثيرا فيتعلق بمحذوف وقوله طغيانا وكفرا مفعول ثان ليزيدن ثم انه تعالى لما بالغ في وصفهم بالتمرد والعناد حيث قال ان ما انزل اليك هدى للناس وبينات يزيدهم كفرا بنبوتك مع كون ما انزل اليك من اوضح الدلائل وقد عادوك عليها لاجل الحسد وحب الجاه والمال وترجيح الحظوظ العاجلة الفانية على السعادات الآجلة الباقية بين انه تعالى فرق شملهم وحرم عليهم سعادة الدنيا ايضا بأن جعلهم متوآلف مختلفة لا تتفق كلمتهم ولا يقع بينهم تعاضد وتوافق كلما ارادوا محاربة عدو غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من

(بل يداه مبسوطتان) ثنى اليد مبالغة في الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام (ينفق كيف يشاء) تأكيد لذلك اى هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم

(كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله) كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين والحرب صفة لاوقدوا او صفة نارا (ويسعون في الارض فسادا) اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم (والله لا يحب المفسدين) فلا يجازيهم الا شرا (ولو ان اهل الكتاب آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به (واتقوا) ما عددنا من معاصيهم ونحوه (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل) باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما (وما انزل اليهم من ربهم) يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرآن (لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم لشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين (منهم امة مقتصدة) عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته (وكثير منهم ساء ما يعملون) اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما امرتك (فما بلغت رسالته) فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء (والله يعصمك من الناس) عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه (قل يا اهل الكتاب لستم على شيء) اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل (حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم

(سعد)

الله فالقى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الآية قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض وقد يبغض من ليس بعدو ﴿قوله فسلط عليهم المجوس﴾ حتى اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس اي كانوا اذ بعث كان المجوس مسلطين عليهم حاكمين فيهم ثم انه تعالى لما بالغ في ذم اهل الكتاب وتهجين طريقتهم بين انهم لو آمنوا بسيد المرسلين واتقوا المعاصي باجتناب المنكرات وملازمة الطاعات لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم اي لظفروا بسعادة الآخرة فان سعادتها منحصرة في نوعين احدهما النجاة من العذاب وهو المراد بقوله لكفرنا عنهم سيئاتهم والثاني الظفر بالمسرات وهو المراد بقوله ولادخلناهم جنات النعيم اي لظفروا به فان قيل علق الظفر بسعادة الآخرة في هذه الآية على مجموع الايمان والتقوى وقد اتفقت الامة على ان الايمان وحده يجب ما قبله حتى ان من آمن ومات عقيبه يكفر عنه سيئاته الماضية فلا يؤاخذ بشيء منها ويدخل الجنة مع المؤمنين فما وجه الجمع بين هذه الآية واجماع الامة اجيب عنه بان الميت المذكور وان مات عقيب الايمان فهو جامع بين الايمان والتقوى بحيث اتقى المعاصي واتى بما وجب عليه من الطاعات التي ادرك وقتها فان الايمان المكفر هو الايمان الذي باشره المكلف لغرض التقوى والطاعة لا لغرض آخر من الاغراض العاجلة كايمان المنافقين والمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله وان الاسلام يجب ما قبله بدل قوله والايمان يجب ما قبله ليدل على ان الايمان المنجي هو الايمان المقرون بالتقوى والاستسلام لاحكام الشريعة * روي عن الحسن البصري انه اجتمع مع الفرزدق في جنازة فقال له الحسن ما اعددت لهذا المقام قال شهادة ان لا اله الا الله منذ كذا كذا سنة واشعر ان الايمان المجرد عن التقوى يؤدي الى الظفر بسعادة الآخرة فقال الحسن هذا العمود واين الاطناب شبه الاسلام بالخيمة المضروبة وجعل عمودها كلمة الشهادة التي هي اصل الدين وشبه اجتناب المعاصي والمواظبة على الطاعة بالاطناب وكما ان الخيمة لا ينتفع بها بمجرد عمودها دون الاطناب فكذا الاقرار باللسان لا يجدي بدون التقوى والطاعة فان تركها معصية تورث قسوة القلب وتؤدي الى زوال اصل الايمان ﴿قوله او يكثر ثمرة الاشجار﴾ فانهم يتناولون اكل ثمار الاشجار من فوقهم كما يتناولون اكل غلة الزروع من تحتهم ويحتمل ان يكون اكلوا كناية عن الجانبين ثمار الاشجار يأكلون ما عليها من فوقهم وما تساقط منها على الارض من تحتهم واليانعة النضيجة يقال اينع الثمر اذا نضج ﴿قوله لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان الصلاة﴾ قيل عليه قياس عدم تبليغ بعض المنزل بترك بعض اركان الصلاة غير صحيح لان الصلاة عبادة واحدة اعتبرها الشارع امرا واحدا مركبا من امور مخصوصة فيلزم من انتفاء ركن واحد من الاركان انتفاء الكل وليس الامر كذلك في جملة التبليغات اذ ليس لها وحدة في اعتبار الشارع حتى يقال انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل ويكون كتمان بعضها تضييعا لما ادى منها فلم يكن اداؤه مؤديا الى امتثال امره والظاهر ان السؤال ساقط والقياس صحيح لان المكلف باداء الصلاة مأمور بتحصيل صورة الصلاة وهي لا تحصل الا باداء جميع اركانها فاذا ترك ركنا من اركانها لم يكن اداء الاركان الباقية معتبرا حيث لم يكن اداؤها مؤديا الى حصول صورة الصلاة فكذا المكلف بتبليغ الرسالة مأمور بتبليغ جميع المرسل به وان لم يبلغ شيئا منه لا يكون ممتثلا لامر المرسل فلا يعتبر تبليغ الباقي حيث لم يتحقق به الامتثال لامر المرسل فيكون المأمور بالتبليغ بترك شيء من التبليغات بمنزلة من لم يبلغ شيئا اصلا من حيث انه خالف امر المرسل وبهذا التوجيه يندفع ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته فانه في قوة ان يقال فان لم تفعل لم تفعل او وان لم تبلغ لم تبلغ وذلك لان تقدير الكلام فان لم تبلغ جميعه فما اديت رسالته ﴿قوله عدة وضمان من الله بعصمة روحه﴾ اشارة الى وجه الجمع بين هذه الآية وبين ما روي انه عليه الصلاة والسلام قد شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد واطعم شاة مسمومة واوذي من جهة الناس بضروب من الاذى فقيل المراد بعصمته عصمته من القتل بايدي الناس وبما يمنعه من القيام بمقتضى الرسالة فحصل التوفيق بينهما وفيه تنبيه على انه عليه الصلاة والسلام يجب ان يتحمل في تبليغ الرسالة من انواع البلايا اشد من تكليف سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل في وجه التوفيق ان هذه الآية نزلت بعد ما شج رأسه يوم احد لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ﴿قوله عليه الصلاة والسلام فضقت بها ذرعا﴾ يقال ضقت بالامر ذرعا اذا لم تطقه ولم تقو عليه واصل الذرع انما هو بسط اليد فكأنك تريد ان تقول مددت اليه يدي فلم تنله ﴿قوله كان عليه الصلاة والسلام يحرس﴾ اي يحرسه حارس ويقوم بحفظه عمن يقصده بسوء * روي انه عليه الصلاة والسلام كان يحرسه

سعد وحذيفة حتى نزلت هذه الآية ﴿ قوله والصابئون رفع ﴾ اتفقوا على ان والصابئون مرفوع بالواو والنون وهو كذلك فى مصاحف الامصار والظاهر ان يقال والصابئين بالنصب عطفا على اسم انّ وهى قرآءة ابى ابن كعب وابن مسعود وابن كثير ووجه قرآءة الجمهور كونه مرفوعا على الابتدآء فيكون خبره محذوفا لدلالة خبر انّ عليه وهو قوله من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون فتكون الجملة المتوسطة بين اسم انّ وخبرها متأخرة فى النية عما فى حيز انّ لانها لو لم تكن متأخرة فى النية لزم الفصل بين اسم انّ وخبرها بالاجنبى لان الجملة المعطوفة اجنبية بالنسبة الى اجزآء الجملة المعطوفة عليها فحقها ان يؤتى بها بعد تمام الجملة المعطوفة فكأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله اليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والصابئون كذلك وجملة والصابئون كذلك معترضة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ ولم يعطف الصابئون على من قبلهم بل جعل مع الخبر المحذوف جملة مستقلة اتى بها فى خلال الجملة الاولى على نية التأخير للدلالة على ان الصابئين مع كونهم اشد الفرق المذكورة ضلالا اذا قبلت توبتهم وكفرت ذنوبهم على تقدير الايمان الصحيح والعمل الصالح فقبول توبة باقى الفرق اولى واحرى والعطف على محل اسم انّ لا يفيد هذا المعنى واورد البيتين نظير الآية من حيث ان المذكور بعد اسم انّ فى كل واحد منهما مرفوع على الابتدآء وخبره محذوف والجملة توسطت بين اسم انّ وخبرها على نية التأخير وتقدير البيت الاول * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانه بها لغريب وقيار بها كذلك ولا وجه لان يجعل قوله لغريب خبر قيار ويكون المحذوف خبر انّ لانه يلزم من ذلك دخول لام الابتدآء فى خبر المبتدأ بغير ضرورة وهو قليل لا يقع الا فى ضرورة الشعر وتقدير البيت الثانى والا فاعلموا انا بغاة ما بقينا فى شقاق وانتم كذلك اى يبغى بعضنا على بعض ولا ترتفع الخصومة بيننا ما بقينا فى شقاق ﴿ قوله وهو كاعتراض ﴾ اى هذا المرفوع اجزآء جملة انّ جار مجرى الاعتراض من حيث انه جملة مذكورة فى اثناء الكلام لقصد التأكيد اما فى الآية فلأن قبول التوبة للصابئ وهو متوغل فى الضلال يؤكد قبول التوبة من غير المتوغل فيه واما فى البيت الاول فلان تأثير الغربة فى فرس الشاعر المسمى بقيار وهو بهيمة يؤكد تأثيرها فى نفس الشاعر وهو آدمىّ عاقل واما فى البيت الثانى فلأن الجملة المعترضة قد يؤتى بها لتأكيد اصل الكلام الذى وقع الاعتراض فى اثنائه كما فى الآية والبيت الاول وقد يؤتى بها لتأكيد مضمون نفسها والبيت الثانى من قبيل الثانى فانه اتى فيه بما جرى مجرى الاعتراض قبل مجيئ خبر الجملة الاولى تنبيها على ان المخاطبين اوغل وأشد بغيا بالنسبة الى قوم الشاعر حيث عاجل بذكر بغى المخاطبين قبل الحكم ببغى قومه حذرا من الحكم ببغى قومه قبل الحكم ببغى المخاطبين مع كونهم اوغل فى البغى واشد بالنسبة الى قومه وانما قال وهو كاعتراض ولم يجعله اعتراضا حقيقة لكونه مصدرا بحرف العطف وما هو اعتراض حقيقة لا يعطف على ما قبله الا انه قدم على موضعه مع بقائه على حقيقة العطف ليفيد ما يفيده الاعتراض ﴿ قوله ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ﴾ اى مرفوعا معطوفا على قوله والصابئون ويكون جملة من آمن بالله الخ خبرا للصابئين وما عطف عليه ويكون خبر انّ محذوفا لدلالة ما بعده عليه كما فى قوله

نحن بما عندنا وانت بما ۞ عندك راض والرأى مختلف ۞

فان قوله راض خبر انت ولو كان خبر نحن لقيل راضون وخبر نحن محذوف لدلالة خبر انت عليه والتقدير نحن بما عندنا راضون كما انت راض بما عندك واختار المصنف الاحتمال الاول وهو ان يكون والنصارى معطوفا على اسم انّ ويكون جملة من آمن بالله خبر انّ ويكون خبر المبتدأ محذوفا لدلالة خبر انّ عليه لوجهين الاول ان الكلام سيق لبيان حال اهل الكتاب لان الآيات السابقة واللاحقة نازلة فى حقهم وهو يقتضى ان يكون الخبر المذكور لهم لا لقوله والصابئون ولهذا جعل النصارى عطفا على الذين هادوا لا على الصابئين والثانى ان تقديم ما هو فى نية التأخير فيه فائدة وهى الاهتمام ببيان ان الصابئين مع توغلهم فى الضلال تقبل توبتهم حتى يعلم انه تعالى يقبل توبة جميع من تاب من ذنبه اىّ ذنب كان ﴿ قوله ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها ﴾ لم يقل على محل اسم انّ كما وقع فى عبارة بعض المعربين لان اسم انّ وحده منصوب بأن ليس له فى هذا التركيب محل من الاعراب البتة غاية انه كان قبل دخول العامل مرفوعا بالابتدآء فلذلك اتفق اكثر المعربين على ان قالوا فى هذا المقام معطوف على محل

(ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما فى حيز انّ والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله

فانى وقيار بها لغريب * وقوله * والا فاعلموا انا وانتم * بغاة ما بقينا فى شقاق * اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر انّ مقدر دل عليه ما بعده كقوله

نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قوله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر انّ معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا

ان واسمها فكأنهم جعلوا الحرف مع احمد جميعا بمنزلة اسم مفرد هو المبتدأ فجعلوا له محلا من الاعراب يعني قوله تعالى والصابئون مرفوع على الابتدآء لانه لايجوز ارتفاعه بالعطف على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتدآء لانه وجب ان يكون الابتدآء هو العامل في الخبر ايضا فلو رفعت قوله والصابئون بالابتدآء وقد رفعت الخبر بأن لرفعته بعاملين مختلفين وهو لايجوز ولايجوز ايضا عطفه على الضمير المرفوع المستتر في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يستلزم كون الصابئين هودا لكونهم معطوفين على فاعل هادوا والمعطوف على الفاعل فاعل في المعنى فكأنه قيل والذين هادوا والصابئون ومن المعلوم ان الصابئين خارجون عن الاديان كلها ﴿ قوله وقيل انّ بمعنى نعم ﴾ اى ليست من العوامل بل هي حرف جواب كنعم فيكون مابعدها مرفوعا على الابتدآء ومابعد المبتدأ مرفوعا بالعطف على المبتدأ وقوله من آمن بالله خبر الجميع فلايلزم توارد العاملين على معمول واحد ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان كلمة انّ بمعنى نعم قول مرجوح قال به بعض النحويين وجعل من ذلك قوله تعالى انّ هذان لساحران وجعل منه ايضا قول عبدالله بن الزبير انّ وصاحبها جوابا لمن قال لعن الله ناقة حملتني اليك اى نعم وصاحبها واجيب بأن اسم انّ وخبرها محذوفان في قول ابن الزبير فلما حذف اسم ان بقي ماعطف عليه دليلا عليه والتقدير انها وصاحبها ملعونان ولو سلم كونها بمعنى نعم في الجملة فلانسلم صحة ذلك ههنا لانها لم يتقدمها شيء تكون انّ جوابا له ونعم لاتقع ابتدآء كلام وانما تقع جوابا لسؤال مقدم تصديقا له ﴿ قوله وقيل الصابئون منصوب بالفتحة ﴾ اى عطفا على اسم انّ وعلامته النصب للنون وهو معرب بالحركة كالزيتون وقال ابو البقاء فان قيل انما اجاز ذلك ابو علي مع الياء لامع الواو واجيب بأن غيره قد اجاز ذلك مطلقا اى سوآء كان بالياء او بالواو ﴿ قوله او خبر المبتدأ كامرّ ﴾ اى ويحتمل ان تكون الجملة خبر المبتدأ مع ماعطف عليه وهو قوله والنصارى كامرّ في قوله ومن آمن خبرهما ﴿ قوله او النصب على البدل ﴾ اى او هو في محل النصب على البدلية فعلى هذا يكون قوله فلاخوف خبر انّ لاخبر المبتدأ وعلى التقديرين اى سوآء كان من آمن مرفوعا على الابتدآء او منصوبا على البدلية يكون العائد من هذه الجملة على من محذوفا ﴿ قوله وقرئ والصابئين ﴾ اى بالياء والنون بدل قرآءة الجمهور بالواو والنون ووجهها ظاهر وهو العطف على اسم ان وان كانت مخالفة لرسم المصحف وقرئ والصابيون بياء خالصة بعد الباء المكسورة بقلب الهمزة ياء ﴿ قوله جواب الشرط ﴾ جعل كلما من أدوات الشرط وجعل قوله كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسول بحذف العائد منها الى الموصوف وجعل قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط ولم يلتفت الى ماذكره صاحب الكشاف من انه لايصلح ان يكون جوابا لهذا الشرط لان الرسول الواحد لايكون فريقين ولان المقام ليس يستدعي تقدم مفعولي الفعلين لان المقصود تقبيح حال بني اسرآئيل من حيث فعلا التكذيب والقتل منهم لامن حيث تعلق الفعلين بالمفعول فيكون تقديم المفعول خاليا عن الفائدة كما في قولك ان اكرمت اخي اخاك اكرمت ووجه عدم التفاته الى الاول ان لفظ رسول وان دل على الوحدة الا ان قوله كلما جاءهم يدل على الكثرة لجاز جعله فريقين ولم يلتفت الى الثاني ايضا لكون قوله فيكون تقديم المفعول خاليا من الفائدة ممنوعا لجواز ان يكون تقديمه للاهتمام ببيان كون كل واحد ممن كذبوه وممن قتلوه من الرسل فريقا وجماعة متكثرة منهم ليس بواحد ولااثنين ﴿ قوله وقيل الجواب محذوف ﴾ ذهب صاحب الكشاف الى ان جواب الشرط محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه اى عادوه وحاربوه وقوله فريقا كذبوا الخ كلام مستأنف وقع جوابا لمن قال كيف فعلوا برسلهم وكيف ناصبوهم ولعل المصنف لم يرض به بناء على ان توجيه الكلام بارتكاب الحذف لايصار اليه من غير ضرورة ولاضرورة تدعو اليه في الآية لما ذكره من الوجه الصحيح وهذه الآية متعلقة باول السورة وهو قوله تعالى ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ولما اوجب على المؤمنين الوفاء بالعهد وفصل العهود الى ههنا شرع الآن في معايب بني اسرآئيل وشدة تمردهم على الوفاء بعهد الله تعالى فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرآئيل الآية ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لاتكون بالرفع ﴾ أى برفع النون والباقون بنصبها فمن رفعها جعل كلمة ان مخففة من الثقيلة وجعل اسمها ضمير الشأن المحذوف والتقدير وحسبوا انه لاتكون فتنة على ان كلمة لانافية وتكون تامة وفتنة فاعلها والجملة الفعلية المنفية خبر انّ ومفسرة لضمير الشأن فعلى هذا يكون الحسبان بمعنى العلم واليقين لاالظن والطمع لانّ ان المخففة من الثقيلة لكونها للتأكيد والتحقيق كالثقيلة لاتقع الابعد فعل يدل على

وقيل انّ بمعنى نعم ومابعدها في موضع الرفع بالابتدآء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوّز بالياء جوّز بالواو (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) في محل الرفع بالابتدآء وخبره (فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون) والجملة خبر انّ او خبر المبتدأ كامرّ والراجع محذوف اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم انّ وماعطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة ألفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولاعقلا (لقد اخذنا ميثاق بني اسرآئيل وارسلنا اليهم رسلا) ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى انفسهم) بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسلا منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي (وحسبوا ان لاتكون فتنة) اى وحسب بنوا اسرآئيل ان لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لاتكون بالرفع على ان أن هي المخففة من الثقيلة واصله أنه لاتكون فتنة فخففت انّ وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم

التحقيق والثبات نحو العلم واليقين والتبيين كما ان أن الناصبة لفعل المضارع لاتقع الا بعد افعال الشك والتردد واما الافعال التى تحتمل الشك واليقين فانه يجوز ان تقع بعدها ان الناصبة دون المخففة من الثقيلة ويرفع مابعدها وان جعلت للشك تجعل ناصبة وينصب مابعدها والآية الكريمة من هذا الباب فمن رفع الفعل بعدها جعل فعل الحسبان لليقين لكون القوم جازمين بانهم لايفتنون بسبب ذلك التكذيب والقتل فى الفتنة والعذاب ومن جعل فعل الحسبان على ظاهره وقال ان القوم كانوا يكذبون ويقتلون خوفا من زوال الجاه وتفرق الاتباع وكانوا يعتقدون ان مافعلوه من التكذيب والقتل خطأ ومعصية فلايأمنون من ان تصيبهم فتنة بسبب ذلك لكنهم يظنون انه يندفع عنهم مااستحقوا من العذاب بسبب شرف اسلافهم ﴿قوله وان او ان بمافى حيزها﴾ يعنى ان ان الناصبة او ان المخففة بمافى حيزها جملة قامت مقام مفعولى حسبوا اى حسبوا الفتنة غيرنازلة بهم عند جمهور البصريين وقال ابوالحسن قائمة مقام المفعول الاول والمفعول الثانى محذوف والتقدير حسبوا عدم الفتنة كائنا او حاصلا ﴿قوله فعموا عن الدين﴾ عطفه بالفاء على حسبوا للدلالة على ان الحسبان المؤدى الى تكذيب الرسل وقتلهم كان سببا لقرب الرين قلوبهم وعدم ابصارهم الحق وقبح ماصنعوا وعدم استماع المواعظ والزواجر عما ارتكبوه من المعاصى عبر عن جهلهم بالحق وكفرهم به بالعمى والصمم لكونه ابلغ فى الدلالة على بعدهم من الحق وعدم قبولهم اياه بوجه ما ﴿قوله تعالى ثم عموا وصموا﴾ دل على ان عماهم عن الحق وعدم ابصارهم اياه وصممهم عن استماع الزواجر عمافعلوه صدر عنهم مرة بعد اخرى الاانه تعالى ابهم كيفية ذلك وبيان تينك المرتين فالالئق بالمكلف ان يتكلم بمايتعلق به ويبهم ماابهم الله تعالى الاان قوله كاعمتوا حين عبدوا العجل يدل على ان المعنى انهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عنه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرمنهم بالتعنت حيث طلبوا رؤية الله جهرة واعتدوا فى السبت والله اعلم والظاهر ان المراد بالعمى والصمم المعطوفين على الاولين بكلمة ثم عماهم وصممهم عماجاء به سيد المرسلين وقوله وقرئ بالضم فيهما اى قرئ بضم العين والصاد فى عموا وصموا وتشديد الميم فى عموا على ان يكون عم وصم الثلاثيان متعديين نحو عينه وصممته بمعنى رميته وضربته بالعمى والصمم كما يقال زكمته اذا ضربته بالزكام وهو رمح قصير والجمع النيازك وكما يقال ركبته اذا ضربته بركبتك فكذا يقال عماه الله وصمه اى ضربه بالعمى والصمم الاانه لغة قليلة واللغة الشائعة ان يكون عمى وصم الثلاثيان لازمين واذا عديتهما ادخلت عليهما همزة التعدية فيقال اعماه واصمه ﴿قوله يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم﴾ اشارة الى ان قوله حرم استعارة تبعية للمنع لان التحليل والتحريم انمايتعلق بافعال العباد وماهو فى وسعهم ونفس الجنة ودخولها ليس فى وسع العبد حتى يتعلق به حقيقة التحريم ﴿قوله ومافى الوجود﴾ اشارة الى ان من آله مبتدأ خبره محذوف وهو فى الوجود والااله بدل من محل اله المجرور بمن الاستغراقية لان محله رفع بالابتداء ومن زائدة فى المبتدأ لوجود الشرطين وهما كون الكلام غيرموجب وتنكير ماجرته والتقدير ومااله فى الوجود الااله بالوحدانية ﴿قوله اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر﴾ على ان تكون كلمة من للتبعيض فيكون التعريف فى قوله الذين كفروا للعهد والمعهود الحصة الباقية على الكفر من طائفة النصارى احترازا عمن تاب منهم عن النصرانية ﴿قوله او ليمسن الذين كفروا من النصارى﴾ على ان تكون من للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان ووضع الذين كفروا مقام المضمر ثم فسر هذا المظهر بقوله منهم لان من للبيان تنبيها على انهم بلغوا فى الكفر الى حيث صاروا مشاهير فى الكفر حتى امكن ان يعرف اهل الكفر بهم وعلى كل تقدير فقوله منهم فى موضع الحال اما من الذين او من ضمير الفاعل فى كفروا وقوله تعالى ليمسن جواب قسم محذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والتقدير والله ان لم ينتهوا ليمسن وقد تقرر ان الشرط والقسم متى اجتمعا اجيب سابقهما وههنا لما اجيب القسم دل على انه مقدم فى التقدير لانه لو قدر مؤخرا عن الشرط لاجيب الشرط دون القسم ﴿قوله تكريرا للشهادة على كفرهم﴾ شهد عليه اولا بقوله لقد كفر الذين قالوا الآية وهذا على ان يكون كلمة من للبيان وقوله وتنبيها على ان تكون للتبعيض أخره ليفرع عليه قوله فلذلك اى وللتنبيه المذكور والهمزة فى قوله تعالى أفلا يتوبون الى الله فيها التعجب على اصرارهم وتحضيض على التوبة والظاهر ان الفاء ههنا لاتستدعى تقديم المعطوف على المعطوف عليه بل هى عاطفة على ماسبق من تقرير كفرهم والتهديد عليه كما اشار اليه المصنف بقوله بعد هذا التقرير والتهديد فان هذا المعنى مستفاد من الفاء العاطفة الدالة على التعقيب وتخللت الهمزة بين المعطوف والمعطوف

واللغة الفاشية أعمى وأصم (كثير منهم) بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلونى البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم وفق اعمالهم (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرآئيل اعبدوا الله ربى وربكم) اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم (انه من يشرك بالله) اى فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال (فقد حرم الله عليه الجنة) يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (ومأواه النار) فانها المعدة للمشركين (وماللظالمين من انصار) اى ومالهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فاظنك بغيره (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد (ومامن اله الااله واحد) ومافى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الااله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشرك ومن مزيدة للاستغراق (وان لم ينتهوا عمايقولون) وان لم يوحدوا (ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه) اى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد (والله غفور رحيم) يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم

وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو اغرب (وأمه صديقة) كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء (كانا يأكلان الطعام) ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما ألوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) يعني ان عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع (والله هو السميع العليم) بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) يعني اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له اولا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع (لبئس ما كانوا يفعلون) تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم (ترى كثيرا منهم) من أهل الكتاب (يتولون الذين كفروا) يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (لبئس ما قدمت لهم انفسهم) اي لبئس شيأ قدموا ليردوا عليه يوم القيامة (أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون) هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب او علة الذم (قوله) والمخصوص محذوف اي لبئس شيأ ذلك لانه كسبهم السخط والخلود (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي) يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام (وما أنزل اليه ما اتخذوهم اولياء) اذ الايمان يمنع ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم (ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) ... (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون)

علية لقصد التعجيب ﴿قوله يلازمن الصدق﴾ اي صدق الافعال والاقوال في المعاملة مع الخلق وصدق الافعال والاقوال في المعاملة مع الخالق لا يصدر منهن ما يكذب دعوى العبودية والطاعة فان من كان مجتهدا في اقامة وظائف العبودية وملازمة الانابة والطاعة يسمى صديقا ﴿قوله وانما قال ما﴾ اي قال ما في حق من يعقل مع ان اصله ان يطلق على غير العاقل نظرا الى ما هو عليه في ذاته فانه عليه الصلاة والسلام في اول احواله لا يوصف بعقل ولا بشيء من الفضائل فكيف يكون آلها ﴿قوله توطئة﴾ علة للنظر الى ما هو عليه في ذاته وقوله وتنبيها عطف عليه اي تنبيها على انه من جنس ما لا يعقل فتكون حقيقة ما لا يعقل حقيقة مشتركة بين عيسى وغيره وانه عليه الصلاة والسلام واحد من آحاد تلك الحقيقة ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية لان من كان له حقيقة يشاركه بها غيره لا بد ان يكون له ما يميزه عن غيره فيتركب عليه الاشتراك وما به الامتياز والتركيب ينافي الالوهية لما ذكر ما تخيل كل واحد من اليهود والنصارى على حدة وذكر بطلانه وفساده خاطب مجموع الفريقين بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد والغلو نقيض التقصير ﴿قوله غلوا باطلا﴾ اشارة الى ان قوله غير الحق نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا ويحتمل ان يكون حالا من دينكم اي لا تغلوا فيه وهو مغاير للحق ﴿قوله وقيل الخطاب للنصارى خاصة﴾ عطف من حيث المعنى ﴿قوله اي لا ينهى بعضهم بعضا﴾ على ان يكون التناهي تفاعلا من النهي وقوله او لا ينتهون على ان يكون بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عن الامر اذا امتنع عنه وكف ولما ورد ان يقال ما معنى وصف المنكر بقوله فعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل اجاب عنه بثلاثة اوجه والكل ظاهر ﴿قوله اي لبئس شيأ﴾ دل على ان ما نكرة تمييز لفاعل بئس وقدمت لهم صفتها وان سخط الله هو المخصوص بالذم بتقدير المضاف اي موجب سخط الله لان نفس السخط المضاف الى البارى عز وجل لا يقال انه المخصوص بالذم انما المخصوص بالذم هو الاسباب الموجبة له ﴿قوله او علة الذم﴾ يعني ان هذا لام العلة مقدرة وتلك اللام متعلقة بجملة الذم والمعنى ان ما قدمت لهم انفسهم مذموم لسخط الله تعالى اياهم بذلك وكونه سببا له وكتابا لهم اياه والمخصوص بالذم حينئذ محذوف اي بئس شيأ قدموه عملهم او صنعهم ويحتمل ان يكون ان سخط الله في محل الرفع على انه بدل من المخصوص بالذم المحذوف على ان تكون كلمة ما اسما تاما بنفسه مستغنيا عن الصلة والصفة ويكون معرفة مرفوع المحل على انه فاعل فعل الذم والمخصوص بالذم محذوف وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفته والتقدير والله لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم وقوله ان سخط الله عليهم بدل من الشيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه في مثله وتعليل كون النصارى اقرب مودة للذين آمنوا بقلة حرصهم على الدنيا يدل على ان كون اليهود والمشركين اشد عداوة لهم انما هو لشدة حرصهم على الدنيا قال الله تعالى في حق اليهود ولتجدنهم احرص الناس على حياة والمشركون المنكرون للمعاد قريب من اليهود في الحرص الذي هو معدن الاخلاق الذميمة فان من كان حريصا على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا واقدم على كل محظور ومنكر بسبب طلب الدنيا فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال جاها او مالا واما النصارى فانهم في اكثر الامر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك فانه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم بل يكون لين العريكة في طلب الحق سهل الانقياد له فهذا هو مدار الفرق بين الفريقين وهو المراد بقوله تعالى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ومن المعلوم ان كفر النصارى اغلظ من كفر اليهود ومع ذلك لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا بل كان في قلبهم شيء من الميل الى الآخرة شرفهم الله تعالى بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى واما اليهود فمع ان كفرهم اخف من كفر النصارى طردهم الله وخصهم بمزيد اللعنة وما ذاك الا بسبب حرصهم على الدنيا ويؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام حب الدنيا رأس كل خطيئة وقوله تعالى وانهم لا يستكبرون معطوف على ان المجرورة بالباء في قوله بأن منهم اي ذلك بما تقدم وبأنهم لا يستكبرون والقس تتبع الشيء وطلبه والقس ايضا رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم قال قطرب القسيس العالم بلغة الروم والرهبان جمع راهب مثل فارس وفرسان وراكب وركبان واصله من الرهبة بمعنى المخافة او من الرهب وهو التعبد مع الرهبة في موضعه روي عن عروة بن الزبير انه قال ضيعت النصارى الانجيل وادخلوا فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم على الدين والحق وكان اسمه قسيسا فمن كان على دينه فهو قسيس

من الاول للابتدآء والثانية لتبيين ماعرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف اذا عرفوا كله (يقولون ربنا آمنا) بذلك او بمحمد (فاكتبنا مع الشاهدين) من الذين شهدوا بأنه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهدآء على الامم يوم القيامة (وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال

لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل مافي اللام من معنى الفعل اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن (فأثابهم الله بما قالوا) اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزآء المحسنين) الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روى انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر ابن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفر ان يقرأ عليهم القرءآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرءآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم) عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) اى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتدآء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال (ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) اى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا لكلوا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زآئدة (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) هو ما يبدر من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل

﴿قوله فوضع موضع الامتلاء﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفيض والانصباب الى العين والحال ان الفائض انما هو دموع الاعين لا انفسها واجاب عنه بوجهين الاول ان المراد امتلاء اعينهم الا انه وضع الفيضان والسيلان موضع الامتلاء على طريق وضع المسبب موضع السبب للمبالغة في السببية حتى كأن الامتلاء عين الفيضان فلذلك عبر عنه به والثاني ان اسناد الفيض الى الاعين اسناد مجازي كما في جرى النهر وسال الميزاب للمبالغة في وصفهم بالبكاء اى تراهم يبكون حتى يظن ان اعينهم تفيض اى تسيل بانفسها ومن الدمع متعلق بتفيض ومن لابتدآء الغاية والمعنى تفيض من كثرة الدمع والرؤية في قوله ترى بصرية وتفيض حال من المفعول ﴿قوله من الاول للابتدآء﴾ اى كلمة من في قوله مما عرفوا للابتدآء متعلق بمحذوف على انه حال من الدمع اى في حال كونه ناشئا ومبتدأ من معرفة الحق وكائنا من اجله وسببه ولا يجوز ان تكون متعلقة بتفيض لئلا يلزم تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد فان من في من الدمع لابتدآء الغاية كما مر ومن في من الحق لبيان الموصول في قوله مما عرفوا او يحتمل ان تكون للتبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم واثر فيهم فكيف اذا عرفوا كله ﴿قوله تعالى يقولون﴾ مستأنف لا محل له اخبر الله تعالى عنهم انهم يقولون هذه المقالة الحسنة وتمام مقالتهم قوله وما لنا لا نؤمن الآية على انه استفهام انكار وكلمة ما استفهامية في محل الرفع على الابتدآء ولنا خبره اى اى شئ استقر لنا غير مؤمنين وقوله لا نؤمن جملة حالية معمولة للاستقرار الذي تضمنه قوله لنا وقوله وما جاءنا في محل الجر عطفا على الجلالة اى بالله وبما جاءنا وعلى هذا فقوله من الحق فيه احتمالان احدهما انه حال من فاعل جاءنا متعلق بمحذوف اى جاءنا في حال كونه من جنس الحق والثاني ان تكون من لابتدآء الغاية متعلقة بجاءنا ويكون المراد بالحق البارى تعالى ﴿قوله اى عن اعتقاد﴾ جواب عما يقال ظاهر قوله بما قالوا يقتضي انهم استحقوا الثواب بمجرد القول وذلك غير ممكن لان مجرد القول لا يفيد الثواب فأجاب بان المراد القول الصادر عن اعتقاد بدليل قوله مما عرفوا من الحق الا ان في تقديره نوع تدافع لان قوله اى معتقده يشعر بان القول مجاز عن المذهب والمعتقد وان كان المقصود حاصلا على كلا التقديرين وهو بيان ان الاثابة ليست بمجرد القول ﴿قوله والاعتدآء عما حد الله بجعل الحلال حراما﴾ فسر الاعتدآء بوجهين الاول التجاوز والاعراض عن تحديد الله تعالى وتبيينه بان يتحسب من عنده فيقصد حدا على حدة بتحريم الحلال مثلا والثاني التجاوز عما احله الله تعالى الى ما حرمه كأنه قيل لما احل لكم الطيبات اكتفوا بها ولا تتعدوها الى ما حرم عليكم من الاسراف ونحوه فان الاسراف تجاوز الى الحرام كتناول المحرمات وعلى التقديرين يكون الاعتدآء بمعنى المجاوزة وقد يستعمل بمعنى الظلم ولما كان مناسبة قوله ولا تعتدوا لقوله لا تحرموا ظاهرة على التفسير الاول سكت عن التصريح بمناسبته له على التفسير الاول وصرح بها على التفسير الثاني حيث قال فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل فان تحريم الحلال وتحليل الحرام تجاوز عما حده الله وهو القصد بينهما بتحليل الحلال وتحريم الحرام ﴿قوله فرقوا﴾ اى رقت قلوبهم عند استماع كلامه عليه الصلاة والسلام والودك دسم اللحم يقال دجاجة وديكة اى سمينة والمسوح جمع مسح وهو البلاس والجب القطع والمذاكير جمع ذكر بمعنى العضو على خلاف القياس كأنهم قصدوا الفرق بين الذكر بمعنى العضو وبين ما هو خلاف الانثى فجمعوا الاول على المذاكير والثاني على الذكور ﴿قوله اى كلوا ما حل لكم﴾ ذكر لانتصاب حلالا ثلاثة اوجه الاول ان يكون مفعول كلوا اى كلوا شيأ حلالا وعلى هذا الوجه يكون مما رزقكم الله اما حالا من المفعول متعلقا بمحذوف وتكون من فيه تبعيضية او ظرفا لغوا متعلقا به وتكون من فيه ابتدآئية اى ابتدئوا اكلكم الحلال من الذي رزقكم الله والثاني ان يكون مما رزقكم مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة مصدر محذوف اى اكلا حلالا وفيه تجوز لان الشائع المتبادر الى الفهم وصف المأكول دون الاكل وقالوا بعموم الحرام رزقا عند المعتزلة احتج عليهم بانه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زآئدة ﴿قوله تعالى واتقوا الله﴾ تأكيد وصية بما امر به فان قوله تعالى كلوا حلالا وان كان المراد به ههنا الاباحة والتحليل الا انه لما اباح اكل الحلال فيفيد تحريم ضده فأكد التحريم المستفاد منه بقوله واتقوا الله وزاده تأكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يوجب التقوى بالانتهاء عما نهى عنه وعدم التجاوز عما حده ﴿قوله وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم﴾ كان باللغو صلة له اى لا يؤاخذكم في حق ايمانكم بسبب ما كان لغوا منها بان لا يتعلق بها حكم دنيوي ولا اخروي ﴿قوله او حال منه﴾ اى من اللغو فلا يتعلق بشئ منها بل يتعلق

(ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان) بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل (فكفارته) فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير (اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم) من اقصده فى النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل جمع اهلاة (او كسوتهم) عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة او كأسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره او اطعامهم كأسوتهم (او تحرير رقبة) او اعتاق انسان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو إيجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين

بمحذوف اى كائنا فى ايمانكم ﴿قوله بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية﴾ اى بقصد اليمين ونيته يقال عقد فلان اليمين واعقده اذا اكده واحكمه قرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم عقدتم بتخفيف القاف بدون الف بين العين والقاف وابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم على وزن فاعلتم والباقون عقدتم بتشديد القاف فاما التخفيف فهو الاصل واما التشديد فيحتمل وجهين احدهما انه للتكثير كما فى قوله وغلقت الابواب لان المخاطب به جماعة والفعل يتكثر بكثرة الفاعل كما يتكثر بكثرة المتعلق والثانى انه بمعنى المخفف نحو قدر وقدّر ﴿قوله اى الفعلة﴾ اشارة الى ان الكفارة تأنيث الكفار وانث لتأنيث موصوفها وهى الفعلة فان التقدير الفعلة الكفارة اى الساترة لاثمه وقوله فكفارة نكثه اشارة الى ان ضمير كفارته راجع الى تعقيد الايمان بناء على ان ما فى قوله بما عقدتم مصدرية والتقدير ولكن يؤاخذكم بتعقيدكم الايمان وتذكير الضمير يمنع من رجوعه الى اليمين المدلول عليها بلفظ الايمان لان اليمين مؤنثة وارجاعه اليها لكونها بمعنى الحلف تكلف على تكلف فلا بدّ من اعتبار الحذف ههنا كما اعتبر فى قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فان تقديره كما مرّ ولكن يؤاخذكم به اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف وقت المؤاخذة على الاوّل والمضاف على الثانى لان كون المحذوف مرادا معلوم عندهم لانهم اجمعوا على انه لا يجب التكفير بنفس اليمين ما لم يحنث فيها واختلفوا فى جوازه قبل الحنث فاجازه الامام الشافعى رحمه الله بالمال واصحابنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم نص عليه فى التيسير ﴿قوله من اقصده﴾ اى من اقربه الى التوسط بين الاسراف والتقتير يقال قصد فى الامر واقتصد فيه اذا لم يجاوز الحدّ ورضى بالتوسط فان بعض الناس يسرف فى اطعام اهله وبعضهم يقتر فيه والمعتبر هو التوسط بينهما قيل الاوسط الخبز والخل والاعلى الخبز والعسل والادنى الخبز البحت وهو يجزى ﴿قوله فى النوع او القدر﴾ فيطعم ما بين الجيد والردئ وبين الاسراف والتقتير وبين المرة والثلاث بأن يطعمهم مرتين ﴿قوله ومحله النصب﴾ اى محل قوله من اوسط ما تطعمون النصب على انه صفة للمفعول الثانى المحذوف لقوله اطعام ومفعوله الاوّل عشرة وما موصولة اسمية والعائد محذوف والتقدير فكفارته ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط الذى تطعمونه اهليكم اى من فى عيالكم من الزوجة والاولاد والخادم ﴿قوله او الرفع على البدل من اطعام﴾ او على انه خبر مبتدأ محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره اطعامهم فتتم الجملة الاولى عند مساكين او على انه صفة اطعام اى اطعام كائن من اوسطه ﴿قوله واهلون كارضون﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان الاهل اسم والاسم لا يجمع جمع السلامة بالواو والنون الا عند اجتماع ثلاثة شروط وهى كونه مذكرا وعلما او عاقلا نحو زيدون والاهل ليس بعلم فكيف جمع على اهلين ﴿قوله وهو جمع اهل﴾ الظاهر انه اراد الجمع اللغوى لما ذكر صاحب الكشاف من ان الاهالى اسم جمع لاهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وهو اسم جمع فى المعنى وليس جمعا صناعيا اصطلاحيا ﴿قوله او كاسوتهم﴾ وقرئ او كأسوتهم بحرف الجر الداخل على لفظ اسوة والكاف فى قوله بمعنى او كمثل ما تطعمون زائدة يدل عليها عبارة الكشاف وهى بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم ولفظ المثل فيه مرفوع عطفا على محل من اوسط فانه مرفوع المحل على البدلية كما مرّ فالكاف فى هذه القرآءة بمعنى المثل والاسوة بمعنى الشئ الذى يقتدى به من طعام الاهل كالكسوة بمعنى المكسوّ به من اللباس والمعنى فكفارته من اوسط ما تطعمون اهليكم او مثل ما تطعمونهم ﴿قوله تواسون بينهم وبينهم﴾ اى تشاركون وتساوون بين اهليكم وبين المساكين ﴿قوله وتقديره او اطعامهم كاسوتهم﴾ زاد لفظ الاطعام بيانا لموصوف المثل المدلول عليه بالكاف وعلى هذه القرآءة تكون الآية ساكتة من التعرض للكسوة مع ان العلماء بأسرهم قد اتفقوا على انها احدى الخصال الثلاث المعتبرة فى كفارة اليمين فينبغى لصاحب هذه القرآءة ان يقول استفيدت الكسوة من السنة وهو بعيد ﴿قوله قياسا على كفارة القتل﴾ لان الله تعالى قيد الرقبة فيها بالايمان واطلقها ههنا وفى كفارة الظهار والجماع فى نهار رمضان والمطلق يحمل على المقيد كما ان الله تعالى قيد الشهادة بالعدالة فى موضع فقال واشهدوا ذوى عدل منكم واطلق فى موضع آخر حيث قال واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان العدالة شرط فى جميعها حملا للمطلق على المقيد كذلك ههنا وعند الحنفية يجوز اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع الكفارات الا فى كفارة القتل ويقولون المطلق انما يحمل على المقيد اذا اتحدت الحادثة التى وردتا فيها ﴿قوله ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين﴾ وهو المذهب المختار فى الواجب المخير فان المختار ان الواجب احد الامور لا على التعيين لا ما ينسب الى بعض المعتزلة من

ن الواجب الجميع ويسقط بواحد منه و عند البعض الواجب واحد معين عند الله و هو ما يفعله المكلف فيختلف
النسبة الى المكلفين و عند البعض الواجب واحد معين لا يختلف و لكنه يسقط به و بالآخر و الواجب في كفارة اليمين
حد الامور الثلاثة على التخيير فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء آخر و هو الصوم و معنى الواجب المخير انه لا يجب
عليه الاتيان بكل واحد من هذه الامور الثلاثة و لا يجوز له تركها جميعا و متى اتى بواحد منها فانه يخرج عن العهدة
اذا اجتمعت هذه القيود فذلك هو الواجب المخير ﴿قوله فمن لم يجد واحدا منها﴾ قال الامام الشافعي رحمه الله
ذا كان عنده قوته و قوت عياله يومه و ليلته و من الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام و ان لم يكن
عنده هذا القدر جاز له الصيام و عند ابي حنيفة رحمه الله يجوز له الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه
زكاة فيحصل من لا زكاة عليه مادما و اختلفوا في وجوب التتابع في هذا الصيام فذهب جماعة الى انه لا يجب
التتابع فيه ان شاء تابع و ان شاء فرق و التتابع افضل و هو احد قولي الامام الشافعي و ذهب جماعة الى وجوب
التتابع فيه قياسا على كفارة القتل و الظهار و هو قول الثوري و ابي حنيفة رحمه الله و عليه تدل قراءة ابن مسعود
صيام ثلاثة ايام متتابعات ﴿قوله او بأن تبروا فيها﴾ و المعنى احفظوها عن الحنث و لا تحنثوا فيها ما استطعتم
لم يحنث بها خيرو اما ان عجز من البر او رأى غير المحلوف عليه خيرا له فحينئذ يجب ان يحنث و يكفر لقوله عليه الصلاة
السلام * من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه * و الكاف في قوله كذلك
نصوب على أنه صفة مصدر محذوف اي يبين الله آياته تبيينا مثل ذلك التبيين و قيل انه حال من ضمير ذلك المصدر
﴿قوله فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج﴾ فان طريق الشكر انما هو التمسك بقواعد الشرع و العمل
مقتضاها و ذلك انما يسهل بمثل هذا التبيين ﴿قوله و الازلام سبق تفسيرها﴾ الازلام سهام مكتوب على
بعضها امرني ربي و على بعضها نهاني ربي يطلبون بها علم ما قسم لهم من الخير و الشر قال المفسرون كان اهل
الجاهلية اذا اراد احدهم سفرا او غزوا او تجارة او غير ذلك طلب علم انه خير او شر من الازلام و هي قداح كانت
في الكعبة عند سدنة البيت مكتوب على بعضها امرني ربي و على بعضها نهاني ربي و بعضها غفل لا كتابة عليه
لا علامة فان خرج السهم الآمر مضوا على ذلك و ان خرج الناهي يجتنبون عنه و ان خرج الغفل اجالها ثانيا فمعنى
الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم ﴿قوله قذر﴾ يعني الرجس هو الشيء
القبيح القذر الذي يعافه اي يكرهه و ينفر عنه العقل السليم يقال رجس الرجل و رجس اذا عمل عملا قبيحا قال
الزجاج هو اسم لكل ما استقذر من الاعيان الكريهة و الاعمال القبيحة و ذهب الاكثرون الى ان الرجس بمعنى
النجس الا ان النجس يقال في المستقذر طبعا و الرجس اكثر ما يقال في المستقذر عقلا و لهذا قال المصنف تعاف
عنه العقول ﴿قوله و افراده﴾ حيث لم يقل ارجاس مع ان المخبر عنه جمع و الاخبار عن الجمع بالمفرد غير
معقول اما لانه ليس خبرا عن الجمع بل هو خبر عن الخمر وحدها و حذف خبر المعطوفات لدلالة هذا الخبر عليه فيكون
الخبر على نية التقديم و المعطوفات مع خبرها جملة معطوفة على الجملة الاولى او هو خبر لمضاف محذوف كأنه
قيل انما تعاطي هذه الاشياء رجس و يؤيد هذا الاحتمال قوله تعالى من عمل الشيطان فانه في محل الرفع على
انه صفة الرجس و لولا تقدير المضاف في المبتدأ لما صح الاخبار عنه و عما عطف عليه بأنه رجس كائن من عمل
الشيطان فان تلك الاشياء في انفسها ليست من قبيل الاعمال و انما العمل تناولها و تعاطيها و هو شرب الخمر
و القمار بالميسر و عبادة الاصنام و الاستقسام بالازلام و تعاطي هذه الاشياء و ان كان عمل الانسان الا انه اسند
الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه مزينا له و سببا حاملا له عليه ﴿قوله الضمير للرجس﴾ كأنه جواب عما
يختلج بالخاطر من ان الضمير المفرد كيف يصح ان يرجع الى ما سبق و هي امور متعددة * و تقرير الجواب انه راجع الى
الرجس الذي اخبر به عن تعاطي الامور المذكورة فكان المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو تعاطي تلك الامور
و هو راجع الى الامور السابقة باعتبار تأويلها بما ذكر او الى التعاطي المقدر على انه مضاف الى الامور المذكورة
صدرت الجملة بانما لانها تفيد قصر هذه المذكورات على صفة كونها رجسا كائنا من عمل الشيطان على
طريق قصر الموصوف على الصفة كأنه قيل ليس لها من الصفات الا كونها رجسا من عمل الشيطان ﴿قوله
و قرنهما بالاصنام﴾ فان مقارنة ذكر تعاطي الخمر و الميسر بعبادة الاصنام تدل على تقاربهما فلذلك قال عليه الصلاة
السلام * شارب الخمر كعابد الوثن * شبهه به لاشتراكهما في ارتكاب المحرم ﴿قوله و سماهما رجسا﴾ فانه يدل

(فمن لم يجد) واحدا منها (فصيام ثلاثة ايام) فكفارته صيام ثلاثة ايام و شرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات و الشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا و لم تروسنة (ذلك) اي المذكور (كفارة ايمانكم اذا حلفتم) و حنثتم (و احفظوا ايمانكم) بان تضنوا بها و لا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم و لم يفت بها خير او بأن تكفروها اذا حنثتم (كذلك) اي مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب) اي الاصنام التي نصبت للعبادة (و الازلام) سبق تفسيرها في اول السورة (رجس) قذر تعاف عنه العقول و افراده لانه خبر للخمر و خبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطي الخمر و الميسر (من عمل الشيطان) لانه مسبب من تسويله و تزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي (لعلكم تفلحون) لكي تفلحوا بالاجتناب عنه و اعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر و الميسر في هذه الآية بأن صدر الجملة بانما و قرنهما بالاصنام و الازلام و سماهما رجسا

على كونهما نجسين مستقذرين عقلا ﴿قوله وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب﴾ لان الشيطان كافر عصى ربه تمردا واستكبارا عن امتثال امره فيكون عمله شرا محضا او يكون غالب عمله الشر فلما جعل تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان كان ذلك شهادة على كونه شرا محضا ﴿قوله وامر بالاجتناب﴾ الامر بالاجتناب عن عين الشئ ابلغ فى تحريمه بالنسبة الى الامر بالاجتناب عن الانتفاع به فكم من شئ يحرم الانتفاع به مع كون عينه امرا مرغوبا فيه ﴿قوله وجعله﴾ اى وجعل الاجتناب عن عينهما سببا يرجى منه الفلاح وذلك يدل على ان عدم الاجتناب سبب يؤدى الى الردى والهلاك ﴿قوله ثم قرر ذلك﴾ عطف على قوله اكد تحريم الخمر والميسر ﴿قوله تعالى فى الخمر﴾ متعلق بقوله يوقع وكلمة فى هنا لافادة معنى السببية كما فى قوله عليه الصلاة والسلام «دخلت امرأة النار فى هرة» اى بسبب ابقاء تمامها فمعنى الآية انما يريد ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر اى بسبب شربها ووقوع العداوة بين الفسقة بسبب شرب الخمر مبنى على ان الظاهر فيمن شرب الخمر ان يشربها مع جماعة حتى يستأنس بهم ويفرح بالمكالمة معهم ويؤيد ما كان بينهم من المودة والالفة الا ان ذلك ينقلب فى الاغلب الى ضد ذلك لان الخمر يزيل العقل واذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين اهل المجلس من الاحباب وتلك المنازعة ربما قادت الى القتل والضرب والمشافهة بالفحش من القول وذلك يورث العداوة والبغضاء فالشيطان يسول لهم اولا ان الاجتماع على الشرب يؤكد الالفة والمحبة وينقلب الامر بالآخرة فتحصل غاية العداوة والبغضاء واما وقوع العداوة والبغضاء بين القوم بسبب الميسر فلان الشيطان يسول لهم ابتداء انه وسيلة الى التوسعة على الفقراء المحتاجين والدخول فى عداد اصحاب المروءة والكرم الا انه ربما يؤدى بالآخرة الى ضياع ماله بالكلية فان صار مغلوبا فى القمار مرة دعاه ذلك الى اللجاج فيه على رجاء انه ربما صار غالبا فيه ويتفق انه لا يحصل له ذلك فيماودفيه الى ان لا يبقى له شئ من ماله فيبقى فقيرا مسكينا فيصير بسبب ذلك من اعدى الاعداء لاولئك الذين غلبوا عليه فظهر بما ذكر ان الخمر والميسر سببان عظيمان لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس ولا شك ان شدة العداوة والبغضاء من اقبح المفاسد الدنيوية المنافية لصلاح العالم واما كون تعاطيهما مؤديا الى المفاسد الدينية فلانهما يصدان متعاطيهما عن ذكر الله وعن الصلاة فان شرب الخمر يورث الطرب واللذة الجسمانية والنفس اذا استغرقت فى اللذة الجسمانية غفلت عن ذكر الله وعن الصلاة وكذا من قامر بالميسر ان كان غالبا صار استغراقه فى لذة الغلبة يورث الغفلة عن العبادة وان صار مغلوبا صارت شدة اهتمامه بان يحتال بحيلة يصير بها غالبا مانعا من ان يخطر بباله شئ سواه ﴿قوله وانما خصهما باعادة الذكر﴾ جواب عما يقال من انه تعالى امر اولا بالاجتناب عن الامور الاربعة جميعا ثم اقتصر على ذكر ما يوجب الاجتناب عن الخمر والميسر فقط فما الحكمة فى ذلك وتقرير الجواب ان الآية نزلت لنهى المؤمنين عما كانوا يتعاطون من تعاطى الخمر والميسر وليس من شأنهم عبادة الاصنام والاستقسام بالازلام وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر تأكيدا لقبح الخمر والميسر واظهارا لان هذه الاربعة متقاربة فى القبح والمفسدة فلما كان المقصود من الآية نهى المؤمنين عن تناول الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر فى آخر الآية واقتصر على بيان ما يوجب الاجتناب عنهما ولم يتعرض لذكر الانصاب والازلام ثانيا اذ ليسا مقصودين بالامر بالاجتناب عنهما حتى يبين ما يوجب ذلك الاجتناب ﴿قوله وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم﴾ جواب عما يقال لم عطفت الصلاة على ذكر الله تعالى مع اندراجها فيه لان المراد بذكر الله العبادة مطلقا اى عبادة كانت وسميت ذكر الله لكونها مسببة عن ذكر الله لان العابد انما يلابس العبادة تقربا الى الله تعالى وابتغاء لمرضاته وهربا من سخطه وعقابه ومن كان مريدا لصد الناس عن العبادة مطلقا كان مريدا لصدهم عن الصلاة بخصوصها فما الفائدة فى عطف الصلاة على ذكر الله تعالى بافرادها والجواب ان افرادها وعطفها على ذكر الله على طريق عطف الخاص على العام لاظهار شرفها ﴿قوله ثم اعاد الحث على الانتهاء﴾ عطف على قوله ثم قرر ذلك اى حرمة الخمر والميسر فان تقرير حرمتهما بمنزلة الحث على الانتهاء عنهما وكون الحث المذكور مرتبا على ما تقدم من الصوارف عن تعاطيهما مستفاد من الفاء السببية فانها تدل على ان هذه الامور اللازمة لهما توجب الانتهاء عنهما فاذا تليت عليكم تلك الامور فهل انتم مع استماع هذه الصوارف منتهون ام انتم ثابتون على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا لغاية الغفلة وقلة الفكرة وقيل لما كان الناس مولعين بشرب الخمر لكونه جالبا للسرور مزيلا للغموم لم يحرمها الله قطعا بمرة واحدة بل حرمها

وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال (فهل انتم منتهون) ايذانا بأن الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) فيما امرا به (واحذروا) ما نهيا عنه او مخالفتهما (فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد أدى وانما ضررتم به انفسكم

على سبيل التدريج واوّل ما نزل فى شأنها قوله تعالى فى سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس حيث يتجرون فيهما بيعا وشرآء وفيها شئ من المنافع البدنية فلما نزلت هذه الآية ترك بعض الناس شربها وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير وقال بعضهم نأخذ منفعتها ونترك اثمها فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فتركها بعضهم وقالوا لا حاجة لنا فيما يشغلنا عن الصلاة وشربها بعضهم فى غير اوقات الصلاة حتى نزلت هذه الآية فصارت حراما عليهم قطعا وقالوا انتهينا يارب عن شربها وذلك فى سنة ثلاث من الهجرة وروى ان الصحابة قالوا لما نزلت الآية بتحريم الخمر يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا اثنى الله عليهم ومدحهم بالتقوى والاحسان كأنه قيل انهم آمنوا واتقوا ما حرّم عليهم من مستلذات المطاعم ومشتهياتها وثبتوا على الايمان وازدادوا يقينا ثم اتقوا ما حرّم عليهم بعد ذلك كالخمر واتقوا المكروهات كالفضول وآمنوا بتحريمه ثم استمرّوا على التقوى وتحرّوا احسن الاعمال وافضلها او احسنوا الى الناس وواسوهم بما رزقهم الله من الطيبات فما شرط الله تعالى لانتفاء الجناح عمن طعم مستلذات المطاعم حصول التقوى والايمان فيه مرتين وفى المرة الثالثة حصول التقوى والاحسان اتجه ان يقال ما الحكمة فى تكرير اشتراط التقوى والايمان فيه وعطف احد المكرّرين على الآخر بكلمة ثم الدالة على التراخى ولا تراخى بين الشئ وبعضه فاجيب عنه بأن التكرير المذكور للتأكيد ويجوز ان يتخلل حرف العطف بين ما كرّر للتأكيد كما فى قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون واختار المصنف انه للتأسيس دون التأكيد وقدّر المتعلقات المتغايرة ليحصل اختلاف المعانى فحمل قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات على الاتقاء عن المحرّمات التى حرّمت قبل نزول آية تحريم الخمر والثبات على الايمان والاعمال الصالحة وحمل قوله ثم اتقوا واحسنوا على الاستمرار والثبات على الاتقاء عن جميع المعاصى المحرّمة مطلقا وثم للتراخى فى الزمن لان الاتقاء عما حرّم بنزول هذه الآية وكذا الثبات على الاتقاء عن جميع المعاصى المحرّمة مطلقا متراخ عن اصل الاتقاء ويحتمل ان يكون المراد بكلمة ثم التراخى فى الرتبة لان الثبات على الشئ فوق احداثه كما قيل

* لكل الى جنب العلى حركات * ولكن عزيز فى الرجال ثبات *

وقوله فيما طعموا اى فى شربهم الخمر واكلهم الميسر غلب المطعوم على المشروب لما مرّ من ان الآية نزلت جوابا لقول الصحابة فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر والطعام فيما يؤكل مضغا والشراب فيما يبتلع بدون المضغ فالطعم خلاف الشرب ويحتمل ان يكون الطعم فى قوله فيما طعموا من الطعم المتناول للاكل والشرب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى بعد قوله ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى جعل الطعم بمعنى الشرب * فان قيل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا يدل على ان الجناح انما ينتفى عن المؤمن الذى طعم مباحا بشرط ان آمن واتقى المعصية وعمل صالحا ومن المعلوم ان انتفاء الجناح عن المؤمن ليس مشروطا بشئ من الايمان والتقوى والاحسان وانما الجناح فى ترك شئ من تلك المذكورات لا فى تناول المباح عند انتفاء شئ منها فما الوجه فى تقييد انتفاء الجناح عمن تناوله بقوله اذا ما اتقوا وآمنوا * اجيب عنه بان قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا الخ لم يذكر لتقييد نفى الجناح عنهم بتحقق هذه الاوصاف فيهم بل المقصود منه توصيفهم بتلك الاوصاف السنية مدحا لهم وثناء عليهم فالصحابة الذين قالوا كيف بأخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر ثم جوابهم بقوله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من المباحات لانهم طعموها قبل ان حرّمت وما ذكر بعده ما ذكر لمجرّد المدح والثناء عليهم ويدل عليه ختم الكلام بقوله والله يحب المحسنين فان تلك الاوصاف لو ذكرت لاشتراط نفى الجناح عنهم باتصافهم بها لما كان لختم الكلام بذلك وجه ﴿قوله ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة﴾ ما قبل زمان تحريم الخمر وزمان تحريمها وما بعد تحريمها او زمان الشباب وزمان الكهولة وزمان الشيوخة او زمان ابتداء الايمان وزمان الوفاة وما بينهما ﴿قوله او باعتبار الحالات﴾ بينها المصنف بقوله استعمال الانسان التقوى والايمان فان الانسان له ثلاث احوال حالة مع نفسه وحالة مع الناس وحالة مع الله تعالى وينبغى ان يلازم التقوى والايمان فى كل واحدة من هذه الاحوال بأن يباشرهما فى كل واحدة من هذه الاحوال ويحتمل ان يكون قوله

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ مما لم يحرّم عليهم لقوله ﴿اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ اى اتقوا المحرّم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ﴿ثم اتقوا﴾ ما حرّم عليهم بعد كالخمر ﴿وآمنوا﴾ بتحريمه ﴿ثم اتقوا﴾ ثم استمرّوا وثبتوا على اتقاء المعاصى ﴿وأحسنوا﴾ وتحرّوا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدّل الايمان بالاحسان فى الكرّة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرّمات توقيا من العقاب والشبهات تحرّزا من الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة ﴿والله يحب المحسنين﴾ فلا يؤاخذهم بشئ وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا

استعمال الانسان التقوى عطف بيان لاعتبار الاوقات والحالات جميعا والمعنى استعمال الانسان التقوى والايمان فى حال خلوته مع نفسه وفى حال اجتماعه مع الناس وفى حال اشتغاله بعبادة ربه وفى زمان خلوته وزمان اجتماعه مع الناس ووقت معاملته مع خالقه وقوله ولذلك اى ولكون استعمال التقوى والايمان مما لابد منه فيما بينهم وبين الله تعالى بدل الايمان بالاحسان اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره وهو قوله « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » فكأنه قيل ثم اتقوا واحسنوا فيما بينهم وبين الله تعالى بأن عبدوه بكمال الخشوع والتواضع وقوله او باعتبار المراتب وهى مرتبة كونه مؤمنا بالايمان التقليدى ثم اليقينى العلمى ثم العيانى ويترتب عليه العمل الصالح فى المراتب الثلاث او مرتبة دخوله فى الايمان ومرتبة توفيه عليه وفيما بين المرتبتين او مرتبة شبابه وكهولته وشيوخته وقوله او باعتبار مايتقى اى مايتقى منه وهو ثلاثة امور المحرمات والشبهات وبعض المباحات فانه يتقى من المحرمات توقيا من العقاب ومن الشبهات تحفظا للنفس من الوقوع فى الحرام ومن بعض المباحات اى من محقراتها صونا للنفس عن الخسة والدناءة ومن نفائسها صونا للنفس عن دنس اتباع الشهوات الطبيعية وعلى كل واحد من هذه الاحتمالات يكون التكرير للتأسيس لا للتأكيد وكلمة اذا فى قوله تعالى اذا ما اتقوا ظرف منصوب بما يفهم من الجملة السابقة وهى جملة ليس مع ما فى حيزها والتقدير لا يأثمون ولا يؤاخذون وقت اتقائهم ويجوز ان لاتكون ظرفا محضا بل يكون فيه معنى الشرط ويكون جوابه محذوفا او مقدما على اختلاف البصريين والكوفيين ﴿ قوله تعالى ليبلونكم ﴾ اى ليختبرن ايكم هو المطيع لربه المتبع لرضوانه وايكم المائل لشهوته والمطاوع لطبيعته والمعنى ليعاملنكم معاملة المختبر ابتلاهم الله بالصيد يوم الحديبية وهم محرمون للعمرة فانه عليه الصلاة والسلام كان معتمرا حينئذ مع اصحابه فكثر الصيد فيها حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم فنهوا عن صيده ابتلاء واختبارا حتى يتميز المطيع من العاصى امتحن الله هذه الامة بصيد البر كما امتحن اصحاب السبت بصيد البحر وهو صيد السمك فى البحر واللام فى ليبلونكم لام جواب قسم محذوف اى والله ليبلونكم وتجب اللام واحدى النونين فى مثل هذا الجواب وقوله بشئ متعلق بقوله ليبلونكم اى ليختبرنكم بتحريم شئ وقوله من الصيد فى محل الجر صفة لشئ فيتعلق بمحذوف ومعنى التقليل والتبعيض فى قوله بشئ من الصيد التنبيه على ان التكليف بالامتناع عنه ليس كالابتلاء ببذل الارواح والاموال بل هو ابتلاء سهل لاصعوبة فيه ولامشقة فانه تعالى لم يحرم صيد الحلال ولاصيد الحل ولاصيد البحر والصيد ههنا ليس بمعنى المصدر بل هو بمعنى المصيد كضرب الامير ويدل عليه قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فان الحدث لا يوصف بأنه تناله الايدى والرماح وانما يوصف به الاعيان وقوله تناله فى محل الجر على انه صفة ثانية لشئ والصيد وان كان اسما للمتوحش الممتنع فهو آخذه او يجتاحه الان كثرة الصيد قد تؤدى الى ان ينال منه بالايدى والرماح ﴿ قوله ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر ﴾ جعل العلم مجازا عن تميز المعلوم وظهوره على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب لتعذر حمله على اصل معناه من حيث ان علمه تعالى مقتضى ذاته تعالى فيمتنع عليه التجدد والتغير كما يمتنع ذلك على نفس ذاته واللام فى قوله تعالى ليعلم لام كى متعلقة بقوله ليبلونكم اى ليبلونكم بذلك ليتميز الخائف من عقابه بما لاعقاف منه وجعل الخوف من الله بمعنى الخوف من عقابه حال كون ذلك العقاب ملتبسا بالغيبة اى حال كونه غائبا منتظرا وقوعه فى الآخرة ﴿ قوله او تعلق العلم ﴾ عطف على قوله وقوع المعلوم وظهوره فان علم الله وان كان ازليا ابديا يجوز عليه التجدد والتغير باعتبار تعلقاته بتجدد المعلومات وحدوثها فيكون العلم مجازا عن تعلقه بالمعلوم على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم اى ليتعلق علمه تعالى بوجود الخائف من عقابه كما تعلق به قبل وجوده بأنه سيوجد ليثيبه على عمله حسب عمله فى حقه ﴿ قوله فالوعيد لاحق به ﴾ وهو عذاب الآخرة والتعزير فى الدنيا فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذا العذاب هو ان يضرب ظهره وبطنه ضربا وجيعا وينزع ثيابه فان اسم العذاب قد يطلق على الضرب كما فى قوله تعالى فى حق جلد الزانيين وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم ان الصيد اسم لكل ممتنع متوحش فى اصل خلقته من الحيوانات سواء كان مأكول اللحم اولم يكن وهذا عند ابى حنيفة رحمه الله والمحرم اذا قتل سبعا لايؤكل لحمه ضمن قيمة شاة عنده وقال زفر يجب قيمته بالغة مابلغت وذلك لأن السبع صيد محرم فيدخل تحت قوله لاتقتلوا الصيد وانتم

(يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله ايديكم ورماحكم) نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على انه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو اشد منه (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لايخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم (فمن اعتدى بعد ذلك) بعد ذلك الابتلاء بالصيد (فله عذاب اليم) فالوعيد لاحق به فان من لايملك جاشه فى مثل ذلك ولايراعى حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه واحرص عليه

(محرم)

حرم ويدل عليه قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه

صيد الملوك ارانب وثعالب ۞ واذا ركبت فصيدي الابطال ۞

وهو جمع بطل وهو الشجاع وقال الامام الشافعي رحمه الله الصيد اسم مايؤكل لحمه فلا يجب الضمان عنده بقتل السبع ﴿قوله كرداح وردح﴾ الرداح والرجاح بمعنى وهي الضخمة الثقيلة امرأة كانت او كتيبة او جفنة وقيل الرداح المرأة الثقيلة الاوراك وكتيبة رداح اي ثقيلة السير لكثرتها والرداح الجفنة العظيمة والجمع ردح والرجاح المرأة العظيمة العجز والجمع رجح ككفال وكفل وقيل قوله تعالى وانتم حرم معناه وانتم داخلون في الحرم وقيل وانتم حرم يتناول كلا الامرين اعني من كان حراما محرما ومن كان داخل الحرم فعلى مااختاره المصنف وهو ان يكون الحرم جمع محرم يكون مدلول الآية ان المحرم ليس له ان يتعرض للصيد مادام محرما لا بالسلاح ولا بالجوارح من الكلاب والطيور سوآء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم بخلاف الحلال فان له ان يتصيد في الحل فقط اي في اي موضع اتفق من الحل ﴿قوله للتعميم﴾ فانه لو قيل لاتذبحوا الصيد ولاتذكوه لكان النهي عن ازهاق الروح بطريق مخصوص وهو الذبح فقيل لاتقتلوا الصيد ليعم حكم النهي ازهاق الروح باي طريق كان ﴿قوله ويؤيده﴾ اي يؤيد كون المراد بالصيد مايؤكل لحمه كما ذهب اليه الامام الشافعي ووجه التأييد انه عليه الصلاة والسلام حرّم قتل صيد حرم مكة حيث قال « ولا ينفر صيدها » ثم انه عليه الصلاة والسلام لما حكم بقتل هؤلاء الخمس التي لايؤكل لحمها فهم منه انها ليست بصيد دفعا لتعارض الحديثين ﴿قوله مع مافيه﴾ اي مافي الحديث من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ ووجه التنبيه ان هذا الحديث رواه الامام هكذا خمس فواسق لاجناح على من يقتلهن في الحل والحرم الحدأة الخ فانه عليه الصلاة والسلام وصفها بكونها فواسق ثم حكم بأنه لايمنع من جواز قتلها الاحرام ولا الحرم ومن المعلوم تقييد الحكم بالوصف المناسب للعلية يشعر كون ذلك الوصف علة للحكم فيلزم منه ان يكون كونها فواسق علة حل قتلها ولامعنى لكونها فواسق الا لكونها مؤذية فثبت ان صفة الفسق والايذآء علة لجواز قتل الحيوان ثبت دلالة الحديث على جواز قتل كل مؤذ ذي صفة الفسق وان لم يكن مصرّحا بها في رواية المصنف الا انها مفهمة من تخصيص هذه المؤذيات بالذكر قال صاحب الكافي وان قتل سبعا لايؤكل لحمه يجب عليه الجزآء وقال الامام الشافعي رحمه الله لاشيء عليه لانه عليه الصلاة والسلام انما استثنى هذه الخمس لانها خلقت مؤذية بطبعها وكل ماكان طبعه الايذآء صار كالخمس المستثنيات ﴿قوله واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني﴾ اي كما ذهب اليه الحنفية او لايلحق بهما بل يجعل كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب كما ذهب اليه الامام الشافعي فان المحرم اذا ذبح صيدا فذبيحته ميتة لايحل اكلها عندنا وقال الامام الشافعي لايحل للمحرم الذابح وتحل لغيره كما تحل ذبيحة الغاصب حتى لمالكها ولمن اذن له المالك لالغيرهم والفرق بين ذبح الغاصب وذبح المحرم الصيد كون ذبح الغاصب ذبحا شرعيا يفيد حل المذبوح ولايعتبر ذبح المحرم اصلا بل يجعل المذبوح ملحقا بالميتة وذلك ان النهي عن الذبح ان كان لمعنى في الذابح كالاحرام او في المذبوح مثل كونه خنزيرا كان ذلك النهي نهيا لمعنى في عين الفعل فكان مانعا من ان يكون المنهي عنه مشروعا مفيدا للحل وان كان النهي عن الذبح مثلا لمعنى ثالث وهو المالك ههنا كان النهي لمعنى في غيره ومثل هذا النهي لايمنع كون المنهي عنه في نفسه مشروعا معتبرا مفيدا للحل فلما لم يكن نفس ذبح الغاصب حراما لعينه بل كانت حرمته لصيانة حق المالك بدليل ان تلك الحرمة تزول باذن المالك وان كان حراما محضا في حق غيرهم حتى لو اضطر المسلم الى اكل الحرام وتمكن من اكل الميتة واكل مال الغير كان عليه ان يأكل الميتة لامال الغير كما صرّح به في المحيط ووجهه ظاهر جعل الامام الشافعي ذبح المحرم حراما لغيره وجعل نهيه عن الذبح لمعنى في غيره كالنهي عن الصلاة في الارض المغصوبة لم يلغ حكم الذبح ولم تلحق ذبيحته بالميتة خلافا للحنفية ومنكم في قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا حال من فاعل قتله اي قتله كائنا منكم اي من المؤمنين ولعل المقصود من التقييد بالحال توبيخ المؤمن على عدم جريه على مقتضى ايمانه وقوله متعمدا حال ايضا من فاعل قتله على رأي من يجوّز تعدد الحال من شيء واحد ومن لم يجوّزه جعل منكم من البيان حتى لايتعدد الحال ومعنى كون القتل حال التعمد أن يقتله وهو ذاكر لاحرامه عالم بان ذلك القتل حرام عليه ﴿قوله والاكثر على ان ذكره﴾ اي ذكر قوله متعمدا ليس لتقييد وجوب الجزآء بكون القاتل متعمدا القتل لان قتل المتعمد والمخطيء سوآء في الايجاب عند اكثر العلماء وانما ذكره ليرتب عليه الوعيد بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد

{ياايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم} اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد مايؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع مافيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب {ومن قتله منكم متعمدا} ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل مايقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزآء فان اتلاف العامد والمخطيء واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت

فينتقم الله منه اى يكافئه عقوبة بما صنع فان وبال القتل المترتب على هتك حرمة الاحرام الانتقام وهو مكافأة من تعمد المعصية قبل فما اخص الوبال و الانتقام عن تعمد ولاوبال ولاانتقام على المحرم فى قتل الصيد خطأ قيد القتل بقوله متعمدا لايدل على سقوط الضمان عند انتفاء القيد وذلك لانه تعالى حرم على المحرم قتل صيد البر لاجل احرامه فلما كانت حرمة فعله مبنية على هتك حرمة الاحرام لم يسقط الضمان بالخطأ والجهل كما فى حلقه حال الاحرام وكما فى اتلاف مال المسلمين فانه لما ثبتت حرمته لحق المالك كان اتلاف العامد والخاطئ سوآء فى ايجاب الضمان وقال سعيد بن جبير لايجب كفارة الصيد بقتله خطأ وهو قول داود لان نص الكتاب انما اوجب الجزآء بقتله عمدا فوجب ان لايجب شئ عند انتفاء التعمد وذهب عامة الفقهاء الى ان المخطئ فى قتل الصيد الحق بالمتعمد فى وجوب الجزآء بالسنة وقالوا ان التنصيص بقيد متعمدا لايدل على انتفاء الحكم عند انتفاء القيد بالاتفاق اما عند الحنفية فلعدم قولهم بالمفهوم واما عند الشافعية فلان المفهوم انما يثبت اذا لم يكن للتقييد فائدة اخرى وفائدة التقييد ههنا تفريع العامد بهتكه حرمة الاحرام عامدا وان يفرع عليه قوله ليذوق وبال امره وقوله ومن عاد فينتقم الله منه فانهما لايترتبان على قتل الصيد خطأ وكان القياس ان لايجب الضمان على من قتل الصيد خطأ وهو محرم الا ان القتل خطأ ألحق بالتعمد للتغليظ والاشعار بان قتل المحرم فى عظم الجناية وغلظها بحيث يستوى فيه العمد والخطأ وقوله ولان الآية نزلت فيمن تعمد وجه ثان لذكر التعمد فى الآية وهو كونه سببا لنزول الآية **قوله برفع الجزآء** اى ان الكوفيين وهم عاصم وحمزة والكسائى قرأوا فجزآء مرفوعا منونا على انه مبتدأ حذف خبره اى فعليه جزآء او خبر مبتدأ محذوف اى فواجبه جزآء وقوله مثل على التقدير بن صفة جزآء اى فعليه جزآء مماثل للمقتول فى القيمة عند ابى حنيفة وفى الخلقة والصورة عند الامام الشافعى والجملة جواب الشرط ان كانت كلمة من فى قوله من قتله شرطية والفاء فاء جواب الشرط فان كانت موصولة تكون الجملة المصدرة بالفاء فى محل الرفع على الخبرية وتكون الفاء زآئدة لتضمن المبتدأ معنى الشرط **قوله وعليه لايتعلق الخ** اى وعلى تقدير ان يكون جزآء مرفوعا منونا لايجوز ان يتعلق قوله من النعم بنفس جزآء لانه مصدر موصوف لايعمل ولان المصدر المنون بمنزلة الموصول وان معموله من تمام صلته وقد تقرر ان الموصول لايوصف الا بعد تمام صلته لئلا يلزم الفصل بينهما باجنبى فلما امتنع كونه معمولا لنفس جزآء تعين كونه متعلقا بمحذوف اى فعليه جزآء كائن من جنس النعم **قوله وقرأ الباقون** اى ماعدا الكوفيين من السبعة فجزآء مثل برفع جزآء غير منون بل مضافا الى مثل على طريق اضافة المصدر الى المفعول فيكون مثل المقتول خلقة او قيمة عوضا عنه وان جعلت الاضافة بمعنى من يكون لفظ المثل مقحما اذ مثل المقتول ليس معوضا عنه بل هو نفس العوض والجزآء لان المثل ليس بمقتول حتى يجب على القاتل جزآؤه بل يجب عليه جزآء عين ماقتله فيكون لفظ المثل مقحما كما فى قولك انا اكرم مثلك وانت تريد انا اكرمك على ان يكون اكرام مثل المخاطب كناية عن اكرام نفس المخاطب فكذلك ههنا يكون وجوب جزآء مثل المقتول كناية عن وجوب جزآء نفس المقتول **قوله والمعنى** اى ان معنى الآية سوآء قرئت كما قرأها الكوفيون برفع جزآء منونا ورفع مثل على انه صفته اوكما قرأها الباقون باضافة المصدر الى مفعوله فعليه ان يجزى مثل ماقتل **قوله وقرئ بنصبهما** على ان جزآء مصدر فعله المحذوف ومثل صفته ثم ان كلمة من فى قوله ومن قتله ان كانت شرطية يكون الفعل المحذوف مع مافى حيزه جواب الشرط ويكون التقدير فليجز جزآء وان كانت موصولة اسمية تكون الجملة المصدرة بالفاء جملة اسمية مرفوعة المحل على انها خبر المبتدأ ويكون التقدير فعليه ان يجزى جزآء مماثل ماقتل **قوله وبجزآؤه مثل ماقتل** اى وقرئ برفع جزآء مضافا الى ضمير من قتله ورفع مثل على انه خبره **قوله وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند الامام مالك والامام الشافعى** احتجاجا بقوله تعالى هديا بالغ الكعبة ومعلوم ان قيمة المقتول ليس هديا يبلغ الكعبة وانما الهدى مايماثل المقتول صورة والقول بأن الجزآء هو القيمة التى يشترى بها الهدى مخالف لظاهر النص بغير دليل وبان مشاهير الصحابة قد حكموا فى جزآء الصيد بالمثل من النعم صورة فحكموا فى النعامة ببدنة وفى حمار الوحش ببقرة وفى الضبع بكبش وفى الغزال بعنز وهى الانثى من المعز وفى الظبى بشاة وفى الارنب بجفرة وفى رواية بعناق وفى الضب بسخلة وهى ولد المعز ذكرا كان او انثى وفى اليربوع بجفرة وذلك يدل على انهم لم يعتبروا المماثلة فى القيمة بل فى الصورة والظبى هو الغزال الكبير والغزال هو الانثى واليربوع هو الفارة الكبيرة تكون فى الصحرا والجفرة الانثى من اولاد المعز المنفصلة عن امها والذكر منها

(فجزاء مثل ماقتل من النعم) برفع الجزاء والمثل قرأه الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزآء يماثل ماقتل من النعم وعليه لايتعلق الجار بجزآء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لايتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لايقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ماقتل وقرئ فجزآء مثل ماقتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء يماثل ماقتل وبجزآؤه مثل ماقتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى

جفر والعناق الانثى من اولاد المعز اذا قربشر من تمام الحول واحتج ابو حنيفة رحمه الله بانه لا نزاع فى ان الصيد
المقتول اذا لم يكن له مثل صورة فانه يضمن بالقيمة فكان المراد بالمثل فى هذه الصورة هو القيمة فوجب ان يكون المراد
فى سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على المعنى الواحد ﴿قوله وقال يقوم الصيد﴾ يعنى ان
اباحنيفة رحمه الله لما اوجب قيمة المقتول لا مثله صورة قوم الصيد بقيمته فى المكان الذى قتل فيه الصيد ثم خير
القاتل فقال ان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء صرفها الى الطعام وتصدق به لكل مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره وان شاء صام عن كل نصف صاع من البر يوما وعن صاع من غيره يوما خلافا
للامام الشافعى فانه اوجب المثل صورة وقال القاتل مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم فى الحرم
وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء يقوم المثل بالدراهم ويشترى بها طعاما فيتصدق به على مساكين الحرم
لكل مسكين مد من طعام وان شاء صام عن كل مد يوما ﴿قوله واللفظ الاول اوفق﴾ اى لفظ الآية
وهو قوله تعالى فجزآء مثل ما قتل من النعم اوفق لما ذكر من الامور الثلاثة على تقدير ان تبلغ قيمة الصيد المقتول
ثمن الهدى وهو ان يشترى بتلك القيمة طعاما فيتصدق به على مساكين الحرم لان المماثلة بين المقتول وبين الهدى
والطعام اكثر من المماثلة بينه وبين الصوم ﴿قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم﴾ اى من اهل ملتكم ودينكم
صفة جزآء بعد وصفه بقوله مثل ما قتل اى فعليه جزآء يحكم به فقيهان عدلان يعينان ان اى شئ من النعم اشبه
بالمقتول ويحكمان بانه هو المماثل له دون غيره وهذا على تقدير ان يراد بالمماثلة المماثلة صورة وخلقة وان كان
المراد بها المماثلة من جهة القيمة كما قال به الحنفية يكون المعنى فعليه جزآء يحكم به عدلان ذوا بصيرة فى معرفة قيم
الاشياء وتقويمها ويحتمل ان يكون فى محل النصب على الحالية ثم ان كان تقدير الكلام فعليه جزآء مماثل تكون
جملة يحكم به ذوا عدل صفة جزآء ولا يجوز كونه حالا من قوله فجزآء لانه مبتدأ وان كان تقدير الكلام فواجبه جزآء
مماثل على ان اسم الفاعل مع فاعله خبر من فى قوله من قتله منكم متعمدا فحينئذ تكون الجملة حالا من قوله جزآء لانه
مخصص بالصفة لم يكن نكرة محضة فجاز ان يتأخر الحال عنه وان قرئ فجزآء مثل ما قتل باضافة جزآء الى مثل جاز
ان تكون الجملة حالا من جزآء مع تأخرها عنه لان جزآء وان كان نكرة الا انه تخصص بالاضافة الى مثل فجاز ان يتأخر
عنه ما وقع حالا منه وانما قلنا ان الجزآء المضاف الى المثل نكرة لان لفظ مثل لا يتعرف بالاضافة الى المعرفة فلا
يتعرف لفظ جزآء باضافته اليه ﴿قوله وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة
اليهما﴾ جواب عما تمسك به الحنفية فى اعتبار المماثلة فى القيمة دون الهيئة وهو ان المحتاج الى النظر والاجتهاد هو
معرفة قيمة المقتول وتعيين القدر المماثل لقيمته بخلاف معرفة ما يماثل المقتول صورة فان المماثلة الصورية تعرف
بالمشاهدة ولا يحتاج فى معرفتها الى النظر والاجتهاد * وتقرير الجواب ان المقتول قد يشابه انواعا شتى من النعم من
وجوه مختلفة فتعيين ما يماثل المقتول من تلك الانواع والحكم بانه المماثل له دون غيره مع ان المقتول يماثل كل
واحد منها من وجه يحتاج الى النظر ويدل على صحة هذا الجواب ما روى ان اعرابيا جاء الى ابى بكر رضى الله عنه
فقال انى اصبت من الصيد كذا وكذا فما جزآؤه فسأل ابو بكر ابى بن كعب رضى الله عنه فقال الاعرابى انا
آتيك اسألك وانت تسأل غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك وقد قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت
صاحبى فاذا اتفقنا على شئ امرناك به ﴿قوله هديا حال من الهاء فى به﴾ اى حال مقدرة اى يحكم به
عدلان حال كونه مقدرا انه هدى وهو يؤيد كون المراد بالجزآء المماثل ما يماثل المقتول صورة لان اسم الهدى
لا يطلق على القيمة عرفا ﴿قوله او بدل من مثل باعتبار محله﴾ على ان يكون مجرورا باضافة المصدر اليه فانه
حينئذ يكون فى محل النصب على انه مفعول المصدر ﴿قوله لان اضافته لفظية﴾ علة لجواز ان توصف النكرة
بالمضاف الى المعرفة فان اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اضافة لفظية لا تفيد تعريفا للمضاف فجاز ان يكون المضاف
صفة للنكرة كما فى قوله تعالى هذا عارض ممطرنا وبالغ اسم فاعل اضيف الى مفعوله والاصل بالغا الكعبة اضيف
الى مفعوله ليحصل التخفيف بحذف التنوين ﴿قوله والمعنى﴾ اى معنى قوله تعالى او كفارة طعام مساكين عند
الامام الشافعى او ان يكفر باطعام ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فانه لما اوجب على من قتل الصيد
محرما ما يماثل المقتول صورة من النعم جعل معنى التخيير المستفاد من كلمة او كون القاتل مخيرا بين ان يذبح ذلك
المماثل فى الحرم وبين ان يقوم ذلك المماثل بالدراهم ويشترى بها طعاما يساوى قيمة ذلك المماثل من النعم ويطعمه

والقيمة عند ابى حنيفة وقال يقوم الصيد
حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى تخير
بين ان يهدى ما قيمته قيمته وبين ان يشترى
بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع
من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم
عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير
بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق
(يحكم به ذوا عدل منكم) صفة جزآء
ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره
او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر
مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر
واجتهاد تحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة
اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ
ذو عدل على ارادة الجنس او الامام (هديا)
حال من الهاء فى به او من جزآء وان نون
لتخصصه بالصفة او بدل من مثل باعتبار
محله او لفظه فيمن نصبه (بالغ الكعبة)
وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به
ثم وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء (او كفارة) عطف على جزآء
ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف (طعام
مساكين) عطف بيان او بدل منه او خبر
محذوف اى هى طعام وقرأ نافع وابن عامر
كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم
فضة والمعنى عند الشافعى او ان يكفر
باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى
من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا

مساكين الحرم ﴿قوله او ماساواه من الصوم﴾ اى او فعليه مايساوى ذلك الطعام من الصوم على ان يكون قوله او عدل ذلك معطوفا على قوله فجزآء ويكون عدل الشئ بمعنى مايساويه ويكون ذلك اشارة الى الطعام ويكون صياما تمييزا على طريق قولك عدله عسلا والمعنى او قدر ذلك الطعام صياما والعدل فى الاصل مصدر بمعنى تعديل الشئ اطلق للمفعول وهو ماعدل بالشئ ﴿قوله ثقل فعله او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى﴾ يعنى ان المراد بالامر فى قوله تعالى وبال امره امافعل قاتل الصيد وهو محرم وهو هتكه حرمة الاحرام او امر الله تعالى على حذف المضاف اى وبال مخالفة امر الله تعالى وكانه اخذ معنى الشدة من اضافة الوبال الى امر الله تعالى فان بطشه لمن عصاه وخالف امره شديد ﴿قوله فهو ينتقم الله منه﴾ قدر المبتدأ لان كلمة من فى قوله تعالى ومن عاد شرطية وقوله فينتقم جزآء الشرط والجملة الفعلية الجزآئية لاتحتاج فى ارتباطها بالشرط الى الفاء الجزآئية فلو قيل من يكرمنى فاكرمه لكانت الفاء لغوا ضائعا بخلاف الجملة الاسمية فانها لاتقع جزآء الامصدرة بالفاء فقدر المبتدأ فى الاية لئلا تصير الفاء الجزآئية لغوا ﴿قوله وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد﴾ يعنى ان من عاد الى قتل الصيد محرما بعد ماحكم عليه بالجزآء وادى جزآء فى المرة الاولى لزمه جزآء آخر عند الجمهور لان الحكم يتكرر بتكرر علته ومع ذلك يتوجه عليه الوعيد بقوله ينتقم الله منه فى الآخرة والاقتصار على هذا الوعيد فى نظم التنزيل لايدل على عدم لزوم الجزآء فى المرة الثانية لجواز ان يكون الاكتفاء بايجاب الكفارة عليه فى كل مرة كما ذهب اليه عامة العلماء ﴿قوله ماصيد منه مما لايعيش الا فى الماء﴾ يعنى ان الصيد هنا بمعنى المصيد وان المراد بالبحر الماء مطلقا سوآء كان بحرا متعارفا او نهرا وان اضافة الصيد الى البحر للاختصاص ومعنى اختصاصه به ان لايعيش الا فى الماء وما يعيش فى البر والبحر كالبط والاوز والسلحفاة ونحوها لايسمى صيد البحر فيجب الجزآء على قاتله وكل مالايعيش الا فى الماء يحل اكله عند الامام الشافعى لقوله عليه الصلاة والسلام فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته ولعموم هذه الآية فان معناها احل لكم ان تصيدوه وان تطعموه وعند ابى حنيفة رحمه الله لايحل منه الا السمك وحده فان اكله حلال سوآء صيد حيا او وجد ميتا لان السمك له اصناف مختلفة بحسب اختلاف صوره ومنه مايقال له حية الماء لكونه على شكل الحية يحل اكله بالاتفاق ﴿قوله تعالى وطعامه﴾ معطوف على صيد البحر والضمير للبحر فلا بد ان يكون طعام البحر مغايرا لصيده لان العطف يقتضى تغاير المعطوفين فاشار المصنف الى وجه المغايرة بينهما بأن المراد بصيد البحر ماصيد بالحيلة وهو حى وبطعامه ماقذفه البحر الى الساحل او نضب عنه الماء اى غار فى الارض بأن شربته الارض وبقى هو فى ارض يابسة فأخذ من غير حيلة فى اخذه ومنهم من احل الطافى من السمك بناء على تفسير طعام البحر بهذا التفسير ولا يستقيم ذلك على قول ابى حنيفة لان ماأخذ من غير حيلة انما يحل عنده اذا مات بسبب كالوقوع على حجر وانحسار الماء عنه وهو حى عملا بالاحاديث الواردة فى تحريم الطافى ﴿قوله وقيل﴾ اى فى وجه التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه أن صيد البحر بمعنى الاصطياد وان ضمير طعامه للصيد بمعنى المصيد على طريقة الاستخدام ومعنى طعام المصيد اطعامه على ان يكون الطعام اسم مصدر كالنبات بمعنى الانبات حينئذ يقدر له مفعول اى اطعامكم اياه انفسكم ولا شك ان الاصطياد فى البحر مغاير لأكل المصيد فيصح العطف بهذا الوجه ايضا الا ان فيه نوع تكلف فلذلك ضعفه المصنف ﴿قوله فعلى الاول﴾ اى على ان يكون الصيد بمعنى المصيد يحرم على المحرم ماصاده غيره محرما كان او حلالا لدخوله تحت عموم قوله وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما وان كان الصيد بمعنى الاصطياد يكون ماحرم على المحرم هو ان يصطاد صيد البر بنفسه فلا يحرم عليه ماصاده الحلال مالم يكن للمحرم مدخل فيه فتكون هذه الآية تأكيدا وتقريرا لما سبق فى هذه السورة من قوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم الى قوله واذا حللتم فاصطادوا ومن قوله لاتقتلوا الصيد وانتم حرم فالمناسب ان يكون الصيد فى هذه الآية بمعنى الاصطياد وهو قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما واما ماصاده الحلال فللمحرم ان يأكل منه اذا لم يكن له مدخل فى اصطياده لقوله عليه الصلاة والسلام صيد البحر حلال لكم مالم تصيدوه او يصد لكم وروى ان ابا قتادة رأى حمارا وحشيا ومعه اصحاب له محرمون وهو غير محرم فاستوى على فرسه فسأل اصحابه ان يناولوه رمحه فأبوا فأخذه ثم شد على الحمار فقتله فأكل منه بعض اصحاب رسول الله وابى بعضهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال عليه الصلاة والسلام كل مابقى منه وهو يدل على اباحة مااصطاده الحلال للمحرم عند انعدام الاثارة والاعانة وهذا يدل على

(او عدل ذلك صياما) او ماساواه من الصوم فيصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل (ليذوق وبال امره) متعلق بمحذوف اى فعليه الجزآء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة (ومن عاد) الى مثل هذا (فينتقم الله منه) فهو ينتقم الله منه وليس فيه مايمنع الكفارة عن العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح (والله عزيز ذو انتقام) ممن اصر على عصيانه (احل لكم صيد البحر) ماصيد منه مما لايعيش الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام فى البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لايحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره فى البر (وطعامه) ماقذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله (متاعا لكم) تمتيعا لكم نصب على الغرض (وللسيارة) اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا (وحرم عليكم صيد البر) اى ماصيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه او يصد لكم (مادمتم حرما) اى محرمين

جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ﴿قوله وقرئ بكسر الدال﴾ اى قرئ مادمتم بكسر الدال من دام يدام مثل خاف يخاف من باب علم وهى لغة فى دام يدوم مثل مات يموت ومات يمات وما فى قوله مادمتم مصدرية ظرفية ولا تستعمل الاظرفا كما استعمل المصدر ظرفا والمعنى حرم عليكم صيد البر مدة دوامكم محرمين ﴿قوله صيرها﴾ يعنى ان جعل ههنا بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين اولهما الكعبة والثانى قياما ومن قال انه بمعنى خلق جعله متعديا الى واحد وهو الكعبة وجعل قياما منصوبا على الحال والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة تشبيها له بكعب الرجل الذى عند ملتقى الساق والقدم فى كونه على هيئته فى التربيع وقيل سميت كعبة لارتفاعها عن الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمى الكعب كعبا لنتوئه وخروجه عن جانبى القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثديها انها تكعبت اى صارت كاعبا والتكعب نهود الثدى قال الله تعالى وكواعب اترابا والكعبة المعظمة لما ارتفع ذكرها فى الدنيا واشتهر امرها فى العالم سميت بهذا الاسم وكذلك يقال لمن عظم شأنه وارتفع قدره فلان علا كعبه فقول المصنف لكعبه يجوز ان يكون بمعنى لتربعه وان يكون بمعنى لارتفاعه ﴿قوله انتعاشا لهم﴾ اى ارتفاعا لهم من الضعف يقال نعشه الله نعشا اى رفعه وانتعش العاثر اذا نهض من عثرته ﴿قوله يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار﴾ استئناف لبيان كونه سببا لانتعاشهم فى امر معاشهم وقوله ويتوجه اليه الحجاج والعمار بيان لكونه سببا لانتعاشهم فى امر معادهم فان مافى البيت من المناسك العظيمة والطاعات الشريفة سبب لحط الخطيئات وارتفاع الدرجات ونيل الكرامات واصل قياما قواما لانه من قام يقوم فقلبت الواو ياء لانكسار ماقبلها والقيام مايستقيم به الامر ويصلح به الحال مثل الكعبة فانها سبب لقوام مصالح الناس كما يحكى عن عطاء بن ابى رباح انه قال لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا اى ينزل عليهم العذاب فيهلكون جميعا ﴿قوله او مايقوم به امر دينهم ودنياهم﴾ يعنى ان البيت الحرام سبب لقيام والانتعاش لان القائم المتقوى على الاول هم الذين يزورون فانهم يتقوون بسبب البيت فى امر معاشهم ومعادهم وعلى الثانى هو الامور المتعلقة بامر دينهم ودنياهم وقوام الشئ وقيامه مايقوم به شأنه ويختص به ﴿قوله اعل عينه﴾ جواب عما يقال لو كان مصدرا كالشبع لصح واوه كما صح واو حول وعول فان حروف العلة انما تعل اذا كانت فى فعل او فى اسم على وزن فعل وقبليس منهما وتقرير الجواب انه قد يعل حرف العلة فيما لا يكون فعلا ولا اسما على وزن فعل تبعا كما اعل واو ديار تبعا لواحده وهو دار فانه اسم على وزن فعل فأعل ثم اعل جمعه تبعا له واعل قيام تبعا لفعله وهو قام فكذا اعل قيم تبعا لفعله وقياما فى هذه القرآءة منصوب على المصدرية سوآء كان جعل بمعنى خلق او بمعنى صير وكان البيت الحرام مفعوله الثانى والكعبة الاول اى خلق الله الكعبة تقوم قيما فالجملة الفعلية حال من مفعول جعل وقيما منصوب على المصدرية ولا يصح ان يكون قيما مفعولا ثانيا لجعل اذلم يرد استعمال قيما بمعنى مايقوم به الشئ ويصلح به حاله والقيم بمعنى المصدر لا يصح حمله على البيت فلا يكون مفعولا ثانيا ﴿قوله او الحال﴾ اى ويحتمل ان يكون قيما فى هذه القرآءة منصوبا على الحالية على ان يكون بمعنى قائما للناس ﴿قوله تعالى والشهر الحرام والهدى والقلائد﴾ عطف على الكعبة فيكون المفعول الثانى لجعل بمعنى صير او الحال محذوفا لدلالة ماقبله عليه اى وجعل هذه الثلاثة قياما لهم كالكعبة وقد ذكر كون الكعبة قياما للناس يصلح بسببها امر دينهم ودنياهم اما كون الشهر الحرام سببا له فهو ان العرب كان يتعرض بعضهم لبعض بالقتل والغارة فى سائر الاشهر فاذا دخل الشهر الحرام زال الخوف وقدموا على الحج والتجارات آمنين على انفسهم واموالهم فكان سببا لاكتساب منافع الدين والدنيا ومصالح المعاش والمعاد وكذا الهدى وهو مايهدى الى البيت ويذبح هناك ويفرق لحمه بين فقرآء الحرم فانه نسك وقوام لمعيشة الفقرآء فكان سببا لقيام امر الدين والدنيا وكذا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى خصوصا فانه من قبيل التخصيص بعد التعميم اظهارا لشرف الخاص فان الثواب بها والحج معها اظهر فان من قصد البيت فى غير الشهر الحرام ومعه هدى قلده لم يتعرض له احد حتى ان احد العرب كان يلقى الهدى مقلدا وهو يموت جوعا ولم يتعرض له البتة ولا يتعرض له صاحبه ايضا وكل ذلك انما كان لان الله اوقع فى قلوبهم تعظيم البيت الحرام فان الشهر الحرام الذى يؤدى فيه الحج وكذا الهدى والقلائد انما صارت سببا لقوام امر الدين والدنيا لكونها وصلة الى زيارة البيت وتعظيمه وذلك ادل دليل على عظمة البيت وشرفه ﴿قوله وقيل الجنس﴾ اى قيل المراد بالشهر الحرام هو الاشهر الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم على طريق

وقرئ بكسر الدال من دام يدام (واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة) صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثانى (قياما للناس) انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت فى فعله ونصبه على المصدر او الحال (والشهر الحرام والهدى والقلائد) سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس

الطلاق اسم الجنس وارادة جميع افراده ولم يرض به لعدم مناسبته لهذا المقام ﴿ قوله تعالى ذلك ﴾ في محل النصب على انه مفعول فعل مقدّر يدل عليه السياق اى شرع الله ذلك و بين هذه اللام العلة في قوله تعالى لتعلموا متعلق بذلك الفعل المقدّر وتعلموا منصوب باضمار ان بعد لام كى والوجه في كون جعل البيت الحرام قياما لمصالح الدين والدنيا مؤدّيا الى علمنا بأن الله يعلم ما في السموات وما في الارض او في كون ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره مؤدّيا الى علمنا بذلك انا قد علمنا بسبب ان بين الله ذلك ان وجه الحكم في شرع ماشرعه من الاحكام المتعلقة بالاحرام ومناسك العبادات ومواقيتها انه تعالى لما علم في الازل ان مقتضى طبائع العرب الحرص الشديد على القتل والغارة وعلم ان هذه الحالة لو دامت بهم لعجزوا عن تحصيل مايحتاجون اليه في معاشهم وادّى ذلك الى فنائهم وانقراضهم بالكلية دبر في ذلك تدبيرا لطيفا وهو انه تعالى ألقى في قلوبهم تعظيم البيت وتعظيم مناسكه فصار ذلك سببا لحصول الامن في البلد الحرام وفي الشهر الحرام وقدروا بذلك على تحصيل مايحتاجون اليه في ذلك الزمان وفي ذلك البلد فاستقامت بذلك مصالح معاشهم وهذا التدبير لايمكن الا اذا كان الله تعالى عالما في الازل بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وكان بكل شئ عليما ومن البين ان اتقان الفعل واحكامه وكونه على وفق المصالح ومقتضى الحكم دليل واضح على كمال علم الفاعل واىّ فعل يكون اتقن واحكم من القاء تعظيم الكعبة في قلوب العرب وجعله سببا لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المرتبة على ماشرع من الاحكام المتعلقة بها فعلمنا بذلك ان صانع العالم عالم بجميع المعلومات ثم انه تعالى لما ذكر انواع رحمته لعباده بجعله البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والبدن ذوات القلائد خاصة سببا لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم ذكر بعده شدّة العقاب لمن استحل المحارم وهتك حرمتها وكونه غفورا رحيما لمن تاب واناب لان الايمان لايتم الا بالخوف والرجاء قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وقال عليه الصلاة والسلام لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ماطمع في الجنة أحد ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقنط من جنته احد ثم ان امر الثواب والعقاب لما توقف على التكليف وبعث الرسول وتبليغه الى عباد الله تعالى ماامروا به ومانهوا عنه وبيانه لهم مايكون سببا لنجاتهم من عقابه وفوزهم برحمته وثوابه بين انه قد ارسل رسولا وانه ليس مكلفا الا بتبليغ ماارسل به اليكم وليس عليه ان يحملكم على الطاعة جبرا ويمنعكم عن المعصية كرها وقد بلغ ماارسل به ولم يقصر في شئ مما كلف به عليه الصلاة والسلام ولم يبق الا الاثابة من اطاعه وعقاب من عصاه ونحن نعلم ماتبدونه من الطاعة وتكتمونه من المعصية او نعلم جميع مااسررتموه وما اعلنتموه من الطاعة والمعصية فنجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم انه تعالى لما اشار بالآيات السابقة الى الجميع اجمالا من الاشخاص والاعمال والاموال جيد ورديء وخبيث وطيب نفى المساواة بينها فقال قل لايستوى الخبيث والطيب ورغب به في صالح العمل وحلال المال ونبه على ان المشرك الخبيث لايساوى المؤمن الطيب في العاقبة والمآل وان العاقبة للمتقين قال السدّى معنى الآية لايستوى المشرك والمؤمن بل يميز بينهما بأن يعاقب الخبيث ويثاب الطيب وان قل الطيب وكثر الخبيث وقال الكلبي وعطاء اى لايستوى الحلال والحرام ﴿ قوله تعالى ولو اعجبك كثرة الخبيث ﴾ قرر ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا ومطمح نظرهم الكثرة دون الجودة والامر بالعكس وجواب لو في قوله تعالى ولو اعجبك محذوف اى ولو اعجبك كثرة الخبيث لما استوى مع الطيب وان قل ومعنى الاعجاب السرور بما يتعجب به يقال اعجبني امر كذا اى سرّني ﴿ قوله وهما كمقدّمتين ينتجان مايمنع السؤال ﴾ كأنه قيل لاتسألوا عن اشياء ان تسألوا عنها في زمان نزول الوحي تظهر لكم وان تظهر لكم تغمكم والعاقل لايسأل عما يغمه فيلزم من مجموع المقدّمتين انهم ان سألوا عن تلك الاشياء ساءتهم فيلزمهم ان لايسألوا وتوصيف الاشياء بتلك الشرطية وما عطف عليها دل على أن النهي ليس عن السؤال مطلقا بل عن اشياء موصوفة بأن يكون السؤال عنها مؤدّيا الى اغتمامهم بأن يكلفهم الله تعالى بسبب سؤالهم تكاليف صعبة شديدة ﴿ قوله واشياء اسم جمع كطرفاء ﴾ فهو مفرد اللفظ مجموع المعنى وليس جمع شئ لان لفظ فعل وما كان على وزنه لايجمع على فعلاء وانما يجمع في القلة على افعل كبحر وابحر وفي الكثرة على فعول نحو قلب وقلوب واصل اشياء شيئاء بهمزتين الاولى منهما لام الكلمة والثانية ألف التأنيث كحمراء فعلاء فقلبت لامه قلب مكان بأن قدّمت الهمزة على فاء الكلمة وهى الشين فقالوا اشياء فوزنه في الاصل فعلاء فصار بالقلب لفعاء فظهر بهذا سبب عدم انصرافه في القرآن حيث نصب في موضع الجر فانه في الاصل كان على وزن

(ذلك) اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره (لتعلموا ان الله يعلم مافي السموات وما في الارض) فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المرتبة عليها دليل على حكمة الشارع وكمال علمه (وان الله بكل شئ عليم) تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصرّ عليه ولمن انقلع عنه (ماعلى الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة (قل لايستوى الخبيث والطيب) حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال (ولو اعجبك كثرة الخبيث) فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال (فاتقوا الله يا اولى الالباب) اى فاتقوه في تحرّى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل (لعلكم تفلحون) راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت في حجاج اليمامة لما همّ المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين (يا ايها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدّمتين ينتجان مايمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لايفعل مايغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء

فعلاء مثل حمراء لم ينصرف كما لا تنصرف حمراء ﴿قوله وقيل افعلاء﴾ عطف بالمعنى على قوله واشياء اسم جمع اى وقيل انه ليس اسم جمع لشئ بل هو جمع له حقيقة بناء على ان اصل شئ اما شيئ على وزن فيعل من شاء فخفف فصار شئ وفيعل يجمع على افعلاء كما يجمع هين ولين على اهوناء وألبناء فكذا جمع شيئ على اشيئاء الا انه لما خفف شئ كما خفف هين ولين بياء واحدة ساكنة فكذا خفف اشيئاء ايضا بأن قلبوا الهمزة الاولى التى هى لام الكلمة ياء لانكسار ماقبلها وحذفوا الياء التى هى عين الكلمة تخفيفا فصار اشياء فوزنه الآن أفلاء واختار المصنف حذف الهمزة الاولى التى هى لام الكلمة فيكون وزنه الآن افعاء فمنع الصرف لاجل ألف التأنيث هذا على ان اصل شئ بالتخفيف شيئ بالتشديد على وزن فيعل ويحتمل ان اصله شيئ على وزن فعيل كصديق يجمع على اشيئاء كصدقاء واصدقاء ونصيب وانصباء فخفف كما ذكرنا فصار اشياء وقيل اشياء جمع شئ كبيت وابيات وفوج وافواج ورده منع صرف اشياء مع ان الجموع التى على افعال تستعمل منصرفة كأبناء واسماء والحاصل ان اشياء اما اسم جمع على وزن فعلاء اصله شيئاء فخفف بقلب المكان فصار اشياء واختار المصنف هذا وهو قول الخليل وسيبويه او هو جمع شئ المخفف من شيئ على وزن فيعل او شيئ على وزن فعيل وعلى التقديرين أصله اشيئاء او هو جمع شئ على وزن بيت وابيات ﴿قوله او استئناف﴾ فلا محل له من الاعراب وهو معطوف على قوله صفة اخرى وضمير عنها على كونه استئنافا للمسألة المدلول عليها بقوله لا تسألوا وذلك الضمير على كونه صفة اخرى لاشياء راجع الى الاشياء ﴿قوله غضبان من كثرة مايسألون عنه مما لا يعنيهم﴾ اى مما لا يتعلق بأمر دينهم فلا يكون من علوم النبوة مثل قولهم من ابى وقولهم ضلت ناقتى فأين هى ومتى تمطر السماء ﴿قوله الضمير للمسألة﴾ جواب عما يقال فعل المسألة لا يتعدى الى المفعول به بنفسه بل يتعدى اليه بكلمة عن فكيف قيل سألها ولم يقل سأل عنها كما قال اولا لا تسألوا عن اشياء وتقرير الجواب ان ضمير سألها ليس راجعا الى الاشياء التى يسألون عنها وعن احوالها بل الى مسألتهم عن تلك الاشياء فيكون الضمير فى موضع المصدر او المفعول به بالواسطة كما فى قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء فيلزم ان يعدى بكلمة عن فيحمل على الحذف والايصال كما اشار اليه المصنف بقوله او لاشياء بحذف الجار لا بدون الواسطة كما فى سألته درهما بمعنى طلبته منه لانهم لم يسألوا تلك وانما سألوا عنها وعن حالها فسقط مايقال من ان السؤال عدى فى الآية بالجار وههنا لم يعد بالجار لان السؤال ههنا طلب عين الشئ نحو سألته درهما بمعنى طلبته منه والسؤال فى الآية سؤال عن حال الشئ وكيفيته ﴿قوله رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية﴾ اشار به الى ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تعالى نهى قبلها من ان يسألوا عن حكم سكت الله عنه ومنع بهذه الآية وانكر التزام ما لم يكلفوا بالتزامه بناء على زعم انه تعالى شرع ذلك واوجبه عليهم افتراء عليه تعالى حيث قال ماجعل الله من بحيرة الآية اى ماشرع ذلك ولا امر بالبحيرة وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ماحرموا ونسبتهم ذلك التحريم الى الله يفترون على الله الكذب ويحتمل ان يكون الجعل بمعنى التصيير كما فى قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ويكون مفعوله الثانى محذوفا اى ماصير الله بحيرة مشروعة ﴿قوله اذا نتجت الناقة﴾ على بناء ما لم يسم فاعله يقال نتجت الناقة تنتج نتاجا اى نتجها اهلها نتجا اى ولى اهلها نتاجها حتى وضعت فأهلها ناتج والناتج للبهائم بمنزلة القابلة للنساء والاصل نتجها اهلها ولدا على ان ضمير الناقة مفعول اول وولدا مفعول ثان واذا بنى للمفعول قيل نتجت ولدا باسناد الفعل الى مفعوله الاول وترك الثانى منصوبا فأهلها نصيرها واضعة لولدها وكانت هى مصيرة واضعة الولد ذكر الله فى هذه الآية اربعة اشياء اولها البحيرة وهى فعيلة بمعنى المفعولة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها وسيبها للصنم بأن يمتنع من ركوبها ومن ان يحمل عليها حملا ومن نحرها وجز وبرها فلا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى واذا لقيها المعيى لم يركبها وثانيها السائبة وهى فاعلة من قولهم ساب الماء يسيب سيبا اذا جرى على وجه الارض سميت الناقة التى قال صاحبها فى حقها ان شفى مريضى او قدم غائبى فناقتى سائبة سائبة لانها تسيب حيث شاءت وثالثها الوصيلة وهى فعيلة بمعنى فاعلة سميت الانثى من ولد الشاة اذا ولدت مع الذكر فى بطن واحد وصيلة من حيث انها وصلت اخاها وتركا معا فى الغنم حيين ولم يذبح الذكر لاجل آلهتهم من اجلها فانه لو انفرد الذكر لكان محرما على اهله بزعمهم بل تذبحه سدنة الاصنام وخدامها انها اذا بقى الانثى منفردة عنه ولا تتصل به فلو ولدا فى بطن واحد وصلت الانثى بأخيها وبقيا حيين وكانا لاهلهما فسميت وصيلة فالمعنى ماجعل الله انثى تعلق ذكرا محرما على اهله عند انفراده عن الانثى باجتماعها معه فى الولادة الا ان قول المصنف اذا

وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ورده منع صرفه (عفا الله عنها) صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك أكل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت او استئناف اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين انا فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت (قد سألها قوم) الضمير للمسألة التى دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار (من قبلكم) متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها (ثم اصبحوا بها كافرين) اى بسببها حيث لم يأتمروا بها اولا بجحودا (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره

ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك تعدّى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة (ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريم ذلك ونسبته اليه
(واكثرهم لايعقلون) اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرّم او الآمر من الناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك

ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به (واذا قيل لهم تعالوا الى ماانزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا) بيان لقصور عقلهم وانهما كهم في التقليد وان لاسندلهم سواه (اولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولا يهتدون) الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى أحسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتدآء انمايصح بمن عُلم انه عالم مهتد وذلك لايعرف الابالحجة فلايكفي التقليد (ياايها الذين آمنوا عليكم انفسكم) اى احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتدآء (لايضرّكم من ضل اذا اهتديتم) لايضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتدآء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضرّكم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لايضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الرآء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الرآء المدغمة وتنصره قرآءة من قرأ لايضرَكم بالفتح ولايضرِكم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لايؤاخذ بذنب غيره (ياايها الذين آمنوا شهادة بينكم) اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم (اذا حضر احدكم الموت) اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف الشهادة (حين الوصية) بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لايتهاونوا فيه او ظرف حضر

ولدت الشاة الخ يخالف ماقال محيي السنة في المعالم واما الوصيلة فمن الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه فأكل منه الرجال والنساء وان كان انثى تركوها في الغنم وان كان ذكرا وانثى استحيوا الذكر من اجل الانثى وقالوا وصلت اخاها ولم يذبحوه وكان لبن الانثى حراما على النساء وان ماتت منها شئ أكله الرجال والنساء جميعا ولعل المصنف لم يذكره لعدم الرضى به ورابعها الحامي وهو اسم فاعل من حمى يحمي اى منع يقال حماه يحميه اذا حفظه ومنعه من ان يلحق به سوء فانهم زعموا ان الفحل اذا انتجت من صلبه عشرة ابطن قالوا قدحمى ظهره فلايركب ولايمنع من ماء ولا مرعى ويترك كالسائبة وقيل هو الفحل الذي يضرب في ابل صاحبه عشر سنين فيحمي ظهره وذكر في تفسير هذه الاشياء اقوال كثيرة وقد اخترنا مااختار المصنف منها **قوله** ومعنى ماجعل ماشرع ووضع يعني ان جعل قديستعمل بمعنى خلق كما في قوله تعالى وجعل الظلمات وبمعنى صير كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ولايصح ان يكون جعل في هذه الآية بمعنى خلق لان الله تعالى هو الذي خلق الاشياء كلها ولا بمعنى صير لان صير لابدّ له من مفعول ثان وهو ليس بمذكور في الآية بل بمعنى سنّ وشرع اى ماسنّ الله ولاشرع شيأ من هذه الاشياء **قوله** تعالى واذا قيل لهم اى لهؤلاء المشركين الذين من عند انفسهم حرّموا هؤلاء الانعام تعالوا الى ماانزل الله في القرآن من تحليل ماحرّمتم على انفسكم **قوله** حسبنا مبتدأ وماوجدنا خبره وحسبنا في الاصل مصدر استعمل بمعنى اسم الفاعل اى كافينا الذي وجدنا عليه آباءنا **قوله** لانكار الفعل على هذه الحال اى لانكار كفاية قول آبائهم بحرمتها في الاعتقاد حال كون آبائهم جهالا ضلالا ومن المعلوم انه لايصح الاقتدآء بالجاهل الضال ولا الاعتماد على قوله والتقليد له كأنه قيل ايكفيهم وجد ان آباءهم على هذا المقال والحال انهم جهال ضلال لايعقلون شيأ ولايهتدون **قوله** والمعنى اي ومعنى الانكار المستفاد من الهمزة ان صحة الاقتدآء تختص بمن علم انه عالم مهتد لايكفي فلا يكفي في اعتقاد حرمة هذه الانعام ان يجدوا آباءهم قائلين بحرمتها الا ان يثبت عندهم بالبرهان القاطع كونهم علماء مهتدين ودونه خرط القتاد فلما زعم المشركون ان يصح لهم الاقتدآء بآبائهم والتقليد لهم انكر زعمهم هذا بأن قال ان آباءهم جهال ضلال ولا يصح الاقتدآء بمن هذا شأنه وانما يصح الاقتدآء بمن علم بالبرهان انه عالم مهتد والحاصل ان قول من حسن ظنه اذا لم يكن قوله مبنيا على الحجة والدليل لايفيد **قوله** سفهت اباك اي نسبته الى السفه حيث زعمت في حقه انه كان على خلاف ماينبغي وتركت طريقته وكانوا يلومونه على اسلامه بهذا القول فنزلت حثا للمسلمين على تقويتهم بحسب قوتهم النظرية والعملية **قوله** ولايضركم يحتمل الرفع على قرآءة الجمهور لايضركم بضم الرآء المشددة على انه كلام مستأنف مسوق للاخبار بذلك ويؤيده قرآءة من قرأ لايضيركم بضم الرآء من ضاره يضيره ضيرا بمعنى ضره فان الفعل في هذه القرآءة ليس بمجزوم والا لقيل لايضركم بسكون الرآء وسقوط اليآء كما في لم يبع **قوله** والجزم عطف على الرفع اى ويحتمل ان يكون لايضركم مجزوما اما على انه جواب الامر في عليكم واما على انه نهي مستأنف غير متعلق بالامر قبله واصله على التقديرين لايضرركم فنقلت ضمة الرآء الاولى الى الضاد قبلها لقصد ادغامها في الرآء الثانية فاجتمع ساكنان فحركت الرآء الثانية بالضم اتباعا لضمة الضاد وادغمت الاولى فيها فصار لايضركم **قوله** وتنصره اى وتنصر كون لايضركم بضم الرآء المشددة مجزوما قرآءة من قرأ لايضركم بتحريك الرآء الثانية بالفتحة دفعا لالتقاء الساكنين ولخفة الفتحة وقرآءة من قرأ لايضركم بضم الضاد وكسرها مع سكون الرآء الاولى مبني على انه من ضار يضور ضورا مثل صان يصون صونا والثاني على انه من ضار يضير مثل باع يبيع وكلاهما لغتان بمعنى ضر يضر **قوله** وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اى على انه مفعول لمحذوف وفاعله قوله اثنان اى ليقم اثنان شهادة واليوقعا كما نجملاها **قوله** وفي ابداله تنبيه على ان الوصية ممالاينبغي ان لايتهاونوا فيه لانه لماجعل زمان حضور الموت زمان الوصية دل ذلك على انه ينبغي ان يوقع الوصية في زمان حضور الموت لدلالته على ان الوصية كالموت وعدم التخلف عن ذلك الزمان فان ذلك الزمان كما انه لابد من ان يقع فيه الموت لابد من ان تقع فيه الوصية **قوله** وهما صفتان اي قوله ذوا عدل وقوله منكم كل واحد منهما صفة لاثنان اى اثنان صاحبا عدل كائنان منكم وقوله تعالى او آخران معطوف على اثنان وقوله من غيركم صفة لآخران فان كان منكم بمعنى عدلان من اقاربكم المسلمين يكون قوله او آخران من غيركم بمعنى او عدلان آخران من اجانبكم المسلمين وان كان منكم بمعنى

(اثنان) فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف (ذوا عدل منكم) اى من اقاربكم ومن المسلمين [illegible] (عدلان)

عدلان من اهل دينكم يكون قوله او آخران من غيركم بمعنى او عدلان آخران من غير اهل دينكم والذمى وان لم يكن عدلا فى باب الدين والاعتقاد فهو عدل من حيث احترازه من الكذب والاجتناب عما حرم عليه فى دينه فان قبول الشهادة لا يتوقف على العدالة فى امر الدين والاعتقاد للاجماع على قبول شهادة اهل الاهوآء والبدع مع انهم ليسوا عدولا فى مذاهبهم عندنا ولما كانوا عدولا من حيث احترازهم عن الكذب وعن محظورات مذاهبهم قبلنا شهادتهم فجاز ان تقبل شهادة اهل الذمة فى ابتدآء الاسلام لعدالتهم بهذا المعنى ثم نسخ هذا الحكم عند انتفاء الضرورة بكثرة المسلمين وانتم فى قوله تعالى ان أنتم مرفوع على انه فاعل فعل محذوف يفسره قوله ضربتم كلفظ احد فى قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك وليس بمرفوع على الابتدآء لان ان الشرطية لا تدخل على المبتدأ عند البصريين وهذا الشرط يحتمل ان يكون قيدا لاصل الشهادة وان يكون قيدا لاشهاد آخرين من غيركم والمعنى على الاول فيما امرتم به ان يشهد فيما بينكم اذا حضر احدكم الموت اثنان ذوا عدل منكم او من غيركم ان سافرتم فى الارض وعلى الثانى ان يشهد عدلان من غير اهل دينكم ان كنتم على سفر وقاربتم الاجل والمصنف رجح الاحتمال الثانى حيث قال جواب قوله تعالى ان أنتم محذوف يدل عليه قوله او آخران من غيركم وذلك انما يكون جوابا من حيث المعنى لانه لا يتقدم على الشرط عند البصريين ولو تقدم عليه يكون جواب الشرط محذوفا ويكون ما تقدم عليه دليل الجواب وفيما نحن فيه قد تقدم على الشرط شيئان ان يشهد المحتضر اثنان ذوا عدل وجواز شهادة ذميين عدلين فالمصنف جعل دليل الجواب المحذوف قوله تعالى او آخران من غيركم فيكون الشرط المذكور قيدا لقوله او آخران من غيركم وجعل الشرط مع جوابه المحذوف اعتراضا بين الموصوف وصفته التى هى قوله تحبسونهما للدلالة على ان شهادة الذميين العدلين انما تجوز اذا تعذر اشهاد عدلين من المسلمين بان يكون المستشهد مسافرا قارب الموت ﴿قوله او استئناف﴾ عطف على قوله صفة لآخران ﴿قوله مقسم عليه﴾ يعنى ان قوله لا نشترى جواب القسم اى يحلفان بالله قائلين لا نشترى به ثمنا اى لا نستبدل بالحلف او باسم الله تعالى عرضا يسيرا من الدنيا وقوله ان ارتبتم شرط وجوابه محذوف تقديره ان ارتبتم فى صدقهما وامانتهما فحلفوهما وقوله لا نشترى ليس هو فى نفسه محلوفا عليه بل المحلوف عليه حقيقة هو مثل قوله انا صادق فى شهادتى لم ازد فيها شيأ مما تحملته ولم انقص منها شيأ ايضا او انى امين فى امر الوصاية ما كتمت وما ضيعت شيأ مما سلم الىّ من المال الا ان الحالف قد يقدم مثل هذا الكلام على ذكر ما هو المحلوف عليه حقيقة تأكيدا لحلفه وقد يقول له القاضى اتق الله ولا تحلف كاذبا تشترى به ثمنا قليلا فان اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع فيقول الحالف معاذ الله ان اكون كذلك لا استبدل بالحلف او باسم الله فى التحريف للشهادة ثمنا قليلا جعل قوله ان ارتبتم مع جوابه المحذوف اعتراضا بين القسم وجوابه للدلالة على انهما يحلفان ان ارتاب الوارث فى صدقهما وامانتهما وقوله تعالى ولا نكتم الظاهر انه معطوف على قوله لا نشترى فيكون جواب القسم ايضا وشهادة الله منصوب على انه مفعول به اضيف الى الله تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمها وتضييعها ﴿قوله وعن الشعبى﴾ اى روى عنه انه قرأ شهادة منصوبة منونة على انه مفعول به وآلله بمد الالف التى للاستفهام دخلت على لفظ المقسم به تقرير النفس الحالف على الحلف به وهو عوض عن حرف القسم المقدر فان الاصل فيقسمان بالله لا نكتم شهادة بالله حذف حرف القسم وعوضت عنه الف الاستفهام ﴿قوله فان اطلع يقال﴾ يقال عثر عليه يعثر عثرا وعثورا اى اطلع عليه وعثر فى مشيه او منطقه او رأيه يعثر عثرة اى زل وسقط فرقوا بين مصدريهما فان العثرة هى الزلة والعثور هو الاطلاع ﴿قوله فشاهدان آخران﴾ مرفوع على انه صفة مبتدأ محذوف ويقومان خبره ويجوز الابتدآء بالنكرة لتخصصها بالصفة وقوله من الذين استحق صفة المبتدأ وجاز الفصل بين الصفة وموصوفها بالخبر بناء على ان الفاء الجزآئية ازالت كون الخبر اجنبيا من الموصوف بناء على انها جعلت كون مضمون الجملة الجزآئية لازما للعثور على خيانتهما وكذبهما فى يمينهما فالمعنى فان عثر على ان الاثنين الكائنين منكم او من غيركم استحقا اى استوجبا اثما بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة فآخران من اولياء الميت يقومان مقامهما فقوله من الذين استحق قرآءة الجمهور بضم التاء على بناء المجهول والمعنى من الورثة الذين جنى عليهم فان الاولين لما جنيا واستحقا اثما بسبب جنايتهما على الورثة كانت الورثة مجنيا عليهم متضررين بجناية الاولين والاوليان تثنية الاولى بمعنى الاحق والاقرب الى الميت نسبا وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف كأن سائلا قال من

﴿ان انتم ضربتم فى الارض﴾ اى سافرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ اى قاربتم الاجل ﴿تحبسونهما﴾ توقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استئناف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿من بعد الصلاة﴾ صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم﴾ اى ارتاب الوارث منكم ﴿لا نشترى به ثمنا﴾ مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع ﴿ولو كان ذا قربى﴾ ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ اى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لأفعلن ﴿انا اذا لمن الآثمين﴾ اى ان كتمنا وقرئ لملآثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها ﴿فان عثر﴾ فان اطلع ﴿على انهما استحقا اثما﴾ اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف ﴿فآخران﴾ فشاهدان آخران ﴿يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو ﴿الاوليان﴾ الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير فى يقومان

والاوّلان واعرابه اعراب الاوليان (فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) اصدق منهما واولى بان تقبل (وما اعتدينا) وماتجاوزنا فيها الحق (انا اذا لمن الظالمين) الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق مايقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة امالظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدوّن مامعه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فوجد اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ياايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فأتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقربه فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة (ذلك) اى الحكم الذى تقدم او تحليف الشاهد (ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها) على نحو ماتحملوها من غير تحريف وخيانة فيها (او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم) ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانماجمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم (واتقوا الله واسمعوا) ماتوصون به سمع اجابة (والله لايهدى القوم الفاسقين) اى ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين اى لايهديهم (يوجه)

الآخران قيل هما الاوليان ويحتمل ان يكون آخران مبتدأ والاوليان خبره ويقومان مقامهما صفة آخران وقوله من الذين استحق صفة بعد صفة او حال من فاعل يقومان وهذا الاحتمال ذكره المصنف بقوله او خبر آخران اومبتدأ خبره آخران قدم عليه والتقدير فالاوليان بأمر الميت آخران يقومان مقام الوصيين الذين استحقا اثما بعدم جريهما على مقتضى الوصاية فيكون التركيب من قبيل تميمي انا ثم ذكر احتمال ان يكون الاوليان بدلا من آخران او من الضمير الذى في يقومان وهذه الوجوه كلها مبنية على قرآءة الجمهور استحق بضم التاء على بناء المجهول واما اذا قرئ على بناء الفاعل وهي قرآءة حفص فالاوليان مرفوع على انه فاعل استحق ومفعوله محذوف قال صاحب الكشاف في بيان معنى هذه القرآءة من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين فان قوله الاوليان فاعل استحق ومن بين حال منهما وبالشهادة متعلق بهما اى الاحقان بالشهادة وان يجردوهما مفعول استحق فالمفعول محذوف من لفظ القرآن كأنهما لماصارا اولى بالشهادة منهم استحقا ان يجردوهما للشهادة ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب وابوبكر عن عاصم الاولين﴾ على انه جمع اول مقابل آخر جمع المذكر السالم وهم من الذين قرأوا استحق على بناء المجهول فالمراد من ان من عدا حفصا قرأ كذلك وعلى هذه القرآءة يكون الاولين مجرورا على انه صفة لقوله الذين استحق عليهم ومعنى اوليتهم تقدمهم على الاجانب في الشهادة لانهم اعلم باحوال الميت فيكونون احق بالشهادة لعلمهم بالاحوال المتعلقة به ﴿قوله والاولان﴾ اى قرأ الحسن البصرى استحق مبنيا للفاعل عليهم الاولان مرفوعا على انه فاعل استحق وهو تثنية اول فيكون اعرابه كاعراب الاوليان في قرآءة حفص ﴿قوله ولعل تخصيص العدد الخ﴾ جواب عمايقال من ان ماذكرت وان دل على انه ينبغى ان يحمل الاثنان على الوصيين الاان عندنا ماينفى ذلك وهو انه تعالى ذكر العدد والعدد شرط في قبول الشهادة دون صحة الايصاء فانه يصح الايصاء الى واحد بالاجماع فلو كان المراد بالاثنان الوصيين لكان ذكر العدد لغوا فينبغى ان يكون المراد بهما الشاهدين دون الوصيين ﴿قوله اى الحكم الذى تقدم﴾ يعنى ان قوله تعالى ذلك اشارة الى ماتقدم ذكره من الاحكام بتفاصيلها وخلاصة ماذكر من التفاصيل ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغى ان يشهد على وصيته اثنين من اقاربه واهل دينه او من غيرهم ان كان في سفر بشرط ان يكونا عدلين وان يوصى اليهما احتياطا مع جواز الايصاء الى شخص ثم ان وقع ارتياب في امانتهما اقسما على عدم الخيانة بالتغليظ في الوقت فان حلفا يخلى سبيلهما وان ظهرت خيانتهما بعد الحلف اقسم آخران من اولياء الميت وفيه تحليف الشاهدين وهو خلاف القاعدة الفقهية فيلزم القول بنسخ الحكمين وهو بعيد لما اشتهر ان سورة المائدة ليس فيها منسوخ وقيل ذلك اشارة الى تحليف الشاهدين وقيل الى حبسهما بعد الصلاة تغليظا ليمينهما وقوله ادنى ان يأتوا خبر وقوله او يخافوا عطف على ان يأتوا بمعنى ماتقدم ذكره من الاحكام ادنى اى اقرب الى اتيان الشهداء بالشهادة على ماينبغى او الى خوفهم من رد اليمين الى غيرهم كالورثة في هذه الحادثة على تقدير ان يأتوا بالشهادة لاعلى وجهها فيظهر كذبهما ويفتضحا بذلك بين الناس ﴿قوله وانماجمع الضمير﴾ اى في يأتوا اويخافوا مع ان الكلام في اثنين من الشهود والاوصياء لانه ابتداء كلام ذكر لبيان الحكمة في شرعية الحكم على التفصيل المذكور في حق جميع الاوصياء او الشهود ولم يذكر متعلق التقوى في قوله تعالى واتقوا الله ليذهب وهم المخاطبين الى كل مايصح ان يأمر به في هذا المقام كأنه قيل واتقوا الله في شهادتكم ولاتحرفوها وفي ايمانكم فلاتحلفوا ايمانا كاذبة وفي اماناتكم وبالجملة اتقوا الله في جميع ما كلفكم الله به بامتثال جميع ماامرتم به والاجتناب عن جميع مانهيتم عنه واسمعوا ماتوعظون به سماع قبول واجابة وأوعد من لايسمع الموعظة بانه لايهديه الى طريق الجنة ولايهديه الى الجنة فيما ذهب اليه حسبما يشتهيه ﴿قوله ظرف له﴾ اى لقوله لايهدى اى لايهديهم الى الجنة او الى الجنة يوم القيامة ﴿قوله وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال﴾ كأنه قيل واتقوا يوم يجمعهم ولم يرض بهذا الوجه لانه لابد لبدل الاشتمال من اشتمال البدل على المبدل منه اومن اشتمال المبدل منه على البدل اومن اشتمال عاملهما بأن يتعلق بالتابع على حسب تعلقه بالمتبوع ومن المعلوم انه لااشتمال بينه تعالى وبين الزمان كاشتمال الظرف بالمظروف ولايتعلق الاتقاء بذاته تعالى كتعلقه بيوم الحساب فلايظهر وجه الاشتمال ههنا الا بان يتكلف ويقال بينهما الملابسة بغير الكلية والجزئية بطريق اشتمال المبدل منه على البدل لا كاشتمال الظرف على المظروف بل بمعنى انه ينتقل الذهن اليه في الجملة ويقتضيه

وجه اجمالي مثلا اذا قيل اتقوا الله يتبادر الذهن الى انه من اى امر من اموره واى يوم من ايام افعاله يجب الاتقاء أهو يوم يجمع الرسل والامم ام غير ذلك ﴿قوله وهذا السؤال﴾ جواب عما يقال لا يخفى على كل احد انه تعالى علام الغيوب فما وجه سؤاله للرسل بقوله ماذا اجبتم واى فائدة فيه وأجاب عنه بأن الفائدة فيه توبيخ قوم الرسل وتبكيتهم لانه تعالى اذا جمع الرسل مع اممهم المكذبين وقال لهم ماذا اجبتم اى اجابكم هؤلاء الامم حين دعوتموهم الى توحيد الله تعالى وطاعته ذكرهم بسوء معاملتهم مع الرسل وانه ليس لهم عذر فى مخالفتهم فيستولى عليهم من الدهشة والحيرة ما يقطع قلوبهم ونظيره قوله تعالى واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت فان المقصود من سؤال الموؤدة توبيخ الوائد وتبكيته ﴿قوله وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة الخ﴾ جواب عما يرد على كون قوله تعالى اذ قال بدلا من قوله تعالى يوم يجمع وهو ان يجمع زمان استقبالى وقوله اذ قال ماض لان كلمة اذ ظرف للماضى * وتلخيص الجواب انه عبر عن الآتى بلفظ الماضى للدلالة على ان ما سيأتى يكون محقق الوقوع بمنزلة الواقع كما فى قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة وقوله أتى امر الله عبر عما سيقع بلفظ الماضى للدلالة على قرب القيامة بحيث كأنها قد قامت ﴿قوله والمعنى﴾ اى المعنى على ابدال الظرف من الاول وجعلهما ظرفين لقوله تعالى لا يهدى القوم الفاسقين بيان انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما ظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبهم بعضهم وسموهم سحرة وغلا بعضهم وجاوز حد التصديق الى ان اتخذهم آلهة كما قال بعض بنى اسرائيل فيما اظهر الله تعالى على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين وبعضهم اتخذه وامه آلهين وكأنه قيل ان الله لا يهدى من فسق وخرج عن طاعة الله يوم يقع كذا وكذا ﴿قوله او نصب باضمار اذكر﴾ عطف على قوله بدل من يوم يجمع ﴿قوله قويتك﴾ على ان التأييد مأخوذ من الايد وهو القوة وقوله اذ أيدتك ظرف لنعمتى والمعنى اذكر اذ أنعمت عليك وعلى امك فى وقت تأييدى اياك او حال منه اى اذكر نعمتى واقعة او كائنة فى ذلك الوقت قرأ الجمهور ايدتك بتشديد الياء من باب التفعيل وقرئ آيدتك على وزن افعلتك وكلاهما مأخوذ من الايد ﴿قوله ويؤيده﴾ اى يؤيد كون المراد بروح القدس الكلام ذكر قوله تعالى تكلم الناس فى معرض الكلام لبيان الجملة السابقة ﴿قوله والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء﴾ اى من غير ان يوجد تفاوت بين كلامه طفلا صبيا وكلامه كهلا نبيا فى كونه صادرا عن كمال العقل وموافقا لكلام الانبياء والحكماء فانه عليه السلام تكلم حال كونه فى المهد بقوله انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا الآية وتكلم كهلا حال ما اوحى اليه من احكام الوحى والنبوة ومقصود المصنف من هذا الكلام الاشارة الى جواب ما يقال انك قد ذكرت ان معنى الآية توبيخ من كذب عيسى عليه السلام وغلا فى تعظيمه بأن عدد عليه نعمه من الآيات والمعجزات التى توجب الايمان به ومن جملة تلك النعم المعدودة ما ذكره بقوله تكلم الناس فى المهد وكهلا ولاشك ان تكلمه فى المهد من المعجزات الباهرة واما تكلمه فى حال كونه بالغا سن الكهولة فليس من المعجزات فما الفائدة فى ذكره فى مقام تعداد الآيات * وتقرير الجواب انه ليس المقصود بيان ان تكلمه فى سن الكهولة من المعجزات بل المقصود بيان ان تكلمه فى الحالين على سنن واحد من غير ان يتفاوت كلامه فى الوقتين من الآيات العظام يقال للصبى طفل من حين ولادته وسقوطه من بطن امه الى ان يحتلم والكهل من الرجال من جاوز الثلاثين ووخطه الشيب ﴿قوله وبه استدل على انه سينزل﴾ فانه عليه السلام لما رفع الى السماء قبل ان يتكهل كان قوله تعالى وكهلا دليلا على انه عليه السلام سينزل من السماء فى آخر الزمان ويكلم الناس بعد نزوله وهو ضعيف لانه عليه السلام ارسل حين بلغ سن الكهولة وبلغ رسالته وهو كهل لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة فمكث فى رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه ﴿قوله تعالى واذ علمتك الكتاب﴾ مصدر بمعنى الكتابة والخط وقيل بمعنى المكتوب وهو جنس الكتب المنزلة وذكر التوراة والانجيل بعد ذكر جنس الكتب المنزلة وعطفهما عليها للاشارة الى فضلهما كما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة لذلك والحكمة قيل المراد بها العلم والفهم لمعانى الكتب المنزلة واسرارها وقيل المراد بها استكمال النفس بالعلم بها وبالعمل بمقتضاها وقيل هى الحكم الصواب والكاف فى قوله كهيئة الطير اسم بمعنى مثل فى محل النصب على انه صفة للمفعول المحذوف لقوله تخلق بمعنى تسوّى وتصوّر اى واذ تسوّى وتصوّر هيئة مثل هيئة الطير قيل ان الناس قالوا له على وجه التعنت اخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا ان كنت صادقا فى مقالتك فأخذ طينا وسوّى منه هيئة خفاش ثم نفخ فيه فاذا هو يطير

﴿ فيقول ﴾ اى للرسل ﴿ ماذا اجبتم ﴾ اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر او بأى شئ اجبتم لحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك ﴿ قالوا لا علم لنا ﴾ اى لا علم لنا بما كنت تعلمه ﴿ انك انت علام الغيوب ﴾ فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لا نعلمه مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع ﴿ اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ﴾ بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر ﴿ اذ أيدتك ﴾ قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك ﴿ بروح القدس ﴾ بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس حياة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله ﴿ تكلم الناس فى المهد وكهلا ﴾ اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولية فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يتكهل ﴿ واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرئ الاكمه والابرص بإذنى واذ تخرج الموتى بإذنى ﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران

وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر (واذ كففت بني اسرائيل عنك) يعني اليهود حين هموا بقتله (اذ جئتهم بالبينات) ظرف لكففت
(فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين) اي ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام (واذ أوحيت
الى الحواريين) اي امرتهم على ألسنة رسلي (ان آمنوا بي وبرسولي) يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون) مخلصون
(اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم) منصوب باذكر او ظرف لقالوا او يكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك

ان ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن
بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل
هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل
المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي
هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا
تحرك او من ماده اذا اعطاه كأنها تميد
من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة
(قال اتقوا الله) من امثال هذا السؤال
(ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وصحة
نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان
(قالوا نريد ان نأكل منها) تمهيد عذر
وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا
بالاكل منها (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم
المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته
(ونعلم ان قد صدقتنا) في ادعاء النبوة او ان الله
يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين)
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر (قال عيسى بن مريم) لما رأى
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون
عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها (اللهم ربنا
انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا)
اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد
السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا
وقرئ تكن على جواب الامر (لاولنا
وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل اي
عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت
يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا
وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ
لأولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة
(وآية) عطف على عيدا (منك) صفة لها
اي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك
وصحة نبوتي (وارزقنا) المائدة او الشكر
عليها (وانت خير الرازقين) اي خير من
يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
(قال الله اني منزلها عليكم) اجابة الى
سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها

بين السماء والارض وكانت التسوية والنفخ بكسب عيسى عليه السلام والخلق من الله تعالى قيل انما طلبوا منه
خلق الخفاش لانه اعجب المخلوقات من حيث انه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض
سائر الطيور وله ضرع يخرج منه اللبن ويضحك كما يضحك الانسان ويحيض كما تحيض المرأة ولا يبصر في ضوء النهار
ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل ان يسفر جدا فلما رأوا
منه ذلك قالوا ان هذا الا سحر مبين والضمير المجرور في قوله تعالى فتنفخ فيها راجع الى الكاف التي هي صفة
للهيئة المخلوقة لعيسى لا الى الهيئة التي اضيف اليها الكاف لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذا الضمير
المستتر في قوله فتكون ﴿قوله كالباقر﴾ فانه يحتمل الافراد والجمع قال الجوهري الباقر جماعة البقر مع
رعاتها ﴿قوله ظرف لكففت﴾ اي واذكر ايضا نعمتي عليك اذ منعت وصرفت عنك اليهود الذين هموا بقتلك
اذ جئتهم بالدلائل الواضحة قيل المراد بالبينات هذه البينات التي تقدم ذكرها فيكون تعريف البينات للعهد الخارجي
﴿قوله امرتهم على ألسنة رسلي﴾ دفع لما يقال من ان الوحي انما يكون الى الانبياء والحواريون ليسوا انبياء
وذهب اكثر المفسرين الى ان الايحاء ههنا بمعنى الالهام والمعنى اذ ألهمتهم وقذفت في قلوبهم كما في قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى اي الهمناها لانها ليست ممن يوحى اليه حقيقة اذ لم يعرف نبي قط انثى والظاهر ان كلمة ان
هي مفسرة لانها وردت بعدما هو بمعنى القول لان جعلها مصدرية يحتاج الى تكلف بأن يجعل تقدير الكلام واذ
اوحيت الى الحواريين الامر بالايمان فأجابوا بانشاء الايمان والاشهاد بانهم مسلمون قدم الايمان على الاسلام
لان الايمان صفة القلب والاسلام عبارة عن الانقياد الظاهري والايمان بالقلب اصل ولا يعتبر الانقياد الظاهري
الا به فلذلك قدموا الايمان عليه والمصنف حمل الاسلام على الاخلاص وهو اوجه لانه لا يحسن ان يقال آمنا
واشهد باننا منقادون في الظاهر ﴿قوله فيكون تنبيها﴾ اي على تقدير كون قوله تعالى اذ قال الحواريون ظرفا
لقوله تعالى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون يكون الكلام تنبيها على انه لا منافاة بين ادعاء الحواريين الاخلاص
وبين ان يقولوا ما يدل على كونهم شاكين مترددين في قدرة الله تعالى لان ادعاء الايمان والاخلاص فيه لا يستلزم
تحققه واستحكامه في قلوبهم حتى ينافي ذلك الادعاء ان يصدر عنهم ما يدل على كونهم مترددين في قدرة الله تعالى
والحاصل انه لما توهم المخالفة والمنافاة بين قولهم آمنا واشهد باننا مسلمون وبين قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا الآية بناء على ان من آمن بالله القادر على كل شيء وبرسوله الصادق الامين كيف يصح منه ان يقول ما يدل
على كونه شاكا في قدرته من قولهم هل يستطيع ربك وقولهم ونعلم ان قد صدقتنا فانه انما يدل على كونهم لم يكمل
ايمانهم بعد ويدل عليه ايضا قول عيسى لهم اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فانه ايضا يدل على انه لم يكمل ايمانهم بعد
وكل ذلك ينافي قولهم آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اشار الى انه لا منافاة بينهما بناء على ان ما قالوه اولا انما
يدل على ادعاء الايمان والاخلاص وذلك لا يستلزم تحقق الايمان واستحكامه في قلوبهم فيجوز ان يصدر عنهم مع
ذلك ما يدل على عدم استحكام الايمان في قلوبهم فانه تعالى ما وصفهم بالايمان المستحكم بل حكى عنهم ادعاء ذلك
ثم حكى عنهم ما يدل على كونهم شاكين في قدرته تعالى قرأ الجمهور هل يستطيع بياء الغيبة ورفع ربك على
الفاعلية وقرأ الكسائي هل تستطيع بتاء الخطاب لعيسى ونصب ربك على تقدير المضاف اي هل تستطيع سؤال ربك
من غير ان يصرفك عنه صارف فعلى هذه القراءة لا يلزم كون الحواريين شاكين في قدرة الله تعالى مع قولهم
آمنا بالله واشهد باننا مسلمون ﴿قوله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام﴾ فان لم يكن عليه طعام لا يسمى
مائدة والاشياء التي تكون كذلك كالكأس لا يقال كأس الا وفيها خمر والا فهي قدح ولا يقال ذنوب او سجل الا وفيه ماء والا فهو دلو
ولا يقال جراب الا وهو مدبوغ والا فهو اهاب ﴿قوله من ماد الماء يميد اذا تحرك﴾ ومنه قوله تعالى وجعلنا
فيها رواسي ان تميد بهم فكأنها تميد بما عليها من الطعام او كأنها تميد بالآكلين او من ماده اذا اعطاه فهي مائدة اي
معطية ﴿قوله تمهيد عذر﴾ وذلك انهم لما طلبوا ذلك قال لهم عيسى عليه السلام قد اظهرت من المعجزات ما فيه
كفاية للمهتدين فاتقوا الله في طلب معجزة اخرى فأجابوا بأن قالوا انا لا نطلب هذه المائدة لمجرد ان تكون معجزة
بل لمجموع امور كثيرة احدها انا نريد ان نأكل منها اكل تبرك بحيث يشفى بسببها مرضانا ويتقوى بها ضعفاؤنا
ويستغني بها فقراؤنا وقيل مرادهم اكل احتياج لانهم قالوا ذلك في زمن المجاعة والقحط وثانيها انا وان علمنا قدرة الله
تعالى بالدليل ولكنا اذا شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة وثالثها انا وان علمنا بسائر المعجزات

بالتشديد (فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا) اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة (لا اعذبه) الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به (صدقك)
ما يعذب به على حذف حرف الجر (احدا من العالمين) اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت
سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين

اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت

تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله) يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عز وجل وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله تعالى (قال سبحانك) اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك (ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله (ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه (ما قلت لهم الا ما امرتني به) تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه (ان اعبدوا الله ربي وربكم) عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله

صدقك ولكن اذا شهدنا هذه المعجزة ازداد اليقين وتأكدت الطمأنينة ورابعها ان جميع تلك المعجزات التي اوردتها كانت معجزات ارضية وهذه معجزة سماوية وهي اعجب واعظم فاذا شاهدناها كنا عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بكمال القدرة ولك بالنبوة ﴿قوله اي يكون يوم نزولها عيدا﴾ بالقيد لنا كاعياد اهل كل شريعة تعظيما لذلك اليوم واسند قوله تكون الى ضمير المائدة لكونها سببا لكون يوم نزولها عيدا لهم وقيل معناه تكون خصما يعود الينا مرة بعد اخرى فالاسناد على هذا حقيقي بمعنى قوله لاولنا وآخرنا على هذا القول الاولون وهم الحاضرون والآخرون اي الذين يأتون من بعد وما ذلك الا يكون نفس المائدة تعود اليهم مرة بعد اخرى او بكونها طعاما يبقى بينهم دائما ﴿قوله اي تعذيبا﴾ على ان عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب كنباتا في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واجاز ابو البقاء ان يكون انتصابه على انه مفعول به على السعة اي على ان يجعل الحدث مفعولا به مبالغة فان المنصوب من التشبيه بالمفعول به ثلاثة انواع عند النحاة المصدر والظرف المتسع فيه ومعمول الصفة المشبهة اما المصدر فكما تقدم واما الظرف فنحو يوم الجمعة صمته ومنه قوله ويوما شهدناه سليما اي شهدنا فيه ﴿قوله الضمير للمصدر او للعذاب﴾ يعني انه راجع الى قوله عذابا على ان يكون اسم مصدر بمعنى التعذيب كأنه قيل فاني اعذبه تعذيبا لا اعذب ذلك التعذيب احدا فالجملة في محل النصب على انه صفة لعذاب فالعذاب بمعنى التعذيب على طريق الاستخدام ﴿قوله ثم طارت المائدة﴾ يعني انها نزلت يوما واحدا فأكل من اكل منها ثم طارت ولم تنزل بعد ذلك اليوم ويدل عليه عطف قوله وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا اي تنزل يوما ولا تنزل يوما ﴿قوله وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة﴾ عطف على قوله روي انها نزلت سفرة يعني روي عن مجاهد والحسن انها لم تنزل بناء على انه تعالى لما اوعدهم على كفرهم بعد نزولها خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله تعالى اني منزلها عليكم معناه ان سألتم ولم يسألوا ﴿قوله يريد به توبيخ الكفرة﴾ بأن عدد الله تعالى على عيسى عليه السلام نعمه يوم يجمع بينه وبين الكفرة ليعترف بذلك كله ويتبين بطلان النصارى في مخالفتهم اياه عليه السلام فتكون هذه الآية توبيخا لهم بوجه آخر وولي حرف الاستفهام المبتدأ لانه لو قيل أقلت لكان المستفهم عنه وقوع الفعل نفسه وهو معلوم الوقوع ولا وجه للاستفهام عنه وتوهمه بل المستفهم عنه انما هو نسبة الفعل الى قائله ليتبين ان عيسى عليه السلام بريء من ذلك القول وان الكفرة هم الذين اتخذوه وامه الهين من دون الله من عند انفسهم متوغلين في تعظيمه وبه يظهر ان المراد بالآية تقريع الكفرة وتوبيخهم على اشراكهم به تعالى من هو مقر ومعترف بعبوديته وقوله تعالى اتخذوني بمعنى صيروني فيتعدى الى اثنين ثانيهما الهين ومن دون الله ان كان صفة لالهين يتعلق بمحذوف والظاهر انه صلة اتخذوني او متعلق به على ان يكون حالا من فاعله والمعنى صيروني وامي الهين اي معبودين متجاوزين عن الوهية الله ومعبوديته ويظهر بهذا التقرير وجه التنبيه المذكور لان العبادة عبارة عن غاية التذلل ومن اثبت لمعبوده شريكا في العبادة لا يكون متذللا له غاية التذلل ﴿قوله او القصور﴾ لان الدون في اللغة يقتضي فوق فان قيل فلان دون فلان فقد وصف بانه ادنى منه درجة مع دنوه منه فان كان دون في الآية بمعنى الدناءة مع الدنو يكون معنى الاستفهام نفي التوصل بعبادتهما وعبادته تعالى واداء حق الوهيته لان من اعطى حق الله غيره كيف يراعي حقه ﴿قوله وليس من شرط البدل الخ﴾ جواب عما يقال كيف يصح جعله بدلا من الهاء في به ومن لوازم البدل جواز اقامته مقام المبدل منه وهي لا تجوز ههنا لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء في به لقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله وهذا التركيب لا يجوز عند النحاة لاستلزام كون جملة الصلة خالية عما يعود منها الى الموصول وتقرير الجواب ان شرط البدل كونه مقصودا بالنسبة لا جواز طرح المتبوع وان يحل التابع محله مطلقا فلا محذور ﴿قوله او خبر مضمر او مفعوله﴾ اي ويجوز ان يكون قوله ان اعبدوا الله في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف راجع الى الموصول والتقدير هو ان اعبدوا الله وان يكون في محل النصب على انه مفعول فعل محذوف فسر به ذلك المأمور به والتقدير اعني بذلك المأمور به ان اعبدوا الله ﴿قوله ولا يجوز ابداله من ما﴾ اي من ما في ما امرتني به لان المعنى يكون حينئذ ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله اي ما قلت لهم الا عبادته والعبادة لا تقال لان القول لا يكون الا جملة محكية بالقول ﴿قوله ولا ان تكون ان مفسرة﴾ لان ان المفسرة لابد لها من مفسر وهو منتف ههنا لان المذكور قبلها في الآية شيئان فعل القول وفعل

{ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان { فلما توفيتنى } بالرفع الى السماء لقوله انى متوفيك ورافعك والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها

{ كنت انت الرقيب عليهم } المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات { وانت على كل شئ شهيد } مطلع عليه مراقب له { ان تعذبهم فانهم عبادك } اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك { وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم } فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان { قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم } وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف { لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم } بيان النفع { لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير } تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث آيات من قوله قل تعالوا او هى مائة وخمس وستون آية ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ { الحمد لله الذى (غيب)

الامر ولا وجه لان يفسر شئ منهما بان المفسرة اما فعل القول فلانه تحكى بعده الجمل ولا يتوسط بينه وبين محكيه حرف تفسير واما فعل الامر فانه مسند الى ضمير الله تعالى فلو فسرته باعبدوا الله ربى وربكم لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم فلا يصح ان تكون كلمة ان فى الآية مفسرة الا ان يؤول قول عيسى بامره ويكون المعنى ما امرتهم الا بما امرتنى به ان اعبدوا الله فبهذا التأويل يصح ان يكون قوله ان اعبدوا الله مفسرا لفعل القول المسند الى عيسى وان لم يصح كونه تفسيرا للامر المسند اليه تعالى ﴿ قوله وقرأ نافع يوم بالنصب ﴾ اى بنصب يوم بغير تنوين على انه ظرف لقوله قال وخبر هذا محذوف لدلالة الظرف عليه كانه قيل قال الله لعيسى وقت انتفاع الصادقين بصدقهم هذا جزاء صدقك فى الدنيا حيث لم تقل لهم فى الدنيا الا ما امرتك به وما يحق لك ان تقوله ويحتمل ان يكون قوله يوم ينفع منصوبا على انه ظرف مستقر وقع خبرا لقوله هذا والتقدير هذا الذى ذكر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع ﴿ قوله وقيل انه خبر ﴾ اى قيل فى توجيه قرآءة نافع ان قوله هذا مبتدأ ويوم خبره كما فى قرآءة الجمهور الا انه بنى يوم على الفتح لاضافته الى الفعل فان الجملة الفعلية مبنية وان كان الفعل فيها معربا مضارعا على ما ذهب اليه الكوفيون واستدلوا عليه بهذه الآية واما البصريون فلا يجيزون بناء الظرف الا اذا صدرت الجملة المضاف اليها بفعل ماض فيكون يوم منصوبا على الظرفية ﴿ قوله تغليبا للعقلاء ﴾ علة لان يقال ومن فيهن لا لنفيه وقوله اتباعا لهم غير اولى العقل علة لقوله وما فيهن يعنى ان المشهور ان تكون كلمة ما متناولة للاجناس كلها من العقلاء وغيرهم باعتبار تغليب غير العقلاء على العقلاء بخلاف كلمة من فان المشهور فيها ان تكون مختصة بالعقلاء وان اطلقت على ما يتناول العقلاء وغيرهم يكون اطلاقها على الجميع بطريق تغليب العقلاء على غيرهم وقد اورد فى الآية كلمة ما واطلقت على ما يعم العقلاء وغيرهم بطريق تغليب غير العقلاء على العقلاء والظاهر ان تورد كلمة من وتطلق على الاجناس كلها بطريق تغليب العقلاء على غيرهم وانما اوثرت ما لان المقام مقام اظهار كذب النصارى وابطال زعمهم الباطل فيقتضى ان الحق العقلاء بغيرهم ويدخل عيسى وامه وغيرهما من العقلاء فى ملكه تعالى وتحت قدرته وقهره دخول الجوامد اللاتى هن بمعزل عن معنى الالوهية ومرتبة العبودية اهانة لهم وتنبيها على انهم من جنس الجوامد والبهائم العارية عن العلم والعقل ليظهر استحالة كونهم شركاء لله تعالى فى الالوهية والمعبودية فلذلك اوثرت كلمة ما واطلقت على الاجناس كلها بطريق تغليب غير العقلاء عليهم لاستدعاء المقام ذلك ﴿ قوله ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها ﴾ عطف على قوله اتباعا لهم غير اولى العقل الذين هم فى غاية القصور عن معنى الربوبية قدمر ان الوجه الاول مبنى على ان تكون كلمة ما مختصة بغير العقلاء ولا تطلق على وجه العموم الا باعتبار التغليب بخلاف كلمة من فانها مختصة بالعقلاء ولا تطلق على وجه العموم الا بتغليب العقلاء على غيرهم وهذا الوجه مبنى على ما هو المختار من انه يصح ارادة العموم بكلمة ما من غير اعتبار التغليب بخلاف كلمة من فانه لا يصح ارادة العموم الا بالتغليب وما يطلق على الاجناس كلها بدون اعتبار التغليب انسب بالمقام مما لا يطلق عليها الا باعتبار ذلك فلذلك اوثرت كلمة ما على كلمة من وانما قلنا ان المقام مقام ارادة العموم لان المراد اثبات وحدانيته تعالى وابطال قول من زعم تعدد الآلهة ببيان ان جميع ما سواه من العلويات والسفليات محصورون فى قبضة قدرته مقهورون منقادون لمشيئته وارادته فلا يصلح شئ منها لان يكون شريكا له فى الالوهية سوآء فى ذلك عيسى او امه او غيرهما من مخلوقاته فظهر ان المقام مقام ارادة العموم

(سورة الانعام مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال ابن عباس رضى الله عنهما انها مكية نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك ولهم زجل اى صوت بالتسبيح والتحميد حتى كادت الارض ترتج فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا وروى عنه عليه السلام مرفوعا من قرأ سورة الانعام تصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره ثم دعا بالكتاب وامر بكتابتها وقال سعيد بن جبير لم ينزل من الوحى شئ الا ومع جبريل اربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الا الانعام فانها نزلت ومعها سبعون الف ملك وقال كعب الاحبار فتحت التوراة باول سورة الانعام الى قوله بربهم يعدلون وختمت بآخر سورة بنى اسرآئيل وهى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الى آخر السورة وقيل ختمت بآخر سورة هود ولله

غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون وروى عنه عليه السلام مرفوعا انه قال * من قرأ ثلاث آيات من اول سورة الانعام الى قوله تكسبون حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين الف ملك يحفظونه وكتب له مثل اعمالهم الى يوم القيامة ونزل ملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد كلما اراد الشيطان ان يلقى فى قلبه شيأ من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعون الف حجاب فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى له ابن آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فانت عبدى وانا ربك لاحساب عليك ولاعذاب * كذا رواه الامام الواحدى فى الوسيط وقال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام كلها بمكة الا قوله تعالى وماقدروا الله حق قدره الى آخر ثلاث آيات نزلت فى رد مقالة اليهود وقوله تعالى قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون فهذه الست آيات مدنيات ﴿قوله اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد﴾ اى مختص جميع افراده وافراده به تعالى وذلك انه تعالى جعل الحمد المحلى بلام الجنس مبتدأ والخبر عنه باختصاصه لله تعالى واختصاص الجنس به يستلزم اختصاص جميع افراده به تعالى اذ لو ثبت شئ من افراد الحمد لغيره تعالى لزم ان يثبت له حقيقة الحمد فى ضمن ذلك الفرد * فان قيل أليس شكر المنعم واجبا مثل شكر الاستاذ على تعليمه وشكر السلطان على عدله وشكر المحسن على احسانه قال عليه الصلاة والسلام * من لم يشكر الناس لم يشكر الله * فالجواب ان الحمد والتعظيم المتعلق بالمنعم نظرا الى وصول النعمة من قبله هو فى الحقيقة راجع اليه تعالى لانه تعالى لو لم يخلق نفس تلك النعمة ولم يحدث داعية الاحسان فى قلب المحسن لماقدر ذلك العبد على الاحسان والانعام وذلك لان صدور الاحسان من العبد يتوقف على داعية الاحسان فى قلب العبد وحصول تلك الداعية فى القلب ليس من العبد والا لافتقر فى حصولها الى داعية اخرى ولزم التسلسل بل حصولها ليس الا من الله تعالى فظهر انه لامحسن فى الحقيقة الا الله ولامستحق للحمد فى الحقيقة الاهو ﴿قوله ونبه على انه المستحق له﴾ حيث اخبر بان استحقاق حقيقة الحمد مختص بالله تعالى لايماثله فيه احد سواه كيف وانه تعالى هو المتفرد فى تربية عباده بخلق هذه النعم اسبابا لتكونهم وتعيشهم ولايماثله احد فى تربيتهم بخلق شئ منها وبه تم الاحتجاج على من يزعم المعادلة بينه وبين الاوثان ولامدخل فى هذا الاحتجاج لاسناد الحمد الى الحامد بان يقول احمد الله مثلا فبهذا الوجه فضل الحمد لله على ان يقول احمد الله مع ان اسناد الحمد الى الحامد يشعر بانه قضى حق حمده تعالى ولايليق بذلك طاقة احد لما روى من انه تعالى اوحى الى داود عليه السلام يأمره بالشكر فقال كيف اشكرك وشكرى لك لايحصل الا بان توفقنى لشكرك وذلك التوفيق نعمة زائدة وانها توجب الشكر ايضا وذلك يجر الى مالانهاية له ولاطاقة لى بفعل مالانهاية له فاوحى الله تعالى الى داود لما عرفت عجزك عن شكرى فقد شكرتنى فكان الحمد بان يقال الحمد لله لدلالته على انه تعالى هو المستحق للحمد وان عجز الحامدون عن قضاء حق حمده اتم واكمل من ان يقال احمد الله مثلا قال الامام قوله تعالى الحمد لله فيه قولان الاول ان المراد به احمد الله قالوا وانما جاء على صيغة الخبر لفوائد احداها ان قوله يفيد تعليم اللفظ والمعنى ولو قال احمد الله لم يحصل مجموع هاتين الفائدتين وثانيها انه يفيد انه تعالى مستحق للحمد سواء حمده حامد او لم يحمده وثالثها ان المقصود منه ذكر الحمد فذكره بصيغة الخبر اولى والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان المراد منه تعليم العباد استدلالا بانه تعالى قال فى اثناء سورة الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين وهذا الكلام لايليق ذكره الا بالعباد ﴿قوله وتقدم وجودها﴾ كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهو قول قتادة واختاره المصنف ايضا فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء حيث قال وثم لعله لتفاوت مابين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض لا للتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها ﴿قوله والجعل فيه معنى التضمين﴾ اى جعل شئ فى ضمن شئ بان يحصل منه او يصير اياه او ينقل منه اليه وبالجملة فيه اعتبار شيئين وارتباط بينهما وفى الخلق معنى الايجاد بتقدير وتسوية كذا فى الحواشى السعدية ولما لم يكن فى الخلق اعتبار شيئين وارتباط بينهما عبر عن احداث الاشياء القائمة بانفسها على سبيل الابداع بالخلق اذ ليس فى احداثها ملاحظة ارتباطها بشئ آخر اصلا بخلاف الامور القائمة بغيرها فان احداثها انما يكون بتحصيلها فى موضوعاتها * روى عن الضحاك انه قال هذه الآية نزلت تكذيبا للمجوس فى قولهم الله خالق النور والشيطان خالق الظلمات والمعنى ان الله واحد لاشريك له وهو الذى خلق

اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها (وجعل الظلمات والنور) انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية

السموات والارض وهو الذي خلق الظلمات والنور وفي التيسير انها رد على الثنوية في اضافتهم خلق النور الى يزدان وخلق الظلمات الى اهرمن وبنوا على ذلك خالق كل خير وشر ﴿قوله لكثرة اسبابها﴾ وسببها تخلل الجرم الكثيف بين النير والحس المتحيز وذلك التخلل يكثر بكثرة الاجرام المتخللة بخلاف النور فان سببه ليس الا النار والكواكب هذا على تقدير ان يراد بالنور الكيفية المحسوسة التي تدركها الباصرة اولا وبواسطتها تدرك سائر المبصرات وبالظلمة عدم النور في الجسم الذي من شأنه قبول النور كما اختاره المصنف او الكيفية الوجودية المضادة للنور على ما قيل استدلالا بقوله تعالى وجعل الظلمات والنور زعما ان الاعدام غير مخلوقة وفرق المصنف بين الاعدام الصرفة واعدام الملكة واما على تقدير ان يراد بالنور الحق والهدى وبالظلمات الضلالات والانواع الباطلة فالامر واضح فان الحق واحد ووجوه الضلال عن الحق متكثرة متعددة ﴿قوله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة﴾ الحمد وان لم يكن بمقابلة النعمة خاصة بل قد يكون على الفضائل الكمالية للمحمود الا ان المحمود في الآية لما وصف بكونه خالقا لما ذكر من النعم نبه على ان الحمد فيها على النعمة دون مجرد الاوصاف والافعال الكمالية ثم ان المصنف جعل الباء في قوله تعالى بربهم على تقدير كون ثم الذين كفروا معطوفا على الحمد لله متعلقة بكفروا وقال في تصوير المعنى ثم الذين كفروا به يعدلون اي يميلون عنه الى غيره وجعل يعدلون من العدول وعلى تقدير كونه معطوفا على خلق جعلها متعلقة بيعدلون وقال في تصوير المعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان وجعل يعدلون من العدل بمعنى التسوية فيلزم ان يقال قدم المعمول على العامل للاهتمام وتحقيق الاستبعاد وقيل عليه انه تخصيص من غير مخصص لتأتي التقديرين على كل واحد من الوجهين ووضع المظهر اعني بربهم موضع المضمر لبيان موقع الاستبعاد وعلى تقدير ان يكون الباء متعلقة بكفروا يكون موقع الاستبعاد والانكار نفس الفعل وهو العدول ﴿قوله فانه المادة الاولى﴾ اي بالنسبة الى كل واحد من آحاد نوع الانسان كما هو المتبادر من قوله خلقكم فان الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما متولدان من دم العروق وذلك الدم متولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية فان كانت حيوانية كان الحال في تولد ذلك الحيوان كالحال في كيفية تولد الانسان وان كانت نباتية فهي انما تتولد من الطين فثبت ان الطين هو المادة الاولى للانسان وايضا لما انتهت سلسلة الآباء اليه كان مادة اولى لهم من هذا الوجه ايضا غاية ما في الباب انه لا يكون مبدأ قريبا ومن الابتدائية في قوله تعالى من طين لا تستلزم ذلك وان اريد بمبدئية الطين كونه مبدأ قريبا للمخلوق يقدر المضاف في قوله خلقكم روي انه تعالى بعث جبريل الى الارض ليأتيه بطائفة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع جبريل ولم يأخذ شيئا قال يارب انها عاذت بك فبعث ميكائيل فاستعاذت كالمرة الاولى فرجع فبعث اسرافيل فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه بالله فقال وانا اعوذ بالله ان اخالفه فأخذ من وجه الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والمر والملح فلذلك اختلفت اخلاقهم فقال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل واسرافيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك ﴿قوله تعالى ثم قضى اجلا﴾ اي قدر مدة فان لفظ القضاء قد يراد به الحكم والامر ومنه قيل للحاكم قاض قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وقد يراد به الاخبار والاعلام قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقد يراد به اتمام الشيء فعلا كما في قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر هو تعلق تلك الارادة بالاشياء في اوقاتها والمراد بالقضاء في قوله عليه الصلاة والسلام لا يرد القضاء الا الدعاء ما يخاف العبد منه من نزول المكروه وبالرد تهوينه اي تسهيله عليه بحيث يحصل ما ينزل عليه من المكروه شيئا ويصير راضيا بقضاء الله تعالى والمناسب لهذا المقام ان يكون القضاء بمعنى الحكم والتقدير الازلي فتكون كلمة ثم فيه للترتيب في الذكر ضرورة ان القضاء بالمعنى المذكور ليس متأخرا عن الخلق ﴿قوله اجل الموت﴾ اي آخر مدة الحياة واجل القيامة والبعث آخر مدة الموت كما ان اجل النوم آخر مدة اعمال الحواس وتأثيرها فان الاجل عبارة عن الوقت المضروب لانقضاء المدة واجل الانسان هو الوقت المضروب لانقضاء عمره واجل الدين محله لانقضاء التأخير فيه فقوله تعالى ثم قضى اجلا معناه انه تعالى خصص موت كل احد بوقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته تعالى بايقاع ذلك الموت في ذلك الوقت ﴿قوله تعالى

(واجل)

وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به (هو الذي خلقكم من طين) اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف (ثم قضى اجلا) اجل الموت

واجل مسمى ﴿ مبتدأ وعنده خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصصها بالصفة كقوله ولعبد مؤمن خير وصريح هذه الآية يدل على حصول اجلين لكل انسان واختلف المفسرون فى تفسيرهما قال بعضهم الاجل الاول من وقت الولادة الى الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لكل احد اجلان اجل من ابتداء الخلق الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان برا تقيا وصولا لرحمه زيد له من اجل البعث فى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا لرحم نقص من اجل العمر فى اجل البعث فعلى هذا يكون الاجل بمعنى جميع المدة وقيل الاجل الاول آجال الماضين من الخلق والثانى آجال الباقين منهم وآجال من لم يأت بعد وخص هذا الاجل الثانى بكونه مسمى عنده لانهم لما ماتوا صارت آجالهم معلومة بخلاف آجال من بقى وآجال من لم يأت بعد فان تلك الآجال لايعلمها الا الله تعالى دون من مضى منهم وقيل هما واحد بمعنى جعل لاعماركم مدة تنتهون اليها وقوله واجل مسمى عنده يعنى وهو اجل مسمى عنده لايعلمه غيره وقال حكماء الاسلام ان لكل انسان اجلين احدهما الآجال الطبيعية والثانى الآجال الاخترامية اما الآجال الطبيعية فهى التى لو بقى الشخص على طبيعته ومزاجه المختص به ولم تعترضه العوارض الخارجية والآفات المهلكة لانتهت مدة بقائه الى ان تحلل رطوبته وتنطفئ حرارته الغريزيتان واما الآجال الاخترامية فهى التى تحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق ولدغ الحشرات وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى قوله مسمى عنده معلوم عنده ومذكور اسمه فى اللوح المحفوظ ﴿قوله واجل نكرة خصت بالصفة﴾ جواب عما يقال المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره نحو فى الدار رجل فلم جاز تقديمه فى قوله تعالى واجل مسمى عنده وتقرير الجواب ان تقديم الظرف فى مثله انما يجب اذا لم يوجد مسوغ آخر للابتداء بالنكرة وههنا قد وجد مسوغ آخر وهو التوصيف فجاز الامران وبعد ما ذكر ما يجوز تقديم المبتدأ اشار الى ان ههنا نكتة مرجحة لتقديمه فقال والاستئناف به لتعظيمه يعنى انه لما قصد التفرقة بين الاجلين وقصد تعظيم الثانى استأنف به الكلام اى ابتدأ به اهتماما بشأنه فان تقديم الشئ والاهتمام به من دلائل تعظيمه وكذا تنكيره ووصفه بانه مسمى والاخبار عنه بانه عند الله كل ذلك من دلائل التعظيم ﴿قوله ولانه المقصود بيانه﴾ نكتة ثانية لترجيح التقديم فان الاصل فى المسند اليه ان يتقدم ذكره اذا انتفى ما يقتضى العدول عن هذا الاصل كما فى الجملة الفعلية فان كون المسند هو العامل فى المسند اليه اقتضى العدول عن تقديم المسند اليه لان مرتبة العامل قبل مرتبة المعمول ﴿قوله الضمير لله والله خبره﴾ يرد عليه ان يقال كون الضمير لله يستلزم ان يكون الكلام فى قوة ان يقال الله الله فيلزم ان يكون تركيب الكلام من اسمين متحدين لفظا ومعنى ولا يتصور بينهما نسبة اسنادية فكيف يتركب الكلام منهما كما يرد على كون قوله فى السموات وفى الارض متعلقا باسم الله ان اسم الله علم فلا يتعلق به حرف الجر لان حرف الجر موضوع لافضاء معنى الفعل الى الاسم فلا بد ان يكون مدخوله اسما ومتعلقه اما فعل او شبه فعل ولما كان اسم الله علما لم يكن فيه معنى الفعل فكيف يتعلق به حرف الجر وكذا اله فى قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله فانه وان كان بمعنى المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب الا انه اسم فلا يتعلق به حرف الجر والمصنف اشار الى دفعهما بقوله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما ووجه الدفع ان اسم الله وان كان علما الا انه يتضمن معنى وصفيا فيتعلق به الحرف وهو المعبودية كما يتضمن حاتم معنى الجواد ويتضمن اسد معنى الجرئ ونعامة معنى الجبان فيتعلق بها حرف الجر بهذا الاعتبار فيقال هو حاتم فى طى وقيل فى حق الحجاج

أسد علىّ وفى الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر

وباعتبار هذا المعنى الوصفى الضمنى صح كل واحد من الحمل وتعلق حرف الجر به ﴿قوله او بقوله يعلم سركم﴾ عطف على قوله باسم الله اى ويجوز ان يتم الكلام عند قوله وهو الله ويتعلق الظرف بقوله يعلم والمعنى انه تعالى يعلم فى السموات اسرار الملائكة وفى الارض يعلم اسرار الانس والجن ولا يجوز كونه متعلقا بمفعول يعلم وهو سركم وجهركم اى يعلم سركم وجهركم فيهما لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وهو قول المصنف وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ﴿قوله ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يقال معنى الآية انه تعالى يعلم فيهما اسرار خلقه وانه يستلزم كونه تعالى مستقرا فيهما وهو تعالى منزه عن ان يحيط به زمان ومكان ﴿قوله او ظرف مستقر﴾ عطف على قوله متعلق باسم الله اى ويجوز ان يكون اسم الله خبرا

﴿واجل مسمى عنده﴾ اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لايقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ﴿ثم انتم تمترون﴾ استبعاد لامترائهم بعد ان ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع ﴿وهو الله﴾ الضمير لله والله خبره ﴿فى السموات وفى الارض﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله او بقوله ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ والجملة خبر ثان او هى الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا

اولا لهو وفى السموات خبرا ثانيا له كأنه قيل انه الله وانه فى السموات وفى الارض لا على معنى انه تعالى فيهما
حقيقة بل على معنى انه تعالى لما كان عالما بما فيهما كان كأنه فيهما فانه تعالى لما كان عالما بما فيهما شبهت
حالة علمه بما فيهما بحالة كونه فيهما لان العالم اذا كان فى مكان كان عالما به وبما فيه فعبر عن حالة علمه بما فيهما بحالة
كونه فيهما على طريق الاستعارة التمثيلية قيل المراد بالسر اعمال القلوب وبالجهر اعمال الجوارح فالافعال
لا تخرج عن السر والجهر فيكون قوله تعالى ويعلم ما تكسبون تكرارا او من عطف الشئ على نفسه فيجب ان يحمل قوله
تعالى ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله من ثواب وعقاب والحاصل انه محمول على المكتسب كما يقال
هذا المال كسب فلان اى مكتسبه لان حمله على اصل معناه يستلزم المحذور المذكور فان الكسب فى الاصل
هو الفعل المفضى الى اجتلاب نفع او دفع ضر ولهذا السبب لا يوصف فعله تعالى بانه كسب لكونه تعالى منزها
من جلب نفع او دفع ضر والمصنف حمل الكسب على معنى الفعل ودفع لزوم التكرار بقوله ولعله اخ ويمكن دفع
ذلك بان الافعال لها جهات مختلفة فهى من جهة سر وجهر ومن جهة اخرى خير وشر فهو تعالى بينها اولا من جهة
كونها سرا وجهرا ثم انه بينها من جهة كونها خيرا وشرا تنبيها على انه انما يثيب ويعاقب على حسب الاستحقاق
ومقتضى الحكمة * واعلم انه تعالى لما ابتدأ هذه السورة الكريمة بما يدل على وحدانيته ثم بين انه قضى اجلا اولا ثم اجلا
البعث والقيامة وثلث بما يقرر هذين المطلوبين ثم ذكر ما يتعلق بتقرير النبوة فقال وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين ذم المعرضين عن تأمل الدلائل تنبيها على وجوب التأمل والتفكر فيها وبطلان الاكتفاء
بالتقليد واتباع الهوى **قوله** ولذلك رتب عليه بالفاء اى ولكونه كاللازم لما قبله مرتبا عليه ترتب اللازم
على ملزومه او لكونه كالدليل رتب عليه بالفاء السببية فانها كما تدخل على ما هو جزاء لازم لما قبله سواء تقدمت كلمة
الشرط نحو ان تقيتنا فاكرمه او لم تتقدم نحو زيد فاضل فاكرمه تدخل ايضا على ما هو سبب لما قبلها فتكون بمعنى اللام
السببية كما فى قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وفى نحو قولك اكرم زيدا فانه فاضل فهذه الفاء تدخل على ما هو
شرط فى المعنى كما ان الاولى تدخل على ما هو جزاء فى المعنى والمراد بالحق ههنا القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
وصف الله تعالى كفار مكة بثلاثة اوصاف اولها كونهم معرضين عن التأمل والتفكر فى الدلائل والآيات وثانيها
كونهم مكذبين بها وهذا الوصف اقبح مما قبله لان المعرض عن الشئ قد لا يكذبه بل قد يغفل عنه وثالثها كونهم
مستهزئين بها وهو اقبح مما قبله لان المكذب بالشئ قد لا يبلغ تكذيبه الى حد الاستهزاء فاذا بلغ الى هذا الحد فقد
بلغ الغاية القصوى فى الانكار ثم انه تعالى لما ذكر ما فيهم من الاعراض والتكذيب والاستهزاء اتبعه بما يجرى
مجرى الموعظة فوعظهم بالقرون الماضية والقرن الجماعة المقترنة من الناس لكونهم اهل عصر فيه نبى او فائق
فى العلم وقيل القرن مدة من الزمان قيل هى ثمانون سنة وقيل سبعون سنة وقيل ستون سنة وقيل اربعون سنة
وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة سنة قيل انه عليه الصلاة والسلام قال لبعض الصحابة تعيش قرنا فعاش مائة
سنة فيكون معنى الآية على هذه الاقاويل من اهل قرن لان نفس الزمان لا يتعلق به الاهلاك وهو مختار
المصنف وكم فى الآية يجوز ان تكون استفهامية او خبرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة للرؤية عن العمل
لان الخبرية تجرى مجرى الاستفهامية فى ذلك ولذلك اعطيت احكامها من وجوب التصدير وغيره والرؤية ههنا
علمية ويضعف كونها بصرية وعلى كلا التقديرين فهى معلقة عن العمل لان البصرية تجرى مجراها فان كانت
علمية تكون كم وما فى حيزها سادة مسد المفعولين وان كانت بصرية فمسد واحد وقوله مكناهم فى الارض فى موضع
الجر على انه صفة لقرن وعاد ضمير الجمع اليه باعتبار معناه وما فى قوله ما لم نمكن لكم يحتمل ان تكون موصولة بمعنى
الذى وهى حينئذ تكون صفة لموصوف محذوف والتقدير التمكين الذى لم نمكن لكم والعائد محذوف اى لم نمكنه لكم
ورد بان ما بمعنى الذى لا تكون صفة للمعرفة ويحتمل ان تكون نكرة صفة لمصدر محذوف تقديره تمكينا ما لم نمكنه لكم
ورد بان النكرة التى تقع صفة لا يجوز حذف موصوفها فلا يقال قمت ما وضربت ما وانت تريد قياما ما وضربا
ما وان تكون نكرة موصوفة بالجملة المنفية بعدها والعائد محذوف اى مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم وان تكون مفعولا به
لمكناهم على المعنى لان معنى مكناهم اعطيناهم اى واعطيناهم ما لم نعطكم **قوله** فان مبدأ المطر منها علة
لجواز ان يراد بالسماء الفلك المحيط بهم كأنه ألقى ظله عليهم مع وصفها بالمدرار فان قوله مدرارا حال منها على اى
معنى كانت فان كون السماء بمعنى المطر والسحاب مدرارا اى كثير الدر والصب ظاهر وانما الاشتباه فى كون

يعني انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه
فيهما (ويعلم سركم وجهركم) بيان وتقرير له
وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم
عليه (ويعلم ما تكسبون) من خير او شر
فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر
والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح (وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم) من الاولى مزيدة
للاستغراق والثانية للتبعيض اى وما يظهر
لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات
او آية من آيات القرآن (الا كانوا عنها
معرضين) تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه
(فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) يعني بالقرآن
وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما
كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما
جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم
الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك
رتب عليه بالفاء (فسوف يأتيهم انباء
ما كانوا به يستهزئون) اى سيظهر لهم ما كانوا
به يستهزئون عند نزول العذاب بهم فى الدنيا
والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره (ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن)
اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار
الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل
القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم
قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت
(مكناهم فى الارض) جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى
والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف
فيها (ما لم نمكن لكم) ما لم نجعل لكم
فى السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم
نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار
بالعدد والاسباب (وارسلنا السماء عليهم)
اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ
المطر منها

السماء بمعنى المظلة مدرارا فازال ذلك الاشتباه بان المطر ينزل من الفلك الى السحاب ومن السحاب الى الارض لكن بقى الاشتباه فى ان الارسال كيف يتعلق بالمظلة ولعل المراد من ارسالها ارسال مطرها على حذف المضاف او على ان يجعل ارسال الماء منها متتابعا فى اوقات الحاجات بمنزلة ارسالها نفسها والمدرار مفعال وهو من ابنية مبالغة الفاعل كامرأة مذكار ومئناث واصله من درّ اللبن درورا وهو كثرة وروده على الحالب يقال سحاب مدرار اذا تتابع منه المطر فى اوقات الاحتياج اليه والمغزار مبالغة الغزير بمعنى الكثير يقال غزر الشئ بالضم يغزر فهو غزير مثل كثر لفظا ومعنى وغزرت الناقة ايضا كثر لبنها غزارة فهى غزيرة ومغزار ويستوى فيه المذكر والمؤنث وقوله وارسلنا السماء معطوف على قوله مكناهم فى الارض على انه صفة ثانية لقرن وقوله وجعلنا الانهار تجرى صفة ثالثة لقرن معطوفة على الصفات السابقة والريف ارض فيها زرع وخصب يقال رافت الماشية اى رعت الريف ﴿قوله فاهلكناهم بذنوبهم﴾ حيث باعوا الدين بالدنيا وامتنعوا عن الايمان فعوقبوا بطريق الاستئصال مع انهم وجدوا منافع الدنيا اكثر مما وجده اهل مكة فلما اصرّوا على الكفر لم ينفعهم ماهم فيه من العز وكثرة العدد والبسطة فى المال والجسم فلم لايعتبرون بحالهم وما جرى عليهم بشؤم معصيتهم ﴿قوله يعمر بهم بلاده﴾ اشارة الى فائدة ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم مع ان الكلام مسوق للزجر عن الكفر ﴿قوله وتخصيص اللمس﴾ يعنى ان المراد ولو نزلنا عليك القرآن دفعة واحدة مكتوبا فى صحيفة وعاينوه بأبصارهم وعلموه بمشاهدة لنسبوه الى السحر من حيث ان شأنهم الاعراض عن الحجة والبرهان والانهماك فى اتباع الشهوات والطغيان حتى لو آتاهم الدليل مدركا بالحس والعيان لما التفتوا اليه بل نبذوه وراء الحيطان الا انه خص اللمس بالذكر من بين طرق الاحساس والمشاهدة لانهم لم يتأثروا بالادراك السمعى ولا الادراك الذوقى والادراك الشمى لايليق بالمقام فبقى الادراك البصرى والادراك اللمسى واللمس لكونه لايقبل التزاوير اقوى من البصرى لانهم اذا رأوا المكتوب بأبصارهم لايحتمل ان يقولوا سكرت ابصارنا اى سدت من قولهم سكرت النهر اسكره سكرا اذا سددته ولان اللمس يتقدمه الابصار ويستلزمه من غير عكس فيكون ذكره فى قوة ذكرهما معا فيكون اولى بالتخصيص بالذكر والعدول الى الظاهر فى قوله تعالى لقال الذين كفروا بعد قوله فلمسوه بأيديهم للتسجيل عليهم بالكفر والعناد وقوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك الظاهر انه جملة مستأنفة سيقت لبيان شبهة اخرى من شبه منكرى النبوات والاخبار عنهم بفرط تعنتهم وتصلبهم فى كفرهم وقيل يجوز ان تكون جملة معطوفة على جواب لو اى لو انزلنا عليك كتابا لقالوا كذا وكذا ولقالوا لولا انزل عليه ملك ولايخلو عن بعد لان قولهم لولا انزل ليس مرتبا على قوله ولو انزلنا ولولا ههنا تحضيضية كدخولها على المضارع ولو دخلت على الماضى لكانت للتوبيخ على ترك الفعل فهى هنا بمعنى الامر حكى الله تعالى عنهم انهم طلبوا ملكا يرونه ليشهد له بالرسالة حتى روى ان بعض المشركين قالوا يامحمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عندالله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عندالله وانك رسوله فانزل الله عزوجل قوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس الآية فأجاب الله عن تعنتهم باقتراح انزال الكتاب فى قرطاس يشاهدونه بأنا لو فعلنا ماذكروه لما اهتدوا به بل نسبوه الى السحر واجاب عن اقتراح نزول ملك يشهد بانه رسول الله بجوابين الاول انه لو انزلنا ملكا كما اقترحوه لقضى الامر أى لتم امرهم وفرغ منه بانزال عذاب يستأصلهم لان انزال الملك على البشر آية باهرة فبتقدير انزال الملك على هؤلاء الكفار لايؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله واذا لم يؤمنوا وجب اهلاكهم بعذاب الاستئصال فان سنة الله تعالى جرت على ان القوم اذا لم يؤمنوا عند نزول الآية الباهرة يهلكون على وجه الاستئصال وههنا لم ينزل الله عليهم ملكا لئلا يستحقوا هذا العذاب ومعنى ثم فى قوله تعالى ثم لاينظرون بعد ما بين الامرين من قضاء الامر وعدم الانظار وجعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ﴿قوله ان جعل الهاء﴾ اى فى قوله جعلناه للمطلوب وهو ان يكون الشاهد على نبوته عليه الصلاة والسلام ملكا تكون هذه الآية جوابا ثانيا عن قولهم لولا انزل عليه ملك يعلمنا انه نبى واما ان جعل للرسول عليه الصلاة والسلام كما يدل عليه قوله تعالى لوشاء ربنا لانزل ملائكة وتعجبهم من ارسال البشر نبيا كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم واخبر عنهم بانهم قالوا أبعث الله بشرا رسولا فحينئذ تكون هذه الآية جوابا عن اقتراح آخر لهم وهو ان يبعث الملك لانذار البشر زعما منهم ان الملك اكثر علما واشد مهابة وقدرة على تحصيل ماهو الحكمة من

(مدرارا) اى مغزارا (وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم) فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار (فاهلكناهم بذنوبهم) اى لم يغن ذلك عنهم شيأ (وانشأنا) واحدثنا (من بعدهم قرنا آخرين) بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر على ان يهلك من قبلهم كعاد وثمود وينشئ مكانهم اخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) مكتوبا فى ورق (فلمسوه بايديهم) فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لايقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدى لدفع التجوّز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا (وقالوا لولا انزل عليه ملك) هلا انزل معه ملك يعلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو انزلنا ملكا لقضى الامر) جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم (ثم لاينظرون) بعد نزوله طرفة عين (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لاتقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا اى عليهم مايخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد ولبسنا بالتشديد للمبالغة

ارسال الرسول وان الحكيم اذا اراد تحصيل مهم فانما يستعين في تحصيله بمن هو اقدر على تحصيله والفرق بين اللبس واللبس بفتح اللام وضمها ان اللبس بالضم مصدر قولك لبست الثوب ألبس من باب علم واللبس بالفتح مصدر قولك لبست عليه الامر ألبس من باب ضرب يضرب اي خلطته وجعلته مشتبها عليه والمعنى انا لو مثلناه رجلا لكنا جعلنا الامر مشتبها عليهم حيث يظنون حينئذ ان ذلك الملك بشر ويقولون أبعث الله بشرا رسولا ولو شاء ربنا لانزل ملائكة * قرأ حمزة وعاصم وابو بكر بكسر الدال في قوله ولقد استهزئ على ماهو الاصل في التقاء الساكنين والباقون بالضم على الاتباع ومثله فمن اضطر وقوله برسل متعلق باستهزئ ومن قبلك صفة لرسل وحاق بمعنى احاط وفاعله قوله ما كانوا وما موصولة اسمية والعائد الهاء في به وبه متعلق بيستهزؤن ويستهزؤن خبر لكان ومنهم متعلق بسخروا وضمير منهم للرسل يقال سخرت منه وسخرت به بمعنى والسخرية الاستهزاء والتهكم الا ان الاستهزاء لا يتعدى بمن فلا يقال استهزأت منه ﴿قوله حيث اهلكوا لاجله﴾ اشارة الى امرين الاول ان احاطة استهزاء الرسل بهم كناية عن اهلاك استهزاء الرسل اياهم كما في قولك احاط بهم العدو والثاني ان اسناد الاحاطة والاهلاك من قبيل الاسناد الى السبب والمعنى احاط الله بهم واهلكهم بسبب استهزائهم بالرسل ﴿قوله او نزل بهم وبال استهزائهم﴾ على ان تكون ما مصدرية ويقدر قبلها مضاف ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وحمله على ان يصبر على ما يرى من قومه حذر كفار مكة عذاب الامم الخالية فقال لرسوله قل لهم لا تغتروا بما وصلتم اليه من الدنيا ولذاتها بل سيروا الى آخره ﴿قوله ثم انظروا﴾ عطف على سيروا والعطف في مثل هذا الموضع لم يجئ في القرآن الا بالفاء وههنا جاء بثم فاحتيج الى بيان الفرق بينهما قال في الكشاف فان قلت اى فرق بين قوله تعالى فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قال سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح انتهى كلامه يعني ان النظر اذا عطف على السير بالفاء يكون كل واحد منهما مطلوبا الا ان الاول يكون مطلوبا لاجل الثاني واذا عطف بثم لا يكون بينهما ما يدل على السببية بل ما يدل على كون الثاني متراخيا عن الاول ولا وجه لحمله على التراخي الزماني لان النظر في آثار الهالكين والاعتبار بحالهم واجب على الفور ليس من حقه ان يتراخى عن السير فلذلك حمل على التراخي الرتبي بأن حمل الامر بالسير على الاباحة والامر بالنظر على الوجوب وقيل يجوز ان يكونا واجبين وثم لتفاوت ما بين الواجبين كما في قولك توضأ ثم صل ويؤيد هذا الاحتمال ان جعل السير ههنا سير اباحة وفي غيره سير ايجاب تحكم بلا دليل وان وجوب السير كوجوب الوضوء في ان كل واحد منهما مفتاح لما بعده غير مقصود لذاته ﴿قوله سؤال تبكيت﴾ وهو الالزام والتوبيخ فان كفار مكة لما انكروا التوحيد والبعث والنبوة ذكر الله تعالى ما يدل على حقية هذه المطالب الثلاثة ويكون برهانا تحقيقيا لها ثم ذكر ما يكون دليلا الزاميا عليها حيث امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يسألهم لمن ما في السموات والارض وهو سؤال لا يسعهم ان يجيبوا عنه الا بأن يقروا ويعترفوا بأن جميع ذلك لله وذلك لان آثار الحدوث والامكان ظاهرة في جميع الاجسام وصفاتها فكان الاعتراف بانها بأسرها لله وملكه ومحل تصرفه وقدرته لازما على كل عاقل لا سبيل له الى انكاره اصلا والاعتراف بذلك يستلزم الاعتراف بوحدانية الصانع الحكيم القادر المختار بحكم برهان التمانع والاعتراف به يستلزم الاعتراف بصحة الاعادة لان من قدر على الابتداء فهو اقدر على الاعادة لان من قدر على ابداع السموات العلى والارضين السفلى وما بينهما من انواع الجواهر والاعراض التي لا تحصى أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى وكذا يستلزم الاعتراف بحقية بعثة الانبياء لان الصانع الحكيم لا يصدر عنه مثل هذه المصنوعات العجيبة الشأن الا لحكمة وعاقبة حميدة كما قال تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وقال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وذلك يستدعي ان يبتلي عباده ويكلفهم بأوامر ونواهي حتى يظهر المطيع من العاصي ويجازي كل واحد منهم على حسب استحقاقه وهذا التكليف لا يكون الا بمبلغ يبلغ احكامه الى عباده فدل ذلك على ان ارسال الرسل مما تقتضيه الحكمة فالاعتراف بأن ما في السموات والارض لله يستلزم الاعتراف بحقية هذه المطالب الثلاثة فظهر بما قررناه ان السؤال المذكور سؤال تبكيت والزام بعد اقامة البرهان على الزام فلزم منه ان يكون تصدى السائل لأن يجيب بنفسه مع ان ظاهر السؤال يستدعي ان يكون مقصود السائل ان

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم (قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين (قل لمن ما في السموات والارض) خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت

يجيب غيره لأن الجئ المسئول منه الى الاقرار بأن الكل لله كأنه يقول هل لكم سبيل الى عدم الاقرار بذلك مع كونه من الظهور بحيث لا يقدر احد على انكاره فقول المصنف رحمه الله قل لله تقرير لهم معناه الجئهم الى الاقرار بذلك وان جاز ان يقال معناه تقرير الجواب لاجلهم فكأنه اجاب نيابة عنهم وفي تصدي السائل للجواب قبل ان يجيب غيره اعاء الى ان مثل هذا السؤال لكون جوابه متعينا ليس من حقه ان ينتظر جوابه بل حقه ان يبادر السائل الى الاعتراف بالجواب ثم انه تعالى لما حقق كمال الوهية وقرر امر النبوة والمعاد اردفه بكمال رحمته واحسانه الى خلقه فقال كتب ربكم على نفسه الرحمة اى التزمها واوجبها تفضلا واحسانا لانه تعالى منزه عن ان يجب عليه شئ حقيقة عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى رواه مسلم بسنده ﴿قوله استئناف وقسم﴾ يعنى انه ابتداء كلام واللام فيه لام القسم كأنه قيل والله ليجمعنكم الى يوم القيامة الذى انكرتموه ﴿قوله وقيل بدل﴾ عطف على قوله استئناف وقسم والجملة القسمية على تقدير كونها مستأنفة لا تعلق بما قبلها من حيث الاعراب وان تعلقت من حيث المعنى بخلاف ما اذا كانت بدلا من مفعول كتب فانها حينئذ تكون فى محل النصب وان كانت جملة الجواب لا محل لها من الاعراب ابدا والظاهر ان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الى قوله وله ما سكن فى الليل والنهار من تتمة ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله لكفار مكة امر الله تعالى اياه اولا بان يسألهم لمن ما فى السموات والارض ثم امره بان يجيب بقوله لله الجاء لهم الى الاقرار بانه لله لازم الحجة عليهم فى تحقيق المطالب الثلاثة وبان يتبع ذلك الجواب ببيان عموم رحمة الله تعالى لجميع خلقه فى الدارين اما فى حق من تاب وآمن بالرسل وقبل شرائعهم فبأن يدخله دار كرامته بالاعزاز والتكريم واما فى حق من عاند واصر على الكفر والتكذيب فبأن يدفع عنه عذاب الاستئصال ولا يعاجله بالعقوبة فى الدنيا وبأن يخاطب كفار مكة بقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون والمعنى ان رحمة الله فى حق من خسر نفسه انما هى امهاله الى يوم القيامة لا اهماله بل يحشره ويحاسبه على كل ما فعله من الكفر والتكذيب فهذه الجمل كلها داخلة فى حيز قل فى قوله تعالى قل لله ويدل على ما ذكرنا كون قوله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار معطوفا على قوله لله ولا ينافى ما ذكرنا جعل قوله تعالى ليجمعنكم مستأنفا لا محل له من الاعراب لان المراد بكونه مستأنفا عدم دخوله فى حيز كتب ولا ينافى ذلك دخوله فى حيز قل ولعل المصنف انما مرض بكونه بدلا من الرحمة لان الخطاب لكفار مكة والبعث انما يكون رحمة فى حقهم بشرط الايمان وهو غير مذكور فى الآية وتقديره لا يخلو عن تكلف فلذلك رجح كونه مستأنفا والله اعلم ﴿قوله والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم﴾ وهذه الدلالة ظاهرة على تقدير ان يكون الذين خسروا انفسهم مبتدأ وقوله فهم لا يؤمنون خبره لانه قد اشتهر ان المبتدأ اذا كان اسما موصولا صلته فعل يكون متضمنا لمعنى الشرط فيكون مضمون الصلة سببا لاتصاف المبتدأ بالخبر وكذا ان كان تقدير الكلام اعنى الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا وعطف فهم لا يؤمنون على الصلة اذ لا شك ان تضييع ما هو بمنزلة رأس المال من الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان ﴿قوله من السكنى﴾ وهو الاستقرار والتمكن يقال سكنت دارى واسكنتها غيرى سكنى لا من السكون الذى هو ضد الحركة وانما جعله من السكنى لان ما سكن فى الليل والنهار بهذا المعنى يعم جميع ما فى الارض مما طلعت عليه الشمس وغربت بخلاف ما سكن بالمعنى الآخر فانه لا يتناول المتحرك والذى من السكنى معناه وله ما حل فى الليل والنهار وهو وان كان يتعدى بنفسه ويقال سكنت بلدة كذا لكنه يتعدى بفى ايضا كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا وان كان سكن من السكون لا بد من ارتكاب حذف المعطوف اعتمادا على دلالة المقام عليه والتقدير وله ما سكن وتحرك فى الليل والنهار وحذف المعطوف اعتمادا على شهادة المقام كثير فى كلام العرب ومنه قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم الحر والبرد قيل وجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى ذكر فى الآية الاولى السموات والارض اذ لا مكان سواهما وفى هذه الآية ذكر الليل والنهار اذ لا زمان سواهما فالزمان والمكان ظرفان لجميع المحدثات فأخبر تعالى انه مالك للمكان والمكانيات ومالك للزمان والزمانيات ﴿قوله فلذلك قدم واولى الهمزة﴾ مع ان حق المعمول ان يتأخر عن عامله وحق الهمزة ان تلى الفعل وظاهر عبارته يوهم انه لا يحصل الانكار لاتخاذ غير الله تعالى وليا على تقدير ان يؤخر المعمول مع انه لا فرق بين ان يقال أغير الله اتخذ وليا وان يقال أأتخذ غير الله وليا فى الدلالة على ان المنكر

(قل لله) تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره (كتب على نفسه الرحمة) التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر (ليجمعنكم الى يوم القيامة) استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم (لا ريب فيه) فى اليوم او الجمع (الذين خسروا انفسهم) بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى انتم الذين او على الابتداء والخبر (فهم لا يؤمنون) والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان (وله) عطف على لله (ما سكن فى الليل والنهار) من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين من الآخر (وهو السميع) لكل مسموع (العليم) بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم (قل أغير الله اتخذ وليا) انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك

{ فاطر السموات والارض } مبتدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وجرّه على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح { وهو يطعم ولا يطعم } يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط { قل اني امرت ان اكون اول من اسلم } لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الدين { ولا تكونن من المشركين } وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل { قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم } مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة { من يصرف عنه يومئذ } اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف { فقد رحمه } نجاه وانعم عليه { وذلك الفوز المبين } اي الصرف او الرحمة { وان يمسسك الله بضر } ببلية كمرض وفقر { فلا كاشف له } فلا قادر على كشفه { الا هو وان يمسسك بخير } بنعمة كصحة وغنى { فهو على كل شيء قدير } فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله { وهو القاهر فوق عباده } تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة { وهو الحكيم } في امره وتدبيره { الخبير } بالعباد وخفايا احوالهم { قل اي شيء اكبر شهادة } نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة { قل الله } اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ { شهيد بيني وبينكم } اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة

انما هو اتخاذ غير الله وليا لا نفس اتخاذ الولي فمعنى كلامه انه لما كان المقصود انكار اتخاذ غير الله وليا كان مناط الانكار هو غير الله فكان الاهتمام بذكره اتم فكان اولى بالتقديم فلذلك قدم المفعول واولي الهمزة ﴿ قوله مبدعهما ﴾ اي خالقهما ابتداء لا على مثال سبق ﴿ قوله فانه بمعنى الماضي ﴾ فلا يعمل حتى يكون مضافا الى معموله فتكون اضافته لفظية غير مفيدة للتعريف فيلزم وصف المعرفة بالنكرة بل اضافته محضة اي معنوية مفيدة للتعريف فجاز كونه صفة لاسم الله المجرور بغير ولا يضر الفصل بين الصفة والموصوف بقوله اتخذ وليا لان هذه الجملة الفعلية ليست باجنبية من الموصوف اذ هي عاملة في عامل الموصوف وقيل انه بدل من اسم الله ورجح هذا القول بان الفصل بين البدل والمبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل فكأنه لا فصل والقراءة المشهورة هي يطعم على بناء الفاعل ولا يطعم على بناء المفعول وقرئ ولا يطعم بفتح الياء والعين والمعنى ولا يأكل وضمير هو على القرآتين لله تعالى وقرئ بعكس الاول اي على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل على معنى وذلك الولي الذي هو غير الله يطعمه غيره وهو لا يطعم احدا لعجزه فيكون نازلا من مرتبة الحيوانية وقرئ ببنائهما للفاعل اما على معنى وهو يطعم ولا يستطعم واما على معنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويقبض ويبسط ﴿ قوله وقيل لي لا تكونن ﴾ يعني ان قوله ولا تكونن ليس معطوفا على ان اكون والا لوجب ان يقال ولا اكون بل هو معطوف على امرت بتقدير وقيل لي لا تكونن وتلخيص المعنى امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وجاز عطفه على قل عطف النهي على الامر ﴿ قوله والمفعول به محذوف ﴾ يعني اذا قرئ يصرف على بناء الفاعل يحتمل ان يكون مفعوله محذوفا والدلالة ما ذكر قبله عليه والتقدير من يصرف الله عنه الهول ويومئذ حينئذ منصوب على الظرفية ويحتمل ان يكون مذكورا وهو يومئذ فلا بد حينئذ من حذف مضاف اي من يصرف الله عنه هول يومئذ او عذاب يومئذ فقد رحمه وضمير يصرف على التقدير بن لله تعالى ويدل عليه قرأة ابي بن كعب من يصرف الله باظهار الفاعل ولا يخفى عليك انه على تقدير ان يحذف المضاف من يومئذ يكون المفعول محذوفا فلا يكون قوله او يومئذ بحذف المضاف قسيما لقوله والمفعول به محذوف فلا يكون وجه الفرق بين الاحتمالين بحذف المفعول وعدمه بل يكون يومئذ على احد الاحتمالين ظرفا وعلى الآخر مضافا اليه ﴿ قوله تعالى وان يمسسك الله بضر الآية ﴾ دليل آخر على انه لا يجوز للعاقل ان يتخذ غير الله وليا والباء في قوله بضر للتعدية ﴿ قوله فكان قادرا على حفظه وادامته ﴾ كما انه قادر على ازالته والمقصود بيان وجه ارتباط الجزاء بالشرط ﴿ قوله تصوير لقهره وعلوه ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى فوق عباده يوهم كونه تعالى في جهة وهو تعالى منزه عنها فما المراد منه وتقرير الجواب انه استعارة تمثيلية بان صور قهره وعلو شأنه بالعلو الحسي فعبر عنه بالفوقية وقوله بالغلبة متعلق بالعلو لا بالتصوير او هما متعلقان بالقهر والعلو على طريق اللف والنشر والحاصل ان قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده عبارة عن كمال القدرة كما ان قوله وهو الحكيم الخبير عبارة عن كمال العلم ﴿ قوله والشيء يقع على كل موجود ﴾ لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شائي تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما في هذه الآية وبمعنى مشيء اخرى اي ما شيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود بمعنى انه كان المقصود اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة من يشهد بها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسأل سؤال تبكيت اي شيء اكبر شهادة ثم امره ان يجيبهم بان يقول الله اكبر شهادة على طريق الجائهم الى الاقرار بذلك فكان المناسب ان يضاف اكبر الى ما يعم كل موجود ليتحقق اعترافهم بان شهادة الله تعالى لا يعادلها شهادة فاذا اعترفوا بان الله تعالى اكبر شهادة قال هو شهيد لي بالنبوة فلفظة الجلالة في قوله قل الله مبتدأ حذف خبره وقوله شهيد بيني وبينكم خبر مبتدأ محذوف وقد صور المصنف تقدير شهادة هذا جواب اي شيء هو لفظ الجلالة مع خبره المحذوف واما على تقدير ان يكون الجلالة مبتدأ وشهيد خبرها فالجواب اي حينئذ هو هذه الجملة كما صرح به المصنف الا ان يكون مراده بكونها جوابا انها دالة على الجواب لا انها هي الجواب حقيقة ويدل على ما ذكرنا انه علل كونه جوابا بقوله لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة فان الجواب اللائق لقوله اي شيء اكبر شهادة ليس الا الله تعالى وقد عدل عنه في الجواب الى قوله الله شهيد بيني وبينكم ليدل على ان اكبر شيء شهادة شهيد له اي للرسول فان الله اكبر شهادة والله شهيد له وهما ينتجان ان الاكبر شهادة شهيد له وقوله واوحي الي هذا القرآن كأنه بيان لطريق شهادته تعالى على معنى انه تعالى شهيد لي باعطاء هذا القرآن المعجز فصدقني في دعوى الرسالة بان الله علي واعطائه الي لانذركم به

(قوله)

﴿قوله او لأنذركم ايها الموجودون﴾ عطف على قوله اى لأنذركم به يا اهل مكة يعنى ان قوله لأنذركم خطاب لاهل مكة او للموجودين وقت نزول القرآن وعلى الاول يكون المراد بمن بلغ ماعدا اهل مكة من نوع الانسان او من الثقلين وعلى الثانى يكون المراد به من يأتى بعد المعاصرين الى يوم القيامة ﴿قوله تقرير لهم﴾ اى الجاء الى الاقرار بالشركاء لهم اذ لا سبيل لهم الى انكاره لاشتهارهم به والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ والجمهور على تحقيق الهمزتين فى ائنكم وقرئ بتسهيل الثانية وبادخال الف الفصل بين الهمزة الاولى والهمزة المسهلة والظاهر ان هذه الجملة الاستفهامية فى محل النصب لكونها فى حيز القول على انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول اى شئ اكبر شهادة وان يقول ائنكم لتشهدون واخرى صفة لآلهة لان مالا يعقل يعامل جمعه معاملة الواحدة المؤنثة كقوله مآرب اخرى والاسماء الحسنى والظاهر ان كلمة ما فى قوله تعالى انما هو اله واحد كافة لان من عملها وهو مبتدأ واله خبره وواحد صفته وان احتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى تكون منصوبة المحل على انها اسم ان ويكون قوله هو اله صلة وعائدا وقوله واحد خبر ان والتقدير ان الذى هو اله واحد انكر الله تعالى القول بالاشراك اولا بالاستفهام الانكارى ثم اكد ذلك واوجب القول بالتوحيد من ثلاثة اوجه اولها قوله تعالى قل لا اشهد وثانيها قوله قل انما هو اله واحد بأداة الحصر والتصريح بلفظ واحد وثالثها قوله وانى برئ مما تشركون فانه صريح فى التبرئ من اثبات الشركاء فلذلك قال العلماء يستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتى بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى دين الاسلام ونص الامام الشافعى على استحباب ضم التبرئ الى الشهادتين لقوله تعالى وانى برئ مما تشركون عقيب التصريح بالتوحيد ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ لما انكر اليهود والنصارى دلالة التوراة والانجيل على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين سألهم كفار مكة عن ذلك وبين الله تعالى انه اكبر شهادة وان شهادته كافية فى صحة نبوته بين بهذه الآية انهم كذبوا فى قولهم انا لانجد فى كتابنا مايدل على نبوته وليس له عندنا ذكر ولا صفة حيث قال انهم يعرفونه بالنبوة والرسالة لانهم يجدونه فى كتبهم ﴿قوله تعالى كما يعرفون ابناءهم﴾ اى انهم ابناؤهم بسبب علمهم بحلاهم المعينة لهم روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام رضى الله عنهما انزل الله تعالى هذه الآية على نبيه فكيف هذه المعرفة فقال ياعمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولأنا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم منى بابنى لانى لا ادرى ماصنع النساء واشهد انه حق مرسل من الله تعالى ﴿قوله تعالى الذين خسروا انفسهم﴾ الظاهر انه مبتدأ وقوله فهم لايؤمنون خبره دخلت الفاء فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط فان تضييع المشركين واهل الكتاب مابه يكتسب الايمان وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم سبب لعدم الايمان فيترتب عليه عدم الايمان كما يترتب الجزاء على الشرط ﴿قوله منصوب بمضمر﴾ يعنى ان يوم ظرف لفعل مضمر يفسره مابعده اى ونحشرهم يوم نحشر المفترين على الله الكذب او يوم نحشر الناس كلهم فيدخل هؤلاء فيهم دخولا اوليا يكون كيت وكيت وحذف عامل الظرف ليكون ابلغ فى التخويف وقوله ثم نقول للذين من اقامة الظاهر مقام المضمر ان جعلنا الضمير المنصوب فى نحشرهم للمفترين اذ الاصل ثم نقول لهم وانما اظهر تصريحا بمنشأ التقريع والتبكيت واضافة الشركاء اليهم للدلالة على ان توهم الشركة مختص بهم ﴿قوله ولعله يحال بينهم﴾ يعنى ان الاستفهام على طريق التوبيخ لايقتضى غيبة الشركاء حين الاستفهام بل يجوز ان يكون التوبيخ حال حضور الشركاء ومشاهدة المشركين اياها بأن يقال لهم اين مارجوتم من منفعة شركائكم وشفعائكم لكن يحتمل ان يكون التوبيخ المذكور حال غيبة الشركاء بأن يحال بينهم وبين شركائهم حين ماعلقوا الرجاء بشفاعتهم ﴿قوله اى كفرهم﴾ اى محبة غير الله واتخاذه وليا يقال للمحب المتحير المدهوش مفتون ويقال لمن احب امرأة فتنته المرأة اى حيرته وادهشته روى عن الزجاج انه قال قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا فيه معنى لطيف وذلك ان الله تعالى بين ان المشركين مفتونون بشركهم متهالكون على حبه فأعلم بهذه الآية انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وتباعدوا عنه وحلفوا انهم ماكانوا مشركين ومثاله ان ترى انسانا يحب انسانا مذموم الطريقة فاذا وقع فى محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ماكان محبتك لفلان الا ان فررت منه اى ماكان عاقبتها الا الفرار منه فالمراد بالفتنة افتتانهم بالاوثان وكفرهم بسببها ويؤيد هذا المعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم تكن فتنتهم معناه شركهم فى الدنيا على حذف المضاف اى لم تكن عاقبة شركهم الا التبرئ والفرار منه ﴿قوله قرأ ابن

(واوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به) اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين اى لأنذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لأنذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لايؤاخذ بها من لم تبلغه (ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) بما تشهدون (قل انما هو اله واحد) اى بل اشهد ان لا اله الا هو (واننى برئ مما تشركون) يعنى الاصنام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم (الذين خسروا انفسهم) من اهل الكتاب والمشركين (فهم لايؤمنون) لتضييعهم مابه يكتسب الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله (او كذب بآياته) كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس (انه) الضمير للشأن (لايفلح الظالمون) فضلا عن لا احد اظلم منه (ويوم نحشرهم جميعا) منصوب بمضمر تهويلا للامر (ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم) اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء (الذين كنتم تزعمون) اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم (ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا) اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص

كثير لم تكن بالتاء من فوق وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ﴿ اى اسم كان ولذلك انث الفعل لاسناده الى مؤنث
والا ان قالوا خبر كان وقرأ نافع ومن بعده بتاء التأنيث ايضا ونصب فتنتهم على انها خبر كان قدم على اسمها وهو
قوله الا ان قالوا وانث الفعل مع تذكير الفاعل لان قوله الا ان قالوا وان كان فى تأويل قولهم الا انه لما اخبر عنه
بمؤنث وهى الفتنة اكتسب تأنيثا من خبره فعومل معاملة المؤنث ﴿ قوله والباقون بالياء ﴾ اى التاء من
تحت لاسناد الفعل الى مذكر وهو قوله الا ان قالوا ونصب فتنتهم على انها خبر مقدم والتقدير لم يكن فتنتهم الا قولهم
﴿ قوله يكذبون ويحلفون عليه ﴾ اى على انهم ما كانوا مشركين * ولما ورد ان يقال كيف يجوز لاهل
القيامة ان يفعلوا القبيح مع انهم يعرفون الله يومئذ بالاضطرار لا بالنظر والاستدلال والاضطرار موقف القيامة
دار تكليف وذلك باطل وتلك المعرفة تلجئهم الى الاقرار لعلمهم بأن ارتكاب القبيح لا ينفعهم اصلا * اجاب
عنه بانهم انما يفعلونه من فرط الحيرة والدهشة اعلم ان العلماء اختلفوا فى جواز الكذب على اهل القيامة فمنع
عنه ابو على الجبائى والقاضى وذهب الجمهور الى الجواز واستدلوا عليه بالآية فانهم حلفوا فى القيامة على انهم
ما كانوا مشركين وهو كذب واحتج المنكرون بأن حقائق الاشياء تنكشف يوم القيامة فاذا اطلع اهل
القيامة على الحقائق وعلى ان لا منفعة لهم فى الكذب استحال صدور الكذب عنهم واجابوا عن الآية بان المعنى
ما كنا مشركين فى اعتقادنا وظنوننا وذلك لان القوم كانوا يعتقدون فى انفسهم انهم موحدون متباعدون عن الشرك
ويقولون انما نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ثم اعترضوا على انفسهم بانهم على هذا التقدير يكونون صادقين فيما
اخبروا فلم قال الله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم واجابوا بانه ليس يجب ان يكون المراد انهم كذبوا فى قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين بل يجوز ان يكون المراد انظر كيف كذبوا على انفسهم فى دار الدنيا فى امور كانوا يخبرون
عنها كقولهم انهم على صواب وان ماهم عليه ليس بشرك والكذب يصح عليهم فى دار الدنيا وانما ينفى عنهم ذلك
فى دار الآخرة والمصنف اختار مذهب الجمهور واشار الى ان دليل المنكرين لا يستلزم دعواهم لجواز ان يطلع اهل
القيامة على الحقائق وعلى انه لا منفعة لهم فى الكذب وان يقولوا ذلك القول الكذب مع علمهم بانه لا ينفعهم بناء على
انهم لما عاينوا اهوال القيامة غلب عليهم الدهشة والحيرة فقالوا ذلك بناء على اختلاط عقولهم وجاز لاهل القيامة
ان يتكلموا بما يخالف ما اعتقدوه كقولهم ربنا اخرجنا منها مع انهم ايقنوا بالخلود ﴿ قوله وحمله ﴾ اى حمل قوله
تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بنظم الآية وذلك لان ما قبلها من قوله ويوم
نحشرهم الى قوله ما كنا مشركين وما بعدها وهو قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون فى احوال الآخرة
فصرف الوسط الى احوال الدنيا يوجب تفكيك نظم الآية ﴿ قوله ونظير ذلك ﴾ اى نظير قولهم يوم القيامة
ما كنا مشركين فى الدلالة على وقوع الكذب من اهل القيامة قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا الآية فانه تعالى قال
فى حق المنافقين الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
يعنى تولوا اليهود وقالوا للمسلمين والله انا مسلمون وهو حلفهم على الكذب ثم قال بعده يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وليس معناه الا انهم يحلفون لله تعالى فى الآخرة على انهم مسلمون كما يحلفون لكم
فى الدنيا فشبه كذبهم فى الآخرة بكذبهم فى الدنيا والجمهور على جر ربنا على الوصفية او البدلية او عطف البيان
﴿ قوله تعالى وضل عنهم ﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على كذبوا فيكون داخلا فى حيز النظر وان يكون استئناف
اخبار فلا يكون داخلا فى حيز النظر وما فى قوله ما كانوا يفترون يجوز ان تكون مصدرية اى وضل عنهم افتراؤهم
وان تكون موصولة اسمية اى وضل عنهم الذى كانوا يفترونه وضل بمعنى ذهب وبطل فانهم يفترون فى حق الاصنام
انها شفعاؤهم عند الله تعالى فبطل ذلك بالكلية ﴿ قوله كراهة ان يفقهوه ﴾ اشارة الى ان ان يفقهوه فى موضع
النصب على انه مفعول له فلما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان يفقهوه والوقر الصمم والثقل فى الاذن احتج اهل
السنة بهذه الآية على انه تعالى قد يصرف العبد عن الايمان ويمنعه عنه ضرورة ان القلب اذا جعل
فى الكنان لا ينفذ فيه الايمان والاذن اذا كانت مألوفة بآفة الصمم تعذر ان يتوصل بها الى استماع الدليل والبيان
وقال المعتزلة لا يمكن اجراء هذه الآية على ظاهرها والا كانت حجة للكفار على الرسول صلى الله عليه وسلم بان
يقولوا لما حكم الله تعالى بانه منعنا من الايمان لزم ان نكون عاجزين عنه فكيف تدعونا اليه وتذمنا على تركه
ومن المعلوم انه لا وجه لتكليف العاجز ولا لذمه على ترك ما عجز عنه لان ختم القلب وجعله فى كنان وغشاوة تمنعه عن

قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء
وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم أن
قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك
والباقون بالياء والنصب ﴿ والله ربنا
ما كنا مشركين ﴾ يكذبون ويحلفون عليه
مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة
كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا
بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند
انفسنا وهو لا يوافق قوله ﴿ انظر كيف
كذبوا على انفسهم ﴾ اى بنفى الشرك عنها
وحمله على كذبهم فى الدنيا فيه تعسف يخل
بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة
والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح
﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الشركاء
﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ حين تتلو القرآن
والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة
وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا
فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ
القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى
جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
﴿ وجعلنا على قلوبهم اكنة ﴾ اغطية جمع
كنان وهو ما يستر الشئ ﴿ ان يفقهوه ﴾
كراهة ان يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنع
من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول
سورة البقرة

ادراك الحق وقبوله تركه فاهو الاصلح للعبد فلا يجوز اسناده اليه تعالى عندهم واولوا نحو هذه الآية بوجوه منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار ذلك الاعراض كالحالة الطبيعية لهم شبه بالوصف الجبلي فاعطى له حكم الحالة الجبلية وهو ان يستند اليه تعالى فاسند اليه وقيل تارة ختم الله وتارة طبع الله عليها بكفرهم وتارة وجعلنا على قلوبهم اكنة فكان اسناده اليه تعالى عبارة عن فرط تمكنه في قلوبهم ونحن نقول القلوب لاتقبل حقيقة الختم والاكنة فالمراد بجعل القلوب في اكنة وبجعلها مختومة ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فيصيرون كأنهم صم مختوموا القلوب وليس احداث تلك الهيئة في نفوسهم اجبارا لهم على الكفر والضلال بل هو عقوبة مترتبة على اختيارهم الكفر وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن اتباع الدليل والبرهان فتلك الهيئة من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة اليه تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه تعالى ومن حيث انها مسببة عن سوء اختيارهم وتدبيرهم بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم استحقوا لان يذموا لها ويوبخوا عليها ﴿قوله تعالى وان يروا كل آية﴾ اي علامة تدل على وحدانية الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لايؤمنوا بسببها او لايؤمنوا بكونها آية الهية ويسمونها سحرا وافتراء واساطير ﴿قوله بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك﴾ اشارة الى ان حتى الابتدائية وان لم تكن عاملة الا انها تفيد معنى الغاية والمعنى حتى اذا جاؤك مجادلين يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فوضع الذين كفروا موضع المضمر يشعر بأن مجيئهم على تلك الحالة كفر وعناد ﴿قوله خرافات الاولين﴾ واصل الخرفة بالضم مايجتنى من الفواكه من الشجر ثم جعل اسما لما يتلهى به من الاحاديث وقيل خرافة اسم رجل من خزاعة استهوته الجن فرجع الى قومه وكان يحدثهم بالاباطيل وكانت العرب اذا سمعت مالا اصل له قالت حديث خرافة ثم كثر حتى قيل للاباطيل خرافات وروى عن صاحب الكشاف انه قال المسموع من العرب الخرافات بالتشديد بدليل جمعه على خراريف ﴿قوله ويجادلونك جواب﴾ ظاهره يدل على ان حتى اذا كانت حرف جر تكون اذا شرطية كما اذا كانت ابتدائية وانت خبير بأن حتى اذا كانت جارة بمعنى الى تكون اذا اسما بمعنى الوقت لاظرفية ولاشرطية لان حرف الجر انما يدخل الاسم لافضاء معنى ماقبله من الفعل او شبهه اليه فلايكون له حينئذ جواب ويكون يجادلونك حالا كما اذا كانت حتى ابتدائية ويكون قوله الذين كفروا تفسيرا لمجادلتهم والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك بأن يقولوا ان هذا القرآن الا اساطير الاولين ثم اذا كانت حتى ابتدائية يحتمل ان يكون يجادلونك جوابا ويقول الذين تفسيرا له قوله ويجادلونك جواب محل بحث الا ان يراد به جواب لمن يقول كيف يفعلون عند مجيئك ﴿قوله والاساطير الاباطيل جمع اسطورة﴾ نحو ارجوحة وارجيح واحدوثة واحاديث ﴿قوله او اسطار جمع سطر﴾ بفتح الطاء نحو سبب واسباب واساطر بسكونها فجمعه في القلة على اسطر وفي الكثرة على سطور كفلس وافلس وفلوس وفي الصحاح الاساطير الاباطيل الواحد اسطورة بالضم واسطارة بالكسر والسطر الصف من الشئ يقال بني سطرا وغرس سطرا والسطر الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك مثله والجمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وفي الوسيط اساطير الاولين اي ماسطره الاولون اي كتبوه من احاديثهم وقيل هو جمع لاواحد له مثل عباديد وابابيل وشماطيط ومثله لايسمى اسم جمع لان النحويين قد نصوا على انه اذا كان اللفظ على صيغة تختص بالجموع لم يسموه اسم جمع بل يقولون هو جمع وان كان لم يستعمل واحده ﴿قوله والايمان به﴾ بدل اشتمال من الرسول للاشارة الى ان النهي عن نفس الرسول لامعنى له اذ لابد ان يكون النهي عن فعل يتعلق به وذلك الفعل هو التصديق برسالته على الاول او التعرض له بالايذاء وقصد الاضرار على الثاني وقوله وينأون اي يتباعدون عنه من النأي وهو البعد فان ابا طالب كان ينهى الناس عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعهم عن ايذائه وينأى بنفسه عن الايمان حتى روى انه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا خذ شابا من اصحابنا وجيها وادفع الينا محمدا فقال ابو طالب ماانصفتموني أدفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولا ان يعيرني قريش لأقررت به عينك ولكن اذب عنك ماحييت وقال فيه ابياتا

(وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم (حتى اذا جاؤك يجادلونك) اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو (يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين) فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصل السطر بمعنى الخط (وهم ينهون عنه) اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به (وينأون عنه) بأنفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب (وان يهلكون) ومايهلكون بذلك (الا انفسهم وما يشعرون) أن ضرره لا يتعداهم الى غيرهم

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ❊ حتى اوسد فى التراب دفينا ❊
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ❊ وابشر بذاك وقر منه عيونا ❊
ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ❊ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ❊
وعرضت دينا قد علمت بانه ❊ من خير اديان البرية دينا ❊
لولا الملامة او حذار مسبة ❊ لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ❊

ثم انه تعالى لما بين ان الذين ينهون عنه وينأون عنه يهلكون انفسهم شرح كيفية ذلك الاهلاك فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وحذف الجواب فى مثل هذا الموضع ابلغ فى التخويف لان فكر السامع يذهب حينئذ الى انواع المكروه ولا يدرى اى نوع منها يكون فيعظم خوفه بخلاف مالو اظهر فانه حينئذ يتعين المكروه ولا يخطر بباله سواه قرأ الجمهور وقفوا ثلاثيا مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل ووقف يتعدى ولا يتعدى وفرق العرب بينهما بالمصدر يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا كما يقال رجعته رجعا فرجع رجوعا روى عن الزجاج ان وقفوا على النار يحتمل ثلاثة اوجه الاول يجوز ان يكونوا قد وقفوا عندها وهم يعاينونها فهم موقوفون على ان يدخلوا النار والثانى يجوز ان يكونوا وقفوا عليها وهى تحتهم بمعنى انهم وقفوا فوق النار على الصراط وهو جسر فوق جهنم والثالث انهم عرفوا حقيقتها تعريفا من قولك وقفت فلانا على كلام فلان اى علمته معنى كلامه وعرفته اياه وفيه وجه رابع وهو ان يكون على بمعنى فى والمعنى انهم يكونون فى جوف النار وتكون النار محيطة بهم ويكون التعبير بكلمة على للاشعار بأن النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض فيصح حينئذ معنى الاستعلاء مع كونها بمعنى فى ﴿قوله او يطلعون عليها﴾ من قولهم طلعت الجبل بالكسر اذا علوته ﴿قوله استئناف كلام منهم﴾ اعلم ان القرآء اتفقوا على رفع نرد لكونه داخلا فى التمنى لا محالة وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير والكسائى ولا نكذب ونكون برفع الفعلين وذكر المصنف لهذه القرآءة ثلاثة اوجه الاول ان التمنى تم عند قوله ياليتنا نرد واما قوله ولا نكذب الخ فانه خبر مبتدأ محذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وليست بداخلة فى حيز التمنى اصلا على انه تعالى حكى عنهم امرين الاول انهم تمنوا الرجوع الى الدنيا والثانى انهم اخبروا عن انفسهم بانهم لا يكذبون بآيات ربهم وانهم يكونون من المؤمنين فتكون هذه الجملة مع ما عطفت عليها فى محل النصب على انها مقول القول والتقدير فقالوا ياليتنا نرد وقالوا نحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على كل حال نرد الى الدنيا اولم نرد كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود على كل حال تركتنى فيه اولم تتركنى والوجه الثانى ان يكون كل واحد من الفعلين معطوفا على نرد وداخلا فى التمنى على انه تعالى حكى عنهم انهم تمنوا ثلاثة اشياء الرد الى دار الدنيا وعدم تكذيبهم بآيات ربهم وكونهم من المؤمنين والوجه الثالث ان تكون الواو واو الحال على ان يكون المضارع خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة الاسمية فى محل النصب على الحالية من مرفوع نرد والتقدير ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيكون تمنى الرد مقيدا بهاتين الحالتين فيكون كل واحد داخلا فى التمنى وهو المناسب بالمقام لان الكفار لما عاينوا الشدآئد المترتبة على تقصيراتهم الواقعة فى الدنيا تمنوا العود الى الدنيا لتدارك تلك التقصيرات وذلك التدارك لا يحصل بمجرد العود الى الدنيا ولا بمجرد الامرين عدم التكذيب والاتيان بالايمان بل انما يحصل بمجموع الامور الثلاثة فوجب ادخال كل واحد من الافعال الثلاثة فى التمنى الا ان المصنف قدم الوجه الاول لان الله تعالى كذبهم بقوله وانهم لكاذبون والتمنى لا يجوز تكذيبه اذ التمنى انشاء والانشاء لا يحتمل الصدق والكذب وهذا الاشكال انما ورد على الوجهين الاخيرين اشار المصنف الى جوابه بقوله وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد فان قولهم ياليتنا نرد يتضمن الوعد بأنا لو رددنا الى الدنيا لآمنا وما كذبنا والتكذيب راجع الى هذا الخبر الضمنى ﴿قوله ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص﴾ عن عاصم باضمار ان بعد واو العطف الواقعة بعد التمنى نحو ليت لى مالا وانفق منه فان المتمنى مجموع الامرين حصول المال والانفاق معا لان شرط اضمار ان بعد الواو ان يصح وقوع مع فى مكانها ﴿قوله اجرآء لها مجرى الفاء﴾ علة لقوله نصبهما على الجواب اى على جواب التمنى ووجه التعليل ان وقوع الفاء السببية فى جواب الاشياء الستة امر معقول لان تلك الاشياء لدلالتها على مصدر غير محقق الوقوع وكون ذلك المصدر مؤديا الى حصول ما ذكر بعد الفاء كان ما ذكر قبل الفاء بمنزلة الشرط الذى هو غير محقق الوقوع وكان ما بعد الفاء بمنزلة جزآء ذلك الشرط فكان نصب الفعل بعد الفاء الواقعة عقيب تلك الاشياء على جهة كونه جوابا لها امرا معقولا بخلاف نصبه بعد

(ولو ترى اذ وقفوا على النار) جوابه محذوف اى ولو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (فقالوا ياليتنا نرد) تمنيا للرجوع الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى اولم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجرآء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب

الواو فان الواو لاتذكر فى جواب الشرط حتى يجعل كون ماقبلها و مابعدها بمنزلة الشرط والجزآء باعثا لانتصاب الفعل بعدها على جهة الجوابية بل هي حرف عطف عطف بها الفعل المنصوب باضمار ان المصدرية فيكون المعطوف فى تأويل المصدر و المعطوف لابدله من معطوف عليه و ليس قبلها فى الآية الافعل و الاسم لايعطف على الفعل فلابد ان يجعل معطوفا على المصدر المتوهم المدلول عليه بالفعل المذكور قبلها و التقدير ياليت لنا ردّا و انتفاء تكذيب بآيات ربنا وكونا من المؤمنين اى ليت لنا ردّا مع هذين الشيئين فتكون هذه الاشياء الثلاثة بقيد الاجتماع متمنى القوم وابن عامر اعتبر فى رفع ولانكذب مااعتبر من رفع الفعلين جميعا واعتبر فى نصب ونكون مااعتبر من نصب الفعلين ﴿قوله الاضراب من ارادة الايمان﴾ يعنى ان كلمة بل ههنا ليست للانتقال من قصة الى اخرى بل هى لابطال كلام الكفرة اى ليس الامر كما قالوه من انهم لو ردّوا الى الدنيا لآمنوا يعنى ان التمنى الواقع منهم يوم القيامة ليس لاجل كونهم راغبين فى الايمان بل لاجل خوفهم من العقاب الذى شاهدوه وعاينوه فانهم لما قالوا ياليتنا نكون كذا فكأنهم قالوا اردنا ذلك فابطل الله تعالى هذا الكلام الضمنى لهم وهذا يدل على ان الرغبة فى الايمان والطاعة لاتنفع الا اذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه ايمانا وطاعة واما الرغبة فيه لطلب الثواب والخوف من العقاب فغير مفيدة ﴿قوله ما كانوا يخفون من نفاقهم﴾ على ان يكون الضميران اعنى المجرور والمرفوع فى قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون للمنافقين بناء على انهم هم الذين يخفون فى الدنيا ماهم عليه بخلاف المشركين واهل الكتاب من اليهود والنصارى فانهم لايخفون امرهم فى الدنيا حتى يقال فيهم بدا لهم يوم القيامة مااخفوه فى الدنيا الا ان المراد بظهور مااخفوه لهم ظهور عقوبة مااخفوه لهم لان المنافقين وان اخفوا نفاقهم من الخلق الا انه كان ظاهرا و معلوما لهم فلا وجه لان يقال فى حقهم بل بدا لهم مااخفوه وقوله او قبائح اعمالهم على ان يراد بالضميرين ماعدا المنافقين من المشركين واهل الكتاب فان المشركين يجحدون ويخفون شركهم فى بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر وكذا اهل الكتاب يخفون نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فبدا لهم وبال ذلك وعقوبته ﴿قوله تعالى ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ فان قيل ان اهل القيامة قدعرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا العقاب فمع هذه الاحوال كيف يمكن ان يقال انهم يعودون الى الكفر والمعصية ٭ اجيب بانه لاراد لما قضاه الله تعالى ولامبدّل لما حكم فمن جرى القضاء الازلى على شركه وغلبت عليه شقوته فلاجرم يصدر منه حكم ذلك القضاء ولاينفعه العلم الضرورى لسوء عاقبة فعله الاترى ان ابليس قدعاين ماعاين من آيات الله ثم عاند ﴿قوله عطف على لعادوا﴾ والحاصل ان قوله تعالى وقالوا اماداخل فى حيز لو فيكون معطوفا على ماذكر بعده او كلام مستأنف غير داخل فى حيزلو وهو على الاول امامعطوف على لعادوا والمعنى انهم لو ردّوا لكفروا ولقالوا اى ولانكروا الحشر والنشر كما كانوا انكروه قبل معاينة القيامة اومعطوف على انهم لكاذبون على معنى وانهم لكاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم او على نهوا اى لعادوا لمانهوا عنه ولما قالوا ﴿قوله الضمير للحياة﴾ فان من اضمارا مالم يذكر صريحا ولايعلم ما يرجع اليه الا بذكر مابعده ﴿قوله مجاز عن الحبس للسؤال﴾ لتعذر حمل الكلام على ظاهره فان ظاهر الآية يدل على كونهم واقفين على الله تعالى كما يقف احدنا على الارض فيلزم الاستعلاء على ذات الله تعالى وانه محال باطل بالاتفاق فوجب تأويله امابأن يحمل استعارة تمثيلية بأن يشبه حبس الله تعالى اياهم للسؤال والتوبيخ بايقاف السيد عبده بين يديه ليعاتبه ويقال فيه ان السيد اوقف عبده عليه تشبيها للوقوف بين يديه بالوقوف عليه فكذا الكلام فى الآية اوبأن يحمل الكلام على حذف المضاف مثل وقفوا على حكم ربهم او جزآئه اوبأن يجعل الوقوف بمعنى المعرفة كما يقول الرجل لغيره وقفت على كلامك اى عرفته وقد تمسك بعض المشبهة بهذه الآية على مذهبه بأن قال ظاهر الآية يدل على ان اهل القيامة يقفون عند ربهم بالقرب منه وانما يكون كذلك ان لوكان فى مكان تعالى عن ذلك علوّا كبيرا وبهذا التأويل لاسقط وجه التمسك ﴿قوله فذوقوا العذاب﴾ خص لفظ الذوق للاشارة الى ان مايجدونه من العذاب فى كل حال عوما يجده الذآئق لكون مايجدون بعده اشد من الاول ﴿قوله غاية لكذبوا﴾ والمعنى انهم قد كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة ٭ فان قيل انما يكذبون الى ان يموتوا والجواب ان زمان الموت آخر زمان من ازمنة الدنيا واوّل زمان من ازمنة الآخرة فمن انتهى تكذيبه الى هذا الوقت صدق عليه انه كذب الى ان ظهرت الساعة بغتة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ٭ من مات فقد قامت قيامته

﴿ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لاعزما على انهم لو ردّوا لآمنوا ﴿ ولو ردّوا ﴾ اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ فيما وعدوا من انفسهم ﴿ وقالوا ﴾ عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ماقالوه فى الدنيا ﴿ ان هى الاحياتنا الدنيا ﴾ الضمير للحياة ﴿ وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزآئه وعرفوه حق التعريف ﴿ قال أليس هذا بالحق ﴾ كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث ومايتبعه من الثواب والعقاب ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ بسبب كفركم او ببدله ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ اذفاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث ومايتبعه ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ غاية لكذبوا لالخسر لان خسرانهم لاغاية له ﴿ بغتة ﴾ فجأة

﴿قوله ونصبها على الحال﴾ اي من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة باغتة مفاجئة والبغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير ان يشعر به الانسان حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لايقال فيه بغتة والوقت الذي تقوم فيه القيامة يفجأ الناس في ساعة لايعلمها احد الا الله فلذلك سمي ساعة او لسرعة الحساب فيها على الباري تعالى وقول الناس ياحسرتنا مجاز لان الحسرة لايتأتى منها الاقبال وانما المعنى على المبالغة في شدة التحسر كأنهم نادوا الحسرة وقالوا ان كان لك وقت فهذا اوان حضورك ومثله ياويلتنا والمقصود التنبيه على خطأ المنادي حيث ترك ما احوجه تركه الى نداء هذه الاشياء وقوله على ما فرطنا متعلق بالحسرة وما مصدرية اي على تفريطنا والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله فانه تعالى لما بعث جوهر النفس الناطقة القدسية الى هذا العالم الجسماني اعطاها هذه الآلات الجسمانية والقوة العاقلة لتتوسل باستعمالها الى تحصيل المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة التي تعظم منافعها بعد الموت والذين انكروا البعث والقيامة لما استعملوا هذه الآلات والقوى العقلية والفكرية في تحصيل هذه اللذات الزائلة والشهوات المنقطعة ثم انتهوا الى آخر اعمارهم احتاجوا الى ما يكتسب بتلك القوى والآلات من العقائد الحقة والاعمال الصالحة حيث يجدون انفسهم خالية من جميع ذلك الربح ويجدون رأس المال ايضا قد ضاع بالكلية فيتحقق عندهم انهم قد خسروا خسرانا مبينا ويتحسرون على ذلك اشد التحسر بين الله تعالى بهذه الآية ان منكري البعث والقيامة لهم حالتان عظيمتان الاولى الخسران المبين والتحسر عليه والثانية حمل الاوزار العظيمة والواو في قوله وهم يحملون للحال وصاحب الحال الواو في قالوا اي قالوا ياحسرتنا في حالة حملهم اوزارهم والاوزار جمع وزر كحمل واحمال والوزر في الاصل الثقل يقال وزرته اي حملته شيأ ثقيلا ومنه وزر الملك لانه يتحمل آصار ما قلده الملك من مؤنة رعيته وحشمه ﴿قوله تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام﴾ اي اثقالها يعني ان الحمل من توابع الاعيان الكثيفة لامن عوارض المعاني والاعراض فلا يوصف به العرض الاعلى سبيل التخيل والتشبيه ﴿قوله اي وما اعمالها﴾ حمل الكلام على حذف المضاف لان نفس هذه الحياة لاوجه لذمها لان السعادات الاخروية لاتكتسب الافيها بل متعلق الذمة ليس الا الاعمال التي تقصد لان يتمتع بها في هذه الحياة فان ما يبتغى به وجه الله تعالى من الطاعات وان كان يكتسب في هذه الحياة الا انه لايقصد لان يتمتع به فيها فهو من هذا الوجه ليس من اعمال الحياة واللعب فعل لاحقيقة له ولا مقصد فيه واللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اذا اشتغلت عنه بلهو شبه الاعمال المقصودة لاجل هذه الحياة بهما لان الانسان حال اشتغاله بهما وان كان يلتذ بظاهر فعله الا انه عند اطلاعه على حقيقة الحال لايقع الا في الحسرة والندامة فكذا اعمال هذه الحياة لايترتب عليها الا الندامة ولما كان معظم غواية الجهال المنكرين للبعث حب الدنيا والاغترار بزخارفها والرغبة في الالتذاذ بمالذ الله تعالى على خساستها وانعدام منفعتها وانه لاسبيل الى الالتذاذ بطيباتها الا الجهال المحققون الامور واما المحققون فيعرفون ان كل هذه الطيبات لاريبها الا النفس الامارة والطبيعة الشيطانية وليس لها في نفس الامر حقيقة معتبرة ﴿قوله تعالى للذين يتقون﴾ اي عن الكفر وكبائر المعصية تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو لانه لما خص خيرية الدار الآخرة بمن يعمل اعمال المتقين لزم منه ان ماليس من اعمال المتقين لايؤدي الى سعادة الآخرة فيكون من اعمال الدنيا وقد تقدم ان اعمال الدنيا لعب ولهو ولزم منه ان مالايكون من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ الجمهور وللدار الآخرة بلامين الاولى لام الابتداء والثانية لام التعريف فيكون لفظ الآخرة مرفوعا على انه صفة للدار وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وهي لام الابتداء وبجر الآخرة بالاضافة والبصريون يؤولون كل ما يوهم كونه من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وبقلة الحمقاء بحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ويزعمون ان الموصوف والصفة متحدان بحسب الصدق فاضافة الموصوف اليها تستلزم اضافة الشيء الى نفسه ويقولون تقدير الآية على قراءة ابن عامر ولدار الساعة الآخرة او ولدار الحياة الآخرة ومثله مسجد المكان الجامع وصلاة الساعة الاولى ومكان الجانب الغربي وذهب الكوفيون الى انه اذا اختلف لفظ الصفة والموصوف جازت اضافته اليها وخير يجوز ان يكون للتفضيل وحذف المفضل عليه للعلم به اي خير من الحياة الدنيا ويجوز ان يكون لمجرد الوصف بالخيرية كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واللام في للذين للبيان كما في هيت لك ﴿قوله معنى قد زيادة الفعل وكثرته﴾ يعني ان قد للتقليل وتجيء للتكثير ايضا كما في الآية

ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء ﴿ قالوا ياحسرتنا ﴾ اي تعالي فهذا اوانك ﴿ على ما فرطنا ﴾ قصرنا ﴿ فيها ﴾ في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها ﴿ وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ﴾ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ﴿ الا ساء ما يزرون ﴾ بئس شيأ يزرونه وزرهم ﴿ وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ﴾ اي وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقبه منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا ﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة ﴿ أفلا يعقلون ﴾ اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون ﴾ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله

...في الانسان وترى بغيرهنا في الحرى ... (فانهم لا يكذبونك) في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا

المناسبة بين الضدين كما ان رب للتقليل وقد تجيء للتكثير كما في قوله

فان تمس مهجور الفناء فربما ۞ اقام به بعد الوفود وفود ۞

وعما تجيء قد فيه للتكثير قول الشاعر

اخي ثقة لا تتلف الخمر ماله ۞ ولكنه قد يهلك المال نائله ۞

تراه اذا ما جئته متهللا ۞ كانك تعطيه الذي انت سائله ۞

يريد ان جوده ذاتي ليس مما يحدث بالسكر وينقص بالصحو ﴿قوله والهاء في انه للشان﴾ والجملة بعده خبره مفسرة له وقوله انه ليحزنك سادة مسد المفعولين فانها معلقة عن العمل وكسرت ان لدخول اللام في خبرها وقوله الذي يقولون فاعل يحزن وعائده محذوف اي الذي يقولونه من نسبتهم اياه عليه الصلاة والسلام الى ما لا يليق به مثل قولهم انه ساحر كذاب مفتر على الله ﴿قوله فانهم لا يكذبونك في الحقيقة﴾ اي وانما يكذبون الله اشار به الى دفع ما يتوهم من التناقض بين قوله فانهم لا يكذبونك وبين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فان المراد بالآيات هو المعجزات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وجحودها تكذيب له عليه الصلاة والسلام فيلزم انهم لا يكذبونه ويكذبونه وهذا تناقض ظاهر فأشار المصنف الى وجه الجمع بينهما بأن التكذيب المنفي عنه عليه الصلاة والسلام هو ان يكون التكذيب المتعلق به ظاهرا راجعا اليه في الحقيقة وليس كذلك بل هو راجع اليه تعالى من حيث انه تعالى صدقه بخلق المعجزات على يده فمن كذبه فقد كذب الله تعالى والتكذيب المثبت هو ما تعلق به في الظاهر ﴿قوله او يكذبونها﴾ يعني ان الجحود اما على معناه وهو الانكار مع العلم او بمعنى التكذيب بقرينة ذكره في مقابلة لا يكذبونك ﴿قوله تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم﴾ على تكذيب قومه اياه فانه تعالى لما ازال الحزن عن قلبه عليه الصلاة والسلام في الآية الاولى بأن بين ان تكذيبهم يجري مجرى تكذيب الله تعالى ذكر في هذه الآية طريقا آخر في ازالة الحزن عن قلبه بأن بين ان سائر الامم عاملوا انبياءهم بمثل هذه المعاملة وان اولئك صبروا على تكذيبهم حتى آتاهم الله النصر والظفر والفتح فوجب ان يقتدي بهم في سلوك هذه الطريقة وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا متعلق بقوله فصبروا اي كان غاية صبرهم نصر الله اياهم والنصر الموعود للصابرين يحتمل ان يكون بطريق اظهار الحجج والبراهين ويحتمل ان يكون بطريق القهر والغلبة او باهلاك الاعداء روي ان بعض المشركين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل فانا نصدق بك فأبى الله ان يأتيهم بها فأعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فنزل قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية وهذا شرط جوابه الشرطية الثانية وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فان استطعت ان تبتغي فافعل والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان آخر ومنه نافقاء اليربوع فان اليربوع يخرق الارض الى القعر ثم يصعد من ذلك القعر الى وجه الارض من جانب آخر والمقصود من هذا الكلام ان يقطع الرسول عليه الصلاة والسلام طمعه عن ايمانهم وان لا يتأذى بسبب اعراضهم عن الايمان واقبالهم على الكفر كذا في الكبير وما ذكره المصنف اولى ﴿قوله ولكن لم تتعلق به مشيئته﴾ وذلك لان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتداء ولا يجري في ملكه الا ما يشاء من الايمان والكفر والطاعة والمعصية فان قدرة العبد لكونها صالحة للضدين غير كافية في رجحان احد الطرفين فلابد من داعية ترجح احد المقدورين على الآخر وحصول تلك الداعية ليس من العبد والا وقع التسلسل فثبت ان خالق تلك الداعية هو الله تعالى وان مجموع الداعية مع القدرة يوجب الفعل ولزم منه ان يكون خالق مجموع تلك القدرة مع الداعية المستلزمة للكفر مثلا مريدا لذلك الكفر غير مريد للايمان فطابق البرهان مع ظاهر القرآن والمعتزلة لما ذهبوا الى انه تعالى لا يريد من المكلف الا الايمان والطاعة قالوا معنى الآية لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لجمعهم عليه بأن يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيمتنعون من فعل شيء غير الايمان اضطرارا لكنه تعالى ترك ذلك الالجاء لكونه منافيا لما هو المقصود من التكليف وهو ان يميز المطيع من العاصي ومن يعبد الله عمن يعبد هواه وان يجازي كل احد بما يختار لنفسه وما يقع بطريق الالجاء والاضطرار لا عبرة به في امر الاثابة والتعذيب فلذلك لم يجمعهم على الايمان بطريق الالجاء ﴿قوله انما يجيب الذين﴾ فسر الاستجابة بالاجابة وقيل الفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعي اليه وليس كذلك يجيب لان المجيب قد يجيب بالمخالفة كما اذا قلت لغيرك أتوافقني في هذا الامر فيخالف

وجده كاذبا او نسبه الى الكذب (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) ولكنهم يجحدون بآيات الله او يكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت (ولقد كذبت رسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر (حتى أتاهم نصرنا) فيه ايماء بوعد النصر للصابرين (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عنك وعن الايمان بما جئت به (فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية) منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة سلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة (انما يستجيب الذين يسمعون) انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او ألقى

السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون (والموتى يبعثهم الله) فيعلمهم حيث لا ينفعهم الايمان (ثم اليه يرجعون) للجزاء

فيقول الجيب الخائف والمعنى لاتحرص على هدى من ختم الله على قلبه وسمعه وبصره فانهم كالموتى من حيث عدم انتفاعهم بالحياة وبالقوى المعدة في الاحياء لاستكمال النفس فلا يسمعون دعوتك اياهم الى الحق حتى يجيبوها وانما يستجيب الذين وفقهم الله تعالى لاتباع الحجة والبرهان واما المنهمكون في اتباع الشهوات وتقليد الآباء والامهات فانهم كالموتى فلا يبعثون من موت الجهالة قبل يوم البعث والنشور فانهم وان انتبهوا عن موت الجهالة وموت الغفلة الا ان الانتباه يومئذ لاينفعهم لان ذلك اليوم يوم الجزآء لايوم الكسب ﴿قوله اى آية مما اقترحوه او آية اخرى﴾ قيد الآية التي طلبوا انزالها بكونها مما اقترحوه او بكونها مغايرة لما انزل من الآيات المتكاثرة دفعا لما قال بعض الملاحدة الطاعنين في النبوة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان قد اتى بآية او معجزة لما صح ان يقول اولئك الكفرة لولا انزل عليه آية فانه يشعر انه لم ينزل عليه آية ما ولما قال الله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية فانه يشعر بانه تعالى سلم ماتمسكوا به كلامهم من انه تعالى لم ينزل عليه آية اصلا وادعى ان انزالها مقدور له ولكن لم يقع لعدم تعلق المشيئة به فلم يكن منه عليه الصلاة والسلام الا مجرد انه ادعى الرسالة والرسالة لاتثبت بمجرد الادعاء فأجاب عن الاول بأن مرادهم لولا انزل عليه آية اقترحناها او آية غيرها اظهرها بناء على عدم اعتدادهم بالآيات الظاهرة عنادا • وعن الثاني بأن المراد بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية انه قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان او آية معقبة للهلاك ان يجحدوها وعدم انزال مثل هذه الآية لايستلزم عدم انزال الآية مطلقا غاية مافي الباب ان القوم يجحدوها عنادا ﴿قوله يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجري في العالم﴾ قال عليه الصلاة والسلام * جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة او القرآن • ولما ورد ان يقال ليس في القرآن تفاصيل علم الطب وعلم الحساب ولا تفاصيل كثير من المباحث والعلوم ولا تفاصيل مذاهب الناس ودلائلهم المذكورة في علم الاصول والفروع اشار الى جوابه بقوله فانه قد دوّن فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا اى دوّن فيه بعض ذلك مفصلا وبعضه مجملا يعني ان قوله تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء وان كان عاما الا ان المراد به الخاص والمعنى مافرطنا فيه من شيء يحتاج اليه المكلفون في امر الدين بناء على ان لفظ التفريط لايستعمل الا في ترك مايحتاج اليه ولاينسب احد الى التفريط والتقصير في ان لايفصل مالا حاجة له اليه وعلم الاصول بتمامه موجود في القرآن لان الدلائل الاصلية مذكورة فيه على ابلغ الوجوه واما روايات المذاهب وتفاصيل الاقاويل فلا حاجة اليها واما تفاصيل علم الفروع فالعلماء قالوا ان القرآن دل على ان الاجماع وخبر الواحد والقياس حجة في الشريعة وكل مادل عليه احد هذه الاصول الثلاثة كان ذلك في الحقيقة موجودا في القرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام * عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي * وروى ان ابن مسعود كان يقول مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة وروى ان امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت يا ابن ام عبدالله تلوت البارحة مابين الدفتين فلم اجد فيه لعن الله الواشمة فقال لو تلوته لوجدته قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ومما آتانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال * لعن الله الواشمة والمستوشمة * وروى ان الامام الشافعي كان جالسا في المسجد الحرام فقال لاتسألوني عن شيء الا اجيبكم فيه من كتاب الله تعالى فقال رجل ماتقول في المحرم اذا قتل الزنبور فقال لاشيء عليه فقال اين هذا في كتاب الله فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ثم ذكر اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال * عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي * ثم ذكر اسنادا الى عمر رضي الله عنه انه قال للمحرم قتل الزنبور فأجابه بكتاب الله تعالى مستنبطا منه بثلاث درجات وبالجملة ان القرآن لما دل ان الاجماع حجة وان خبر الواحد حجة وان القياس حجة فكل حكم ثبت من طريق من هذه الطرق الثلاثة كان في الحقيقة ثابتا بالقرآن فعند هذا يصح قوله تعالى مافرطنا في الكتاب من شيء ﴿قوله وشيء في موضع المصدر﴾ اى مافرطنا فيه تفريطا او شيأ من التفريط كما في قوله لايضركم كيدهم شيأ ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر﴾ اى انهم غافلون من هذه الدلائل حال كونهم مستقرين في الظلمات فيتعلق بمحذوف ﴿قوله والكاف حرف خطاب﴾ اى ليس باسم حتى يكون في محل النصب على انه مفعول رأيت بل هو حرف أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الاسناد وأرأيت ههنا بمعنى اخبرني وان كان بمعنى أأبصرت او أعلمت يكون تاء الخطاب مطابقا لما قصد به في الافراد والتثنية والجمع والتذكير

(وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا (قل ان الله قادر على ان ينزل آية) مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان يجحدوها هلكوا (ولكن اكثرهم لايعلمون) أن الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد (ومامن دابة في الارض) تدب على وجهها (ولا طائر) وقرئ طائر بالرفع على المحل (يطير بجناحيه) في الهوآء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها (الا امم امثالكم) محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى (مافرطنا في الكتاب من شيء) يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دوّن فيه مايحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لايتعدى بنفسه وقد عدى بفي الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها (والذين كذبوا بآياتنا صم) لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم (وبكم) لاينطقون بالحق (في الظلمات) خبر ثالث اى خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر (من يشأ الله يضلله) من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه (قل أرأيتكم) استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لامحل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ماشأنه

(والتأنيث)

والتأنيث تقول ارأيت ارأيتما ارأيتم ارأيتن الخ ولا يجوز ان يلحقها كاف على انه حرف خطاب بل ان لحقها الكاف كان اسما منصوب المحل على انه مفعول اول ويكون مطابقا لما اريد به تقول ارأيتك ارأيتكما كما ارأيتموكم ارأيتك بكسر التاء والكاف ارأيتكن بنونين مشددتين وان كان بمعنى اخبرني فحينئذ تثبت له احكام مختصة به منها انه لا يلحقه تعليق ولا الغاء لان اخبرني لا يلحقه شيء منهما عند الجمهور ومنها انه يلحقه كاف هي حرف خطاب بعد ضمير الفاعل الذي هو التاء وذلك الكاف يطابق ما اريد به من الافراد والتذكير وضديهما والتاء تبقى على حالة واحدة مفردة مفتوحة ابدا لان هذا الكاف انما لحق الفعل ليدل على احوال فاعله فيجب ان يبقى الفاعل على حالة واحدة نحو ارأيتك ارأيتكما ارأيتكم ارأيتك بفتح التاء وكسر الكاف ارأيتكن وهذا عند البصريين واما عند الكوفيين فالكاف الذي يلحقه ليس بحرف بل هو اسم منصوب المحل على المفعولية كما ان التاء اسم مرفوع المحل على الفاعلية فيطابق كل واحد منهما ما قصد فيقال ارأيتك ارأيتماكما ارأيتموكم اذا كان ارأيت بصرية او علمية وانما لم يكن الكاف اسما عند البصريين لم يكن له محل من الاعراب لان هذا الفعل يتعدى الى مفعولين كقولك ارأيت زيدا ما فعل فلو جعلت الكاف معربا منصوب المحل لكان ثالثا ولكان معنى قولك ارأيتك زيدا ما شأنه ارأيت نفسك زيدا ما صنع لان الكاف عبارة عن المخاطب وهذا معنى باطل ولان الكاف لو كان منصوبا على المفعولية لوجب ان تظهر علامة التثنية والجمع والتذكير والتأنيث في التاء فتقول ارأيتماكما ارأيتموكم ارأيتنكن ﴿قوله بل الفعل معلق﴾ لانه في الاصل من افعال القلوب التي تعلق بحرف الاستفهام فلا يتعدى الى المفعول وان اعتبر كونه بمعنى اخبرني لا يلحقه التعليق فيقدر له مفعول والتقدير ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها او اتخاذكم غير الله آلهة هل يكشف ضركم ونحو ذلك فقوله آلهتكم او اتخاذكم مفعول اول وما بعده مفعول ثان حذفا للعلم بهما والجملة الاستفهامية سادة مسد الثاني وهي قوله أغير الله تدعون فانه يدل على المفعول الثاني وهو قول المصنف ويدل عليه اغير الله تدعون والتاء هي الفاعل والكاف حرف خطاب جيء بها لتدل على احوال المخاطب من الافراد والتذكير ونحوهما والاستفهام فيها للتبكيت والجائهم الى الاقرار بانهم ان أتاهم عذاب الله في الدنيا او اتاهم العذاب عند قيام الساعة لا يرجعون في دفعه الا الى الله تعالى لا الى الاصنام والاوثان ولذلك قال بل اياه تدعون وبل فيه حرف اضراب وانتقال الى قصة اخرى لا لابطال ما تقدم لما تقرر من انها لا تكون في كلام الله الا كذلك وقد صرح بأن جواب قوله ان كنتم صادقين محذوف اي فادعوه ولم يتعرض لجواب قوله ان اتاكم لكن فهم من كلامه انه محذوف ايضا دل عليه متعلق الاستخبار وهو مفعول ارأيتكم حيث قال تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم ان أتاكم عذاب الله ولا يصلح قوله اغير الله لان يكون جوابا له لان الجملة المصدرة بهمزة الاستفهام لا تقع جوابا للشرط ولا قوله ارأيتكم لكونه مصدرا بالهمزة ولان جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين وانما جوزه الكوفيون وبعض آخر من النحاة ﴿قوله ولا يشاء في الآخرة﴾ دفع لما يتوهم من قوله فيكشف ذلك العذاب ان شاء ان العذاب ربما يكشف عن المشركين في الآخرة وليس كذلك لانه تعالى لا يغفر ان يشرك به ﴿قوله وتتركون آلهتكم﴾ اي دعاء آلهتكم لانه معطوف على قوله بل اياه تدعون يريد ان النسيان ليس بمعنى الغفلة بل المعنى انهم يتركون دعاءهم مع كونهم ذاكرين لها او هو مجاز عن الترك وان جاز ان يكون حقيقة وان كلمة ما في ما تشركون موصولة والعائد محذوف اي ما تشركونه مع الله في العبادة وان جاز ان تكون مصدرية اي تنسون الاشراك نفسه او تنسون المشرك به من الاصنام وغيرها على ان يكون المصدر بمعنى المفعول فقول المصنف آلهتكم يحتمل ان يكون مبنيا على هذا الاحتمال ﴿قوله اي فكفروا وكذبوا﴾ يعني ان الفاء في قوله فأخذناهم فصيحة تفصح ان الكلام مبني على اعتبار الحذف ﴿قوله يتذللون لنا﴾ اشارة الى ان التضرع تفعل من الضراعة وهي الذلة والخشوع المبنية على الانقياد والطاعة وترك التمرد والعناد يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف ﴿قوله معناه نفي تضرعهم الخ﴾ اي لما تقرر من ان حرف التحضيض مع الماضي يفيد التوبيخ على ترك الفعل ﴿قوله استدراك على المعنى﴾ فانه لما كان معنى جملة التحضيض ما تضرعوا صح ان يستدرك عنها بقوله ولكن كأنه قيل لما جاءهم بأسنا لم يتضرعوا ولكن قست قلوبهم وانما احتيج الى هذا التأويل لان قوله ولكن قست قلوبهم جملة خبرية معطوفة على قوله لولا تضرعوا وهي انشائية ولا يصح عطف احداهما على الاخرى لكمال الانقطاع ﴿قوله مراوحة عليهم﴾ المراوحة في العملين ان يعمل هذا مرة وهذا مرة فانه تعالى اخذهم

فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون تعدت الفعل الى ثلاثة مفاعيل ولزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتكم وارأيت وارأيتم وافرأيتم وافرأيت اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي بحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا (ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (او أتتكم الساعة) وهولها ويدل عليه (أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اي فادعوه (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (فيكشف ما تدعون اليه) اي ما تدعون الى كشفه (ان شاء) ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله (ولقد ارسلنا الى امم من قبلك) اي قبلك ومن زائدة (فأخذناهم) اي فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم (بالبأساء) بالشدة والفقر (والضراء) الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما (لعلهم يتضرعون) يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم (ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من البأساء والضراء ولم يتعظوا به (فتحنا عليهم ابواب كل شيء) من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة

اوّلا بالبأساء والضرّآء لكي يتضرعوا ثم انهم لما لم يتعظوا بذلك نقلهم الله تعالى من البأساء والضرّآء الى الراحة والرخاء وانواع الآلاء والنعماء فلم يتضرعوا به ايضا وهذا كما يفعله الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه والزاما للحجة وازاحة للعلة وفي الوسيط هذا الفتح فتح استدراج ومكر ثم نقل عن الحسن من وسع عليه فلم ير انه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر اليه فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقوله عليه الصلاة والسلام مكر بالقوم ورب الكعبة اى اعطوا حاجتهم ثم اخذوا وروى عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية فلما نسوا ما ذكروا به الى آخر الآيتين الى هنا كلام الوسيط ﴿قوله وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد﴾ لان التفعيل مؤذن بالتكثير وما بعده ههنا ابواب فناسب التكثير ﴿قوله اعجبوا﴾ اى صاروا معجبين بحالهم وهو اشارة الى ان المراد بالفرح ههنا فرح البطر كفرح قارون بما اصابه من الدنيا واذا في قوله تعالى فاذا هم مبلسون للمفاجأة وهي ظرف مكان عند سيبويه وظرف زمان عند جماعة وذهب الكوفيون الى انها حرف وناصبها على تقدير كونها ظرفا خبر المبتدأ اى ابلسوا في مكان اقامتهم او في زمانها والابلاس في اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ويكون بمعنى انقطاع الحجة ويكون بمعنى الحيرة قال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين وقال الفرآء المبلس الذى انقطع رجاؤه وقال اهل المعانى وانما اخذوا في الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية ﴿قوله اى آخرهم﴾ الذى يتبعهم فان الدابر التابع للشئ من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم وقال ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذى يدبرهم وقال الاصمعى الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اى اذهب الله اصله ﴿قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم الآية﴾ المفعول الاول محذوف تقديره ارأيتم سمعكم وابصاركم ان اخذها الله والجملة الاستفهامية في موضع الثانى كأنه قيل ان اخذها الله يأتيكم بها آلهتكم وهو احتجاج آخر على المشركين والمعنى ارأيتم ايها المشركون ان اذهب الله وانتزع منكم اشرف اعضائكم الذى هو محل القوة السامعة والباصرة ومحل الحياة والعقل والعلم وهى النعم التى يختل بزوالها مصالح الدنيا والدين هل من احد غير الله يأتيكم بها ومن المعلوم انه لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى فهو المستحق للعبادة والتعظيم ﴿قوله اى بذلك او بما اخذ وختم عليه﴾ يعنى افرد ضميره مع كونه راجعا الى جميع المذكورات لتنزيله منزلة اسم الاشارة او لتأويل تلك المذكورات بالذى اخذ وختم عليه او بأحدها لا على التعيين ﴿قوله نكررها تارة كذا وتارة كذا وتارة كذا﴾ اشارة الى ان المراد من تصريف الآيات الدالة على التوحيد والنبوة بيانها وايرادها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوى ما قبله في الايصال الى المطلوب ثم استبعد اعراض المشركين عن التأمل فيها مع هذه المبالغة في تفهيمها وتقريرها وكشفها وايضاحها او عجب رسوله منه فقال ثم هم اى ثم انظر يا محمد كيف هم يصدفون وكيف في قوله تعالى انظر كيف نصرف معمول لنصرف ونصبها اما على التشبيه بالحال او التشبيه بالظرف وهى معلقة لانظر ﴿قوله من غير مقدمة﴾ لما كان العذاب الذى يأتى فجأة من غير سبق علامة تؤذن بحلوله في معنى الخفية حسن ان يذكر جهرة في مقابلة قوله بغتة فان الذى تقدمه امارة حلوله بمنزلة الجهر بالنسبة الى ما لا تتقدمه الامارة والا فمقابل الجهرة هو الخفية لا البغتة لما بين بالآية الاولى تفرده تعالى بالافاضة ما هو اجل النعم واقرب الوسائل الى تحصيل الكمالات الانسانية وهو السمع والبصر والقلب بين بهذه الآية تفرده تعالى بدفع جميع انواع العذاب والمعنى انه لا دافع لشئ من انواع العذاب ولا مفيض لخير من الخيرات الا الله تعالى فوجب ان يكون منفردا بكونه معبودا وان لا يعبد شئ سواه ﴿قوله وقيل ليلا او نهارا﴾ لم يرض المصنف بهذا التفسير لانه لو جاءهم ذلك العذاب ليلا وقد عاينوا امارة قدومه لم يكن بغتة ولو جاءهم نهارا وهم لا يشعرون بقدومه لم يكن جهرة ﴿قوله ما يهلك به﴾ جعل الاستفهام بمعنى النفى لان عدم ذكر المستثنى منه انما يصح اذا كان الكلام غير موجب ولا يصح في الموجب لعدم صحة المعنى نحو جاءنى الا زيد فههنا لما لم يذكر المستثنى منه دل ذلك على ان الاستفهام بمعنى النفى وهذه الجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثانى لأرأيتكم والاول محذوف والمعنى اخبرونى عذاب الله ان أتاكم هل يهلك الحق ﴿قوله هلاك سخط وتعذيب﴾ جواب لما يقال العذاب اذا نزل لا يميز بين الظالمين وغيرهم فكيف خصص الهلاك بهم وتقرير الجواب ان الهلاك وان عم الابرار والاشرار الا ان هلاك الاشرار انما هو لاجل سخط

او مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى في الاعراف ﴿حتى اذا فرحوا﴾ اعجبوا ﴿بما اوتوا﴾ من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه ﴿أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾ متحسرون آيسون ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها ﴿قل ارأيتم ان أخذ الله سمعكم وابصاركم﴾ اصمكم واعماكم ﴿وختم على قلوبكم﴾ بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم ﴿من اله غير الله يأتيكم به﴾ اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او بأحد هذه المذكورات ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ﴿ثم هم يصدفون﴾ يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها ﴿قل ارأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة﴾ من غير مقدمة ﴿او جهرة﴾ يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة ﴿هل يهلك﴾ اى ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب ﴿الا القوم الظالمون﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء

الله واراد تعذيبهم به بخلاف الابرار فانه ليس هلاك سخط وتعذيب بل هم يستوجبون بسبب نزول ذلك البلاء بهم مثوبات عظيمة ودرجات رفيعة عند الله فالهلاك في الحقيقة مختص بالظالمين فانه اذا نزل البلاء بهم فقد خسروا الدنيا والآخرة معا **قوله ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم** من قولهم تلهى بفلان اذا سخر منه ولعب به وهو اشارة الى ان قوله تعالى الا مبشرين ومنذرين وان كان حالا من المرسلين الا ان في هذه الحال معنى العلية اى لم نرسلهم لان يقترح عليهم الآيات بل لان يبشروا وينذروا ولا قدرة لهم على اظهار الآيات والمعجزات بل ذلك مفوض الى مشيئة الله تعالى ثم ذكر ثواب من صدق بهم وآمن فقال فمن آمن واصلح الآية وهذه الآية مثل ماقبلها متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه وقد اجيب عنه بوجوه وهذه الآية جواب آخر عنه بانهم انما بعثوا للدعوة الى الحق بالانذار والتبشير لا ليقترح عليهم ويلعب بهم **قوله جعل العذاب ماسا لهم** جواب عما يقال المس لكونه من الافعال المسبوقة بالقصد والاختيار حقه ان يسند الى الاحياء فكيف اسند الى العذاب وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة بالكناية حيث شبه العذاب بالحي تشبيها مضمرا في النفس ودل عليه باثبات شئ من لوازم المشبه به له وهو اسناد المس اليه كما في قولك انشبت المنية اظفارها **قوله واستغنى بتعريفه عن التوصيف** يعنى ان العذاب المترتب على تكذيب آيات الله هو العذاب الشديد الهائل لا مطلق العذاب فكان مقتضى الظاهر ان يوصف بما يدل على الشدة والفظاعة الا انه لما ذكر معرفا بلام العهد الخارجى استغنى عن تعريفه **قوله بسبب خروجهم عن التصديق** خص الفسق بالخروج عن التصديق نظرا الى وجود المخصص وهو كون الكلام في الذين كفروا وكذبوا بآيات الله فمن لم يكن مكذبا بآيات الله لا يلحقه هذا الوعيد فسقط بهذا التأويل ماقيل من انه تعالى علل عذاب الكفار بكونهم فاسقين فاقتضى ان يكون كل فاسق كذلك **قوله مقدوراته** على ان الخزائن جمع خزينة بمعنى مخزونة وقوله او خزائن رزقه على ان يكون جمع خزانة وهو اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لا تتناوله الايدى وهو من باب ضرب وهذه الآية متعلقة بقول المشركين لولا نزل عليه آية من ربه * ومن بقية جوابه فانهم كانوا يقترحون مابدا لهم مثل ان يقولوا ان كنت رسولا من عند الله فاطلب من الله تعالى حتى يوسع علينا منافع الدنيا وخيراتها فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم لا اقول لكم عندى خزائن الله وايضا كانوا يقولون ان كنت رسولا من عند الله فلابد وان تخبرنا بما سيقع لنا في المستقبل من المصالح والمضار حتى نستعد لتحصيل تلك المصالح ولدفع تلك المضار فأمره بأن يقول ولا اعلم الغيب فكيف تطلبون منى هذه المطالب وايضا انهم كانوا يقولون مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق ويتزوج النساء ويخالط الناس فقال الله تعالى قل لهم انى لست من الملائكة ولكنى بشر رسول لا ادعى الا الرسالة والنبوة وليس شأنى الا تبليغ ما اوحى الى والامور التى تطلبونها لا يمكن تحصيلها الا بقدرة الله تعالى فكيف تطلبونها منى وقد تعلمون ان قدرة البشر لا تفى بتحصيلها وما ادعيه من الرسالة منصب لا يمتنع حصوله للبشر فكيف اطبقتم على انكار قولى ودفع دعواى **قوله تبرأ من دعوى الالوهية والملكية** بناء على ان يكون المراد من قوله لا اقول لكم عندى خزائن الله انى لا ادعى كونى موصوفا بالقدرة اللائقة بالاله تعالى ومن قوله ولا اعلم الغيب انى لا ادعى كونى موصوفا بعلم الله تعالى وحصل بمجموع الكلامين انه لا يدعى الالهية وقوله ولا اقول لكم انى ملك صريح في انه لا يدعى الملكية فصار حاصل الكلام انى لا ادعى الالوهية ولا ادعى الملكية ولكن ادعى الرسالة التى يمكن حصولها لنوع البشر فكيف تستبعدون ما ادعيه وظاهر هذه الآية يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا يعمل الا بالوحى وانه لم يكن يحكم من تلقاء نفسه في شئ من الاحكام وانه ما كان يجتهد ويحكم بالقياس ويؤكد ذلك قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلذلك استدل من نفى القياس بهذا النص فانه تعالى امره ان يقول ان اتبع الا ما يوحى الى ثم امرنا باتباعه حيث قال فاتبعوه فثبت به انه عليه الصلاة والسلام ما كان يعمل الا بالوحى النازل فوجب ان لا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحى النازل عليه وذلك ينفى جواز العمل بالقياس ثم اكد الله تعالى ذلك بقوله قل هل يستوى الاعمى والبصير وذلك لان العمل بغير الوحى يجرى مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحى يجرى مجرى عمل البصير وذكر في بعض كتب الاصول ان الوحى نوعان ظاهر وباطن فالظاهر ثلاثة الاول ماثبت بلسان الملك والقرآن من هذا القبيل والثانى ماثبت عنده باشارة الملك من غير ان يبينه بالكلام واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعى

(وما نرسل المرسلين الا مبشرين) المؤمنين بالجنة (ومنذرين) الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم (فمن آمن واصلح) مايجب اصلاحه على ماشرع لهم (فلا خوف عليهم) من العذاب (ولا هم يحزنون) بفوت الثواب (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب) جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف (بما كانوا يفسقون) بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله) مقدوراته او خزائن رزقه (ولا اعلم الغيب) مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول (ولا اقول لكم انى ملك) اى من جنس الملائكة او اقدر على مايقدرون عليه (ان اتبع الا ما يوحى الى) تبرأ من دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه

(قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل الضال والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة (أفلا تتفكرون) فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه (وأنذر به) الضمير لما يوحى الى (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال (لعلهم يتقون) لكى يتقوا (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى تنظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف (يريدون وجهه) حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم (ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه (فتطردهم) فتبعدهم وهو جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر

ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها والثالث ماتؤدى اقامته اى ظهر اقامته بلا شبهة بالهام من الله تعالى بأن اراه الله بنور من عنده انه من عند الله كما قال تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله والباطن ما ينال بالاجتهاد وبالتأمل فى الاحكام المنصوص عليها وجعل اجتهاده عليه الصلاة والسلام وحيا باعتبار المآل فان تقريره عليه الصلاة والسلام على اجتهاده يدل على انه هو الحق كما اذا ثبت بالوحى ابتداء وابى الاشعرية واكثر المعتزلة والمتكلمين ان حكمه عليه الصلاة والسلام بالاجتهاد ﴿قوله مثل الضال والمهتدى﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما وصف نفسه بكونه متبعا الوحى الالهى لزم منه ان يصف نفسه بالاهتداء وبصف من عانده واستبعد دعواه بالضلال ولزم منه ايضا ان يصف نفسه بانه عالم حيث علمه الله بالوحى ويصف من لم يتبع الوحى بالجهل حيث لم يقبلوا الوحى فأمره الله تعالى ان يقول للعاندين هل يستوى الضال والمهتدى او هل يستوى العالم والجاهل وعلى التقديرين يكون قوله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير متعلقا بقوله ان اتبع الا ما يوحى الى ﴿قوله او مدعى المستحيل والمستقيم﴾ فان الاول كالاعمى حيث يخبط خبط عشواء ولا يميز بين المستحيل والمستقيم ومدعى المستقيم كالبصير حيث يمشى على بصيرة ويميز بين مايكون ومالا يكون أفلا تتفكرون فتهتدوا باتباع الوحى والعمل بمقتضاه او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل فان منشأ استبعادكم دعواى انما هو عدم التمييز بينهما فعلى هذا يتعلق قوله افلا تتفكرون بقوله قل لا اقول لكم عندى خزائن الله وعلى قوله او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه يكون متعلقا بقوله ان اتبع الا ما يوحى الى كأنه قيل أفلا تتفكرون فتعلموا وجوب اتباعى لانى لا اتبع الا ما يوحى الى ﴿قوله فى موضع الحال من يحشروا﴾ ان كان المراد من الذين يخافون الكفار فالكلام ظاهر لان الظالمين ليس لهم من حميم ولا شفيع يطاع واما ان كان المراد بهم المسلمون فقوله تعالى ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ينافى مذهب اهل السنة فى اثبات الشفاعة للمؤمنين فلا بد ان يقال شفاعة الملائكة والرسل للمؤمنين انما تكون باذن الله تعالى فكانت الشفاعة فى الحقيقة من الله ﴿قوله تعالى ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ﴾ كلمة من فى قوله من شئ زائدة وهو فاعل عليك وعليهم لاعتمادهما على النفى ومن حسابك ومن حسابهم صفة لشئ ثم قدمت فصارت حالا وانما قدم فى الجملة الاول عليك وفى الثانية من حسابك لانهما المتعلقان برسول الله صلى الله عليه وسلم من الجملتين فذكرهما اهم والاهم اقدم ولما لم يقتصر المشركون فى طعن فقراء المسلمين على وصفهم بكونهم موالى ومساكين بل طعنوا فى ايمانهم ايضا حيث قالوا باعتقادهم انما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لانهم يجدون عندك مأكولا وملبوسا اى بهذا السبب والا فهم عارون عن دينك ومن الايمان بك فلو طردتهم عن مجلسك او لم تطردهم واقمتهم عنا اذا جئناك لاتبعناك فرضى عليه الصلاة والسلام بالثانى طمعا فى ايمانهم حتى صار الفقراء بذلك فى مظنة الطرد فنهاه الله تعالى وقال ما عليك من حسابهم من شئ اى ليس لك الا اعتبار ظاهر حالهم وهو اتسامهم بسمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما يقوله المشركون فمضرة حساب ايمانهم لا ترجع الا اليهم لا اليك لان المضرة المترتبة على حساب كل نفس عائدة اليها لا الى غيرها والمقصود منه دفع طعن الكفار وتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية الفقراء وادنائهم وان اريد بالحساب حساب الرزق يكون المعنى لا يجب على النبى ولا على احد من امته حساب رزق صاحبه انما على النبى التبليغ وعلى الامة القبول والطاعة وهذا على تقدير ان يكون ضمير حسابهم وعليهم للذين يدعون ربهم واما ان كان الضمير للمشركين يكون المعنى لا تؤاخذ انت بالعقوبة المترتبة على حسابهم ولاهم بحسابك وانما تؤاخذ كل نفس بعملها ولا تزر وازرة وزر اخرى ﴿قوله وهو جواب النفى﴾ نحو ما تأتينا فتحدثنا بنصب فتحدث على ان يكون معنى انتفاء التحديث لانتفاء سببه الذى هو الاتيان والآية الكريمة من هذا القبيل فانه لو كان مضرة حسابهم مستقرة على المخاطب لكان ذلك سببا لابعاد من يتوهم الوهن فى ايمانه فحكم بأن هذا السبب غير واقع حتى يقع مسببه الذى هو الطرد ﴿قوله على وجه التسبب﴾ اى تسبب كونه ظالما عن طردهم لا من كون حسابهم عليه حتى يلزم صحة كونه جوابا للنفى فان كونه ظالما مسبب عنه وفى الحواشى السعدية على الكشاف ان قوله على وجه التسبب دفع لما يتوهم من انه لو جعل عطفا على جواب النفى لصح ان يقع جوابا للنفى وليس كذلك اذ لا معنى لقولك ما عليك من حسابهم فتكون من الظالمين انتهى يعنى ان عطفه على فتطردهم يتصور على وجهين احدهما ان يعطف عليه مع اعتبار كون الطرد متوقفا على النفى ومنتفيا بانتفائه اى مع اعتبار كونه جوابا للنفى

فعطفه عليه بهذا الاعتبار يستلزم ان يصح كونه معطوفا على فتطردهم باعتبار كونه جوابا للنفى والوجه الثانى كونه معطوفا مرتبا على نفس الطرد من غير اعتبار كونه متوقفا على النفى ومنتفيا بانتفائه وعطفه عليه بهذا الاعتبار لا يستلزم ان يصح كونه جوابا للنفى حتى يقال لا معنى لكونه جوابا للنفى فلا معنى لحمل الكلام على ما يستلزم كونه جوابا له فثبت جواز عطفه على فتطردهم من غير لزوم المحذور وهو ان يكون المعنى ما عليك من حسابهم شئ فتكون من الظالمين هذا نهاية توجيه كلام المجوز ولعل وجه كلام المصنف ان جعله منصوبا بالعطف على الجواب يجب ان يكون على الوجه الاول لان المعطوف على ماله حظ من الاعراب انما يعطف عليه اذا قصد تشريك المعطوف فى حكم اعراب المعطوف عليه من كونه فاعلا او مفعولا او خبرا او حالا او صفة او غير ذلك وقوله فتطردهم فى الآية معرب منصوب على جواب النفى فيجب ان يفيد العطف عليه كون المعطوف مشاركا له فى حكم اعرابه وهو كونه على جواب النفى وقد ظهر انه لا معنى لكونه جواب النفى فلا وجه لتجويز كونه معطوفا عليه لانه مستلزم المحال بحال اللهم الا ان يحمل الكلام على المبالغة فى النهى عن الطرد اى لو طردتهم على تقدير ان يكون حسابهم عليك كنت ظالما فكيف اذا لم يكن حسابهم عليك فهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» ﴿قوله ومثل ذلك الفتن﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى فتنا بعض الناس ببعض فى امر الدين فتنا مثل ذلك الفتن والابتلاء الواقع باختلاف احوال الناس فى امور الدنيا كالفقر والغنى والرياسة والهوان وجعل ذلك اشارة الى الفتن المدلول عليه بقوله فتنا ﴿قوله او للتعليل﴾ اى لانها لام كى «ولما ورد ان يقال ان معنى فتناهم ابتليناهم فكيف جعل الابتلاء سببا لان يقولوا ذلك القول» اجاب عنه بأن فتنا متضمن معنى خذلنا وخذلانهم سبب لافتتانهم وهو سبب لذلك القول ومعنى هذه الفتنة ان كل واحد من الفريقين مبتلى بصاحبه فرؤساء الكفار الاغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين الى الاسلام مسارعين الى قبوله فقالوا لو دخلنا فى الاسلام لوجب علينا ان ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين وان نعترف لهم بالتبعية فكان ذلك يشق عليهم واما فقراء الصحابة فكانوا يرون اولئك الكفار فى الراحة والمسرة وطيب العيش والسعة فكانوا يقولون كيف حصلت هذه الاحوال لهؤلاء الكفار مع انا بقينا فى الشدة والضيق فقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض فأحد الفريقين يرى الآخر مقدما فى المناصب الدنيوية ويقول هذا الذى فضله الله علينا واما المحقون فهم يعلمون ان كل ما فعله الله تعالى فهو حق وحكمة وصواب لا اعتراض عليه اما بحكم المالكية كما هو قول اهل السنة واما بحسب المصلحة كما هو قول المعتزلة فكانوا صابرين فى وقت البلاء شاكرين فى وقت الآلاء والنعماء وهم الذين قال الله تعالى فى حقهم أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴿قوله تعالى واذا جاءك الذين﴾ اذا فيه منصوب بجوابه اى فقل سلام عليكم وقت مجيئهم اى اوقع هذا القول كله فى وقت مجيئهم قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عليه السلام عن طردهم وكان عليه الصلاة والسلام اذا رآهم بدأهم بالسلام «قال الامام» فيه اشكال وهو ان الناس اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان كذلك فكيف يمكن ان يقال فى كل واحدة من آيات هذه السورة ان سبب نزول هذه الآية الامر الفلانى بعينه بل الاقرب ان تحمل هذه الآية على عمومها فكل من آمن بالله تعالى دخل تحت هذا التشريف ﴿قوله وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم﴾ اشارة الى ما قال الامام من ان من الناس من قال انه لما امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة كان هذا من قول الله تعالى ومن كلامه فهذا يدل على انه سبحانه وتعالى قال لهم فى الدنيا سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ومنهم من قال بل هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله ايذانا﴾ علة لمجموع قوله وصفهم وامره فان التصديق بالقرآن والاتباع للحجج فضيلة علمية كما ان المواظبة على العبادة فضيلة عملية ﴿قوله ومن كان كذلك﴾ اى وايذانا بأن من جمع بين فضيلتى العلم والعمل ينبغى ان يقرب ويعز ويبشر الخ ووجه الايذان انه تعالى علق النهى عن طردهم على اتصافهم بالفضيلة العملية ثم عطف بالواو الجامعة جملة واذا جاءك الذين يؤمنون الخ على جملة النهى بأن وضع الظاهر موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقول لا تطرد الذين يدعون ربهم وقل لهم سلام عليكم فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن اتصافهم بالفضيلة العملية علة لما ذكر من التقريب والاعزاز والتبشير فكأنه قيل من جمع بين هاتين الفضيلتين لا تطردهم وابدأهم بالسلام او بلغ اليهم سلام الله وبشرهم بأن الله يسلمهم

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان (ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) اى أهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة) الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بأن يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت

من الآفات فى الدنيا او يرحمهم فى الآخرة والسلام اسم بمعنى التسليم اى الدعاء بالسلامة فمعنى سلام عليكم دعوت بأن يسلمكم الله من الآفات فى دينكم ونفسكم وقولهم كتب على نفسه كذا لفلان يفيد انه اوجب ذلك على نفسه وكلمة على ايضا تفيد الايجاب واذا اجتمعا تأكد الايجاب وهذا الايجاب لاينا فى كونه تعالى فاعلا مختارا بل هو عبارة لتأكيد الوعد وبيان لفضله وكرمه ﴿قوله استئناف بتفسير الرحمة﴾ كلمة ان فى الموضعين مكسورة فى قرآءة ابن كثير وابى عمرو وحمزة والكسائى ومفتوحة فى قرآءة ابن عامر وعاصم واما فى قرآءة نافع فالاولى مفتوحة والثانية مكسورة فمن كسر الاولى قال انها مستأنفة وان الكلام قدتم عند قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم ابتدأ وقال انه من عمل منكم سوأ الآية تفسيرا للرحمة التى كتبها على نفسه ومن فتحها جعلها بدلا من الرحمة وتفسيرا لها والتقدير كتب على نفسه انه من عمل الخ فان مضمون هذه الجملة لاشك انه رحمة ﴿قوله بجهالة فى موضع الحال﴾ اى من فاعل عمل اى عمله ملتبسا بالجهالة حقيقة بأن يفعله وهو لايعلم مايترتب عليه من المفسدة كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه من اجابة الكفرة فيما سألوا ولم يعلم انها مفسدة او حكما بأن يفعله عالما بسوء عاقبته فان من عمل مايؤدى الى الضرر فى العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو فى حكم الجاهل فقوله بجهالة حال مؤكدة لانها مقررة لمضمون قوله عمل سوأ لان عمل السوء لاينفك عن الجهالة حقيقة او حكما ﴿قوله غير نافع﴾ فانه وان فتح الاولى الا انه كسر الثانية بأن ابدل الاولى من الرحمة واستأنف بمابعد الفاء اى كسر ان لوقوعها فى صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة او جوابا لها ان كانت شرطية وقد اجمع القرآء على كسرها بعد فاء الجزاء فى قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم كأنه قيل فهو غفور رحيم الا ان الكلام بان اوكد فكسرت لدخولها على المبتدأ والخبر واما من عدا نافعا من فتح الاولى فقد فتح الثانية ايضا بجعلها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى فأمره او شأنه انه غفور رحيم او على انها مبتدأ حذف خبره اى فله غفرانه ورحمته اى فغفرانه ورحمته حاصلان له ﴿قوله ومثل ذلك التفصيل﴾ على ان الكاف صفة مصدر محذوف وذلك اشارة الى ماسبق فى هذه السورة الكريمة من تفصيل دلائل النبوة والتوحيد والبعث لالزام الحجة على مشركى مكة والمعنى مثل ذلك التفصيل نميز ونبين لك حجتنا فى كل حق ينكره اهل الباطل وهذا حاصل الكلام والمعنى على مااختاره المصنف انه تعالى فصل طوآئف المجرمين الى من هو مطبوع على قلبه لايرجى اسلامه وذكرهم بقوله والذين كفروا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات والى من يرى فيه امارة القبول وهو الذى يخاف اذا سمع ذكر القيامة وذكرهم بقوله وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم والى الذين دخلوا فى الاسلام الا انهم لايحفظون حدوده وذكرهم بقوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا وخاطبهم بقوله من عمل منكم سوأ ثم قال بعد هذا التفصيل ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل آيات القرآن فى صفة الطوآئف الثلاث ﴿قوله قرأ نافع بالتاء﴾ اى من فوق على اسناد الفعل الى المخاطب ونصب السبيل على المفعولية اى لتعلم يا محمد سبيلهم فان استبان يتعدى ولايتعدى يقال استبان الشئ واستبنته ﴿قوله وابن كثير الخ﴾ فانهم قرأوا ولتستبين بتاء التأنيث ورفعوا سبيل على انه فاعل فان السبيل يذكر ويؤنث وتذكيره لغة بنى تميم وتأنيثه لغة اهل الحجاز وقد نطق القرآن بهما قال تعالى وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وقال ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ولم تعد تستبين فى هذه القرآءة ﴿قوله والباقون﴾ وهم حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم فانهم قرأوا يستبين بالياء من تحت ورفع سبيل باسناد الفعل اليه وتذكير السبيل على لغة بنى تميم ﴿قوله ويجوز ان يعطف﴾ لما اشار بقوله ولتستوضح يا محمد سبيلهم فصلنا هذا التفصيل الى ان متعلق اللام فى لتستبين مقدر وهو قوله فصلنا وقدره على لفظ الماضى نظرا لما عليه المعنى وذكر نفصل الآيات بلفظ المضارع لقصد الاستمرار وتناول الماضى والآتى عطف عليه قوله ويجوز ان يعطف على علة مقدرة فتكون اللام متعلقة بالفعل المذكور وتستبين منصوب باضمار ان بعد لام كى قيل فى الكلام حذف معطوف والتقدير ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المحقين ولم يذكره استغناء بذكر مقابله لان ذكر احد المتقابلين يدل على ذكر المقابل الآخر كما فى قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد استغناء عنه بذكر الحر ﴿قوله تأكيد لقطع اطماعهم﴾ فان بعض المشركين لما قال له عليه الصلاة والسلام اتبع آلهتنا حتى نؤمن بالهك امر الله تعالى اياه عليه الصلاة والسلام ان يقول لهم انى نهيت الآية قطعا لاطماعهم ثم اكد ذلك بقوله قل لااتبع اهوآءكم فانه من حيث انه يقرر مضمون ماقبله تأكيد له واشارة الى

(الموجب)

(انه من عمل منكم سوأ) استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها (بجهالة) فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل (ثم تاب من بعده) من بعد العمل والسوء (واصلح) بالتدارك والعزم على ان لايعود اليه (فانه غفور رحيم) فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فأمره او فله غفرانه (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين (ولتستبين سبيل المجرمين) قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء وبالرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين (قل انى نهيت) صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد (ان اعبد الذين تدعون من دون الله) عن عبادة ماتدعون من دون الله او ماتدعونها آلهة اى تسمونها (قل لااتبع اهوآءكم) تأكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم

اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها (من ربي) من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة (وكذبتم به) الضمير له اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او لبينة باعتبار المعنى (ما عندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (ان الحكم الا لله) في تعجيل العذاب وتأخيره (يقص الحق) اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر (وهو خير الفاصلين) القاضين (قل لو ان عندي) اى في قدرتي ومكنتي (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم (والله اعلم بالظالمين) في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم (وعنده مفاتح الغيب) خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها (لا يعلمها الا هو) فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها (ويعلم ما في البر والبحر) عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات (ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) معطوفات على ورقة وقوله (الا في كتاب مبين) بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة اورفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين (وهو الذي يتوفاكم بالليل) ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء

الموجب للنهي كأنهم قالوا لم نهيت عما نحن فيه ولم تمتنع من متابعتنا فاجاب بأن ما انتم عليه هوى وليس بهدى فكيف اتبع الهوى واترك الهدى **قوله واستجهال لهم** لان الادلة العقلية والسمعية لما كانتا متطابقتين في الدلالة على التوحيد والزجر عن الاشراك ولم ينزجروا عنه دل ذلك على انهم جاهلون لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهوى والهدى **قوله وما انا في شيء من الهدى** اشارة الى الفرق بين ان يقال وما انا من المهتدين وبين ان يقال وما اهتديت ولا اكون مهتديا بأن الاول ابلغ من الثاني لان الدخول في عداد من اهتدى يكفي فيه الاتصاف بشيء من الهدى بخلاف نحو قولك هو مهتد فانه يدل على الاهتداء التام فلزم منه ان يكون نفي الاول ابلغ في نفي الاهتداء من نفي الثاني وقوله وما انا من المهتدين تأكيد لقوله قد ضللت واتى به بجملة فعلية لتدل على تجدد الفعل وحدوثه وبالثانية اسمية لتدل على التحقق والثبات **قوله تنبيه على ما يجب اتباعه** وهو البينة والبرهان الواضح وما لا يجوز اتباعه هو الهوى يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بحجة واضحة وشاهد صدق وقوله تعالى وكذبتم به يحتمل ان يكون جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك وان يكون في محل النصب على الحالية **قوله اى القضاء الحق** لما قرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقض بسكون القاف وكسر الضاد المعجمة المخففة ذكر لانتصاب الحق وجهين الاول انه صفة مصدر محذوف اى يقضي القضاء الحق والثاني ان يقضي بمعنى يصنع فيتعدى بنفسه ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى وهو خير الفاصلين فان الفصل يناسب القضاء ولما لم ترسم الياء بعد الضاد في المصاحف قرأ الحجازيان وعاصم يقص بضم القاف والصاد المهملة المشددة من قص الحديث او من قص الاثر اى اتبعه كأن الياء حذفت خطا كما حذفت لفظا لالتقاء الساكنين كما حذفت في نحو وما تغن النذر وكما حذفت الواو في نحو سندع الزبانية ويمح الله الباطل **قوله مستعار من المفاتح** اى استعارة مكنية فشبه الغيب بالخزائن المستوثق منها بالاقفال واثبت لها مفاتح على سبيل التخييل ولما كان عنده تلك المفاتح كان التوصل الى ما في الخزائن من المغيبات هو لا غير وهذا الحصر مستفاد من تقديم الظرف على المبتدأ **قوله مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات** اخبر اولا باختصاصه بعلم المغيبات المخزونة في عالم الغيب ثم اخبر بتعلق علمه بالمشاهدات المعبر عنها بقوله ما في البر والبحر فان هذا العنوان الكلي والمفهوم الاجمالي يتناول جميع ما لا يحيط بعلمه الا الله من المكنونات التي لا توجد ولا تبلغ الى كمالها اللائق بها الا بايجاد الله تعالى اياها وتدبيره فيها وهذا الحكم من حيث وضوحه عند العقل بالنسبة الى احاطة علمه بالمغيبات صار كالدليل له فلذلك ذكر بعده تقوية له وتقريبا الى الاذهان ولما كان احاطة علمه تعالى باحوال الجزئيات ابلغ من احاطة علمه بانفس الجزئيات صرح باحاطة علمه بها حيث قال وما تسقط من ورقة الا يعلمها ليكون كالدليل على الحكم المذكور قبله ثم بالغ في احاطة علمه باحوال الجزئيات بقوله ولا حبة في ظلمات الارض فان الحبة تكون في غاية الصغر وظلمات الارض في غاية السعة بحيث يختفي فيها اكبر الاجسام واعظمها فلما صرح بأن الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الارض مع اتساعها لا تخرج عن علم الله تعالى البتة صار هذا الحكم مقويا ومقررا للحكم السابق ثم اجمل الكلام وعبر عن المقصود بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقوله تعالى من ورقة فاعل تسقط ومن زائدة لاستغراق الجنس وقوله تعالى لا يعلمها حال من ورقة اى لا تسقط ورقة في حال من الاحوال الا في حال كونه تعالى عالما بها وقوله تعالى ولا حبة مجرور بالعطف على لفظ ورقة ولو قرئ مرفوعا لكان معطوفا على الموضع وفي ظلمات صفة حبة وقوله ولا رطب ولا يابس مجروران ايضا بالعطف على لفظ ورقة وقرئا مرفوعين عطفا على المحل ويجوز ان يكون رفعها اى رفع الثلاثة على الابتداء والخبر هو قوله الا في كتاب مبين فان قرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالجر عطفا على لفظ ورقة او بالرفع عطفا على محلها تكون داخلة في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه فلا يجوز ان يكون قوله الا في كتاب مبين استثناء ثانيا من قوله الا يعلمها لان الا يعلمها اثبات من النفي فيكون الا في كتاب نفيا من الاثبات فيلزم ان لا يعلمها في كتاب وليس كذلك لان كل شيء في كتاب وكل ما هو في كتاب يجب ان يعلمه في كتاب فلا بد من القول بأن الاستثناء الثاني بدل من الاول وتأكيد له **قوله اطلق البعث ترشيحا للتوفي** لا يخفى ان الترشيح له نوع خصوص بالمشبه به والبعث مما لا خصوص له بالموت اذ يقال بعثه من نومه اذا ايقظه صرح بذلك في المطول الا ان يتكلف بأن الامر كذلك في اصل اللغة لكنه حقيقة

شرعية فى احياء الموتى فى الآخرة **قوله** تعالى ليقضى اجل على بناء المفعول فى قرآءة الجمهور واجل مرفوع به وفى الفاعل المحذوف احتمالان احدهما انه ضمير البارى تعالى والثانى انه ضمير المخاطبين اى لتقضوا او تستوفوا آجالكم وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى واجلا حينئذ منصوب على المفعولية * واعلم انه تعالى لما ذكر انه ينيمهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فلذلك استدل به على صحة البعث والقيامة فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون فى ليلكم ونهاركم فى جميع اعماركم **قوله** وقيل الآية خطاب للكفرة عطف على مايدل عليه كلامه فى تفسير الآية لكون الخطاب لعامة من انامه الله وايقظه ليستوفى المستيقظ مدة حياته مؤمنا كان او كافرا واختار ذلك لان ظاهر الآية العموم وليس فيها مايقتضى تخصيصها بالكفرة الا انه على تقدير التخصيص لابد ان يحمل مااسند اليهم فى الليل والنهار على الحالة المذمومة من احوال الانسان الغافل فان اللائق به ان يستعمل كل نعمة فيما خلقت لاجله فينام لأن تستريح به قواه ويتقوى بذلك على طاعة الله ويستيقظ لاكتساب مافيه مرضاة الله ويستعده عند لقاء مولاه لاان يلتى كالجيفة بالليل ويكتسب الآثام بالنهار وهذا القائل لم يحمل البعث بمعنى الايقاظ بل جعله بمعنى البعث من القبور بناء على ان قوله ويعلم ماجرحتم بالنهار دال على حال اليقظة وكسبهم فيها وكلمة ثم تقتضى تأخر البعث عنها والبعث المتأخر عنها هو البعث من القبور * فان قلت البعث من القبور ليس علة لانقضاء الاجل المسمى * فالجواب ان المراد بالاجل المسمى مدة الكون فى القبور لامدة الحياة كما ذهب اليه المصنف والبعث علة لانقضاء تلك المدة **قوله** تعالى وهو القاهر فوق عباده ليس المراد بالفوقية الجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد الفوقية من حيث القدرة فانه تعالى قهار للممكنات المعدومة بالايجاد والتكوين وللممكنات الموجودة بالافناء والافساد وقهار لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والظلمة بالنور والليل بالنهار والنهار بالليل وقهار للعناصر التى تألف البدن منها فانها مع كونها متنافرة متباعدة بالطبع والخاصية قد الف الملك القهار بينها بأن خلع عنها كيفياتها المتضادة واودع فيها كيفية واحدة متوسطة بين تلك الكيفيات الصرفة وقهار للروح والبدن حيث جمع بينهما على سبيل القهر والقدرة الكاملة وجعل كل واحد منهما مسخرا لصاحبه منتفعا بالآخر فان الروح يصون البدن عن العفونة والفساد والبدن يصير آلة للروح فى تحصيل السعادات الابدية والمعارف الالهية مع مابينهما من كمال المباعدة والمنافرة فان البدن كثيف سفلى ظلمانى فاسد عفن والروح لطيف علوى نورانى مشرق باق طاهر نظيف وقد الف الملك الجبار بينهما ليصلحا لقبول العهد والمحن فاذا تأملت هذه الاسرار المودعة فى الممكنات من العلويات والسفليات والذوات والصفات علمت ان كلها مقهورة تحت قهر الله تعالى مسخرة بتسخيره تعالى كما قال وهو القاهر فوق عباده **قوله** تعالى ويرسل عليكم حفظة جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها وهى قوله وهو القاهر او جملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك وجعله معطوفا على قاهر لكون حرف التعريف فيه بمعنى الذى وكون التقدير وهو الذى يقهر عباده ويرسل ضعيف لانه يلزم من ذلك الفصل بين ابعاض الصلة بأجنبى فان المعطوف على الصلة من تمام الصلة فلا يجوز ان يتخلل بينهما امر اجنبى ومن جملة قهره لعباده تعالى ارسال الحفظة عليهم حفظة اعمالهم قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين واختلفت الآثار فى عدد الحفظة * روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مع كل انسان ملكان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظره لعله يتوب منها فان لم يتب كتبها عليه * وروى عنه كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه تسع ساعات لعله يسبح او يستغفر * وروى ان العبد اذا قعد فأحد الملكين عن يمينه والآخر عن يساره وان مشى فأحدهما امامه والآخر خلفه وان نام فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه * وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ايضا انه قال مع كل مؤمن خمسة من الحفظة واحد عن يمينه يكتب الحسنات وواحد عن يساره يكتب السيئات وواحد أمامه يلقنه الخيرات وواحد خلفه يدفع عنه الآفات وواحد على ناصيته يكتب مايصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويبلغه اليه * وقيل مع كل مؤمن اربعة من الملائكة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقيل مع كل مؤمن ستون ملكا وقيل وكل بكل عبد مائة وستون ملكا يذبون عنه الشياطين كما يذب عن قصعة

(ليقضى اجل مسمى) ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له فى الدنيا (ثم اليه مرجعكم) بالموت (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه

الشاء الذبان وهو جمع كثرة للذباب مثل غراب وغربان والذب المنع والدفع ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ﴿قوله ملك الموت واعوانه﴾ التوفى فى الحقيقة يحصل بقدرة الله تعالى كما قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال هو الذى خلق الموت والحياة ثم انه فى عالم الظاهر مفوّض الى ملك الموت وهو الرئيس المطلق فى هذا الباب كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت ثم له اعوان وخدم وانصار يدل عليه قوله تعالى فى هذه الآية توفته رسلنا فحسنت اضافة التوفى الى كل واحد من هذه الثلاثة بحسب كل واحد من الاعتبارات المذكورة روى عن مجاهد انه قال جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من يتناوله ومامن اهل بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم مرّتين وروى ان الدنيا بين يدى ملك الموت كالمائدة الصغيرة يتناول من هنا ومن هنا فاذا كثرت عليه الارواح يدعوها فتجيب روى عن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال عليه الصلاة والسلام * ارفق بصاحبى فانه مؤمن * فقال أبشر يا محمد انى لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من اهله قلت ماهذا الصراخ فوالله ماظلمناه ولا استبقينا من اجله فاننا فى قبضه ذنب فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وان تسخطوا او تجزعوا تأثموا ومالكم عندنا من عتبة وان لنا عليكم لعودة وعودة فالحذر الحذر ومامن اهل بيت شعر ولامدر فى برّ ولا بحر الا وانا اتصفح وجوههم فى كل يوم وليلة خمس مرّات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد او انى اردت ان أقبض بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها ﴿قوله وقرأ حمزة توفاه﴾ اما على انه فعل ماض اسند الى مالیس تأنيثه حقيقيا فلذلك ذكر او مضارع اصله تتوفاه حذفت منه احدى التاءين ﴿قوله الى حكمه وجزآئه﴾ يعنى ان الردّ الى الله ليس على ظاهره لكونه تعالى متعاليا من المكان والجهة بل هو عبارة عن جعلهم منقادين لحكم الله تعالى مطيعين لقضائه بأن يساقوا الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه ﴿قوله الذى يتولى امرهم﴾ فسر المولى به لدفع كون قوله تعالى فى هذه الآية مناقضا لقوله وان الكافرين لا مولى لهم فان المولى فى تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى ههنا بمعنى المالك الذى يتولى امرهم والله تعالى مالك الامور كلها فى حق كل الخلائق وهذه المناقضة انما تتوهم اذا كانت الآية فى حق جميع المكلفين من المؤمنين والكفار وهو الظاهر وان كانت واردة فى حق المؤمنين خاصة يجوز ان يكون المولى بمعنى الناصر من غير محذور فان من ردّ اليه تعالى اصالة هم المؤمنون والكفار فى هذا الامر تبع لهم ﴿قوله معلنين ومسرّين﴾ على ان يكون تضرّعا وخفية مصدرين فى موضع الحال من فاعل تدعون وتدعون حال من مفعول ينجيكم اى ينجيكم داعين اياه ﴿قوله او اعلانا واسرارا﴾ على ان يكون كل واحد منهما مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل مثل قعدت جلوسا قرأ الجمهور خفية بضم الخاء وقرئ بكسرها وهما لغتان كما فى الاسوة والاسوة ﴿قوله على ارادة القول﴾ ويكون ذلك القول المقدر فى محل النصب على الحال من فاعل تدعونه اى تدعونه قائلين هذه الجملة القسمية والشكر الاعتراف بالنعمة مع القيام بحقها وحق نعمة الله تعالى ان يطاع منعمها ولا يعصى فضلا عن ان يشرك به مالا يقدر على شئ اصلا والمقصود من صورة الاستفهام فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر التبكيت والالزام ومن قوله تعالى قل الله ينجيكم حملهم على الاقرار بأن المنجى من جميع الشدآئد هو الله تعالى حيث نبه به على انه المتعين للجواب بالاتفاق وثم فى قوله تعالى ثم انتم تشركون لاستبعاد اشراكهم عن هذا الاقرار والمناسب لقولهم لنكوننّ من الشاكرين ان يقال ثم انتم لا تشكرون اى لا تعبدون المنعم لكن وضع تشركون موضعه تنبيها على ان الاشراك بمنزلة ترك الشكر رأسا ﴿قوله كما فعل بقوم نوح﴾ حيث اهلكهم بان ارسل عليهم الطوفان والصاعقة والريح والصيحة واهلك قوم لوط واصحاب الفيل بأن امطر عليهم الحجارة فاستبعد الله تعالى اشراكهم مع الاقرار بأن المنجى من الشدآئد كلها هو الله تعالى اعلمهم بانه القادر على تعذيبهم فقال قل هو القادر ﴿قوله يخلطكم﴾ يقال لبست عليه الامر اى خلطته وهو من باب ضرب وقولك لبست الثوب من باب علم ومصدره اللبس بضم اللام ومصدر الاول اللبس بالفتح وشيعا منصوب على انه حال من مفعول يلبسكم وهو جمع شيعة كسدرة وسدر والشيعة كل قوم اجتمعوا على امر وهو معنى قوله فرقا متحزبين على اهوآء شتى فمعنى يلبسكم يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فاذا نشأ بين الامة اهوآء مختلفة ومذاهب متنافية تصير الامة فرقا مختلفة يتبع كل فرقة اماما على حدة فيقاتل بعضهم بعضا فينشب القتال بينهم اى فيعلق ويدخل وهو من باب علم قال

{ حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا } ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة { وهم لا يفرّطون } بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حدّ لهم بزيادة او نقصان { ثم ردّوا الى الله } الى حكمه وجزآئه { مولاهم } الذى يتولى امرهم { الحق } العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح { ألا له الحكم } يومئذ لا حكم لغيره فيه { وهو اسرع الحاسبين } يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب { قل من ينجيكم من ظلمات البرّ والبحر } من شدآئدهما استعيرت الظلمة للشدّة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف فى البرّ والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد { تدعونه تضرّعا وخفية } معلنين ومسرّين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر { لئن انجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين } على ارادة القول اى تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة { قل الله ينجيكم منها } شدّده الكوفيون وهشام وخففه الباقون { ومن كل كرب } غم سواها { ثم انتم تشركون } تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك فى عبادة الله تعالى فكأنه لم يعبده رأسا { قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم } كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل { او من تحت ارجلكم } كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم { او يلبسكم شيعا } يخلطكم فرقا متحزبين على اهوآء شتى فينشب القتال بينكم قال * وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدى *

✽ وكتيبة لبستها بكتيبة ✽ حتى اذا التبست نفضت لها يدي ✽

اى رب كتيبة خالطتها بكتيبة الكتيبة الجيش والعسكر فاذا اختلطت نفضت يدى منهم وخليتهم وشأنهم يريد انه مهياج للشر والفتنة ﴿ قوله اى بالعذاب ﴾ وهو ظاهر لتقدم ذكره صريحا فى قوله عذابا من فوقكم او بالقرآن وهو كالمذكور من حيث ان تعريف الآيات للعهد كأنه قيل انظر كيف نصرّف آيات القرآن قال المصنف بعد ثلاثة اسطر اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن وورودها على وجوه مختلفة من اول السورة الى هنا لكى يفهم منها المشركون بطلان قولهم وتناقض مذهبهم لكنهم لم ينتفعوا بها ولم يهتدوا بها لانها بل كذبوا القرآن فى كونه كتابا منزلا من عند الله تعالى وهو الحق اى الصادق فى ذلك وقوله وهو الحق يحتمل ان يكون استئنافا لبيان وقوع العذاب او حقية القرآن ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى به اى كذبوا به حال كونه حقا ﴿ قوله يريد به اما العذاب ﴾ بقرينة المقام والا فكل ما اخبر به الله تعالى من اخبار الوعد والوعيد له وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير ولا بد ان يعلم المكلف جميع ذلك عند ظهوره ونزوله ولفظ المستقر يحتمل ان يكون اسم زمان ومكان ومصدر لان جميع ذلك من المزيد فيه يكون على لفظ اسم المفعول ولا مانع من حمله على كل واحد منها فى الآية فصحة ان يقال لكل ما اخبر الله به استقرار لا محالة او لكل ذلك وقت استقرار او مكان استقرار الا ان المصنف حمله على الزمان لكونه انسب بهذا المقام ثم انه تعالى لما بين انه عليه الصلاة والسلام ليس بحفيظ على المكذبين حتى يمنعهم من الكفر والتكذيب وليس عليه ان يلزمهم الى ان يقبلوا الدين بين انهم ان خاضوا الى الكفر والتكذيب والاستهزاء بالدين والطعن فى القرآن العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام يجب عليه الاعراض عنهم وترك مجالستهم حتى يخوضوا فى حديث غيره فقال واذا رأيت الذين يخوضون الآية قيل الخطاب فيه للنبى عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وقيل الخطاب لغيره والمعنى اذا رأيت ايها السامع الذين يخوضون فى آياتنا روى ان المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فشتموا واستهزؤا فامرهم ان لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وكلمة اذا فى الآية منصوبة بجوابها وهو فأعرض اى فأعرض عنهم فى هذا الوقت والظاهر ان فى الآية تقدير حال محذوفة اى واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم وهم خائضون فيها او وهم متلبسون بالخوض فيها لان المأمور به هو الاعراض عنهم فى تلك الحال لا مطلقا بقرينة قوله حتى يخوضوا فى حديث غيره والخوض فى اللغة الشروع فى الشئ مطلقا يقال خاض القوم فى الحديث وتخاوضوا فيه اى تفاوضوا وتشاركوا بأن خاض فيه بعضهم بعضا الا انه غلب فى الشروع فى الشئ بالباطل قال تعالى حكاية عن الكفار وكنا نخوض مع الخائضين فلذلك قال المصنف يخوضون فى آياتنا بالتكذيب والاستهزاء الا ان الخوض فى قوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث الظاهر انه على اصل معناه * قال الامام لفظ الخوض فى اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب والعبث فربما يسأل الرجل عن قوم فيجيب قال تركتهم يخوضون يريد انه تركهم وهم شرعوا فى كلمات لا ينبغى ذكرها ثم قال ومن الحشوية من تمسك بهذه الآية فى النهى عن الاستدلال والمناظرة فى ذات الله تعالى وصفاته قال لان ذلك خوض فى آيات الله والخوض فيها حرام بدليل هذه الآية ثم اجاب عنه بقوله انا نقلنا عن المفسرين ان المراد من الخوض الشروع فى آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وبينا ايضا ان لفظ الخوض فى اصل اللغة لهذا المعنى فسقط هذا الاستدلال ﴿ قوله تعالى واما ينسينك الشيطان ﴾ بتخفيف السين من انساه كقوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان فانساه الشيطان ذكر ربه وقرأ ابن عامر بتشديد السين فان نسى يتعدى بكل واحد من التضعيف والتخفيف والمفعول الثانى محذوف على القراءتين اى واما ينسينك الشيطان ما أمرت به من ترك مجالستهم وان اصله ان ما فادغمت نون حرف شرط وما صلة والنون نون التأكيد ذكرت الشرطية الاولى بكلمة اذا لان خوضهم فى الآيات محقق الوقوع بخلاف انساء الشيطان اياه عليه الصلاة والسلام فانه محض احتمال ذكر لبيان ان التكليف ساقط عن الناسى وكذا نسيان غيره عليه الصلاة والسلام فانه ايضا امر محتمل قد يقع وقد لا يقع والكلام فى خطاب ينسينك كالكلام فى خطاب واذا رأيت ﴿ قوله بعد ان تذكره ﴾ اشارة الى ان الذكرى مصدر بمعنى التذكر والمجئ مصدر على فعلى غير ذكرى ﴿ قوله شئ مما يحاسبون عليه ﴾ اشارة الى ان من فى من شئ زائدة وشئ فى محل الرفع على انه فاعل على لاعتماده على النفى ومن حسابهم حال من شئ لانه لو تأخر عنه لكان صلة له وصفة للنكرة متى قدمت عليها انتصبت على الحالية

(ويذيق بعضكم بأس بعض) يقاتل بعضكم بعضا (انظر كيف نصرّف الآيات) بالوعد والوعيد (لعلهم يفقهون وكذب به قومك) اى بالعذاب او بالقرآن (وهو الحق) الواقع لا محالة او الصدق (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم فأمنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ (لكل نبأ) خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به (مستقر) وقت استقرار ووقوع (وسوف تعلمون) عند وقوعه فى الدنيا او فى الآخرة (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا) بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره) اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن (واما ينسينك الشيطان) بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد ان تذكره (مع القوم الظالمين) اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام (وما على الذين يتقون) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم (من حسابهم من شئ) شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم

(والمعنى)

والمعنى ما استقر على الذين يتقون الشرك شيء كائنا مما يحاسب المشركون عليه ﴿قوله ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى﴾ يعني ان ذكرى منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مضمر وهو مع فاعله المضمر في محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره فقوله ولكن عطف به هذه الجملة على الجملة السابقة وكذا ان جعل ذكرى مرفوعا على انه مبتدأ حذف خبره بتقدير ولكن عليهم ذكرى وذكرى بمعنى التذكير ﴿قوله ولا يجوز عطفه على محل من شيء﴾ على طريق قولك ما في الدار من احد ولكن زيد * فان قلت الجمع بين الواو ولكن جمع بين حرفي عطف وهو ممتنع * اجيب بأن لكن تخرج عن العطف وتتخلص للاستدراك عند مجيء الواو كما ان اللام مع سوف تخرج عن كونها للحال وتتخلص للتأكيد ووجه كون قوله من حسابهم آبيا عن عطف ذكرى على محل من شيء عطف المفرد على المفرد على معنى ما على المتقين من حسابهم شيء ولكن عليهم ذكرى ان العطف يقتضي التشريك فان كان في المعطوف عليه قيد فالظاهر تقييد المعطوف بذلك القيد الا ان توجد قرينة صارفة عن اعتبار ذلك القيد في المعطوف فحينئذ يعمل على حسب ما تقتضيه القرينة فاذا قلت ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرا كان الظاهر اشتراك عمرو مع زيد في كونه مضروبا وفي وقوع الضرب عليه يوم الجمعة واما اذا قلت وعمرا يوم السبت فحينئذ لا يشارك عمرو مع زيد الا في كونه مضروبا ولا يشاركه في قيده والآية الكريمة من قبيل المثال الاول فان شيأ فيها مقيد بكونه مما يحاسبون عليه بناء على ان قوله من حسابهم حال من شيء فلو عطف ذكرى عليه لكان ذكرى ايضا مقيدا بكونه مما يحاسبون عليه اذلم يوجد في الآية قرينة تمنع عن اعتبار ذلك القيد في المعطوف ولا شك ان ذكرى ليس من حسابهم فلا يجوز عطفه على ما هو من حسابهم ﴿قوله ولا على شيء﴾ اي ولا يجوز عطفه على لفظ شيء ايضا لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات يعني ان لكن حرف ايجاب فلو عطف ما بعدها على المجرور بمن لزم زيادة من في الموجب وجمهور البصريين لا يجوزونها ﴿قوله ولا تنثم﴾ اي لا تخل تقواهم من أثلة وهي الخلل يقال ثلمت الشيء فانثلم وتثلم اي اختل ﴿قوله فنزلت﴾ اي نزلت رخصة للمؤمنين في القعود معهم على سبيل التذكير والمنع من الخوض ونحوه من قبائح الاقوال والافعال اي ما على الذين يتقون الشرك والخوض وسائر المعاصي من آثام الخائضين من شيء ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى لعلهم يتقون الخوض اذا وعظوهم فرخص في مجالستهم على سبيل الوعظ والتذكير واظهار الكراهة على سوء صنيعهم لعل ذلك يمنعهم من المعاودة الى مثله ﴿قوله تعالى وذر الذين اتخذوا﴾ وهم المذكورون بقوله الذين يخوضون في آياتنا ومعنى ذرهم اعرض عنهم واترك معاشرتهم وملاطفتهم وليس المراد ان يترك انذارهم لانه تعالى قال بعده وذكر به فالمعنى لا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر بالقرآن ﴿قوله بنوا امر دينهم﴾ الذي حقه ان يؤخذ عن نبي من الانبياء ويبنى على تشريعه على التشهي واتباع الهوى وما يكون كذلك فهو لعب ولهو من حيث انه لا يعود عليهم ما ينفع عاجلا وآجلا لا خفاء في ان ليس للمشركين دين من الاديان المشروعة من قبل نبي من الانبياء وقد اضيف اليهم دين واخبر بأنهم اتخذوه لهوا ولعبا اي عطلة ومشغلة يشتغلون به عن الدين الحق يقال لهاه عن كذا اي شغله عنه فلا بد ان يبين وجه اضافة الدين اليهم مع انه لا دين لهم فذكر للاضافة وجوها الاول ان المراد بدينهم ما ينبغي ان يتدينوا به ويتقربوا بملابسته الى مولاهم الحق والمراد باتخاذه لعبا جعله شيأ كائنا من جنس ما يلعب به ويلهى بملابسته عن الحق كعبادة الاصنام ونحوها والثاني ان المراد بدينهم هو دين الاسلام ووجه كونه دينا لهم انه فرض عليهم وان كلفوا بالتدين به وانهم لما حضروا به واستهزأوا فقد اتخذوه لعبا ولهوا والفرق بين الوجهين مع ان ما ينبغي ان يتدينوا به في الواقع هو دين الاسلام ان المراد بدينهم على الوجه الثاني هو دين الاسلام بخصوصه وعلى الوجه الاول مطلق ما يصدق عليه مفهوم قولنا ما ينبغي ان يتدينوا به والثالث ان المراد بالدين العيد الذي يعاد اليه كل حين معهود سمي العيد دينا مجازا لان العيد مبني على العادات والدين العادة فانه تعالى قد جعل لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله تعالى والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله حيث جعلوه يوم الصلاة والتكبير وفعل الخيرات وحضور الجماعات وصدقة الفطر ونحر الضحايا وهذه الوجوه كلها مبنية على ان يكون اتخذوا متعديا الى مفعولين اولهما دينهم وثانيهما لهوا ولعبا ويحتمل ان يكون متعديا الى واحد على ان يكون اتخذوا بمعنى اكتسبوا او عملوا فيكون قوله لعبا ولهوا على هذا مفعولا من اجله اي اكتسبوه لاجل اللهو واللعب وهو الحظوظ العاجلة الدنيوية فان ارباب العقل واليقين انما

(ولكن ذكرى) ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات (لعلهم يتقون) يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف فنزلت (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم (وغرتهم الحياة الدنيا) حتى انكروا البعث

يتمسكون بالدين لاجل انه قام البرهان القاطع على انه هو الحق والصواب وانه سبيل مرضاة الله تعالى هو الباب واما الذين فى عقولهم سخافة فانهم يتوسلون باعمال الدين الى اخذ المناصب والرياسة والتعيش بين الانام وجمع الاموال فانهم يتمسكون بالدين للدنيا وقد حكم الله تعالى على الدنيا فى سائر الآيات بانها لعب ولهو فمن توسل بدينه الى دنياه فقد اتخذ دينه لاجل اللعب واللهو فاذا تأملت فى حال اكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة * واعلم انه تعالى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يترك من كان موصوفا بوصفين الوصف الاول ان يتخذوا دينهم لعبا ولهوا والوصف الثانى ان يغتروا بالحياة الدنيا وتوهموا ان ما عطوا فيها من الجاه والمال وسلامة القوى والاعضاء انما هو لكرامتهم على الله تعالى فاطمأنوا وانقادوا الى الحياة الدنيا واعرضوا عن الاهتمام برعاية حقوق الدين وادّاهم ذلك الى ان انكروا البعث والحساب ﴿قوله مخافة ان تسلم الى الهلاك﴾ على ان يكون ان تبسل فى محل النصب على انه مفعول له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان تبسل نفس بما كسبت اى ترهن فى جهنم بما كسبت فى الدنيا وقال مجاهد تسلم للهلكة بان تمنع من مرادها وتخذل وقال قتادة تحبس فى جهنم ومعنى الآية ذكرهم بالقرآن كراهة احتباسهم فى نار جهنم بسبب جناياتهم ﴿قوله لان فريسته لاتفلت﴾ اى لان ما افترسه من الصيد لايتخلص منه فلته اى فجأة فلما كان اصل الابسال والبسل المنع صح استعمال الابسال فى معنى الاسلام الى الهلاك لان الاسلام الى الهلاك يستلزم المنع فانه اذا اسلم احد الى الهلاك كان المسلم اليه وهو الهلاك يمنع المسلم وهو الشخص من الخروج منه والخلاص عنه ﴿قوله تعالى ليس لها﴾ الظاهر ان هذه الجملة مستأنفة سيقت للاخبار بذلك ويحتمل ان تكون فى محل الرفع على انها صفة لنفس او فى محل النصب على انها حال من الضمير فى كسبت ومن دون الله حال من ولى لانه لو تأخر لكانت صفة له فيتعلق بمحذوف هو حال ﴿قوله وههنا الفداء﴾ يعنى ان العدل ههنا ليس بمعنى مايفتدى به بل المراد به ههنا المعنى المصدرى يقال فداه وفداء اذا اعطى بدله شيأ فانقذه اى خلصه به وكل واحد من الفدية والفداء وان كان يستعمل فى موضع الآخر الا ان ماذكرناه من تخصيص كل واحد منهما بمعنى غير معنى الآخر يستفاد من المقام ﴿قوله وكل نصب على المصدرية﴾ فانه يكون فى حكم ما اضيف اليه ونظيره خير مقدم وكثير نفع ﴿قوله الفعل مسند الى منها﴾ فانه اذا لم يوجد المفعول به الصريح يجوز اسناد الفعل الى الجار والمجرور فان العدل المذكور لما كان مصدرا لم يصح لأن يكون مأخوذا لان الاخذ يتعلق بالاعيان لا بالمعانى واسناده الى العدل فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل من حيث انه ليس المراد به المصدر بل الشئ المفدى به فصح اسناد الاخذ اليه قال الامام الاخذ قد يستعمل بمعنى القبول كما فى قوله تعالى ويأخذ الصدقات اى يقبلها واذا حمل الاخذ فى هذه الآية على القبول جاز اسناده الى المصدر بلا محذور ثم قال المقصود من هذه الآية بيان ان وجوه الخلاص منسدة على تلك النفس اذ لا ولى يتولى دفع ذلك المحذور ولا شفيع يشفع فيها ولا فدية تقبل ليحصل الخلاص بسبب ذلك حتى لو جعلت الدنيا بأسرها فدية من عذاب الله تعالى لم تنفع واذا كانت وجوه الخلاص فى الدنيا هى هذه الثلاثة وثبت ان شيأ منها لايفيد فى الآخرة البتة ظهر انه ليس هناك الا الابسال والارتهان والاسلام ومن ايقن بهذا كيف لايرتعد فرائصه اذا اقدم على المعصية ﴿قوله ونرجع الى الشرك﴾ جعل الرجوع الى الشرك ردا على العقب بناء على ان كل من اعرض عن الحق الى الباطل فقد رجع الى خلف ورجع على عقبيه ورجع القهقرى لان الاصل فى الانسان هو الجهل ثم يترقى ويتعلم الى ان يستكمل بالكمالات العلمية والمعارف اليقينية قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فاذا رجع من العلم الى الجهل مرة اخرى فكأنه رجع الى اول مرة فلهذا السبب يقال له انه رجع على عقبيه وارتد الى خلفه ﴿قوله المهامه﴾ جمع مهمه وهو المفازة البعيدة وهوى بكسر العين يهوى هوى اى أحب وهوى بالفتح يهوى هويا اى سقط الى اسفل فمعنى استهوته جرته الى المساقط والمهالك وجعلته هاويا عادلا ضالا عن طريقه ذاهبا فى مهامه الارض الى خلاف سمته ومقصده كما يقال استزلته واستغوته اى جرته الى الزلة والغواية وقوله تعالى فى الارض متعلق بقوله استهوته وحيران حال من هاء استهوته وهو صفة مشبهة مؤنثه حيرى والفعل منه حار يحار حيرة والحيران المتردد فى الامر بحيث لايهتدى الى المخرج منه ونظير هذه الآية قوله تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ولاشك ان الانسان حال هويه من المكان العالى الى اسفل المنازل يكون فى غاية الدهشة والحيرة

(وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لاتفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام (ليس لها من دون الله ولى ولاشفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية (لايؤخذ منها) الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به (اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا) اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم (قل أندعو) أنعبد (من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) ما لايقدر على نفعنا وضرنا (ونرد على اعقابنا) ونرجع الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) فأنقذنا منه ورزقنا الاسلام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته (فى الارض حيران) متحيرا ضالا عن الطريق (له اصحاب) لهذا المستهوى رفقة (يدعونه الى الهدى) اى يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر (ائتنا) يقولون له ائتنا

وقوله له اصحاب جملة فى محل النصب على انها حال ثانية من الهاء او صفة لحيران او حال من الضمير فى حيران ويدعونه صفة اصحاب والى الهدى متعلق بيدعونه والهدى اما حقيقة بان كان بمعنى الهداية او مجاز مرسل على طريق تسمية المهدىّ اليه بالهدى والجملة الامرية فى محل النصب بالقول المضمر اى يقولون ائتنا والقول المضمر فى محل الرفع على انه صفة لاصحاب مثل يدعونه شبهالله تعالى من اشرك وعبد غيرالله تعالى مع قيام البرهان الفاصل بين الحق والباطل بشخص موصوف بثلاثة اوصاف الاوّل استهوته مردة الجن والغيلان فى المهامه والمفاوز والثانى كونه حيران تائها ضالا عن الجادّة لايدرى كيف يصنع والثالث ان يكون له اصحاب يدعونه قائلين له ائتنا فقد اعتسفت المهمه وضللت عن الجادّة وهو لايجيبهم ولايترك متابعة الجنّ وهذه الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به معتبرة فى جانب المشبه الذى استحسن طريق الشرك وصاحب الكشاف لماانكر الجنّ واستيلاءها على بعض الاناسىّ بقدرة الله تعالى جعل الاوصاف المعتبرة فى جانب المشبه به مبنية على مازعمه العرب وتعتقده من ان الجنّ تستهوى الانسان وتستولى عليه والحال انه ممايقول به العرب والعجم واكثراهل الملل ويدّعى مشاهدته كثير من الثقات وليس لمنكره دليل يعوّل عليه بل هو ممن استهوته الشياطين فى مهامه الضلال الفاسق حيران له اصحاب من اهل السنة يدعونه الى الهدى الشرعى قائلين له ائتنا وهو مصرّ على تعسفه لايلوى عليهم ولايلتفت اليهم والشياطين والجنّ اجسام لطيفة تتشكل باشكال مختلفة وتقدر على ان تنفذ فى بواطن الحيوان نفوذ الهوآء فى خلال الاجسام المتخلخلة واختلف فى اختلافهما بالنوع مع الاتفاق على انهما من اصناف المكلفين فذهب بعضهم الى ان الجنّ اجسام لطيفة هوآئية يظهر منها افعال عجيبة منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصى والشياطين اجسام نارية شأنها القاء النفس فى المفاسد وانواع الضلالة وذهب آخرون الى ان الشياطين صنف من الجنّ وهى الشريرة منهم فتفسير الشياطين بمردة الجنّ اختيار لهذا المذهب واشارة الى ان اسم الشيطان مشتق من شطن بمعنى بعد ويسمى كل عات متمرّد شيطانا لبعده عن الحق وتمرّده وقيل انه مشتق من شاط بمعنى بطل ﴿قوله او على موقعه﴾ اى على موقع لنسلم وهو ان نسلم فان العرب تقول امرتك ان تسلم وامرتك بأن تسلم وامرتك لتسلم فعلى الاوّل الباء محذوفة وهى للالصاق وعلى الثالث مفعول الامر محذوف واللام للتعليل فلما جاز كل واحد من هذه العبارات كان قوله لنسلم واقعا فى موقع ان نسلم معنيا عناه فصار ان نسلم كانه هو المذكور وفى موضع لنسلم فجاز ان يعطف عليه ﴿قوله كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا﴾ خولف بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يجعلا على نسق واحد بأن يقال امرنا ان نسلم ونقيم او امرنا ان اسلموا واقيموا التنبيه على الفرق بين حالتى الكفر والايمان فان المأمور بالاسلام هو الكافر والمأمور باقامة الصلاة هو المؤمن والكافر حال كفره ليس بأهل لساحة الحضور والخطاب فلذلك لم يؤمروا بلفظ امر الحاضر بل قيل امرنا لنسلم لرب العالمين واذا اسلم صار اهلا لشرف الخطاب فخوطب وامر كما يخاطب الحاضرون وقيل ان اقيموا واتقوا ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على تقدير ان يكون قوله تعالى قل أندعو من دون الله واردا فى شأن ابى بكر الصدّيق مع ابنه رضى الله عنهما الجيب به ابنه كان القياس ان يقال قل لابى بكر اجب ابنك بأن تقول له أندعو من دون الله الآية الا انه امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يجيب بهذا القول من قبل الصدّيق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الواقع بينه عليه الصلاة والسلام وبين الصدّيق رضى الله عنه ✽ واعلم انه تعالى لمابين اوّلا ان الهدى هدى الله وحصل به الترغيب فى جميع الطاعات المأمور بها من افعال القلوب وافعال الجوارح والتنفير عن جميع المنكرات والمنهيات ذكر عقيب هذا الكلام الاجمالى ماهو اشرف اقسام الهدى من كل باب فبدأ بذكر ماهو رئيس الطاعات الروحانية وهو الاسلام ثم ذكر الصلاة التى هى رئيس الطاعات الجسمانية ثم ذكر التقوى التى هى رئيس ماهو من قبيل التروك والاحتراز عن كل مالاينبغى فقال وان اقيموا الصلاة واتقوه ثم قال وهو الذى اليه تحشرون للاشارة الى ان منافع هذه الاعمال انما تظهر يوم الحشر والجزآء ثم انه تعالى لمابين فى الآيات المتقدمة فساد طريق عبدة الاصنام ذكر بعدها مايدل على ان لامعبود الاالله فقال وهو الذى خلق السموات والارض بالحق اى قائما بالحق والحكمة وهو حال من فاعل خلق والباء للتعدية كما فى قولك قام بأمر كذا وقيل الباء بمعنى اللام اى اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته فهو نظير قوله تعالى ربنا ماخلقت هذا باطلا وقوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين قال اهل السنة انه تعالى خالق لجميع المحدثات مالك لكل الكائنات وتصرّف المالك فى ملكه

(قل ان هدى الله) الذى هو الاسلام (هو الهدى) وحده وماعداه ضلال (وامرنا لنسلم لرب العالمين) من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زآئدة (وأن اقيموا الصلاة واتقوه) عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلاة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روى ان عبدالرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصدّيق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما (وهو الذى اليه تحشرون) يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) قائما بالحق

حسن وصواب على الاطلاق فكان حقا على الاطلاق لامحالة وقالت المعتزلة ان معنى كونه حقا واقعا على وفق مصالح المكلفين مطابق لمنافعهم ﴿قوله كقولك القتال يوم الجمعة﴾ اى واقع فيه او مستقر فيه يعنى ان ظرف الزمان وان لم يقع خبرا عن الاعيان والذوات الا انه يقع خبرا عن الحدث والقول بمعنى الحدث لجواز ان يقع ظرف الزمان خبرا عنه فلفظ قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبر مقدم عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين كأنه قيل قوله الحق نافذ حين قال لشئ من الاشياء كن فيكون عقيبه كما قال المصنف فى معنى الجملة الثانية قوله الحق نافذ فى الكائنات فظاهره يشعر انه اختار ماذهب اليه الاشاعرة من حمل كلمة كن على ظاهرها بأن اجرى الله تعالى عادته فى تكوين الاشياء على ان يقول هذه الكلمة حال تكونها فتكون عقيبها بلافصل ولكنه اختار فى سورة يس ماذهب اليه اكثر المفسرين من ان قوله كن مجاز عن سرعة التكوين ﴿قوله او محذوف دل عليه بالحق﴾ فانه حال وتقديره قائما بالحق وفيه معنى يقوم بالحق وهو المعنىّ بالمحذوف كأنه قيل يقوم بالحق يوم يقول والحكيم هو المصيب فى افعاله والخبير هو العالم بحقائقها من غير اشتباه ﴿قوله والمراد به حين يكوّن الاشياء﴾ والمعنى وحين يقول لشئ من الاشياء التى يكوّنها ويحدثها من غير ان يقيد ذلك التكوين بكونه فى يوم القيامة بأن يقال وحين يقال لما يخلقه الله تعالى يوم القيامة ومن قيده بذلك اخذ التقييد من قرينة الحال فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها فكأنه قيل يوم يقول للخلق موتوا فيموتون وانشروا فينتشرون ولما توقف امر البعث والجزآء على اصلين احدهما كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات والثانى كونه عالما بجميع المعلومات لانه على تقدير ان لايكون قادرا على كل الممكنات لم يقدر على البعث ورد الارواح الى الاجسام وعلى تقدير ان لايكون عالما بجميع الجزئيات لم يصح ان يجازى كل واحد من المطيع والعاصى على حسب عمله فلا يحصل المقصود الاصلى من البعث والقيامة قال وله الملك يوم ينفخ فى الصور للدلالة على كمال القدرة وقال عالم الغيب والشهادة للدلالة على كمال العلم فلزم من مجموعهما صحة البعث والحساب والجزآء ثم قال وهو الحكيم الخبير ليكون كالفذلكة للآية والحاصل لها لان الحكيم هو المصيب فى افعاله والخبير هو العالم بحقائق الكائنات من غير اشتباه فى ظواهرها وبواطنها والفذلكة فى اصطلاح اهل الحساب اجمال ماعلم اولا على سبيل التفصيل مأخوذ من فذلك ﴿قوله وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح﴾ قال الزجاج لاخلاف بين النسابين فى ان اسمه تارح صح بالحاء المهملة معناها حتى ان بعض الملاحدة تمسك باجماعهم وجعله ذريعة الى الطعن فى القرآن قائلا ان نسبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى آزر خطأ فالمصنف اشار الى دفع الطعن عما نقله بقوله فقيل وقيل واجماع النسابين لاعبرة به فى مقابلة صريح القرآن لان ذلك الاجماع انما انعقد بأن قلد بعضهم بعضا وبالآخرة يرجع ذلك الاجماع الى قول الواحد او الاثنين مثل وهب وكعب ونحوهما وربما يتعلقون بما يحدثنه به من اخبار اليهود والنصارى ولو سلم ان اسمه كان تارح فهو لايمنع ان يسمى بآزر ايضا لانه قد يسمى شخص واحد باسمين مختلفين كاسرآئيل ويعقوب فيحتمل ان يكون اسمه الاصلى آزر وكان تارح لقباله فاشتهر هذا اللقب وخفى الاسم فالله تعالى ذكره باسمه الاصلى ويحتمل ان يكون بالعكس ويجوز ان لايكون آزر اسماله بل يكون لفظا دالا على صفة الذم كالمخطئ والضال والمعوج كأنه قيل واذ قال ابراهيم لابيه المخطئ الضال تعييراله بكفره وانحرافه عن الحق وقيل انه بمعنى الشيخ الهرم بلغة اهل خوارزم * قال الامام زعمت الشيعة ان احدا من آباء الرسول صلى الله عليه وسلم واجداده ما كان كافرا وانكروا كون والد ابراهيم كافرا وقالوا ان آزر كان عم ابراهيم والعم قد يسمى بالاب الاترى ان يعقوب لما قال لابنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا فسموا اسمعيل بكونه ابا ليعقوب مع انه كان عماله وقال عليه الصلاة والسلام ردوا على ابى العباس وهو عمه عليه الصلاة والسلام واحتجوا على قولهم ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا بوجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قيل معناه انه كان ينقل روحه من ساجد الى ساجد فعلى هذا تكون الآية دالة على ان جميع آباء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كانوا مسلمين فيجب القطع ان والد ابراهيم كان مسلما وقوله عليه الصلاة والسلام * لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات * وقد قال انما المشركون نجس وذلك يوجب ان يقال ان احدا من اجداده ما كان من المشركين فلزم منه ان لايكون والد ابراهيم مشركا وقد ثبت ان آزر كان مشركا فوجب القطع بأن والد ابراهيم كان شخصا آخر غير آزر * فان قيل ان قوله تعالى وتقلبك

(ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكوّن الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) اى هو عالم الغيب (وهو الحكيم الخبير) كالفذلكة للآية (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرآئيل ويعقوب

في الساجدين يحتمل وجوها اخر احدها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على طاعة اصحابه فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ما سمع من اصوات قرآتهم وتسبيحهم وتهليلهم فالمراد من قوله وتقلبك في الساجدين طوافه عليهم تلك الليلة وهم ساجدون وثانيها انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بالجماعة وتقلبه في الساجدين معناه كونه فيما بينهم ومخالطتهم حال القيام والركوع والسجود وثالثها ان يكون المراد انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين للاشتغال بامور الدين ورابعها ان المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتموا الركوع والسجود فاني اراكم من وراء ظهري * فهذه الوجوه الاربعة مما يحتملها ظاهر الآية فسقط ماذكرتم والجواب ان لفظ الآية محتمل للكل وليس حمل الآية على البعض اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل وحينئذ يحصل المقصود وذكروا وجوها اخر تدل على ان آزر ليس ابا لابراهيم حقيقة ثم قال واما اصحابنا فقد زعموا ان والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كافرا وذكروا ان نص الكتاب في هذه الآية يدل على ان آزر كان كافرا وكان والد ابراهيم وايضا يدل عليه قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واما قوله تعالى وتقلبك في الساجدين فانه ليس بحجة على كون آبائه مسلمين ساجدين لاحتماله وجوها اخر غير ذلك وقوله يحمل على الكل قلنا هو محال لان حمل اللفظ المشترك على جميع معانيه لا يجوز وايضا حمل اللفظ على حقيقته ومجازه معا لا يجوز واما قوله عليه الصلاة والسلام * لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات * فذلك محمول على انه ما وقع في نسبه من ولد من الزنى كما ورد في حديث آخر * ولدت من نكاح لا من سفاح * ﴿قوله ولعل منع صرفه﴾ يعني ان آزر ممنوع من الصرف الا انه على تقدير كونه صفة بمعنى الشيخ والمعوج او الهرم يشكل منع صرفه ويمكن ان يقال في دفع الاشكال انه على وزن افعل فيمنع للوزن والصفة كأحمر لان العجمة انما تؤثر في منع الصرف بشرط العلمية وقد انتفت حينئذ فاحتيج الى اعتبار حمله على موازنه كما في سراويل اذا لم يصرف وهو الاكثر فان هذا الوزن انما يمنع اذا كان جمعا او منقولا عن الجمع وسراويل ليس كذلك ومع ذلك منع الصرف لانه اعجمي حمل على موازنه ومن جعله مشتقا من الازر او الوزر قال هو عربي ولم يصرفه للتعريف ووزن الفعل ﴿قوله والاقرب انه علم اعجمي﴾ لانه هو الظاهر واعتبار معنى الوصفية لا دليل عليه يعتد به ولم يجزم به لاحتمال كونه على وزن افعل كآدم لكن وزن فاعل كثير في السريانية وعلى تقدير كونه على وزن فاعل يكون ممنوعا للعلمية والعجمة وقال ابو البقاء وزنه افعل كآدم ولم ينصرف للعجمة والتعريف على قول من لم يشتقه من الازر او الوزر ومن اشتقه من واحد منهما قال هو عربي ولم يصرف للتعريف ووزن الفعل ﴿قوله وقيل اسم صنم﴾ اي قيل اسم ابيه تارح وآزر اسم صنم يعبده والد ابراهيم لكنه تعالى سماه آزر للزوم عبادته فان من بالغ في محبة احد يجعل اسم محبوبه اسماله او اطلق عليه آزر بحذف المضاف اي قال لابيه عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿قوله وقيل المراد به الصنم﴾ معطوف على قوله هو عطف بيان لابيه ويدل عليه ان قرئ أأزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح همزة آزر وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار كأنه كالبيان له * قال الامام هذه التكلفات انما يجب المصير اليها اذا دل دليل قاهر على ان والد ابراهيم ما كان اسمه آزر وهذا الدليل لم يوجد البتة فأي حاجة تحملنا على هذه التأويلات ومما يدل على صحة ما قلنا ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا في غاية الحرص على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واظهار نقصه فلو كان هذا النسب كذبا لما امتنع سكوتهم عن تكذيبه في العادة وحيث لم يكذبوا علمنا صحة هذا النسب واعلم ان ابراهيم خليل الرحمن لما سلم قلبه للعرفان ولسانه لاقامة البرهان على فساد طريق اهل الشرك والطغيان وسلم بدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم انه عليه الصلاة والسلام سأل ربه وقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين وجب في كرم الله تعالى ان يجيب دعاءه ويحقق مطلوبه فأجاب دعاءه وجعل جميع الطوائف واهل الاديان والملل معترفين بفضله حتى ان المشركين ايضا يعظمونه ويفتخرون بكونهم من اولاده ولما كان العرب معترفين بفضله لا جرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركي العرب ﴿قوله ومثل هذا التبصير نبصره﴾ يريد ان ذلك اشارة الى الاراءة التي تضمنها قوله نري لا الى اراءة اخرى

وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده اي أتعبد آزر ثم قال (أتتخذ اصناما آلهة) تفسير او تقرير ويدل عليه ان قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة أزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم (اني اراك وقومك في ضلال) عن الحق (مبين) ظاهر الضلالة (وكذلك نري ابراهيم) ومثل هذا التبصير نبصره

شبه بها هذه الاراءة كما يقال ضربته كذلك اى مثل هذا الضرب المخصوص ويمكن ان يكون اشارة الى ما تقدم من قوله انى اراك وقومك فى ضلال مبين اى مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام وتضليل ابيه وقومه نريه ملكوت السموات والارض فيكون قوله فلما جن عليه الليل الخ تفصيلا او بيانا لتلك الاراءة فان جعلنا كذلك اشارة الى ما تقدم لا يكون قوله وكذلك نرى الخ جملة معترضة لان الجملة المعترضة لا بد ان تكون مستقلة غير متعلقة بما قبلها ولا بما بعدها الا على جهة التأكيد بل يكون جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر ويكون قوله فلما جن تفصيلا بطريق تمثيل الاراءة واورد التبصير بدل الاراءة تصحيحا لتذكير اسم الاشارة وتنبيها على ان الاراءة ليست من رؤية البصر الا ان التبصير لا بد ان يكون بمعنى التعريف لان الملكوت بمعنى دلائل الربوبية والالوهية ليس مما يبصر حسا فكان فيما ذكره بقوله نبصره دلائل ربوبيتنا فيهما استعارة لنظر البصر * فان قيل رؤية البصر حاصلة لجميع الموحدين * فالجواب انهم وان كانوا يعرفون اصل دلائل الربوبية الا ان الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى فى كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واشخاصها واحوالها مما لا يحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقول فى دعائه * ارنا الاشياء كما هى * **قوله** وهو حكاية حال ماضية جواب عما يقال هذه الاراءة حصلت فيما تقدم من الزمان فالانسب ان يقال وكذلك اريناه اجاب بانه على سبيل الحكاية عن الماضى تحقيقا لحصوله وتصويرا لعظم شأنه **قوله** وقرئ ترى بالتاء اى الفوقانية فان قراءة الجمهور نرى بنون العظمة ومن قرأه بتاء التأنيث نصب ابراهيم على المفعولية ورفع ملكوت لاسناد الفعل اليه اى تريه دلائل الربوبية ربوبيته تعالى للسموات والارض وما فيهما والملكوت مصدر على فعلوت من الملك بمعنى القدرة والسلطنة زيدت الواو والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت والجبروت قال الراغب الملكوت مختص بملك الله تعالى فقولهم فلان له ملكوت اليمن وملكوت العراق مجاز للاستدلال على استقلاله فى السلطنة الظاهرة **قوله** اى ليستدل على ان يكون قوله وليكون معطوفا على علة مقدرة والثانى وهو قوله اوفعلنا ذلك على ان يكون علة لمحذوف اى اريناه ذلك ليكون من الموقنين برؤية ملكوتهما واليقين عبارة عن علم يحصل بعد زوال الشبهة وهو مستفاد من النظر والتأمل **قوله** تفصيل وبيان لذلك اى التبصير والاراءة المدلول عليه بقوله تعالى وكذلك نرى فان تبصير الملكوت مجمل لا تعرض فيه لكيفية فصل ذلك المجمل بقوله فلما جن الآية فيكون قوله وكذلك نرى جملة معطوفة على قوله قال ابراهيم لابيه آزر لا معترضة لان الجملة المعطوفة لا تكون معترضة بخلاف ما اذا جعل فلما جن معطوفا على قوله اذ قال ابراهيم فان قوله وكذلك نرى حينئذ يكون معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه حكى الله تعالى عنه اولا انه انكر على ابيه وقومه فى عبادتهم الاصنام ثم ذكر استدلاله على وحدانية الله تعالى وتفرده باستحقاق العبادة واورد بينهما قوله وكذلك على سبيل الاعتراض وفى الاعتراض بهذه الجملة تنوية لما سيأتى من استدلال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبيان انه بتبصيره له من الله تعالى وتسديده **قوله** كانوا يعبدون الاصنام والكواكب عطف الكواكب على الاصنام للاشارة الى ان من يعبد هذه الاحجار المصورة فى هذه الساعة لا يعبدها على اعتقاد ان لها تأثيرا وتدبيرا فى انتظام احوال هذا العالم السفلى فان بطلان ذلك معلوم ببديهة العقل وما علم بطلانه بديهة لا يذهب الى معتقده الجمع الغفير والقوم الكثير فلا بد ان يكون لهم فى عبادتها منشأ غلط وذكر العلماء فى بيانه وجوها كثيرة الاول ان الناس رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان قرب الشمس وبعدها من سمت الرأس يحدث الفصول الاربعة وبسبب تلك الفصول تحدث الاحوال المختلفة فى هذا العالم والذين رصدوا احوال سائر الكواكب زعموا ان ما وقع من السعادات والنحوسات فى هذا العالم منوط بالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا فى تعظيمها وعبدوها ثم ان عبدة الكواكب فريقان منهم من يقول انه سبحانه وتعالى خلق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلى اليها فهذه الكواكب هى المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبدها ثم ان هذه الكواكب تعبد الله وتطيعه فهؤلاء اثبتوا الوسائط بين الاله الاكبر وبين احوال هذا العالم ومنهم قوم غلاة ينكرون الصانع ويقولون هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهى المدبرات لهذا العالم الاسفل وهؤلاء هم الدهرية الخالصة وكل واحد من الفريقين اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها ثم انهم لما رأوا هذه الكواكب قد تغيب

وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه نبصره دلائل الربوبية (ملكوت السموات والارض) ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة (وليكون من الموقنين) اى ليستدل وليكون اوفعلنا ذلك ليكون (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب

من الابصار فى اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهى الياقوت والماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة تلك الاصنام قاصدين بعبادتها عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها والوجه الثانى فى منشأ غلط عبدة الاصنام ماذكر من ان اهل الهند والصين كانوا يثبتون الاله والملائكة الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم وصورة كاحسن مايكون من الصور والملائكة ايضا صور حسنة الا انهم كلهم محتجبون عنا بالسموات فلا جرم اتخذوا تماثيل انيقة المنظر حسنة الرواء والهيكل فيتخذون صورة فى غاية الحسن ويقولون انها هيكل الاله وصورا اخرى معجبة دون الصورة الاولى ويجعلونها على صور الملائكة ثم يواظبون على عبادتها قاصدين بتلك العبادة الزلفى من الله تعالى ومن الملائكة والوجه الثالث ان القوم يعتقدون ان الله تعالى فوّض تدبير كل واحد من هذه الاقاليم الى ملك بعينه وفوّض تدبير كل قسم من اقسام العالم الى روح سماوى بعينه فيقولون مدبر البحار ملك ومدبر الجبال ملك آخر ومدبر الغيوم والامطار ملك ومدبر الارزاق ملك ومدبر الحروب والمقاتلات ملك آخر فلما اعتقدوا ذلك اتخذوا لكل واحد من اولئك الملائكة صنما مخصوصا وهيكلا معينا ويطلبون من كل صنم مايليق بذلك الروح الفلكى من الآثار والتدبيرات وذكروا وجوها أخر فى منشأ غلطهم كلها باطل والحق انه الواحد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وليس له شريك فى تدبير ملكه تعالى عن ذلك علوّا كبيرا ولما كان حاصل دين عبدة الاصنام القول بآلهية الكواكب حكى الله تعالى عن الخليل عليه الصلاة والسلام استجهال ابيه آزر وقومه فى اتخاذهم الاصنام آلهة ثم اقامته الدليل على ان شيأ من الكواكب لا يصلح للآلهية والمعبودية ﴿قوله فاراد ان ينبههم على ضلالتهم﴾ اختلف المفسرون فى ان المقصود مما حكاه الله تعالى عن ابراهيم من الاستدلال على وحدانية الله تعالى وابطال الوهية ماسواه هل هو نظره واستدلاله فى نفسه وتحصيل المعرفة لنفسه او مقصوده الزام القوم وارشادهم الى طريق النظر والاستدلال وتنبيههم على ضلالهم فى امر دينهم واختار المصنف الثانى لان قوله لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضالين يدل على انه كان عارفا بأن له ربا يستحق العبادة ومنه الهداية وان قومه على الضلال ويشعر بأن محاجته كانت مع منكر مبالغ فى الانكار حيث احتيج الى القسم فان اللام فى قوله لئن موطئة للقسم وفى لأكوننّ جواب قسم ومما يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة بالدليل انه تعالى اخبر عنه انه قال لابيه قبل هذه الواقعة أتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين ويدل عليه ايضا انه قال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اى وليكون بسبب تلك الادلة من الموقنين ثم قال بعده فلما جنّ عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدلت الفاء فى قوله فلما جنّ عليه الليل على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين بربه ويدل عليه ايضا انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل أن ابراهيم يستدل به لتحصيل سبيل المعرفة واليقين لنفسه ﴿قوله وقوله هذا ربى على سبيل الوضع﴾ اى على سبيل التسليم صورة لا على سبيل الاخبار عن معتقده لئلا يلزم صدور الكفر عن النبى قبل البعثة فان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع ولا يجوز الكفر على الانبياء بالاجماع فان قومه لما ذهبوا الى ان الكواكب ربهم والههم ذكر ابراهيم مقالتهم بعبارتهم ليذكر عقيبه مايدل على فساده وهو قوله لا احب الآفلين ﴿قوله او على وجه النظر والاستدلال﴾ عطف على سبيل الوضع قال اهل التفسير ولد ابراهيم فى زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اوّل من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك فى هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء وقيل رأى نمرود فى منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا هو مولود يولد فى ناحيتك فى هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى ناحيته تلك السنة وحبس كل امرأة حبلى وجدت فى ناحيته عنده الا ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية حديثة لم يعرف الحبل ببطنها فلما دنت ولادة ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة ووضعته فى حلفاء ثم رجعت فاخبرت

فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجنّ عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته واوّل اوان بلوغه

زوجها بأنها ولدت في موضع كذا فانطلق ابوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه فقالت ذات يوم لأنظرن اليه مايفعل فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم في السرب الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي مالي اله سواه ثم نظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما افل قال لا احب الآفلين لان الآفل يزول اثره وسلطانه فلا يصلح الها ولان الآفل لكونه متحركا يكون محلا للحوادث فلا يكون الها وما يكون حادثا يحتاج في وجوده الى فاعل مختار يوجده فيكون ممكنا وسلسلة الممكنات لابد ان تنتهي الى الواجب وهو الاله المستحق للعبادة ثم رأى القمر بازغا فقال هذا ربي واتبعه بصره حتى غاب ثم طلعت الشمس هكذا الخ وقيل انه كان في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت له اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال فأتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي فقال امك قال فمن رب امي قال انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فأبصر كوكبا قال هذا ربي الى آخر القصة واختلفوا في قوله فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد واليقين بالنظر والاستدلال على نفسه فلم يضره ذلك في حال الاستدلال وايضا كان ذلك في طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا ذكر صاحب التيسير نقلا عن جماعة من اهل الكلام ان هذا كان منه في وقت لم يكن جرى عليه القلم فلم يكن كفرا وهو ماقاله المصنف وانما قاله زمان مراهقته واول اوان بلوغه فلا يكون هذا الكلام من ابراهيم ارشادا لقومه وتنبيها على ضلالتهم ويؤيده قوله تعالى وليكون من الموقنين على تقدير ان يكون قوله تعالى فلما جن عليه الليل الآية تفصيلا لما قبله من الاراءة والتبصير ﴿قوله فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث﴾ بيان لوجه الاستدلال بالافول على عدم الالوهية وذلك لان الافول يقتضي شيئين الحركة والاحتجاب بالاستتار وكل واحد منهما يقتضي ماينافي الالوهية وهو الامكان والحدوث فان كل متحرك جسم محل للحوادث والجسم محتاج الى حيزه فيكون ممكنا وايضا مايكون محدثا يكون مفتقرا الى الموجد فيكون ممكنا ومالا يخلو عن الحوادث يكون محدثا ومايكون كذلك لايكون الها لان الاله هو الموجود الذي ينقطع عنه سلسلة الاحتياج كما قال وان الى ربك المنتهى وكذا الاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث اذ لاشك ان ما احتاج في انبساط نوره وبقاء سلطانه الى ارتفاع الحجاب يكون ممكنا محتاجا الى الغير وكل ممكن محدث بالضرورة وبالجملة افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها في وجودها الى القادر المختار فذلك القادر هو الاله المستحق للعبادة دون الوسائط ﴿قوله ذكر اسم الاشارة﴾ ولم يقل هذه ربي مع كونه اشارة الى الشمس وهي مؤنث سماعي بناء على ان المؤنث اذا اخبر عنه بمذكر يعامل معاملة المذكر لكونهما عبارة عن شيء واحد وصيانة ماعبر عنه بأنه رب عن صورة التأنيث الا ترى انهم قالوا في صفة الله تعالى علام ولم يقل علامة وان كان ابلغ احترازا عن علامة التأنيث ﴿قوله وانما احتج بالافول دون البزوغ﴾ الذي هو الابتداء في الطلوع جواب عما يقال الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليلا على الحدوث فلم ترك ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعدل عن اثبات هذا المطلوب الى الافول واجاب بأن الاحتجاج بالافول اظهر لانه يدل على الحدوث من وجهين من حيث انه حركة ومن حيث انه احتجاب وغيبة ومن كان الها يجب ان ينعكس منه نور الوجود الى جميع الموجودات ابتداء وبقاء فلا يجوز ان يغيب عنها طرفة عين فلا يجوز الافول في حقه ولانه انما اورد هذا الدليل على قومه حين كان يدعوهم من عبادة النجوم الى التوحيد فلا يبعد ان يقال انه عليه الصلاة والسلام كان جالسا مع قومه ليلة من الليالي وزجرهم عن عبادة الكواكب فبينما هو في تقرير ذلك الكلام اذ وقع بصره على كوكب مضيء فلما افل قال عليه الصلاة والسلام لو كان هذا الكوكب الها لما انتقل من الصعود الى الافول ومن القوة الى الضعف ثم طلع القمر وهو في اثناء تقرير الدليل فأفل فأعاد عليهم ذلك الكلام

﴿فلما افل﴾ اي غاب ﴿قال لا احب الآفلين﴾ فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية ﴿فلما رأى القمر بازغا﴾ مبتدئا في الطلوع ﴿قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فانه لايهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لايصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال ﴿فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة الرب عن شبهة التأنيث ﴿هذا اكبر﴾ كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم ﴿فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون﴾ من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال ﴿اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين﴾ وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال

وكذا القول فى الشمس و بالجملة لما كان اول ماتحقق فى مجلس المناظرة هو الافول دون البزوغ استدل بالافول وان كان البزوغ ايضا صالحا للاستدلال به ﴿قوله وخاصموه فى التوحيد﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام لما اوردعليهم الحجة المذكورة اوردوا عليه حججا على صحة اقوالهم مثل ان تمسكوا بالتقليد بأن قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ومثل قولهم أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب ومثل انهم خوفوه بانك لما طعنت فى آلهة هذه الاصنام وقعت من جهة هذه الاصنام فى الآفات والبليات ونظيره ماحكاه الله تعالى فى قصة قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فذكروا هذا الجنس من الكلام مع ابراهيم عليه الصلاة والسلام فأجاب عن حججهم بقوله أتحاجونى فى الله وقرأ الجمهور اتحاجونى بنون ثقيلة اصله اتحاجوننى بنونين اولاهما نون الرفع فى الامثلة الخمسة والثانية نون الوقاية فاستثقل اجتماعهما فأدغمت الاولى فى الثانية فقول المصنف بتخفيف النون اشارة الى معنيين حذف احدى النونين تخفيفا وعدم تشديد النون الملفوظة وقرأ نافع بنون خفيفة مكسورة بحذف احدى النونين وكلاهما لغة عند اجتماعهما واختلف النحاة فى أيتهما المحذوفة فذهب سيبويه ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الاولى وذهب الاخفش ومن تبعه الى ان المحذوفة هى الثانية وقوله وقدهدان حال من الياء فى أتحاجونى اى أتجادلوننى فيه حال كونى مهديا من عنده او من اسم الله اى حال كونه هاديالى وقوله تعالى ولا اخاف ماتشركون به الظاهر انه جملة مستأنفة اخبر عليه الصلاة والسلام بانه لايخاف ماتشركون به ثقة بربه الذى وسعت كل شئ وقوله لااخاف معبوداتكم فى وقت اشارة الى ان الاستثناء فى قوله الا ان يشاء ربى متصل والمستثنى منه وقت محذوف والتقدير لا اخاف معبوداتكم قط الا وقت مشيئة ربى شيأ يخاف منه فان المصدر قد يقوم مقام الوقت نحو آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى وقت خفوقه وصياحه ﴿قوله ان يصيبنى بمكروه﴾ اشارة الى ان شيأ مفعول به ليشاء فسر شيأ به ليعلم انه مفعول به وليس بمصدر على معنى الا ان يشاء ربى شيأ من المشيئة وانما ذكر عليه الصلاة والسلام هذا الاستثناء لانه لايبعد ان يحدث للانسان فى مستقبل عمره شئ من المكاره فيقول الجهال من الناس ان ذلك المكروه انما حدث به بسبب انه طعن فى آلهة الاصنام فذكر ابراهيم هذا الاستثناء ليشير الى انه ان حدث به شئ من المكاره فانما حدث بمحض مشيئة الله تعالى اياه ولا مدخل فيه لطعنه فى الاصنام ﴿قوله تعالى ولاتخافون انكم اشركتم بالله﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على اخاف فتكون هذه الجملة داخلة فى حيز التعجب والانكار وان تكون جملة حالية اى وكيف اخاف الذى تشركون حال كونكم غير خائفين عاقبة اشراككم ولابد حينئذ من اضمار مبتدأ قبل المضارع المنفى بلا لان المضارع المنفى بلا حكمه حكم المثبت من حيث انه لاتباشره الواو والنظر الى حسن هذا النظم البليغ حيث جعل متعلق الخوف الواقع منه الاصنام ومتعلق الخوف الواقع منهم اشراكهم بالله غيره احترازا من ان يعادل البارى تعالى باصنامهم بأن يقول وكيف اخاف معبوداتكم وانتم لاتخافون الله تعالى ﴿قوله ماتحق ان يخاف منه﴾ اشارة الى ان متعلق العلم محذوف ويجوز ان لا يراد تعلقه بالمفعول على معنى ان كنتم من ذوى العلم وجواب ان كنتم محذوف اى فاخبرونى ﴿قوله ولم يلبسوا﴾ بفتح الياء وكسر الباء اما معطوف على الصلة ولامحل له حينئذ او جملة حالية على معنى الذين آمنوا غير لابسين ايمانهم بظلم ﴿قوله وقيل المعصية﴾ ذهب المعتزلة الى ان المراد بالظلم ههنا المعصية لا الشرك بناء على ان خلط احد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا تصور خلط الايمان بالشرك لانهما ضدان لايجتمعان وهذه الشبهة ان اوردت عليهم بان يقال كما ان الايمان لايجامع الكفر فكذلك المعصية لاتجامع الايمان عندكم لكونه اسما لفعل الطاعات واجتناب المعاصى فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمنا عندكم فلهم ان يجيبوا عنها بان الايمان كثيرا مايطلق على نفس التصديق بل ربما لايفهم من ذكره بلفظ الفعل الا هذا حتى انه يعطف عليه عمل الطاعات فى مواضع كثيرة من القرآن وذهب اهل السنة الى ان المراد من الظلم ههنا الشرك تمسكا بما روى فى الحديث المذكور فى البخارى ومسلم وتلقاه الثقات بالقبول وقالوا ان اريد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان او غيره فظاهر انه يجامع الشرك كما فى المنافق وكذا ان اريد به تصديق القلب لجواز ان يصدق المرء بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى ومايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وتمسكت المعتزلة بهذه الآية فى عدم انقطاع وعيد الفاسق بانه اعتبر فى الامن الايمان وعدم الظلم معا والمجموع غير حاصل للفاسق فلا يحصل له الامن اصلا فلا ينقطع وعيده ونحن نقول اختصاص الامن

(وحاجه قومه) وخاصموه فى التوحيد (قال أتحاجونى فى الله) فى وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون (وقدهدان) الى توحيده (ولا اخاف ماتشركون به) اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع (الا ان يشاء ربى شيأ) ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله (وسع ربى كل شئ علما) كأنه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها (افلاتتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف ما اشركتم) ولايتعلق به ضر (ولاتخافون انكم اشركتم بالله) وهو حقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر والضار والنافع (مالم ينزل به عليكم سلطانا) مالم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا (فأى الفريقين احق بالامن) اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه (ان كنتم تعلمون) ماتحق ان يخاف منه (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ماتظنون انما هو ماقال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية (وتلك) اشارة الى مااحتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون

بالمؤمن الذى لم يظلم نفسه لايوجب كون العصاة معذبين البتة لاحتمال ان يكون عدم امنهم لكونهم خائفين من العذاب متوقعين اياه نظرا الى آيات الوعيد وان وردت النصوص الدالة على كونهم فى مشيئة الله تعالى وانه تعالى يغفر مادون الشرك لمن يشاء ﴿ قوله او من قوله اتحاجونى اليه ﴾ فان قومه لما خوفوه بأن آلهتهم تخبله لاجل طعنه فيها وابطال امرها احتج عليهم قبلا بقوله ولاتخافون اى افلا تخافون انتم حيث اقدمتم على الشرك بالله وسويتم فى العبادة بين خالق العالم ومدبره وبين الخشب المنحوت فقيل تلك اشارة الى هذا الاحتجاج ويجوز ان تكون اشارة الى الكل كما اختاره المصنف وتلك مبتدأ وحجتنا خبره وآتيناها ابراهيم فى محل النصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية او فى محل الرفع على انه خبر ثان اخبر عنها بخبرين احدهما مفرد والآخر جملة ولايجوز ان يكون صفة لحجتنا لانها معرفة بالاضافة فلا توصف بالنكرة وقوله على قومه متعلق بحجتنا على مااختاره المصنف ومنع ابو البقاء كونه متعلقا بحجتنا بناء على ان الحجة مصدر وآتيناها خبر او حال وكل واحد منهما لايفصل به بين الموصول وصلته ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان الحجة ليست مصدرا بل هى عبارة عن الكلام المؤلف للاستدلال على الشئ وان جعل حجتنا بدلا وبيانا لتلك وجعل الجملة الفعلية خبرا عن المبتدأ لايجوز ان يكون على قومه متعلقا بحجتنا للفصل بينهما بالخبر وهو اجنبى عن المبتدأ ليس بمعمول له فيتعلق بمحذوف على انه حال اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه او دليلا ﴿ قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ﴾ والباقون باضافة درجات وانتصابها على انها مفعول نرفع واما على قراءة الكوفيين فانتصاب درجات يحتمل ان يكون على الظرفية ومن نشاء مفعول نرفع اى نرفع من نشاء مراتب ومنازل ويحتمل ان يكون على انها مفعول ثان قدم على الاول وذلك يحتاج الى تضمين نرفع معنى فعل يتعدى الى اثنين وهو يعطى مثلا اى نعطى بالرفع من نشاء درجات اى رتبا فالدرجات هى المرفوعة لقوله رفيع الدرجات واذا رفعت الدرجة فقد رفع صاحبها ويحتمل ان ينتصب بنزع الخافض اى نرفع الى منازل والى درجات والمراد بالدرجات ههنا درجات العلم والفهم والحكمة كما رفع درجات ابراهيم فيها حتى فاق فى زمن صباه شيوخ اهل عصره واهتدى الى مالم يهتد اليه الا اكابر الانبياء ﴿ قوله عد هداه نعمة على ابراهيم ﴾ فان المقصود من هذه الآيات تعديد نعم الله تعالى على ابراهيم جزاء على اظهار حجة وحدانية الله تعالى وبذل نفسه فى دعوة المشركين الى عبادته فانه تعالى لما حكى عنه انه انكر على ابيه وقومه فى عبادة الاصنام وارشدهم الى الحق بطريق النظر والاستدلال عدد وجوه نعمه واحسانه عليه فأولها قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم ذكر الله تعالى نفسه باللفظ الدال على العظمة للدلالة على ان ايتاء ابراهيم تلك الحجة من اشرف النعم واجل العطايا والمواهب وثانيها قوله تعالى نرفع درجات من نشاء فانه تعالى بين به انه خص ابراهيم بدرجة رفيعة عالية وثالثها انه جعله عزيزا فى الدنيا حيث جعل اشرف الناس وهم الانبياء والرسل من نسله ومن ذريته وابقى هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيامة وهب الله تعالى لابراهيم اسحق من صلبه ويعقوب من صلب اسحق نافلة له فانه تعالى رزقه اولادا مثل اسحق ويعقوب وجعل انبياء بنى اسرائيل من نسلهما وجعل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين من نسل اسمعيل عليه الصلاة والسلام وايضا اخرجه من اصلاب آباء طاهرين مثل نوح وادريس وشيث عليهم الصلاة والسلام فظهر ان المقصود بيان كرامة ابراهيم عليه الصلاة والسلام من جهة الآباء والاولاد وان قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب جملة فعلية معطوفة على الجملة الاسمية التى هى قوله وتلك حجتنا وعطف الاسمية على الفعلية وعكسه جائز ولم يصرح بتعلق قوله هدينا ليذهب ذهن السامع الى انه تعالى هداهما الى كل شرف وفضيلة لايهدى اليه سواه كالهداية الى الثواب العظيم فى ارفع درجات الجنان والارشاد الى الفضائل الدينية فانه لايبعد ان يكون جزاءهم على الاحسان الصادر منهم لانهم اجتهدوا فى طلب الحق فالله تعالى جازاهم على حسن طلبهم بايصالهم الى الحق كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل المراد بهذه الهداية الارشاد الى النبوة والرسالة لان الهداية المخصوصة بالانبياء ليست الاذلك ﴿ قوله فلو كان لابراهيم ﴾ اى لو كان الضمير له يكون داود وماعطف عليه الى قوله كل من الصالحين منصوبا بالعطف على اسحق مفعولا لفعل الهبة ويكون من ذريته متعلقا بذلك الفعل وتكون من لابتداء الغاية او للتبيين اى ووهبنا له بعد اسحق ويعقوب هذه الانبياء العشرة الذين هم من ذريته وهم المعدودون فى الآيتين الى قوله والياس ويكون انتصاب اسمعيل ومابعده بالعطف على نوحا ومعمولا لفعل الهداية اى وهدينا هذه الانبياء الاربعة كما هدينا نوحا

او من قوله أتحاجونى اليه (حجتنا آتيناها ابراهيم) ارشدناه اليها وعلمناه اياها (على قومه) متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها ابراهيم حجة على قومه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (ان ربك حكيم) فى رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا) اى كلا منهما (ونوحا هدينا من قبل) من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد (ومن ذريته) الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين فى تلك الآية والتى بعدها والمذكورون فى الآية الثالثة عطف على نوحا (داود وسليمان وايوب) وايوب بن اموص من اسباط عيصا بن اسحق (ويوسف وموسى وهرون)

(وان)

 { واسمعيل واليسع } هو اليسع بن اخطوب

وان كان ضمير ذريته لنوح يكون داود وجميع من ذكر بعده في الآيات الثلاث منصوبا معطوفا على قوله نوحا و مفعولا لفعل الهداية ويكون من ذريته بيانا لجميع هؤلاء المذكورين ويحتمل ان يكون حالا اى حال كون هؤلاء الانبياء منسوبين اليه ﴿ قوله اى ونجزى المحسنين جزآء مثل ما جزينا ابراهيم ﴾ اشارة الى ان الكاف في كذلك في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف لنجزى ﴿ قوله وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت ﴾ فيكون الحسن والحسين من ذرية سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مع انتسابهما اليه بالام ومن آذاهما فقد آذى ذريته عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى والليسع ﴾ بلام مشددة وياء ساكنة بعدها وقرآءة الجمهور بلام واحدة وفتح الياء بعدها ﴿ قوله وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ﴾ لما استدلوا به على ان الانبياء افضل من الملائكة بناء على ان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملائكة قال بعضهم معناه فضلناهم على عالمي زمانهم قال في المواقف لانزاع في ان الانبياء افضل من الملائكة السفلية الارضية انما النزاع في الملائكة العلوية السماوية وقال اكثر اصحابنا الانبياء افضل وعليه الشيعة واكثر اهل الملل وقالت المعتزلة وابو عبد الله الحليمي والقاضي ابو بكر منا الملائكة افضل وعليه الفلاسفة واختار المصنف مذهب الجمهور وفضلهم على من عداهم من الخلق ﴿ قوله فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا ﴾ اشارة الى وجه ايراد من التبعيضية والى انها متعلقة بفضلنا او هدينا اى وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم او وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات على ان كل واحد من المتعلق والمفعول محذوف ﴿ قوله فاختص طريقهم بالاقتدآء ﴾ امر بالاختصاص وليس بناش والباء داخلة على المقصور كما في قولك نخصك بالعبادة اى اجعل اقتدآءك مقصورا على هداهم وطريقهم وقوله فبهداهم متعلق باقتده قدم عليه ليفيد الاختصاص * فان قيل الواجب في الاعتقاديات واصول الدين هو اتباع الدليل من العقل والسمع ولا يجوز سيما للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقلد غيره فما معنى امره بالاقتدآء بهم * قلنا معناه الاخذ به لكن لا من حيث انه طريقهم بل من حيث انه طريق العقل والشرع ففيه تعظيم لهم وتنبيه على ان طريقهم هى الحق الموافق لدليل العقل والسمع فكأنه قيل فخذ ما توافقوا عليه من التوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق بالبارى تعالى في الذات والصفات والافعال واصول الدين مستدلا بالدليل الذى استدلوا به على ما اتفقوا عليه فليس في الآية دليل على انه عليه الصلاة والسلام مكلف بشرع من قبله لان من ذهب الى حكم متمسكا بدليل يثبته لا يقال له انه اخذ ذلك الحكم عن قبله وان وافقه في الاعتقاد بذلك الحكم وفي الاستدلال عليه بالدليل الذى استدل به من قبله وموافقته اياهم على هذا الوجه لا تدل على ان يكون منصبه اقل من منصبهم بل احتج العلماء بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام افضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فداود وسليمان كانا من اصحاب الشكر على النعمة وايوب كان من اصحاب الصبر على البلية ويوسف كان جامعا بينهما وموسى عليه الصلاة والسلام كان صاحب المعجزات القاهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس كانوا اصحاب الزهد واسمعيل كان صاحب الصدق فثبت انه تعالى انما ذكر كل واحد من هذه الانبياء لان الغالب عليه كان خصلة معينة من خصال المدح والشرف ثم انه تعالى لما ذكر الكل امر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بأن يقتدى بهم بأسرهم فكأنه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بأن يجمع من خصال العبودية او الطاعة كل الصفات التى كانت متفرقة فيهم بأجمعهم ولما امره الله تعالى بذلك امتنع ان يقال انه قصر في تحصيلها فثبت انه حصلها او اجتمع فيه من خصال الخير ما كان متفرقا فيهم فوجب ان يقال انه افضل الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ﴿ قوله والهاء في اقتده للوقف ﴾ اى وليس بضمير لان بهداهم متعلق باقتده وهو لا يتعدى الى مفعول ثان وحقها ان لا تثبت في حال الوصل كما لا تثبت همزة الوصل فيه لان هذه الهاء في حال السكت بمنزلة همزة الوصل في حال الابتدآء فكما لا تثبت الهمزة حال الوصل كذلك لا تثبت الهاء ومنهم من يثبتها في الوصل ايضا لكونها ثابتة في المصحف فكرهوا مخالفته فأثبتوا الهاء في الحالتين ﴿ قوله ويشبعها ابن عامر على انها كناية المصدر ﴾ اى وليست بهاء الوقف وقال الواحدى وقرأ ابن عامر بكسرها وخطأه مجاهد وقال هذه هاء وقف فلا تحرك في حال من الاحوال وانما تذكر لتظهر بها حركة ما قبلها وقال ابو على الفارسى جعل ابن عامر الهاء كناية عن المصدر لا هاء الوقف كأنه قال فبهداهم اقتد الاقتدآء والفعل يدل على المصدر فكنى عنه بها كما حكى سيبويه من قولهم من

وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القرآءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله { ويونس } هو يونس بن متى { ولوطا } هو هاران ابن اخى ابراهيم { وكلا فضلنا على العالمين } بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق { ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم } عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا { واجتبيناهم } عطف على فضلنا او هدينا { وهديناهم الى صراط مستقيم } تكرير لبيان ما هدوا اليه { ذلك هدى الله } اشارة الى ما دانوا به { يهدى به من يشاء من عباده } دليل على انه متفضل بالهداية { ولو اشركوا } اى ولو شرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم { لحبط عنهم ما كانوا يعملون } لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها { اولئك الذين آتيناهم الكتاب } يريد به الجنس { والحكم } الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق { والنبوة } والرسالة { فان يكفر بها } اى بهذه الثلاثة { هؤلاء } يعنى قريشا { فقد وكلنا بها } اى بمراعاتها { قوما ليسوا بها بكافرين } وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة { اولئك الذين هدى الله } يريد الانبياء المتقدم ذكرهم { فبهداهم اقتده } فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائى ويشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام { قل لا اسألكم عليه } اى على التبليغ او القرآن { اجرا } جعلا من جهتكم كما

كذب كان شراً له اى كان الكذب شراً له واما حمزة والكسائى فانهما يحذفانها فى الوصل ويثبتانها فى الوقف
وفى التيسير قرأ ابن ذكوان فبهداهم اقتده بكسر الهاء وصلتها بياء وهشام بكسرها من غير صلة وهما راويا ابن
عامر الشامى ﴿ قوله وماعرفوه حق معرفته ﴾ عبر عن المعرفة بالقدر لكونه سببا لها وطريقا اليها يقال قدر
الشئ يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره والسبر تعيين قدر الشئ بالمسبار يقال سبرت الجرح اذا نظرت ماغوره
والمسبار مايسبر به الجرح والحزر التقدير والخرص اذا اراد ان يعلم مقداره ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
« اذا غم عليكم الهلال فاقدروا له » اى فاطلبوا ان تعرفوه ثم يقال لمن عرف شيأ هو يقدر قدره ولمن لم يعرفه بصفاته
انه لا يقدر قدره ولما حكى الله تعالى عنهم انهم ماقدروا الله حق قدره بين ماهو السبب فى ذلك وهو قولهم ما انزل
الله على بشر من شئ ووجه كونه سببا لعدم معرفتهم حق معرفته ان من أنكر النبوة والرسالة اما ان يقول انه تعالى
ماكلف احدا من خلقه اصلا او يقول انه تعالى كلفهم والاول باطل لانه يستلزم القول بانه تعالى ترك احوال
خلقه سدى واباح لهم جميع المنكرات والقبائح وهو لا يليق بالحكيم الخبير فتعين القول بانه كلف الخلق بالامر
والنهى وذلك يستلزم ان يرسل اليهم من يبلغ احكامه ويبين حلاله وحرامه ومافيه صلاح احوال الخلق وفسادها
وماذاك الا الرسول * فان قيل لم لا يجوز ان يقال العقل كاف فى ايجاب الواجبات وتحريم المنكرات * فالجواب هب ان
الامر كما قلتم الا انه لا يمتنع تأكيد التعريف العقلى بالتعريفات المشروعات على ألسنة الانبياء والرسل عليهم
الصلاة والسلام فثبت ان كل من منع البعثة والرسالة فقد طعن فى حكمة الله تعالى فكان ذلك جهالة بصفة
الالهية فحينئذ يصدق فى حقه ماقدروا الله حق قدره ووجه انتظام هذه الآية بما قبلها انه قد تقرر ان مدار
امر القرآن العظيم على اثبات امر التوحيد والنبوة والمعاد ولما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام
احتجاجه على حقية التوحيد وابطال قاعدة الشرك وعبادة الكواكب والاصنام شرع بعده فى تقرير امر النبوة فقال
وماقدروا الله حق قدره حيث انكروا النبوة والرسالة ﴿ قوله قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن ﴾
جواب عما يقال ان اهل الكتاب من اليهود والنصارى كيف يمكن لهم ان يقولوا ما انزل الله على بشر من شئ
بتنكير بشر وشئ والنكرة فى سياق النفى تفيد العموم وهم يعتقدون ان التوراة كتاب انزله الله على موسى
والانجيل كتاب انزله الله على عيسى عليهما الصلاة والسلام * وتقرير الجواب ان قائل هذا القول لما حمله الغضب
على ان ينكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال الله القرآن عليه اراد ان يقول لست مرسلا وما انزل الله
عليك شيأ البتة الا انه قال ما انزل الله على بشر من شئ مبالغة فى ذلك الانكار فقيل فى جوابه انزل الله فما انزل
الله التوراة على موسى لم لا يجوز انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كأنه ابرز كلامه فى صورة المنعات
حيث بالغ فى انكاره فالزم بتجويزه فلم يبق له بعد هذا الالزام الا ان يقابله بالعجز الدال على وقوع هذا الجائز
فى خصوص محمد صلى الله عليه وسلم فان اتى به فقد حصل الافحام وتم الكلام ولم يبق الا الاسلام وان اصر
اليهودى على انه تعالى ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم البتة مع انه معترف بانه تعالى انزل التوراة على موسى
فذلك محض الجهالة والتقليد * فان قيل قد اتفق اكثر المفسرين على ان هذه السورة مكية وانها نزلت دفعة
ومناظرات اليهود مع الرسول كانت مدنية فكيف يمكن تطبيق هذه الآية على تلك المناظرة وايضا لما نزلت السورة
دفعة واحدة فكيف يمكن ان يقال هذه الآية المعينة انما نزلت فى الواقعة الفلانية * اجاب عنه الامام بان الله تعلى بان
سبب نزول هذه الآية هنا مناظرة اليهود فالوا السورة كلها مكية ونزلت دفعة واحدة الا هذه الآية فانها نزلت
بالمدينة فى هذه الواقعة الا ان الامام لم يثبت وصاحب التيسير روى ان هذه السورة كلها مكية وكان مالك بن
الصيف يخرج مع نفر الى مكة معاندين ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء وقد كان من احبار
اليهود ورؤسائهم وكان رجلا حبرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام « انشدك بالله
الذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين » فقال لم قال « فانت الحبر السمين وقد سمنت من
الاكلات التى اطعمتك اليهود » فضحك القوم فخجل مالك بن الصيف فقال غضبا ما انزل الله على بشر من شئ فلما رجع
مالك الى قومه قالوا له ويلك ماهذا الذى بلغنا عنك قال انه قد اغضبنى فلذلك قلت ماقلت قالوا أكلما غضبت قلت
بغير حق وتقول غضبت فقلت بغير حق فأخذوا الرياسة والحبرية منه وجعلوها الى كعب بن الاشرف فنزلت
هذه الآية وماقدروا الله حق قدره ﴿ قوله وقرآءة الجمهور ﴾ مجرور بالعطف على قوله بدليل فان هذا

(وماقدروا الله حق قدره) وماعرفوه حق
معرفته فى الرحمة والانعام على العباد
(اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ) حين
انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من
عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا
على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا
ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله (قل من انزل الكتاب
الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) وقرآءة
الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير
وابو عمرو حملا على قالوا وماقدروا

(الخطاب)

الخطاب في الافعال الثلاثة انما يليق باليهود فدل ذلك على ان القائلين هم اليهود ﴿قوله وتضمن ذلك﴾ مجرور ايضا بالعطف على قوله نقض كلامهم والزامهم وذلك اشارة الى النقض والالزام ﴿قوله وكتبوه في ورقات﴾ يدل على ان انتصاب قراطيس بنزع الخافض اى تجعلونه في قراطيس و يجوز ان يكون صفة قراطيس ﴿قوله وقيل هم المشركون﴾ عطف على قوله والقائلون هم اليهود ولتورد ان يقال كفار قريش وان كانوا ينكرون نبوة جميع الانبياء ويقولون ما انزل الله على بشر من شئ الا انه كيف يمكن نقض كلامهم والزامهم بنبوة موسى عليه السلام اجاب عنه بقوله والزامهم بانزال التوراة وتقريره ان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وكانوا يسمعون ذكر موسى والتوراة وما اظهر الله تعالى على يده من المعجزات القاهرة فكان ذلك جاريا مجرى اعترافهم بنبوة موسى وانزال التوراة عليه فلم يبعد الزامهم بذلك وعلى هذا قرأة الغيبة في الافعال الثلاثة ظاهرة ﴿قوله زيادة على ما في التوراة﴾ اشارة الى ان علمتم خطاب لليهود كما ذهب اليه الاكثرون ثم ان الافعال الثلاثة اعنى تجعلونه وتبدون وتخفون سواء قرئت على الخطاب او الغيبة في محل النصب على الحالية من الهاء في به وقوله وعلمتم على قرأة الغيبة فيها يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وانما جيء به مخاطبا على طريق الالتفات واما على قرأة الخطاب فهو حال باضمار قد وعلم انهم لما الزموا بانزال الكتاب على موسى عليه الصلاة والسلام وصف الله تعالى كتابه بصفات ثلاث قصدا الى تجهيلهم وتوبيخهم احداها انه نور وهدى للناس وثانيها انهم حرفوه وتصرفوا فيه بابداء بعض واخفاء كثير كالآيات المشتملة على صفات محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرها وثالثها انهم علموا في ذلك الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم وهو اكثر ما كانوا يختلفون فيه مما اوحى اليه كما قال تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ومن قرأ الافعال الثلاثة بصورة الغيبة حمل الكلام على الالتفات فان قوله تعالى من انزل الكتاب لما كان جوابا لهم كان المطابق له تجعلونه على لفظ الخطاب الا انه التفت الى طريق الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة عن الحضور والخطاب بسبب فعلتهم القبيحة ثم التفت ثانيا من الغيبة الى الخطاب في قوله وعلمتم تنبيها على ان الغائبين هم المخاطبون وما احسن هذين الالتفاتين حيث اعرض عنهم عند ارادة نسبة القبيح اليهم حتى لا يواجهوا به وحيث نسب اليهم الحسن وهو علم ما لم يعلموا خاطبهم به قال الحسن قوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا معناه جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وان جعل خطاب علمتم لمن آمن من قريش تكون الجملة معترضة بين الامر بقوله قل من انزل وبين قوله قل الله اتى بها في اثناء تبكيت المشركين تذكيرا لهم ما انعم عليهم من نعمة الاسلام والعرفان وتنويها لها فان كون هذا الخطاب لمن آمن يستدعى ان يكون قائل ما انزل الله على بشر من شئ هم المشركون ﴿قوله او حال من مفعوله﴾ اى من مفعول ذرهم عطف على قوله صلة اى ويجوز ان يكون الظرف حالا منه مثل يلعبون هذا على مذهب من يجوز تعدد الحال من ذى حال واحد ومن لم يجوز ذلك جعل الظرف متعلقا بذرهم او يلعبون او حالا من فاعل يلعبون ﴿قوله او من هم الثاني﴾ عطف على قوله من هم الاول اى ويجوز ان يكون يلعبون حالا من ضمير خوضهم وجاز ذلك لانه في قوة الفاعل لان المصدر مضاف الى فاعله والتقدير ذرهم يخوضوا لاعبين قال بعضهم هذه الآية منسوخة باية السيف وهو بعيد لان قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون مذكور لاجل التهديد وذلك لا ينافي حصول المقاتلة فلم تكن آية القتال رافعة لشئ من مدلولات هذه الآية فلا نسخ فيها ثم انه تعالى لما ابطل بالدليل قول من قال ما انزل الله على بشر من شئ ذكر بعده ان القرآن كتاب انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه اولا بقوله انزلناه ليعلم ان الله تعالى هو الذي تولى انزاله بالوحى على لسان جبريل عليه السلام وليس تركيب الفاظه على هذه الفصاحة من قبل الرسول ووصفه ثانيا بانه مبارك اى كثير الفائدة والنفع وكيف لا ولم يوجد كتاب محيط ما احاط به القرآن العظيم من العلوم النظرية والعملية اما العلوم النظرية فاشرفها هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله واحكامه ولا يوجد كتاب يفيد معرفة هذه الامور مثل ما افاده القرآن واما العلوم العملية فالمطلوب منها اما اعمال الجوارح واما اعمال القلوب وهو المسمى بعلم الاخلاق وتزكية النفس فانك لا تجد شيئا منهما مثل ما تجده في القرآن العظيم فخيره كثير ومنفعته عظيمة ووصفه ثالثا بانه مصدق لما قبله من الكتب الالهية والامر كذلك لان الموجود في سائر الكتب الالهية اما اصول الشرائع او فروعها والاصول لا تختلف باختلاف الملل والاديان والازمان فوجب ان يكون

وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض ما انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم) على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذي فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش (قل الله) اى انزله الله او الله انزله امره بأن يجيب عنهم اشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب (ثم ذرهم في خوضهم) في ابطالهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة (يلعبون) حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول

(وهذا كتاب انزلناه مبارك) كثير الفائدة والنفع (مصدق الذي بين يديه) يعني التوراة او الكتب التي قبله (ولتنذر ام القرى) عطف على معنى ما قبله مبارك اي بركات ولتنذر اوعلة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك

لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب (ومن حولها) اهل المشرق والمغرب (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه (او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء) كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال (ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا (ولو ترى اذ الظالمون) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين (في غمرات الموت) شدائده من غمره الماء اذا غشيه (والملائكة باسطوا ايديهم) بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب (اخرجوا انفسكم) اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا (اليوم) يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له (تجزون عذاب الهون) اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون (ولقد جئتمونا) للحساب والجزاء (فرادى) منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم

(تعالى)

القرآن موافقا ومطابقا لما في سائر الكتب من اصول الدين واما في الفروع والاحكام فانه وان وقع الاختلاف فيها باختلاف الازمنة والامم الا ان ما وقع في كل عصر وزمان لما كان موافقا لما اقتضته الحكمة والمصلحة كانت الاحكام متوافقة من هذه الحيثية مصدقا بعضها بعضا هذا ما خطر ببالي وقال الامام واما في الفروع فقد كانت الكتب الالهية المتقدمة على القرآن مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك فقد حصل في تلك الكتب ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت بعثته عليه الصلاة والسلام واما بعد ظهور شرعه فانها تصير منسوخة والقرآن مصدق لهذا المعنى وموافق له **قوله** لانها قبلة اهل القرى فصارت كالاصل لسائر القرى وايضا لما اجتمع الخلق اليها لاجل الحج الذي هو من اصول العبادات كما تجتمع الاولاد الى الام صارت كالام لهم وايضا لما كانت اعظم القرى شأنا صارت بالنسبة الى سائر القرى كالام بالنسبة الى الاولاد وايضا لما دحيت الارضون من تحتها كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت اصل الارض كلها كالام اصل النسل وايضا لما كان فيها البيت الذي هو اصل سائر البيوت واسبق منها بحيث صار ذلك البيت بمنزلة الام لسائر البيوت صارت نفس مكة ايضا بمنزلة الام لسائر القرى وقوله ام القرى على حذف المضاف كقوله واسأل القرية وقرأ الجمهور لتنذر بتاء الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بياء الغيبة اي لينذر الكتاب بمواعظه وزواجره **قوله** فان من صدق بالآخرة الخ علة لكون الايمان بالآخرة سببا للايمان بالكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم فان من آمن بالبعث والحساب والجزاء تعظم رغبته في نيل الثواب ورهبته من حلول العقاب وذلك يصرفه عن الانهماك في الحظوظ العاجلة ويحمله على النظر في الدلائل الموصلة الى الحق وسعادة الآخرة فيؤمن بالنبي والكتاب ويحافظ على جميع الطاعات والتكاليف التي اشرفها واجمعها اقامة الصلاة ثم انه تعالى بعدما ابطل قول من قال ما انزل الله على بشر من شيء وبين كون القرآن كتابا نازلا من عنده وبين شرفه ورفعته ذكر وعيد من ادعى النبوة والرسالة كذبا وافتراء كمسيلمة الكذاب صاحب اليمامة والاسود العنسي صاحب صنعاء قال ومن اظلم الآية ومن اظلم مبتدأ وخبر وكذبا مفعول افترى اي اختلق كذبا وافتعله ولا فائدة في جعله مفعولا مطلقا لان الكذب اعم من الافتراء بخلاف ما اذا كان المصدر نوعا من الفعل نحو قعدت القرفصاء او مرادفا له نحو قعدت جلوسا ويحتمل ان يكون مفعولا له اي افترى لاجل الكذب او مصدرا واقعا موقع الحال اي افترى حال كونه كاذبا وهي حال مؤكدة **قوله** او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي وهو اول من غير دين اسمعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة قال عليه الصلاة والسلام في حقه رأيته يجر قصبه في النار **قوله** حذف مفعوله وحذف جواب لو ايضا اي لو ترى الظالمين في هذا الوقت لرأيت امرا عظيما والظالمون مبتدأ وفي غمرات الموت خبره والاضافة الى الجملة والغمرة الشدة الغالبة من غمره الماء اذا علاه وغطاه فالغمرة ما يغمر من الماء استعيرت للشدة الغالبة لانها تستوعبهما من نزلت به **قوله** كالمتقاضي الملظ اي كالغريم الملازم الملح الذي يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهل ويقول له اخرج ما لي عليك الساعة ولا ازال من مكاني حتى انزعه من كبدك وحدقتك وقيل معناه باسطوا ايديهم بالعذاب وقوله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم في محل النصب على انه حال من الضمير المستكن في قوله في غمرات وقوله تعالى اخرجوا انفسكم في محل النصب بقول مضمر **قوله** تغليظا وتعنيفا جواب عما يقال لا مقدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الكلام **قوله** واضافته الى الهون لعراقته كانه قيل لابد في الاضافة من الدلالة على اختصاص المضاف اليه فما وجه اختصاص العذاب بالهوان والذلة فأجاب عنه بانه لما لم يقصد بالعذاب شيء سوى الهوان والحقارة صار العذاب اصيلا في الهوان متمكنا فيه فاضيف اليه لافادة هذا المعنى **قوله** وهو جمع فرد قال الامام فرادى لفظ جمع وفي واحده قولان قال ابن قتيبة فرادى جمع فرد ان مثل سكارى وسكران وكسالى وكسلان وقال غيره فرادى جمع فريد مثل ردافى جمع رديف واسارى جمع اسير وقال الفراء جمع واحده فرد وفردة وفريد وفي الصحاح الفرد الوتر والجمع افراد وفرادى على غير قياس كانه جمع فردان ودر فرد وفارد وفريد كله بمعنى منفرد ومن قرأ فرادا بالتنوين فقد جعله اسما صحيحا اي ليس فيه ألف مقصورة للتأنيث كرخال ورخل بكسر الخاء والرخل الانثى من اولاد الضأن والذكر حمل والجمع رخال بالكسر ورخال ايضا بالضم وفرادى منصوب على انه حال من فاعل جئتمونا وجئتمونا يحتمل ان يكون بمعنى المصدر المستقبل اي تجيئوننا وانما برز في صورة الماضي لتحققه كقوله

تعالى أتى امر الله ونادى اصحاب الجنة ويحتمل ان يكون ماضيا على ان يكون حكاية لما يقال لهم يوم القيامة في مقام الحساب فان مجيئهم فرادى يكون سابقا واقعا قبل هذا القول فعلى هذا الاحتمال يكون قوله تعالى ولقد جئتمونا معطوفا على قول الملائكة أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون اى كما يقولون ذلك على وجه التعنيف والتوبيخ كذلك يقولون حكاية عن الله تعالى ولقد جئتمونا فرادى ويجوز ان يكون قائل هذا القول هو الله تعالى لا الملائكة من عند انفسهم بل يقولونه عن الله تعالى والقائل اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم او الملائكة الموكلون بعقابهم ﴿قوله بدل منه﴾ اى من فرادى ذكر ان محل الكاف فيه اربعة اوجه أحدها النصب على انه صفة مصدر محذوف اى جئتمونا مجيئا مثل مجيئكم يوم خلقناكم والثلاثة الباقية على ان تكون حالا من فاعل جئتمونا ان جوز تعدد الحال من ذى الحال الواحد وان تكون بدلا مما هو حال من ذلك الفاعل ان لم يجوز التعدد فيها وان تكون حالا من الضمير المستكن في فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم وفيه نظر لانهم لم يشبهوا ابتدآء خلقهم فينبغى ان يقدر مضاف اى مشبهة حالكم حال ابتدآء خلقكم ﴿قوله غرلا﴾ جمع اغرل وهو الاقلف والغرلة القلفة والبهم هم الذين لا شئ معهم ﴿قوله تشغلتم به عن الآخرة﴾ واما اذا لم يكن مشغولا به معرضا عن الآخرة بأن صرفه الى الجهات الموجبة لتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله فحينئذ لا يكون تاركا له وراء ظهره بل يكون مقدما اياه امامه وجهه قال الله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ﴿قوله ماقدمتموه منه شيأ﴾ هكذا فيما رأيته من النسخ والعبارة الظاهرة ماقدمتم منه شيأ فكأنه جعل شيأ بدلا من ضمير الموصول وتوسط منه بين البدل والمبدل منه لانه ليس بأجنبى بل هو من تتمة البدل ومعنى الآية ان الله تعالى اعطى النفس الانسانية هذه القوى والآلات الجسدانية لتحصيل المعارف اليقينية والاعمال الصالحة والمشرك لم يكتسب بما اعطاه الله تعالى من القوى والآلات ما يسعده في الآخرة ويكون سببا لسعادته الابدية بل صرف جده وجهده الى تحصيل المال والجاه وعبادة الاصنام على اعتقاد انها شفعاؤه عند الله تعالى ثم انه اذا انتقل من العالم الجسمانى الى العالم الروحانى وورد محفل القيامة يرى ان ما افنى عمره فى تحصيله من المال والجاه وسائر الحظوظ الجسمانية واللذات النفسانية قد بقى وراء ظهره لم يصحبه شئ منها ويتبين له ايضا انه لم يكتسب بما اعطاه الله تعالى من الآلات الجسمانية والكمالات العلمية والعملية ما ينفعه فى هذا المحفل وقد ضاع وقت الاكتساب واسبابه ايضا ولا يجد من الاصنام ما يزعم من كونها شفعاء له عند الله فحق ان يقال فى حقه انه قد ورد محفل القيامة منفردا عن كل ما حصله فى الدنيا وتوقع ان ينتفع به عند الله تعالى بخلاف المؤمنين فانهم صرفوا همتهم الى العقائد الصحيحة والاعمال الصالحة فبقيت معهم فى قبورهم وحضرت معهم فى محفل القيامة فهم فى الحقيقة ما حضروا فرادى ﴿قوله اى تقطع وصلكم﴾ على قرآءة من قرأ بينكم بالرفع وهم ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة وعاصم فى رواية ابى بكر فانهم جعلوا بين اسما غير ظرف وجعلوه لفظا مشتركا اشتراكا لفظيا يستعمل للوصل والفراق كالجون للاسود والابيض فيعرب على حسب استدعاء العامل وقيل فى وجه قرآءة الرفع ان بين ظرف الا انه اتسع فى هذا الظرف حيث جعل مسندا اليه كما قيل * فويل خلفكم وامامكم * فصار كسائر الاسماء المتصرف فيها على حسب استدعاء العامل ويدل عليه قوله تعالى ومن بيننا وبينك حجاب فاستعمل مجرورا بمن وقوله هذا فراق بينى وبينك وقوله مجمع بينهما وقوله تعالى شهادة بينكم جعل بين فى هذه المواضع مضافا اليه متصرفا فيه ولو كان لازم الظرفية لما جاز استعماله الا منصوبا والاصل ههنا انتصاب بينكم على الظرفية بأن يقال لقد تقطع بينكم وهى قرآءة نافع والكسائى وحفص بأن يكون تقطع مسندا الى ضمير مصدره لان تقطع لا بد له من فاعل وبينكم ظرف وليس بفاعل ففاعله التقطع والتقدير تقطع التقطع وهو معنى قوله على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه الا انه لا بد ان يؤول الكلام بأن يجعل تقطع بمعنى وقع لانه لو ابقى قولنا تقطع التقطع على اصل معناه حصل الوصل وهو ضد المقصود فكان معنى الكلام وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين بمعنى جمع الجمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما ثم اتسع بأن اسند الفعل الى ظرفه وقيل فى توجيه قرآءة النصب ان الاصل لقد تقطع ما بينكم من الوصل والمودة فما نكرة موصوفة لا موصولة لان حذف الموصول وابقاء الصلة لا يجوز بخلاف حذف الموصوف فحذفت ما واقيم بينكم مقام موصوفه وايد هذا الوجه بقرآءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم ﴿قوله انها شفعاؤكم﴾ سادة مسد مفعولى تزعمون فان ما فى قوله ما كنتم سوآء كانت موصولة او موصوفة لا بد ان تشتمل الجملة

(كما خلقناكم اول مرة) بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتدآء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (ورآء ظهوركم) ماقدمتموه منه شيأ ولم تحتاجوا نقيرا (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء) اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم (لقد تقطع بينكم) اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قرآءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به (وضل عنكم) ضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزآء

الواقعة بعدها على ضمير يعود اليها وان تزعمون لابدّ له من مفعولين فقدّرا لجميع فى هذا القول والمناسب لقوله تعالى سابقا ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ان يقال فى التقدير تزعمونهم شركاء الله فى ربوبيتكم ﴿ قوله بالنبات والشجر ﴾ اى انه تعالى يشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر ويشق النواة الصلبة فيخرج شجرة ذات اوراق واغصان على ان الفلق هو الشق والفطر وقيل فالق ههنا بمعنى خالق ثم انه تعالى لما قرّر امر التوحيد واردفه بتقرير امر النبوّة عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته وحكمته وعلمه تنبيها على ان المقصود الاصلى هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب وهو جمع حبة وهو اسم لجميع البذور المقصودة بذواتها كالشعير والحنطة ونحوهما والنوى واحدها نواة وهى الشئ الموجود فى داخل الثمر مثل نواة الخوخ والتمر ﴿ قوله يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله ﴾ يعنى ان الحى والميت ههنا مجاز عن النامى والجامد تشبيها للنامى بالحى كما فى قوله تعالى ويحيى الارض بعد موتها والحى حقيقة مايكون موصوفا بالحياة المستتبعة للحس والحركة الارادية والميت حقيقة مايكون خاليا عن صفة الحياة مع كون الحياة من شأنه ولم يحملهما المصنف على معناهما الحقيقى لان قوله تعالى يخرج الحى من الميت فى موضع البيان لقوله تعالى فالق الحب والنوى ولذلك ترك العاطف بينهما فلو حملا على اصل معناهما لما صلحت الجملة لان تكون بيانا لما قبلها ولما كانت مطابقة له وقوله تعالى ومخرج الميت لما لم يصلح بيانا له لم يحسن عطفه على يخرج الحى فلذلك جعل معطوفا على قوله فالق الحب وذكر بلفظ اسم الفاعل مثله ومنهم من حمل اللفظ على الحقيقة وقال يخرج من النطفة الميتة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة ميتة ويخرج من البيضة فروجة حية ويخرج من الدجاجة بيضة ميتة والزجاج حمله على المجاز وقال يخرج النبات الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى وقال ابن عباس يخرج المؤمن من الكافر كما فى حق ابراهيم والكافر من المؤمن كما فى حق ولد نوح عليه السلام والعاصى من المطيع وبالعكس وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم الميت مشدّد الياء فى الكلمتين والباقون بالتخفيف ثم انه تعالى لما استدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته بدلالة احوال النبات والحيوان استدل عليها ايضا بالاحوال الفلكية وذلك لان فلق ظلمة الليل بنور الصبح اعظم فى الدلالة على كمال القدرة من دلالة فلق الحب والنوى بالنبات والشجر فقال فالق الاصباح وهو مرفوع على انه صفة لاسم الله فى قوله تعالى ذلكم الله ✽ فان قيل ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح وليس الامر كذلك فان الحق تعالى فلق الظلمة بالصبح فكيف الوجه فيه ✽ فالجواب الاول انه تعالى كما يشق الظلمة الخالصة الواقعة فى الليل ويخرج منها عمود الصبح وهو الصبح المستطيل الذى شبهته العرب بذنب السرحان ويعقبه ظلمة خالصة كذلك يشق ذلك العمود ويخرج منه الظلمة الخالصة ويخرج منه ايضا بياض النهار واسفاره فان الصبح والصباح والاصباح عبارات عن اوّل مايبدو من النهار واوّل مايبدو منه صبحان فالصبح الاوّل هو الصبح المستطيل الذى يعقبه الظلمة الخالصة ثم يطلع بعده الصبح المستطير فى جميع الافق فيصح ان يقال انه تعالى فالق الاصباح الاوّل عن ظلمة آخر الليل وفالق الظلمة عن بياض النهار ايضا ✽ والجواب الثانى ان المراد فالق ظلمة الاصباح على حذف المضاف والمراد بظلمة الاصباح الغبش الذى يلى الاصباح المستطيل ويعقبه والغبش بالتحريك البقية من الليل وقيل انه ظلمة آخر الليل وقد اشار المصنف الى الجوابين ﴿ قوله ونصبه ﴾ اى ونصب سكنا على قرآءة وجاعل الليل بالاضافة لايجوز ان يكون بجاعل لان اسم الفاعل لايعمل اذا كان بمعنى الماضى بل هو منصوب بفعل مضمر دل عليه جاعل اى جعل الليل سكنا وسكن فعل بمعنى مفعول نحو قبض بمعنى مقبوض والليل منصوب بجعل على قرآءة وجعل الليل وكذا سكنا منصوب به على انه مفعول ثان له على ان يكون الجعل بمعنى التصيير او على انه حال من الليل على انه بمعنى الخلق وتكون الحال مقدرة ﴿ قوله او به ﴾ اى ويجوز ان يكون سكنا منصوبا بجاعل على ان يراد به جعل مستمر وهذا يخالف لقوله فى مالك يوم الدين ان المعنى له الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية مفيدة لوقوعه صفة للمعرفة وهو صريح فى ان اسم الفاعل اذا قصد به زمان مستمر لا يكون عاملا فتكون اضافته حقيقية مفيدة للتعريف وقد صرّح ههنا بانه اذا قصد به الاستمرار تكون اضافته لفظية من حيث كونه مضافا الى معموله فبين كلاميه تدافع ✽ واجيب بأن السلف قد اجمعوا على ان اسم الفاعل لايعمل اذا قصد به الماضى ويعمل اذا قصد به الحال او الاستقبال واما اذا قصد به الاستمرار فقد اختلفوا فى عمله حينئذ بناء على ان الاستمرار يحتوى على الازمنة

(ان الله فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة (يخرج الحى) يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله (من الميت) مما لاينمو كالنطف والحب (ومخرج الميت من الحى) ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان (ذلكم الله) اى ذلكم الحى المميت هو الذى يحق له العبادة (فانى تؤفكون) تصرفون عنه الى غيره (فالق الاصباح) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار اوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الاصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح (وجاعل الليل سكنا) يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به اويسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قرآءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة

الماضية والآتية والحال فمنهم من اعتبر جانب الآتى والحال فجعل الاضافة لفظية ومنهم من اعتبر جانب الماضى فجعل الاضافة معنوية والتعويل على القرآن والقامات فكلامه فى الموضعين مبنى على الاعتبارين ﴿قوله وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر الخ﴾ قرأ الجمهور بنصب الشمس والقمر وهى واضحة على قرآءة الكوفيين حيث يجعل هذان منصوبين كامر فى سكنا معطوفين على المنصوب بجعل ويكون حسبانا اما مفعولا ثانيا او حالا واما على قرآءة الجمهور بأن جعل جاعل بمعنى الماضى فلابد من اضمار فعل ينصبهما اى وجعل الشمس وان قلنا انه ليس بمعنى الماضى سوآء كان للاستمرار او بمعنى الحال والاستقبال يكون نصبهما بالعطف على محل المجرور كما فى قوله

هل انت باعث دينار لحاجتنا ❊ او عبد رب اخاعون بن مخراق ❊

بنصب عبد ويشهد له قرآءة ابى حيوة اياهما بالجر عطفا على لفظ الليل ﴿قوله والاحسن نصبهما بجعل مقدرا﴾ فانه احسن من جعلهما منصوبين بالعطف على محل المجرور لان اسم الفاعل ههنا لايخلو اما ان يكون بمعنى الماضى فلا يكون لمجروره محل او للاستمرار فلا يكون عمله متفقا عليه وكذا هو احسن من جرهما بالعطف على الليل لانه مبنى على جواز العطف على معمولى عاملين مختلفين او على جواز كون اسم الفاعل الذى قصد به الاستمرار عاملا وكلاهما مختلف فيه بين النحاة ﴿قوله اى على ادوار﴾ اى جعلهما يجريان على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها فى سنة وقدر حركة القمر بحيث يتم الدورة فى شهر وبهذا التقدير تنتظم المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الاهلة فى كل شهر يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء قال تعالى فى حق الاهلة هى مواقيت للناس والحج وقال هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فمعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان على ان الحسبان مصدر بمعنى الحساب كالرجحان والنقصان وفعله حسب يحسب من باب نصر واما الحسبان بكسر الحاء فهو من باب علم ومعناه الظن والتخمين ﴿قوله تعالى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ كل واحد من اللامين فى لكم ولتهتدوا متعلق بجعل وجاز تعلق حرفى جر متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد لكون الثانى بدلا من الاول بدل اشتمال باعادة العامل ونظيره قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم فان لبيوت بدل من قوله لمن يكفر باعادة العامل ﴿قوله هو آدم عليه السلام﴾ وهو نفس واحدة وحوآء مخلوقة من ضلع من اضلاعه فصار كل الناس محدثة ومخلوقة من نفس واحدة حتى عيسى عليه السلام فان ابتدآء تكوينه كان من مريم التى هى مخلوقة من ابويها وهذا دليل رابع على وجود الاله وكمال قدرته وعلمه واستدل عليه بكيفية انشاء عالم الانسان وبثه فى وجه الارض ﴿قوله فلكم استقرار واستيداع﴾ على ان يكون كل واحد من قوله فمستقر ومستودع على لفظ اسم المفعول مصدرا ميميا مرفوعا على الابتدآء وخبره محذوف وهو لكم ولا يجوز ان يكون الخبر المضمر منكم لان المعانى لاتحمل على الاعيان ويحتمل ان يكون كل واحد منهما اسم مكان الاستقرار والاستيداع والتقدير فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ولا يجوز ان يكون المستقر بفتح القاف اسم مفعول لان استقر لايتعدى فلا يكون له مفعول بخلاف استودع فانه فعل يتعدى الى مفعولين تقول اودعت زيدا ألفا واستودعت مثله فالمستودع يجوز ان يكون اسم مفعول ويراد منه انسان استودع فى مكان كما يجوز ان يكون مصدرا ميميا واسم مكان الا ان من قرأ فمستقر بفتح القاف وهو لايحتمل الا الوجهين المصدر والمكان يجعل المستودع ايضا مصدرا او مكانا ليكون المعطوف مثل المعطوف عليه وفى قاف المستقر قرآءتان الفتح والكسر بخلاف المستودع فان القرآء اتفقوا على ان داله مفتوحة ليس الا والمصنف اشار الى الفرق بقوله لان الاستقرار منا دون الاستيداع واراد بالبصريين اباعمرو ويعقوب وابن كثير المكى فالمستقر فى قرآءتهم يكون اسم فاعل ويراد به الاشخاص فيكون المستودع بفتح الدال اسم مفعول حتى يكون عبارة عن الاشخاص ايضا ويكون الخبر المحذوف حينئذ منكم لا لكم والتقدير فمنكم مستقر فى الاصلاب ومنكم مستودع فى الارحام جعل صلب الاب مستقرا للنطفة ورحم الام مستودعا لها لان النطفة حصلت فى صلب الاب لامن قبل الغير وحصلت فى رحم الام بفعل الغير فأشبهت الوديعة كان الرجل اودعها ما كان مستقرا عنده الا ان اكثر الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المستقر هو الارحام

وعلى هذا يجوز ان يكون (والشمس والقمر) عطفا على محل الليل ويشهد له قرآءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتدآء والخبر محذوف اى مجعولان (حسبانا) اى على ادوار مختلفة تحسب بها الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص (العليم) بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها لكم (لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم (قد فصلنا الآيات) بيناها فصلا فصلا (لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون به (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة) هو آدم عليه السلام (فمستقر ومستودع) اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع

والمستودع الاصلاب ثم قرأ او تفرق في الارحام ماتشاء وقال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس رضي الله عنهما هل تزوجت قلت لا قال اما انه ما كان مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله تعالى وقيل المستقر فوق الارض لقوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع القبر لان اهله انما تودع فيه لان تخرج منه تارة اخرى ﴿قوله تعالى قد فصلنا الآيات﴾ اي بيناها على وجه انفصل بعضها عن بعض ﴿قوله ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون﴾ يعني ان الفقه عبارة عن الوقوف على المعنى الخفي واصل تركيب الفقه يدل على الشق والفتح والفقيه العالم الذي يشق الاحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها روى ان سلمان نزل على نبطية بالعراق فقال ههنا مكان نظيف اصلي فيه فقالت طهر قلبك وصل حيث شئت فقال فقهت وفطنت للحق اي نظرت نظرا دقيقا فظهر ان الفقه انما يطلق حيث يكون فيه حذاقة وتدقيق نظر وسمي علم الشريعة فقها لانه علم مستنبط بالقوانين والادلة والاقيسة والانظار الدقيقة فيها وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم اشارة الى آيات الآفاق وقوله وهو الذي انشأكم من نفس واحدة اشارة الى آيات الانفس ولا شك ان آيات الآفاق اظهر واجلى وآيات الانفس ادق واخفى فكان ذكر الفقه لها انسب واولى كان النفس بني آدم ادق صنعا واجمع لآثار القدرة ودلائلها فكذا الاستدلال بها على وجود الصانع وكمال قدرته ادق واخفى ﴿قوله من السحاب﴾ سمي السحاب سماء لان العرب تسمي كل ما فوقك سماء فتقول لسقف البيت سماء البيت وقال ابو علي الجبائي في تفسيره ان الله تعالى يخلق المطر في السماء ثم ينزله من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض قال لان ظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر الى التأويل انما يحتاج اليه عند قيام الدليل على ان اجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء فوجب اجراء اللفظ على ظاهره وهذه الآية اشارة الى دليل خامس على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووجوه احسانه الى خلقه واعلم ان هذه الدلائل كما انها دلائل فهي ايضا نعم بالغة واحسانات كاملة والكلام اذا كان دليلا من بعض الوجوه وكان انعاما واحسانا من سائر الوجوه كان تأثيره في القلب عظيما وعند هذا يظهر ان المشتغل بدعوة الخلق الى الحق لا ينبغي له ان يعدل عن هذه الطريقة ﴿قوله على تلوين الخطاب﴾ اي تغييره الى لون آخر حيث التفت من طريق الغائبة في قوله هو الذي انزل الى الاخبار عن نفسه بنون العظمة وهي ليست نون الجمع حتى يقال المخرج هو الله تعالى وحده لا شريك له فيه فما وجه ايراد لفظ الجمع في قوله فاخرجنا فان الملك العظيم يعبر عن نفسه بلفظ الجمع تعظيما له ﴿قوله نبت كل صنف من النبات﴾ النبت والنبات ما يخرج من الارض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر او لم يكن له ساق كالنجم والمعنى اخرجنا نبات كل صنف كنبات الحنطة والشعير والرمان والتفاح وغيرها قال الفراء قوله تعالى فاخرجنا به نبات كل شيء يقتضي ان يكون لكل شيء نبات وليس الامر كذلك فالمراد فاخرجنا به نبات كل شيء له نبات فما لا يكون له نبات لا يكون داخلا في قوله كل شيء والمصنف افاد ما قاله الفراء بقوله كل صنف من النبات ﴿قوله الانواع المفتنة﴾ اي المتنوعة يعني المختلفة من الفن وهو النوع يقال افتن الرجل في حديثه وفي خطبته اذا جاء بالافانين اي بالاساليب التي هي اجناس الكلام وطرقه ﴿قوله وهو الخارج من الحبة المتشعب﴾ اي الشيء الاخضر الخارج من النبات هو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة يعني اغصان الشجر وشعب النجم ثم انه تعالى يخرج من ذلك الخضر المتشعب حبا متراكبا بعضه فوق بعض مثل سنابل البر والشعير ونحوهما وجملة نخرج منه حبا صفة لخضرا والجمهور على ان نخرج مسندا الى ضمير المعظم نفسه وقرأ ابن محيصن والاعمش يخرج بياء الغيبة مبنيا للمفعول وحب قائم مقام فاعله والجملة صفة خضرا كما في قراءة الجمهور ﴿قوله اي واخرجنا من النخل نخلا﴾ علقه بفعل مقدر ليكون من طلعها قنوان جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ وهذه الجملة في محل النصب على انها صفة لمحذوف وهو مفعول الفعل المقدر والمعنى واخرجنا نخلا من جنس النخل موصوفة بانها مخرجة من طلعها قنوان وهذه الجملة الفعلية معطوفة على الفعلية التي قبلها وقوله ومن النخل اي من النخل شيء من طلعها قنوان على ان من النخل خبر مبتدأ محذوف ومن طلعها قنوان جملة اسمية مرفوعة المحل على انها صفة لذلك المحذوف والجملة الاسمية الكبرى معطوفة على الفعلية قبلها كما اذا كان من النخل خبرا مقدما ومن طلعها بدلا منه بدل البعض من الكل باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله وقنوان مبتدأ مؤخر * والاعذاق جمع عذق

(بالكسر)

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر (وهو الذي انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء (فاخرجنا) على تلوين الخطاب (به) بالماء (نبات كل شيء) نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة المسقية بماء واحد كما في قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فاخرجنا منه) من النبات او الماء (خضرا) شيأ اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل (ومن النخل من طلعها قنوان) اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع

بالكسر ويقال له القنو والكباسة ايضا وهو للتمر بمنزلة العنقود للعنب والطلع اوّل ما يرى من عذق النخلة الواحدة طلعة عن ابي عبيد انه قال اطلعت النخل اذا خرج طلعها وهو كفرّاها قبل ان ينشق عن الاغريض قال الاصمعي الكافر والكفرّى وعاء طلع النخل كذا في الصحاح **قوله وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها** اى اقتصر على ذكر قنوان دانية ولم يعطف عليها ما يقابلها بأن يقال ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد المتقابلين يدل على الآخر كما قيل سرابيل تقيكم الحرّ ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد لان ذكر احد الضدّين يدل على الثاني فكذا ههنا وايضا ذكر القريبة وترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واكثر **قوله ولا يجوز عطفه على قنوان** اى من نبات اعناب على حذف المضاف لان البستان لايكون من العنب نفسه بل من النبات والاشجار لان المعنى يصير حينئذ وحاصلة او مخرجة من طلع النخل قنوان وجنات من اعناب وفساده ظاهر وقوله تعالى والزيتون والرمان لم يقرأهما احد الا منصوبين وجعل المصنف انتصابهما وانتصاب جنات بالعطف على نبات كل شئ والاقرب لفظا ومعنى ان يجعل جنات عطفا على خضرا لان اخراج الجنات بعد اخراج النبات كما ان اخراج الخضر بعده وان يجعل الزيتون والرمان معطوفين على حبا لانهما مخرجان في الطور الثالث كما ان حبا مخرج فيه لكن لم يذهب الى هذا اما في عطف الجنات فلانه فسر اخراج الخضر من النبات بتشعبه من اصله واخراج الجنات ليس كذلك واما في عطف الزيتون والرمان فلانهما وان كانا مخرجين من الخضر المتشعب من اصل النبات الا ان ما ذكر من مرتبة الاخراج لما لم يعتبر في الجنات لم يعتبر فيهما ايضا بل جعل كلا المعطوفين معطوفا على نبات كل شئ على طريق عطف الخاص على العام تشريفا لهذين المعطوفين على غيرهما وجعل الجميع مخرجا بسبب الماء لان كثرة صنوف المسببات واختلافها مع وحدة السبب وهو الماء أدخل في مقصود المقام وهو بيان كمال قدرة الله تعالى وحكمته **قوله لعزة هذين الصنفين عندهم** يعني ان الظاهر جرّهما بالعطف على اعناب لكون الجميع من جملة ثمار الجنات فالعدول الى نصبهما احتيج الى ان تطلب فيه نكتة فلم نجد سوى نكتة قصد الاختصاص والتنبيه على تميز هذين الصنفين وشرفهما من بين ثمار الجنات **قوله وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم** وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم بتخفيف ضم ثمر كقولهم رسل ورسل والباقون بفتح الثاء والميم على انه جمع ثمرة نحو بقر وبقرة وشجر وشجرة * والينع النضج يقال ينع يينع بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ويقال ايضا ينعت الثمرة تينع ينعا وينعا من باب علم والفتح لغة الحجاز والضم لغة بعض نجد واينعت توقع ايناعا ثلاثيا ورباعيا كلاهما بمعنى والنعت يانع ومونع وقوله اذا اثمر ظرف لقوله انظروا امر بالنظر في اوّل حال حدوث الثمرة وفي حال كمال نضجها مع كونها نابتة من ارض واحدة ومسقية بماء واحد فيعلم انها كيف تتبدل وتنتقل الى احوال مضادة للاحوال السابقة وحصول هذه التغيرات لابد له من سبب وليس من تأثير الطبائع والفصول والانجم والافلاك لان نسبتها الى جميع هذه الاجسام النابتة متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن ان تكون اسبابا لحدوث الحوادث المختلفة ولما بطل اسناد هذه الحوادث المختلفة اليها تعين كونها مسندة الى القادر العليم الحكيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والحكمة والمصلحة ولا ينتفع بهذه الدلائل الواضحة الا المؤمنون لان ذات الدليل لا يوجب العلم وانما يحصل العلم بشرط التفكر والتأمل فيه كما ينبغي مع ارتفاع ما يمنع عن قبول الحق واتباعه قال القرطبي هذا الينع هو الذي يتوقف عليه جواز بيع الثمرة وهو ان يطيب اكل الفاكهة ويؤمن عليها من العاهة عند طلوع الثريا بما اجرى الله تعالى عادته عليه روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا طلعت الثريا صباحا رفعت العاهة عن اهل البلد وطلوعها صباحا لاثنتي عشرة ليلة تمضي من شهر ايار وهو آخر الشهور الثلاثة وهي أذار ونيسان وأيار من اوّل فصل الربيع **قوله اي الملائكة** قد مرّ ان من المشركين طائفة يعبدون الكواكب ويعبدون الاصنام على زعم انها صور الكواكب وهؤلاء هم الذين ناظرهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لا احب الآفلين وبقي من المشركين ثلاث طوائف منهم من يعبد الملائكة قائلين بانهم بنات الله ومدبرون احوال هذا العالم ومنهم من يقول للعالم الهان احدهما يفعل الخير وهو خالق النور والناس والدواب والانعام وجميع ماله نفع وخير ويسمونه يزدان وثانيهما يفعل الشر وهو خالق الظلمة والحيات والعقارب وجميع ماله ضرر وفساد ويسمونه اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا وقالوا انه شريك لله تعالى في تدبير هذا العالم خيراته من الله تعالى وشروره من ابليس ومنهم من يشرك بالله تعالى بأن يعبد النار او بأن يقول عزير ابن الله او المسيح ابن الله ونحو ذلك من طرق الكفر

(دانية) قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها (وجنات من اعناب) عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل (والزيتون والرمان) ايضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم (مشتبها وغير متشابه) حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر والطعم واللون (انظروا الى ثمره) اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب (اذا اثمر) اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به (وينعه) والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه (ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال (وجعلوا لله شركاء الجن) اى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم

ووجوهه بان سوّل لهم الشيطان ذلك ودعاهم اليه فاطاعوه فيما دعاهم اليه وقبلوا ذلك منه كما يقبل المؤمن حكم الله تعالى ويطيعه فيما امر به فكان ذلك القبول والاطاعة منهم بمنزلة عبادة الشياطين وجعلهم الشياطين شركاء لله فيمكن ان يحمل لفظ الجنّ في قوله تعالى شركاء الجنّ على كل واحد من الملائكة والشياطين الذين دعوهم الى طرق الكفر والضلال وابليس الذي دعوه الهاً من فلذلك جوّز المصنف حمله على كل واحد منهما حيث قال اى الملائكة او الشياطين الذين اطاعوهم وقالوا الشيطان خالق الشرّ وكل ضارّ فان قيل من قال خالق الشرّ هو ابليس اثبت لله تعالى شريكا واحدا هو ابليس فكيف يصح ان يقول في حقهم انهم جعلوا لله شركاء اجيب بانهم يقولون عسكر الله هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة جماعة عظيمة وارواح طاهرة مقدسة يلهمون الارواح البشرية الخيرات والطاعات والشياطين طائفة كثيرة تلقي الوساوس الباطلة الى النفوس البشرية والله تعالى مع عسكره من الملائكة يحاربون ابليس مع عسكره من الشياطين فلذلك حكى الله تعالى عنهم أنهم اثبتوا لله شركاء الجنّ ﴿قوله ومفعولا جعلوا لله شركاء﴾ على ان يكون شركاء مفعولا اوّلا ولله متعلقا بمحذوف هو المفعول الثاني والجنّ بدل من شركاء مفسر له فان البدل قد يقصد به تفسير المبدل منه * فان قلت كيف يجوز أن يكون الجنّ بدلا من شركاء وشرط البدل ان يصح حلوله محل المبدل منه ولا يصح ذلك هنا فانه لا يصح ان يقال وجعلوا لله الجنّ * والجواب لا نسلم انه يجب في كل بدل ان يصح حلوله محل المبدل منه الا ترى انه يصح ان يقال زيد مررت به ابي عبد الله ولو قلت زيد مررت بابي عبد الله لم يجز لعدم العائد الى المبتدأ ﴿قوله او شركاء الجنّ﴾ اى ويجوز ان يكون الجنّ هو المفعول الاول وشركاء مفعولا ثانيا ولو جعل الجنّ عطف بيان لما ورد السؤال والجواب فقدم على المفعول الاول اهتماما بشان المقدم فان المقصود بالاستفهام هو نفس اتخاذ الشريك لله تعالى سواء كان ذلك الشريك انسيا او جنيا او ملكا لا اتخاذ الجنّ شريكا ولهذا الاهتمام ايضا قدم لله على متعلقه وهو شركاء والحاصل ان التركيب فيه تقديمان لنكتة كل واحد منهما الاهتمام بشأن المقدم ﴿قوله او حال منه﴾ عطف على قوله متعلق بشركاء اى بعد ان كان شركاء الجنّ مفعولين جاز ان يكون لله متعلقا بمحذوف على انه حال من شركاء لانه لو تأخر عنها جاز أن يكون صفة لها والمعنى جعلوا الجنّ شركاء في حال كونهم مملوكين لله ﴿قوله وقرئ الجنّ بالرفع﴾ يعني ان الجمهور على نصب الجنّ وقرئ بالرفع على تقدير هم الجنّ جوابا لمن قال من هم وقرئ بالجرّ ايضا على الاضافة البيانية والمعنى وجعلوا شركاء الجنّ لله ﴿قوله وقد علموا ان الله خالقهم﴾ اى خالق الجاعلين بان خلقهم منفردا بذلك من غير مشارك له في خلقهم فكيف يشركون به غيره ممن لا تاثير له في خلقهم وقدر العلم لان المقصود من الآية وهو التوبيخ والانكار على اشراكهم الجنّ لله تعالى انما يتحقق على تقدير ان يكونوا عالمين بخالقهم وبعدم مدخلية الجنّ في الخلق اصلا ويحتمل ان يكون ضمير خلقهم للجنّ اى والحال انه تعالى خلق الجنّ فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له فعلى الاول معناه جعلوا غير من خلقهم شريكا لخالقهم وعلى الثاني جعلوا المخلوق شريكا لخالقه والجمهور على خلقهم بفتح اللام فعلا ماضيا وقرئ خلقهم بسكون اللام على انه مصدر بمعنى مخلوقهم فيكون عطفا على الجنّ اى وجعلوا الجنّ وما يخلقونه وينحتونه من الاصنام شركاء لله او على انه مصدر بمعنى اختلاقهم اى افتعالهم وكذبهم فيكون عطفا على شركاء وهو مفعول اول والجنّ بدل منه ولله هو المفعول الثاني قدم على الاول اى جعلوا الجنّ واباطيلهم التي افتعلوها شركاء لله تعالى حيث اثبتوا له تعالى شركاء ونسبوا اليه قبائحهم بأن قالوا والله أمرنا بها قرأ الجمهور وخرقوا بالخاء المعجمة وتخفيف الراء اى افتعلوا وافتروا قال الفرّاء خلقوا واختلقوا وخرقوا واخترقوا وافتروا وخرصوا بمعنى كذبوا كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له اهل المجلس قد خرقتها والله وقرئ حرفوا بالحاء المهملة والفاء وتخفيف الراء كذا في اللباب بمعنى زوّروا له اولادا بنين وبنات لان المزوّر محرّف ومغيّر من الحق الى الباطل ﴿قوله من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها﴾ اى بديع سمواته اى مكوّنة من غير سبق مثال كما يقال فلان بديع الشعر اى بديع شعره والابداع عبارة عن تكوين الشيء من غير سبق مثال او من قبيل اضافتها الى الظرف كقولهم ثبت الغدر اى ثابت فيه والغدر الموضع الخشن الكثير الحجارة وفيه شقوق لا يأمن من مشى فيه من العثار والسقوط يقال فرس ثبت الغدر اذا كان مأمونا من الهفوة والزلة ورجل ثبت الغدر اى ثابت في القتال والجدال في موضع الزلل والخصومة ﴿قوله بمعنى انه عديم النظير فيهما﴾ اشارة الى ان الظرفية لا تنافي تنزهه تعالى عن المكان والجهة بناء على ان المقصود من الاضافة الى الظرف بيان انه

(تعالى)

او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشرّ وكل ضارّ كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجنّ بدل من شركاء او شركاء الجنّ ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجنّ بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجنّ وبالجرّ على الاضافة للتبيين (وخلقهم) حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجنّ وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجنّ اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه (وخرقوا له) افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوّروا (بنين وبنات) فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله (بغير علم) من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم (سبحانه وتعالى عما يصفون) وهو أن له شريكا وولدا (بديع السموات والارض) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه

تعالى بديع منزه عن المثل والنظير فيما يذهب اليه عقل البشر من السموات والارض وهو لايستدعى ان يكون نفسه تعالى مستقرا فيهما ﴿قوله من اين او كيف يكون له ولد﴾ يعنى ان قوله أنى بمعنى كيف او من اين والظاهر ان يكون تامة اى كيف يوجد له ولد واسباب الولادة منتفية ويحتمل ان تكون ناقصة وولد اسمها وانى خبرها وله فى محل النصب على الحال من ولد وقوله ولم تكن له صاحبة حال من مضمون الجملة المتقدمة اى كيف يوجد له ولد والحال انه لم تكن له زوجة وقد علم ان الولد انما يكون من بين ذكر وانثى كما فى قوله * تلد ولد الاخيطل امسوء * تصغير اخطل ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ اى التحتانية مع كون الفعل مسندا الى صاحبة اقامة للفصل مقام علامة التأنيث او على ان لايكون الفعل مسندا الى صاحبة بل يكون اسم يكن مستترا فيه راجعا الى اسم الله ويكون له خبرا مقدما وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر يكن او يكون الضمير المستتر فيه ضمير الشأن وله صاحبة جملة اسمية مفسرة لضمير الشأن وقوله تعالى وخلق كل شئ جملة اخبارية مستأنفة سيقت لبيان انه تعالى خالق لكل الممكنات قادر على كل المحدثات اذا اراد احداث شئ قال له كن فيكون ومن هذا شأنه امتنع منه احداث شخص بطريق الولادة ولما توقف الخلق على العلم اخبر بانه تعالى علمه محيط بجميع المعلومات فهو غنى مطلق عن جميع ماسواه فكيف يتخذ صاحبة او ولدا مع ان التوالد انما يكون بين الاشخاص التى يتطرق اليها الفناء لابقاء النوع والذى يكون باقيا بشخصه لايحتاج الى التوليد الذى يقصد به بقاء النوع ﴿قوله وانما لم يقل به﴾ مع ان الظاهر ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر المعبر عنه الا انه عدل الى الاظهار لان الشئ المذكور اولا هو الممكن لان الواجب والممتنع ليسا بمخلوقين فلو قيل وهو به عليم لفهم ان علمه محيط بالممكنات مع انه تعالى عالم بجميع مايصح ان يعلم ويخبر عنه سواء كان واجبا او ممكنا او ممتنعا فاعيد لفظ بكل شئ صريحا ليصح حمله على معنى يعم جميع الاشياء الخارجية والذهنية وهذا مخالف لما ذكره المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة ان الله على كل شئ قدير من ان الشئ فى الاصل مصدر شاء اطلق تارة بمعنى شائى فيتناول البارى تعالى وبمعنى مشئ وجوده اخرى فلا يتناول الا ما وجد فى احد الازمنة لان ماشاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعلى التقديرين فالشئ يختص بالموجود ولا يتناول الممتنع الا عند المعتزلة فانهم يفسرون الشئ بما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيتناول الممتنع ايضا ﴿قوله وفى الآية استدلال على نفى الولد﴾ ابطال لقول من اخترق له بنين وبنات تقرير الوجه الاول انه تعالى بديع السموات والارض وهما مع كونهما من جنس الاجسام التى يصح ان توصف بكونها والدا اذا لم يكن لهما ولد لاستمرارهما وطول مدتهما فبدعهما اولى بأن يتعالى عن ان يتخذ ولدا وتقرير الوجهين الآخرين ظاهر وقال الامام فى وجه الاستدلال بهذه الآية على بطلان قول من زعم ان الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله ان قولهم بانه تعالى والد لهؤلاء لايخلو اما ان يكون مبنيا على انه تعالى ابدعها من غير تقدم نطفة ووالد او على ان يكون والدا لها على طريق كون الانسان والدا لاولاده فان بنوا قولهم ذلك على كونه تعالى مبدعا لعيسى وللملائكة من غير سبق اب ونطفة لزمهم ان يقولوا بانه تعالى والد السموات والارض لكونه تعالى مبدعا لهما من غير سبق وكونه تعالى والدا لهما محال لم يقل به احد وان بنوه على تحقق الولادة المعهودة بينه تعالى وبين هؤلاء توجه عليهم ان يقال انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وان الولد كفؤ لوالده ولامماثلة بين الخالق والمخلوق ولا بين من احاط بكل شئ علما ومن لايكون كذلك ﴿قوله واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية﴾ وجه الاستدلال ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية فقوله لاتدركه الابصار يقتضى ان لايراه شئ من الابصار فى شئ من الاحوال بدليل صحة استثناء جميع الاشخاص فى جميع الاحوال منه بأن يقال لاتدركه الابصار الابصر كذا او الا فى الحالة الفلانية وصحة الاستثناء من جملة دلائل عموم المستثنى منه فثبت ان عموم الآية يفيد عموم النفى لكل الاشخاص فى جميع الاحوال واجاب اهل السنة عن هذا الاستدلال بأن الرؤية جنس تحتها نوعان رؤية مع الاحاطة ورؤية لامع الاحاطة فالتى تسمى بالادراك منهما هى الرؤية مع الاحاطة وهى المنفية بهذه الآية ونفى احد نوعى الجنس لايوجب نفى الجنس رأسا فلم تكن الآية دليلا على نفى الرؤية مطلقا فيجوز ان يراه المؤمنون يوم القيامة سلمنا ان الادراك هو الرؤية مطلقا سوآء كانت مع الاحاطة او لامع الاحاطة لكن لانسلم دلالة الآية على انتفائها فى جميع الاوقات لان نفيها ذكر مطلقا ولم يقيد بجميع الاوقات فيحمل على النفى فى بعض الاوقات جمعا بين هذه الآية وبين النصوص الواردة وقد روى فى تفسير الآية لاتدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة

وراءه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره (انى يكون له ولد) اى من اين او كيف يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشأن (وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) لاتخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بأن يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد مايتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ماعداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ) أخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا (فاعبدوه) حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة (وهو على كل شئ وكيل) اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها (لاتدركه) اى لاتحيط به (الابصار) جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لاكل بصر يدركه مع ان النفى لايجب الامتناع

﴿قوله يحيط علمه بها﴾ قيل الانسب بالمقام انه علم بطريق الرؤية ويجوز تعميمه ايضا ﴿قوله فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار﴾ هذه الجملة سيقت او صفه تعالى بما تضمن تعليل قوله وهو يدرك الابصار فقط على هذا الوجه ثم ان المراد بالابصار هنا النور الذى يدرك به المبصرات فانه لايدركه مدرك بخلاف جرم العين فانه يرى او يقال المراد ان كل عين لاترى نفسها ووقع فى نسخة بدل كالابصار بالابصار على صيغة المصدر ﴿قوله ويجوز ان يكون من باب اللف الخ﴾ فان اللطيف يناسب كونه غير مدرك بالفتح والخبير يناسب كونه مدركا بالكسر وبقوله فيكون مستعارا من مقابل الكثيف اندفع ماقيل ان المناسب لعدم الادراك اللطيف المشتق من اللطافة وهو ليس بمراد هنا واما اللطيف المشتق من اللطف بمعنى الرأفة فلا يظهر له مناسبة هنا وفى شرح الاسماء الحسنى لمحمد البوانى اللطيف الذى يعامل عباده باللطف وألطافه لاتتناهى ظواهرها وبواطنها فى الاولى والآخرة وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والله لطيف بعباده يرزق من يشاء هيأ مصالح الناس من حيث لايشعرون واخفى لهم لطفه من حيث لايعلمون وقيل اللطيف العليم بالغوامض والدقائق من المعانى والحقائق ولذا يقال للحاذق فى صنعته لطيف ويحتمل ان يكون من اللطافة المقابلة للكثافة وهو وان كان فى ظاهر الاستعمال من اوصاف الجسم لكن اللطافة المطلقة لاتوجد فى الجسم لان الجسمية يلزمها الكثافة وانما لطافتها بالاضافة فاللطافة المطلقة لايبعد ان يوصف بها النور المطلق الذى يجل عن ادراك البصائر فضلا عن الابصار ويعز عن شعور الاسرار فضلا عن الافكار ويتعالى عن مشابهة الصور والامثال ويتنزه عن حلول الالوان والاشكال فان كمال اللطافة انما يكون لمن هذا شأنه ووصف الغير بها لايكون على الاطلاق بل بالقياس الى ما هو دونه فى اللطافة ووصف بالنسبة اليه بالكثافة انتهى وهذا يقتضى انه حقيقة فيه تعالى فتأمله والخبير المبالغة فيه فيكون علة والمقام وان اقتضى ترك العطف لكن المقصود به اثبات هذه الاوصاف والتعليل الذى اشار اليه المصنف رحمه الله ضمنى وقوله لا لايدرك بالحاسة اى ليس شأنه ذلك فلا يقال اذا كان اللطيف بمعنى مالاتدركه الابصار كيف يعلل الشئ بنفسه فلا يرد هذا كما توهم وقوله لاينطبع فيها اى لاينطبع ويرتسم مثاله فيها والا فالشئ نفسه لاينطبع فقيد تسمح وهذا احد المذاهب فى كيفية الرؤية وتحقيقه فى كتب الحكمة والكلام وقوله وهى للنفس الخ المعروف انها للقلب كالبصر للعين وقوله تجلى بمعنى تظهر وتكشف وقوله الدلالة لجمعه باعتبار انواعه وقيل المراد آيات القرآن ﴿قوله فلنفسه ابصر﴾ قدره غيره فلنفسه الابصار وقدره ابو حيان فيما يقوله فالابصار لنفسه اى نفعه وثمرته ومن عمى فعليها اى فالعمى عليها اى فجدوى العمى عائدة على نفسه والابصار والعمى كنايتان عن الهدى والضلال قال وهذا الذى قدرناه من المصدر وهو الابصار والعمى اولى لوجهين احدهما ان المحذوف يكون مفردا لا جملة ويكون الجار والمجرور عمدة لافضلة وفى تقدير غيره المحذوف جملة والجار والمجرور فضلة ولانه لو كان المقدر فعلا لم تدخله الفاء سواء كانت شرطية او موصولة مشبهة بالشرط لان الفعل الماضى اذ لم يكن دعاء ولا جامدا ووقع جواب شرط او خبر مبتدأ مشبه باسم الشرط لم تدخل الفاء فى جواب الشرط ولا فى خبر المبتدأ فلو قلت من جاءنى فاكرمته لم يجز بخلاف تقديرنا وهو غير وارد لانه ليس كالمثال الذى ذكره بل مثاله من جاءنى فلاكرامه جاء اذ تقدم فيه الجار والمجرور لافادة الحصر والجار والمجرور اذا تقدم على الماضى جاز اقترانه بالفاء بل قيل انها لازمة له كما صرح به التحرير والعرب السفاقسى ففى هذه المسئلة ثلاثة مذاهب المنع وهو مختار ابى حيان والجواز واللزوم وهو مختار غيره وفى الدر المصون ان هذا التقدير سبق الزمخشرى اليه غيره من السلف كالكلبى وقوله فعليها وباله لم يقدر فعليها عمى كما قدره الزمخشرى لان عمى لم يعهد تعديه بعلى بخلاف ماقدره فانه لايحتاج الى تكلف تأويل وقيل انه قدر فى احدهما الفعل وفى الاخرى الاسم اشارة الى جواز كل من المسلكين والمراد بالعمى والبصر الهدى والضلال كما اشار اليه المصنف رحمه الله ومن هذا عرفت ان الظرف المقدر متعلقه فلا يقع جواب الشرط مع الفاء او بدونها كما يؤخذ من كلام الزجاج وقدرت فى المغنى وليس بصواب كما سنراه ﴿قوله والله هو الحفيظ﴾ الحصر مستفاد من تقديم المسند اليه على ماعرف من مذهب الزمخشرى من عدم اشتراط الخبر الفعلى وقوله وهذا الخ يعنى قد جاءكم بصائر الى هنا كما صرح به فى الكشاف لاقوله وما انا عليكم بحفيظ فقط كما قيل وعلى هذا فقل مقدرة كما صرح به شراح الكشاف واما ماقيل الورود على لسانه لايقتضى هذا التقدير فان منشئ القصيدة على لسان غيره لايضمر القول فقيل فاسد وانما نظيره ماذا وصف متكلم نفسه ثم ذكر مالايصح اسناده اليه فانه لابد من تقدير

(وهو يدرك الابصار) يحيط علمه بها (وهو اللطيف الخبير) فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به (فمن ابصر) اى ابصر الحق وآمن به (فلنفسه) ابصر لان نفعه لها (ومن عمى) عن الحق وضل (فعليها) وباله (وما انا عليكم بحفيظ) وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم (وكذلك نصرف الآيات) ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال

(الحكاية)

الحكاية والافسد كلامه واختل نظامه وقوله ومثل ذلك قدمر شرحه ﴿قوله وليقولوا الخ﴾ قدر صرفنا ماضيا والزمخشري قدره مضارعا متأخرا قيل لقصد التخصيص وفيه نظر واللام لام العاقبة وهو مجاز منقول من التعليل واذا عطف عليه الغرض وجوز ان يكون على الحقيقة ابو البقاء وغيره لان نزول الآيات لاضلال الاشقياء وهداية السعداء قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ويجوز ان يكون التقدير ليكروا وليقولوا الخ وقيل هذه اللام للامر ويؤيده انه قرئ بسكونها كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم مايقولون فانهم لااحتفال لهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم وفي الدر المصون فيه نظر لان المعنى على ماقالوه وايضا فان قوله ولنبينه نص في ان اللام لام كي واما تسكين اللام في القرآءة الشاذة فلا دليل فيها لاحتمال انها خففت لاجرآئها مجرى كبد وكونها معترضة ولنبينه متعلق بمقدر معطوف على ماقبله وان صح لايخرجه عن كونه خلاف الظاهر وعبارة الزمخشري هنا وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومراده بالجواب المتعلق وهو اصطلاح منه وقع في مواضع من كتابه قال المعرب سماه جوابا لانه يقع جوابا للسائل الذي يقول اين متعلق هذا الجار فلا يرد عليه ماقاله ابو حيان ولكونه خلاف الظاهر عدل عنه المصنف رحمه الله ﴿قوله درست من الدروس الخ﴾ فيه قرآآت ثلاث متواترة وماعداها شاذة فقرأ ابن عامر درست كضربت وابن كثير وابو عمرو دارست كقاتلت والباقون درست انت كضربت ومعنى الاولى قدمت وتكررت على الاسماع كقوله اساطير الاولين ومعنى الثانية دارست يامحمد غيرك من يعلم الاخبار الماضية كقوله انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه الآية ومعنى الثالثة حفظت واتقنت بالدرس اخبار من مضى كقوله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقرئ في الشواذ درست ماضيا مجهولا وفسرت بليت وعفت اي الآيات واعترض عليه بان درس بمعنى انمحى لازم لم يعرف متعديا في اللغة والاستعمال ورد بانه ورد متعديا قال الزبيدي درس الشئ دروسا عفا ودرسته الريح وقال النحرير جاء درس لازما ومتعديا لمعنيين وقرئ درست مشددا معلوما وتشديده للتكثير او للتعدية والتقدير درّست غيرك الكتب وقرئ مشددا مجهولا وقرئ دورست على مجهول فاعل ودارست بتاء التأنيث والضمير للآيات او للجماعة وقرئ درست بضم الراء والاسناد للآيات مبالغة في محوها او تلاوتها لان فعل المضموم للطبائع والغرآئز وقرأ ابيّ رضي الله عنه درس وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الكتاب ان كان بمعنى انمحى ودرسن بنون الاناث مخففا ومشددا وقرئ دارسات بمعنى قديمات او بمعنى ذات درس او دروس كعيشة راضية وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي دارسات وقرآءة المفاعلة اما على انه بمعنى اصل الفعل او تأويله بما مرّ تحقيقه في قوله تعالى يخادعون الله ﴿قوله اللام على اصله﴾ قال الشريف قدس سره افعاله تعالى يترتب عليها حكم ومصالح هي ثمراتها وان لم تكن عللا غائية لها بحيث لولاها لم يقدم الفاعل عليها ومن اهل السنة من وافق المعتزلة في التعليل والغرض الراجع منفعته الى العباد وادعى انه مذهب الفقهاء والمحدثين اذا عرفت هذا فاعلم ان حقيقة التعليل عند اهل السنة بيان مايدل على المصلحة المترتبة على الفعل واما تفسيرها بالباعث الذي لولاه لم يقدم الفاعل على الفعل فهو من تحقيقات المتكلمين لاتعلق له باللغة واما عند اهل اللغة فهو حقيقة في ذلك مطلقا والفرق بينها وبين لام العاقبة ان لام العاقبة ماتدخل على مايترتب على الفعل وليس مصلحة فيه خلاف تقدم شرحه فما قيل ان اللامات الداخلة على فوآئد افعاله المسماة بالحكم والمصالح استعارات تبعية فلا تكون اللام فيها على اصلها الاعلى رأى من يجوز ان تكون افعاله معللة بالاغراض ولايقول به المصنف رحمه الله مردود بما سمعت آنفا وقوله باعتبار المعنى يعني التأويل بالكتاب او القرآن والمراد بالمصدر التبيين او التصريف كما قيل فهو مفعول مطلق على الاول وقوله فانهم المنتفعون به بيان لوجه تخصيصهم بذلك وجعل ماسواهم كالعدم وجعل الجملة المعترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا يفيد تقوية الكلام صرح به الزمخشري في مواضع من كتابه فلا عبرة بمن انكره وقوله اكد به ايجاب الاتباع لان من هذا وصفه يجب اتباعه ﴿قوله او حال مؤكدة﴾ قسم ابن مالك في التسهيل الحال المؤكدة الى مؤكدة لعاملها نحو ولى مدبرا ولاتعثوا في الارض مفسدين ومؤكدة لغيره في بيان فخر او تعظيم او نحوه ويجب ان يتقدم عليها جملة اسمية ويحذف عاملها وجوبا فمن قال كونها واقعة بعد الجملة الاسمية شرط لوجوب حذف عاملها لالصحتها كقوله ولاتعثوا في الارض مفسدين فقد خلط بين معنى الحال وقسميها ومعنى لاتحتفل لاتعتد بها ولاتبال وقوله ولاتلتفت تفسير له وأوّله بهذا لانه لابدّ له من التبليغ والقتال الا ان يكون

﴿وليقولوا درست﴾ اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القرآءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الرآء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله في عيشة راضية ﴿ولنبينه﴾ اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر ﴿لقوم يعلمون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿اتبع ما اوحي اليك من ربك﴾ بالتدين به ﴿لا اله الا هو﴾ اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية ﴿واعرض عن المشركين﴾ ولاتحتفل بأقوالهم ولاتلتفت الى آرآئهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم

قبل الامر بالقتال ثم نسخ بآية السيف في سورة براءة فيكون حينئذ على عمومه وقوله وهو دليل الخ رد على المعتزلة
كأمر والزمخشري فسره بمشيئة اكراه وقسر لان عندهم مشيئة الاختيار حاصلة البتة قال النحرير وهذه عكازته
في دفع مذهب اهل السنة من ان الله تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولا طاعة العاصي تمسكا بامثال هذه الآيات
﴿ قوله اي ولا تذكروا آلهتهم الخ ﴾ هذا مآل الذين يدعون عبارة عن الآلهة والعائد مقدر والتعبير بالذين
على زعمهم انهم من اولي العلم او بناء على ان سب آلهتهم سب لهم كما يقال ضرب الدابة صفع لراكبها او على تغليب العقلاء
منهم كالمسيح صلى الله عليه وسلم وعزير ثم انه في الكشاف ذكر في سبب النزول وجهين الاول انهم قالوا عند نزول قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك والثاني ان المسلمين
كانوا يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله ٭ واورد على الاول ان وصف آلهتهم بانها حصب جهنم
وبانها لا تضر ولا تنفع سب لها فكيف نهي عنه بقوله ولا تسبوا الخ ٭ واجيب بانهم اذا قصدوا بالتلاوة سبهم وغيظهم
يستقيم النهي عنها ولا بدع فيه كما نهي عن التلاوة في المواضع المكروهة او معناه لا يقع السب منكم بناء على ما ورد
في الآية فيصير سببا لسبهم وقيل السب ذكر المساوي لمجرد التحقير والاهانة وذلك انما ورد للاستدلال على عدم
صلوحها للالوهية والمعبودية ومثله لا يسمى سبا وفيه نظر وقيل عليه ان سبب النزول على احدى الروايتين وصفها
بانها حصب جهنم فكيف لا يكون ذلك سبا ٭ فالجواب ان مآل النهي عن السب في الحقيقة انما هو عن اظهاره
فانه المؤدي الى سب الله فتأمل ﴿ قوله او لنهجون الهك ﴾ فان قيل انهم كانوا يقرون بالله وعظمته وان آلهتهم
انما عبدوها لتكون شفعاء عنده فكيف يسبونه ٭ قلنا لا يفعلون ذلك صريحا بل يفضي كلامهم الى ذلك كشتمهم له
ولمن يأمره بذلك مثلا وقد فسر بغير علم بهذا وهو حسن جدا او ان الغيظ والغضب ربما حملهم على سب الله
صريحا الا ترى المسلم قد يحمله شدة غضبه على التكلم بالكفر وعدوا كضربا وعدوا كعلو وعداء كعزاء وعدوان
كسلطان مصدر عدا عليه بمعنى تعدى وتجاوز وهو مفعول مطلق لتسبوا من معناه لان السب عدوان او مفعول له
او حال مؤكدة مثل بغير علم وقرأ ابن كثير في رواية عنه عدوا بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو على انه حال
﴿ قوله وفيه دليل الخ ﴾ يعني اذا ادت الطاعة الى معصية راجحة على معصية ترك الطاعة وكانت سببا لها
بخلاف الطاعة في موضع فيه معصية لا يمكن دفعها وكثيرا ما يشتبهان ولذا لم يحضر ابن سيرين جنازة اجتمع فيها الرجال
والنساء وخالفه الحسن للفرق بينهما كما في الكشاف وقد علم بما مر في تفسير قوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم الظالمين ما هو الصحيح عند الشافعية كما افاده القدسي في الرمز من انه لا يترك ما يطلب لمقارنة بدعة كترك اجابة
دعوة لما فيها من الملاهي وصلاة جنازة لنائحة فان قدر على المنع منع والا صبر وهذا اذا لم يكن مقتدى به والا لا يقعد
لان فيه شين الدين وما روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه ابتلي به قبل صيرورته اماما يقتدى به وقال الامام
ابو منصور كيف نهانا الله عن سب من يستحق السب لئلا يسب من لا يستحقه وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قتلونا
وقتل المؤمن بغير حق منكر ولذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والتلاوة عليهم وان كانوا يكذبونه ٭ واجاب
بأن سب الآلهة مباح غير مفروض وقتالهم فرض وكذا التبليغ وما كان مباحا نهي عما يتولد منه ويحدث
وما كان فرضا لا ينهى عما يتولد منه وعلى هذا يقع الفرق لابي حنيفة فيمن قطع يد قاطع قصاصا فمات منه فانه يضمن الدية
لان استيفاء حقه مباح فأخذ بالمتولد منه انتهى والامام اذا قطع يد السارق فمات لا يضمن لانه فرض عليه
فلم يؤخذ بالمتولد منه انتهى ومنه تعلم ان قوله الطاعة ليس على اطلاقه ﴿ قوله من الخير والشر الخ ﴾ وقوله
في الكشاف مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم
سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم كقولهم ان الله تعالى امرنا بهذا وزينه لنا يعني ان ظاهر الآية
يقتضي انه تعالى زين للكافر الكفر وفعله القبيح وتزيين القبيح قبيح والله متعال عنه على اصول المعتزلة
فلذا اول الآية بوجوه رجح منها الوجه الثاني لمناسبته لوصف الكفرة قبله والمصنف رحمه الله تعالى ذكر وجها آخر
وترك ما ذكره لعدم الحاجة اليه عندنا ولم يجعل التشبيه فيه من قبيل ضربته كذلك لمخالفته قيل ولانه يأباه قوله
لكل امة وفيه نظر وقوله والشبه به بالنصب عطف على اسم ان ويجوز رفعه ﴿ قوله مصدر في موقع الحال ﴾
او حال مؤول باسم الفاعل او منصوب بنزع الخافض اي اقسموا بجهد ايمانهم اي اوكدها وقد مر الكلام عليه
في المائدة والتحكم اظهار الحكومة وتكلفها باقتراح الآيات ﴿ قوله لئن جاءتهم آية الخ ﴾ كانزال الملائكة وغير ذلك

(وفيه)

(ولو شاء الله) توحيدهم وعدم اشراكهم
(ما اشركوا) وهو دليل على انه تعالى
لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب
الوقوع (وما جعلناك عليهم حفيظا)
رقيبا (وما انت عليهم بوكيل) تقوم بامورهم
(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله)
اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها عما فيها
من القبائح (فيسبوا الله عدوا) تجاوزا
عن الحق الى الباطل (بغير علم) على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا
يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا
روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم
فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون
الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى
وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى
معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي
الى الشر شر (كذلك زينا لكل امة عملهم)
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه
ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز
تخصيص العمل او كل بالشر مقة بالكفرة
لان الكلام فيهم والشبه به تزيين سب الله لهم
(ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا
يعملون) بالمحاسبة والمجازاة عليه (واقسموا
بالله جهد ايمانهم) مصدر في موقع الحال
والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه
التحكم على الرسول عليه الصلاة والسلام
في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها
(لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم
(ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) هو
قادر عليها يظهر منها ما يشاء

وفيه اشارة الى ان ماجاءهم ليس بآية عندهم كما يدل عليه قوله واستحقار مارأوا منها فلا حاجة الى التقييد بقوله من مقترحاتهم الا ان يكون لبيان الواقع ﴿قوله وليس شئ منها بقدرتي الخ﴾ في الكشاف انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لاينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لاعندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها والمصنف رحمه الله اشار الى ان العندية بمعنى كونها مقدورة له تعالى والمقصود من الحصر نفي القدرة عن نفسه ليبين انه لايمكنه ان يجيئهم بها وزاد الزمخشري وجها آخر وهو ان المراد ان الآيات مخصصرة في المقدورية لاتتعداها الى النزول بغير حكمة يعني فكيف اجيبكم بها قيل ولم يلتفت اليه المصنف كما قال النحرير ان فائدة الحصر لاتظهر على هذا الوجه ويمكن ان تظهر بانه لاحكمة فيما يطلبونه فلا يمكن ان يجيئهم به وقد جنح الى هذا من قال العندية من حيث القدرة ومن حيثية الاتيان بالمشيئة ان اقتضته الحكمة وقوله ان الآية المقترحة اشارة الى ان الضمير راجع للآية لا للآيات لان عدم ايمانهم عند مجيئ ما اقترحوه ابلغ في توبيخهم قيل ولو جعل الضمير للآيات لكان فيه مزيد مبالغة في بعدهم عن الايمان وبلوغهم في العناد غاية الامكان ولايخفى مافيه الا ان يلاحظ انه باعتبار شمولها للمقترحة وغيرها فتأمل ﴿قوله ومايدريكم استفهام انكار﴾ وهو في المعنى نفي وفي بعض الحواشي ماستفهامية لانافية والابقي الفعل بلافاعل وفي الدر المصون قيل فاعله ضمير الله اي مايشعركم الله انه اذا جاءت الآيات المقترحة لايؤمنون وهو تكلف بعيد وقال السفاقسي انه غير مستقيم لان الله اعلمهم بانهم لايؤمنون الا ان تجعل مازائدة ﴿قوله انكر السبب مبالغة في نفي المسبب الخ﴾ اشارة الى جواب مايقال انك اذا قيل لك اكرم زيدا يكافئك قلت في انكاره ماادراك اي اذا اكرمته يكافئني فان قيل لاتكرمه فانه لايكافئك قلت في انكاره ماادراك انه لايكافئني تريد وانا اعلم منه المكافأة فمقتضى حسن ظن المؤمنين بهؤلاء المعاندين ان يقال ومايدريكم انها اذا جاءت يؤمنون فاثبات لايعكس المعنى الى ان المعلوم ثبت الثبوت وانت تنكر على من نفى كذا قرره شراح الكشاف فلذا حمله بعضهم على زيادة لا وبعضهم على ان ان بمعنى لعل وبعضهم على انها جواب قسم بناء على ان ان في جواب القسم يجوز فتحها والزمخشري وتبعه المصنف ابقى الكلام على ظاهره فقيل في المثال المذكور انك اذا علمت انه لايكافئ واشير عليك باكرامه لظن المشير المكافأة فلك حينئذ معه حالتان حالة ان تنكر عليه ادعاء العلم بما تعلم خلافه وحالة ان تعذره لعدم علمه بما احطت به ففي الحالة الاولى تقوله مايدريك انه يكافئ وفي الثانية تقوله مايدريك انه لايكافئ اي من اين تعلم انت ماعلمته انا من عدم المكافأة وكذلك الآية لاقامة عذر المؤمنين كما يدل عليه مابعده وايضاحه كما قيل انه استفهام في معنى النفي والاخبار عنهم بعدم العلم لا انكار عليهم والمعنى ان الآيات عند الله ينزلها بحسب المصالح وقد علم انهم لايؤمنون ولاينجع ذلك فيهم وانتم لاتدرون ماني الواقع من علمه تعالى فلذا توقعتم ايمانهم والاستفهام الانكاري له معنيان فالانكار ان كان بمعنى لم يقال مايشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وبمعنى لايقال لايؤمنون والمراد الثاني بدليل مابعده وفي الكشف انه في الثاني منكر عليهم الاقتراح وهو القول من غير علم وبمعنى مالايعرف حقيقته وهو ابلغ وان كان الثاني اوضح واقرب ومنه يعلم انه يجوز ان يكون الانكار بمعنى لم ايضا فقوله انكر السبب اي الاشعار مبالغة في نفي المسبب اي الشعور وليس معناه انه انكر الدراية بهذا العلم واريد انكار اظهار الحرص اي انتم لاتدرون كما قيل فالمعنى لاتدرون انهم يؤمنون وفي نفي المسبب بهذا الطريق مبالغة ليست في نفيه بدونها لان في الكناية اثبات الشئ ببينة وفيه تعريض بان الله عالم بعدم ايمانهم على تقدير مجيئ الآية المقترحة لهم وتنبيه على انه تعالى لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون فعدم الانزال لعدم الايمان ﴿قوله ان بمعنى لعل﴾ هذا قول الخليل رحمه الله ويؤيده ان يشعركم ويدريكم بمعنى وكثيرا ماتأتي لعل بعد فعل الدراية نحو ومايدريك لعله يزكى وان في مصحف ابي رضي الله عنه وما ادراك لعلها وقوله كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم اشارة الى ان مفعوله محذوف على هذين الوجهين وهو يتعدى الى مفعولين ﴿قوله ثم اخبرهم الخ﴾ ظاهره انه اخبار ابتدائي وجعله ابن الحاجب جواب سؤال وفي الكشف كأنه قيل لم ذلك فقيل لانها اذا جاءت لايؤمنون ولك ان تبنيه على قوله ومايشعركم فانه ابرز في معرض المحتمل كأنه سئل عنه سؤال شاك ثم صفق بقوله لانها اذا جاءت لايؤمنون جزما بالطرف المخالف وبيانا لكون الاستفهام غير جار على الحقيقة وفيه انكار لتصديق المؤمنين على وجه يتضمن انكار صدق المشركين في القسم عليه وهذا نوع من السحر البياني لطيف المسلك وعلى كونه خطابا للمؤمنين لايكون داخلا

وليس شئ منها بقدرتي وارادتي (ومايشعركم) ومايدريكم استفهام انكار (أنها) اي ان الآية المقترحة (اذا جاءت لايؤمنون) اي لاتدرون انهم لايؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لامزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيئ الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي ومايشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها (ونقلب افئدتهم وابصارهم) عطف على لايؤمنون اي ومايشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها (كما لم يؤمنوا به) اي بما انزل من الآيات (اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

(ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا اوتأتى بالله و الملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات اومصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قرآءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا ان يشاء الله) استثناء من اعم الاحوال اى لايؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن اكثرهم يجهلون) انهم لواتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم اولكن اكثر المسلمين يجهلون أنهم لايؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه (شياطين الانس والجن) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا اواول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به اوحال منه

فى حيز قل الايمان بتقدير قل للكافرين انما الآيات عند الله وللمؤمنين وما يشعركم وهو تكلف لاداعى اليه وعلى كونه خطابا للمشركين يدخل تحته ويكون فيه التفات والحاصل انه تعالى بين اجمالا انه اذا جاءهم مااقترحوه لايؤمنون ثم فصل ذلك بأن قال او اعطاهم ماطلبوا من انزال الملائكة حتى رأوهم عيانا واحيي الموتى حتى كلموهم وشهدوا لك بالنبوة كما سألوا بل لو زاد فى ذلك بما لايبلغه اقتراحهم بأن يحشر عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فذكر الله تعالى هذا الكلام بيانا لكذبهم وانه لا فائدة فى انزال الآيات واظهار المعجزات بعد المعجزات بل المعجزة الواحدة لابد منها لتمييز الصادق من الكاذب واما الزيادة عليها فتحكم محض لاحاجة اليه والافلهم ان يطلبوا بعد ظهور المعجزة الثانية ثالثة وبعد الثالثة رابعة ويلزم منه ان لاتستقر الحجة وان لاينتهى الامر الى مقطع ومفصل وذلك يوجب سد باب النبوات قال صاحب التيسير فى تفسير هذه الآية ولو اننا نزلنا الى هؤلاء المقترحين كل الملائكة فشهدوا لك بالنبوة وان كانوا سألوا انزال ملك حيث قالوا لولا انزل عليه ملك واحيينا لهم كل الاموات فكلموهم بأن شهدوا لك وان كانوا سألوا ملك احياء اثنين من موتاهم قصى بن كلاب وجدعان بن عمرو وكانا كبيرين صدوقين فيهم حيث قالوا او احييتهما فشهدا لك بالنبوة لشهدنا نحن ايضا وحشرنا عليهم اى وبعثنا كل حيوان من الفيل الى البعوضة اى اقمنا القيامة لم يؤمنوا برؤية هذه الآيات الا ان يشاء الله ايمانهم فيؤمنوا فان الآية وان عظمت لاتضطرهم الى الايمان فانه لاآية اعظم من قيام الساعة والله تعالى يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فيكون معنى قوله تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين اى ان شاء الله ان يخضعوا لا ان الآية تضطرهم الى ذلك ودل على انهم انما لم يؤمنوا لان الله تعالى لم يشأ ايمانهم ولوشاء لآمنوا ومن علم الله منه اختيار الكفر والاصرار عليه شاء له ذلك ومن علم منه اختيار الايمان شاء له ذلك الى هنا كلامه ﴿قوله وقبلا﴾ اى بضم القاف والباء وهى قرآءة من عدا نافعا وابن عامر فانهما قرأا قبلا بكسر القاف وفتح الباء وذكر لقرآءة الجمهور ثلاثة اوجه الاول ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل من بابى نصر وضرب قبالة اى كفالة فان فعيلا يجمع على فعل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وقضيب وقضب وانتصابه على انه حال من المفعول اى وحشرناها كفلاء بصحة مابشرنا به وانذرنا وبصدق محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع ما اخبر به كما قالوا او تأتى بالله والملائكة قبيلا يضمنون ذلك والثانى ان يكون جمع قبيل بمعنى جماعة جماعة او صنفا صنفا والمعنى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى فوجا فوجا وتوعا نوعا من سائر المخلوقات والثالث ان يكون مصدرا كقبلا بمعنى المقابلة والمواجهة والمعاينة يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة اى مواجهة ومعاينة ﴿قوله وانما جاز ذلك﴾ مع ان حق ماوقع حالا من النكرة ان يتقدم عليها لعمومه واضافته ﴿قوله وقيل منقطع﴾ فان المعتزلة فسروا الآية الكريمة بأن قالوا لو اننا اظهرنا تلك الآيات العجيبة لهؤلاء الكفار ما كانوا ليؤمنوا على سبيل الاختيار الا ان يشاء الله ايمانهم مشيئة اكراه وقسر فان الايمان الحاصل بالالجاء والقسر ليس من جنس الايمان الاختيارى فيكون الاستثناء منقطعا وانما لجؤا الى هذا التأويل لانهم لما ذهبوا الى ان الله تعالى شاء من الكل الايمان الذى يفعلونه على سبيل الاختيار كانت هذه الآية مناقضة لمذهبهم لانه تعالى قال انهم لايؤمنون الا ان يشاء الله ايمانهم فلما لم يؤمنوا دل ذلك على ان الله تعالى ماشاء ايمانهم وهو مذهب اهل السنة فاضطروا الى ان قالوا المراد بالمشيئة مشيئة الاكراه والقسر فعدم ايمانهم لايستلزم الا عدم المشيئة القسرية وهو لايستلزم عدم المشيئة مطلقا ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون متعلق جهلهم امرا مخصوصا جاز ان يتفرد بعلمه من استحكم فى قلبه العناد والاصرار على الكفر ﴿قوله اى كما جعلنا لك عدوا﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وكذلك معطوف على معنى ماتقدم من الكلام لان ماتقدم يدل على انه تعالى جعل له اعداء والمراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم اى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبى قبلك اعداء وجعل بمعنى صير فيتعدى الى اثنين اولهما شياطين الانس وثانيهما عدوا ولكل حال من عدوا لانه صفته فى الاصل او متعلق بالجعل قبله ويجوز ان يكون المفعول الاول عدوا ولكل هو الثانى قدم عليه وشياطين بدل من المفعول الاول ﴿قوله وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه﴾ ولاشك ان تلك العداوة معصية وكفر فلزم ان يكون خالق الخير والشر والمعصية والايمان والكفر هوالله تعالى لاالعبد فتكون الآية حجة لنا على المعتزلة وقالوا فى تأويل الآية المراد بهذا الجعل هوالحكم والبيان فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه اكفر

فلانا و اذا اخبر عن عدالته قبل عدّله فكذا ههنا انه تعالى لما بين للرسول صلى الله عليه وسلم كونهم اعدآء لهم لاجرم قال انه جعلهم اعدآء له والشيطان يطلق على كل عات متمرّد من الانس والجنّ والشيطان من الجنّ اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوآئه ذهب الى متمرّد من الانس فاغراه على المؤمن ليفتنه وعن مالك بن دينار انه قال شياطين الانس اشدّ علىّ من شياطين الجنّ وذلك انى اذا تعوذت بالله من شياطين الجنّ ذهبوا عنى وشياطين الانس تجيئنى فتجرّنى الى المعاصى عيانا **﴿قوله يوحى﴾** يحتمل ان يكون مستأنفا اخبر عنهم بذلك وان يكون حالا من شياطين والوحى الكلام الخفىّ والقول السريع الذى يلقى سرّا والزخرف هو الذى يكون باطنه باطلا وظاهره مزينا يقال فلان يزخرف كلامه اذا زينه بالكذب والباطل وكل شئ مموّه فهو مزخرف **﴿قوله وكفرهم﴾** اشارة الى ان ما مصدرية اى اتركهم واترك افترآءهم فى ترويج ما اعتقدوه وذهبوا اليه **﴿قوله عطف على غرورا﴾** فاللام لام كى والفعل بعدها منصوب باضمار ان وهى متعلقة بقوله يوحى بعضهم الى بعض للغرور وللصغو ونصب غرورا لاتحاد فاعله مع فاعل عامله بخلاف الصغو فان فاعل الوحى والغرور هو البعض وفاعل الصغو الافئدة قال الامام تقدير الآية عند اصحابنا وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الانس والجنّ ومن صفتهم انه يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول وانما فعلنا ذلك لتصغى افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة اى انما اوجدنا العداوة فى قلوب الشياطين الذين من صفتهم ما ذكرناه ليكون كلامهم المزخرف مقبولا عند هؤلاء الكفار ثم قال قالوا واذا حملنا الآية على هذا الوجه يظهر انه تعالى يريد الكفر من الكافر وقالت المعتزلة هذه اللام لام العاقبة لان الصغو ونحوه لايجوز ان يتعلق به مشيئة الله تعالى وطلبه منهم والمعنى ان عاقبة امرهم فى الدنيا تؤول الى ان يقبلوا هذه الاباطيل ويرضوا بها **﴿قوله او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون﴾** تقديره والله لتصغى فان جواب القسم ان كان جملة فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا فالاكثر تصديره باللام وتوكيده بالنون اى بالنون الفارقة بينها وبين لام الابتدآء فلما لم يفرق بينهما بالنون كسرت اللام دفعا للالتباس لان لام الابتدآء مفتوحة نحو لأضربن وقلّ خلوّ المضارع عن اللام استغناء بالنون وقد جاء

✲ وقتيل مرّة أثأرنّ فانه ✲ فرغ وان اخاهم لم يقصد ✲

قوله فرغ اى شريف وقوله لم يقصد يقال قصدته فهو مقصود اى مقهور مضطر ولايجوز عند البصريين الاكتفاء باللام عن النون الا فى الضرورة والكوفيون اجازوه بلا ضرورة قال الشاعر

✲ تألى ابن اوس حلفة ليردّنى ✲ الى نسوة كانت لهنّ مقائد ✲

بفتح لام ليردنى وضم داله ومقائد جمع مقأد وهى الخشبة التى يحرك بها التنور ويروى ليردّنى بكسر اللام ونصب الدال وبعض العرب يكسر لام القسم الداخلة على الفعل المضارع نحو والله ليفعلن كذا فى شرح الرضى **﴿قوله وضعفه ظاهر﴾** لان الف تصغى لم تسقط فكيف تكون اللام لام الامر وحمله على اشباع فتحة الغين غير مستقيم لان ذلك لايجوز موضع الالتباس ولم اجد نقلا على انه اذا اكتفى باللام عن النون تكسر اللام وانما تفتح اذا اجتمعا بأن قيل لتصغينّ مثلا وقد وجد فتح اللام مع حذف النون فى قوله

✲ لئن لك قد ضاقت عليكم بيوتكم ✲ ليعلم ربى ان بيتى واسع ✲

فان قوله ليعلم جواب القسم الموطأ له باللام فى لئن ومع ذلك فهى مفتوحة مع حذف نون التوكيد **﴿قوله والضمير﴾** اى فى اليه لما له الضمير فى فعلوه اى للوحى او زخرف القول او الغرور او معاداة الانبياء لانها بمعنى التعادى **﴿قوله تعالى أفغير﴾** منصوب على انه مفعول ابتغى مقدم عليه ويكون حكما حينئذ اما حالا واما تمييزا لغير ويجوز ان ينتصب غير على الحال من حكما لانه فى الاصل يجوز ان يكون وصفا له وحكما هو المفعول به فتحصل فى نصب غير وجهان وفى نصب حكما ثلاثة او جه حالا او مفعولا او تمييزا كان اهل مكة قالوا له عليه الصلاة والسلام اجعل بيننا وبينك قاضيا يفصل بين المحق منا والمبطل فأمره الله تعالى ان يجيبهم بذلك والحكم ابلغ من الحاكم لان الحكم لا يحكم الا بالعدل **﴿قوله وهو الذى انزل﴾** هذه الجملة فى محل النصب على الحال من فاعل ابتغى لما قالوا اجعل بيننا وبينك قاضيا انكر عليهم بأن قال كيف ابتغى حكما غير الله وقد حكم بنبوتى حيث خصنى بهذا الكتاب المفصل الكامل البالغ الى حد الاعجاز واى حاكم يبلغ فى الحكم والبيان ونصب الدليل الموجب للايقان والاذعان الى هذا الحد الذى هو بمنزلة العيان وايضا جعل الله التوراة والانجيل مشتملين على الآيات الدالة على نبوتى ورسالتى

(يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجنّ الى شياطين الانس او بعض الجنّ الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الاباطيل المموّهة من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له او مصدر فى موقع الحال (ولوشاء ربك) ايمانهم (ما فعلوه) اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة (فذرهم وما يفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبى عدوّا والمعتزلة لما اضطرّوا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل لهم يا محمد أفغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات

﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق﴾ تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم
مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو
متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم منزّل بالتشديد ﴿فلا تكوننّ من الممترين﴾
فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود
اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج
كقوله ولا تكن من المشركين او خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب الامة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان
الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى
لاحد ان يمترى فيه ﴿وتمت كلمات ربك﴾
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده
﴿صدقا﴾ فى الاخبار والمواعيد ﴿وعدلا﴾
فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز
والحال والمفعول له ﴿لا مبدّل لكلماته﴾
لا احد يبدّل شيأ منها بما هو اصدق واعدل
او لا احد يقدر ان يحرّفها شائعا ذائعا
كما فعل بالتوراة او على ان المراد بها القرآن
فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ
كقوله وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب
بعدها ينسخها ويبدّل احكامها وقرأ
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به
او القرآن ﴿وهو السميع﴾ لما يقولون
﴿العليم﴾ بما يضمرون فلا يهملهم ﴿وان
تطع اكثر من فى الارض﴾ اى اكثر الناس
يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل
الارض مكة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾
عن الطريق الموصل اليه فان الضال
فى غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال
﴿ان يتبعون الا الظنّ﴾ وهو ظنهم ان
آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم
الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
﴿وان هم الا يخرصون﴾ يكذبون على الله
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم
البحائر او يقدّرون انهم على شئ وحقيقته
ما يقال عن ظنّ وتخمين ﴿ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين﴾
اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة
فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لانه
فان افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر

وعلى كون القرآن كتابا سماويا منزلا من عند الله تعالى ونظيرها قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴿قوله او فى انه منزل﴾ اى من ربك بسبب جحود قومك اى لا يكون جحود قومك وكفرهم به سبب لامترائك فى كونه كتابا سماويا ولما كان ظاهر الكلام النهى عن الامتراء فى حقية القرآن وهذا لا يتصور من النبى صلى الله عليه وسلم فلا فائدة فى النهى عنه اجاب عنه بوجوه الاول ان تعلق الامتراء هو علم اهل الكتاب بحقية القرآن والثانى انه من باب التهييج والثالث انه عليه الصلاة والسلام خوطب بذلك لكونه امام امته والمراد نهى امته والرابع ان الخطاب ليس للنبى بل لعموم الناس والمعنى لما تظاهرت الدلائل فلا ينبغى ان يمترى فيه احد ﴿قوله بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده﴾ اشارة الى ان كلمات الله تتناول جميع ما تكلم به من اخباره واوامره ونواهيه ووعده ووعيده بالثواب والعقاب وان تمامها عبارة عن بلوغها الغاية فى كونها كافية فى بيان ما يحتاج اليه المكلفون الى يوم القيامة علما وعملا وفى كونها صدقا وعدلا فان جميع ما ورد فى القرآن العظيم منحصر فى نوعين الخبر والتكليف اما الخبر فالمراد به كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وصفاته الثبوتية والسلبية وكالخبر عن احكام الله تعالى فى الوعد والوعيد والثواب والعقاب وكالخبر عن احوال المتقدمين وعن الغيوب المستقبلة فان جميع ذلك داخل تحت الخبر واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهى صدر عنه تعالى وتعلق بالمكلفين من الجن والانس والملك واذا تقرر انحصار مباحث القرآن فى هذين القسمين فاعلم ان كلماته تعالى ان كانت من باب الخبر فقد بلغت فى الصدق الى ما لا يتوهم ما هو اصدق منها وان كانت من باب التكليف فقد بلغت فى العدالة الى ما لا يتوهم ما هو اعدل منها وان اريد بالكلمات نفس القرآن لا من حيث اشتماله على ما فيه من الاخبار والتكاليف يكون المعنى تم القرآن وبلغ الغاية فى كونه معجزا دالا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج مع نزوله الى معجز آخر صدقا فى اخباره وعدلا فى احكامه وذكر فى انتصاب صدقا وعدلا ثلاثة اوجه التمييز وكونهما مصدرين واقعين موقع الحال اى تمت الكلمات صادقات وعادلات والثالث كونهما مفعولا لهما اى تمت لاجل الصدق والعدل الواقعين فيها ﴿قوله اى ما تكلم به او القرآن﴾ يعنى ان الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كما يقال قال زهير فى كلمته اى فى قصيدته فكذلك كلمات الله تعالى كلمة واحدة من حيث انها كلام الله المنزل لهداية الخلق وكذا مجموع القرآن كلمة واحدة تدبر وارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى بين فى الآية السابقة ان القرآن معجز وذكر فى هذه الآية انه تمت كلمات ربك ﴿قوله يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى﴾ الظاهر انه اراد بالكفار من يضل بالاعتقاد الباطل فيما يتعلق بالالهيات والنبوات وامر المعاد وبالجهال من اضل بالاعتقاد الباطل فيما يتعلق بالاحكام كتحليل الميتة وتحريم البحائر والسوائب فان كل واحد من الفريقين وان صدق عليه انه كافر وجاهل الا ان لفظ الكفر قد غلب فى الاعتقاد الفاسد المتعلق باصول الدين ولفظ الجهل فى الاعتقاد الفاسد فى الفروع واتباع الهوى هم الذين يخالفون اهل السنة والجماعة بتأويل الكتاب والسنة على حسب هواهم كالمعتزلة والشيعة ونحوهما من اهل قبلتنا ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى ازال او لا شبهة من تردد فى صحة نبوته عليه الصلاة والسلام حيث امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم كيف تبتغون حكما غير الله وقد حكم بصحة نبوتى بما لا مزيد عليه ثم بين بهذه الآية انه بعد زوال الشبهة وظهور الحجة لا ينبغى للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال واهل الضلال فان اكثر اهل الارض ضال والضال فى غالب الامر لا يدعو الا الى ما فيه ضلال ﴿قوله وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم﴾ فالاتباع على الاول بمعنى التمسك وعلى الثانى بمعنى التدين فان دينهم الذى هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه من جهة برهان فيتدينون باعتقاد فاسد ﴿قوله وحقيقته﴾ اى حقيقة الخرص اللغوى الخرص حزر ما على النخل من الرطب ثم الحزر التقدير والخراص الكذاب ﴿قوله فان افعل﴾ اى افعل التفضيل لا يعمل فى الظاهر الا عند الكوفيين فان افعل يعمل عمل الفعل عندهم ولا يعمل عند غيرهم لا رفعا ولا نصبا لعدم كونه بمعنى الفعل لان الفعل لا يدل على التفضيل وقوله فى مثل ذلك احتراز عن مثل قولهم ما رأيت رجلا احسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد فان احسن قد رفع الكحل لكونه بمعنى حسن فانه بمعنى قولك ما رأيت رجلا حسن فى عينه الكحل مثل حسنه فى عين زيد فانه يعمل فى الظاهر اذا كان بحسب اللفظ جاريا على شئ وهو فى المعنى صفة لامر آخر متعلق بذلك الشئ بحيث يكون ذلك الامر مفضلا باعتبار ذلك الشئ ومفضلا على نفسه باعتبار غير ذلك الشئ فان

(احسن)

احسن في المثال المذكور جار على رجل وهو في المعنى صفة للمحل المتعلق به والمحل مفضل باعتبار الرجل ومفضل على نفسه باعتبار غير الرجل وهو عين زيد ﴿ **قوله** او مجرورة باضافة اعلم اليه ﴾ ولا يجوز ذلك على قراءة يضل بفتح حرف المضارعة لان افعل التفضيل اذا قصد به الزيادة على من اضيف اليه لا يضاف الا الى ما يكون الموصوف بافعل منهم نحو زيد افضل الناس فلا يجوز يوسف احسن اخوته لان الموصوف باحسن ليس من اخوة يوسف لخروجه عنهم باضافتهم اليه فاذا قلت زيد اعلم الضالين لزم ان يكون زيد من الضالين فلو جعل اعلم مضافا الى من يضل بفتح الياء لافهم كونه تعالى من جملة الضالين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بخلاف ما اذا قرئ يضل بضم الياء فانه يجوز ان يجعل اعلم مضافا حينئذ لعدم لزوم ذلك المحذور ﴿ **قوله** مسبب عن انكار اتباع المضلين ﴾ يعني ان الفاء في قوله تعالى فكلوا مما جواب شرط مقدر اي ان تهيتم عن اتباع المضلين وكنتم بآيات الله مؤمنين فكلوا مما ذكر عليه اسم الله ولا تأكلوا الميتة فانها لم تذبح على اسم الله فانهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوه مما قتلتموه انتم فتحلون ما حرم الله كما انهم يحرمون البحائر والسوائب وقد احلها الله تعالى * قال الامام فان قيل ان المشركين كانوا يبيحون اكل ما ذبح على اسم الله ولا ينازعون فيه وانما النزاع في انهم كانوا يبيحون اكل الميتة والمسلمون كانوا يحرمونها واذا كان كذلك كان ورود الامر باباحة ما ذكر اسم الله عليه عبثا لانه يقتضي اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فاجاب عنه بقوله لعل القوم كانوا يحرمون المذكاة ويبيحون اكل الميتة فالله تعالى رد عليهم في الامرين فحكم بحل المذكاة بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبتحريم الميتة بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ثم قال ويجوز ان يحمل قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه على ان المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه فيكون المعنى على هذا الوجه تحريم اكل الميتة فقط انتهى كلامه فيكون قوله تعالى وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه بمعنى ان لا تجعلوا اكلكم مقصورا عليه والمصنف اختار هذا الجواب حيث قال والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه لان الجواب الاول بعيد جدا ﴿ **قوله** وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل ﴾ اي قرأوا فصل وحرم على البناء للمفعول فيهما بناء على ان قوله تعالى حرمت عليكم الميتة تفصيل لما اجمل في هذه الآية فلما وجب في التفصيل ان يقال حرمت على بناء المفعول وجب ذلك ايضا في المجمل وهو قوله فصل لكم ما حرم عليكم وهو مالك الاعيان ومبين الحلال والحرام وقرأ نافع وحفص عن عاصم فصل لكم ما حرم عليكم على بناء الفاعل فيهما اي فصل الله ما حرم عليكم باسناد كل واحد من الفعلين الى ضمير الجلالة المذكورة في قوله مما ذكر اسم الله عليه وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم فصل على بناء الفاعل وحرم على بناء المفعول على وفق قوله تعالى قد فصلنا الآيات وقوله حرمت عليكم الميتة قال اكثر المفسرين المراد بالتفصيل المذكور بقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم ما ذكر في اول سورة المائدة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية وفيه اشكال وهو ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزله الله تعالى في المدينة وقوله فصل يقتضي ان يكون التفصيل سابقا على هذه الحكاية والمدني متأخر عن المكي فكيف يصح ان يجعل عليه بلفظ الماضي * قال الامام والاولى ان يقال المراد بالتفصيل المحكي عنه بلفظ الماضي ما ذكر بعد هذه الآية بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الآية وهي وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا ان هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد خصوصا ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة باجماع المفسرين فيكون التفصيل متقدما بالنسبة الى زمان تبليغ جبريل عليه الصلاة والسلام هذه الآية ﴿ **قوله** مما حرم عليكم ﴾ بيان لما اضطررتم اشارة الى ان الاستثناء متصل والمستثنى منه ما حرم على ان ما مصدرية بمعنى المدة اي وقد فصل لكم الاشياء التي حرمت عليكم في جميع الاوقات الا وقت الاضطرار اليها وان جعلت موصولة تعين ان يكون الاستثناء منقطعا لان ما اضطر اليه حلال فلا يدخل تحت ما حرم عليهم الا ان يقال المراد بما حرم جنس ما حرم مع قطع النظر عن كونه حلالا او محرما فحينئذ لا يكون الاستثناء منقطعا لان ما اضطر اليه داخل في ذلك الجنس ﴿ **قوله** ما يعلن به وما يسر الخ ﴾ يعني ان المراد بالاثم ما يوجب الاثم وهو المعاصي كلها الا انه يحتمل ان يراد بظاهر الاثم ما يعلن منه وباطنه ما يسر سواء كان ذلك الاثم من اعمال القلوب او الجوارح ويحتمل ان يراد بظاهره ما يعمله الانسان بجوارحه وباطنه ما ينوي به ويقصده بقلبه وما يكون من افعال القلوب خاصة وقيل ظاهر الاثم الاعلان بالزنى

او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه (وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح (باهوائهم بغير علم) بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم (ان ربك هو اعلم بالمعتدين) بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) ما يعلن به وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الاخدان (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يكتسبون

وباطنه الاستسرار به وكانت العرب يحبون الزنى وكان الشريف يستتر به باتخاذ الاخدان وغير الشريف لايبالى به فيظهره فيزنى فى الحوانيت قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا ما كان سرا فحرم الله تعالى بهذه الآية السر منه والعلانية والاول اصح لان تخصيص اللفظ العام بصورة معينة من غير دليل غير جائز فيكون نهيا عاما عن جميع المحرمات واعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وهما قوله تعالى فكلوا ولاتأكلوا لما بين الله تعالى تفصيل المحرمات اتبعه بايجاب تركها بالكلية وعلى تقدير ان يكون المراد بظاهر الاثم وباطنه الاعلان بالزنى والاستسرار به يكون قوله تعالى وذروا معطوفا على قوله فكلوا وداخلا فى التسبب من انكار اتباع المضلين فى تحريم الحلال وتحليل الحرام ﴿ قوله ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا ﴾ والآية عامة فى جميع المأكولات والمشروبات ولهذا ذهب عطاء الى ان كل مالم يذكر اسم الله عليه من طعام اوشراب فهو حرام واما سائر الفقهاء فقد اجمعوا على تخصيصه بالحيوان الذى زالت حياته فهو منحصر فى ثلاثة اقسام لان مازال حياته ولم يذكر عليه اسم الله اما ان لايكون مذبوحا وهو الميتة واما ان يكون مذبوحا ثم انه لايخلو من ان يذكر عليه اسم غير الله او لايذكر عليه اسم الله ولا اسم غير الله ولا خلاف فى حرمة القسمين الاولين وانما الخلاف فى القسم الثالث وهو الحيوان الذى ذبحه اهل الذبح ولم يسم عليه اصلا ففيه ثلاثة اقوال الاول انه حرام مطلقا نظرا الى عموم الآية للاقسام الثلاثة والثانى انه حلال مطلقا وعليه الامام الشافعى فانه ذهب الى حل متروك التسمية سواء تركت عمدا او خطأ اذا كان الذابح اهلا للذبح وخصص الآية بالقسمين الاولين اى الميتة وماذبح على غير اسم الله بناء على ان التسمية على ذكر المؤمن وفى قلبه مادام مؤمنا فلا يتحقق منه عدم الذكر فلا يحرم من ذبيحته الاما اهل به لغير الله ولانه تعالى جعل اكل مالم يذكر اسم الله عليه فسقا حيث قال وانه لفسق وقد اجمع المسلمون على انه لايفسق بأكل ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية اذ لايفسق المرء بفعل ماهو فى محل الاجتهاد فدل ذلك على ان المراد بمالم يذكر اسم الله عليه احد القسمين الاولين ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فان مجادلتهم انما كانت فى مسألتين مسألة الميتة حيث قالوا للمسلمين ماقتله الصقر والكلب تأكلونه وما يقتله الله فلا تأكلونه ومسألة ماذبح على اسم غير الله من الاصنام حيث قالوا للمسلمين لكم آله ولنا آلهة ونحن نأكل مانذبحون على اسم آلهتكم فلا تأكلون مانذبحه على اسم آلهتنا فلما لم تكن مجادلتهم الا فى القسمين الاولين دل ذلك على خصوص النهى بهما ويدل عليه ايضا قوله تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون وانما يكفر الانسان لو اطاع الكفار فى اباحة الميتة او المذبوح على اسم الصنم لا فى اكل متروك التسمية والقول الثالث انه حرام ان ترك اسم الله عمدا وحلال ان ترك سهوا واليه ذهب ابو حنيفة فانه قال الآية عامة للاقسام الثلاثة دالة على حرمتها الا ان متروك التسمية بالنسيان خارج عنها لوجهين احدهما ان الضمير فى قوله وانه لفسق يرجع الى ترك التسمية وهو الاقرب فالاولى رجوع الضمير اليه ولاشك ان اهمال التسمية انما يكون فسقا اذا كان عمدا لان الناسى خارج غير مكلف فيكون المعنى ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه عمدا فيكون التارك الناسى خارجا عن الآية وثانيهما انه عليه الصلاة والسلام سئل عن ترك التسمية نسيانا فقال «كلوه فان تسمية الله تعالى فى قلب كل مؤمن» فانه عليه الصلاة والسلام لم يجعل الناسى تاركا حيث جعل تسمية الله تعالى فى قلب كل مؤمن ولم يلحق به العامد لانه لما ترك التسمية عامدا صار كأنه نفى مافى قلبه وهذا وجه قول المصنف وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان الا ان الموجود فى اكثر النسخ واول بالميتة او بماذكر غير اسم الله عليه والظاهر انه غلط من الناسخين لان من ذهب الى تخصيص قوله تعالى مالم يذكر اسم الله عليه ليس اباحنيفة وحده بل الذاهبون الى التخصيص هم الائمة المالكية والشافعية والحنفية الا انهم اخرجوا العامد والناسى جميعا عن عموم الآية ولم يخرج ابو حنيفة الا الناسى بأن جعله فى حكم الذاكر فلا يصح ان يقال انه اول الآية بأحد القسمين الاولين لانه عمل بعمومها للاقسام الثلاثة وان كلمة او ليست فى موقعها لان المقام مقام الواو الجامعة لان كل واحد من القسمين مراد بالآية عندهم ﴿ قوله والضمير له ﴾ اى ضمير انه يرجع الى الموصول على تأويلين احدهما انه يجعل الموصول نفس الفسق مبالغة وثانيهما بتقدير المضاف اى وان اكله لفسق ولما جاز ان يرجع الى الاكل المدلول عليه بقوله ولاتأكلوا جاز ايضا ان يرجع الى عدم الذكر المدلول عليه بقوله مالم يذكر وقوله تعالى ليجادلوكم متعلق بيوحون اى يوحون لاجل مجادلتكم قيل المراد من الشياطين هنا ابليس وجنوده وهم وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا

(ولاتأكلوا ممالم يذكر اسم الله عليه) ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بماذكر اسم غيره عليه لقوله (وانه لفسق) فان الفسق مااهل لغير الله به والضمير له ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا (وان الشياطين ليوحون) ليوسوسون (الى اوليائهم) من الكفار (ليجادلوكم) بقولهم تأكلون ماقتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة (وان اطعتموهم) فى استحلال ماحرم (انكم لمشركون) فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى

صلى الله عليه وسلم واصحابه فى اكل الميتة واكل ماذكر عليه غير اسم الله وقيل المراد بالشياطين مردة المجوس وباوليائهم مشركوا قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ومراسلة ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان مايذبحونه حلال وان مايذبحه الله تعالى حرام فجادل قريش بذلك اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوقع فى انفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت الآية اى وهى قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى وان مجوس فارس يوسوسون الى اوليائهم قريش ليجادلوكم فى حق الميتة ﴿ قوله مثل به من هداه الله ﴾ اى الى الايمان والتوحيد وانقذه من ظلمة الكفر وجهالة الاشراك يعنى ان قوله تعالى اومن كان ميتا فأحييناه استعارة تمثيلية اذلا ذكر للمشبه صريحا ولادلالة حتى يكون من باب التشبيه دون الاستعارة وهذا كما تقول فى الاستعارة الافرادية أيكون الاسد كالثعلب اى الشجاع كالجبان فكذا فى الآية شبه المؤمن المهتدى بنور الحجج والآيات الى حياة المعرفة والايمان بمن كان ميتا فجعل حيا واعطى نورا يهتدى به فى مصالحه فاطلق عليه التركيب المستعمل فى المشبه به فقيل أفمن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس فجعل القلب الخالى عن العرفان والايمان بمنزلة الميت وجعل نفس العرفان والايمان بمنزلة الحياة له وجعلت الحجج والآيات المؤدية الى الايمان بمنزلة النور الذى يهتدى به الى المطالب كما شبه الكافر المصرّ على الكفر والضلال بمن استقر فى وادمظلم احاطت به الظلمة من جميع جوانبه فبقى متحيرا لاخلاص منها ﴿ قوله وقرأ نافع ويعقوب ميتا ﴾ اى بتشديد الياء على الاصل والباقون بالتخفيف ومن فى قوله تعالى اومن كان ميتا مبتدأ وكمن خبره وهى موصولة ومثله فى الظلمات جملة اسمية وقعت صلة للموصول وليس بخارج منها حال من المستكنّ فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل بينه وبين الحال بالخبر والمعنى أهو كالذى صفته انه مستقر فى الظلمات حال كونه مقيما فيها لايفارقها بحال واستقراره فى الظلمات على الوجه المذكور صفة عجيبة الشأن فلذلك شبه بالمثل وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده فاطلق عليه لفظ المثل واطلاق المثل على الصفة العجيبة الشأن كثير قال تعالى ولله المثل الاعلى وقال مثل الجنة التى وعد المتقون ﴿ قوله كما زين للمؤمن ايمانه ﴾ زينه الله له فاختاره على الكفر والضلال فقضاه الله تعالى له فى الازل وخلقه فيه وقت اختياره اياه فأحياه به والكاف فيه صفة مصدر محذوف اى زينا للكافر تزيينا مثل مازينا للمؤمن ايمانه فأحييناه به والفاعل المزين للفريقين هو الله تعالى عند اهل السنة لماسبق من ان الفعل يتوقف على حصول الداعى وحصوله لابدّ وان يكون بخلق الله تعالى والداعى عبارة عن العلم او الظن باشتمال ذلك الفعل على نفع زائد وصلاح راجح فهذا الداعى لامعنى له الاهذا التزيين فاذا كان موجد هذا الداعى هو الله تعالى كان المزين لامحالة هو الله تعالى وصح ان يسند التزيين الى الشيطان باعتبار وسوسته والى الكفار باعتبار دعوتهم اليه وترغيبهم فيه والى الله تعالى باعتبار قضائه وخلقه لنفس الفعل ومايدعو اليه من دواعيه ﴿ قوله والآية نزلت فى حمزة وابى جهل ﴾ روى عن ابن عباس ان اباجهل رمى النبى صلى الله عليه وسلم بفرث والفرث السرجين مادام فى الكرش فأخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من الصيد وبيده قوس وكان يومئذ لم يؤمن بعد فلق اباجهل فضرب رأسه بقوسه فقال ابو جهل اماترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا فقال حمزة وانتم اسفه الناس تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا رسوله فنزلت هذه الآية * وعن مقاتل انها نزلت فى النبى صلى الله عليه وسلم وابى جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان اى صرنا كالفرسين المعدّين للمراهنة على المسابقة والمراهنة المخاطرة والرهن هو الجعل المعطى للسابق قالوا منانبى يوحى اليه والله لانؤمن به حتى يأتينا وحى كما يوحى اليه فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى عمر بن الخطاب وابى جهل وكانا جميعا يؤذيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا النبى صلى الله عليه وسلم لاحدهما فاستجيب له فى عمر رضى الله عنه ﴿ قوله ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى ﴾ والتقدير جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا فيها فيتعلق الجار بنفس الفعل الذى قبله عن الزجاج انه قال انما جعل المجرمين اكابر لانهم لاجل رياستهم اقدر على المكر والغدر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم وجعل الكاف فى قوله وكذلك للتشبيه فكان المعنى كما جعلنا فى مكة مجرميها اكابر ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية مجرميها اكابر ليمكروا فيها قال الواحدى فى تفسير الآية يعنى كما ان فساق مكة اكابرها كذلك جعلنا فساق كل قرية اكابرها ورؤساءها

﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس﴾ مثل به هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والصدق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل ﴿كمن مثله﴾ صفته وهو مبتدأ خبره ﴿فى الظلمات﴾ وقوله ﴿ليس بخارج منها﴾ حال من المستكنّ فى الظرف لامن الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لايفارقها بحال ﴿كذلك﴾ كما زين للمؤمن ايمانه ﴿زين للكافرين ماكانوا يعملون﴾ والآية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر او عمار وابى جهل ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾ اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم ﴿وما يمكرون الا بأنفسهم﴾ لان وباله يحيق بهم ﴿وما يشعرون﴾ ذلك

المترفين ويجوز ان يكون فى كل قرية مفعولا ثانيا قدم على الاول واكابر هو الاول ومجرميها بدلا من اكابر ويجوز ان يكون مجرميها مضافا اليه لاكابر بأن يكون فى كل قرية متعلق بجعلنا بمعنى مكنا واكابر مجرميها مفعوله ولا يجوز ان يكون الجعل حينئذ بمعنى التصيير لانه يقتضى مفعولين وعلى تقدير الاضافة لا يبقى للفعل مفعول ثان فلا يتم المعنى لانك اذا قلت جعلت زيدا وسكت لم يفد الكلام حتى تقول رئيسا او ما اشبه ذلك وهذا وجه قوله ان فسرنا الجعل بالتمكين وليت شعرى انه لم لا يجوز على تقدير الاضافة ان يكون الجعل بمعنى التصيير ويكون قوله فى كل قرية مفعولا ثانيا قدم على الاول ويكون اكابر مجرميها مفعولا اولا مؤخرا كما جاز ذلك فى قوله تعالى وجعلوا لله شركاء فيكون المعنى جعلنا مستقرا فى كل قرية رؤساءها فساقها واى حاجة الى ان يكون الجعل بمعنى التمكين حينئذ وقوله تعالى ليمكروا فيها يدل على انه تعالى انما جعلهم بهذه المثابة لانه اراد منهم ان يمكروا بالناس فهذا يقتضى ان يكون الخير والشر كلاهما بارادة الله تعالى قال مجاهد طريق مكرهم انهم اجلسوا على طريق من طرق مكة اربعة ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويخبروهم انه شاعر كاهن ونحو ذلك ثم انه تعالى لما بين ان فساق كل قرية يكونون رؤساءها المتميزين بكثرة المال والجاه بين ما كان من رؤساء مكة من الجرم والفسق وهو انه متى ظهرت لهم معجزة قاهرة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن ولن نصدق حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام ويخبرنا ان محمدا صادق فيما ادعاه وذلك يدل على انهم انما اصروا على الكفر لتوغلهم فى الحسد والتكبر لا لطلب الحق والبرهان والا فطريق العرفان ليس منحصرا فى ان يأتى كل واحد منهم وحى على حدة وقال الضحاك اراد كل واحد من اكابر مكة ان يخص بالوحى والرسالة كما اخبر الله تعالى عنهم فى قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة * وروى ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر منك مالا ولذا نزلت الآية * قال الامام قوله تعالى لن نؤمن به حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله فيه قولان الاول وهو المشهور ان القوم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت لمحمد صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لا تابعين والقول الثانى ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله كما قال مشركوا العرب لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اى كتابا من الله الى ابى جهل والى فلان وفلان على حدة وعلى هذا فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ان تأتيهم آيات قاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين كى تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال المحققون والقول الاول اقوى لان قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته لا يليق الا بالقول الاول وصاحب التيسير لم يذكر الا القول الاول ثم قال ومن نهاية السفه ان يقال لرجل آمن فيقول لا اؤمن حتى يجعلنى الله نبيا ﴿قوله يوم القيامة﴾ اشارة الى ان قوله تعالى عند الله منصوب بقوله سيصيب فتكون العندية مجازا عن حشرهم يوم القيامة بحيث استكبروا عن طاعته عليه الصلاة والسلام والايمان به ولما كان الحامل على تمردهم وعنادهم طلب العز والكرامة بين الله تعالى انه يعاملهم بضد مطلوبهم وهو الخزى العظيم والعذاب الاليم ﴿قوله ويفسح فيه مجاله﴾ عطف تفسير لقوله فيتسع له اى يفسح فى الصدر موضع جولان الاسلام يقال فسح المكان اى اتسع ويقال شرح الله صدره فانشرح اى وسع صدره لقبول الخير فتوسع وقيل الشرح الفتح والشرح البيان ايضا ولما امتنع ان يحمل توسيع الصدر على المعنى الحقيقى جعله المصنف كناية عن جعل النفس قابلة مهيأة لحلوله فيها مصفاة عن ما يمنعه وينافيه وتوضيحه ان قدرة العبد صالحة للضدين لا يترجح احد الضدين على الآخر بمجرد تلك القدرة والا لزم ترجيح احد المتساويين على الآخر بلا مرجح فلا بد ان يحصل فى القلب داعية يميل القلب بسببها الى احد الطرفين وتلك الداعية لا معنى لها الا العلم او الظن بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومنفعة راجحة فاذا حصل هذا المعنى فى القلب دعاه ذلك المعنى الى فعل ذلك الشئ وان حصل فى القلب العلم او الظن بأن ذلك الفعل مشتمل على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وقد ثبت بالدليل ان حصول هذا الداعى لا بد ان يكون من الله تعالى والا لزم التسلسل وان مجموع القدرة مع الداعى يوجب الفعل اذا ثبت هذا فنقول يستحيل ان يصدر الايمان عن العبد الا اذا خلق الله فى قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة زائد المصلحة واذا حصل فى القلب هذا الاعتقاد مال القلب الى الايمان وحصل فى النفس رغبة شديدة فى تحصيله وهذا هو

﴿واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله﴾ يعنى كفار قريش لما روى ان ابا جهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت ﴿الله اعلم حيث يجعل رسالاته﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته ﴿سيصيب الذين اجرموا صغار﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم ﴿عند الله﴾ يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله ﴿وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم ﴿فمن يرد الله ان يهديه﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان ﴿يشرح صدره للاسلام﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه

انشراح الصدر للايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مثلا واذا حصل فى القلب انه سبب لمفسدة العظيمة فى الدين والدنيا وانه يوجب المضار الكثيرة فعند هذا ينفر القلب عنه نفرة شديدة وهذا هو المراد من انه تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا فصار تقدير الآية من اراد الله منه الايمان قوّى صوارفه عن الكفر ودواعيه الى الايمان وجعل قلبه قابلا لحلول الايمان مهيأ لتحليه به صافيا خاليا عما يمنعه وينافيه ومن اراد منه الكفر قوّى صوارفه عن الايمان وقوّى دواعيه الى الكفر ﴿قوله واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه﴾ قيل لما نزلت هذه الآية سئل النبى صلى الله عليه وسلم بأن قيل له كيف يشرح الله الصدر فقال عليه الصلاة والسلام يقذف نورا فيه حتى يفسح وينشرح فقيل له هل لذلك من امارة الخ ووجه كونه اشارة الى ما ذكر من ان شرح الصدر كناية عن تقوية الدواعى وتهيئة القلب لقبول الايمان وحلوله فيه انه عليه الصلاة والسلام عبر عما خلقه الله تعالى فى القلب من اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة زائد المصلحة بالنور المقذوف فى القلب وجعل النفرة عن الدنيا والرغبة فى الآخرة امارة لخلق تلك الداعية فى القلب وقذف ذلك النور فيه لان من آمن بالله ورسوله وكتابه يعلم يقينا ان الحياة الدنيا لعب ولهو سريعة الزوال وان الآخرة هى دار القرار وان منفعة الدنيا ليست الا ان يتوسل بها الى تحصيل الحياة الابدية فلا جرم يتجافى عن دار الغرور ويتقوى رغبته فى دار الخلود ويستعد للموت قبل نزوله ﴿قوله وقرأ ابن كثير ضيقا﴾ اى بسكون الياء والباقون بتشديد الياء المكسورة وكلاهما بمعنى نحو سيد وسيد وميت وميت بأن يكون اصل الكلمة التشديد ثم خففت ويحتمل ان يكون الضيق بفتح الضاد وسكون الياء مصدر ضاق يضيق مثل باع يبيع بيعا ووصف به الصدر على احد الاوجه الثلاثة المذكورة فى المصدر الواقع وصفا للجثة نحو رجل عدل وهو حذف المضاف او المبالغة او وقوعه موقع اسم الفاعل اى يجعل صدره ذا ضيق او ضائقا او نفس الضيق مبالغة وحرجا بفتح الراء وكسرها هو المتزايد فى الضيق فهو اخص من الاول فكل حرج ضيق من غير عكس فعلى هذا المفتوح والمكسور بمعنى واحد يقال رجل حرج وحرج وفرق الزجاج والفارسى بينهما فقال المفتوح مصدر والمكسور اسم فاعل واختاره المصنف حيث جعل المفتوح مصدرا وصف به على احد الاوجه الثلاثة المتقدمة ونصبه على القرآئتين اما على أنه صفة لضيقا واما على انه مفعول ثان لجعل وقد تعدد المفعول كما تعدد خبر المبتدأ فكما جاز تعدد الخبر قبل دخول نواسخ الابتداء عليه فكذا يجوز تعدده بعد دخولها وما فى قوله تعالى كأنما يصعد كافة مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية كهى فى قوله انما توفون ﴿قوله وقرأ ابن كثير يصعد﴾ اى بسكون الصاد وتخفيف العين مضارع صعد اى ارتفع وابو بكر عن عاصم يصاعد بتشديد الصاد وبعدها الف اصلها يتصاعد اى يتعاطى الصعود ويتكلفه فادغم التاء فى الصاد تخفيفا والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين دون الف بينهما مضارع تصعد اى تكلف الصعود والاصل يتصعد فادغم كما فى قرآءة شعبة وهذه الجملة التشبيهية يحتمل ان تكون مستأنفة شبه بها اى بايرادها حال من يجعل الله صدره ضيقا حرجا بحال من يطلب الصعود الى السماء المظلة او الى مكان مرتفع وعر كالعقبة الكؤود بمعنى انه فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه كما ان صعود السماء لا يستطاع فكذا الاسلام بالنسبة اليه والمعنى يشق عليه الايمان كما يشق عليه الصعود الى السماء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير المستكن فى ضيقا او حرجا قال الامام فى كيفية هذا التشبيه وجهان الاول كما ان الانسان اذا كلف الصعود الى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم وقعه عليه وقويت نفرته عنه فكذلك الكافر يثقل عليه الايمان وتعظم نفرته عنه والثانى ان يكون التقدير ان قلبه يتباعد عن الاسلام ويتقاعد عن قبول الايمان فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الارض الى السماء ﴿قوله كما يضيق صدره﴾ اشارة الى ان الكاف فى قوله تعالى كذلك تفيد تشبيه شئ بشئ وانما ههنا التشبيه جعله الرجس عليهم بجعله اياهم ضيق الصدر اى كما يجعل صدورهم ضيقة يجعل الرجس عليهم ﴿قوله وهو حال مؤكدة﴾ اى ليست قيدا يتقيد بها عاملها ويتبين بها هيئة تعلق العامل بذى الحال كالمنتقلة بل هى امر لازم لمضمون الجملة التى قبلها فصار مضمون الحال كأنه عين مضمون الجملة المتقدمة مؤكدة له كالتصديق فانه لازم لحقية القرآن وكذا الاستقامة فانها لازمة للمشار اليه من صراط الله تعالى فصارت كل واحدة منهما كأنها عين مضمون ما قبلها مؤكدة له فجعلت مؤكدة له بهذا الاعتبار الا ان الصراط ان كان بمعنى العادة والطريقة جاز ان يجعل مستقيما حالا مقيدة لان العادة لا يلزم كونها مطردة فقوله الطريق الذى ارتضاه الله ناظر الى كون هذا اشارة الى البيان او الاسلام وقوله او عادته ناظر الى كونه اشارة الى التوفيق والخذلان

واليه اشار عليه الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر (كأنما يصعد فى السماء) شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوّا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد (كذلك) اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق (يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يجعل العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل (وهذا) اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان (صراط ربك) الطريق الذى ارتضاه الله او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته (مستقيما) لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة

﴿قوله تعالى قد فصلنا الآيات﴾ اى ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر لقوم يتعظون بها وقوله لهم دار السلام يحتمل ان يكون جملة مستأنفة فلا محل لها كأن سائلا سأل عما اعد الله لهم فقيل لهم ذلك ويحتمل ان يكون حالا من فاعل يذكرون اى حالا مقدرة و يحتمل ان يكون وصفا لقوم و عند ربهم حال من دار السلام و العامل فيها الاستقرار فى لهم و العندية اما كناية عن وعدها و التكفل بها او عن ادخارها و ان ذلك المدخر لا يعلم كنهه الا الله تعالى لان معنى العندية القرب و معلوم ان ذلك القرب ليس بالمكان و الجهة بل بالشرف و العلو و الرتبة فلا يعرف العباد كنهه ﴿قوله او متوليهم﴾ عطف على قوله مواليهم بمعنى محبهم يعنى ان الولى ان كان بمعنى المحب او الناصر كان الباء للسببية اى يحبهم و ينصرهم بسبب اعمالهم و ان كان بمعنى متولى الامور و المتصرف فيها فالباء للملابسة اى متولى امورهم و متكفل بمصالحهم متلبسا بجزآء اعمالهم على حذف المضاف و هو الجزآء قال الحسن بن الفضل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق و فى الآخرة بالجزآء ﴿قوله نصب باضمار اذكر﴾ فقوله يا معشر الجن على هذا الوجه فى موضع الحال بتقدير القول اى و اذكر يوم نحشرهم قائلين يا معشر الجن و ان جعل الظرف منصوبا بالقول المضمر فلا يحتاج الى تقدير عامل آخر ليعمل فى جملة النداء و التقدير و نقول يوم نحشرهم جميعا يا معشر الجن فعلى هذا التقدير يكون القائل هو الله تعالى كما انه هو الحاشر لجميعهم و روى عن الزجاج انه قال تقدير الكلام و يوم نحشرهم جميعا يقال لهم يا معشر الجن فقدر العامل فيهما القول المبنى للمفعول حتى يكون القائل غير الحاشر لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار بدليل قوله تعالى فى حق الكفار و لا يكلمهم الله و لا ينظر اليهم فقوله يا معشر الجن على هذا التقدير فى محل الرفع لقيامه مقام الفاعل و قرأ حفص و يوم يحشرهم بياء الغيبة باسناد الفعل الى ضمير الرب فى قوله تعالى عند ربهم و الباقون بالنون لما ذكر الله تعالى ان الذكر بين المتعظين بالقرآن و آياته لهم دار السلام عند ربهم بين حال اضدادهم بقوله و يوم نحشرهم جميعا الآية لتكون قصة اهل الجنة مردوفة بقصة اهل النار و ليكون الوعيد مذكورا بعد الوعد و المعشر الجماعة التى تضبطهم جهة واحدة و حصل بينهم معاشرة و مخالطة و يجمع على معاشر ﴿قوله اى من اغوآئهم﴾ قدر المضاف لان الجن لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس لان القادر على ايجاد الجسم و احيائه و تكميله بالعقل و سائر القوى ليس الا الله فوجب ان يكون المعنى قد اضللتم خلقا كثيرا من الانس او كثرتم الاتباع من الانس حيث اتبعوكم فى الدنيا و حشروا معكم فى العقبى و هذا تبكيت الجن و توبيخهم على اضلال الانس و اغوآئهم و يتضمن تبكيت الانس على اتباعهم الجن و القبول منهم فلما بكت كل واحد من الفريقين حكى الله تعالى جواب الانس بقوله و قال اولياؤهم اى اولياء الشياطين الذين اطاعوهم حال كونهم من الانس و يجوز ان يكون من الانس لبيان جنس الاولياء لان اولياء الشياطين جنسان انس و جن و التقدير و قال اولياؤهم الذين هم من الانس اعترافا باتباعهم الشهوات و تضييع اعمارهم فى الانهماك باستيفاء اللذات الفانية و الحظوظ العاجلة ربنا استمتع بعضنا ببعض اى استمتع الانس بالجن و الجن بالانس اما انتفاع الانس بالجن فمن حيث ان الجن كانوا يدلونهم على انواع الشهوات و ما يتوصل به اليها و يسهلون طريق تحصيلها عليهم و اما انتفاع الجن بالانس فمن حيث ان الانس اطاعوهم و لم يعصوا سعيهم و الرئيس المطاع ينتفع بانقياد اتباعه له و قيل استمتاع الانس بهم ان الرجل كان اذا سافر و امسى بارض قفر و خاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن و اما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسان اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منه للجن و ذلك ان الانس كانت تقول للجن قد سدتم الانس فالجن تنتفع باعتراف الانس بسيادتهم و رياستهم و قدرتهم على اجارتهم اياهم و الاجارة الانقاذ و التخليص يقال اجاره الله من العذاب اى انقذه و فى الدعاء اللهم اجرنا من النار و الدليل على صحة هذا الوجه قوله تعالى و انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن و لم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى قد استكثرتم من الانس يأباه لان من يقول من الانس اعوذ بسيد هذا الوادى قليل و قيل قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض كلام الانس خاصة يقولون استمتع بعضنا ببعض آخر منا لان استمتاع الانس بالجن و بالعكس امر قليل نادر لا يكاد يظهر و اما استمتاع بعض الانس ببعض فهو امر ظاهر شائع فوجب حمل الكلام عليه و لم يلتفت المصنف اليه لان الكلام بهذا المعنى لا يصلح جوابا للتبكيت المذكور ﴿قوله منزلكم او ذات مثواكم﴾ الاول على ان يكون المثوى اسم مكان بمعنى مكان الاقامة و الثانى على ان يكون مصدرا ميميا و لما لم يصح حمل الاقامة

(قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) فيعلمون ان القادر هو الله تعالى و ان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه و خلقه و انه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم (لهم دار السلام) دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام (عند ربهم) فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره (و هو وليهم) مواليهم او ناصرهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او متوليهم بجزآئها فيتولى ايصاله اليهم (و يوم نحشرهم جميعا) نصب باضمار اذكر او نقول و الضمير لمن يحشر من الثقلين و قرأ حفص عن عاصم و روح عن يعقوب يحشرهم بالياء (يا معشر الجن) يعنى الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اى من اغوآئهم و اضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود (و قال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات و ما يتوصل به اليها و الجن بالانس بان اطاعوهم و حصلوا مرادهم و قيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز و عند المخاوف و استمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (و بلغنا اجلنا الذى اجلت لنا) اى البعث و هو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان و اتباع الهوى و تكذيب البعث و تحسر على حالهم (قال النار مثواكم) منزلكم او ذات مثواكم (خالدين فيها) حال و العامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا و معنى الاضافة ان جعل مكانا

على النار قدّر المضاف اى النار ذات اقامتكم واسم المكان لما لم يعمل عمل الفعل لكونه ليس فيه معنى الفعل جعل ناصب الحال معنى الاضافة ﴿ قوله الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير ﴾ فقد روى انهم يقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير مايميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون من العوى يقال عوى الكلب اى صاح ويطلبون الردّ الى الجحيم فيكون قوله الا ماشاء الله مستثنى من مضمون الجملة التى قبله وهى قوله النار مثواكم خالدين فيها كأنه قيل يخلدون فى عذاب النار الأبد كله الا اوقات مشيئة الله تعالى ان ينقلوا من النار على ان ما فى قوله الا ماشاء الله مصدرية ويقدّر مضاف كما فى آتيك خفوق النجم ﴿ قوله وقيل الا ماشاء قبل الدخول ﴾ اى قيل أنه مستثنى متصل من مضمون ماقبله ايضا الا ان المستثنى من اوقات الخلود ليس الأوقات الواقعة بعد دخول النار ليفهم خروج الكفار من النار وعلى التقديرين لايستلزم قوله الا ماشاء الله خروج الكفار من النار وعدم خلودهم فيها بل الاوقات الواقعة بعد الحشر قبل الدخول وهو وقت المحاسبة فان اولياء الشياطين من الانس لما اعترفوا يوم الحشر والحساب بما فعلوا من استمتاع بعضهم ببعض اجيبوا فى ذلك الوقت بأن قيل لهم النار مثواكم خالدين فيها ولزم منه ان تكون النار موضع اقامتهم من ذلك الوقت الى الابد فاستثنى ماقبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا وقت امهالكم الى وقت الادخال ﴿ قوله حكيم فى افعاله ﴾ كاكرام المتذكرين بالآيات بدار السلام وكونه وليا لهم بالحراسة والنصرة والمعونة وتخليد اولياء الشياطين فى النار وكاف التشبيه فى قوله تعالى وكذلك نولى تقتضى شيأ تقدّم ذكره ليشبه به ماذكر بعدها والتقدير كما كانا عصاة الانس والجنّ حتى استمتع بعضهم ببعض كذلك نكل بعضهم الى بعض فى الآخرة ليستعين ويستنصر منه فلا ينتفع به كما قال ابليس ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخىّ وقال ادعوا شركاءكم واين شركاؤكم فالتولية على هذا من الولىّ بمعنى الناصر ﴿ قوله اونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم ﴾ فالولاية على هذا بمعنى التصرّف ويكون قوله كذلك اشارة الى التولية المدلول عليها بقوله نولى ولا يقصد به التشبيه كما تقول ضربته كذلك فبين الله تعالى اولا ان الانس والجنّ يتولى بعضهم بعضا ويتمتع بعضهم ببعض ثم بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولى الآية ﴿ قوله اولياء بعض وقرناءهم ﴾ جمع ولى بمعنى القريب والقرين يقال وليه يليه وليا بكسر العين فى الماضى والغابر اذا قربه ودنا منه فالجنسية سبب للانضمام فى الدنيا والآخرة فان الارواح الخبيثة تنضم الى مايشاكلها فى الخبث وتحشر معه كما كانت تنضم اليه فان كل واحد منها يهتم بشأن من يشاكله فى النصرة والمعونة والتقوية وقيل نولى اى نسلط بعضهم على بعض على ان التولية بمعنى التصرّف روى الكلبى فى تفسيرها ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرّا ولى امرهم شرارهم وروى مالك بن دينار قال جاء فى بعض كتب الله تعالى انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا اعطفهم عليكم ﴿ قوله الرسل من الانس خاصة ﴾ اختلفوا فى انه هل كان من الجنّ رسول اولا فقال الضحاك من الجنّ رسل كالانس وتعلق بظاهر هذه الآية وبآية اخرى وهى قوله تعالى وان من امة الاخلا فيها نذير ويؤيده قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فانه يدل على ان طبع البشر لا يوافق طبع الملك فلا يتيسر بينهما الافادة والاستفادة فلذلك وجب فى حكمة الله تعالى ان يجعل رسول الانس من الانس ليكمل الاستئناس وهذا السبب حاصل فى الجنّ فوجب ان يكون رسول الجنّ من الجنّ ايضا وذهب اكثر العلماء الى انه ما كان من الجنّ رسول البتة وانما كانت الرسل من بنى آدم الا انه لم ينقل منهم حجة تدل على ما ذهبوا اليه سوى ادّعاء الاجماع وهو بعيد جدّا لانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف الا ان يقال مخالفة الضحاك خلاف وليس باختلاف فلا ينافى انعقاد الاجماع واجاب المصنف عن تمسك الضحاك بهذه الآية بانه تعالى جمع بمجموع الانس والجنّ فى الخطاب فقال يامعشر الجنّ والانس الم يأتكم رسل منكم وهو لا يقتضى الا ان يكون رسل الفريقين بعضا من مجموع الفريقين فاذا كان الرسل من الانس فقط يصدق ان يقال ان رسل الفريقين بعض من مجموعهما فلم يلزم من الآية ان يكون رسول الجنّ من الجنّ فلا يصح ان يستدل بها عليه ﴿ قوله وقيل الرسل من الجنّ رسل الرسل اليهم ﴾ اى قيل فى جواب من تمسك بظاهر الآية انها تدل على ان الجن اتاهم رسل منهم ولا تدل على ان اولئك الرسل هم الذين اوحى اليهم بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام لجواز ان يكونوا رسل الرسل بأن تكون الرسل الموحى اليهم من الانس الا انه تعالى كان يلق

(الا ماشاء الله) الا الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ماشاء قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم (ان ربك حكيم) فى افعاله (عليم) باعمال الثقلين واحوالهم (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا (بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (يا معشر الجنّ والانس الم يأتكم رسل منكم) الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين (يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعنى يوم القيامة (قالوا) جوابا (شهدنا على انفسنا) بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب (وغرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغترّوا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطرّوا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم

او مخففة من الثقيلة اى الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك (ولكل) من المكلفين (درجات) مراتب (مما عملوا) من اعمالهم او من جزائها او من اجلها (وما ربك بغافل عما يعملون) فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة (وربك الغنى) عن العباد والعبادة (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله (ان يشأ يذهبكم) اى ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق (كما انشأكم من ذرية قوم آخرين) اى قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم (ان ما توعدون) من البعث واحواله (لآت) لكائن لا محالة (وما انتم بمعجزين) طالبكم به (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم (انى عامل) على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى به اليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتقصى عنه (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى (انه لا يفلح الظالمون) وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة (وجعلوا) اى مشركوا العرب (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان

الداعية فى قلوب قوم من الجن الى استماع كلام الرسل فيسمعون كلامهم ويأتون قومهم من الجن ويخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين فاولئك الجن كانوا رسل الرسل فكانوا رسل الله تعالى والدليل عليه انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين فلهذا وبخ الله تعالى مجموع الفريقين بأن قال ما عذركم فى الكفر وقد اتاكم رسل منكم وقد قام الاجماع على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين وداع لكل واحد من الفريقين الى الايمان به وبالله واليوم الآخر ❊ قوله وهو خبر مبتدأ محذوف ❊ ولا يبعد ان يقال ان ذلك مبتدأ وان لم يكن خبره على حذف اللام اى ذلك الارسال لاجل ان لم يكن ❊ قوله او ملتبسين بظلم او ظالما ❊ على الاول يكون حالا من القرى وعلى الثانى يكون حالا امامن ربك او من الضمير فى مهلك ❊ قوله مراتب ❊ فسر الدرجات بالمراتب لانه لما فسر الكل بالمكلفين مطلقا سواء كانوا مؤمنين او كفارا لزم ان يفسر الدرجات بالمراتب لان الدرجات غلب استعمالها مطلقة فى الخير والثواب والكفر لا ثواب لهم ❊ قوله من اعمالهم ❊ على ان ما مصدرية ومما عملوا فى محل الرفع على انه صفة درجات وكذا على قوله من جزائها وما حينئذ موصولة والمضاف محذوف وعلى الثالث من للعلة ❊ قوله على تغليب الخطاب ❊ لدخول المخاطبين فى قوله ولكل درجات وقرأ العامة بياء الغيبة بناء على قوله ولكل ❊ قوله الغنى ذو الرحمة ❊ يجوز ان يكونا خبرين وان يكونا وصفين للمبتدأ وان يشأ يذهبكم خبرا وان يكون الغنى وصفا وذو الرحمة خبرا والجملة الشرطية خبرا ثانيا او مستأنفة ❊ قوله على غاية تمكنكم ❊ على ان تكون المكانة مصدرا بمعنى التمكن وهو القوة والاقتدار وقد تكون المكانة بمعنى المكان وهو موضع الكون كالمقام والمقامة بمعنى موضع القيام ثم جعل المكانة بمعنى المكان مجازا عن الجهة والحالة التى يكون الانسان عليها وما فى الآية يجوز ان يكون بهذا المعنى اى اعملوا على جهتكم وحالتكم التى انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حالة على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه ومن قرأ على مكانتكم بالافراد اراد الجنس ومن جمع نظر الى اضافتها الى جماعة المخاطبين وقد عين لكل واحد منهم مكانة على حدة ❊ قوله مجمعا عليه ❊ اى عازما يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه قال تعالى فأجمعوا امركم ❊ قوله وتسجيل بأن المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به ❊ يريد ان الامر بالتهديد من قبيل الاستعارة تشبيها للشر المهدد عليه بالمعنى المأمور به الواجب الذى لا بد ان يكون ❊ قوله بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار ❊ يعنى ان الدار والعاقبة وان اطلقتا الا ان المراد بالدار هذه الدار اى الدنيا وبالعاقبة العاقبة الحسنى واشار به الى دفع ما يقال قوله تعالى فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار يدل على ان العصاة ليس لهم عاقبة الدار وليس كذلك ❊ قال صاحب الكشاف فى تفسير قوله تعالى فى سورة القصص وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار هى العاقبة المحمودة بدليل قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يعنى عقبى الدار جنات ثم قال فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان المراد بالدار الدنيا وخاتمتها لا بد ان تكون اما بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر واجاب بانه تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة وما اعد فيها للمتقين وجعل الدنيا دار الكسب والعناء وجعل الآخرة دار الرحمة والغناء فمن لقى فيها التعب والشقاء فانما هو تحريفه ما كلف به من الهدى فتبين بهذا ان العاقبة الاصلية لهذه الدار هى عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج تحريف الفجار وكلمة من ان جعلت استفهامية تكون فى محل الرفع على الابتداء ويكون قوله تكون مع اسمه وخبره فى محل الرفع خبرا لها ويكون فعل العلم معلقا عنها بالاستفهام وان جعلت موصولة وهو الظاهر فهى فى محل النصب على انها مفعول تعلمون وهو هنا متعد الى واحد لكونه بمعنى تعرفون ❊ قوله وشركائهم الآلهة ❊ اشارة الى ان تقدير الكلام كما قاله الزجاج جعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا ودل على هذا المحذوف تفصيله القسمين فيما بعد وهو قوله هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا والشركاء من الشركة لا من الشرك ويجوز ان يكون من الشرك اى الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وانما اضافوها الى انفسهم لاعتقادهم اياها كذلك وسمى آلهتهم شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم وجعلوها شركاء لانفسهم فيها فاضافة شركائنا اما الى المفعول اى الذين شاركونا فى اموالنا واما الى الفاعل اى الذين اشركناهم فى اموالنا من المتاجر والزروع والانعام وغيرها ❊ قوله ثم ان رأوا الخ ❊ بيان لمعنى وصول ما عينوه لله الى شركائهم وعدم وصول

(ما)

ماعينوه للاوثان الى الله تعالى روى عن مقاتل انه قال ان زكا وغا نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة لها وان كان بالعكس قالوا لابد لآلهتنا من نفقة فاخذوا نصيب الله واعطوه للسدنة فذلك قوله تعالى فما كان لشركائهم يعنى من نماء الحرث والانعام فلا يصل الى الله اى لايصل الى الجهة التى كانوا يصرفون نصيب الله تعالى اليها اى الى المساكين والاضياف وقالوا لو شاء الله زكى نصيب نفسه وان زكا ماعينوه لله ولم ينم نصيب الآلهة بدلوا ذلك النامى الذى عينوه لله وجعلوه لآلهتهم وانفقوه على سدنتها وهو قوله تعالى وما كان لله فهو يصل الى شركائهم اى يصل الى الجهة التى كانوا يصرفون نصيب الشركاء اليها ثم انه تعالى ذم هذا الفعل بقوله تعالى ساء مايحكمون وكيف يحمد فعل من اخترع من عند نفسه بزعمه الباطل مالم يأمر الله به ولاسيما اختراعه ان يشرك مع الخالق فيما خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم يرجحه عليه فبح الله تعالى اولا طريقة المشركين فى انكارهم البعث والقيامة ثم ذكر من جهالاتهم المبنية على ضعف عقولهم هذا الفعل ليعرف الناس ضلالتهم ولايلتفت الى كلامهم احد ﴿قوله حكمهم هذا﴾ يعنى ان مايحكمون فاعل ساء وحكمهم مخصوص بالذم اى بئس الشئ الذى يحكمون حكمهم هذا كأنه قيل بئس الحكم حكمهم ثم انه تعالى حكى عنهم جهالة اخرى وهى ان شركاءهم زينوا لهم قتل اولادهم فاطاعوهم فى ذلك فقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم والكاف فيه منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى زين لهم الشركاء قتل اولادهم تزيينا مثل تزيين ذلك الفعل القبيح قيل ويجوز ان يكون ذلك مستأنفا غير مشار به الى ماقبله فيكون المعنى وهكذا زين قرأ العامة زين مبنيا للفاعل ونصب قتل على انه مفعول زين وجر اولادهم بالاضافة ورفع شركائهم على انه فاعل زين وهى قرآءة واضحة المعنى والتركيب وقرأ ابن عامر زين على بناء المفعول ورفع قتل على انه مفعول مالم يسم فاعله ونصب اولادهم على انه مفعول المصدر وجر شركائهم على اضافة المصدر اليه وهذه القرآءة صحيحة متواترة لايصح ان يطعن فيها لان ابن عامر أعلى القراء السبعة سندا واقدمهم هجرة اما علو سنده فانه قرأ على ابى الدرداء وواثلة بن الاسقع وفضالة بن عبيد ومعاوية بن ابى سفيان والمغيرة المخزومى وروى انه قرأ على عثمان نفسه وناهيك به واما قدم هجرته فانه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن هشام بن عمار احد شيوخ البخارى أخذ عن اصحاب اصحابه وفضائله كثيرة وانما ذكرنا هذا تنبيها على خطأ من رد قرآءته ونسبه الى اللحن واتباع مجرد الرسوم فقط قائلا ان التقدير حينئذ زين لكثير من المشركين قتل شركائهم اولادهم لكنه فصل بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول به وهو الاولاد فانه مفعول المصدر قال ابو على الفارسى وهو قبيح قليل فى الاستعمال ولكنه قد جاء فى الشعر كما انشده ابو الحسن الاخفش

❁ فزججتها بمزجة ❁ زج القلوص ابى مزاده ❁

اى زج ابى مزادة القلوص الزج الطعن والمزجة بكسر الميم الرمح القصير وابى مزادة كنية رجل والقلوص الشابة من النوق واضيف القتل فى هذه القرآءة الى الشركاء وان لم يتولوا ذلك لانهم هم الذين زينوا ذلك ودعوا اليه فكأنهم فعلوا ذلك ﴿قوله بالوأد ونحرهم لآلهتهم﴾ متعلق بقتل الاولاد والوأد دفن الابنة فى القبر وهى حية يقال وأد ابنته يئدها وأدا اذا دفنها فى القبر وهى حية وكان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر اومن التزوج اومن السبى واختلف فى المراد بالشركاء فقال مجاهد شركاؤهم شياطينهم امروهم بأن يقتلوا اولادهم خشية العيلة وسميت الشياطين شركاء لانهم اتخذوهم شركاء لله فأطاعوهم فى معصية الله تعالى ولهذا اضيفت اليهم كما فى قوله تعالى اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون واشار المصنف الى القولين فى بيان الشركاء بقوله من الجن اومن السدنة وقال الكلبى شركاؤهم سدنة آلهتهم وهم الذين كانوا يزينون للكفار قتل اولادهم فكان الرجل منهم يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله روى ان عبد المطلب كان قد رأى فى المنام انه يحفر زمزم ونعت له موضعها وقام يحفر وليس له ولد يومئذ الا الحارث فنذر لئن ولد له عشرة نفر لينحرن احدهم لله تعالى على الكعبة فلما تموا عشرة اخبرهم بنذره فاطاعوه وكتب كل واحد منهم اسمه فى قدح فخرج على عبد الله فأخذ الشفرة لينحره فقامت قريش من انديتها فقالوا لاتفعل حتى تنظر فيه فانطلقوا به الى عرافين والعراف الكاهن اى رفعوا الامر الى جماعة كهنة فقالوا قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم واذا خرجت على الابل فقد رضى

وان رأوا مالآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا الكسر كالود (ساء مايحكمون) حكمهم هذا (وكذلك) ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات (زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) بالوأد ونحرهم لآلهتهم (شركاؤهم) من الجن اومن السدنة وهو فاعل زين

ربكم ونحا صاحبكم فقربوا الابل فقربوا عشرا فخرجت على عبد الله فزادوا عشرا عشرا فخرجت فى كل مرة على عبد الله الى ان قربوا مائة فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان ولا سبع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « انا ابن الذبيحين » يريد اباه واسمعيل عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله وهو ضعيف فى العربية ﴾ اشارة الى ان الفصل بالمفعول ليس بضعيف فى نفسه بل هو حسن ويدل على حسنه ورود القرآن عليه والطريق اثبات حسن التراكيب بوقوعها فى القرآن لا اثبات حسن ما وقع فيه بوقوعه فى غيره قال الكرمانى قرآءة ابن عامر وان ضعفت فى العربية للفصل بين المضاف والمضاف اليه فقوية فى الرواية عالية انتهى وذهب صاحب المفتاح الى تطبيق هذه القرآءة بقاعدة اهل العربية بأن حمل الكلام على حذف المضاف اليه من الاول واضمار المضاف فى الثانى والتقدير قتلهم اولادهم قتل شركائهم والثانى بدل من الاول بناء على ان تخليل التفات والقصد ابعد من ذلك قال صاحب الانتصاف طاعنا فى صاحب الكشاف لقد ركب المصنف فى هذا الفصل عمياء وتاه فى تيهاء وانا ابرأ الى الله تعالى وابرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل ان القرآء ائمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا ولا سماعا فلذلك غلط ابن عامر فى قرآءته هذه واخذ يبين وجه غلطه بانه اعتمد فى ذلك على رسم مصحف الشام الذى ارسله عثمان رضى الله عنه اليه حيث رسم شركائهم فيه بالياء فاستدل بذلك على انه مجرور وتعين عنده نصب اولادهم بالقياس اذ لا يضاف المصدر الى امرين معا فقرأه منصوبا انتهى وقوله المصنف يريد به صاحب الكشاف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة وابدال الشركاء منه وكان ذلك اولى مما ارتكبه يعنى ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذى لا يسمع فى الشعر فضلا من النثر فضلا عن الكلام المعجز وهذا كله كما ترى ظن من الزمخشرى ان ابن عامر قرأ قرآءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه ولم يعلم الزمخشرى ان هذه القرآءة بنصب الاولاد والفصل بين المضاف والمضاف اليه بما نعلم ضرورة ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما انزلها عليه كذلك ثم تلاها النبى صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرأون بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى ابن عامر فقرأها ايضا كما سمعها وهذا معتقد اهل الحق فى جميع الوجوه السبعة انها متواترة جملة وتفصيلا عن افصح من نطق بالضاد اى عن افصح العرب فان النطق بحرف الضاد مختص بلغة العرب فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول امثاله من لحن ابن عامر ثم قال قرآءة ابن عامر هذه لا تخالف القياس النحوى وذلك لان الفصل بين المضاف والمضاف اليه وان كان يسيرا الا ان المصدر اذا اضيف الى معموله فهو مقدر بأن مع الفعل وبهذا التقدير عمل فاضافته الى معموله وان كانت محضة لكنها تشبه غير المحضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف اليه بالظرف كما فى قول الشاعر « لله در اليوم من لامها » يريد لله در من لامها اليوم وقوله « لأنت معتاد فى الهيجا مصابرة » يريد لأنت معتاد مصابرة فى الهيجاء وهى الحرب وهذه الامثلة والشواهد ليست من كلام صاحب الانتصاف وانما ادرجتها انا فى اثناء كلامه لتوضيح المقام وقد جاء الفصل بينهما فى قوله

* هما اخوا فى الحرب من لا اخا له * اذا خاف يوما نبوة فدعاهما *

يريد هما اخوا من لا اخا له فى الحرب وقد جاء الفصل بينهما بغير الظرف ايضا على قلة كالفصل بالنداء فى قوله

* وفاق كعب بجير منقذ لك من * تعجيل مهلكة والخلد فى سقر *

يريد وفاق بجير يا كعب وقول الآخر

* اذا ما ابا حفص اتاك رأيتها * على شعر كل الناس يعلو قصيدها *

يريد اذا ما اتاك يا ابا حفص وقد جاء الفصل بينهما بالنعت ايضا كقول معاوية يخاطب به عمرو بن العاص

* نجوت وقد بل المرادى سيفه * من ابن ابى شيخ الاباطح طالب *

يريد من ابن ابى طالب شيخ الاباطح فشيخ الاباطح نعت لابى طالب فصل به بين ابى وبين طالب وقول الآخر

* ولئن حلفت على يديك لاحلفن * بيمين اصدق من يمينك مقسم *

يريد لاحلفن بيمين مقسم اصدق من يمينك فاصدق نعت لقوله بيمين فصل به بين يمين وبين مقسم وبالجملة اذا جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف اليه فلا اقل من ان يميز المصدر عن غيره لما بيناه من انفكاكه

وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة *

زج القلوص ابى مزاده *

في التقدير وعدم توغله في الاتصال بان يفصل بينه وبين المضاف اليه بما ليس اجنبيا عنه فكأنه ذكر ان مع الفعل ثم قدّم المفعول على الفاعل وقال ابو شامة في شرح الشاطبية ولا بعد فيما استبعده اهل النحو من جهة المعنى وذلك انه قد عهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظا فاستمرت له هذه المرتبة مع الفاعل المرفوع تقديرا فان المصدر لو كان منوّنا لجاز تقديم المفعول على فاعله نحو اعجبني ضرب عمرا زيد فكذا في الاضافة ثم قال وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرّ ومجروره مع ان شدّة الاتصال بينهما اكثر من شدّته بين المضاف والمضاف اليه كقوله فبما نقضهم ميثاقهم فبما رحمة فصل بكلمة ما بين الباء الجارة ومجرورها ولا التفات الى قول من زعم انه لم يأت في الكلام المنثور مثله لانه ناف ومن اسند هذه القرآءة مثبت والاثبات مرجح على النفي بالاجماع ولو نقل الى هذا الزاعم عن بعض العرب انه استعمله في النثر لرجع اليه فما باله لا يكتفي بناقل القرآءة عن التابعين عن الصحابة

قوله وقرئ بالبناء للمفعول اى قرئ زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم برفع قتل لقيامه مقام الفاعل وجرّ اولادهم بالاضافة ورفع شركاؤهم على انه فاعل فعل مقدّر تقديره زينه شركاؤهم فهو جواب لسؤال مقدّر كأنه قيل من زينه لهم فقيل شركاؤهم كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدوّ والآصال رجال اى يسبحه رجال وقول الشاعر * ليبك يزيد ضارع لخصومة * واللام في قوله تعالى لكثير من المشركين متعلقة بزين وكذلك اللام في قوله ليردوهم * فان قيل كيف يصح تعلق حرفي جرّ بلفظ واحد ومعنى واحد بعامل واحد من غير بدلية ولا عطف اجيب بأن معناهما مختلف فان الاولى للتعدية والثانية للعلية ثم ان كان التزيين من الشياطين فاللام على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فهى لام العاقبة فان الشيطان يفعل التزيين وغرضه بذلك الارداء فالتعليل فيه واضح واما السدنة فانهم لم يزينوا لهم ذلك لاجل اهلاكهم ولكن لما كان مآلهم الى الارداء اتى باللام الدالة على العاقبة والمآل وعلل التزيين بشيئين الارداء والتخليط وهو ادخال الشبه عليهم في امر دينهم فان اللبس بفتح اللام مصدر لبس عليه يلبس بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر ومعناه ادخل عليه الشبه وخلط عليه قال اهل السنة قوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه يدل على ان ما فعله المشركون فهو بمشيئة الله تعالى وقالت المعتزلة انه محمول على مشيئة الالجاء اى لو شاء ربك ان يلجئهم على ان لا يفعلوه لتركوه جبرا

قوله حجر قرأ الجمهور بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم بمعنى المحجور والممنوع وقرئ حجر بالضم والسكون وقرئ حرج بكسر الحاء وتقديم الرآء على الجيم قيل أصله حرج بفتح الحاء وكسر الرآء

قوله لا يحجون على ظهورها فان من حج وجب عليه ان يلبي ويذكر اسم الله فكنى بذكر اللازم عن الملزوم وقيل لا يركبونها لفعل الخير فانه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير

قوله لان ما قالوه تقوّل عليه اى كذب يقال تقوّل عليه اى كذب يعني انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله تعالى امرهم به فيكون افترآء مصدرا من غير لفظ العامل لان القول المحكيّ عنهم افترآء على الله تعالى فيكون من قبيل قولهم قعد القرفصاء ويجوز ان يكون مصدرا للفعل المقدّر من لفظه اى افتروا ذلك افترآء

قوله والجار اى قوله عليه متعلق بقالوا لا بافترآء لان المصدر المؤكد لا يعمل سوآء ذكر مع الفعل او بدونه وكذا المصدر الذي يكون للنوع او العدد فانه لا يعمل ايضا

قوله او على الحال عطف على قوله على المصدر اى قالوا ذلك حال افترآئهم وهى تشبه الحال المؤكدة لان هذا القول المخصوص لا يكون قائله الا مفتريا فعلى هذا يجوز ان يتعلق الجار بقوله افترآء وكذا على تقدير كون افترآء منصوبا على المفعول له بمعنى قالوا ذلك لاجل الافترآء على البارى تعالى

قوله وتأنيث الخالصة مع كونها مرفوعة على انها خبر ما الموصولة حملا على المعنى ثم حمل على لفظها في قوله ومحرّم على ازواجنا مع انه معطوف على خالصة وهما عبارتان عن شئ واحد قرأ حفص عن عاصم وان يكن ميتة بتذكير الفعل ونصب ميتة وقرأ ابو بكر عن عاصم وابن عامر وان تكن بتاء التأنيث والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر ميتة بالرفع والباقون بالنصب فابو بكر لما نصب ميتة اسند تكن الى ضمير ما وانث الفعل نظرا الى كون ما عبارة عن الاجنة واما ابن عامر فانه لما رفع ميتة على انها فاعل تكن اسند الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي لان الميتة تقع على الذكر والانثى من الحيوان فجاز تأنيث الفعل المسند الى ظاهرها باعتبار اللفظ وجاز تذكيره باعتبار المعنى هذا على قرآءة من رفع ميتة بتكن على ان كان تامة اى وان وجدت ميتة او حدثت واما من نصب ميتة فانه يسند الفعل الى ضمير ما فيذكر باعتبار لفظ ما ويؤنث باعتبار معناها فيكون ميتة خبر كان الناقصة فقوله ولذلك

وقرئ بالبناء للمفعول وجرّ اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة (ولو شاء الله ما فعلوه) ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك (فذرهم وما يفترون) افترآءهم او ما يفترونه من الافك (وقالوا هذه) اشارة الى ما جعل لآلهتهم (انعام وحرث حجر) حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (بزعمهم) من غير حجة (وانعام حرمت ظهورها) يعنى البحائر والسوآئب والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها (افترآء عليه) نصب على المصدر لان ما قالوه تقوّل على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له والجار متعلق به او بمحذوف (سيجزيهم بما كانوا يفترون) بسببه او بدله (وقالوا ما في بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البحائر والسوآئب (خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا) حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) فالذكور والاناث فيه سوآء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم

اى ولتكون مافى معنى الاجنة وافق عاصم مع انه نصب ميتة على انها خبر كان الناقصة فيكون اسمها مستترا فيها راجعا الى ما فأنثت تكن اعتبارا لمعنى ما ﴿قوله او التاء فيه للمبالغة﴾ كما فى نحو علامة وراوية بمعنى كثير العلم ورواية الشعر وليست للتأنيث ولذلك وقع خبر المذكر وهو عطف على قوله للمعنى كذوله او هو مصدر اى على وزن فاعلة كالعافية والعاقبة واذا قيل انها مصدر كان ذلك على حذف مضاف اى ذو خلوص او على وقوع المصدر موقع اسم الفاعل نحو رجل عدل اى عادل او جعلها نفس الخلوص مبالغة فذكر التأنيث خالصة ثلاثة اوجه الاول اعتبار المعنى والثانى ان التاء فيها ليست للتأنيث وانما هى للمبالغة فى الوصف كما فى راوية ونسابة والثالث انه مصدر بمعنى ذى خلوص ﴿قوله لخفة عقلهم﴾ يعنى ان انتصاب سفها على انه مفعول له وبغير علم صفة سفها اى يقتلون بسفه الجامع لجهل انه تعالى هو الرزاق ويجوز نصبه على الحال اى ذوى سفه ويؤيده قراءة سفهاء او على انه مصدر لفعل مقدر اى سفهوا سفها او على انه مصدر من غير لفظ عامله لان هذا القتل سفه ❊ قال الامام ذكر الله تعالى فيما تقدم قتلهم اولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله ثم انه تعالى ذكر هذين الامرين فى هذه الآية وبين ما لزمهم على هذا الحكم وهو الخسران والسفاهة وعدم العلم وتحريم ما رزقهم الله تعالى والافتراء على الله والضلال وعدم الاهتداء فهذه امور سبعة وكل واحد منها سبب تام لاستحقاق الذم اما الخسران فلان الولد نعمة عظيمة من الله تعالى على العبد فمن سعى فى ابطاله فقد خسر خسرانا عظيما يستحق بذلك الابطال الذم العظيم فى الدنيا والعقاب العظيم فى الآخرة وكذا كل واحد من البواقى من اعظم المنكرات والقبائح الموجبة للذم والتوبيخ قال المفسرون نزلت الآية فى ربيعة ومضر وبعض من العرب وغيرهم كانوا يدفنون البنات احياء مخافة السبى والفقر والخيبة من التزويج ❊ روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اصحابه كان لا يزال مغتما بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام ما لك تكون محزونا فقال يا رسول الله انى قد اذنبت فى الجاهلية ذنبا فأخاف ان لا يغفر لى وان أسلمت فقال عليه الصلاة والسلام ❊ اخبرنى عن ذنبك ❊ فقال يا رسول الله انى كنت من الذين يقتلون بناتهم فولدت لى بنت فتشفعت الى امرأتى ان اتركها فتركتها حتى كبرت وادركت وصارت من اجمل النساء فخطبوها فدخلت على الحمية فلم يحتمل قلبى على ان ازوجها او اتركها فى البيت بلا زوج فقلت للمرأة انى اريد ان اذهب الى قبيلة كذا فى زيارة اقربائى فابعثيها معى فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلى واخذت على المواثيق بأن لا اخونها فذهبت بها الى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجارية انى اريد ان القيها فى البئر فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول يا ابى اى شئ تريد ان تفعل بى فرحمتها ثم نظرت فى البئر فدخلت على الحمية فالتزمتنى وجعلت تقول يا ابى لا تضيع امانة امى فجعلت مرة انظر الى البئر ومرة انظر اليها فأرحمها فغلبنى الشيطان فأخذتها فألقيتها فى البئر منكوسة وهى تنادى فى البئر يا ابى قتلتنى فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت ❊ فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ❊ لو امرت ان اعاقب احدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك بما فعلت ❊ ثم انه تعالى لما فرغ من شرح احوال الاشقياء وتهجين طريقتهم والتنبيه على جهلهم وخفة عقولهم عاد الى اقامة الدليل على تقرير التوحيد وكمال القدرة والحكمة تهديدا للعصاة بعظيم قهره وعقابه وتثبيتا للمطيعين على ملازمة طاعته فقال وهو الذى انشأ جنات معروشات وقد سبق ذكر هذا الدليل فى هذه السورة بقوله وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فالآية المتقدمة ذكر فيها خمسة انواع وهى الزرع والنخل وجنات من اعناب والزيتون والرمان وذكر فى هذه الآية هذه الخمسة بأعيانها لكن على خلاف ذلك الترتيب وذكر فى الآية المتقدمة انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه فأمر هناك بالنظر فى احوالها والاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم وذكر فى هذه الآية كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فاذن فى الانتفاع بها وامر بصرف جزء منها للفقراء فالذى حصل به الامتياز بين الآيتين انه هناك امر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم وهو مقدم على الاذن فى الانتفاع لان الاستدلال على الصانع يحصل به سعادة ابدية والانتفاع يحصل به سعادة جسمانية سريعة الانقضاء والاول اولى بالتقديم ﴿قوله تعالى انشأ جنات﴾ اى خلقها يقال انشأ الشئ انشاء اذا ظهر وارتفع وانشأه الله انشاء اى اظهره ورفعه ويقال عرش يعرش ويعرش عرشا اى بنى بناء من خشب وبئر معروشة وكروم معروشات والعريش عريش الكرم واعترش العنب العريش اعتراشا اذا علاه ❊ قال الامام فى قوله

او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم الكذب (انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها) يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير (بغير علم) لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر (وحرموا ما رزقهم الله) من البحائر ونحوها (افتراء على الله) يحتمل الوجوه المذكورة فى شاء (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الحق والصواب (وهو الذى انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مرفوعات على ما يحملها (وغير معروشات) ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى الجبال والبرارى (والنخل والزرع مختلفا اكله) ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء (والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه) يتشابه بعض افرادها فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها

(ثمره) من ثمر كل واحد من ذلك (اذا اثمر) وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه (ولا تسرفوا) في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط (انه لا يحب المسرفين) لا يرتضي فعلهم (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) كلوا مما احل لكم منه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) في التحليل والتحريم من عند انفسكم (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة (ثمانية ازواج) بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول (من الضأن اثنين) زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه (ومن المعز اثنين) التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى (قل آلذكرين) ذكر الضأن وذكر المعز (حرم ام الانثيين) ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم (اما اشتملت عليه ارحام الانثيين) او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى والمعنى انكار ان يحرم الله من جنس الغنم شيئا (نبئوني بعلم) بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك (ان كنتم صادقين) في دعوى التحريم عليه

تعالى معروشات وغير معروشات اقوال الاول ان المعروشات وغير المعروشات كلاهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لا يعرش بل يلقى على وجه الارض منبسطا والثاني ان المعروشات العنب الذي يجعل له عروش وغير المعروشات كل ما نبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ والثالث ان المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم او ما يجري مجراه وغير المعروشات ما لا يحتاج اليه بل يقوم على ساقه كالنخل والزرع ونحوهما من الاشجار والبقول ورابعها ان المعروشات ما يحصل في البساتين والعمرانات مما يهتم به الناس ويعرشونه وغير المعروشات ما انبته الله تعالى في البراري والجبال وهو قول المصنف ما غرسه الناس فعرشوه وافرد النخل والزرع بالذكر وهما داخلان في الجنات لما فيهما من الفضيلة على سائر ما ينبت في الجنان والمراد بالزرع ههنا جميع الحبوب التي يقتات بها ﴿قوله وان لم يدرك﴾ اشارة الى فائدة التقييد بقوله اذا اثمر وهي اباحة الاكل منه قبل ادراكه وينعه وقيل فائدته اباحة الاكل اي استبيحوا اكله اذا اثمر ولا تحرموه كتحريم المشركين بقولهم هذه انعام وحرث حجر قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب اخراجه كان الظاهر ان يحرم على المالك تناوله قبل اخراج حق المساكين لمكان شركتهم فيه فقال اذا اثمر اباحة للتناول قبل اخراج الحق ﴿قوله لا الزكاة المقدرة﴾ اي المفروضة وهي العشر فيما سقي بماء السماء ونصف العشر فيما سقي بالكلفة كالذي سقي بالقرب والدالية حمل الحق على الحق الحالي سوى زكاة الخارج لما ذكره روي عن مجاهد انه قال اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه شيئا قبل لقط السنابل فاذا درسته وذريته فاطرح لهم منه واذا عرفت كيله فاعزل زكاته اي عشره وفي الكشاف المراد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر ﴿قوله والامر بايتائها يوم الحصاد﴾ اي مع ان الحب يوم الحصاد في السنبل وابو حنيفة رحمه الله جعل الآية مسوقة لايجاب العشر فاستدل بها على وجوب العشر في الثمار حيث قال انه تعالى ذكر العنب والزرع والنخل والزيتون والرمان ثم قال وآتوا حقه يوم حصاده فدل ذلك على وجوب الزكاة في هذه الخمسة والحصد في اللغة عبارة عن القطع فيتناول الكل فذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان العشر واجب في القليل والكثير استدلالا بهذه الآية وقال الاكثرون لا يجب الا اذا بلغ خمسة اوسق للحديث ﴿قوله كقوله ولا تبسطها كل البسط﴾ فان من اعطى كل ماله فقيرا ولم يبق الى عياله شيئا مسرف مجاوز حد الاعطاء لانه قد جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول روي ان ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فكره الله ذلك وانزل قوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴿قوله ما يحمل الاثقال﴾ ذكر في تفسير كل واحد من الحمولة والفرش وجهين الاول ان الحمولة ما يحمل الاثقال والفرش ما يفرش للذبح او يتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش ولعله من قبيل التسمية بالمصدر والثاني ان الحمولة الكبار التي تصلح للحمل عليها والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل لانها دانية من الارض بسبب صغر اجرامها مثل الفروش المفروش عليها والفرش هي الارض المفروش عليها ﴿قوله كلوا مما احل لكم منه﴾ يعني ان الحرام رزق كالحلال والله تعالى انما اباح اكل بعض ما رزقه وهو الحلال وقالت المعتزلة انه تعالى امر باكل الرزق ومنع من اكل الحرام فهو ينتج ان الرزق ليس بحرام وقال الزجاج في خطوات ثلاثة اوجه ضم الطاء وفتحها واسكانها ومعناه طرق الشيطان اي لا تسلكوا الطريق الذي يسوله لكم الشيطان ﴿قوله او مفعول كلوا﴾ اي كلوا مما رزقكم الله ثمانية ازواج او هو مفعول فعل دل عليه كلوا تقديره كلوا ثمانية ازواج والضأن معروف وهو ذو الصوف من الغنم والكبش الذكر من هذا النوع والنعجة الانثى منه والمعز ذو الشعر من الغنم والتيس الذكر منه والعنز الانثى وهي الماعزة ﴿قوله وهو بدل﴾ يعني ان اثنين بدل من ثمانية ازواج جيء به للتفسير والبيان قال ابو البقاء اثنين بدل من ثمانية وقد عطف عليه بقية الثمانية ويحتمل ان يكون منصوبا بانشأ مقدرا وهو قول الفارسي وقرئ اثنان بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله ومن الضأن متعلق بما نصب اثنين والضأن يحتمل ان يكون اسم جنس ويجمع على ضئين نحو كلب وكليب ويحتمل ان يكون جمع ضائن وضائنة كتاجر وتاجرة وتجر وصاحب وصاحبة وصحب وراكب وراكبة وركب والجمهور على تسكين همزة الضأن وقرئ بفتح الهمزة وهو جمع تكسير لضائن كما يقال خادم وخدم وحارس وحرس وقرأ ابن كثير من المعز بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان في جمع ماعز وقد تقدم ان فاعلا يجمع تارة على فعل نحو تاجر وتجر وعلى فعل اخرى نحو خادم وخدم ويجمع ايضا على معزى وبه قرأ ابي قال امرؤ القيس

اذا مالم تكن ابل فمعزى ❀ كأن قرون جلتها العصى

﴿قوله فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة﴾ كالحامى فانه اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا انه قد حمى ظهره وكالوصيلة فان الشاة كانت اذا ولدت انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها ﴿قوله واناثها تارة اخرى﴾ كالبحيرة والسائبة فانه اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وكانوا اذا ولدت النوق البحائر والسوائب فصيلا حيا حرموا لحم الفصيل على النساء دون الرجال وان ولدت فصيلا ميتا اشترك الرجال والنساء فى لحم الفصيل ولا يفرقون بين الذكر والاناث فى حق الاولاد فلما قام الاسلام وبينت الاحكام جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم بأن قالوا يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونها فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انكم حرمتم اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله تعالى هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء هذا التحريم امن قبل الذكورة ام من قبل الانوثة فتحيروا ولم يتكلموا فلو قالوا جاء التحريم بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور وان قالوا بسبب الانوثة وجب ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم عليه فينبغى ان يحرم الكل على الكل واما تخصيص ما اشتملت عليه الارحام بالولد الخامس او السابع او ببعض دون بعض فمن اين ذلك قال الامام هذا ما اطبق عليه المفسرون فى تفسير هذه الآية وهو عندى بعيد جدا لان للقائل ان يقول هب ان هذه الانواع الاربعة اعنى الضأن والمعز والابل والبقر محصورة فى الذكور والاناث الا انه لا يجب ان تكون علة تحريم ما حكموا بحرمته محصورة فى الذكورة والانوثة بل علة تحريمه كونه بحيرة او سائبة او وصيلة او حاميا او نحو ذلك من الاعتبارات فكما انا اذا قلنا انه تعالى حرم بعض الحيوانات لاجل الاكل لا يرد علينا ان يقال ان ذلك الحيوان أن حرم لكونه ذكرا وجب ان يحرم كل حيوان ذكر وان كان قد حرم لكونه انثى وجب ان يحرم كل حيوان انثى ولما لم يكن هذا الكلام لازما علينا فكذا هذا الوجه الذى ذكره المفسرون فى تفسير هذه الآية ثم قال والاقرب عندى فيه وجهان احدهما ان يقال ان هذا الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى انكم لا تقرون بنبوة نبى ولا تعترفون بشريعة شارع فكيف تحكمون ان هذا يحل وهذا يحرم وثانيهما ان حكمهم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوص بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة عن هذه الانعام الاربعة فلما لم تحكموا بهذه الاحكام فى الاقسام الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم على التعيين ﴿قوله بل أكنتم﴾ يعنى ان ام منقطعة بمعنى بل والهمزة اضرب عن الاستفهام الاول الى ما هو أهم منه وادخل فى انكار زعمهم ومذهبهم فانهم لما انكروا النبوة رأسا ولم يمكنهم ان يقولوا اشهدنا الله وسمعنا منه انه حرم علينا هذه الازواج تعين انهم انما حكموا بذلك افتراء على الله وهو ظلم فلذلك فرع قوله فمن اظلم ﴿قوله او عمرو بن لحى﴾ فانه هو الذى غير شريعة اسمعيل عليه الصلاة والسلام والاقرب ان يكون المراد بقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى كل من اتصف بهذا الافتراء لان اللفظ عام وكذا العلة الموجبة لهذا الحكم فالتخصيص تحكم محض ﴿قوله لا يهدى القوم الظالمين﴾ من وضع الظاهر موضع الضمير اى لا يهديهم او لئك المشركين اى لا ينقلهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقالت المعتزلة فى تفسيره اى لا يهديهم الى ثوابه قيل لما بين الله تعالى فساد طريق اهل الجاهلية فى تحليل بعض المطعومات وتحريمها قالوا فما المحرم اذا فنزل قل يا محمد لا اجد فيما اوحى الى طعاما محرما على آكل يأكله الا ان يكون الطعام المحرم ميتة فالاستثناء متصل ﴿قوله عطف على أن مع ما فى حيزه﴾ اى على قراءة ابن عامر فانه جعل كان تامة ورفع ميتة فلم يتسأت له ان يجعله معطوفا على ميتة فتعين له ان يجعله معطوفا على المستثنى بخلاف قراءة العامة فانه يكون معطوفا على خبر كان الناقصة عندهم والظاهر ان الاستثناء على قراءة ابن عامر يكون منقطعا لان المستثنى على قراءته كون والمستثنى منه عين ﴿قوله فان الخنزير او لحمه قذر﴾ رجح عود الضمير الى الخنزير حيث قدمه فى الذكر لكونه اقرب المذكورين ولان التحريم المضاف الى الخنزير ليس مختصا بلحمه بل شحمه وشعره وعظمه وسائر ما فيه كله حرام فاذا عاد الضمير الى الخنزير أفاد الكلام هذا المقصود وان عاد الى لحمه لا يكون فى الكلام تعرض لتحريم ما عدا اللحم الا انه جاز عوده الى اللحم ايضا لكونه اهم ما فيه فان اكثر ما يقصد من

﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين﴾ كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ﴿ام كنتم شهداء﴾ بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿اذ وصاكم الله بهذا﴾ حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع ﴿فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك ﴿ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحى الى﴾ اى فى القرآن او فيما اوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى ﴿محرما﴾ طعاما محرما ﴿على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة﴾ الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هى التامة وقوله ﴿او دما مسفوحا﴾ عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم فى العروق لا كالكبد والطحال ﴿او لحم خنزير فانه رجس﴾ فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث

الحيوان المأكول لحمه فالحل والحرمة يضافان اليه اصالة ولغيره تبعا ﴿قوله عطف على لحم خنزير﴾ اى الا ان يكون الطعام فسقا مهلا به لغير الله جعل العين المحرمة عين الفسق مبالغة فى كون تناولها فسقا ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له والعامل فيه قوله أهل قدم عليه مفصولا به بين حرف العطف وهو او وبين المعطوف وهو جملة اهل وتكون هذه الجملة معطوفة على يكون اى لا اجد طعاما محرما الا ما اهل لغير الله به فسقا ﴿قوله والآية محكمة﴾ اى غير منسوخة بل هى ونحوها من النصوص المحرمة كل واحد منها رافع للحل الاصلى فى حق ما نص على تحريمه وبقى ما لم ينص على تحريمه على الحل الاصلى فيحكم على حله بالاستصحاب وهو الحكم بثبوت الشئ فى الزمان الثانى بناء على ثبوته فى الزمان الاول يعنى قد تقرر انه لا طريق الى معرفة الحل والحرمة الا ان اوحى الله تعالى الى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما امره ان يقول لا اجد فيما اوحى الى محرما الا هذه الاربعة التى اولها الميتة وثانيها الدم المسفوح وثالثها لحم الخنزير ورابعها الفسق وهو الذى اهل به لغير الله ثبت انه لا يحرم الا هذه الاربعة ومن المعلوم ان من المطعومات امورا محرمة غير هذه الاربعة ثبتت حرمة بعضها بالكتاب كالخمر والربا الحاصل فى معاوضة المطعومات وكالخبائث قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث اى المستقذرات والنجاسات وكالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وحرمة بعضها بالسنة كحرمة اكل كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور فان حرمتهما ثبتت بنهيه عليه الصلاة والسلام عن اكلهما فان كانت النصوص المحرمة لهذه المذكورات ناسخة لحكم هذه الآية وهو انحصار المحرم من المطعومات فى هذه الاربعة لزم القول بكون خبر الواحد ناسخا للكتاب وهو لا يجوز لان القاطع لا يدفع بالظن فوجب ان يقال ان قوله تعالى لا اجد الخ يكون مدلول الآية بيان انحصار المحرمات فى وقت الاخبار فيما ذكر من الامور الاربعة فيكون ما بقى من تلك الامور باقيا على الاباحة الاصلية فى ذلك الوقت فيكون تحريم ذوات الانياب والمخالب من السباع بعد ذلك الوقت رفعا للحكم الاصلى لا للحكم الشرعى * واعلم ان هذه السورة مكية فبين الله فى هذه السورة المكية انه لا يحرم الا هذه الاربعة ثم اكد هذا بأن قال فى سورة النحل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم وكلمة انما تفيد الحصر فقد حصلت لنا آيتان مكيتان تدلان على حصر المحرمات فى هذه الاربعة ثم ذكر تعالى فى سورة المائدة وهى سورة مدنية احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الا ما يتلى عليكم هو ما ذكره بعد هذه الآية بقليل وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء اقسام الميتة الا انه تعالى اعادها بالذكر لانهم كانوا يحكمون عليها بالتحليل ثم بين فى سورة البقرة وهى سورة مدنية ايضا انه لا يحرم الا هذه الاربعة فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الآية المدنية مطابقة لقوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الا كذا وكذا فى الآية المكية فثبت ان الشريعة من اولها الى آخرها كانت مستقرة على انحصار المحرمات فى هذه الاربعة فان قيل هذا الحصر يقتضى تحليل النجاسات والمستقذرات مع انها محرمة لقوله تعالى فى آية اخرى ويحرم عليهم الخبائث فانه يقتضى تحريم كل الخبائث والنجاسات ويقتضى ايضا تحليل الخمر والمنخنقة ونحوهما مع انها محرمة بالآيات المدنية فالآيات المحرمة لهذه الاشياء تكون ناسخة للآية الدالة على انحصار المحرمات فى تلك الاربعة وبعد ما كانت منسوخة لا تبقى دليلا على حل ما عدا تلك الاشياء الاربعة وكونها منسوخة ينافى ما يدل عليه توافق الآيات المكية والمدنية من انحصار المحرمات فى هذه الاربعة واستقرار الشريعة على ذلك الانحصار والجواب ان الآية الدالة على حرمة الخبائث والنجاسات وعلى حرمة المنخنقة ونحوها ليست ناسخة لهذه الآية الدالة على الانحصار لان قوله تعالى فى هذه الآية او لحم خنزير فانه رجس يدل على ان حرمة لحم الخنزير معللة كونه رجسا نجسا فهذا يقتضى ان تكون النجاسة علة لتحريم الاكل فوجب ان يكون كل نجس محرما اكله فلا يناقض تلك الآية وكذا لا ينافيها آية المنخنقة وما بعدها لان جميعها داخل تحت الميتة المحرمة بهذه الآية ولا تنافيها الآية المحرمة للخمر ايضا لانه تعالى قال فى حقها انها رجس من عمل الشيطان فتدخل تحت قوله فانه رجس ولا تنافيها الآية المحرمة للربا ونحوه ايضا لان تلك الآية تخصص عموم هذه الآية كأنه قيل الذى اجده فيما اوحى الى هى هذه الاربعة وما عداها محللة الا ما ورد النص على تحريمه فان حاصل قولنا لا يحرم سوى

(او فسقا) عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل (أهل لغير الله به) صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن فى يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك (غير باغ) على مضطر مثله (ولا عاد) قدر الضرورة (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بهما على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب

الاربعة هو ان ماعداها ليست بمحرمة فالبات محرمات اخر تخصيص له لا نسخ ويجوز تخصيص عام الكتاب بخبر الواحد والجمع ثم انه تعالى بين بقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية انه حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة وهى نوعان الاول انه تعالى حرم عليهم كل ذى ظفر والثانى ماذكره بقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴿ قوله كل ماله اصبع ﴾ وذوات الاظلاف وهى البقر والغنم والظباء لااصبع لها فهى محللة لهم سوآء كان مابين اصابعه منفرجا كانواع السباع والكلاب والسنانير اولم يكن منفرجا كالابل والنعام والاوز والبط وعن عبدالله بن مسلم انه قال ذو الظفر كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب ثم قال كذلك قال المفسرون قال وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وقيل هو كل مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطير كالابل والنعام والاوز والبط وفى الكواشى الظفر للانسان وغيره هو مايكون فى طرف الايدى والارجل ثم سمى بعض خفا وبعض حافرا وبعض مخلبا وبعض ظفرا ه وفى الكشاف وذو الظفر ماله اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذى ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال الامام حمل ذى الظفر على الحافر بعيد من وجهين الاول ان الحافر لايسمى ظفرا الا على سبيل الاستعارة والثانى انه لوكان الامر كذلك لوجب ان يقال انه تعالى حرم عليهم كل حيوان له حافر وذلك باطل لان الآية تدل على ان الغنم والبقر مباحان لهم مع حصول الحافر لهما واذا ثبت هذا فنقول وجب حمل الظفر على المخالب والبراثن لان المخالب آلات الجوارح الطير فى الاصطياد والبراثن آلات السباع فى الاصطياد قال الاصمعى البراثن من السباع والطير بمنزلة الاصابع من الانسان والمخلب ظفر البراثن كذا فى الصحاح وعلى هذا التقدير يدخل فيه انواع السباع والكلاب والسنانير ويدخل فيه الطيور التى تصطاد لان هذه الصفة تعم هذه الاجناس وتقديم قوله تعالى وعلى الذين هادوا على عامله وهو حرمنا يفيد الاختصاص عند اكثر العلماء كالزمخشرى والامام الرازى وفى الظفر لغات اعلاها ضم الظاء والفاء وهى قرآءة الجمهور وقرئ ظفر بسكون الفاء وهى تخفيف لمضمومها وقرئ ظفر بكسر الظاء والفاء وظفر بكسر الظاء وسكون الفاء وكل واحدة من هذه اللغات تجمع على اظفار وفيه لغة خامسة وهى اظفور وتجمع على اظافير ﴿ قوله تعالى ومن البقر والغنم ﴾ الظاهر انه متعلق بمابعده والتقدير وحرمنا على الذين هادوا من البقر والغنم شحومهما ولو قيل من البقر والغنم حرمنا عليهم الشحوم بدون الاضافة لكفى فى افادة اصل المعنى لانه لما تقدم ذكر البقر والغنم علم ان المراد من الشحوم شحومهما الا انه اضيف الشحوم الى ضميرهما لزيادة الربط كما تقول من زيد اخذت ماله وفى الوسيط حرمنا عليهم شحومهما يعنى شحوم الجوف وهى الثروب وشحم الكليتين لانهما الباقيان بعد الاستثناء وقوله تعالى الاماحملت ظهورهما قال قتادة ماعلق بالظهر والجنبين من داخل بطونهما وقوله تعالى اوالحوايا وهى المباعر والمصارين والمصارين الامعاء جمع مصران جمع مصير وهو فعيل من صار اليه الطعام كذا فى المغرب واحدتها حاوية وحوية وحاوياء كقاصعاء وقواصع بمعنى ماحملت الحوايا من الشحم اوما اختلط بعظم يعنى شحم الالية فى قولهم جميعا فانها من العظم حرم الله تعالى عليهم شحوم البقر والغنم الاالثلاثة انواع الاول الشحوم الملتصقة بظهورهما والثانى الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين والثالث مااختلط بعظم فهذه الانواع الثلاثة حلال لهم وانما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية والثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء والكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان ﴿ قوله الاماعلقت بظهورهما ﴾ وفسره صاحب الكشاف بقوله الا مااشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهى بفتح السين وسكون الحاء المهملة الشحمة التى على الظهر الملتصقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وفى الكواشى هو ماعلق بالظهر والجنب من داخل وعبارة المصنف تحتمل كلا التفسيرين ﴿ قوله اومااشتمل على الامعاء ﴾ اشارة الى ان قوله اوالحوايا فى موضع الرفع عطفا على ظهورهما اى والا الذى حملته الحوايا واشتمل على الامعاء وقوله على الامعاء تفسير للحوايا فانه غير محرم عليهم كالذى ذكر قبله وقيل انه فى محل النصب عطفا على شحومهما اى وحرمنا عليهم الحوايا ايضا اوما اختلط بعظم فيكون كل واحد من الحوايا والمختلط محرما عليهم وتكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يكون فى محل النصب عطفا على المستثنى وهو ماحملت ظهورهما كأنه قيل الاماحملته الظهور اوالحوايا اوالا مااختلط وفى الكواشى اوالحوايا عطف على الظهور فهى رفع اى اوماحملت الحوايا من الشحم او على مافهى نصب والمراد نفسها او على الشحوم فتحرم والحاصل ان قوله تعالى حرمنا عليهم

(شحومهما)

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴾ كل ماله اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ﴿ الا ماحملت ظهورهما ﴾ الا ماعلقت بظهورهما ﴿ اوالحوايا ﴾ اوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية اوحاوياء كقاصعاء وقواصع اوحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو ﴿ اوما اختلط بعظم ﴾ هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص

شحومهما الا ما حملت ظهورهما يشتمل على ثلاثة اشياء مستثنى منه وهو شحومهما ومستثنى وهو ما الموصولة في قوله ما حملت وفاعل حملت وهو ظهورهما فقوله تعالى او الحوايا او ما اختلط بعظم يحتمل ان يعطف على المستثنى منه فينبغى ان تكون كلمة او بمعنى الواو لان حملها على اصل معناها يستلزم ان تكون الآية مسوقة لتحريم احد المذكورات على الابهام وليس من الشرع ان يحرم واحد مبهم من امور معينة وانما ذلك في الواجب فقط فيجب ان يكون المحرم هو المجموع لا الواحد المبهم وذلك انما يكون بأن تكون او بمعنى الواو ويحتمل ان يعطف على المستثنى فينبغى ان تكون او بمعنى الواو ايضا لان الحلال هو المجموع لا الواحد المبهم ويخدش هذا الاحتمال ان عطف الحوايا على المستثنى من الشحم يستلزم كون الحوايا مستثنى من الشحوم مع انها ليست من جنس الشحوم بخلاف ما لصق بالظهور وما اختلط بالعظم ولعل المصنف انما لم يتعرض لهذا الاحتمال لذلك ويحتمل ان يعطف على ظهورهما وهو الاقرب والعصعص بالضم عجب الذنب وهو عظمه ويقال انه اول ما يخلق وآخر ما يبلى **﴿قوله﴾** ذلك التحريم **﴿** اى تحريم الطيبات المحللة لهم اشارة الى ان ذلك منصوب المحل على انه مفعول ثان لجزيناهم قدم على عامله لان جزى يتعدى الى مفعولين والتقدير جزيناهم ذلك التحريم او ذلك الجزاء بسبب بغيهم وهو قتلهم الانبياء واخذهم الربا واكلهم اموال الناس بالباطل **﴿قوله﴾** وانا لصادقون في الاخبار **﴿** اى عن كل شئ لاسيما في الاخبار عن التحريم المذكور وفي الاخبار عن بغيهم **﴿قوله﴾** او الوعد والوعيد **﴿** اشارة الى انه تعالى لا يخلف في الوعيد كما لا يخلف في الوعد لان الخلف في كل واحد منهما كذب فيستحيل صدوره منه تعالى وقيل يجوز منه تعالى الخلف في وعيده بناء على انه كرم وفضل بخلاف الخلف في الوعد فانه نقيصة وانشد

﴿ وانى اذا اوعدته او وعدته ﴿ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى ﴿

﴿قوله﴾ ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع **﴿** جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ما ذهبوا اليه من انه تعالى لا يريد الا ما امر به من الايمان والطاعة ووجه استدلالهم انه تعالى حكى عنهم انهم سيعتذرون في اشراكهم وتحريمهم ما احل الله لهم بأن يقولوا انما اشركنا وحرمنا ذلك بمشيئة الله تعالى وارادته منا ذلك ولولا مشيئته لم يقع شئ من ذلك وهذا الذى حكاه عنهم هو عين ما ذهب اليه اهل السنة ولما حكى الله تعالى ذلك عنهم على سبيل الذم والتقبيح ثبت بطلانه فانه تعالى لا يريد من المكلف الا الايمان والطاعة وتقرير الجواب ان مدخول كلمة لو ليس مشيئة عدم الاشراك والتحريم حتى يكون محصول كلامهم انما اشركنا وحرمنا لتعلق مشيئة الله تعالى بذلك فيذمهم الله تعالى ويقبح منهم هذا الكلام وتكون الآية دليلا لهم علينا بل مدخولها هو المشيئة مع الرضى وذلك لان مقصود القوم بيان انهم على الحق المرضى عند الله تعالى وهذا المقصود انما يتم بذلك كأنهم قالوا لو شاء الله عدم اشراكنا ورضى به تحقق ذلك العدم ولما لم يتحقق ذلك العدم علمنا انه تعالى لم يشأ ولم يرض عدم اشراكنا فكان اشراكنا مرضيا مرادا له تعالى وذلك لان كلمة لو لانتفاء المشيئة لانتفاء مدخولها ومدخولها ههنا مجموع الامرين المشيئة والرضى وانتفاء المجموع لا يستلزم انتفاء كل واحد منهما فيجوز ان ينتفى الرضى وتوجد المشيئة ويكون مراد القوم بقولهم لكن اشركنا لانتفاء مشيئة الارتضاء لكن اشركنا لانتفاء احد شرطى عدم اشراكنا وهو الرضى به وان تحقق الشرط الآخر وهو تعلق المشيئة به فعلى هذا يتعلق الذم والقبح بزعمهم انه تعالى لم يرض بعدم اشراكهم وتحريمهم فانه باطل لانه تعالى لا يرضى لعباده الكفر والفسوق **﴿قوله﴾** كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين **﴿** تشبيه لكون مدخول كلمة لو مشيئة الارتضاء وانتفاؤها لا يستلزم انتفاء كل واحد من المشيئة والرضى فان المنفى فيه هو المشيئة فقط دون الرضى فان هداية الجميع مرضية وان لم يتعلق بها المشيئة فقول المصنف مشيئة ارتضاء وان امكن حمله على ان المشيئة مجاز عن الرضى وكان هذا الحمل كافيا في غرضه الا انه لا يوافقه قوله كقوله ولو شاء لهداكم لان المشيئة فيه ليست بمعنى الرضى **﴿قوله﴾** ويؤيد ذلك **﴿** اى يؤيد كون مرادهم بذلك القول بيان انهم على الحق دون الاعتذار ووجه التأييد ان قولهم لو شاء الله ما اشركنا لو اريد به الاعتذار لما كان تكذيبا له عليه الصلاة والسلام وانما يكون تكذيبا اذا كان معناه انا انما اشركنا وحرمنا لكون ذلك مشروعا مرضيا عند الله تعالى وانك كاذب فيما قلت من ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه ويؤيد ايضا هذا المعنى قوله قل هلم شهداءكم الآية فانه صريح في انهم يدعون ان الله تعالى حرم هذه الاشياء وانهم على الحق

(ذلك) التحريم او الجزاء (جزيناهم ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) في الاخبار او الوعد والوعيد (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) حين ينزل او ذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم (سيقول الذين اشركوا) اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه (لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ) اى لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى مثل هذا التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا (حتى ذاقوا بأسنا) الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه لنا (ان تتبعون الا الظن) ما تتبعون في ذلك الا الظن (وان انتم الا تخرصون) تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه

المنزوع المرضي و الكاف في قوله تعالى كذلك صفة لمصدر محذوف اي مثل التكذيب المشار اليه في قوله فان كذبوك هنا على تقدير ان يكون ضمير كذبوك للمشركين الذين كذبوه عليه الصلاة و السلام فيما اخبرهم به من انه تعالى نهاهم عن الشرك و لم يحرم عليهم ما حكموا بحرمته و الظاهر انه ضمير الذين هادوا و قوله كذلك اشارة الى التكذيب المدلول عليه بقولهم لو شاء الله الخ و قوله حتى ذاقوا غاية لامتداد التكذيب و قوله من علم يحتمل ان يكون مبتدأ و عندكم خبرا مقدما و ان يكون فاعلا للظرف لاعتماده على الاستفهام و من زائدة على كلا التقديرين و الفاء في قوله تعالى قل فلله تقتضي سبق شئ يتفرع هذا عليه فقدر الزمخشري شرطا محذوفا يكون هذا جوابا له حيث قال يعني فان كان الامر كما زعمتم من ان ما انتم عليه بمشيئة الله تعالى فلله الحجة البالغة و قدر غيره جملة اسمية فقال التقدير قل انتم لا حجة لكم على ما ادعيتم و الظاهر انه لا حاجة الى التقدير بل هو متفرع على قوله قل هل عندكم من علم فان الاستفهام فيه للانكار انه لا حجة لهم على ما ادعوه فلله الحجة البالغة عليكم فانهم لما دفعوا دعوة الانبياء و الرسل عن انفسهم بأن قالوا كل ما هو كائن فانه بمشيئة الله تعالى و اذا شاء الله منا ذلك كنا عاجزين عن تركه فكيف تأمرنا بتركه و هل في وسعنا و طاقتنا ان نأتي بفعل على خلاف مشيئة الله تعالى فهذا هو شبهة الكفار على الانبياء فقال تعالى حجتهم داحضة بل الحجة البالغة لله من وجهين الاول انه تعالى اعطاكم عقولا كاملة و افهاما وافية و آذانا سامعة و عيونا ناظرة و أقدركم على الخير و الشر و أزال الاعذار و الموانع بالكلية عنكم فان شئتم ذهبتم الى عمل الخيرات و ان شئتم ذهبتم الى عمل المعاصي و المنكرات اي ذهبتم الى اكتسابها لا الى ايجادها فان المراد قدرة الكسب لا الايجاد و هذه القدرة الممكنة معلومة الثبوت بالضرورة و كذا زوال العوائق و الموانع معلوم كذلك و اذا كان الامر كذلك كان ادعاؤكم انكم عاجزون عن الايمان و الطاعة دعوى باطلة فثبت بما ذكرنا انه ليس لكم على الله حجة بل لله الحجة البالغة عليكم قال الزجاج حجته البالغة تبيينه انه الواحد و ارساله الانبياء بالحجج التي تعجز عنها الخلائق اجمعون و الوجه الثاني انكم تقولون لو كانت افعالنا واقعة على خلاف مشيئة الله تعالى لكنا قد غلبنا الله و قهرناه و أتينا بالفعل على مضادته و مخالفته و ذلك يوجب كونه عاجزا ضعيفا و ذلك يقدح في كونه الها فاجاب تعالى عنه بأن العجز و الضعف انما يلزم اذا لم يكن قادرا على حملهم على الايمان و الطاعة على سبيل القهر و الالجاء و هو قادر على ذلك حيث قال و لو شاء لهداكم اجمعين الا انه لا يحملكم على الايمان و الطاعة على سبيل القهر و الالجاء لان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف انتهى و احتج اهل السنة بقوله تعالى و لو شاء لهداكم اجمعين على ان الكل بمشيئة الله تعالى لان كلمة لو في اللغة تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فدل على انه تعالى ما شاء ان يهديهم و ما هداهم ايضا فهي حجة دامغة لنا على المعتزلة ﴿قوله﴾ وهو اسم فعل ﴿اي بمعنى أحضروا و هاتوا و قربوا و شهداءكم مفعول به فان اسم الفعل يعمل عمل مسماه متعديا كان او لازما و هلم فيها لغتان لغة الحجازيين و لغة التميميين فعند الحجازيين يستوي فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع نحو هلم يا زيد يا زيدان يا زيدون يا هند يا هندان يا هندات و عند بني تميم تلحقها الضمائر كما تلحق سائر الافعال فتذكر و تؤنث و تجمع فيقال هلم هلما هلموا هلمي هلممن و جمهور البصريين على انها مركبة من ها التنبيه و من لم امرا من لم لم فلما ركبتا حذفت ألفها لكثرة الاستعمال او لالتقاء الساكنين تقديرا بناء على ان حركة اللام عارضة و انما ضمت بنقل حركة الميم اليها للادغام فكان كل واحد من ألفها و اللام ساكنا و سقطت همزة الوصل للاستغناء عنها بحركة الميم المنقولة الى اللام لاجل الادغام و ادغمت الميم في الميم و بنيت على الفتح للخفة و قيل انها مركبة من ها التنبيه و من لم امرا من لم الله شعثه اي جمعه بمعنى هلم اجمع نفسك الينا فحذفت ألفها لكثرة الاستعمال و ليس فيه حينئذ الاعلال واحد و هو حذف ألفها و هو مذهب الخليل و سيبويه و ذهب الفراء الى انها مركبة من هل التي للزجر و من ام من الام و هو القصد و ليس فيه الاعلال واحد و هو نقل حركة الهمزة الى لام هل و هلم تكون متعدية بمعنى احضره و لازمة بمعنى اقبل فمن جعلها متعدية اخذها من اللم و هو الجمع و من جعلها قاصرة اخذها من اللمم و هو الدنو و القرب فمعنى هلم ادن و تقرب و أقبل ﴿قوله﴾ و لذلك ﴿اي و لكون المراد بشهدائهم قدوتهم الذين اقتدوا بهم لا من يشهد بصحة دعواهم كائنا من كان قيد الشهداء بالاضافة اليهم فان الاضافة لكونها من طرق تعريف المضاف تدل على ان لهم اختصاصا بهم و ذلك لكونهم شهداءهم و انهم انما ذهبوا الى ما ذهبوا اليه بشهادة هؤلاء الشهداء و لذلك ايضا وصف الشهداء بالموصول مع الصلة للدلالة على ان شهداءهم معهودون معينون عندهم باتصافهم بمضمون الصلة فان

﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة و القوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه و هي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم و تطلبه ﴿فلو شاء لهداكم اجمعين﴾ بالتوفيق لها و الحمل عليها و لكن شاء هداية قوم و ضلال آخرين ﴿قل هلم شهداءكم﴾ أحضروهم و هو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز و فعل يؤنث و يجمع عند بني تميم و اصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل و عند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام و هو بعيد لان هل لا تدخل الامر و يكون متعديا كما في الآية و لازما كقوله هلم الينا ﴿الذين يشهدون ان الله حرم هذا﴾ يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة و يظهر بانقطاعهم ضلالتهم و انه لا متمسك لهم كمن يقلدهم و لذلك قيد الشهداء بالاضافة و وصفهم بما يقتضي العهد بهم

الموصولات انما جعلت معارف لكونها موضوعة لان يطلقها المتكلم على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له وهو مضمون الصلة فان صلة الموصول لا بد ان تكون جملة معلومة الانتساب الى ذات الموصول قبل ايرادها واجرائها عليه **قوله** فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة فكان بمنزلة الشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة تصريحية واشتق منه قوله فلا تشهد فكان استعارة تبعية **قوله** فاتسع فيه بالتعميم حيث قاله وتكلم به كل من طلب ان يتقدم ويصل اليه شخص سواء كان الطالب في علو او سفل او غيرهما **قوله** وما تحتمل الخبرية اى تحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف اى أتل الذي حرمه ربكم عليكم وهذا اظهر الاحتمالات الثلاثة ويحتمل ان تكون مصدرية اى أتل تحريم ربكم ونفس التحريم لا يتلى وانما هو مصدر واقع موقع المفعول به اى أتل محرم ربكم الذي حرمه عليكم ويحتمل ان تكون استفهامية في محل النصب بحرم بعدها والتقدير أتل اى شئ حرم ربكم **قوله** اى لا تشركوا اختار ان تكون ان في قوله تعالى ان لا تشركوا مفسرة من حيث انه تقدمها ما هو في معنى القول لان التحريم هو تكلم القول الدال على الحرمة فقوله لا تشركوا يصلح ان يكون مفسرا للتحريم المذكور بقوله ما حرم حتى تكون لا ناهية وتكون الجمل المتعاطفة متوافقة في كونها طلبية بعضها امر وبعضها نهي نحو لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل ونحو وأحسنوا بالوالدين وأوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا وعلى تقدير ان تكون كلمة ان ناصبة للفعل تكون لا نافية فلا يحسن عطف الجملة الانشائية عليها وايضا ان جعلت ان مصدرية ولا نافية يكون قوله تعالى ان لا تشركوا في موقع البيان للمحرم بدلا من ما فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما وهو باطل لانهما واجبان فكيف يكونان محرمين وجعلها مفسرة يزول الاشكال لان تقدير الكلام يصير حينئذ أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا اى ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا به شيئا **قوله** ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم جواب عما يقال كيف يعطف قوله وأحسنوا بالوالدين على الفعل المفسر وهو لا تشركوا مع ان هذا المفسر قد علق اى جعل مفسرا لقوله ما حرم فلو عطف قوله وبالوالدين احسانا على قوله ان لا تشركوا به شيأ لوجب ان يكون مفسرا لقوله ما حرم ربكم عليكم فيلزم ان يكون الاحسان بالوالدين حراما وهو باطل * وتقرير الجواب نعم ان عطف الامر على ما جعل تفسيرا للتحريم يستلزم ان يكون الامر دالا على التحريم مفسرا له الا انه لا يلزم منه ان يكون المأمور به محرما فانه لا يذهب اليه وهم احد بل التحريم مستفاد من الامر وهو تحريم ضد المأمور به فان ايجاب المأمور به يستلزم تحريم ضده فان قولك أحسنوا بالوالدين في قوة قولك لا تسيئوا بالوالدين وقولك أوفوا الكيل في قوة قولك لا تبخسوا الكيل والميزان وكذا نظائرهما **قوله** ومن جعل ان ناصبة يتجه عليه ان يقال ان ان مع الفعل حينئذ تكون في محل النصب على انه بدل مما حرم وهو باطل لاستلزامه ان يكون ترك الاشراك محرما والمحرم هو الاشراك لا نفيه وان الاوامر الواردة بعد ذلك معطوفة على لا تشركوا وقد ارتكاب عطف الطلبي على الخبري وجعل المعاني الواجبة المأمور بها محرمة فلذلك احتيج الى ما ذكره المصنف من التكلفات الاول ان يتم الكلام عند قوله أتل ما حرم ربكم ثم يبتدأ بقوله عليكم ان لا تشركوا اى الزموا ترك الشرك فتكون الاوامر المعطوفة معطوفة على نفس عليكم لكونه بمعنى الزموا والثاني ان تكون ان مع ما في حيزها في محل النصب بدلا مما حرم او من العائد المحذوف اذ التقدير ما حرمه وعلى التقديرين تكون لا مزيدة لئلا يفسد المعنى كزيادتها في قوله تعالى ان لا تسجدوا ولئلا يعلم اهل الكتاب والتقدير أتل ما حرم ربكم ان تشركوا فيكون عطف الاوامر على المحرمات باعتبار حرمة اضدادها وعطفها على الخبر باعتبار تضمين الخبر معنى الطلب ويحتمل ان تكون ان الناصبة مع ما في حيزها في محل الجر على حذف لام العلة والتقدير أتل ما حرم ربكم عليكم لئلا تشركوا ويحتمل ان تكون في محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وهو المحرم او المتلو الا انه في جعل التقدير المحرم ان لا تشركوا يجب ان تجعل كلمة لا زائدة لئلا يفسد المعنى **قوله** شيئا يحتمل المصدر بأن يكون عبارة عن الاشراك اى اشراكا ما او شيئا من الاشراك واحسانا منصوب على المصدر وعامله فعل مضمر من لفظه ويتعلق به قوله وبالوالدين * ومن في قوله من املاق سببية متعلقة بالفعل المنهي عنه اى لا تقتلوا اولادكم لاجل الاملاق وهو الفقر وقيل الجوع **قوله** بدل منه يعني ان قوله ما ظهر منها وما بطن في محل النصب على انه بدل من الفواحش بدل اشتمال اى لا تقربوا ظاهرها وباطنها كقولك ضربت زيدا ظاهره وباطنه ومنها حال

(فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها (والذين لا يؤمنون بالآخرة) كعبدة الاوثان (وهم بربهم يعدلون) يجعلون له عديلا (قل تعالوا) امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم (أتل) اقرأ (ما حرم ربكم) منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أتل اى شئ حرم ربكم (عليكم) متعلق بحرم او أتل (ان لا تشركوا به) اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا (شيئا) يحتمل المصدر والمفعول (وبالوالدين احسانا) اى واحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما (ولا تقتلوا اولادكم من املاق) من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق (نحن نرزقكم واياهم) منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه (ولا تقربوا الفواحش) كبائر الذنوب او الزنى (ما ظهر منها وما بطن) بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه

من فاعل ظهر فيتعلق بمحذوف وحذف منها بعد قوله بطن لدلالة الاوّل عليه قال ابن عباس كانوا يكرهون الزنى علانية فيفعلون ذلك سرّا فنهاهم الله تعالى عن الزنى علانية وسرّا وقال الضحاك ماظهر الخمر ومابطن الزنى والاولى ان يجرى النهى على عمومه فى جميع الفواحش ظاهرها وباطنها ولا يخص بنوع معين ﴿قوله تعالى الا بالحق﴾ حال من فاعل تقتلوا اى لاتقتلوها الاملتبسين بالحق ويجوز ان يكون وصفا لمصدر محذوف اى الاقتلا ملتبسا بالحق ﴿قوله تعالى وأوفوا الكيل﴾ اى أتموه ولاتنقصوا منه شيأ وكل شئ بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم ووفيته اى اتممته واوفى الكيل اى اتمه ولم ينقص منه شيأ وبالقسط حال من فاعل أوفوا اى أوفوهما مقسطين اى ملتبسين بالقسط وهو العدل * فان قيل ايفاء الكيل والميزان هو عين القسط فما فائدة التكرير * فالجواب ان الله تعالى امر المعطى بايفاء ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب زيادة ﴿قوله واذا قلتم فى حكومة ونحوها﴾ يعنى ان القول ليس مختصا باداء الشهادة بل يدخل فيه كل مايتعلق بالقول من الدعوة الى الدين وتقرير الدلائل عليه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ويدخل فيه الحكايات التى يذكرها الرجل فيجب ان لايزيد فيها ولا ينقص منها وتبليغ الرسالة وحكم الحاكم ولما كان مدار الامر على اتباع الحق المشروع وطلب مرضاة الله تعالى لم يختلف الحال بين ان يكون المقول له او المقول عليه ذا قرابة وبين ان يكون اجنبيا ﴿قوله وابن عامر﴾ اى وقرأ ابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف على انها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الامر والشأن اى وانه هذا صراطى كقوله تعالى ان الحمد لله ﴿قوله وقرأ الباقون به مشددة﴾ بتقدير اللام المفيدة للعلية اى ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل ان ان المشددة مع مافى حيزها فى محل النصب على انها معطوفة على قوله ماحرّم اى أتل ماحرّم ربكم عليكم وأتل ان هذا صراطى والمراد بالمتكلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صراطه صراط الله الذى هو دين الاسلام ﴿قوله تعالى فتفرق﴾ منصوب باضمار ان بعد الفاء فى جواب النهى اصله تتفرق حذفت منه احدى التاءين وبكم مفعول به عدّى الفعل اليه بالباء اى فتفرّقكم وقوله مستقيما حال وعاملها معنى الاشارة ﴿قوله وثم للتراخى فى الاخبار﴾ جواب عما يقال كيف يصح عطف الايتاء على التوصية بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل فان التوصية وقعت بانزال القرآن وايتاء التوراة لاشك انه متقدم على انزال القرآن واجاب عنه بأن ثم ههنا ليست للتراخى الزمانى بل انما هى للتراخى فى الاخبار او للتراخى فى الرتبة فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لا ان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كما فى قوله تعالى بعد ذكر الجنة فنعم اجر العاملين وبعد ذكر جهنم فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر مدح الشئ او ذمه انما يصح بعد جرى ذكره ولا يصح حملها على التراخى الزمانى فى شئ من الآيتين ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل على المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى الى آخرها وقولك اجبته فقلت لبيك فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومن هذا القبيل مانحن فيه من الآية فان الاخبار بايتاء التوراة وانزال القرآن مرتب على الاخبار بالتوصية باتباع صراط الله تعالى اذ لايخفى ان بيان طريق التوصية حقه ان يؤخر عن الاخبار بنفس التوصية وكذا بين ايتاء التوراة وانزال القرآن وبين تلك التوصية تفاوت عظيم فى الرتبة لاشتمالهما على تلك التوصية وعلى امثالها مع احكام اخر وفى تقرير الجواب اشارة الى ان قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك عطف على آتينا موسى الكتاب داخل فى حيز ثم ولم يذكر على اسلوب قوله آتينا موسى الكتاب ولم يقل وانزلنا اليك هذا الكتاب المبارك اظهارا لشرفه ومزيد رتبته ولهذا جعل الفاصلة ثمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وههنا لعلكم ترحمون ﴿قوله وصاكم به قديما وحديثا﴾ اشارة الى ان هذه التوصية قديمة لم يزل يوصى بها كل امة على لسان نبيها ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات يعنى من قوله تعالى قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وعن كعب الاحبار انه قال والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات مفتتح التوراة وهى بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم الى آخر الآيات الثلاث وكعب رجل من حمير ادرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه وروى ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطى

(ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق) كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن (ذلكم) اشارة الى ماذكر مفصلا (وصاكم به) بحفظه (لعلكم تعقلون) ترشدون فان كمال العقل هو الرشد (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) اى بالفعلة التى هى احسن مايفعل بماله كحفظه وتثميره (حتى يبلغ اشدّه) حتى يصير بالغا وهو جمع شدّة كنعمة وانعم او شدّ كصرّ وأصرّ وقيل مفرد كآنك (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والتسوية (لانكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما فى وسعكم وماوراءه معفو عنكم (واذا قلتم) فى حكومة ونحوها (فاعدلوا) فيه (ولو كان ذا قربى) ولو كان المقول له او عليه من ذوى قرابتكم (وبعهد الله أوفوا) يعنى ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها (وان هذا صراطى مستقيما) الاشارة فيه الى ماذكر فى السورة فانها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله (فاتبعوه) وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات (فتفرّق بكم) فتفرّقكم وتزيلكم (عن سبيله) الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان (ذلكم) الاتباع (وصاكم به لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) عطف على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة

(مستقيما)

مستقيما فاتبعوه وقوله تماما مفعول له وجاز حذف اللام لكونه فى معنى الاتمام فيكون فعلا لفاعل الفعل المعلل او مصدرا للفعل المقدر من لفظه على حذف الزوائد اى اتممناه اتماما وقوله الكرامة متعلق بقوله تماما بمعنى اتماما كقوله والله انبتكم من الارض نباتا اى انباتا ولهذا تعلق به قوله الكرامة على انه مفعول به والافتماما مصدر تم وهو لازم فكيف يعدى الى الكرامة ﴿قوله على من احسن القيام به﴾ على ان يكون التعريف فى قوله الذى للجنس اى لاتمام النعمة الى كل من احسن القيام به فيكون ضمير احسن عائدا الى الموصول ومفعوله محذوف ﴿قوله او على الذى احسن تبليغه﴾ فيكون التعريف للعهد والمعهود موسى عليه الصلاة والسلام فيكون فاعل احسن ايضا ضميرا عائدا الى الموصول ومفعوله محذوفا وهو التبليغ اى اتماما للكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ وفى كل ما امر به ﴿قوله او تماما على ما احسنه﴾ على ان يكون التعريف للعهد ايضا والمعهود العلوم والشرائع التى احسنها موسى اى اجاد معرفتها ففاعل احسن ضمير موسى ومفعوله محذوف وهو العائد الى الموصول اى تماما على الذى احسنه موسى من العلم والشرائع بمعنى زيادة على علمه على وجه التتميم ﴿قوله وقرئ بالرفع﴾ اى برفع احسن على انه خبر مبتدأ محذوف والذى وصف للدين او للوجه الذى تكون عليه الكتب اى حال كون الكتاب تماما على الدين الذى هو احسن او حال كون الكتاب تاما كاملا كائنا على الوجه الذى هو احسن مايكون عليه الكتب ﴿قوله كراهة ان تقولوا﴾ اختار كونه مفعولا له ولا خفاء ان نفس هذا القول لايصلح ان يكون علة باعثة للانزال بل العلة الباعثة هى عدم ذلك القول فلذلك حمله الكوفيون على حذف لا اى لئلا يقولوا والبصريون على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا وان تقولوا خطاب لاهل مكة والمعنى انزلناه كراهة ان تقولوا ايا اهل مكة انزل الكتاب وهو التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى وكنا غافلين عما فيهما لانعرف دراستهم لان كتابهم ليس بلغتنا فانزل الله تعالى كتابا بلغتهم كيلا يعتذروا بأن الكتاب لم يأتهم وان الرسول لم يبعث اليهم ﴿قوله وانه كنا﴾ قدر للمكسورة المخففة من الثقيلة اسما وهو ضمير الشأن اشارة الى انها يجوز اعمالها حال كونها مخففة كما تعمل بكون مع حذف نونها فى قولك ان زيد قائما نص عليه ابن الحاجب فى الكافية ولم يقل عن دراستهما لان كل طائفة جماعة مع ان ضمير دراستهم للطائفتين ﴿قوله تعالى فقد جاءكم﴾ جواب شرط مقدر اى ان صدقتم فيما كنتم تعتذرون عن انفسكم فقد جاءكم او ان كنتم كما تزعمون انكم اذا انزلنا عليكم كتابا تكونون اهدى من اليهود والنصارى فقد جاءكم حذف الشرط فدل عليه بالفاء الفصيحة كما فى قوله * فقد جئنا خراسانا * ولما وصف الله تعالى القرآن العظيم بانه كتاب مبارك يكون اتباعه سببا للرحمة وانه بينة نازلة من قبل الرب الكريم وهدى ورحمة عظم كفر من كذب به وصدف عنه ومنع غيره من اتباعه لان الاول ضلال والثانى اضلال فمن جمع بينهما فقد وقع فى غاية الاختلال ﴿قوله اى ماينتظرون﴾ اشارة الى ان هل استفهام معناه النفى وان ينظرون بمعنى ينتظرون فان النظر يستعمل فى معنى الانتظار وتقدير الآية انهم لايؤمنون بك الا اذا جاءهم احد هذه الامور الثلاثة وهى مجئ الملائكة او مجئ الرب او مجئ الآيات القاهرة من الرب كأنه قيل انى اقمت عليهم الحجة وانزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فماينتظرون الا احد هذه الامور ﴿قوله بجزيرة العرب﴾ هى ناحية من ارض العرب يحيطها بحر فارس وبحر السودان ونهرا دجلة والفرات * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لايغلق مالم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك فان الايمان انما ينفع صاحبه اذا كان عن برهان رغما للشيطان وتعبدا للرحمن واختيار الايمان من حيث كونه مأمورا به من قبل الملك المنان وما يكون عند معاينة الآيات ليس بايمان اختيار فى الحقيقة بل هو ايمان بأس وقع خوفا من العذاب فلا ينفع الايمان الحاصل عند معاينة مايضطر الانسان الى الايمان فان معاينة اشراط الساعة بمنزلة معاينة نفسها ووقوع العيان يمنع قبول الايمان لانه انما يقبل اذا كان بالغيب قالت عائشة رضى الله عنها اذا خرجت اول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد بالاعمال * ويوم منصوب بقوله لاينفع وقرئ مرفوعا على الابتداء وخبره لاينفع والعائد محذوف اى لاينفع نفسا ايمانها فيه وقوله لم تكن آمنت وان جاز ان يكون حالا من ضمير ايمانها الا ان المصنف اختار كونه صفة نفسا فيقع الفاعل وهو ايمانها فاصلا بين المفعول الموصوف وبين صفته لعدم كون الفاعل اجنبيا من الموصوف الذى هو المفعول لاشتراكهما فى العامل فعلى هذا يجوز ضرب هندا

ورحمة لعلهم) لعل بنى اسرائيل (بلقاء ربهم يؤمنون) اى بلقائه للجزاء (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) كثير النفع (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا علة لانزاله (انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم (وان كنا) ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا (عن دراستهم) قراءتهم (لغافلين) لاندرى ماهى اولا نعرف مثلها (اوتقولوا) عطف على الاول (لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون (فقد جاءكم بينة من ربكم) حجة واضحة تعرفونها (وهدى ورحمة) لمن تأمل فيه وعمل به (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها (وصدف) اعرض او صد (عنها) فضل وأضل (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) شدته (بما كانوا يصدفون) باعراضهم او صدهم (هل ينظرون) اى ماينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين (الا ان تأتيهم الملائكة) ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل (او يأتى ربك) اى امره بالعذاب او كل آياته يعنى آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلى لقوله (او يأتى بعض آيات ربك) يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضى الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لاتقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال طلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها) كالمحتضر اذا صار

علامها القرشية وقوله او كسبت فى ايمانها خيرا لما عطف على قوله آمنت اشعر النظم ان الايمان السابق المعرى عن فعل الخير لا ينفع مطلقا وقد ذهب اهل السنة الى انه ينفع فى عدم التخليد لورود النصوص بذلك ولم يقم دليل عقلى ينافيها وان لم ينفع فى دفع العقاب جزآء على اثم ترك العمل استدل به من لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل كالمعتزلة فان الايمان فى الشرع عبارة عن التصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم الا ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى انه عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن ترك العمل وحده اى مع انه اعتقد واقر فهو فاسق اتفاقا الا انه عند جمهور المحدثين هو مؤمن فاسق وعند الخوارج هو كافر فاسق وعند المعتزلة هو فاسق خارج عن الايمان غير داخل فى الكفر والخارج عن الايمان لا ينتفع بالايمان * قال صاحب الكشاف معنى الآية ان اشراط الساعة اذا جاءت وهى آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا فى ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا الا انا نعلم ان قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغى ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبها ويسعد والا فالشقاء والهلاك انتهى كلامه فيتمسك بظاهر الآية على ان مجرد الايمان بدون ان يكون فيه كسب خير ليس بنافع فلا يخلص صاحبه من الخلود فى النار ﴿ قوله ولمعتبر ﴾ اى ولمن اعتبر الايمان المجرد عن العمل بأن حكم عليه بانه يخلص صاحبه من الخلود فى النار تخصيص هذا الحكم وهو حكم عدم نفع الايمان بذلك اليوم فان الايمان الذى حكم عليه بانه لا ينفع اذا خصص بالايمان الحادث فى ذلك اليوم يكون الحكم بعدم نفعه مخصصا ايضا بواسطة تخصيص الايمان المعتبر فى ذلك الحكم ثم ان هذا التخصيص ليس مستندا الى مجرد الادعاء والتشهى بل هو مستند الى دليل وذلك لان كلمة أو لأحد الامرين او الامور فاذا وقعت فى سياق النفى تكون لعموم النفى كالنكرة على ما ذكر فى قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فقوله تعالى او كسبت لما عطف على قوله آمنت الواقع فى سياق قوله لم تكن كان المعنى لا ينفع الايمان نفسا انتفى منها كل واحد من الايمان وكسب الخير فى ذلك الايمان قبل ذلك اليوم ووجب ان يكون المراد بالايمان الذى حكم عليه بعدم النفع هو الايمان الحادث بعد ذلك اليوم فحينئذ لا دلالة فى الآية على عدم نفع الايمان السابق على ذلك اليوم اذا كان عاريا عن فعل الخير والطاعة حتى يقال انه تعالى سوى بين النفس الكافرة اذا آمنت فى غير وقت الايمان وبين النفس التى آمنت فى وقته ولم تكسب خيرا فى أن كل واحدة منهما خالدة فى النار فسقط استدلال المعتزلة بها * ولما ورد على هذا التأويل ان يقال تخصيص الحكم المذكور بذلك اليوم وجعل كلمة أو لعموم النفى يستلزم ان يكون المعنى لا ينفع الايمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا انتفى عنها كل واحد من الايمان السابق وكسب الخير فيه فيكون ذكر انتفاء كسب الخير فى الايمان السابق لغوا لان انتفاء نفس الايمان السابق يستلزم انتفاء كسب الخير فيه ضرورة اشار المصنف الى جوابه بقوله وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين احدهما الايمان السابق الذى اكتسب فيه العمل الصالح والآخر مجرد ذلك الايمان * وتقرير الجواب ان قوله تعالى او كسبت فى ايمانها خيرا انما يكون لغوا اذا كان المقصود مجرد بيان عموم النفى وليس كذلك بل المقصود بيان اشتراط النفع بأحد الامرين فان هذا البيان انما يحصل بذكرهما جميعا بأن يقول يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع الايمان الحادث فيه نفسا خلت عن الايمان السابق المكتسب فيه الخير وعن اصل ذلك الايمان ايضا فان هذا القول يدل على ان النفس لو لم تكن خالية عن كل واحد منهما بل كانت متصفة بأحدهما ايهما كان نفعها ذلك ونجاها من الخلود فى النار ولا شك انه يفهم منه اشتراط النفع بأحد الامرين ويظهر فائدة قوله او كسبت فى ايمانها خيرا ﴿ قوله والعطف على لم تكن ﴾ عطف على قوله وحمل الترديد فيكون جوابا آخر عن حديث اللغو وتقريره ان تخصيص الحكم المذكور بذلك اليوم على تقدير تسليم كونه مستلزما لذكر ما لا فائدة فى ذكره انما يستلزمه على تقدير كون قوله او كسبت عطفا على قوله آمنت وليس كذلك بل هو معطوف على قوله لم تكن والمعنى لا ينفع الايمان الحادث فى ذلك اليوم نفسا لم تؤمن قبل او آمنت بعد ظهور الآيات وكسبت فى ايمانها الحادث خيرا كأنه قيل لا ينفع مجرد الايمان النفس الموصوفة بانها لم تؤمن من قبل فضلا عن ان تكتسب فى ايمانها خيرا او بانها آمنت بعد ظهور الآيات وكسبت فى ايمانها الحادث خيرا واجيب عن تمسك المعتزلة ايضا بأن الآية

(او كسبت فى ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل

من باب اللف التقديرى اى لاينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه فتوافق الآيات والاحاديث الشاهدة بأن مجرد الايمان ينفع ويورث النجاة من العذاب ولو بعد حين وهذا ماقاله القاضى ناصر الدين فى الانتصاف من ان الزمخشرى يروم ان يستدل بالآية على ان الكافر والعاصى فى الخلود سوآء حيث سوّى فى الآية بينهما فى عدم الانتفاع بالايمان بعد ظهور الآيات ولايتم له فان هذا الكلام اشتمل على مايسمى فى علم البيان والبلاغة باللف واصل الكلام يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها لم تكن مؤمنة قبل ايمانها بعد ولانفسا لم تكسب فى ايمانها خيرا قبل ماتكسبه من الخير بعد الا انه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا ايجازا وبلاغة واذا ثبت ان ذلك هو الاصل ظهر ان مايستفاد من الآية غير مخالف لقواعد اهل السنة فانا نقول لاينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير ان لم ينفع الايمان المتقدم فى السلامة من الخلود فهذا بأن يدل على رد الاعتزال اجدر من ان يدل له **قوله عليه الصلاة والسلام فى الهاوية** وهى من اسماء النار سميت به لكونها ذات هوىّ يسقط المجرمون فيها يقال هوى يهوى هويا اذا سقط **قوله شيعا** يقال شايعه يشايعه شياعا اى تبعه **قوله تعالى لست منهم** فى محل الرفع على انه خبر ان ومنهم خبر ليس وفى شىء متعلق بالاستقرار الذى تعلق به منهم اى لست منهم مستقرا فى شىء من تفريقهم ومن سائر احوالهم والحاصل ان قولك لست منى ولست منك يستعمل فى نفى الاتصال بين اثنين كما ان نحو انت منى وانا منك يستعمل فى اثبات الاتصال بينهما ونفى الاتصال انما يستفاد من القرآئن الخارجية فان المحق لكونه ضد المبطل لايتصل به وكذا من اتبع الحجج والبراهين لايتصل بمن يتمسك بتقليد الآباء والاهوآء الباطلة **قوله عشر حسنات امثالها** يعنى ان ظاهره ان يقال عشرة امثالها بالحاق التاء لان الامثال جمع مثل وهو مذكر وقد تقرر ان ثلاثة الى عشرة اذا اضيف الى مذكر يجب الحاق التاء بالعدد نحو ثلاثة رجال الى عشرة رجال ولم يلحق التاء بالعشرة ههنا لان الامثال ليس مميزا للعشرة بل مميزها هو الحسنات والامثال صفة لمميزها روى ابوذر رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال « الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او أعفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره » وقال عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى « اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها وان لم يعملها واذا عملها فعشر امثالها وان همّ بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة واحدة » فان قيل كفر ساعة يوجب عقاب الابد على نهاية التغليظ فاوجد المماثلة « واجيب بأن الكافر على عزم انه لوعاش ابدا لبقى على ذلك الاعتقاد فلما كان العزم مؤبدا عوقب بعقاب الابد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع عن ذلك الذنب فلا جرم كانت عقوبته منقطعة **قوله قضية العدل** توصيفه تعالى بالعدل لايقتضى ان يكون بعض الافعال بالنسبة اليه تعالى ظلما وقبيحا فان كل مااسند اليه تعالى من الافعال حسن وصواب يتصرف فى ملكه كيف يشاء الا انه تعالى لكمال قدرته واحاطة علمه وباهر حكمته وجلال ذاته وكبريائه لايفعل الاماله حكمة وفائدة جليلة فلينظر الانسان الى بدنه والى بدن العالم بأسره كيف احسن خلقه ووضع كل شىء من اعضائه المختلفة فى موضع يليق به فقوله قضية العدل لايدل على انه مال الى الاعتزال بأن يفهم من كلامه ان الجزآء لو لم يكن مثل السيئة لما كان عدلا **قوله قيما** قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قيما بفتح القاف وكسر الياء المشددة على انه صفة مشبهة من قام بمعنى القائم والمستقيم الا ان القيم ابلغ منهما باعتبار الزنة لكون زنته دالة على الثبوت وهما يدلان على التجدد والحدوث وان كان المستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة فان بناء الاستفعال لكثرة حروفه يفيد مالايدل عليه المجرد والقيم بكسر القاف وفتح الياء مخففة مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر والحول والشبع وصف به الدين مبالغة او بمعنى ذا قيم **قوله ملة ابراهيم عطف بيان لدينا** فان الملة والدين وان كانا عبارتين عما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه ليتوصلوا باتباعه الى اجل ثوابه الا ان الملة لما ذكرت مضافة كان فيها زيادة التوضيح فصلحت ان تكون عطف بيان للدين والملة من امللت الكتاب اى امليته وماشرعه الله تعالى لعباده سمى ملة من حيث انه يدوّن ويملى ويكتب ويتدارس بين من اتبعه من المؤمنين ويسمى دينا باعتبار طاعتهم لمن شرعه وسنه اى جعله لهم سننا وطريقا **قوله عبادتى كلها** قال الزجاج النسك كل ماتقربت به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه فى العرف الحج او الذبح قال مقاتل نسكى ام حجى وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى ذبحى يقال من فعل كذا فعليه نسك اى دم يهريقه وجمع بين الصلاة وبين النحر كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد

(ان الذين فرقوا دينهم) بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا (وكانوا شيعا) فرقا يشيع كل فرقة اماما (لست منهم فى شىء) اى فى شىء من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت برىء منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف (انما امرهم الى الله) يتولى جزآءهم (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) بالعقاب (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ماوعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) قضية العدل (وهم لايظلمون) بنقص الثواب وزيادة العذاب (قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم) بالوحى والارشاد الى مانصب من الحجج (دينا) بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ (قيما) فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام (ملة ابراهيم) عطف بيان لدينا (حنيفا) حال من ابراهيم (وماكان من المشركين) عطف عليه (قل ان صلاتى ونسكى) عبادتى كلها او قربانى او حجى

(ومحياى ومماتى) وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان والطاعة اوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى المماة كالوصية والتدبيرا والحياة والممات
انفسهما وقرأنافع محياى باسكان الياء اجرآاللوصل مجرى الوقف (لله رب العالمين لاشريك له) خالصة له لا اشرك فيها غيرا (وبذلك)
القول والاخلاص (امرت وانا اوّل المسلمين)
لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته
(قل أغير الله ابغى ربا) فاشركه فى عبادتى
وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام
الى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شئ)
حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى
وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية
(ولاتكسب كل نفس الاعليها) فلا ينفعنى
فى ابتغاء رب سواه ماانتم عليه من ذلك
(ولاتزر وازرة وزر اخرى) جواب عن
قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
(ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة
(فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بين الرشد
من الغى ويميز الحق من المبطل (وهو الذى
جعلكم خلائف الارض) يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله فى ارضه تتصرفون
فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم
السابقة على ان الخطاب للمؤمنين
(ورفع بعضكم فوق بعض درجات)
فى الشرف والغنى (ليبلوكم فيما آتاكم)
من الجاه والمال (ان ربك سريع العقاب)
لان ماهوآت قريب اولانه يسرع اذا اراده
(وانه لغفور رحيم) وصف العقاب
ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة
وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور
بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ
فيها قابل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزلت علىّ سورة
الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف
ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة
الانعام يوما وليلة والله اعلم
سورة الاعراف مكية غير ثمانى آيات من
قوله واسألهم الى قوله واذنتقنا الجبل محكم
كلها وقيل الاقوله وأعرض عن الجاهلين
وآيها مائتان وخمس اوست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب)
خبر مبتدأ محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن (انزل اليك) صفته (فلا يكن فى صدرك حرج منه) اى شك

نامك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة الخالصة من الخبث فعلى هذا النسك كل مابه تقربت
الى الله تعالى **قوله** تعالى ومحياى ومماتى لله اى حياتى وموتى حاصلان بخلق الله تعالى لابمعنى انه يؤتى
بهما لطاعة الله تعالى وخالصا لوجهه لان ذلك انما يكون فيما يكون لاختيار الانسان مدخل فيه فلذلك يجب
ان يكون كون الصلاة والنسك لله مفسرا بكونهما والحين بخلق الله تعالى وذلك من ادل الدلائل على ان طاعة
العبد مخلوقة لله تعالى هذا على تقدير ان يراد بهما الحياة والممات انفسهما واما على تقدير ان يكونا من قبيل ذكر
المحل وارادة الحال فيكون المقصود من الكلام ارشاد الانام فى صورة خطابه عليه الصلاة والسلام قال التفتازانى
المحيا والممات مجازان عما يقارنهما ويكون معهما من الايمان والعمل الصالح لانه المناسب للحكم عليه بكونه خالصا
لوجه الله كالصلاة وسائر العبادات الا انه لايكفى فى العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل يجب ان يؤتى بها مع تمام
الاخلاص وانه تعالى لايقبل الا ما كان خالصا لوجهه **قوله** جواب من قولهم عن ابن عباس رضى الله
عنهما انه قال ان الوليد بن المغيرة كان يقول اتبعوا سبيلى احمل أوزاركم فقيل ولاتزر وازرة اى لاتؤاخذ نفس آثمة
بإثم اخرى اى لايؤخذ احد بذنب غيره تم مايتعلق بسورة الانعام

(سورة الاعراف مائتان وست آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله كتاب خبر مبتدأ محذوف مبنى على مااختاره من كون ألفاظ التهجى مذكورة على نمط التعديد
ومقدرة بالمؤلف من هذه الحروف فانها حينئذ تكون فى حيز الرفع على انها مبتدأ حذف خبره او خبر محذوف
والتقدير هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا فحينئذ يكون كتاب جملة اخرى حذف
منها المبتدأ وهو الضمير الراجع الى المؤلف من الحروف واما اذا جعل المص اسما للسورة او القرآن فحينئذ يكون
المص مبتدأ وكتاب خبره كما صرح به **قوله** فان الشك حرج الصدر لما فسر الحرج بالشك ومن المعلوم
ان لفظ الحرج ليس حقيقة فيه فتعين كونه مجازا فيه احتاج الى بيان العلاقة بين المعنى الاصلى والمجازى وهى ان
الحرج من لوازم الشك واللفظ المستعمل فى الملزوم مع عدم امكان ارادة المعنى الاصلى مجاز اذ لايمكن ههنا ارادة
حقيقة الحرج اذ لامعنى لتحرج القلب من نفس الكتاب او من نفس انزاله او من نفس استناد انزاله الى الله تعالى
فان كل ذلك يحل فى القلب ويرتسم فيه فلا يحرج من الجزم بكونه منزلا من عند الله تعالى وانما المتصور
ان يحرج القلب من عدم التيقن بكونه منزلا من عند الله تعالى فان الشاك فى الحكم لايستقر فى قلبه احد
طرفى النسبة فيضيق قلبه منه ومن فى قوله منه سببية اى لايكن فى قلبك حرج بسببه وضمير منه يرجع الى
الانزال المسند اليه تعالى المدلول من قوله انزلناه **قوله** او ضيق قلب من تبليغه فحينئذ يكون الحرج
على اصل معناه ويقدر المضاف اى حرج من تبليغه فان الحرج حقيقة لايختص بالاجسام والضيق المكانى
قوله وتوجيه النهى اليه مع ان الحرج ليس مما يؤمر وينهى بالكون فى الصدر او عدم الكون فيه
والنهى من باب التهييج والالهاب ليداوم على اليقين ويزيد فيه كقوله فان كنت فى شك وقيل المراد نهى امته عن الشك
لان الامر والنهى انما يتعلقان بمن له شعور وعزيمة على الفعل والترك والحرج ليس كذلك الا انه لما قصد المبالغة
فى نهى المخاطب عن كونه فى حرج عبر عن عدم كونه فى حرج بعدم كون الحرج فى صدره على طريق ذكر اللازم
وارادة الملزوم فان الكناية ابلغ من الصريح فان قولك لاأرينك ههنا ابلغ من ان يقال لاتكونن ههنا ولاتحضرنه
فيه فان عدم كون المخاطب فى ذلك المكان ملزوم لعدم رؤية المتكلم اياه فيه فعبر عن الاول بالثانى لكون نهى
المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب فيه ابلغ فى نهى المخاطب عن الحضور فيه لكون النهى الاول كالبينة للثانى ولاثبات
ان اثبات الشئ ببينة ابلغ من مجرد الاثبات ومثله فى الامر قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فان ظاهره امر الكفار
بأن يجدوا فى المؤمنين غلظة والمراد امر المؤمنين بأن يغلظوا على الكفار ولما كان وجدان الكفار غلظة
فى المؤمنين لازما لغلظة المؤمنين عليهم وكان طلب المؤمنين للازم ابلغ من طلب الملزوم عبر عن غلظة المؤمنين عليهم
بذلك **قوله** والفاء تحتمل العطف واختلاف الجملتين خبرا وانشاء لفظا ومعنى يوجب كمال الانقطاع بينهما
فلا يجوز عطف احداهما على الاخرى فلابد ان تؤول جملة لايكن حرج بالاخبار على معنى لاينبغى ان يكون حرج
او تؤول جملة انزل اليك بالانشاء على معنى ثق بانزاله اليك من ربك فلايكن فى صدرك حرج وقوله فى تصوير

الشرط المقدر اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك اشارة الى ان جملة النهي وقعت معترضة بين العلة ومعلولها وحقها ان تتأخر عن قوله لتنذر الا انها قدمت عليه تنبيها على انه ينبغي ان يزيل الحرج عن صدره اولا ثم يشتغل بالانذار فالفاء في قوله فلا يكن لترتيب النهي على قوله انزل اليك لتنذر فان الكتاب لما كان منزلا من عند الله تعالى لحكمة الانذار به ينبغي ان لا يشك فيه ولا يخاف من تبليغه لان الله تعالى حينئذ يتكفل بحفظه ونصرته كأنه قيل هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله حافظا له وناصرا يقوى على ايقاع مطلوبه فاشتغل بالانذار والتبليغ والتذكير اشتغال الرجال الابطال ولا تبال بأحد من اهل الزيغ والعناد ﴿قوله لانه اذا ايقن﴾ علة وبيان لوجه كون اللام متعلقة بلا يكن على ان يكون الحرج بمعنى الشك كأنه قيل تيقن بكونه منزلا من عند الله ليشجعك ذلك اليقين على الانذار وقوله وكذا اذا لم يخفهم الخ على ان يكون الحرج بمعناه ويقدر المضاف في منه كأنه قيل لا تخف من تكذيبهم اياك ليشجعك عدم الخوف المذكور على الانذار ﴿قوله والجر عطفا على محل لتنذر﴾ فان الفعل فيه منصوب بأن المضمرة بعد لام كي فالسبك منها المصدر فكأنه قيل للانذار والتذكير فان ذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير ثم انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتبليغ والانذار أمر الامة بمتابعته وقبول ما انزل اليه فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي لا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم في معصية الله وقرئ ولا تبتغوا بالغين المعجمة من الابتغاء كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا وعلى القراءتين ضمير من دونه يرجع الى الرب تعالى وهو متعلق بمحذوف لانه كان في الاصل صفة لاولياء فلما قدم عليه انتصب حالا اي لا تتبعوا عظماءكم الذين تجعلونهم كالارباب حيث تتبعونهم فيما يحرمون ويحللون ويزينون لكم طرق الضلال عن الصراط المستقيم وهو كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا اي يطيعونهم فيما يأمرون وينهون ﴿قوله وقيل الضمير في من دونه لما انزل﴾ بتقدير المضاف الى اولياء اي دين اوليائه ولا يبعد ان يجعل الضمير لمصدر اتبعوا اي لا تتبعوا اولياء اتباعا كائنا من دون اتباع ما انزل ﴿قوله اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا﴾ يعني ان قليلا معمول لقوله تذكرون على انه صفة لمصدره المحذوف او ظرفه المحذوف ﴿قوله وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون﴾ لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فلا بد ان يكون قليلا صفة زمان محذوف وذلك الزمان المحذوف في محل الرفع على انه خبر مقدم وما المصدرية مع ما بعدها في تأويل المصدر المرفوع على انه مبتدأ مؤخر والتقدير زمانا قليلا تذكركم اي لا يقع تذكركم الا في بعض الاحيان ﴿قوله قرأ حمزة الخ﴾ يعني انهم قرأوا بتاء واحدة وتخفيف الذال بحذف احدى التاءين وقرأ ابن عامر يتذكرون بياء تحتانية بعدها تاء على انه تعالى خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام بأن هؤلاء الذين ذكروا بالخطاب السابق قليلا ما يتذكرون والباقون بتاء واحدة وتشديد الذال بادغام تاء التفعل فيها ثم انه تعالى لما امر الرسول بالانذار والتبليغ وامر القوم بالقبول والاتعاظ ذكر بعده ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية الآية وكم فيه خبرية للتكثير وفسرها المصنف بقوله وكثيرا المنصوب اشارة الى انها في موضع النصب على الاشتغال باضمار فعل يفسره ما بعده ولا بد ان يقدر الفعل متأخرا عن كم لان لها صدر الكلام والتقدير وكم من قرية اهلكنا اهلكناها ولو جعل كم في محل الرفع بالابتداء وجعلت الجملة بعدها خبرها لكان له وجه فيكون التقدير وكثير من القرى اهلكناها ثم انه قدر امرين احدهما الارادة لدلالة قوله تعالى فجاءها بأسنا على تقديرها اذ لو لم تقدر لزم ان يكون مجيء البأس بعد الاهلاك وعقيبه وليس كذلك بل الامر بالعكس والآخر الاهل واحتيج الى تقديره لان الاهلاك والبأس والبيات والقائلة لا يليق الا بالاهل ولان التحذير والايعاد لا يكون الا للمكلفين ﴿قوله او اهلكناها بالخذلان﴾ توجيه ثان لعطف قوله فجاءها على اهلكناها بالفاء التعقيبية وتقريره ان الاهلاك عبارة عن الخذلان لان الخذلان وعدم التوفيق سبب للهلاك فعبر بالمسبب عن سببه والمعنى خذلناهم ولم نوفقهم فجاءهم الهلاك والعذاب ﴿قوله تعالى بياتا﴾ يقال بات يبيت بيتا وبياتا وبيتوتة اذا دخل في الليل قال الازهري البيتوتة الاستراحة بالليل والقيلولة الاستراحة في وسط النهار وان لم يكن مع ذلك نوم وقيل هي نومة نصف النهار وقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا يؤيد قول الازهري لان الجنة لا نوم فيها واو في قوله تعالى او هم قائلون للتنويع كأنه قيل اتاهم بأسنا تارة ليلا كقوم لوط وتارة وقت القيلولة كقوم شعيب ومعنى الآية انهم جاءهم بأسنا وهم غير متوقعين له اما ليلا وهم نائمون او نهارا وهم قائلون ﴿قوله وفي التعبيرين﴾ احدهما التعبير من

(لتنذر به) متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر لمحذوف (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (ولا تتبعوا من دونه اولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اوليائه وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (اهلكناها) اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء اهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (او هم قائلون) عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع

(فما كان دعواهم) اى دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه (فلنسألن الذين ارسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم (والوزن) اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها

الاعيان بلفظ المصدر وجعلهم نفس البيات وثانيهما التعبير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ﴿قوله اى دعاؤهم﴾ فان الدعوى قد تجيء بمعنى الدعاء والتضرع ومنه ما حكاه الخليل اللهم اشركنا فى صالح دعوى المسلمين اى فى صالح دعائهم ومنه قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم والمعنى لم يكن دعاؤهم ربهم الا هذا القول تعلمهم بأن ليس الحين حين دعاء وقد تجيء بمعنى الاستغاثة ومنه قول العرب دعواهم يا لكعب اى استغاثتهم فان اللام فى يا لكعب لام استغاثة ووجه صحة هذا المعنى فى هذا المقام انهم كانوا يستغيثون من الله تعالى بتوسيط الاصنام بينهم وبين الله تعالى فلما جاءهم بأس الله ما كان استغاثتهم الا قولهم انا كنا ظالمين باستغاثتنا بالاصنام تعلمهم بانه لا يستغاث من الله تعالى بغيره وقد تجيء بمعنى الادعاء وهو المتعارف والمصدر حينئذ يكون بمعنى المفعول ويكون قولهم انا كنا ظالمين عبارة عن اعترافهم ببطلان مذهبهم ودينهم الذى كانوا عليه فقوله ما كانوا يدعونه تفسير لدعواهم وقوله من دينهم بيان ما والمعنى ما كان دينهم ومذهبهم الذى كانوا عليه الا الاعتراف ببطلانه ﴿قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم﴾ تهديد آخر لمن ترك متابعة ما انزله الله تعالى من القرآن والسنة والقائم مقام فاعل ارسل هو الجار والمجرور ﴿قوله والمراد من هذا السؤال﴾ جواب عما يقال المقصود من السؤال ان يخبر المسؤول عن كيفية اعماله وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم كانوا يقرون بانهم كانوا ظالمين فما فائدة هذا السؤال * وتقرير الجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب ظلمهم وتقصيرهم تقريعا وتوبيخا وكذلك الرسل يسألون مع العلم بانهم لا يصدر منهم التقصير البتة ليظهر عدم تقصيرهم فى تبليغ ما حملوه من الرسالة ويلحق التقصير كله بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى للرسل لظهور براءتهم من جميع موجبات التقصير ويتضاعف الخزى والاهانة فى حق الكفار ﴿قوله والمنفى﴾ جواب عما يقال كيف الجمع بين قوله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون * وتقرير الجواب ان السؤال قد يكون لاجل الاستعلام والاستفادة وقد يكون لاجل التوبيخ والاهانة والمنفى هو الاول دون الثانى وايضا يوم القيامة يوم طويل ومواقفه كثيرة وانهم لا يسألون عن الاعمال فى موقف الحساب لان كتبهم وجوارحهم تبين جميع ذلك ولكنهم يسألون فى بعض مواقف العقوبة عن الدواعى التى دعتهم الى المعاصى وعن الصوارف التى صرفتهم عن الطاعة زيادة لهم فى عقوبتهم وتقريعهم ﴿قوله والوزن اى القضاء﴾ فى تفسير وزن الاعمال قولان الاول ما ورد فى الخبر ان الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها اما بأن تصور اعمال المؤمن بصورة حسنة وتصور اعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة او توزن الصحف التى كتبت فيها اعمال العباد والقول الثانى وهو قول مجاهد والضحاك والاعمش ان المراد من الميزان العدل والقضاء وكثير من المتأخرين ذهبوا الى هذا القول وحمل لفظ الوزن على هذا المعنى شائع فى اللغة فان العدل فى الاخذ والاعطاء لا يظهر له اثر الا بالكيل والوزن فى الدنيا فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل بأن يذكر وزن الاعمال ويراد القضاء بالعدل فى امر المجازاة عليها ويعبر عن القضاء بالعدل بالوزن لكون الوزن طريقا لظهور العدل ويقوى ذلك ان الرجل اذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره يقال ان فلانا لا يقيم لفلان وزنا قال تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴿قوله فيخرج له بطاقة﴾ وهى رقعة توضع فى الثوب فيها رقم الثمن قيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف ﴿قوله يومئذ خبر المبتدأ﴾ يعنى ان قوله تعالى والوزن مبتدأ ويومئذ خبره والحق صفة للوزن اى الوزن الحق اى العدل يوم يسأل الله الامم والرسل اى كائن او مستقر فيه ﴿قوله او خبر محذوف﴾ عطف على قوله صفته اى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف والجملة كأنها جواب لمن يقول ما ذلك الوزن فقيل هو الحق لا الباطل ويحتمل ان يكون الوزن مبتدأ ويومئذ ظرفا له والحق خبر المبتدأ اى الوزن الواقع يومئذ الحق ﴿قوله موازينه حسناته﴾ دل ان الموازين جمع موزون وهى الاعمال لا جمع ميزان التى هى آلة الوزن لان كل انسان له ميزان واحد فقط وقيل هو جمع ميزان وجاز ان يكون لكل احد موازين متعددة بأن يكون لافعال القلوب مثلا ميزان يخصها ولافعال الجوارح ميزان آخر ولما يتعلق بأقواله

ميزان ثالث وقوله جمع معيشة هي اسم لما يعاش به اى يحيى به وقيل ما يتوصل به الى العيش والعامة على معايش بصريح الياء وروى عن نافع معائش بالهمزة قال النحويون هذا غلط لانه لا تهمز عندهم الياء الواقعة بعد ألف الجمع الا اذا كانت زائدة اى لا تهمز الا ما كان حرف المد فيه زائدا نحو صحائف ومدائن واما معايش فالياء فيه اصلية لانها من العيش ووجه همزها ان يشبه الاصلى بالزائد فيقال ان معيشة على زنة صحيفة فكما تهمز ياء صحيفة فكذلك تهمز ياء معيشة ايضا ثم انه تعالى لما ذكر كثرة نعمه تعالى على العبد اتبعه بذكر انه خلق ابانا وجعله مسجود الملائكة والانعام على الاب يجرى مجرى الانعام على الابن وكلمة ثم فى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا تدل على ان امر الملائكة بالسجود لآدم كان بعد خلق بنى آدم وتصويرهم وليس كذلك لان خلقه تعالى وتصويره اياهم انما هو بعد قوله تعالى للملائكة اسجدوا بزمان مديد فذكروا فيه ثلاثة اوجه ارتضى الوجهين الاولين منها وضعف الثالث * الوجه الاول ان ثم للترتيب الزمانى وان المراد بخلق بنى آدم وتصويرهم خلق نفس آدم وتصويره عبر عنهما بخلق الكل وتصويره لكون خلقه وتصويره مبدأ خلق الكل والوجه الثانى انه ليس المراد بخلق المخاطبين وتصويرهم خلقهم وتصويرهم حقيقة حتى يشكل قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا بل المراد به الابتداء بخلقهم وتصويرهم بأن خلق آدم ثم صوره فلا اشكال والوجه الثالث ان ثم ليست للترتيب فى الزمان بل هى للترتيب فى الاخبار بناء على ان الاخبار بتمام تلك النعمة نعمة اخرى فان تشريف المخاطبين بجعل ابيهم مسجود الملائكة متفرع على ايجادهم وتصويرهم ولم يرض بهذا الوجه لان حمل ثم على الترتيب فى الاخبار انما يصار اليه اذا تعذر حملها على اصل معناها ولم يتعذر ذلك لما ذكر فى الوجهين الاولين والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن وفى الشرع وضع الجبهة على الارض بقصد العبادة والمأمور به * اما المعنى الشرعى فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم وعلى التقديرين فالآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم والمأمورون بالسجود الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض اولا فأفسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال ولا يرد على كونه من الملائكة قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضى الله عنه روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس وكان الحسن يقول ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور لا يستكبرون عن عبادته ولا يعصون ولا كذلك ابليس فانه قد عصى واستكبر والملائكة ليسوا من الجن وابليس من الجن والملائكة رسل الله وابليس ليس كذلك وابليس اول خليقة الجن وابوهم كما ان آدم اول خليقة الانس وابوهم وابليس له ذرية والملائكة لا ذرية لهم ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر كانوا مأمورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكأنه قيل فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس ﴿قوله ولا صلة﴾ اى مزيدة لتأكيد معنى الفعل التى تدخل هى عليه كأنه قيل ما منعك ان تحقق السجود اذ أمرتك اى فى وقت امرى اياك به وما فى قوله ما منعك استفهامية فى محل الرفع بالابتداء والخبر الجملة التى بعدها اى اى شئ منعك وجعل كلمة لا صلة لانها اذا لم تكن صلة يكون المعنى اى شئ منعك من ترك السجود وهو ليس بمقصود بل المقصود ان يقال له اى شئ منعك من السجود وكون لا صلة كثير فى القرآن كقوله تعالى لا اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اى يؤمنون وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليتحقق علم اهل الكتاب ﴿قوله اذ أمرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور﴾ وذلك لانه تعالى ذم ابليس على ترك ما امر به والامر لو لم يفد الوجوب لما كان مجرد ترك المأمور به يوجب الذم وهو تعالى ذم ابليس على ترك السجود فى وقت الامر به ولولا ان الامر يفيد الامتثال فى الفور لما استوجب الذم بترك السجود فى الحال ﴿قوله جواب من حيث المعنى﴾ لا من حيث اللفظ فان جواب ما منعك ان يقال

(وجعلنا لكم فيها معايش) اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ما تشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال ما منعك ان لا تسجد) اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد (اذ أمرتك) دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور (قال انا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا

معنى كذا الا ما استأنف به من الاخبار بفضله على آدم بناء على شرف عنصره بالنسبة الى عنصر آدم يفهم منه مايكون جوابا لمامنعك كانه قال الذي منعني من السجود هو انى افضل منه لان اصلي وعنصري نار واصل آدم طين والنار افضل من الطين وشرف الاصول يوجب شرف الفروع وكون الاشرف مأمورا بخدمة الادنى يقبح في العقول اما كون النار افضل من الطين فلان النار مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد من مجاورة السموات فهذا تقرير شبهة ابليس في امتناعه من امتثال امر الله تعالى ونقول في الجواب ان الخبيث ظن ان النار افضل من الطين مطلقا ولم يعلم ان الفضل لما فضله الله وقد فضل الطين على النار من وجوه منها ان جوهر الطين يقتضي الرزانة والوقار والحلم والصبر وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له الى التوبة والتواضع والتضرع فاورثه الله الاجتباء والتوبة والهداية وجوهر النار يقتضي الخفة والطيش والحدة والارتفاع وهو الداعي لابليس بعد الشقاوة التي سبقت له الى الاستكبار والاصرار فاورثه الله اللعنة والشقاوة ولان التراب سبب حياة الاشجار والنباتات والنار سبب هلاكها ولان التراب يكون فيه ومنه ارزاق الحيوان واقواتهم ولباس العباد وزينتهم وآلات معاشهم ومساكنهم والنار لايكون فيها شئ من ذلك وايضا النار وان حصل فيها بعض المنفعة فالشر كامن فيها واما التراب فالخير والبركة كامن فيه كلما قلب ظهرت بركته وخيره فاين احدهما من الآخر وايضا فالله تعالى اكثر ذكر الارض في كتابه الكريم وذكر منافعها من جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا وكفاتا للاحياء والاموات ودعا عباده الى التذكر بها والنظر في عجائب ما اودع فيها ولم يذكر النار الا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب الا في موضعين ذكرها بانها تذكرة لنار الآخرة ومتاع للمقوين اي المسافرين النازلين في القواء وهي الارض الخالية اذا نزل المسافر فيها تمتع بالنار في منزله فاين هذا من اوصاف الارض التي اودع الله فيها من المنافع والمعادن والانهار والثمرات والحبوب والاقوات واصناف الحيوان والنبات مالم يودع في النار شيأ منها واما قوله من كانت مادته افضل فهو افضل فالجواب عنه ان فضيلة الاصل والمادة لاتستلزم فضيلة الفرع والصورة لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء لاتستتبعها فضيلة الاصل والمادة وانما الفضيلة لمن فضله الله تعالى الا ترى انه يخرج الحي من الميت والجاهل من العالم والكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر والنور من الظلمة كما في الزناد والظلمة من النور فدل ذلك على ان الفضيلة لاتحصل الا بفضل الله تعالى وتفضيله لابسبب فضيلة الاصل والجوهر والتفضيل لمن اطاع ربه ولو كان عبدا حبشيا والخسة والحقارة لمن عصى ربه ولو كان شريفا قرشيا ومناط شبهته على تحسين العقل وتقبيحه ولاعبرة به عند المحققين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله مع ابليس ﴿قوله وهو ملاكه﴾ اي مايكون من الفضل باعتبار الغاية كاختصاص آدم وتمييزه بشرف العلم هو الذي يقوم به الفضل ويبنى عليه وملاك الامر وقوامه مايقوم به الامر ﴿قوله والآية دليل الكون والفساد﴾ اي على تكون المواليد الثلاثة من العناصر والفساد اليها لاخفاء في دلالة الآية على ان مادة خلقة آدم هي التراب ومادة خلقة ابليس هي النار الا ان دلالتها على كون العناصر الاربعة مادة تكون الانسان بل مادة تكون جميع المواليد الثلاثة على الوجه الذي يدعيه ارباب الفلسفة محل بحث فان الظاهر ان الآية لادلالة لها عليه والمصنف ايضا لايجزم بذلك كما يدل عليه عبارة لعل في قوله ولعل اضافة خلق الانسان الخ ﴿قوله من السماء او الجنة﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى فاهبط منها يريد من الجنة وكان من سكان الجنة وكانوا في جنة عدن لافي جنة الخلد وفيها خلق آدم وقيل معناه انزل من السماء المروي انه وسوس اليهما وهو في السماء فانها مكان المتواضعين فاخرجه الله تعالى من السماء الى جزائر البحر وعرشه في البحر الاخضر فلا يدخل الارض الا خائفا على هيئة السارق وقيل ضمير منها يرجع الى الصورة التي كان عليها لانه كان مشرق اللون ذا هيئة حسنة ومنظر بهي ووجه مليح فعاد الى صورة قبيحة منتنة ﴿قوله ممن اهانه الله لكبره﴾ فانه لما استكبر باباء السجود واعلمه الله تعالى انه صاغر بذلك اراد الخبيث ان يمهله الله تعالى الى ان يبعث بنو آدم من قبورهم كيلا يذوق الموت لانه لاموت بعد ذلك فلم يجب اليه بل انظره الله تعالى الى النفخة الاولى حتى يموت الخلق كلهم فيموت مع من يموت لانه تعالى بين مدة المهلة في موضع آخر وان لم يبينها في هذه السورة حيث قال هناك انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم النفخة الاولى وهو اليوم الذي يموت فيه الاحياء كلهم ويحتمل ان يكون مراد

﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب ﴿قال فاهبط منها﴾ من السماء او الجنة ﴿فما يكون لك﴾ فما يصح ﴿أن تتكبر فيها﴾ وتعصي فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لايليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لالمجرد عصيانه ﴿فاخرج انك من الصاغرين﴾ ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴿قال أنظرني الى يوم يبعثون﴾ امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني او لاتعجل عقوبتي

الخبيث بقوله أنظرني أخر عقوبتي الى يوم الجزآء ولا تؤاخذني قبل يوم القيامة لا ان يبقيه حيا الى يوم البعث وان لا يميته اصلا ﴿قوله يقتضي الاجابة الى ماسأله﴾ وهو ان لا يميته اصلا بأن يبقيه حيا الى يوم البعث هذا على تقدير ان يكون مراد الخبيث الاحتمال الاوّل واما على الاحتمال الثاني فالظاهر انه تعالى اجاب الى ماسأله حيث أخر عقوبته الى يوم البعث ﴿قوله انتهاء اجله فيه﴾ بدل اشتمال من ضمير بعثه ﴿قوله بعد ان امهلتني﴾ مستفاد من الفاء وقوله لأجتهدنّ مستفاد من قوله لأقعدنّ فان مراد الخبيث به الاخبار بانه يجتهد ويواظب على اغوآء بني آدم واضلالهم من غير فتور وتوان في ذلك فان من اراد أن يبالغ في تكميل امر من الامور يقعد حتى يصير فارغ البال عما يشغله عن اتمام مراده ويتوجه بكليته الى تحصيل مقصوده والاغوآء ايقاع الغي في القلب والغي هو الاعتقاد الباطل والباء سببية وما مصدرية اي فبسبب اغوآئك اياي بواسطتهم اقسم واجتهد في اغوآئهم واضلالهم حسب طاقتي ومقدرتي حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم لما رأى غواية نفسه بسببهم عزم على الاجتهاد في اغوآئهم كما قال ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سوآء ﴿قوله فان اللام تصدّ عنه﴾ اي تمنع عن ان يتعلق ماقبلها بما بعدها فان لام جواب القسم لها صدر الكلام كهمزة الاستفهام فلا يتقدم معمول مابعدها عليها فلا يقال والله زيدا لأضربنّ فهي متعلقة بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لأقعدنّ اي فبسبب اغوآئك اقسم وهمزة أغويتني للصيرورة ومعناه صيرتني غاويا وهذا التصيير اما من جهة التسمية بأن يكون اغوآء الله تعالى عبارة عن تسميته اياه غاويا ضالا او من جهة حمله اياه على الغي بأن يخلق فيه الغي والجهل والاسناد على هذا التقدير حقيق او من جهة انه تعالى كلفه بما غوى ابليس بسببه فانه تعالى لما امره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر غيه وكفر فذلك الغي وان كان فعل الشيطان الا انه اسند اليه تعالى لكونه سببا له ﴿قوله وقيل الباء للقسم﴾ ولا يقسم الا بما هو عظيم الشأن جليل القدر والاغوآء لكونه من صفات الله تعالى الفعلية صح ان يقسم به كأنه قيل بقدرتك ونفاذ سلطانك فيّ لاقعدنّ لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه الى الجنة بأن ازين لهم الباطل وما يكسبونه من المآثم ويدل على كونها قسمية قوله تعالى في سورة ص فبعزتك لأغوينهم ﴿قوله ونصبه على الظرف﴾ والتقدير لأقعدنّ لهم في صراطك الا ان الصراط ظرف مكان محدود فلا يصل اليه الفعل بنفسه بل لابدّ من في تقول صليت في المسجد وجلست في الطريق ولا يقال صليت المسجد والبيت الذي استشهد به قد عدّه النحاة من ضرورات الشعر واوّل البيت

❁ لدن بهز الكف يعسل متنه ❁ فيه كما عسل الطريق الثعلب ❁

اي كما عسل الثعلب في الطريق واللدن الرمح يصف رمحا باللين يقال عسل الرمح اي اهتز واضطرب وعسل الذئب اسرع والضمير في فيه للكف او للهز وقوله كما عسل الطريق اي في الطريق وقيل صراطك منصوب على اسقاط الخافض وهو على كقولك ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ﴿قوله اي من جميع الجهات الاربع﴾ يعني ان الشيطان اقتصر على ذكر هذه الجهات الاربع ومقصوده بيان انه مبالغ في القاء الوسوسة غير مقصر في وجه من الوجوه الممكنة عبر عن مبالغته واجتهاده في القاء الوسوسة بالاتيان من الجوانب الاربعة تشبيها لها باتيان العدوّ من هذه الجهات فان العدوّ اذا كان قويا شجيعا يأتي قرنه من جهة امامه فيبارزه عيانا وجهارا واذا كان مكارا يراقب غرة خصمه وغفلته يأتيه من جهة خلفه فيغتاله بغتة وخص هاتان الجهتان بكلمة من الابتدائية لانهما اغلب مايجيء العدوّ منهما فينال فرصته فصارتا كأنهما هما المأتي لاغير وخصت الجهتان الاخريان بكلمة عن الدالة على المجاوزة اشعارا بأن من اتى خصمه من جهة اليمين او الشمال فهو مجاوز عن المأتي الغالب لمجيء العدوّ فان العدوّ قد يأتي منهما لامر دعاه الى الاتيان منهما وان لم يكونا مأتى اصليا وقدمت الايمان على الشمائل لكون جهة اليمين اقوى من جهة الشمال من حيث ان البطش والدفع انما يكون باليمين دون الشمال فمن يأتي من جهة اليمين اشجع واقدر ممن يجيء من جهة الشمال والايمان والشمائل جمعا يمين وشمال وهما الجارحتان ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون اتيانه من هذه الجهات استعارة تمثيلية لاجتهاده في اضلال بني آدم باي طريق يمكنه لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم اذ ليس في جانب المشبه به الاتيان من هاتين الجهتين * روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا آلهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع كونه مستوليا عليه من هذه الجهات الاربع فاوحى الله تعالى اليهم انه بقي للانسان جهتان الفوق

(قال انك من المنظرين) يقتضي الاجابة الى ماسأله ظاهرا لكنه محمول على ماجاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما أغويتني) اي بعد أن امهلتني لاجتهدنّ في اغوآئهم باي طريق يمكنني بسبب اغوآئك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغيّ او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدنّ فان اللام تصدّ عنه وقيل الباء للقسم (لأقعدنّ لهم) ترصدا لهم كما يقعد القاطع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدوّ من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس

والصمت فاذا رفع يديه الى الفوق فى الدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة ﴿قوله من قبل الآخرة﴾ بأن يشك فى امر الآخرة بأن يقول لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار ومن قبل الدنيا بان يزينها فى قلوبهم ويرغبهم فيها فيشتغلوا بها عما يسعدهم فى الآخرة فان الدنيا بين يدى الانسان فهو يشاهدها والآخرة تأتى بعد ذلك فهو يشغلهم بلذات الدنيا وطيباتها ويوقعهم فى الغفلة عن الآخرة وسعادتها والايمان كناية عن الحسنات التى هى اشرف حالتى الانسان كالايمان التى هى اشرف طرفيه ومعنى الاتيان من جانب الحسنات ان يثبطهم عنها ويفترسهم فى تحصيلها وينفرهم منها والشمائل كناية عن السيئات التى هى اخس الحالتين كما ان الشمال اخس الطرفين والمراد من الاتيان من جهة السيئات ان يزينها لهم ويدعوهم اليها روى عن الاصمعى انه قال يقال هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة واذا كان بمنزلة دنيئة يقال هو عندنا بالشمال ﴿قوله وانما قاله ظنا﴾ جواب عما يقال من ان قول ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبار عن الغيب فكيف عرف ابليس ذلك * وتقرير الجواب ان ابليس لم يقل ذلك على علم ويقين حتى يقال انه كيف علم ذلك وانما قاله على سبيل الظن وبناء الامر على الامارة الدالة عليه فانه قد كان عازما على المبالغة فى تزيين الشهوات وتحسين الخطيئات وقد علم ان طبع الانسان يميل اليها ويرغب فيها فغلب على ظنه انهم يتبعونه فيما يدعوهم اليه ويقبلون قوله فيه فقال ذلك بناء على ظنه ولا سيما انه قد علم ان للنفس الانسانى تسع عشرة قوة كلها تدعو النفس الى اللذات الجسمانية والطيبات الشهوانية خمس منها هى الحواس الظاهرة وخمس اخرى هى الحواس الباطنة واثنان منها قوتا الشهوة والغضب فقوة الشهوة موضوعة فى الكبد وقوة الغضب موضوعة فى البطن الايسر من القلب والقوى السبع منها هى القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ومجموعها تسع عشرة وهى بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وترغبها فى طلب اللذات البدنية والتى تدعو النفس الى عبادة الله تعالى والسعادة الروحانية هى قوة واحدة وهى قوة العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اقوى واكمل من استيلاء قوة واحدة ومن علم ان الامر كذلك يغلب على ظنه ان اكثر بنى آدم يكونون طالبين لهذه اللذات الجسمانية معرضين عن معرفة الحق ومحبته وطلب مرضاته فلهذا قال ابليس ولا تجد اكثرهم شاكرين وهذا مراد المصنف بقوله لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو بيان سبب ظنه ﴿قوله وقيل سمعه من الملائكة﴾ اى الذين رأوا ذلك الحكم مكتوبا فى اللوح المحفوظ او الملائكة الذين اخبرهم الله تعالى بذلك فقال ذلك على سبيل القطع واليقين ﴿قوله مذؤوما مذموما﴾ يعنى ان الذأم من المهموز العين والذم من المضاعف كلاهما بمعنى واحد وهو اشد العيب والذأم العيب يقال ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤوم اذا عابه وحقره مثل سأله يسأله والذام العيب يقال منه ذامه يذيمه ذيما وذاما مثل باعه يبيعه بيعا فهو مذيم ومذوم مثل مكيل ومكيول بمعنى مذؤوم ومذموم قرأ الجمهور مذؤوما مدحورا بالهمزة على انهما حالان من فاعل اخرج عند من يجوز تعدد الحال لذى حال واحدة ومن لا يجوز ذلك فمدحورا عنده صفة لمذؤوما او هى حال من الضمير فى الحال قبلها فتكون الحالان متداخلتين وقرئ مذوما بواو واحدة من دون همز وهى تحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله مذؤوما على وزن مسؤلا فخففت همزته بأن القيت حركتها على الذال الساكنة قبلها وحذفت الهمزة تخفيفا فصار مذوما مثل مسولا فى مسؤلا وثانيهما ان يكون اسم مفعول من ذامه يذيمه كباعه يبيعه وكان حقه ان يقال مذيم كمبيع الا انه ابدلت الواو من الياء كما قالوا مكول فى مكيل مع انه من الكيل والدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا فقوله مدحورا اى مطرودا من الجنة ومن كل خير ﴿قوله على انه خبر لأملأن﴾ اى خبر لوعيد المدلول عليه بقوله لأملأن فان نفس لأملأن لكونه جواب قسم محذوف يمتنع ان يكون مبتدأ مرفوع المحل فان لمن تبعك اذا قرئ بكسر اللام يكون خبرا مقدما لمبتدأ محذوف والتقدير لمن تبعك منهم هذا الوعيد ودل على قوله هذا الوعيد قوله لأملأن جهنم لان هذا القسم وجوابه وعيد فلما كانت الجملة القسمية بتمامها اى القسم مع جوابه دليلا على المبتدأ المحذوف وسادا مسده نسب الى الدليل ما حقه ان يسند الى المدلول فقال خبر لأملأن اعتمادا على فهم السامع ﴿قوله او علة لاخرج﴾ كأنه قيل اخرج منها ملتبسا بهاتين الصفتين والآية بعمومها تدل على ان جميع اهل البدع والضلالات يدخلون جهنم الا من غفر الله تعالى له وعفا عنه لدخولهم فى عموم من تبع ابليس ﴿قوله واللام للعاقبة

وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولا تجد اكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤوما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤل او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم اجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) اى وقلنا يا آدم (اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا تحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة او الغرض

(او الغرض)

او الغرض ﴾ لان الخبيث لم يرد بوسوسته ظهور عورتهما وانما اراد بها ان يوقعهما في المعصية وان يسقطهما عما هما فيه من الكرامة والنعمة الا ان عاقبة تلك الوسوسة لما ادت الى ظهور عورتهما كان ظهورها شبيها بالغرض فادخل عليه لام العلة ويحتمل ان تكون لام الغرض بناء على انه رأى في اللوح المحفوظ او سمع من بعض الملائكة انه اذا اكل من الشجرة بدت عورته وسقطت حرمته وجاهه فوسوس اليه ليوقعه في المعصية وليحصل له هذا الغرض ايضا وقوله ان يسوءهما اى يحزنهما مضارع ساءه نقيض سره والحزن خلاف السرور وقوله والذلك اى وليكون انكشافها سبب المساءة والحزن عبر عنها بالسوءة للمبالغة في سببيتها للحزن وما في قوله تعالى ما وورى موصولة بمعنى الذى في محل النصب على انها مفعول قوله ليبدى اى ليظهر الذى ستر عنهما وقوله وورى بواوين صريحتين فعل ماض مجهول وارى فاعل كمفعول قلبت الف فاعل واوا لضمة ما قبلها كما في قوتل فاجتمع واوان الاولى فاء الفعل والثانية مبدلة من الف فاعل واذا اجتمعت واوان في اول الكلمة وتحركت الثانية وجب ابدال الاولى همزة للتخفيف نحو اويصل تصغير واصل واواصل جمع مكسر واصل وان لم تتحرك الثانية جاز الابدال والابقاء على حالها كما في هذه الآية وقد قرأ عبدالله اورى بابدال الاولى همزة وقرآءة الجمهور ابقاء الواوين على حالهما وقرأ الجمهور سوآتهما بالجمع من غير نقل ولا ادغام والظاهر انه من وضع الجمع موضع التثنية كراهة اجتماع تثنيتين كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقرئ سوتهما بلفظ الجمع ايضا الا انه نقل حركة الهمزة الى الواو قبلها ثم حذفت للتخفيف ﴿ قوله الا كراهة ان تكونا ﴾ اشارة الى انه استثناء مفرغ من اعم المفعول له اى ما نهاكما لامر ما الا كراهة ان تكونا ملكين بتقدير المضاف عند البصريين وقدره الكوفيون الا ان لا تكونا واغراهما الخبيث بهذا الكلام انكما ان اكلتماها تكونان بمنزلة الملائكة او تكونان من الخالدين فرغبهما في اكلها طمعا لحصول احد الامرين لهما وقيل او هنا بمعنى الواو لان الترغيب في مجموع الامرين ادخل في حصول غرض الخبيث من الوسوسة ﴿ قوله واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء ﴾ ووجه الاستدلال ان الملائكة لو لم تكن افضل من البشر عندهما لما ارتكبا المنهى ليكتسبا تلك المرتبة واجيب عنه بان رغبتهما في الاكل ليس لان يكونا ملكين حقيقة لان استحالة انقلاب الحقائق مركوزة في العقول فلا يتم الاستدلال بل انما كان رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات المختصة بهم كاطاقة البنية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة ونحوهما كالقدرة والقوة وكونهما من سكان العرش والكرسي وفضل الملائكة من بعض الوجوه لا يدل على فضلهم مطلقا لجواز ان يكون لنوع البشر فضائل اخر راجحة على ما للملك * فان قيل كيف طمع آدم فيما للملائكة مع انه شاهد الملائكة متواضعين ساجدين له معترفين بفضله * اجيب بانه يحتمل ان يكون الملائكة الساجدون له ملائكة الارض فقط فطمع آدم عليه الصلاة والسلام في ان يكون من ملائكة السموات وسكان العرش والكرسي والملائكة المقربين وعلى تقدير ان يكون الساجدون له جميع الملائكة يجوز ان يختصوا بفضائل ليست لآدم فرغب في ان يكون له ايضا تلك الفضائل وقيل ان آدم عليه الصلاة والسلام علم ان الملائكة لا يموتون الى يوم القيامة ولم يعلم ذلك لنفسه فرغب في ان يكون له من الخلود ما كان للملائكة ﴿ قوله اقسم لهما ﴾ يعني ان القسم انما وقع من ابليس فقط الا انه عبر عن اقسامه بزنة المفاعلة للدلالة على انه اجتهد في القسم اجتهاد المقاسم المغالب فيه ﴿ قوله وقيل اقسماله بالقبول ﴾ اى كما اقسم هو لهما انه لمن الناصحين فزنة المفاعلة على بابها ﴿ قوله وقيل اقسما عليه ﴾ اى حملاه على ان يقسم بالله انه لمن الناصحين بان قالا له أتقسم بالله على انك من الناصحين فاقسم لهما بالله فخدعهما بذلك فان اللائق بحال المؤمن ان يخدع باليمين بالله تعالى لتمكن عظمة اسم الله تعالى في قلبه فظاهر صيغة المقاسمة وان اقتضى تحقق الفعل من الجانبين والمتحقق من احد الفاعلين ههنا نفس اليمين ومن الآخر الحمل عليها الا ان ذلك جعل مقاسمة على التغليب والنصح بذل المجهود في طلب الخير خاصة وضده الغش مأخوذ من نصح له بمعنى اخلص له المودة ومنه ناصح العسل اى خالصه ﴿ قوله اهبطهما بذلك من درجة عالية ﴾ وهي درجة الطاعة والاتهاد عما نهيا عنه الى رتبة سافلة وهي حالة المعصية بارتكاب المنهى فالتدلية ههنا معنوية لا حسية ﴿ قوله بما غرهما به من القسم ﴾ على ان الباء سببية والغرور مصدر حذف فاعله ومفعوله والتقدير بسبب غروره اياهما باليمين بالله كاذبا فكان ابليس اول من حلف بالله كاذبا وتعين ان سبب غروره اياهما هو القسم مستفاد من سياق الكلام لا من لفظ بغرور ﴿ قوله او متلبسين بغرور ﴾ على ان الجار والمجرور حال من مفعول دلاهما ﴿ قوله اى يخصفان

على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع (ما وورى عنهما من سوآتهما) ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا) الا كراهة ان تكونا (ملكين او تكونا من الخالدين) من الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسماله بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او متلبسين بغرور

(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما

وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا (وطفقا يخصفان) اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم (قالا ربنا ظلمنا انفسنا) اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال اى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار او موضع استقرار (ومتاع) وتمتع (الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا) اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا جمع ريش كشعب (الشاب)

انفسهما ﴾ يعنى ان يخصفان متعد الى مفعول واحد وهو شيأ من ورق الجنة فلما نقل الى باب الافعال تعدى الى مفعولين اى يجعلان انفسهما خاصفين عليهما من ورق الجنة وفى الآية دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقولهما من قبح كشف العورة فيلى الاولى ان يكون ضمير عليهما راجعا الى سوآتهما لانه من قبيل فقد صغت قلوبكما فى ان عبر عن المثنى بلفظ الجمع لعدم التباس المراد فجاز ان يرجع اليه ضمير التثنية ولا يجوز ان يرجع الى آدم وحواء لان ضمير عليهما فى محل النصب على انه مفعول يخصفان وقد تقرر فى النحو انه لا يجوز ان يكون ضميرا الفاعل والمفعول عبارتين عن شئ واحد فى غير افعال القلوب فان ضمير يخصفان عبارة عن آدم وحواء فلو كان ضمير عليهما ايضا عبارة عنهما لزم ان يحمل الكلام على ما لم يجوزه النحاة الا ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويكون التقدير يخصفان على بدنهما قيل كان لباس الجنة كالظفر فى شدة اللطافة واللين والبياض فلما اصاب آدم الخطيئة نزع ذلك عن بدنه وبقى منه الاظفار تذكيرا بالنعم وتجديدا للندم وقيل كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر الى البدن ﴿ قوله وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ﴾ فان قيل لا نسلم ان النهى فى قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة مطلق بل هو مقرون بما يدل على التحريم وهو قوله فتكونا من الظالمين * والجواب ان الدليل على ما ذكر هو قوله تعالى ألم انهكما حيث رتب العتاب على مخالفة النهى مطلقا ولم يقل ألم اقل لكما لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴿ قوله دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر ﴾ لا نزاع فى ان ما لم يغفر من الذنب يعاقب عليه وانما النزاع فى ان الصغائر هل يجب ان تغفر اذا اجتنبت الكبائر اولا فالظاهر ان يطرح قوله ان لم تغفر وذنب آدم عليه الصلاة والسلام مع كونه صغيرة فانما صدر عنه قبل النبوة لان النبوة انما تكون للدعوة الى الحق ولا تتصور الدعوة قبل تحقق الامة وقد كثر حذف حرف النداء فى نداء الرب تعالى تعظيما له وتنزيها عما لا يليق بشانه فان صورة النداء صريح فى الدلالة على معنى الامر والدعوة فان قولك يا زيد معناه تعال يا زيد او ادعوك يا زيد فحذف حرف النداء احترازا عن صورة الامر والدعوة فانه لما وسوس لهما بقوله ما نهاكما الى آخره فلم يقبلا منه عدل الى اليمين على ما قاله فلم يصدقاه ايضا فعدل بعد ذلك الى شئ آخر وكأنه تعالى اشار اليه بقوله فدلاهما بغرور وهو انه شغلهما باستيفاء اللذات حتى صارا مستغرقين فيها فنسيا النهى كما قال تعالى فنسى ولم نجد له عزما واما العتاب فلترك التحفظ من اسباب النسيان وقوله وان لم تغفر لنا شرط حذف جوابه لدلالة جواب القسم المقدر عليه فان القسم مقدر قبل حرف الشرط ولام التوطئة ونظيره قوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن ﴿ قوله اى خلقناه لكم ﴾ ضمن الانزال معنى الخلق كأنه قيل خلقناه لكم نازلا من السماء فان جميع ذلك انما يحدث بتدبيرات سماوية من حيث انه قضى وكتب فيها وان جميعها مطابق للقضاء الازلى والتقدير الالهى الواقع فى السماء فصار بذلك كأنه نازل من السماء وايضا جميع ما فى الارض انما يكون بالاسباب النازلة من السماء فصار بذلك كأنه نازل منها فلذلك عبر عن انزال اسبابه بانزال نفسه ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها ذكرت استطرادا لذكر ظهور سوآتهما والتجائهما الى خصف ورق الجنة عليهما اظهارا للمنة فى خلق ما يستترون به عوراتهما التى انكشافها فى غاية القباحة ويوجب اقصى المذلة والمهانة ﴿ قوله ولباسا تتجملون به ﴾ فى الصحاح الريش والرياش بمعنى وهو اللباس الفاخر على مثال الحرم والحرام واللبس واللباس ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله انتهى فاللباس ما يلبس ليوارى العورة والريش ما يتجمل به من الثياب ﴿ قوله خشية الله ﴾ يعنى ان المفسرين اختلفوا فى لباس التقوى فمنهم من حمله على المعنى المجازى ثم ان هذه الطائفة اختلفت فقال بعضهم لباس التقوى هو خشية الله وقيل هو الحياء وقيل هو الايمان وقيل هو السمت الحسن بناء على ان اللباس الذى يفيد التقوى ليس الا هذه الاشياء واللباس باحد هذه المعانى اضيف الى التقوى للابسته لها من حيث كونه مفيدا لها او ناشئا منها ومنهم من حمله على معناه الحقيقى وهو لباس الحرب كالدرع والمغفر فانه يتقى به عن ضرر العدو او ما يلبس اتقاء عن انكشاف العورة بين يدى الله تعالى وذا بين احسانه الينا اولا بانزال ما يوارى العورة من اللباس وثانيا بانزال لباس التجمل ثم فضل اللباس الاول على الثانى بناء على انه وسيلة الى اقامة الفرض والثانى الى اقامة الامر المندوب وهو التزين عند حضور مواضع العبادات تعظيما لها ولا شك ان ما يكون وسيلة الى اقامة الفرض خير بالنسبة الى ما يكون وسيلة الى اقامة المندوب صرح بخيريته ردا لمن زعم ان التعرى وخلع

الثياب فى الطواف بالبيت خير من الطواف كاسيا ومن قرأ ولباس التقوى مرفوعا جعله مبتدأ وجعل ذلك مبتدأ ثانيا وجعل خير خبر الثانى وجعل المبتدأ الثانى مع خبره خبر الاوّل ويكون الرابط اسم الاشارة لان النحاة اتفقوا على صحة كونه رابطة ﴿ قوله او خير ﴾ عطف على قوله ذلك خبر اى ويجوز ان يكون اسم الاشارة صفة للمضاف الى المعرّف باللام وقد تقرّر ان حق الموصوف ان يكون اخص من الصفة او مساويا لها بناء على انه المقصود بالنسبة ولا يجوز ان يكون المقصود اقل رتبة من غير المقصود واسم الاشارة اخص من المعرّف باللام فبالاولى ان يكون اخص من المضاف الى المعرّف باللام فكيف يكون صفة له اشار الى الجواب عنه بقوله كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه وتقريره ان اسم الاشارة ههنا فى تأويل المشار اليه او المذكور فجاز ان يقع صفة للمضاف الى المعرّف باللام ﴿ قوله لا يفتننكم ﴾ اى لا يوقعنكم فى المحنة والبلاء فانه لما بلغ بكيده الى ان قدر على ايقاع آدم فى الزلة المؤدّية الى اخراجه من الجنة فبأن يقدر على امثال هذه المضار فى حق بنى آدم اولى فوجب عليهم ان يحترزوا عن قبول وسوسته ﴿ قوله تعالى كما اخرج ﴾ صفة مصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم وتأكيد الضمير المرفوع المتصل بهو فى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله ليس لصحة العطف لوجود الفصل بين المعطوفين بدون التأكيد لمجرّد الفصل كاف فى صحة العطف فلا حاجة الى التأكيد فليس الآية نظير قوله تعالى اسكن انت وزوجك والقبيل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من جماعة شتى وطوائف مختلفة مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل قال تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا والقبيلة الجماعة من اب واحد فليست القبيلة تأنيث القبيل لهذه المغايرة وقبيل الشيطان اصحابه وجنده ﴿ قوله تعالى من حيث لا ترونهم ﴾ من فيه لابتدآء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم فى محل الجرّ باضافة حيث اليه والعدوّ الذى يراك ولا تراه شديد لا يتخلص منه الا من عصمه الله قال ذو النون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فان الله يراه من حيث لا يرى فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا ولم نكلف محاربة اعيانهم حتى يكون عدم رؤيتنا اياهم مانعا من محاربتهم بل انما كلفنا دفع وسوستهم بما علمنا الله تعالى من طريق دفعها قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ﴿ قوله ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة الخ ﴾ اى فى بعض احوالهم وهو حال بقائهم على صورهم الاصلية وهو جواب عما يقال من انه تعالى كيف قال من حيث لا ترونهم مع ان حديث رؤية بعض الناس الجنّ مما يكاد يكون متواترا ومنه ما ذكر فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وقوله عليه الصلاة والسلام « اولئك جنّ نصيبين » حين قال ابن مسعود رأيت رجالا كذا وكذا ﴿ قوله بما اوجدنا بينهم من التناسب ﴾ اى فى الخذلان والغواية فصار بعضهم قرين بعض فالاولياء جمع ولى ضدّ العدوّ ويقال منه تولاه اى اتخذه صديقا وخليلا وقوله او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم فالولى على هذا من ولى الرجل البيع ولاية وكل من ولى امر احد فهو وليه فان الشياطين لما حملوا الكفار على ما سوّلوا لهم صاروا بمنزلة من يتولى امورهم ﴿ قوله فعلة متناهية فى القبح ﴾ ليس المراد ان القوم كانوا يسلمون كون تلك الافعال فواحش ثم كانوا يزعمون ان الله تعالى امرهم بها فان ذلك لا يقوله عاقل بل المراد ان تلك الاشياء كانت فى انفسها فواحش والقوم كانوا يعتقدون انها طاعات وان الله امرهم بها وقد ثبت كون تلك الافعال قبيحة منكرة ببيان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء والامر بهذا القول اشارة الى ان الشئ لما كان موصوفا فى نفسه بكونه من الفحشاء امتنع ان يأمر الله تعالى به وهذا يقتضى ان يكون ذلك الشئ فى نفسه فحشاء مع قطع النظر عن تعلق النهى به واشار الى جوابه بقوله ولا دلالة فيه الخ وتقرير الجواب ان القبح يطلق على معنيين الاوّل كون الشئ قبيحا فى حكم الله تعالى بحيث يترتب عليه الذم آجلا والثانى كراهة الطباع السليمة وعدم الملائمة للعقول المستقيمة ولا نزاع بيننا وبينكم فى القبح بالمعنى الثانى وانما النزاع فى القبح بالمعنى الاوّل والقبح بهذا المعنى يثبت بحكم العقل عند المعتزلة وعندنا لا يثبت الا بالشرع ولا دلالة فى الآية على كونه عقليا سواء ورد الشرع ام لا ﴿ قوله لظهور فساده ﴾ فان التقليد لو كان طريقا للعلم لزم حقية الاديان والمذاهب المتناقضة المبنية على تقليد الاسلاف ﴿ قوله وقيل هما جوابا سؤالين ﴾ اى ليس كل واحد منهما جوابا واحتجاجا على صحة ارتكاب آبائهم اياها بل الاوّل احتجاج عليه والثانى احتجاج على صحة ارتكاب آبائهم اياها

ورفعه بالابتدآء وخبره (ذلك خير) او خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) اى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورّعون عن القبائح (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوآئكم (كما اخرج ابويكم من الجنة) كما محن ابويكم بأن اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها) اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافترآء على الله فأعرض عن الاوّل لظهور فساده وردّ الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافترآء على الله

جعل الله تعالى قولهم والله امرنا بها حكما بما لايعلمون لانتفاء طريق علمهم بذلك لان طريق العلم بذلك منحصر فى امرين احدهما ان يسمعوا من الله تعالى ابتدآء من غير توسط رسول يبلغهم انه تعالى امرهم بذلك وثانيهما ان يعرفوا ذلك بواسطة الانبياء واصحاب الوحى الالهى وكل واحد من الامرين منتف فى حقهم اما انتفاء الاول فظاهر واما انتفاء الثانى فلانهم ينكرون نبوة الانبياء على الاطلاق فان هذه المناظرة مع كفار قريش وهم كانوا منكرين لاصل النبوة واذا كان كذلك فلا طريق لهم الى العلم باحكام الله تعالى فكان قولهم والله امرنا بها قولا على الله بما لايعلمون وانه باطل ﴿ قوله تعالى واقيموا وجوهكم ﴾ ليس عطفا على قوله امر ربى والا لزم عطف الانشاء على الاخبار بل هو معطوف على امر بتقدير قل اى وقل اقيموا والمراد بالسجود الصلاة بطريق ذكر الجزء وارادة الكل فكأنه قيل فى وقت كل صلاة او فى مكان كل صلاة ﴿ قوله وتوجهوا الى عبادته ﴾ كون اقامة الوجه عبارة عن التوجه بالاستقامة ظاهر واما كون المتوجه اليه هو العبادة فهو مستفاد من قوله عند كل مسجد لان التوجه بالاستقامة فى كل وقت صلاة او مكانها لايسبق الى الفهم منه بهذه العبارة سوى التوجه الى الصلاة وماتوقف ادآؤها عليه واللفظ الجامع لها هو لفظ العبادة وقوله غير عادلين اى عن العبادة مستفاد من الاقامة ثم جوز ان يكون المراد بالمتوجه اليه بالاستقامة هو القبلة والكعبة لان الذهن ينتقل من تلك العبارة الى هذا المعنى ايضا ﴿ قوله كما انشأكم ابتدآء ﴾ فانه تعالى خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون احياء يوم القيامة احتج عليهم فى انكارهم البعث والاعادة بابتدآء الخلق اى ليس بعثكم اشد من ابتدآء خلقكم كما قال تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده والكاف فى كما فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تعودون عودا مثل ما بدأكم وبدأ بالهمزة بمعنى انشأ واخترع ﴿ قوله وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم ﴾ روى عن ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا فمن خلقه فى اول الامر للشقاوة استعمله بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته الشقاوة فيبعث على ماماتت عليه ومن خلقه للسعادة استعمله بعمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة فيبعث على مامات عليه اى ومن ابتدأ الله تعالى خلقه على الشقاوة صار اليها وان عمل باعمال اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل عمل اهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدأ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقاوة كسحرة فرعون فانهم كانوا يعملون عمل الاشقياء فصاروا سعدآء فى آخر اعمارهم روى سهل بن سعد انه عليه الصلاة والسلام قال ان العبد ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانه ليعمل فيما يرى الناس بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم وقوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كالتفسير لقوله كما بدأكم وفريقا الاول منصوب بهدى بعده وفريقا الثانى منصوب بفعل مضمر يفسره قوله حق عليهم الضلالة من حيث المعنى وتقديره واضل فريقا حق عليهم الضلالة وهو احسن من تقدير وخذل لما فيه من ايهام الميل الى الاعتزال ولكونه اوفق لقوله حق عليهم الضلالة ﴿ قوله تعليل لخذلانهم ﴾ ويؤيد كونه للتعليل قرآءة من قرأ انهم بفتح الهمزة وهى نص فى التعليل اى حقت عليهم الضلالة لاتخاذهم الشياطين اولياء وقبولهم مادعوا اليه بدون التأمل والتمييز بين الحق والباطل وكل واحد من الهدى والضلال وان كان يحصل بخلق الله تعالى اياه ابتدآء الا انه تعالى يخلق ذلك حسبما اكتسبه العبد وسعى فى حصوله والمصنف لما قدر فعل الخذل لان عاملا فى فريقا الثانى تحقق هنا امران ضلالة القوم وخذلان الله تعالى اياهم المؤدى الى ضلالهم فاتجه له ان يجعل قوله تعالى اتخذوا الى آخره تعليلا وتحقيقا لكل واحد منهما ﴿ قوله سوآء فى استحقاق الذم ﴾ من حيث انه تعالى ذم المخطئ الذى يظن انه فى دينه على الحق بانه حق عليه الضلالة وجعله فى حكم الجاحد المعاند فعلم منه ان مجرد الظن والحسبان لايكفى فى صحة الدين بل لابد فيه من الجزم والقطع لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون انهم مهتدون ولو كفى مجرد الحسبان فيه لما ذمهم بذلك ﴿ قوله ثيابكم لمواراة عوراتكم ﴾ الزينة وان كانت اسما لما يتزين به من الثياب الفاخرة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالزينة ههنا الثياب التى تستر العورة استدلالا بسبب نزول الآية فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل الجاهلية من قبائل العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة وقالوا لانطوف فى ثياب اصبنا فيها الذنوب فكان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل عراة قال ابن عباس رضى الله عنهما فأمرهم الله ان يلبسوا ثيابهم

(قل امر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (واقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة فان اليه مصيركم (كما بدأكم) كما انشأكم ابتدآء (تعودون) باعادته فيجازيكم على اعمالكم فأخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابتدآء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بان وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده اى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم (ويحسبون انهم مهتدون) يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سوآء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عوراتكم (عند كل مسجد) لطواف او صلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة

(وكلوا واشربوا) ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (انه لا يحب المسرفين) اى لا يرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر ما يتجمل به (التى اخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها تبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج (ما ظهر منها وما بطن) جهرها وسرها (والاثم) وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها (ولكل امة اجل) مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء اجلهم) انقرضت مدتهم او حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) اى لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول

ولا يعروا قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وهى تقول اليوم يبدو بعضه او كله * وما بدا منه فلا احله * فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم ومنهم من يقول تفعل ذلك تفاؤلا حتى تتعرى عن الذنوب كما تعرينا عن الثياب فنزلت قال الكلبى الزينة ما وارى العورة عند كل مسجد لطواف او صلاة وقال طاوس لم يأمرهم بالحرير او الديباج ولكن كان اهل الجاهلية يطوف احدهم بالبيت عريانا فى ذلك نزلت هذه الآية وهذا قول جماعة المفسرين ﴿قوله بتحريم الحلال﴾ كتحريم البحيرة والسائبة وتحريم ما احله الله تعالى فى ايام الحج وقيل الاسراف التعدى فى الاكل والشرب الى الحرام والى ما لا يحتاج اليه البدن فى قوامه ﴿قوله ما اخطأتك﴾ اى ما جاوزتك ﴿قوله سرف ومخيلة﴾ نشر لقوله كل والبس والمخيلة والخيلاء الكبر ﴿قوله وقال على بن الحسين﴾ حكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى فقال لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على بن الحسين قد جمع الله تعالى الطب كله فى كلمة واحدة من كتابه قال وما هى قال ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن نبيكم فى الطب شئ فقال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب فى خبر واحد قال وما هو قال * المعدة بيت الادواء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته * فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ﴿قوله وانتصابها على الحال﴾ والمعنى الطيبات كائنة او مستقرة للذين آمنوا فى حال كونها خالصة لهم يوم القيامة فقوله هى مبتدأ وللذين آمنوا خبره فيتعلق بالاستقرار المقدر وفى الحياة الدنيا متعلق بآمنوا وبالاستقرار الذى تعلق به للذين ومتعلق قوله يوم القيامة متعين وهو قوله خالصة لا متعلق له غيرها والمعنى الطيبات وان اشتركت الطائفتان فيها فى الدنيا فهى خالصة للمؤمنين فى الآخرة * فان قلت اذا كانت الطيبات مشتركة بين الفريقين فى الدنيا فكيف قيل هى للذين آمنوا فى الدنيا وهذه العبارة تؤذن باختصاصها لهم فى الدنيا ايضا والجواب ما اشار اليه المصنف بقوله بالاصالة * وتقريره ان المراد بالاختصاص المدلول عليه بقوله للذين آمنوا ليس اختصاص اصل التناول منها لهم بل المراد اختصاص المقصودية بخلقها اصالة وبالذات لهم ثم انه تعالى لما بين ان الذى حرموه ليس بحرام بين بعده انواع المحرمات فقال قل انما حرم ربى الفواحش والفرق بينها وبين الاثم ان الاثم يعم جميع المعصية صغيرة كانت او كبيرة والفاحشة مختصة بما فحش قبحه من الكبائر او بما يتعلق بالفروج ولما حرم الفواحش اردفها بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم ان التحريم مقصور على الفواحش وروى عن ابن عباس والحسن البصرى انهما قالا الاثم الخمر سميت الخمر اثما لكونها سببا للاثم الكبير لقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ولكنه لو اريد بالاثم شرب الخمر فقط لاشكل الحصر المستفاد من قوله تعالى انما حرم لانه تعالى قد حرم امورا غير ما ذكر فى هذه الآية فالحق ابقاء الاثم على عمومه ولذلك ضعف المصنف هذا الوجه بقوله وقيل الخ * قيل عليه كيف يراد به الخمر وقد كانت الخمر مباحة حين نزول هذه السورة لان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما كان بالمدينة بعد وقعة احد وقد شربها جماعة من الصحابة يوم احد فقتلوا شهداء وهى فى اجوافهم ثم البغى والشرك والافتراء وان كانت داخلة تحت الفاحشة والاثم الا انها خصت بالذكر تنبيها على انها اقبح انواع الذنوب كما فى قوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال ﴿قوله مؤكد له﴾ لان البغى لا يكون الا بغير الحق ﴿قوله تهكم بالمشركين﴾ لانه لا يجوز ان ينزل برهان ان يشرك به غيره واذا لم يجز انزال البرهان بالاشراك كان ذكر ذلك تهكما واستهزاء ومعلوم انه لا برهان عليه حتى ينزل فهو من قبيل لا ترى الضب بها ينجحر * واكتفى عن ذكر هذا بما سبق فى آل عمران فى تفسير قوله تعالى اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴿قوله مدة او وقت لنزول العذاب بهم﴾ يعنى ان الاجل هو الوقت المضروب لانقضاء المهلة وفسر الاجل المذكور فى هذه الآية بوجهين الاول ان المراد به مدة العمر فاذا انقطع ذلك الاجل وكمل امتنع وقوع التقديم والتأخير فيه والوجه الثانى ان الله تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين وهو تعالى لا يعذبهم الا ان يبلغوا ذلك الوقت الذى يصيرون فيه مستحقين لعذاب الاستئصال فاذا جاء ذلك الوقت نزل ذلك العذاب لا محالة وهذا التفسير اوفق لقوله ولكل امة لانه لو كان المراد بالاجل المعنى الاول لكان الظاهر ان يقال ولكل واحد اجل والتفسير الاول اولى من الثانى لانه يقتضى ان يكون لكل امة من الامم وقت معين لنزول عذاب الاستئصال عليهم وليس الامر كذلك لان امتنا ليست كذلك * فان قيل ان فسر الاجل بمدة العمر يكون المعنى اذا انتهت مدة عمر الشخص لا يتقدم موت ذلك الشخص على مجيء اجله ولا معنى له لان كلمة اذا انما تدخل على

(يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى واصلح

فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته) فمن تقوّل على الله ما لم يقله او كذب ما قاله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (اينما كنتم تدعون من دون الله) اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا) اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة (فى امم قد خلت من قبلكم) اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت امة) اى فى النار (لعنت اختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) اى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار (قالت اخراهم) دخولا او منزلة وهم الاتباع (لاولاهم) اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء اضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا (قال لكل ضعف) اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لا تعلمون) ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم رواية ابى بكر بالياء على الانفصال (وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا وانتم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا

(والعمل)

ما يقع فى المستقبل والجزاء المرتب عليه ثبوتا او انتفاء يجب ان يكون ثبوته او انتفاؤه مستقبلا بالنسبة الى تحقق مضمون الشرط والاستقدام متقدم على مجيء الاجل فكيف يترتب عليه فيكون الاخبار به لغوا بلا فائدة لانه اخبار بالضروريات التى لا يجهل احد معناها فالجواب ان ما ذكره انما يلزم ان لو كان قوله ولا يستقدمون معطوفا على قوله لا يستأخرون وانما فى حيز جزاء اذا وليس ذلك بواجب لجواز ان يكون ولا يستقدمون كلاما مستأنفا جيء به للاخبار بانهم لا يتخصون اجلهم المضروب لهم بل لا بد من استيفائهم اياه كما انهم لا يتأخرون عنه اقل زمان فان ساعة منصوب على الظرفية وهى مثل فى قلة الزمان واقل ما يستحسن فى الامهال يقول المستمهل لصاحبه فى ساعة يريد اقصر وقت والله اعلم **قوله شرط ذكره بحرف الشك** يعنى ان اتيان الرسل شرط جعل اداته كلمة ان المستعملة فى الامور التى لا يتحقق وقوعها عند المتكلم وفى علمه فان جميع النحاة صرحوا بانها انما تستعمل فى المعانى المحققة المشكوكة التى لا جزم بوقوعها فى اعتقاد المتكلم فلذلك لا تقع فى كلام الله تعالى الا على طريق الحكاية او على ضرب من التأويل مثل سوق المعلوم فى مقام المشكوك لنكتة تقتضيه بخلاف اذا فان الاصل فيها ان تستعمل فيما يكون وقوعه مجزوما به فى اعتقاد المتكلم فالمناسب لهذا المقام ايراد كلمة اذا لكون الاتيان متعينا عند الله تعالى الا انه اورد حرف الشك للتنبيه على ما ذكره واصل اما ان ما ضمت كلمة ما الى ان الشرطية تأكيدا لما فيها من الدلالة على شرط التعليق والدلالة على زيادة العلم فى المعلق عليه فان قولك اما تفعل معناه وجود الفعل بوجه من الوجوه والتزم ان يؤكد فعلها بالنون الثقيلة او الخفيفة لئلا تنحط درجة فعل الشرط عن حرفه وتعاضدا فى الدلالة على ارادة التأكيد فاذا بين الله تعالى احوال التكاليف وان لكل احد اجلا معينا بين ان من اتقى الله وخافه بأن اطاع رسوله الذى يقص آياته اى يبين فرائضه واحكامه التى شرعها لعباده او يتلو عليهم القرآن والاحاديث التى هى ايضا من آيات الله تعالى فلا خوف عليهم ولا حزن اذا خاف الناس وحزنوا اى لا يخافون مما يلحق العصاة فى المستقبل ولا يحزنون على ما فاتهم فى الدنيا لاستغراقهم فيما لا عين رأت ولا اذن سمعت وان من لم يتق الله تعالى وكذب بآياته فانهم اصحاب النار وقوله تعالى منكم صفة لرسل وكذلك يقصون قدم الجار والمجرور على الجملة لكونه اقرب الى المفرد خاطب الله هذه الامة بقوله يابنى آدم اما يأتينكم رسل بلفظ الجمع مع ان رسولهم خاتم الانبياء لا يأتيهم غيره فالظاهر ان يقال رسول بلفظ مفرد بناء على ان هذا الحكم غير مختص بهذه الامة وتصديقهم من ارسل اليهم من الرسل وتكذيبهم اياه بل هو يعم جميع بنى آدم ورسلهم ومن فى قوله تعالى فمن اتقى يحتمل ان تكون شرطية وقوله فلا خوف عليهم جوابها وان تكون موصولة وفلا خوف عليهم خبرها على اسلوب قوله والذين كذبوا اولئك والمصنف اختار الثانى بشهادة قوله وادخال الفاء فى الخبر الاول وهو قوله تعالى فلا خوف عليهم دون الثانى وهو اولئك ولما كانت هذه الجملة الاسمية مركبة من الموصول وصلته وخبره جوابا للجملة الشرطية احتيج فى هذه الجملة وفى ما عطف عليها الى رابط يربطها بتلك الجملة ثم انه تعالى لما بين عقوبة المستكبرين عظم جريمتهم التى استحقوا بها تلك العقوبة فقال من اظلم فالمعنى من تقوّل على الله تعالى اى كذب عليه ما لم يقله وكذب ما قاله ويدخل فى التقول عليه اثبات الشريك والصاحبة والولد له تعالى واسناد الاحكام الباطلة اليه تعالى **قوله على الانفصال** اى قرأ بياء الغيبة على طريق الانفصال عن خطاب الامة السائلة تضعيف عذاب المتبوعين وليس المراد بقوله تعالى لكل ضعف تضعيف ما يستحقه كل واحد لانه ظلم وما الله بظلام للعبيد بل المراد تضعيف عذاب الضلال بأن يضم اليه عذاب الاضلال والتقليد **قوله ورتبوه عليه** عطف تفسير لقوله عطفوا كلامهم على جواب الله بين به ان ليس المراد بالعطف العطف المتعارف واللازم ان يكون هذا الكلام مقول قال وهو فاسد والمعنى ان القادة لما سمعوا قوله تعالى للسفلة لكل ضعف قالوا للسفلة اى الاتباع كيف تطمعون ان يخفف عذابكم ويكون عذابنا ضعف عذابكم وما كان لكم علينا من فضل من حيث الاجتناب عن الكفر والضلال حتى تطمعوا به ان يكون عذابكم اخف من عذابنا فانا ما الجأناكم على الكفر بل كفرتم لكون الكفر موافقا لهواكم كما كفرنا لذلك **قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا الآية** من تمام وعيد الكفار والمراد بالآيات الدلائل الدالة على اصول الدين واحكام الشرع كالدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم ووحدته واستجماعه لجميع الصفات اللائقة بالالوهية من الصفات الثبوتية والسلبية وكالدلائل الدالة على صحة النبوات وصحة امر المعاد وما يتعلق بها والمشركون يكذبون جميع ذلك ويستكبرون اى يترفعون بالباطل عن اتباعها

والعمل بمقتضاها وقرئ لاتفتح ولايفتح بالتاء والياء بالتشديد والتخفيف وقرئ ايضا لاتفتح بفتح التاء من فوق والتخفيف والاصل لاتتفتح بتاءين فحذفت احدهما وابواب السماء على هذه القراءة مرفوع على الفاعلية قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتفتح لاعمالهم ولالدعائهم مأخوذ من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال السدى وغيره لاتفتح لارواحهم ابواب السماء لانها خبيثة لايصعد بها تتصل بالملائكة بل يهوى بها الى سجين وانما تفتح ابواب السماء لارواح المؤمنين كما ورد فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب الى ان ينتهى بها الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى ذميمة فيهوى بها الى سجين وقيل لاتفتح لهم ابواب السماء حتى تنزل عليهم بركاتها وامطارها استدلالا بقوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر **قوله ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير** فان البعير اعظم الحيوانات واكبرها جثة عند العرب كما ان سم الابرة اضيق المسالك عندهم ولاشك ان دخول اعظم الاجرام فى اضيق المسالك مستحيل والموقوف على المحال محال فكأنه قيل لايدخلون الجنة ابدا ومثله فى المعنى قول من قال

اذا شاب الغراب اتيت اهلى ۞ وصار القار كاللبن الحليب

والبعير من الابل بمنزلة الانسان من الناس يقال للجمل بعير وللناقة بعير وانما يقال له بعير اذا اجذع اى صار جذعا او جذعة بأن دخل فى السنة الخامسة فان ولد الناقة يقال له اول ماتخرج من بطن امه ولم يعرف ذكورته ولا انوثته سليل فان كان ذكرا فيقال له سقب وان كان انثى يقال لها حائل ثم هو حوار الى الانفطام وبعده فصيل الى سنة وفى الثانية ابن مخاض وبنت مخاض وفى الثالثة ابن لبون وبنت لبون وفى الرابعة حق وحقة وفى الخامسة جذع وجذعة وفى السادسة ثنى وثنية وفى السابعة رباع ورباعية بالتخفيف وفى الثامنة سديس لهما وقيل سديسة للانثى وفى التاسعة بازل وبازلة يقال بزل البعير يبزل بزولا اى فطر نابه وانشق وفى العاشرة مخلف ومخلفة وليس بعد البزول والاخلاف سن والجمل زوج الناقة وانما يسمى جملا اذا اربع اى دخل فى السنة السابعة **قوله تعالى لهم من جهنم مهاد** جملة اسمية ومن جهنم حال من مهاد لانه لو تأخر عنه لكان صفة وجهنم لاينصرف للعلمية والتأنيث وقيل اشتقاقه من الجهومة وهى الغلظة يقال رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بهذا لغلظ امرها فى العذاب والمهاد جمع مهد وهو الفراش وغواش جمع غاشية وهى كل مايغشاك اى يسترك وللنحاة فى الجمع الذى على فواعل اذا كان منقوصا حذف لامه خلاف هل هو منصرف او غير منصرف قال بعضهم هو منصرف لانه قد زالت صيغة منتهى الجموع فصار وزنه وزن سلام وقذال فانصرف وقال الجمهور انه غير منصرف والتنوين الذى فيه ليس تنوين التمكين بل هو تنوين العوض والمعوض عنه اللام والمصنف اجمل فى التفسير حيث قال والتنوين فيه بدل من الاعلال اما من الياء او من حركتها فان اصل نحو جوار وموال جوارى وموالى استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء اكتفاء بالكسرة فانهم حذفوا الياء اكتفاء بالكسرة فى المفرد فكان حذفها فى الجمع الذى هو اثقل اولى فلما حذفت الياء والحركة عوض التنوين من الياء او عن الحركة وهذا هو مذهب الخليل وسيبويه واما عند غيرهما فهو تنوين التمكين ومن قرأ غواش برفع الشين جعل الياء المحذوفة منسية غير معتبرة اصلا لا فى حق الاعراب ولا فى حق منع الصرف فأجرى الاعراب على ماقبلها لكونه آخر الكلمة عنده ومعنى الآية الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف **قوله عبر عنهم بالمجرمين تارة** يعنى انه من باب وقوع الظاهر موقع المضمر للدلالة على ان تلك العقوبة الشديدة كانت لاجتماعهم هذه الاوصاف الذميمة المترتبة على تكذيبهم الآيات **قوله اعتراض للترغيب** فانه لما قصد بيان كون ماذكر من النعيم المقيم الذى قال عليه الصلاة والسلام فى حقه مالاعين رأت ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر مترتبا على الايمان والعمل الصالح قال قبل ذلك ان الايمان والعمل الصالح المؤديين الى النعيم المذكور انما كلفتم بهما على حسب مافى الوسع والامكان لاعلى بذل جميع مايدخل تحت طاقة الانسان لتزداد رغبتهم فيهما قال الامام الوسع مايقدر الانسان عليه فى حال السعة والسهولة لافى حال الضيق والشدة ويدل عليه ان معاذ بن جبل قال فى تفسير هذه الآية الايسرها لاعسرها واما اقصى الطاقة فانه يسمى جهدا لاوسعا وغلط من ظن ان الوسع بذل المجهود **قوله اى تخرج من قلوبهم اسباب الغل** يعنى ان النزع قلع الشئ عن مكانه والغل الحقد الكائن فى الصدور ومعنى قلع ماكان

(لاتفتح لهم ابواب السماء) لادعيتهم واعمالهم اولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) اى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسالك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لايكون وكذا ماتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزى الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الاوسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى فى ان يشفع الوعيد بالوعد ولانكلف نفسا الاوسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس (ونزعنا مافى صدورهم من غل) اى تخرج من قلوبهم اسباب الغل

لبعضهم على بعض فى الدنيا من الاحقاد اخراج اسبابها من القلوب فان تلك الاحقاد انما نشأت من التعلق بالدنيا وما فيها و بانقطاع تلك العلاقة انتهى ما يتفرع عليها من الاحقاد و من جملة اسبابها ايضا ان الشيطان كان يلق الوساوس الى قلوب بنى آدم فى الدنيا و قد انقطع ذلك فى الآخرة من جهة ان الشيطان لما استغرق فى عذاب النيران لم يتفرغ لالقاء الوساوس فى قلوب الانسان فلذلك صفت طبائع اهل الجنان عما كان بينهم فى الدنيا عما ينافى لصفاء الجنان ﴿قوله او نطهر عامته﴾ اى و يجوز ان لا يكون المراد بنزع الغل نزع ما كان بينهم فى الدنيا بنزع اسبابه بل يراد تطهير قلوبهم من الغل بحيث لا يعرض لهم الغل و الحسد عما رأوا من تفاوت درجات اهل الجنة بحسب الكمال و النقصان حتى ان صاحب الدرجة النازلة لا ينفعل عن انحطاط درجته عن درجة من فوقه و لا يغتم بسبب حرمانه من الدرجات الرفيعة العالية فان ذلك امر ممكن و الله تعالى قادر عليه و قد وعد بازالة الحقد و الحسد عن القلوب ﴿قوله زيادة فى لذتهم﴾ يشعر بان قوله تعالى تجرى من تحتهم الانهار كلام مستأنف سيق لبيان ان لهم حالة زائدة على ما حصل لهم من صفاء القلوب و يحتمل ان يكون حالا من ضمير صدورهم لما تقرر من ان انتصاب الحال من المضاف اليه جائز اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه و يكون العامل فى الحال هو العامل فى المضاف و جاز ذلك و ان لم يكن الحال من هيئات المضاف بناء على ان المضاف و المضاف اليه لما كانا بمنزلة شئ واحد صارت هيئة المضاف اليه كأنها من هيئات المضاف قال مقاتل فى قوله تعالى و نزعنا ما فى صدورهم من غل و ذلك ان اهل الجنة لما انتهوا الى باب الجنة اذا هم بشجرة ينبع من اصل ساقها عينان فيميلون الى احداهما فيشربون منها فيخرج الله منهم ما كان فى اجوافهم من غل و قذر فيطهر اجوافهم بذلك و هو الشراب الطهور المذكور فى قوله تعالى و سقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يميلون الى العين الاخرى فيغتسلون منها فيطيب الله تعالى اجسامهم من كل درن و جرت عليهم النضرة فلا تشعث رؤسهم و لا تتغير وجوههم و لا تشحب اى لا تتغير اجسادهم ثم يبشرهم خزنة الجنة قبل ان يدخلوها فينادونهم ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فلما استقروا فى منازلهم قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لدينه و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴿قوله و اللام لتأكيد النفى﴾ اختيار لمذهب الكوفيين فانهم ذهبوا فى مثله الى ان لام الجحود مع ما بعدها واقعة موقع خبر كان و يزعمون ان الفعل المنصوب بعد اللام لا باضمار ان بعد اللام و ان اللام زائدة لتأكيد النفى و عند البصريين خبر كان محذوف و لام الجحود متعلق بذلك الخبر المحذوف و ينتصب الفعل الواقع بعد اللام باضمار ان و التقدير و ما كنا مريدين للاهتداء لولا هداية الله لنا موجودة و تقدير قوله تعالى و ما كان الله ليضيع ايمانكم و ما كان الله مريدا لاضاعة ايمانكم اى اعمالكم التى هى ثمرات ايمانكم ﴿قوله على انها مبينة﴾ اى جارية مجرى التفسير لقوله هدانا لهذا و كمال اتصال احدى الجملتين بالاخرى يمنع العطف و قوله تعالى لقد جاءت جواب قسم مقدر و الباء فى قوله بالحق يجوز ان تكون للتعدية و ان تكون للحال اى جاؤا ملتبسين بالحق يقوله اهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عيانا و استقروا فيه و الاغتباط و التبجح و الجذل هو الفرح و السرور ﴿قوله اذا رأوها من بعيد﴾ يعنى ناداهم الملائكة بهذا القول و هو ان تلك التى رأيتموها الجنة التى وعدتم بها فى الدنيا على ان تلك مبتدأ اشير بها الى ما رأوه من بعيد و الجنة خبره و اللام فيها للعهد ﴿قوله او بعد دخولها﴾ فيكون تلكم الجنة خبر مبتدأ محذوف اى هذه تلكم التى وعدتم بها فى الدنيا و لما كانت الاشارة الى الجنة الموعود بها فى الدنيا كان المشار اليه غائبا بعيدا فصحت الاشارة اليه بلفظ تلك و يجوز ان يكون تلكم الجنة مبتدأ حذف خبره اى تلكم الجنة التى اخبرتم عنها و وعدتم بها هى هذه و على التقديرين فالمنادى له بحسب الظاهر هو قول المنادى و هو الملائكة او الله تعالى تلكم الجنة الا ان المنادى له بالذات و القصد الاصلى هو قوله اورثتموها بما كنتم تعملون فان اهل الجنة لما ذكروا ما انعم الله به عليهم من هدايته اياهم الى ما يؤديهم الى هذه السعادة العظمى اثنى الله تعالى او الملائكة عليهم بحسن اطاعتهم لربهم بان ذكر انهم ورثوها باعمالهم * فان قيل هذه الآية تدل على ان العبد يدخل الجنة بعمله و قد قال عليه الصلاة و السلام * لن يدخل احدكم الجنة بعمله و انما تدخلونها برحمة الله تعالى و فضله * فما وجه التوفيق بينهما * فالجواب ان العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته و انما يوجبه من حيث ان الله تعالى جعله بفضله علامة عليه و وعد بذلك فى مقابلته ايضا و لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة فى الحقيقة ليس الا بفضل الله تعالى ﴿قوله و ان فى المواضع الخمسة﴾ من قوله و نودوا ان تلكم الجنة الى قوله و نادى اصحاب النار اصحاب

او نطهر عامته حتى لا يكون بينهم الا التواد و عن على كرم الله وجهه انى لأرجو ان اكون انا و عثمان و طلحة و الزبير منهم ﴿تجرى من تحتهم الانهار﴾ زيادة فى لذتهم و سرورهم ﴿و قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ لما جزاؤه هذا ﴿و ما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله﴾ لولا هداية الله و توفيقه و اللام لتأكيد النفى و جواب لولا محذوف دل عليه ما قبله و قرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا و تبجحا بان ما علموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة ﴿و نودوا ان تلكم الجنة﴾ اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها و المنادى له بالذات ﴿اورثتموها بما كنتم تعملون﴾ أعطيتموها بسبب اعمالكم و هو حال من الجنة و العامل فيها معنى الاشارة او خبر و الجنة صفة تلكم و أن فى المواضع الخمسة هى المخففة او المفسرة لان المناداة و التأذين من القول

الجنة ان أفيضوا فكلمة ان في جميعها يحتمل ان تكون تفسيرية للتنادي له لان كل واحد من النداء و التأذين في معنى القول و التأذين في اللغة النداء و التصويت للاعلام و ان تكون مخففة من الثقيلة و اسمها ضمير الامر و الشأن و الجملة بعدها خبرها ﴿ قوله و شماتة ﴾ و هي الفرح ببلية العدو فان اصحاب النار كانوا يؤذون المؤمنين و يعيرونهم كما قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى قوله فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون تشفيا لقلوبهم و زيادة تعذيب للكفار قيل في وجه تيسر المناداة و المكالمة بين اهل الجنة و النار ان الجنة عالية و جهنم سافلة متسفلة فيكون اهل الجنة مشرفين على اهل النار مع ان بعدما بين الجنة و النار لا يعلم مقداره الا الله كما قال تعالى فاطلع فرآه في سوآء الجحيم فامكن لهم تقريع اهل النار و تحسيرهم بقولهم هل وجدتم ما وعد ربكم من سعادة من أطاعه و عقوبة من عصاه فان كل واحد منهما كان يحزنهم اشد الحزن و يوقعهم في الحسرة فاطلق عليه الوعد لانه يستعمل في الخير و الشر مع ان بعضه هو الخير الجليل في حق المؤمنين ﴿ قوله و هما لغتان ﴾ لما روى ان عمر رضي الله عنه سال قوما عن شيء فقالوا نعم بفتح العين فقال انما النعم الابل قولوا نعم بكسر العين و الفتح لغة اهل الحجاز و عامة العرب ﴿ قوله تعالى فاذن مؤذن ﴾ اى نادى مناد أسمع الفريقين بقوله لعنة الله على الظالمين اى على الكافرين دون المؤمنين و هو اخبار و قيل هو ابتدآء لعن منه لهم و قوله بينهم منصوب باذن اى ان مؤذنا اوقع ذلك الاذان بينهم اى في وسطهم و بعد ان يكون معمول مؤذن لان التقدير يكون حينئذ ان مؤذنا من بينهم اذن بذلك الاذان ﴿ قوله تعالى و يبغونها ﴾ اى يطلبون لها اى لسبيل الله تغييرا و امالة الى الباطل بالقاء الشكوك و الشبهات في دلائل الحق اوقع المؤذن لعنة الله على من كان موصوفا باربعة اوصاف الاول كونهم ظالمين و الظلم و ان كان يعم الفسق الا ان المراد به ههنا الكفر لان الظالم الذي وصف به موصوف بصفات ثلاث مختصة بالكفار و الوصف الثاني كونهم صادين معرضين عن سبيل الله على ان يكون يصدون لازما بمعنى يعرضون لان جعله متعديا بمعنى يمنعون الناس يحوج الى تقدير المفعول و الثالث كونهم طالبين امالة الدين الحق الى الباطل و الرابع كونهم منكرين للآخرة مختصين بهذا الوصف ﴿ قوله يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى ﴾ و كون السور المضروب بينهما مانعا من وصول اثر كل واحدة منهما الى الاخرى لا يستلزم كونه مانعا من اطلاع سكان احداهما على سكان الاخرى و سماع احدهما صوت الآخر و كلامه فان النشأة الآخرة لا تقاس بهذه النشأة و الله تعالى قادر على كل شيء و قد ثبت ان الجنة فوق السموات و ان الجحيم اسفل السافلين و بينهما بون بعيد الا ان احداهما لكونها في غاية الحسن و الاخرى في غاية الشدة و القهر كان يصل اثر كل واحدة منهما الى الاخرى فلذلك جعل بينهما سور يمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى و الاعراف جمع عرف و هو اعلى السور و ما ارتفع منه مثل عرف الديك قال الامام العرف كل عال مرتفع و منه عرف الديك و الفرس سمي عرفا لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه ثم قال ذهب الاكثرون الى ان المراد من الاعراف اعالي ذلك السور المضروب بين الجنة و النار ﴿ قوله رجال طائفة من الموحدين ﴾ قال ابن عباس و المفسرون هم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار و منعتهم سيئاتهم من الجنة فيقومون على سور الجنة ثم يدخلهم الله الجنة برحمته و هم آخر من يدخل الجنة كذا في الوسيط و عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة و من كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار الا ان يغفر الله له ثم قرأ فمن ثقلت موازينه الآية و من خفت موازينه الآية و ان الميزان يخف بمثقال حبة و يرجح به و من استوت حسناته و سيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة و النار فاذا نظروا الى يمينهم فرأوا اهل الجنة قالوا سلام عليكم و اذا نظروا الى يسارهم فرأوا اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فيعطون نورا فيمشون به بين ايديهم و بايمانهم و يعطى كل عبد يومئذ نورا و كل امة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق و منافقة فلما رأى اهل الجنة مالقي المنافقون قالوا ربنا اتمم لنا نورنا و اما اصحاب الاعراف فان النور كان في ايديهم فلم ينزع النور من بين ايديهم و منعتهم سيئاتهم ان يمضوا فبقي في قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من ايديهم فذلك قوله تعالى لم يدخلوها و هم يطمعون و قال مجاهد اصحاب الاعراف اقوام رضي عنهم آباؤهم دون امهاتهم او امهاتهم دون آبائهم فلم يدخلهم الله الجنة لان آباءهم او امهاتهم غير راضين عنهم فلم يدخلهم الله الجنة كذا في التيسير ثم ادخلوا الجنة بعد ذلك و كانوا آخر اهل الجنة دخولا ﴿ قوله و قيل قوم علت

﴿ و نادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ﴾ انما قالوه تبجحا بحالهم و شماتة باصحاب النار و تحسيرا لهم و انما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا وعده بهم كالبعث و الحساب و نعيم اهل الجنة ﴿ قالوا نعم ﴾ و قرأ الكسائي بكسر العين و هما لغتان ﴿ فأذن مؤذن ﴾ قيل هو صاحب الصور ﴿ بينهم ﴾ بين الفريقين ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ و قرأ ابن كثير و ابن عامر و حمزة و الكسائي أنّ لعنة الله بالتشديد و النصب و قرئ انّ بالكسر على ارادة القول او اجرآء أذن مجرى قال ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ﴿ و يبغونها عوجا ﴾ زيغا و ميلا عما هو عليه و العوج بالكسر في المعاني و الاعيان ما لم تكن منتصبة و بالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط و الرمح ﴿ و هم بالآخرة كافرون و بينهما حجاب ﴾ اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة و النار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى ﴿ و على الاعراف ﴾ و على اعراف الحجاب اى على اعاليه و هو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس و قيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره ﴿ رجال ﴾ طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة و النار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء و قيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين و علمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال

درجاتهم ﴾ اى قيل ليس المراد بالرجال المستقرين على الاعراف الموحدين الذين قصروا فى العمل بل المراد بهم الاشراف من اهل الطاعة واهل الثواب ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فقال بعضهم انهم الانبياء اجلسهم الله تعالى على اعالى ذلك السور تمييزا لهم من سائر اهل القيامة ليكونوا مشرفين على اهل الجنة واهل النار مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقال بعضهم هم الشهداء الذين خرجوا الى الغزو وغزوا فى سبيل الله بغير اذن آبائهم فقتلوا شهداء فاعتقوا من النار بقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بعصيانهم آباءهم روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اصحاب الاعراف فقال « هم ناس قتلوا فى سبيل الله منعهم الجنة معصيتهم آباءهم ومنعهم النار قتلهم فى سبيل الله » والظاهر ان هؤلاء الشهداء من الذين ساوت حسناتهم سيئاتهم فلا يدخلون تحت اقوام علت درجاتهم فمراد المصنف من الشهداء ليس مثل هؤلاء الشهداء بل مراده بالشهداء هم الذين تميزوا من بين جميع اهل القيامة بالاستحقاق لمزيد التعظيم والاجلاس على المنازل العالية والاماكن المرتفعة ليشاهدوا حكم الله تعالى فى اهل الموقف بمقتضى الفضل والعدل وقال بعضهم هم الملائكة الموكلون باعالى هذا السور يميزون المؤمنين من الكفار قبل ادخالهم الجنة والنار واسم الرجال وان كان فى الاظهر المذكور بنى آدم فغير بعيد ان يطلق على الملائكة الذين يرون فى صورة الرجال كما اطلق على الجن فى قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فانهم سموا رجالا لكونهم فى صورة الرجال « فان قيل هذه الوجوه باطلة لانه تعالى قال فى صفة اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون اى وهم يطمعون فى دخولها وهذا الوصف لا يليق بالملائكة والانبياء والشهداء « والجواب ان غاية ما فى الباب ان يتأخر دخولهم الجنة وذلك لا ينافى كونهم اشراف اهل الموقف فانه يجوز ان يميزهم الله تعالى من اهل الجنة واهل النار ويجلسهم على تلك الاماكن المرتفعة ليشاهدوا احوال اهل الجنة فى الجنة واحوال اهل النار فى النار فيلحقهم السرور العظيم بمشاهدة تلك الاحوال ثم اذا استقر اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار فحينئذ ينقلهم الله تعالى الى منازلهم العالية فى الجنة فعدم دخولهم الجنة فى اول الامر لا ينافى كمال شرفهم وعلو درجاتهم واما قوله تعالى وهم يطمعون فالمراد من هذا الطمع اليقين الا ترى انه قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا الطمع كان يقينا فكذا ههنا ﴿ قوله او من وسم على القلب ﴾ اى قلب المكان اصله وسماهم ﴿ قوله وانما يعرفون ذلك بالالهام ﴾ يندفع به ما يقال نداء اصحاب الاعراف اهل الجنة وصرف ابصارهم الى اهل النار انما يكونان بعد دخول اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار واذا كانوا يشاهدونهما فى الجنة والنار فاى حاجة لهم الى سيماهم حتى يعرفونهم بها « ووجه الاندفاع ان معرفتهم بسيماهم انما هو فى محفل القيامة يعرفونهم بها بالالهام او بتعليم الملائكة والنداء والصرف انما هما بعد دخولهم فى الجنة والنار وضمير الجمع فى قوله تعالى ونادوا وفيما بعده يرجع الى قوله رجال وقوله تعالى لم يدخلوها يحتمل ان يكون مستأنفا وقع جوابا لمن قال ما حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ويحتمل ان يكون حالا من فاعل نادوا او من مفعوله اى نادى اصحاب الاعراف حال كونهم غير داخلين الجنة او نادوهم حال كونهم غير داخلين ﴿ قوله حال من الواو على الوجه الاول ﴾ وهو ان يكون المراد باصحاب الاعراف الموحدين المقصرين فى العمل لان الطمع والرجاء يليق بهم وعلى الوجوه الباقية يكون حالا من مفعول نادوا لان رجاء دخول اهل الجنة لا يليق باشراف اهل يوم القيامة ولم يلتفت الى كون الطمع بمعنى اليقين لانه لا حاجة اليه مع امكان حمل اللفظ على المعنى الحقيقى فعلى هذا ينبغى ان يكون لم يدخلوها ايضا حالا من المفعول لئلا يتفكك النظم اى نادوا اصحاب الجنة حال كون اصحابها غير داخلين وهم طامعون وقوله اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم اشارة الى ان قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة جزاء شرط محذوف لدلالة قوله واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وانما قدر نظروا دون صرفت للاشعار بان نظرهم الى اصحاب الجنة عن رغبة بخلاف اصحاب النار فان رؤيتهم اياهم تحتاج الى صارف يصرف ابصارهم اليهم ولذلك لم يذكر الشرط فى نداء اهل الجنة فتقدير الشرط فى ندائهم غير مطابق لما عليه الكتاب الكريم ثم ان اصحاب الاعراف لما تعوذوا بالله من شدة حال اصحاب النار نادوا رؤساءهم تبكيتا لهم وتوبيخا بان قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم وهى شماتة بليغة وتبكيت عظيم لاولئك الخاطئين ثم ان اصحاب الاعراف يشيرون الى جماعة من ضعفاء المسلمين وفقرائهم مثل بلال وصهيب وسلمان ونحوهم فيقولون للمشركين على وجه الانكار أهؤلاء الذين اقسمتم اى حلفتم

(يعرفون كلا) من اهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة (ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم) اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا) تعوذا بالله (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اى فى النار (ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) كثرتكم او جمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة

وانتم فى الدنيا لاينالهم الله برحمة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم حين يخاف اهل النار ولا انتم تحزنون حين يحزنون فيكون قوله تعالى أهؤلاء الذين اقسمتم فى محل النصب بالقول المتقدم اى قالوا مااغنى عنكم وقالوا أهؤلاء الذين اقسمتم والمقول لهم هم الرجال من رؤساء الكفرة قال اصحاب الاعراف لهم ذلك زيادة تبكيت لهم وهو قول المصنف تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة ويكون قوله ادخلوا الجنة مقول قول مقدر والمقول لهم اصحاب الاعراف والقائل هو الله تعالى او الملائكة كما قال او فقيل لاصحاب الاعراف الخ او القائل اصحاب الاعراف والمقول لهم ضعفاء المسلمين يقولون لهم ذلك ردا على الكفرة مااقسموا به وهو قول المصنف اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة الخ ﴿قوله وقيل لما عيروا﴾ اى لما عير اصحاب الاعراف اهل النار بأن قالوا لاهل النار ماقالوا قال لهم اهل النار ان دخل اولئك الجنة فانتم لاتدخلونها فعيروهم بذلك واقسموا على ان اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة ولاينالهم الله برحمة فيقول الله تعالى او تقول الملائكة الذين حبسوهم على الصراط لاهل النار أهؤلاء يعنى اصحاب الاعراف الذين اقسمتم يااهل النار لاينالهم الله برحمة ثم يقول الله او الملائكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون فيدخل اصحاب الاعراف الجنة ﴿قوله وقرئ ادخلوا﴾ على بناء المفعول ماضيا من باب ادخل وقرأ عكرمة دخلوا ماضيا مبنيا للفاعل ولما ورد ان كل واحدة من هاتين القراءتين على الغيبة فالمناسب لهما ان يقال لاخوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف قيل لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون اشار المصنف الى جوابه بقوله وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم يعنى ان الجملة المنفية فى محل النصب على انها مقول قول مقدر وذلك القول المقدر منصوب على انه حال من فاعل دخلوا او ادخلوا ﴿قوله ليلائم الافاضة﴾ فان الاصل فى الافاضة ان تستعمل فى الماء وما يجرى مجراه من المائعات فلما عطف مما رزقكم الله على قوله من الماء بكلمة او كان المطلوب افاضة احد الامرين اللذين يتعلق بهما فعل الافاضة فناسب ان يحمل ما رزقكم على المرزوق الكائن من جنس الاشربة وان حمل على ما هو من جنس الاطعمة يكون الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع بقاء العاطف ويكون التقدير افيضوا علينا شيأ يسيرا من الماء وألقوا علينا شيأ يسيرا مما رزقكم الله من الطعام ومثله كثير فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

❁ علفتها تبنا وماء باردا ❁ حتى شتت همالة عيناها ❁

يقال شتوت بموضع كذا اذا اقمت به فى الشتاء وهملت عينه اى فاضت ومثله

❁ ياليت زوجك قد غدا ❁ متقلدا سيفا ورمحا ❁

اى وحاملا رمحا ومثله ❁ اذا ما الغانيات خرجن يوما ❁ وزججن الحواجب والعيونا ❁

اى وكحلن العيون فان التزجيج وهو ترقيق المرأة حاجبها وتطويلها اياه لايتعلق بالعيون روى ان قارئا قرأ قوله تعالى حكاية عن الكفار افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عند الاستاذ ابى على الدقاق فقال الاستاذ هؤلاء كانت شهوتهم ورغبتهم فى الدنيا فى الشرب والاكل فبقوا فى الآخرة على هذه الحالة وهذا يدل على ان الرجل يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ﴿قوله منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف﴾ يريد ان التركيب من قبيل الاستعارة التمثيلية لان التحريم تكليف وهم ليسوا فى دار التكليف بأن شبه حالهم مع شراب الجنة وطعامها بحال المكلف مع ما حرم عليه فى المنع عنه وكذلك قوله تعالى فاليوم ننساهم لان الله تعالى منزه عن حقيقة النسيان وكذلك وصفهم بالنسيان لانهم لم يكونوا معترفين بلقاء يوم القيامة ولا عارفين به والنسيان انما يكون بعد المعرفة شبه معاملته تعالى مع الكفار بمعاملة من نسى عبده من الخير ولم يلتفت اليه وشبه عدم اخطارهم لقاء الله تعالى ببالهم وعدم مبالاتهم بحال من عرف شيأ ونسيه وكثرت مثل هذه الاستعارات فى القرآن العظيم لان المعانى التى فى عالم الغيب لايمكن ان يعبر عنها الا بما يماثلها من عالم الشهادة ﴿قوله والتصدية﴾ هو التصفيق والمكاء الصفير عبر عن نحو هذه الافعال القبيحة مما زين لهم الشيطان باللهو واللعب لكونها مما لاينبغى ان يباشرها العاقل وعبر عن الكفرة بانهم اتخذوا امثالها دينا لانفسهم اى عادة وشأنا ويحتمل ان يكون دينهم مفعولا اول ويكون المعنى اتخذوا دينهم الذى شرع لهم ملعبة حيث جعلوه تابعا لاهوائهم حرموا ماشاؤا وحللوا ماشاؤا مع ان حقهم ان يتبعوا امر الله تعالى ويتدينوا بما شرع لهم غير متجاوزين حدود الله ﴿قوله وكما كانوا﴾ اشارة الى ان كلمة ما فى قوله وما كانوا مصدرية مجرورة المحل عطفا على اختها المجرورة بالكاف التى

(ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا أن اصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة أهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء) اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار (او مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف لهم بما لايحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لايحسن ان يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين انها من عند الله

هي في محل النصب على انها صفة مصدر محذوف اي ننساهم نسيانا كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم منكرين ان الآيات من عند الله تعالى ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اي فاليوم نتركهم لاجل نسيانهم وجحودهم ومعنى التعليل واضح في المعطوف والمعنى ان هذه التشديدات انما كانت لهم لانهم كانوا بآياتنا يجحدون ﴿قوله مفصلة﴾ اي حال كون تلك المعاني ذات فصول مختلفة او مميزا كل ماورد منها في باب عما ورد في باب آخر ﴿قوله عالمين﴾ يعني ان على علم حال من فصلناه ونكر علما للتعظيم وقوله تعالى هدى ورحمة يجوز ان يكون مفعولا له كما جاز كونه حالا اي فصلناه لاجل الهداية والرحمة للمؤمنين فانهم هم الذين اهتدوا به دون غيرهم ثم انه تعالى لما بين انه ازاح العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال هل ينظرون الا تأويله اي الا عاقبة ما وعد الله فيه من البعث والنشور والحساب والعقاب ومجازاة كل نفس بما كسبت فان هذه الامور تأويل المواعيد المذكورة في الكتاب من حيث ان تلك المواعيد تؤول اليها فان تأويل الشيء مرجعه ومصيره الذي يؤول ذلك الشيء اليه والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع والمعنى هل ينتظرون ويتوقعون الا عاقبته ومايؤول هو اليه فان قيل كيف يتوقعون وينتظرون مع جحودهم وانكارهم اجيب عنه بانهم مع جحودهم اياه جعلوا بمنزلة المنتظرين له من حيث انه يأتيهم لا محالة ويحتمل ان يكون فيهم اقوام شكوا وتوقعوا فلهذا السبب انتظروا ﴿قوله تعالى فهل لنا من شفعاء﴾ لفظ شفعاء مبتدأ ومن زائدة في المبتدأ ولنا خبره مقدم ويجوز ان يكون شفعاء فاعلا للجار والمجرور لاعتماد الجار على الاستفهام وقوله فيشفعوا منصوب باضمار ان في جواب الاستفهام فقد عطف ما في تأويل الاسم على الاسم الصريح اي فهل لنا من شفعاء فشفاعة منهم لنا وقوله او نرد مرفوع على انه جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية وهي هل لنا من شفعاء وقوله فنعمل منصوب على ما انتصب عليه فيشفعوا اي او هل نرد فنعمل فيكون المسؤل احد الامرين الخلاص من عذاب الآخرة بشفاعة الشفعاء او الرد الى الدنيا لاجل العمل الصالح وان قرئ او نرد بالنصب يكون معطوفا على قوله فيشفعوا فيكون جواب الاستفهام احد الامرين التخلص من عذاب الآخرة بشفاعتهم او الرد الى الدنيا لاجل العمل الصالح فيكون قوله فنعمل منصوبا بالعطف على قوله نرد ويحتمل ان يكون انتصاب نرد بناء على ان تكون كلمة او بمعنى الى ان كما في قولك لالزمنك او تعطيني حقي اي الى ان تعطيني حقي تجعل قضاء الحق غاية اللزوم فكذا الآية الكريمة فانهم يجعلون الرد الى الدنيا غاية الشفاعة الشفعاء ثم انه تعالى بين ان الذي طلبوه لا يحصل لهم البتة حيث حكم عليهم بانهم قد خسروا انفسهم ولو حصل لهم ماطلبوه لما حكم عليهم بذلك ولذا قال وضل عنهم ما كانوا يفترون في حقه بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿قوله اي في ستة اوقات﴾ جواب عما يقال اليوم عبارة عن الزمان الممتد من طلوع الشمس الى غروبها فقبل ان يخلق السموات والارض والشمس والقمر كيف يتحقق اليوم حتى يجعل ستة ايام ظرفا لخلق السموات والارض ﴿قوله وفي خلق الاشياء مدرجا﴾ جواب عما يقال من ان خلقها دفعة واحدة ادل على كمال القدرة من خلقها في ستة ايام واوفق لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون ولقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر يقال لمحه اي ابصره بنظر خفيف كذا في الصحاح فما الحكمة في خلقها مدرجا والجواب الثاني مبني على ان خلق الملائكة ونحوهم من العقلاء المعتبرين مقدم على خلق السموات والارض فانه تعالى خلق هذه الاجرام مدرجا ليشاهدوا في كل حين وساعة حدوث شيء آخر على التعاقب والتوالي ويستعظموا كمال قدرة الخالق وعلمه والخلق على سبيل التدريج اقوى في الدلالة عليه من الخلق دفعة لانه يتكرر على مثله ظهور الآثار المشتملة على الحكم والمصالح لحظة بعد لحظة فكان اقوى في افادة اليقين وتقرير الجواب الثالث انه تعالى خلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتأني في الامور وقد جاء في الحديث «التأني من الله والعجلة من الشيطان» ﴿قوله استوى امره﴾ اصل الاستواء في اللغة المساواة قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقال سويته فاستوى ويقال استوى من اعوجاج واستوى الشيء اي اعتدل وفلان سوى الخلق اي مستو معتدل والاسم منه السواء وهو العدل والاستواء بهذا المعنى لا يتعدى بعلى ولذا يستحيل في حقه تعالى ويقال بمعنى العلو والاستقرار نحو استوى على ظهر دابته اي استقر وتمكن عليه وبمعنى القصد الى الشيء نحو استوى الى السماء اي قصد وتوجه اليها وبمعنى الاستيلاء والظهور كما في قول الشاعر

قد استوى بشر على العراق ❊ من غير سيف ودم مهراق

(ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) هل ينتظرون (الا تأويله) الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسي (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اي قد تبين انهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (او نرد) او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين الشفاعة او ردهم الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذي كنا نعمل) جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل (قد خسروا انفسهم) بصرف اعمارهم في الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور (ثم استوى على العرش) استوى امره

واستوى الرجل اذا انتهى شبابه والعرش تارة يطلق على سرير الملك قال تعالى نكّروا لها عرشها ورفع ابويه على العرش وتارة على العز والسلطنة قال الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم ۞ بربيعة بن الحارث بن شهاب

يقال ذهب عرش فلان اى ذهب عزه وملكه ويطلق ايضا على كل ما علا فاظل ومنه عرش الكروم ولما استحال حمل الاستوآء على التمكن والاستقرار وهو شغل المكان والحيز بالجلوس فيه وتفسير العرش بالسرير وتجويز الانتقال على الله تعالى كما يقوله المشبهة لتعاضد الادلة العقلية والنقلية على انه تعالى منزه عن سمات الحدوث والامكان فانه ليس كمثله شئ لتفرده بعلو الشان ذهب العلماء فى حق هذه الآية الى قولين الاول القول بالقطع بانه تعالى منزه عن المكان والجهة ولا نخوض فى تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهذا القول هو المختار عند اهل السنة فانهم قالوا الاستوآء على العرش صفة الله تعالى بلا كيف فيجب على الرجل الايمان به وان يكل العلم بكيفية الاستوآء الى الله عز وجل روى ان رجلا سأل مالك بن انس عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فأطرق رأسه مليا اى زمانا طويلا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستوآء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب واجرآؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فخوض فى تأويله على التفصيل والسؤال عنه بدعة وما اظنك الاضالا ثم امر به فاخرج وسئل بعض الاكابر ايضا عن تأويله فقال تأويله الايمان به والقول الثانى قول من قال ان ظاهر الآية متشابه وحمل المتشابه على المحكم واجب واجرآؤه على ظاهره بدعة وتأويله على وفق الاصول المحكمة لازم فنخوض فى تأويله على التفصيل وفى تأويل الآية قولان مخصان اشار المصنف اليهما بقوله استوى امره او استولى اى استقر وجرى حيثما شاء وكما شاء وتوضيح الاول ما ذكره القفال وهو ان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه اى انتقض ملكه وفسد واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه وهذا نظير قولهم للرجل الطويل فلان طويل النجاد وللرجل الذى تكثر اضيافه كثير الرماد وليس المراد من مثل هذه الالفاظ ظاهر معناها وانما المراد تعريف المقصود على سبيل الكناية فكذا فى الآية المراد من الاستوآء على العرش نفاذ القدرة فى مصنوعاته على حسب ارادته ومشيئته وجريان امره وتدبيره فيها وهو قول المصنف ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام فحصول الآية انه تعالى اخبر انه خلق السموات والارض كما اراد وشاء من غير منازع ومدافع ثم اخبر انه بعد ان خلقهما استوى على الملك والتصرف كيف شاء ويدل على صحة هذا التأويل انه تعالى قال فى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر فان قوله يدبر الامر اجرى مجرى التفسير لقوله استوى على العرش وقال فى هذه الآية ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا الآية وهذا يدل على ان قوله ثم استوى على العرش اشارة الى ما ذكرناه ٭ فان قيل اذا حملتم قوله تعالى ثم استوى على العرش على ان المراد استوى على الملك وجب ان يقال لم يكن الله تعالى مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض ٭ اجيب بانه تعالى كان قبل خلق العالم قادرا على تخليقهما وتكوينهما لانه كان مكونا وموجدا لهما باعيانهما فضلا عن ان يكون مدبرا ومتصرفا فيهما لان التصرف فى الشئ انما يأتى بعد تكوينه فاستوآؤه تعالى على الملك وظهور تصرفه فى هذه الاشياء انما يكون بعد خلقها ﴿ قوله او استولى ﴾ اى ويحتمل ان يكون استوى بمعنى استولى كما فى قوله قد استوى بشر على العراق اى استولى عليه وملكه فحصول الآية انه تعالى خالق السموات والارض ومالك العرش وقال الامام الواحدى فى الوسيط قوله تعالى ثم استوى على العرش اى اقبل على خلقه وقصد الى ذلك بعد خلق السموات والارض وهذا قول الفرآء وابى العباس المبرد والزجاج انتهى ويؤيده قوله تعالى ثم استوى الى السماء اى عمد الى خلق السماء وان لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استوآء الشمس واستوآء الميزان فمعنى الآية على هذا خلق السموات والارض واستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ آخر ويرجع ضمير استوى على الخلق المدلول عليه بقوله خلق اى ثم استوى خلقه

او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى انه تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه

على العرش واتهى عنده ﴿ قوله وقيل الملك ﴾ يقال ذهب عرش فلان اى زال ملكه وقد يؤوّل العرش في الآية بمعنى الملك اى ما استوى الملك الا له عز وجل ﴿ قوله يغطيه به ﴾ أى يغطى النهار بالليل بأن يأتى الليل على النهار ويغطيه بظلمته لانك اذا قلت غشى الليل النهار كان غشى ثلاثيا متعديا الى واحد وكان المعنى صار الليل ساترا النهار فان قرآءة الجمهور يغشى بضم الياء وسكون الغين وتخفيف الشين من أغشى فاذا نقلته الى باب الافعال صار متعديا الى اثنين وصار الفاعل مفعولا فصار الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وذلك لان المفعولين فى هذا الباب متى صلح ان يكون واحد منهما فاعلا ومفعولا فى المعنى وجب تقديم الفاعل معنى لئلا يلتبس المراد نحو اعطيت زيدا عمرا واما اذا لم يلتبس المراد كما فى نحو اعطيت زيدا درهما فحينئذ يجوز الامر ان وهذا كما فى الفاعل والمفعول الصريحين نحو ضرب موسى عيسى وضرب زيد عمرا والآية الكريمة من باب اعطيت زيدا عمرا لان كلا من الليل والنهار يصلح ان يكون غاشيا ومغشيا فوجب جعل الليل فاعلا معنى والنهار مفعولا لفظا ومعنى وهذا الذى ذكرناه هو الذى تقتضيه القواعد النحوية الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلا يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون الليل غاشيا للنهار وان يكون النهار غاشيا لليل وقال الامام قوله يغشى الليل النهار يحتمل ان يكون المراد يلحق الليل النهار والنهار الليل واللفظ يحتملهما معا وليس فيه تعيين والدليل على الثانى قرآءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اى يدرك النهار الليل ويطلبه الى هنا عبارة الامام وفيه بحث وهو ان اللفظ لا يراد به مجموع المعنيين وانما يحتملهما على البدل فاى المعنيين يراد به يكون المعنى الآخر غير مذكور ويحتاج الى ان يجعل الكلام من قبيل سرابيل تقيكم الحر فكما لم يذكر البرد فيه للعلم به فكذا لم يذكر هنا ويغشى النهار الليل اختصارا للعلم به وان لم يذكر وقال سعد الملة التفتازانى فى بيان كون اللفظ محتملا لهما يعنى ان لفظ يغشى الليل النهار يحتمل معنى جعل الليل لاحقا بالنهار بأن يحمل على تقديم المفعول الثانى وهو الليل من قبيل غشيته الثوب ومعنى جعل النهار لاحقا بالليل بأن يكون المفعول الثانى هو النهار وفيه بحث لان جعل الليل لاحقا بالنهار يقتضى ان يكون الليل مفعولا اوّلا فكيف يجعله مفعولا ثانيا ويجعله من قبيل غشيته الثوب فان اللاحق هو المفعول الاوّل وان اخر لفظا والملحق به هو الثانى وان قدّم لفظا كما فى غشيته الثوب اى جعلته مستورا به وما نحن فيه من قبيل يغشى الثوب زيدا ﴿ قوله يعقبه سريعا ﴾ اشارة الى ان قوله يطلبه استعارة تبعية فان حال كل واحد منهما مع الآخر لو كان ممن يكون منه الطلب لكان طلبا فشبه بالطلب سمى طالبا شبه مجيء احدهما عقيب الآخر بلا فصل بطلبه والحث الاعجال يقال حثثت فلانا فاحث فهو حثيث ومحثوث اى مجد سريع ويستعمل الحث غالبا فى الحمل على الشىء كالحض عليه فالحض والحث اخوان وفى الصحاح حثه على الشىء اى حضه عليه وولى حثيثا اى مسرعا وقوله تعالى يطلبه حال من الليل لانه هو المحدث عنه اى يغشى النهار طالبا له ويجوز ان يكون حالا من النهار اى مطلوبا فقوله حثيثا ان جعل حالا من فاعل يطلبه او من مفعوله يكون من قبيل الاحوال المتداخلة ووجه اتصال قوله تعالى يغشى الليل النهار بما قبله انه تعالى لما ذكر استوآءه على العرش وهو اخبار عن نفاذ امره وكمال ملكه واطراد تدبيره بين ذلك عيانا بأن اراهم اياه فيما يشاهدونه من آثار ملكه وتصرفه لينضم العيان الى الخبر ويتضح المقصود كمال الاتضاح جعل الله تعالى تعاقب الليل والنهار الى آخر مدة الدنيا بحيث لو انقطعت الحركات المتعاقبة المتواصلة لانتقض انتظام العالم ثم انه تعالى وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة لانها انما تحصل بحركة الفلك الاعظم فتلك الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة حتى ان الباحثين عن احوال الموجودات قالوا الانسان اذا كان فى العدو والشديد الكامل فبين ان يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل فلا جرم يكون التعاقب المتفرع على مثل هذه الحركة الشديدة فى غاية السرعة فلهذا السبب قال تعالى يطلبه حثيثا ثم اعلم ان الشمس لها نوعان من الحركة احدهما حركتها بحسب ذاتها وهى انما تتم فى سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة والنوع الثانى حركتها بسبب حركة الفلك الاعظم وهذه الحركة تتم فى اليوم بليلته فلما كان الليل والنهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل يحصلان بسبب حركة الفلك الاعظم الذى يقال له العرش ذكر الله تعالى قوله يغشى الليل النهار عقيب ذكر العرش بقوله ثم استوى على العرش تنبيها على ان سبب حصول الليل والنهار هو حركة العرش الاعظم لا حركة الشمس والقمر ذكره الامام ثم قال وهذه دقيقة عجيبة ﴿ قوله بقضائه وتصريفه ﴾ متعلق بمسخرات بمعنى مذللات لاختلفوا اى لم يرد منها من

وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (ألا له الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالواحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية

ربيب بيوم و تدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اى مافي جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادّها اوّلا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين الاوّلين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تمّ له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرّح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرّعا وخفية) اى ذوى تضرّع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرّب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرّب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض) بالكفر والمعاصي (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الردّ لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او الفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذي يرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة

الطلوع والافول والحركات المقدّرة فسر الامر بالقضاء والتصريف لان حقيقة الامر بمعنى التكليف وهو الذي يجمع على اوامر لا على امور انما يتعلق بالعقلاء المختارين وما ذكر هنا ليس منها فلابد ان يحمل الامر على المعنى المجازى المناسب للمقام وهو القضاء والتصريف على مقتضى الحكمة ووفق الارادة جعل الامور المذكورة في كونها تابعة لقضائه وتصريفه اياها كما يشاء كأنهنّ مأمورات منقادة لامره فكان قضاؤه وتصريفه شبيها بالامر فاطلق عليه الامر على سبيل الاستعارة لما ذكر الله تعالى ان خلق هذه المذكورات مسخرات بامره ذكر عقيبه ان مطلق الخلق والامر له لا لغيره تكميلا وتتميما ودلالة على ان خلقه وامره لا يختص بهذه الاشياء ولا شركة لاحد فيها اى لا يوجد شيأ من المكوّنات الا هو ولا يأمر في خلقه بما شاء الا هو والامام حصر العالم الذى هو عبارة عما سوى الله تعالى في نوعين عالم الخلق وعالم الامر واراد بالاوّل عالم الاجسام والجسمانيات وبالثانى عالم الارواح والمجرّدات وجعل قوله تعالى ألا له الخلق والامر اشارة الى ذلك حيث قال انه تعالى لما شرح كيفية تخليق السموات قال فقضاهنّ سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها فدلت تلك الآية على انه سبحانه خص كل فلك بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم قال في هذه الآية والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فدلت هذه الآية ايضا على انه تعالى خص كل واحد من الشمس والقمر والنجوم بلطيفة نورانية ربانية من عالم الامر ثم قال بعده ألا له الخلق والامر وهو اشارة الى ان كل ما سوى الله تعالى اما من عالم الخلق او من عالم الامر فكل ما كان جسما او جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق وكل ما كان بريئا من الحجمية والمقدار كان من عالم الارواح ومن عالم الامر فدل على انه تعالى خص كل واحد من اجرام الافلاك والكواكب التى هى من عالم الخلق بملك من الملائكة وهم من عالم الامر والاحاديث الصحيحة مطابقة لذلك وقد روى في الاخبار ان لله ملائكة يحرّكون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذلك القول في سائر الكواكب وايضا قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الى ان الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم اذا دققت النظر علمت ان عالم الخلق في تسخير الله تعالى وعالم الامر في تدبير الله واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله تعالى فلهذا المعنى قال ألا له الخلق والامر الى هنا كلامه

﴿قوله ذوى خوف من الردّ الخ﴾ اى ليس المراد ادعوه ذوى خوف من العقاب وذوى طمع في الثواب لان اهل السنة ذهبوا الى ان من عبد ودعا لاجل الخوف من العقاب والطمع في الثواب لا تصح عبادته ولا دعاؤه وانما يصحان لو أتى المكلف بهما لمجرّد انه تعالى امره وكلفه بطاعته بمقتضى الوهيته واظهار العبد الاطاعة لسيده ومولاه باتيان ما اوجبه عليه والاجتناب عما نهاه عنه فمن اتى بهذه العبادات لاجل هذا الوجه صحت واما من اتى بها خوفا من العقاب او طمعا في الثواب وحسبان لا تصح لانه ما أتى بها تعبدا لمولاه وقضاء لحق الوهية مولاه وعبودية نفسه فلذلك فسر قوله تعالى خوفا وطمعا بقوله خائفين من ان يردّ ما فعلتم لوقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة مع الطمع في قبوله تفضلا ﴿قوله وتذكير قريب﴾ مع ان القاعدة في فعيل بمعنى فاعل ان لا يستوى فيه المذكر والمؤنث كما ان القاعدة في فعيل بمعنى مفعول ان يستويا فيه وقريب بمعنى فاعل اسند الى ضمير المؤنث وهى الرحمة فينبغى ان تلحق به علامة التأنيث الا انه ذكر لتأويل الرحمة بالرحم فان الرحم بضم الراء بمعنى الرحمة قال تعالى واقرب رحما او التشبيه قريب بفعيل الذى هو مصدر كالنقيض وهو صوت المحامل والرحال وفي الصحاح انقضت العقاب اى صوتت قال الشاعر * تنقض ايديها نقيض العقبان * وكالنقيق وهو صوت الضفدع يقال نق ينق نقيقا اى صوّت وكالضغيب وهو صوت الارنب يقال ضغبت تضغب ضغيبا والمصدر يلزمه الافراد والتذكير في جميع الاحوال فحمل ما يوازنه عليه ﴿قوله او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره﴾ فان القريب والبعيد اذا اريد بهما القريب في النسب والبعيد في النسب يجب تأنيثهما اذا وصف بهما المؤنث تقول فلانة قريبة مني او بعيدة اذا اريد قربها او بعدها منك في النسب واما اذا اريد القرب او البعد في المكان فحينئذ يجوز الامران التأنيث على الاصل يقال فلانة قريب وقريبة وبعيد وبعيدة والتذكير بناء على تقدير فوئن فلانة قريب او بعيد انها في مكان قريب او في مكان بعيد او قريب مكانها مني وبعيد مكانها مني ﴿قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح﴾ متصل بقوله الذي خلق السموات والارض لما ذكر الله تعالى دلائل الالوهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى وهو السموات والشمس والقمر والنجوم اتبعه بذكر ما يدل

(نشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على

انه مصدر فى موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (سحابا ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب (سقناه) اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت) لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به الماء) بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية (من كل الثمرات) من كل انواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة (والذى خبث) اى كالحرة والسبخة (لايخرج الا نكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها

عليها من العالم السفلى وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير نشرا بضم النون والشين جمع نشور بمعنى المنتشر فى النواحى وهو فعول بمعنى فاعل كصبور وصبر اى متفرقة وهى الرياح التى تهب من كل ناحية والنشر التفريق ومنه نشر الثوب ضد طواه او بمعنى المنشور المفرق كالركوب بمعنى المركوب وهو منصوب حال من الرياح وقرأ ابن عامر نشرا بضم النون وسكون الشين وهو تخفيف نشر بضمتين كما قالوا رسل فى رسل وكتب فى كتب فيكون تخريجه واعرابه كما ذكر فى اصله ويقال انشر الله الروح فنشرت اى احياها فحييت كذا فى الوسيط وقرأ الاخوان نشرا بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر واقع موقع الحال بمعنى ناشرات او منشورات او ذات نشر وقيل انه مصدر مؤكد على غير لفظ عامله لتقاربهما معنى وقرأ عاصم بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين على انه جمع بشير اصله بشر بضمتين نحو قليب وقلب ورغيف ورغف ثم اسكنت الشين للتخفيف كما فى نشر ويؤيدها قوله تعالى يرسل الرياح مبشرات اى تبشر بالمطر وقرئ بشرا بضم الباء والشين على الاصل وقرئ بشرا بفتح الباء وسكون الشين على انه مصدر بشر ثلاثيا وقع موقع الحال اى باشرات او منصوب على انه مفعول له اى للبشارة وقرئ بشرى على وزن رجعى وهو ايضا مصدر كما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر رضى الله عنه حاج فقال عمر لمن حوله مابلغكم فى الريح فلم يرجعوا اليه الجواب بشئ فبلغنى الذى سأل عنه عمر من امر الريح فاستحثثت راحلتى حتى ادركت عمر وكنت فى مؤخر الناس فقلت ياامير المؤمنين اخبرت انك سألت عن الريح وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فاذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها **قوله فان الصبا** وهى ريح تهب من موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار والدبور الريح التى تقابل الصبا والشمال الريح التى تهب من ناحية القطب والجنوب الريح التى تقابل الشمال وهى التى تدر السحاب اى تستحلبه **قوله تعالى حتى اذا اقلت** غاية لقوله يرسل وأقلت اى حملت ورفعت من أقللت كذا اى حملته بسهولة فمن رفع الشئ وحمله بسهولة لا شك انه يراه قليلا فلذلك اشتق هذا الفعل من القلة **قوله بالبلد** على ان ضميره لاقرب المذكور والباء ظرفية وجعلها المصنف للالصاق اى فانزلنا فى ذلك البلد الميت الماء وعلى تقدير كون الضمير للسحاب او السوق المدلول عليه بقوله سقناه او الريح تكون الباء سببية او للآلة كما فى كتبت بالقلم والبلد كل موضع من الارض عامرا كان او غير عامر خاليا او مسكونا والطائفة منها بلدة والجمع بلاد والحرة ارض ذات حجارة سود كأنها احرقت بالنار والسبخة الارض المالحة التى لاتنبت شيئا ونكد بكسر الكاف ينكد بالفتح نكدا اشتد وضاق ورجل نكد اى عسر **قوله وقرئ يخرج** على بناء المفعول ورفع نباته لقيامه مقام الفاعل وهو البلد وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر ونكدا بسكونها وهو مخفف نكد بالكسر مثل كتف وكتف فيكون النظم هكذا والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لايخرج الا نكدا فيكون الا نكدا مفعول يخرج **قوله والآية مثل** اى استعارة تمثيلية شبه الله المؤمن بالارض الكريمة التربة والكافر بالارض السبخة وشبه نزول القرآن بنزول المطر فان الارض الكريمة التربة اذا نزل عليها المطر يحصل فيها انواع الازهار والثمار والارض السبخة وان نزل عليها المطر لم يحصل فيها من النبات الا النزر القليل فكذلك الروح الطاهر النقى من شوائب الجهل والاخلاق الذميمة اذا اتصل به نور القرآن ظهرت فيه انواع الطاعات والمعارف والاخلاق الحميدة والروح الخبيث الكدر وان اتصل به نور القرآن لم تظهر فيه المعارف والاخلاق الحميدة فان الارواح معادن منها مايكون فى اصل جوهره طاهرا نقيا مستعدا لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها مايكون غليظا كدرا بطئ القبول للمعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة كما ان الاراضى منها ماتكون طيبة نقية ومنها ماتكون فاسدة سبخة وكما انه لايمكن ان يتولد فى الاراضى السبخة تلك الازهار والثمار التى تتولد فى الاراضى الطيبة فكذلك لايمكن ان يظهر فى النفس البليدة الكدرة من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة مثل مايظهر فى النفوس الطاهرة الصافية واذا كانت احوال النفوس مختلفة اختلافا جوهريا ذاتيا لايمكن ازالته ولاتبديله امتنع من النفوس الغليظة المائلة بالطبع الى افعال الفجور ان تصير نفسا مشرقة بالمعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فتكليف مثل هذه النفس بتلك المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة جار مجرى تكليف مالايطاق فثبت بهذا البيان ان السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه وان النفس الطاهرة يخرج نباتها من المعارف النفيسة والاخلاق الفاضلة باذن ربها والنفس الخبيثة

(لايخرج)

(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) اى اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من اله غيره) وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان الداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) اى الاشراف فانهم يملأون العيون رواء (انا لنراك فى ضلال) فى زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به (ولكنى رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله (ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون) صفات رسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقريرا لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لا علم لكم بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة او موعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منها بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله

لا تخرج نباتها الا نكدا قليل الفائدة والخير كثير الفضول والشر ﴿قوله ولا تكاد تطلق هذه اللام﴾ اشارة الى انها قد تطلق بدون قد نادرا كما فى قوله

﴾ حلفت لها بالله حلفة فاجر ﴾ لناموا فما ان من حديث ولا صالى ﴾

يعنى طرقت الحبيبة فاستشعرت خوفا من الرقباء الذين يتحدثون او يبيتون فى السمر مصطلين فحلفت لها حلفة فاجر اى كاذب او ما هر ان القوم نيام ليس هنا حديث لانتفاء المحدث اى ذو حديث ولا مصطلى بالنار ﴿قوله لانها مظنة التوقع﴾ ضمير انها اللام المذكورة يعنى ان الجملة القسمية لا تساق الا لتأكيد الجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت الجملة القسمية مظنة لمعنى التوقع للجملة المقسم عليها لان احتياجها الى الاقسام عليها دليل تردد المخاطب فى مضمونها وتوقعه لحصول مضمونها عند سماعه كلمة القسم كما اذا ذكرت صريحا او ضمنا بان دل عليها بلام الجواب ﴿قوله اول نبى بعده﴾ خبر قوله ونوح بن لمك يعنى ان نوحا عليه الصلاة والسلام اول نبى بعثه الله تعالى بعد ادريس وبعث ادريس بعد شيث عليهما الصلاة والسلام وقال القرطبى هو اول نبى بعث بعد آدم عليهما الصلاة والسلام بتحريم البنات والخالات والعمات وكان نجارا بعثه الله الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس وهو ابن اربعين سنة ﴿قوله وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا او بدلا على اللفظ﴾ اى على انه صفة تابعة للفظ اله فان من فيه زائدة وموضعه رفع اما بالابتداء واما بالفاعلية الا ان تابعه جعل تابعا للفظه والجمهور جعلوه تابعا لمحله وقرئ بالنصب على الاستثناء فان حكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا واذا جعلت قوله من اله مبتدأ ففى الخبر وجهان اظهرهما انه لكم والثانى محذوف اى مالكم من اله فى الوجود غير الله ولكم على هذا تخصيص وتبيين قال الواحدى فى الكلام حذف وهو خبر ما لانك اذا جعلت غيره صفة لقوله اله لم يبق لهذا النفى خبر ففى الكلام حذف خبره ويكون التقدير مالكم من اله غيره فى الوجود وقال الامام اتفق النحويون على ان قولنا لا اله الا الله لابد فيه من اضمار والتقدير لا اله فى الوجود الا الله او لا اله لنا الا الله ﴿قوله اى الاشراف﴾ الملأ الجماعة الا انه خص الاشراف والرؤساء بهذا الاسم لانهم الذين يملأون صدور المجالس وتمتلئ القلوب من هيبتهم وتمتلئ الابصار من روائهم وهو المنظر الحسن ﴿قوله بالغ فى النفى﴾ يعنى ان المناسب لقولهم لنراك فى ضلال ان يقال ليس فى ضلال الا انه عليه الصلاة والسلام اجابهم بقوله ليس بى ضلالة مبالغة فى نفى الضلال عنه لانه نفى ان يلتبس به ضلالة واحدة فضلا من ان يحيط به الضلال فلو قال لست ضالا لم يؤد هذا المعنى ﴿قوله كما بالغوا فى الاثبات﴾ حيث قالوا لنراك فى ضلال بتنكير الضلال للتعظيم ووصفوه بقوله مبين ﴿قوله استدراك باعتبار ما يلزمه﴾ اى ما يلزم النفى البالغ للضلال وهو كونه على هدى فى الغاية وحق الاستدراك ان يتوسط بين كلامين متنافيين فلما نفى عن نفسه العيب الذى وصفوه به وصف نفسه باشرف الصفات الممكنة فى حق البشر وهو كونه رسولا من رب العالمين ثم ذكر ما هو المقصود من الرسالة وهو امران تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة فقال ابلغكم وكان الظاهر ان يقال يبلغكم وينصح لكم ويعلم الا انه روعى الضمير السابق الذى للمتكلم فقال ابلغكم والاستعمالان جائزان فى كل اسم ظاهر سبقه ضمير متكلم او مخاطب ان شئت تراعى الضمير السابق وهو الاكثر وان شئت تراعى الاسم الظاهر فتقول انا رجل افعل كذا ورجل يفعل كذا ﴿قوله وقرأ ابو عمرو ابلغكم﴾ بنقل بلغ الى باب الافعال للتعدية وجمع رسالة والحال ان له رسالة واحدة باعتبار انواعها من الامر والنهى والوعظ والانذار والقصص او لتعددها بحسب اختلاف اوقاتها او لارادة رسالته ورسالة من قبله من اجداده من صحف جده ادريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهى خمسون صحيفة والفرق بين تبليغ الرسالة وتقرير النصيحة ان تبليغ الرسالة معناه ان يعرفهم انواع تكاليف الله تعالى واوامره ونواهيه واما النصيحة فهو ترغيبهم فى الطاعة وتحذيرهم من المعاصى وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه قال الفراء العرب لا تكاد تقول نصحتك وانما تقول نصحت لك ويجوز ان يقال نصحتك الا ان فى زيادة اللام دلالة على امحاض النصح لهم ﴿قوله من جملتكم﴾ اى متصل بكم نسبا فانهم لما تعجبوا من ارسال البشر انكر عليهم نوح عليه الصلاة والسلام بأن قال لهم ما يؤدى وجه تعجبهم فقال لهم انه تعالى خلق الخلق فله بحكم الالهية ان يأمر عبيده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك لا يليق بحجاب الكبرياء وينتهى الى حد الالجاء وهو ينافى التكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة لان عدم الجنسية يمنع ما هو المقصود من الرسالة كما ذكر فى سورة الانعام

في تفسير قوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا فتعين ان تكون تلك الواسطة من نوع الانسان ثم ان
كان ذلك الرسول ممن يعرفه المرسل اليهم بنسبه ويعلمون تفاصيل احواله يكون ذلك أدخل في استئناسهم به
وقبولهم منه فان المرء يأنس بما هو به اعرف وبظاهر احواله اعلم وبما يقتضي السكون اليه ابصر ﴿قوله
متعلق بمعه﴾ اي متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف اي والذين استقروا معه في الفلك ﴿قوله
او بانجيناه﴾ فحينئذ يجوز ان تكون كلمة في سببية اي انجيناه بسبب الفلك كما في قوله عليه الصلاة والسلام
دخلت امرأة النار في هرة ﴿قوله او حال من الموصول او من الضمير في معه﴾ فحينئذ يتعلق بمحذوف اي
كائنين في الفلك او كائنا فيه ﴿قوله عمي القلوب﴾ اي عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وعمين
جمع عم اصله عمي على وزن خضر فأعل كاعلال قاض قال اهل اللغة يقال رجل عم وقيل عم في البصيرة واعمى
في البصر قال زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ❁ ولكنني عن علم ما في غد عمي

وقيل عم واعمى بمعنى خضر واخضر وقيل عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولو اريد
الحدوث لقيل عام كما يقال فارح وضائق وهو معنى قوله والاول ابلغ لدلالته على الثبات ﴿قوله والمراد به
الواحد منهم﴾ اي من قبيلة عاد وعاد في الاصل اسم الاب الكبير وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
فسميت به القبيلة واتفقوا على ان هودا ما كان اخاهم في الدين واختلفوا في انه هل كانت هناك قرابة او لا قال
الكلبي انه كان واحدا من تلك القبيلة وقال آخرون انه ما كان من تلك القبيلة الا انه لما كان من جملة بني آدم
لا من الملائكة والجن نسب اليهم بالاخوة والمعنى انا بعثنا الى عاد واحدا من جنسهم وهو البشر ليكون انسهم به
وفهمهم كلامه اكمل قيل ان هودا اسم عربي وفيه بحث لانه حكي ان اهل اليمن تزعم ان يعرب بن قحطان بن هود هو
اول من تكلم بالعربية وبه سميت العرب عربا فعلى هذا يكون هودا عجميا اسم رجل وانما صرف لما ذكر في اخواته
من نحو لوط ونوح ﴿قوله استأنف به ولم يعطف﴾ اشارة الى الفرق بين ما ذكر من قصة نوح وهود عليهما
السلام حيث قيل في الاول فقال وفي الثاني قال بغير عاطف وهو انه اشير في الاول الى ان دعوة نوح عليه الصلاة
والسلام لم تتأخر عن ارساله وانه باشر الدعوة قبيل الارسال وفي الثاني جعل الكلام جواب سائل ﴿قوله وكان
قومه كانوا اقرب﴾ اي الى اجابة الدعوة واتباع الحق حيث اطلق الملأ المعاندين من قوم نوح ووصف المعاندين
من قوم هود بقوله الذين كفروا فانه كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فانه اسلم وكان يكتم ايمانه
بخلاف قوم نوح فانه لم يؤمن منهم احد كذا في الكشاف وفيه نظر لقوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن
وقال ايضا وما آمن معه الا قليل فلذلك عدل المصنف عن تلك العبارة ويحتمل ان يكون مراد صاحب الكشاف انه
لم يؤمن من اشرافهم احد او لم يؤمن حال مخاطبة نوح قومه احد منهم وان آمن بعد ذلك آحاد قليلة منهم بخلاف
قوم هود فانه آمن بعض الملأ منهم حال المخاطبة اعلم ان عادا قوم كانوا ينزلون اليمن بالاحقاف وهو رمال بين عمان
وحضرموت وكانوا قد افسدوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله عز وجل اياها وكانوا
اصحاب اوثان يعبدونها صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو
من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فأمرهم ان يوحدوا الله تعالى ويكفوا عن ظلم الناس وغير ذلك فكذبوه وقالوا من
اشد منا قوة فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا
الفرج كانت طلبتهم الى الله عز وجل عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة
اديانهم وكلهم يعظمون مكة واهل مكة يومئذ العماليق سموا عماليق لان اباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان
سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري رجل من عاد فلما حبس
المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم الى مكة فليستسقوا فبعثوا قيل بن عنز وجلهمة بن الخيبري ومرثد
ابن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه مع اشراف اخر ومع كل واحد منهم رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين
رجلا فلما قدموا مكة نزلوا معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم وكانوا اخواله
واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم
شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه

(فكذبوه فانجيناه والذين معه) وهم من
آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن آمن به (في الفلك) متعلق بمعه او بانجيناه
او حال من الموصول او من الضمير في معه
(واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان
(انهم كانوا قوما عمين) عمي القلوب غير
مستبصرين واصله عميين مخفف وقرئ
عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات
(والى عاد اخاهم) عطف على نوحا الى
قومه (هودا) عطف بيان لاخاهم والمراد به
الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد
منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن
نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن
سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه
(قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره)
استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل
قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم
(أفلا تتقون) عذاب الله وكان قومه كانوا
اقرب من قوم نوح ولذلك قال (قال الملأ
الذين كفروا من قومه) اذ كان من اشرافهم
من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك في سفاهة)
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال
يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من
رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره

وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي والله ماادري كيف اصنع بهم استحيي ان آمرهم بالخروج الى مابعثوا اليه فيظنوا انه ضيق علي مقامهم عندي وقدهلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكاما كان من امرهم الى قينتيه الجرادتين وهما جاريتان اسم احداهما وردة والاخرى جرادة فقيل جرادتان على التغليب فقالتا قل شعرا نغنيهم اياه لايدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

❊ الا يا قيل ويحك قم فهينم	❊ لعل الله يسقينا غماما ❊
❊ فيسقي ارض عاد ان عادا	❊ قد امسوا مايبينون الكلاما ❊
❊ من العطش الشديد فليس نرجو	❊ به الشيخ الكبير ولا الغلاما ❊
❊ وقد كانت نساؤهم بخير	❊ فقد امست نساؤهم عيامى ❊
❊ وان الوحش يأتيهم جهارا	❊ ولا يخشى لعادي سهاما ❊
❊ وانتم ههنا فيما اشتهيتم	❊ نهاركم وليلكم التماما ❊
❊ فقبح وفدكم من وفد قوم	❊ ولا لقوا التحية والسلاما ❊

فلما غنتهم الجرادتان هذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود سرا انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال

❊ عصت عاد رسولهم فأمست	❊ عطاشا ما تبلهم السماء ❊
❊ لهم صنم يقال له صمود	❊ يقابله صداء والهباء ❊
❊ فبصرنا الرسول سبيل رشد	❊ فابصرنا الهدى وجلا العماء ❊
❊ وان اله هود هو الهي	❊ على الله التوكل والرجاء ❊

فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنامرثدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود فقام قيل وهو راس وفد عاد مع اصحابه فقالوا في دعائهم اللهم أعط قيلا ماسألك واقض سؤلنا مع سؤله وقال قيل في دعائه يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب ياقيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لايبقي من آل عاد احدا فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بأمر ربها اي كل شيء مرت به فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الا اهلكت واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة فكان مايصيبه ومن معه من الريح الاماتلين به الجلود وتلتذبها الانفس روي عن علي رضي الله عنه ان قبر هود بحضرموت في كثيب احمر وقيل بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل في تلك البقعة وروي ان النبي من الانبياء كان اذا هلك قومه جاء هو والصالحون معه الى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا ﴿قوله قامة وقوة﴾ اي يحتمل ان يكون المراد بسطة الجسم في الخلقة من حيث طول القامة وعظم الجثة ومن حيث القوة فان القوى والقدر متفاوتة كتفاوت مقادير الاجساد ويحتمل ان يراد الفضيلة فيهما حيث لم يبين جهتها ﴿قوله لكى يفضي بكم ذكر النعم﴾ بل لابد من العمل وشكر المنعم هو التقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بتلك الانعام لعلكم تفلحون ﴿قوله اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه﴾ بأن كان له مكان يعبد فيه ربه معتزلا عن قومه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبد بحراء فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم ويحتمل ان يكون مرادهم أجئتنا من السماء كما يجيء الملك استهزاء به عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة ويحتمل ان لا يريدوا به حقيقة المجيء بل يريدوا به القصد كانهم قالوا اقصدت لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك ﴿قوله قد وجب او حق﴾ على ان يكون وقع مجازا اما على طريق اطلاق المسبب على السبب او باعتبار مايؤول اليه حمل على المجاز لتعذر حمله على الحقيقة لان الرجس لم يقع وقت استقبالهم اياه * واعلم ان هودا عليه الصلاة والسلام لمادعا قومه الى ان يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة الاصنام فسفهوه وكذبوه ولم يلتفت الى كلماتهم الحمقاء ولم يقابل

وفي اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) اي في مساكنهم او في الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد ابن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم في الخلق بسطة) قامة وقوة (فاذكروا آلاء الله) تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع) قد وجب او حق (عليكم) او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان) اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه به بقوله لاظهار الغاية جهالتهم وفرط غباوتهم

(فانتظروا) لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد ونزول العذاب (اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه) في الدين (برحمة منا) عليهم
(وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) اي استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي
انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم
اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق
بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم ﴿٣٥٢﴾ واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا الغماما
فيسقى ارض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما

حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى (اخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله تعظيما لها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل في ارض الله) العشب (ولا تمسوها بسوء) نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب اليم)
جواب النهي (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض) ارض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) اي تبنون
في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال
المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا) عن الايمان
(من قومه للذين استضعفوا) اي للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض
ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) قالوه على الاستهزاء (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب

سفاهتهم بالسفاهة بل اجابهم بالكلام الصادر عن الحلم والحكمة ولم يزد على ان قال يا قوم ليس بي سفاهة فدل ذلك على ان ترك الانتقام اولى كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما ثم ادعى رسالته من رب العالمين لاصلاحهم امينا في جميع ما اخبرهم به ثم استدل على وجوب تخصيص العبادة لله تعالى بأن بين ان نعم الله عليهم كثيرة عظيمة وصريح العقل يدل على ان ليس للاصنام شيء من النعم على الخلق لانها جمادات والجماد لا قدرة له على شيء اصلا فكيف يستحق ان يعبد الخلق اياها والعبادة نهاية التعظيم فلا يستحقها الا رب العالمين ومولى نعمهم فلما عجزوا عن الحجة القاطعة اليقينية لم يبق لهم سوى التمسك بتقليد الآباء فتمسكوا به قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا واستعجلوا ما خوفهم به من الوعيد اللاحق بهم على تقدير اصرارهم على ما هم عليه حيث قال أفلا تتقون فقالوا فأتنا بما تعدنا به فقال عليه الصلاة والسلام قد وقع ما استعجلتم به ثم انكر عليهم مجادلتهم معه في حق عبادتهم اسماء لا مسميات لها فانهم يسمون الاصنام بالآلهة مع ان معنى الالهية معدوم فيها ويسمونها بالعزى مشتقا من العزة ولا عزة لها اصلا وكذا سائر الاسماء التي يسمون بها الاصنام فان جميعها اسماء مخترعة اطلقت على ما لا يستحق ان يسمى بها ﴿قوله واستدل به على ان الاسم هو المسمى﴾ لان القوم انما يجادلون ويدعون حقية عبادة المسميات وهو عليه الصلاة والسلام ايضا يبطل منهم هذه الدعوة فلولا ان عبادة الاسماء متحدة مع عبادة المسميات لما توجه الذم والابطال عليهم بأنها اسماء سميتموها فينبغي ان تكون الاسماء بمعنى الاشياء المسميات وان الاسم عين المسمى واستدل به ايضا على ان اللغات توقيفية غير اصطلاحية لانها لو كانت اصطلاحية لما توجه الذم والابطال عليهم بتسميتهم الاصنام آلهة من غير توقيف من قبل الله تعالى على تلك التسمية وضعفهما ظاهر اذ لا يخفى ان الاسماء هي الدوال والمسميات مدلولاتها وذم القوم على مجادلتهم في الاسماء لا يستلزم الاتحاد المذكور لانه قد اشتهر في العرف انه يقال لمن ليس فيه ما هو مدلول اسمه انه اسم مجرد لا معنى له فرجع الذم لتسميتهم اياها بما لا يليق ان تسمى به فقوله في اسماء سميتموها ليس معناه مسميات اتخذتموها معبودا باختراعكم حتى يقال اطلاق الاسماء على تلك المسميات يدل على اتحادهما ولا انكم اطلقتم هذه الاسماء على تلك المسميات من غير توقيف وتعليم من الله تعالى بل بمجرد اصطلاحكم حتى يستدل به على كون اللغات توقيفية ﴿قوله اي استأصلناهم﴾ لان دابر الشيء آخره فقطع دابر القوم اهلاكهم من اولهم الى آخرهم وهو الاستئصال ﴿قوله تعريض﴾ اشارة الى جواب ما يقال ما فائدة قوله وما كانوا مؤمنين بعد بيان انهم كذبوا بآيات الله يعني ان فائدته التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه الصلاة والسلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليعلم ان الهلاك خص المكذبين منهم ونجى الله المؤمنين ﴿قوله استئناف لبيانها﴾ اي جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا اين آيتك فقال هذه ناقة الله كأنه قال انها كم علينا واشير اليها في كونها آية اي علامة فان قيل تلك الناقة كانت آية لكل احد فلم خص اولئك القوم بكونها آية لهم فالجواب ان نفس الناقة باعتبار خروجها بلا توسط الاسباب المعهودة انما تكون آية ومعجزة موجبة للايمان بنبوته بالنسبة الى من شاهدها واما بالنسبة الى الغير فالآية الموجبة للايمان هو اخبار الصادق بذلك او الخبر المتواتر ونحو ذلك فان الآية الموجبة للايمان بنبوة صالح مثلا بالنسبة الينا هو اخبار الله تعالى واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لا لخروج الناقة من الحجر ﴿قوله تعالى ولا تمسوها بسوء﴾ اي لا تصيبوها بسوء على ان الباء في قوله بسوء للتعدية ويجوز ان تكون للمصاحبة اي لا تمسوها حال مصاحبتكم للسوء ﴿قوله على ان التقدير بيوتا من الجبال﴾ اي على ان يكون انتصاب الجبال بنزع الخافض او على تضمين تنحتون معنى ما يتعدى الى مفعولين اي تتخذون الجبال بيوتا بالنحت اي تصيرونها بيوتا بالنحت وقوله تعالى مفسدين حال مؤكدة لان معناها مفهوم من عاملها فان العيث والعثي اشد الفساد اي لا تبالغوا في الافساد قيل المراد منه النهي عن عقر الناقة والاولى ان يحمل على ظاهره وهو النهي عن كل انواع الفساد ﴿قوله وبدل البعض ان كان للذين﴾ فيكون المستضعفون ضربين مؤمنين وكافرين كأنه قيل قال المستكبرون للمؤمنين من الضعفاء دون الكافرين من الضعفاء ﴿قوله عدلوا به عن الجواب السوي﴾ يعني ان السؤال عن ارسال صالح عليه الصلاة والسلام وانه هل هو مرسل من ربه او لا فالجواب السوي المطابق له ان يقال نعم او انه مرسل لكنهم عدلوا عنه الى الاخبار عن انفسهم بانهم مؤمنون بما ارسل به تنبيها على ان ارساله امر معلوم محقق حيث اوردوه صلة للموصول فكأنهم قالوا لا كلام في ارساله انما

(الكلام)

بموته فذروها (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة)

الزلزلة (فاصبحوا في دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاتبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذا انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فأنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) ظاهره ان توليه عنهم كان

الكلام في الايمان به فنحن مؤمنون به فهذا الجواب من اسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه **قوله** فلذلك اي فلاجل ان قول المؤمنين انا بما ارسل به مؤمنون فيه تنبيه على ان ارساله امر معلوم وانما الكلام في الايمان به عدل الكفرة عن الجواب المطابق له وهو ان يقولوا انا بما ارسل به كافرون الى قولهم انا بالذي آمنتم به كافرون لانهم لو قالوا انا بما ارسل به كافرون لدل على ان ارساله معلوم مسلم عندهم كما دل عليه قول المؤمنين فعدلوا عنه وقالوا انا بالذي آمنتم به كافرون كأنهم قالوا ليس ارساله معلوما مسلما وليس هذا الادعواه وايمانكم به ونحن بما آمنتم به كافرون والحاصل ان المؤمنين جعلوا ارساله امرا محكما مقررا وفرعوا عليه ايمانهم به واما الكفرة فلم يفرعوا على ارساله كما فرع عليه المؤمنون بل فرعوا كفرهم على ايمان المؤمنين **قوله** الزلزلة قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة يقال رجف الشيء يرجف رجفا ورجفانا اذا تحرك او الرجفة الصيحة التي زلزلت بها الارض واضطربوا لها كذا في الكشاف وطعن قوم من الملاحدة في قصة هلاك ثمود قائلين بأن الفاظ القرآن قد اختلفت في حكاية هذه الواقعة حيث قيل في موضع فأخذتهم الرجفة وفي موضع آخر الصيحة وفي موضع آخر بالطاغية وزعموا ان ذلك يوجب التناقض ولا تناقض فيها ولا منافاة بينها لان الرجفة مترتبة على الصيحة لانه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا فجاز ان يسند الاهلاك الى كل واحد منهما واما الطاغية فالباء فيها سببية والطاغية مصدر بمعنى الطغيان كالعافية والتاء للمبالغة كما في نسابة وعلامة بمعنى قوله تعالى فاهلكوا بالطاغية معناه فاهلكوا بسبب طغيانهم **قوله** ناقة مخترجة جوفاء وبراء في الكشاف المخترجة التي شاكلت البخت وفي الاساس ناقة مخترجة اذا خرجت على خلقة الجمل من اخترجه بمعنى استخرجه والجوفاء واسعة الجوف والوبراء الكثيرة الوبر والعشراء الناقة التي اتى عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض والمخاض الحوامل من النوق واحدتها خلفة ويقال للفصيل اذا استكمل الحول ودخل في الثانية ابن مخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا وقوله فتمخضت الصخرة اي تحركت والنتوج الناقة التي ادركت الوقت الذي تنتج فيه والغب ان ترد الابل الماء يوما وتدعه يوما وقوله ثم تتفحج اي تفرج ما بين رجليها بتقديم الحاء على الجيم يقال الفحج الرجل احلوبته اذا فرج ما بين رجليه ليحلبها وكانت تصيف اي تقيم بالصيف من قولهم صاف بالمكان اي اقام به الصيف وشتوت بموضع كذا اي اقمت به في الشتاء **قوله** فرغا اي صوت وضج يقال رغا البعير يرغو رغوا اذا ضج والرغاء صوت ذوات الخف **قوله** اذا انفجت الصخرة اي انفتحت من الفج وهو الطريق الواسع بين الجبلين يقال فججت ما بين رجلي افجه فجا اذا فتحت فلما انفجت الصخرة فدخلها السقب بعد ما رغا ثلاثا قال صالح عليه الصلاة والسلام لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقد عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح تصبحون غداة يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب اول يوم الاحد فكان الامر كما وصف نبيهم عليه الصلاة والسلام فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم مع من اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم تكفنوا وتحنطوا والقوا انفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال الله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين * فان قيل ان من شاهد خروج الناقة من الصخرة وشاهد ايضا ان الماء الذي كان شربا لكل اولئك القوم في احد اليومين كان شربا لتلك الناقة الواحدة وشاهد ايضا ان القوم يملؤون جميع اوانيهم بلبنها فيشربون ويدخرون ما فضل عن حاجتهم وشاهد مع جميع ذلك علامات نزول العذاب الشديد في آخر الامر وكل واحدة منها معجزة قاهرة تلجئ المكلف الى الايمان فهل يحتمل ان يبقى العاقل مع هذه الاحوال مصرا على كفره * فالجواب ان يقال انهم قبل ان شاهدوا نزول العذاب كانوا مصرين على الكفر والتكذيب كما ان من اصر على الكفر بعد مشاهدة المعجزات الباهرة واما بعد ما شاهدوا علامات نزول العذاب فقد خرجوا عند ذلك عن التكاليف فلم تكن توبتهم مقبولة بعد ذلك **قوله** ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين لان الفاء للتعقيب تدل على انه حصل هذا التولي بعد جثومهم * ولما ورد ان يقال قوله لهم يا قوم لقد ابلغتكم الآية خطاب مع اولئك وخطاب الاموات لا يجوز * اجاب عنه بجوابين الاول ان صالحا عليه الصلاة والسلام خاطبهم بعد كونهم

في النجم (ما سبقكم بها من احد من العالمين) ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه أسوأ (ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل انتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي أدت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم) اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه في من معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم اناس يتطهرون) اي من الفواحش (فانجيناه واهله) اي من آمن به (الا امرأته) استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وأمطرنا عليهم مطرا) اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فأرسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين اخاهم شعيبا) اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ماهي وماروى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع (روى)

جاثمين كما خاطب نبينا صلى الله عليه وسلم قتلى بدر فقيل له عليه الصلاة والسلام أتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لايقدرون على الجواب والثاني ان الرجل قد يخاطب صاحبه وهو ميت ويقول له يا اخي قد نصحتك وبذلت جهدي في ارشادك فلم تقبل نصيحتي ولم تمتنع عما كنت فيه حتى ألقيت نفسك في الهلاك وفائدة مثل هذا الكلام تسلية قلبه عما طرأ عليه من التحير والاحتراق ببلية صاحبه فان اثر تلك المصيبة يخف عليه بمثل هذا الكلام ﴿قوله والجملة﴾ وهي قوله ما سبقكم بها من احد استئناف مقرر للانكار اي ليست جوابا لسؤال بل جيئ بها للتوبيخ بعد الانكار فكونها مستأنفة عبارة عن كونها جملة مبتدأة لقصد التوبيخ انكر عليهم اولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها ويجوز ان تكون جوابا لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ﴿قوله وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ﴾ لكونه مؤكدا بان ولام الابتداء بعد كونه مصدرا بهمزة الانكار وقوله شهوة واقع في موقع الحال فانه يدل على التوبيخ سوآء جعل مفعولا له او مصدرا بمعنى مشتهين او تابعين الشهوة ﴿قوله اضراب عن الانكار﴾ يعني انه اضراب بمعنى الانتقال من القصة المذكورة الى قصة اخرى هي اتم من الاولى من غير ان يقصد ابطال الاولى انكر عليهم اولا تجاوزهم عن الحد في هذه الفاحشة ثم اضرب عنه الى الاخبار عما أداهم الى ارتكابها او الى الذم على جميع معايبهم كأنه قيل بل ليس المنكر منكم هذه الفعلة القبيحة فقط بل شأنكم الاسراف والتجاوز عن الحد في جميع الامور فان جميع معايبهم يرجع الى التجاوز عما امروا به وهو المراد بالاسراف ثم جوز ان لا تكون بل للاضراب عن المذكور بل تكون اضرابا عن الشئ المحذوف وهو انهم زعموا ان لهم عذرا في ذلك الانكار فجيبوا بانه لاعذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف والتجاوز عن الحد ذهب الامام الشافعي رحمه الله الى ان اللواطة توجب الحد وقال ابو حنيفة لا توجبه بل يعزر فاعلها واصحاب الامام الشافعي اختلفوا في حد اللائط فقال بعضهم يرجم محصنا كان او غير محصن وكذا المفعول به ان كان مخلا وقال بعضهم ان كان محصنا رجم وان كان غير محصن ادب وحبس واحتج الاولون عليه بان الله تعالى عذب قوم لوط بالرجم والاصل بقاء ما ثبت الى ان يرد الناسخ ولم يرد في شرع محمد صلى الله عليه وسلم ما ينقضه فوجب الحكم ببقائه وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه احرق رجلا حين عمل عمل قوم لوط بالنار وقد احرقهم ابن الزبير في زمانه روي ان سبعة اخذوا في زمان ابن الزبير في لواطة فسأل عنهم فوجد منهم اربعة احصنوا فخرج بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا وحد الثلاثة وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه ﴿قوله وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين﴾ اشارة الى ان مدين اسم قبيلة وهم اولاد مدين بن ابراهيم خليل الله ولو كان اسم بلد كما قيل لوجب ان يقدر المضاف ويقال وارسلنا الى اهل مدين وقوله شعيب بن ميكيل منصوب على انه مفعول ارسلنا ﴿قوله يريد المعجزة التي كانت له﴾ لانه لما امر قومه بعبادة الله تعالى ونهاهم عن عبادة غيره بمقتضى رسالته اليهم فلابد له ان يدعي النبوة ومن المعلوم ان مدعي النبوة لابد له من اظهار المعجزة والا لكان متنبئا فهذه الآية دلت على انه حصلت له معجزة دالة على صدقه واما ان تلك المعجزة من اي الانواع كانت فليس في القرآن دلالة عليه كما لم يحصل في القرآن دلالة على كثير من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم قال صاحب الكشاف ومن معجزات شعيب انه حين دفع الى موسى غنمه دفع اليه عصا فتلك العصا صارت تنينا دافعا عن غنمه بأن ابتلعت التنين الكائن في المرعى ومن معجزاته ايضا ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها والدرع جمع ادرع وهو من الخيل والشياه ما اسود رأسه وابيض سائر جسده والانثى درعاء مثل احمر حمراء حمر ووقوع عصا آدم عليه الصلاة والسلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات فهذه كلها كانت قبل نبوة موسى فكانت معجزات لشعيب لان المعجزة مايكون مسبوقا بدعوى الرسالة وهذا الكلام مبني على اصل مختلف فيه بين اصحابنا وبين المعتزلة وذلك انه يجوز عندنا ان يظهر الله تعالى على يد من سيصير نبيا ورسولا في المستقبل انواع الخوارق ويسمى ذلك ارهاصا وعند المعتزلة لايجوز ذلك فالاحوال التي حكاها صاحب الكشاف من قبيل الارهاصات لنبوة موسى عندنا وعند المعتزلة معجزات لشعيب لما ان الارهاص لايجوز عندهم واعترض المصنف عليه بأن ماروي من الاحوال متأخر من هذه المقالة فكيف يصح من شعيب ان يقول في حقها قد جاءتكم بينة بلفظ الماضي وباحتمال كونها كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته بل هو المتعين لانه قد

... او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيأ الا مكسوه (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله (من آمن به) اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم او عددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل او المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم واعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذ لامعقب لحكمه ولا حيف فيه

روى ان موسى عليه الصلاة والسلام انما ادرك شعيبا بعد هلاك قومه ولان ذلك لم يكن فى معرض التحدى ﴿قوله اى آلة الكيل﴾ وهى المكيال وهو جواب لما يقال كيف قيل اوفوا الكيل والميزان مع ان الكيل مصدر قولك كلت الطعام كيلا والميزان اسم آلة فالظاهر ان يقال فأوفوا المكيال والميزان كما فى سورة هود والفاء فى قوله فأوفوا لترتيب الامر بالايفاء وايجابه على مجئ البينة وثبوت النبوة والشريعة وانتفاء العذر فى عدم اتباعها ﴿قوله وانما قال اشياءهم للتعميم﴾ لم يرض بأن يراد بالاشياء الاعيان المستحقة بعقد المبايعة بقرينة ماسبق حيث امر بايفاء المكيال والميزان ثم اكد ذلك الامر بالنهى عن ضده وهو البخس والتطفيف فى الكيل والوزن فيكون تقدير الكلام ولا تبخسوا الناس اشياءهم فى المبايعات بناء على ان التأسيس خير من التأكيد لاسيما اذا كان الحمل على التأكيد موقوفا على اخراج العام عن عمومه فلذلك اختار ان يكون المعنى لا تبخسوا الناس اشياءهم مطلقا نهاهم اولا عن البخس فى الكيل والوزن ثم نهاهم عن البخس والمكس فى كل شئ كأخذ الرشى والمؤن الديوانية والمراسم السلطانية والغصب والسرقة وقطع الطريق وانتزاع اموال الناس بالحيلة ﴿قوله وقيل كانوا مكاسين﴾ اى عشارين من المكس وهو ما يأخذه العشار او محطين على البائع فى طلب الزيادة من قولهم مكس فى البيع يمكس بالكسر مكسا وماكس مماكسة ﴿قوله بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء الخ﴾ احتاج الى تقدير المضاف وجعل الاضافة بمعنى فى لان اصلاح نفس الارض وافسادها لا يتعلق بها قدرة الانسان واختياره فلا تتعلق مصلحة شرعية بالنهى عن افسادها بل الذى ينبغى ان يتعلق به التكليف هو اصلاح مايقع فيها من الامور الفاسدة واصلاحها وافسادها بكون حدود الشرع واحكامه محفوظة مرعية فيما بينهم ومضيعة غير مرعية فلذلك فسر الافساد بالكفر والحيف والاصلاح باقامة حدود الشرع واحكامه ﴿قوله ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا﴾ اى سواء كانت الزيادة زيادة فى امور الدنيا او زيادة فيما عند الله تعالى من الثواب والدرجات فان الخطاب وان كان مع الكفرة الا ان العمل بما ذكر خير لهم مطلقا ان عملوا به مؤمنين بالله تعالى وباحكامه وهذا على تقدير ان تكون الاشارة بقوله ذلك الى جميع ما ذكر من قوله ياقوم اعبدوا الله الآية فان لفظ ذلك وان وضع للاشارة الى الواحد الا ان المشار اليه ههنا ايضا واحد وهو العمل بما ذكر فيكون ذلك خيرا لهم فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فلأن من اشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والامانة والوفاء يكون محبوبا بينهم ويرغبون فى المعاملة معه فيكثر ماله وقدره واما فى الآخرة فلكونه جامعا بين تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله تعالى وقوله او فى الانسانية الخ على تقدير ان تكون الاشارة الى ما ذكر من اتمام الكيل والميزان وترك البخس والافساد ويكون قوله ان كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لى فى قولى فلا تكون الخيرية حينئذ بمعنى الزيادة مطلقا لان القوم كفرة ولم يفرض ايمانهم ليستحقوا ثواب الآخرة والاحدوثة مايتحدث به وحسن الاحدوثة عبارة عن الذكر الجميل فى الدنيا * فان قلت الخيرية فيما ذكر من الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال تتوقف حينئذ على تصديقهم الناصح فى قوله وهم ليسوا كذلك * اجيب بأن قوله ان كنتم مؤمنين ليس شرطا للخيرية بل لفعلهم ما ذكر من الامور كأنه قيل فأتوا به ان كنتم مصدقين ﴿قوله بكل طريق﴾ الباء فيه للالصاق لان القعود ملصق بالمكان وفعل القعود كما يتعدى بباء الالصاق يتعدى ايضا بكلمة على وبكلمة فى فيقال قعد على مكان كذا وفى مكان كذا لاستعلاء القاعد على ذلك المكان وحلوله فيه وقوله توعدون وتصدون وتبغون احوال اى لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر الموعود به لتذهب النفس كل مذهب ﴿قوله او بكل صراط على الاول﴾ يعنى على تقدير ان يراد بقوله عن سبيل الله الصراط الذى قعدوا عليه من طرق الدين يكون ضمير به راجعا الى قوله بكل صراط اى تصدون عنه من آمن به على اعمال الفعل الثانى وحذف مفعول الاول وهو المختار البصريين ولو اعمل الاول لوجب اضمار مفعول الثانى على المختار حتى قال بعضهم لا يجوز حذفه الا فى ضرورة الشعر ولو اضمر لقيل وتصدونهم لكن لم ينزل القرآن هكذا فعلم ان من آمن ليس مفعول توعدون ﴿قوله تعالى واذكروا﴾ اما ان يكون مفعوله محذوفا فيكون الظرف المذكور بعده معمولا لذلك المفعول اى اذكروا نعمة الله عليكم فى ذلك الوقت واما ان يجعل نفس الظرف مفعولا به والاول هو الاوفق لقول المصنف فى تفسير قوله تعالى فى اوائل سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ان اذ واذا حقهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة اى لا يجوز التصرف فيهما بأن يجعل نصبهما على المفعول به او غيره وما ورد عليه ان اذ وقع بدلا

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) اى لتكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله (قال اولو كنا كارهين) اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او أتعيدوننا في حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث زعم ان الله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا (وما يكون لنا) وما يصح لنا (ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم اطماعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون (وسع ربنا كل شئ علما) اى احاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز الحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وانت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئها (فاصبحوا في دارهم جاثمين) في مدينتهم (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) اى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه

من اخاه في قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه فيكون مفعولا به اجاب عنه بان البدل محذوف والتقدير اذكر الحادث اذ كان كذا فلما حذف الحادث اقيم الظرف مقامه وقوله قبيل هذا او واذكر لوطا واذ بدل منه ذكره نقلا عن القوم غير مختار عنده ﴿قوله وشعيب لم يكن في ملتهم قط﴾ جواب عما يقال كيف خاطبوا شعيبا عليه الصلاة والسلام بالعود في الكفر واجابهم ايضا بالعود في الكفر ولا يصح ذلك الا اذا كان كافرا قبل ذلك الوقت لان العود عبارة عن الرجوع الى ما كان عليه من الحال الاول والانبياء لا يجوز عليهم الصغائر فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر وتقرير الجواب ان العود في الكفر حكم على الذين معه فانهم دخلوا في الايمان بعد كفرهم * وانما عد نفسه من جملتهم تغليبا للجماعة على الواحد وعاد قد تستعمل بمعنى صار فحينئذ ترفع الاسم وتنصب الخبر فلا تكتفي بمرفوع بل تفتقر الى خبر منصوب فلو كان المعنى ههنا او لتصيرن في ملتنا بعد ان لم تكونوا فيها زال الاشكال من غير احتياج الى اعتبار التغليب وقد جعله المصنف بمعنى صار في سورة ابراهيم حيث قال العود في قوله تعالى او لتعودن في ملتنا بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ولم يتعرض له في هذه الآية بناء على انه لا يلائمه قوله بعد اذ نجانا الله منها ﴿قوله وعلى ذلك﴾ اى على اعتبار التغليب فانه عليه الصلاة والسلام يريد بقوله ان عدنا في ملتكم عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا مما كانوا عليه ازلا وابدا اجراء للكلام على حكم التغليب ﴿قوله وهو بمعنى المستقبل﴾ لما جعل الجملة قضية شرطية اكتفى عن جوابها بذكر ما يدل عليه ورد ان يقال كيف يصح ان يجعل قوله قد افترينا على الله كذبا جواب الشرط معلقا عليه مع ان هذا التركيب يقتضي ان يكون مضمونه ماضيا بالنسبة الى زمان وقوع مضمون الشرط والمعلق بالشرط لا يجوز ان يكون وقوعه سابقا على وقوع الشرط * وانما قلنا ان مقتضى التركيب ذلك لان كلمة ان لا تقلب الماضي المصدر بقد ولا المقدم على الشرط فكيف اذا اجتمع الامران فظهر ان الافتراء الماضي لا تعلق له بالعود ولا سبيل الى الحمل على معنى ان عدنا ظهر انا قد افترينا البتة لان المقصود من الآية بيان انهم لا يعودون الى الكفر بأن يقولوا انا ان عدنا افترينا على الله كذبا لكنا لا نفتري على الله كذبا فلا نعود قطعا ولو حمل على معنى ان عدنا ظهر افتراؤنا لكان المانع من العود الى الكفر ظهور الافتراء لا هو نفسه والظاهر ان هذا المعنى غير مستقيم في هذا المقام فأشار الى جوابه بأن قوله قد افترينا بمعنى المستقبل عبر عنه بلفظ الماضي تنزيلا للافتراء المترتب على العود منزلة الواقع للمبالغة في الامتناع عن العود وادخل عليه كلمة قد لتقريبه من الحال واشار الى جواب آخر عنه بقوله وقيل انه جواب قسم محذوف وضعفه لكونه لا يدفع الاشكال المذكور الا بجعل الماضي بمعنى المستقبل تنزيلا له منزلة الواقع وتقريبا الى الحال حتى كأنه قيل والله لقد افترينا الآن ان هممنا الخ لانه لو لم يجعل بمعنى المستقبل لما صح تقييده بالشرط فكان اعتبار القسم ضائعا في دفع الاشكال ﴿قوله وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته﴾ اى بمشيئة الله تعالى كما ذهب اليه اهل السنة وذلك لان معنى الآية ليس لنا ان نعود الى ملتكم الى ان يشاء الله ان يعيدنا الى تلك الملة وتلك الملة كفر فكان هذا تجويزا من شعيب عليه الصلاة والسلام ان يعيدهم الى الكفر قال الواحدي لم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف عليه الصلاة والسلام توفني مسلما * واستدل اهل السنة بهذه الآية على مذهبهم بوجه آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام قال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فدل على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى ولو كان الايمان يحصل بخلق العبد لكان العبد هو المنجي نفسه وهو خلاف قوله بعد اذ نجانا الله منها واجاب المعتزلة عنه بوجوه منها ما ذكره المصنف من انه عليه الصلاة والسلام اراد بذلك حسم طمعهم من العود بتعليقه بالمحال كما قال لا افعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب فعلق شعيب عليه الصلاة والسلام عوده الى ملتهم بما علم انه لا يكون اصلا ﴿قوله والتنبيه على هذا﴾ اى على مناط خسران الدارين وهو تكذيب الانبياء لا تصديقهم واتباعهم كرر الموصول فان كون المبتدأ موصولا يشعر بعلية الصلة للحكم المذكور بعدها فيتحقق الحكم عند تحققها وقوله واستأنف بالجملتين اى ابتدأ بهما فان كل واحدة من الجملتين كلام مبتدأ تمام حكايتهم عند قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فان الملأ لما قالوا لاشياعهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون رد الله عليهم بقوله فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وفرع كلامه بأخذهم بطريق الاستئصال على قولهم المؤدي الى

(الهلاك)

الهلاك على الوجه المذكور لم يبق شئ مما يتعلق ببيان حالهم فلا جرم كان قوله الذين كذبوا شعيبا كلاما مبتدأ مستأنفا جيء به للمبالغة فى الرد عليهم بتخصيص العذاب والخسران بالمكذبين وان المصدقين بمعزل عنه ﴿ قوله فلما تأسفا ﴾ اى لا على طريق المكالمة مع الاموات حقيقة فان الظاهر انه تولى عنهم بعد مانزل العذاب بهم اذ لا فائدة فى خطابهم والاسى شدة الحزن من اسى يأسى بكسر العين فى الماضى وفتحها فى الغابر كرضى يرضى وآسى بناء المتكلم وحده على وزن افعل وفسر الآية بوجهين الاول انه اشتد حزنه على هلاك قومه ثم انه عزى نفسه بانهم هم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر فقال منكرا على نفسه مالى احزن على هلاك قوم استحقوا الهلاك والثانى انه لم يحزن على هلاكهم وانما قال ماقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم فان الاستفهام للانكار اى لا آسى عليهم ﴿ قوله تعالى وماارسلنا فى قرية من نبى ﴾ لما بين الله تعالى جواب احوال هؤلاء الانبياء واحوال ماجرى على اممهم كان من الجائز ان يظن انه تعالى ماانزل عذاب الاستئصال الا فى زمن هؤلاء الانبياء فقط فبين فى هذه الآية ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وبين العلة التى بها فعل ذلك والمراد بالقرية مجتمع القوم قرية كانت او مدينة ﴿ قوله ومنه اعفاء اللحى ﴾ اى توفيرها وتكثير شعرها واللحى بالضم والكسر جمع لحية وقوله من نبى فيه حذف واضمار فان من نبى موصوف حذف صفته اى من نبى كذب او كذبه اهلها روى عن الزجاج ان البأساء كل ماناله من شدة فى اموالهم والضراء ماناله من الامراض وقيل على العكس فالمعنى انهم متى نالهم شدة قالوا ليس هذا بسبب مانحن عليه من الدين والعمل ولم يكن ما نالنا من البأساء والضراء عقوبة من الله تعالى بل هو من عادات الزمان بأهله مرة يحصل لهم الشدة والضراء ومرة يحصل لهم الرخاء والراحة فكونوا على ماانتم عليه كما كان آباؤكم لم يرجعوا عن دينهم بما مسهم من الضراء فبين الله تعالى انه ازال عذرهم وازاح علتهم فلم ينقادوا ولم ينتفعوا بذلك فأخذهم الله بغتة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ليكون ذلك اعظم فى الحسرة والحكمة فى حكاية هذا المعنى ان يحصل الاعتبار لمن سمع هذه القصة وعرفها ﴿ قوله أفأمن اهل القرى عطف على قوله فأخذناهم بغتة ﴾ جعل الفاء الواقعة بعد همزة الاستفهام عاطفة لدخولها على ماذكر قبلها ولم يلزم بطلان صدارة الهمزة اذ لم يتقدمها شئ من الكلام الذى دخلت هى عليه وتعلق معناها بمضمونه غاية الامر انها توسطت بين الكلامين المتعاطفين لافادة انكار وقوع الثانى عقيب الاول وعادة صاحب الكشاف فى مثلها ان يقدر المعطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف وههنا لم يقدر بينهما شيأ لظهار كل واحد منها بحسب اقتضاء المقام وسياق الكلام والمقصود بقوله تعالى أفأمن اهل القرى انكار ان يقع بعد اخذ قوم شعيب امن اهل القرى ان يجيئهم البأس بياتا او يجيئهم البأس ضحى من غير اعتبار ترتيب بينهما فبالضرورة كان عطف الجملة الاولى بالفاء والثانية بالواو ودخلت الهمزة لافادة انكار ان يقع بعد ذلك الاخذ هذان الأمنان ﴿ قوله والمعنى أبعد ذلك امن اهل القرى ﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله افأمن للتعقيب مع التسبيب اذ بعد مشاهدة مافعل بأهل تلك القرى يستبعد الامن من العاقل ولما لم يكن بين هذا الامن والامن المعطوف عليه بالواو معنى التعقيب كان ذلك موضع الواو ليدل على كون مجموعهما عقيب الاول واهل القرى فى قوله افأمن اهل القرى هم اهل مكة وماحولها وفى الجملة هم من بعث اليهم نبينا صلى الله عليه وسلم واما وجه وقوع الاعتراض فبين لانه يؤكد ماذكره من ان الاخذ بغتة مرتب على اضداد الايمان والتقوى ولو عكس لانعكس الامر ومنه يظهر ان جعل اللام للجنس هنالك اولى ليؤكد اعتراض المعطوف والمعطوف عليه وتشملهما على السواء ﴿ قوله تبيتا ﴾ على ان يكون بياتا بمعنى تبييتا وينتصب على انه مفعول مطلق لقوله يأتيهم لان التبييت نوع من الاتيان يقال بيت العدو اذا أوقع بهم ليلا والاسم منه البيات ﴿ قوله او وقت بيات ﴾ على ان يكون بمعنى البيتوتة ومنصوبا على الظرفية بتقدير المضاف ﴿ قوله او مبيتا او مبيتين ﴾ على ان يكون بمعنى التبييت ومنصوبا على انه حال من الفاعل او من المفعول فان البأس مبيت وهم مبيتون ﴿ قوله او المستتر فى بياتا ﴾ على ان يكون بياتا حالا بمعنى مبيتين فانه حينئذ يتحمل ضمير اهل القرى فيكون الحال لان معنا حالين كقوله ضحى فانه منصوب على الظرف الزمانى فالانسب فى بياتا ان ينتصب على الظرفية ليطابق قرينه ﴿ قوله او يلهون ﴾ بصرف الهم عما لا ينفع لا فى امر الدين ولا فى امر الدنيا ﴿ قوله او يشتغلون ﴾ اى بامور الدنيا فان من اشتغل بدنياه واعرض عن آخرته فهو كاللاعب ﴿ قوله تقرير لقوله أفأمن ﴾ جواب عما يقال لم رجع الى العطف بالفاء وكان الانسب ان

(فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم) قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ اسى بامالتين (وماارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) كى يتضرعوا ويتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ماكانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) حتى كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل مامسنا (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب (ولو ان اهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله وماارسلنا فى قرية من نبى وقيل مكة وماحولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصى (أفأمن اهل القرى) عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك امن اهل القرى (ان يأتيهم بأسنا بياتا) تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا (أوامن اهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد (ان يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم (أفأمنوا مكر الله) تقرير لقوله أفأمن اهل القرى

يستمر على طريقة العطف بالواو ليكون في حيزا وأمن فيستفاد انكار وقوعه بعد اخذهم فأي حاجة الى استئناف الفاء وقصد ترتيب هذا الامن على حدة وتقرير الجواب ان هذا الامن ليس أمنا آخر بل هو تقرير لمجموع قوله افأمن جمعا بعد التفريق قصدا الى زيادة التحذير والانذار فيكون ضمير أفأمنوا للموجودين في عصر النبوة المشار اليهم بقوله افأمن اهل القرى لا لجميع اهل القرى الهالكة المشار اليهم بقوله ولو ان اهل القرى والباقية المبعوث اليهم نبيا صلى الله عليه وسلم لان المقصود تهديد الموجودين ﴿قوله ومكر الله استعارة﴾ فان اصل المكر اظهار المحبوب واخفاء المكروه شبه الله استدراج العبيد بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والبغي بالمكر فان ذلك اضرار لهم من حيث لا يشعرون وان شئت قلت المكر اضرار احد من غير ان يشعر به والفاء في قوله فلا يأمن مكر الله متعلق بمحذوف فكأنه قيل فإذا أمنوا خسروا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وانما عدي باللام مع ان فعل الهداية يتعدى الى مفعوله الاول بنفسه لانه ضمن معنى التبيين والمتبادر من كلامه ان التضمين معتبر في كل واحدة من القراءتين فيكون مفعوله على قراءة الياء محذوفا اي اولم يبين لهم هذا الشأن الطريق المستقيم قال النحرير التفتازاني الظاهر ان اعتبار التضمين انما هو على قراءة النون حيث ذكر المفعول الثاني وهو ان لو نشاء واما على قراءة الياء فهو من قبيل تنزيل المتعدي منزلة اللازم بمعنى اولم يفعل الهداية لهم ولا حاجة الى تقدير المفعول الثاني* نقل عن استاذ عصره وفريد دهره المولى المعروف بخضر بك جلبي رحمه الله ان التنزيل منزلة اللازم يمكن ان يكون بالنسبة الى احد المفعولين مع ذكر المفعول الآخر كما يمكن بالنسبة الى المفعول الصريح صرح به السيد في اقرأ باسم ربك فالقراءتان متساويتان في اعتبار التضمين والتنزيل ويمكن الفرق بين القراءتين بأن قصد التعلق الى المفعول الثاني دليل ظاهر على القصد الى المفعول الاول لاسيما عند ذكر ما يصلح مفعولا اولا اعني للذين يرثون بخلاف قراءة الياء اذ لا قصد الى التعلق بشيء اصلا فيها ﴿قوله ان الشأن﴾ اشارة الى أن ان في قوله أن لو نشاء مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿قوله عطف على ما دل عليه اولم يهد﴾ فان الاستفهام بمعنى الاثبات جيء به انكارا لتماديهم في الغفلة وتقاعدهم من النظر والاعتبار كأنه قيل قد بين لهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم وينبغي للعاقل ان يحترز عن اقتراف الذنوب لكنهم يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم ﴿قوله لانه في سياقه جواب لو﴾ علة لكونه بمعنى طبعنا فان كلمة لو للماضي وان دخلت على المستقبل وقوله لافضائه علة لقوله ولا يجوز فان قوله ونطبع لو كان معطوفا على جواب لو لفهم انتفاء الطبع عنهم فان كلمة لو تفيد انتفاء جانبيها واللازم باطل لقوله تعالى فهم لا يسمعون اي يصرون على عدم القبول ولقوله تعالى كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه ظاهر الدلالة على ان الوارثين والموروثين كلاهما من اهل الطبع ﴿قوله يعني قرى الامم المار ذكرهم﴾ وهم امة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قص الله بعض انبائهم تنبيها لهذه الامة على وجوب الاحتراز عن مثل حالهم فانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم فتوهموا انهم على الحق فطغوا وبطروا وعصوا رسلهم ﴿قوله حال ان جعل القرى خبرا﴾ اي ان جعل تلك مبتدأ مشارا به الى ما بعدها والقرى خبرها يكون نقص عليك في موضع النصب على الحالية اي قاصين كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية وهو مورد ان يقال الكلام الخبري انما يساق ليفيد المخاطب وما الفائدة في ان يشار الى جنس القرى او الى الافراد المعهودة منها ويحكم عليها بانها القرى وهل هو الا مثل قولك هذا زيد لمن يعلم انه زيد مشارا اليه جوابه انه وانما يكون افادته بالتقييد بها بمعنى ان المعلوم عند المخاطب هو كون المشار اليه محكوما عليه بكونه قرى مطلقا اي من غير ملاحظة تقييده بانه تعالى قص بعض انبائها وبتقييده بذلك حصلت الفائدة كما حصلت بالتقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم الا ان افادة قولك تلك القرى اذا كان منوطا بتقييده بالحال لزم ان لا يكون مفيدا اذا جعل قوله نقص خبرا بعد خبر لانعدام التقييد الذي يجعل مناط الفائدة ويمكن ان يقال انتفاء المناط المخصوص لا يوجب خلو الكلام عن الفائدة لجواز حصول الفائدة بأمر آخر كتعريف الخبر بلام العهد فانك اذا اشرت الى قرى وحكمت عليها بانها القرى واردت القرى الكاملة في شأنها حصلت الفائدة لا محالة كما في قوله تعالى ذلك الكتاب وانما يخلو الكلام عن الفائدة ويحتاج الى اعتبار تقييده بالحال اذا كان تعريف القرى للجنس اي مع قطع النظر عن كونها قرى كاملة في شأنها ﴿قوله والدلالة﴾ تفسير لتأكيد النفي فان نفي الفعل مع لام الجحود ابلغ من نفيه بدونها كما عند البصريين فلان تقدير الكلام عندهم فما كانوا مريدين للايمان ونفي ارادة الفعل ابلغ من نفي نفس الفعل فان

(البصريين)

ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب ﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار ﴿اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها﴾ اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي باللام لانه بمعنى يبين ﴿ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم﴾ ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿تلك القرى﴾ يعني قرى الامم المار ذكرهم ﴿نقص عليك من انبائها﴾ حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم بها ﴿بما كذبوا من قبل﴾ بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب اي فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر

البصريين يجعلون خبر كان محذوفا ويجعلون هذه اللام متعلقة بذلك الخبر المحذوف ويجعلون الفعل بعدها منصوبا باضمار ان واما عند الكوفيين فان اللام للتأكيد واللام مع التأكيد ابلغ منه بلا تأكيد والكاف في قوله تعالى كذلك منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع الذى طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية يطبع على قلوب الكفرة الذين كتب عليهم ان لا يؤمنوا ابدا ﴿قوله والآية اعتراض﴾ اى قوله فما وجدنا الى قوله لفاسقين اعتراض ان كان الضمير فى قوله اكثرهم للناس وان كان الضمير للامم المذكورين فلا يكون اعتراضا بل يكون من تتمة الكلام السابق وهذا تصريح بأن الاعتراض لا يجب ان يتوسط بين الكلامين بل قد يقع فى آخر الكلام ﴿قوله وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول﴾ بكلمة على التى هى حرف جر داخلة على ياء المتكلم وهى قرآءة نافع واما قرآءة العامة فهى حقيق على ان لا اقول بكلمة على التى هى حرف جر داخلة على ان وما فى حيزها جعل المصنف قرآءة العامة كقرآءة نافع فى المعنى بناء على ان الاصل قول الحق حقيق علىّ اى واجب لان الحقيق بمعنى الجدير لا يتعدى بعلى بل يتعدى بالباء فقلب اللفظ فصار انا حقيق على قول الحق واحتيج الى توجيه هذه العبارة بأن مدلولها ان موسى حقيق وواجب على قول الحق ولا معنى له لان الفعل او الترك يجب على الرجل ولا يجب الرجل على الفعل او الترك فلذلك حملها على القلب قيل حمل الكلام على القلب وان جاز الا انه انما يصح اذا تضمن نكتة ولا نكتة هنا حتى قيل ان اصحابنا يخصون القلب باقتضاء الضرورة حمل الكلام عليه فينبغى ان ينزه القرآن عنه وللناس فيه ثلاثة مذاهب الجواز مطلقا والمنع مطلقا والتفصيل بين ان يفيد معنى بديعا فيجوز او لا فيمتنع وذهب المصنف الى انه فصيح عند اتضاح المراد والامن من الالتباس كما فى البيت واوّل البيت

﴿ ويلحق خيل لا هوادة بيننا ﴾ ﴿ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ﴾

والمراد بالخيل هنا الرجال والهوادة الصلح والضيطار الرجل الضخم الذى لا غناء يقع عنده وقياس جمعه الضياطير الا انه عوض الهاء من المدة كبياطرة فى بيطار والحمر عندهم من صفة العجم وهى صفة ذم والمعنى وتشقى الضياطرة بالرماح فقلب لوضوح المراد ﴿قوله او لان ما لزمك فقد لزمته﴾ يعنى انه قال انى حقيق وواجب على قول الحق بناء على انه جعل وجوبه على قول الحق مجازا عن لزومه له بعلاقة اللزوم فان الواجب ومن يجب عليه بينهما ملازمة فعبر عن لزومه للواجب بوجوبه على الواجب وفيه مبالغة حسنة ﴿قوله او للاغراق﴾ اى المبالغة فى وصف نفسه بالصدق حيث بنى كلامه على الاستعارة المكنية المبنية على التخييل شبه فى نفسه القول الحق بالعاقل الذى يسعى ويجتهد فى ان يكون قائله شخصا معينا وجعل اثبات لازم المشبه به له دليلا على ذلك التشبيه المضمر فانه اثبت للقول الحق ان يجب عليه ان لا يرضى الا بمثل هذا ناطقا به وفى قوله ان اكون انا قائله اشعار بأن الحقيق وان اسند الى موسى عليه الصلاة والسلام فالمعنى على اسناده الى وصفه اعنى صدقه قول القائل به ﴿قوله التى هى وطن آبائهم﴾ وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما صار ملك مصر مشى اليه اقاربه من الارض المقدسة ثم انه عليه الصلاة والسلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلبهم فرعون وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب فلما جاء موسى عليه الصلاة والسلام اراد ان يرجع بهم الى مقامهم الاصلى الذى هو الارض المقدسة وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف عليه الصلاة والسلام مصر واليوم الذى دخل فيه موسى اربعمائة عام ﴿قوله فأحضرها عندى﴾ يعنى ان الاتيان والمجئ وان كانا بمعنى الا ان بينهما فرقا باعتبار المبدأ والمنتهى والحاصل ان ظاهر الكلام طلب حصول الشئ على تقدير الحصول ولا معنى له فأجاب ببيان مغايرة المطالبة للحصول وهذا مراد من قال السؤال على اتحاد الشرط والجزاء فان مبدأ المجئ هو جناب المرسل ومنتهى الاتيان هو المرسل اليه ﴿قوله اشعر﴾ يقال رجل اشعر اى كثير شعر الجسد وفغرفاه اى فتحه وأحدث اى استطلق بطنه فى ثيابه حتى عرّ به جلساؤه ولم يكن احدث قبل ذلك ذكر فى الوسيط انه قام به بطنه فى ذلك اليوم ولم يستمسك بطنه بعد ذلك حتى هلك ووصف العصا ههنا بكونها ثعبانا وهو العظيم الهائل الخلق وفى موضع آخر بقوله كأنها جان والجان من الحيات الخفيف الضئيل الخلق فكيف الجمع بين هاتين الصفتين ٭ اجاب صاحب الكشاف عنه فى غير هذا الموضع بجوابين احدهما انه جمع لها بين الصفتين بين كبر الجثة كالثعبان وبين خفة الحركة وسرعة المشى كالجان والثانى انها فى ابتداء امرها تكون كالجان ثم تتعاظم ويتزايد جسمها الى ان تصير ثعبانا ولما كان انقلاب جسم العصا ثعبانا امرا ممكنا فى ذاته وثبت انه تعالى قادر على جميع الممكنات لزم القطع

بارك الا بك ولنصب نجح او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) اى علمناهم من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملائه فظلموا بها) بأن كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) اليك وقوله (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الالتباس كقوله ٭ وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ٭ او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قرآءة ابىّ بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرآئيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من ارسلك (فأت بها) فأحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرآئيل فأخذه فعاد عصا

(ونزع يده) من جيبه او من تحت ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون) ماذا تشيرون فى ان نفعل (قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم)

كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى أخر أمره واصله أرجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير وأرجهى من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسماعيل والكسائى واما قراءته فى رواية قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة منها واما قراءة حمزة وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم (قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين) استئناف به كأنه جواب سائل قال ماذا قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار والايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم (قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم (قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال (قال ألقوا) اكراما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) بأن خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه روى انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (واوحينا الى موسى ان ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف ما يأفكون) ما يزورونه من الافك

(تلقف) (تلقف)

وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعراء (فوقع الحق) فثبت لظهور امره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة

بكونه تعالى قادرا على قلب العصا ثعبانا نقل صاحب التيسير عن وهب ان موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام لما دخلا دار فرعون ووقفا بين يديه لقن الله تعالى موسى دعوة دعاها فقال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين اللهم انى ادرأ بك فى نحره واعوذ بك من شره واستعينك عليه فاكفنيه بما شئت فحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وحول ما فى قلب فرعون من الامن خوفا فلن دعا بها خائف الا آمنه الله ونفس كربته وخفف عنه كرب الموت ﴿قوله تعالى للناظرين﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة لبيضاء وقول صاحب الكشاف انه متعلق ببيضاء اراد به التعلق المعنوى لا تفسير الاعراب اى انه من ثمة ﴿قوله قيل قاله هو واشراف قومه الخ﴾ اى قيل فى التوفيق بين هذه الآية وبين قوله فى سورة الشعراء قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم حيث اسند القول فى هذه السورة الى الملأ وفى سورة الشعراء اسنده الى فرعون ووجه التوفيق ان هذا القول لما صدر عنه وعن قومه على سبيل التشاور فى امره صح اسناده الى كل واحد من الفريقين فلذلك اسند فى هذه السورة الى قومه وفى تلك السورة الى نفسه وقوله فماذا تأمرون يحتمل ان يكون من كلام الملأ خاطبوا بذلك فرعون وحده تعظيما له كما تخاطب الملوك بصيغة الجمع وان يكون من كلام فرعون على اضمار قول اى فقال لهم فرعون فماذا تأمرون ويكون كلام الملأ قد تم عند قوله يريد أن يخرجكم من ارضكم قال ابن عباس ما الذى تشيرون به على كذا فى الوسيط ويؤيد كونه من كلام فرعون قوله تعالى قالوا أرجه ولما كان السحر غالبا فى ذلك الزمان ولا شك ان اهل كل صنعة على طبقات مختلفة بحسب الحذاقة والمهارة زعم القوم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان فى النهاية من علم السحر وانه جعل ذلك وسيلة الى طلب الملك والرياسة فلذلك قالوا يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ﴿قوله واصله أرجئه﴾ اى بهمزة ساكنة وهاء مضمومة وفى هذه الكلمة ست قراءات فى المشهور المتواتر ثلاث مع الهمزة وثلاث بدونها اما الثلاث التى مع الهمزة فأولاها قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر أرجئهو بهمزة ساكنة وهاء متصلة بواو وباشباع ضمة الواو وثانيتها قراءة ابى عمرو أرجئه كما تقدم الا انه لم يصلها بواو وثالثتها قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر أرجئه بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير ان يصلها بياء اى من غير اشباع كسرة الهاء واما الثلاث التى بلا همزة فأولاها قراءة حمزة وحفص أرجه بكسر الجيم وسكون الهاء وصلا ووقفا وثانيتها قراءة الكسائى وورش عن نافع أرجهى بهاء متصلة بياء حذفت لام الفعل وهى الياء علامة الجزم واتصل الفعل بالضمير المنصوب وثالثتها قراءة قالون عن نافع أرجه بهاء مكسورة دون ياء وهذا الفعل يستعمل مهموزا وغير مهموز وكل واحدة منهما لغة مشهورة يقال ارجأت الامر اى أخرته وقرئ وآخرون مرجؤن لامر الله اى مؤخرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ومنه سميت المرجئة مثل المرجعة ورجل مرجئ مثل مرجع هذا اذا همزت فان لم تهمز قلت مرج مثل معط ويقال ارجيت واخطيت وتوضيت بلا همز وقرئ قوله تعالى ترجى من تشاء بالهمز وعدمه ﴿قوله على قراءة ابن كثير﴾ فان الاصل فى هاء الضمير عنده اذا كانت ضمير الواحد المذكر وكانت مضمومة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بواو واذا كانت مكسورة وسكن ما قبلها ان تكون موصولة بياء سواء كان ذلك الساكن حرف علة او حرف صحة فالمضمومة نحو عقلوهو وشروهو واجتباهو وهداهو ومنهو وعنهو ونحو ذلك والمكسورة نحو لأبيهى وأخيهى وابويهى وفيهى ونحو ذلك ﴿قوله فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه﴾ على سكون الهاء فى ارجه بطريقين تقرير الاول ان اسكان هذه الضمير عند من قرأها ساكنة انما يكون اذا تحرك ما قبلها بحيث لم يتخلل بينهما حرف ساكن نحو ضربه بسكون الهاء وههنا قد تخلل بينهما ساكن نظرا الى الاصل الا انه شبهت الهاء المنفصلة عن الحركة بالمتصلة بها نظرا الى صورة الكلمة بعد حذف لام الفعل * وتقرير الثانية ان اصل الكلمة ارجى بياء ساكنة فحذفت الياء علامة للجزم ثم اقيم هاء الضمير مقامها فلما حلت محل الياء الساكنة اسكنت وكذا فى يؤده ونوله ونصله ونؤته منها فان حمزة وعاصما فى رواية ابى بكر قرأ هذه الضمير فيها ساكنة لقيامها مقام اللام الساكنة المحذوفة وعبر المصنف عن هذا المعنى بقوله وجعل جه كابل يعنى ان جه وان كان على صورته الا ان اصل الكلمة ارجئه حذفت لام الكلمة واقيمت الهاء مقامها فكسيت كسوتها التى هى السكون ﴿قوله الى ما هو ابلغ﴾ فان نكون نحن الملقين ابلغ من ان تلقى لاشتمال الاول على زيادة الربط بين المسند والمسند اليه ﴿قوله ارسل الشرط﴾ وهم اعوان الامير ﴿قوله فاذا هى تلقف﴾ قرأ العامة تلقف بتشديد القاف من

تلقف تلقف والاصل تتلقف بتاءين فحذفت احداهما وقرأ حفص تلقف بتخفيف القاف من لقف يلقف على وزن علم يعلم يقال ثقفت الشيء القفه لقفا ولقفانا وتلقفته اتلقفه تلقفا اذا اخذته بسرعة فأكلته وابتلعته وفى التيسير انها ابتلعت جميع ما صنعوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا رأسه فى السماء وأحد شقيه فى الارض ثم ابتلع ما كان من سحرهم حتى ما ترك فى الوادى من سحرهم شيأ وانكشف الناس وولوا هاربين والثعبان على اثرهم فمات بعضهم على بعض بقدر سبعين ألفا وقيل ان فرعون كان فى خيمة اذ أقبل الثعبان فى اثر الحيات حتى اقتحم الى فرعون فى خيمته فقام فرعون عن سريره ونزل بالارض وكان اعرج ولم يعرف ذلك الا يومئذ فانه مشى سبع خطوات فعرفوا بذلك انه اعرج ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما يصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت علموا ان ذلك من امر الله تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ذليلين مقهورين اى غلب فرعون وملاؤه واتباعه لا السحرة فانهم انقلبوا اعزاء بعزة الايمان قيل ما ألقوه اى السحرة كان عصيا جوفا فيها الزيبق فلما اصابها حر الشمس تحركت وخيل الى موسى انها تسعى اليه فأوجس فى نفسه خيفة منها وذلك خوف طبيعى فلا ينافى كونه على ثقة ويقين بأن القوم لن يغلبوه وان الله تعالى سيبطل ما صنعوا ويحتمل ان يكون خوفه من وقوع التأخير فى ظهور حجته على سحرهم ﴿ قوله جعلهم ملقين ﴾ كأنه جواب عما يقال قوله تعالى وألقى السحرة يدل على ان غيرهم ألقاهم ساجدين وهو رب العالمين وافعال العباد وان كانت حاصلة بخلق الله تعالى وايجاده الا ان الغالب الشائع فيها اسنادها الى من قامت هى به لا الى من اوجدها فكان الظاهر ان يقال وخروا ساجدين فلم جعلوا ملقين * وتقرير الجواب انهم وان سجدوا باختيارهم الا انهم جعلوا ملقين للتنبيه على قوة الدليل الموجب للعرفان والايمان بحيث الجأهم ذلك الدليل الى التذلل والسجود او للتنبيه على ان حكمة الله تعالى الجأتهم اليه بأن خلق فى قلوبهم داعية قوية لم يتمالكوا معها الا على السجود ليقلب ما دبره فرعون لابطال امر موسى عليه الصلاة والصلام على نفسه حتى يكون صاغرا ذليلا بتدبيره او انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حالهم فى شدة الخرور وسرعته حين مشاهدة المعجزة القاهرة بحال من ألقى ﴿ قوله لئلا يتوهم انهم ارادوا به ﴾ اى برب العالمين فرعون لانه يزعم ويقول انا ربكم الاعلى ولا يندفع التوهم الا بعطف هرون على موسى لان فرعون كان قد ربى موسى صغيرا فلما قالوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون وآمنوا بالله تعالى ﴿ قوله بتحقيق الهمزتين ﴾ اى من غير ادخال ألف بينهما وبعد الهمزتين ألف مبدلة من الهمزة التى هى فاء الكلمة ابدلت ألفا لسكونها بعد همزة مفتوحة فان اصل هذه الكلمة أأأمنتم بثلاث همزات الاولى للاستفهام والثانية همزة افعل والثالثة فاء الكلمة فالهمزة الثالثة يجب قلبها ألفا والاولى محققة بلا خلاف ولا خلاف الا فى الثانية وقرأ حفص آمنتم بهمزة واحدة بعدها الالف المبدلة من فاء الكلمة وهذه القراءة تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ وتحتمل الاستفهام الانكارى ولكنه حذف اداة الاستفهام لدلالة السياق عليها وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير فى رواية البزى عنه آمنتم بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية بين بين والالف المبدلة من الفاء ولما رأى فرعون ان اعلم الناس بالسحر اقر بنبوة موسى عليه الصلاة والصلام عند اجتماع الناس فى الجمع العظيم خاف ان يصير ذلك حجة قوية على صحة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام فقال هذا الكلام تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان ﴿ قوله أفض علينا صبرا يغمرنا ﴾ معنى الافراغ فى اللغة الصب يقال درهم مفرغ اذا كان مصبوبا فى قالب غير مضروب واصله من افراغ الاناء وهو صب ما فيه بالكلية اى الى ان يفرغ الاناء فانه من الفراغ ويقال فاض الماء يفيض فيضا وفيوضة اى كثر حتى سال على ضفة الوادى والضفة بالكسر جانب النهر وضفتاه جانباه وغمره الماء اى علاه وتفسير الافراغ بالافاضة مبنى على السعة والكثرة وتوصيف الصبر بكونه غامرا مستفاد من مفهوم الافراغ ومن تنكير صبرا فكأنهم طلبوا من الله تعالى كل الصبر وتمامه وقوله كما يفرغ اشارة الى ان قولهم افرغ استعارة تبعية وصبرا قرينة شبه انزال الصبر واكثاره عليهم بافراغ الماء فى الفيضان والغمر لان افراغ الماء هو صبه بالكلية من الاناء فيكون غامرا لما يصب عليه ثم قيل افرغ بدل انزل واكثر على الاستعارة التبعية وعلى الوجه الثانى يكون الصبر استعارة اصلية مكنية وافرغ تخييلية شبه الصبر بالماء فى انه مطهر من الاوزار كما ان الماء مطهر من الاحداث وجعل ايقاع الافراغ عليه قرينة الاستعارة بالكناية لان الافراغ

(فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (وألقى السحرة ساجدين) لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار (قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل ان تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها اهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لأصلبنكم اجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لا محالة فلا نبالى بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام

وقيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (ويذرك) عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) ومعبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ آلهتك اى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس (قالوا) اى بنو اسرائيل (اوذينا من قبل ان تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون بأعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب وبلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (ألا انما طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم (بالشؤم)

انما يستعمل في الله ﴿قوله قيل انه فعل بهم ما اوعدهم﴾ لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال فعل ذلك بهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وايضا قوله تعالى حكاية عنهم ربنا افرغ علينا صبرا يدل على انه كان قد نزل بهم بلاء شديد حتى طلبوا من الله تعالى ان يصبرهم عليه وايضا هو مبالغة في تحذير القوم من قبول دين موسى عليه الصلاة والسلام وان كانت الآية ساكتة عن انه فعل بهم ذلك او لم يفعل ومما يدل على انه لم يفعل بهم ذلك انهم سألوا الله تعالى ان يتولى توفيهم من غير ان يسلط عليهم اعداءهم حيث دعوا بقولهم وتوفنا مسلمين والظاهر انه تعالى استجاب لهم دعاءهم هذا ثم ان فرعون كان كلما رأى موسى عليه السلام بعد هذه الواقعة خافه اشد الخوف فلذلك لم يتعرض له وما اخذه وما حبسه بل خلى سبيله ولم يرض القوم بذلك حتى حملوه على اخذ موسى وحبسه حيث قالوا أتذر موسى وقومه ليفسدوا على الناس دينهم الذي كانوا عليه واذا افسدوا عليهم دينهم توسلوا بذلك الى اخذ الملك والاستيلاء على مملكتك قرأ الجمهور ويذرك بياء الغيبة ونصب الفعل اما بالعطف على قوله ليفسدوا فان فرعون اذا تركهم على ما هم عليه ولم يمنعهم منه كان ذلك مؤديا الى تركه وترك آلهته فيصير كأن فرعون تركهم لذلك ويحتمل ان يكون الفعل منصوبا على جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء كقول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء *

والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين وبين تركهم اياك وعبادة آلهتك اى لا يمكن وقوع ذلك على ان الاستفهام للانكار ولا يلزم ان يكون للانكار فان المضارع ينتصب بأن مقدرة بعد الواو الدالة على المعية بشرط ان يكون قبلها احد الاشياء الستة ومنها الاستفهام كما اذا قلت هل تعطيني واكرمك فان المسؤول عنه اجتماع الامرين اعني الاعطاء والاكرام ﴿قوله كأنه قيل يفسدوا ويذرك﴾ يريد انه من قبيل العطف على التوهم كأنه توهم جزم يفسدوا في جواب الاستفهام فعطف عليه بالجزم بناء على ان جواب الاستفهام كثيرا ما يكون مجزوما بأن مقدرة نحو ائتني بيتك ازرك فلو لم يذكر اللام في ليفسدوا لجاز ان يكون مجزوما في جواب الاستفهام ويكون ويذرك ايضا مجزوما بالعطف عليه فهذا الجائز قد توهم واقعا فجزم المعطوف لذلك كما في قوله تعالى فأصدق وأكن بجزم أكن فان أصدق منصوب بأن مضمرة في جواب التحضيض الجاري مجرى العرض والتمني الا انه نزل منزلة المجزوم في جواب التحضيض مع ترك الفاء فعطف عليه أكن بالجزم كأنه قيل لولا اخرتني الى اجل قريب أصدق وأكن ﴿قوله اى عبادتك﴾ على ان الالهة مصدر بمعنى العبادة ﴿قوله وقد روى الى آخره﴾ حقق الله تعالى ما وعد لهم من اهلاك عدوهم حيث اغرق فرعون وقومه الا انه انما استخلفهم في ديارهم واموالهم في زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وفتحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون ﴿قوله فيرى ما تعملون﴾ النظر قد يراد به الفكر الذي يفيد العلم وهو محال على الله تعالى وقد يراد به تقليب الحدقة نحو المرئي لكي يراه وهو ايضا محال في حقه تعالى فلذلك حمل النظر ههنا على الرؤية اى فيرى ما تعملونه ويوجد منكم لان الله تعالى لا يجازي العبد على ما يعلمه فيهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم ﴿قوله يتشاءموا بهم﴾ فان التطير التشاؤم في قول جميع المفسرين فأصل يطيروا يتطيروا ادغمت التاء في الطاء ولما كان التطير هو التشاؤم بلا خلاف كان المناسب ان يفسر الطائر بالشؤم كما نقل عن الازهري انه قال العرب تسمى الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم ببارحها ونعيق غرابها وبأخذها ذات اليسار اذا أثاروها وكانت العرب تزجر الطير فتتشاءم بالبارح وتتبرك بالسانح والسانح من الطير ما يجيء من جهة يمين الانسان ويجوز الى جهة يساره فلا يمكن رميه حتى ينحرف الرامي اليه وقال رؤبة السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقيل ان كثيرا من اهل الجاهلية كان اذا اراد الحاجة ذهب الى الطير في وكرها ينفرها فاذا اخذت يمينا مضى الى حاجته وهذا هو السانح عندهم واذا اخذت شمالا رجع وهذا هو البارح عندهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله اقروا الطير على وكناتها والوكنة موقع الطير حيث ما وقعت والجمع وكنات ووكن وقال عليه الصلاة والسلام من رجعته الطيرة من حاجته فقد اشرك قيل وما كفارة ذلك يا رسول الله قال ان يقول احدكم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي الى حاجته فلما جعلوا الطائر امارة ودليلا على الشؤم وهو ضد اليمن سمي الشؤم طائرا وطيرا تسمية للمدلول باسم الدليل هذا وجه ما نقل عن الازهري وهو المنقول عن ابن عباس ايضا حيث قال في قوله ألا انما طائرهم عند الله يريد به ان شؤمهم من قبل الله تعالى اى انما جاءهم الشر بقضاء الله تعالى وحكمه فمن الطائر هنا

على الابتداء او النصب بفعل يفسره (تأتنا به) اى اياشئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) اى لتسحربها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ماطاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثلاثة ايام فى ظلمة شديدة لايقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ماابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على الماء فيكون مايليه دما ومايلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لايشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر
وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا

بالشؤم الذى هو سبب ماناله الانسان من الشر واليه اشار المصنف بقوله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته وبقوله او سبب شؤمهم الخ بتقدير المضاف والمعنى على التقديرين كل مايصيبهم من خير وشر فهو بقضاء الله تعالى وتقديره وحكمه ومشيئته قال الفراء وقد تشاءمت اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا منذ اتانا وكثرت امواتنا ثم أعلم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ان طيرتهم باطلة فقال * لاطيرة ولا هام * وكان عليه الصلاة والسلام يتفاءل ولايتطير واصل الفأل الكلمة الحسنة وكانت العرب مذهبها فى الفأل والطيرة واحد فأثبت النبى صلى الله عليه وسلم الفأل وابطل الطيرة والفرق بينهما ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية والطيرية فالكلمة التى تجرى على لسان الانسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير وحركات البهائم فان ارواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شئ من الاحوال ﴿قوله الذى يصوت به الكاف﴾ اى يتلفظ به من يكف غيره يعنى ان اصل مهما ماه التى بمعنى اكفف دخلت على ما الشرطية كأنهم قالوا اكفف ماتأتنا به من آية فالامر كذا وكذا وعلى التقديرين اى سواء كان اصلها ماه مع ما الشرطية او ما الشرطية مع ما الزائدة هى اسم شرط يجزم فعلين ومحلها نصب بفعل يفسره تأتنا اى اياشئ تحضرنا تأتنا به او رفع على الابتداء اى اى شئ تأتنا به وضميره على التقديرين يرجع الى لفظ مهما وقيل لاتركيب فيها ههنا بل كأنهم قالوا مه ثم قالوا ماتأتنا به وليس بشئ لان ذلك قد يأتى فى موضع لازجر فيه ولان كتابتها متصلة ينفى كون كل كلمة منهما مستقلة وقوله من آية بيان لمهما لانها هى هى فى المعنى ولما قال القوم لموسى عليه الصلاة والسلام مهما تأتنا به من آية فهو سحر ونحن لانؤمن بها من اليد والعصا وغيرهما فان كل ذلك لاحقيقة له فلا نؤمن به وكان عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم فقال يارب ان عبدك فرعون علا فى الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فأرسل الله تعالى عليهم ماذكره من الآيات المفصلات عن انس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو على الجراد يقول * اللهم اهلك الجراد اللهم اقطع دابر الجراد اللهم اقتل كباره واهلك صغاره وافسد بيضه وخذ بافواهه عن معايشنا وارزقنا انك سميع الدعاء * وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * فى صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم * كذا فى رواية الوسيط وروى * مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم * والقمل قيل هو الدبا اى الجراد قبل ان يطير لكونه لم ينبت لها اجنحة بعد وقيل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وهو قول الحسن قال القمل دواب سود صغار وقيل هى القردان وقيل هى دواب تشبهها اصغر منها والطوفان فعلان من الطواف لانه يطوف حتى يعم وغالب استعماله فى الماء الكثير وقيل الطوفان من كل شئ ماكان كثيرا محيطا مطبقا بالجماعة من كل جهة كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف والموتان بالضم موت يقع فى الماشية يقال وقع فى المال موتان كذا فى الصحاح وقد فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالموت تارة وبأمر من الله تارة وتلا قوله تعالى فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿قوله آيات نصب على الحال﴾ اى ارسلنا عليهم هذه الاشياء حال كونها علامات مبينات او مفصلات اى فصل بعضها عن بعض بزمان تمتحن فيه احوالهم هل يقبلون الحجة او يستمرون على المخالفة ﴿قوله يعنى العذاب المفصل او الطاعون﴾ يعنى ان الرجز اسم للعذاب ثم انهم اختلفوا فى العذاب ماالمراد به ههنا فقال بعضهم انه عبارة عن الانواع الخمسة المذكورة من العذاب النازل بهم وقال سعيد بن جبير المراد بالرجز ههنا الطاعون وهو عذاب سادس من جملة مااصابهم فمات به من القبط سبعون الف انسان فى يوم واحد فتركوا غير مدفونين ورجح القول الاول بناء على ان حمل اللفظ على المعلوم اولى من حمله على المشكوك فيه عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على بنى اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه واذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا * كذا فى المعالم ﴿قوله بعهده عندك﴾ على ان تكون ما مصدرية وان يكون المراد بالعهد النبوة وسمى النبوة عهدا اما لان الله تعالى عاهد نبيه على ان يكرمه بها وعاهد النبى ربه على ان يستقل بأعبائها اى ثقلها بلا كلفة ولا تعب كأنه يعده قليلا او لما فيها من الكلفة بالقيام بأعبائها فيكون العهد مستعارا للنبوة تشبيها لها من حيث اعتبار معنى الكلفة والاختصاص فى كل منهما كما يكون الاختصاص بين المتعاهدين ولان لها حقوقا تحفظ كما يحفظ العهد وهو من العهد الذى يكتب للولاة كأن النبوة منشور من الله تعالى بتولية من

اكرمه بها كذا في الكشف ﴿قوله او بالذي عهده اليك﴾ اي اوصاه اليك وامرك به على ان تكون ما موصولة وتكون الباء للسببية والتوسل كما في قولك اطلب حاجتك بما قدمت من الطاعات والمعنى ادع الله في ان يكشف الرجز عنا متوسلا بالعهد الذي عهده اليك وهو ان تدعوه فاعاتك ومطلوبك فيجيبك فيه فيكون الجار والمجرور مع متعلقه في موضع النصب على انه حال من ضمير ادع ﴿قوله وهو صلة لادع﴾ يعني ان قوله بما عهد على تقدير ان تكون ما مصدرية يكون متعلقا بقوله ادع تعلقا معنويا بان تكون الباء فيه للقسم في السؤال ويسمى قسم الاستعطاف والاستعطاف طلب العطف وهو ما يكون جوابه جملة طلبية كما في قوله بحياتك اخبرني فيكون ادع لنا جواب القسم كأنه قيل اقسمنا بحق ما عندك ادع لنا ﴿قوله او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم﴾ فيه بحث لان الظاهر ان ليس المراد بالتعلق ههنا التعلق اللفظي وهو تعلق حرف الجر بعامله لان الباء حينئذ باء قسم الاستعطاف فلا تعلق لفظا بقوله اسمعنا بل هو جواب قسم الاستعطاف فتعلق به معنى ولا شك ان قوله ادع يصلح جوابا لذلك القسم فلا حاجة الى اعتبار الحذف وجعل ادع دليلا على المحذوف والاسعاف قضاء الحاجة يقال اسعفه بحاجته اي قضيتها وعدى بالى لتضمنه معنى الايصال * واعلم ان الله تعالى بين ما كانوا عليه من المناقضة القبيحة لانهم تارة يكذبون موسى عليه الصلاة والسلام واخرى عند الشدائد يفزعون اليه فزع الامة الى نبيها ويسألونه ان يسأل ربه دفع ذلك العذاب عنهم وذلك يقتضي انهم سلموا كونه نبيا مجاب الدعوة ثم بعد زوال تلك الشدائد يعودون الى تكذيبه والطعن في نبوته زاعمين انه انما يصل الى مطالبه بسحره فهم يناقضون انفسهم بهذه الاقاويل وقوله تعالى الى اجل متعلق بكشفنا ويرد على ظاهره ان ما دخلت عليه لما يترتب جوابه على ابتداء وقوعه وذلك يقتضي ان يكون النكث مرتبا على ابتداء الكشف وذكر الغاية ينافي كونه مرتبا على ابتداء وقوع الا انه قيد الكشف بقوله الى اجل وحد معين من الزمان ليعلم انهم وان كشف عنهم العذاب بسبب الدعاء لكن لم يكشف ذلك عنهم مطلقا في جميع الازمان لاصرارهم على ما هم عليه من الكفر والعناد بل انما يكشف عنهم الى اجل معين وعند مجيء ذلك الاجل يعذبهم الله تعالى لا محالة او يهلكهم ولا يلزم من تقييده بقوله الى اجل ان يكون النكث منهم بعد موتهم او غرقهم لان النكث انما يفاجئ ابتداء وقوع الكشف لا الكشف المنتهي الى اجله والتقييد انما ذكر لبيان ان الكشف ليس المراد منه ارتفاع الرجز عنهم بالكلية ﴿قوله فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث﴾ اي بادروه ولم يؤخروه عن ابتداء وقوع الكشف مبني على مخالفة ما ذهبوا اليه من ان ما يلي كلمة لما من الفعلين يجب ان يكون ماضيا لفظا او معنى لجواب لما بالحقيقة هو هذا الفعل المقدر وكلا الامرين اعني لما واذا معمول له ولما ظرفية واذا مفعول به والنكث النقض واصله من نكث الصوف ليغزل ثانيا فاستعير لنقض العهد بعد احكامه وابرامه كما في خيوط الاكسية اذا نكثت بعدما ابرمت وهذا من احسن الاستعارات ﴿قوله فاردنا الانتقام منهم﴾ اي بسبب انهم نكثوا العهد كلما كشفنا عنهم العذاب ولم ينتهوا عن كفرهم وغوايتهم وبلغوا الاجل الموقت لهلاكهم فاغرقناهم اردنا الانتقام منهم والانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب ﴿قوله وقيل لجته﴾ اي قيل في تفسير اليم انه لجة البحر ومعظم مائه ﴿قوله وعدم تفكرهم فيها﴾ اشارة الى جواب ما يقال الغفلة كالنسيان ليست من الافعال الاختيارية للانسان فكيف يصح ان يذم بها وتقرير الجواب ان المراد بالغفلة ههنا الحالة الشبيهة بها وهي الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها ولا شك ان الانسان يستحق الذم بسببها فعلم من الآية انه يجب على الانسان النظر في آيات الله تعالى والتفكر فيها والا لما ذمهم بان غفلوا عنها وذلك يدل على ان التقليد طريق مذموم ﴿قوله وقيل الضمير﴾ اي في قوله عنها للنقمة والمعنى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين وكأن هذا القائل انما ذهب الى ما ذهب اليه مع كونه خلاف الظاهر بناء على انه تخيل ان الغفلة عن الآيات عذر لهم من حيث ان الغفلة ليست من كسب الانسان ﴿قوله تعالى مشارق الارض﴾ مفعول ثان لاورثنا وقوله التي باركنا فيها نعت لمشارق ومغارب واختلفوا في معنى مشارق الارض ومغاربها فبعضهم حمله على مشارق ارض الشام ومصر ومغاربهما لانها هي التي تحت حكم فرعون وقيل ارض مصر لانها ارض القبط وقيل ارض الشام بقرينة توصيفها بقوله التي باركنا فيها لان المراد باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من جملة بني اسرائيل داود وسليمان وقد ملكا الارض كلها ﴿قوله ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته﴾ فسر كلمة الله تعالى بوعده اياهم بالنصر والتمكين وفسر تمامها بمضيها وانتهائها الى الانجاز وانما كان الانجاز تماما لوعد

(قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم (اذا هم ينكثون) جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فاغرقناهم في اليم) اي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعني ارض الشام ومصر ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بما صبروا) بسبب صبرهم على الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه

لان الوعد بالشئ يبق كالشئ المعلق واذا حصل الموعود به فقد تم ذلك الوعد وكل كانه اذا حصل المعلق عليه يتم المعلق وينقضى ﴿ قوله بعد مهلك فرعون ﴾ الظاهر ان البعدية فيه رتبية فان عبور البحر الغفير البحر العميق من غير ان يبتل قدم احد اعظم آية فى اهلاك عدوهم ﴿ قوله وقيل من لخم ﴾ وهو حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية وعن الزمخشرى انه قبيلة بمصر والكاف فى قوله تعالى كما لهم آلهة فى محل النصب على انها صفة لآلها وما كافة لكاف التشبيه عن العمل الا انها دخلت هنا على الجملة مع ان حق حرف الجر ان يجر الاسم المفرد ﴿ قوله وصفهم بالجهل المطلق ﴾ حيث لم يذكر مفعوله امالا طلاق والتعميم اولاجرآئه مجرى اللازم واكده بأن وتوسط قوم وجعل ماهو المقصود بالاخبار وصفا له ليكون كالمحقق المعلوم ﴿ قوله مكسر مدمر ﴾ التبار الهلاك وتبره تتبيرا اى كسره واهلكه وهؤلاء متبر ماهم فيه اى مكسر مهلك والدمار الهلاك يقال دمّره تدميرا ودمر عليه بمعنى كذا فى الصحاح ويقال لكسارة الذهب تبر لتكسرها ولتهالك الناس عليها ورضاض الشئ فتاته وكل شئ كسرته فقد رضضته ﴿ قوله بايقاع هؤلاء اسم ان ﴾ فانه من حيث كونه من اسماء الاشارة يفيد تمييز المسند اليه اكمل التمييز ومن حيث كونه مما يشار به الى البعيد يفيد التحقير وجعل تمييز المشار اليه ذريعة الى تحقيره ابلغ فى التحقير وجعل المسند اليه اسم اشارة مع افادته كمال التمييز ينبه عند تعقيب المشار اليه بالوصف على انه جدير بما يرد بعد اسم الاشارة لاجل ذلك الوصف وهو العكوف ههنا فيكون الدمار والاحباط الكلى لازمين لهم كلزوم سببهما الذى هو العكوف ﴿ قوله والاخبار عما هم فيه بالتبار الخ ﴾ اشارة الى ان ما موصولة وهم فيه جملة اسمية صلة الموصول وعائده والموصول مع صلته فى محل الرفع على الابتداء ومتبر خبره وقدم عليه ليؤذن بأن حال ما هم فيه ليست غير التبار وحال عملهم ليست الا البطلان فهم لا يعدوهما وهما لهم ضربة لازب ﴿ قوله اطلب لكم ﴾ اشارة الى ان قوله ابغيكم بمعنى ابغى لكم يقال بغيت فلانا شيأ وبغيت له قال تعالى يبغونكم الفتنة اى يبغون لكم اجاب موسى عليه الصلاة والسلام القوم بأن حكم عليهم بالجهل وعلى ما هم فيه بالتبار وعلى عملهم بالبطلان وعدم النفع فى الدنيا والدين ثم تعجب من حالهم على وجه الانكار والتوبيخ فقال أغير الله ابغيكم الها وغير منصوب على انه مفعول به لأبغيكم وقوله الها اما تمييز لغير او حال والتقدير ابغى لكم غير الله بجهة كونه معبودا او حال كونه معبودا ويجوز ان يكون الها هو المفعول به لأبغيكم ويكون غير حالا منه والاصل ابغى لكم الها غير الله على ان غير الله صفة لاله فلما قدمت صفة النكرة عليها انتصبت حالا ﴿ قوله تعالى يسومونكم سوء العذاب ﴾ اى يعذبونكم بأشد العذاب يقال سامه خسفا اذا اولاه ظلما وقيل يسومونكم اى يطلبونكم لكن الطلب متعد الى واحد فلا بد من تضمين فعل يتعدى الى اثنين وهو التكليف اى يطلبونكم مكلفين اياكم سوء العذاب ﴿ قوله نعمة او محنة عظيمة ﴾ فان البلاء يطلق على كل واحدة منهما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وفيه لف ونشر فان البلاء النعمة على تقدير ان تكون الاشارة الى الانجاء والمحنة على تقدير ان تكون الى العذاب ﴿ قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ليس ثلاثين ظرفا لواعدنا لان الوعد ليس فى الثلاثين بل هو المفعول الثانى لواعدنا فانه متعد الى مفعولين * فان قلت كيف يجوز ان يكون ثلاثين ليلة مفعولا به مع ان الموعود يجب ان يكون فعل الواعد والزمان ليس بفعل واحد ممن قام به المواعدة فانه قد روى ان الله تعالى لما اهلك فرعون وسأله موسى انزال الكتاب امره الله تعالى ان يصوم ثلاثين يوما ويأتى الطور ووعده ان فعل ذلك ينزل عليه التوراة ووعد موسى عليه الصلاة والسلام ربه ان يصوم تلك المدة ويأتى الطور فالموعود من احد الجانبين انزال التوراة ومن الآخر الصوم واتيان الطور ونفس الثلاثين ليس بموعود فكيف يكون مفعولا به * فنقول لا بد فى الكلام من اعتبار الحذف ولا بد ان يكون المحذوف متضمنا لكل واحد مما وعده الله تعالى ووعده موسى عليه الصلاة والسلام واشار اليه صاحب الكواشى بقوله وفيه حذف اى تمام ثلاثين او مكث ثلاثين انتهى فانه تعالى وعده تمام ثلاثين وانقضاءها لانزال الكتاب ووعده موسى عليه الصلاة والسلام اتيان الطور * قال المفسرون كانت تلك الثلاثون ذا القعدة امره الله تعالى ان يصوم فيها ليكلمه ويكرمه بما يتم له امر نبوته قال ابن عباس رضى الله عنهما فصامهن ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر كره ان يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول شيأ من نبات الارض فمضغه فأوحى الله تعالى اليه لا اكلمك حتى يعود فوك الى ما كان عليه اما علمت ان ريح فم الصائم احب الى من ريح المسك وامره بصيام عشرة ايام من ذى الحجة ولما انقضى ذو القعدة بكماله مع عشر ذى الحجة تم اربعون

رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فأتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر (قالوا يا موسى اجعل لنا آلها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ما هم فيه) يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا (وباطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال أغير الله ابغيكم آلها) اطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا ان يشركوا به أخس شئ من مخلوقاته (واذ أنجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيع الله معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما (يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا (واتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) بالغا اربعين روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فأمره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف

ليلة فعلى هذا يكون كلام الله تعالى له يوم النحر وفى مثله اكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم دينه حيث قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى فانه نزل بعد العصر من يوم عرفة عام حجة الوداع وهو عليه الصلاة والسلام واقف بعرفة وقال الامام ابو الليث فى تفسيره ويقال ان الثلاثين كانت ذا الحجة بكماله والعشر عشر المحرم فيكون المناجاة فى يوم عاشوراء والله اعلم * والخلوف بالضم تغير رائحة الفم مصدر خلف من باب نصر واشار المصنف بنقل هذه الرواية الى جواب ما يقال ما الحكمة فى تفصيل الاربعين ههنا الى الثلاثين والعشر مع الاقتصار على الاربعين فى سورة البقرة حيث قيل فيها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة * وتقرير الجواب ان الحكمة فى التفصيل ههنا الاشارة الى ان اصل المواعدة كان على صوم الثلاثين وزيادة العشر كانت لازالة الخلوف وما ذكر فى سورة البقرة من مواعدة الاربعين فهو بيان الحاصل وجمع بين العددين وقوله وقيل امره بان يتخلى الخ جواب آخر عن ذلك * وتقريره فصل الاربعين الى مدتين لكون ما حل فى احدى المدتين مغايرا لما حل ووقع فى الاخرى فان المدة الاولى عينت لان يتجرد فيها لما يتقرب به الى الله تعالى والمدة الثانية عينت لان يفوز فيها بكرامة مولاه * قال الامام الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت ما وقت لشئ قدر ام لا ويوافقه قول المصنف فى تفسير قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اى حدا يوقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اراد الانطلاق الى الجبل للمناجاة امره الله تعالى ان يختار سبعين رجلا من قومه من ذوى الحجى ليشهدوا له على ما يشاهدونه من اكرام الله تعالى اياه ففعل واستخلف اخاه هرون على قومه وقال له كن خليفتى على قومى واصلح امرهم وسر فيهم بالسيرة الصالحة التى لا فساد فيها وثبتهم على ما خلفتهم عليه من الايمان واخلاص العبادة لله تعالى ﴿قوله ما يجب ان يصلح﴾ على ان يقدر له مفعول وما بعده على ان يجرى مجرى اللازم * قال الامام الواحدى نقلا عن المفسرين رحمهم الله لما اراد الله تعالى ان يكلم موسى اهبط الى الارض ظلمة سبعة فراسخ فقادنا موسى عليه الصلاة والسلام الى الظلمة طرد عنه شيطانه وطرد هوام الارض ونحى عنه ملكاه ثم كلمه الله تعالى وكشفت له السماء فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا وكان بعد ذلك لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له امرأته انا ما رأيتك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ناجى موسى ربه مائة الف واربعين الف كلمة فى ثلاثة ايام كلها وصايا فكان فيما ناجاه ان قال له يا موسى لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد فى الدنيا ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتى اما الزاهدون فى الدنيا فابيحهم جنتى حتى يتبوأوا فيها على اطيب عيش وارغده واما الورعون عما حرمت عليهم فانه اذا كان يوم القيامة لم يبق عبد الا ناقشته الحساب الا الورعين فانى اجلهم واكرمهم وادخلهم الجنة بغير حساب واما الباكون من خيفتى فاولئك لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه ﴿قوله لوقتنا الذى وقتناه﴾ اشارة الى ان الميقات اضيف اليه تعالى لما جاء موسى وانزال الكتاب عليه كقوله تعالى ان اجل الله لآت لانه ثبت بتأجيله ﴿قوله وفيما روى الخ﴾ اختيار لما ذهب اليه اهل السنة والجماعة من ان كلام الله تعالى صفة ازلية قائمة بذاته تعالى مغايرة لهذه الحروف والاصوات وان تكليمه تعالى هو ان يسمع بعض المخلوقين كلامه القديم بلا صوت وحرف ليسمعه من جميع الجهات بلا جهات ولهذا خص موسى عليه الصلاة والسلام باسم الكليم لاختصاصه بذلك من بين البشر وكما لا يبعد رؤية ذاته تعالى مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا فكذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون صوتا ولا حرفا * وقالت المعتزلة كلام الله تعالى عبارة عن الحروف المؤلفة المنتظمة القائمة بالجسم المباين لذاته تعالى وتكليمه عبارة عن ان يخلق الكلام بالمعنى المذكور منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح ﴿قوله ارنى نفسك﴾ يريد ان ثانى مفعولى ارنى محذوف حذف مبالغة فى الادب حيث لم يواجهه بالتصريح بالمفعول الا انه تعالى لما كلمه وقربه نجيا عظم شوقه الى مشاهدة ذاته المقدسة فلذلك لم يصبر عن سؤال الرؤية وقوله بأن تمكننى من رؤيتك الخ جواب عما يقال النظر فى قوله أنظر اليك اما ان يكون عبارة عن الرؤية او عن مقدمتها التى هى تقليب الحدقة الى جانب المرئى طلبا لرؤيته وعلى التقدير الاول يكون المعنى ارنى نفسك حتى اراك وهذا فاسد

وقيل امره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله التوراة عليه فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تتبع من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع هذا الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين (قال رب أرنى أنظر اليك) أرنى نفسك بأن تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فأنظر اليك وأراك

لان الشئ لايكون غاية لنفسه وعلى التقدير الثانى يكون المعنى ارنى حتى اقلب الحدقة الى جانبك وهذا فاسد لوجهين احدهما انه يقتضى اثبات الجهة والثانى ان تقليب الحدقة الى جانب المرئى مقدمة الرؤية وقد جعل كالنتيجة عن الرؤية وذلك فاسد * وتقرير الجواب ان النظر بمعنى الرؤية الا ان المطلوب ليس خلق الرؤية فيه حتى يلزم كون الشئ غاية لنفسه بل المطلوب ان يمكنه من الرؤية وان يتجلى له بطريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فلا اشكال ﴿قوله ولذلك﴾ اى لكونه تعالى جائز الرؤية فى الجملة اجاب الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام حين سأل الرؤية بنفى كونه فاعلا للرؤية لا بنفى اصل الرؤية ولو لم يكن جائز الرؤية لاجابه بنفى اصل الرؤية بأن يقول لن أرى ﴿قوله وجعل السؤال لتبكيت قومه الخ﴾ جواب عما ذكره المعتزلة فى تأويل الآية لكون ظاهرها مخالفا لما ذهبوا اليه من امتناع الرؤية * قال صاحب الكشاف فان قلت كيف طلب موسى عليه الصلاة والسلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله تعالى وصفاته ومايجوز عليه ومالايجوز عليه وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك بعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان فى جهة وماليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون فى جهة وكيف يكون عليه الصلاة والسلام طالبا لرؤيته تعالى وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا النص من عندالله تعالى باستحالة ذلك وهو قوله لن ترانى ليتيقنوا باستحالته وينزجروا عن طلبه فلذلك قال رب أرنى انظر اليك الى هنا كلامه فالمصنف اجاب عنه بأن الرؤية لوكانت ممتنعة لوجب على موسى اقامة الدلائل القاطعة على انه تعالى لايجوز رؤيته وان يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال ولما لم يذكر شيأ من تلك الدلائل البتة مع ان ذكرها كان فرضا متعينا ظهر انه تعالى جائز الرؤية والا لكان موسى عليه الصلاة والسلام تاركا للواجب وترك الواجب لايجوز على الانبياء ﴿قوله والاستدلال بالجواب على استحالتها﴾ وتقرير الاستدلال ان يقال هذه الآية تدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام لايرى الله البتة لا فى الدنيا ولا فى القيامة لما نقل من اهل اللغة ان كلمة لن للتأبيد ومتى ثبت هذا ثبت ان احدا لايراه البتة ومتى ثبت هذا ثبت ان الله تعالى يمتنع ان يرى والمصنف اجاب عنه بمنع كل واحدة من المقدمات الثلاث اما المقدمة الاولى فمنعها بأن لن ترانى لايدل على ان لايراه ابدا لما ذكره الامام الواحدى من ان كون كلمة لن للتأبيد دعوى باطلة على اهل اللغة وليس يشهد بصحتها كتاب معتبر ولا نقل صحيح قال اصحابنا والذى يدل على فساده قوله تعالى فى صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة ومنع باقى المقدمات ظاهر ﴿قوله او جهالة بحقيقة الرؤية﴾ فانها وان كانت عبارة عن الادراك بالباصرة بعد النظر الذى هو تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته وان الادراك بالحاسة انما يكون اذا كان المدرك فى جهة لكن ذلك انما يستلزم امتناع الرؤية اذا كانت الحاسة والقوة التى فيها باقيتين على هذه الحالة وذلك غير لازم لجواز ان يخلق الله فى الحاسة قوة بها يتمكن من رؤية ماليس فى جهة اى من ادراكه عند النظر وفتح العين وتقليب الحدقة فان الرائى ليس هذا العضو المخصوص ولا القوة الحالة فيه بل شئ آخر يستعين فى الرؤية بهما اى يخلق الله تعالى فيهما ما تستعد به النفس لمشاهدة المرئى ﴿قوله استدراك يريد ان يبين به الخ﴾ المقصود بيان وجه اتصال هذا الاستدراك بما قبله وذلك انه تعالى لما نفى ان يرى موسى اياه فى الحال نفيا مؤكدا فان لن لتأكيد نفى ماسأل عنه والسؤال انما وقع فى تحصيل الرؤية فى الحال فكان قوله لن ترانى نفيا لذلك المطلوب استعظم امر الرؤية وبين ان احدا لايقوى على رؤية الله تعالى الا اذا قواه الله تعالى بمعونته وتأييده وامره ان ينظر الى الجبل لكشف هذا المعنى فان الجبل مع صلابته لما ظهر له اثر التجلى لم يطق ذلك بل اندك وتفرق فكيف يطيقه الانسان الذى يدهش عند مشاهدة الامور الهائلة فكيف عند مشاهدة ذى العظمة والجلال المطلق الذى لا يوصف كبرياؤه وجلاله فكأنه قيل فان لم يستقر الجبل فانك لاتطيق رؤيتى ﴿قوله والجبل قيل جبل زبير﴾ قيل هو اعظم جبل بمدين وقوله دكا مصدر وقع موقع المفعول به بمعنى مدكوكا اى مدقوقا يقال دككت الشئ ادكه دكا اذا دققته عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لما تجلى ربه للجبل صار لعظمته ستة اجبل فوقعت ثلاثة منها بالمدينة احد وورقان ورضوى * ووقع ثلاثة بمكة ثور وثبير وحرا ﴿قوله ظهر له﴾ تفسير لقوله تعالى

وهو دليل على ان رؤيته جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى اولن اريك اولن تنظر الىّ تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ فى الرائى ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لوكانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبههم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لايراه ابدا وان لايراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد ان يبين به انه لايطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لاسنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء بالتشديد (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول مارأى (فلما افاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن (وانا اول المؤمنين) مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لاترى فى الدنيا

تجلى للجبل وقوله عظمته واقتداره وامره تفسير لقوله ربه بتقدير المضاف عن ابن عباس ظهر نور ربه للجبل وقال الضحاك اظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر ثور وقيل ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقيل ما تجلى الا قدر الخنصر وتصدى اقتدار الله تعالى للجبل اى تعرّضه له عبارة عن تعلق قدرته وارادته بدكه * قال صاحب الكشاف أنظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية فى هذه الآية ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه الوصمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

* لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى مؤكفه *
* قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه *

قوله المتسمين من الاتسام يقال اتسم بالشئ اذا صار موسوما به معلما وقوله المتسمين من التسمى مطاوع التسمية يقال تسمى به اى صار مسمى به والبلكفة القول بأن الرؤية بلا كيف ومؤكفة اى مشدود عليها الاكاف وهو البرذعة والشنع بالضم جمع شنعة اسم من الشناعة ولقد عورض ما انشده والشأه من الهذيان فقيل

* لجماعة كفروا برؤية ربهم * ولقائه حمر لعمرى مؤكفه *
* هم عطلوه من الصفات وعطلوا * عنه الفعال فيالها من متلفه *
* هم نازعوه الخلق حتى اشركوا * بالله زمرة حائكة واساكفه *
* هم غلقوا ابواب رحمته التى * هى لاتزال على العاصى موكفه *
* لهموا قواعد فى العقائد رذلة * ومذاهب مجهولة مستنكفه *
* يبكى كتاب الله من تأويلهم * بدموعه الماهلة المستوكفه *
* وكذا احاديث النبى دموعها * منهم على الخدين غير منكفه *
* فالله امطر من سحائب عذابه * وعقابه ابدا عليهم اوكفه *

قوله يعنى اسفار التوراة اى كتب التوراة ومجلداتها وألواحها وهو جمع سفر وهو الكتاب يقال سفره اى كتبه فتكون الرسالة عبارة عن نفس الشئ المرسل به الى الغير فينبغى ان يقدر المضاف اى بتبليغ رسالاتى ويجوز ان يراد بها المصدر اى بارسالى اياك وفى التيسير قوله تعالى برسالاتى وبكلامى يعنى بأن ارسلتك بما ارسلت اليك من الاوامر والنواهى والوعد والوعيد والاحكام والمواعظ وبأن كلمتك بلا واسطة ويرد على هذا التأويل بأن يقال كيف اصطفاه على الناس بالرسالة مع ان كثيرا من الناس ساواه فى الرسالة ويجاب عنه بانه تعالى بين انه خصه من دون الناس بمجموع امرين وهو الرسالة مع التكليم من غير واسطة وهذا المجموع لم يحصل لغيره وانما قال على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى قال القرطبى ودل هذا على ان قومه لم يشاركه احد منهم فى التكليم ولا احد من السبعين الذين اختارهم لانه اصطفاه بما ذكر تنصيص على تخصيصه به قال صاحب الكشاف لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام ارنى انظر اليك طلبا لرؤيته وانما قاله تبكيتا لهؤلاء الذين ألحوا عليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم قال فان قلت فهلا قال ارهم ذلك ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ربه فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد وقال الامام اختلفوا فى انه تعالى كلم موسى وحده او كلمه وكلم اقواما آخرين فظاهر الآية يدل على الاول لان قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص موسى بهذا التشريف والتخصيص بالذكر يدل على نفى الحكم عما عداه وقال القاضى بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله تعالى لان الغرض من احضارهم ان يخبروا قوم موسى عما يجرى هناك وهذا المقصود لايتم الا عند سماع الكلام وعن ابن عباس انه قال جاء موسى ومعه السبعون فصعد موسى الجبل وبقى السبعون فى اسفل الجبل وكلم الله تعالى موسى وكتب له فى الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع موسى صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارنى انظر اليك الى هنا كلام الامام والله اعلم قوله بدل من الجار والمجرور يعنى ان كل شئ فى محل النصب على انه مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه فتكون كلمة من فيه مزيدة لاتبعيضية ولم يجعلها ابتدائية حالا من موعظة وموعظة مفعولا به لانه ليس له كثير معنى

(قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) اى الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع (برسالاتى) يعنى اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتى (وبكلامى) وبتكليمى اياك (فخذ ما آتيتك) اعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاه التوراة يوم النحر (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من امر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف فى ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده وشقها بأصابعه وكان فيها التوراة او غيرها

ولم يجعل موعظة مفعولا له وان كانت شرائط النصب حاصلة لان الظاهر ان تفصيلا عطف عليه وظاهر انه لا معنى لقولك كتبنا له من كل شئ لتفصيل كل شئ ﴿ قوله بأحسن مافيها الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال من انه تعالى لما تعبد بكل ما فى التوراة وجب ان يكون الكل حسنا وقوله يأخذوا بأحسنها يقتضى ان يكون فيها ما ليس بأحسن وانه لا يجوز الاخذ به وهو متناقض * واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان ما فى التوراة من التكاليف متفاوت منه ما هو احسن ومنه ما هو حسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر وكل واحد منها وان كان مشروعا حسنا فى حكم التوراة الا انه تعالى امرهم بطريق الندب ان يأخذوا بالافضل فانه اكثر ثوابا كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه * ولا يرد ان يقال انه تعالى لما امر بالاحسن فقد منع عن الاخذ بالحسن وذلك يقدح فى كونه حسنا * لانا نقول انما امرهم بالاخذ بالاحسن على طريق الندب فيزول التناقض والاشكال والوجه الثانى ان التكاليف التى تعبد الله بأخذها يدخل تحتها الواجب والمندوب والمباح واحسن هؤلاء الثلاثة الواجبات والمندوبات فكان الاخذ بهما احسن وان كان الاخذ بالمباح حسنا مشروعا ايضا والوجه الثالث ان بناء افعل ههنا ليس لزيادة على ما اضيف اليه بل هو لزيادة المطلقة بأن يقصد تفضيل المفضل على كل ما سواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده فيكون اضافته لمجرد التخصيص والتوضيح كاضافة نحو العالم والحسن مما لا تفضيل فيه فالمأمور به من الاخذ هو الاخذ بما هو البالغ فى الحسن مطلقا وهو المأمور به مما اشتملت التوراة عليه فان التوراة مشتملة على الامر والنهى والمأمور به احسن من المنهى عنه لا على معنى ان بينهما اشتراكا فى الحسن وان احدهما ازيد من الآخر فيه ضرورة انه لا حسن للمنهى عنه بل على معنى ان المأمور به ابلغ فى الحسن من المنهى عنه فى القبح كما يقال الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى الحر من الشتاء فى البرد والمعنى ان حر الصيف حدة وابرد الشتاء حدة وحدة حر الصيف اكثر واشد من حدة برد الشتاء فكذلك لحسن المأمور به مرتبة ولقبح المنهى عنه مرتبة ومرتبة حسن المأمور به اعلى واول من مرتبة قبح المنهى عنه قال صاحب الكشاف فى سورة مريم الصيف احر من الشتاء من وجيز كلامهم يريدون به ان الصيف ابلغ فى حره من الشتاء فى برده وتحقيقه ان تفضيل حرارة الصيف على حرارة الشتاء غير مراد اذ ليس ذلك مما يرتاب فيه ذو حس بل هو راجع الى تفضيل كثرة الحرارة وقوتها على كثرة البرودة وقوتها فلما اريد بأحسنها المأمور به لكونه ابلغ فى الحسن من المنهى عنه فى القبح كان اللازم ان لا يجوز الاخذ بالمنهى عنه ولا تناقض فيه وقوله تعالى يأخذوا الظاهر انه مجزوم جوابا للامر فى قوله وأمر قومك ولا بد من تأويله لان الواجب فى مثله انحلال الجملتين الى شرط وجزاء وكون ما هو فى معنى الجزاء لازما لما هو فى معنى الشرط وليس الامر فيما نحن فيه كذلك لانه لا يلزم من امره اياهم بذلك ان يأخذوه بدليل عصيان بعضهم له فى ذلك وقيل الجزم على اضمار اللام تقديره ليأخذوا وقوله بأحسنها الظاهر ان الباء فيه زائدة واحسنها مفعول به والتقدير يأخذوا احسنها كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴿ قوله وقرئ سأوريكم ﴾ بواو خالصة بعد الهمزة بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند اى اخرجت ناره فقوله سأوريكم بمعنى سأنير وسأبين لكم لتنبيهوا ﴿ قوله اى يتكبرون بما ليس بحق ﴾ يشعر بأن تكبر المحق على المبطل ليس مما يذم به صاحبه كما اشتهر من ان التكبر على المتكبر صدقة والحق ان التكبر بالحق صفة مختصة بالله تعالى لانه الذى له القدرة والفضل الذى ليس لغيره فهو الجدير بأن يكون متكبرا فالتكبر صفة مدح فى حق الله تعالى وصفة ذم فى حق ما سوى الله عز وجلا والمفهوم من الآية ان الذين يتعظمون عن الانقياد للانبياء عليهم الصلاة والسلام استكبارا وطلبا بالعلو والرياسة فى الارض بغير الحق يصرفهم الله تعالى بان يطبع على قلوبهم من التفكر فى آياته المنصوبة فى الآفاق والانفس عقوبة لهم على استكبارهم فلا يعتبرون بآيات الآفاق كخلق السموات والارض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبر والبحر وانواع النبات والحيوان ولا بآيات الانفس حتى يستدلوا بها على وجود الصانع الحكيم القادر على اثابة المطيع وعقاب العاصى ليكون ذلك الاعتبار باعثا لهم على الرغبة فى طاعته والاجتناب عن معصيته فثبت بذلك انه تعالى يمنع عن الايمان ويصد عنه بان يطبع على قلوب المتكبرين ويصرفهم عن التفكر فى الدلائل الموجبة للتوحيد والايمان وقالت المعتزلة لا يمكن حمل الآية على انه تعالى يصرف المتكبرين الموصوفين بانهم ان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وبأنهم ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا عن الايمان لانه تعالى علل الصرف المذكور باتصافهم بالاوصاف

(أخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) اى بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم فى الآخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم الذين استضعفوا (سأصرف عن آياتى) المنصوبة فى الآفاق والانفس (الذين يتكبرون فى الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله

(وان يروا كل آية) منزلة او معجزة (لا يؤمنوا بها) لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد

الوجه الاول (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثها لغات كالسقم والسقم والسقام (وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم الآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة (حبطت اعمالهم) لا ينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الا جزاء اعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه الى الميقات (من حليهم) التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل (له خوار) صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح (ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر (اتخذوه) تكرير للذم اي اتخذوه الها (وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم (ولما سقط في ايديهم) كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم (ورأوا) وعلموا (انهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بانزال التوبة (بالبراهين)

المذكورة المستلزمة للكفر ولا شك ان العلة متقدمة على الحكم فلا يكون الصرف عن الايمان الذي هو خلق الكفر فيهم عقوبة متفرعة على الكفر الحاصل منهم لذلك قالوا في تفسير الآية سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فأبى الله تعالى الا علو الحق وانتكاس الباطل وايد المصنف ان يكون المراد بالصرف الصرف عن التفكر في الآيات بجعلهم مطبوعي القلوب بقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها بل يقولون مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان من لم يتأثر بكل آية كيف يقال في حقه سأصرفه عن ابطالها بل صرفه الى ان يعود عقيدة اعلائها وابطالها لكم **قوله** وعدم تدبرهم عبر عن عدم تدبر الآيات بالغفلة عنها تشبيها لان المعرض عن الشيء من غفل عنه **قوله** ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر عطف من حيث المعنى على ما فهم من تقرير موعود ان يكون ذلك مبتدأ والجار والمجرور خبره ويجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول به لفعل محذوف اي فعلنا ذلك لهذا السبب **قوله تعالى** ولقاء الآخرة اما من اضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف او من اضافته الى الظرف بتقدير في والفاعل والمفعول محذوفان اي لقائهم الموعود في الدار الآخرة **قوله** الا جزاء اعمالهم لان نفس ما كانوا يعملونه لا يجزون به وانما يجزون بمقابلته **قوله** وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اي بكسر الحاء واللام وتشديد الياء كدلي وعصي جمع دلو وعصا اصلهما دلوو وعصوو قلبت الواو الاخيرة ياء لوقوعها طرفا بعد ضمة فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت وكسرت عين الكلمة وان كانت مضمومة في الاصل لتصح الياء ثم بعد ذلك فيه وجهان ترك الفاء على ضمها واتباعها للعين في الكسرة وهذا مطرد في كل جمع على فعول من معتل اللام سواء كانت لامه واوا كما في عصي ودلي او ياء كما في حلي وثدي في جمع حلي وثدي اصلهما حلوي وثدوي نحو فلوس في جمع فلس والحلي اسم لما يتزين به من الذهب والفضة وقرئ حليهم بفتح الحاء وسكون اللام على التوحيد اقامة لاسم الجنس مقام الجمع **قوله** من بعده من حليهم كل واحد من حرفي الجر متعلق باتخذ وجاز ان يتعلق حرفا جر متحدا اللفظ بعامل واحد لاختلاف معنييهما لان الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ويجوز ان يكون من حليهم متعلقا بمحذوف على انه حال من عجلا لانه لو تأخر عنه لكان صفته اي عجلا كائنا من حليهم فلما قدم عليه انتصب حالا منه وجعل جسدا بدلا من عجلا اولى من جعله نعتا له او عطف بيان لان الجسد ليس مشتقا فلا ينعت به الا بتأويل وعطف البيان في النكرات قليل او ممتنع عند الجمهور والجسد اسم جسم يكون له لحم ودم او جثة لا روح لها والسامري رجل من قرية يقال لها سامرة وكان رجلا مطاعا في قوم موسى وكانوا قد سألوه الها يعبدونه فجمع ذلك الحلي فصاغ لهم من ذلك الحلي عجلا ثم اختلف الناس فقال قوم قد اخذ كفا من تراب حافر فرس جبريل عليه الصلاة والسلام فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر فيه خوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة كان قد جعل ذلك العجل مجوفا وجعل في جوفه انابيب على شكل مخصوص وكان وضع ذلك التمثال على مهب الريح فكانت الريح تدخل في تلك الانابيب ويظهر منه صوت مخصوص يشبه خوار العجل ثم قيل انه ما خار الا مرة واحدة وقيل كان يخور كثيرا فاذا خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يخور ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي **قوله** وقرئ جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح **قوله** كناية عن اشتداد ندمهم وجعله كناية لا مجازا لعدم المانع عن ارادة الحقيقة والايدي على هذا حقيقة لان السقوط في اليد الذي هو عض اليدين من لوازم النادم المتحسر فكني بذكر اللازم عن الملزوم واصل الكلام سقط فوهم في ايديهم اي وقع لان من اشتد ندمه يعض يده ثم حذف الفاعل واسند الفعل وهو سقط الى الجار والمجرور نحو مر بزيد وقال الزجاج معناه سقط الندم في قلوبهم ونفوسهم وعبر عن وقوع الندم في القلب بسقوطه في اليد لان اليد لكونها جارحة عظيمة يتوسل بها الى عامة الافعال من الطاعات والمعاصي يسند اليها ما لم يكن لها مدخل في مباشرته وتحصيله نحو اشتهر به فلان وضاقت به يده كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وكثير من الذنوب لم تقدمه اليد وايضا تجعل اليد محلا لما لا محل فيها البتة نحو حصلت الاعجاب والصيد والاماني في يده فشبه ما يحصل في النفس والقلب بما يحصل في اليد في التحقق والظهور والتمكن من الانتفاع به فاطلق عليه انه في اليد على سبيل الاستعارة التمثيلية وهذا الندم والاستغفار المبني على العلم بانهم قد ضلوا فارتكبوا معصية الله تعالى كان بعد رجوع موسى اليهم وتحقق خطاهم وضلالهم

بالبراهين القاطعة ﴿قوله شديد الغضب وقيل حزينا﴾ يعني ان الاسف صفة مشبهة كالزمن ومعناه شديد الغضب يقال آسفني فأسفت اي اغضبني فغضبت ومنه قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم وقال السدي والكلبي الاسف الحزين ثم قيل ان غضبه لله تعالى وتأسفه على ما كان منهم من عبادة العجل والكفر بالله تعالى حصل عند مجيئه من الطور الى قومه من حيث انه انما عرف حالهم عند ذلك وقيل بل كان عارفا بذلك قبل مجيئه اليهم وهو اقرب لقوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وهو انما كان راجعا الى قومه قبل وصوله اليهم فالمراد انه بهذه الحالة بسبب انه تعالى اخبره في حال المكالمة بما كان من قومه من عبادة العجل بقوله فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان من ذلك متأسفا على ما كان منهم وفسر قوله تعالى بئسما خلفتموني من بعدي بقوله بئسما فعلتم وعملتم بعدي بناء على انه يقال خلفه بما يكره اذا عمل بعده ذلك العمل كما يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي ﴿قوله تفسر المستكن في بئس﴾ فان الفاعل في باب نعم وبئس اذا كان مضمرا يجب ان يفسر بنكرة موصوفة او بما وفسر ههنا بقوله ما خلفتموني ولا يجوز ان يكون ما خلفتموني فاعل بئس لان فاعله يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف باللام وهو ليس واحدا منهما فتعين ان يكون الفاعل مضمرا ولا يضمر الفاعل فيه الا بشرط التفسير ومفسره قوله ما خلفتموني وقوله ومعنى من بعدي جواب عما يقال ما معنى قوله من بعدي بعد قوله خلفتموني فاجاب عنه بان معناه من بعد انطلاقي على ان يكون الخطاب لعبدة العجل وقوله او من بعد ما رأيتم مني الخ على تقدير ان يكون الخطاب لهرون واتباعه المؤمنين ﴿قوله اتركتموه غير تام﴾ يريد ان الامر واحد الاوامر وانه بمعنى المأمور به وهو ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام اربعين يوما حافظين لعهده وما وصاهم به من التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى حتى يأتيهم بكتاب الله المشتمل على المواعظ والاحكام وان العجلة عن الشيء عبارة عن تركه غير تام انكر على قومه في عدم اتمامهم ما امرهم الله به من ان ينتظروا موسى عليه الصلاة والسلام الى ان يجيئهم من غير ان يغيروا شيأ مما تركهم عليه واصل العبارة اعجلتم عن امر ربكم الا انه اسقط الخافض وعدى الفعل بنفسه على سبيل الاتساع وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بنفسه كأنه قيل اسبقتم امر ربكم غير ممتثلين اياه بأن فعلتم ما بدا لكم قال الامام معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشيء في اول اوقاته قال ابن عباس اعجلتم امر ربكم اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الكلبي اعجلتم اي سبقتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم امر ربكم اي لو جاز ان يعبد العجل تقربا الى الله بعبادته لامر الله تعالى به فلم عبدتموه قبل ان يأتيكم به امر من الله ﴿قوله او أعجلتم وعد ربكم﴾ على ان الامر واحد الامور وعبارة عن وعد الاربعين ومعنى سبقهم الميعاد وعدم صبرهم له انهم عدوا كل واحد من عشرين يوما وعشرين ليلة يوما كاملا وجعلوا الجميع اربعين يوما فلما لم يرجع موسى عليه الصلاة والسلام عند مضي عشرين يوما قالوا قد مضى الاربعون ولم يرجع فقدروا انه قد مات فوبخهم موسى على ذلك بقوله اسبقتم ميعاد ربكم بناء على الزعم الفاسد وما احكمتم بما وعده الله تعالى فبادرتم الى تغيير دين الله تعالى ﴿قوله طرحها﴾ اي القاها على الارض القاء عنيفا حتى تكسرت قال الامام وللقائل ان يقول ليس في القرآن الا انه القى الالواح واما انه القاها بحيث تكسرت فليس في القرآن وانه جرأة عظيمة على كتاب الله تعالى ومثله لا يليق بالانبياء ويؤيد هذا قوله تعالى بعد ذلك ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح فدل ذلك على انها لم تكسر ولا شيء منها بل انه اخذها بأعيانها ومن قال بأن ستة اسباعها رفعت الى السماء فلا بد له من دليل ولم اجد ما يدل عليه الا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى ان قومه قد ضلوا فلم يكسر الالواح فلما عاين ذلك كسر الالواح ﴿قوله توهما﴾ لان تقصير الانبياء حقيقة في كف قومهم عن ارتكاب الكفر والوقوع فيه لا يجوز ﴿قوله او تشبيها بخمسة عشر﴾ وانما قال تشبيها لان ابن ليس بمركب مع ام حقيقة حتى يكون حركة كل واحد من الاسمين حركة بناء بل هو مضاف الى ام فحركته حركة اعراب ولما حذفت ياء المتكلم من لفظ ام بني على الفتح تشبيها لهذا التركيب الاضافي بتركيب خمسة عشر ﴿قوله ما يشمتون بي لاجله﴾ هو بفتح الياء والميم على وزن يعلمون يقال شمت به شماتة من باب علم يعلم اذا فرح ببلية اصابت عدوه ثم ينقل الى باب الافعال للتعدية وشماتة العدو اشد من كل بلية قال الشاعر

﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا﴾ شديد الغضب وقيل حزينا ﴿قال بئسما خلفتموني من بعدي﴾ فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه ﴿أعجلتم امر ربكم﴾ أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم ﴿وألقى الالواح﴾ طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة ألواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام ﴿واخذ برأس اخيه﴾ بشعر رأسه ﴿يجره اليه﴾ توهما بأنه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل ﴿قال ابن ام﴾ ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن امي بالياء فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ﴿ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿فلا تشمت بي الاعداء﴾ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ﴿ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير ﴿قال رب اغفر لي﴾ ما صنعت بأخي ﴿ولأخي﴾ ان فرط في كفهم ضمه الى نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه ﴿وأدخلنا في رحمتك﴾ بمزيد الانعام علينا ﴿وانت ارحم الراحمين﴾ فأنت ارحم بنا منا على انفسنا

﴿ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم﴾ وهو ما امرهم به من قتل انفسهم
﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ وهو خروجهم من
ديارهم وقيل الجزية ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾
على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهي قولهم
هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد
قبلهم ولا بعدهم ﴿والذين عملوا السيئات﴾
من الكفر والمعاصي ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ من
بعد السيئات ﴿وآمنوا﴾ واشتغلوا بالايمان
وما هو بمقتضاه من الاعمال الصالحة
﴿ان ربك من بعدها﴾ من بعد التوبة
﴿لغفور رحيم﴾ وان عظم الذنب كجريمة عبدة
العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ﴿ولما سكت﴾
سكن وقد قرئ به ﴿عن موسى الغضب﴾
باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام
مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب
الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه
حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت
واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه
او الذين تابوا ﴿اخذ الالواح﴾ التي ألقاها
﴿وفي نسختها﴾ وفيما نسخ فيها اي كتب
والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما
نسخ منها اي من الالواح المنكسرة ﴿هدى﴾
بيان للحق ﴿ورحمة﴾ ارشاد الى الصلاح
والخير ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ دخلت
اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير
او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصي الله لربهم ﴿واختار موسى
قومه﴾ اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه ﴿سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم
الرجفة﴾ روي انه تعالى امره ان يأتيه في
سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد
كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من
الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره
وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل
فصعقوا منها

والموت دون شماتة الاعداء وتشميت العاطس وتسميته بالشين والسين الدعاء له بالخير وقيل الشين اعلى اللغتين
﴿قوله تعالى اتخذوا العجل﴾ المفعول الثاني من مفعولي الاتخاذ محذوف والتقدير اتخذوا العجل الها معبودا
قال الامام وللمفسرين في هذه الآية طريقان الاول ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادة العجل ويرد
عليه ان تلك الاقوام تاب الله عليهم بسبب ان قتلوا انفسهم توبة على ذنبهم فاذا تاب الله عليهم فكيف يمكن ان يقال
في حقهم سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا والجواب عنه ان ذلك الغضب انما حصل في الدنيا لا في
الآخرة وهو ان الله تعالى امرهم بأن يقتلوا انفسهم والمراد بقوله وذلة في الحياة الدنيا هو انهم قد ضلوا فذلوا
ثم قال فان قيل السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف يحمل هذا على حكم الدنيا قلنا هذا الكلام حكاية عما اخبر
الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل واخبره في ذلك الوقت ان سينالهم
غضب من ربهم وذلة فلما قال الله تعالى ذلك لموسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يتوب القوم بقتلهم انفسهم صح
ان تدخل سين الاستقبال على الحكم المتعلق بالدنيا والطريق الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل ابناؤهم الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نسب اتخاذ العجل اليهم مع انه فعل آبائهم بناء على قاعدة العرب فانهم يعيرون
الابناء بقبائح افعال الآباء ثم حكم عليهم بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا نحو الجلاء
والنفي عن الاوطان وضرب الجزية ويجوز ان يكون التقدير ان الذين اتخذوا العجل اي الذين باشروا ذلك سينالهم
اي سينال اولادهم على حذف المضاف لدلالة الكلام عليه والظاهر ان قول المصنف وهو ما امرهم به من قتل
انفسهم يقتضي ان يراد بهم المباشرون وقوله وهو خروجهم من ديارهم حال ابنائهم ولعله حمل قوله الذين اتخذوا
العجل على ما يتناول الاصول والفروع ﴿قوله واشتغلوا بالايمان﴾ حمل الايمان على الثبات عليه والعمل
بمقتضاه لان اصل الايمان مقدم على التوبة والايمان المتأخر عنها هو الايمان الكامل الذي ينزل الايمان المقرون
بالمعاصي عنده منزلة العدم ﴿قوله سكن﴾ حمل السكوت على المعنى المجازي لان السكوت الحقيقي الذي هو
قطع الكلام لا يتصور من الغضب وهو من بديع الاستعارة بالكناية شبه الغضب بانسان يغري موسى عليه
الصلاة والسلام ويقول له قل لقومك كذا وكذا وألق الالواح وخذ برأس اخيك ثم يقطع الاغراء ويترك الكلام
ويمكن ان يشبه سكون الغضب بسكوته فيكون استعارة تبعية ﴿قوله اخذ الالواح التي ألقاها﴾ اشارة الى
ان الالواح المأخوذة هي الالواح المذكورة في قوله وألقى الالواح وان شيأ منها لم يتكسر ولم يبطل وان ما روى
من ان ستة اسباع التوراة رفعت الى السماء ليس كذلك بل انه قد كان وضعها في موضع ليتفرغ لما قصد له لا رغبة
عنها فلما فرغ عاد اليها فأخذها بعينها فعلى هذا قوله تعالى وفي نسختها معناه وفيما نسخ وكتب فيها نقلا من
اللوح المحفوظ فان النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا كتبت كتابا من كتاب حرفا بعد حرف قلت نسخت ذلك
الكتاب كأنك نقلت ما في الاصل الى الكتاب الثاني وقوله وفي نسختها هدى جملة اسمية في محل النصب على انه حال
من الالواح ورحمة عطف على هدى وقوله للذين متعلق بمحذوف لانه صفة لرحمة اي ورحمة كائنة للذين يرهبون
ربهم وهم مبتدأ ويرهبون خبره والجملة صلة الموصول ولربهم مفعول يرهبون واللام فيه مقوية للفعل لانه لما تقدم
معموله ضعف فتقوى باللام كما في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون فان اللام تكون مقوية حيث كان العامل مؤخرا
او فرعا نحو فعال لما يريد ويحتمل ان تكون اللام للعلة ويكون مفعول يرهبون محذوفا اي يرهبون معصية الله
او عقابه لاجل ربهم لا لرياء ولا لسمعة ﴿قوله وقيل فيما نسخ منها﴾ مبني على ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال لما ألقى موسى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فأعاد الله الالواح وفيها نقش ما في الاولى ولم يرض
المصنف بهذا القول لان الظاهر ان تعريف الالواح في قوله اخذ الالواح للعهد والمعنى اخذ الالواح التي ألقاها
والحال ان في تلك الالواح هدى ورحمة وحمل الكلام على معنى انه اخذ الالواح والحال ان فيما نسخ ونقل منها هدى
بعيد ﴿قوله اي من قومه﴾ اختار يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر يقال اخترت
زيدا من الرجال ثم يتسع ويحذف الجار ويوصل الفعل بنفسه وقد يحذف المفعول الثاني وأما فيقال اخترت زيدا
وقومه مفعول ثان وسبعين اولهما والتقدير واختار موسى سبعين رجلا من قومه والاختيار افتعال من لفظ
الخير كالاصطفاء من الصفوة يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره قيل فيه دليل على ان كلهم لم يعبدوا العجل قال
الكلبي اختار سبعين رجلا لينطلقوا معه الى الجبل فلم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه ان يختار من الشباب

عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى الميقات واختلفوا فى هذا الاختيار هل هو للخروج الى ميقات الكلام وسؤال موسى ربه بقوله رب ارنى انظر اليك او للخروج الى موضع آخر فقال بعض المفسرين انه للخروج الى ميقات الكلام وطلب الرؤية وهو الذى اختاره المصنف وقيل المراد من هذا الميقات غير ميقات الكلام وطلب الرؤية بل هو ميقات وقته الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ليأتى فيه بسبعين رجلا من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا عما كان من القوم من عبادة العجل فان قوم موسى لما عبدوا العجل ثم تابوا امره الله تعالى ان يجمع سبعين رجلا ويحضروا موضعا يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرج موسى معهم وكانوا فى اسفل الجبل اخذتهم الرجفة اى زلزلة الجبل وقيل زلزلة ابدانهم فماتوا قيل فى سبب الرجفة ان هؤلاء السبعين وان كانوا ما عبدوا العجل الا انهم فارقوا عبدة العجل عند اشتغالهم بعبادة العجل وقيل انهم ما بالغوا فى النهى من عبادة العجل فلذلك اخذتهم الرجفة وقيل بل لكفرهم بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لا بسؤال الرؤية بل بسؤال الرؤية جهرة اى مقابلة وهى تشبيه وهو كفر واما اصل الرؤية فهو ثابت وقيل المراد بهذا الميقات ما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى قالوا هو الذى قتل هرون فاختار موسى سبعين رجلا وذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى وقال ما قتلنى احد ولكنى توفانى الله تعالى فأخذتهم الرجفة هنالك والرجفة الارتعاد والحركة الشديدة وفسرها المصنف بقوله اى الصاعقة لقوله تعالى فى سورة البقرة فى حق السبعين الذين اختارهم موسى لميقات واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك اى لاجل قولك بأن الله تعالى اعطاك التوراة وكلمك ولن نقر بأنك نبى حتى نرى الله جهرة اى عيانا فأخذتكم الصاعقة اى ما يصعقون منه ويموتون وهى نار جاءت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث فهذه الآية تدل على ان الرجفة والصاعقة شئ واحد ورجفة ابدانهم متفرعة على الصاعقة **قوله تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر** فالمعنى ليت مشيئتك تعلقت باهلاكنا قبل وقوع هذه الواقعة لكى لا نراها وهذا التمنى انما يستفاد من لو بحسب المقام والا فلو اذا كان للتمنى لا يحتاج الى الجواب فان مفعول المشيئة محذوف ههنا اى لو شئت هلاكنا وقوله اهلكتهم جواب لو والاكثر ان يجاب باللام ولم يأت جواب لو مجردا من اللام الا ههنا وفى قوله لو نشاء اصبناهم وقوله لو نشاء جعلناه اجاجا عن مقاتل قال لما اخذتهم الرجفة كان موسى عليه الصلاة والسلام يبكى ويقول يارب ما اقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم وقد اهلكت خيارهم ولم يبق معى رجل واحد منهم لو شئت أهلكتهم واياى معهم من قبل ان يصحبونى ليعاين بنو اسرائيل ما اصاب خيارهم ولا يتهمونى **قوله او عنى به الخ** اى ويجوز ان لا يكون المراد تمنى الهلاك بسبب آخر قبل هذه الواقعة بل يكون المراد دعاء الترحم عليهم بأن يحييهم ويردهم الى قومهم سالمين فلما دعا موسى عليه الصلاة والسلام وتضرع كشف الله عنهم تلك الرجفة والاستفهام فى قوله أتهلكنا يجوز ان يكون على بابه اى أتعمنا بالاهلاك ام تخص السفهاء منا وقيل لا يجوز ان يظن موسى عليه السلام ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم فيجب ان يحمل الاستفهام بمعنى النفى بمعنى انك ما تهلك من لم يذنب بذنب غيره كما تقول أتهين من يخدمك اى لا تفعل ذلك ونقل محيى السنة عن المبرد انه قال قوله تعالى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا الاستفهام استعطاف اى لا تهلكنا وارحمنا اذ قد علم موسى ان الله تعالى اعدل من ان يأخذ احدا بجرم غيره **قوله تعالى منا** فى محل النصب على انه حال من السفهاء ويجوز ان يكون للبيان والمراد بما فعله السفهاء طلب رؤية الله تعالى عيانا فى ميقات مكالمة موسى ربه على الطور والسبعون اختارهم موسى لميقات المكالمة وطلب التوراة وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة والاعتذار عنها قال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيبة اخذتهم الرجفة وقلقوا ورجفوا حتى كادت تبين منهم مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله تعالى عنهم تلك الرجفة فظن موسى عليه الصلاة والسلام انهم عوقبوا باتخاذ بنى اسرائيل العجل فقال ما قال مستفهما أتهلكنا بما فعل السفهاء من عبادة العجل قال الواحدى ضمير هى فى قوله ان هى الا فتنتك راجع الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هى

﴿قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ﴿ان هى الا فتنتك﴾ ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به ﴿تضل بها من تشاء﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل ﴿وتهدى من تشاء﴾ هداه فيقوى بها ايمانه

الاهتداء والمعنى ان تلك الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الافتنتك اختبارك وابتلاؤك اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فثبتوا على الحق ﴿ قوله وتبدلها بالحسنة ﴾ وكل من سوالك انما يتجاوز عن الذنب اما طلبا للثناء الجميل او للثواب الجزيل او للرقة الجنسية فى القلب واما انت فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب غرض وعوض بل لمحض الفضل والكرم فلا جرم انت خير الغافرين ﴿ قوله تعالى واكتب لنا ﴾ اى واثبت لنا واقسم وذكر الكتابة لانها ادوم وقيل اى وفقنا فى الدنيا للحسنات التى يكتبها لنا الحفظة ﴿ قوله ويحتمل ان يكون ﴾ اى ان يكون هدنا بكسر الهاء فان هاد يهيد لما كان متعديا جاز ان يبنى للفاعل والمفعول بخلاف هاد يهود فانه لازم فلا يبنى للمفعول الا ان هدنا بضم الهاء جاز ان يكون مبنيا للمفعول من هاد يهيد فاذا بنيته للمفعول تقول هيد يهاد كما تقول عيد المريض يعاد اصله عود بضم العين وكسر الواو فبعضهم ينقل كسرة الواو الى العين ثم يقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فيقول عيد وبعضهم يحذف كسرة الواو فيقول عود وقد تقرر فى الصرف ان مجهول قال فيه ثلاث لغات قول وقيل والاشمام وان قول لغة ضعيفة لثقل الضمة والواو وقوله انت ولينا يفيد الحصر اى لا ولى لنا ولا ناصر الا انت والمتوقع من الولى والناصر امران احدهما دفع الضرر والثانى تحصيل النفع ودفع الضرر مقدم على تحصيل النفع فلذلك بدأ بدفع الضرر حيث قال فاغفر لنا وارحمنا فان المغفرة عبارة عن اسقاط العقوبة والرحمة عبارة عن ايصال الخير فان الفاء فيه سببية ثم اتبعه بطلب تحصيل النفع حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ولما حكى الله تعالى دعاء موسى ذكر بعده ما كان جوابا لموسى فقال تعالى قال عذابى اصيب به من اشاء اى اعذب من اشاء تعذيبه والتعذيب متعلق بمشيئتى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى ومن تصرف فى خالص ملك نفسه فليس لاحد ان يعترض عليه واما رحمة الله تعالى فانها تعم الكل فى الدنيا لانه ما من مسلم ولا كافر الا وعليه آثار نعمته ورحمته فى الدنيا فيها يتعيشون وفيها يتقلبون لان الكافر يرزق ويدفع عنه البلاء لسعة رحمة الله فيعيش بها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيئ بنور غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه بقى فى الظلمة فتكون للمؤمنين خاصة فى الآخرة وذلك قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون اى سأجعلها فى الآخرة للذين يتقون الشرك والمعاصى عبر عن الجعل والاثبات بالكتابة لكونها أدوم واثبت * قال القشيرى خص بالعذاب من يشاء وعم بالرحمة كل شئ وفيه مجال لآمال العصاة فانهم وان لم يكونوا مطيعين فهم داخلون تحت قوله كل شئ روى انه لما نزل قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فقال الله عز وجل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمناها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدى الزكاة فاستلبها تعالى من ابليس واليهود والنصارى لجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو نبينا صلى الله عليه وسلم فانه رسول بالنسبة اليه تعالى ونبى بالنسبة الى امته وامى من حيث كونه على صفة امة العرب فان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرأون ولا يحسبون والمشهور فى الفرق بين الرسول والنبى ان الرسول من اوحى اليه كتاب يختص به مؤيدا بالمعجزات القاطعة والنبى من له معجزة قاطعة سواء كان صاحب كتاب ام لا فهو اعم من الرسول وكونه عليه الصلاة والسلام اميا من جملة معجزاته فانه عليه الصلاة والسلام لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه ربما طالع فى كتب الاولين فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة فلما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات الباهرة روى انه عليه الصلاة والسلام اجتاز فى طريقه برجل من اليهود يرقى ابناله فدنا اليه فقال يا يهودى هل تجدونى عندكم مكتوبا فى التوراة فأومأ اليه اليهودى برأسه يعنى انهم لا يجدونه عندهم مكتوبا فى التوراة فقال له ابن اليهودى والله يا رسول الله انهم يجدونك مكتوبا فى التوراة وقد طالعت وانى قد وقعت على سفر من التوراة فقرأت فيه صفتك وصفة اصحابك وذكر ايقاظ آنسترة عنك فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكان آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال الراوى فغسلنا ابن اليهودى وبلغه وتولينا امر دفنه وارتاه وانصرفنا ﴿ قوله فسأثبتها فى الآخرة ﴾ على ان تكون السين للتأكيد وقوله منكم حال مبنية لقوله تعالى للذين يتقون كأنه قيل فسأكتبها للذين الموصوفين بهذه الصفات منكم خاصة يا بنى اسرائيل بشهادة قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فان هذه الصفة مختصة بهم ﴿ قوله او كالربا والرشوة ﴾ اشارة الى انه يجوز ان يراد بالطيبات

(انت ولينا) القائم بامرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ما قارفنا (وارحمنا وانت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا انفسنا وأملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابى اصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها فى الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بنى اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبى) مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم

(والخبائث)

والخبائث ما يستطيبه الطبع ويستلذبه وما يستخبثه الطبع وينفر عنه فتكون الآية دليلا على ان الاصل في كل ما يستطيبه الطبع الحل وفي كل ما يستخبثه الحرمة الا لدليل منفصل ويجوز ان يراد بهما ما طاب في حكم الشرع وما خبث فمدلول الآية حينئذ ان ما يحكم الشرع بحله فهو حلال وما يحكم بحرمته فهو حرام ﴿قوله اى مع نبوته﴾ فيكون معه متعلقا بأنزل حالا من الضمير فيه اى أنزل مصاحبا لنبوته وهو جواب عما يقال ما معنى قوله انزل معه وانما انزل معه جبريل عليه الصلاة والسلام ويجوز ان يتعلق باتبعوا فيكون ظرفا لاتبعوا فكأنه قيل واتبعوا القرآن مع اتباع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون حالا من فاعل اتبعوا اى اتبعوا القرآن مصاحبين له عليه الصلاة والسلام في متابعته فكما انه عليه الصلاة والسلام يتبع القرآن فكونوا معه في اتباعه ﴿قوله ومضمون الآية﴾ وهي قوله تعالى عذابى اصيب به من اشاء الى قوله اولئك هم المفلحون جواب دعاء موسى وهو قوله انت ولينا فاغفر لنا الى آخر الآية فانه عليه الصلاة والسلام دعا لنفسه ولبنى اسرآئيل بمغفرة الذنوب والخطيئات وبالرحمة وكرامة الدارين لان المغفرة هي اسقاط العقوبة والرحمة ايصال الخير واكد سؤال الاول بقوله وانت خير الغافرين وفصل سؤال الرحمة الى استدعاء الرحمة الدنيوية بقوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة والى استدعاء الرحمة الاخروية بقوله وفي الآخرة وتقرب اليه تعالى في تحصيلها بقوله انا هدنا اليك فلما كان حاصل مسألته دفع العذاب وتحصيل الرحمة الدنيوية والاخروية اجابه تعالى بقوله عذابى اصيب به من اشاء فكأنه قيل اما حدبث العذاب فيتعلق بمشيئتى لاقدرة لأحد على دفعه ولا اعتراض علىّ واما الرحمة الدنيوية فهى عامة للمؤمن والكافر والبر والفاجر واما الاخروية فمخصوصة بالموصوفين بالتقوى وايتاء الزكاة والايمان بجميع الآيات ومتابعة الرسول النبى الامىّ صلى الله عليه وسلم وهذه الاوصاف انما تجمع في الموجودين في زمان نبوته عليه الصلاة والسلام ممن آمن به من بنى اسرآئيل كما اشار اليه المصنف بقوله خاصة منكم يابنى اسرآئيل فان قوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انما يتحقق في حقهم واما من كان وجودهم قبل زمان نبوته عليه الصلاة والسلام فان اتباعهم لا يمكن قبل وجوده وبعثته * فان قيل الرحمة الاخروية لو اختصت ببنى اسرآئيل الموجودين في زمانه عليه الصلاة والسلام لزم ان لاتثبت لغيرهم من المؤمنين وليس كذلك * فالجواب ان هذا الاختصاص ليس معناه ان الرحمة الاخروية لاتتجاوز الى غيرهم اصلا بل المراد باختصاصها بهم بحسب الاضافة والنسبة الى طائفة اخرى وهي من لم يؤمن به عليه الصلاة والسلام من بنى اسرآئيل الموجودين في زمانه * فان قيل الضمير في قوله تعالى فسأكتبها راجع الى الرحمة المذكورة والرحمة المذكورة هي الرحمة العامة الوسعة كل شئ وكيف تختص بجماعة معينين * والجواب ان الرحمة المذكورة هي الرحمة المطلقة التى اخبر عنها بانها عامة في الدنيا مختصة في الآخرة وانما ذكر اختصاص الرحمة بهذه الطائفة في جواب موسى ليتخلص من قصته الى ذكر سيد المرسلين ومدحته وانه من التخلصات الفائقة والتلفيفات الرآئقة ولاسيما قد عقبه بقوله فالذين آمنوا به وعزروه وقوله قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا * فان قيل ان موسى عليه السلام دعا لنفسه ولبنى اسرآئيل بالمغفرة والرحمة * والجواب بأن العذاب لجماعة والرحمة لجماعة كيف يطابق دعاءه عليه الصلاة والسلام * قلت انه مطابق له على وجه يشتمل على ترهيب بنى اسرآئيل وترغيبهم اما ترهيبهم فلأن قوله عذابى اصيب به من اشاء توبيخ لهم على كفرهم بآيات الله وطلبهم الرؤية جهرة وقد عرض بذلك اى بكفرهم بالآيات في قوله بآياتنا يؤمنون واما ترغيبهم فبقوله فسأكتبها لانهم لما سمعوا ان الرحمة الاخروية لمن آمن من اعقابهم بجميع آيات الله كان ترغيبا لهم في الايمان بالآيات والعمل الصالح واذا تقرر هذا ظهر كون مضمون الآية جوابا لدعاء موسى عليه الصلاة والسلام ﴿قوله بيان لما قبله﴾ وهو صلة الموصول يعنى قوله لا اله الا هو بدل من الصلة قبله وفيه بيان لها لان من ملك العالم كان هو الاله المنفرد بالالوهية فلا يكون له محل من الاعراب كالصلة وقوله يحيى ويميت بيان لقوله لا اله الا هو سيق لبيان اختصاصه بالالهية لانه لايقدر على الاحياء والاماتة الا الاله ﴿قوله وانما عدل عن التكلم﴾ فان مقتضى قوله انى رسول الله ان يقال فآمنوا بالله وبى الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر ليجرى عليه الصفات المذكورة فان الضمير لا يوصف ولا يوصف به والصفات المذكورة داعية الى الايمان اما كونه نبيا فظاهر واما كونه اميا فلما مرّ انه معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام ﴿قوله في خبط الضلالة﴾ اى في دآئرتها جمع خبطة بكسر الخاء وهي الارض التى يخبطها

(فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) لى (واتبعوا النور الذى انزل معه) اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذى اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي (يحيى ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامىّ الذى يؤمن بالله وكلماته) ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خبط الضلالة

الرجل لنفسه بأن يعلم عليها علامة بالخط ليعلم انه قد اختارها ليبنيها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة ﴿قوله والمراد بها الثابتون على الايمان﴾ في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ولم يزيغوا عن الحق كما زاغ عبدة العجل والذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقيل المراد بها الذين ادركوا نبينا عليه الصلاة والسلام من بني اسرآئيل وآمنوا به كعبد الله بن سلام وابن صوريا ونحوهما واورد عليه انهم كانوا قليلين في العدد ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل المراد بها قوم وراء الصين وذلك ان بني اسرآئيل لما كفروا وقتلوا انبياءهم وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم سربا في الارض وجعل امامهم المصابيح تضيء لهم بالنهار فاذا امسوا ونزلوا اظلم عليهم السرب فاذا اصبحوا اضاءت لهم المصابيح ومعهم نهر من ماء يجري واجرى الله تعالى عليهم ارزاقهم فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين الى ارض باقصى المشرق طاهرة طيبة فنزلوا وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوام لا يضر بعضهم بعضا من اجل انه ليست لهم ذنوب وهم متمسكون بالاسلام لا يعصون الله تعالى طرفة عين تصافحهم الملائكة فهم في منقطع من الارض لا يصل احد منا اليهم ولا منهم الينا وانهم كبني اب واحد ليس لاحدهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون * روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ليلة المعراج اني احب ان ارى القوم الذين اثنى الله عليهم فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون * فقال ان بينك وبينهم مسيرة ست سنين ذاهبا وست سنين راجعا ولكن سل ربك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأمن جبريل عليه السلام فأوحى الله الى جبريل ان اجبه الى ما سأل فركب البراق فخطى خطوات فاذا هو بين اظهر القوم فسلم عليهم وسألوه من انت فقال انا النبي الامي فقالوا انت الذي بشر بك موسى عليه الصلاة والسلام فمن معك قال اوترونه قالوا نعم قال هذا جبريل قال فرأيت قبورهم على ابواب دورهم قلت ولم ذلك قالوا اذا اجدر ان نذكر الموت صباحا ومساء قال ارى بنيانكم مستويا قالوا لئلا يشرف بعضنا على بعض ولئلا يسد احد على احد الريح والهوآء قال فاني لا ارى لكم قاضيا ولا سلطانا قالوا انصف بعضنا بعضا واعطينا الحق من انفسنا فلم نحتج الى قاض ينصف بيننا قال فاني ارى اسواقكم خالية قالوا نزرع جميعا ونحصد جميعا فيأخذ كل رجل منا ما يكفيه ويدع الباقي لاخيه قال فاني ارى هؤلاء القوم يضحكون قالوا مات لهم ميت فيضحكون سرورا بما قبض عليه من التوحيد قال فما لهؤلاء القوم يبكون قالوا ولد لهم مولود فهم لا يدرون على اي دين يقبض قال فاذا ولد لكم ذكر فماذا تصنعون قالوا نصوم لله شكرا شهرا قال فالانثى قالوا نصوم لله شكرا شهرين قال ولم قالوا لان موسى عليه الصلاة والسلام اخبرنا ان الصبر على الانثى اعظم اجرا من الصبر على الذكر قال أفتزنون قالوا وهل يفعل ذلك احد لو فعل ذلك احد حصبته السماء من فوقه وخسفت به الارض من تحته قال أفتربون قالوا انما يربي من لا يؤمن برزق الله قال أفتمرضون قالوا لا نمرض ولا نذنب انما يذنب امتك فيمرضون ليكون ذلك كفارة لذنوبهم قال اولكم سباع وهوام قالوا نعم تمر بنا ونمر بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم شريعته والصلوات الخمس وعلمهم الفاتحة وسورا من القرآن قيل انهم كانوا يسبتون فأمرهم ان يتركوه وان يجمعوا وقيل انهم قالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا فقال من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله فانه متضمن معنى صير﴾ يعني ان قطع انما يتعدى الى واحد فان بقي على اصل معناه يكون انتصاب اثنتي عشرة بالحالية لا بالمفعولية لانه حال من مفعول قطعناهم اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وان جعلناه متضمنا معنى صير يكون مفعولا ثانيا له ﴿قوله وتأنيثه﴾ يعني ان اثنتي عشرة سواء جعل مفعولا ثانيا لصيرناهم او حالا من مفعول قطعناهم عبارة عن قوم موسى فحقه ان يقال اثني عشر الا انه انث اسم عددهم نظرا الى ان القوم في معنى الامة او القطعة وتمييز اثنتي عشرة محذوف حذف للعلم به تقديره اثنتي عشرة امة او فرقة واسباطا بدل من ذلك التمييز وانما قلنا ان التمييز محذوف ولم نجعل اسباطا تمييزا له لوجهين الاول ان الاسباط لو كان تمييزا لكان العدد مذكرا لان الاسباط جمع سبط وهو مذكر فكان ينبغي ان يقال اثني عشر اسباطا والثاني ان تمييز احد عشر الى تسعة عشر يكون مفردا منصوبا واسباطا جمع فلا يصلح ان يكون تمييزا له ويجوز ان يكون اسباطا تمييزا له بناء على ان كل فرقة من الفرق المنقطعة من بني اسرآئيل ليس سبطا واحدا بل اسباطا لان السبط ولد الولد فلو قيل قطعناهم اثني عشر

(سبطا)

﴿ومن قوم موسى﴾ يعني بني اسرائيل ﴿امة يهدون بالحق﴾ يهدون الناس محقين او بكلمة الحق ﴿وبه﴾ وبالحق ﴿يعدلون﴾ بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به ﴿وقطعناهم﴾ اي قوم موسى وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم من بعض ﴿اثنتي عشرة﴾ مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة ﴿اسباطا﴾ بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها ﴿امما﴾ على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا

سبطا لكان المعنى اثنى عشر ولد ولد وليس المراد ذلك بل المراد اثنتا عشرة قبيلة اسباطا فحذف ماهو المميز حقيقة وهو القبيلة واقيم صفته وهو اسباطا مقامه واعرب باعرابه والاسباط فى بنى اسرآئيل كالقبائل فى العرب وهو تعالى لما اخرجهم من ارض مصر وادخلهم البرية جعلهم اثنتى عشرة فرقة قبائل شتى ليكون امر كل سبط متميزا من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى فيما يحتاج اليه من تعرف احوالهم ويسهل عليه جمعهم ويعلم كل فريق مرجعهم فى امورهم وانحصار الفرق فى اثنتى عشرة فرقة لانهم كانوا من اثنى عشر رجلا من اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام فأنعم الله عليهم بهذا التقطيع والتمييز لتنتظم احوالهم ولئلا يتحاسدوا فيقع فيهم الهرج والمرج ثم ذكر ما انعم به عليهم فى التيه اذا احتاجوا الى مايشربونه قال المفسرون عطش بنوا اسرآئيل فى التيه فقالوا ياموسى من اين لنا الشراب فاستسقى لهم موسى اى سأل الله ان يسقيهم الماء فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس وكان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل امر أن يحمله معه وقيل كان يضعه فى مخلاته احتياطا من الفقدان لانه كان مأمورا بضرب حجر معين كذا فى الكشف فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فتفجر منه عيون لكل سبط عين ﴿قوله فانبجست﴾ يقال بجست الماء فانبجس اى فجرته فانفجر وبجس الماء بنفسه يبجس يتعدى ولا يتعدى فالانبجاس والانفجار سوآء وقيل الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروجه بكثرة فطريق الجمع بين هذه الآية وما فى سورة البقرة ان الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وقيل كان فى ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرة فكانوا اذا نزلوا وضعوا الحجر وجاء كل سبط الى حفرته فحفروا الجداول الى اهلها فذلك قوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم اى موضع شربهم ﴿قوله تعالى وما ظلمونا﴾ فيه اختصار لان هذا الكلام انما يحسن ذكره لو انهم تعدّوا ما امرهم الله به واصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم ومعلوم ان المكلف اذا ارتكب المحظور فهو ظالم لنفسه واشتقاق القرية من قريت اى جمعت والمقراة الحوض الذى يجمع فيه الماء ويقال لبيت النمل قرية لانه يجمع فيه النمل وسميت البلدة قرية لاجتماع اهلها فيها والمراد بالباب باب القرية وقيل باب القبة التى يتعبد فيها موسى وهرون وحطة فعلة من الحط كالردة من الرد والحط وضع الشئ من اعلى الى اسفل كوضع الحمل من ظهر الدابة والمراد بالحطة ههنا المغفرة وحط الذنوب وقيل انهم اصابوا خطيئة بابائهم على موسى دخول الارض التى فيها الجبارون ولاجل تلك الخطيئة تاهوا فى تلك المفازة اربعين سنة عقوبة لهم على ابائهم على موسى عليه الصلاة والسلام دخول مدينة الجبارين وكانت المفازة بحيث يتيه اى يتحير من سار فيها فأراد الله ان يغفر لهم فقال لهم قولوا حطة اى قولوا مسألتنا حط ذنوبنا عنا او أمرك حطة قال فى الكشف اى شأنك ياربنا ان تحط ذنوبنا وقيل معناه امرنا حطة اى نحط ونتزل فى هذه القرية ونقيم بها ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء﴾ اى المضمومة وفتح الفاء والباقون بالنون المفتوحة وكسر الفاء وقرأ ابو عمرو خطايا كم على لفظ قضايا كم من غير همزة وابن عامر خطيئتكم بالهمز ورفع التاء من غير الف على التوحيد ونافع كذلك الا انه على الجمع والباقون على الجمع وكسر التاء كذا فى التيسير ﴿قوله وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف﴾ اى حيث جئ به مرفوعا ولم يعطف على ما هو مجزوم جوابا للامر لانه لو عطف عليه مجزوما لتوهم ان اثابة المحسن مسببة عن امتثال ما امروا به كما ان مغفرة المسئ مسببة عنه وليس الامر كذلك بل الامتثال توبة للمسئ وموجب لمغفرته بخلاف اثابة المحسن فانها محض تفضل ﴿قوله فبدل الذين ظلموا منهم قولا﴾ فى الكلام حذف لان بدل يتعدى الى اثنين الى احدهما بالباء وهو المتروك والى الآخر بغير الباء وهو المأخوذ والتقدير فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غيره والظاهر ان الذى امروا به ان يقولوا لفظا يؤدى ما يؤديه لفظ حطة لا ان يقولوا هذه اللفظة بعينها والمراد انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به روى انهم قالوا حنطة مكان حطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمرآء استهزآء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب عفو الله ورحمته الى طلب مايشتهون من اعراض الدنيا ولو جاؤا بلفظ آخر يفيد معنى ما امروا به مثل ان يقولوا مكان حطة نستغفرك ربنا ونتوب اليك او اللهم اغفر لنا او ما اشبه ذلك لم يؤاخذوا به والرجز فى الاصل مايعاف وكذلك الرجس والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا ﴿قوله للتقرير والتقريع﴾ اى ليس المقصود من السؤال استعلام مالم يعلمه السائل لانه عليه الصلاة والسلام قد علم هذه القصة من قبل الله تعالى بالوحى بل المقصود ان يخاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يقرّوا بقديم كفرهم ومخالفة

﴿واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه﴾ فى التيه ﴿ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست﴾ اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته ﴿منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس﴾ كل سبط ﴿مشربهم وظللنا عليهم الغمام﴾ ليقيهم حرّ الشمس ﴿وانزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا﴾ اى وقلنا لهم كلوا ﴿من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾ سبق تفسيره فى سورة البقرة ﴿واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية﴾ باضمار اذكر والقرية بيت المقدس ﴿وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا﴾ مثل ما فى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له فى المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما ﴿نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس فى مقابلة ماامروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطايا كم ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ مضى تفسيره فيها ﴿واسألهم﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بماهو من علومهم التى لاتعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك معجزة لك عليهم

اسلافهم الانبياء بارتكاب المعاصي والمعنى قل لهم الم يكن كذا وكذا حتى يصدقوك ويفتضحوا بذلك ومع ذلك يتضمن هذا السؤال اظهار معجزة لهم فان الانسان قد يقول لغيره اليس الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير بانه عالم بتلك الواقعة غير غافل عنها فانهم كانوا يكتمون هذه القصة لما فيها من الشنعة عليهم فاطلع الله تعالى نبيه عليها لتكون من جملة معجزاته عليه الصلاة والسلام ولما كان عليه الصلاة والسلام رجلا اميا لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ومع ذلك ذكر هذه القصة على وجهها من غير تفاوت ولا زيادة ولا نقصان تعين انه عليه الصلاة والسلام انما عرف ذلك بالوحي فكان اخباره بذلك معجزة وبرهانا دالا على صدقه في دعوى النبوة ﴿قوله عن خبرها﴾ قدر المضاف لان المسؤول عنه ليس نفس القرية بل خبرها وما وقع باهلها وقوله تعالى اذ يعدون في السبت يجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة اي كانت حاضرة البحر وقت عدوانهم وتجاوزهم عما حد لهم من تعظيم يوم السبت وان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وفي تقييد العامل بتحقق مضمونه في ذلك الوقت اشارة الى ان القرية خربت بعد ذلك الوقت وجاز ان يكون منصوبا بالمضاف المقدر اي واسألهم عن خبر القرية اذ يعدون وجعله بدل اشتمال من ذلك المضاف محل بحث لان اذ لا تصرف فيها ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول كلمة من عليها لان البدل على نية تكرار العامل ولا تصرف فيها الا بان يضاف اليها بعض الظروف الزمانية نحو يومئذ كان كذا ﴿قوله وقرئ يعدون﴾ بفتح العين وتشديد الدال وهي تشبه قراءة نافع وهي تعدوا في السبت والاصل تعتدوا فادغمت التاء في الدال لقرب المخرج وقرئ يعدون بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال من اعد يعد اعدادا اذا هيأ فانه روي انهم كانوا مأمورين في يوم السبت بالعبادة فتركوها وهيأوا آلات الصيد ﴿قوله اذ تأتيهم ظرف ليعدون﴾ اي عدوا اذ اتتهم لان اذ لما مضى فيصرف المضارع الى الماضي ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ اي يؤيد كون السبت مصدرا امران الاول قراءة اسباتهم على لفظ المصدر والثاني قوله تعالى ويوم لا يسبتون اي ويوم لا يفعلون على يوم السبت من تعظيمه بترك الصيد والاشتغال بالعبادة فان يوم لا يسبتون في مقابلة يوم سبتهم ولا يسبتون من السبت الذي هو مصدر لا من السبت الذي هو اسم اليوم فيكون سبتهم ايضا مصدرا لتحقق مقابلة الفعل بترك الفعل يقال اسبتت اليهود اي دخلت في يوم السبت وسبتت اي قامت بامر سبتها وعملت فيه ما يعمل في السبت ويقال ايضا سبت علاوته سبتا اذا ضرب عنقه ومنه سمي يوم السبت لانقطاع الايام عنده والجمع اسبت وسبوت وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتجم يوم السبت واصابه برص فلا يلومن الا نفسه » ﴿قوله تعالى كذلك نبلوهم﴾ مستقبل بمعنى الماضي اي امتحناهم مثل هذا الاختبار الشديد بفسقهم وعصيانهم بالله فيكون تمام الكلام على هذا عند قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك وتكون الكاف في موضع النصب بنبلوهم اي بلوناهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الذي وقع بهم في امر الحيتان قال المفسرون ان اليهود امروا بتعظيم السبت وحرم عليهم فيه الصيد فاذا كان يوم السبت شرعت ودنت لهم الحيتان ينظرون اليها فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل بلاء ابتلوا به بفسقهم ومجاهرتهم بالمعاصي عقوبة لهم وروي عن الامام ابي منصور ابتلاهم الله تعالى بذلك النهي ليرى الخلق المطيع منهم والعاصي وان ذلك الامام نقل عن آخرين انهم قالوا ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السر ليكون فسقهم وتعديهم ظاهرا عند الخلق كما كان ظاهرا عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعد وقيل تمام الكلام عند قوله كذلك والمعنى ويوم لا يسبتون لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي تأتيه يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم بما كانوا يفسقون والكاف على هذا في موضع النصب بالاتيان اي لا تأتيهم مثل ذلك الاتيان وهو الاتيان شرعا وظاهر النظم يدل على ان الباء متعلقة بقوله نبلوهم الا ان المصنف جعلها متعلقة بيعدون نظرا الى ان كون الاعتداء بالفسق سببا لتعذيبهم بارتكاب ظلمهم واعتدائهم اقرب من كونه سببا للابتلاء بذلك البلاء ﴿قوله مخترمهم﴾ اي مستأصلهم ومطهر الارض منهم يقال اخترمهم الدهر وتخرمهم اي اقتطعهم واستأصلهم ﴿قوله قالوه مبالغة﴾ جواب عما يقال كيف يصح من الصلحاء ان يقولوا لم تعظون مع ان المتبادر منه ان يكون انكارا للوعظ والنهي عن المنكر واجب وانكار النهي عن المنكر معصية يبعد من الصلحاء ، وتقرير الجواب ان الصلحاء لم يقولوا ذلك انكارا لوعظهم وانما قالوه اما مبالغة في بيان عدم انتفاعهم بالوعظ او سؤالا عن علة موعظة قوم تمادوا في الاعراض عن القبول والاستخفاف بالوعظ والانهماك في الضلال حتى اشرفوا بذلك على ان يهلكهم الله تعالى

(عن القرية) عن خبرها وما وقع باهلها (التي كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون في السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون (امة منهم) جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم وهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (او معذبهم عذابا شديدا) في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم

او يعذبهم عذابا شديدا ثم بين انه يحتمل ان يقول ذلك بعض الصلحاء والمجتهدين فى الموعظة والنهى عن المنكر لبعض آخر وان يقوله من ارعوى وامتنع عن الموعظة بعد الاجتهاد البليغ فيها لمن لم يرعو منهم عنها فعلى الاول اهل القرية تكون فرقتين فرقة مذنبة صادوا السمك وفرقة صلحاء وعظوا الفرقة المذنبة ونهوهم وهذه الفرقة تفاوتوا فيما بينهم بذلك وعلى الثانى تكون اهل القرية ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقتان صالحتان اجتهد كل واحدة منهما فى موعظة الفرقة المذنبة ثم ان احدى هاتين الفرقتين ارعوت عن موعظة الفرقة المذنبة ليأسهم من القبول والاخرى لم ترعو عنها وقالت الفرقة الساكتة من هاتين الفرقتين للاخرى لم تعظون ﴿قوله وقيل المراد﴾ اى بقوله تعالى واذ قالت امة منهم اى قالت طائفة من الفرقة الهالكة للفرقة الصالحة حين وعظوهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم بزعمكم فعلى هذا تكون اهل القرية فرقتين فرقة مذنبة وفرقة واعظة وتجيب الفرقة المذنبة وعاظهم بأن يقولوا لم تعظون قوما الى آخرها الا ان كون القائلين هم الموعوظون المذنبون خلاف ظاهر قوله تعالى معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ولذلك ضعفه المصنف والمعذرة اسم مصدر وهو العذر وقيل انها بمعنى الاعتذار والعذر التنصل من الذنب اى التبرى منه قرأ العامة معذرة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اى موعظتنا معذرة وقرأ حفص عن عاصم بالنصب على انها مصدر فعل مقدر من لفظها اى اعتذرنا به معذرة او على العلة اى وعظناهم لاجل المعذرة ومعناه ان الامر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء العصاة عذرا الى الله تعالى ولعلهم يتقون الله ويتركون المعصية لان قبول الحق الواضح يرجى من الانسان ﴿قوله تركوا ترك الناسى﴾ يعنى قوله تعالى نسوا استعارة تبعية شبه تركهم عمدا ما وعظوا به بترك من تركه سهوا ونسيانا فاطلق عليه اسم النسيان استعارة تصريحية فاشتق منه نسوا وصير الى المجاز لتعذر الحمل على الحقيقة ﴿قوله بعذاب بئيس﴾ بفتح الباء وهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل رئيس اى بعذاب ذى بأس وهو الشدة وقرأ ابو بكر بيئس بفتح الباء وهمزة مفتوحة بعد الياء الساكنة وابن عامر بئس بكسر الباء وهمزة ساكنة بعدها على انه صفة على وزن فعل اصله بئس بفتح الباء وكسر الهمزة فخفف كما فى كبد وكتف بأن قيل كبد وكتف ونافع بيس بكسر الباء من غير همز مثل عيس على قلب الهمزة ياء او على انه فعل الذم نقل الى الاسمية فوصف به وقرئ بيس بتشديد الياء كميت وريس اصله بيئس قلبت همزته ياء وادغم الياء فى الياء وبيس بياء ساكنة على التخفيف كهين فى هين وبائس على فاعل ﴿قوله تكبروا عن ترك ما نهوا عنه﴾ فسر العتو بالتكبر والتمرد والعناد وفى جميع ذلك معنى الاباء والاباء عن المنهى عنه انما يكون بالاطاعة ومعلوم ان الاطاعة لكونها لا توجب العقوبة غير مراد ههنا فلذلك قدر المضاف والتكبر عن ترك المنهى عنه انما يكون بارتكابه الذى يوجب العقوبة ﴿قوله كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون﴾ يعنى ان قوله تعالى قلنا لهم كونوا قردة ليس المراد به انه تعالى كونهم قردة بقول وكلام سمع يدل على طلب التكوين لان حمل الكلام على الامر بعيد من حيث ان المأمور بالفعل يجب ان يكون قادرا عليه والقوم ما كانوا قادرين على ان يقلبوا انفسهم قردة وايضا الامر بالتكوين ان كان حال وجود المكون فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذ لا معنى لان يؤمر المعدوم بأن يوجد بنفسه بل المراد انه تعالى مسخهم قردة بتعلق قدرته وارادته بذلك الا انه اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بأن شبه تأثير قدرة الله تعالى فى المراد من غير توقف وامتناع ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف فاستعير قوله تعالى كونوا قردة من امر المطاع المطيع لتأثير قدرته فى المكون وليس ثمة قول ولا امر ولا مامور حقيقة ﴿قوله والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم اولا﴾ اى الظاهر ان العذاب البئيس المذكور اولا غير المسخ المذكور بعده وان القوم تمردوا مع نزول ذلك العذاب فمسخهم الله تعالى قردة بعد ذلك وان جاز أن يكون قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه تكريرا للآية الاولى وتفصيلا لها ﴿قوله اى اعلم﴾ والمعنى اذكر يا محمد اذ أعلم الله اسلافهم على ألسنة انبيائهم انهم ان غيروا وبدلوا ولم يؤمنوا بالنبى الامى سلط الله عليهم العرب يقاتلونهم الى ان يسلموا او يعطوا الجزية كذا فى التيسير فضمير عليهم على هذا ينبغى ان يرجع الى من وجد فى عصره عليه الصلاة والسلام يعنى ان تأذن مثل توعد بمعنى اوعد الا ان الايذان قد يراد به التبيين والاعلام لغير وهو قوله اى اعلم وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال تأذن ربك اى قال ربك وقد يراد به العزم على الامر وتصميم النية الجازمة القاطعة كقوله «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» اى لمن يقطعه بالنية وعزم الله تعالى على الامر

وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك (فلما نسوا) تركوا ترك الناسى (ما ذكروا به) ما ذكرهم به صلحاؤهم (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة امر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم (واذ تأذن ربك) اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله

واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ﴿ليبعثن عليهم الى يوم القيامة﴾ والمعنى واذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿من يسومهم سوء العذاب﴾ كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ﴿ان ربك لسريع العقاب﴾ عاقبهم فى الدنيا ﴿وانه لغفور رحيم﴾ لمن تاب وآمن ﴿وقطعناهم فى الارض امما﴾ وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال ﴿منهم الصالحون﴾ صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ﴿ومنهم دون ذلك﴾ تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات﴾ بالنعم والنقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه ﴿فخلف من بعدهم﴾ من بعد المذكورين ﴿خلف﴾ بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورثوا الكتاب﴾ التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها ﴿يأخذون عرض هذا الادنى﴾ حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو او من الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى فى الحكومة على تحريف الكلام والجملة حال من الواو ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون ﴿وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ حال من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه

عبارة عن تقرر ذلك الامر فى علمه وتعلق ارادته بوقوعه فى الوقت المقدر له مجرعن الارادة الجازمة والقصد المستحكم بالايذان لما فيه من معنى ايذان المريد نفسه بفعل ما اراده لما شرح الله تعالى بعض فضائح اعمال اليهود وقبائح افعالهم ذكر فى هذه الآية انه تعالى حكم عليهم بالذل والصغار وفرقهم فى اطراف الارض ونواحيها ولم يجعل منهم ملكا يجتمعون عنده ويحتمون به عن قهر من يعاديهم واستمر ذلك عليهم الى يوم القيامة ﴿قوله الى يوم القيامة﴾ متعلق بقوله ليبعثن واللام فيه لام جواب القسم لان قوله واذ تأذن جار مجرى القسم من حيث دلالته على تأكيد الخبر المؤذن به وقوله ليسلطن على اليهود اشارة الى ان ضمير عليهم لا يرجع الى ما رجع اليه ضمير قوله فلما عتوا عما نهوا عنه لانهم قد مسخوا قردة ثم هلكوا بعد ثلاثة ايام ولم يبق لهم نسل حتى يضرب عليهم الذلة والصغار الى يوم القيامة بل هو راجع الى من اصر على اليهودية المغيرة المخترعة من بنى اسرآئيل * وقوله بعث الله عليهم بعد سليمان الخ يعنى ان يرجع الى ما يرجع اليه ضمير قوله واسألهم وهم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته وان اختاره الامام بناء على ان المقصود من هذه الآية تخويف اليهود الذين كانوا فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وزجرهم عن البقاء على اليهودية لانهم اذا علموا ابقاء الذل عليهم الى يوم القيامة انزجروا ولما اخبر الله تعالى فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام عن هذه الواقعة ثم شاهدنا ان الامر كذلك كان هذا اخبارا صدقا حقا عن الغيب وكان معجزا والخبر المروى فى ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول ولولا هذا التوجيه لكان ذلك الخبر الذى فرض صدقه مناقضا لهذه الآية فانهم فى وقت اتباعهم الدجال قد خرجوا من الذلة والقهر ﴿قوله وامما مفعول ثان﴾ ان جعل قطع بمعنى صير او حال ان بقى على اصل معناه ومنهم الصالحون صفة لامما او بدل منه فيكون مفعولا ثانيا او حالا من مفعول قطعناهم اى فرقناهم حال كونهم منهم الصالحون ﴿قوله تقديره ومنهم ناس﴾ اشارة الى ان منهم خبر مقدم ودون ذلك صفة موصوف محذوف وهو المبتدأ والتقدير ومنهم ناس او قوم دون ذلك ﴿قوله اى منحطون عن الصلاح﴾ ايماء الى ان ذلك اشارة الى الصلاح المدلول عليه بقوله الصالحون الا انه حينئذ لابد من تقدير المضاف ليصح المعنى اى ومنهم دون اهل ذلك الصلاح ليعتدل التقسيم ﴿قوله تعالى وبلوناهم﴾ اى عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بنحو النعم والخصب والعافية وبنحو الجدب والشدآئد لعلهم يرجعون عما هم عليه الى طاعة ربهم فان كل واحد من الحسنات والسيئات يدعو الى الطاعة اما الحسنات فللترغيب واما السيئات فللترهيب ﴿قوله مصدر نعت به﴾ يقال خلف فلان فلانا اذا كان خليفته وخلفه فى قومه خلافة اى قام مقامه فى تدبير احوال قومه والخلف والخلف بسكون اللام وفتحها فى الاصل مصدر كالطلب والضرب نعت به من جاء بعد احد يقال هو خلف سوء من ابيه وخلف صدق اذا قام مقامه الا ان الاول يستعمل فى الطالح الردئ والثانى فى الصالح السوى قال الشاعر

* ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب *

وقيل خلف بسكون اللام اسم جمع لخالف كركب لراكب وتجر لتاجر وقال الاخفش هما سوآء منهم من يحرك ومنهم من يسكن فيهما جميعا ﴿قوله والمراد به﴾ اى بالخلف الذين خلفوا من بعد اليهود الذين فرقهم الله تعالى فى الارض امما موصوفين بأن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ﴿قوله حطام هذا الشئ الادنى﴾ الحطام ما تكسر من اليبس فسر به العرض بفتح العين والراء والمراد به جميع متاع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر واما العرض بسكون الراء فما خالف العين اعنى الدراهم والدنانير عبر عن متاع الدنيا بالحطام لعدم بقائها وسرعة زوالها والادنى تذكير الدنيا والمعنى يأخذون عرض هذه الدنيا وانما ذكر لانه لم يذكر الموصوف من نحو الدار والحياة فكأنه جعله وصفا للشئ او المكان والمقام ﴿قوله وهو من الدنو﴾ وهو القرب سميت هذه الدار وهذه الحياة دنيا لدنوها وكونها عاجلة يقال دنوت منه دنوا اى قربت والدنى القريب واما الدنئ بمعنى الدون فهو مهموز يقال دنأ الرجل دناءة اى صار دنيأ خسيسا لا خير فيه * وقوله ورثوا الكتاب فى محل الرفع على انه نعت لخلف ويأخذون حال من فاعل ورثوا ويحتمل ان يكون يأخذون مستأنفا اخبر عنهم بذلك ﴿قوله وهو يحتمل العطف﴾ اى قوله ويقولون يحتمل ان يكون معطوفا على يأخذون وان يكون حالا من فاعله الا ان علماء المعانى صرحوا بأن الجملة الحالية ان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها ويجب

الاكتفاء بالضمير نحو لاتمنن تستكثر واجابوا عن قول من قال قمت واصك وجهه وقول من قال

* فلما خشيت اظافيرهم * نجوت وارهنهم مالكا *

بانه مبني على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فتكون الجملة اسمية فيصح دخول الواو واجاب بعضهم بان ماجاء فى النثر من نحو قمت واصك شاذ وماجاء فى النظم من نحو نجوت وارهنهم ضرورة فعلى هذا ينبغى ان يكون مراد من قال ان قوله ويقولون حال انه حال بتقدير وهم يقولون ﴿قوله والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال وكد الله عليهم فى التوراة ان لايقولوا على الله الا الحق فقالوا الباطل وهو ماأوجبوا على الله تعالى من مغفرة ذنوبهم التى لايتوبون منها وليس فى التوراة ميعاد المغفرة مع الاصرار على الذنب وقيل ذكر فى التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لايغفر الابالتوبة ﴿قوله عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير﴾ مع ان المعطوف خبرية والمعطوف عليه طلبية فكأنه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ونظيره قوله تعالى الم نربك فينا وليدا ولبثت معناه قد ربيناك ولبثت ويجوز كونه معطوفا على ورثوا فيكون قوله ألم يؤخذ معترضا بينهما ﴿قوله وقرأ نافع الخ﴾ اى انهم قرأوا افلاتعقلون بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة ووجه الخطاب التلوين والالتفات من الغيبة الى الخطاب فالمراد بالضمائر حينئذ شئ واحد ويحتمل ان يكون الخطاب لهذه الامة اى أفلاتعقلون انتم حال هؤلاء وتتعجبون من حالهم وعلى قرآءة الغيبة يكون الضمير جاريا على ماتقدم من الضمائر وقرأ العامة والذين يمسكون بالتشديد من مسك بمعنى تمسك فان فعل قد يكون بمعنى تفعل قال الامام الواحدى يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به وروى ابو بكر عن عاصم يمسكون مخففة وهو رديئ لانه لايقال امسكت بالشئ وانما يقال امسكت الشئ ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه قال عامة المفسرين نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب انتهى كلامه ﴿قوله على تقدير منهم﴾ يعنى ان الخبر الجملة لابد فيها من رابط يربطها بالمبتدأ وذلك الرابط اما ضمير محذوف اعتمادا على دلالة الفحوى عليه او الاسم الظاهر الموضوع موضع الضمير فان مقتضى الظاهر ان يقال انا لانضيع اجرهم الا انه وضع المصلحين موضع الضمير تنبيها على انه تعالى لايضيع اجرهم لاجل اصلاحهم ﴿قوله وافراد الاقامة﴾ اى بالذكر مع اندراجها فى التمسك بالكتاب فانها اعظم العبادات بعد الايمان للتنبيه على فضلها حتى كأنها ليست من جنس التمسك به تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات كما ذكر فى قوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال ونظائره مما يذكر فيه الخاص بعد العام ﴿قوله اى قلعناه ورفعناه فوقهم﴾ ذكر فعلين الاول منهما تفسير النتق وثانيهما هو الناصب لقوله فوقهم على الظرفية نقل الامام الرازى عن ابى عبيدة ان اصل النتق قلع الشئ من موضعه والرمى به يقال نتق مافى الجراب اذا رمى به وصبه وامرأة ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها كانها ترمى بأولادها رميا فمعنى نتقنا الجبل اى قلعناه من اصله وجعلناه فوقهم * وقال الامام الواحدى نتقنا الجبل فوقهم اى رفعناه باقتلاعه من اصله يقال نتقه ينتقه نتقا اذا قلعه من اصله فظهر بهذا ان قول المصنف اى قلعناه تفسير لقوله نتقنا الجبل وان الرفع غير داخل فى معنى النتق وان النتق من مقدمات الرفع وسبب لحصوله الا ان نتقنا لما لم يصلح ناصبا لقوله فوقهم ضمنه معنى فعل يمكن ان يعمل فيه وهو رفعنا او جعلنا كأنه قيل رفعنا الجبل فوقهم بنتقه وقلعه من مكانه فعلى هذا يكون فوقهم منصوبا بنتق لانه بمعنى رفع ﴿قوله واصل النتق الجذب﴾ يقال نتقت الغرب من البئر اى جذبته قيل الجبل هو الطور الذى سمع موسى عليه الصلاة والسلام وهو عليه كلام الله تعالى واعطى الالواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين فرسخا فى فرسخ وقيل هو الجبل الذى عند بيت المقدس قيل ان موسى لما اتى بنى اسرآئيل بالتوراة وقرأها عليهم وسمعوا مافيها من التغليظ كبر ذلك عليهم وابوا ان يقبلوا ذلك فأمر الله الجبل فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والاليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لاترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولاشجر ولاحجر الا اهتز فلذلك لاترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وحرك لها رأسه قال القشيرى رحمه الله فصارى كل من اتى جبرا ان ينكص على عقبيه طوعا كذلك اهل الكتاب لما قبلوا الكتاب باجبار التكليف مالبثوا حتى قابلوه بالتحريف ﴿قوله لانه لم يقع متعلقه﴾ اى ماعلق وقوع الجبل به

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) اى فى الكتاب (ان لايقولوا على الله الا الحق) عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بأن يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افترآء على الله وخروج من ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على ألم يأخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (أفلايعقلون) فيعلموا ذلك ولايستبدلوا الادنى الدنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة) عطف على للذين يتقون وقوله أفلايعقلون اعتراض او مبتدأ خبره (انا لانضيع اجر المصلحين) على تقدير منهم اووضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابوبكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لاناقتها على سائر انواع التمسكات (واذ نتقنا الجبل فوقهم) اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ماأظلك (وظنوا) وتيقنوا (انه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق

وهو عدم قبولهم ما فى التوراة حيث قبلوه وسجدوا على انصاف جباههم ﴿قوله اى اخرج من اصلابهم﴾ اى من اصلاب بنى آدم الصلبية قيل هم مائة وعشرون ولدا من صلب آدم عليه السلام كانت حوآء تلد كل سنة ولدين ابنا وبنتا اخرج من اصلابهم نسلهم ثم اخرج من اصلاب نسلهم ذرياتهم ثم اخرج من اصلاب تلك الذرية ذرية وهكذا حتى اخرج جميع من هو كائن الى يوم القيامة اخرج من ظهورهم كل نسمة تخرج من ظهر نسلا من نسل كما تتوالد الابناء من الآباء ولم يذكر ظهر آدم مع ان الذرية كما اخذت من ظهور بنى آدم اخذت من ظهر نفس آدم واخذ الميثاق من الجميع اعتمادا على انفهامه من الكلام كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ولم يذكر نفس فرعون لان فى الكلام دليلا عليه والمذكر انه تعالى اخذ ميثاق بنى اسرآئيل بنتق الجبل فوقهم وبما جعل لهم من دلائل السمع ودلائل العقل ذكر بعد اخذ الميثاق عليهم اخذ الميثاق على الكل تقريرا للحجة على جميع المكلفين والمصنف اشار الى هذا القول بقوله لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر الخ * قال الامام فى تفسير هذه الآية قولان مشهور ان الاول وهو مذهب المفسرين واهل الاثر انه تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة على ما ذكره المفسرون من الآثار الواردة فى هذا المعنى ثم قال والمعتزلة اطبقوا على انه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه واحتجوا على فساده بوجوه منها ان اخذ الميثاق لا يمكن الا من العاقل فلو اخذ الله الميثاق من اولئك لكانوا عقلاء ولو كانوا عقلاء واعطوا ذلك الميثاق حال عقلهم لوجب ان يتذكروا فى هذا الوقت انهم اعطوا الميثاق قبل دخولهم فى هذا العالم لان الانسان اذا وقعت له واقعة عظيمة مهيبة فانه لا يجوز مع كونه عاقلا ان ينساها نسيانا كليا بحيث لا يتذكر منها شيأ ومنها ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم وتلك الذريات المأخوذة من ظهور بنى آدم لا يكون كل واحد منها حيا فاهما عاقلا الا اذا حصل له قدر من البنية اللحمية والدمية واذا كان كذلك فمجموع تلك الاشخاص الذين خرجوا الى الوجود من اول تخليق آدم الى آخر قيام القيامة لا تحويهم عرصة الدنيا فكيف يمكن ان يقال انهم حصلوا بأسرهم دفعة واحدة فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام ومنها ان فائدة اخذ الميثاق اما ان تكون بأن يصير ذلك الميثاق حجة عليهم فى التمسك بالايمان فى ذلك الوقت او ان يصير ذلك حجة عليهم عند دخولهم فى دار الدنيا والاول باطل لانعقاد الاجماع على انهم بسبب ذلك القدر من الميثاق لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب والمدح والذم وكذا الثانى لانهم لما لم يذكروا ذلك الميثاق فى الدنيا فكيف يصير ذلك حجة عليهم فى التمسك بالايمان * ثم قال والقول الثانى فى تفسير هذه الآية قول اصحاب النظر وارباب المعقولات وهو انه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك بانهم كانوا نطفا فاخرجها الله تعالى وأودعها ارحام الامهات وجعلها علقا ثم مضغا حتى جعلهم بشرا سويا خلقا كاملا وكان ذلك فى ادنى مدة كما يموت الكل فيها عند النفخة الاولى ويحيى الكل فيها عند النفخة الثانية وكما انه تعالى علم آدم أسماء الاشياء كلها فيها ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من دلائل وحدانيته وغرائب صنعته فبالاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وان لم يكن هناك قول باللسان ونظيره قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وقول من قال قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورآئى ما خلانى ورآئى * وقول الشاعر ❁ امتلأ الحوض وقال قطنى ❁ ثم قال هذا القول الثانى لا طعن فيه البتة وانه لا ينافى صحة القول الاول * واجاب عن قول من قال لو صح القول بأخذ الميثاق لوجب ان يتذكره الانسان الآن بأن خالق العلم بالاحوال الماضية هو الله تعالى وهو فاعل مختار جائز ان لا يخلقه * واجاب عن قولهم ان اخذ الميثاق لا يمكن الا من العاقل بأن البنية ليست شرطا عندنا لحصول الحياة والعلم فان الجزء الذى لا يتجزأ قابل للحياة والعقل وعن قولهم ان ظهر آدم لا يسع لمجموعها بان هذا اذا قلنا ان الانسان عبارة عن الجواهر الفردة واما اذا قلنا ان الانسان هو النفس الناطقة وانه جوهر غير متحيز ولا حال فى المتحيز فالسؤال زآئل والمصنف لما جعل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه حال شئ بحال شئ آخر حيث شبه نصب ادلة الربوبية وتمكينهم من معرفة ربوبيته تعالى باشهادهم عليها وسؤالهم سؤال التقرير بقوله ألست بربكم اجاب بما له مدخل عظيم فى المعرفة والاقرار والتمسك والطاعة فيكون حجة عليهم فى التمسك بالايمان واخذ الميثاق بهذا المعنى المجازى قائم مقام الاقرار

﴿واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ﴿واشهدهم على انفسهم ألست بربكم﴾ اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل

ربوبيته تعالى واقرارهم بها واعطاؤهم الميثاق عليها قائم مقام تمكينهم من العلم بها وهذا التمكين القائم معهم في هذا العالم سبب تمكنهم من الاستدلال بمالهم من العقول المؤدية الى شهادتهم على الفائدة في اخذ الميثاق بانه تعالى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ونقل عن القرطبي ان القوم استدلوا بهذه الآية على ان من مات صغيرا دخل الجنة لاقراره في الميثاق الاول ومن بلغ لم يغنه الميثاق الاول شيأ بل يكون ذلك حجة عليه ان اخل بالتصديق والاقرار حيث ضيع تمكنه من ذلك بالنظر الصحيح فيمانصب له من دلائل الوهيته تعالى وربوبيته واقل تلك الدلائل انه تعالى اخرجهم من اصلاب آبائهم ونقلهم الى ارحام امهاتهم الى ان بلغوا بتقليب الاحوال عليهم من نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة الى ان كانوا كاملي العقل مستعدين للاستدلال بما شاهدوا من آثار صنع الله تعالى فيهم على ان لهم الها قادرا متفردا بالربوبية وكمال العلم والقدرة وهي الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها ليتمكن بها الانسان مماله وماعليه ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على ان اشهادهم بأن قال لهم ألست بربكم بطريق التمثيل وتنزيل دلالة الحال منزلة البيان بالمقال قوله تعالى قالوا بلى شهدنا اى اقررنا واعترفنا بانك ربنا والهنا لارب لنا غيرك ووجه الدلالة انه تعالى وان كان له ان يكلم عباده الا ان العقل السليم يأبى ان تتكلم الذريات المأخوذة من الاصلاب بلسان المقال لان كون تلك الذريات تامة الخلقة سوية الاعضاء يقتضي ان لايكون خلق الانسان من النطفة على سبيل الابتداء بل يجب ان يكون خلقا على سبيل الاعادة واجمع المسلمون على ان خلقه من النطفة هو الخلق المبتدأ وقوله تعالى شهدنا فيه قولان الاول انه من كلام الملائكة وذلك ان الذرية لما قالوا بلى قال الله تعالى للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا عليهم بالاقرار لئلا يقولوا يوم القيامة ما اقررنا وما علمنا ان لنا الها يجب اتباع امره فاسقط كلمة لا كما في قوله تعالى وألقى في الارض رواسي ان تميد بكم اى لئلا تميد بكم هذا قول الكوفيين وتقديره عند البصريين شهدنا كراهة ان تقولوا فقوله ان تقولوا متعلق بقول الملائكة شهدنا اى مفعول له على انه مفعول من اجله وكلام الذرية قد انقطع عند قولهم بلى فيحسن الوقف عليه والقول الثاني ان قوله شهدنا من بقية كلام الذرية وعلى هذا التقدير فقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين يكون مضمرا لانه لقوله واشهدهم على انفسهم اى واشهدهم على انفسهم بكذا وكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين وعلى هذا التقدير لايجوز الوقف على قوله شهدنا ايضا لان قوله ان تقولوا لما تعلق بماقبله وهو قوله واشهدهم لم يجز قطعه عنه ﴿قوله وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء﴾ اى بياء الغيبة على وفق ماسبق من قوله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا وقرأ الباقون بتاء الخطاب لانه قد جرى في الكلام خطاب وقوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون ﴿قوله لان التقليد عند قيام الدليل الخ﴾ بيان لوجه الزام الحجة بقوله ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ما نبهنا اليه او تقولوا انما اشرك آباؤنا على سبيل التقليد لاسلافنا ونحن لانذكر هذا الاقرار والميثاق وان تفكرنا وذلك انه تعالى لما اوضح دلائل وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به وابدع نوع الانسان على الفطرة السليمة التي يمكنون بها من معرفة الحق استدلالا بتلك الدلائل لم يتأت لهم ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولا ان يعتذروا بتقليد اسلافهم لان الادلة المنصوبة وتمكنهم من الاستدلال بها قائم معهم فلا عذر لهم في سلوك طريق الضلال اصلا ﴿قوله الحديث رواه عمر رضي الله عنه﴾ والحديث رواه الامام محيي السنة في المصابيح ومعالم التنزيل وهو ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم الآية قال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال عليه الصلاة والسلام « ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون » فقال رجل ففيم العمل يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار » قال المصنف في شرحه للمصابيح معنى الآية ان الله تعالى اخرج من اصلاب بني آدم نسلهم واشهدهم على انفسهم بأن نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وركب فيهم العقول والبصائر وجعلها مميزة بين الحق والباطل فنزل تمكينهم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل وخلق الاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقرار بها منزلة الاشهاد والاعتراف تمثيلا وتخييلا ونظيره قوله تعالى انما

ويدل عليه قوله (قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة) اى كراهة ان تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه بدليل (او تقولوا) عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة (انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذرا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) اى عن التقليد واتباع الباطل

قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وقول الشاعر * اذا قالت الانساع للبطن ألحق * وقوله * قالت له ريح الصبا قرقار * فان من البين الذى لا يشك فيه انه لا قول ولا خطاب ثمة وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى وظاهر الحديث لا يساعد هذا المعنى ولا ظاهر الآية فانه سبحانه وتعالى لو اراد ان يذكر انه استخرج الذرية من صلب آدم دفعة واحدة لا على توليد بعضهم من بعض على ممر الزمان لقال واذ اخذ ربك من ظهر آدم ذريته والتوفيق بينهما ان يقال المراد من بنى آدم فى الآية آدم واولاده وكأنه صار اسما للنوع كالانسان والبشر والمراد بالاخراج توليد بعضهم من بعض على ممر الزمان واقتصر فى الحديث على ذكر آدم اكتفاء بذكر الاصل عن ذكر الفرع وقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث مسح ظهر آدم يحتمل ان يكون الماسح هو الملك الموكل على تصوير الاجنة وتخليقها وجمع موادها واسند اليه تعالى لانه هو الآمر به كما اسند التوفى اليه فى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والمتوفى لها هو الملائكة لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ويحتمل ان يكون الماسح هو الله تعالى ويكون المسح من باب التمثيل وقيل هو من المساحة بمعنى التقدير كأنه قال قدر ما فى ظهره من الذرية الى هنا كلام المصنف فى ذلك الشرح واشار بقوله فى هذا الكتاب وقيل الى ان تفسير الآية بما روى عن عمر رضى الله عنه من استخراج الذرية من ظهر آدم وتعيين بعضهم للجنة وبعضهم للنار لا يخلو عن ضعف اما اولا فلانه لا ميثاق فيه واما ثانيا فلأن ما فيه استخراج الذرية من ظهر آدم وما فى الآية استخراجهم من ظهور بنى آدم ﴿ قوله هو احد علماء بنى اسرائيل ﴾ عن ابن عباس انها نزلت فى البسوس وكان من قصتها ان رجلا من بنى اسرائيل كان قد اعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة يقال لها البسوس له منها اولاد فقالت اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فدعا لها فجعلت اجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات الثلاث كلها وقيل نزلت فى ابى عامر بن النعمان الراهب وكان ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به فقال عليه الصلاة والسلام جئت بالحنيفية دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام * قال فانا عليها قال عليه الصلاة والسلام لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين بان استعدوا بالقوة والسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآت بجند أخرج محمدا واصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى انتظارا لمجيئه فمات بالشام طريدا وحيدا فاستجاب الله دعاءه فى نفسه ﴿ قوله او بلعم بن باعوراء ﴾ وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام قصد بلده وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه حتى دعا عليه فاستجيب له ووقع موسى وبنوا اسرائيل فى التيه بدعائه فقال موسى يارب باى ذنب وقعنا فى التيه فقال بدعاء بلعم فقال يارب فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى ان ينزع منه اسم الله الاعظم والايمان فسلخه مما كان عليه ونزع منه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء وأخر المصنف هذا الوجه لان الظاهر ان احتباسهم فى التيه كان بقولهم انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وكيف يليق بموسى ان يدعو على بلعم بن باعوراء بزوال الايمان وكان يدعو الناس ليدعوهم الى الايمان ﴿ قوله حتى لحقه ﴾ على ان يكون اتبع مثل تبع متعديا الى واحد بمعنى ادركه ولحقه وهو مبالغة فى ذمه حيث جعل اماما للشيطان وفى الصحاح اتبعت القوم على افعلت اذا كانوا قد سبقوك فلحقتهم واتبعت ايضا غيرى يقال اتبعه الشئ فاتبعه قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته واردفته ﴿ قوله او الى السفالة ﴾ وهى الانحطاط الذى هو مقابل الرفع كان الدنيا مقابل لمنازل الابرار فان الدنيا ليست منازلهم لقوله عليه الصلاة والسلام اعبروها ولا تعمروها ﴿ قوله وانما علق رفعه بمشيئة الله ﴾ يعنى ان الظاهر ان يعلق رفعه بفعله الذى يستحق به الرفع مثل ان يقال لو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها اى بسبب تلك الآيات وملازمتها لان قوله بها افاد ان لزوم الآيات والعمل بها سبب لرفعه فيكون الرفع بالآيات معلقا بلزوم العمل بالآيات فكان الظاهر ان يعلق الرفع بفعل العبد الا انه علق بمشيئته تعالى تنبيها على ان السبب الحقيقى هو المشيئة حيث انها سبب

﴿ واتل عليهم ﴾ اى على اليهود ﴿ نبأ الذى آتيناه آياتنا ﴾ هو احد علماء بنى اسرائيل او امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله ﴿ فانسلخ منها ﴾ من الآيات بأن كفر بها واعرض عنها ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ حتى لحقه وادركه فصار قرينه او فقيل استتبعه ﴿ فكان من الغاوين ﴾ فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ﴿ ولو شئنا لرفعناه ﴾ الى منازل الابرار من العلماء ﴿ بها ﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿ ولكنه اخلد الى الارض ﴾ مال الى الدنيا او الى السفالة ﴿ واتبع هواه ﴾ فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة

للافعال الموجبة لرفع الدرجة وان الافعال المذكورة وسائط في حصول رفعها فكما يصح تعليق الرفع بالوسائط المعتبرة فيه يصح تعليقه بالمشيئة التي هي سبب لثبات الوسائط والافعال * ولما كانت كلمة لو تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره افاد الكلام انما رفعنا درجته لعدم ملازمته العمل بمقتضى الآيات وملازمة العمل لما كانت مسببة عن المشيئة كان عدم الملازمة دليلا على انتفاء سببه الذي هو المشيئة فلزم ان يكون انتفاء الرفع لانتفاء المشيئة ولذلك قال ولو شئنا لرفعناه الا ان اللائق حينئذ ان يستدرك بما يقال لكنا لم نشأ رفعه على استثناء نقيض السبب الحقيق اولكنه اعرض عن ملازمة الآيات والعمل بمقتضاها على استثناء نقيض السبب الظاهري فعدل عنه واوقع موقعه اخلد الى الارض لما ذكره من المبالغة والتنبيه ووجه المبالغة ان الاخلاد الى الارض كناية عن الاعراض عن الآيات والكناية ابلغ من التصريح * ومضمون الآية ولو شئنا رفع درجته لوفقناه للعمل بالآيات ورفعنا درجته بتلك الاعمال ولكنا لم نشأ منه ذلك فهذا يدل على ان الكائنات من الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيئة الله تعالى وهذه الآية من اشد الآيات على العلماء لانه تعالى لما خص هذا الرجل بآياته وبينانه وعلمه اسمه الاعظم وخصه بالدعوات المستجابة واتبع الهوى سلخه من الدين وصار في درجة الكلب وذلك يدل على ان من كانت نعم الله عليه اكثر اذا اعرض عن متابعة الهدى واتبع الهوى كان بعده عن الله اعظم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله * من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا * وقال عليه الصلاة والسلام * ماذئبان جائعان ارسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والسرف في دينه * قيل كان سبب انسلاخه عنها اطاعته امرأته واخذه الحطام من اهل زمانه ولا شيء اضر بالعالم منهما ﴿ قوله ادلاع اللسان ﴾ بالدال المهملة يقال دلع لسانه فاندلع اي اخرجه فخرج ودلع لسانه اي خرج يتعدى ولا يتعدى والتمثيل واقع موقع لازم التركيب يعني قوله تعالى فمثله واقع موقع قوله فحططناه ابلغ حط ووضعنا منزلته الذي هو لازم مدلول قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فان مدلوله انا لم نشأ رفعه ونفي مشيئة الرفع يلزمه نفي الرفع ووضع المنزلة اقيم التمثيل المذكور مقام هذا اللازم للمبالغة في الحط فان في تمثيله بالكلب حطا وفي تمثيله في اخس احواله زيادة حط مع ان تصوير المعقول بصورة المحسوس ابلغ في بيانه لان الفة العامة بالمحسوس اتم واكمل وادرا كهم له اتم واشمل قيل في وجه التمثيل ان كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء او عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث في كل واحدة من حالتي الاعياء والراحة وحالتي العطش والري فان ذلك عادة له وطبيعة وهو مواظب عليه لطبيعة الخسيسة لا لاجل حاجة وضرورة فكذلك من آتاه الله العلم والدين واغناه الله عن التعرض لاوساخ اموال الناس اي طلب الدنيا والقاء نفسه فيها كان حاله كحال ذلك اللاهث حيث واظب على الحالة الخسيسة والعمل القبيح لمجرد اتباع نفسه الخبيثة وطبيعته الخسيسة لا لاجل الحاجة والضرورة وقيل ايضا ان العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا بان يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها فلا شك انه عند ذكر تلك الكلمات وتقرير العبارات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن في قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذي يخرج لسانه ابدا لمجرد الطبيعة الخسيسة سواء دعته الى ذلك حاجة وضرورة ام لا ثم انه تعالى لما مثل حال من اوتي الآيات والبينات وعلم الاسم الاعظم وخص بالدعوات المستجابات بحال الكلب اللاهث في كل حال عم بهذا التمثيل جميع المكذبين بآيات الله فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وذلك اشارة الى صفة الكلب ويجوز ان يشار به الى المنسلخ من الآيات او الكلب على ان يكون اداة التشبيه محذوفة من ذلك اي صفة المنسلخ او صفة الكلب مثل الذين كذبوا ﴿ قوله فانها نحو قصتهم ﴾ اي فان قصة بلعم نحو قصة اليهود فان بلعم بعدما اوتي آيات الله انسلخ منها ومال الى الدنيا حتى صار كالكلب كذلك اليهود بعدما اوتوا التوراة المشتملة على نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به انسلخوا مما اعتقدوا في حقه وكذبوه وحرفوا اسمه فصدروا مما يؤلون اليه حال بلعم ﴿ قوله اي مثل القوم ﴾ يعني ان ساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز لذلك المضمر مفسر له وقد تقرر ان المخصوص بالذم لا يكون الا من جنس التمييز والتمييز مفسر للفاعل فهو هو فيجب ان يصدق الفاعل والتمييز والمخصوص على شيء واحد والقوم ههنا غير صادق على التمييز والفاعل فلذلك قدر المضاف المحذوف وهو المخصوص وجعل تقدير الكلام ساء مثلا مثل القوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ قوله وقرئ ساء مثل القوم ﴾ برفع مثل

(فمثله) فصفته التي هي مثل في الخسة (كمثل الكلب) كصفته في اخس احواله وهو (ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث) اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصتهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها (وانفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول

ومن يهد الله فهو ...

والافراد في الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي

تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان

لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) اي لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله (ولهم اعين لا يبصرون بها) اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (اولئك كالانعام) في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم اضل) فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار (اولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون في اسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه اولا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ما كانوا يعملون) وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه ايضا خلق للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال (بفعل)

مضافا الى القوم على انه فاعل ساء والموصول على هذا في محل الرفع على انه المخصوص بالذم فلابد من حذف المضاف ليتصادق الفاعل والمخصوص على شيء واحد والتقدير ساء مثل القوم مثل الذين اي صفتهم الخبيثة وهي تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها ثم انه تعالى لما وصف الضالين وعرف حالهم بالمثل المذكور بين بقوله من يهد الله فهو المهتدي الآية ان كل واحد من الهدى والضلال من الله تعالى وان هدايته تعالى تختص ببعض دون بعض فانها مستلزمة للاهتداء ولما كانت هذه التصريحات مخالفة لما تشتهيه انفس المعتزلة اضطربوا وذكروا في تأويل الآية وجوها كثيرة منها ما ذكره الجبائي وارتضاه القاضي وهو ان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب في الآخرة فهو المهتدي في الدنيا السالك طريقة الرشد فيما كلف فيتبين تعالى انه لا يهدي الى الثواب في الآخرة الا من هذه صفته ومن يضلله عن طريق الجنة فاولئك هم الخاسرون وهو ضعيف لانه قد حمل قوله من يهد الله على الهداية في الآخرة الى الجنة وقوله فهو المهتدي على الاهتداء الى الحق في الدنيا وذلك يوجب الركاكة في النظم بل يجب ان تكون الهداية والاهتداء راجعين الى شيء واحد حتى يكون الكلام حسن النظم ﴿ قوله والافراد في الاول ﴾ اي افراد ضمير من قوله تعالى فهو المهتدي وجمعه في قوله فاولئك هم الخاسرون لاعتبار جانب اللفظ في الاول وجانب المعنى في الثاني تنبيه على ما ذكر ﴿ قوله تعالى اولئك كالانعام ﴾ فان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا في منافع الحواس الباطنة والظاهرة وفي احوال التخيل والتوهم والتذكر ولا امتياز بين الانسان وسائر الحيوانات الا بحسب القوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فلما اعرض الكفار عن اعمال القوة العقلية والفكرية والتوسل بها الى معرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل والانسان اعطي القدرة على تحصيلها ومن يعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان اخس حالا ممن لا يكتسبها مع العجز ولان الانعام مطيعة لله تعالى والكافر غير مطيع لربه ولان البهائم اذا كان معها مرشد لا تضل والكفار تضل وان جاءهم الانبياء وانزل عليهم الكتب ثم انه تعالى لما وصف المخلوقين لجهنم بقوله اولئك هم الغافلون امر بعده بذكره تعالى فقال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وهذا كالتنبيه على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر الله والمخلص من عذاب جهنم هو ذكر الله واصحاب الذوق والمشاهدة يجدون من ارواحهم ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله واقبل على الدنيا وشهواتها وقع في نار الحرص وزمهرير البعد والحجاب واذا اجرى على قلبه ذكر الله تعالى ومعرفته تخلص من نيران الآفات ومن حسرات الحسران ﴿ قوله والمراد بها الالفاظ ﴾ اي الالفاظ الدالة على الباري تعالى روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة ان الله وتر يحب الوتر وهي هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس الى آخرها ﴿ قوله وقيل الصفات ﴾ فكأنه قيل ولله الاوصاف الحسنى مثل كونه عالما بعلم قديم وقادرا على كل شيء وخالقا لكل شيء ومريدا لكل كائن ونحو ذلك فان لفظ الاسم قد يطلق على ما يدل على معنى اي على معنى تام غير مقارن للزمان يقال طار اسمه في الآفاق اي انتشرت صفته ونعته دلت الآية على انه تعالى له اسماء حسنة وان الانسان لا يدعو الله الا بها وانها توقيفية لا اصطلاحية فانه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا فقيه يا عاقل يا طبيب قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال ومكروا ومكر الله ولا يقال في الدعاء يا مخادع يا مكار ويقال انه تعالى خالق كل شيء والله كل شيء ولا يقال يا خالق الخنازير والخبائث ويا اله القرود ومحقرات عالم الكون قال مقاتل رحمه الله ان رجلا من الصحابة دعا الله في صلاته ودعا الرحمن فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعو ربين اثنين فانزل الله تعالى هذه الآية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادعوا الله او ادعوا الرحمن رغما لانوف المشركين ايا ما تدعوا من هذه الاسماء فله الاسماء الحسنى ﴿ قوله سنستدنيهم ﴾ الاستدناء استفعال من الدنو وهو القرب اي سنقربهم الى الهلاك على التدريج في كتمان وخفية وقيل الاستدراج اتباع البر مع انساء الشكر قال عليه الصلاة والسلام « اذا رأيت الله انعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج » ثم تلا هذه الآية وقوله تعالى والذين مبتدأ وخبره الجملة الاستقبالية بعده ويحتمل ان يكون في محل النصب على الاشتغال

بفعل مقدر تقديره سنستدرج الذين كذبوا **قوله فخذا فخذا** اى قوما قوما وقبيلة قبيلة والفخذ فى العشائر اقل من البطن اولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ **قوله يهوت** اى يصوت يقال هيت به وهوت اى صاح به ودعاه عن قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحذرهم عقوبة الله ووقائعه فقام على الصفا ليلا وجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يابنى فلان يابنى فلان الى الصباح فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت الآية وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحى فيتغير وجهه الكريم ويصفر لونه المليح وتعرض له حالة شبيهة بالغشى والجهال كانوا يقولون انه مجنون فبين الله تعالى فى هذه الآية انه ليس بمجنون انما هو نذير مبين من رب العالمين وحثهم على التفكر فى امره عليه الصلاة والسلام ليعلموا انه انما دعا للانذار لا لما نسب اليه من الجنون والجنة حالة من الجنون كالجلسة والركبة ودخول من فى قوله من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون فان من كان شأنه الدعوة الى الله تعالى واقامة الدلائل القاطعة والبينات الباهرة بالفاظ فصيحة بلغت فى الفصاحة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الخلق طيب النفس مرضى الطريقة نقى السريرة مواظبا على اعمال حسنة صاربها قدوة لعقلاء العالمين كيف يتصور ان يكون فيه نوع من الجنة بل هو رحمة للعالمين ومعاه صاحبهم لانه نبيهم بصحبهم ويخالطهم وكلمة ما فى قوله مابصاحبهم يجوز ان يكون استفهامية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم اى اى شئ استقر بصاحبهم من الجنون وان تكون نافية حثهم على التكفر فى شأنه ومكارم اخلاقه اولا ثم ابتدأ كلاما آخر اما استفهام انكار او نفيا ثم قصره على الانذار المبين بطريق النفى والاستثناء تأكيدا لتكذيبهم ثم وبخهم على ترك النظر فيما يدل على صدقه وصحة مايدعوهم اليه من توحيد صانع العالم وعظم شأنه وكمال قدرته لتطمئن قلوبهم الى التصديق بنبوة الداعى فان النظر فى امر النبوة متفرع على النظر فى دلائل التوحيد وثبوت الصانع الحكيم والملكوت بمنزلة الملك وزيدت التاء والواو للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والملك السلطان وتقديره ملكوتا فى السموات والارض ثم اشار الى ان دليل التوحيد ليس مقصورا على السموات والارض بل كل ماوقع عليه اسم الشئ برهان باهر على التوحيد كما قيل ❁ وفى كل شئ له آية ❁ تدل على انه واحد ❁ فان كل ذرة من ذرات الكائنات مع كونها مساوية لسائر الذرات فى كونها جوهرا وذاتا متحيزة مخالفة لسائر الذوات فى اللون والشكل والطبع والطعم وسائر الصفات واختصاص كل واحدة منها بما يخصها من الصفات لابد له من مخصص ولابد ان تنتهى سلسلة المخصصات الى الواجب لذاته والا لدار او تسلسل **قوله وكذا اسم يكون** فيه انه يقتضى تكرار تقدير الشأن فى الآية فان التقدير حينئذ ان الشأن عسى ان يكون الشأن والاولى ان يقال ان يكون وقد اقترب تنازعا فى اجلهم ويمكن ان يقال رجح التكرار المذكور على التزام الاضمار قبل الذكر لانه لا يصار اليه الا لضرورة **قوله قبل مغافصة الموت** اى قبل اغتياله فجأة يقال غافصت الرجل اذا اخذته على غرة **قوله تعالى فبأى** متعلق بيؤمنون وهى جملة استفهامية سيقت للتعجب من تصميمهم على الكفر بعد الزام الحجة بنهاية البيان والتقرير اى اذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره والمراد من التعلق فى قوله وقيل هو متعلق التعلق المعنوى بمعنى ارتباط الكلام بما قبله لا التعلق الصناعى وكان لفظ التضعيف وهو قيل اشارة الى ان الاولى ان يجعل متعلقا بالتوبيخ المستفاد من مجموع قوله اولم ينظروا فى ملكوت السموات الآية **قوله كالتقرير** اى لضلالهم فانه تعالى لما ذكر تصميمهم على الكفر وتماديهم فى الضلال بين ههنا علة ضلالهم فقال من يضلل الله فلا هادى له ووجه الغيبة فى يذرهم ظاهر وهو اسناده الى ضمير الاسم الظاهر وهو اسم الجلالة ووجه التكلم الالتفات من الغيبة الى التكلم تعظيما للفعل ووجه الرفع الاستئناف اى وهو يذرهم او نحن نذرهم على حسب القرآءتين ووجه جزمه العطف على محل قوله فلا هادى له لان الجملة المنفية جواب الشرط فى محل الجزم فعطف على محلها والعمه التردد والحيرة **قوله او لسرعة حسابها** اى او لكون الحساب الواقع فيها يتم وينقضى فى ساعة واحدة لانه تعالى لا يشغله شأن عن شأن كأنه تعالى لما حثهم على الايمان والتوبة بقوله وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم تحذيرا لهم من مغافصة الموت قبل التوبة فان من مات فقد قامت قيامته وينكشف له مايستحقه من الثواب والعقاب سأل جماعة من اليهود وقيل من قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة فنزل قوله تعالى يسألونك عن الساعة تحقق فى القلوب ان وقت قيام الساعة مكتوم عن الخلق ليصير المكلف مسارعا الى التوبة واداء الواجبات فانه

(أولم يتفكروا مابصاحبهم) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (من جنة) من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) مما يقع عليه الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه (وأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) اى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله ومن يضلل الله وحمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسألونك عن الساعة) اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة (ايان مرساها) متى ارساؤها اى اثباتها واستقرارها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو من اويت اليه لان البعض آو الى الكل

(قل انما علمها عند ربي) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها لوقتها) لا يظهر امرها في وقتها (الا هو)

والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت في السموات والارض) عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة في اخفائها (لا تأتيكم الا بغتة) الا فجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسألونك كأنك حفي عنها) عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدي بعن وقيل هو صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل كأنك حفي من حفي بالشيء اذا فرح ومعناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي وانت تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار العبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب (الا ما شاء الله) من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء (ان انا الا نذير وبشير) وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله وجعل لكم من انفسكم ازواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب

(فلما تغشاها) اي جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة

(لان)

لو علم وقت قيامها لتقاصر عن التوبة وأخرها وكذلك اخفى ليلة القدر ليجتهد المكلف في العبادة ليالي الشهر كلها واخفى ساعة الاجابة من يوم الجمعة ليكون المكلف مجدا في الدعاء في كل اليوم وايان ظرف زمان بمعنى متى والمرسى ههنا مصدر ميمي بمعنى الارساء وهو الاثبات يقال رسا يرسو رسوا اي ثبت وارساه غيره ارساء ومرسى وايان مبتدأ خبره مرساها قيل اصله اي اوان فحذفت الواو على غير قياس ولم يعوض عنها شيء او قلبت الواو ياء على غير القياس فاجتمعت ثلاث ياآت فاستثقل ذلك فحذفت احداهن وبنيت الكلمة على الفتح لتضمنها معنى الاستفهام فصار ايان وقيل انه فعلان من اي لان معناه اي وقت زيدت الالف والنون على اي فصار ايان وقيل انه فعال من اين وانكره ابن جني وقال ايان سؤال عن الزمان واين سؤال عن المكان فكيف يكون احدهما مأخوذا من الآخر واصل اي اوي فعل من اويت اليه لان البعض آوال الكل مستند اليه قلبت الواو ياء وادغمت في الياء والرسو والارساء لا يستعملان الا في ثبوت الشيء الثقيل واثباته يقال رست السفينة وارسيتها كما قال تعالى والجبال ارساها ولما كان اثقل الاشياء على الخلق هو الساعة سمى الله تعالى وقوعها واثباتها بالارساء **قوله** لا يظهر امرها اشارة الى ان التجلية اظهار الشيء والتجلي ظهوره وقدر المضاف في قوله لا يجليها لانه تعالى قد كشف واظهر نفس قيام الساعة بدلائل قطعية ونصوص متعاضدة وليس المنفي الا اظهار امرها في حق وقتها وتعيينه والمعنى لا يعلم الوقت الذي فيه يحصل قيام الساعة الا الله سبحانه وتعالى **قوله** عظمت على اهلها اشارة الى ان المراد بثقل الساعة في السموات والارض ثقلها بالنسبة الى اهلها وان كلمة في بمعنى على كما في قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عظمت على اهلها خوفا من شدائدها وما فيها من الاهوال ومن جملة اهوالها فناء من في السموات والارض وهلاكهم وذلك ثقيل على القلوب وقيل المراد ثقلها بالنسبة الى نفس السموات والارض من حيث انها لا يطيقان مجيء الساعة بانشقاق السماء وتكور الشمس والقمر وانتثار النجوم وتزلزل الارض ورجفانها وتبدلها غير الارض المعهودة وبطلان الجبال والبحار **قوله** فعيل من حفي عن الشيء يعني ان حفي معناه الاصلي الحقيق استقصي في السؤال عنه وتعلمه باقصى ما يمكن ومن استقصى في تعلم الشيء وبالغ في السؤال عنه يلزمه ان يستحكم علمه فيه ويكون ماهرا في العلم به فلذلك كنى بقوله تعالى حفي عنها عن معنى عالم بها ولما ورد ان يقال لو كان الحفي بمعنى العالم لوجب ان يعدى بالباء فكيف قيل حفي عنها اجاب عنه بأن الحفاوة لما كان اصل معناها الاستقصاء في السؤال كان معنى السؤال ملحوظا في معناها الكنائي فعدي تعديته وقيل انما يرد الاشكال على تقدير ان تكون عنها متعلقة بقوله حفي وليس كذلك بل هي متعلقة بيسألونك وقوله كأنك حفي معترض بينهما وصلة حفي محذوفة وتقدير الكلام يسألونك عنها كأنك حفي بها **قوله** وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة عطف على قوله عالم بها الجوهري حفيت به بالكسر حفاوة وتحفيت به اي بالغت في الطافه واكرامه انتهى ومنه قوله تعالى انه كان بي حفيا اي بارا لطيفا يجيب دعائي فمعنى الآية يسألونك كأنك صديق لهم بار بهم وانت لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم وقيل هو فعيل من قولهم حفيت به حفاوة وتحفيت تحفيا اي فرحت به وبششت فالمعنى يسألونك كأنك حفي تسر وتفرح بالسؤال عنها والحال انك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه وعلى الوجوه كلها قوله تعالى كأنك حفي عنها في محل النصب على انه حال من مفعول يسألونك اي مشبها حالك بحال الحفي نظرا الى زعمهم واعتقادهم **قوله** لما نيط به علة لتكرير يسألونك وقوله للمبالغة اي في انكار سؤالهم علة لزيادة قوله كأنك حفي عنها وتكرير اللفظ لما نيط به زيادة فليس بتكرار في الحقيقة **قوله** والتبري من ادعاء العلم بالغيوب فان من لا يعلم نفعه في اي الاشياء ومضرته في ايها كيف يحصل عنده علم وقت قيام الساعة ونظيره قوله تعالى في سورة يونس ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله قيل لما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة بني المصطلق جاءت ريح في الطريق ففرت الدواب منها فاخبر عليه الصلاة والسلام بموت رفاعة بالمدينة وكان فيه غيظ المنافقين وقال عليه الصلاة والسلام انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي بن سلول الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف ناقته قال عليه الصلاة والسلام ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فانزل الله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا **قوله** وانما ذكر الضمير اي ضمير قوله ليسكن مع رجوعه الى النفس وقد انث ما هو عبارة عنها حيث قيل واحدة وجعل منها زوجها رعاية لجانب معنى النفس

لان المراد بها آدم عليه الصلاة والسلام ورعاية جانب المعنى فى اسناده فعل السكون والتغشى هو الانسب لان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى ويتغشاها فينبغى ان يتصور الساكن والتغشى بصورة المذكر لا بصورة الانثى واصل التغشى التغطية كنى به عن الجماع لان كل واحد من الرجل والمرأة لباس الآخر وساتره فانه اذا علاها فقد صار كالغاشى لها والحمل بفتح الحاء ما كان فى البطن وعلى رأس الشجر وبكسر الحاء ما حمل على ظهر الدابة وحملا فى الآية يجوز ان يراد به المصدر فينتصب انتصابه وان يراد به نفس الجنين فينتصب انتصاب المفعول به كقولك حملت زيدا ﴿ قوله فاستمرت به ﴾ اى ذهبت ودامت بذلك الحمل الخفيف كانت تجيء وتذهب وتقوم وتقعد وتمشى بسهولة من غير تعب وفى الصحاح مر عليه وبه يمر مرا اى اجتاز ومر يمر مرا ومرورا اى ذهب واستمر مثله وقرئ فمرت بتخفيف الراء وفيها وجهان احدهما ان اصلها التشديد ولكنهم كرهوا التضعيف فى حرف مكرر فخففوه وهذه كقراءة وقرن بفتح القاف اذا جعلناه من القرار والثانى انه من المرية وهو الشك اى فشكت بسببه أهو حمل ام مرض وقرئ فاستمرت وهى واضحة وقرئ ايضا فمارت بألف وتخفيف الراء من مار يمور اى جاء وذهب وتصرف فى كل وجه واصله مورت قلبت الواو ألفا فصار مارت ويجوز ان يكون فاعلت من المرية واصله ماريت قلبت الياء ألفا ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومتعلق الدعاء فى قوله دعوا الله محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه اى دعوا بان يؤتيهما ولدا صالحا ﴿ قوله اى جعل اولادهما ﴾ قدر المضاف وهو الاولاد فى موضعين والتقدير جعل اولادهما لله شركاء فيما آتى اولادهما دفعا للاشكال الوارد على ظاهر الآية فانه فسر النفس الواحدة بنفس آدم وفسر زوجها بحواء عليهما الصلاة والسلام فلو لم يقدر المضاف لزم نسبتهما الى الشرك وهما بريئان منه فقدر المضاف لدفع هذا الاشكال فيكون اول الآية فى حق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام كالكلام المعترض بين الكلام الوارد فى شرح احوال المشركين حكى الله تعالى للمشركين ان حواء لما اثقلت دعا آدم وحواء ربهما لئن اعطيتنا ولدا سويا صالحا فى الدين لنشكرن لك ووجه دعائهما بذلك ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى حين اخذ الميثاق على ذريته ان منهم السوى وغير السوى والتقى وغير التقى فسألا ان يكون هذا الولد تقيا سويا وقالا لئن آتيتنا صالحا سويا لنشكرن لك واعطاهما صالحا وشكرا لانهما ليسا بحيث يعد ان من تسميته بذلك ولا نفعلانه وتم الكلام ههنا ثم شرع فى توبيخ المشركين بقوله فلما آتاهما صالحا اى فلما اعطى من اولادهما من كان والداو والدة من اهل الشرك ولدا صالحا سوى الاعضاء جعل هذان الابوان لله شركاء فيما اعطاهما بأن سميا الاولاد بعبد العزى وعبد اللات ونحوهما وسجدا للاصنام شكرا على هذه النعمة وهذا التقرير احسن من تقرير المصنف فانه يشعر ان المضاف انما يقدر فى قوله جعلا وما بعده دون قوله فلما آتاهما صالحا ولا شك ان جعل الاولاد ليس فى ذلك الحين بل بعده بأزمنة متطاولة الا ان يقال كلمة لما ليست لزمان المتضايق بل هى لزمان الممتد فلا يلزم ان يقع مضمون الشرط والجزاء فى يوم واحد وشهر او سنة بل يختلف ذلك باختلاف الامور الواقعة فيه تقول لما ظهر الاسلام طهرت البلاد من دنس الشرك والالحاد ولما ركب السلطان قمع آثار الشر والفساد ﴿ قوله ويدل عليه ﴾ اى على حذف المضاف قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فانه يدل على ان الذين أتوا بهذا الشرك جماعة دون آدم وحواء وقوله بعده أيشركون ما لا يخلق شيأ فان المقصود منه الرد على من جعل الاصنام شركاء لله تعالى وهذا المقصود انما يحصل بتقدير المضاف ﴿ قوله وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ﴾ فان تسميته بعبد الحارث وان لم يكن شركا فى الحقيقة لان اسماء الاعلام لا تفيد معانيها اللغوية الا ان اتباع آدم لامر الشيطان مع نبوته وعلمه الكثير المدلول عليه بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التى حصلت له بسبب الزلة التى وقع فيها لاجل وسوسة الشيطان بعيد ممن جعله الله تعالى مسجود الملائكة وفضل عليهم لعلم ما لم تعلمه الملائكة فانه مع كثرة علومه كيف لا يتنبه لأن اسم الشيطان هو الحارث وكيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث أفضاقت الاسماء عليه حتى انه لم يجد سوى هذا الاسم مع انهم لا يغفلون الاعلام المضافة من الاسماء الى المعانى الاصلية وملاحظتها وهذا القدر من الحاجة كاف فى تقدير المضاف ﴿ قوله فاعطاهما اربعة بنين ﴾ اضاف اثنين الى صنميه مناف وشمس وواحدا الى نفسه وآخر الى داره التى هى دار الندوة واليه الزمخشرى هذا الاحتمال بقوله فى قصة ام معبد

❁ فيالقصى ما زوى الله عنكمو ❁ به من فخار لا يبارى وسؤدد ❁

روى انه عليه الصلاة والسلام خرج من مكة مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر رضى الله عنه ومولاه عامر بن

(مرت به) فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ مرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به (فلما اثقلت) صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون) يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فقبلت فلما ولدت سماه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبا من الله الولد فأعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما

مهيرة ودليلهما الليثى عبد الله بن ارقط فمرّوا على خيمتى ام معبد فسألوها لحما وتمرا ليشتروا فلم يصيبوا عندها شيأ وكان القوم مسنتين اى اصحاب قحط وجدب فنظر عليه الصلاة والسلام الى شاة فى جانب الخيمة فقال * ما هذه الشاة يا ام معبد * قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال * هل بها من لبن * قالت هى اجهد من ذلك قال * أتأذنين ان احلبها * قالت بأبى انت وامى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها فى شأنها فتفاجت عليه ودرّت واجترّت ودعا باناء يربض الرهط اى يرويهم فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء اى وبيص الرغوة ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيا وغادره عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد فلما رأى اللبن عجب وقال من اين لك هذا يا ام معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب فى البيت قالت لا والله الا انه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه لى فوصفته له قال هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من امره كذا وكذا ولقد هممت ان اصحبه ولأفعلنّ ان وجدت الى ذلك سبيلا فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه

جزى الله رب الناس خير جزآئه	رفيقين قالا خيمتى ام معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم	وقد فاز من امسى رفيق محمد
فيالقصىّ ما زوى الله عنكم	به من فعال لا يجارى وسؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها	فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرّة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب	يرددها فى مصدر ثم مورد

الضرّة اصل الضرع الذى لا يخلو من لبن وقيل هى الضرع كله ما خلا الاطباء جمع طبى بالضم وهى رأس الضرع وقوله الصريح اللبن اذا ذهبت رغوته وقوله فيالقصىّ اللام فيه للتعجب كما فى قولهم يا للماء وبالدواهى وقصىّ عبارة عن القبيلة والمعنى تعالوا يا قصىّ ليتعجب منكم فيما اغفلتموه من حظكم واضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجائكم اياه الى الخروج من بين اظهركم وما فى ما زوى الله عنكم استفهامية او موصولة اى اىّ شئ سلبه الله ومنعه عنكم به اى بسبب النبى صلى الله عليه وسلم وارتحاله من فعال لا يقابل ولا يعارض وقوله خيمتى نصب على الظرفية باجرآئه مجرى المبهم قيل الصوت صوت مسلم من الجن أقبل من اسفل مكة حتى خرج بأعلاها ﴿قوله وقرأ نافع وابو بكر شركا﴾ اى بكسر الشين وسكون الرآء وتنوين الكاف والباقون بضم الشين وفتح الرآء ومدّ الكاف مهموزا من غير تنوين جمع شريك والشرك مصدر بمعنى الشركة والمشركون لا ينكرون ان من آتاهما هو الله تعالى فى الحقيقة والاصالة فكان الظاهر ان يقال جعلا لغيره شركا اى شركة فيما آتاهما الا انهم لما اشركا فيه غيره تعالى فقد اثبتا لله تعالى شركة فيه لان الشركة تكون بين اثنين ويحتمل ان يكون الكلام مبنيا على تقدير المضاف اى ذوى شرك ﴿قوله جيئ به﴾ جواب عما يقال انه يعبر بلفظ هم عن العقلاء ولا يجمع بالواو والنون الا العقلاء فكيف قيل فى حق الاصنام وهم يخلقون واجاب بأن ذلك مبنى على اعتقاد الكفار فيها ما يعتقدونه فى العقلاء ﴿قوله اى المشركين﴾ تفسير للضمير المنصوب وضمير الخطاب للرسول والمؤمنين اى وان تدعوا انتم هؤلاء الكفار الى الايمان ولا يجوز ان يكون تدعوا مسندا الى ضمير الرسول فقط لانه حينئذ كان ينبغى ان يحذف الواو لاجل الجازم ﴿قوله وقرأ نافع بالتخفيف﴾ اى لا يتبعوكم بتخفيف التاء قيل هما لغتان ولهذا جاء فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام فمن تبع وفى موضع آخر فمن اتبع وقيل تبعه بمعنى اقتفى أثره واتبعه بالتشديد بمعنى اقتدى به ثم انه تعالى اكد مضمون هذه الشرطية بقوله سوآء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون ﴿قوله وانما لم يقل ام صمتم﴾ مع ان مقتضى القياس والشائع فى الاستعمال ان يذكر بعد همزة التسوية واختها الفعل ليؤوّل بالمصدر كما فى قوله تعالى سوآء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وحاصل الجواب الثانى فى محصول الجواب الاول واوضح ان المستوى ههنا هو احداث الدعاء والاستمرار على الصمات وذلك يقتضى ان يجعل قسيم احداث الدعاء ما يدل على الثبات على الصمات وهو الجملة الاسمية واما قلنا ان احداث المستمرين هنا الثابت على الصمات لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله تعالى دون اصنامهم لقوله تعالى واذا مسّ الناس ضرّ دعوا ربهم فكانت حالتهم المستمرة ان يكونوا

وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بأن اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيئ به على تسميتهم اياها آلهة (ولا يستطيعون لهم نصرا) اى لعبدتهم (ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها (وان تدعوهم) اى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لا يتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سوآء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون) وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوّى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوآئجهم فكأنه قيل سوآء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم

صامتين عن دعوة الاصنام فلذلك قيل ان دعوتموهم لم يكن فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ﴿ قوله من حيث انها مملوكة مسخرة ﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحسن وصف الاصنام بأنها عباد أمثالكم مع انها جمادات والعباد انما يطلق على الاحياء العقلاء * وتقريره انه عبر عنها بضمير العقلاء فى قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم وقيل ان الذين دون ان التى بناء على ان المشركين لما ادعوا انها تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا فيها كونها عاقلة فاهمة فلهذا وردت هذه الالفاظ على وفق اعتقادهم ﴿ قوله ويحتمل الخ ﴾ جواب آخر وتقريره ان هذا اللفظ ورد فى معرض الاستهزاء بهم وسيق على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فان ثبت ذلك فلا فضل لهم عليكم فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها آلهة وارباما ﴿ قوله ثم عاد عليه ﴾ اى ابطل ان يكونوا عبادا ببيان ان الانسان افضل بكثير من الاصنام بل لا نسبة لفضيلة الانسان الى فضيلة الاصنام البتة فكيف يكون الاخس الادنى الذى لا يحصل منه فائدة البتة لا فى جلب منفعة ولا فى دفع مضرة مثلا للافضل الاكمل فضلا عن ان يكون مستحقا لعبادة الافضل اياه ﴿ قوله وقرئ ان الذين ﴾ قرأ العامة بتشديد ان فالموصول محل النصب على انه اسم ان وعباد خبرها وقرئ بتخفيف ان ونصب عباد امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية نسبت ما الى الحجاز لان اهله يختصون باعمالها وهو مذهب الكسائى واكثر الكوفيين غير الفراء وسيبويه لا يعملها فيقول ان زيد منطلق برفع منطلق بناء على ان عمل ما نفسه ليس ضعيف وان التى بمعناها تكون اضعف * واورد على هذه القراءة انها تنفى كون الاصنام عبادا امثالكم والقراءة المشهورة تثبت ذلك ولا يجوز التناقض فى كلام الله تعالى * واجيب بأن القراءة الدالة على نفى المماثلة معناها ان الاصنام ادنى حالا واحقر من عابديها الذين هم اتم حالا واقدر على الضرر والنفع بالنسبة الى الاصنام فانها جماد لا تقدر على شئ اصلا فكيف يعبد الكامل من هو دونه فتكون هذه القراءة بحسب محصولها ومؤداها موافقة للقراءة المتواترة وادل على المعنى المقصود بطريق الاولى وقرأ العامة يبطشون بكسر الطاء على انه من باب ضرب يضرب وقرئ بضم الطاء وهما لغتان بمعنى والبطش الاخذ بقوة ﴿ قوله انتم ﴾ اى الجماعة المخاطبون بقوله كيدون قيل انهم كانوا يخوفونه عليه الصلاة والسلام بآلهتهم قائلين نخاف ان يصيبك بعض آلهتنا بسوء فقال تعالى قل ادعوا شركاءكم الآية يريد انى قد ذممت اصنامكم وسفهت عقولكم واحلامكم فاقصدونى بما شئتم من الكيد واستعجلوا فيه ولا تمهلوا فانى لا اخافكم ثقة بالله الذى هو المتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر ولا يقول مثل هذا الكلام الا الواثق بعصمة الله تعالى ﴿ قوله تعالى ان وليى الله ﴾ ثلاث ياآت الاولى ياء فعيل وهى ساكنة والثانية لام الفعل وهى مكسورة قد ادغمت الاولى فيها فصارت ياء مشددة والثالثة ياء الاضافة وهى مفتوحة والولى ههنا بمعنى الناصر والحافظ اضيف الى ياء المتكلم والمعنى ان الذى يتولى نصرتى وحفظى هو الله الذى اكرمنى بانزال القرآن واعطائه الى وايحاء الكتاب اليه يستلزم رسالته لا محالة وقوله وهو يتولى الصالحين تذييل وهو ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له وقوله اى ومن عادته مستفاد من اسمية الجملة ﴿ قوله من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم ﴾ جواب ما يقال من ان مضمون هذه الآية قد ذكر سابقا فما الفائدة فى تكريره * وتقرير الجواب انه ذكر اولا لتقريع عبدة الاصنام وذكر ههنا اتماما لتعليل عدم مبالاته بهم والفرق بين من يستحق المبالاة به ومن لا يستحقها ﴿ قوله يشبهون الناظرين ﴾ يعنى ان قوله تعالى ينظرون اليك استعارة تبعية شبه مقابلة الاصنام له عليه السلام بنظرها اليه اى يخيل اليك انهم ينظرون لان لها اعينا مصنوعة مركبة بالجواهر وهم غير ناظرين ومبصرين فى الحقيقة وكون الضمير المنصوب فى تراهم للاصنام يستدعى ان يكون المنصوب فى تدعوهم ايضا للاصنام فيكون الضمير المرفوع للمشركين والمعنى ايها المشركون ان تدعوا اصنامكم الى ان يهدوكم لا يسمعوا دعاءكم ويحتمل ان تكون الآية فى صفة المشركين والمعنى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا اى لا يقبلوا ذلك بقلوبهم فلا يجيبوكم وتراهم يا محمد ينظرون اليك بأعينهم وهم لا يبصرونك بقلوبهم ﴿ قوله اى خذ ما عفا لك ﴾ لما بين الله تعالى ان كيد المشركين لا يضره عليه الصلاة والسلام امره بمكارم الاخلاق الداعية الى الالفة والاتفاق فقال اقبل من الناس ما عفا لك من اخلاقهم وافعالهم اى تيسر وتسهل ولا تكلفهم الجهد اى المشقة من قولك اخذت حقى عفوا اى بسهولة قال اهل اللغة عفو المال ما فضل من النفقة وما اتى من غير كلفة قال الشاعر * خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورة حين اغضب * اى ولا تتكلمى فى سطوتى

﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿ عباد امثالكم ﴾ من حيث انها مملوكة مسخرة ﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ﴿ ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها ﴾ وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ واستعينوا بهم فى عداوتى ﴿ ثم كيدون ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم ﴿ فلا تنظرون ﴾ فلا تمهلون فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ﴿ ان وليى الله الذى نزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه ﴿ خذ العفو ﴾ اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد

او خذ العفو من المذنبين او الفضل و ما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق مايسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم مافيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما امر الله به ونهى عنه (فاذاهم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان (في الغي) بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين

واعتدائي حين الغضب، واعزاز الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم منها ما يجوز ادخال المساهلة والمسامحة فيه ومنها ما لا يجوز فيه ذلك والقسم الاول هو المراد بقوله تعالى خذ العفو واما القسم الثاني فالحكم فيه ان يؤمر بالعرف والعرف والمعروف ما استحسنه الشرع القويم والعقل السليم ولو اقتصر على الاخذ بالعفو في هذا القسم لأدى ذلك الى تغيير الدين وابطال الحق وانه لا يجوز ثم اذا امر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا السبب قال تعالى في هذه الآية واعرض عن الجاهلين وهو تحمل الاذى والعفو عمن جنى والحلم على من جفا فظهر بهذا ان هذه الآية مشتملة على مكارم الاخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس مع الغير ﴿قوله او الفضل﴾ اى او خذ ما عفا لك وفضل من اموالهم اى ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ما وراء ذلك ﴿قوله شبه وسوسته﴾ يعني ان قوله تعالى ينزغنك استعارة تبعية شبه اغراء الشيطان الناس على المعاصي بوسوسته بالنزغ والغرز واستعير له اسم النزغ ثم اشتق منه ينزغنك والاظهر هنا ان نزغ وغرز روى انه لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كيف اصنع يارب مع الظالم والغضب يحمل على الانتقام ومخالفة ما امرت به من مكارم الاخلاق فقيل له ان الغضب من نزغ الشيطان فاما ينزغنك الشيطان فاستعذ بالله جعل النزغ ملابسة الفعل بحيث صار جميع ماقام به من المعاني والاعراض ملابسا بذلك الفعل واما اصله ان الشرطية زيدت عليها ما لتأكيد وقوله تعالى انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة باللسان لا تفيد الا اذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى يقول اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع لمقالك واستحضر معناها في قلبك فاني عليم بما في ضميرك وقلبك ولم يتعرض المصنف لهذا الاحتمال ﴿قوله لمة منه﴾ اى عارضة من جهة الشيطان والذي من جهته لا يكون الا الوسوسة وطيف الشيطان لمته وهو الخاطر الشيطاني وطيف الخيال الصورة المتمثلة في محل القوة المتخيلة والاصل ان الطيف اسم بمعنى التخيل وارتسام الصورة المذكورة في محلها وطيفها زوالها فيه فالطيف مصدر قولك طاف به الخيال اى ألم به ونزل يطيف طيفا والطائف ما دار حول الشيء قال ابو عمرو الطائف ما يطوف حول الشيء وهو هنا ما طاف من وسوسة الشيطان والطيف اللمة والوسوسة وقيل الطيف والطائف بمعنى قال ابو الليث طائف الشيطان وطيف الشيطان ما يغشى الانسان من وساوسه وقال الفراء الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشيء الذي يلم بك ويجوز ان لا يكون الطيف مصدرا بل يكون مخففا من فيعل اصله طيف بتشديد الياء فحذفت عين الكلمة كما قيل في ميت وهين ﴿قوله والآية تأكيد وتقرير لما قبلها﴾ بناء على ان الخطاب في الآية المتقدمة وان كان للرسول صلى الله عليه وسلم الا ان حكمه يعم جميع المكلفين ﴿قوله الذين لم يتقوا﴾ صفة اخوان اشار به الى وجه رجحان كون ضمير اخوانهم للشيطان الذي اريد به الجنس فان كون اخوانهم مذكورا في مقابلة الذين اتقوا يؤيد كون المراد بالاخوان غير المتقين فالضمير المنصوب في يمدونهم يعود على غير المتقين والمرفوع يعود على الشيطان والتقدير واخوان الشيطان يمدهم الشيطان اى يمدهم في الغي يحملهم عليه واغوائهم فعلى هذا الوجه يكون الخبر جاريا على غير من هو له في المعنى لان الامداد مسند الى الشيطان في المعنى وهو في اللفظ خبر عن اخوانهم فان اخوانهم مبتدأ ويمدونهم خبر له اسند الى الشيطان والعائد الى المبتدأ ضمير المفعول كما في قولك جارية زيد يضربها الخبر من الجارية بفعل غيرها ولم يقل يضربها هو لان ابراز الضمير انما يجب في مثلها اذا كان الخبر صفة لا فعلا ﴿قوله اى وقرئ يمدونهم﴾ اى قرأ نافع يمدونهم بضم الياء وكسر الميم من الامداد والباقون يمدونهم بفتح الياء وضم الميم وهما لغتان بمعنى قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد ويستحب امددت على وزن افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وقوله وامددناهم بفاكهة وقوله أتمدونني بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ونمدهم في طغيانهم يعمهون لان الامداد انما جاء فيما يحمد وقد استعمل في الغي والوجه ههنا قراءة العامة وهي بفتح الياء ومن ضم الياء فقد استعمل ما هو للخير في ضده كقوله فبشرهم بعذاب اليم قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمده في الغي ويطول له الاغواء حتى يستمر عليه ﴿قوله ويجوز ان يكون الضمير﴾ اى في قوله لا يقصرون للاخوان كما جاز ان يكون للشياطين لانه يجوز ان يقال في حق كل واحد من الشيطان والاخوان انه لا يكف ولا ينتهي عما هو عليه من الاغواء والغي والاقصار الكف عن الشيء يقال اقصر فلان عن الشيء يقصر اقصارا اذا كف عنه وانتهى قال ابن عباس رضي الله عنهما اى ثم لا يفترون عن الضلال والاضلال اما الغاوي

فمن الضلال واما الغوى فمن الاضلال فعلى هذا ايضا ضمير لايقصرون يكون للاخوان والشياطين جميعا
﴿قوله ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين﴾ وبالضمير المجرور الذى اضيف اليه الاخوان الجاهلون
والمعنى والشياطين الذين هم اخوان الجاهلين يمدون الجاهلين فى الغى بحملهم عليه فعلى هذا يكون الخبر جاريا
على من هوله لفظا ومعنى حيث اخبر عن الشياطين بمعنى انفسهم ﴿قوله باية من القرآن او بما اقترحوه﴾ قيل
كان اهل مكة يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فلا يجيبهم انتظارا للوحى فربما يتأخر نزول الوحى عنه فيقولون
هلا افتعلتها وتقولتها وجئت بها من قبل نفسك كسائر ماتقرأه علينا لانهم كانوا ينكرون كون القرآن وحيا الهيا
ويقولون انه تقوله من عند نفسه وان هذا الا افك مفترى فاذا تأخر الوحى من زمان سؤالهم يقولون هلا اخترعت
شيأ تقرأه علينا من عند نفسك وما اقتدارك بابطاء الوحى عنك قال الفراء تقول العرب اجتبيت الكلام واختلقته
وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك وايضا كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام آيات معينة على سبيل التعنت
كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم أحى لنا فلانا الميت يكلمنا ويصدقك فيما تدعونا
اليه ونحو ذلك فربما لايأذن الله تعالى له فى اتيان ما اقترحوه فيقولون هلا اخترعت هذا الذى سألناك وأتيت به وانت
رسول زعمك ولابد للرسول من معجزة تطمئن بها قلوب الامة فهلا تأتينا بالمعجزة التى نطلبها منك بأن تطلب من الله
تعالى ان يخلقها على يديك ان كنت صادقا فى ان الله تعالى يقبل دعاءك ويجيب اقتراحك عليه ﴿قوله هلا جمعتها﴾
اشارة الى ان اجتباء بمعنى جمعه قال صاحب الكشاف اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كما يقال اجتمعه اى
جمعه لنفسه وقوله او هلا طلبتها اشارة الى ان الاجتباء بمعنى الاختيار الذى هو طلب الخير ﴿قوله بها يبصر
الحق﴾ اشارة الى ان البصائر جمع بصيرة وانها فى الاصل بمعنى الابصار المقابل للعمى وان لفظ البصائر يطلق على
الحجج والبراهين بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فانها اسباب لبصائر القلوب وادراكها والقرآن لاشتماله
على دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وجميع ماهو الحق والصواب من عقائد المكلفين وافعالهم واخلاقهم صار
سببا لبصيرة القلب وادراكه لتلك المطالب فوصف بانه بصائر وهادى الى الطريق المستقيم وسبب رحمة يرحم الله
تعالى من عمل به فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته ثم انه تعالى لما عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر الى آخره اردفه
بقوله واذا قرئ القرآن وقوله تعالى له متعلق بقوله استمعوا اى استمعوا لاجله والضمير للقرآن والانصات السكوت
للاستماع يقال نصت وانصت بمعنى واحد ﴿قوله نزلت فى الصلاة﴾ اى فى تحريم الكلام فيها قال قتادة كان
الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقى وكانوا يتكلمون فى الصلاة لحوائجهم فأنزل الله تعالى هذه
الآية وامرهم بالانصات فيها قال مجاهد وجب الانصات فى موضعين فى الصلاة والامام يقرأ وفى الجمعة والامام
يخطب ﴿قوله وهو ضعيف﴾ قال الامام الواحدى رحمه الله فى الوسيط ولاتدل الآية على ترك القرآءة خلف
الامام لان هذا الانصات المأمور به نهى عن الكلام فى الصلاة لاعن القرآءة او عن ترك الجهر بالقرآءة خلف الامام
كما روى عن ابن عباس انه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة المكتوبة وقرأ اصحابه وراءه رافعى
اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت هذه الآية وهذا قول ابى حنيفة واصحابه والعرب تسمى تارك الجهر منصتا وان كان
يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع احدا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام سمع ناسا يقرأون مع الامام
فلما انصرف قال امالكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ولما كان المقصود من الامر
بالانصات النهى عن الكلام فى الصلاة او عن الجهر بالقرآءة خلف الامام لم يكن فى الآية دلالة على النهى عن
قرآءة المأموم ومع هذا فحكم ظاهر الآية مرعى عند الامام الشافعى رحمه الله لان السنة عنده ان يسكت الامام
بعد فراغه من الفاتحة ليقرأ المأموم الفاتحة حال سكتة الامام وايضا عموم قوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا وان اوجب سكوت المأموم عند قرآءة الامام الا ان قوله عليه السلام «اذا كنتم خلفى فلا تقرأوا
الا بفاتحة الكتاب فانه لاصلاة الا بها» وقوله عليه الصلاة والسلام «لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» خص عموم
القرآن فانه يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة وذكر فى اللباب ان من اوجب القرآءة على المأموم قال الآية
فى غير الفاتحة ويقرأ الفاتحة فى سكتات الامام ولاينازع الامام فى القرآءة ﴿قوله ومتكلما كلاما﴾ اشارة الى ان
قوله دون الجهر صفة لشئ محذوف وذلك المحذوف حال معطوف على ماقبله ثم انه تعالى لما امر الامة بأن ينصتوا
ويستمعوا لقرآءة الرسول صلى الله عليه وسلم اردف ذلك الامر بأن امره عليه الصلاة والسلام فى هذه الآية بأن

ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع
الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على
من هوله (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن
او بما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا
جمعتها تقولا من نفسك كسائر ماتقرأه او هلا
طلبتها من الله (قل انما اتبع مايوحى الى
من ربى) لست بمختلق للآيات او لست
بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا
القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك
الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)
سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة
كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قرآءة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى
وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة
العلماء على استحبابهما خارج الصلاة
واحتج به من لايرى وجوب القرآءة على
المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك)
عام فى الاذكار من القرآءة والدعاء وغيرهما
او امر للمأموم بالقرآءة سرا بعد فراغ الامام
من قرآءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله
تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا
(ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما
فوق السر ودون الجهر فانه ادخل فى الخشوع
والاخلاص

{ بالغدو والآصال } بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو { ولا تكن من الغافلين } عن ذكر الله { ان الذين عند ربك } يعني ملائكة الملأ الاعلى { لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه } وينزهونه { وله يسجدون } ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

(سورة الانفال مدنية وهي)

(ست وسبعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ يسألونك عن الأنفال } اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه { قل الانفال لله والرسول } اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه

يذكر ربه في نفسه وان يذكره عارفا بمعاني الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعز والعظمة والكبرياء وذلك لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الا ترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعت واشتريت مع انه لا يعرف معاني هذه الالفاظ ولا يفهم منها شيأ فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذا ههنا * قال الامام سمعت ان بعض الاكابر من ارباب القلوب كان اذا اراد ان يأمر واحدا من المريدين بالخلوة والذكر امره اربعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه المدة وحصول التصفية التامة يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول لذلك المريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوي تأثره وعظم شوقه فاعلم ان الله تعالى انما يفتح ابواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا طريق حسن لطيف في هذا الباب * وكمال حال الانسان لما توقف على انكشاف عزة الربوبية وذلة العبودية امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يذكر ربه في نفسه متضرعا لان المقصود الاول انما يتم بقوله واذكر ربك في نفسك والمقصود الثاني انما يتم بقوله تضرعا وخيفة بكسر الخاء اصلها خوفة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهذا الخوف يتناول خوف التقصير في الاعمال وخوف الخاتمة وخوف السابقة فان ما يظهر في الخاتمة ليس الا ما سبق له الحكم في الفاتحة ولذلك كان عليه الصلاة والسلام * يقول جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة * **قوله باوقات الغدو والعشيات** اشارة الى ان الغدو جمع غدوة وهي ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والآصال جمع اصيل كيمين وايمان وهو الوقت بعد العصر الى المغرب والعشي والعشية من صلاة المغرب الى العتمة واضافة الاوقات اليهما بيانية وقوله تعالى بالغدو والآصال متعلق باذكر اي اذكر في هذين الوقتين وهي البكرات والعشيات وخص هذان الوقتان بالامر بالذكر لانه فيهما تتغير احوال العالم تغيرا عجيبا يدل على ان المؤثر فيه هو الاله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الكاملة فكل من شاهد هذه التغيرات ينبغي ان يذكر المؤثر فيها بالتضرع والابتهال والخوف من تحويل حاله الى سوء الحال فلذا خص الله تعالى هذين الوقتين بالامر بالذكر وقيل الغدو والآصال عبارة عن الليل والنهار والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان امره اولا بان يذكر ربه بلسانه على وجه يستحضر في نفسه معاني الاذكار التي يقولها بلسانه ثم اتبعه قوله ولا تكن من الغافلين للدلالة على ان الانسان ينبغي له ان لا يغفل قلبه عن استحضار جلال الله تعالى وكبريائه بقدر الطاقة البشرية ثم انه تعالى لما رغب رسوله صلى الله عليه وسلم في الذكر وفي المواظبة عليه ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك فقال ان الذين عند ربك مع غاية طهارتهم وعصمتهم من الكدورات الطبيعية الحاملة على الشهوة والغضب والغل والحقد والحسد لما كانوا مواظبين على العبودية والخضوع التام كان الانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الجسمانيات اولى بالمواظبة على الطاعات قدم من عبادة الملائكة ما هو من اعمال القلوب وهو التسبيح والتنزيه ثم ذكر ما هو من اعمال الجوارح تنبيها على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال الجوارح **قوله تعالى وله** متعلق بيسجدون قدم عليه ليفيد الحصر فانهم لا يسجدون لغير الله تعالى

(سورة الانفال مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وانما سميت الغنيمة وهي المال المأخوذ من الكفار قهرا نفلا واصل النفل الزيادة على اصل الشيء يقال لهذا على هذا نفل اي فضل وزيادة كذا في الكشف وسميت الغنائم انفالا لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وسميت التطوعات نافلة لكونها زائدة على الفرض الذي هو الاصل قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سأله وما شرطه الامام لمقتحم خطر لاشك انه زائد على اصل سهمه فوجه كونه نفلا ظاهر واسند يسألونك الى من لم يسبق ذكرهم وحسن ذلك ههنا لان السائل عن حكم الانفال كان معلوما متعينا حال نزول الآية وهم قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان لهم تعلق بالغنائم فلم يحتج في انصراف السؤال اليهم الى سبق ذكرهم **قوله ولهذا** اي ولاجل انه عليه الصلاة والسلام قسم غنائم بدر بين الشبان المسارعين الى القتل والاسر والشيوخ الثابتين في المصاف على السواء ولم يعط الشبان ما وعدلهم من النفل ذهب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه في احد قوليه الى ان الامام لا يلزمه الوفاء بما وعده وقال ابو حنيفة رضي

(الله)

الله تعالى عنه يلزمه الوفاء بما وعده ﴿قوله اى يسألك الشبان ماشرطت لهم﴾ وهو سؤال الاستعطاء كما فى قولك سألته درهما لاسؤال الاستعلام فانه يعدى بعن ﴿قوله الحال التى بينكم﴾ فسر به قوله تعالى ذات بينكم بناء على ان الامر الملابس بالشئ الواقع فيه يقال انه ذوالشئ كما يقال لمضمرات الصدور ذات الصدور ويقال اسقنى ذا انائك اى ما فى انائك من الشراب وذات بينكم هنا صفة لمفعول محذوف تقديره واصلحوا احوالا ذات بينكم واحتج بهذه الآية من ذهب الى ان ترك الطاعة يوجب زوال الايمان بناء على ان المعلق على الشئ بكلمة ان عدم عند عدم ذلك الشئ ﴿قوله فان الايمان يقتضى ذلك﴾ اى يقتضى الطاعة المذكورة باعتقاد حقية ماشرع من الاحكام التى من جملتها تسليم امر قسمة الغنائم الى الله ورسوله وان كان العمل بمقتضى الاعتقاد المذكور منوطا باختيار المكلف كانت المعصية بترك العمل غير منافية لاصل الايمان والذى ينافيه هو المعصية بترك الاعتقاد على تقدير ان يكون جواب الشرط مادل عليه قوله واطيعوا واما على تقدير ان يكون الجواب مادل عليه مجموع قوله فاتقوا الله واصلحوا واطيعوا فالمراد بالايمان حينئذ هو الايمان الكامل للعلم بأن اصل الايمان لايتوقف على التحلى بتلك الامور الثلاثة كلها ﴿قوله فزعت لذكره استعظاما له﴾ يعنى ان المراد من الوجل الذى هو الخوف والفزع ههنا هو الخوف المتفرع على مجرد ذكر الله تعالى وملاحظة عظمته وجلاله فان هذا الخوف لايزول عن قلب من ذكر الله تعالى عالما بنعوت جلاله وصفات كماله سواء كان ملكا مقربا اونبيا مرسلا اومؤمنا تقيا فان كل واحد منهم عند ذكر الله تعالى بلاحظ عظمة الله تعالى واستغناءه عن جميع ماسواه ويعلم احتياجه اليه فى جميع مهماته فلاجرم يهابه ويقشعر جلده وتغلب عليه الدهشة بحيث يكاد يفنى وجوده واما خوف العقاب فهو لايحصل من مجرد ذكر الله تعالى وانما يحصل بملاحظة معصيته وذكر قهر الله وعقابه واللائق بهذا المقام هو الحمل على خوف العظمة والجلال لانه اللازم لكمال الايمان وقال الامام اللائق بهذا الموضع ارادة خوف العقاب الذى هو وظيفة العصاة بناء على ان المقصود من هذه الآية الزام اهل بدر طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قسمة الانفال واشار المصنف الى ضعفه حيث قال وقيل هو الرجل يهم بمعصية الخ والقرآءة المتواترة وجلت بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى الغابر وفيه لغة اخرى قرئ بها فى الشاذة وجلت بفتح الجيم فى الماضى وكسرها فى الغابر فتحذف الواو فى المضارع كما فى وعد يعد وقرئ فرقت بكسر الراء * الجوهرى الفرق بالتحريك الخوف وقد فرق بالكسر تقول فرقت ولا تقول فرقتك ﴿قوله زيادة المؤمن به﴾ لالاجل ان الايمان بمعنى التصديق الجازم والاقرار يقبل الزيادة والنقصان فان التصديق وهو الاعتقاد الجازم الذى لايحتمل النقيض كيف يحتمل الزيادة وكذا الاقرار لايحتملها فالايمان المتعلق بشئ واحد لايحتمل التفاوت بالزيادة والنقصان ولكن يجوز تفاوت نفس الايمان بالقلة والكثرة على حسب قلة متعلقه وكثرته ولما كانت التكاليف متتابعة متعاقبة فى زمان نزول الوحى فعند نزول كل آية وحدوث كل تكليف وتصديق الامة بذلك يزداد تصديقهم بحسب النسبة على ماكان قبله فقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا آية جديدة اتوا باقرار جديد وكان ذلك زيادة فى الايمان والتصديق بحسب العدد مع كون كل واحد من آحاد ايمانهم باقيا بحاله لايزيد ولاينقص ﴿قوله او لاطمئنان النفس﴾ اى ويجوز ان يراد بقوله تعالى زادتهم ايمانا ان نفس تصديقهم يزداد ويتقوى بتظاهر الادلة قال النحرير المحقق والاصوب ان نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان لتفرق الظاهرين بين يقين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وارباب المكاشفات ويقين آحاد الامة ولهذا قال امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه لوكشف الغطاء ماازددت يقينا وكذا بين ماقام عليه دليل واحد من التصديقات وماقامت عليه ادلة كثيرة ومنعه الامام بأن الجزم الحاصل بسبب الدليل الواحد ان كان مانعا من النقيض يمتنع ان يصير التصديق الذى قام عليه الدلائل الكثيرة اقوى من الذى قام عليه دليل واحد وان كان غير مانع من النقيض لم يكن دليلا بل كان امارة ولم تكن النتيجة معلومة بل كانت مظنونة ﴿قوله صفة مصدر محذوف﴾ اى هم المؤمنون ايمانا حقا قال الفرآء تقدير الكلام اخبركم بذلك حقا اى اخبارا حقا ونظيره اولئك هم الكافرون حقا ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لمضمون جملة اسمية كقولك هو عبدالله حقا اى احقه حقا ويجوز على ضعف ان يكون مؤكدا لمضمون الجملة الواقعة بعده وهى قوله تعالى لهم درجات ويكون الكلام قدتم عند قوله هم المؤمنون ثم ابتدأ بقوله حقا لهم درجات وتقديم المصدر المؤكد لمضمون الجملة عليها مذهب ضعيف وصف الله

وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك الشبان ماشرطت لهم فيها (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (واصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول (واطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء من المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) زيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه امورهم ولايخشون ولايرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بأن ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقا

تعالى المؤمنين بخمسة اوصاف ثلاثة منها متعلقة بالباطن والقلب وهى الخشية والوجل من عظمة الله تعالى وجلاله
والانقياد لآيات الله تعالى واحكامه وعبر عنه بالاخلاص وان لايثق ولايعتمد فى امر من الامور الاعلى الله
عزوجل واثنان منها متعلقان بالظاهر وهما الصلاة والصدقة ولاشك ان هذه الاخلاق والاعمال القلبية والقالبية
لها تأثيرات فى تصفية القلب وفى تنويره بالمعارف الالهية ونيله الكرامات الربانية والمنازل العلية الروحانية
وان المؤثر كلما كان اقوى واكمل كانت الآثار اقوى واكمل وكلما كان المؤثر اضعف كانت الآثار اضعف وادنى
ولما كانت هذه الاخلاق والاعمال لها درجات ومراتب مختلفة كانت الآثار المترتبة عليها من المعارف
والكرامات والمنازل الروحانية متفاوتة ايضا وذلك هو المراد بقوله تعالى لهم درجات عند ربهم والثواب الحاصل
فى الجنة ايضا مقدر بمقدار هذه الاحوال فثبت ان مراتب السعادات الروحانية قبل الموت وبعد الموت ومراتب
السعادات الحاصلة فى الجنة كثيرة مختلفة فلهذا قال تعالى لهم درجات عند ربهم * فان قيل أليس ان المفضول
اذا علم حصول الدرجات العالية للفاضل وحرمانه منها فانه يتألم قلبه وينغص عيشه وذلك مخل بكون الثواب
رزقا كريما * فالجواب ان استغراق كل احد فى سعاداته الخاصة به يمنعه من حصول الحقد والحسد وبالجملة فاحوال
الآخرة لاتناسب احوال الدنيا الا بالاسم ﴿قوله هذه الحال فى كراهتهم اياها﴾ اى كون الانفال
لله ورسوله مثل اخراجك فى استثقالهم كل واحد منهما روى انه عليه الصلاة والسلام لما رأى كثرة المشركين
يوم بدر وقلة المسلمين قال « من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا » ليرغبهم فى القتال فلما انهزم
المشركون وطلب الشبان المسارعون نفلهم قال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله ان جماعة من اصحابك
وقومك بأنفسهم ولم يتأخروا عن القتال جبنا ولابخلا ببذل مهجهم لكنهم اشفقوا اى خافوا عليك من ان تغتال
فتى اخذ هؤلاء ماسميته لهم لم يبق لخلق من المسلمين بغير شئ فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال قل الانفال لله
والرسول يصنع فيها مايشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفى انفس بعضهم شئ من الكراهة كره بعض من الشيوخ
اولا مارآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تنفيل ماكان لله عنده فى محاربة الكفار وكره بعض الشبان بعدما نزلت
هذه الآية انتزاع الغنائم من ايديهم وجعلها لله ورسوله يحكم مايشاء والمراد كراهة الطبع كالتى تلحق الصائم
فى الصيف والمسافر فى سفر الحج او الغزو مع امتثال حكم الشرع طوعا ورغبة شبه الله تعالى رضاهم بكون
قسمة الانفال مفوضة الى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها على ماكان يأمره الله تعالى به مع مافى
طبعهم من الكراهة والاستثقال برضاهم بالخروج من المدينة لحرب الكفار كارهين لها ﴿قوله تعالى كما
اخرجك﴾ اى كما امرك بالخروج ودعاك اليه فان جبريل عليه السلام اتاه وامره بالخروج وقوله بالحق
متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من مفعول اخرجك اى اخرجك ملتبسا بالحق وهو اظهار دين الله
وقهر اعداء الله ﴿قوله النجاء النجاء﴾ مصدر يقال نجوت نجاء اى اسرعت وسبقت والتقدير أسرعوا
الاسراع او اعدوا اى الزموا الاسراع وقوله على كل صعب وذلول اى أسرعوا على كل مركوب ولاتوقفوا
الى ان تجدوا المركوب الذلول وقوله عيركم اى الزموا عيركم او تداركوا عيركم واحفظوها واموالكم بدل من عيركم
روى ان اباسفيان لما سمع بمسير النبى صلى الله عليه وسلم نحوه استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى
مكة وامره ان يأتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد عرض لعيرهم فى اصحابه فخرج
ضمضم الى مكة سريعا وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فبعثت
الى اخيها العباس رضى الله تعالى عنه فقالت له والله يا اخى لقد رأيت الليلة رؤيا افزعتنى وخشيت ان يدخل على
قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ما احدثك قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا اقبل على بعيرله حتى وقف
بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث بعد ثلاثة ايام فأرى الناس قد اجتمعوا اليه
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبيناهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها بأعلى صوته
الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس ابى قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فأرسلها
فأقبلت تهوى حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الا دخلته منها
فلقة فقال العباس ان هذه لرؤيا تفرق لرؤسنا وانت فاكتميها ولاتذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقى عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس وكان له صديقا فذكرها له واستكتمه اياها وذكرها عتبة لابنته ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش

(لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة
وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم
(ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم)
اعد لهم فى الجنة لاينقطع عدده ولاينتهى
امده (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق)
خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى
كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب
فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر
فى قوله لله والرسول اى الانفال تثبت لله
والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل
ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم
(وان فريقا من المؤمنين لكارهون)
فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش أقبلت من الشام وفيها
تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما
خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل
صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها
محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك
بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل
من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها فحدثت
بها العباس وبلغ ذلك اباجهل فقال مارضى
رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم

قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا قال فلما فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال لى ابو جهل يا ابن عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذلك قال الرؤيا التى رأتها عاتكة ثم قال يا بنى عبد المطلب أما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة فى رؤياها انه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان مضى الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم اكذب بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه من نكير الا انى جحدت ذلك وانكرت ان تكون رأت شيأ ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت قال قلت والله ما كان منى اليه من نكير وايم الله لأتعرضن له فان عاد لأكفينكه قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود لبعض ماقال فأقع به وكان رجلا خفيفا حديد اللسان اذ هو خرج نحو باب المسجد يشتد فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرقا منى ان اشاتمه فاذا هو قد سمع ما لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع انف بعيره وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع ابى سفيان قد عرض لها محمد فى اصحابه لاأرى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ابالهب قد تخلف وبعث مكانه واحدا فخرجوا سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصحابه فنزل جبريل وقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اى الفرقتين احداهما ابو سفيان مع العير والاخرى ابو جهل مع النفير الى آخر القصة ﴿ قوله او سرت الى عدن ابين ﴾ ذكره لغاية بعده لانه نهاية اليمن وبعده البحر وفى المغرب أبين بالفتح اسم رجل من حمير نسب اليه عدن لان ذلك الرجل عدن بها اى اقام بها ﴿ قوله او استعرضت بنا هذا البحر ﴾ اى او طلبت منا ان نعبره عرضا وخص ذلك لانه اصعب من الطول والباء تحتمل التعدية والمصاحبة والاخير انسب وفى الصحاح استعرض اى طلب ان يعرض ماعنده من الامر اى او طلبت من البحر عرض ماعنده من الامواج والاهوال حال ركوبك فيه ونحن فى صحبتك لخضناه وهذا مجاز من القول وفيه مبالغة ﴿ قوله فناداه العباس وهو فى وثاقه ﴾ اى فى قيده وكان قد خرج مع المشركين فأسر مع جملة من اسر يوم بدر وكان قد اسلم قبل وقعة بدر الا انه كان يكتم اسلامه عن قومه لانه كان له اموال متفرقة على الناس وفى القطبية انه كان لم يؤمن بعد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال كان الذى اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو الخابى سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف اسرت العباس قال يارسول الله لقد اعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم * لقد اعانك عليه ملك كريم * ﴿ قوله لايصلح ﴾ اى لايصلح هذا الرأى وهو التوجه الى العير ﴿ قوله فكره بعضهم قوله ﴾ الفاء فيه للتعقيب والتفريع اى اذا تقرر ان القصة جرت على ما ذكر فقد ظهر ان بعض الصحابة استثقلوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل يريد بذلك انه آثر تلقى النفير وجهاد اعداء الدين ليظهر الدين الحق على الاديان كلها وقد تمت القصة فنقل مقالة العباس رضى الله تعالى عنه وهو مأسور مقيد ولما كان المقصود من ايراد القصة بيان وجه قوله تعالى وان فريقا من المؤمنين لكارهون وتبين من القصة ان كراهة ترك العير الى النفير انما صدر من بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لامن جميعهم لان كبار الصحابة الراسخين فى متابعة النبى صلى الله عليه وسلم لايليق بشأنهم اظهار النفرة والكراهة عما ارشد عليه الصلاة والسلام اياهم اليه وحرضهم عليه فرع على تمام القصة قوله فكره بعضهم قوله ثم بين ان الحق الذى جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير ومجادلتهم هى قولهم كيف نقاتل ولم نتأهب للقتال وما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا ونحن فى المدينة لنستعد ونتأهب للحرب وقوله تعالى يجادلونك يحتمل ان يكون حالا ثانية اى اخرجك فى حال مجادلتهم اياك ويحتمل ان يكون حالا من الضمير فى لكارهون اى لكارهون فى حال مجادلتهم وبعد ماتبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اى بعد تبينه ووضوحه والجدال فى الحق بعد تبينه اقبح من الجدال فيه قبل اتضاحه * ورجالة جمع راجل وهو خلاف الفارس ويجمع ايضا على رجل مثل صاحب وصحب

عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فمال بعضهم الى العير ... الى

نتأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لانا لانقول لك كما قالت بنو اسرآئيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لايروا نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك فى الحق) فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه (بعدما تبين) انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان

(واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى الطائفتين ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل منها (انها لكم) بدل الاشتمال (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله ان يحق الحق) ان يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) اي يفعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولو كره المجرمون) ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم اني ممدكم) باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجري استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بالف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين او بعضهم من اردفته بعضا اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها

وعلى رجال ولما كانت مجادلتهم مبنية على كراهة القتال والخوف من غلبة العدو شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اي يشاهد اسباب الموت وموجباته فقوله وهم ينظرون حال من المستكن في يساقون ﴿قوله والشوكة الحدة﴾ اي السلاح الذي له حدة كسنان الرمح والسيف ونصل السهم فان الذي يشبه بواحدة الشوك اي بالنبت الحديد الطرف هو السلاح المذكور لا نفس الحدة ﴿قوله ان يثبته ويعليه﴾ فسر به قوله تعالى ان يحق الحق لان الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته وما ثبت لشيء لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل وفعل فاعل فلما تعذر حمل الكلام على حقيقته وجب ان يقال المراد بتحقيق الحق وابطال الباطل اظهار كون ذات الحق حقا واظهار كون ذات الباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبينات وتارة يكون بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فكأنه قيل انكم تريدون العير للفوز بالمال والله تعالى يريد ان تتوجهوا الى النفير لما فيه من اعلاء الدين الحق واستئصال الكافرين فان قطع الدابر عبارة عن الاستئصال فقوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق مذكور في مقابلة قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم والمقصود من الآيتين تمييز ما بين الارادتين فلا يكون قوله ليحق الحق تكرارا لما قبله وان تبادر الذهن الى كونه تكرارا بناء على ان الحق هو الاسلام وان تحقيق الحق عبارة عن اظهار الاسلام واثباته فالمذكور اولا انه تعالى يريد بحمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار تلك النفير ان يظهر الاسلام على الاديان كلها وعلل الفعل المذكور ثانيا باظهار الاسلام واثباته وابطال الكفر ومحصوله تكرار لان جعل حكم علة الفعل في قوة ارادته منه فكأنه قيل اراد بحمله عليه السلام على اختيار تلك النفير ونصرته ان يظهر دين الاسلام ويثبته فلاجل هذا الاظهار والاثبات فعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على ذلك ونصر المؤمنين وخذلان المشركين وهو تكرار بحسب الظاهر الا انه ليس تكرارا في الحقيقة لان المذكور اولا ليس الا لبيان الفرق بين الارادتين ارادة الله تعالى اثبات الدين وارادتهم تحصيل الدنيا مع قطع النظر عن ان مراد الله تعالى هذا بأي فعل يراد وبأي طريق يتوصل اليه والمقصود بقوله ليحق الحق ان الله تعالى لم يفعل ما فعل من حمله عليه الصلاة والسلام على اختيار تلك النفير ونصر المؤمنين وخذلان المشركين الا لهذا الغرض الصحيح والحكمة الباهرة وهو اثبات الاسلام وابطال الكفر ﴿قوله او متعلق بقوله ليحق الحق﴾ اي ظرف منصوب به والمعنى ليحق الحق وقت استغاثتكم وفيه نظر لان قوله ليحق مستقبل لكونه منصوبا باضمار ان واذ ظرف للماضي فكيف يعمل المستقبل في الماضي وان كان منصوبا باضمار ان يكون الكلام مستأنفا اي منقطعا عما قبله والاستغاثة طلب الغوث والنصر والعون وقيل الاستغاثة طلب الخلاص وقت الحاجة وفي هذه الاستغاثة قولان الاول انها كانت من الرسول صلى الله عليه وسلم على ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه والثاني انها كانت من جماعة المؤمنين لان خوفهم كان اشد من خوفه عليه الصلاة والسلام ويمكن الجمع بينهما بانه عليه السلام دعا وتضرع والمؤمنون كانوا يؤمنون على دعائه وروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ﴿قوله متبعين المؤمنين﴾ على ان يكون اردفه وردفه بمعنى تبعه فان اردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى ردفه اي تبعه كذا في الصحاح ومتبوع الملائكة اما المؤمنون او بعض آخر منهم يقال تبعت القوم اذا مشيت خلفهم او مروا بك فمضيت معهم ﴿قوله او متبعين﴾ على ان تكون همزة اردف لتعدية ردفه الى مفعول ثان من قولك اردفته الشيء فردفه بمعنى اتبعته الشيء فتبعه اي جعلت الثاني يتبع الاول فتبعه فالملائكة يتبعون بعضهم بعضا او يتبعون انفسهم المؤمنين والحاصل ان اتبع بالتخفيف يتعدى الى مفعولين واتبع بالتشديد يتعدى الى واحد واردف قد جاء بمعناهما ومفعوله او مفعولاه محذوف لفهم المعنى فيقدر في كل موضع ما يليق به وان كان مردفين اسم مفعول من اردف المتعدي الى واحد يكون بمعنى متبعين بان كانوا مقدمة الجيش وان كان من اردف المتعدي الى اثنين يكون بمعنى متبعين بان جعلوا ساقة الجيش تابعين غيرهم ﴿قوله وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها﴾ اي وتشديد الدال ﴿قوله واختلف في مقاتلتهم﴾ فقال قوم نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة ملك على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وقاتلوا وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وقال آخرون لم يقاتلوا في شيء من معارك القتال وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وذلك قوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ولو زلزلوا

(القتال)

لقتال لكان الملك الواحد كافيا فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه الصلاة والسلام اهلك بريشة من جناحه مدآئن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ كفا من الحصباء فرمى المشركين بها وقال شاهت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل اقدامهم فانهزم اعداء الله بدون شئ واخذ المسلمون يقتلون ويأسرون وروى عن على رضى الله عنه انه قال لما التقى الصفان جاءت ريح لم ار مثلها قط شدة ثم ذهبت فجاءت اخرى مثلها ثم ثالثة فكانت الاولى جبريل عليه السلام فى الف من الملائكة عليهم الصلاة والسلام فكانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل فى ألف من الملائكة عليهم السلام فكانوا فى ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر رضى الله عنه فى الميمنة وكانت الثالثة اسرافيل فى ألف منهم عليهم الصلاة والسلام ونزلوا فى ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا فى الميسرة ولما هزم الله تعالى اعداءه جمعنا الغنائم وجعلناها ثلاثمائة وسبعة عشر سهما وكانت الرجالة ثلاثمائة وثلاثة عشر راجلا والفارس رجلان فاعطى للراجل منهم سهم وللفارس سهمان ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بالقليب ان يغور ثم امر بالقتلى فطرحوا كلهم فيه الا امية بن خلف فانه كان سمينا انتفخ من يومه وتزايل لحمه حين جروه فقال اتركوه ولما طرحوا فى القليب وقف عليهم وناداهم ياعتبة بن ربيعة وياشيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس واخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال الصحابة رضى الله عنهم يارسول الله أتنادى قوما قدماتوا فقال عليه الصلاة والسلام * والذى نفس محمد بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم * وفى رواية * ما انتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون * ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس﴾ وهو النوم الخفيف بفتح الياء وسكون الغين ورفع النعاس على الفاعلية وقرأ نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وكسر الشين ونصب النعاس وقرأ الباقون يغشيكم النعاس بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين المكسورة ونصب النعاس والفاعل على القرآءتين الاخيرتين ضمير البارى والنعاس فيهما مفعول به واغشى وغشى لغتان بمعنى وانتصاب أمنة على انها مفعول له لفعل السابق * ولما ورد ان يقال كيف جاز النصب هنا مع فوات شرطه وهو اتحاد الفاعل لان التغشية والاغشاء فعل الله تعالى والامنة فعل المخاطبين * اشار الى جوابه بان الفاعل متحد فى المعنى لان معنى الآية اذ تنعسون امنة والامنة فعل الناعس وان كان امنة مصدر امنه ضد خوفه فالامر واضح لان فاعل التغشية والاغشاء والامان كلاهما هو الله تعالى الا ان كون امنة مصدر أمنه لاتساعده الاوضاع اللغوية المتعارفة والتوجيه الاول جائز فى جميع القرآءات الثلاث والتوجيه الثانى مختص بالقرآءتين الاوليين وهنا توجيه ثالث مختص بقرآءة ابن كثير لان كون النعاس فاعلا انما هو فى قرآءته وهو ان يجعل الامنة فعل النعاس على الاسناد المجازى حيث اسند فعل الناعس الى نعاسه للملابسة بينهما كما ان الغشيان فعل النعاس فيتحد الفاعل ويحتمل ان يكون اسناد الامنة الى النعاس تخييلا للاستعارة بالكناية بان يشبه النعاس بشخص من شأنه ان يغشى القوم حال امنه ولا يغشاهم حال خوفه الا انه لما حصل له من الله تعالى الامن من الكفار غشى القوم وأنامهم والامنة لما كانت من توابع المشبه به كان اثباتها للنعاس تخييلا وقرينة للاستعارة المكنية التى هى ماذكر من التشبيه المضمر فيكون الكلام تمثيلا وتخييلا للمقصود بابراز المعقول فى صورة المحسوس ونظير هذا التمثيل والتخييل قول من قال

* يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود *

يعنى ان النوم يهاب ان يغشى عيون اعدآئك ومخالفيك وانهم لاينامون من خوفك وقوله تهابك صفة عيونا ونفار مبالغة نافر وشرود فعول بمعنى فاعل من شرد البعير اذا نفر وفى البيت مبالغة حسنة ﴿قوله وقرئ امنة﴾ بسكون الميم كرحمة كما قرئ امنة بفتح الميم مثل حى حياة اصله حيية قلبت الياء الثانية الفا فان قيل كل نوم ونعاس فانه لايحصل الا من قبل الله تعالى فتخصيص هذا النعاس بأنه من الله لابد فيه من فائدة فما هى * اجيب بان الفائدة فيه الاشارة الى تعظيم هذا النعاس وانطوآئه على مالا يوجد فى سائر آحاد جنسه وذلك من وجوه احدها ان الخائف اذا خاف العدو خوفا شديدا على نفسه واهله لايأخذه النوم فصار حصول النوم لهم فى وقت الخوف الشديد دليلا على انه تعالى ازال عنهم الخوف ونعم عليهم بالأمن وطمأنينة القلب كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال

(وما جعله الله) اى الامداد (الا بشرى لكم) الابشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لاتأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله من معنى الفعل او بجعل اوباضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القرآءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع (امنة منه) أمنا من الله قوله يغشيكم النعاس وهو مفعول له باعتبار المعنى فان متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشى وان تجعل على القرآءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم ان يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود * وقرئ امنة كرحمة وهى لغة

(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسة وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة (اذ يوحي ربك) بدل ثالث او متعلق بيثبت (الى الملائكة اني معكم) في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا (فاضربوا فوق الاعناق) اعاليها التي هي المذابح او الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل (بأنهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب

النعاس في القتال امنة من الله تعالى وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وثانيها انه لولا حضور هذا النعاس وحصول الاستراحة حتى تمكنوا في اليوم الثاني من القتال لما تم الظفر وثالثها انهم ما ناموا نوما غرقا بحيث يتمكن العدو من معافصتهم واخذهم على غرة بل كان ذلك نعاسا فحصل لهم زوال الكلال والاعياء مع انهم كانوا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله ولقدروا على دفعه ورابعها ان هذا النعاس غشيهم دفعة واحدة مع كثرتهم وحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد امر خارق للعادة فلهذا قيل ان ذلك النعاس في حكم المعجز ﴿قوله من الحدث والجنابة﴾ فان الطهارة منهما هي الطهارة الشرعية وحمل الطهارة الواقعة في كلام الشارع عليها اولى من حملها على طهارة القلب من وساوس الشيطان واصل الرجز الابذآء والتعذيب ولما كانت الجنابة تحدث من تخييل الشيطان اضيفت الى الشيطان وسميت رجزا ﴿قوله او وسوسته﴾ منصوب بالعطف على الجنابة والاعفر بالعين المهملة الرمل الاحمر ﴿قوله تسوخ﴾ اي تدخل وتغيب ﴿قوله تعالى وليربط على قلوبكم﴾ الربط الشد يقال لكل من صبر على امر ربطه على قلبه اي قواه وشدده وازال اضطرابه وارتيابه وعدي بعلى للايذان بان قوة قلوبهم بلغت في الكمال الى ان صارت مستولية على القلوب حتى صارت كأنها علت عليها وارتفعت فوقها وفي الوسيط على صلة والمعنى ليربط قلوبكم بما انزل من الماء فتثبت ولا تضطرب بوسوسة الشيطان ﴿قوله وهو مفعول يوحي﴾ يعني قوله اني معكم بفتح همزة اني مفعول يوحي اي يوحي ربك كونه تعالى معهم في اعانتهم وتثبيتهم ذكر المصنف في كيفية هذا التثبيت ثلاثة اوجه الاول ان الملائكة يثبتونهم بالبشارة اما بأن عرّفوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ناصر المؤمنين والرسول عرّف المؤمنين تلك البشارة ويحتمل ان يكون طريق بشارتهم ان يلهموا قلوب المؤمنين بنصرة الله تعالى اياهم فكما ان الشيطان يمكنه القاء الوسوسة الى الانسان فكذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام يمكنهم القاء الالهام الى المؤمنين ويحتمل ان يتمثل الملائكة بصور الرجال من معارفهم ويعدوهم النصر والفتح والظفر كما يكون تكثير السواد بذلك وفسر قوله تعالى اني معكم بعينهم في تثبيت المؤمنين اشارة الى ان ليس المعنى بقوله اني معكم ازالة الخوف كما يتوهم ذلك من ظاهر العبارة كما في قوله تعالى لا تخف ولا تحزن ان الله معنا وهذا المعنى لا يصح هنا لان الملائكة ما كانوا خائفين من الكفار ﴿قوله فيكون قوله سألقي كالتفسير﴾ متفرع على ما ذكره في تفسير قوله تعالى اني معكم فثبتوا فانه لما فسره بانه تعالى خاطب الملائكة بأني معكم في اعانة المؤمنين وتثبيتهم كأنه تعالى امر الملائكة بتثبيت المؤمنين كان قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله اني معكم فانه لما تبين ان قوله اني معكم معناه الاعانة ولا اعانة اعظم من القاء الرعب في قلوب الاعدآء وذلك لان القلب هو الحاكم في البدن واميره وقد مرّ انه تعالى ربط قلوب المؤمنين بمعنى انه قوّاها وازال الخوف عنها ذكر ههنا انه اعان المؤمنين بان ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين فكان تقوية قلوب انفسهم وتخويف قلوب اعدآئهم من اعظم نعم الله تعالى عليهم فظهر ان قوله سألقي في قلوب كالتفسير لقوله اني معكم وقوله فاضربوا فوق الاعناق كالتفسير لقوله فثبتوا الذين آمنوا اذ لا تثبيت أقوى من ضرب اعناق الاعادي فسر الجملة الخبرية بالخبرية والانشائية بالانشائية فلذلك لم يعطف قوله سألقي على ما قبله ﴿قوله وفيه دليل على انهم قاتلوا﴾ اي في قوله تعالى للملائكة اني معكم في اعانتكم المؤمنين دليل على ذلك لان اعانة المقاتلين انما تكون بالمشاركة معهم في القتال ﴿قوله ومن منع ذلك﴾ اي من منع مقاتلة الملائكة يوم بدر جعل الخطاب في قوله اني معكم للمؤمنين ليكون له معنى مغاير لمعنى قوله سألقي وقال المراد انه تعالى اوحى الى الملائكة اني مع المؤمنين فانصروهم وثبتوهم وايد هذا المعنى بأن أني مع فلان انما يقال اذا كان الفلان خائفا ويقصد به ازالة خوفه والملائكة ما كانوا يخافون الكفار حتى يقال لهم اني معكم ازالة لخوفهم وانما الخائف منهم هم المسلمون فينبغي ان يكون الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب بان انتقل من خطاب الملائكة الى خطاب المؤمنين بناء على انه لا غائب بالنسبة اليه تعالى فيخاطب من يشاء من خلقه واما على ان يكون قوله تعالى سألقي تلقينا من الله تعالى للملائكة ان يقولوا للمؤمنين تثبيتا لهم في المعركة ان الله تعالى قال لهم سألقي الخ واما على ان يكون الخطاب في قوله اني معكم للملائكة ولا يكون سألقي تفسيرا له بل يكون تفسيرا لقوله فثبتوا وعلى هذا يكون الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين صادرا من الملائكة حكاه الله تعالى لنا ويكون فصل قوله سألقي عما قبله مبنيا على كونه تفسير التثبيت وبيانا لطريقه ﴿قوله من العدوة﴾ العدوة جانب الوادي وناحيته وخصم كل شيء جانبه وناحيته كذا في الصحاح

واتفق القراء على فك الادغام في قوله تعالى ومن يشاقق الله لانه كتب في المصاحف بقافين متفكوكتين والادغام في مثله لغة تميم وفكه لغة الحجاز وشاقوا الله مجاز والمعنى شاقوا اولياء الله ودينه قال صاحب الكشاف سئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كالمخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق ﴿قوله تقرير﴾ اي للعذاب المعجل المسبب للمشاقة وقوله او وعيد فان قوله شديد العقاب يدل على ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شئ قليل بالنسبة الى ما اعد لهم من عقاب يوم القيامة ﴿قوله عطف على ذلكم﴾ فان كان ذلكم خبر مبتدأ محذوف يكون ما عطف عليه ايضا كذلك والتقدير الامر والعقاب ذلكم والحتم المقضي به والواجب ان للكافرين عذاب النار وان كان المعطوف عليه مبتدأ حذف خبره يكون المعطوف كذلك والتقدير ذلكم واقع واستقرار عذاب النار للكافرين حتم ومقرر ﴿قوله كثيرا﴾ مبني على ان زحفا اسم للجمع الكثير وانه حال من المفعول فقط ثم عطف عليه قوله ويجوز كونه حالا من الفاعل والمفعول معا ومن الفاعل وحده يقال زحف يزحف زحفا من باب فتح يفتح اي مشى اليه ودنا قليلا قليلا والحال لما كان في المعنى خبرا عن ذي الحال وجب ان يصح حملها عليه واسم المعنى لا يصح حمله على اسم الذات وجب ان يحمل زحفا على معنى الجماعة الذين يزحفون الى عدوهم وسمي الجيش الكثير بالمصدر وان يجمع على زحوف نحو قلب وقلوب وبحر وبحور ﴿قوله والاظهر انها محكمة﴾ يعني ان الآية ليست كما ذكر بل ان معناها انه اذا وقع التقاء المؤمنين مع الكفار في حين المزاحفة وهو اذا سويت الصفوف وزحف بعضهم الى بعض اي سار سيرا قليلا قليلا يدنو به كل فريق الى صاحبه قليلا قليلا يحرم على المؤمنين ان يجعلوا ادبارهم تلي الكفار بأن يحولوا وجوههم عن عدوهم وهو كناية عن الانهزام روي عن عطاء انها منسوخة بقوله تعالى في آخر هذه السورة يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين بناء على ان من انكر المعاد وظن ان السعادة في هذه الحياة الدنيا تبقى بها ولا يعرضها الزوال بخلاف من اعتقد ان السعادة لا تحصل الا في الدار الآخرة فانه لا يبالي بهذه الحياة الدنيا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقاوم الواحد الجمع الكثير ممن انكر ذلك فاوجب الله تعالى اولا على الواحد ان يقاوم العشرة واثبات لهم ثم خفف واوجب على الواحد ان يقاوم الاثنين فليس لقوم ان يفروا من مثليهم وكان لهم ان يفروا من ثلاثة امثالهم فالآية التي نحن فيها دلت على ان الانهزام من العدو حرام الا في حالتين احداهما الانحراف للقتال والاخرى الانضمام الى فئة وجمع من المسلمين ليستعين بهم ويعود الى القتال من غير فرق بين ان يكون عدد الكفار مثلي عدد المسلمين او اكثر والتي في آخر السورة نسخت حكم هذه الآية فيما اذا كان عدد الكفار اكثر من مثلي عدد المسلمين وقال المصنف الظاهر ان هذه الآية غير منسوخة لكنها مخصوصة وانما تكون منسوخة او صرح فيها بحرمة الانهزام على تقدير كون عدد الكفار اكثر من عشرة امثال عدد المسلمين ﴿قوله او متحيزا﴾ اي منضما يقال حاز الشئ اذا ضمه لنفسه وتحوزت الحية اذا تلوت وانحاز عنه اي عدل وانحاز القوم اي تركوا مركزهم الى آخر ويقال انحرف وتحرف اذا مال الى جانب آخر وتحاوز الفريقان في الحرب اي انحاز كل فريق عن الآخر • وكر يكر كرا اي عطف عطفا والكارون الراجعون الكرارون والكرة الكرة وكرا اي حمل ﴿قوله والالغو﴾ لا يريد بقوله الالغو انها زائدة بل المراد ان متحرفا ومتحيزا على تقدير كونهما حالين يكون الالغوا من حيث العمل فيما بعدها ويستوي وجودها وعدمها في حق اعراب ما بعدها بخلاف ما اذا كانا منصوبين على الاستثناء فان الا حينئذ تكون عاملة او مشاركة للعامل او واسطة في العمل وعلى تقدير الحالية يكون في الحقيقة استثناء مفرغا من حال محذوفة فيعرب على حسب العامل فلا يكون لكلمة الا مدخل في العمل فيه والتقدير ومن يولهم ملتبسا باي حال الا في حال كذا وان جعل الاستثناء من المولين الذين تضمنهم كلمة من يكون المعنى ومن يولهم فقد باء بغضب الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل اصله متحيوز من تحيوز قلبت الواو ياء وادغمت ولو كان وزنه متفعلا لقيل الا متحوزا لانه مبني من حاز يحوز حوزا وهو واوي ويقال في بناء التفعل منه تحوز يتحوز تحوزا فلما قيل متحيزا علم انه من تفيعل لا من تفعل ﴿قوله هذا اذا لم يزد﴾ يعني ان هذا الوعيد وهو قوله تعالى فقد باء بغضب من الله الآية وان كان بحسب

(ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة (وان للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الادبار) بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حتى تولوا وهم اثنا عشر ألفا (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (او متحيزا الى فئة) او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب

(فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (وما رميت) يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اي اتيت بصورة الرمي (ولكن الله رمى) اتى بما هو غاية الرمي فأوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله

رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فأصاب ابن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم واحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصره عليكم (ولن تغني) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيئا) من الاغناء او المضار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة (وانتم تسمعون) القرآن والمواعظ ([illegible]) سماع فهم وتصديق (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر ما يدب على الارض او شر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لا يعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلها شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله (ولو علم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولو اسمعهم) وقد علم ان لا خير فيهم (لتولوا)

الظاهر متناول لكل من يولي دبره يوم ملاقاة الكفار الا انه مخصوص بما اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين لانهم اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا ويولوا ظهورهم الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وان كانوا اقل من ذلك جاز لهم ان يولوا ظهورهم ويتحيزوا عنهم قال ابن عباس رضي الله عنه من فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر اي ارتكب المحرم وهو كبيرة لان الفرار من الزحف كبيرة وقيل هذه الآية مخصوصة باهل بدر الحاضرين معه عليه الصلاة والسلام في الحرب الذي ليس لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم فليس لاحد منهم ان يتحاز الى من لا يتقوى به فيكون انحيازه فرارا من الزحف كبيرة بخلاف من عداهم من المسلمين فان عجز عن دفاع الكفار بسبب قلتهم وكثرة الكفرة وغلب على ظنه انه ان ثبت قتل من غير فائدة وان تحيز الى جمع كان راجيا للخلاص ونافعا في مقاومة العدو بسبب كثرة الفئة وقوتهم لا يكون فراره كبيرة مستوجبة لهذا الوعيد وقال بعض المفسرين ان هذا الوعيد مختص بمن انهزم يوم بدر اذ ليس لهم ان ينحازوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين واما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم في حق بعض المنهزمين انتم الكرارون وانا فئتكم وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيدة جاء الخبر الى عمر رضي الله تعالى عنهما فقال لو انحاز الي لكنت له فئة ﴿قوله فلما طلعت قريش من العقنقل﴾ وهو الكثيب الذي جاؤا منه الى الوادي ﴿قوله فجعل يخور﴾ اي يضعف وينكسر حتى مات يقال خار الحر يخور خورا اي ضعف وانكسر وقال الامام قيل ان الآية نزلت في يوم احد في قتل ابي بن خلف وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد من يحيي هذا وهو رميم فقال عليه الصلاة والسلام يحييه الله ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار فأسر يوم بدر فلما افتدى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عندي فرسا اعتلفها كل يوم فرقا من ذرة لاقتلك عليها فقال عليه الصلاة والسلام بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل ابي على ذلك الفرس حتى دنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فاعترض له رجال من المسلمين ليقتلوه فقال عليه الصلاة والسلام استأخروا ورماه بحربة فكسر ضلعا من اضلاعه فحمل فمات ببعض الطريق ففي ذلك نزلت الآية وقيل انها نزلت يوم خيبر وذلك انه عليه الصلاة والسلام اخذ قوسا وهو على باب خيبر فرمى سهما فاقبل السهم حتى قتل ابن ابي الحقيق وهو على فراشه فانزل الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والاصح انها نزلت في يوم بدر والا لدخل في اثناء القصة كلام اجنبي عنها ﴿قوله ولينعم عليهم﴾ اشارة الى ان البلاء ههنا محمول على النعمة وعلى المحنة لان اصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة ايضا لاظهار الشكر والاختبار من الله تعالى اظهار ما علم كما علم لا تحصيل علم ما لم يعلم واللام في قوله تعالى وليبلي متعلقة بمحذوف اي وليبلي فعل ذلك او متعلقة بما قبلها بان يكون معطوفة على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليقهر الكافرين وليبلي المؤمنين منه بلاء يجوز ان يكون بمعنى المصدر اي ابلاء وان يراد به نفس المبلى به ﴿قوله وحفص موهن كيد﴾ بجر كيد باضافة موهن اليه وتخفيف الهاء وغير حفص ينون لفظ موهن وينصب كيد الا ان اهل الحرمين وابا عمرو من قراءتهم يقرأون موهن بفتح الواو وتشديد الهاء والباقون من اصحاب التنوين يقرأون موهن باسكان الواو وتخفيف الهاء ﴿قوله خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم﴾ اي ان تستنصروا لاهدى الفئتين واكرم الحزبين فقد جاءكم النصر ﴿قوله ويؤيد ذلك الخ﴾ فان نداء المؤمنين وامرهم بطاعة الله وطاعة رسوله يدل على ان الخطاب السابق لهم ﴿قوله او للامر﴾ اي لا تتولوا عن هذا الامر واجتهدوا في امتثاله وعليكم برعاية طاعة الله وطاعة رسوله في جميع ما تفعلون وتتركون ﴿قوله كالكفرة﴾ فانهم يقولون سمعنا وعصينا لانهم يجاهرون بالكفر والتكذيب والمنافقون يدعون السماع والقبول بألسنتهم ويبطنون الكفر والتكذيب في قلوبهم ﴿قوله شر ما يدب﴾ اي يمشي على الارض على ان يحمل لفظ الدابة على معناها اللغوي وقوله او شر البهائم على ان يحمل على معناها العرفي العام نقلوه من الوصفية وجعلوه اسما لها ثم على ارادة معناه عند اهل العرف الخاص وجمع الصم مع انه خبر شر حملا على المعنى لان المراد به الكثرة ﴿قوله سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات﴾ الاول عبارة عن السعادة الروحانية والمثوبات الاخروية والثاني عبارة عن التنبه بالحجج والمواعظ والتوسل بها الى الايمان واليقين والمعنى لو حصل واستقر فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع فهم وقبول والطاعة اي استعداد لقبول الكمال واستعداد بغرائه ولو اسمعهم مع عدم استقرار الخير فيهم حتى فهموا لما كان لفهمهم

اثر وهو متابعة الحجج والعمل بمقتضاها بل تركوا سريعا لكون ذلك الفهم فيهم امرا عارضا سريع الزوال غير مناسب لذواتهم وهم معرضون بالذات فلا يثبت فيهم الفهم كما قال امير المؤمنين كرم الله وجهه خذ الحكمة ولو من اهل النفاق فان الحكمة تتخلج فى صدر المنافق حتى تسكن الى صواحبها فى صدور المؤمنين اى لاتثبت فى صدره لكونها عارضية هناك لاتناسب ذاته عبر عن عدم استقرار الخير فيهم بعدم علم الله بوجوده اذهو من لوازم عدمه فى نفسه فعبر باللازم عن الملزوم فقيل لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم لكونه ابلغ فى الدلالة على انعدام الخير فيهم لان نفى لازم الشئ نفى لنفس ذلك الشئ فيكون ابلغ بالنسبة الى نفى نفس ذلك الشئ * وفى الآية اشكال من حيث ان النحويين يقولون كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشئ لاجل انتفاء غيره فاذا قلت لو جئتنى لاكرمتك افاد انه ماحصل المجئ وماحصل الاكرام فعلى هذا يكون قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم بمعنى ماعلم الله فيهم خيرا وما اسمعهم ويكون قوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا بمعنى انه تعالى مااسمعهم وانهم ماتولوا ومعلوم ان عدم التولى خير من الخيرات فيكون آخر الكلام مناقضا لاوله لان اوله يقتضى نفى الخير عنهم وآخره يقتضى حصوله فيهم * واجيب بأن كلمة لو فى الآية لمجرد الشرط وبيان الاستلزام مع قطع النظر عن الغير كما فى قوله عليه الصلاة والسلام *نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه *فان لفظة لو فيه لو افادت ماذكره النحاة لكان المعنى انه خاف الله تعالى وعصاه وذلك تناقض فثبت انها لاتفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره وانما تفيد مجرد الاستلزام ثم انه اذا لم يعص عند عدم الخوف فبالاولى ان لايعصى عند الخوف وكذا لو الثانية فى الآية فانه اذا تولى عند الاسماع والتفهيم فعند عدمه اولى وهذا جواب حسن الا انه يخالف قول الجمهور * واجيب ايضا بانا لانسلم ان عدم التولى لعدم الاسماع خير وانما الخير ان يسمعوا ويحصل منهم التصديق والقبول لا الاعراض والنفور لانه لما حكم الله تعالى عليهم بالتولى عن الدلائل وبالاعراض عن الحق وانهم لايقبلونه البتة وجب ان يكون صدور الايمان عنهم محالا لان صدوره عنهم يقتضى ان ينقلب خبر الله كذبا وانه محال ﴿قوله وقيل﴾ اى قيل ليس المعنى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم الدلائل والمواعظ سماع فهم وقبول بل المعنى لاسمعهم كلام قصى بن كلاب بأن يحييه ويمكنه من ان يخبرهم بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وانه تعالى لو اسمعهم كلامه لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه ﴿قوله تعالى استجيبوا لله﴾ اى اجيبوا الله تعالى ورسوله بالطاعة كما فى قوله

* وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

﴿قوله واختلف فيه﴾ اى فى جواز قطع الصلاة لاجابة الداعى فقيل انه مختص باستجابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز قطع الصلاة لاجابة غيره وقيل انه لايختص به عليه الصلاة والسلام بل يجوز لكل مصل ان يقطع صلاته لامر لايحتمل التأخير كانجاء الغريق مثلا ﴿قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قال صاحب الكشاف فى تفسيره يعنى ان الله تعالى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى فرصة التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله تعالى فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله ثم قال والجبرية على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال المحقق التفتازانى رحمه الله تعالى ماذكره من قوله انه يميته هو تأويل المعتزلة وعند اهل السنة انه تعالى يحول بين الكافر وطاعته حتى اذا اراد ان يؤمن والله لايريد ايمانه حال بينه وبين قلبه كيف شاء وكذا اذا اراد المؤمن ان يكفر ولم يرد الله كفره وبالجملة فالسعيد من اسعده الله والشقى من اضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء هذا منقول عن ابن عباس والضحاك رضى الله تعالى عنهم فلا يكون قول الظالمين بل رده قول الجاهلين انتهى كلامه ﴿قوله اتقوا ذنبا يعمكم اثره﴾ اى شؤمه ووباله فسر الفتنة بالذنب فيكون المراد باصابة الذنب اصابة اثره الذى هو شؤم الذنب ووباله اذا ماذكر من اقرار المنكر وافتراق كلمة الامة فى امر الدين ونحوهما ذنوب لايختص وبالها بالمجرمين بل يعمهم وغيرهم وذكر فى قوله لاتصيبن وجوها الاول ان يكون مجزوما جوابا للامر فتكون لانافية والثانى ان يكون منصوبا على انه صفة فتنة ولاللنفى او يكون مجزوما بلا الناهية واقعا صفة فتنة بتقدير القول لان الجملة الطلبية لاتقع صفة الا بتقدير القول كأنه قيل اتقوا فتنة مقولا فيها لاتصيبن كما وصف المذق بقوله هل رأيت والمذق اللبن المخلوط بالماء ويقال له السمار بفتح السين وفى الصحاح السمار اللبن المخلوط وتسميره ترقيقه بالماء والمذق صار فيه لون الزرقة التى هى لون الذئب والثالث لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل النفى فى غير القسم او لتمنى على ارادة القول كقوله

لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روى انه عليه السلام مر على ابى سعيد الخدرى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت اصلى قال ألم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير وللمصلى ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن *

او مما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ماعسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وانه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة

* حتى اذا جن الظلام واختلط *

ان يكون جواب قسم محذوف وان اختلفا فى المعنى ضرورة ان النفى يخالف الاثبات والرابع ان يكون نهيا بعد امر اى نهيا مؤكدا للامر والحاصل ان لاتصيبن امانفى اونهى والنفى اما جواب الامر اوصفة والنهى امالتأكيد اوصفة بتقدير القول وظاهر الآية يقتضى ان يكون نفيا وانها صفة فتنة اذ المعنى الذى يتبادر الى الفهم اتقوا فتنة لاتختص اصابتها بالمجرمين بل تشملهم وغيرهم * ثم لما كان جواب الشرط مقدرا ذكر ان المعنى على تقدير كونه جوابا للامر ولما كان جواب الشرط مترددا فيه فلا يليق به التأكيد * اجاب عنه بأن فيه معنى النهى كما اذا قلت انزل عن الدابة لاتطرحنك نفى فى معنى النهى فلذلك جاز تأكيده بالنون وعلى هذا المقدر من جنس الامر اذلا معنى لجواب الامر الا ما المطلوب من الامر سببا له فيكون الشرط هو المطلوب من الامر فاذا قيل اكرمنى تكن كذا فمكن كذا انما يكون جوابا للامر فلزم مما ذكرنا ان يكون التقدير ان تتقوا لاتصيبن الظالمين خاصة بل تعمهم وغيرهم اصابتها وهو فاسد لان اصابتها كيف تعم على تقدير الاتقاء * واجيب عنه بانه على رأى الكوفيين حيث يقدرون ما يناسب الكلام ولا يلتزمون ان يكون المقدر من جنس الملفوظ فيقدرون فى مثل لاتدن من الاسد يأكلك الاثبات اى ان تدن يأكلك وفى مثل اتقوا الفتنة لاتصيبكم العقوبة اى ان لم تتقوا يصبكم وغيركم وبالها والمصنف قدر شرطا يستقيم به المعنى لامضمون الامر ولانقيضه فلا يتبين به كون المذكور جواب الامر لعدم كونه مسببا عن الامر فقيل ان مراده ان التقدير ان تتقوا لاتصبكم وان اصابتكم لاتصب الظالمين فقط بل عمتكم فاقيم جواب الشرط المقدر الذى هو مضمون الامر مقامه لتسببه عنه وانت خبير بان عموم اصابة الفتنة ليس مسببا عن عدم الاصابة ولا عن الامر فالظاهر ان يقدر نقيض مضمون الامر اى ان لم تتقوا تصبكم وغيركم فان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم فيكون عموم الاصابة لازما للازم عدم الاتقاء الذى هو مضمون الاتقاء فلهذا جاز ان يجعل جواب الامر وقيل مراده ان التقدير ان لم تتقوا اصابتكم على ماهو مذهب الكسائى وان اصابتكم لاتخص الظالمين وانت خبير بأنه لاحاجة الى اعتبار الواسطة بل يكفى ان لم تتقوا لاتصيب الظالمين خاصة

﴿ **قوله** ويحتمل ان يكون نهيا ﴾ اى للمخاطبين عن التعرض للظلم بعد امرهم باتقاء الذنب فان ظاهر النهى وان كان للفتنة الا ان المراد نهى القوم عن التعرض للظلم على معنى اتقوا فتنة يقال فى حقها لاتعرضوا للظلم فتصيبكم هى او اثرها ووبالها ان اريد بالفتنة الذنب وعلى تقدير ان يراد بالفتنة العذاب فقوله لاتصيبن سواء جعل نهيا مؤكدا للامر اونهيا وانها صفة لفتنة ظاهره ان يكون نهيا للفتنة ومعلوم ان ليس المراد ذلك بل هو نهى للمخاطبين ثم انه ليس نهيا لهم عن اصابة الفتنة اياهم لان اصابة الفتنة فعل غيرهم ولا ينهى احد عن فعل غيره بل هو نهى لهم عن سبب اصابة الفتنة اياهم وهو الظلم فالمعنى على تقدير كونه نهيا واردا بعد الامر لتأكيده لاتعرضوا معاشر المؤمنين للظلم فانه سبب لاصابة الفتنة التى هى اثر الظلم ووباله فتصيب الفتنة الظالمين الذين هم انتم خاصة بناء على ظلمكم وانما اصابتهم على ظلمهم خاصة دون سائر الناس ثم جعل النهى للفتنة للمبالغة واقيم الذين ظلموا مقام ضميرهم تنبيها على ان سبب اصابة الفتنة اياهم هو ظلمهم ثم بين الظالمين بقوله منكم للدلالة على ان ظلمهم له خصوصية ليست لظلم غيرهم ثم اكد تلك الخصوصية بقوله خاصة وهذا الذى ذكرناه توضيح لقوله وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم اى وفائدة كون لاتصيبن نهيا مستقلا واردا بعد الامر وكذا اذا جعلته نهيا صفة لفتنة يكون المعنى ذلك بعينه لكن على تقدير القول كما مر

﴿ **قوله** ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين ﴾ هكذا ذكر فى اكثر النسخ والظاهر ان المراد بالوجوه الاول الوجوه التى يكون لا فى لاتصيبن فيها نافية وهى ان تكون جواب الامر وجواب القسم محذوف اوصفة لفتنة وبالوجهين الاخيرين ان يكون لاتصيبن نهيا بعد امر ونهيا صفة لفتنة وجعلهما اخيرين بطريق التغليب وكذا جعل الوجوه الباقية اول بذلك الطريق ايضا والا فالوجهان الاخيران حقيقة هما كونه جواب قسم محذوف ونهيا بعد امر والجملة القسمية صفة لفتنة فلا يكون لاتصيبن نهيا بل يكون نفيا ومن فى النفى تبعيضية لان المعنى لاتختص بالظالمين وغير الظالم هو البعض الآخر من جملة المخاطبين واما فى النهى فبيانية لانه قد مر ان لاعلى تقدير كونها ناهية تكون لاتصيبن نهيا للمخاطبين عن الظلم الذى هو سبب الفتنة وقد عبر عن المخاطبين باعتبار الظلم بالذين ظلموا فيكون منكم بيانا للذين ظلموا وفى بعض النسخ ومن فى منكم على الوجه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين فيكون المراد بالوجه الاول ان تكون جوابا للامر وبالاخيرين ان يكون نفيا اونهيا بعد امر فيكون عدم التعرض لمعنى من على تقدير كون لاتصيبن نفيا صفة

ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ﴾ ارض مكة يستضعفكم قريش

(وكونه)

من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في المغانم وروي أنه عليه السلام حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا بأرض الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزئك الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الأمانة لتضمنه إياه (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا هممكم بما يؤديكم إليه (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة مما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح (ويكفر عنكم سيئاتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه وإحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد إذا وعد عبده إنعاما على عمل (وإذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لمكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق أو الحبس أو الإثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (أو يقتلوك) بسيوفهم لا (٣٩) (أو يخرجوك) من مكة وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومبايعتهم فزعوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى

وكونه جواب قسم مبنيا على كونه معلوما بالمقايسة **قوله والخطاب للمهاجرين** لقوله فآواكم فأمرهم الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ثم أمرهم بالاتقاء عن المعصية ذكر بعدما يوجب عليهم الطاعة وترك المعصية والمخالفة وذلك أنهم كانوا في أول أمرهم قليلين في العدد وكانوا بحيث يستضعفهم غيرهم حتى كانوا يخافون أن يخرجوا من مكة أن يتخطفهم الناس ثم آواهم الله تعالى بأن جعل لهم مأوى يرجعون إليه وهو المدينة دار الهجرة والتخطف الأخذ والانتزاع بسرعة فيجعل الآخذ في الأخذ مأخوذا من القتل والأسر **قوله بتعطيل الفرائض والسنن** فإنها أمانات ائتمن الله تعالى عليها العباد ليحافظوا على أدائها في أوقاتها برعاية حدودها وحقوقها فمن ضيعها فقد خان الله تعالى فيها **قوله فأشار إلى حلقه أنه الذبح** أي أن حكم سعد الذبح والقتل والإشارة إلى حلقه إشارة إلى أن نزولكم على حكم سعد بمنزلة قتلكم وهذا منه خيانة لله ورسوله **قوله أو منصوب** أي بإضمار أن بعد الواو الواقعة بعد النهي أي لا تجمعوا بين الخيانتين كقوله

۞ لا تنه عن خلق وتأتي مثله ۞ عار عليك إذا فعلت عظيم ۞

والجزم أولى لأن فيه النهي عن كل واحد على حدته بخلاف النصب فإنه نهي عن الجمع بينهما والنهي عن الجمع بين الشيئين لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على حدة **قوله لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو العقاب أو محنة من الله تعالى** يعني أن الفتنة قد تطلق بمعنى الآفة والبلاء وقد تطلق على معنى الابتلاء والامتحان فالله تعالى جعل الأموال والأولاد فتنة بالمعنى الأول لكونها أسبابا مؤدية إلى الوقوع في الآفة التي هي ارتكاب المعصية في الدنيا أو الوقوع في عقاب العقبى عبر عن الأموال والأولاد بضمير العقلاء تغليبا وإن جعلها فتنة بمعنى الامتحان فوجهه كونها أسبابا لوقوع العبد في محن الله تعالى أنه يظهر بها من اتبع الهوى ممن آثر رضى المولى والفرقان مصدر بمعنى الفرق أطلق على ما يكون سببا للفرق والتمييز ولما حذر الله تعالى من الانهماك في محبة الأموال والأولاد رغب في تقوى الله تعالى بالاجتناب من الكبائر والملازمة على الطاعات فإن من اجتنب الخيانة ولازم الطاعة جعل الله له ما يميز به من الفساق والعصاة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فبأن يهدي قلبه وينوره بنور المعرفة واليقين فيجري ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولا يصدر عنه إلا ما هو حق وصواب فهذه الهداية فرقان يفرق به الحق من أضداده وكذا كونه منصورا فرقان يفرق به من المبطلين بأن ينصره ويخذل المبطلين وبأن ينصب له براهين قاطعة يتفصى بها من الشبهات في أمر الدين وبأن ينجيه مما يخافه في الدنيا والآخرة وبأن يظهر شأنه ويعلي قدره فهذه الأمور كلها فرقان يفرق بها بين المتقي وغيره فهي أيضا فرقان يفرق بها بين الحق والباطل وكذا النصر إذ يفرق به أنه على الحق والمنصور عليه على الباطل وكذا المخرج والنجاة فإنهما يفرقان بينه وبين الشبهات وما يخاف منه **قوله تذكار لمكر قريش به** أي تذكير لمكرهم وهو حيلة وتدبير في إهلاك أحد والمكر لتضمنه معنى الحيلة والخدعة يوهم مذمة من اتصف به فلا يسند إليه تعالى إلا على سبيل المقابلة والازدواج **قوله بالوثاق أو الحبس** لما كان إثبات الشيء عبارة عن إلزامه بموضع وذلك قد يكون بشده وتوثيقه بالوثاق لأن كل من شد فقد أثبت لأنه لا يقدر على الحركة وقد يكون بحبسه كما قال بعض أصحاب المكر أرى أن تأخذوا محمدا صلى الله عليه وسلم وتحبسوه في مكان وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه فيها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك قبله من الشعراء وقد يكون بإثخانه أي توهينه وإضعافه بالجروح بحيث لا يقدر معها على الحركة ففسر الإثبات بكل واحد منها **قوله وقرئ ليثبتوك** بتعديته بتضعيف العين بدل الهمزة وليبيتوك من البيات وهو اسم من قولهم بيت العدو أي أوقع بهم ليلا **قوله فاجتمعوا في دار الندوة** تندى القوم تندوا حضروا الندي وهو على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم فإذا تفرقوا فليس بندي ومنه سميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي لأنهم كانوا يندون فيها أي يجتمعون للمشاورة روي أن النضر بن الحارث من بني عبد الدار كان يختلف تاجرا إلى فارس والروم والحيرة فيسمع أخبار رستم واسفنديار وأحاديث العجم ويشتري أحاديث كليلة ودمنة وكان يمر باليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيقرأ القرآن وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم أساطير الأولين أي ما سطروه في كتبهم من أخبار الأمم الماضية وأسمائهم وكان يزعم أنها مثل ما يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من قصص الأولين والأساطير جمع أسطورة وهي

الماكرين) اذلايؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاضيهم او قول الذين ائتمروا فى امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذلو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا فى باب البيان (ان هذا الا اساطير الاولين) ما سطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبى وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبى بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون (ومالهم ان لا يعذبهم الله) ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا اولياءه) مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان (قصدى)

المكتوبة ﴿قوله ابلغ فى الجحود﴾ لانه جزم بان القرآن ليس بحق ثم فرض انه حق وعلق العذاب به وكانه فرض محالا ومعلوم ان المعلق على المحال لا يقع فلما كان حقيقة امره عليه الصلاة والسلام بمنزلة المحال عندهم زعموا ان البلاء الذى طلبوه لا يصيبهم لانهم شرطوا لاصابته كونه حقا فطلبوا امطار الحجارة عليهم اعلاما بانهم على غاية الثقة فى ان امره عليه الصلاة والسلام ليس بحق وما اجهلهم * فان قلت كلمة ان للخلو عن الجزم فكيف استعملت فى صورة الجزم * فنقول انها لعدم الجزم بوقوع الشرط ومتى جزم بعدم وقوعه عدم الجزم بوقوعه ﴿قوله وقرئ الحق بالرفع﴾ على ان يكون هو فى محل الرفع على الابتداء والحق خبره وتكون الجملة خبرا لكان وقرأ العامة بنصب الحق على انه خبر كان ودخلت كلمة هو للفصل ولا موضع لها وانما دخلت ليعلم ان قوله تعالى من عندك حال فى معنى الحق اى الثابت حال كونه من عندك وقوله من السماء صفة لحجارة فيتعلق بمحذوف او جعل متعلقا بقوله امطر لم يبق لقوله من السماء فائدة لان المطر لا يكون الا من السماء وفائدة توصيف الحجارة بقوله من السماء الدلالة على ان المراد بالحجارة السجيل وهو حجارة مسومة اى معلمة معدة لتعذيب قوم من العصاة روى انها حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسماء القوم فلا بد من ذكر السماء لتعين ان المراد من الحجارة السجيل ﴿قوله بيان لما كان الموجب لامهالهم﴾ مع انهم قد استحقوا ان يهلكهم الله تعالى بدعائهم لتحقق شرط اهلاكهم وهو كون ما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا نازلا من عند الله والمعنى ان الله تعالى لم يهلكهم مع ذلك لامرين الاول انه عليه الصلاة والسلام مادام حاضرا معهم مقيما بين اظهرهم فانه تعالى لا يفعل بهم ذلك تعظيما له عليه الصلاة والسلام وهذا عادة الله تعالى مع جميع الانبياء المتقدمين فانه تعالى لم يعذب اهل قرية الا بعد ان يخرج رسوله كما كان فى حق هود وصالح ولوط عليهم الصلاة والسلام * فان قيل لما كان حضوره عليه الصلاة والسلام فيهم مانعا من نزول العذاب عليهم فكيف قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم * اجيب بان المراد من الاول عذاب الاستئصال ومن الثانى العذاب الحاصل بالمحاربة والمقاتلة والامر الثانى انه تعالى لا يفعل بهم ذلك وهم يستغفرون اى وفيهم من يستغفر من المؤمنين المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون المهاجرة من بين اظهرهم يقال للجوار حرمة لجار الكرام فى ذمة انعامهم والكفار وان لم يتمتعوا بقرب الرسول صلى الله عليه وسلم لكن لما كانوا بقرب من آمن به اندفع العذاب عنهم ببركة جوار المؤمنين وعن مجاهد اى وفى اصلابهم من يستغفر وقيل اى فيهم من يؤول امره الى الاسلام فان فيهم قوما كان فى علم الله تعالى دخولهم فى الاسلام منهم ابو سفيان بن حرب رضى الله تعالى عنه وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب والحارث بن هشام وحكيم بن حزام وصفوان بن امية وغيرهم وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد الطواف غفرانك ولا يبعد ان يدفع ذلك عذاب الاستئصال مع كونه صادرا عن المشرك وقيل قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم انه تعالى لما بين ان الموجب لامهالهم هو هذان الامران ذكر بعده انهم يستحقون العذاب ويعذبون وان كان لا على وجه الاستئصال متى زال ذلك الموجب فقال ومالهم ان لا يعذبهم الله ﴿قوله واللام لتأكيد النفى﴾ يعنى ان اللام فى قوله تعالى ليعذبهم لام الجحود والفعل بعدها منصوب باضمار ان وشرطها ان يتقدمها كون منفى وذهب البصريون الى ان خبر كان محذوف وتعلق هذه اللام بذلك الخبر المحذوف والمعنى وما كان الله مريدا لتعذيبهم وذهب الكوفيون الى ان هذه اللام مع ما بعدها فى محل الخبر ولا يقدرون شيأ محذوفا ويزعمون ان الفعل بعدها منصوب بنفس اللام لا باضمار ان وان اللام زائدة لتأكيد النفى وظاهر كلام المصنف يشعر بانه اختار مذهب الكوفيين الا انه لا ينافى اتيانه على مذهب البصريين لان انتفاء ارادة العذاب ابلغ وآكد من نفى العذاب صرح فى خبر كان الاول بلام الجحود دون خبرها الثانى للدلالة على ان كينونته عليه الصلاة والسلام فيهم ابلغ فى كونها سببا لعدم تعذيبهم من استغفارهم فاين بركة وجوده عليه الصلاة والسلام من بركة استغفارهم ﴿قوله اى دعاؤهم﴾ الصلاة فى اللغة الدعاء وفى عرف الشرع الاركان المعلومة والافعال المخصوصة وليس شئ من المكاء والتصدية من جنس الصلاة اللغوية ولا الشرعية يقال مكا يمكو اذا جمع كفيه ثم صفر فيهما قال الاصمعى قلت لواحد من اهل اللغة لا المكاء فشبك بين اصابعه ثم وضعها على فمه ونفخ فينبغى ان لا يصح استثناؤهما فاشار الى توجيه الاستثناء بان الصفير والتصفيق وهو ضرب اليد على اليد اظهارا

(وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا (فذوقوا العذاب) يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من

قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد ألفين سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين كفروا) اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين (فيجعله في جهنم) كله (اولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم (قل للذين كفروا) يعني اباسفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنة الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) لا يوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولاتبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لايضيع من تولاه

بصدى وهو الصوت نوع من العبادة والدعاء في زعمهم وانهم كانوا يعتقدون انها من جنس الصلاة وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال كانت قريش يطوفون بالبيت عراة ويصفرون ويصفقون للاحتراز عن ان يطوفوا ببيت الله بثياب عصوا الله فيها فانزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده فامروا بالثياب وكانوا يعدون المكاء والتصدية نوعا من العبادة والدعاء ويسمونهما صلاة فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم ثم اشار الى وجه آخر وهو ان المراد بالصلاة الصلاة الشرعية واستثنى المكاء والتصدية مع انهما ليسا من جنسها تعريضا بالمشركين بتركهم ما امروا به في المسجد الحرام وجعلهم المكاء والتصدية بدلا منه فان ما لايدخل تحت الشيء قد يستثنى منه لنكتة وغرض كقصد المدح والذم كما تقول العرب مالفلان عيب الا الشجاعة فلا عيب له وكذا الغرض ههنا ان من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له وقد امروا بها **قوله تفعلة من الصدى او من الصد** يعني اختلف في التصدية انها من الصدى او من الصد وهو المنع يقال صده عن الامر صدا اي منعه وصرفه عنه وينقل الى باب التفعيل للتكثير ويقال صدد يصدد تصديدا وتصددة فلما كثرت الدالات قلبت احداهن ياء كما في نحو تقضي البازي واصله تقضض روى الامام محيي السنة رضي الله تعالى عنه عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان التصدية تصدية المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة ثم قال فأصلها على هذا التأويل التصددة بدالين قلبت احدى الدالين ياء وعن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام كان اذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره فيصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته وهم بنو عبد الدار فقتلهم الله تعالى ببدر **قوله وقرئ** يعني ان قراءة العامة رفع صلاتهم ونصب مكاء وقرئ بنصب صلاتهم ورفع مكاء على تقديم خبر كان على اسمها وجعل صاحب المفتاح هذه القراءة على القلب بناء على انه لايجوز ان يخبر عن النكرة بالمعرفة الا في ضرورة الشعر كقوله يكون مزاجها عسل وماء وقال ابن جني لاحاجة الى اعتبار القلب لان المكاء والتصدية اسما جنس لانهما مصدران واسم الجنس تعريفه وتنكيره متقاربان فلا يبالي بأيهما جعل اسما او خبرا والمعرفة والنكرة في باب الجنس سواء فلا فرق بين ان يقال ما كان ذلك الا المكاء والا مكاء الا يرى ان المعرف باللام في نحو قوله ولقد امر على اللئيم يسبني في حكم المنكر حيث وصف بالجملة كما توصف بها النكرة **قوله مشبكين بين اصابعهم** تصوير لمكائهم فان المكاء عبارة عن تشبيك الاصابع ووضعها على الفم وان ينفخ فيها **قوله عشر جزر** جمع جزور وهو البعير ذكرا كان او انثى الا ان لفظه مؤنث تقول هذه الجزور فلذلك لم يقل عشرة جزر بالتاء **قوله سوى من استجاش** اي سوى من سار جيشا وفي الكشاف انه استأجر ليوم احد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش والاحابيش جمع احبوش وهي الجماعة من الناس من قبائل شتى واستجاش اي طلب الجيش والاوقية اثنان واربعون مثقالا **قوله ولعل** يعني ان الاظهر ان قوله تعالى ينفقون اموالهم محمول على الحال بمعنى انه اخبار عن انفاقهم يوم بدر وقوله فسينفقونها اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد فيتغاير الانفاقان ويحتمل ان يكون الاول ايضا محمولا على الاستقبال فيتحدان كأنه قيل ان الذين يريدون ان ينفقوا اموالهم فسينفقونها فيكون سوق الاول لبيان الغرض من الانفاق وسوق الثاني لبيان عاقبته والمنوي في قوله ثم تكون ضمير اموالهم ولما كانت عاقبة انفاقها حسرة جعلت ذواتها كأنها عين الحسرة على سبيل المبالغة جعل الحرب سجالا تشبيها لها بالمساجلة من حيث انها تكون تارة لهم وتارة عليهم **قوله فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا** يعني ان الركم ليس عبارة عن الجمع مطلقا بل هو الجمع بين الاشياء بحيث يتراكب بعضها فوق بعض ومنه السحاب المركوم فيجعل بعض الكفرة على بعض في جهنم بان يلقوا مكانا ضيقا متراكبين هذا على تقدير ان يراد بالخبيث جنس الكافر كما هو الظاهر وان اريد به ما يتناول جنس الكافر وما انفقه في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم يكون المعنى فيركم المشركين مع ما انفقوا في جهنم فيعذبهم به كما يحمى على اموال الكافرين في نار جهنم فيعذبون بها وقوله وهو ابلغ من الميز وان كان كل منهما يتعدى الى واحد تقول مزت الشيء وميزت الشيء وتميز الشيء فانماز واشتاز وتميز كلاهما بمعنى الا ان الثاني ابلغ لدلالته على الاعتناء **قوله اي الذي انفقه مع من الكفار فهرا** اشارة الى ان كلمة ما في قوله انما غنمتم موصولة وغنمتم صلتها وعائدها محذوف اي انما غنمتموه فكان حق ما هذه ان تكتب منفصلة من ان كما في قوله تعالى انما توعدون لآت لكنها كتبت متصلة اتباعا للرسم والامر الله تعالى بالمقاتلة في قوله وقاتلوهم ومن المعلوم انه عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لاجرم ذكر الله

و ابن السبيل) فكأنه قيل فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به و حكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه و سلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعل الشيخان رضي الله تعالى عنهما و قيل الى الامام و قيل الى الاصناف الاربعة ﴿ ٤٠٨ ﴾ و قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه و سهم ذوى القربى بوفاته و صار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية و عن مالك رضي الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه أهم و ذهب ابو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة اقسام و يصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة و قيل سهم الله لبيت المال و قيل هو مضموم الى سهم الرسول و ذوو القربى بنوا هاشم و بنوا المطلب لما روى انه عليه الصلاة و السلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان و جبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنوا هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم و حرمتنا و انما نحن و هم بمنزلة فقال عليه الصلاة و السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية و لا فى اسلام و شبك بين اصابعه و قيل بنوا هاشم وحدهم و قيل جميع قريش و الغنى و الفقير فيه سواء و قيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل و قيل الخمس كله لهم و المراد باليتامى و المساكين و ابن السبيل من كان منهم و العطف للتخصيص و الآية نزلت ببدر و قيل كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر و ثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه و اعلموا اى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم و اقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض و المقصود بالذات هو العمل (و ما انزلنا على عبدنا) محمد من الآيات و الملائكة و النصر و قرئ عبدنا بضمتين اى الرسول و المؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق و الباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون و الكفار (و الله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير و الامداد بالملائكة (اذ انتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان و العدوة بالحركات الثلاث شط الوادى و قد قرئ بها و المشهور الضم و الكسر و هو قراءة ابن كثير و ابى عمرو و يعقوب (و هم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى و كان قياسه (فعلى)

تعالى حكم الغنيمة فى هذه الآية و الفيء و الغنيمة بمعنى و قيل الفيء ما كان عن صلح بغير قتال و يؤيد الاول قوله عليه الصلاة و السلام فى الغنائم «ما لى مما افاء الله عليكم الا الخمس و الخمس مردود عليكم» و الغنم الفوز بالشئ يقال غنم يغنم غنما و هو غانم و الغنيمة فى الشريعة ما دخلت فى ايدى المسلمين من اموال المشركين على سبيل القهر بالخيل و الركاب و انها كانت لا تحل للامم السالفة و قد احل لهذه الامة اربعة اخماسها بين الله تعالى فى هذه الآية مصارف خمسها ثم بين فى غير هذه السورة حل اربعة اخماسها لنا حيث قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ﴿قوله و الجمهور﴾ جواب لما عسى يقال لو كان لله تعالى نصيب على حدة لكان ذلك النصيب سدس المقسوم لا خمسه فكيف قيل فان لله خمسه اى ذهب اكثر المفسرين و الفقهاء الى ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك و اضاف هذا المال الى نفسه لشرفه و ليس المراد أن سهما من الغنيمة نصيب الله تعالى مفردا فان ما فى الدنيا و الآخرة كلها لله تعالى و يؤيده قوله عليه الصلاة و السلام «ما لى مما افاء الله عليكم الا الخمس» فلو كان لله تعالى سهم على حدة لكان سهمه عليه الصلاة و السلام السدس لا الخمس ﴿قوله و حكمه بعد باق﴾ اى و حكم ما ذهب اليه الجمهور فى معنى الآية باق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم عند الامام الشافعى فان الخمس يقسم عنده على خمسة اسهم ﴿قوله و سهم ذوى القربى﴾ اى اقارب رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف و كان لعبد مناف اربعة بنين هاشم و المطلب و نوفل و عبد شمس اما هاشم فولد عبد المطلب و اسدا و عبد المطلب له عشرة بنين منهم عبد الله و ابو طالب و حمزة و العباس و ابو لهب و الحارث و الزبير و اختلف فى المراد بذى القربى منهم فقيل بنوا هاشم و بنوا المطلب و ليس لبنى عبد شمس و لا لبنى نوفل منه شئ و كان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من بنى عبد شمس و جبير بن مطعم من بنى نوفل لما روى انه عليه الصلاة و السلام قسم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم و بنى المطلب و لم يعط احدا من بنى عبد شمس و لا من بنى نوفل شيأ ﴿قوله و الغنى و الفقير فيه سواء﴾ لانه عليه الصلاة و السلام و الخلفاء بعده كانوا يعطون العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله و قيل هو مخصوص بفقرائهم اى يعطى لفقرائهم لا لقراباتهم فلهذا ذهب ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه الى ان سهم ذوى القربى ساقط بعد وفاته عليه الصلاة و السلام كما سقط سهمه عليه الصلاة و السلام بعد وفاته لانه لم يخلفه احد فى الرسالة فلا يخلفه فى سهمه فيكون خمس الغنيمة عنده اليوم لثلاثة اصناف اليتامى و المساكين و ابن السبيل و اليتامى جمع يتيم و هو الصغير المسلم الذى لا اب له يصرف اليه سهم من الخمس اذا كان فقيرا و المساكين هم اهل الفاقة و الحاجة من المسلمين و ابن السبيل هو المسافر البعيد عن ماله فلا يترك صنف من هذه الاصناف بغير حظ من قسمة الخمس و يجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة و هذا الذى ذكرنا هو قسمة الخمس من الغنيمة و هى المذكورة فى القرآن العظيم و الباقى و هو اربعة اخماس للغانمين الذين باشروا القتال فللفارس ثلاثة اسهم سهم له و سهمان لفرسه لما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة و السلام قال «للفارس ثلاثة اسهم سهم له و سهمان لفرسه» و للراجل سهم عند الامام الشافعى و عند ابى حنيفة رضى الله تعالى عنهما للفارس سهمان و للراجل سهم ﴿قوله بعد بدر بشهر و ثلاثة ايام﴾ و كانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان و هو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه و سلم من قتال المشركين لاعلاء كلمة الحق و الدين ﴿قوله متعلق بمحذوف﴾ يعنى أن ان شرط جوابه مقدر عند الجمهور و ان اجاز الكوفيون ان يكون جوابه مقدما عليه و لم يكتف بتقدير قوله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء و قدر معه قوله فسلموه اليهم الخ لما ذكر من أن العلم مقصود بالعرض و المقصود بالذات هو العمل و قوله و ما انزلنا فى محل الجر بالعطف على الجلالة و قوله يوم الفرقان منصوب بأنزلنا و يوم التقى الجمعان بدل منه اى ان كنتم آمنتم بالله و بالمنزل على عبدنا يوم الفرقان و هو قوله تعالى يسألونك عن الانفال و هو منزل فى يوم بدر ﴿قوله شط الوادى﴾ اى جانبه و فى الصحاح الشط جانب النهر و الوادى و بالعدوة متعلق بمحذوف اى اذ انتم نزول بشفير الوادى الادنى للمدينة و عدوكم نازل بجانبه الابعد منها لانه خبر المبتدأ و الباء بمعنى فى كقولك زيد بمكة و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و يعقوب بالعدوة بكسر العين فيهما و الباقون بالضم فيهما و قرئ بالفتح ايضا فى الشواذ و هى كلها لغات بمعنى و قرئ شاذا بالعدية بقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها و لا يعتبر الفاصل لانه الساكن و هو حاجز غير حصين كما قالوا و فيه ضعف ﴿قوله تفرقة بين الاسم و الصفة﴾ فان فعلى ان كانت واوية قلبت واوها ياء فى الاسم دون الصفة و ان كانت يائية لم يفرق بين الاسم و الصفة بل تكون لامها باقية على حالها نحو الجلوى تأنيث الاجلى و كل واحد من الدنيا و القصوى

الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد (ليقضى الله امرا كان مفعولا) حقيقا بأن يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة) بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حىّ المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولو اراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم فى الامر) امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) انعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا

فعلى من ذات الواو اما الدنيا فلانها من دنا يدنو دنوا واما القصوى فلانها من قصا المكان يقصو قصوا اذا بعد وهما وان كانا من قبيل الصفات لكونهما من باب افعل التفضيل الا انهما الحقا بالاسماء دون الصفات بسبب استعمالهما فى اكثر الامر بلا موصوف فلذلك كان القياس فيهما قلب الواو وذكر فى المفصل ان فعلى تقلب واوها ياء فى الاسم دون الصفة وان القصوى صفة * والركب جمع راكب مثل صحب وصاحب والمراد به العير وقوادها ابو سفيان واصحابه كانوا بقرب ساحل البحر بينهم وبين المسلمين ثلاثة اميال يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير وقوله وفائدتها اى فائدة الجملة الحالية الدلالة على تعيين مراكز كل واحد من الجمعين والركب فان معنى الآية سلوا خمس ما غنمتم الى ما عين لكم من المصارف واقنعوا بما بقى من الاخماس الاربعة ان كنتم آمنتم بما انزلنا على عبدنا اذ انتم نازلون بشفير الوادى الادنى الى المدينة وعدوكم نازل بشفير الوادى الاقصى من المدينة الى جانب مكة والحال ان الركب فى موضع اسفل منكم الى ساحل البحر والفائدة فى تعيين هذه المواضع الدالة على قوة العدو وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم اى اختلاطه وضعفه من اللوث وهى اللين والضعف قيل فى صفة المصلوب

* كأنه عاشق قدمد صفحته * يوم الوداع الى توديع مرتحل *
* اوقائم من نعاس فيه لوثته * مواصل تمطيه من الكسل *

وفى الصحاح الالتياث الاختلاط والالتفاف يقال التاثت الخطوب والتاث برأس القلم شعرة والتاث فى عمله ابطأ

﴿قوله ولذا ذكر مراكز الفريقين﴾ اى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وذكر ان العير وقوادها اسفل منهم ﴿قوله لاختلفتم﴾ اى لخالف بعضكم بعضا وعزمتم على التخلف من محاربة النفير لكثرتهم وقلتكم ولكن جمعكم الله تعالى من غير ميعاد لكم ليقضى الله امرا كان مفعولا فى علمه وحكمه او كان حقيقا بأن يفعل فانه تعالى دبر تدبيرا عجيبا لوقوع الحرب بين الجمعين من حيث انه أخبر المؤمنين باقبال العير حتى خرجوا واقلق الكفار باسماع خبر خروجهم لكى ينفروا وسبب الاسباب حتى اجتمعوا للحرب وايد الله تعالى المؤمنين بنصره بأن ربط الله تعالى على قلوبهم وقواها وازال عنها الاضطراب والارتياب وألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وامدهم بانزال الملائكة والمطر وغير ذلك من وجوه لطفه وفعل ذلك خارق للعادة ليظهر الحق ويقطع دابر الكافرين ﴿قوله وقرئ ليهلك بالفتح﴾ اى بفتح اللام وهى لغة شاذة نحو أبى يأبى لان هلك مفتوح العين من غير حرف الحلق ﴿قوله اذ يقللهم فى عينك﴾ اشارة الى ان الاراءة بصرية تتعدى الى اثنين وان قليلا حال من المفعول الثانى وان المنام مصدر ميمى بمعنى النوم اطلق لفظ العين على حاسة الخيال تشبيها بالباصرة فى كونها سببا لادراك المحسوسات العينية غاية ما فى الباب ان الباصرة يدرك بها عند حضور المادة وحاسة الخيال يدرك بها حال غيبة المادة من حاسة البصر عن مجاهد رضى الله تعالى عنه انه قال ارى الله النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش فى منامه قليلا فأخبر بذلك اصحابه فقالوا رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم حق والقوم قليل فكان ذلك سببا لقوة قلوبهم * فان قيل رؤية الكثير قليلا غلط فكيف يجوز من الله تعالى ان يفعل ذلك * اجيب بانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولعله تعالى اراه البعض دون البعض فحكم عليه الصلاة والسلام على اولئك الذين راهم بانهم قليل ويحتمل أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه ما كان تأويله ضعف امر العدو فجاز ان يريه الله انهم قليلوا العدد ويكون تأويله ضعف امرهم فيخبر اصحابه بذلك ويقول انى رأيت مصارع القوم غدا فقويت نفوس اصحابه بذلك وليس هذا من اراءة الشئ على غير ما هو عليه لان الرؤيا تخييل وتنبيه على شئ تمثل صورته فى المخيلة فعلى هذا يكون قوله تعالى ولو اراكهم كثيرا لفشلتم يعنى ولو رأيت فى منامك ما يكون تأويله قوة امرهم ثم اخبرت اصحابك بذلك لفشلوا اى جبنوا ولتنازعوا واختلفوا ولم يتفقوا على قتالهم ومن جملة ما انعم الله تعالى به على اهل بدر انه تعالى اراهم عدوهم اولا فى المنام قليلا فقوى قلوبهم بذلك ثم انه تعالى اكد التقليل الذى ظهر لهم فى المنام بان اظهر لهم ذلك التقليل فى اليقظة كما قلل عدد المؤمنين فى اعين المشركين ايضا وهو قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم * واعلم انه تعالى قلل عدد المشركين فى اعين المؤمنين وقلل عدد المؤمنين فى اعين المشركين والحكمة فى التقليل الاول تصديق رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم وايضا لتقوى قلوبهم وتزداد جرآتهم عليهم

فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا الكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى

في الشروط (ليقضي الله امرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة الاكتفاء على الوجه الحكمي وههنا اعزاز

والحكمة في التقليل الثاني ان المشركين لما استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب والحذر فصار ذلك سببا لاستيلاء المؤمنين عليهم وقوله اكلة جزور مثل يضرب به في القلة اي قليلون بحيث تشبعهم جزور واحدة والاكلة جمع آكل ﴿قوله فانهم في اعينهم﴾ جواب عما يقال ما الحكمة في تقليل المؤمنين في اعين المشركين قبل التحام القتال ثم تكثيرهم بعده ويحتمل ان يكون التقليل من الجانبين مبنيا على ان المسلمين رأوا الملائكة معهم فكان المشركون في مقابلة المسلمين والملائكة قليلا ولم ير المشركون الملائكة فكان المسلمون في مقابلة المشركين قليلا ﴿قوله كرره لاختلاف الفعل المعلل به﴾ وهو الجمع بين الفريقين على الحالة المذكورة في الاول وتقليل كل واحد من الفريقين في اعين الآخر في الثاني اولان المراد بالامر ثمة التقاء الفريقين على الوجه المحكي حتى يكون استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه يكون معجزة دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه والحاصل ان التكرير امالاختلاف الفعل المعلل به اولاختلاف علته ثم قال والى الله ترجع الامور لتنبيه على ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زاد اليوم الميعاد ﴿قوله بطرا وأشرا﴾ يعني ان البطر والاشر الطغيان في النعمة بترك شكرها وجعلها وسيلة الى مالا يرضاه الله وقيل البطر عدم مقابلة النعمة بالشكر والخيلاء والرياء اظهار الجميل ليرى مع ان باطنه يكون قبيحا والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية وقوله بطرا ورئاء منصوبان على المفعول له ويجوز ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال من فاعل خرجوا اي خرجوا بطرين ومرائين ورئاء الناس مصدر مضاف الى مفعوله ﴿قوله وتعزف علينا القينات﴾ اي وتغني علينا الجواري بضرب آلات اللهو فان المعازف آلات الملاهي والعازف اللاهي بها والمغني والقينة الامة مغنية كانت او غير مغنية والجمع القينات وقيل القينة هي المغنية وليس كذلك وقوله فوافوها اي أتوا بدرا ولكن سقوا كأس المنايا مكان كأس الخمور وناحت عليهم النوائح مكان تغني القينات ﴿قوله معطوف على بطرا﴾ وحذف معمول يصدون للعلم به ولما كان عطف الفعل على الاسم غير حسن كان ينبغي ان يجعل يصدون بمعنى صادين ان جعل بطرا ورئاء بمعنى بطرين ومرائين واما ان جعلا مفعولا لهما كان ينبغي ان يجعل يصدون في تأويل المصدر الاان صدهم لما كان متجددا حادثا عند بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعائه النبوة عبر عنه بصيغة الفعل بخلاف البطر والرئاء فانهما صفتان ثابتتان راسختان فيهم فعبر عنهما بلفظ الاسم الدال على التمكن والاستقرار كقوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولوقيل يبسط لدل على ان البسط يتجدد ساعة فساعة ﴿قوله مقالة نفسانية﴾ اختار ان تزيين الشيطان لهم لم يكن بأن يتمثل ويتحول في صورة انسان وانما وقع بطريق الوسوسة والالقاء في الروع لانه المعهود المتبادر مما يسند الى الشيطان فلا يعدل عنه من غير مانع ﴿قوله واوهمهم ان اتباعهم اياه مجير لهم﴾ اشارة الى ان قوله واني جار لكم من قبل الاسناد الى السبب الداعي الى الفعل ومعنى الجار في قوله واني جار لكم المجير الحافظ الذي يدفع عن صاحبه انواع الضرر كما يدفع الجار عن جاره والعرب تقول انا جارك من فلان اي حافظ لك من مضرته فلا يصل اليك منه مكروه ﴿قوله ولكم خبر لاغالب﴾ اي لاغالب كائن لكم او صفته وخبره محذوف اي لاغالب كائنا لكم واقع او موجود وعلى التقديرين اسم لاالتي لنفي الجنس نكرة مفردة غير مضاف ولامشابه له فلذلك بني على الفتح وقوله وليس صلته اي ليس متعلقا بغالب لانه لوكان لكم مفعولا لغالب بمعنى لاغالبا اياكم لما جاز بناء غالب بل يكون معربا منصوبا لان اسم لا اذا عمل فيما بعده يكون مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده ومن حيث ان ما بعدهما متمم ومخصص لهما وقد تقرر في النحو ان اسم لا اذا كان نكرة مضافا اومشابها للمضاف كان تاليا لكلمة لا اي لايقع فاصل بين الاسم وبين لا ويجب ان يكون منصوبا فظهر ان لكم لوكان معمول غالب لوجب ان يقال لاغالبا لكم كما يقال لاضاربا زيدا عندنا فلما بني غالب تعين ان لكم ليس معمول غالب وان اليوم ليس منصوبا بغالب وان من الناس ليس حالا من الضمير في غالب لما مر من ان اسم لا اذا عمل فيما بعده لايجوز بناؤه لشبهه بالمضاف بل اليوم منصوب بما تعلق به الخبر ومن الناس حال من الضمير فيه وقوله تعالى واني جار لكم يجوز ان يكون معطوفا على قوله لاغالب لكم فيكون قد عطف جملة مثبتة على جملة منفية ويجوز ان يكون حالا من فاعل ما تعلق به الخبر فتكون الواو للحال ﴿قوله رجع القهقرى﴾ قيل هذا اصل معنى النكوص الاانه قد اتسع فيه حتى استعمل في كل رجوع وان لم يكن قهقرى

الاسلام واهله واذلال الاشراك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الاالكفار واللقاء غلب في القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لايشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لاينفك عنه في شئ من الاحوال (واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد (فتفشلوا) جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الابريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصر (ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا وأشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بأن يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشئ امر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (اعمالهم) في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى انه ألقى في روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما (والمراد)

والمراد مطلق الرجوع لانه كناية عن الفرار وفيه بحث لان غالب الفرار حال القتال اغاهو كما ذكر وهو رجوع القهقرى لخوف القار من جهة العدو وقوله على عقبيه حال مؤكدة لان رجوع القهقرى انما يكون على العقبين ﴿قوله وخاف عليهم﴾ اى لاعلى نفسه اذ قد امهله الله تعالى الى الوقت المعلوم روى عن قتادة انه قال صدق اللعين فى قوله انى ارى مالاترون وكذب فى قوله انى اخاف الله والله مابه مخافة ولكن علم انه لاقوة له فأورد هم معركة القتال وخذلهم وتلك عادة عدو الله لمن اطاعه يقحمهم ورطة الهلاك ثم يتبرأ منهم وقيل لما رأى جبريل عليه السلام خاف ان يأخذه جبريل ويعرّفهم حاله وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خاف ان يكون الوقت الذى انظر اليه قد حضر فقال ماقال اشفاقا على نفسه ﴿قوله وقيل﴾ عطفه على قوله مقالة نفسانية والاحنة الحقد والبغض الكامل ﴿قوله يثنيهم﴾ اى يكفهم ويصرفهم يقال ثنيت الشئ اذا صرفته عن مقصده ﴿قوله وكان يده الخ﴾ جملة حالية بتقدير قد من فاعل نكص ويجوز ان ينقطع كلام ابليس عند قوله انى اخاف الله ثم يقول الله والله شديد العقاب ويجوز ان يكون ذلك من بقية كلام ابليس ﴿قوله والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد﴾ على ان يكون المراد بالذين فى قلوبهم مرض قوم من قريش اسلموا وماقوى اسلامهم وكانوا بمكة مستضعفين قد اسلموا وحبسهم اقرباؤهم عن الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم يعنى انهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ومع ذلك يقاتلون ألف رجل وماذلك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل ان المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل انفسهم رجاء ان يجعلوا احياء بعد الموت ويثابوا على هذا القتل فقالوا غرّ هؤلاء دينهم ﴿قوله لما لايدلهم به﴾ اولا طاقة لهم به ﴿قوله ويدل عليه﴾ اى على كون الملائكة فاعل يتوفى بياء المذكر الغائب قرآءة ابن عامر تتوفى بتاء التأنيث للجماعة والباقون قرأوا بياء الغيبة الا ان الاظهر ان يكون الفعل على قرآءتهم مسندا الى الملائكة ليوافق قرآءة ابن عامر وذكر الفعل للفصل بينه وبين الفاعل ولان تأنيث الفاعل غير حقيقى ويحتمل ان يكون الفعل على قرآءة العامة مسندا الى ضمير الله تعالى لتقدم ذكره فيكون الملائكة مبتدأ ويضربون خبره والجملة حال من المفعول على مااختاره المصنف ويجوز ان تكون استئنافية جوابا لسؤال مقدر فعلى هذا الوجه يوقف على كفروا وعلى الاول وهو ان تكون الملائكة فاعل يتوفى يكون يضربون جملة حالية وجواب لو محذوف لدلالة المقام عليه اى لرأيت امرا عظيما والحذف فى مثل هذا الموضع ابلغ من الذكر لان النفس تذهب فيه الى كل مذهب قيل المراد بالذين كفروا هم الذين قتلوا من المشركين ببدر وانهم لما قتلوا ضربت الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المشركين كانوا اذا اقبلوا ضربوا وجوههم بالسيف واذا ادبروا ضربوا ادبارهم فلا جرم قابلهم بمثله فى وقت نزع الروح وقيل يجوز ان تكون هذه الآية فى الذين لم يقتلوا ببدر اخبر الله من احوالهم عند حضور آجالهم ان الملائكة تقبض ارواحهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم فيكون قبض ارواحهم مشاكلا لقبض ارواح الذين قتلوا ببدر ضربا وطعنا من خلف وقدام وقوله تعالى ولو ترى يؤيد القول الاول لما ذكره المصنف من ان كلمة لو ترد المضارع الى معنى الماضى ولابد ان يحمل معنى المضى ههنا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل قد مضى هذا المعنى ولم تره ولو رأيته لرأيت امرا فظيعا وهذا المعنى يستدعى ان يكون قوله الذين كفروا ماما ولاما على الكفرة المعهودين شرح الله تعالى احوال هؤلاء الكفرة حال حياتهم ثم بين احوال موتهم ومايصل اليهم من العذاب فى ذلك الوقت وقيل توفى الشئ واستيفاؤه عبارة عن اخذه تاما وافيا فقوله تعالى يتوفى الذين كفروا الملائكة يدل على ان الملائكة يستوفون الذوات الكافرة والذى يستوفونه هى الارواح والاجسام فهذا يدل على ان الانسان شئ مغاير لهذا الجسد وانه هو المكلف الموصوف بالايمان والكفر ﴿قوله اى ويقولون ذوقوا﴾ ليس الاحتياج الى هذا التقدير لمجرد قبح عطف الانشاء على الاخبار بل لان المعنى على ذلك لان هذا من كلام الملائكة قطعا وعذاب الحريق اشارة الى عذاب جهنم والملائكة يقولون لهم ذلك القول عند التوفى انذارا لهم بانهم يذوقون عذابها عن قريب فلا يكون ذوقوا للحال بل للاستقبال جعل القول المذكور بشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ﴿قوله وقيل كانت معهم مقامع الخ﴾ عطف على قوله بشارة لهم بعذاب الآخرة اى النار وقيل الحريق اسم للنار وان الملائكة يضربونهم عند التوفى بمقامع من حديد كلما ضربوهم بها التهبت النار منها فى جراحاتهم ويقولون لهم ذوقوا هذا العذاب الآن وستشبعون منه عن قريب ﴿قوله بسبب ما كسبتم﴾ اشارة الى ان اليد

في المسير ذكرت مابينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى مالاترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبنى بمكروه من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه مالم يره قبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غرّ هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حين تعرضوا لما لايدلهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لايذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولو ترى) ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قرآءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين (وأدبارهم) ظهورهم او أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت ايديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك

مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقتهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فأخذهم الله بذنوبهم) كما اخذ هؤلاء (ان الله قوي شديد العقاب) لا يغلبه في دفعه شيء (ذلك) اشارة الى ما حل بهم (بأن الله) بسبب ان الله (لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى تغير حالهم واصل لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) انفسهم بالظلم والمعاصي (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) اصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالأوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة (وهم لا يتقون) سبة الغدر ومغبته اولا يتقون الله فيه او نصره

(مناصبتك)

في قوله تعالى بما قدمت ايديكم عبارة عن النفس المدركة عبر عنها باسم اغلب آلاتها واسبابها في اكتساب الافعال واو اقتصر على قوله بما قدمت ايديكم لافهم كون المكسوبات الباطلة سببا للتعذيب وذلك لا ينافي جواز التعذيب بغير ذنب فعطف عليه ما بعده تصريحا لعدم جواز ذلك وصاحب الكشاف جعل نفي الظلم سببا للتعذيب حيث قال اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيهم وبأن الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين فكأنه قال نفي الظلم سبب للتعذيب اذ لو كان ظالما لامكن ان لا يعذبهم بذنوبهم وهو تصريح بأن ترك تعذيب من يستحقه ظلم ورد المصنف ذلك وجعل نفي الظلم قيدا لسبب المكسوبات الباطلة ﴿قوله وظلام للتكثير لاجل العبيد﴾ جواب عما يقال ظلام بناء المبالغة فدلول الآية انتفاء كونه تعالى كثير الظلم وهو لا ينافي جواز اتصافه تعالى بأصل الظلم بل يدل على اتصافه به بناء على قاعدة رجوع النفي الى القيد وهو محل وتقرير الجواب ان الظلام للتكثير فيدل على كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد من افراد العبيد حتى يقال انتفاء كثرة الظلم بالقياس الى كل فرد لا ينافي ان يظلمه في الجملة بل الكثرة المنفية اعتبارية بازاء كثرة افراد العبيد على طريق التوزيع كما يقال في مقابلة الجمع بالجمع فان العبيد يدل على الكثرة بل على الاستغراق فالظالم لهم يكون كثير الظلم لاصابة كل واحد منهم ظلما على حدة فصار المعنى انه تعالى ليس بظالم لهذا ولا لذاك الى ما لا يحصى والنفي عن كل عبد اتباعا هو اصل الظلم هو المطلوب ﴿قوله اي دأب هؤلاء﴾ على ان الكاف خبر مبتدأ محذوف والدأب العادة والشأن واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اي يداوم عليه ويواظب ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها لما بين ما نزل بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا بين ان هذه طريقته وسنته ودأبه في الكل فان آل فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون ﴿قوله تعالى والذين من قبلهم﴾ او وكدأب الذين اي عادتهم والغرض التنبيه على ان لهم عذابا مؤخرا سوى ما نزل بهم من العذاب العاجل وقوله الى حال اسوأ اشارة الى دفع ما يقال من ان آل فرعون ومشركي مكة لم يكن لهم حال مرضية حتى يقال انهم غيروها الى حال مسخوطة فغير الله تعالى نعمته عليهم الى النقمة وتقرير الدفع ان قوله تعالى ما بأنفسهم يعم الحالة المرضية والقبيحة فكما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى ما هو اسوأ منها واولئك كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات القاطعة غيروا حالهم الى ما هو اسوأ مما كانت فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ فانه تعالى شبه اولا دأب كفار قريش بدأب آل فرعون وبين وجه التشبيه بقوله كذبوا بآيات ربهم وتكذيب الآيات وان كان هو الكفر بالآيات وهو وجه التشبيه الاول الا ان الآيات في التشبيه الثاني لما ذكرت مضافة الى الرب فقط نيط بهذا التشبيه الدلالة على كفران النعم لان في الرب والربوبية معنى انه منعم عليهم مرب لهم وتكذيب آيات المنعم المربي كفران لنعمه وهذا غير متحقق في التشبيه الاول وايضا فقد رتب على التشبيه الاول الاخذ بالذنوب وفيه اجمال وبين في الثاني ما اخذ به آل فرعون وهو الاغراق ﴿قوله وقيل﴾ اي وقيل ليس بتكرير لكن الاول لتشبيه الكفر والاخذ به لان قوله تعالى كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم جملة مستقلة ذكرت بعد ذكر طرفي التشبيه صالحة لان تكون وجه التشبيه فوجب حملها عليه والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم بدليل ما سبق من قوله ذلك بأن الله لم يك مغيرا الى آخرها ولم يرض المصنف بهذا القول لان قوله تعالى في التشبيه الثاني كذبوا بآيات ربهم ذكر في موضع قوله في التشبيه الاول كفروا بآيات الله فكما جعل هذا وجه التشبيه وجب ان يجعل ذلك ايضا وجه التشبيه ثم انه تعالى لما وصف كل الكفار بقوله وكل كانوا ظالمين افرد بعضهم بمزية في الشر والفساد وهو ما اجتمع فيه مع كفره الاصرار عليه وكونه ناقضا للعهد على الدوام وفسر قوله الذين كفروا بقوله الذين اصروا على الكفر ليخبر عن المتصف به بأنه لا يؤمن وفسر قوله فهم لا يؤمنون بقوله فلا يتوقع منهم ايمان لان معناه انه لا يقع منهم ايمان في الازمنة المستقبلة واذا لم يقع منهم ايمان في زمان لم يتوقع منهم ايمان ﴿قوله ان لا يمالئوا﴾ اي لا يعاونوا العدو عليه والممالأة المعاونة ﴿قوله وركب كعب﴾ بيان لطريق ممالأتهم يوم الخندق ﴿قوله ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ﴾ اي الذين اخذت منهم العهد ويحتمل ان يكون منهم حالا من عائد الموصول المحذوف والتقدير الذين عاهدتهم كائنين من للتبعيض * والسبة العار الذي يسب به والمغبة العاقبة ﴿قوله فرق عن

مناصبتك ﴾ اى معاداتك والمحاربة معك والنصب مصدر نصبت الشئ اذا اقمته ويقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته وناصبته الحرب فالمعنى اذا قابلت هؤلاء الناقضين واوقعت فيهم النكاية والقهر يضطرب ويخاف منك غيرهم من الناقضين بحيث يذهب منهم بالكلية ما يخطر ببالهم من مناصبتك ﴿ قوله وكأنه مقلوب شذر ﴾ بمعنى فرق يقال تفرقوا شذر مذر اذا ذهبوا فى كل وجه ولا يجيئوا انما قال ذلك لان مادة شرذ بتقديم الراء المهملة على الذال المعجمة غير مستعمل فى كلام العرب ويدل عليه ان الجوهرى لم يذكر هذه المادة فى الصحاح ﴿ قوله ومن خلفهم ﴾ اى وقرئ من الجارة فان شرذ منزل منزلة اللازم ويكون خلفهم ظرفا له لتقارب معنى من وفى تقول اضرب زيدا من وراء عمرو بمعنى فى وراءه امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بايقاع فعل التشريد من وراء القوم وجعل ذلك كناية عن تشريد من فى تلك الجهة لان فعل التشريد فى جهة وراءهم من لوازم تشريد من فيها فيتوافق معنى قراءتى فتح الميم وكسرها ولذلك قال والمعنى واحد ﴿ قوله لعل المشردين ﴾ يعنى ان ضمير لعلهم يذكرون مرجعه من خلفهم فانهم اذا رأوا ما حل بالناظرين تذكروا واتعظوا ﴿ قوله فاطرح اليهم عهدهم ﴾ فسر النبذ بالطرح وقدر المفعول المحذوف اى اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم فى العلم بنقض العهد سواء ﴿ قوله ولا تناجزهم ﴾ اى لا تعاجلهم فى المحاربة بان تحاربهم قبل ان يظهر نبذ العهد منك ﴿ قوله على ان الفاعل ضمير احد ﴾ اى لا يحسبن احد ممن يتأتى منه الحسبان الذين كفروا سبقوا اى فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم وتخلصوا من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة لما بين الله تعالى ما يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من يجده فى الحرب ممن آذاه ونقض عهده مرارا بين ان من لم يتفق له عليه الصلاة والسلام اسره وقتله يوم بدر وغيره من معارك القتال من الذين آذوه وبالغوا فى عصيانه لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه من الانتقام منهم والمقصود تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن فاته ولم يتمكن عليه الصلاة والسلام من الانتقام منه ﴿ قوله او على تقدير ان سبقوا ﴾ عطف على قوله والمفعول الاول انفسهم على تقدير ان يكون يحسبن بياء الغيبة مسندا الى قوله الذين كفروا ويحتمل ان يكون مفعوله الاول محذوفا احترازا عن تكرار ذكر الامر الواحد فى كلام واحد مرة بعد اخرى ويحتمل ان يكون تقدير الكلام ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا وان الموصولة مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين فحذفت ان الموصولة لان المقصود يتم بالمسند والمسند اليه وهما حاصلان فيه وبقيت صلتها كما فى قوله ومن آياته يريكم قل أفغير الله تأمرونى اعبد ومن هذا القبيل قول من قال وتسمع بالمعيدى خير من ان تراه * وقوله

☼ الا ايهذا الزاجرى احضر الوغا ☼ وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ☼

ولعل مراد المصنف بقوله وهو ضعيف كونه قليل الورود فى كلام العرب ويحتمل ان يكون قوله الذين كفروا فاعلا ويكون قوله انهم لا يعجزون سادا مسد المفعولين على قراءة من يقرأ بفتح أنهم فتكون كلمة لا فى قوله لا يعجزون مزيدة ليصح المعنى ويكون سبقوا فى محل النصب على الحال بمعنى سابقين مفلتين هاربين والاظهر ان فتح انهم مبنى على حذف لام العلة اى لانهم فانه يتخلص به عن جعل لا صلة ﴿ قوله او لا يجدون ﴾ عطف على قوله لا يفوتون الله على ان تكون همزة افعل للوجدان فانها قد تكون لوجدان المفعول على فاعلية اصله ان كان الفعل لازما او مفعوليته ان كان متعديا كما فى اعجزته واحمدته ﴿ قوله الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ﴾ لانه ابتداء كلام غير متصل بما قبله كقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا وتم الكلام به ثم قال ساء ما يحكمون فكما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع عن الجملة التى قبله كذلك قوله انهم لا يعجزون بخلاف ما لو فتحت ألف انهم فان الجملة حينئذ تكون متعلقة بالجملة الاولى ﴿ قوله ولعل الآية ﴾ وهى قوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا ازاحة لما يرد على قوله تعالى فانبذ اليهم كأنه قيل كيف يوقظ العدو ويعلمهم بفسخ العهد قبل المحاربة مع انهم ان علموا بذلك امكن ان يتأهبوا للقتال ويستجمعوا اقصى ما يمكن لهم من اسباب التقوى والغلبة او يفروا ويتخلصوا وعلى التقديرين يفوت الانتقام منهم وما يكفى للمحاربة معهم بغير نبذ واعلام بظهور امارات الخيانة منهم فأزاح الله تعالى هذا المحذور بقوله لا تحسبنهم سبقوا واعلم ان النبذ انما يجب على الامام ان ظهرت خيانة المعاهدين بامارات ظنية واما اذا ظهر انهم نقضوا العهد ظهورا مقطوعا به فحينئذ لا حاجة الى نبذ العهد كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم فى ذمة النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله من قتل المشركين ﴾ اى منهزميهم

وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرذ من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء فى الخوف او العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوى او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله (ان الله لا يحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولا تحسبن) خطاب للنبى عليه الصلاة والسلام وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على (انهم لا يعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين

(وأعدوا) ايها المؤمنون (لهم) لناقضي العهد او الكفار (ما استطعتم من قوة) من ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي • قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى

مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد (عدو الله وعدوكم) يعني كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وانتم لا تظلمون) بتضييع العمل او نقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى (للسلم) للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب تكفيك من انفاسها جرع *

وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا *

(هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (والف بين قلوبهم) مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه (لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اي تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح (ولكن الله ألف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده (حكيم) يعلم انه كيف ينبغي

قوله فعال بمعنى مفعول **كلباس** بمعنى ملبوس وكتاب بمعنى مكتوب او مصدر ثلاثي نحو صاح صياحا لان مصادر الثلاثي ليست قياسية او مصدر فاعل وهو كثير ومعنى المفاعلة ان ارتباط الخيل يفعله كل احد افعل الآخر فيرابط المؤمنون بعضهم بعضا او جمع ربيط بمعنى مربوط وقيل يجوز ان يكون جمع الربط مصدر ربط يربط نحو كعب وكعاب وكلب وكلاب **قوله** جمع رباط نحو كتاب وكتب **قوله** والضمير اي في قوله به يجوز ان يرجع الى مفعول أعدوا وهو الموصول فيجوز ان يكون ترهبون حالا من الفاعل اي أعدوا حال كونكم مرهبين وان جعل ضمير به للاعداد يتعين كونه حالا من الفاعل والاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة فامر الله تعالى رسوله بمحاربة الكفار وان يشرد بهم من خلفهم امر في هذه الآية باعداد ما يتقوى به على المحاربة من الخيل والسلاح ونحوهما روي ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف لكونها اقوى على الكر والفر ويختارون اناث الخيل عند البيات والغارات لانها صهيلها قال عليه الصلاة والسلام • الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة • وقال عليه الصلاة والسلام • من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان يوم القيامة • **قوله** لا تعرفونهم باعيانهم جعل العلم بمعنى المعرفة لانه لم يذكر له الا مفعول واحد ولو كان على اصل معناه لتعدى الى اثنين ولما كان متعلق المعرفة الذوات دون النسب ذكر قوله باعيانهم والعلم يتعلق بالنسب ولو كان العلم ههنا على اصل معناه لوجب ان يقال لا تعلمونهم من حيث كونهم اعداء وورد عليه ان جعل العلم بمعنى المعرفة في قوله لا تعلمونهم صحيح لا في قوله الله يعلمهم لما صرح به العلماء من ان المعرفة بالشيء تستدعي سبق الجهل فلا يجوز نسبتها الى الله تعالى الا ان يفرق بين لفظ المعرفة وبين لفظ العلم المستعمل بمعنى المعرفة بناء على ان المراد بكونه بمعنى المعرفة كونه متعلقا بالذوات دون الغيب النسب مع قطع النظر عن كونها مجهولة قبل التعلق **قوله** ومنه الجناح لان الطائر به الى احد شقيه يقال جنح له واليه اذا مال **قوله** لاتصالها بقصتهم وقد مر ان المراد بقوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة هم يهود قريظة روى الامام رحمه الله عن مجاهد ان الآية نزلت في قريظة والنضير وورودها فيهم لا يمنع من اجرائها على ظاهر عمومها وقال الامام ابو الليث انما يجوز الصلح اذا لم يكن للمسلمين قوة فاذا كان للمسلمين قوة ينبغي ان لا يصالحوهم وينبغي ان يقاتلوهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية ان لم يكونوا من العرب فان الجزية لم توضع على العرب وتوضع على غيرهم حتى لا يبقى بقية الكفر في النسب الذي صلى الله عليه وسلم لان العرب كلها من نسبه فلا توضع الجزية عليهم بل يحاربون حتى يسلموا او يقتلوا وانما امر الله تعالى نبيه بالصلح حين كانت الغلبة للمشركين وكان في المسلمين قلة وقال صاحب الكشاف والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا فانهم يحاربون الى الهدنة والهدنة الصلح يقال هادنه اي صالحه والاسم الهدنة فاختار انها غير مخصوصة باهل الكتاب ولا منسوخة بآية السيف بل الامر مفوض الى رأي الامام **قوله** اني وجدت من المكارم حسبكم اي محسبكم وكافيكم وهو مفعول ثان لوجدت وان تلبسوا مفعوله الاول والخز من كل شيء اكرمه وفي رواية خز الثياب وهو الثياب المعمولة من الابريسم وبعد البيت

فاذا تذكرت المكارم مرة * في مجلس انتم به فتقنعوا *

اي غطوا وجوهكم يهجو قوما ويقول كفاكم من المكارم لبس الثياب الناعمة واكل المطعومات الطيبة واذا ذكرت المكارم في مجلس انتم فيه فتقنعوا واستروا وجوهكم من الحياء فليس منها في شيء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثون رجلا وامرأة ثم اسلم عمر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فصاروا اربعين فنزل جبريل عليه السلام بقوله يا ايها النبي حسبك الله اي يتولى الله تعالى كفايتك في جميع ما تحتاج اليه هو الذي ايدك وقوّاك واعانك بنصره وبمن اتبعك من المؤمنين • فان قيل حيث قال هو الذي ايدك بنصره فأي حاجة مع نصره تعالى الى المؤمنين حتى قال وبالمؤمنين • اجيب بأن التأييد ليس الا من الله تعالى ولكنه على قسمين احدهما ما يحصل من غير واسطة اسباب معلومة معتادة والثاني ما يحصل بسبب واسطة الاسباب المعتادة فأشار الى الاول بقوله ايدك بنصره والى الثاني بقوله وبالمؤمنين ثم انه تعالى بين كيف ايده بالمؤمنين فقال وألف بين قلوبهم الآية فانه عليه الصلاة والسلام بعث الى قوم شديدي الانفة عظيمي الحمية حتى لو لطم رجل من

(قبيلة)

قبيلة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره فكان دأبهم الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر انتقلوا عن تلك الحالة القبيحة وتحولت اخلاقهم الشنيعة الى الخصال الحميدة والاخلاق المرضية فكان جل همتهم ومطمح نظرهم طاعة الله وطاعة رسوله حتى قاتل الرجل اخاه واباه وابنه ابتغاء وجه الله ونصرة لشريعة ودينه فصاروا انصارا واعوانا والحكمة فيه ان المحبة لا تتعلق بالمحبوب عند تصور خير وكمال فيه ثم ان الخيرات والكمالات تنقسم الى قسمين احدهما الكمالات الدائمة الباقية وثانيهما الكمالات المتبدلة المتغيرة وهي الكمالات الجسمانية والخيرات الطبيعية فالمحبة الواقعة المبنية على مثل هذه الكمالات سريعة الزوال فان الانسان قد يتصور ان يحصل له المحبة لزيد لمال عظيم او جاه خطير فصيره ثم يخطر بباله ان ذلك المال والجاه لا يحصل له فيبغضه لان المحبة انما كانت معللة بتصور الكمال وكان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت المحبة المتفرعة عليه سريعة التبدل والزوال بخلاف ما اذا كان موجب المحبة تصور الكمالات الباقية المقدسة عن التغير والزوال فان المحبة تكون باقية آمنة من التغير والزوال فان حال المعلول في البقاء والتبدل تابع لحال العلة وهذا هو المراد بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اذا تقرر هذا فنقول لما كانت العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين للمال والجاه والمفاخرة بهما وكانت المحبة الواقعة بينهم معللة بهذه العلة فلا جرم كانت المحبة سريعة الزوال وكانوا بأدنى سبب يقعون في الحروب والفتنة فلما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم دعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة زالت الخشونة والمخاصمات التي بينهم فصاروا اخوانا متوافقين ثم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فتحت عليهم ابواب الدنيا وتوجهوا الى طلبها والرغبة فيها فعادوا الى المعاداة والمحاربة وهذا هو السبب الحقيقي في كثرة وقوع الخلاف بين اهل الدنيا ودوام الالفة والمحبة بين اهل الله وطلاب الآخرة ﴿قوله في محل النصب على المفعول معه﴾ المعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا ﴿قوله اشتجر﴾ يقال اشتجر القوم وتشاجروا اي تنازعوا والقنى جمع قناة وهي الرمح والمهند السيف المصنوع من حديد الهند وروي ان المصراع الاول هكذا * اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا * وانشقاق العصا عبارة عن التفرق والمخالفة والهيجاء الحرب يمد ويقصر ﴿قوله او الجر عطفا على المكني﴾ اي على الكاف في حسبك ويجوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الخافض عند الكوفيين نحو مررت بك وزيد خلافا للبصريين ﴿قوله وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم الخ﴾ فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بأمره عليه الصلاة والسلام وعلى اي قول كان لا تكون هذه الآية تكرارا لما قبلها لان قوله فان حسبك الله معناه انه تعالى يكفيك امرهم ان صالحوك على سبيل المخادعة وهذه الآية معناها انه تعالى يكفيك في كل ما تحتاج اليه من امور الدنيا والدين ﴿قوله وهو ان ينهكه المرض﴾ اي يذهب لحمه ويضعفه والحرض الرجل الذي اذابه الحزن والعشق قال الشاعر * اني امرؤ لج بي حرض فأحرضني * اي اذابني وافسدني يقال نهكت الثوب انهكه نهكا بفتح الهاء في الماضي والمضارع اي لبسته حتى خلق ونهكته الحمى اذا جهدته وانحفته ونقصت لحمه واشق على الشئ اشرف عليه قال الزجاج التحريض في اللغة ان يحث الانسان غيره على شئ حتى يعلم منه انه اذا تخلف عنه كان حارضا والحارض هو الذي قارب الهلاك ففي الآية اشارة الى ان المؤمنين لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم كانوا حارضين اي هالكين والحرض القريب من الهلاك قال تعالى حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين ﴿قوله شرط في معنى الامر﴾ يعني ان الآية وان كانت على صورة الاخبار بأن الواحد يغلب العشرة الا ان المراد منها الامر بالمصابرة والاجتهاد في القتال ويدل عليه انه لو كان المراد منها الاخبار لزم ان لا يغلب مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين قط ومعلوم ان الامر ليس كذلك وان قوله تعالى الآن خفف الله عنكم نسخ والنسخ أليق بالامر منه بالخبر وان قوله تعالى بعد ذلك والله مع الصابرين ترغيب في الثبات على الجهاد وهو لا يلائم الاخبار ثم انه تعالى اثبت في الشرط الاول قيد الصبر وحذف قيد كون العدو من الذين كفروا وحذف في الشرط الثاني قيد الصبر وقيد العدو بكونه من الذين كفروا على عكس الاول فحذف من كل واحد منهما ما اثبت في الآخر وهو في غاية الفصاحة وقرأ الكوفيون وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا بتذكير يكن فيهما ونافع وابن كثير وابن عامر بتأنيثه فيهما وابو عمرو ويعقوب في الاولى كالكوفيين وفي الثانية كالباقين فمن ذكر فللفصل بين الفعل وفاعله بقوله منكم ولان التأنيث مجازي

(يا ايها النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) اما في محل النصب على المفعول معه كقوله
اذا كانت الهيجاء واشتجر القنى *
فحسبك والضحاك سيف مهند *
او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه (يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في فان تكن منكم مائة صابرة

﴿ بانهم قوم لايفقهون ﴾ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون ﴿ ما كان لنبي ﴾ وقرئ للنبي على العهد ﴿ ان يكون له أسرى ﴾ وقرأ البصريان بالتاء ﴿ حتى يثخن في الارض ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذكم الفداء

وان المراد بالمائة المذكور ومن أنث اعتبر اللفظ ولم يلتفت الى المعنى ولا الى الفصل وفرق ابو عمرو بين الفعلين فذكر في الاول لاذكر ولانه نظر الى قوله يغلبوا وانث في الثاني لقوة التأنيث بوصفه بالمؤنث في قوله صابرة واما قوله تعالى ان يكن منكم ألف فبالتذكير عند جميع القراء الا الاعرج فانه انث المسند الى عشرين ففي عبارة المصنف نوع ابهام ﴿قوله بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر﴾ ومن اعتقد أن لاحياة الا هذه الحياة الدنيوية فانه يشح بها ولا يعرضها للزوال واما من اعتقد ان الحياة المعتبرة انما تكون في الدار الآخرة فانه لايبالي بهذه الحياة العاجلة ويصرفها الى مايؤدي الى سعادة الآخرة ويقدم على الجهاد بقلب قوي وهمة صادقة بتأييد الله تعالى اياه وتقويته قلبه على الصبر والثبات فيقاوم الواحد من مثله العدد الكثير ممن لايعتقد بالمعاد وحياة الآخرة وايضا الكفار انما يعولون على قوتهم وشوكتهم والمؤمنون يستعينون بربهم بالدعاء والتضرع ومن كان كذلك كان النصر والظفر به أليق واولى * فان قيل بحصول الآية وجوب ثبات الواحد للعشرة فما الفائدة في العدول عن هذه اللفظة الوجيزة الى تلك الكلمات الطويلة * اجيب عنه بأن هذا الكلام انما ورد على وفق الواقعة لانه عليه الصلاة والسلام كان يبعث السرايا والغالب ان تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن العشرين وما كان يزيد على المائة فلهذا ذكر الله تعالى هذين العددين ووجوب ثبات الواحد للعشرة كان في الابتداء روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كتب عليهم ان لايفر الواحد من العشرة ثم خفف عنهم وامروا بأن لايفر الواحد من الاثنين قال الامام محيي السنة كان هذا يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين فخفف الله تعالى عنهم وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم انه لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يارب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم ونحن قد اخرجنا من ديارنا واموالنا وعدونا ليسوا كذلك وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا فنزل التخفيف ﴿قوله وتكرير المعنى الواحد الخ﴾ جواب عما يقال لم كرر معنى ثبات الواحد للعشرة في التكليف الاول بذكر عددين متناسبين في افادة ذلك المعنى وهما ثبات العشرين للمائتين وثبات الالف للالفين فالذي استقر عليه حكم التكليف بهذه الآية ان كل مسلم بالغ مكلف وقف بازاء مشركين عبدا كان المسلم او حرا فالهزيمة محرمة عليه مادام معه سلاح يقاتل به فان لم يبق معه سلاح فله ان ينهزم وان قاتله ثلاثة حلت الهزيمة والصبر احسن روى انه وقف وصبر ثلاثة آلاف من المسلمين في غزوة مؤتة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة عليهم وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن ابي طالب وان قتل جعفر فعبدالله بن رواحة مع مائتي ألف من المشركين مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة وهم لخم وجذام ثم انه تعالى علل حكما آخر من احكام الغزو والجهاد في حق النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كان لنبي من الانبياء ذلك فلم يكن منك ومن قرأ ما كان للنبي فمعناه ان هذا الحكم ما كان ينبغي حصوله لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وقرأ البصريان﴾ ابو عمرو ويعقوب تكون بالتأنيث لكون الجمع في تأويل الجماعة فان أسرى جمع اسير فأسارى جمع الجمع مثل جريح وجرحى وقرأ الباقون بالتذكير لكون الفعل متقدما وكون تأنيث أسرى غير حقيقي لان المراد بهم الذكور وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكل واحد من هذه الثلاثة اذا انفرد يجوز تذكير الفعل وعند اجتماع الكل يكون اولى ﴿قوله واصله الثخانة﴾ وهي الغلظة والصلابة والقوة والشدة يقال ثخن الشيء ثخانة اى غلظ وقوي واثخنه المرض اذا اشتدت قوة المرض عليه فقوله حتى يثخن في الارض اى حتى يقوى ويشتد ويغلب ويقهر فهمزة أثخن للصيرورة وقال اكثر المفسرين المراد منه ان يبالغ في قتل اعدائه قالوا وانما قلنا ذلك لان اللفظ يدل عليه فان الملك والدولة انما تقوى وتشتد بالقتل قال الشاعر

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

وكثرة القتل توجب قوة الرهبة وشدة المهابة فعبر عنها بالاثخان على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وكلمة حتى لانتهاء الغاية فقوله حتى يثخن في الارض يدل على انه بعد حصول الاثخان في الارض له ان يقدم على الاسرى ﴿قوله حطامها﴾ هو ماتكسر من اليبس عبر عن منافع الدنيا واسبابها بالحطام لقلة قدرها بالنسبة الى تقوى الله واجمع المفسرون على ان المراد من عرض الدنيا ههنا اخذ الفداء وسمي منافع الدنيا عرضا لانه لاثبات لها ولا دوام فكأنها تعرض ثم تزول ولذلك سمى المتكلمون الاعراض اعراضا لانها لاثبات لها كثبات الاجسام فانها تعذر على

(الاجسام)

السوء لقد كفر أبي وخير ... لا تولى ما ... الغنائم وتبارك ... روى أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار
فيهم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء ومكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله

ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا فخير اصحابه فأخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو
بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد
بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية
دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون
عليه ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ لولا حكم
من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر
او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان
الفدية التي اخذوها ستحل لهم ﴿لمسكم﴾
لنالكم ﴿فيما اخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب
عظيم﴾ روي انه عليه السلام قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك
لانه ايضا اشار بالاثخان ﴿فكلوا مما غنمتم﴾ من
الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن
الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف
تقديره اببحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة
﴿حلالا﴾ حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في
نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على
الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿طيبا واتقوا الله﴾
في مخالفته ﴿ان الله غفور﴾ غفر لكم ذنبكم
﴿رحيم﴾ اباح لكم ما اخذتم ﴿يا ايها النبي قل
لمن في ايديكم من الاسرى﴾ وقرأ ابو عمرو من
الاسارى ﴿ان يعلم الله في قلوبكم خيرا﴾ ايمانا
او اخلاصا ﴿يؤتكم خيرا مما اخذ منكم﴾ من
الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث
فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
أين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد
الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك
قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين ألفا واعطاني زمزم ما احب
ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا﴾ يعني الاسرى ﴿خيانتك﴾ نقض ما عاهدوك
﴿فقد خانوا الله﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿من قبل فأمكن منهم﴾ اي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم ﴿والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا﴾ اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله ﴿وجاهدوا بأموالهم﴾ فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على
المحاويج ﴿وانفسهم في سبيل الله﴾ بمباشرة القتال ﴿والذين آووا ونصروا﴾ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم ﴿اولئك بعضهم

الاجسام فنزول عنها او الاجسام باقية بعد الهالها ﴿قوله ونار توقد﴾ اي وكل نار فلا يلزم من عطفه على امرئ العطف
على معمولي عاملين مختلفين اعني كل وتحسبين وللاشارة الى هذا ذكر المصنف المصراع الاول مع انه لا دخل له
في الاستشهاد ﴿قوله فهوي﴾ اي ارغب من هوي بالكسر يهوى هوى اي أحب ﴿قوله فخير اصحابه﴾ بأن
قال ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم فيستشهد منكم بعددهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد بسبب
قولهم هذا وأخذهم الفداء وكان فداء الاسارى عشرين اوقية اي كان فداء كل اسير عشرين اوقية فكان فداء
العباس اربعين اوقية عشرين لنفسه وعشرين لابن اخيه عقيل بن ابي طالب والاوقية اربعون درهما في الدراهم
وستة دنانير في الدنانير ﴿قوله أدنى من هذه الشجرة﴾ اي حال كون ذلك العذاب اقرب اليهم من قرب هذه الشجرة
الي وينبغي ان يكون هذا منه عليه الصلاة والسلام اشارة الى ما نزل بهم يوم احد ﴿قوله او ان لا يعذب اهل بدر﴾
اي ان لا يعذب الابعد النهي فانه تعالى ما نهاهم صريحا عن اخذ الفدية الا انهم لما اخذوه فاقيل ان يؤمروا به عاتب
الله تعالى ذلك عليهم ﴿قوله او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم﴾ يعني ان الغنائم كانت حراما على الانبياء
المتقدمين فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء تأكله فهذه الامة لما اخذوا
الفداء يوم بدر قبل نزول آية الحل انزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم مكتوب في اللوح بانه يحل
لكم الغنائم لمسكم العذاب فان حرمتها لاخذ لما كانت ساقطة عند الله تعالى صادف محلا لا حرمة له في علم
الله تعالى فسقطت عقوبة هتك الحرمة لذلك كالو قصد وطء امرأة زفت اليه وهو يعتقد انها ليست بزوجة له
فاذا هي زوجته فعلى هذا الوجه تكون الآية معاتبة لهم على اخذ الفدية لا تحريما لها كما في الوجهين الاولين
قيل معنى الآية لولا انه تعالى حكم في الازل بالعفو عن هذه الواقعة لمسهم عذاب عظيم ﴿قوله لما نجا منه
غير عمر وسعد﴾ فيه دليل على انه لم يكن احد من المؤمنين ممن حضر بدرا الا احب الفداء غير عمر وسعد
ابن معاذ رضي الله عنهما ﴿قوله وفائدته﴾ اي فائدة التقييد بقوله حلالا او فائدة ذكر السبب الذي هو اباحة
الغنائم وما تفرع عليها من اكلها حلالا طيبا ازاحة ما وقع في نفوسهم من حرمتها على الوجهين الاولين وان
أخذ الفداء على تقدير ابتنائه على الخطأ في الاجتهاد وعلى تقدير كونه حراما في حكم الله تعالى فدفع تلك الحرمة
او ما وقع في نفوسهم من الاشتباه في حلها بما ذكره ﴿قوله نزلت في العباس﴾ اي ابن عبد المطلب وكان اسر
يوم بدر وقد خرج بعشرين اوقية من ذهب ليطعم الناس واراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون
اوقية معه فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدائه فأبى وقال
اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك ومع ذلك كلفه فداء ابني اخويه ﴿قوله الآن عشرون
عبدا﴾ كلهم تاجر يضرب اي يسافر ويتجر بمال كثير وادناهم مالا يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين
اوقية والآية وان نزلت في حق العباس رضي الله تعالى عنه خاصة الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
وقيل نزلت في حق جملة الاسارى ويؤيده قوله تعالى لمن في ايديكم وقوله من الاسارى وقوله في قلوبكم واخذ
منكم ويغفر لكم بلفظ الجمع ﴿قوله هم الانصار آووا المهاجرين﴾ اي اسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على
اعدائهم قسم الله من آمن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اربعة اقسام وذكر حكم كل واحد فالقسم
الاول من آمن به عليه الصلاة والسلام لما انتقل من مكة الى المدينة ووافقه في تلك الهجرة والقسم الثاني من بقي
في مكة ولم يوافقه في تلك الهجرة والقسم الثالث الانصار الذين بذلوا النفس والمال في خدمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصلاح مهمات اصحابه المهاجرين عليه السلام اليهم مع طائفة من اصحابه والقسم الرابع من مؤمني
زمانه عليه الصلاة والسلام هم الذين آمنوا بعد ما هاجروا وجاهدوا مع جملة من الصحابة واختلفوا في قوله تعالى
بعضهم اولياء بعض فروى الواحدي عن ابن عباس وعن سائر المفسرين ان المراد بهذه الولاية الوراثة قالوا جعل
الله تعالى سبب التوارث بين المسلمين الهجرة والنصرة دون القرابة فمن آمن ولم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر لانه
لم يهاجر ولم ينصر فجعل الله اصحاب الهجرة والنصرة طائفة واحدة واوجب على كل واحد منهم موالاة الآخر
ومواساته وموافقته فلذلك كان عليه السلام حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والانصار فجعل لكل مهاجر اخا
انصاريا فغزوا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين اموالهم ودورهم واذا كان لرجل من الانصار امرأتان عرض احدهما
على اخيه من المهاجرين بناء على ان ينزل عن احداهما فكان التوارث بهذه المؤاخاة دون القرابة اذا لم يكن معها هجرة

او بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) ...
كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) في الميراث او المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والمؤازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل

بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة في الارض) تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) في الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم) اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) في التوارث من الاجانب (في كتاب الله) في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام (ان الله بكل شيء عليم) من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا. عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

﴿ سورة براءة مدنية ﴾

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم وذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) اي هذه براءة ... ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين)

فكان لا يرث غير المهاجر من المهاجر وان كانا قريبين حتى كان يوم فتح مكة فسقطت فرضية الهجرة ونزلت الآية الموجبة للتوارث بين الاقرباء من بعض ونزلت قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ﴿ قوله او بالنصرة والمظاهرة ﴾ عطف على قوله في الميراث اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث او بالنصرة والمعونة فان اولياء جمع ولي نحو صديق واصدقاء والولي ضد العدو يقال منه تولاه والولي يجيء بمعنى الناصر ايضا وكل واحد من الفريقين صديق للآخر يعظمه ويهتم بشأنه ويخصه بمعاونته ومظاهرته بل لفظ الولاية غير مشعر بمعنى الوراثة الا ان المفسرين حملوه على هذا المعنى بناء على ان الولاية المثبتة في هذه الآية هي الولاية المنفية في قوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء والولاية المنفية فيه ليست بمعنى النصرة لانه تعالى عطف عليه قوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ولا شك ان ذلك عبارة عن الولاية في الدين والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فوجب ان يكون المراد من الولاية المذكورة امرا مغايرا لمعنى النصرة ﴿ قوله تشبيها لها بالعمل ﴾ يريد ان المصدر الذي يجيء على فعالة بالكسر انما يكون في الصناعات وما يكون مزاولة اعمال كالكتابة والزراعة والخياطة والحراثة والتجارة والقصارة والصياغة ونحوها والولاية ليست من هذا القبيل الا على سبيل التشبيه فان الولي بتوليه صاحبه ونصرته كأنه يزاول عملا فاشبه التولي بالعمل ثم استعير له الولاية بالكسر بيّن سبحانه تعالى ان من حكم المؤمن الذي لم يهاجر انقطاع الولاية بينه وبين المؤمنين توهم انه يجب ان يتحقق بينهم المقاطعة كما في حق الكفار فازال هذا الوهم بقوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر اي الذين آمنوا واقاموا في بلدهم او باديتهم ولم يهاجروا اليكم وقصدهم عدو من الكفار وطلبوا منكم النصر فانصروهم ولا تخذلوهم الا اذا كان من قصدهم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة ومواعدة فيجب عليكم الوفاء بالعهد وترك الحرب معهم ولا يلزمكم نصرة الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم ﴿ قوله لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم الخ ﴾ اشارة الى ان هذا ليس بتكرار لانه تعالى ذكرهم اولا ليبين حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضا ثم انه تعالى ذكرهم ههنا لتعظيمهم وبيان علو درجتهم بالنسبة الى المؤمن الذي لم يهاجر وهذا الترتيب في غاية الحسن لانه تعالى قدم ذكر المهاجرين والانصار لكونهم افضل الناس ثم ذكر القسم الثاني وهم الذين آمنوا من بعد وهاجروا ثم ذكر الثالث وهم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانهم وان كان لهم فضل بسبب ايمانهم الا انهم بسبب تركهم الهجرة حالهم نازلة عن حال القسمين الاولين والمهاجرون حيث استووا قاعدة الايمان واتباع النبي صلى الله عليه وسلم افضل منهم فيكون حكمهم متوسطا من حيث ان الولاية المثبتة للقسمين الاولين منفية عن هذا القسم من حيث التوارث والتظاهر الا انهم بحيث لو استنصروا المؤمنين واستعانوا بهم نصروهم واعانوهم وهذا الحكم متوسط بين الاجلال والاذلال واما الكفار فليس لهم ما يوجب شيئا من اسباب الفضيلة فوجب ان يقطع المسلمون عنهم من كل الوجوه وهذا آخر ما يتعلق بسورة الانفال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة التوبة مدنية ﴾

﴿ قوله وهي آخر ما نزلت ﴾ لما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه آخر سورة نزلت كاملة براءة وعن ابن كيسان نزلت براءة على رأس تسع من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام والمقشقشة اي المبرئة من النفاق كما يبرأ المهنوء من الجرب والمبعثرة اي المظهرة لاحوال المنافقين يقال بعثرت الشيء اخرجته وكشفته والتنقير ايضا التعييب يقال نقرت الرجل اذا عبته واثارة الخبر اشاعته والمدمدمة المهلكة يقال دمدم الله عليهم اي اهلكهم ﴿ قوله لانها نزلت لرفع الامان ﴾ لانها نزلت بالسيف ونبذ العهود والبراءة من عصمة المعاهدين ليس فيها امان وبسم الله الرحمن الرحيم لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة امان فلا يليق ان يكتب في اول سورة افتتحت بالقتال ونبذ العهود ﴿ قوله لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها ﴾ وانه ختم سورة الانفال بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية ثم انه صرح بهذا المعنى في قوله براءة من الله ورسوله فلما كان هذا عين ذلك الكلام وتأكيدا له ضمت هذه السورة اليها ولم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم لان كتابتها بينهما تدل على كونهما سورتين متغايرتين ﴿ قوله وقيل ﴾ يعني انه لما ظهر الاختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم في انهما سورة واحدة او سورتان تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان وما كتبوا بسم الله بينهما تنبيها على قول من يقول سورة واحدة ﴿ قوله اي هذه براءة ﴾ على ان براءة خبر مبتدأ محذوف ومن متعلقة بمحذوف هو صفة الخبر هو

نظير قوله كتاب من فلان ثم جوّز ان تكون مبتدأ مخصصا بالصفة والى الذين خبره كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والبرآءة معناها انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ برآءة اى انقطعت بيننا النسبة ولم يبق بيننا علقة ومنه برئت من الدين ﴿قوله وانما علقت البرآءة﴾ يعنى ان المعاهدة لما تحققت بالمسلمين كان حق البرآءة ان تنسب اليهم لان البرآءة انما تكون من قبل المعاهدة فكيف نسبت الى الله تعالى * وتقرير الجواب نعم ان عقد المعاهدة قام بالمؤمنين الا انهم انما عاهدوا باذن الله تعالى فى معاهدة المشركين بقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتولى للعهد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنهم ادخلوا فى الخطاب لانهم راضون بقوله ومتفقون عليه فكأنهم عقدوا وعاهدوا ﴿قوله فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين﴾ فاما الذين لم ينقضوا العهد ولم يظاهروا احدا على المؤمنين فقد امر الله تعالى باتمام العهد بينهم فى المدة المعهودة حيث قال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام الى قوله فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم وقال فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج الى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وارجفوا بالاراجيف جعل المشركون ينقضون العهد فأمر الله تعالى بنقض عهودهم والمعنى تقدير الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا ويجوز له عليه الصلاة والسلام ان ينقض العهد بأحد ثلاثة امور الاول ان يظهر له منهم خيانة مستورة ويخاف ضررهم فينبذ العهد اليهم حتى يستووا فى معرفة نقض العهد لقوله تعالى واما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوآء والثانى ان يكون قد شرط لبعضهم فى وقت العهد ان يقرّهم على العهد فيما ذكر من المدة الا ان يأمر الله تعالى بقطعه فلما امر الله تعالى بقطع العهد بينهم قطعه لاجل الشرط والثالث ان يكون العهد مؤجلا فتنقضى المدة وينقضى العهد بانقضائها فحينئذ يكون الغرض من اظهار البرآءة ان يظهر لهم انه لا يعود الى العهد وانه على عزم المحاربة والمقاتلة ولا يجوز له عليه الصلاة والسلام نقض العهد فى غير هذه الاحوال الثلاث لانه يجرى مجرى الغدر وخلف القول والله ورسوله بريئان منه ﴿قوله فقال فسيحوا﴾ اشارة الى ان قوله تعالى فسيحوا على اضمار القول اى قل لهم سيروا فى الارض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسياحة الضرب فى الارض والاتساع فى السير والبعد عن البلد ومواضع العمارة وليس ذلك من باب الامر بل المقصود الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وازالة الخوف والمعنى انكم آمنون من القتال فى هذه المدة ثم انكم بعد انقضاء تلك المدة حرب لله ورسوله تحاربون وتقتلون حيث ادركتم وتؤسرون الى ان تتوبوا والمقصود من هذا الاعلام امور الاول ان يتفكروا فى انفسهم ويحتاطوا فى امرهم ويعلموا ان ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على الاسلام والثانى ان لا ينسب المسلمون الى الخيانة ونقض العهد فان المسلمين لو قاتلوهم عقيب اظهار النقض فربما يسبق الى الوهم ذلك فأمهلوا هذه المدة ليستعدوا للحرب ويعدوا آلاتها وفى ذلك تنزيه المؤمنين عن الخيانة واظهار شوكتهم وقوتهم وعدم التفاتهم الى الكفرة واستعدادهم للحرب واختلف فى ابتدآء هذه الاشهر الاربعة فقيل ان سورة برآءة نزلت فى شوال فيكون ابتدآء الاربعة اشهر من شوال الى انتهاء المحرم وقيل انها وان نزلت فى شوال الا ان قراءتها على الكفار وتبليغها اليهم كان يوم الحج الاكبر والصواب الذى عليه الاكثر أن ابتدآء هذه المدة اليوم العاشر من ذى الحجة الى انقضاء عشر من ربيع الآخر وقيل ابتدآء تلك المدة كان من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت بسبب النسيء الذى كان فيها ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة وهى حجة الوداع ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ودخل بنوا بكر فى عهد قريش ثم عدت بنوا بكر على خزاعة فنالت منها وأعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنوا بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره ان قريشا اخلفوك الموعد ونقضوا ميثاقهم المؤكد فقال عليه الصلاة والسلام * لا نصرت ان لم انصرك * ثم تجهز الى مكة ففتح مكة سنة ثمان من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج ثم قيل له انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فبعث ابا بكر رضى الله عنه تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء

وانما علقت البرآءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا اناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال ﴿فسيحوا فى الارض اربعة اشهر﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضى الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدّى عنى الا رجل منى فلما دنا علىّ رضى الله تعالى عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير ام مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علىّ يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت بأربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدّى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدّى عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى ﴿واعلموا انكم غير معجزى الله﴾ لا تفوتونه وان امهلكم ﴿وان الله مخزى الكافرين﴾ بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة

(واذان من الله ورسوله الى الناس) اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع برآءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين (أن الله) اى بأن الله (برئ من المشركين) اى من عهودهم (ورسوله) عطف على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها اجرآء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله برآءة من الله اخبار بثبوت البرآءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا انكم غير معجزى الله) لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين كفروا بعذاب اليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين او استدراك فكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا عليكم احدا) من اعدآئكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى

ليقرأ على الناس صدر سورة برآءة وامر ان يؤذن بمكة ومنى وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان الى آخر ما ذكره المصنف والعضب القطع وناقة عضباء اى مشقوقة الاذن والعضباء لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن مشقوقة الاذن والرغاء صوت ذوات الخف وعترة الرجل رهطه ونسله الاقربون وقد جرت العادة ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا رجل من الاقارب فلو تولاه ابو بكر جاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا من نقض العهود فربما لم يقبلوا فارسل اليهم بتولية ذلك عليا فلما بلغ على رضى الله تعالى عنه رسالته قالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد ورآء ظهرنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف ﴿قوله يوم العيد وقيل يوم عرفة﴾ يعنى اختلف فى يوم الحج الاكبر انه يوم النحر او يوم عرفة واحتج من قال انه يوم النحر بأن اعمال الحج انما تتم فى هذا اليوم وهى الطواف والنحر والحلق والرمى ومن قال انه يوم عرفة احتج بقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ولان معظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة انما يكون فى هذا اليوم وانما قلنا الوقوف اعظم اعمال الحج لان من ادرك الوقوف فقد ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج ﴿قوله فانه اكبر من باقى الاعمال﴾ فان ما يقع فى يوم عرفة هو الوقوف الذى هو معظم اعمال الحج الاكبر قال الحسن رضى الله عنه سمى ذلك اليوم بيوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم فى قلب جميع الطوآئف ثم انه تعالى بين ان ذلك الاذان بأى شئ كان فقال ان الله برئ من المشركين والجمهور على رفع قوله ورسوله عطفا على المستكن فى قوله برئ وجاز ذلك للفصل القائم مقام التأكيد ﴿قوله او على محل ان واسمها فى قرآءة من كسرها﴾ واما من قرأ بفتح الهمزة فانه لا يجعل الرفع مبنيا على العطف على محل اسم ان لانه لا يجوز العطف على محل اسم أن المفتوحة مطلقا عند السيرافى بخلاف المكسورة ووجه الفرق ان المكسورة لا تغير معنى الجملة بل تؤكدها فاذا قلت ان زيدا قائم افدت به ما افدت بقولك زيد قائم مع زيادة التأكيد فكان اسمها المنصوب فى محل الرفع على الابتدآء من حيث كون المكسورة فى حكم العدم فجاز العطف على محل ذلك الاسم بالرفع بخلاف المفتوحة فانها تغير معنى الجملة فتكون مع ما فى حيزها فى تأويل اسم مفرد مرفوع او منصوب او مجرور فيكون اسمها كبعض حروف الكلمة فلا يبقى له محل حتى يقال انه فى محل الرفع على الابتدآء وانه يعطف على محله بالرفع وابن الحاجب جعل المفتوحة على قسمين الاول ما هو فى حكم المكسورة وهى التى وقعت بعد فعل القلب وجوز العطف على محل اسمها نحو علمت ان زيدا قائم وعمرو بعطف عمرو على محل زيد بجعل المفتوحة فى مثله كالمكسورة بناء على ان المفتوحة مع اسمها وخبرها سادّ مسدّ مفعولى علمت كما ان المكسورة مع ما فى حيزها فى تقدير اسمين اى المبتدأ والخبر فحكم المفتوحة بعد فعل القلب كحكم المكسورة فى قيامها مع ما فى حيزها مقام الاسمين فعلى هذا التدقيق يجوز ان يكون ورسوله فى الآية معطوفا على محل المفتوحة لوقوعها بعد فعل القلب لان اذان بمعنى اعلام ❊ واعلم ان عبارة القوم اختلفت فى هذه المسألة فمنهم من يقول على محل اسم ان ومنهم من يقول على محل ان واسمها واختاره المصنف ووجه العبارة الاولى ان الاسم هو الذى كان مرفوعا قبل دخول ان ودخولها عليه كلا دخول فبقى على كونه مرفوعا ومن قال على محل ان واسمها نظر الى ان اسمها لو كان وحده مرفوع المحل لكان وحده مبتدأ والمبتدأ مجرد عن العوامل عندهم واسمها ليس بمجرد والعبارة الاولى هى الاولى لان كلمة ان كالعدم باعتباره وانما تفيد اذا اعتبرت النصب ﴿قوله ولا تكرير فيه﴾ يعنى ان جملة قوله واذان من الله ليست تكريرا لقوله برآءة من الله ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون الجملة الثانية اخبارا بوجوب الاعلام بما مر من البرآءة علق الاذان بالناس فان الاذان عام لجميع من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث وعلقت البرآءة بالذين عوهدوا من المشركين لكونها مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم ﴿قوله او ثبتم على التولى عن الاسلام﴾ لانهم كانوا متولين معرضين عن الاسلام فوجب ان يكون التولى المصدر بكلمة ان بمعنى التولى عن التوبة او بمعنى التولى عن الثبات على الاسلام ﴿قوله استثناء من المشركين او استدراك﴾ يعنى انه استثناء متصل كأنه قيل برآءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا العهد او منقطع على ان يكون المراد بالمشركين هم الناكثون ﴿قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيأ﴾ قرأ الجمهور ينقصوكم شيأ بالصاد المهملة وهو يتعدى الى واحد والى اثنين ويجوز هنا جعله متعديا الى اثنين بأن يكون كم مفعولا اولا وشيأ مفعولا ثانيا والى واحد فيكون شيأ منصوبا على

يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل للنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وحرم (وخذوهم) واسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة (وان احد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فآمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن او الامر (بأنهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا

اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه

المصدر اى شيأ من النقصان وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة وهي على حذف المضاف اى ينقضوا عهدكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وفي القرآءة الاولى مقابلة النقص بالتمام مع الاستغناء عن ارتكاب الحذف قيل ان المراد من المشركين المعاهدين الذين لم ينقضوا شيأ من عهدهم بنوا ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر فانهم لما اتقوا نقض العهد ونكثه استحقوا من الله تعالى ان يصان عهدهم ايضا من النقض والنكث ﴿ قوله واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه ﴾ شبه الشهر باللباس وجعل اهل الشهر لابسين له فاذا هل الهلال فكأن اهله يدخلون فيه فيزدادون في كل ليلة منه جزأ الى مضي نصفه فيتم لبسا ثم انه ينسلخ منهم جزأ فجزأ الى ان ينقضي وينسلخ ﴿ قوله التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها ﴾ على ان يكون الالف واللام في الاشهر الحرم للعهد والمعهود الاشهر المتقدمة بناء على ان النكرة اذا اعيدت معرفة يراد بها عين الاول الا اذا وصفت المعرفة بصفة تشعر بالمغايرة كقولك رأيت رجلا فاكرمت الرجل الطويل فانك لا تريد بالثاني عين الاول في مثله والاشهر ههنا قد وصفت بالحرم وهي صفة مفهومة من فحوى الكلام فلا تقتضي المغايرة فيكون المراد بالمعرف ما ذكر منكرا قبل ذكره معرفة قال بعض المفسرين منهم الكواشي ان المراد بالاشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وسميت بذلك لان الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم ولم يرض بهذا القول لكونه مخلا بانتظام حمل لفظ المعرف على المنكر واقتضائه بقاء حرمة الاشهر المذكورة وهو خلاف الاجماع واما اذا حمل الاشهر الحرم على الاشهر التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية يكون امرا بمحاربة المشركين وقتالهم بعد انسلاخ تلك الاشهر المعينة الى ابد الآباد وهذه الآية ناسخة لكل آية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعدآء على وفق ما اجمع عليه جمهور العلماء رحمهم الله ﴿ قوله واحبسوهم او حيلوا ﴾ يعني ان معنى الحصر المنع والمراد اما منعهم من الخروج من الحبس او منعهم عن البيت الحرام وعن ابن عباس ان المعنى انهم ان تحصنوا فاحصروهم والمرصد مفعل من رصده يرصده اى رقبه يرقبه وهو يصلح للزمان والمكان والمصدر والمفعول بمعنى كونه محمولا على المكان الذي يرقب فيه العدو اى كونوا لهم راصدين لتأخذوهم من اى جهة توجهوا ﴿ قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك ﴾ وجه ارتباطه بما قبله انه تعالى لما اوجب قتل المشركين عند انقضاء الاشهر الحرم دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات يكفي في ازاحة عذرهم وعلتهم وذلك يقتضي ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لا يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام واما بالقتل فلما كان هذا الوهم يخطر بالبال لا جرم ذكر الله تعالى هذه الآية ازالة لهذه الشبهة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان رجلا من المشركين قال لعلي رضي الله عنه ان اردنا ان نأتي الرسول بعد انقضاء هذه المدة لسماع كلام الله او لحاجة اخرى فهل نقتل فقال علي رضي الله عنه لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين استجارك فأجره الآية ﴿ قوله ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم ﴾ اى مع توقد الغيظ والعداوة في قلوبهم فان الوغر شدة توقد الحر ومنه قولهم في صدره وغرة على اى حقد وعداوة تتوقد من الغيظ والمصدر الوغر بالتحريك تقول وغر صدره على يوغر وغرا فهو واغر الصدر ﴿ قوله وخبر يكون كيف ﴾ ذكر في خبره ثلاثة اوجه الاول وهو الاظهر انه كيف وعهد اسمها قدم الخبر عليها وجوبا لاشتماله على ماله صدر الكلام وهو الاستفهام الانكاري وقوله للمشركين متعلق اما بيكون على رأي من يجوز في كان ان يعمل في الظرف وشبهه واما بمحذوف لانها صفة لعهد في الاصل فلما قدمت انتصبت حالا والمصنف جعل اللام فيه للبيان كالتي في هيت لك فتتعلق بمحذوف على انها صفة لعهد او تتعلق بنفس عهد لانه مصدر والوجه الثاني ان خبر يكون هو قوله للمشركين وعند على هذا فيها الاوجه المتقدمة وهو معنى قول المصنف وهو اى قوله عند الله على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون والوجه الثالث ان يكون الخبر عند الله وللمشركين على هذا اما تبيين على ما اختاره المصنف واما متعلق بيكون عند من يجوز ذلك واما حال من عهد وكيف ان لم يكن خبرا كان في الوجهين الاخيرين يكون منصوبا بالحال وهذه الوجوه كلها على تقدير ان تكون كان ناقصة ويحتمل ان تكون تامة بمعنى كيف يوجد العهد للمشركين ثم استثنى المعاهدين الذين ثبتوا على مقتضى العهد ولم ينكثوه وما يحتمل الشرطية والمصدرية فان كانت شرطية تكون في محل النصب على الظرف الزماني والتقدير اى زمان

استقاموا لكم فاستقيموا لهم وان كانت مصدرية تكون مقدرة بزمان ايضا منصوبة المحل على الظرفية ايضا فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم ثم قال الله تعالى ان الله يحب المتقين اى يحب من اتقى ووفى بعهد من عاهده ﴿ قوله وحذف الفعل ﴾ اى الفعل المستفهم عنه المستبعد الوقوع اى كيف عهد يثبتون عليه او يبقى حكمه عند الله وعند رسوله وحالهم انهم ان يظهروا عليكم ﴿ قوله وخبرتماني ﴾ البيت لكعب الغنوى يرثى اخاه ابا المغوار وقوله فكيف وهاتا هضبة وقليب روى وكثيب والهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض والقليب البئر قبل ان تطوى والكثيب التل من الرمل والهضبة والقليب قيل انهما اسما موضعين فى البادية التى مات فيها ابو المغوار وقيل ان اخاه الميت المعروف بقول الشاعر لصاحبيه خبرتمانى وقلتما ان من سكن الامصار مات بالوباء فكيف مات اخى فى البادية واشار الى هضبة وقليب كانا فى الموضع الذى مات فيه اخوه وحذف الفعل العامل فى كيف اى فكيف مات ﴿ قوله حلفا ﴾ يعنى ان الال فيه اقوال احدها ان المراد به الحلف والمعنى انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم ولم يراعوا حلفا والسقب الذكر من ولد الناقة والرأل ولد النعامة يخاطب واحدا ينكر قرابته من قريش ويقول كما انها قرابة ولد الناقة وولد النعامة وليس بينهما مناسبة وان تشابها صورة وقيل الال هو الله استدلالا بما روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه لما سمع هذيان مسيلمة لعنه الله قال ان هذا الكلام لم يخرج من آل اى من الله عز وجل واورد عليه ان اسماء الله تعالى معروفة فى الكتاب والسنة ولم يسمع احد يقول يا آل افعل كذا ﴿ قوله وقيل ربوبية ﴾ اى وقيل المراد بالال الربوبية والتربية وبين الطريق اراد بها منه بقوله ولعله وتقريره ان الال بالفتح هو الجؤار والصياح واشتق منه الال بالكسر لمعان الثلاثة لانها من حيث انهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه بان يجأروا ويرفعوا به اصواتهم ثم اطلق لفظ الال على القرابة تشبيها لها بالحلف من حيث كونها سببا للالفة والانضمام والمعنى حينئذ لا يحفظون ولا يراعون فيكم ربوبية وتربية حتى اذا ظفر العبد المشرك بسيده المؤمن لا يراعى حق ربوبيته واذا ظفر المربى بمن رباه لا يراعى حق تربيته وقيل اشتقاق الال بمعنى الربوبية من ال الشئ تأليلا اذا حدده بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلو عن افادة الحدة والقوة وقيل اشتقاقه من أل البرق اذا لمع بناء على ان الربوبية والتربية لا تخلو عن افادة اللمعان والظهور وقيل ان الال لفظ عبرى بمعنى الامان والمعنى ان ادنى الناس اذا اعطى امانا لكافر تقدم على جميع الناس ولذلك اجاز عمر رضى الله عنه امان عبد لكافر وقدمه على جميع العسكر وقال الاصمعى الذمة ما لزم ان يحفظ ويحمى ويذم الرجل على اضاعته ﴿ قوله المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ﴾ صفة بعد صفة لحالهم اى انهم يقولون للمؤمنين بألسنتهم خلاف ما فى قلوبهم والاباء اشد الامتناع فان كل اباء امتناع من غير عكس ﴿ قوله فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ﴾ حتى يقال ان قوله ان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة حال ارضائهم اياكم لا يقتضى تحقق الارضاء بناء على جواز رجوع النفى الى القيد فقط او الى مجموع القيد والمقيد لا الى نفس القيد وحده استدل على عدم جواز الحالية بدليل آخر ومحصوله ان المعنى على تقدير الحالية انهم لا يبقون على المؤمنين فى الحال ولا يبقون عليهم حال الظفر بهم اى لا يرحمونهم بل يفعلون بهم ما يقتضيه كمال العداوة ونهاية الحقد والضغينة يقال ابقى على فلان اذا ارحمه ورعاه ﴿ قوله متمردون ﴾ فسر فسق الكافر بكونه متمردا مارا عن العقيدة والمودة المانعين عن السوء اشارة الى ما قيل من ان الضمير فى اكثرهم راجع الى المشركين لانهم المتقدم ذكرهم والشرك اخبث من الفسق فما معنى وصف الكفار بالفسق فى مقام المبالغة فى ذمهم ووجه الدفع ان توصيف المشرك بالفسق ابلغ فى ذمه من توصيفه بالكفر والشرك لان الكافر قد يكون فى دينه له شمائل وفضائل مرضية تصرفه عن الكذب ونكث العهد وسائر ما يخل بالعرض وينافى المروءة وكثير من الكفرة فاسقون فى دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد والمكر والخديعة ونحو ذلك مما ينافى المروءة فمن انضم الى كفره هذه الصفات الذميمة يكون فى غاية الخباثة ومذموما عند جميع الناس وفى جميع الاديان فسقط بهذا ما يقال ايضا من ان جميع الكفرة فاسقون فلا يليق تخصيص اكثرهم بالذكر فائدة والتفادى التجانب والتباعد يقال تفادى الرجل من كذا اذا تحاماه واحترز عنه ﴿ قوله لا عقيدة تزعهم ﴾ اى تمنعهم وتصرفهم عن ارتكاب القبائح يقال وزعه اى ردعه ومنعه وبالفارسى باز داشت اورا ﴿ والاحدوثة ما يتحدث به والمعنى لما فى بعضهم من التنزه من الافعال التى تجر الى ان يتحدث الناس فى حقه من المثالب والمعايب ﴿ قوله وهو ﴾ اى الثمن القليل

(كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله وخبرتمانى انما الموت بالقرى «فكيف وهاتا هضبة وقليب» اى فكيف مات (وان يظهروا عليكم) اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا) حلفا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق الحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ألل الشئ اذا حدده او من أل البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل (ولا ذمة) عهدا او حقا يعاب على اغفاله (يرضونكم بأفواههم) استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ما تفوه به افواههم (واكثرهم فاسقون) متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات

(الذى)

الذي اختاره المشركون عن اتباع احكام القرآن هو اتباع الاهوآء والشهوات ﴿قوله تعالى فصدّوا﴾ يحتمل ان يكون لازما بمعنى فصدلوا وان يكون متعديا بمعنى منعوا وصرفوا غيرهم يقال صدّ يصدّ صدودا اى اعرض وعدل وصدّه عن الامر صدّا اى منعه وصرفه عنه ﴿قوله وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم﴾ ليصدّ الناس بذلك عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او ليحملهم على نقض العهد كما روى عن مجاهد رضي الله عنه انه قال اطعم ابو سفيان بن حرب حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد الذى كان بينهم بسبب تلك الاكلة وقيل لا يبعد ان يكون طائفة من اليهود اعانوا المشركين على نقض تلك العهود فكان المراد من هذه الآية ذم اولئك اليهود وكون كل واحد منهما نازلا فى حق من نقض العهد من المشركين وكون الثانى تفسيرا لعملهم السيئ انسب بما قبله لان الضمائر فى الآيات السابقة راجعة الى المشركين الناقضين وتخصيص هذا الضمير باليهود او الاعراب تخصيص بلا دليل واخلال لاسلوب النظم ﴿قوله هم المعتدون فى الشرارة﴾ اى بنقضهم العهد وتعدّيهم ماحدّه الله تعالى فى دينه وما اوجبه العقد والعهد ﴿قوله فهم اخوانكم﴾ اشارة الى ان فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف والجملة الاسمية فى محل الجزم على جواب الشرط وفى الدين متعلق باخوانكم وفائه من معنى الفعل علق الله تعالى حصول الاخوّة فى الدين على مجموع الامور الثلاثة التوبة عن الكفر واقام الصلاة وايتاء الزكاة والمعلق على الشيء بكلمة ان يعدم ان عدم ذلك الشيء فهذا يقتضى انه متى لم يوجد مجموع هذه الامور الثلاثة لا تحصل الاخوّة فى الدين وهو مشكل لان المكلف المسلم لو كان فقيرا او كان غنيا لكن لم يمض عليه الحول لا يلزمه ايتاء الزكاة فاذا لم يؤتها فقد انعدم عنده ماتوقف عليه حصول اخوّة الدين فيلزم ان لا يكون مؤمنا الا ان يقال التعليق بكلمة ان انما يدل على مجرّد كون المعلق عليه مستلزما للمعلق عليه ولا يدل على انعدام المعلق عليه وهو انما يستفاد من دليل خارجى وذلك يجوز ان يكون المعلق لازما اعم فيتحقق بدون تحقق ماجعل ملزوما له وان سلم ان نفس التعليق يدل على انعدام المعلق عليه لكن لا نسلم انه يلزم من ذلك ان لا يكون المسلم الفقير مؤمنا بعدم ايتاء الزكاة وانما يلزم ذلك ان لو كان المعلق عليه ايتاءها على جميع التقادير وليس كذلك بل المعلق عليه هو الايتاء عند تحقق شرآئط مخصوصة مبينة بدلائل شرعية قال ابن مسعود رضى الله عنه أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك لا صلاة له ﴿قوله اعتراض﴾ حيث وقعت بين كلامين متناسبين فانه تعالى بين اوّلا حال من لا يراقب فى الله الا ولا ذمة وينقض العهد ويقول بلسانه ماتأبى عنه قلبه ويتعدّى ماحدّه الله ثم بين انهم ان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فحينئذ تثبت لهم احكام الايمان جميعا وبين الله تعالى هذا المعنى بقوله فاخوانكم فى الدين ثم بين انهم ان نكثوا ايمانهم اى نقضوا عهدهم اما بأن ارتدّوا عن الايمان والعياذ بالله تعالى على ان يحمل العهد على مبايعة الاسلام بقرينة ذكره فى مقابلة قوله فان تابوا الآية بأن نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصرّوا عليه بشهادة ان الآية وردت فى ناقضى العهد وانه تعالى جعلهم صنفين احدهما من تاب منهم والآخر من اقام على نقض عهده فلما كانت الشرطيتان متناسبتين كانت جملة قوله ونفصل الآيات لقوم يعلمون معترضة بينهما وقوله يعلمون منزل منزلة اللازم كأنه قيل ان من تأمل تفصيلها فهو العالم ﴿قوله ائمة﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بهمزتين ثانيتهما مسهلة بين بين اى بين مخرج الهمزة والياء والنفس بينهما والكوفيون وابن ذكوان عن ابن عامر بتحقيقهما من غير ادخال الالف بينهما وقرئ ايضا كذلك الا انه ادخل بينهما الف هذا هو المشهور مما روى عن القرآء السبعة وليس فيما اشتهر عنهم قلب الهمزة الثانية ياء خالصة فلذلك جعل التصريح بالياء لحنا قال الامام الواحدى فى البسيط والاصل فى ائمة أأممة لانها جمع امام نحو مثال وامثلة وحمار واحمرة ولكن لما اجتمعت الميمان ادغمت الاولى فى الثانية وألقيت حركتها على الهمزة قبلها فصارت أئمة فابدلت من الهمزة المكسورة ياء كراهة لاجتماع الهمزتين وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرأ بهمزتين فقد راعى الاصل وليس بالوجه انتهى كلامه وجعل الشاطبى ابدال الهمزة الثانية ياء خالصة مذهبا للنحويين لا للقرآء فالمصنف اختار مذهب النحاة الكوفيين فى هذه اللفظة فان النحويين البصريين يوجبون ابدال الثانية ياء وغيرهم يحققها او يسهل بين بين ومن ادخل الالف بينهما ادخلها للخفة حتى يفصل بين الهمزتين ﴿قوله اى لا ايمان لهم على الحقيقة﴾ اشارة الى دفع مايتوهم من ان نفى الايمان عنهم بقوله انهم لا ايمان لهم ينافى قوله وان نكثوا ايمانهم ووجه الدفع ان المراد بالايمان المثبتة لهم ما اظهروه من الايمان والمنفية ماهو ايمان على الحقيقة فان ماهو يمين حقيقة لا ينقدم

(فصدّوا عن سبيله) دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشترآءهم اداهم الى الصدّ (انهم ساء ما كانوا يعملون) عملهم هذا او ما دل عليه قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاوّل عام فى المناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم (واولئك هم المعتدون) فى الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين) لهم مالكم وعليهم ماعليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل مافصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم) وان نكثوا بعد ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا ائمة الكفر) اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لا ايمان لهم) اى لا ايمان لهم على الحقيقة

وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لأن المراد نفي الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا إيمان لهم بمعنى لا أمان أو لا إسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يؤمنون على الإخبار عن قوم معينين أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أي ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا إيصال الأذية بهم كما هو طريق المؤذين (ألا تقاتلون ﴿٤٢٤﴾ قوما) تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي للإنكار فأفادت المبالغة في الفعل (نكثوا أيمانهم) التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة (وهموا بإخراج الرسول) حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة (وهم بدءوكم أول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لأنه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم (فالله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره (إن كنتم مؤمنين) فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه (قاتلوهم) أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه (يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم وإذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فإن الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل في الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون إليهم

(بيضاوي)

صاحبها على نكثها والإتيان بما يخالف موجبها ﴿قوله وإلا لما طعنوا﴾ مبني على أن يراد بالعهد في قوله وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم مبايعة الإسلام وبنكثه الارتداد عن الإيمان وقوله ولم ينكثوا مبني على أن يراد بالعهد عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده﴾ لأن العهد معه معقود على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث فجاز قتله وعطف قوله وطعنوا في دينكم على ما قبله مع أن نقض العهد كاف لإباحة القتل زيادة تحريض المؤمنين على قتالهم وقيل معناه وإن نكثوا أيمانهم بطعنهم في دينكم فقد ذكر الفعلان وأريد بهما على أن يكون الثاني تفسيرا للأول كقولك استخف فلان بحقي ورد علي ما طلبت ﴿قوله على أن يمين الكافر ليست يمينا﴾ حتى لو أسلم بعد انعقاد يمينه وحنث فيها لم يكن عليه الكفارة عنده وعليه الكفارة عند الإمام الشافعي رضي الله عنه وقال معنى الآية أنهم لا يوفون بها فصارت أيمانهم كلا أيمان لأنه لا أيمان لهم في الحقيقة لوصفهم بالنكث والنكث لا يكون حيث لا يمين ﴿قوله بمعنى لا أمان أو لا إسلام﴾ يعني أن الإيمان بكسر الهمزة مصدر آمن تقول آمن يؤمن إيمانا ثم إن الإيمان يحتمل أن يكون بمعنى التصديق فالمعنى أنهم كفرة لا إيمان لهم بالله تعالى وبأحكامه وأن يكون من الأمن والأمان تقول آمنته فلانا وآمنت غيري أي أعطيته الأمان فقوله لا إيمان لهم معناه لا تعطوهم الأمان بعد نكثهم وطعنهم فإنهم لا يستحقون ذلك بعده أو أنهم لا يوفون لأحد بعهد يعقد ويقبله وقرأ الباقون لا أيمان بفتح الهمزة وهي جمع يمين ﴿قوله وتشبث به﴾ أي بما قرأ به ابن عامر ﴿قوله تعالى ألا تقاتلون قوما﴾ روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال قوله سبحانه وتعالى ألا تقاتلون قوما ترغيب في فتح مكة وقال الحسن لا يجوز أن يكون المراد منه ذلك لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة ﴿قوله والآية من المعجزات﴾ لأن الله تعالى قد وعد المؤمنين على لسان النبي عليه الصلاة والسلام أن يعذب الكفار بأيديهم ويخزيهم أي يذلهم بالأسر والقتل وينصر المؤمنين عليهم فأنجز وعده ولم يظهر خلاف ما وعدهم ﴿قوله خطاب للمؤمنين﴾ وقيل للمنافقين وأيا ما كان فهو ترغيب في الجهاد بأن يقال أم حسبتم أن تتركوا على ما أظهرتم باللسان من الإيمان فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليتميز الصادق من الكاذب والمراد بنفي العلم نفي المعلوم أي ولم يوجد منكم ما يدل على صدقكم فيما أظهرتموه من الإيمان وهو جهاد المشركين وهو نظير ما يقال ما علم الله مني ما قيل في والمراد ما وجد ذلك مني ولما كان علم الله تعالى مستلزما لوجوده في نفسه جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده وعدم علمه بوجوده كناية عن عدم وجوده فإنه تعالى يعلم كل ما سيوجد ويعلمه موجودا حين يوجد لأنه تعالى يعلم كل شيء على ما هو به والعلم الذي يجازي عليه هو العلم بالشيء بعد وجوده والمصنف جعل تعلق العلم بالوقوع مستلزما لنفي اللازم في مادة تحقق التلازم من الجانبين ولو جعل تعلق العلم بالوقوع لازما له لكان نفي العلم برهانا على نفي المعلوم فيكون نفي العلم ابتداء نفي المعلوم بالبرهان ﴿قوله عطف على جاهدوا داخل في الصلة﴾ أي الذين جاهدوا ولم يتخذوا فإن شعار المؤمن المخلص في إيمانه أن يجاهد أعداء دين الله بنفسه وماله وأن يوالي الله ورسوله والمؤمنين ولا يوالي غير الرسول والمؤمنين ولا يتخذ غير أولياء الله من الكفار والمنافقين وليجة وخواص ويحتمل أن يكون قوله ولم يتخذوا في محل النصب على أنه حال من فاعل جاهدوا أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين وليجة فإن المجاهد قد يجاهد ولا يكون مخلصا بل يكون منافقا باطنه مخالف ظاهره فبين الله تعالى أنه لا بد وأن يأتوا بالجهاد مع الإخلاص خاليا عن الرياء والنفاق وموالاة الكفرة فإن الجهاد إنما يكون عبادة إن أتى به انقيادا لأمر الله تعالى وبذلا للنفس والمال طلبا لمرضاة الله والوليجة فعيلة من الولوج وهو الدخول ووليجة الرجل من يداخله في باطن أموره وخدمته الذي يطلعه على ما في داخل قلبه وقيل الوليجة كل ما يتخذه الإنسان معتمدا عليه وليس من أهله من قولهم فلان وليجة في القوم إذا دخل فيهم وليس منهم ﴿قوله وما في لما من معنى التوقع﴾ فإن لما يستعمل في الأغلب في نفي الأمر المتوقع كما أن قد في الأغلب عن حصول الأمر المتوقع تقول لمن يتوقع ركوب الأمير قد ركب ولما يركب أي كان قد استعمل في غير المتوقع نحو قد ندم ولا ينفعه الندم ولما كان الغالب في لما كونها لنفي الأمر المتوقع دلت الآية على أن تبيين المخلصين وتميزهم من الذين لم يخلصوا دينهم أمر متوقع وأنه تعالى يميز بينهم فإنه تعالى لما فرض القتال تميز المنافق من غيره وتميز من يوالي المؤمنين ممن يعاديهم ﴿قوله يعلم غرضكم منه﴾ أي من الجهاد ويعلم من يجاهد رياء وسمعة ممن يجاهد لإعزاز دين الله وقهر أعدائه فإن المقصود من إيجاب القتال ليس نفس القتال بل هو ابتلاء الذي يتميز به من آمن

[illegible]

بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (اولئك حبطت اعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة) اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوّاري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها (فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لا يستوون عند الله) وبين عدم تساويهم بقوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله) اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها ابدا) اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده اجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء) نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله (ان استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرضوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة في غير محلها (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم) اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (واموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون

بلسانه ممن آمن بقلبه فالمخلص يجاهد واثقا بالله تعالى وابتغاء لوجهه الكريم والمنافق يجاهد مع الركون الى غير الله تعالى متذبذبا بين الفريقين فكل من ظن انه يكتفى منه بالدعوى دون تحقيق المعنى فهو على غلط في حسبانه وظنه (قوله لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به عليه الصلاة والسلام) فانه انما يجري ذكر الله تعالى بكون ذكره عليه الصلاة والسلام مقارنا لذكره تعالى كما في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها فلما كانا من نوعين صارا كأنهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه فكان الايمان به عليه الصلاة والسلام مندرجا تحت ذكر الايمان بالله تعالى (قوله ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة عليه) لان الصلاة لا تتم الا بالاذان والاقامة والتشهد وهذه الاشياء مشتملة على ذكر النبوة فاكتفى بذكر اقامتها عن ذكر الايمان به عليه الصلاة والسلام لان اقامتها توجب الايمان به عليه الصلاة والسلام ولان الصلاة والزكاة لما ذكرتا بلام العهد والمعهود من الصلاة والزكاة عند المسلمين ليس الا الاعمال التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتيان تلك الاعمال يستلزم الايمان به عليه الصلاة والسلام (قوله اي في ابواب الدين) جواب عما يقال كيف قيل ولم يخش الا الله والحال ان المؤمن يخشى عما يؤذيه ويضره كالظلمة والسباع المهلكة ونحوها ولا يتمالك ان لا يختشي شيئا منها وتقرير الجواب ان المعنى والله اعلم انه تعالى اذا كلف العبد بشيء من الامور المتعلقة بالدين كالحج والجهاد ونحوهما وعرض له ما يمنعه من اقامة ذلك الامر بان يضره ويفوت عليه شيئا من حقوق نفسه على تقدير اقامة ذلك الامر الذي كلف به ينبغي ان لا يخاف مما يفوت عليه حق نفسه بل يجتهد في اقامة حق الله تعالى خوفا من غضبه وعقابه ولا يختار على رضى الله رضى غيره خوفا من ذلك الغير كما قال تعالى أتخشونهم فالله احق ان تخشوه وقال فلا تخافوهم وخافون فان الخوف من المضار النفسانية امر جبلي لا محذور فيه انما المحذور ترجيح حق نفسه على حق الله تعالى وان يجعل فوات حظ نفسه كعذاب الله (قوله نزلت في المهاجرين) اي في من امر بالهجرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله تعالى ايمانه حتى يهاجر عن الكفار والمعنى لا تتخذوهم اصدقاء تؤثرون المقام بين اظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر واختاروه اي ان كان الكفر احب اليهم من الايمان قال الامام حملوا الآية على ايجاب الهجرة والحث عليها ونظال ان الهجرة ان كانت واجبة قبل فتح مكة فمشكل لان الاصح ان هذه السورة انما نزلت بعد فتح مكة فكيف يحمل الآية على ما ذكر ثم قال والاقرب ان تكون محمولة على ايجاب التبري من الكفرة وترك الموالاة معهم باتخاذهم بطانة واصدقاء فيفشون اليهم اسرارهم فانه تعالى لما اوجب على المؤمنين ذلك كأنهم قالوا كيف تمكن هذه المقاطعة التامة بين الرجل وابيه وابنه واخيه فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والاولاد والاخوان بسبب الكفر وهو قوله ان استحبوا الكفر ولما نزلت هذه الآية قالوا يا نبي الله نحن ان اعتزلنا عمن خالفنا في الدين نقطع عن آبائنا وعشيرتنا وتذهب تجاراتنا وتخرب ديارنا فنزل قوله تعالى قل ان كان آباؤكم الآية وعشيرة الرجل اهله الاقربون وقيل هم اهل الرجل الذين يتكثر بهم اي يصيرون له بمنزلة العدد الكثير فصارت العشيرة اسما لاقارب الرجل الذين يتكثر بهم سواء بلغت العشرة ام فوقها وقيل هم الجماعة المجتمعة بنسب او عهد او ود كعقد العشرة واختار المصنف القول الاخير حيث قال فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد اي مجموع عقد كما يجمع عقد العشرة وحداتها ويربط بعضها ببعض (قوله جواب ووعيد) اي لمن آثر حظوظ نفسه ورجح مهمات دنياه على مصلحة دينه ولما كان هذا الوعيد يشق على النفوس ذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا لاجل الدين فانه تعالى يوصله الى مطلوبه وضرب لهذا مثلا قصة حنين فان عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الوقعة كانوا في غاية الكثرة والقوة فلما اعجبوا بكثرتهم صاروا منهزمين فلما تضرعوا في حال الانهزام الى الله تعالى قواهم حتى هزموا عسكر الكفار وذلك دليل على ان الانسان متى اعتمد على الله كفى قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الآية تسلية لاولئك المأمورين بمقاطعة الآباء والابناء لاجل مصلحة الدين ووعد لهم بانهم ان فعلوا ذلك اوصلهم الله تعالى الى جميع مهماتهم على احسن الوجوه والمواطن جمع موطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وهذه الكلمة تصلح لان تكون مصدرا ميميا واسم زمان ايضا لكونه مثل الغنة كالموعد والمراد بالمواطن الكثيرة غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال انها ثمانون موطنا منها بدر وقريظة والنضير

والحديبية وخيبر وفتح مكة ﴿قوله وموطن يوم حنين﴾ جواب عما يقال كيف عطف الزمان وهو يوم حنين على المواطن مع ان متعلقات الفعل انما يعطف بعضها على بعض اذا كانت من جنس واحد والا فلا يعطف احدها على الآخر ولا يجعل تابعا له بل يتعلق كل واحد منها بالفعل بلا توسط العاطف فيقال ما ضربت زيدا يوم الجمعة امام الامير فكيف تخلل العاطف بين المكان والزمان في الآية وليسا من جنس واحد لان الفعل يقتضي كل واحد منهما على حدة فاجاب بانه من عطف المكان على المكان بتقدير المضاف او الزمان على الزمان كذلك اي نصركم في ايام مواطن ويجوز ان تجعل المواطن اسم زمان كمقتل الحسين فيكون من عطف الزمان على الزمان من غير تقدير المضاف وان كان كون الموطن اسم زمان بعيدا من الفهم في هذا المقام كانه قال في ازمنة اقامات ومواقف الحروب ﴿قوله ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه﴾ اي هذا رد على الزمخشري في قوله يجب ان يكون يوم حنين منصوبا بمضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصب اذ باضمار اذكر انتهى كلامه يعني انه ان لم يقدر فعل آخر ينصب المبدل منه بل كان الفعل المذكور ناصبا للجميع يلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة في المواطن الكثيرة لان الفعل واحد والحال انه لم تكن لهم كثرة في تلك المواطن فضلا عن ان تكون تلك الكثرة اعجبتهم فيها فلذلك وجب ان يقال ان المبدل منه منصوب بفعل مضمر وبهذا التقرير اندفع ما يقال ان ما ذكرت من ان يكون البدل منصوبا بالفعل الظاهر يستلزم ان يكون زمان الاعجاب بالكثرة ظرفا للنصرة الواقعة في مواطن كثيرة وهذا انما يلزم ان لو كان المبدل منه في حكم التنحية مع حرف العطف ليؤول الى نصركم الله في مواطن كثيرة اذ اعجبتكم وليس كذلك بل يؤول الى نصركم في مواطن واذ اعجبتكم وحاصل الرد ان العطف لا ينافي تعدد العامل في المعطوف والمعطوف عليه بحسب الافراد وان اتحدا في النوع الا ترى الى قولنا اضرب زيدا اليوم وعمرا غدا واضربه حين يقوم وحين يقعد واضرب زيدا قائما وعمرا قاعدا الى غير ذلك فقولنا نصرهم الله في مواطن كثيرة واذ اعجبتهم كثرتهم لا يستلزم ان تكون النصرة الواقعة فيهما نصرة واحدة شخصية حتى يقال اقتضى الكلام تحقق كثرتهم واعجابها اياهم في جميع الموطن ﴿قوله هوازن وثقيف﴾ مفعول حارب روي انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة وقد بقيت عليه ثلاثة ايام من شهر رمضان مكث حتى دخل شوال مشت اشراف هوازن بعضها الى بعض وكذا اشراف ثقيف بعضها الى بعض وحشدوا وبغوا وقالوا والله مالاقى محمد قوما يحسنون القتال فأجمعوا امركم فسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا امرهم على ذلك واخرجوا معهم اموالهم ونساءهم وابناءهم فجعلوا النساء فوق الابل وراء صفوف الرجال ثم جاؤا بالابل والغنم والذراري وراء ذلك ليقاتل كل واحد منهم عن اهله وماله ولا يفر احد منهم بزعمهم فساروا كذلك حتى نزلوا باوطاس وقد كان عليه الصلاة والسلام بعث اليهم عينا ليتجسس عن حالهم وما كان منهم وتسمع اخبارهم فوصل اليهم فسمع مالك بن عوف امير القوم يقول لاصحابه ما ثم اليوم اربعة في شئ مالا فرج الله فاقبل العين الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما سمع من مقالهم فقال رجل من المسلمين والله يا رسول الله لا نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة وابتلى الله تعالى المؤمنين بكلمته تلك وقيل ان هذه الكلمة قالها ابو بكر رضي الله عنه وقيل قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام هو بعيد لانه عليه السلام كان في اكثر الاحوال متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا واسبابها والظاهر ان القول لا ينافي التوكل على الله تعالى ولا يستلزم الاعتماد على الاسباب الظاهرة وروي عنه عليه السلام انه قال خير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف ولا يغلب اثنا عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وانما ساءه عليه الصلاة والسلام تلك الكلمة لان فيها اعتمادا على الكثرة واعتبارا لها ولا يليق بهم الاعتماد الا على الله ونصرته فلذلك اعلمهم الله تعالى بقوله اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ثم وليتم مدبرين انهم ليسوا بكثرتهم يغلبون وانما يغلبون بنصر الله اياهم فلما نظروا في ذلك اليوم الى كثرتهم انهزموا ثم تداركهم بنصره حين التجأوا اليه تعالى وتضرعوا والفل بالفتح اسم للمنهزم يستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل فل وقوم فل واصحاب الشجرة اهل بيعة الرضوان وهم الذين قال تعالى في حقهم لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة واصحاب سورة البقرة هم المذكورون في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ﴿قوله فكروا عنقا واحدا﴾ اي

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) يعني مواطن الحرب وهي مواقفها (ويوم حنين) وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله (اذ اعجبتكم كثرتكم) منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) اي الكثرة (شيئا) من الاغناء او من امر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها اي سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم انزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وامنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا

رجعوا جماعة واحدة اى دفعة والوطيس التنور والآن حمى الوطيس كناية عن اشتداد الحرب والمراد بالسكينة مايسكن اليه القلب ويوجب الامنة ووجد الاطلاق ان الانسان اذا خاف فر وفؤاده يتحرك واذا أمن سكن وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن **قوله** للتنبيه على اختلاف حاليهما فانهم انهزموا بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه ماولى ظهره الى جانب المشركين قط قال البرآء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشفت اوّل الخيول مولية وتبعهم الناس منهزمين لايلوون على شئ ولم يبق معه عليه الصلاة والسلام الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحارث رضى الله تعالى عنهما قال البرآء بن عازب والذى لااله الا هو ماولى رسول الله عليه الصلاة والسلام قط وقال رأيته وابو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام بغلته دلدل وهو يقول * انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب * وطفق يركض بغلته نحو الكفار وهذا من غاية شجاعته حيث ذكر اسمه فى تلك الحال ولم يخف من الكفار على نفسه وفى الآية دليل على ان المؤمن لايخرج من الايمان وان عمل الكبيرة لانهم قد ارتكبوا الكبيرة حيث هربوا وكان عددهم اكثر من عدد المشركين فسماهم الله تعالى مؤمنين **قوله** وكانوا خمسة آلاف او ثمانية آلاف او ستة عشر الفا اتفقوا على ان المراد بالجنود المنزلة الملائكة الا انهم اختلفوا فى عدد الملائكة وليس فى هذه الآية مايدل على عددهم كما هو فى قصة بدر فقال سعيد بن جبير امدّ الله تعالى نبيه بخمسة آلاف من الملائكة ولعله انما قاسه على يوم بدر وقال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا واختلفوا ايضا فى الملائكة هل قاتلوا فى ذلك اليوم فالذى روى عن سعيد بن المسيب يدل على انهم قاتلوا وآخرون قالوا ان الملائكة ماقاتلوا فى ذلك اليوم كما قاتلوا يوم بدر وفائدة نزولهم فى ذلك اليوم القاء الخواطر الحسنة فى قلوب المؤمنين وقيل ان الله تعالى لما هزم المشركين بوادى حنين ولوا مدبرين ونزلوا اوطاس وبها عيالهم واموالهم فبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وأمّره على جيش وارسله الى اوطاس فسار اليهم فاقتتلوا وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيالهم وهرب اميرهم مالك بن عوف فاتى الطائف وتحصن به واخذ ماله واهله فين اخذ وقتل امير المؤمنين ابو عامر روى ان المسلمين اسروا يومئذ ستة آلاف ثم اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم فاتى الجعرّانة فاحرم منها بعمرة وقسم بها غنائم حنين واوطاس **قوله** ما كنا نعدل بالاحساب شيأ اى نختار سبايانا من نسائنا وابنائنا فان ايثارهم على ايثار استرجاع المال حسب وهو بالاختيار اجدر والنسب والحسب مايعدّ من المفاخر كنوا بذلك عن اختيار الذرارى والنساء على استرجاع الاموال لان تركهم فى ذل الاسر يفضى الى الطعن فى احسابهم **قوله** فشأنه اى فيلزم شأنه وقوله ومن لا اى ومن لاتطيب نفسه ان تردّه والعرفاء جمع عريف بمعنى النقيب وهو دون الرئيس **قوله** لخبث باطنهم مبنى على ان النجس بفتحتين مصدر نجس اخبر به عن الذوات بتقدير المضاف اى ذوو نجس وهو ماقى بطونهم من الشرك ويحتمل ان يكون مبنيا على ان يكون نجس بفتحتين صفة مشبهة مثل حسن كما اشار اليه الجوهرى حيث قال نجس الشئ بالكسر ينجس نجسا فهو نجس ونجس ايضا قال تعالى انما المشركون نجس قال الفرآء اذا قالوه مع الرجس اتبعوه اياه وقالوا رجس نجس بالكسر وأنجسه غيره ونجسه بمعنى الى هنا منقول من الصحاح **قوله** او لانه يجب ان يجتنب منهم الخ يعنى ان التركيب من قبيل زيد اسد من باب التشبيه البليغ كأنه قيل انهم بمنزلة الشئ النجس العين فى وجوب الاجتناب منهم وهو قريب من قول صاحب الكشاف او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها **قوله** او لانهم لايتطهرون اى من الجنابة والحدث ولايجتنبون عن النجاسات العينية فكانوا ذوى نجاسات حكمية وحقيقية فحكم عليهم بانهم نجس بمعنى ذوى نجس فى اعضائهم الظاهرة كان المعنى على الوجه الثانى كون الكلام محمولا على التشبيه والمبالغة والحاصل ان جمهور الفقهاء اتفقوا على ان الكفر لايؤثر فى نجاسة بدن الكافر نجاسة حقيقية وانما يؤثر فى نجاسة باطنه فكان صفة الكفر القائم بهم بمنزلة النجاسة المتصلة بالشئ ومنهم من يقول فى تأويل الآية انهم لما لم يتطهروا من الجنابة والحدث ولا من سائر النجاسات التى تصيب اجسادهم كانوا ذوى نجس فحكم عليهم بانهم نجس لذلك ومنهم من يقول معنى الآية انهم بمنزلة الاعيان النجسة فى وجوب الاجتناب منهم **قوله**

والاعادة للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفرّوا (وأنزل جنودا لم تروها) بأعينكم يعنى الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذّب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزآء الكافرين) اى مافعل بهم جزآء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان اناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يارسول الله انت خير الناس وأبرّهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يردّه فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس) لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لايتطهرون ولايجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ماالغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب

وهو تأكيد في كبد ﴾ يعني ان النجس بالكسر والسكون اسم فاعل في الاصل على وزن فعل مثل كتف وكبد ثم خفف باسكان عينه بنقل حركتها الى ماقبلها ولابد من حذف موصوف حينئذ واقامة هذه الصفة مقامه اى فريق نجس او جنس نجس ﴿ قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ قيل المراد بالمسجد الحرام نفس المسجد وقيل جميع الحرم وهو الاقرب لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وذلك لان موضع التجارات ليس هو عين المسجد فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع وانما يخافون العيلة اذا منعوا من حضور الاسواق والمواسم ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام مع انهم اجمعوا على انه انما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت ام هانئ ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب * وهي من اقصى عدن ابين الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا * واعلم ان جملة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام القسم الاول الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستأمنا لظاهر هذه الآية واذا جاء رسول من دار الكفر الى الامام والامام في الحرم لا يأذن له في دخوله بل يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وان دخل مشرك في الحرم متواريا فمرض فيه اخرجناه مريضا وان مات ودفن ولم نعلم نبشناه واخرجنا عظامه اذا امكن هذا مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وجوز اهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم وانما يمنع من الحج والعمرة والقسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز فيجوز للكافر دخولها بالاذن ولكن لا يقيم اكثر من ثلاثة ايام لما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن عشت الى قابل لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع فيها الا مسلما فمضى رسول الله عليه الصلاة والسلام واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان ولكن لا يدخل المساجد الا باذن مسلم ﴿ قوله سنة براءة ﴾ اى السنة التي حج فيها ابو بكر ونادى علي بالبراءة من المشركين وهي السنة التاسعة من الهجرة * والعيلة الفقر يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر لما منع المشركون من قربان المسجد الحرام قال المسلمون انهم كانوا يأتون بالميرة ويتبايعون فالآن ينقطع المتاجر ويضيق العيش فنزلت قال مقاتل ثم اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وتبالة وحملوا الطعام الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون منه وصنعاء قصبة اليمن وجرش موضع باليمن وتبالة بلدة حصينة باليمن ﴿ قوله او حال ﴾ اى او على انها اسم فاعل حذف موصوفها وهو الحال واقيم هو مقام الموصوف فكان عبارة عنه والتقدير وان خفتم حالا عائلة ﴿ قوله قيده بالمشيئة ﴾ مع ان القيد بها ينافي ما هو المقصود من الآية وهو ازالة خوفهم من العيلة لفوائد الفائدة الاولى ان لا يعتمد على حصول هذا المطلوب الموعود بل يكون الانسان ابدا متضرعا الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات والثانية ان الاغناء الموعود ليس يجب عليه تعالى بل هو متفضل به في ذلك ولا يتفضل به الا عن مشيئته وارادته والثالثة التنبيه على ان الموعود ليس بموعود بالنسبة الى جميع الاشخاص بل بالنسبة الى جميع الامكنة والازمان وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لاحظ هذه الحكم في دعائه بقوله وارزق اهله من الثمرات فان من التبعيضية في ذلك الدعاء بمنزلة قيد ان شاء في هذا الوعد ﴿ قوله لا يؤمنون بهما على ما ينبغي ﴾ اشارة الى دفع ما عسى ان يقال من ان الآية نزلت لبيان حكم اهل الكتاب ومعلوم ان اهل الكتاب يقولون نحن نؤمن بالله واليوم الآخر لقوله من اهل الكتاب امة الخ فما وجه توصيفهم بانهم لا يؤمنون بهما ووجه الدفع ظاهر * واعلم انه تعالى لما بين حكم المشركين وهو البراءة من عهدهم واعلام ذلك البراءة للناس ووجوب مقاتلتهم وتبعيدهم عن المسجد الحرام ذكر بعده حكم اهل الكتاب وهو ان يقاتلوا الى ان يعطوا الجزية او يسلموا وحكم المشركين القتال او الاسلام ﴿ قوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة ﴾ من الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير وتحريف الكتاب وكتمان وصف النبي عليه الصلاة والسلام الثابت اشارة الى ان قوله دين الحق من قبيل اضافة الاسم الى الصفة واصل الكلام ولا يدينون الدين الحق وعن قتادة ان الحق هو الله تعالى والمعنى ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وقيل المعنى ولا يطيعون الله طاعة اهل الحق على ان الدين الطاعة والجزية ما يعطيه المعاهد على عهده وهي فعلة لبيان الهيئة كالركبة من جزى اذا قضى ما عليه ﴿ قوله اى عن يد مواتية ﴾ اى موافقة غير ممتنعة يقال واتيته على ذلك الامر مواتاة اذا وافقته وطاوعته واليد قد تجعل كناية عن

وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو تأكيد في كبد وأكثر ماجاء تابعا لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وهو نهي عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا) يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال (ان شاء) قيده بالمشيئة لينقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل في ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطي ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير في يعطوا اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير

(الانقياد)

الانقياد يقال اعطى فلان بيده اذا اسلم وانقاد وعلاقة المجاز أن من ابى وامتنع لم يعط بده بخلاف المطيع المنقاد كانه قيل قاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن طيب نفس وحسن انقياد دون ان يكرهوا عليه فانا أحتيج في اخذها منهم الى الاكراه والابرام لا يبقى عقد الذمة وعاد حكم القتل والقتال ﴿قوله او بيد قاهرة عليهم﴾ اى مستولية عليهم على ان يكون المراد باليد يد الآخذ لابد من عليه الجزية كما في الوجوه الاول ويد الآخذ عبارة عن قدرته واستيلائه وكلمة عن في غير الوجه الثانى سببية كما في يسمعون عن الاكل والشرب اى يبلغون في السمن الى غاية الكمال بسبب الاكل والشرب ﴿قوله او عن انعام عليهم﴾ على ان تكون يد الآخذ عبارة عن انعامه لاعن قدرته واستيلائه ﴿قوله او من الجزية﴾ عطف على قوله من الضمير ﴿قوله او نوجا عنقه﴾ اى يضرب قفاه باليد يقال وجأت عنقه وجأ اى ضربته والحكمة في وجئ عنقه وعدم الاكتفاء بأخذ الجزية انه تعالى قيد اعطاءهم الجزية بقوله وهم صاغرون فلا يكفى في حقن دم الكتابى مجرد دفع الجزية بل لابد من ايصال الذل والصغار اليه والسبب فيه ان طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل والصغار فاذا امهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام ويسمع دلائل صحته ويشاهد الذل والصغار في الكفر واهله فالظاهر انه يحمله ذلك على الانتقال الى الاسلام وهو المقصود من شرع الجزية فان المقصود من اخذ الجزية ليس تقرير الكتابى على كفره بل المقصود من اخذها حقن دمه وامهاله مدة رجاء انه ربما وقف في هذه المدة على محاسن الاسلام وقوة دلائله فينتقل من الكفر الى الايمان والحال ان كتابهم في ايديهم فربما يتفكرون فيه فيبصرون صدق محمد عليه الصلاة والسلام في دعوى النبوة فامهلوا لهذا المعنى لا لتقريرا لهم ورضى به وقال بعض العلماء اقروا على دينهم الباطل بأخذ الجزية حرمة لآبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل ﴿قوله لان لهم شبهة كتاب﴾ لما روى عن على رضى الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين اظهرهم والحاصل ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا او يعطوا الجزية وهم اليهود والنصارى بهذه الآية واما المجوس فبقوله عليه الصلاة والسلام * سنوابهم سنة اهل الكتاب * والنوع الثالث هم الكفرة الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب ولا من مشركى العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند ومن في حكمهم فذهب الامام الشافعى رضى الله عنه الى انه لا يجوز اخذ الجزية منهم وذهب ابو حنيفة واصحابه رضى الله تعالى عنهم الى انه يجوز اخذ الجزية منهم كما يجوز اخذها من المجوس ويجوز اجتماع الدينين في غير جزيرة العرب وهم من غير العرب وبقى الكلام في قدر الجزية روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * على كل حالم دينار * وانه عليه الصلاة والسلام بعث معاذا الى اليمن وامره ان يأخذ من كل حالم اى بالغ دينارا ولم يفصل بين الغنى والفقير والمتوسط وقسم على الفقراء اثنى عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين درهما وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين درهما ﴿قوله انما قال بعضهم من متقدميهم﴾ روى ان بخت نصر لما ظهر على بنى اسرآئيل وقتل علماءهم ولم يبق فيهم احد يعرف التوارة وكان عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احدا وعامة شجرها مثمر حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاكها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا في البعث فألقى الله تعالى عليه النوم ونزع منه الروح وبقى ميتا مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله تعالى عنه العيون فلم يره احد ثم انه تعالى احياه بعد ما اماته مائة سنة واحيى حماره ايضا فركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر منازله فتتبع اهله وقومه فوجد ابنا له شيخا ابن مائة وثمانى عشرة سنة وبنو ابنيه شيوخ ووجد من دونهم عجوزا عمياء مقعدة مضى عليها مائة وعشرون سنة كانت امة له وكان قد خرج عزير عنهم وهى بنت عشرين سنة فقال لهم انا عزير كان الله اماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت العجوز ان عزيرا كان مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله يرد على بصرى حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحت واخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير وقال ابنه كان لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير قال السدى والكلبى لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يبق من الله عهد بين الخلق فبكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه من

او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد ﴿وهم صاغرون﴾ اذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية ويوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية بأهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سوآء فيه الغنى والفقير وقال ابوحنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولاشئ على الفقير غير الكسوب ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ انما قال بعضهم من متقدميهم

او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف اولالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين اولان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بأفواههم) اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان (يضاهون قول الذين كفروا) اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لاتحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) بأن اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ماحرم الله او بالسجود لهم (والمسيح بن مريم) بأن جعلوه ابنا لله (وما أمروا) اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله (لا اله الا هو) صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن ان يكون له شريك

ذلك فكتبت التوراة في صدره فقال لبني اسرآئيل ياقوم ان الله تعالى بعثني اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه ثم قال رجل ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم فلم يجدوه غادر منها شيأ فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل الا لكونه ابنه فعند ذلك قالت اليهود المتقدمون عزير ابن الله **قوله او ممن كان بالمدينة** روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود منهم نعمان بن قيس ومالك بن الصيف وغيرهما فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لاتزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله قرأ عاصم والكسائي بتنوين عزير على انه اسم عربي مبتدأ وابن خبره فتنوينه على الاصل لانه لما لم يكن فيه عجمة كان منصرفا وقرأ الباقون بغير تنوين وانما حذف تنوينه اما لكونه ممنوعا من الصرف للتعريف والعجمة اولانه وان كان اسما عربيا مرفوعا على الابتداء الا انه حذف تنوينه لالتقاء الساكنين على حد قرآءة قل هو الله احد الله الصمد فان نون التنوين في عزير ساكنة وكذا الباء في ابن الله ساكنة ايضا فالتقى ساكنان فحذف نون التنوين للتخفيف كما تحذف حروف العلة عند التقائها بالساكن ويحتمل ان يكون الحذف مبنيا على ان عزيرا مرفوع بالابتداء وابن صفته والخبر محذوف اي عزير ابن الله نبينا او امامنا او صاحبنا وقد تقرر ان لفظ الابن متى وقع صفة بين علمين غير منفصل بينه وبين موصوفه حذفت ألفه خطا وتنوين موصوفه لفظا وزيف المصنف هذا الاحتمال بناء على مانقل عن عبد القاهر الجرجاني انه قال في كتابه دلائل الاعجاز ان الاسم اذا وصف بصفة ثم اخبر عنه انصرف الحكم الى الخبر فمن كذبه انصرف تكذيبه الى الخبر وصار ذلك الوصف مسلما فلو تعلق الانكار بقولهم عزير ابن الله معبودنا لتوجه الانكار الى كونه معبودا لهم وحصل تسليم كونه ابن الله تعالى ومن المعلوم ان ذلك كفر **قوله اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم** جواب عما يقال ان كل قول فانما يقال بالفم فما معنى قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم واجاب عنه بوجهين تقرير الاول ان القول وان كان لايتحقق الا بالفم الا ان قولهم قيد بأن يكون واقعا بأفواههم دفعا لتوهم ان يكون القول المسند اليهم مجازا عن بيان المراد بوجه آخر غير القاء اللفظ المسموع اليهم كالكتبة والاشارة ونحوهما من الافعال الدالة عليه فلما قيل بأفواههم تقرر ان القول الذي اسند اليهم هو القول الحقيقي لا المجازي وتقرير الثاني انه لو اقتصر على قوله ذلك قولهم بأفواههم لفهم ان قولهم ذلك له معنى ثابت في قلوبهم مثبت بالبرهان والدليل فقيل بأفواههم ليعلم ان ذلك القول ليس الا لفظ يتفوهون به فارغ عن معنى تحته كالالفاظ المهملة فان القول بأن له تعالى ولدا ليس له معنى يقبله العقل للعلم بانه تعالى منزه عن الحاجة والشهوة والصاحبة فما هو الا مجرد لفظ يقال بالفم كالمهمل **قوله والهمز لغة فيه** قرأ العامة يضاهون بضم الهاء بعدها واو وقرأ عاصم بهاء مكسورة بعدها همزة مضمومة بعدها واو وهما بمعنى واحد وهو المشابهة وفيه لغتان ضاهأت وضاهيت **قوله بأن اطاعوهم او بالسجود لهم** يؤيد الاول ماروى ان عدي بن حاتم كان نصرانيا وقال اتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وفي عنقي صليب من ذهب وهو يقرأ سورة برآءة فقال ياعدي اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقلت انا لسنا نعبدهم فقال عليه الصلاة والسلام * أليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتستحلونه * فقلت بلى قال * فتلك عبادتهم * ويؤيد الثاني مايشاهد من ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين فقد يلقي اليهم ان الامر كما يقولون ويعتقدون ولو خلا بعض الحمقاء من اتباعه فربما ادعى الالهية والربوبية واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف يستبعد ثبوته في الامم السالفة وقد روى ان النسطورية من النصارى يزعمون ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وان عيسى ومريم لهما ناسوتية ولاهوتية والاحبار جمع حبر وقيل جمع حبر بالكسر وقيل هما لغتان بمعنى وهو الفقيه العالم ذميا كان او مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب قال اهل المعنى الحبر العالم الذي صناعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها والراهب الذي تمكنت الخشية والرهبة من قلبه وظهرت آثار الرهبة على وجهه ولسانه فصار الاحبار مختصا بعلماء اليهود من ولد هرون عليه الصلاة والسلام والرهبان بعلماء النصارى اصحاب الصوامع **قوله تعالى والمسيح بن مريم** عطف على رهبانهم والمفعول الثاني محذوف وتقدير الكلام اتخذ اليهود احبارهم اربابا والنصارى رهبانهم والمسيح بن مريم اربابا اطلق الضمير في اتخذوا وان كان منقسما

(الى)

(ويأبى الله) اى لا يرضى (الا ان يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير انه وضع المشركون موضع الكافرون لدلالته على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام في الدين للجنس اى على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم (يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه (ويصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادى زكاته فليس بكنز اى بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد منه ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره (فبشرهم بعذاب اليم) هو الكي بها (يوم يحمى عليها في نار جهنم) اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيها للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم البدن ومآخره وجنباه (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لانفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) اى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) في اللوح

الى اليهود والنصارى لا من الليس ﴿قوله وقيل انه تمثيل﴾ عطف على مايفهم مما سبق من ان يكون المجاز في المفرد بأن يكون اطفاء نور الله مستعارا لابطال دلائل الحق وجحده ﴿قوله او على اهلها﴾ يعني على تقدير ان يكون ضمير ليظهره للرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان يقدر مضاف في قوله على الدين ﴿قوله سمى اخذ المال اكلا﴾ يعني ان الاحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى بحسب العرف المقصود وصفهم بحب الدنيا ومزيد الحرص والطمع في اخذ اموال الناس بأى طريق امكن لا بنفس الاكل فقط الا انه عبر عن الاخذ باسم ماهو اعظم مقاصده ولما كان معظم مقاصد اهل الدنيا المال والجاه وانهم يمنعون بهما عن تحصيل سعادة الآخرة وصف الله تعالى اكثر الاحبار والرهبان بكونهم مشغوفين بهذين الامرين اما المال فهو المراد بقوله ليأكلوا اموال الناس واما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون اى يمنعون الناس عن متابعة خيار الخلق ولاسيما عن متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لاتباعهم ان الدين الحق هو الدين الذي انتم عليه ويلقونهم انواع الشبهات والمكر والخديعة لئلا يزول رياستهم وجاههم ﴿قوله اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها﴾ فتكون الكنوز المحمى عليها بايقاد النار ذات حرارة شديدة والنار في نفسها حامية ذات حرارة فاذا وصفت بانها تحمى يدل ذلك على قوة ايقادها وشدة حرها الجوهري حميت النار بالكسر وحمي التنور حميا بالفتح فيهما اى اشتد حرهما وحميت عليه بالكسر غضبت ثم جعل اصل ماذكر من التفسير تحمى الكنوز بالنار وهو ظاهر لان المقصود بيان ان الكنوز المكوي بها تجعل حارة شديدة الحرارة فتكوى بها اعضاؤهم المذكورة والعبارة الظاهرة الدالة على هذا المقصود ان يسند الاحماء الى الكنوز الا انه اسند الاحماء الى الجار والمجرور ولما كان الفعل مسندا الى الجار والمجرور حسن تذكيره واصل الكنز في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جسم مكتنز الاجزاء واختلف علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم في المراد بهذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو كنز المال وجمعه مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان ينفق فيه وقيل ان المال الكثير اذا جمع فهو الكنز المذموم سواء اديت زكاته او لم تؤد والقائل بهذا القول تمسك بعموم هذه الآية فان ظاهرها يدل على المنع من جمع المال فالمصير الى ان الجمع مباح بعد اخراج الزكاة ترك لظاهر هذه الآية فلا يصار اليه الا بدليل منفصل وبما روي انه لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا اى مال نتخذه قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبما روي عن علي رضي الله عنه انه قال كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز اديت منه الزكاة او لم تؤد ﴿قوله لان جمعهم وامساكهم اياه﴾ بيان لوجه تخصيص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي وتقريره ان مقصود الكانز من جمع المال لما كان طلب الوجاهة بالغنى تعلق الكي باعلى وجهه ولما قصد به ايضا التنعم بالمطاعم الشهية التي ينتفخ بسببها الجنبان والملابس البهية التي تطرح على الظهر تعلق الكي بالجنوب والظهور ايضا ﴿قوله او لانهم ازوروا عن السائل﴾ اى عدلوا عنه بان صرفوا وجوههم عن جانبه واعرضوا عنه بأن ولوه جنوبهم وظهورهم عن ابي بكر الوراق خصت هذه المواضع بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولاه ظهره ﴿قوله او في حكمه﴾ اى ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب في هذه المواضع الحكم والايجاب كما في قوله تعالى كتب عليكم القتال كتب عليكم القصاص كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله تعالى في كتاب الله اى فيما اوجبه وحكم به وقوله في كتاب الله صفة لاثنا عشر والتقدير اثنا عشر مثبتة في كتاب الله ويوم متعلق بالاستقرار المدلول عليه بالجار والمجرور وهو في كتاب الله صفة لاثنا عشر فحينئذ يكون الكتاب عبارة عن اللوح المحفوظ ولا يراد به المصدر لان الظروف لا تتعلق باسماء الاعيان فلا يقال غلامك يوم الجمعة والتقدير ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله اى في حكمه الواقع يوم خلق السموات والارض وقوله منها اربعة حرم يجوز ان يكون حالا من الضمير في الاستقرار وان يكون مستأنفا ومعنى كونها حرما ان المعصية فيها اشد عقابا والطاعة فيها اشد ثوابا والعرب كانوا يعظمونها جدا حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه لم يتعرض له واعلم ان السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا من الشهور القمرية وعند سائر الطوائف عبارة عن المدة التي تدور الشمس فيها دورة تامة والسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكان يشق الامر عليهم بسبب هذا الانتقال وايضا اذا ارادوا التجارة فربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور اسباب التجارات من الاطراف فكان يشق عليهم تحمل اسباب

وقوله (يوم خلق السموات والأرض) متعلق ...
(منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم أو في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا ويؤيد الأول ما روي أنه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة (وقاتلوا ﴿٤٣٢﴾ المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعاً وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (إنما النسيء) أي تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر كانوا إذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش إنما النسي بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه إذا أخره (زيادة في الكفر) لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالاً زائداً وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفاعل لله تعالى (يحلونه عاماً) يحلون النسيء من الأشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهراً آخر (ويحرمونه عاماً) فيتركونه على حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادي في القابل إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أو حال (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ما حرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء أعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسناً (والله لا يهدي القوم الكافرين) هداية موصلة إلى الاهتداء (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الأصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (إلى الأرض) متعلق به كأنه ضمن معنى الإخلاد والميل فعدي بإلى وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (حيث) (في الآخرة) في جنب الآخرة (إلا قليل) مستحقر (إلا تنفروا) إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه (يعذبكم عذاباً أليماً) بالإهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوماً غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس (ولا تضروه شيئاً) أي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئاً فإنه الغني عن كل شيء وفي كل أمر وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام أي ولا تضروه فإن الله وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شيء قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله) أي إن لم تنصروه فسينصره الله كما نصره (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين) ولم يكن معه

أنجارتهم بهذا السبب فلهذا السبب أقدموا على الكبيسة واعتبروا حال السنة الشمسية وعند ذلك بقي زمان الحج مختصاً بوقت واحد معين موافق لمصالحهم كمصلحتهم المتعلقة بالدنيا وانتفعوا بتجاراتهم ومصالح معاشهم وحصل لهم بسبب الكبيسة أمران أحدهما أنهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهراً بسبب اجتماع تلك الزيادات والثاني أنه كان ينتقل الحج من بعض الشهور القمرية إلى غيره وكان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة وفي بعضها في صفر وهكذا في الدور حتى ينتهي بعد مدة مخصوصة مرة أخرى إلى ذي الحجة وكل من الزيادة في عدد الشهر والسنة وتأخير الحرمة الحاصلة لشهر إلى شهر وبناء أمر العبادات على السنة الشمسية وإن كان موافقاً لرعاية مصالح الدنيا إلا أنه مخالف لحكم الله تعالى وموجب لتغيير تكاليفه فإنه تعالى أمرهم من زمان إبراهيم وإسمعيل عليهما الصلاة والسلام ببناء الأمر على رعاية السنة القمرية وهم تركوا أمر الله في رعاية السنة القمرية واعتبروا السنة الشمسية رعاية لمصالح دنياهم فلذلك استوجبوا الذم الوارد في هذه الآية ﴿قوله وقع موقع الحال﴾ إما من الفاعل أو من المفعول أي قاتلوهم مجتمعين أنتم أو إياهم ﴿قوله حتى رفضوا خصوص الأشهر﴾ لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زماناً ثم يردون التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك في ذي الحجة إلا إذا اجتمعت العرب للموسم فينادي مناديهم أن أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر فبقي شهر الحج أيضاً ولما فتح الله تعالى مكة سنة ثمان من الهجرة وحج النبي بعرفة وقال يا أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فالأشهر [illegible] وإن الحج في ذي الحجة إلى يوم القيامة ﴿قوله واعتبروا مجرد العدد﴾ بأن قالوا الأشهر الحرم أربعة وقد حرمنا أربعة أشهر وتركوا حرمة خصوص الشهور رعاية [illegible] قرأ الجمهور إنما النسيء بالهمزة بعد الياء وهو مصدر على فعيل من أنسأ بمعنى أخر كالنذير من أنذر والنكير من أنكر أو من نسأه أي أخره فهو منسوء وورد عليه أنه كيف يجوز أن يخبر عن النسيء بمعنى المؤخر بأنه زيادة والمؤخر هو الشهر لا يكون زيادة في الكفر وأجيب بأنه على حذف مضاف إما من الأول والتقدير إن إزادة النسيء وإما من الثاني أي إنما النسيء ذو زيادة في الكفر ﴿قوله والنسء﴾ أي بسكون السين قبل الهمزة والنساء بالمد مصدر نسأت الشيء نسأ أي أخرته وكذا نساء كقولك نسمت وأنسأته بمعنى ونسأت عنه دينه إذا أخرته نساء بالمد كذا في الصحاح ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل﴾ أي بضم الياء وفتح الضاد والمضل هو الله تعالى حقيقة والشيطان بتسويله وقرأ باقي السبعة يضل بفتح الياء وكسر الضاد وحسن إسناد الضلال إلى الذين كفروا سواء أضلوا غيرهم أم لا ﴿قوله يحلون النسيء من الأشهر﴾ أشار به إلى قول من قال إن النسيء فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله أي ليوافقوا﴾ يعني أن المواطأة عبارة عن الموافقة والاجتماع يقال تواطأوا على كذا إذا اجتمعوا عليه كأن كل واحد يطأ حيث يطأ الآخر ﴿قوله واللام متعلقة بيحرمونه﴾ وهو مقتضى مذهب البصريين فإنهم يعملون الثاني من المتنازعين لقربه ومذهب الكوفيين يقتضي أن تكون متعلقة بيحلونه لأنهم يعملون الأول لسبقه ومعنى موافقتهم العدة أنهم لا يحلون شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال ولا يحرمون شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام ويقولون الأشهر الحرم أربعة وقد حرمنا أربعة أشهر فيتوافقون على رعاية نفس العدد ويلغون حرمة خصوص ما حرمه الله من الأشهر وهو قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله ﴿قوله وقرئ تثاقلتم على الأصل﴾ وأما اثاقلتم أدغمت تاء التفاعل فيما بعدها فاحتيج إلى همزة الوصل للابتداء لما ذكر الله تعالى فضائح الكفرة عاد إلى الترغيب في مقاتلتهم ومعاتبة المؤمنين حيث قيل لهم وقاتلوا المشركين كافة وإنه عليه الصلاة والسلام لما أمر بجهاد الروم وأمرهم أن يتأهبوا لذلك شق عليهم الخروج وتثاقلوا لكون الناس والبلاد في جدب وعسرة وشدة حر وطابت ثمار المدينة وظلالها حينئذ وقوله تعالى ما لكم استفهام بمعنى التوبيخ وقوله انفروا في سبيل الله أي اخرجوا إلى الغزو ويقال نفر القوم ينفرون نفراً ونفيراً إذا خرجوا إلى مكان لأمر أوجب الخروج والقوم الذين يخرجون يقال لهم النفير ﴿قوله ضمن معنى الإخلاد﴾ أي تثاقلتم مائلين إلى أرضكم والإقامة فيها لإيناع ثمارها وطيب ظلالها وتعب الخروج للغزو وشدة الحرارة وكثرة العدو والشقة السفر البعيد والمسافة التي تقطع بمشقة ﴿قوله وقيل الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام﴾ ولا يخفى أنه على الأول كان لله تعالى ﴿قوله فحذف الجزاء﴾ لأن قوله فقد نصره الله أو وقوع مضمونه قبل وقوع مضمون الشرط لا يصلح جزاء مترتباً على وقوع الشرط في المستقبل وكونه كالدليل على ما هو الجزاء حقيقة من

حيث انه تعالى لما نصره وقواه حال كونه لم يكن معه الا رجل واحد ظهر انه سينصره ويظهر دينه اليوم وان تثاقل من استنفره من الموصوفين لاتضاح امر نبوته وحقية دينه وكثرة اتباعه عددا وعددا فالمذكور بمنزلة القياس الجلي كأنه قيل ان لا تنصروه فقد نصره الله فيما مضى وهو اضعف حالا واقل رجالا فكذا ينصره في المستقبل فان النصرة الماضية بمنزلة الدليل لنصرته الآتية والوجه الثاني قريب من الاول لاشتراكهما في كون الكلام على حذف الجواب وكون المذكور بمنزلة القياس الجلي فكأنه استدل على النصرة الموعودة الواقعة في زمان القوة والكثرة بالنصرة الماضية الواقعة في زمان الضعف والقلة ولا شك ان الموعدة اولى من السابقة وعلى الثاني بمنزلة الاستصحاب المعلوم للمخاطبين فكأنه استدل على النصرة الموعودة بعلم المخاطبين بانه من المنصورين وقد تحقق عليهم وذكر الزمان تذكيرهم نصره اياه كأنهم يشاهدونه فالمعنى ان لا تنصروه فقد عرفتم انه من المنصورين لا من المخذولين فالله تعالى ينصره في المستقبل بناء على ما كان ﴿قوله واسناد الاخراج الى الكفرة﴾ مع ان المسند اليهم ليس الا الهم باخراجه او قتله وهو عليه الصلاة والسلام انما خرج باذن الله تعالى لا باخراج الكفرة اياه ﴿قوله ونصبه على الحال﴾ فانه في موضع النصب سواء قرئ بفتح الياء على اللغة المشهورة او باسكانها على لغة من يقول رأيت رامي القوم بحذف حركة الياء تشبيها لها بالالف في نحو رأيت عصا القوم ومعنى ثاني اثنين احد اثنين فانه اذا حضر اثنان في موضع يكون كل واحد منهما ثانيا للآخر فيقال فلان ثاني اثنين ويراد انه احدهما ليس معهما ثالث فمعنى الآية فقد نصره الله احد اثنين اي نصره منفردا الا عن ابي بكر رضي الله عنه وكفى بهذا دليلا على فضل ابي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اجمعين حيث استخلصه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في مثل تلك الحالة قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في حقه

وثاني اثنين في الغار المنيف لقد ۞ طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان في مثل تلك الحال صاحبه ۞ دون الخلائق لم يعدل به بدلا

وقصة الهجرة ان قريشا ومن بمكة من المشركين لما اجتمعوا في دار الندوة وتعاهدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الله ان يخرج هو وابو بكر الى الغار ثم يتوجه الى المدينة فخرج هو وابو بكر اول الليل الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه ليمنعهم سواد علي من طلبه حتى يبلغ هو وصاحبه الى ما امر الله ان يبلغا قالت عائشة رضي الله عنها فبينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر وقت الظهيرة اذ قال قائل لابي بكر هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء متقنعا فاستأذن علينا وليس من عادته ان يأتينا في مثل تلك الساعة فاذن له فدخل فقال لابي بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بأبي انت وامي يا رسول الله قال فاني قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر فالصحبة بأبي انت وامي يا رسول الله قال نعم قال فخذ احدى راحلتي هاتين فقال عليه الصلاة والسلام بالثمن وكان اشتراهما بثمانمائة فاخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام القصوى وكانت عنده يغزو عليها المغازي ويحج عليها حتى ماتت في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما باخف الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فوضعنا فيها شيأ من اللحم والخبز فخرج عليه الصلاة والسلام ليلا من بيته وانتهى الى بيت ابي بكر فخرجا معا وكان ابو بكر استأجر عبدالله بن اريقط ودفع اليه الراحلتين وواعده ان يعاودهما بعد ثلاث ليال وذهبا حتى وصلا الى الغار فدخل ابو بكر الغار يلتمس ما في الغار فقال له عليه الصلاة والسلام مالك فقال ابو بكر بأبي انت وامي انه مأوى السباع والهوام فان كان فيه شيء كان بي لا بك وكان في الغار جحر فوضع عقبه فيه لئلا يخرج ما يؤذي الرسول فمكثا فيه ثلاث ليال واتى عبدالله بالراحلتين صباح الليلة الثالثة ﴿قوله هي العليا﴾ يجوز ان تكون هي مبتدأ ثانيا والعليا خبره والجملة خبر الاول ويجوز ان تكون هي فصلا والخبر العليا ﴿قوله قال ابن ام مكتوم له عليه الصلاة والسلام أعلي ان انفر قال نعم﴾ روي انه عليه الصلاة والسلام قال في جوابه ما انت الا خفيف أو ثقيل يعني انه تعالى استنفر الخفيف والثقيل فيجب على كل واحد منهما فلما اجاب عليه الصلاة والسلام ابن ام مكتوم ذهب الى اهله فتقلد بسلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى حرج وقيل انه منسوخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فان ظاهر الآية يوجب النفر على المؤمنين كافة قال مجاهد رضي الله تعالى عنه ان ابا ايوب شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن الغزوات مع المسلمين ويقول قال الله تعالى انفروا خفافا وثقالا ولا يخلوا احد من كونه

واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال ﴿اذ هما في الغار﴾ بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ﴿اذ يقول﴾ بدل ثان او ظرف لثاني ﴿لصاحبه﴾ وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه ﴿لا تحزن ان الله معنا﴾ بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه ﴿فانزل الله سكينته﴾ امنته التي تسكن عندها القلوب ﴿عليه﴾ على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا ﴿وايده بجنود لم تروها﴾ يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعني الشرك او دعوة الكفر ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم من ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او تأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في امره وتدبيره ﴿انفروا خفافا﴾ لنشاطكم له ﴿وثقالا﴾ عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) بما امكن لكم كليهما او احدهما (ذلكم خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم انه خير

اوان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبرالله به صدق فبادروا اليه (لوكان عرضا) اى لوكان ما دعوا اليه نفعا دنيويا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) او لاتوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) يقولون لوكان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون انفسهم) بايقاعها فى العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله (والله يعلم انهم لكاذبون) فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطائه فى الاذن فان العفو من روادفه (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) فى الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم) اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا فى التخلف عنه او أن يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بالثواب (انما يستأذنك) فى التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له) للخروج (عدة) اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله

خفيفا او ثقيلا ﴿قوله خير لكم من تركه﴾ فان قيل ما معنى كون الجهاد خيرا من تركه والحال انه لا خير فى تركه اجيب بان معناه ان ما يستفاد بالجهاد من ثواب الآخرة خير مما يستفيده القاعد عنه من الراحة وسعة العيش والتنعم بها ﴿قوله اى لوكان ما دعوا اليه نفعا دنيويا﴾ اشارة الى ان اسم كان محذوف لدلالة ما تقدم وهو الجهاد وان العرض وهو ما عرض لك من منافع الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر لما بالغ فى ترغيب المؤمنين فى الجهاد عاد الى تقرير كونهم متثاقلين مائلين الى الاقامة بأرضهم وبين ان المدعو اليه لوكان عرضا قريبا وسفرا سهلا لاتبعوك سمى المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط قاصدا بمعنى ذى قصد كقولهم تامر ولابن من حيث انه يقصده كل احد ﴿قوله ساد مسد جوابى القسم والشرط﴾ فانهما اذا اجتمعا وتقدم القسم على الشرط يجعل المذكور بعدهما جوابا للقسم ويحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ﴿قوله تعالى لم اذنت لهم﴾ كل واحد متعلق بأذنت وجاز ذلك لان معنى اللامين مختلف فالاولى للتعليل والثانية للتبليغ ومتعلق الاذن محذوف اى لم اذنت لهم فى القعود حذف لدلالة ما سبق من اعتذارهم عن تخلفهم عنه عليه الصلاة والسلام ثم ان قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم يدل على ان ذلك التخلف كان باذن الرسول عليه الصلاة والسلام فجعل المصنف ذلك الاذن منه خطأ بناء على ان الاستفهام فى قوله لم اذنت لهم للانكار وبكون العفو كناية عن الخطأ وهذا الخطأ ليس من قبيل الذنب بل هو من قبيل ترك الاولى بناء على انه خطأ فى الاجتهاد فانه عليه الصلاة والسلام اجتهد فى تلك الواقعة وغاية ما فى الباب انه لم يصب فى اجتهاده والمجتهد اذا اخطأ فله اجر فان العلماء قد احتجوا بهذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام قد يحكم بالاجتهاد فى بعض الوقائع وبدخوله عليه الصلاة والسلام تحت قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار وهو عليه الصلاة والسلام سيد اولى الابصار فكان مأمورا بالاعتبار ايضا نقل الامام عن قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما الرسول عليه الصلاة والسلام لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله عليهما كما تسمعون وعن سفيان بن عيينة انه قال انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ان يعيره بالذنب ثم قال قوله تعالى عفا الله عنك لا يستدعى سابقة الذنب فانه يجوز ان يقال انه تعالى قال ذلك للمبالغة فى تعظيم رسوله وتوقيره بافتتاح الكلام بالدعاء له كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما صنعت فى امرى ورضى عنك ما جوابك عن كلامى وغرضه من هذا الكلام التعظيم والتبجيل قال على ابن الجهم يخاطب المتوكل وقد امر بنفيه

عفا الله عنك ألا حرمة	تجود بفضلك يا ابن الندا
ألم تر عبدا عدا طوره	ومولى عفا ورشيدا هدى
أقلنى اقالك من لم يزل	يقيك ويصرف عنك الردى

ولو سلمنا ان قوله عفا الله عنك يستدعى سابقة الذنب لكن لا نسلم ان قوله لم اذنت لهم يقول على سبيل الانكار عليه لانه عليه الصلاة والسلام لا يخلو اما ان يكون صدر عنه ذنب فى هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فعلى كل تقدير يمتنع ان يكون قوله تعالى لم اذنت لهم انكارا عليه اما على التقدير الاول فلانه اذا لم يصدر عنه ذنب فكيف يتوجه عليه الانكار واما على التقدير الثانى فلان قوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو عنه وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فظهر بطلان من احتج بهذه الآية على صدور الذنب عنه عليه الصلاة والسلام من وجهين الاول ان العفو يستدعى سابقة الذنب والثانى ان الاستفهام الانكارى فى لم اذنت لهم يدل على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا بل الآية محمولة على انه تعالى عاتب نبيه على ترك الاولى والاكمل وعن قتادة انه تعالى عاتبه فى هذه الآية كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور حيث قال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ﴿قوله اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك فى ان يجاهدوا﴾ حمل الكلام على نفى الاستمرار والاعتياد بناء على حمل لفظ المضارع على الاستمرار كما فى قولهم فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم فلما دخله النفى دل الكلام على نفى الاستمرار وان يكون عادتهم الاستئذان وان وقع ذلك منهم نادرا وجعل قوله تعالى ان يجاهدوا فى موضع الجر بان كان اصله فى ان يجاهدوا فحذف الجار واوصل الفعل ثم اشار الى احتمال آخر وهو ان يكون متعلق الاستئذان محذوفا ويكون قوله يجاهدوا فى موضع النصب على انه مفعول من اجله والمعنى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك كراهة ان يجاهدوا ﴿قوله وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة﴾ كما حذف من لفظ عدة

... (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله و لو ارادوا الخروج كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج (فثبطهم) فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم و القاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيأ (الا خبالا) فسادا او شرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا (ولأوضعوا خلالكم) ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في أوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم وما يأتي منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت امرك وتفريق اصحابك (من قبل) يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوّروا الآراء في ابطال امرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد الالهي (وظهر امر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوّت الرسول عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات اصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني (الا في الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة اسبابها بهم (ان تصبك) في بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) في بعضها (مصيبة) كسر او شدة كما اصاب يوم احد (يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم في التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا

في قوله واخلفوك عدة الامر الذي وعدوا ه اصله عدة الامر فانهم يحذفون التاء لاجل الاضافة كما يحذفون التنوين ومنه قوله تعالى واقام الصلاة وقرأ الجمهور عدة بضم العين وتاء التأنيث وهي الزاد والراحلة وجميع مايحتاج اليه المسافر والمعنى عدته فلما تركت الاضافة نونت الكلمة ﴿قوله استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج﴾ جواب عما يقال من حق حرف الاستدراك ان يتوسط بين كلامين متغايرين نفيا واثباتا بينهما نوع تقابل ولا تقابل ههنا بين الطرفين لان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له معناه انهم لم يريدوا الخروج فلم يستعدوا له وقوله ولكن كره الله انبعاثهم معناه لكن لم يرد انبعاثهم فكيف استدرك على نفي ارادتهم الانبعاث بنفي ارادة الله تعالى انبعاثهم ولا تقابل بينهما بوجه ما وتقرير الجواب ان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج وان كان معناه نفي ارادتهم لكنه يستلزم خروجهم وقوله كره الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فيؤول الى معنى لم يخرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج وهو كلام منتظم لانه استدراك على نفي الشيء باثبات ضده كما يستدرك على نفي الاحسان باثبات الاساءة والتثبيط صرف الانسان من الفعل الذي يهم به ﴿قوله تمثيل﴾ لما كان الظاهر ان يكون القائل هو الله تعالى ويكون العدول الى بناء المفعول لتعظيم الفاعل وظاهر انه لم يأمرهم بالقعود حمل الكلام على التمثيل ﴿قوله ولاجل هذا التوهم﴾ اى توهم ان الاستثناء المتصل يستلزم ان يكون في اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خبال وفساد جعل الاستثناء منقطعا والمعنى مازادوكم قوة ولا شدة ولكن خبالا وفي التيسير وليس معنى قوله مازادوكم الا خبالا انهم كانوا في فساد والمنافقون زادوا في فسادهم ولكن معناه لو خرجوا فيكم اى فيما بينكم مازادوكم قوة لكن اوقعوا افسادا بالتجبين وتهويل امر الكفرة والترديد في الرأي وتزيين امر لفريق وتقبيحه عند فريق آخر ليختلفوا فتفترق كلمتهم ولا ينتظم امرهم انتهى وليس الاستثناء هنا منقطعا لان المستثنى منه فيه ضمير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء لان زاد يتعدى الى اثنين فيكون الاستثناء متصلا لان الخبال بعض من اعم العام ﴿قوله ولأسرعوا ركائبهم بينكم﴾ يعني ان الايضاع حمل الراكب مركبه على الاسراع يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا ولا يجوز ان يقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا فيكون مفعول اوضعوا في الآية محذوفا اى ركائبهم والخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين والمراد من الآية السعي بينهم بالفساد بما يجمع العداوة كالنميمة والتضريب وهو الاغراء ﴿قوله تعالى يبغونكم﴾ في محل النصب على انه حال من فاعل اوضعوا اى حال كونهم باغين اى طالبين او طالبين الفتنة لكم ومعنى الفتنة ههنا افتراق الكلمة ﴿قوله تعالى وفيكم سماعون لهم﴾ يجوز ان يكون حالا من مفعول يبغونكم او من فاعله وجاز الامران لان في الجملة ضميريهما ويجوز ان يكون مستأنفا والمعنى ان فيكم من يسمع لهم ويصغي لقولهم ويجوز ان يكون المعنى فيكم جواسيس منهم يسمعون لهم الاخبار منكم فاللام على الاول للتقوية لكون العامل فرعا وعلى الثاني للتعليل اى لاجلهم ﴿قوله يعني يوم احد﴾ فان ابن ابي انصرف يوم احد مع اصحابه وهم ثلاثمائة وبقي النبي صلى الله عليه وسلم مع خلص المؤمنين وهم سبعمائة وكذا ابتغوا الفتنة في حرب الخندق حيث قالوا يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وفي ليلة وقف اثنا عشر رجلا من المنافقين على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا به صلى الله عليه وسلم فاخبره الله تعالى بذلك وحله منهم فكان شأنهم تجبين المؤمنين عن لقاء العدو وتهويل امر عليهم في الغزوات والفتك ان يأتي الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشد عليه فيقتله وفي الحديث قيد الايمان الفتك اى لا يفتك مؤمن ﴿قوله ودبروا المكايد﴾ يعني ان المراد بتقليب الامر تصريفه وترديده لاجل التدبر والتأمل فيه ﴿قوله لما روى ان جد بن قيس﴾ روى انه صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال يا ابا وهب هل لك في جلاد الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفهن الخ فقال جد ائذن لي في القعود ولا تفتني بنساء الروم فانه قد علمت الانصار اني رجل مفرط في التعلق بالنساء فاخشى ان افتتن ببنات الاصفر اي لا اصبر عنهن فاواقعهن قبل القسمة فاقع في الفتنة وفي الاثم او فاشتغل بهن فيشغلني ذلك عن طلب المعاش وعن الخروج للجهاد اي ذلك عذري ولم يقبل الله تعالى عذره وبين انه قد وقع في الفتنة بمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو امامة كان الاصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فولد له بنات لعس لم ير مثلهن واللعس جمع لعساء وهي المرأة التي لون الشفة منها يضرب الى السواد قليلا وذلك يستملح غاية الملاحة ﴿قوله وقرئ هل يصيبنا﴾ من غير تشديد الياء وقرئ ايضا بكلمة هل بدل لن وبتشديد الياء على انه مضارع فيعل اصله يصيوبنا لما اجتمعت الواو والياء

وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ

فيما قصد به وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولى امرنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم ان لايتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين التين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) ايضا احدى السوءيين (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (او بايدينا) او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم (قل انفقوا طوعا او كرها ان يتقبل منكم) أمر فى معنى الخبر اى ان يقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كأنهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لايؤخذ منهم وان لايثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله) اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لايرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا) بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق انفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم) لمن جملة المسلمين (وما هم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجأون اليه

وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت فيها ولو كان مضارع فعل كان حقه ان يقال هل يصوبنا لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب * الجوهرى صاب السهم يصوب صوبا اى قصد ولم يجر والقصد اتيان الشئ والجور الميل والعدول عن الطريق **قوله واشتقاقه** اى اشتقاق يصيبنا بالتشديد من الصواب وهو مقابل الخطأ لانه اى لان مدلوله وقوع الشئ فيما قصد به وان لايخطأ فيه وقيل من الصوب وهو النزول وقوله تعالى قل لن يصيبنا جواب عن فرح المنافقين بما اصاب المؤمنين وقوله قل هل تربصون جواب ثان عنه وقوله او بايدينا اى ان اظهرتم مافى قلوبكم من الكفر والنفاق وقوله الا احدى الحسنيين مستثنى مفرغ فى محل النصب على انه مفعول تربصون وقوله فتربصوا وان كان صيغة امر الا ان المراد منه التهديد اى فانتظروا مواعيد الشيطان انا منتظرون مواعيد الله تعالى من اظهار دينه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * يضمن الله تعالى لمن خرج فى سبيله لايخرج الا ايمانا بالله وتصديقا برسوله ان يدخله الجنة او يرجعه الى منزله الذى خرج منه نائلا مانال من اجر او غنيمة * فدل هذا على ان احدى الحسنيين المغفرة او الجنة والاخرى احد الامرين على طريق منع الخلو وهو الاجر والغنيمة **قوله امر فى معنى الخبر** قال الفراء والزجاج هذا لفظه امر ومعناه معنى الشرط اى ان انفقتم طائعين او كارهين لن يتقبل منكم انتهى صرف الامر عن اصل معناه لان قوله لن يتقبل منكم يأبى عن ابقائه على اصل معناه **قوله وفائدته** اى فائدة الخبر فى صورة الامر التأكيد والمبالغة فى بيان تساوى الامرين وعدم تفاوت الحال على كلا التقديرين ونحوه قول كثير عزة لعشيقته

أسيئى بنا أو أحسنى لاملامة ✲ لدينا ولا مقلية ان تقلت

فانه فى صورة الامر تأكيدا لعدم تفاوت الحال كأنه يأمرها بذلك ليتحقق ثباته على العهد ويتبين غاية اليقين وقوله ان يقلب المتاوب اى ان يخفض كأنه يقول لها امتحنى قوة محبتى لك وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة كنت او محسنة والاخبار المجرد لايفيد هذه المبالغة وكذا فى الآية لو اكتفى بان يقال لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها لخلا الكلام عن الدلالة على المبالغة الحاصلة بايراد الكلام فى صورة الاخبار فانه فى قوة ان يقال انفقوا على اى حال اردتم ثم انظروا هل يتقبل منكم **قوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم** الظاهر ان قبول مفعول ثان لمنع عدى اليه الفعل بنفسه او باسقاط حرف الجر اى مامنعهم من قبولها لان منع قد يتعدى الى مفعول ثان بنفسه فيقال منعت الشئ ومنعت فلانا حقه وقد يتعدى اليه بحرف الجر فيقال منعته من حقه ويحتمل ان يكون بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى منعهم وفى فاعل منع وجهان اظهرهما انه قوله الا انهم كفروا اى مامنعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم والثانى انه ضمير الله تعالى اى وما منعهم الله ويكون الا انهم منصوبا على اسقاط حرف الجر اى الا لانهم كفروا **قوله تعالى ولا يأتون الصلاة ولا ينفقون** معطوفان على قوله كفروا اى مامنعهم قبولها الا كفرهم وكسلهم فى اتيان الصلاة وكونهم كارهين للانفاق فان قلت كيف علل عدم قبول نفقاتهم بكراهتهم الانفاق مع ان المنافق لكونه فاقد الايمان الذى يبعث على النشاط فى اداء العبادات يكون كسلان فى اتيان الصلاة ويكون كارها للانفاق * قلت انما علل عدم قبول نفقاتهم ههنا بالكفر وحده كما اشار اليه المصنف بقوله وما بعده بيان وتقرير له لان المذكور بعده مجموع الامور الثلاثة * فان قيل ظاهر الآية يدل على ان عدم القبول معلل بمجموع الامور الثلاثة وهو الكفر بالله ورسوله وعدم الاتيان بالصلاة الا على وجه الكسل وعدم الانفاق الا على سبيل الكراهة والحال ان الكفر سبب مستقل للمنع من القبول وعند حصول السبب المستقل لايبقى لغيره اثر فكيف يمكن اسناد الحكم الى الفسق بالمعنى الاعم او الى الاسباب الباقية * اجاب الامام عنه بقوله هذا الاشكال انما يتوجه على قول المعتزلة القائلين بان الكفر لكونه كفرا يؤثر فى هذا الحكم ولا يتوجه على اهل السنة لان هذه الاسباب عندهم عرضيات غير موجبة للثواب ولا للعقاب واجتماع العرضيات الكثيرة على الشئ الواحد جائز عندهم **قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الآية** لما قطع الله تعالى فى هذه الآية الاولى رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين هنا ان الاشياء التى يظنونها من منافع الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم فى الدنيا والاعجاب هو السرور بالشئ مع نوع من الافتخار به ومع اعتقاد انه ليس لغيره مايساويه ثم شاع استعماله فى السرور بما يتعجب منه مطلقا يقول لايعجبك ما انعمنا عليهم من الاولاد والاموال فان العبد اذا كان مستدرجا كثر ماله وولده **قوله حصنا يلجأون اليه** يعنى ان ملجأ مفعل

من لجأ اليه اى لاذبه والملجأ يصلح للمصدر والزمان والمكان والظاهر انه محمول هنا على المكان والمغارات جمع مغارة وهى مفعلة وهى الموضع الذى يغور الانسان فيه اى يستتر وكل شئ سرت فيه وغبت فهو مغارة لك والمدخل مفتعل من الدخول وهو بناء مبالغة فى هذا المعنى والاصل مدتخل فادغمت الدال فى تاء الافتعال كما فى ادّان من الدين والمتدخل اسم مفعول من تدخل وبناء التفعل يجيئ متعديا اذا كان للاتخاذ نحو توسده اى اتخذه وسادة واما قرآءة مندخلا بالنون بعد الميم على انه اسم مفعول من اندخل ففيها اشكال لان باب الانفعال لازم لايتعدى فكيف بنى منه اسم المفعول الا ان يجعل اسم مكان وترتيب هذه المعطوفات ترتيب بديع لانه ذكر اوّلا الامر الاعم وهو الملجأ من اى نوع كان ثم ذكر المغارات التى يختفى فيها فى اعلى الاماكن وهى الجبال ثم الاماكن التى يختفى فيها فى الاماكن السافلة من السروب التى عبرعنها بالمدّخل والجموح النفور باسراع ومنه فرس جموح اذا لم يردّه لجام اى رجعوا واقبلوا اليه يسرعون اسراعا لايردّ وجوههم شئ مثل ما يجمح الفرس والجمز من السير اشدّ من العنق يقال جمز البعير يجمز بالكسر والجماز البعير الذى يحمله راكبه على السير فوق العنق والعنق ضرب من سير الابل تهز اعناقها عنده وتنشط والمعنى انهم وان كانوا يحلفون لكم انهم منكم الا انهم كاذبون فى ذلك وانما يحلفون خوفا من القتل لتعذر خروجهم من بلادهم ولو استطاعوا ترك دورهم واموالهم والالتجاء الى بعض الحصون والغيران والسروب التى تحت الارض لفعلوه تبرّا عنكم واستكراها لرؤيتكم ولقائكم ثم انه تعالى بين نوعا آخر من قبائح افعالهم وهو طعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الصدقات وقسمتها بأن يقولوا انه لايراعى العدل فيها ويؤثر بها من يشاء من اقاربه واهل بيته قرأ العامة بكسر الميم من لمزه يلمزه اى عابه واصله الاشارة بالعين ونحوها روى عن الزجاج انه قال يقال لمزت الرجل وهمزته اذا عبته والهمزة اللمزة هو الذى يغتاب الانسان ويعيبه فلم يفرق بين الهمز واللمز وفرق ابوبكر الاصم بينهما فقال اللمز أن يشير الى صاحبه بعيب صاحبه والهمز ان يكسر عينه على صاحبه وقال الليث اللمز هو العيب فى الوجه يقال رجل لمزة اى يعيبك فى وجهك ورجل همزة اى يعيبك بالغيب وفى التيسير قال الحسن يلمزك اى يعيبك وقيل اللمز العيب مسارّة والهمز العيب مجاهرة قال فى الصحاح يقال رجل لماز ولمزة اى عياب ويقال ايضا لمزه يلمزه اذا ضربه ودفعه والهمز مثل اللمز والهماز العياب والهامز والهمزة مثله **قوله** واذا المفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية — قدتقرّر فى النحو أن حرف الشرط اذا لم يؤثر فى الجزاء معنى لم يدل على كونه مرتبطا بالشرط فلابدّ من رابط بينهما واولى الاشياء به الفاء لمناسبتها الجزآء معنى لان معناها التعقيب بلا فصل والجزآء متعقب كالفاء فان مضمون الجملة الشرطية كون وجود الشرط متأخرا عنه وجود الجزآء وكل واحد من معنى الفاء واذا المفاجأة مناسب له وشرط قيامها مقام الفاء كون الجزآء جملة اسمية لان اذا التى للمفاجأة لاتدخل على غير الجملة الاسمية الانادرا **قوله** والجواب محذوف — وذلك الجواب مرتب على اربعة امور الاوّل الرضى بما اعطاهم الرسول بناء على اعتقاد انه صلى الله عليه وسلم انما فعله بأمر الله تعالى الذى لااعتراض عليه وان جميع ما امر به حق وصواب موافق للحكمة والمصلحة والثانى ان يظهر اثر ذلك على لسانهم بأن يقولوا حسبنا الله اى كفانا الرضى بقضاء الله وحكمه ولا نؤثر عليه ما اصاب غيرنا من المال والثالث الاعتماد على فضل الله وما فى خزآئن قدرته من منافع الدنيا وثواب الآخرة والرابع ان يقولوا انا الى الله راغبون اى نحن لانطلب من الايمان والطاعة اخذ المال والفوز بمناصب الدنيا ومنافعها وانما نطلب اكتساب سعادة الآخرة بل الاستغراق فى العبودية كما دل عليه لفظ الآية وهو قوله انا الى الله راغبون حيث لم يقل انا الى ثواب الله راغبون نقل ان عيسى صلى الله عليه وسلم مرّ بقوم يذكرون الله فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله تعالى فقال اصبتم ومرّ على قوم مشتغلين بالذكر فسألهم عن سببه فقالوا لانذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذل العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالالفاظ الدالة على صفات قدسه فقال انتم المحقون المحققون **قوله** تصويبا وتحقيقا لما فعله — فانهم لما لمزوه صلى الله عليه وسلم فى حق الصدقات بين ان ما فعله لايتطرّق اليه اللمز والطعن بوجه ما لانه اخذ القليل من مال الغنى ليصرفه الى مصارفه دفعا لحاجتهم وكلمة انما تفيد الحصر فدل الكلام على انه لاحق فى جنس الصدقات لاحد الا لهذه الاصناف فقط وقال الامام الشافعى رضى الله عنه لابدّ من صرفها الى الاصناف الثمانية وان يعطى من كل صنف ثلاثة نفر لان اقل الجمع ثلاثة فان دفع

(او مغارات) غيرانا (او مدّخلا) نفقا يتحصرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لولّوا اليه) لأقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لايردّهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم (فى الصدقات) فى قسمها (فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزآئية (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) فى ان يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال (انما الصدقات للفقرآء والمساكين) اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم

سهم الفقراء الى فقيرين ضمن نصيب الثالث وهو الثلث وانه لابد من التسوية فى انصباء هذه الاصناف الثمانية ولايجوز التفاضل ﴿ قوله والفقير من لامال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته ﴾ اى ليس له شئ يصرفه الى امر يحتاج اليه فالفقير اشد حاجة من المسكين وهو قول الامام الشافعى وقال ابو حنيفة واصحابه الفقير احسن حالا من المسكين والمسكين اشد حاجة وقال ابو يوسف ومحمد لافرق بين الفقراء والمساكين والله تعالى وصفهم بهذين الوصفين والمقصود شئ واحد وفائدة الخلاف تظهر فى هذه المسئلة وهو انه لو اوصى لفلان وللفقراء والمساكين فالذين قالوا الفقراء هم المساكين قالوا لفلان النصف والذين قالوا الفقراء غير المساكين قالوا لفلان الثلث واحتج الامام الشافعى رحمه الله تعالى بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين اثبت لهم ملكا مع انه سماهم مساكين وبقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وبقوله كاد الفقر يكون كفرا وكان يتعوذ منه فكيف يصح ان يتعوذ من الفقر ويسأل ماهو دونه وهل هذا الا تناقض واحتج ابو حنيفة بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة فانه تعالى وصف المسكين بكونه ذا متربة وذلك يدل على نهاية الضر والشدة كأنه يلصق بالتراب من غاية ضره وفاقته ﴿ قوله قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه ﴾ اى فى الاسلام ويعطيهم ليتألفوا على الاسلام ويستقروا عليه ﴿ قوله او اشراف ﴾ وهم ايضا من المسلمين قد اسلموا ونيتهم قوية فى الاسلام الا انهم اشراف قومهم فيعطيهم تألفا قومهم وترغيبا لامثالهم فى الاسلام ﴿ قوله وقيل اشراف ﴾ اى قيل المؤلفة قوم من اشراف الكفرة يرجى اسلامهم فيعطون ترغيبا لهم فى الاسلام فقد كان صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما رأى من ميله الى الاسلام وقد عد من المؤلفة المسلمون الذين سكنوا بازاء قوم كفار او قوم مانعى الزكاة فى موضع بعيد لايبلغهم جيش المسلمين الا بمؤونة كثيرة فهم لايجاهدون الكفار ولايقاتلون مانعى الزكاة لضعف حالهم فيجوز ان يعطيهم من سهم الغزاة ومن مال الصدقة ليجاهدوا الكفار او يقاتلوا مانعى الزكاة حتى يأخذوا منهم الزكاة ويحملوها الى الامام ﴿ قوله على اداء النجوم ﴾ سمى بدل الكتابة نجوما لكونه او لانه مفرقا على النجوم بمعنى الاوقات المضروبة لادائه فان النجم فى الاصل اسم للكوكب ثم اطلق على الوقت المضروب لكون نعينه متعلقا بحركة النجوم ثم اطلق على مايؤدى فى ذلك الوقت بطريق اطلاق اسم المحل على ماحل فيه ذهب اكثر الفقهاء الى ان المراد بالرقاب المكاتبون يعطون شيأ من الصدقة ليؤدوا به بدل الكتابة فينالوا العتق وقيل المراد يصرف سهم من الصدقة فى فك الرقاب ان يشترى بسهم الرقاب عبيد يعتقون ﴿ قوله للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب ﴾ ولولم يؤت بكلمة فى وكان الرقاب مجرورا بالعطف على ماهو مجرور بلام التمليك لكان المعنى ان سهم الرقاب يدفع اليهم كما يدفع سهم الاصناف الاربعة المتقدمة اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا فالعدول فى الرقاب عن اللام الى كلمة فى دل الكلام على ان نصيبهم لايدفع اليهم ولايكونون من التصرف فى ذلك النصيب كما شاؤا بل يصرف نصيبهم الى جهة صاحبهم المعتبرة فى الصفة التى لاجلها استحقوا سهما من الزكاة فيوضع نصيبهم فى تخليص رقبتهم من الرق وكذا القول فى الغارمين وفيما بعدهم فيصرف سهم الغارمين الى قضاء ديونهم وسهم الغزاة وابناء السبيل فى دفع حاجتهم والحاصل انه تعالى اثبت سهما من الزكاة للاصناف الاربعة التى تقدم ذكرهم بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين ولما ذكر الرقاب ابدل حرف اللام بكلمة فى فقال وفى الرقاب فلابد لهذا الفرق من فائدة وفائدته ماذكره المصنف من الدلالة على ان استحقاق الاصناف المتقدمة لذواتهم الموصوفة بما اعتراهم من الصفات وان استحقاق الاصناف المذكورة بعدهم انما يثبت لجهة حاجتهم التى بنى عليها العنوان الذى عبر به عنهم فلاتدفع سهامهم الى انفسهم ليتصرفوا فيها تصرف الملاك فى املاكها بل تدفع الى جهة حاجتهم ولذلك قال اصحاب الامام الشافعى الاحتياط فى سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب عونا باسقاط بعض بدل الكتابة عن ذمته وقال صاحب الكشاف عدل فى الاربعة الاخيرة عن اللام الى فى للايذان بانهم فى استحقاق التصدق به عليهم احق ممن سبق ذكره لان فى للوعاء فنبه على انهم احقاء ان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا ظرفا لها ومصبا وذلك لما فى فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفى فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغارم الفقير او المنقطع فى الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين انتهى كلامه ﴿ قوله المديونين ﴾ الغارم والغريم وان كان قد يطلق كل واحد منهما على من له الدين الا ان المراد بالغارم

والفقير من لامال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لايكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة ﴿ والعاملين عليها ﴾ الساعين فى تحصيلها وجمعها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه كان عليه الصلاة والسلام يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر اهله سقط ﴿ وفى الرقاب ﴾ وللصرف فى فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بأن يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها ﴿ والغارمين ﴾ المديونين لانفسهم فى غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء او لحمالة لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لاتحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها

فى الآية الذى عليه الدين واصل الغرم فى اللغة لزوم ما يشق والغرام العذاب اللازم ويسمى الدين غراما لكونه شاقا على الانسان ولازما له وفى الصحاح الغرامة ما يلزم اداؤه وكذلك المغرم والغرم وقد غرم الرجل الدية والمديون الذى لزمه الدين بسبب معصية لا يدخل فى الآية لان المقصود من صرف المال الاعانة والمعصية لا تستوجب الاعانة والدين الذى حصل بسبب غير معصية قسمان دين حصل بسبب نفقات ضرورية او فى مصلحة ودين حصل بسبب حمالات واصلاح ذات بين والكل داخل فى الآية والحمالة بالفتح ما يتحمله الانسان عن غيره من دية او غرامة مثل ان تقع حرب بين فريقين يسفك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتل عنهم على نفسه لاصلاح ذات البين

﴿قوله وقيل وفى بناء القناطر والمصانع﴾ جمع مصنعة وهى شئ كالحوض يجمع فيه ماء المطر وتطلق المصانع على الحصون ايضا يعنى ان المفسرين قالوا المراد بسبيل الله الغزاة ويجوز لهم ان يأخذوا من الزكاة وان كانوا اغنياء وقال ابو حنيفة وصاحباه لا يعطى الغازى الا مع الحاجة ونقل القفال فى تفسيره عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان قوله تعالى فى سبيل الله عام فى الكل وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع بان بعدت داره او ماتت راحلته ﴿قوله مصدر لما دل عليه الآية﴾ لان قوله تعالى انما الصدقات للفقراء فى قوة فرض الله تعالى اياها لهم وقيل انها منصوبة بفعلها المقدر اى فرض الله تعالى ذلك فريضة ﴿قوله او حال من الضمير المستكن فى للفقراء﴾ لوقوعه خبرا اى انما الصدقات كائنة لهم حالة كونها فريضة اى مفروضة وفائدة التقييد الاشارة الى ان صدقة التطوع يجوز دفعها الى هؤلاء والى غيرهم من بنى هاشم ومواليهم والى بناء المساجد والرباطات وتكفين الموتى ونحوها ﴿قوله ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم﴾ قال الامام العامل والمؤلفة مفقودان فى هذا الزمان فبقيت الاصناف الستة والاولى ان تصرف الزكاة اليهم جميعا كما هو قول الامام الشافعى رضى الله عنه لانه الغاية فى الاحتياط • واعلم ان الاوصاف التى عبر بها عن الاصناف المذكورة وان كانت تعم المسلم والكافر الا ان الاخبار دلت على انه لا يجوز صرف الزكاة الى الفقراء او غيرهم الا اذا كانوا مسلمين

﴿قوله يسمع كل ما يقال له ويصدقه﴾ يعنى ان الاذن فى الاصل اسم لآلة السماع واطلق على من يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد على طريق التشبيه البليغ من حيث انه لفرط سماعه وقبول جميع ما يسمعه صار بجملته كأنه آلة السماع كما ان لفظ العين فى الاصل اسم لآلة البصر ثم اطلق على الجاسوس بذلك الطريق ﴿قوله او اشتق له فعل﴾ عطف على قوله سمى بالجارحة ويحتمل ان يكون اطلاق الاذن على من يسمع كل ما يقال له ويصدقه مبنيا على تولد لفظ من لفظ آخر واطلاق المولد على ما يلائم معنى اللفظ المولد منه بأن اشتق من الاذن بمعنى الاستماع لفظ اذن بضمتين ثم اطلق على الرجل الذى يصدق كل ما يسمعه كما اشتق لفظ انف بضمتين من الانف بمعنى جارحة الشم فاطلق على ما فيه معنى التقدم والسبق يقال روضة انف بالضم اى لم يرعها احد وانفت الابل اذا وطئت كلأ أنفا وهو الذى لم يرع بعد وكأس انف اذا لم يشرب بها قبل ذلك وكما اشتق لفظ شلل بضمتين من الشل بمعنى الطارد يقال شللت الابل اشلها شلا اذا طردتها فانشلت والاسم الشلل نزلت الآية فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرونه بما لا ينبغى من القول واتفق ان بعضا منهم ذكره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال بعض آخر منهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما نقول فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد بل نقول ما شئنا ثم نذهب اليه فنحلف انا ما قلنا فيقبل قولنا وانما محمد اذن يريد انه ليس له ذكر ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع فيقبل كل عذر صدقا كان او كذبا وكان عليه الصلاة والسلام كذلك لكرمه وحسن خلقه فظن اولئك انه صلى الله عليه وسلم انما يقبل ويعاملهم به لسلامة قلبه وقلة رأيه وقصور عقله ﴿قوله تصديق لهم بانه اذن﴾ يعنى ان الاضافة فيه للتخصيص والتقييد والمعنى هب انه اذن يسمع ما يقال له ويقبله لكن مستمع خير وصلاح دون مستمع شر وفساد فيكون الخير مسموعا لا صفة للاذن لانه يستلزم كون الرحمة ايضا صفة له ولا يوصف الاذن بالرحمة وذكر جار الله وجها آخر وقدمه على هذا الوجه وهو ان تكون الاضافة فى اذن خير من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة فى الاتصاف كما فى قولهم رجل صدق وشاهد عدل كأنه قيل نعم هو اذن لكن نعم الاذن فاذن من يسمع العذر ويقبله خير من لا يقبله اذا كان ناشئا من الكرم وحسن الخلق وعلى الوجهين قوله تعالى اذن خير خبر لمبتدأ محذوف اى قل هو اذن خير لكم ﴿قوله ثم فسر ذلك﴾ اى بين كونه اذن خير بانه

﴿وفى سبيل الله﴾ وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع عن ماله ﴿فريضة من الله﴾ مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ﴿والله عليم حكيم﴾ يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد واختاره بعض اصحابنا وبه قال الائمة الثلاثة وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن﴾ يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن أذنا اذا استمع كأنف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول ﴿قل اذن خير لكم﴾ تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله

تعالى سلم فى حقه صلى الله عليه وسلم انه اذن الا انه فسر ذلك القول بما هو مدح له صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة ثم فسر كونه اذن خير بأن وصفه بثلاثة اوصاف الاول انه يؤمن بالله فيسمع جميع ما جاء منه ويقبله والثانى انه يؤمن للمؤمنين اى يقبل قولهم ويصدقهم فيما اخبروا به عنده ولا يصدق المنافقين ولا شك ان ما اخبر به المؤمنون المخلص فهو خير وصدق فمن استمعه وقبله يكون اذن خير والثالث كونه رحمة لمن اظهر الايمان منهم من حيث انه يجرى امرهم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنهم ولا يسعى فى هتك استارهم فمن آمن بالله وصدق المؤمنين المخلص وكان رحمة لمن اظهر الايمان يكون اذن خير لهم ﴿قوله واللام مزيدة للتفرقة﴾ جواب عما يقال لم عدى فعل الايمان الى الله بالباء والى المؤمنين باللام * وتقريره ان الايمان بمعنى الامان من الخلد فى النيران وهو الايمان المقابل للكفر حقه ان يعدى بالباء واما الايمان بمعنى التصديق والتسليم فانه يعدى باللام للتفرقة بينهما وان كان حقه ان يعدى بنفسه كالتصديق حيث يقال صدقتك ولا يقال صدقت لك كما فى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا وما آمن لموسى الا ذرية من قومه وقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون وقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم ﴿قوله وقرئ اذن خير﴾ والجمهور على جر خير بالاضافة وقرأ ابو بكر عن عاصم اذن بالتنوين وخير بالرفع والتنوين اما على انه صفة لاذن او خبر ثان للمبتدأ المحذوف ﴿قوله لهم عذاب اليم بايذآئه﴾ قد بين انه صلى الله عليه وسلم خير ورحمة لهم مع كونهم فى غاية الخبث والضلال فابدلوه مقابلة لاحسانه بالاساءة فيكونون مستوجبين لعذاب الشديد لاسيما ان ايذآءه ايذآء الله تعالى وقوله على معاذيرهم فيما قالوا قد تقدم ان منهم الذين يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ويسيئون القول فيه فبلغه ما قال بعضهم من المقالة الحق فدعا صلى الله عليه وسلم ذلك البعض وسألهم عنه فانكروا وحلفوا انهم ما قالوا ذلك فنزل قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى وقوله يحلفون بالله ليرضوكم اى ليزيلوا سخطكم وقيل نزل قوله تعالى يحلفون بالله لكم فى رهط وكان من الواجب ان يرضوا الله باخلاص الايمان والتوبة عن الكفر والنفاق باظهار خلاف ما يكتمونه فى صدورهم ﴿قوله وتوحيد الضمير﴾ جواب عما يقال كيف قيل احق ان يرضوه بافراد الضمير مع انه ضمير الله ورسوله فالواجب تثنية الضمير * اجاب عنه اولا بان الارضاءين متلازمان فاكتفى بذكر احدهما لكون ذكره وحده فى حكم ذكرهما معا كما يقال احسان زيد واجماله نعشنى وجبرنى اى رفعنى وقوانى ولم يقل نعشانى وجبرانى وثانيا بانه اكتفى بذكر ارضاء الرسول كما فى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم للتنبيه على ان حكمه حكم الله تعالى وثالثا بأن قوله تعالى والله مبتدأ واحق ان يرضوه خبره والرسول مبتدأ ثان وخبره محذوف لدلالة خبر الاول عليه وقال سيبويه خبر الاول محذوف كما فى قول الشاعر

* نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف *

ورجح قوله لان فيه اعتبار الاقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدأ والخبر بخلاف ما اختاره المصنف وان رجح ايضا من حيث ان فيه وضع الارضاء فيمن استحقه لذاته فانه تعالى هو المقصود بجميع الطاعات فهو احق بالارضاء ﴿قوله وقرئ بالتاء﴾ اى قرأ الجمهور يعلموا بياء الغيبة ردا على المنافقين وقرئ تعلموا بتاء الخطاب اما على الالتفات من الغيبة الى الخطاب للمنافقين فيكون الاستفهام للتقريع والتوبيخ على عدم علمهم بذلك مع طول مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وتحذيره اياهم عن معصية الله وترغيبه فى طاعته واما خطاب للمؤمنين على طريق الاستفهام التقريرى ﴿قوله مفاعلة من الحد﴾ الذى هو الجهة والجانب فان كل واحد من المخالفين والمعاندين فى غير حد صاحبه كما يقال شاقه ان كان فى شق غير شق صاحبه وعاداه ان كان فى عدوة غير عدوة صاحبه والعلم ههنا يحتمل ان يكون على بابه فتسد أن مسد مفعوليه وان يكون بمعنى العرفان فتسد مسد مفعوله ومن شرطية وقوله فان له نار جهنم جوابها والجملة الشرطية فى محل الرفع على انه خبر أن الاولى وهذا تخريج واضح غاية ما فى الباب ان ان المفتوحة لكونها تغير معنى الجملة وتجعلها فى حكم المفرد كانت مع ما فى حيزها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فجزآؤه انه له او فحق ان له نحو عندى انك قائم وان جعل ان الثانية تكريرا للاولى للتأكيد وكان التقدير من يحادد الله فله نار جهنم كانت الجملة الشرطية ايضا خبر ان ولا يحتاج الى ارتكاب الحذف الا ان حملها على التكرير خلاف الظاهر لانها لتحقيق مضمون الجزآء كما ان الاولى لتحقيق مضمون الجملة الكبرى مع ان جعلها تأكيدا للاولى يستلزم الفصل بين المؤكد والمؤكد بجملة الشرط وايقاع اجنبى بين فا

(يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) اى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) بايذآئه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا او يحلفون (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الارضاءين او لان الكلام فى ايذآء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (ألم يعلموا انه) اى الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق مفاعلة من الحد (فأن له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك

الجزآء وما في حيزه وان جعل فأن له معطوفا على أنه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم تلزم المخالفة لما صرح به النحاة من انه اذا حذف جواب الشرط لزم ان يكون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مقرونا بلم وعلى ما ذكر من الاحتمال يكون الجواب محذوفا وفعل الشرط مضارع غير مقترن بلم ﴿قوله وقرئ فان له بالكسر﴾ قال ابن الحاجب في الكافية فان جاز التقديران جاز الامران اى ان وقعت المفتوحة في موضع جاز فيه تقدير المفرد والجملة جاز فيه فتح ان وكسرها وذلك في مواضع احدها ان تقع بعد فاء الجزآء نحو من يكرمني فأني اكرمه جاز فيه الكسر بتأويل فانا اكرمه والفتح على ان يجعل ما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر اى فاكرامي له ثابت ولا يخفى ان كل واحد من التقديرين جائز في الآية فيجاز فيها الفتح والكسر ﴿قوله وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم﴾ جواب عما يقال كيف يحذر المنافق نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كافر بنبوته * وتقريره ان النفاق لا يستلزم كون المنافق قاطعا بعدم نبوته صلى الله عليه وسلم لجواز كونه شاكا في صحة نبوته والشاك خائف فلهذا السبب خافوا ان ينزل عليه في حقهم ما يفضحهم فان حذرهم منه يدل على انهم مترددون في كفرهم كتردد المؤمنين وقيل في جوابه ان قوله تعالى يحذر خبر في معنى الامر لان المراد منه الامر بالحذر اى ليحذر المنافقون * واجيب عنه ايضا بان هذا حذر اظهره المنافقون على وجه الاستهزآء حين رأوا انه صلى الله عليه وسلم يذكر كل شئ ويدعى انه عن الوحي وكان المنافقون يكذبون بذلك فيما بينهم فأخبر الله تعالى رسوله بذلك وامره ان يعلمهم انه مظهر سرهم الذي حذروا ظهوره ويؤيد هذا الجواب قوله تعالى قل استهزؤا * واعلم انهم كانوا يسمون سورة برآءة سورة الحافرة من حيث انها حفرت عما في قلوب المنافقين ويسمونها الفاضحة والمبعثرة والمثيرة لاثارتها ذمهم ومثالبهم قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الاسماء رحمة على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين وقيل اجتمع اثنا عشر رجلا من المنافقين على امر من النفاق فأخبر جبريل الرسول عليهما الصلاة والسلام باسمائهم فقال صلى الله عليه وسلم * ان ناسا اجتمعوا على كيت وكيت فليقوموا وليعترفوا وليستغفروا ربهم حتى اشفع لهم * فلم يقوموا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ذلك * قم يا فلان ويا فلان * حتى اتى عليهم جميعا ثم قالوا نعترف ونستغفر فقال * لا كنت في اول الامر اطيب الشفاعة والله كان اسرع في الاجابة اخرجوا عنى اخرجوا عنى * حتى خرج الكل وقال الاصم ان عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلا ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام وكانوا متلثمين في ظلمة وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم فامر حذيفة بذلك فضربها حتى نحاهم عنه ثم قال من عرفت من القوم فقال لم اعرف منهم احدا فذكر النبي صلى الله عليه وسلم اسماءهم وعددهم له وقال * ان جبريل اخبرني بذلك * فقال حذيفة ألا تبعث اليهم ليقتلوا فقال * اكره ان تقول العرب قاتل بأصحابه حتى اذا ظفر بهم صار يقتلهم بل يكفينا الله ذلك ﴿قوله تعالى ولئن سألتهم﴾ اى عما كانوا فيه من الاستهزآء ليقولن انما كنا نخوض واصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث واذى والمعنى انما كنا نخوض في الباطل من الكلام كما يخوض الركب لقطع الطريق فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله * أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن * بأن امره الله تعالى بذلك كانه قال له صلى الله عليه وسلم لا تعبأ باعتذارهم الكاذب بقولهم انما كنا نخوض ونلعب وقل لهم انكم تقدمون على الاستهزآء الا انه كيف اقدمتم على الاستهزآء بمن لا يصح الاستهزآء به فانه فرق بين ان يقال أتستهزئ بالله وبين ان يقال أبالله تستهزئ فان الاول يقتضى الانكار على ملابسة الاستهزآء والثاني يقتضى الانكار على ايقاع الاستهزآء بالله وفي لفظ الاعتذار قولان عند اهل اللغة الاول انه عبارة عن محو أثر الذنب من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست ويقال مررت بمنزل معتذر اى مندرس فالاعتذار هو الدروس ومنه اخذ الاعتذار لان المعتذر يحاول ازالة اثر ذنبه والقول الثاني ان الاعتذار هو القطع ومنه يقال للقلفة عذرة لانها تعذر اى تقطع ويقال للبكارة عذرة لانها تقطع بالافتراع ويقال اعتذرت المياه اذا انقطعت فالعذر لما كان سببا لقطع اللوم سمى عذرا قال الواحدي والقولان متقاربان لان محو أثر الذنب وقطع اللوم متقاربان ﴿قوله قد اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان﴾ اعتبر الاظهار فيهما لان المنافق لم يؤمن قط فضلا عن ان يكون بعد الايمان وفي الآية دليل على ان الجد واللعب في اظهار كلمة الكفر سوآء فان الهزل بالكفر كفر بلا خلاف بين الائمة وكذا

وقرئ فان له بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الهلاك الدائم (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما في قلوبهم) وتهتك عليهم أستارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزآء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرز أو مظهر (ما تحذرون) اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) توبيخا على استهزآئهم بمن لا يصح الاستهزآء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب (قد كفرتم) قد اظهرتم الكفر بايذآء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان

﴿ أن يعف عن طائفة منكم ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم أو تجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿ تعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وأن تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال إن ترحم طائفة ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد وقيل إنه تكذيبهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ﴿ يأمرون بالمنكر ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح ﴿ نسوا الله ﴾ أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿ فنسيهم ﴾ فتركهم من فضله ولطفه ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ مقدرين الخلود ﴿ هي حسبهم ﴾ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ﴿ ولعنهم الله ﴾ أبعدهم من رحمته وأهانهم ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق ﴿ كالذين من قبلكم ﴾ أي أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم ﴿ كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا ﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿ فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فإنه ما قدر لصاحبه ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴾ ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم

لا فرق بين الجد والهزل في النكاح والطلاق والرجعة لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة * قال الترمذي في حق هذا الحديث إنه حديث حسن والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ونقل القرطبي عن سعيد بن المسيب قال * ثلاث ليس فيهن لعب النكاح والطلاق والعتق ﴿ قوله وقرأ عاصم بالنون فيهما ﴾ فإنه قرأ إن نعف بفتح نون العظمة ورفع الفاء ونعذب بضم نون العظمة وكسر الذال وطائفة بالنصب وقرأ الباقون إن يعف عن طائفة بضم ياء الغيبة وفتح الفاء تعذب طائفة بضم تاء التأنيث والبناء للمفعول ورفع طائفة لقيامها مقام الفاعل والقائم مقام فاعل الفعل الأول الجار والمجرور وقرئ تعف بالتاء والبناء للمفعول والقياس تذكير الفعل لأنه يقال سير بالدابة ولا يقال سيرت بالدابة ولكنه أنث الفعل على المعنى فإن قوله أن تعف عن طائفة معناه أن ترحم طائفة فأنث الفعل لذلك وهو غريب ﴿ قوله أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان ﴾ لما شرح الله تعالى قبائح أفعال المنافقين بين أن إناثهم كذكورهم في تلك الأفعال المنكرة والخصال القبيحة فكلمة من فيه اتصالية كما في قولك أنت مني وأنا منك أي أمرنا واحد لا مباينة بيننا فيه ومن الاتصالية ابتدائية لأن الابتداء فيها باعتبار الاتصال فقولك أنت مني جملة اسمية معناها أنت مني متصل في الشمائل والأفعال وإن ما فيك من الشمائل ناشئة ومستفادة مني لا تمايز بيننا من حيث الأفعال والخصال فكذا المعنى في قوله تعالى بعضهم من بعض فهذه الآية على ما ذكر من التوجيه لا تكون متصلة بخصوص قوله تعالى ويحلفون بالله إنهم لمنكم بل تكون متصلة بخصوص ما ذكر في شرح قبائح المنافقين ﴿ قوله وقيل إنه تكذيبهم ﴾ معطوف على ما ذكر مما فهم في تفسير الآية وعلى كلا التوجيهين يكون قوله يأمرون بالمنكر الخ كالدليل لما قبله وهو ما لا مدخل لكسب العبد واختياره فيه كالنسيان فإنه ليس في اختيار البشر ولا مدخل لاختياره فيه فتمتنع المؤاخذة على النسيان فلذلك فسر قوله نسوا الله بقوله أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ولما كان النسيان محالا في حقه تعالى فسر قوله تعالى فنسيهم بقوله فتركهم من لطفه وفضله فالنسيان مجاز عن ترك الذكر لأن من نسي شيأ لم يذكره فأطلق اسم الملزوم وأريد لازمه فلما تركوا ذكر الله تعالى بالعبادة والثناء عليه ترك الله ذكرهم بالرحمة والإحسان وجازاهم بالتفضيح والخذلان ﴿ قوله الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير ﴾ الكمال مستفاد من تعريف الجنس في الفاسقين الدال على أنهم هم الجنس كله ولو لم يحمل عليه لما صح الحصر المستفاد من ضمير الفصل وتعريف الخبر لأنه كم من فاسق سواهم وفسر الفسق بالتمرد لأن الكافر إذا وصف بالفسق دل على المبالغة في الخروج عن أمر الله وطاعته ولما وصفهم بكمال التمرد ذكر ما وعدلهم في الآخرة وجعل قوله خالدين فيها حالا مقدرة من المفعول الأول لوعد لكونها غير مقارنة له وقوله هي حسبهم جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب والمعنى أن تلك العقوبة كافية لهم ولا شيء أبلغ منها ولا يمكن الزيادة عليها ولا تنافيه عطف قوله ولعنهم لكونه بيانا لبعض ما تضمنه الخلود في عذاب النار المخلد مع كونها كافية في الإيلام بالغة أقصى درجات التعذيب تتضمن شدائد أخر من اللعن والذم والإهانة بالسلاسل والأغلال والعياذ بالله من غضبه وعقابه ﴿ قوله والمراد به ما وعدوه ﴾ من الخلود في نار جهنم وذكره بعده تأكيدا له ﴿ قوله أو ما يقاسونه من تعب النفاق ﴾ أي ويجوز أن يكون المراد بقوله ولهم عذاب مقيم العذاب العاجل الذي لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من الخوف من اطلاع الرسول على بواطنهم أو ما يجدونه دائما أبدا من أنواع الفضائح ﴿ قوله أي أنتم مثل الذين ﴾ أي يجوز أن تكون الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف لأن المقصود على الأول تشبيههم بمن قبلهم في العدول عن أمر الله والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الأيدي عن الخيرات ونحو ذلك مما خاضوا فيه من الأمور الباطلة رغبة في الاستمتاع بالحظوظ العاجلة المخدجة والالتذاذ بما رزقوا من الأموال والأولاد وعلى الثاني تشبيه الفعل بالفعل بتقدير المضاف ﴿ قوله بيان لتشبيههم بهم ﴾ حيث وصف كل واحد منهم وممن قبلهم بكثرة الأموال والأولاد ثم ذكر أنهم استمتعوا بنصيبهم وخاضوا كما استمتع من قبلهم وخاضوا وسمى النصيب خلاقا لكونه عبارة عما قدر للإنسان من خير وشر ﴿ قوله والتهائهم بها ﴾ أي تلهيهم وتعلقهم بتلك الشهوات يقال لهوت بالشيء ألهو لهوا وتلهيت به إذا التهيت به ﴿ قوله تمهيدا لذم المخاطبين ﴾ علة لقوله ذم الأولين والمقصود دفع ما يقال من أن ذكر استمتاع الأولين بخلاقهم وقع مكررا حيث ذكر أولا قوله فاستمتعوا بخلاقهم ثم قوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والثاني مغن عن الأول فما الفائدة في التكرير * ووجه الدفع أنه تعالى ذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم

اهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات
قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن
من الخير الى الشر (اتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) اى ليهلك من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلاجرم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (اولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده (حكيم) يضع الاشياء فى مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين قط ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكأنه وصفه اولا بانه من جنس ماهو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول مايقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى من شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لايعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله اكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد اعطيتنا مالم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واى شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم
ابدا (ذلك) اى الرضوان او جميع ماتقدم (هو الفوز العظيم) الذى تستحقر دونه الدنيا ومافيها (يا ايها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة
واقامة الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ماقالوا) روى انه عليه الصلاة والسلام اقام
فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله

من سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ العاجلة وجعل ذم الاولين تمهيدا لذم المخاطبين بان شبه حالهم بحال الاولين فى التكرير تأكيد ومبالغة فى ذم المخاطبين وتقبيح حالهم ولم يسلك هذه الطريقة فى التشبيه الثانى وهو قوله وخضتم كالذى خاضوا حيث لم يقل وخاضوا او خضتم كخوضهم اكتفاء بتقديم التمهيد المذكور فان التشبيه الثانى لما كان معطوفا على التشبيه الاول علم ان المقدمة المذكورة هناك مقصودة ههنا فاستغنى عن ذكرها فى التشبيه الثانى ﴿قوله كالذى خاضوا﴾ والتقدير وخضتم خوضا كخوض الذين خاضوا على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولما ورد ان يقال لم افرد الذى مع ان المراد به الجماعة بدلالة رجوع ضمير الجمع اليه فى قوله خاضوا والقياس ان يقال كالذين خاضوا لما تقرر فى النحو ان جمع الذى فى ذوى العلم الذين فى الاحوال الثلاث على الاشهر والذون فى حال الرفع على لغة هذيل ؛ اشار الى جوابه اولا بأن اصله الذين فحذف نونه تخفيفا وايضا حذف المصدر الموصوف مع المصدر الذى اضيف الى الموصول فبقى وخضتم كالذى خاضوا وثانيا بقوله اوكالفوج الذى خاضوا وثالثا بقوله اوكالخوض الذى خاضوه يعنى افرد الموصول لكونه صفة للمصدر المحذوف لالمن قبلهم من الاولين الذين رجع اليهم ضمير خاضوا وعائد المصدر محذوف ثم انه تعالى لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى الرغبة فى الدنيا وفى تكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمبالغة فى ايذائهم هددهم بان اشار الى ماجرى على المتقدمين من وجوه الهلاك ليعتبروا بحالهم ولينزجروا عماهم فيه من قبائح الافعال ﴿قوله نمرود﴾ اشارة الى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بقوم ابراهيم نمرود بن كنعان والمراد باصحاب مدين قوم شعيب ومدين اسم بلدهم والمؤتفكات جمع مؤتفكة وهى المنقلبة يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب وقرى قوم لوط انقلبت فصار اعلاها اسفلها ﴿قوله فان السين مؤكدة للوقوع﴾ يعنى ان السين فى الاثبات بمنزلة لن فى النفى ولهذا قد تمحض للتأكيد من غير قصد الى معنى الاستقبال ثم انه تعالى لما اكد وعده بالرحمة على الاجمال فصل الرحمة الموعودة بقوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى ؛ قال الامام والاقرب انه تعالى اراد بالجنات البساتين اى المناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة فى جنات عدن اى مناظرهم الجنات التى هى البساتين والمصنف فسر العدن بالاقامة والخلود اختيارا لقول من قال انه مصدر قولك عدن بالمكان يعدن عدنا وعدونا اذا اقام به ويقال تركت ابل بنى فلان عوادن بمكان كذا وهو ان تلزم الابل المكان وتألفه ومنه المعدن لمستقر الجوهر وعلى هذا القول الجنات كلها جنات عدن لايبغون عنها حولا وليس تكرارا لقوله خالدين فيها لان قوله تعالى جنات عدن اخبار بدوام مقامهم فيها اعدلهم من المساكن وقوله تعالى خالدين فيها اخبار بدوام النعيم لهم فى الجنات فهما معنيان مختلفان ﴿قوله وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التى لم ترها عين الخ﴾ اشارة الى ان فى العدن قولا آخر وهو اسم علم لموضع معين فى الجنة استدلالا بالاخبار الواردة فيه ﴿قوله ومرجع العطف فيها﴾ يعنى ان العطف يقتضى التغاير فعطف قوله تعالى ومساكن طيبة على قوله جنات تجرى يحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الذاتى بين المعطوف والمعطوف عليه بان يراد بالجنات البساتين وبالمساكن الطيبة القصور المبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر مثلا ويحتمل ان يكون مبنيا على التغاير الوصفى مع اتحاد الذات ﴿قوله والمنافقين بالزام الحجة﴾ ولايجوز المحاربة والمجاهدة بالسيف معهم لانهم يظهرون الاسلام وينكرون الكفر وحكم شريعتنا ان نحكم بالظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ؛ وقد امر الله تعالى بالجهاد معهم وهو عبارة عن بذل الجهد فى الصرف عن المنكر والارشاد الى الحق وليس فى لفظ جاهد مايدل على كون ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق آخر فنقول الآية تدل على وجوب الجهاد مع المنافقين واما كيفية تلك المجاهدة فلفظ الآية لايدل عليها وانما تعرف هى من دليل آخر فقد دلت الدلائل المنفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب ان تكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة تارة باليد وتارة باللسان فمن لم يستطع فبالقلب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بقوله واغلظ عليهم شدة الانتهار والنظر بالبغض والمقت وعن ابن مسعود ان يكفهر فى وجوههم روى انه صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان مايقول محمد لاخواننا الذين خلفناهم فى المدينة حقا فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال يارجل ان محمدا هو الصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس فقال الجلاس كذب يارسول الله على فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

بطعام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوّجوا عبد الله بن ابيّ وان لم يرض رسول الله (وما نقموا) وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم (الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين) نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطينّ كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) من طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم) اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة (بما اخلفوا الله ما وعدوه) بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد (ألم يعلموا) اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (ان الله يعلم سرّهم) ما اسرّوه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية (وان الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرّهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوّعين) المتطوعين (من المؤمنين في الصدقات) روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدّق عاصم بن عديّ بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بتّ ليلتي اجرّ بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء

ان علقنا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب عليّ عامر فحلف عامر بالله الذي لا اله الا هو لقد قال وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء فقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام عليه وسلم قبل ان يتفرقا بهذه الآية فان يتوبوا يك خيرا لهم فقال الجلاس يا رسول الله ان الله قد عرض عليّ التوبة صدق عامر بن قيس انا قلت وانا قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته ﴿قوله او اخراجه﴾ مجرور معطوف على قوله من قتل الرسول اي يحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وهمّوا بما لم ينالوا ما قصده الخمسة عشر من قتله صلى الله عليه وسلم بالليل اذا تسنم العقبة فانهم لما اجتمعوا لذلك الغرض كان الظاهر انهم قد طعنوا في نبوته صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكذب في دعوى الرسالة وذلك هو قولهم كلمة الكفر ويحتمل ان يكون المراد به الاخراج الذي همّ به عبد الله بن ابيّ حيث قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذل واراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وسمع زيد بن ارقم هذا وبلغه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهمّ بقتل عبد الله بن ابيّ فجاء عبد الله فحلف انه لم يقله فنزلت الآية ﴿قوله او بان يتوّجوا﴾ اي بان يلبسوه التاج وهو تفسير لقوله تعالى بما لم ينالوا او هو غير ما روى السدّي انه قال قوله تعالى بما لم ينالوا هو قولهم اذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن ابيّ تاجا فلم يصلوا اليه ﴿قوله اثروا﴾ اي استغنوا او كثرت اموالهم والثراء كثرة المال وما ابو واشبأنهم الا اغناء الله اياهم وهو من باب قولهم ما لك عندي ذنب الا اني احسنت اليك اي ان كان لي ذنب فهو هذا وقد تهكم بهم كقوله

ما نقموا من بني امية الا ۞ انهم يحلمون اذا غضبوا ۞

والتقدير على الثاني ما كرهوا الداعي وما دعوا اليه لشيء الا لاجل ان اغناهم الله ورسوله ﴿قوله تعالى لنصدّقنّ﴾ اصله لنتصدّقنّ ادغمت التاء في الصاد لقربها منها والمتصدق معطي الصدقة قال تعالى وتصدّق علينا ان الله يجزي المتصدقين ﴿قوله اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا﴾ يقال اعقبه الله خيرا اي صيّر عاقبة امره ذلك ويقال أكل فلان اكلة اعقبته سقما وفي الصحاح اعقبه بطاعته اي جازاه ﴿قوله ويجوز ان يكون الضمير للبخل﴾ لا يخفى انه تجويز امر بعيد لان اعقب لو كان مسندا الى ضمير البخل المدلول عليه بقوله بخلوا به لكان المعنى فجعلهم اعقبهم نفاقا متمكنا في قلوبهم بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ولا شك ان اسناد النفاق الى البخل بسبب الاخلاف وعد الله معنى بعيد والظاهر ان اعقب مسند الى ضمير الجلالة لان الضمير الواقع قبله وبعده وهو ضمير من فضله وضمير يلقونه كل واحد منهما راجع اليه تعالى والظاهر ان يكون ضمير اعقب ايضا عبارة عنه تعالى ﴿قوله او يلقون عمله﴾ اي عمل البخل وجزاءه وهذا على تقدير ان يكون ضمير اعقب البخل وفي التيسير قال الحسن قوله تعالى فأعقبهم نفاقا اي صار بخلهم سبب ذلك وقوله الى يوم يلقونه اي يرون بخلهم كما قال ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴿قوله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم﴾ يدل على ان عبد الرحمن رضي الله عنه كانت له امرأتان وان ثمن ماله كان اكثر من مائة وستين الف درهم ليصح ان يصالح احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وفي الكشاف حتى صولحت امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الف درهم وهو يدل على انه خلف اربع زوجات وان ثمن ماله كان اكثر من ثلاثمائة الف وعشرين الفا ليصح ان يصالح احدى الزوجات الاربع عن ربع الثمن على ثمانين والله اعلم والوسق بالفتح ستون صاعا وقيل هو حمل بعير ﴿قوله اجرّ بالجرير﴾ الجرير حبل يجرّ به البعير بمنزلة العذار للدابة والباء زائدة اي اجرّ الجرير والمعنى بتّ استقي الماء على اجرة صاعين ﴿قوله جازاهم على سخريتهم﴾ فيكون جزاء السخرية بالسخرية مبنيا على المشاكلة فانها تورث الكلام حسنا كما سمي جزاء الاستهزاء استهزاء وجزاء السيئة سيئة او على الاستعارة فان جزاء السخرية مماثل لها فاطلق احد المثلين على الآخر لمشابهته له فعلى هذا يكون سخر الله استعارة تبعية ﴿قوله يريد به التساوي بين الامرين﴾ يعني ان الكلام وان ورد على صورة الامر الا ان المراد الاخبار بتساوي الامرين كما في قوله تعالى انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وفائدة العدول الى صيغة الامر مع ان الخبر ايضا يدل على تساوي الامرين في عدم النفع مثل ان يقال استغفارك من حيث ترتب المغفرة عليه كعدمه لا فرق بينهما هي الدلالة على التأكيد والمبالغة في تساوي الامرين كأنه قيل ان شئت ان تعرف انه لا اغفر لهم على كل

(حال)

كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوّز ان يكون ذلك حدًّا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد بأسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لا يهدي القوم الفاسقين) المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال (وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لا تنفروا في الحر) اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم اشد حرًّا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المخلفون اثني عشر رجلا (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة اخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوًّا) اخبار في معنى النهي للمبالغة لا (٤٤) (انكم رضيتم بالقعود اول مرة) تعليل لهم وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على احد منهم مات ابدا) روى ان ابن ابيّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت

حال احتضى بان تستغفر لهم تارة وتترك تارة اخرى تجدني احترز على عدم مغفرتي لهم في الحالين ﴿ قوله فان مغفرة الكافر بالاقلاع ﴾ اي الامتناع عن الكفر وبالارشاد الى الحق بمعنى الدلالة الموصلة الى الحق وكل واحد من هذين السببين منتف في حق المتمردين في كفرهم ماداموا مختارين للكفر والطغيان متمردين فيهما فانتفى المسبب ايضا في حقهم وهو المغفرة فكان قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين كالدليل على عدم مغفرة الله تعالى لهم البتة * فان قيل كيف يغفر لهم وهم كفار متمردون والمتمرد في الكفر لا يهديه الله الى الحق ومن لا يهتدي الى الحق لا يغفر له فهو صلى الله عليه وسلم انما علم كونهم متمردين مطبوعين على الضلال بهذا الدليل فلذلك استغفر لهم قبل قيام الدليل ﴿ قوله بقعودهم عن الغزو خلفه ﴾ اشارة الى ان المقعد مصدر بمعنى القعود وان خلاف منصوب على الظرفية اي بعد ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال اقام زيد خلاف القوم اي تخلف بعد ذهابهم وروي عن الاخفش وغيره ان خلاف بمعنى خلف وبعد ويؤيده قراءة ابن عباس بفتح الخاء وسكون اللام ﴿ قوله فيكون انتصابه على العلة ﴾ اي فرحوا لاجل مخالفتهم فانهم احتالوا حتى تخلفوا عنه صلى الله عليه وسلم باحتيالهم الظاهر له صلى الله عليه وسلم او مخالفين له وسماهم الله بقوله المخلفون كما اشار صاحب الكشاف اليه بقوله هم الذين استأذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان ﴿ قوله ايثارا للدعة ﴾ وهي الراحة وقوله والخفض عطف تفسير لها يقال عيش خافض اي واسع وقوله على طاعة الله متعلق بقوله ايثارا وقوله وفيه تعريض اشارة الى فائدة قوله وكرهوا ان يجاهدوا الآية مع ان الفرح متعلق بالاقامة والتخلف عن الغزو يدل على كراهية الجهاد والمهج جمع مهجة وهي الروح وقيل الدم وقيل هي دم القلب خاصة والتثبيط عن الامر عبارة عن الصرف عنه يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اي شغله عنه ﴿ قوله اخبار عما يؤول اليه حالهم ﴾ والمعنى ستحصل لهم هذه الحالة لقوله تعالى بعده جزاء بما كانوا يكسبون ﴿ قوله اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ﴾ فان ظاهر الامر الايجاب ولا يحتمل من الصدق والكذب ما يحتمله الخبر وقوله تعالى قليلا وكثيرا وان جاز كونهما منصوبين على ظرفية الزمان اي زمانا قليلا وزمانا كثيرا الا ان الظاهر انهما منصوبان على المصدر ﴿ قوله فان كلهم لم يكونوا منافقين ﴾ علة لتخصيص المخلفين بالمنافقين منهم وهذا على تقدير ان يجعل ضمير منهم للمخلفين وان جعل للمنافقين وكان المراد بالطائفة من بقي من المنافقين فلا تخصيص ﴿ قوله وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم ﴾ لما فيه من اظهار نفاقهم وكون خروجهم للغزاة مؤديا الى انواع من المفاسد وذلك لان استصحاب المسلمين في الغزوات وترغيبهم في الجهاد امر معلوم بالضرورة فلما امتنع هؤلاء من الخروج الى الغزو بعد استئذانهم له كان ذلك تصريحا بكونهم خارجين عن زمرة من كلف بالجهاد وهذا تفضيح واهانة في حياتهم ثم انه كلف رسوله صلى الله عليه وسلم بان يفضحهم بعد الوفاة حيث قال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ابن ابيّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ثم انه ارسل الى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده وطلب منه القميص الذي يلي جلده ليكفن فيه فقال عمر أتعطي قميصك الرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم * ان قميصي لا يغني عنه من الله شيأ ولعل الله ان يدخل به الناس في الاسلام * وكان المنافقون عند عبد الله فلما رأوه يطلب القميص منه ويرجو ان ينفعه اسلم منهم الف فلما مات جاءه ابنه يعرفه صلى الله عليه وسلم بموته قبل دفنه فقال ان لم تصل عليه يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقام عليه الصلاة والسلام ليصلي فجاء عمر فقام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القبلة لئلا يصلي عليه فنزلت الآية واخذ جبريل صلى الله عليه وسلم بثوبه وقال لا تصل على احد منهم مات ابدا فاعرض من الصلاة عليه وهذا يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه فان الوحي كان ينزل على وفق قوله في آيات كثيرة منها هذه الآية وهو منصب عال ودرجة رفيعة في الدين فلهذا قال صلى الله عليه وسلم في حقه * لو لم ابعث لبعثت يا عمر نبيا * فان قيل كيف يجوز ان يقال ان الرسول رغب في ان يصلي عليه بعد ان علم كونه كافرا قد مات على كفره وان صلاته دعاء له بالمغفرة وذلك محظور لانه تعالى منعه من ان يستغفر للمشركين واعلمه انه لا يغفر للكفار البتة وايضا الصلاة عليه ودفع قميصه اليه يوجب اعزازه وهو مأمور باهانة الكفار * فالجواب انه لعل السبب فيه

وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان مكافأة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى (ولاتقم على قبره) ولاتقف عند قبره للدفن او الزيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهي او لتأبيد الموت (ولاتعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون) تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول (واذا انزلت سورة) من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها (ان آمنوا بالله) بان آمنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم) ذووا الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لاخير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم) اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (واولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة (واولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية

انه لما طلب منه صلى الله عليه وسلم ان يرسل اليه قميصه الذي يمس جلده ليدفن فيه غلب على ظنه انه تاب عن نفاقه وآمن لان ذلك الوقت وقت توبة الفاجر وايمان الكافر فلما رأى منه اظهار الاسلام وشاهد منه هذه الامارة الدالة على اسلامه غلب على ظنه انه صار مسلما فلذلك رغب في ان يصلي عليه فلما نزل جبريل صلى الله عليه وسلم واخبره بانه مات على كفره ونفاقه امتنع من الصلاة عليه واما دفع القميص اليه فذكروا فيه وجوها منها ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبدالله قميصه فهو صلى الله عليه وسلم انما دفع اليه قميصه مكافأة لاحسانه ذلك لااعزازا له ومنها انه تعالى امره ان لايرد سائلا بقوله واما السائل فلا تنهر فلما طلب عبدالله منه القميص دفعه اليه لهذا المعنى ومنها انه اعاده اليه بمقتضى كرمه وغلبة الرحمة والرأفة عليه كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال فبما رحمة من الله لنت لهم فامتنع من الصلاة عليه رعاية لامر الله تعالى ودفع اليه القميص لاظهار الرأفة والرحمة ومنها انه لعله اوحي اليه انك ان دفعت اليه قميصك صار ذلك حاملا لدخول ألف نفس من المنافقين في الاسلام ففعل ذلك لهذا الغرض ﴿قوله صلى عليه ثم نزلت﴾ قال الامام الواحدي في الوسيط روى عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما توفي عبدالله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفن فيه فارسل اليه القميص الفوقاني فرده فطلب الذي يلي جلده ليكفن فيه اياه فأعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي فقام عمر بن الخطاب فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم «انما خيرني الله فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم» قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولاتصل على احد منهم مات ابدا رواه البخاري عن عبيدالله بن اسمعيل ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة كلاهما عن اسامة عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ﴿قوله والمراد﴾ منصوب معطوف على قوله الضنة ﴿قوله ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا﴾ اي ولكون الاستغفار ممنوعا في حق من مات كافرا رتب النهي عن الصلاة على الاحد الموصوف بأنه كائن منهم والموصوف بانه مات ابدا فان منهم صفة لاحد وكذلك جملة قوله مات فانها ايضا في محل الجر على صفة احد وابدا ظرف منصوب بمات على مااختاره المصنف وتفرد به كأنه قيل لاتصل على احد منهم ميت ابدا بان مات على الكفر * قال الامام نقلا عن الواحدي ان قوله تعالى مات في موضع جر على انه صفة لنكرة كأنه قيل على احد منهم ميت وقوله ابدا متعلق بقوله ولاتصل على احد يريد انه ظرف للنهي والتقدير ولاتصل ابدا على احد منهم مات ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعني ان هذه الآية قد سبق ذكرها بعينها في هذه السورة فلا فرق بينهما الا في عبارات مخصوصة اولاها انه تعالى قال في الآية المتقدمة فلاتعجبك بالفاء وههنا قال ولاتعجبك بالواو وثانيتها انه تعالى قال هناك اموالهم ولا اولادهم وههنا كلمة لامحذوفة وثالثتها انه تعالى قال هناك انما يريد الله ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله ان يعذبهم بكلمة ان بدل اللام ورابعتها انه تعالى قال هناك في الحياة الدنيا وههنا حذف لفظ الحياة فقيل هذه الآية ليست للتأكيد لان ماسبق نزلت في حق قوم وهذه نزلت في آخرين وقيل انها تأكيد للآية السابقة والمقام يقتضي التأكيد لان اشد مايفتتن به الانسان من اسباب الدنيا الاموال والاولاد فيجب التحذير عنها مرة بعد اخرى ﴿قوله طامحة﴾ اي مرتفعة ناظرة يقال طمح بصره الى الشيء اي ارتفع ﴿قوله مغتبطة﴾ اي مغبوطة والغبطة ان يتمنى مثل حال المغبوط من غير ان يريد زوالها عنه والا لكان حسدا تقول منه غبطته بما نال اغبطه غبطا وغبطة فاغتبط كقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس ﴿قوله ويجوز ان يراد بها بعضها﴾ وجعلها صاحب الكشاف نظير القرآن والكتاب فكما ان كلا منهما يقع على الكل والبعض فكذا السورة فانها ليست الا اسما للمجموع فاطلاقها على البعض مجاز ولايخفى ان كلا منهما موضوع بالقدر المشترك بين الكل والبعض بخلاف السورة فانها ليست الا اسما للمجموع فاطلاقها على البعض مجاز ﴿قوله ويجوز ان تكون أن المفسرة﴾ لانه قد تقدمها ماهو بمعنى القول وعلى الاول كانت مصدرية على حذف حرف الجر وفي قوله استأذنك التفات من الغيبة الى الخطاب ومقتضى الظاهر ان يقال استأذنه بناء على لفظ رسوله ﴿قوله وقد يقال الخالفة للذي لاخير فيه﴾ قال الجوهري فلان خالفة اهل بيته وخالف اهل بيته ايضا اذا كان لاخير فيه انتهى فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ولعل الوجه في تسمية من لاخير فيه من الرجال خالفة كونه غير مجيب الى مادعي اليه من المهمات قال المفسرون كان يصعب على المنافقين

الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادّعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب اليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة (حرج) اثم في التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان والطاعة في السرّ والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح (ما على المحسنين من سبيل) اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم او للمسيء فكيف المحسن (ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه (قلت لا اجد ما احملكم عليه) حال من الكاف في اتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (واعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) اى دمعا اى دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله (ان لا يجدوا) لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض (ما ينفقون) في مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم اغنياء) واجدون للاهبة (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ما هو السبب

تعييبهم بالخوالف فنزلت الآية تعييرا لهم وذما ﴿قوله معتذرين بالجهد﴾ مصدر جهد عيشهم بكسر الهاء بمعنى نكد واشتد ﴿قوله والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر﴾ فقوله تعالى وجاء المعذرون معناه وجاء المقصرون في الجهاد بان توانوا ولم يجدّوا فيه من غير عذر والحاصل ان المصنف ذكر في لفظ المعذرين ثلاث قراآت الاولى تشديد الذال فقط والثانية التخفيف والثالثة تشديد العين والذال وذكر في القرآءة الاولى احتمالين الاول انه يكون اسم فاعل من باب التفعيل ومعناه المقصر في الجهاد المعتذر بغير عذر المتصنع في اعتذاره والثاني ان يكون اسم فاعل من باب الافتعال واصله المعتذرون نقلت فتحة التاء الى العين فقلبت التاء دالا وادغمت في الذال التي بعدها والاعتذار قد يكون بالكذب كما في قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم فانه تعالى بين كون هذا الاعتذار فاسدا بقوله قل لا تعتذروا وقد يكون بالصدق كما في قول لبيد * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يريد فقد جاء بعذر صحيح وقيل المعذر بالتشديد من يعتذر بلا عذر وجعل المعذرون بالتخفيف اسم فاعل من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه فيكون صادقا في اعتذاره يقال اعذرت اليه اى اتيت العذر الصحيح وصنف منهم قعدوا وتخلفوا من غير استئذان فضلا عن الاعتذار وانما قعدوا كذبا على الله تعالى فهم المرادون بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله وجعل القرآءة الثالثة اسم فاعل من تعذر بمعنى اعتذر اصله متعذرون وجعل هذه القرآءة لحنا بناء على ان التاء لا تدغم في العين لبعد المخرج فظهر بما ذكرنا ان الاختلاف في انهم كانوا محقين في الاعتذار او مبطلين انما هو على قرآءة التشديد على ان يكون المعذرون بمعنى المعتذرون ان كان بمعنى المقصرين فهم مبطلون بلا خلاف وعلى قرآءة التخفيف يكونون محقين بلا خلاف ﴿قوله فيكون﴾ متفرع على قوله بالصحة لان المعتذرين بالصحة لا يقال في حقهم انهم كاذبون في ادّعاء الايمان ولا في الاعتذار ﴿قوله كالهرمى﴾ في جمع هرم يقال هو هرم وقوم هرمى والهرم بفتحتين كبر السن يقال هرم الرجل واهرمه روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الضعفاء بالهرمى والمشايخ والعجزة فانهم وان كانوا اصحاء من حيث الابدان الا انهم ضعفاء ليس لهم قوة يقتدرون بها على الجهاد والمرضى الذين بهم علة يرجى زوالها الا انهم في الحال لا طاقة لهم والناصح الخالص والنصح اخلاص العمل من الغش يقال نصح الشيء اذا خلص ونصح له في القول اخلصه له قال صلى الله عليه وسلم * الدين النصيحة * قالوا لمن قال * لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم * قال العلماء النصيحة لله اخلاص الاعتقاد في الوحدانية ووصفه بصفات الالهية وتنزيهه عن النقائص والرغبة في مرضاته والبعد عن مساخطه والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته والتزام طاعته في نهيه وامره وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه وتوقيره ومحبته ومحبة آل بيته وتعظيمه وتعظيم سنته واحياؤها بعد موته بالبحث عنها والتفقه فيها والذب عنها وتعليمها والدعاء اليها والتخلق بها والنصح لائمة المسلمين ترك الخروج عليهم وارشادهم الى الحق وتنبيههم فيما اغفلوه من امور المسلمين ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم والنصح لعامة المسلمين ترك معاداتهم وارشادهم وحب الصالحين منهم والدعاء لجميعهم وارادة الخير لكافتهم فقوله تعالى في هذه الآية اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا اخلصوا الايمان لله ورسوله وامتثلوا امرهما في جميع الامور ومعظمها ان لا يفتشوا ما سمعوا من الاراجيف وان لا يثيروا الفتن وان يسعوا في ايصال الاخبار السارة وهذا كله بعد اخلاص ايمانهم واعمالهم من الغش والرياء وكلمة من في قوله من سبيل زائدة اى ما على المحسنين سبيل اى لا اثم عليهم بسبب القعود عن الجهاد لانخراطهم في سلك المحسنين حيث اتوا بما في وسعهم من نصحهم لله ورسوله ﴿قوله عطف على الضعفاء﴾ اى لا شيء من حرج ثابت على كذا وكذا ولا على الذين ﴿قوله وهم البكاؤون﴾ قال المفسرون المراد بقوله تعالى ولا على الذين سبعة نفر من الانصار سموا البكائين ﴿قوله تعالى حزنا نصب على العلة﴾ والعامل فيه تفيض * فان قيل فاعل الفيض مغاير لفاعل الحزن لان الفيض قد اسند الى العين والحزن صادر من اصحاب الاعين واذا اختلف الفاعل وجب جرّ المفعول له بالحرف فكيف نصب ههنا قلنا ان الحزن قد يسند الى العين ايضا مجازا فيقال عين حزينة وسخينة اى غير مسرورة وقريرة ونحو ذلك ويجوز ان يكون العامل فيه تولوا فحينئذ يتحد فاعل العلة والمعلول حقيقة ويجوز ان يكون حزنا حالا من فاعل تولوا او من فاعل تفيض اى تولوا حزنين او تفيض اعينهم حزينة على ما تقدم من المجاز ويجوز ان يكون المصدر منصوبا بفعل مقدّر من لفظه اى يحزنون حزنا وهذه الجملة التي قدرناها ناصبة لهذا المصدر في محل النصب على الحال اما من فاعل تفيض او من فاعل تولوا ﴿قوله لئلا يجدوا متعلق بحزنا﴾ هذا على تقدير ان يكون حزنا مفعولا له او حالا واما اذا

﴿يعتذرون اليكم﴾ في التخلف ﴿اذا رجعتم اليهم﴾ من هذه السفرة ﴿قل لا تعتذروا﴾ بالمعاذير الكاذبة لانه ﴿لن نؤمن لكم﴾ لن نصدقكم لانه ﴿قد نبأنا الله من اخباركم﴾
اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ أتتوبون عن الكفر
ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه ﴿سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم﴾ فلا تعاتبوهم ﴿فاعرضوا عنهم﴾ ولا توبخوهم ﴿انهم رجس﴾ لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ﴿ومأواهم جهنم﴾ من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم﴾ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ اي فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ﴿الاعراب﴾ اهل البدو ﴿اشد كفرا ونفاقا﴾ من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة ﴿واجدر ان لا يعلموا﴾ واحق بان لا يعلموا ﴿حدود ما انزل الله على رسوله﴾ من الشرائع فرائضها وسننها ﴿والله عليم﴾ يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر ﴿حكيم﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ﴿ومن الاعراب من يتخذ﴾ يعد ﴿ما ينفق﴾ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ﴿مغرما﴾ غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق ﴿عليهم دائرة السوء﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن

(على)

جعله مصدرا فلا يجوز ذلك لان المصدر لا يعمل اذا كان مؤكدا لعامله **﴿قوله لن نصدقكم﴾** اشارة الى ان الجملة استئناف لبيان وجه نهيهم عن الاعتذار لان المعتذر اذا علم ان عذره لا يقبل وجب عليه ان يمتنع عنه وكذا قوله تعالى قد نبأنا الله فانه ايضا علة لانتفاء التصديق ولما حكى الله تعالى عنهم انهم يعتذرون ذكر بقوله سيحلفون بالله لكم انهم كاذبون في تلك الاعذار بالايمان الكاذبة والمعنى انهم سيحلفون انهم ما قدروا على الخروج وحلفوا على ذلك لتعرضوا عنهم اي لتصفحوا عنهم ولتعرضوا عن لومهم وتعنيفهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله تعالى فاعرضوا عنهم يريد اتركوا كلامهم وسلامهم قال اهل المعاني انهم طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت حيث امر الله تعالى رسوله والمؤمنين ان يظهروا لهم الاستخفاف بهم ويعرّفوهم ان اقدارهم اوضع من ان يصلوا الى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين **﴿قوله لا ينفع فيهم التأنيب﴾** وهو اللوم والتعنيف **﴿قوله يجوز ان يكون مصدرا﴾** اي لفعل مقدر من لفظه اي يجزون جزاء او لمضمون ما قبله فان قوله تعالى مأواهم جهنم في معنى يجزون بعذاب جهنم ثم انه تعالى بعد ما بين انهم يحلفون بالله ليعرض المسلمون عن ايذائهم بين انهم يحلفون ليرضى المسلمون فيستديموا ما كانوا يفعلونه بهم **﴿قوله او ان امكنهم ان يلبسوا الخ﴾** على ان يكون قوله تعالى فان ترضوا كناية عن تلبيسهم على المؤمنين بالايمان الكاذبة **﴿قوله اهل البدو﴾** اشارة الى ان الاعراب وان كان على صورة الجمع نحو حجر واحجار الا انه ليس جمع العرب والا لزم ان يكون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو الصنف الخاص من بني آدم سواء سكن البوادي ام سكن القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي فقط فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فعلى هذا هما متباينان قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم تحذف ياء النسبة في الجمع فيقال مجوس ويهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ سواء كان من العرب او من مواليهم ويجمع على الاعراب والاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب فمن استوطن القرى العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم اعراب ويدل على الفرق قوله حب العرب من الايمان واما الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الآية فقد ظهر بما قررنا ان الاعراب جمع اعرابي وقد تقرر ان الاصل في الجمع المحلى بالالف واللام ان ينصرف الى المعهود السابق فان لم يوجد المعهود السابق حمل على الاستغراق للضرورة اذ لو لم يحمل عليه لزم الاجمال فلذلك قال بعض العلماء المراد بالاعراب ههنا جمع معينون من منافقي العرب يوالون منافقي المدينة فصرفوا هذا اللفظ اليهم وفي التيسير ان هذه الآية تتصل بقوله وجاء المعذرون من الاعراب اي ان سكان البوادي اذا كانوا كفارا او منافقين فهم اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر وذلك لان اهل البدو يشبهون الوحوش فهم مجبولون على الامتناع عن الطاعة والانقياد ولان استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم يزيد قساوة قلوبهم ولان من لم يدخل تحت تأديب مؤدب ولم يخالط اهل العلم والمعرفة ولم يستمع لكتاب الله تعالى ومواعظ رسوله صلى الله عليه وسلم بآدابه الشافية كيف يكون مساويا لمن اصبح وامسى في صحبة اهل العلم والحكمة مستمعا لمواعظ الاحكام والكتاب والسنة وان شئت ان تعرف الفرق بين اهل الحضر والبادية فقابل الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ومن كانوا ابعد عن سماع القرآن والسنن كانوا اجدر واولى واحق بان لا يعلموا حدود العبادات والشرائع المنزلة على رسول الله **﴿قوله غرامة وخسرانا﴾** اشارة الى ان المغرم مصدر بمعنى الغرامة وهي التزام ما لا يلزم وهو لا يكون الا بضياع رأس المال فلذلك عطف عليه قوله وخسرانا واصلها الملازمة ومنها الغريم للزومه ومن في قوله تعالى ومن يتخذ اما موصولة او موصوفة في محل الرفع على الابتداء ومن الاعراب خبره ومغرما مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى يعد ويتربص عطف على يتخذ عطف صلة على صلة او صفة على صفة والتربص الانتظار والدوائر جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من مصيبة ونكبة فمعنى تربص الدوائر انتظار المصائب بان ينقلب الزمان على المسلمين بموت الرسول صلى الله عليه وسلم وغلبة الكفار عليهم والعقبة النوبة **﴿قوله والسوء بالفتح مصدر﴾** اي هو مصدر قولك ساءه نقيض سره والاضافة فيه من اضافة الموصوف الى صفته وصفت الدائرة بالمصدر في الاصل للمبالغة كما في نحو رجل عدل ثم اضيفت الى صفتها كما في قوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقوله وظننتم ظن السوء والسوء بالضم يطلق

على ماهو من قبيل المكروه والبلاء قيل لو لم تضف الدآئرة الى السوء لعرف منها معنى الشر لان دآئرة الدهر لاتستعمل الا في المكروه فالمعنى يدور عليهم الحزن والبلاء فلا يرون في مايتخذون الا مايسوءهم ﴿ قوله وفي الفتح ﴾ اى في الثانية مما في سورة الفتح واما الاولى مما فيها فقد اتفقت القرآء السبعة على فتح سينها وهما في قوله تعالى والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دآئرة السوء ﴿ قوله والسابقون الاولون ﴾ وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما ذكر فضائل الاعراب الذين يتخذون ماينفقون سبب قربات لهم عندالله تعالى وما اعد لهم من الثواب بين ان فوق منزلتهم منازل اعلى واعظم منها وهي منازل السابقين الاولين واختلفوا في ان السابقين من المهاجرين والانصار من هم فعن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وجماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم انهم هم الذين صلوا الى القبلتين فانهم سابقون اولون بالنسبة الى من صلى بعد تحويل القبلة الى الكعبة وعن عطاء بن ابي رباح رضي الله عنه انهم اهل بدر فانهم السابقون فضلا وزمانا بالنسبة الى من لم يشهد وقعة بدر وعن الشعبي انهم الذين شهدوا بيعة الرضوان بالحديبية وعن مسلم ان المراد بهم من تقدم موته بعد الاسلام من الشهدآء وغيرهم * قال الامام والصحيح عندي ان المراد بالسابقين من المهاجرين السابقون في الهجرة ومن الانصار السابقون في النصرة واستدل عليه بانه تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين انهم سابقون في ماذا فبقي اللفظ مجملا الا انه تعالى لما وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا علم ان المراد من السبق السبق في الهجرة والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وايضا كل واحد من الهجرة والنصرة لما كان فعلا شاقا على النفس مخالفا للطبع كان طاعة عظيمة ممن اقدم عليه اولا صار قدوة لغيره في الطاعة وكان ذلك مقويا لقلب الرسول صلى الله عليه وسلم وسببا لزوال الوحشة من خاطره فلذلك اثنى الله تعالى على من كان سابقا فيهما ورضي عنهم وارضاهم بما قربه اعينهم حيث آمنوا ودخلوا في عداد المسلمين بمكة والمدينة فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين باسلامهم وقوى قلبه صلى الله عليه وسلم بسبب دخولهم في الاسلام واقتدآئهم فكان حالهم فيه كحال من سن سنة حسنة فكان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة * ثم ان العلماء اختلفوا في المدح الحاصل في هذه الآية أيتناول جميع الصحابة ام يتناول بعضهم فقيل انه لايتناول الا قدماء الصحابة لانهم الذين سبقوا بالهجرة والنصرة فان كلمة من تفيد التبعيض وقيل انه يتناول جميع الصحابة لان جملتهم موصوفون بكونهم سابقين اولين بالنسبة الى سائر المسلمين وكلمة من ليست للتبعيض بل للتبيين منهم السابقون الاولون الموصوفون بوصف كونهم مهاجرين وانصارا كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وكثير من الناس ذهبوا الى هذا القول روى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان بينهم واردت الفتن قال لي ان الله قد غفر لجميعهم وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم فقلت له وفي اى موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية فتعلم انه تعالى اوجب لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطا قلت وما ذلك الشرط قال شرط عليهم ان يتبعوهم باحسان وهو ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة ولا يقتدوا بهم في غير ذلك او يقال هو ان يتبعوهم باحسان في القول وان لايقولوا فيهم سوأ وان لايطعنوا فيما اقدموا عليه قال حميد بن زياد فكأني ماقرأت هذه الآية قط وجل اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة الباقون الى تمام العشرة ثم البدريون ثم اصحاب احد ثم اهل بيعة الرضوان بالحديبية ﴿ قوله وقرئ بالرفع ﴾ يعني ان الجمهور على جر الانصار عطفا على المهاجرين والمعنى ان السابقين من هذين الجنسين شأنهم كذا وقرأ جماعة كثيرة برفعها عطفا على السابقون فعلى هذه القرآءة يكون السبق صفة للمهاجرين فقط وعلى القرآءة الاولى يكون صفة للجميع وينبغي ان تكون كلمة من في القرآءة الثانية للتبيين اذ لا وجه لتخصيص الحكم ببعض المهاجرين وتعميمه لجميع الانصار سمى اهل المدينة انصارا مع ان المهاجرين ايضا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الذين هاجروا من المؤمنين جاؤهم فآووهم ثم اجتمعوا جميعا على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوات واعلم انه تعالى شرح احوال منافقي المدينة ثم ذكر بعد ذلك احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب من هو صالح مخلص ثم بين ان رؤساء المؤمنين هم السابقون من المهاجرين والانصار فذكر بقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ان جماعة ممن يسكن حول المدينة موصوفة بالنفاق وان كنتم لاتعلمون انهم كذلك وهم مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين

وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفي الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ماينفق قربات عند الله) سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعندالله صفتها او ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق عليه ان يدعو للمصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي أوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره (ألا انها قربة لهم) شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الرآء (سيدخلهم الله في رحمته) وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبدالله ذي البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة (والانصار) واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضي الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع (خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) ممن حول بلدتكم يعني المدينة (من الاعراب منافقون) وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها

حولها ﴿قوله عطف على من حولكم﴾ فيكون المجروران مشتركين فى الاخبار عن المبتدأ وهو قوله منافقون كأنه قيل المنافقون من قوم حولكم ومن اهل المدينة فالكلام على هذا من عطف المفردات حيث عطف خبر على خبر ويكون قوله مردوا مستأنفا لا محل له على انه جواب لمن قال ما حالهم وجوز المصنف ان يكون مردوا صفة لقوله منافقون وقد فصل بينه وبين صفته بقوله ومن اهل المدينة والتقدير وممن حولكم ومن اهل المدينة منافقون ماردون ولا يخفى ان الفصل بالمعطوف بين الصفة وموصوفها قبيح يشبه قولك فى الدار زيد وفى القصر العاقل ﴿قوله او خبر لمحذوف﴾ اى ويجوز ان يكون قوله تعالى ومن اهل المدينة خبرا مقدما لمبتدأ محذوف بعده موصوف بقوله مردوا حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه والتقدير ومن اهل المدينة قوم او ناس مردوا كما تقول منا ظعن ومنا اقام وكما قال

❊ انا ابن جلا وطلاع الثنايا ❊ متى اضع العمامة تعرفونى ❊

اى انا ابن رجل كشف الامور وطلاع الثنايا اى الجبال وهو كناية عن قصد عظائم الامور متى اضع العمامة والبس آلة الحرب تعرفوا اقدامى وشجاعتى ﴿قوله لا تعرفهم﴾ فسر العلم بالمعرفة لان حمله على اصل معناه يحوج الى ان يجعل المفعول الثانى مقدرا والتقدير خلاف الاصل لا يرتكب من غير ضرورة ويفهم من اسلوب كلامه ان يجعل العلم فى قوله نعلمهم ايضا بمعنى المعرفة وهو يستلزم اسناد المعرفة اليه تعالى وهو لا يجوز كما صرح به العلماء ﴿قوله بالفضيحة﴾ وذلك ما روى انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال «اخرج يا فلان فانك منافق» فأخرج من المسجد ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والعذاب الثانى هو القتل والسبى ﴿قوله ونهك الابدان﴾ اى جعلها ضعيفة قريبة من التلاشى والاضمحلال عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد الامراض فى الدنيا وعذاب الآخرة فان مرض المؤمن يشبه تكفير السيئات ومرض الكافر تعذيب محض ﴿قوله تعالى وآخرون﴾ عطف على قوله منافقون اى ممن حولكم منافقون ومن اهل المدينة آخرون ويحتمل ان يكون مبتدأ واعترفوا صفته والخبر قوله خلطوا قال الواحدى فى الوسيط اى ومن اهل المدينة آخرون اعترفوا اى اقروا بذنوبهم عن معرفة والآية نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك كسلا لا نفاقا ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وقيل انهم قوم من المنافقين تابوا عن النفاق لان عطفهم على ما قبلهم يوهم التشريك الا انه وفقهم للتوبة ﴿قوله والواو اما بمعنى الباء﴾ جواب عما يقال ان الخلط يستدعى مخلوطا ومخلوطا به وفى الآية قد عطف احد المخلوطين على الآخر فالمخلوط به ماذا واجاب عنه اولا بان الواو مستعار لمعنى الباء بناء على ان الواو للجمع والباء للالصاق والجمع والالصاق من واد واحد فصح ان يستعمل ما وضع لاحدهما فيما وضع له الآخر بطريق الاستعارة كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما اى شاة بدرهم وثانيا بان المخلوط به فى كل واحد من الخلطين هو المخلوط فى الخلط الآخر لان الخلط لما اقتضى مخلوطا به فهو اما الآخر او غيره والثانى منتف بالاصل وبالقرينة لدلالة سياق الكلام فى مثل قولك خلطت الماء واللبن على ان كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به وهو ابلغ من ان يقال خلطت الماء باللبن لانك اذا عينت المخلوط به يكون الخلط واحدا بقصد احدهما اولا ويجعل مخلوطا بالآخر واذا كان بالواو يكون الخلط متعددا بقصد كل واحد من الخلطين فيجعل مخلوطا بالآخر فيكون الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما فكأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء فيكون ما قلت بالواو ابلغ مما قلت بالباء ﴿قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم﴾ قال المفسرون عسى من الله يدل على الوجوب الا ان كلامه تعالى يتنزل على حسب ما يتعارف الناس فالسلطان العظيم اذا التمس المحتاج منه شيأ فانه لا يجيب الا بلعل على الترجى والطمع كلعل وعسى تنبيها على ان ليس لاحد ان يلزمنى شيأ وانى لا افعل ما افعل الا على سبيل التفضل والكرم فهذا المعنى هو فائدة ذكر عسى ولعل فى مثل هذا الموضع ﴿قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم﴾ اى ان من تاب من المتخلفين لما بذلوا اموالهم للصدقة اوجب الله تعالى اخذها وصيره معتبرا فى كمال توبتهم جاريا مجرى الكفارة وليس المراد منه الصدقة الواجبة والا لما قال صلى الله عليه وسلم «ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ» وانما المقصود منه كفارة الذنوب ويدل عليه ما روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ الثلث وترك الثلثين والصدقة الواجبة لا تؤخذ هكذا وقيل هذا مبتدأ كلام والمقصود منه ايجاب اخذ الزكاة من الاغنياء عليه واليه ذهب اكثر الفقهاء قالوا اوجب الله تعالى ان يؤخذ منهم بعض اموالهم وان القدر المأخوذ طهرة لهم فانه روى ان الصدقة اوساخ اموال الناس

(ومن اهل المدينة) عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) وتمادوا فيه فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله

انا ابن جلا وطلاع الثنايا • وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق (لا تعلمهم) لا تعرفهم بأعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او بأخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فأطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله ان يتوب عليهم) ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من اموالهم صدقة) روى انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ فنزلت (تطهرهم) من الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين

وضمائلها فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ فكان دفعها جار يامجرى التطهير والتزكية قيل انها مبالغة فى التطهير وقيل التزكية بمعنى الانماء وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم يدل على ان المأخوذ بعض تلك الاموال لا كلها وان مقدار ذلك البعض غير مذكور ههنا ولفظ صدقة وان كان نكرة يصح اطلاقها على اى جزء كان ولو كان فى غاية القلة والحقارة الا ان المقصود ليس ايجاب القدر المبهم على الاجمال فوجب ان يكون المراد صدقة معلومة الصفة والكيفية والكمية عندهم وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة امر بأخذ تلك المقادير التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿قوله واعطف عليهم بالدعاء﴾ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معنى الصلاة عليهم ان يدعولهم وهو معنى قوله اللهم صل على آل ابى اوفى ﴿قوله تسكن اليها نفوسهم﴾ يعنى ان سكن فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وقيل السكن الطمأنينة وقيل الرحمة ﴿قوله وجمعها﴾ اى قرأ من عدا حمزة والكسائى وحفص ان صلواتك ههنا وفى هود أصلواتك بألف بعد الواو المفتوحة فى الموضعين ﴿قوله والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم﴾ يعنى ان الكلام وان ورد على صورة الاستفهام الا ان المراد منه ان يقوى فى نفوسهم انه تعالى يقبل توبة التائبين ويقبل صدقاتهم ويعفو عن خطاياهم فانه تعالى حكى عنهم انهم تابوا وتصدقوا ولما لم يذكر ههنا الا قوله عسى الله ان يتوب عليهم وليس بصريح فى قبول توبتهم ذكر فى هذه الآية انه يقبل التوبة ويأخذ الصدقات بشارة لهم بقبول ما فعلوه وترغيبا للعصاة فى التوبة والطاعة فقد روى انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا فالهم اليوم لا يأتون فنزلت ﴿قوله تضمنه معنى التجاوز﴾ فان قوله تعالى يقبل التوبة فى قوة ان يقال يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم ﴿قوله يقبلها﴾ جعل قوله تعالى يأخذ الصدقات استعارة تبعية لان الآخذ حقيقة هو الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة ثم عين لاخذها غيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رحمه الله تعالى خذها من اغنيائهم وردها الى فقرائهم * فانه يدل على ان آخذ تلك الصدقات هو معاذ يأخذها ليصرفها الى الفقراء فوجب ان يكون الاخذ المسند اليه تعالى بمعنى القبول ﴿قوله وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص الخ﴾ اى وقرأ غيرهم مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة كقراءتهم فى الاحزاب ترجئ بالهمزة وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته والارجاء التأخير ومنه ارجئه واخاه اى امهله واخره وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم يؤخرون العمل عن الايمان الذى هو الاعتقاد فى الرتبة ويقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ومنهم من يقول المعرفة الايمان بالله والخضوع والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعة وارتكاب المعاصى ولا يعاقب عليها وابليس كان عارفا بالله وانما كفر باستكباره وترك الخضوع لله كما دل عليه قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين وفى الحواشى القطبية المرجئة هم الذين لا يقطعون على اهل الكبائر بشئ من عقوبة او عفو بل يؤخرون الحكم فى ذلك الى يوم القيامة وقال الامام وسميت المرجئة بهذا الاسم لانهم لا يجزمون على القول بمغفرة التائب ولكن يؤخرون الامر فيها الى مشيئة الله تعالى وقال الامام الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل عن الايمان ثم قال واعلم انه تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد ثلاثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون وهم المرادون بقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم وبين الله تعالى انه قبل توبتهم والقسم الثالث هم الموقوفون وهم المذكورون فى هذه الآية والفرق بين القسم الثانى والثالث ان اولئك سارعوا الى التوبة حتى شد ابولبابة واصحابه انفسهم على سوارى المسجد واظهروا الجزع والغم على ما فعلوا بخلاف هذا القسم الثالث وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فانهم كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ولم يبالغوا فى الاعتذار كما فعل غيرهم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية فقال كعب انا امدّ اهل المدينة جملا فتى شئت لحقت الرسول فتأخر اياما وايس بعدها من اللحوق به فندم على صنيعه وكذلك صاحباه فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لكعب اعتذر اليه من صنيعك فقال لا والله حتى تنزل توبتى واما صاحباه فاعتذرا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ما خلفكما عنى قالا لا عذر لنا الا الخطيئة فنزل قوله تعالى وآخرون مرجؤون لامر الله فوقفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية ونهى الناس عن مجالستهم وامرهم باعتزال نسائهم وارسالهن الى اهاليهن فجاءت امرأة هلال تسأل ان تأتيه بطعامه فانه شيخ كبير فأذن لها فى ذلك خاصة وجاء رسول من الشام

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (ألم يعلموا) الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم اولغيرهم والمراد به التحضيض عليها (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله (وان الله هو التواب الرحيم) وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ما شئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجون) مؤخرون اى موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لامر الله) فى شأنهم

فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله (والذين اتخذوا

مسجدا) عطف على وآخرون مرجؤون او مبتدأ خبره محذوف اى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن ابن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذى يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت (وليحلفن ان اردنا الا الحسنى) ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لا تقم فيه ابدا) للصلاة (لمسجد اسس على التقوى) يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله (القنة)

الى كعب يرغبه فى اللحاق بهم فقال كعب بلغ من خطيئتى ان طمع فى المشركون قال فضاقت على الارض بما رحبت وبكى هلال بن امية حتى غشى على بصره فجعل الناس يقولون هلكوا ان لم ينزل الله فيهم امرا وآخرون يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجئين لامر الله تعالى اما يعذبهم واما يرحمهم حتى نزلت توبتهم بعد خمسين يوما بقوله تعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار ﴿قوله والترديد للعباد﴾ جواب عما يقال اما واما للشك والله تعالى منزه عنه فلا وجه لايراده ههنا فاجاب عنه بأن الترديد بكلمة اما ههنا لشك العباد ومثله كلمة او فى قوله تعالى او يزيدون ولعل فى قوله لعله يتذكر فالمعنى لكن امرهم عندكم بين الخوف والرجاء ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر بغير واو﴾ لموافقة مصاحفهما فان مصاحف المدينة والشام حذفت منها الواو وفى مصاحف غيرهم الواو ثابتة ومن اسقط الواو يحتمل ان يجعل قوله الذين اتخذوا ابدالا من قوله وآخرون مرجون او يجعله مبتدأ وخبره يحتمل ان يكون قوله أفمن اسس بنيانه بحذف العائد تقديره بنيانه منهم ويحتمل ان يكون قوله لا يزال بنيانهم وفيه بعد لطول الفصل ويحتمل ان يكون قوله لا تقم فيه بحذف العائد اى فى مسجدهم ﴿قوله مضارة للمؤمنين﴾ اشارة الى ان ضرارا مفعول له لقوله اتخذوا او ان متعلق المصدر محذوف اى اتخذوا لضرار المؤمنين وسائر الامور المذكورة وهى امور ثلاثة الكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به وان يفرقوا بسببه جماعة المؤمنين وان يترقبوا وينتظروا من حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار وهو ابو عامر الراهب والد ابى حنظلة الذى استشهد يوم احد وغسلته الملائكة وابو عامر الراهب سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد تنصر فى الجاهلية وترهب ولبس المسوح وتعلم علم النصارى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده وعاداه لانه زالت رياسته وقال له صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان أعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجدا فانى آت من عند قيصر بجند واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء ابى عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد والارصاد الانتظار مع العداوة قاله الزجاج وقال الاكثرون الارصاد الاعداد يقال ارصدت له اذا اعددت له ﴿قوله ومات بقنسرين﴾ بكسر القاف وتشديد النون تكسر وتفتح وهو اسم بلدة بالشام روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال الراهب الفاسق له صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت به فقال صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم فقال ابو عامر فانا عليها فقال صلى الله عليه وسلم لست عليها فقال الا بلى ولكنك ادخلت فى الحنيفية ما ليس منها فقال صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب طريدا وحيدا واللام فى قوله لمسجد لام الابتداء وقيل انها لام جواب قسم محذوف تقديره والله لمسجد واسس صفته اى بنى اصله على التقوى وعلى التقديرين قوله لمسجد مرفوع على الابتداء واسس صفته واحق خبره والقائم مقام الفاعل ضمير المسجد على حذف المضاف اى اسس بنيانه اى وضع اساس بنيانه واختلف فى المسجد الذى اسس على التقوى فذهب قوم الى انه قباء وهو الاوفق للقصة لان الموازنة بين مسجدين كانا فى قباء اوفق من الموازنة بين مسجد المدينة ومسجد الضرار الذى بنى فى قباء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وكان عبد الله رضى الله عنه يفعله وزاد نافع عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه ركعتين وقال آخرون هو مسجد المدينة واختاره سعيد بن المسيب وذكر ان رجلين اختلفا فيه فقال احدهما هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فسألا النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا وقال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى والظاهر ان قوله تعالى لمسجد اسس نكرة موصوفة فلا يجب حملها على واحد بعينه بل تتناول على سبيل البدل كل مسجد اتصف بالصفة المذكورة ﴿قوله ومن تم الزمان والمكان﴾ اختار ما ذهب اليه الكوفيون من ان كلمة من تكون لابتداء الغاية فى الزمان كما تكون لابتداء الغاية فى المكان استدلالا بهذه الآية الكريمة وبقوله

من الصبح حتى تطلع الشمس لا ترى * من القوم الا خارجيا مسوما

وقوله

لمن الديار بقنة الحجر * اقوين من حجج ومن شهر

القنة بالضم اعلى الجبل كالقلة ومنزل قوى اى لاأنيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اى خلت ونقل من البصريين ان من لاتدخل على الزمان والذى لابتدآء الغاية فى الزمان هو منذ يعنى ان منذ لايجربها الازمان تقول مارأيته منذ شهر ومنذ سنة فمنذ فى الزمان بمنزلة من فى غيره فكل موضع دخلت كلمة من فيه على الزمان يقدرون فيه شيأ غير الزمان فيقدرون المضاف فى الآية وفى كل واحد من البيتين فتقدير الآية من تأسيس اول يوم فدخلت على مصدر الفعل الذى هو اسس وتقدير البيتين من طلوع الصبح ومن مر حجج ومن مر شهر والبصريون انما يمنعون كون من لابتدآء الغاية فى الزمان ولا يقولون انها لاتكون الالابتدآء الغاية فى المكان حتى يرد ان يقال المضاف المقدّر فى هذه المواضع ليس بمكان حتى تكون من فيها لابتدآء الغاية فى المكان

﴿ **قوله** اولى بان تصلى فيه ﴾ فان قيل كون احد المسجدين اولى بأن يصلى فيه لايوجب المنع من الصلاة فى المسجد الآخر فكيف يكون قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال علة للنهى المذكور بقوله لاتقم فيه ابدا * اجيب بأن التعليل وقع بمجموع الامرين اعنى كون مسجد الضرار سببا للمفاسد الاربع المذكورة وكون مسجد التقوى مشتملا على الخيرات الكثيرة * فان قيل كيف قال تعالى احق ان تقوم فيه مع ان المفاسد المذكورة تمنع من جواز قيامه فى الآخر * والجواب ان الكلام مبنى على التنزل والمعنى انه لو جاز القيام فى مسجد الضرار لكان القيام فى مسجد التقوى احق للسبب المذكور فكيف والقيام فيه باطل ويمكن ان يقال احق ههنا ليس للتفضيل بل هو بمعنى حقيق اذ لامفاضلة بين المسجدين

﴿ **قوله** ان يتطهروا من المعاصى ﴾ حمل التطهر على الطهارة من الذنوب والمعاصى لان اصحاب هذا المسجد ذكروا فى مقابلة اصحاب مسجد الضرار وانهم قد وصفوا بمضارّة المسلمين والكفر بالله والتفريق والارصاد فينبغى ان يوصف مقابلوهم باضدادها وماذاك الابكونهم منزهين من الكفر والمعاصى وحمله على الطهارة من الجنابة قبل ان يناموا وعلى الاستنجاء بالماء بعد استعمال الاحجار ليس فيه هذا اللطف ثم انه تعالى لما ذكر الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وبين ان الحامل لهم على بنائه تلك المفاسد الاربع المذكورة وانهم يحلفون بالايمان الكاذبة على ان ليس غرضهم من بنائه الا الرفق بالمسلمين والمعاونة على العجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب علة او حاجة او ليلة مظلمة او ليلة شاتية ثم رجح مسجد التقوى بامرين احدهما انه بنى اصله واساسه على التقوى وثانيهما انه فيه رجال يحبون ان يتطهروا شرع فى بيان تفاوت مابين الفريقين فقال افمن اسس بنيانه الآية والبنيان مصدر كالغفران والمراد منه ههنا المبنى واطلاق لفظ المصدر على المفعول مجاز مشهور يقال ضرب الامير ونسج زيد اى مضروبه ومنسوجه والتأسيس احكام أس البناء وهو اصله وقوله تعالى على تقوى يجوز ان يتعلق بنفس اسس فهو مفعول فى المعنى وان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن فى اسس ومحصول المعنى ان المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله تعالى ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق ويجوز ان يراد بالبنيان بناء المسجد والمعنى اى الفريقين اولى بالخيرية من اسس بناء المسجد يريد به تقوى الله وطاعته وهم اهل مسجد قباء او مسجد المدينة ام من اسس بنيانه على النفاق والكفر وتفريق المسلمين وانتظار الكفار بأن يأتوه فيقصدوا كيد المسلمين ويحتالوا لتوهين امر الدين الا ان المصنف اختار ان يكون المراد بالبنيان بنيان الدين لانه انسب بتوصيف اهل الضرار بمضارّة المسلمين والكفر والتفريق والارصاد وتوصيف مسجد اهل التقوى بانهم يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة * وجرف الوادى جانبه الذى يحفر اصله الماء وتجرفه السيول اى تأكله وتذهب به وجرف هار اى هائر وهو المتصدّع الذى اشفى على التهدم والسقوط يقال هار الجرف اذا تصدّع من خلفه وهو ثابت فى مكانه فاذا سقط فقد انهار وتهوّر ومعناه الساقط الذى يتداعى بعضه فى اثر بعض كما ينهار الرمل والشئ الرخو وفاعل انهار ضمير الجرف وهو يستلزم انهيار الشفا والبنيان جميعا وانهيارهما او انهيار احدهما لايستلزم انهياره والباء فى به للتعدية او للمصاحبة اى فانهار مصاحباله

﴿ **قوله** وهو ماجرفه الوادى ﴾ فيه توسع والمراد ان الجرف هو جانب الوادى وقد حفر سيل الوادى اصله وكونه هارا عبارة عن كونه متصدّعا مشرفا على السقوط ﴿ **قوله** تمثيلا لمابنوا عليه امر دينهم ﴾ وهو النفاق والشقاق فانه شبه النفاق بشفا جرف هار اى بطرف جانب الوادى الذى ذهب اصله بالسيل والتصدع فآل الى السقوط فى قلة الثبات وسرعة الانطماس فاستعير شفا الجرف للشبه وقرينة الاستعارة وضع شفا

﴿ احق ان تقوم فيه ﴾ اولى بأن تصلى فيه ﴿ فيه رجال يحبون ان يتطهروا ﴾ من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلاينامون عليها ﴿ والله يحب المطّهّرين ﴾ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون انتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عزوجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا ﴿ أفمن أسس بنيانه ﴾ بنيان دينه ﴿ على تقوى من الله ورضوان خير ﴾ على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿ ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار ﴾ على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها ﴿ فانهار به فى نار جهنم ﴾ فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لمابنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم أن مصيرهم الى النار لامحالة

جرف في مقابلة التقوى فان التقوى حق و صواب فينبغي ان يراد بما ذكر في مقابلتها الباطل المستقبح و قوله فانهار به ترشيح للاستعارة فانه ملائم للمستعار منه وهو المعنى الاصلي لشفا الجرف وهو طرف الوادي الذي حفر اصله بالماء وانصدع ﴿ قوله وقرئ أساس ﴾ اي بفتح الهمزة واس بضم الهمزة وتشديد السين وهما مفردان اضيفا الى البنيان ومعناهما اصل البناء والاسس محركا لغة في الاساس وجمع الاسس آساس مثل سبب واسباب كذا في الصحاح وقول المصنف الاسس بضمتين والآساس بالمد والاساس بكسر الهمزة جمع اس محل بحث فان الاسس جمع اساس والآساس جمع اسس مقصور أساس وجمع الاس بالضم انما هو الاساس بالكسر الا ان الاس والاساس والاسس لما كانت لغات بمعنى واحد جعلت بمنزلة لفظ واحد ﴿ قوله وتقوى ﴾ اي وقرئ على تقوى منونة وحكى هذه القرآءة سيبويه ولم يرتضها الناس بناء على ان ألفها للتأنيث فلا وجه لتنوينها وقال في توجيهها ان ألفها للالحاق كألف ارطى وفي الصحاح وتقوى فيها لغتان تنون مثل تترى فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو اجود واصلها وترى من الوتر وهو الفرد قال تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى اي واحدا بعد واحد ومن نونها جعل ألفها ملحقة ﴿ قوله جرف بالتخفيف ﴾ اي باسكان الرآء وهما لغتان كشغل وشغل ﴿ قوله تعالى الذي بنوا ريبة ﴾ وصف به بنيانهم للدلالة على ان المراد بالبنيان ماهو المبني حقيقة لاما دبروه من الامور وان البناء قد يطلق على تدبير الامر وتقديره كما في قولهم * وكم ابني وتهدم * وقوله

* متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم *

جعل بنيانهم نفس الريبة مبالغة لكونه سببا لها وكان شكهم في الدين وتفاقهم حاملا لهم على ان يبنوا هذا المسجد كما قال تعالى ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا ثم كان ما بنوه سببا لتزايد شكهم وتفاقهم حيث حملهم ذلك على تحقيق مقتضيات النفاق والتدبير فيها ثم لما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم غاظهم ذلك وعظم هدمه فازدادوا تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فصار ذلك البناء كأنه عين الشك والنفاق والمستثنى منه في قوله تعالى الا ان تقطع قلوبهم محذوف هو اعم الازمنة او اعم الاحوال والتقدير لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت الا وقت تقطع قلوبهم او في كل حال الاحال تقطعها وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص تقطع بفتح التاء والاصل تتقطع بتاءين فحذفت احداهما وعن ابن كثير بفتح التاء وتسكين القاف ونصب قلوبهم على المفعولية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الا ان تفعل في قلوبهم هذا الفعل فتقتلهم وقرأ الباقون تقطع بضم التاء على بناء المفعول وهو مضارع قطع بالتشديد وقرئ يقطع بالياء لكون تأنيث القلوب غير حقيقي ﴿ قوله تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة ﴾ اذ لا يمكن حمل الكلام على الحقيقة لانه لا يجوز ان يشتري الله شيأ في الحقيقة فانه مالك الكل فان انفسنا مخلوقة لله تعالى واموالنا رزقه فأخرج الكلام على صورة الاستعارة التمثيلية زيادة في الدعاء الى الطاعة روي ان الانصار لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترطت لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة وقوله تعالى بأن لهم الجنة متعلق باشترى ودخلت الباء ههنا على المتروك على ما هو الاصل فيها وتسمى باء المقابلة وباء العوض اشترى الله تعالى من المؤمنين انفسهم التي هي عبارة عن الجوهر الاصلي المركب الذي هو آلة في اكتساب الكمالات واموالهم الذي هو وسيلة الى رعاية مصالح هذا المركب بالجنة وجعلها تعالى بمنزلة الثمن ﴿ قوله استئناف ببيان ما لاجله الشرى ﴾ اي ببيان الصورة المشبهة بالشرى فان المقاتل في سبيل الله سواء قتل او قتل لاشك انه ينفق ماله في تلك السبيل ثم ان اتفق ان يكون مقتولا يبذل مع ذلك بدنه ايضا وانه تعالى يأخذ ماله وبدنه ويعطي بدلهما الجنة فالمراد بالشرى الذي اخبر الله تعالى عنه بقوله اشترى من المؤمنين هذه الصورة المخصوصة المعينة فلما كان المطلوب من المفهوم الكلي الاجمال صورة مخصوصة معينة صح لسائل ان يقول حين سمع قول الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ما المطلوب بهذا الشرى وبالصورة التي جعل الشرى المذكور عنوانا لاجلها ويجاب عنه بانه قال يقاتلون في سبيل الله اي يبذلون انفسهم واموالهم فيأخذها الله تعالى منهم ويعوضهم الجنة فعلى هذا الوجه لا يكون يقاتلون في معنى الامر وقيل انه امر في صورة الخبر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول ﴾ اي تقديم كونهم مقتولين على

وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه وأس بنيانه على الاضافة وأسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر والثلاثة جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف (والله لا يهدي القوم الظالمين) الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا) بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ريبة في قلوبهم) اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم (الا ان تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قرآءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما امر بهدم بنيانهم (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل

كونهم قاتلين للاشعار بان طائفة كثيرة من المسلمين وان صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بل يقفون بعد ذلك مع الاعداء قاتلين لهم بقدر الامكان كما قال فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله اى ما وهن من بقى منهم وقرأ الباقون بتقديم المبنى للفاعل على المبنى للمفعول للدلالة على انهم يقتلون ولا يرجعون عنهم الاان يصيروا مقتولين ﴿قوله مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى﴾ يعنى لاحاجة الى ان يقدر فعل من لفظ المصدر لان مضمون الجملة السابقة يصلح ان يكون ناصبا للمصدر لكونها فى معنى وعدالله لهم الجنة فى مقابلة مابذلوه من انفسهم واموالهم وحقاثابت للمصدر وعليه حال من حقا لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا ﴿قوله مذكورا فيها﴾ اشارة الى ان قوله فى التوراة متعلق بمحذوف هو صفة للوعد فيكون المعنى ان الوعد بالجنة للمقاتلين فى سبيل الله من هذه الامة مذكور فى كتب الله المنزلة ﴿قوله مبالغة فى الانجاز﴾ لان قوله تعالى ومن اوفى بعهده استفهام بمعنى الانكار اى لااحد اوفى بما وعد من الله واوفى افعل تفضيل وقوله من صلته وهذه الآية مشتملة على انواع من التأكيدات فاولها ان كون المشترى هو الله المقدس عن الكذب والحيلة ادل دليل على تأكيد هذا الوعد وثانيها انه عبر عن المقصود الذى هو الوعد بالجنة بالبيع والشرى وذلك حق مؤكد وثالثها كلمة عليه التى تفيد الوجوب ورابعها انه تعالى حقق الوعد واكده بقوله حقا وخامسها انه تعالى استشهد على حقية الوعد المذكور بكونه مذكورا فى جميع الكتب الالهية وسادسها ومن اوفى الى غير ذلك ﴿قوله والمراد بهم المؤمنون المذكورون﴾ اى فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ووعدهم الجنة اولا ثم بين فى هذه الآية ان اولئك هم الموصوفون بهذه الصفات وروى عن الزجاج انه قال الذى عندى ان قوله التائبون العابدون رفع بالابتداء وخبره مضمر والمعنى التائبون الى آخر الآية لهم الجنة ايضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا الوجه الذى قاله الزجاج وجه حسن لانه حينئذ يكون الوعد بالجنة لهم وان لم يجاهدوا بخلاف الوجه الاول فان الوعد بالجنة فيه يكون خاصا بالمجاهدين الموصوفين بما ذكر روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالتائبين التائبون من الشرك وعن الحسن من الشرك والنفاق وعن الاصوليين التائبون من كل معصية وهذا اولى لان التائبين لكونه فى تقدير الذين تابوا من ألفاظ العموم يتناول كل تائب فتخصيصه بالتائب من بعض المعصية تحكم محض واصل التوبة الرجوع ثم خصت بالرجوع من العقوبة الى المغفرة والرحمة والعابدون هم الذين أتوا بالعبادة وهى عبارة عن الاتيان بفعل يشعر بتعظيم الله تعالى والسائحون عند عامة المفسرين الصائمون عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كل ماذكر فى القرآن من السياحة فهو الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم «سياحة امتى الصيام» وانما سمى الصائم سائحا لانه يمتنع عن الشهوات كالسائح فى الارض فانه يمتنع عما تيسرله مما يوصله الى مقصده ولايتوسع فى استيفاء اللذات واتباع الشهوات لان الصائم لما امتنع عن الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه ابواب الشهوات انفتحت عليه ابواب الحكمة والمعرفة ومالت نفسه الى عالم المعقولات وانتقل من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة وهذا الانتقال هو السياحة فى عالم الروحانيات فلذلك شبه الصائم بالسائح فى الارض وقال على كرم الله وجهه المراد بقوله تعالى السائحون الغزاة فى سبيل الله يقطعون المنازل والمراحل الى ان يصلوا الى ديار الكفرة فيجاهدوهم وقال عكرمة هم طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلب العلم وقوله تعالى الراكعون الساجدون يعنى المصلين فان هيئة القيام والقعود يؤتى بهما على وفق العادة بخلاف الركوع والسجود فانهما ليسا من الهيئات الطبيعية الموافقة للعادة فلا يؤتى بهما الا على سبيل العبادة فكان لهما مزيد اختصاص بالصلاة فلذلك كنى بهما عنها ﴿قوله التنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها﴾ ذكرالله تعالى على سبيل التفصيل من الفضائل والتكاليف مالاينفك المكلف عنها فى اغلب اوقاته وهى التوبة والعبادة والاشتغال بحمدالله تعالى والسياحة لطلب مهمات الدين كالعلم والجهاد والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما كانت التكاليف الشرعية غير منحصرة فيما ذكر بل لها اصناف واقسام كثيرة لايمكن تفصيلها وتبيينها الا فى مجلدات ذكرالله تعالى سائر اقسام التكاليف على سبيل الاجمال بقوله والحافظون لحدودالله تعالى والفقهاء ظنوا ان الذى ذكروه فى بيان التكاليف واف وليس كذلك لان اعمال المكلفين قسمان اعمال الجوارح واعمال القلوب وكتب الفقه مشتملة على شرح اقسام التكاليف المتعلقة بأعمال الجوارح واما التكاليف المتعلقة بأعمال القلوب فليس فى كتبهم منها الا القليل النادر وبعض مباحثها مبين فى الكتب

(وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيها كما اثبت فى القرآن (ومن اوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعدالله الحسنى اوخبره مابعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له الدين (الحامدون) لنعمائه اولما نابهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتى الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات اولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى (والحافظون لحدودالله) اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قدتم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام

{ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين } روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابوآء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين { ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم } بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال { وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه } وعدها ابراهيم اباه بقوله لأستغفرن لك اى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قرآءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان { فلما تبين له انه عدو لله } بأن مات على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن { تبرأ منه } قطع استغفاره { ان ابراهيم لأواه } لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه { حليم } صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه { وما كان الله ليضل قوما } اى ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم { بعد اذ هداهم } للاسلام { حتى يبين لهم ما يتقون } حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول فى قوله لعمه او لمن استغفر لأسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف { ان الله بكل شئ عليم } فيعلم امرهم فى الحالين { ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير } لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرى منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرأوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه { لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار } من اذن المنافقين فى التخلف

الكلامية والبعض الآخر فصله الامام الغزالى وامثاله فى علم الاخلاق ومجموعها مندرج فى قوله تعالى والحافظون لحدود الله وختم بالسابع وهو قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بناء على انهما فى حكم خصلة واحدة كما دل عليه تخلل الواو الجامعة بينهما والاظهر كون قوله والحافظون لحدود الله ثمانية اوصاف وهو تاسعها وقيل انما دخلت الواو فيه لانها واو الثمانية كقوله تعالى وثامنهم كلبهم قال بعض النحويين هى لغة فصيحة لبعض العرب يقولون اذا عدوا واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة قال القرطبى وهى لغة قريش قال ابو البقاء انما دخلت الواو فى الثمانية ايذانا بأن السبعة عندهم عدد تام وانما دلت على ذلك لان الواو تؤذن بان ما بعدها مغاير لما قبلها ولذلك عطف بها الذوات المتغايرة والصفات المتغايرة وقيل هذا قول ضعيف لا اصل له ﴿قوله روى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى طالب الى آخره﴾ يستبعد ان يكون سبب نزول هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم لعمه ابى طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه بناء على ان هذه السورة الكريمة من آخر القرآن نزولا ووفاة ابى طالب كانت بمكة فى اوائل الاسلام واجيب بانه لا بعد فيه لم لا يجوز ان يقال انه صلى الله عليه وسلم بقى يستغفر لابى طالب من ذلك الوقت الى وقت نزول هذه الآية فان التشديد على الكفار انما ظهر فى هذه السورة فلعل المؤمنين كان يجوز لهم ان يستغفروا لآبائهم من الكافرين وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ثم انه تعالى منعهم من ذلك عند نزول هذه السورة ولا بعد فى ذلك ﴿قوله خرج الى الابوآء﴾ هو بفتح الهمزة وسكون الباء منزل بين مكة والمدينة توفيت فيه آمنة رضى الله عنها وذلك انه صلى الله عليه وسلم ولد وأبوه عبد الله لم يكن حيا وكانت امه آمنة لما بلغ ست سنين خرجت الى اخوالها بالمدينة تزورهم ثم رجعت به الى مكة فلما كانت بالابوآء ماتت هناك ﴿قوله مستعبرا﴾ اى باكيا من العبرة وهى الدمع ﴿قوله وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم﴾ وجه الدلالة ان امتناع الاستغفار انما هو بعد ان يتبين انهم اصحاب الجحيم وذلك انما يتبين باستمرار كفرهم الى حين الموت فانه تعالى يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان من مات على الكفر فمأواه جهنم خالدا فيها ابدا فكان طلب الغفران لمن مات على الكفر بمنزلة طلب ان يخلف الله وعده ووعيده وكان كل واحد من النبوة والايمان مانعا من الاستغفار لمشرك تبين كونه من اصحاب الجحيم بموته على الكفر لما فيه من تجويز تبدل حكم الله تعالى وقضائه واستغفار ابراهيم لابيه كان قبل التبيين لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه اى قطع استغفاره وهذا خلاصة الجواب عن النقض الوارد على قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية فان ابراهيم انما استغفر لابيه حال حياته بأن يوفقه الله تعالى للايمان بناء على انه وعد أباه بذلك ولم يستغفر له بعد موته على الكفر ﴿قوله وعدها اياه﴾ يحتمل الوجهين الاول على ان يكون الضمير المرفوع راجعا الى ابراهيم والمنصوب راجعا الى ابيه فالواعد ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجاء اسلامه ويؤيد هذا الاحتمال قرآءة الحسن وغيره اباه بالباء الموحدة والثانى على ان يكون الضمير المرفوع لابى ابراهيم والمنصوب لنفس ابراهيم والمعنى ان اباه وعده ان يؤمن فلذلك استغفر له فلما تبين له بالوحى انه لا يؤمن او تبين له باصراره على الكفر وموته عليه انه عدو لله تبرأ منه ﴿قوله لكثير التأوه﴾ وهو ان يقول الرجل عند الشكاية والتوجع آه من كذا واصله اوه بسكون الواو وكسر الهاء فقلبوا الواو ألفا وقالوا آه من كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا اوّه وربما حذفوا الهاء فقالوا اوّ وبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول اوّه وبعضهم يقول اوّاه بالمد والتشديد وفتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وفى الحديث الاوّاه الخاشع المتضرع وقيل معنى كون ابراهيم صلى الله عليه وسلم اوّاها انه كلما ذكر لنفسه تقصيرا او ذكر له شيأ من شدائد الآخرة كان يتأوه اشفاقا واستعظاما لما له والشكاسة صعوبة الخلق يقال رجل شكس اى صعب الخلق وعليظ القلب ﴿قوله وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر﴾ اى انه فى بيان عذر قوم استمروا على العمل بالحكم المنسوخ غير عالمين بنسخه كمن استمر على ان يصلى الى بيت المقدس بعد تحويل القبلة واستمر على شرب الخمر بعد نزول آية تحريمها بناء على عدم علمه بكل واحد من تحويل القبلة وتحريم الخمر وقيل انه فى بيان عذر من ارتكب المحرم قبل نزول آية تحريمه ﴿قوله من اذن المنافقين فى التخلف﴾ يعنى ان توبة الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه معناها انه يتجاوز ويعرض عن ذنبهم المعين الذى فرط منهم من قبيل ترك الاولى وهو اذنهم المنافقين فى التخلف عنه صلى الله عليه وسلم وهذا الاذن وان صدر عنه صلى الله عليه وسلم وحده الا انه اسند الى

الكل على طريق قولهم بنو فلان قتلوا زيدا وان كان القاتل واحدا منهم بناء على قبول وقوع القتل بينهم ﴿قوله او برأهم من علقة الذنوب﴾ اى مما يعد ذنبا فى حقهم فان ترك الاولى يعد ذنبا فى حقه صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فان المغفور له فيه ليس ذنبا معينا بل مطلق ما يعد ذنبا فى حقه صلى الله عليه وسلم سوآء فرط منه قبل البعثة او بعدها فانه تعالى لما استقصى فى شرح غزوة تبوك احوال المخلفين عنها ذكر فى هذه الآية حكما آخر من احكامها وهو انه تعالى تاب اى تجاوز وصفح عما فرط وصدر عنه صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين مما يعد زلة فى حقهم اى شئ كان لما اصابهم فى ترك الغزو من الشدآئد * قال الامام الانسان طول عمره لا ينفك عن زلات اما من باب الصغائر او من باب ترك الاولى ثم أنه صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين لما تحملوا مشاق هذا السفر وصبروا على شدآئده اخبر الله تعالى ان تحمل تلك الشدآئد صار مكفرا لجميع ما فرط منهم من الزلات وصار قائما مقام التوبة المقرونة بالاخلاص فلذلك قال الله تعالى لقد تاب الله على النبى الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه السورة وفى آياتها بيان معاملات المنافقين على التفصيل ظننا انه لا يبقى احد منا الا نزل فيه قرآن وسميت الفاضحة الى ان نزلت هذه الآية فلما نزلت سميت بسببها سورة التوبة ﴿قوله حتى شربوا الفظ﴾ وهو ماء الكرش عن عمر رضى الله عنه قال خرجنا فى قيظ شديد واصابنا فيه عطش شديد حتى ان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله وعدك بدعائك خيرا فادع الله لنا فقال * نعم * فرفع يديه فلم يرجعهما حتى اظلت السحاب ثم سكبت فملأنا او عيتنا ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وفيها كانت قصة دعائه بتمر قليل وجعله فى قصعة ودعائه بالبركة حتى اخذ الناس وهم اكثر من ثلاثين ألفا ازوادهم والتمر بحاله وفيها كانت قصة وضعه كفه فى ماء قليل وانفجار الماء من اصابعه الشريفة حتى شربوا وسقوا دوابهم ﴿قوله وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم﴾ اى الذى دل عليه ذكر المهاجرين والانصار وقلوب مرفوع بتزيغ والجملة فى محل النصب على انها خبر كاد ولا بد فى الجملة التى تكون خبرا عن ضمير الشأن من ضمير يعود الى اسمها وهو الضمير فى منهم وهذا الاعراب خلاف ما اشتهر فى النحو من ان خبر أفعال المقاربة لا يكون الا مضارعا رافعا لضمير اسمها فاذا قدرنا فيها ضمير الشأن او ضمير القوم كانت الجملة التى بعدها خبرا لها ولا يكون المرفوع فيها ضميرا راجعا الى اسم كاد ولم يجعل الكلام من باب تنازع الفعلين لانه لو جعل من باب التنازع لكان ينبغى ان يقال من بعد ما كادت تزيغ قلوب على ما يقتضيه مذهب البصريين فانهم يختارون اعمال الثانى ويضمرون الفاعل على وفق الاظهار وكاد عند بعضهم تفيد مجرد المقارنة مع عدم الوقوع فهذه التوبة المذكورة بعدها توبة عن تلك المقارنة والزيغ الميل واختلفوا فى ذلك الذى وقع فى قلوبهم فقيل هم بعضهم عند تلك الشدة العظيمة ان يفارق الرسول وينصرف الى وطنه لكنه صبر واحتسب فلذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم اى لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الهم وقال آخرون بل كان ذلك الذى وقع فى قلوبهم مجرد حديث النفس الذى يكون مقدمة للعزيمة فلما نالهم الشدة وقع ذلك فى قلوبهم ومع ذلك تابوا وتداركوا هذا اليسير خوفا ان يكون ذلك معصية منهم فلذلك قال تعالى ثم تاب عليهم ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ فانه اذا قيل عفا السلطان عن فلان ثم عفا عنه دل على ان ذلك العفو عفو مؤكد بلغ الغاية القصوى فى الكمال والقوة وهذه التوبة لما علقت بمكابدتهم الشدآئد فى ساعة العسرة كان التكرير بسببها دالا على المبالغة ﴿قوله او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم﴾ اى ويحتمل ان لا يكون تكريرا بأن يكون الاول مسوقا لبيان انه تعالى تجاوز عما فرط منه صلى الله عليه وسلم واتباعه من المهاجرين والانصار ويكون الثانى مسوقا لبيان انه تعالى تاب على الفريق الذى كاد الشأن أن تزيغ قلوبهم على ان يكون ضمير عليهم للفريق المذكور لا لجملة ما ذكر ﴿قوله تخلفوا عن الغزو﴾ ذكر لتسميتهم مخلفين وجهين مع انهم لم يؤمروا بالتخلف ولم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم بتخلفهم الاول ان من تخلف عن المسافرين ولم يخرج معهم يقال انه خلفه المسافرون كما تقول لصاحبك اين خلفت فلانا فيقول بموضع كذا لا يريد انه امره بالتخلف وانما يريد انه تخلف عنه والثانى ان معنى كونهم مخلفين كونهم مؤخرين فى قبول التوبة فانه صلى الله عليه وسلم أخر امرهم الى ان نزلت آية توبتهم فانه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن مالك الشاعر وكان انصاريا شهد بيعة العقبة ولم يشهد غزوة بدر حين اعترف بذنبه وقال * ما خلفني عنك عذر وانما تخلفت لمجرد الكسل وقلة الاهتمام قم حتى

او برّأهم من علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده ﴿الذين اتبعوه فى ساعة العسرة﴾ فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ ﴿من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم﴾ عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم ﴿انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال ابن امية ومرارة بن الربيع ﴿الذين خلفوا﴾ تخلفوا عن الغزو أو خلف امرهم فانهم المرجون

والغم بحيث لا يسعها انس وسرور (وظنوا) وعلموا (ان لا ملجأ من الله) من سخطه (الا اليه) الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) او انزل قبول توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليه بالنعم (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين) في ايمانهم وعهودهم وفي دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله) عن حكمه نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة (بانهم) بسبب انهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (في سبيل الله ولا يطأون موطئا) ولا يدوسون مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضي الله تعالى عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض (الا كتب لهم) اثبت لهم ذلك (عبارة)

يقضي الله فيك « وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لصاحبيه ايضا وهلال بن امية هو الذي نزلت فيه آية اللعان وهو ومرارة بن الربيع كانا رجلين صالحين من الانصار ﴿قوله لاعراض الناس عنهم بالكلية﴾ فان المؤمنين منعوا من كلامهم ومن معاملتهم وامر ازواجهم باعتزالهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنهم فكانوا يخافون ان يموتوا فلا يصلي الرسول على جنائزهم او يموت صلى الله عليه وسلم وهم من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمهم احد منهم ولا يصلي على جنائزهم ولم يفسر التوبة عليهم بقبولها منهم اذ لا وجه لان يقال قبل توبتهم ليتوبوا بل فسرها اولا بالتوفيق للتوبة لانه الاصل الذي يتفرع عليه توبتهم بمعنى الرجوع عن المعصية وهذه التوبة يتفرع عليها توبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم فهنا امور ثلاثة التوفيق للتوبة ونفس توبتهم وقبول الله تعالى اياها ذكر الله الامر الثالث بقوله وعلى الثلاثة ثم ذكر الامر الاول بقوله ثم تاب عليهم وعطفه بكلمة ثم لكونه بعيدا عنها بحسب الرتبة ثم ذكر الامر الثاني بقوله ليتوبوا ﴿قوله او انزل قبول توبتهم﴾ تفسير ثان لقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا فكلمة ثم على هذا على اصل معناها وقوله او رجع عليهم تفسير ثالث والكل حسن وقوله تعالى وعلى الثلاثة يجوز ان يكون معطوفا على النبي صلى الله عليه وسلم اي تاب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الثلاثة وان يكون معطوفا على الضمير المجرور في عليهم اي ثم تاب عليهم وعلى الثلاثة ولذلك اعيد حرف الجر وأن في قوله ان لا ملجأ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مقدر ولا مع ما في حيزها خبر ان ومن الله خبر لا وأن مع ما في حيزها ساد مسد مفعول ظنوا بمعنى علموا ذلك كأنه تعالى ذكر هذا الوصف في معرض المدح والثناء وقال لا يكون الا مع علمهم بذلك ونظيره قوله تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم والمعنى وعلموا ان الشأن لا التجاء من سخط الله تعالى الى احد الا اليه فقوله الا اليه استثناء من المحذوف ثم انه تعالى لما قبل توبة هؤلاء الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن ارتكاب مثل ما ارتكبوا مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ﴿قوله في ايمانهم وعهودهم او في دين الله﴾ اختلف في الصادقين هل هو عام او خاص بالثلاثة وعلى تقدير العموم يكون المراد بالصدق الصدق في الدين برعاية جميع ما يقتضيه الدين مما يرجع الى النيات والاقوال والافعال والاحوال والوثوق في عهودهم لله ورسوله على الطاعة كما في قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل الصادقون هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في توبتهم وانابتهم الا ان هذا القول يأباه كون الخطاب في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عاما لجميع المؤمنين لان امر كافة المؤمنين بكونهم مع هؤلاء الثلاثة وكونهم مثلهم بعيد من حيث ان التكاليف الواقعة في الكتاب والسنة متوجهة على المكلفين في جميع الازمنة الى يوم القيامة وموافقة الثلاثة موقوفة على وجودهم واما اذا كان الخطاب خاصا بمن تخلف عن غزوة تبوك كما ذهب البعض اليه فحينئذ يحتمل ان يحمل الصادقين على المؤمنين بالخصوص وفي الآية دلالة على شرف اهل الصدق وعلو درجتهم الا ترى الى ابليس كيف استنكف عن الكذب حيث ذكر الاستثناء في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فانه لو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا في ادعاء اغواء الكل واذا كان الكذب شيأ يستنكف عنه ابليس اللعين فالمسلم اولى ان يستنكف عنه روى أن واحدا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اريد ان اومن بك ولكني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء ولا طاقة لي على تركها باسرها وان قنعت بترك واحد منها آمنت فقال صلى الله عليه وسلم « اترك الكذب » فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عنده صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان انا شربت فسألني الرسول صلى الله عليه وسلم وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي ثم عرضوا عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسدت ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل رأسا ﴿قوله لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه﴾ تفسير ببيان حاصل المعنى فان الباء في قوله بانفسهم للتعدية فقولك رغبت عنه معناه اعرضت عنه واذا قلت رغبت بنفسي عنه فكأنك قلت جعلت نفسي راغبة عنه فمعنى ظاهر نظم الآية ولا يجعلوا انفسهم راغبة عن نفسه اي عما ألقى فيه نفسه العزيزة عند الله تعالى من كل نفس من شدائد الغزو واهواله وخلاصة المعنى ما ذكره الله تعالى والضح الشمس وفي الحديث « لا يقعدن احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان » ويقال زهاه السراب الشئ يزهاه اذا رفعه ﴿قوله وفي لا يرغبوا يجوز النصب﴾ اي بعطفه على ان يتخلفوا بزيادة لا لتأكيد النفي بتقدير ولا ان يرغبوا والجزم ايضا على ان تكون لا للنهي ﴿قوله اثبت لهم ذلك﴾ اشارة الى ان ضمير كتب مع كونه

(يجزيهم الله) بذلك (احسن ما كانوا يعملون) جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء

عبارة عن الانفاق وقطع الوادى المداول عليهما بقوله تعالى ولا ينفقون ولا يقطعون اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة وكذلك ايضا افرد ضميره فى قوله الا كتب لهم به عمل صالح مع كونه عبارة عن الامور المتعددة المذكورة سابقا وقوله الا كتب فى محل النصب على انه حال من ظمأ وما عطف عليه اى لا يصيبهم ظمأ ولا كذا الا مكتوبا لهم بذلك عمل صالح ﴿قوله جزاء احسن﴾ يعنى انه لابد من ارتكاب الحذف والمحذوف اما المضاف او المضاف اليه وذلك لان ما فى قوله تعالى ما كانوا يعملون مصدرية ونفس العمل لا يكون جزاء فلابد من تقدير الجزاء ثم الاحسن يجوز أن يكون من صفة عملهم وان يكون من صفة ما يكون جزاء له فعلى الاول لابد من تقدير مضاف اى ليجزيهم جزاء احسن ما كانوا يعملون اى اعمالهم وذلك لان اعمال المجاهدين اما واجب او مندوب او مباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح وعلى الثانى لابد من تقدير المضاف اليه اى ليجزيهم احسن جزاء اعمالهم ﴿قوله فهلا نفر﴾ يعنى ان لولا تحضيضية مثل هلا وقد تقرر ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ على ترك الفعل والتوبيخ انما يكون على ترك الواجب فيستفاد منه كون الفعل واجبا فظهر ان المراد بقوله تعالى فلولا نفر الامر بالنفير بعدما بين انه لا يمكن نفير الكافة لاى مطلوب كان من المطالب الدينية اى لاى مطلوب كان من المطالب كالغزو والتفقه فى الدين والتفقه معرفة احكام الدين وهو ينقسم الى فرض عين كعلم الطهارة والصوم والصلاة وفرض كفاية مثل ان يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد والفتيا والمراد من العلم فى قوله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم» ما يكون تعلمه فرض عين ﴿قوله لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة﴾ لان كل ثلاثة فرقة وقد اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين او واحدا فوجب ان تكون الطائفة اما اثنين او واحدا ثم انه تعالى اوجب العمل بخبرهم لقوله ولينذروا قومهم فانه عبارة عن اخبارهم وقوله لعلهم يحذرون ايجاب على قومهم ان يعملوا باخبارهم وذلك يقتضى ان يكون خبر الواحد والاثنين حجة فى الشرع ﴿قوله وقد قيل للآية معنى آخر﴾ محصول المعنى الاول انه تعالى بين اولا انه لا يمكن ان ينفر كافة الناس لاقامة مهم من المهمات الدينية ثم انه امر بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم بأن ينفر منهم جماعة قليلة لتحصل تلك الجماعة بسبب نفرهم الفقاهة التى هى معرفة احكام الدين ويجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم ان يستكملوا بحسب قوتهم النظرية ويرشدوا قومهم حين الرجوع اليهم بالانذار والتذكير فالضمير فى قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا على هذا المعنى للطائفة النافرة وتوضيح المعنى الثانى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الجهاد لا يتخلف عنه الا منافق او صاحب علة فلما بالغ الله تعالى فى تعييب المتخلفين عن غزوة تبوك وانزل الآيات الشداد فى حقهم قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسرى السرايا الى الكفار نفر المسلمون جميعا الى العدو وتركوه وحده بالمدينة فنزلت هذه الآية والمعنى لا يجوز ان ينفر كلهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين طائفة تبقى فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم وطائفة اخرى تنفر الى الجهاد لينتظم بكل واحدة من الطائفتين مصلحة من مصالح الدين لان انتظام امر الدين فى ذلك الزمان كما يتوقف على من يقوم بجهاد الكفار يتوقف على من يقوم ايضا بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليتعلم ما نزل فى زمان نفير المجاهدين من الشرائع والتكاليف ويبلغها الغائبين وبهذا الطريق يتم امر الدين حيث ناب كل طائفة مناب الطائفة الاخرى نابت الطائفة النافرة للغزو مناب الطائفة المقيمة فى امر الغزو ونابت الطائفة المقيمة مناب النافرين فى امر التفقه فالطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون فى الدين لملازمتهم خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم ما ورد من التنزيل فكما ورد وكيف شرع عرفوه وحفظوه فاذا رجعت الطائفة من الغزو انذرتهم الطائفة المقيمة ما تعلموه من الشرائع والتكاليف وهذا لابد فيه من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اخرى ليتفقه المقيمون فى الدين واشار المصنف اليه بقوله فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا البواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف النافرة والمعنى ليتفقه الفرق الباقية ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا فى ايام غيبتهم من العلوم ﴿قوله امروا بقتال الاقرب﴾ يعنى انه تعالى لما امر بقتال المشركين كافة ارشدهم فى ذلك الى الطريق الاصلح وهو ان يبدأوا بالاقرب فالاقرب منتقلين الى الابعد فالابعد الا ترى ان امر الدعوة وقع على هذا الترتيب قال الله تعالى

وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار لما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة

(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم) من المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ أيكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته (فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب زيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (أولا يرون) يعنى المنافقين وقرأ حمزة بالتاء (أنهم يفتنون) يبتلون بأصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون) ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم (ولا هم يذكرون) ولا يعتبرون (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من احد) اى يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان يراهم احد أقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء (بأنهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لسوء فهمهم وعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ما عنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) اى على ايمانكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم (لا اله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلا ارجو ولا اخاف الا منه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الآيتان * وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علىّ الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علىّ ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

وانذر عشيرتك الاقربين وامر الغزوات واقع على هذا الترتيب لانه صلى الله عليه وسلم حارب قومه اولا ثم انتقل الى غزو الشام والصحابة ايضا لما فرغوا من امر الشام دخلوا العراق ثم انه تعالى بعدما ذكر قبائح اعمال المنافقين ذكر قبائح اقوالهم حيث قال واذا ما انزلت سورة الآية وكلمة ما صلة مؤكدة ﴿قوله وقرئ أيكم بالنصب﴾ على الاشتغال تقديره وأيكم زادت زادته هذه ايمانا بتقدير الفعل متأخرا عنه من اجل ان له صدر الكلام والجمهور على رفع أيكم على انه مبتدأ وما بعده خبره واجاب الله تعالى عن انكارهم واستهزائهم بالمؤمنين فى اعتقادهم زيادة الايمان بالعلم الحاصل بالوحى والعمل به فقال حصل للمنافقين بسبب نزول هذه السورة امران الاول انها زيدتهم رجسا الى رجسهم والثانى انهم يموتون على كفرهم وهذا اقبح من الاول والايمان الذى هو عبارة عن التصديق تتصور زيادته على وجهين الاول ان كل من كانت الدلائل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد واقوى لانه عند الحصول على كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله * لو وزن ايمان ابى بكر بايمان اهل الارض لرجح * يريد ان معرفته بالله اتم واقوى والوجه الثانى من وجهى زيادة التصديق ان المؤمن لا محالة يصدق جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا شك ان التكاليف والآيات الدالة عليها متوالية متعاقبة فى زمنه صلى الله عليه وسلم فعند نزول كل آية وتجدد كل تكليف يزيد المؤمن تصديقا واقرارا لانه كلما سمع آية جديدة اتى باقرار جديد وكان ذلك زيادة فى تصديقه وايمانه ﴿قوله تغامزوا بالعيون﴾ يعنى ان المراد من النظر النظر المخصوص الدال على الطعن فى تلك السورة والاستهزاء بها وعلى الغيظ ﴿قوله اى يقولون﴾ اشارة الى ان قوله تعالى هل يراكم فى محل النصب بقول مضمر وجملة القول فى محل النصب على انها حال من فاعل نظر والمعنى انهم عند سماع تلك السورة يتأذون ويريدون الخروج من المسجد زاعمين انهم لا يصبرون على استماعه ويغلبهم الضحك فيفتضحون بين المؤمنين او لغلبة الغيظ لكونها ناطقة بعيوبهم وقبائح افعالهم فيقول بعضهم لبعض هل يراكم حينئذ من المؤمنين احد ان قمتم من مجلسكم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد فان علموا ان احدا يراهم قاموا وثبتوا * واعلم انه تعالى لما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة التكاليف الشاقة التى يصعب على الامة تحملها وتوطين النفس على قبولها ختم السورة بما يسهل تحمل تلك التكاليف فقال عز وجل من قائل لقد جاءكم رسول من انفسكم بضم الفاء وقرئ بفتحها من النفاسة ووصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بخمس صفات الاولى انه بشر مثل المكلفين اذ لو كان من جنس الملائكة لصعب الامر عليهم والثانية انه صلى الله عليه وسلم من جنس العرب ووصفه به ترغيبا للعرب فى نصرته والقيام بخدمته كأنه قيل لهم كل ما يحصل منكم له من الدولة والرفعة فى الدين فهو سبب لعزكم وفخركم لانه منكم ومن نسبكم والصفة الثالثة قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم وكلمة ما مصدرية والعنت الدخول فى المشقة والمعنى شديد عليه مشقتكم والصفة الرابعة قوله تعالى حريص عليكم اى على ايمانكم وصلاح احوالكم لامتناع ان يتعلق حرصه صلى الله عليه وسلم بذواتهم والصفة الخامسة قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم قال ابن عباس رضى الله عنه سماه الله تعالى باسمين من اسمائه ولم يجمع الله تعالى اسمين من اسمائه فى غير رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله بالمؤمنين متعلق برؤف رحيم ليفيد الاختصاص اى لا رأفة ولا رحمة الا للمؤمنين واما الكفار فليس عليهم رأفة ولا رحمة * فان قيل كيف وصف بكونه رؤفا بالمؤمنين وقد كلفهم الله فى هذه السورة بأنواع من التكاليف الشاقة التى لا يقدر على تحملها الامن وفقه الله تعالى * فالجواب ان التكليف المذكور من كمال رأفته بهم من حيث انه الفاعل بهم ذلك حتى يتخلصوا من العقاب المؤبد ويفوزوا بالثواب المؤبد ﴿قوله قدم الابلغ منهما﴾ اشارة الى جواب ما يقال ان مقام المدح يقتضى الترقى من الفاضل الى الافضل فكيف عكس

وكان تمام طبع هذه اللاحقة المنتهية الى آخر سورة التوبة من حاشية شيخ زاده على القاضى البيضاوى
فى المطبعة العثمانية * فى دار الخلافة العلية * فى عصر حضرة السلطان ابن السلطان
السلطان الغازى ﴿عبد الحميد خان﴾ ادام الله ظلال رأفته ما دام الدوران * لثلاث
ليال خلون من صفر الخير سنة ست وثلاثمائة بعد الالف * من هجرة من له العز
والشرف * عليه ابهى الصلاة والتسليم * ما تليت آيات القرآن العظيم *

﴿طبع فى المطبعة العثمانية العثمانية لا زالت شرفها الى يوم القيامة﴾
١٣٠٦

﴿ هذا فهرس كتاب شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي من تكملة الجزء الاول ﴾

١٠٢ سورة النساء يا ايها الناس
١١٣ للرجال نصيب مما ترك
١١٦ ولكم نصف ما ترك ازواجكم
١١٨ واللاتي يأتين الفاحشة
١٢٠ وان اردتم استبدال زوج
١٢٤ الجزؤ الخامس والمحصنات
١٢٨ والله يريد ان يتوب
١٣١ الرجال قوامون
١٣٥ والذين ينفقون اموالهم
١٣٩ من الذين هادوا يحرفون
١٤٢ اولئك الذين لعنهم الله
١٤٥ الم تر الى الذين يزعمون
١٤٧ ولو انا كتبنا عليهم
١٥٠ ومالكم لاتقاتلوا
١٥٢ وما اصابكم من حسنة
١٥٦ الله لااله الا هو ليجمعنكم
١٥٨ وما كان لمؤمن ان يقتل
١٦١ لايستوى القاعدون
١٦٥ واذا كنت فيهم
١٦٧ ولاتجادل عن الذين
١٦٩ لاخير في كثير من نجويهم
١٧١ والذين آمنوا وعملوا
١٧٣ وان امرأة خافت
١٧٥ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
١٧٧ الذين يتربصون بكم
١٧٩ الجزؤ السادس لايحب الله الجهر
١٨٠ فبما نقضهم ميثاقهم
١٨٣ انا اوحينا اليك كما اوحينا
١٨٥ يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم
١٨٨ سورة المائدة يا ايها الذين آمنوا
١٩١ حرمت عليكم الميتة
١٩٦ يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة
٢٠٠ يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم
٢٠٢ يا اهل الكتاب قد جاءكم
٠٠٠ رسولنا يبين لكم
٢٠٣ يا اهل الكتاب قد جاءكم
٢٠٦ قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا
٢١٠ انما جزاؤ الذين يحاربون الله ورسوله
٢١٣ الم تعلم ان الله له ملك السموات
٢١٤ وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
٢١٦ وليحكم اهل الانجيل
٢١٨ فترى الذين في قلوبهم مرض
٢٢١ قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
٢٢٤ ولو ان اهل الكتاب آمنوا
٢١٦ وحسبوا الا تكون فتنة
١٢٨ قل يا اهل الكتاب لاتغلوا
٢٢٩ الجزؤ السابع واذا سمعوا
٢٣١ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
٢٣٨ احل لكم صيد البحر وطعامه
٢٤٢ واذا قيل لهم تعالوا
٢٤٤ يوم يجمع الله الرسل
٢٤٦ قال عيسى بن مريم اللهم
٢٤٨ سورة الانعام الحمد لله الذي خلق
٢٥٣ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
٢٥٦ قل اي شئ اكبر شهادة
٢٦١ بل بدالهم ما كانوا يخفون
٢٦١ انما يستجيب الذين يسمعون
٢٦٦ فقطع دابر القوم الذين ظلموا
٢٦٩ وكذلك فتنا بعضهم ببعض
٢٧١ وهو الذي يتوفيكم بالليل
٢٧٤ وما على الذين يتقون
٢٧٨ واذ قال ابراهيم لابيه
٢٨٣ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
٢٨٦ وما قدروا الله حق قدره
٢٩٠ ان الله فالق الحب والنوى
٢٩٥ ذلكم الله ربكم لااله الا هو
٣٠٠ الجزؤ الثامن ولو اننا نزلنا
٣٠٣ ومالكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله
٣٠٦ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
٣١٠ ولكل درجات مما عملوا
٣١٣ وقالوا ما في بطون هذه
٣١٦ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
٣١٩ سيقول الذين اشركوا لو شاء الله
٣٢٢ ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي
٣٢٣ هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
٣٢٦ سورة الاعراف المص

﴿ هذا فهرس كتاب شيخ زاده على التفسير القاضى البيضاوى ﴾

٣٢٩ قال مامنعك الاتسجد
٣٣٤ قالا ربنا ظلمنا انفسنا
٣٣٦ يابنى آدم خذوا زينتكم
٣٣٨ قال ادخلوا فى امم قد خلت
٣٤١ ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
٣٤٤ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه
٣٤٨ والبلد الطيب يخرج
٣٥٠ ابلغكم رسالات ربى وانا لكم
٣٥٢ واذكروا اذجعلكم
٣٥٤ وما كان جواب قومه
٣٥٦ الجزء التاسع قال الملأ الذين استكبروا
٣٥٧ ولو ان اهل القرى آمنوا
٣٥٩ حقيق على ان لااقول
٣٦١ قالوا آمنا برب العالمين
٣٦٢ فاذا جاءتهم الحسنة
٣٦٥ وجاوزنا ببنى اسرائيل
٣٦٨ قال ياموسى انى اصطفيتك
٣٧١ ولما رجع موسى لقومه
٣٧٤ واكتب لنا فى هذه الدنيا
٣٧٦ وقطعناهم اثنتى عشرة
٣٧٨ واذ قالت امة منهم
٣٨١ واذ نتقنا الجبل فوقهم
٣٨٦ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
٣٨٨ قل لااملك لنفسى نفعا
٣٩١ ان ولى الله الذى نزل الكتاب
٣٩٤ سورة الانفال يسئلونك عن الانفال
٣٩٨ اذ تستغيثون ربكم
٤٠٢ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
٤٠٤ واذكروا اذانتم قليل
٤٠٦ ومالهم الايعذبهم الله
٤٠٧ الجزء العاشر واعلموا انما غنمتم
٤١٠ واطيعوا الله ورسوله
٤١٢ ذلك بان الله لم يك
٤١٤ وان يريدوا ان يخدعوك
٤١٧ ياايها النبى قل لمن فى ايديكم
٤١٨ سورة براءة
٤٢١ كيف يكون للمشركين
٤٢٤ قاتلوهم يعذبهم الله
٤٢٥ يبشرهم ربهم برحمة منه
٤٢٧ ثم يتوب الله من بعد ذلك
٤٣١ يريدون ان يطفؤا نور الله
٤٣٢ انما النسئ زيادة فى الكفر
٤٣٣ انفروا خفافا وثقالا
٤٣٥ لقد ابتغوا الفتنة من قبل
٤٣٦ فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
٤٤٠ يحلفون بالله لكم
٤٤٢ كالذين من قبلكم
٤٤٣ ياايها النبى جاهد الكفار
٤٤٤ استغفرلهم اولاتستغفرلهم
٤٤٦ رضوا بان يكونوا مع الخوالف
٤٤٨ الجزء الحادى عشر يعتذرون
٤٤٩ والسابقون الاولون
٤٥٢ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
٤٥٥ التائبون العابدون الحامدون
٤٥٧ وعلى الثلاثة الذين خلفوا
٤٥٩ ياايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم